

ثورة يوليو

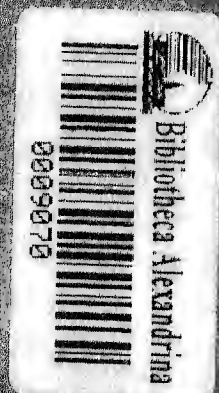
مؤسسها والمؤلفون

مؤلفها جمال عبد الناصر

مؤلفها السيد جمال



أحمد حمروش



ثورة ١٩٥٢

الجزء الأول

- مصر والعسكريون
- مجتمع جمال عبد الناصر
- عبد الناصر والعرب

أحمد حمروش



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٢

الاخراج الفني : عمر حمادي علي

مصر والعسكريون

الإهداء _____

إلى ولتي عبلة وهاني
وجيل مصر الجديد

مقدمة

كانت وفاة جمال عبد الناصر المفاجئة صدمة هزت مشاعر الأمة العربية ، فقد رحل الرجل الذي عاش زعينا تلهب كلماته ومواقفه حماس الملايين ، وانقضت بموته مرحلة هامة من مراحل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . غاب القائد الذي يملك كل الأسرار والمعلومات ... قبل أن تكتب قصة الثورة التي دبرها وقادها .

وشعرت بمسئولية كبيرة ، تدفعني إلى ضرورة البحث والدراسة لمحاولة تقديم ثورة ٢٣ يوليو ، التي شاركت فيها بقدر متواضع مع غيري من الزملاء العسكريين وضباط الجيش المصري .

لم تكن البداية سهلة ... فان شيئا رسميا لم يسجل عن تاريخ الحركة ... وكل ما نشر لا يعدو احاديث ضمنية ... والمعلومات عندي شخصية ... وبعض الذين أسهموا في الحركة تقدم بهم العمر ... والذكريات كادت تضيع .

المسئولية جسيمة ... واكتشاف الحقيقة كاملة ضرورة لا شك فيها ... ولم تأخذني الحيرة طويلا .

بدأت بعقد اجتماعات واحاديث شخصية مع الذين قاموا بالحركة من العسكريين ... أعضاء مجلس قيادة الثورة ، والضباط الأحرار ، والذين وصلوا إلى مركز المسئولية .

ولم تقتصر الاجتماعات والاحاديث على العسكريين فقط ... فقد قابلت بعض السياسيين القدامى الذين أضرروا من الثورة ، وبعض الذين شاركوا في السلطة .

عدد الذين قابلتهم تجاوز المائة ... وفي نهاية الكتاب سجل بأسمائهم .

الدور الرئيسى للعسكريين ٠٠٠ ولكنه دور لا يبدأ يوم ٢٣ يوليو ٠٠٠
وانما يمتد قبل ذلك شهورا وسنين .

ليس هناك تاريخ محدد يمكن القول بأنه نقطة البداية ٠٠٠ فان نضال
العسكريين المصريين مترابط الحلقات ٠٠٠ يعود الى بداية القرن التاسع عشر
عندما جند الفلاح المصرى لأول مرة بعد تاريخ طويل ، ليقوده ضباط من
الأتراك والشراكسة .

الباب الأول ٠٠٠ يقدم فى ايجاز دور العسكريين المصريين ، ونضالهم
ضد سيطرة الأجانب ، وثورة أحمد عرابى ، وموقف الجيش المصرى فى عهد
الاحتلال البريطانى ٠٠٠

وجدت ذلك ضرورة جيوية حتى لا تكون ثورة يوليو مقطوعة الصلة
بالماضى ، فتتوارى النضال متدفق لا ينقطع ، والعسكريون فى مصر لهم
تاريخ قبل أن يصلوا الى قمة السلطة ، ويحكموا مصر بثياب عسكرية أو
مدنية .

(مصر ٠٠٠ والعسكريون) اسم هذا الكتاب الذى يصدر فى أربعة
أجزاء تنتهى بوقاة جمال عبد الناصر القائد الذى خرج من صفوف الجيش
ليقود الشعب ويحكم مصر .

الجزء الأول ٠٠٠ بين يديك ٠٠٠ يقدم - بعد العودة لدور العسكريين
فى تاريخ مصر الحديث - قصة ثورة يوليو منذ بدأت فكرة فى ضمير بعض
الضباط الوطنيين من مختلف الاتجاهات والمدارس الفكرية ، حتى انتهت
الى تدبير وتنظيم وحركة .

الوصول الى القمة كان دورا بسيطا من أدوار الثورة ، التى بدأت من
اليوم الأول تواجه مصر : الشعب والقضايا الوطنية والاجتماعية ٠٠٠
وتواجه أيضا الاحتلال البريطانى والضغط الامبريالى .

الجزء الأول يضى خلال مرحلة هامة من مراحل الثورة ، خاضت فيها
صراعات مختلفة ، انتهت الى عزل محمد نجيب ، وقول مجلس قهادة
الثورة المسئولية وحده بعد تعيين جمال عبد الناصر رئيسا للوزراء .

فصل من فصول الثورة ، تعقبه فصول أخرى فى الأجزاء التالية .
وقبل أن أترك الكتاب لك ٠٠٠ أحب أن أقول ان فى عنقى دينا من
الشكر لكل هؤلاء المعارف والزلاء والأصدقاء الذين تفضلوا بمنحونى بعض

وقتهم وقدموا لى فى سخاء ما عندهم من معلومات وذكريات ٠٠٠ كانت
السند الرئيسى فى ظهور هذا الكتاب .

وفى صدق أقول لا أعتقد أنى قد أحطت بكل شىء ٠٠٠ ولكنى
حاولت ٠٠٠ فلم أكتب الكلمة الأولى فى الكتاب الا بعد عام ونصف من
البحث والتدقيق والسؤال .

وأخيرا ٠٠٠ كلمة وفاء ٠٠٠ للرجل الذى قاد ثورة يوليو ٠٠٠
لجمال عبد الناصر .

أحمد حمروش

الباب الأول

الفصل الأول : محمد علي واليا ٠٠٠ وأبو خليل قائدا للجنود

(محمد علي هو الشخص الوحيد الذي كان
في قدرته تحويل تركيا من العمامة الفاخرة
الى رأس حى حقيقى)

كاول ماركس

الفصل الثانى : الأميرالاي احمد عرابى ٠٠ ثائرا وقائدا

(السلطة التى أتمتع بها الآن لم أقم
باغتصابها)

احمد عرابى

الفصل الثالث : الجيش المصرى تحت الاحتلال البريطانى

(من الحكمة ألا نمكن العدو من رقابتنا وأنا
لا أود أن يدخل ضباط الجيش فى حركتنا
السياسية)

مصطفى كامل

الفصل الاول

محمد علي واليا ٠٠٠ وأبو خليل قائدا للجند

(محمد علي هو الشخص الوحيد الذي كان
في قدرته تحويل تركيا من العمامة الفاخرة
الى رأس نقي حقيقي)

كارل ماركس

الحديث عن العسكريين في مصر ليس حديثا عن طبقة ٠٠٠ فالجيش
المصري يتكون من مختلف طبقات الشعب ٠٠٠ عمالا وفلاحين ، وبورجوازية
صغيرة وكبيرة ٠٠٠ والى عهد قريب كان يضم الاقطاعيين أيضا ٠٠٠

والحديث عن العسكريين في مصر أيضا ، ينفرد بخاصية غريبة ٠٠٠
لأنه منذ اللحظة الأولى التي لبس فيها الفلاح المصري ملابس الجندي في
عهد محمد علي ، وانتظم في صفوف الجيش ، ثبت تناقض طبقي أخذ ينمو
بين الجنود وصغار الضباط أبناء الفلاحين المصريين ، وبين الإقطاع
والشراكية الذين تولوا مناصب القيادة العليا في الجيش ، حتى وصل
الصراع ذروته مع الثورة العربية .

ولم يخمد الصراع مع هزيمة الثورة العرابية واحتلال البريطانيين
لمصر ٠٠٠ ولكنه أخذ طابعا وطنيا بين المصريين في صفوف الجيش ، وبين
قوات الاحتلال البريطاني .

حركة الصراع ، ونمو التناقضات ، وتغير صورة النضال داخل الجيش المصرى لم تبدأ أو تتوقف منذ مطلع القرن التاسع عشر وهى تشكل صورة فريدة من صور نضال الشعب المصرى .

والثبوت أن الجيش المصرى الحديث لا تمتد جذوره الى الماضى السحيق ، ولا يرتبط بصورة متصلة متجددة مع الجيش المصرى فى عهد الفراعنة هناك فترة زمنية طويلة فى تاريخ الجيش المصرى ، وفاصل عازل امتد مئات السنين بين آخر معاركه وبين العودة الى تجنيد المصريين .

خلال مئات السنين من حكم المماليك والعثمانيين لم يكن للمصريين دور فى الخدمة العسكرية ، كان حكام مصر يخشون أن يحمل الفلاحون السلاح وتنتظمهم صفوف الجيش .

الرفض المطلق لتجنيد المصريين يعطى مؤشرا هاما لتخوف الحكام غير المصريين من بعث الروح العسكرية فى الشعب ، أو السماح لأبنائه بحمل السلاح .

وأصبحت هذه هى القاعدة .

ورث حكام مصر الأتراك الذين غزوا مصر ١٥١٧ من السلاطين المماليك عادة تكوين حرس خاص لهم من المماليك الذين كانوا أرقاء مستوردين فى الغالب من الدول المحيطة بالبحر الأسود أجبروا على اعتناق الاسلام ودربوا خصيصا للخدمة العسكرية ، وكان الحكام الاترام يعينونهم فى مراكز الدولة الهامة ويهبونهم أرضا واسعة ثلثا الأرض المصرية كانت فى حوزة المماليك فى نهاية القرن الثامن عشر مما جعلهم فئة سائدة من الاقطاع فى مصر .

وعندما أصبحت الامبراطورية العثمانية فى القرن الثامن عشر تنحور الاقتصاد وسرى الفساد فى أجهزة الدولة ، وانحطت الثقافة ، وخرجت الأقالييم عن طاعة الحكومة المركزية ولقد الجيش قدرته القتالة ، وانتهز على بك الكبير فرصة انهلال الحرب بين تركيا وروسيا وأعان استقلاله عام ١٧٦٩ ، وصار اسمه يذكر فى خطب الجوامع مقرونا بلقب « سبطان مصر » و« خاقان البحرين »

وفى مواجهة ذلك كان الفلاح المصرى يتعرض لعذاب شديد من الضغوط والنشخرة ونهب المخاضيل وكانت الهجرة من القرى ظاهرة منتشرة فى أرجاء الامبراطورية العثمانية ، وفى مصر خاصة وتكررت المجاعات ، وأجبروا الإمبراطورية العثمانية بإبسن (قانون نامة مصر) تجبر الملتزمين والمسايف على عدم إبقاء قطعة أرض واحدة من الأرض غير مزروعة ، وإن يحولوا دون

هرب الفلاحين ، وأن يسعوا لاسكانهم فى القرى الخربة والخابية ، وفى حالة فرار الفلاح من أرضه يتحمل الشيخ التزاماته المادية .
من أجل هذه الحالة كان الفلاح يقف بعيدا عن الجيش ، لا يجلسه الحكام الأتراك أو المماليك ، لما يمكن أن يحمله للجيش من روح العقبة والثورية .

وعندما غزا نابليون مصر عام ١٧٩٨ كان يدرك هذه الحقيقة ، فشاء أن يتخذ منها ستارا يخفى أغراضه الاستعمارية ، وقال فى بيانه عن المماليك (فبماذا يميزهم عن غيرهم حتى يستوجبوا أن يمتلكوا مصر وحدهم ، ويختصوا بكل شئ أحسن ما فيها من الجوارى الحسنان والخيول العتاق والمساكن المفرحة) .

كان المماليك يعتبرون جيشهم المدرب المحترف (جيشا لا يقهر) . ولكنه كجيش قطاعى هزم فى أول معركة أمام جيش نابليون الذى عركته حروب الثورة الفرنسية . وكانت لنابليون فى ذلك نظرية غير عنها بقوله (لا شك أن ملوكين يتفوقان على ثلاثة من الفرنسيين ، وإن ١٠٠ ملوك يعادلون ١٠٠ فرنسى ، ٣٠٠ فرنسى يتفوقون عادة على ٣٠٠ ملوك . أما ١٠٠٠ فرنسى فيهزمون دائما ١٥٠٠ ملوك) (١) .

المقصود من ذلك هو أن التطور الحديث للجيش يستطيع الانتصار على المهارة والقدرة الفردية . وفى ذلك كتب فردريك انجلز فى كتابه (ضد دوهرنج) موضحا (كل ما يحتاج اليه نابليون هو قدر محدود من الخيالة ليظهر قوة ومفعول الضبط الذى تنطوى عليه الصفوف المتراصة والعمليات المخططة ، لكى تتحول قوة الضبط هذه الى تفوق حتى على حشود أكبر من الفرنسيان غير النظاميين الذين يملكون خيولا أجود أو يتصفون ببراعة أكبر فى الفروسية وفى المبارزة والذين لا يقلون عن غيرهم بسالة) .

ولم تكن المعركة بين نابليون والمماليك فقط ، وإنما دخلها الشعب المصرى رغم انه لم ينتظم فى صفوف الجيش . ولكنه اتخذ موقف المقاومة ضد القوات الأجنبية الغازية ، وجمعت التبرعات لشراء السلاح ، وأنشئ سكان القاهرة امنهما فعلا فى الدفاع عنها ، وغرق الألوف منهم فى النيل أثناء التراجع - بعد معركة امابة الغربية - من الأجرام على الضفة الغربية للنيل ، والى انتصر فيها نابليون بعد أن سقط فى المعركة ٣٠٠٠ ملوك من مجموع ٦٠٠٠ وفر الباقون : البعض منهم الى الوجه القبلى مع مراد بك والبعض الى سوريا مع ابراهيم بك .

(٥) تاريخ الاقطار العربية الحديث - لوتسكى .

القمصن المصري لم يتردد في دخول المعركة دفاعا عن أرضه رغم عزل المماليك له عن الجيش ، واستمر في نضاله العسكري الذي كان يشبه (حرب العصابات) التي اشتعلت نتيجة أسلوب الادارة الفرنسية في فرض اتاوات نقدية وعينية تجاوزت في بعض الأحيان ما كان يحصل عليه المماليك ، كما صادرت الأغذية والعلف .. وكانت هذه هي أول مواجهة لفزة غير مسلمين بعد الحرب الصليبية .

اشتعلت (حرب العصابات أو الانتصار) وخاصة في الدلتا بعد دخول الأتراك للحرب ، فهاجم الفلاحون المصريون على السعاة العسكريين والدوريات ، وأربكوا خطوط الاتصال الفرنسية ، وقتلوا الضباط والموظفين وجباة الضرائب الفرنسيين ، فأرسل نابليون حملات تنكيل للدلتا ، وخرق ضباطه القرى المتمردة ، غير أن ذلك لم يخمد اللهب الذي امتد إلى القاهرة ، حتى أصبحت تشبه باريس خلال الأيام الأولى للثورة الفرنسية على نحد تعبير القنصل الفرنسي في ذلك الحين (٢) .

وثقلت القاهرة إلى مدينة نائفة ، انسحبت منها القوات الفرنسية ، وهرب نابليون نفسه إلى جزيرة من جزر النيل ، واحتشد ١٥ ألف نائف في الجامع الأزهر وأقاموا المتاريس والحواجز حول الطرق المؤدية له ، وسارح إلى القاهرة ٥ آلاف فلاح من القرى المجاورة ، وبضعة آلاف من بدو الصحراء الغربية (٣) .

وأرسل نابليون كتيبة ضد الفلاحين وأخرى ضد البدو ، وحشد قواته الأساسية بالقرب من القاهرة ، حيث وجه نيران مدافعه إلى المعتصمين في الجامع وما حوله ، فقتل الآلاف منهم ومن نجا قتلته جراب الجنود الفرنتسين .. ولم يتخذوا أجدا أسيرا .

ودغم طلب الثوار وقف القتال إلا أن نابليون لم يتوقف ، ونفذت خطته ببشاعة ، وفي ذلك كتب نابليون للجنرال مينو حاكم رشيد يقول له (لا يمكن إخضاع هؤلاء القوم إلا بالقسوة) .

ولم تكن هذه هي الانتفاضة الوحيدة لسكان القاهرة .. ثارت القاهرة مرة أخرى ضد كليبر في مارس ١٨٠٠ بعد عودة نابليون سارا إلى فرنسنا ، وأبادوا حامية فرنسية صغيرة كانت في المدينة ، وقاوموا حصارا أمتد شهرا حتى ١٥ أبريل عندما دكت القوات الفرنسية بولاق وحولتها إلى رماد ، وقتلوا بالحرا ب عدة آلاف من الثوار .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه .

وتعرضت القاهرة لمذبحة نالته بعد اغتيال كليبر بيد سليمان الحلبي في ١٤ يونيو عام ١٨٠٠ ، واجتاحت الجنود الفرنسية شوارع القاهرة تقتل وتحرق بلا حساب .

كان المصريون يدافعون عن وطنهم خلال سنوات الاحتلال الفرنسي الثلاث وهم يحملون السلاح بطريقة تلقائية ٥٠ وقد استفادوا من ذلك خبرة كبيرة ، انعكست على الحركات الوطنية في المستقبل ، وساعدتهم في ذلك ان الأسلحة كانت في بداية تطورها تضم السيف والخنجر والسهم الى جانب البندقية البدائية ٥٥

وأثبت المصري بعد مئات السنين من حكم المماليك والعثمانيين انه لم يفقد صفته كجندى محارب يتحمل قسوة المعارك في صبر وشجاعة ٥٥ وفي ذلك يكمن سر ابعاده عن التجنيد وعزله عن صفوف الجيش وتعامل الحكام الأجانب معه في حذر .

وبعد مغادرة الفرنسيين مصر ، عقب توقيع معاهدة الصلح مع تركيا في ٩ أكتوبر ١٨٠١ تركوا دراسة شاملة لمصر في ٢٠ مجلد من كتاب « وصف مصر » تضم بحوثا لامة في مختلف المجالات ، حلت بعض القضايا الحربية العملية مثل صنع البارود من الموارد الطبيعية المتاحة في مصر ، ووضع الخرائط الحربية ودراسة الطبوغرافيا ، وعلاج الأمراض التي تنتشر بين الجنود ٥٥ وذلك الى جانب دراسات وأبحاث أخرى في مختلف نواحي الحياة .

وكانت هذه الدراسات موضع تقدير ومتابعة في المستقبل ٥٥ كما كانت المقاومة الشعبية للحملة الفرنسية بداية الاهتمام بدخول المصريين الى ساحة العسكرية المنظمة ٥٥ أي الانضمام للجيش .

خرج الفرنسيون من مصر ، وخلفوا بها أيضا قوات احتلال ثلاثية شاركت في هزيمتهم (٤٠ ألف تركي ، ٢٠ ألف انجليزي ، ٤ آلاف مملوك) ، وأعقب خروجهم ظهور تناقضات بين الأتراك الذين استقر رأي سلطانهم سليم الثالث على التخلص بصورة حاسمة من المماليك ، بينما ساندت إنجلترا المماليك وعملت على إعادة ممتلكاتهم ومناصبهم في الدولة ، وهددت الباشا التركي بقصف القاهرة اذا لم يطلق سراح المماليك الذين كان قد أسرهم في حملة لابادتهم ، فاضطر الى اطلاق سراح ٢٥٠٠ مملوك استقبلتهم القيادة البريطانية بمراسم احتفال عسكرية .

ولم يستقر الانجليز طويلا في مصر ، خرجت آخر قواتهم في مارس ١٨٠٣ تطبيقا لشروط معاهدة صلح اميان التي وقعت بين إنجلترا وفرنسا في ٢٧ مارس ١٨٠٢ ، واستصحبوا معهم قائد المماليك الموالي لهم محمد

الآلفي ٠٠ واستمرت الحرب بين الأتراك والمماليك ، حتى وصل الى مصر (محمد علي) ضابطا في القوة الألبانية التابعة للجيش التركي ، ثم سرعان ما عين قائدا لها .

عقد محمد علي حلفا مع المماليك لضرب الباشوات الأتراك ، ولما بدا للمصريين أن المماليك على وشك استعادة سلطتهم وممتلكاتهم ومعاودة النهب من جديد ، قرروا الامتناع عن دفع الضرائب وقتل الجبابة ، وترأس الانتفاضة شيوخ الأزهر ، ودارت المعارك في شوارع القاهرة ، وحاصر قصر عثمان البرديسي قائد المماليك في ١٢ مارس ١٨٠٤ ففر من القاهرة . ولم يتردد محمد علي ٠٠ انحاز للثوار بعدما أدرك قوة الحركة الشعبية ، وسارع الى الأزهر معلنا نفسه حاميا لحقوق الشعب المصري ، ووجه كتابته الألبانية لمحاربة المماليك والاقطاعيين في الوجه القبلي تحت قيادته خلال عامي ١٨٠٤ ، ١٨٠٥ واختاره مجمع الشيوخ قائمقاما (أى نائبا لباشا مصر التركي) ٠٠ واختير خورشيد الحاكم التركي للاستكشافية باشا لمصر ٠٠ وهنا انتهى دور السيد عمر مكرم الرجل المثالي الذي سلم الحكم لمحمد علي ثم انزوى في بيته لمثاليته .

وتابع الأتراك أسلوبهم في سلب جهد المصريين ٠٠ فقرر خورشيد جبابة الضرائب مقدما لمدة سنة كاملة ٠٠ ولكن الشعب المصري الذي حارب الفرنسيين وطرد المماليك لم يقبل الخضوع للانكشافية حرس الباشا التركي ٠٠ واندلعت انتفاضة جديدة في مايو ١٨٠٥ عمت القاهرة كلها ، ونادى مجمع الشيوخ بمحمد علي حاكما على مصر ٠٠٠ واضطر السلطان سليم الثالث الذي تهكت امبراطوريته بالانتفاضات التحررية الى الاعتراف بمحمد علي واليا على مصر في نفس العام ١٨٠٥ لانشغاله بانتفاضة وطنية تحررية في صربيا ، وعدم استقرار الأوضاع في بلغاريا واليونان .

وفي ذلك الوقت كانت الحرب قد استؤنفت بين انجلترا وفرنسا ، وامتدت الى الشرق ٠٠ واستطاع محمد علي بمهارته أن يهزم محمد الآلفي (صنيعة الانجليز) ثم تخلص من عثمان البرديسي (الموالي للفرنسيين) .

وحاول الأسطول البريطاني أن يغزو استانبول لوقوف تركيا مع فرنسا ، ولكنه اتجه الى الاسكندرية وأنزل فيها ٥ آلاف محارب في ١٧ مارس ١٨٠٧ تحت قيادة فريزر) .

وهنا اتجه محمد علي لمقاومة القوة الغازية .

لم يعتمد على الانكشافية ٠٠ كانوا قد انتهوا ٠٠ ولم يعتمد على المماليك ٠٠٠ كانوا قد هزموا وتشتتوا ٠٠٠ ولم يعتمد على الألبانيين وحدهم فقد كانوا قلة لا تستطيع المواجهة .

ولكن محمد على اعتمد على المصريين للمرة الأولى كقوة شعبية مسلحة .
خاض المصريون الحرب وسحقوا - فى نهاية مارس ١٨٠٧ - وحدة
عسكرية انجليزية عددها ٢٠٠٠ فى شوارع رشيد ، ثم سحقوا واحدة
أخرى أكبر منها وجهها القائد البريطانى لنجدة قواته .

أسهم فى معركة رشيد الفلاحون والبدو الى جانب العساكر الأجانب
المحترفين وانسحب الانجليز الى الاسكندرية ، ومن خلفهم محمد
على . . . واضطر القائد البريطانى الى طلب الصلح والانسحاب بعد حملة لم
تتجاوز مدتها ستة شهور .

دخل محمد على الاسكندرية وارتفعت شعبيته الى القمة . .
واعتبره المصريون بطلا وطنيا .

وقد تابع محمد على خطوات نابليون ، الذى كان جيشه أو جيش
فرنسا الثورة هو بداية العسكرية العصرية الأوروبية وكان بداية
الانتقال من فرق الملوك والأمراء والباشوات ، أى الجيوش الاقطاعية ، الى
الجيوش القومية النظامية (البرجوازية) .

كان محمد على قد اضطرته ظروف محاربة الانجليز الى مهادنة
المماليك الذين اعتبروه واليا عليهم ، ولكنهم احتفظوا بالسلطة فى الوجه
القبلى وجعلوا منه وكرا لمؤامراتهم وتمرداتهم .

وبعد أن سحق محمد على الانجليز صادر عام ١٨٠٨ أملاك الملتزمين
الذين امتنعوا عن دفع الضرائب ، وفى عام ١٨٠٩ حرمهم من نصف الفائض ،
وفى عام ١٨١٢ وضع يده على جميع الأراضى التى كانت فى حوزة المماليك ،
وفى عام ١٨١٤ ألغى نظام الالتزامات نهائيا . وأصبح الفلاح يدفع الضرائب
لأول مرة الى الدولة مباشرة ، كما قضى على تبعية الفلاحين الشخصية
للملتزمين .

خلال هذه الفترة قام المماليك بانتفاضتين ضد محمد على عامي
١٨٠٩ ، ١٨١٠ بعد تقلص نفوذهم وأخذ اقطاعياتهم ، الأمر الذى دفع
محمد على الى ارتكاب مذبحه المماليك الذين حاصروهم فى القلعة يوم أول
مارس ١٨١١ خلال عرض عسكري اشترك فيه ٥٠٠ ملوك بمناسبة ارسال
قواته الى الجزيرة العربية لمحاولة القضاء على الدولة الوهابية . بناء على أوامر
الباب العالى .

المماليك الذين نجوا من المذبحة هربوا الى دنقلة وأقاموا حكما خاصا
بها حتى تم غزوهم عام ١٨٢٠ .

بعدها عزز محمد على سلطنته في مصر ، قرر أن يتخطى حدودها
ساعيا وراء آماله وطموحه اللذين وصفهما فيما بعد الجنرال بوايه في
كتابه الى كيرمون - تونير وزير الحربية الفرنسية في أول ديسمبر ١٨٢٤
بقوله (ان محمد على يشكل في الامبراطورية التركية حدها غربيا لا يخاو
من العبقريّة فله تفكير واسع صحيح وآراء جريئة في الاصلاح والتنظيم ،
وهو يعلم ان عقبات عصيبة تقوم في سبيل مشاريعه ، ولكنه كبير الأمل
في تخطيها جميعا) (٤) .

ولذا فانه عندما اقترح السلطان محمود الثاني عليه تجريد حملة
ضد الوهابيين في الجزيرة العربية سرعان ما استجاب لذلك ، وأرسل ابنه
طوسون - ١٦ سنة - على رأس حملة في سبتمبر ١٨١١ ، وأرسل معه
مستشارا سياسيا مصريا هو التاجر القاهري محمد المحروقي . وكانت
الحملة موضع اهتمام التجار المصريين الذين تكبدوا خسائر فادحة من
توقف الحج وما يتصل به من تعامل تجارى فقدّموا الأموال بسخاء لتجهيز
الحملة .

كان هدف محمد على المباشر هو السيطرة على التجارة معتبرا الجزيرة
العربية مفتاحا لسوريا والعراق ، ناظرا الى الوهابيين نظرته الى خصوم
يصارعونه من أجل الاستحواز على الأقاليم العربية التابعة للامبراطورية
العثمانية . وكان محمد بن عبد الوهاب مؤسس الوهابية يحلم بتحرير
عرب سوريا والعراق من النير التركي ، ولم يعترف بخلافة السلطان
التركي ، وكان يعتبر كافة العرب اخوة ويدعوهم الى الوحدة (٥) .

تعرضت الحملة التي استولت على مكة والطائف وجدة الى مصاعب
ومقاومة شديدة وقتل حوالي ٥ آلاف جندي من حوالي ١٠ آلاف جندي
شكلت منهم الحملة ، مما اضطر محمد على الى أن يقود الجيش المصري
شخصيا فذهب الى جدة مع امدادات جديدة في سبتمبر ١٨١٣ حيث أنزل
بالوهابيين هزائم ساحقة أباد فيها جيشا مكونا من ٣٠.٠٠٠ شخص .

وعاد محمد على الى مصر في مايو ١٩١٥ لتواصل الحملة الوهابية
مسيرتها بقيادة طوسون ثم ابراهيم ، حتى أدخل القسم الأكبر من الجزيرة
العربية ضمن الامبراطورية العثمانية ، وتحولت الحجاز الى اقليم مصري
يعين محمد على حكمه .

(٤) السياسة الدولية في الشرق العربي - الجزء الثاني - اميل خوري وعادل
اسماعيل .

(٥) تاريخ الاقطار العربية الحديث - لوتسكي .

وقد كانت الحملة الوهابية أولى حملات محمد على خارج مصر نقطة تحول استراتيجية في تفكيره ٠٠٠ اذ قرر خلالها عدة قرارات هامة :

أولا - القيام باصلاحات عسكرية حديثة ، فالفي نظم الجيش القديمة واستعاض عنها بأنظمة أوروبية تتناسق مع تطور التسليح الذي تمخضت عنه الثورة الصناعية الأوروبية ٠٠٠ فبدأت تختفي الأسلحة التقليدية مثل السيوف والدروع ٠٠٠ وارتبطت العسكرية الحديثة بالصناعة الحديثة .

ثانيا - قرر - من أجل الوصول الى أفضل المستويات - الاستعانة بخبراء ومدربين عسكريين من النمسا وإيطاليا وروسيا وفرنسا بصفة خاصة .

ثالثا : اتخذ قرارا ثوريا بتجنيد الفلاحين المصريين في الجيش النظامي لأول مرة في تاريخ مصر الحديث ، مقتنعا بكفاءة وصبر المقاتل المصري التي لمسها في معركة رشيد ضد حملة فريزر وفي الانتفاضات الشعبية المتعددة ٠٠٠ ومقتنعا أيضا بأن في ذلك تأمينا حقيقيا لحكمة المستقل عن الباب العالي ٠٠٠ ومقتنعا أخيرا بأن ذلك سوف يخلصه من أخطار المماليك أيضا ٠٠٠ وقد اتخذ محمد على هذا القرار ضاربا عرض الحائط بنصيحة بعض الذين أحاطوا به وصوروا له أن في ذلك مخاطرة شديدة .

وجد محمد على أن طموحه لبناء مصر الحديثة لابد أن يعتمد على عسكرية حديثة ٠٠ وهذه لابد أن تعتمد على أمرين :

١ - تجنيد أبناء مصر بعد الاستغناء تدريجيا عن الجنود والفرسان الأتراك والارناؤوط والمماليك ، وهم المرتزقة الذين لم يتعودوا تماما على انضباط الجيوش النظامية الحديثة .

٢ - بناء صناعة حديثة .

تمهيد الجيش :

وبدأ محمد على تنفيذ خطته فأقام معسكرا تدريبيا في أسوان ، جند فيه الآلاف من المصريين والسودانيين تحت اشراف مدربين فرنسيين وإيطاليين كان أبرزهم الضابط الفرنسي « جوزيف انتلم سيف » الذي حضر مصر عام ١٨١٩ وعرف فيما بعد باسم « سليمان باشا الفرنساوى » بعد أن أسلم وتزوج وأنجب في مصر .

ولم يكن تجنيد الفلاحين في الجيش أمرا سهلا ٠٠٠ فقد أخذوا من التجنيد موقفا سلبيا بعد معاناة قرون طويلة من الاضطهاد والارهاب

والسخرة ، وحدثت بعض تمردات في المنوفية والوجه القبلي وبلبيس قمعها محمد على الذى لم يقابل هذا الموقف بالعنف ، وانما طلب من الشيخ العروسى شيخ الأزهر أن يوضح الأمور للفلاحين عن طريق رجال الدين ٠٠٠ وكتب محمد على رسالة يقول فيها للمستولين عن التجنيد (انه لما لم يكن من عادة الفلاح أن يقبل هذا الوضع فلم يكن ثمة ما يجب ارغامه عليه ولا معاملته بالعنف فيه ، بل يلزم تحرير الفلاحين وتجنيدهم باستدراج عقولهم اليه ، وذلك بتفهمهم تدريجيا أنه أمر منطوق على خير ، ولا تعتبر كمسائل السخرة) (٦) .

وقد أثبت الجنود المصريون تفوقهم وقوة احتمالهم ، وساندتهم محمد على وإبراهيم في مواجهة المتاعب التي تعرضوا لها من الضباط الأتراك أو مماليك محمد على ٠٠٠ فقد أمر محمد على فعلا بجلد ناظر سلكانة تركى مائة جلدة لانه قال في حفل استقبال أحد الألايات بدمياط (صار الفلاحون العمى عساكر) .

وبدأ الفلاح المصرى يتدرج فى رتب الجيش ٠٠٠ بعد أن قام محمد على بفتح المدارس الحربية لاعداد الكوادر القيادية المصرية مثل مدرسة المشاة فى دمياط ، ومدرسة الخيالة فى الجيزة ، ومدرسة المدفعية فى طره بضواحي القاهرة ، ثم أنشئت أكاديمية الأركان العامة عام ١٨٢٦ ٠٠٠ وترجمت الأنظمة العسكرية الداخلية الفرنسية الى العربية لتطبق فى الجيش المصرى الذى كان يسير على تنظيمات جيش نابليون تماما .

وهكذا حقق محمد على هدفه الأول ٠٠٠ وهو تجنيد أبناء مصر ٠٠٠ وسجل التاريخ حقيقة هامة ، وهى ظهور جيش من الفلاحين يعتبر بداية فى الحركة القومية الحديثة للأمة المصرية .

وعن الهدف الثانى وهو بناء صناعة حديثة تكون فى خدمة الجيش الحديث ، أنشأ محمد على مصانع لصب الحديد بلغ انتاجها ٢٠٠٠ طن من حديد الزهر سنويا ومصانع للبارود ، ومصانع للأقمشة والأشربة والحبال والزيتون والصابون وغيرها .

وبنى محمد على كذلك ترسانة الاسكندرية عام ١٨٢٩ بعد تحطيم جميع سفن الأسطول المصرى فى موقعة (نفاوين) وفى يناير ١٨٣١ أنزلت الى البحر أول سفينة ذات مائة مدفع .

وظهرت (البروليتاريا الصناعية) لأول مرة فى مصر ٠٠٠ الترسانة كان يعمل بها ٨٠٠٠ عامل ، ومجموع العمال فى مختلف المصانع وصل الى

٤٠٠٠ عامل ٠٠٠ وكان العمال يخضعون للنظام العسكرى ، يقسمون الى فصائل وسرايا وكنايب ويعيشون فى الثكنات ، ويعملون فى المصانع نتيجة التجنيد الاجبارى •

كانت الصناعة مرتبطة ارتباطا وثيقا باحتياجات الجيش ٠٠٠ وكان العمال يحصلون على أجور زهيدة ، وتشير أرقام ميزانية ١٨٣٣ فعلا الى أن مصروفات الجيش بلغت ٢٨ مليون فرنك ، ونفقات محمد على الشخصية ٣٥ ملايين فرنك ، بينما دفع لنفقات المصانع وأجور العمال ٢٧٥ مليون فرنك لا أكثر •

وكما تقدمت الصناعة فى خدمة الجيش ، تقدمت الزراعة أيضا ، وتحسنت ظروف الفلاح نسبيا عن ذى قبل ٠٠٠ وأصبحت مصر مصدرة للقطن والأرز ، وأنشئت الترع والمصارف وبدى فى بناء « القناطر الخيرية أول سد يقام فى تاريخ مصر ٠٠ وزادت بذلك مساحة الأرض المزروعة من مليونى فدان عام ١٨٢١ الى ٣١ مليون فدان عام ١٨٣٣ •

وانتقل محمد على بمصر - التى كانت تعتبر شكليا إحدى الولايات التابعة للامبراطورية العثمانية - الى عصر جديد ٠٠٠ أصبحت فى الواقع دولة مستقلة ذات حكومة وجيش وقوانين ونظام ضرائب خاص بها ولا يربطها بالسلطان الاضريبة سنوية يدفعها محمد على له وقيمتها ٣٪ من ميزانية الدولة •

وأعيد تنظيم جهاز الدولة ، وأنشئت الوزارات على النظام الأوروبى ٠٠٠ وتطلب تكوين الجيش وجهاز الدولة الجديد توافر كثير من المثقفين والمتعلمين ٠٠ فأرسل محمد على الذى بدأ يتعلم القراءة والكتابة وهو فى الخامسة والأربعين (٧) بعثات كثيرة الى أوروبا لدراسة العلوم الحربية والهندسية والطب واللغات والحقوق •

ولكن هذه الدراسات جميعا كانت تدور حول محور رئيسى هو الجيش والاهتمام به ٠٠٠ ومثال ذلك ان رفاعة رافع الطهطاوى بدأ حياته واعظا واماما فى إحدى فرق الجيش المصرى عام ١٨٢٤ ثم أرسل فى بعثة الى باريس عاد منها عام ١٨٣١ ليعمل فى المدرسة التجهيزية للطب ثم مدرسة المدفعية فمدرسة الألسن •

لم يكن هناك حد فاصل بين المدارس المدنية ومدارس الجيش ٠٠ بل ان الشينخ رفاعة رافع الطهطاوى كان حاصلا على رتبة عسكرية منذ عمل

(٧) مقال، رفاعة رافع الطهطاوى فى ذكره المئوية - محمود يوسف - الهلال - يوليو

اماما في الجيش ٠٠٠ كان يوزباشى في باريس ثم ترقى حتى وصل في آخر حياته الى رتبة الاميرالاي (٨) •

هذا يوضح انه كما كان العمال يجندون للعمل في المصانع كان بعض المثقفين يحصلون على الرتب العسكرية •

وقد زاد عدد الجيش المصرى حتى بلغ ١٨٠ ألف جندى نظامى ، ٤٠ ألف جندى غير نظامى عام ١٨٣٣ ووصل عند البحارة المصريين الى ١٥ ألف بحار • وهذا يعنى أن ربع مليون مصرى من ثلاثة ملايين كانوا مجندين في الجيش •

ومع ذلك ظلت ترقية الجندى المصرى حتى آخر عهد محمد على لا تتجاوز رتب صفار الضباط ، بينما كان هناك عدد كبير من الضباط الأجانب في رتب كبيرة ، وفي نفس العام (١٨٣٣) كان هناك أكثر من ٧٠ ضابطا ايطاليا و ٧٠ ضابطا فرنسيا ممن خدموا مع نابليون ولم يجدوا عملا يناسب مهنتهم بعد هزيمة الامبراطور ، و ١٢ ضابطا اسبانيا ، وعدد من الضباط البريطانيين ، وكان هؤلاء بمثابة الخبراء المكلفين بنقل مدنية أوروبا ونهضتها العسكرية الحديثة الى مصر •

وكان هؤلاء الضباط الأجانب يمثلون جانبا محدودا من ضباط الجيش المصرى ٠٠٠ الأغلبية كانوا من الأتراك ثم المماليك الذين دربوا على يد محمد على بعد أن فقد الآخرون شوكتهم بعد مذبحه المماليك •

وأغرى محمد على الضباط الأتراك والأجانب على الخدمة في الجيش المصرى برفع مرتباتهم عن نظيرها في الجيش التركى نفسه ٠٠٠ هذا بينما كان الجنود وصف الضباط المصريين يتناولون مرتبات أقل كثيرا من مرتبات جنود السلطان التركى كما يتضح فى الجدول الآتى :

رتبة	الجيش المصرى	جيش السلطان	النسبة
عسكرى	١٥ قرشا	٢٠ قرشا	٧٥ ر الى ١
باشجاويش	٤٠	١٢٠	٣٣ ر الى ١
ملازم ثان	٢٥٠	١٢٠	٢١٠ ر الى ١
يوزباشى	٥٠٠	١٨٠	٢٨٠ ر الى ١
بكباشى	٢٥٠٠	٤٠٠	٦٢٥ ر الى ١
أميرالاي	٨٠٠٠	١٢٠٠	٧٧٦ ر الى ١

(٨) المصدر السابق •

يتضح من هذا الجدول أن الأميرالاي في الجيش التركي كان يحصل على مرتب يعادل مرتب الجندي ٦٠ مرة بينما كان يحصل في الجيش المصري على مرتب يعادل مرتب الجندي ٥٢٣ مرة ، وذلك حرصا من محمد على على الارتفاع بمستوى الجيش .

ولم تقتصر مكافأة الضباط في مصر على هذه المرتبات المرتفعة وانما كانوا يمنحون أيضا وجبات طعام ودخانا ، والضباط العظام كانوا يمنحون قطعا من الأرض ٠٠ أما الخبراء الفرنسيون فقد أجزل محمد على لهم العطاء وخصص لكبار الضباط منهم راتبا لا يقل عن ٣٦٠٠٠ فرنك في السنة عدا الهدايا والهبات في وقت لم يتجاوز فيه راتب المدرب الأوروبي ١٨٠٠ فرنك في السنة .

وكان محمد على قد عاد بعد تحويل الأرض الملكية الدولة الى توزيع بعض منها لتصبح أرضا خاصة اعتبارا من أول ديسمبر ١٨٢٩ وهو التاريخ الذي بدأ يهب الأرض فيه الى أقاربه وحاشيته وبعض كبار الضباط .

نشأت من ذلك في صفوف الجيش فروق طبقية حادة بين الضباط والجنود ٠٠٠ أو بين الأجانب والمصريين ٠٠٠ وأصبح هناك نوع من الاقطاعية العسكرية التي لا تتناسب مع اتجاهات محمد على التقدمية .

أدى ذلك الى بقاء الفلاح المصري أو الجندي المصري في موقعه عاجزا عن التعبير عن ارادة الجماهير التي نبت بينها ، خاضعا لتعليمات قادته وضباطه الذين لا تربطهم بمصر أكثر من رابطة المصلحة المادية .

ورغم ذلك اشترك المصريون في كل حملات محمد على العسكرية وخاصة تحت قيادة ابراهيم باشا الذي كانت له قدرة خارقة على استثارة حماسة الجنود ، وكان لا يرضى أن تعمل أصغر رتبة في جيشه ما لا يطبق هو نفسه عمله ٠٠٠ وكان اسمه الشائع هو (أبو خليل) الذي كان يحمي الفلاحين من الجنود من التصرفات المهينة لبعض الضباط الأتراك أو المماليك .

ولابد لنا من جولة قد تطول قليلا في تاريخ حملات محمد على العسكرية ، ولكنها ضرورية لانها تظهر الدور الذي لعبه الفلاح المصري في ملابس الجندي ، والمؤهلات التي توافرت لنضاله وتضحياته .

محمد على وثورة اليونانيين التحررية :

أسهم العسكريون المصريون أبناء الفلاحين في حملات عديدة ، بدأت بحملة لاحتلال شرق السودان مستهدفة ضرب قلوب المماليك الذين تجمعوا

في دنقلة ، وقد بدأ زحف الجيش المصرى البالغ تعداده ٥ آلاف محارب
تحت قيادة اسماعيل باشا أحد أبناء محمد على في أكتوبر ١٨٢٠ .

ولم يقابل الجيش المصرى مقاومة شديدة كما حدث في الجزيرة
العربية ، اذ لم يكن لدى السودانيين أسلحة نارية . . . حاربوا بالرمح
والحراب والتروس ، بينما كان الجيش المصرى مسلحا بالمدفعية .

وانتهت الحملة بالاستيلاء على شرق السودان . . . وأصبحت الخرطوم
مركز الممتلكات المصرية ، وتحولت بسرعة الى مدينة تجارية كبيرة .

وقد زار محمد على السودان عام ١٨٣٨ حيث جهز بعثات للبحث عن
الذهب في النيل الأبيض والأزرق ، وقسم السودان الى سبعة أقاليم عين
محمد على عليها باشوات من حاشيته الأتراك .

كان المصريون قد دخلوا صفوف الجيش . . . ولكنهم لم يكونوا قد
فرضوا أنفسهم بما يسمح بتعيينهم حكومات أو حكاما للأقاليم المفتوحة .
كان محمد على قد سيطر بحملته على السودان على مجرى النيل كله
تقريبا واستقر سلطانه في مصر .

ولكن هذا لم يضع حدا لطموحه . . . فإن قدرات مصر فجرت في نفسه
كثيرا من الأهداف .

كان يأمل في تكوين دولة عربية مستقلة . . .

أخذ محمد على يجاهر بأن الشعوب العربية التي تكون مصدر قوة
السلطان بالمال والرجال تعيش في الامبراطورية العثمانية حياة التابع
البائس المستضعف ، وأقام ينادى بأسناد المناصب في الادارة والجيش الى
العرب ليمارسوا حق السلطة كما يتحملون تكاليفها .

كانت مصر قد أصبحت أضيق من أن تتسع لأحلامه .

يؤكد الذين رافقوا ابراهيم باشا في حملته على سوريا فيما بعد بأنه
سئل أثناء حصار عكا الى أى مدى ستصل فتوحاته فأجاب : .

(الى حدود البلاد التي لا يتكلم فيها الناس ويتفاهمون باللسان

العربي) (٩) .

وكان محمد على مصمما في قرارة نفسه في حال نجاح سياسته أن
يدفع هذه الشعوب لمبايعته بالخلافة فيعزل الأتراك نهائيا عن العالم
الاسلامي (١٠) .

٩) السياسة الدولية في الشرق العربي ، الجزء الثاني : اميل خوري ونجاد اسماعيل .

١٠) السياسة الدولية في الشرق العربي ، الجزء الثاني : اميل خوري ونجاد اسماعيل .

ولكن الظروف التي تعرضت لها الامبراطورية العثمانية غيرت قليلا من مسار خطة محمد علي ٠٠٠ فقد كان القرن التاسع عشر عصر القوميات في البلاد الأوروبية ، وقامت في أنحاء الامبراطورية عدة ثورات تحريرية وانتفاضات شعبية ٠٠٠ ثورة الصرب ١٨١٥ والحركة الوهابية ١٨١٨ واطلاق العصيان في حلب ١٨١٩ ٠٠ وأخيرا ثورة اليونان ١٨٢١ ٠

وإذا كان محمد علي قد استجاب لاقتراح السلطان بالقضاء على الوهابيين مرحبا بخروج جنوده من مصر ، فإنه تعرض مرة أخرى لموقف جديد في مواجهة ثورة اليونانيين التحررية التي كانت تعطف عليها كافة الشعوب الأوروبية ٠

كان السلطان محمود الثاني قد تورط في مقاومة الثورة اليونانية التي استطاعت البرجوازية اليونانية - النامية بسرعة شديدة من التجارة البحرية - أن تجذب اليها الفلاحين الذين قاسوا من اضطهاد الاقطاعيين الأتراك ، واركتب جنوده فظائع وحشية شديدة توترت لها أعصاب الجماهير الأوروبية ، وتطوع في جيش الثوار عدد من القادة العسكريين ورجال الفكر في أوروبا كالوزير سانتاروز الايطالي ، والساعر لورد بيرون ، ولورد ستانهوب والسير ادوارد تشرش البريطاني ، والجنرال روش ، والكولونيل فافيه ، والكولونيل فيليب جوردان الفرنسيين (١١) ٠

ولم يجد السلطان محمود الثاني بدا من الاستعانة مرة أخرى بمحمد علي بناء على نصيحة مترنيخ الألماني ، وكان يستهدف بذلك أمرين كلاهما له فيه مصلحة ، الأول القضاء على الثورة اليونانية بسلاح محمد علي وما يؤديه ذلك الى خلاف بينه وبين الدول الغربية ٠٠ والثاني اضعاف محمد علي بسلاح اليونانيين ومن ورائهم الشعوب الغربية ٠

ودعا السلطان محمود محمد علي الى تركيا وأحاطه بكل مظاهر العطف والتكريم وأقطعته جزيرة كريت ثمنا لتدخله ، وفي ١٦ ديسمبر ١٨٢٤ صدر فرمان شاهاني بتعيينه قائدا عاما للقوات العثمانية في المورة ، فندب لذلك ابنه ابراهيم مع ٣٠ ألف جندي وأسطول مؤلف من ٥٦ سفينة حربية كبيرة ، و ٢٥٠ سفينة نقل ٠

ولكن لم يكن محمد علي جاهلا بنية السلطان ، ولكنه وجد فرصة لتحقيق أهدافه ٠٠٠ فان ضعف الباب العالي واشتعال ثورات التحرر في أرجاء الامبراطورية العثمانية يعطى محمد علي خير فرصة لتحقيق استقلال مصر ٠

(١١) (نلس المصدر) ٠

ولعل أصدق توضيح لخلفية فكر محمد علي ما ورد في خطاب صديقه
الجنرال بوايه كبير المدربين العسكريين الفرنسيين بتاريخ ١٨ يوليو ١٨٢٥
مرسلا الى وزير حربية فرنسا :

(من واجبي أن أطلعك على حديث سرى جرى لي مع الباشا أطلعني
فيه على حقائق أفكاره ومراميه وما هياه من مشاريع . ان محمد علي يشق
ثقة كاملة بعسكرية ابنه وصلابة عود جيشه ، ولا يشك مطلقا بأن حملته على
المورة ستكفل بفوز تام . وقد قال لي « ان الانتصارات التي سآحرزها في
هذا الجزء من الامبراطورية ستوسع مدى صيتي وتزيدني نفوذا .
والسلطان لم يبق له من وسائل القوة والبأس ما يمكنه من أن يحول دون
تنفيذ مشاريعي . ولقد أصبح النصر حليفى وبات اسمى ومجدى على كل
شفة ولسان في الامبراطورية . أنا من الترك ولهم . ولكنى أيضا للتاريخ .
لقد أقلت الدولة من عثراتها ونهضت بها مما كانت فيه من خراب وذلك على
كره من الديوان الذى يأبى على غيره أن يكون عظيما ويريد أن تكون العظمة
وقفا عليه . وأنا مدرك أن الامبراطورية ماضية قدما الى هلاكها وأن يوما
سيأتى يستعصى على فيه أمر انقاذها ، فلا مغنم لي ولا فائدة في أن أغامر
بإمكاناتى ووسائلى فى سبيل أمر مستحيل ، ولكنى سأقيم على أنقاضها
مملكة واسعة . وأنا أملك كل ما يلزم لتحقيق هذه الغاية . ولى من جيوشى
وعملائى المنتشرين فى كل جانب ما يجعل كلمة واحدة منى كافية لفتح
حصون عكا وأبواب دمشق وبغداد . وشعب جبل لبنان سيحمل سلاحه
عند أول اشارة منى للاسهام فى تحقيق أهدافى وتنفيذ ارادتى . ولا أطلب
من الزمن الا أن يكون حليفى لثلاث سنوات وهى مدة تكفيكم لتجهزوا
وتنظموا لى جيشا اضافيا من خمسين ألف مقاتل ومائة وخمسين مدفعا .
وعندئذ أصبح مستكملا أسباب العمل . وسأفيد من السنوات الثلاث
لنعزى جيوشى فى سنار وبلاد الحبشة والحجاز . وسأجد فيما تحت
حكمى من البلاد الآسيوية وشعوبها الكثيفة عددا لا يستهان به من العساكر .
وفى هذا الوقت يتم احتلال المورة وتنظيمها سلميا . وعندئذ أصبح بفضل
قوتى متحررا من كل هم خارجى فينطلق ابنى الظافر لتقرير المصير على
ضفاف دجلة والفرات اللذين أريدهما حدودا حصينة للأراضى التى أنوى
اقطاعها اياها والتي له من البأس والشجاعة وقوة العزيمة ما يضمن انتزاعها
وبسط سلطانى عليها) .

يظهر هذا الخطاب ان محمد علي لم يأخذ موقفا مبدئيا فى مساندة
حركات التحرر القومى ، رغم أن محاولته الاستقلال بمصر كانت واحدة من

أهم هذه الحركات التي تفجرت في الامبراطورية العثمانية مع مطلع القرن التاسع عشر .

ولكن ظروفه الخاصة في مصر وظروف العصر الذي كانت تتناطح فيه الدول الاستعمارية الأوروبية دفعته الى الاقدام على مشاركة السلطان في محاربة الثورة اليونانية مما بذر تناقضا محدودا بينه وبين فرنسا التي ساندت الحركة التحررية في اليونان ، وفي ذلك يقول محمد علي للجنرال بوايه :

« انتم في أوروبا لكم من تربيتمكم ودينكم وتقاليديكم ما يجعلكم تستفظعون ما هو واقع في بلاد اليونان فأكتب الى أصدقائك أني في الساعة التي يلقي فيها هذا الشعب المتمرد سلاحه ويعلن خضوعه سأجمع في كل البلاد التي أحكمها ، الأرقاء الذين أسرههم جنودي وأعيد عليهم ، ذكورا وإناثا ، حريتهم وأرجعهم الى بلادهم . فأنا أريد أن أكون ملكا على شعوب حرة لا على عبيد . ومتى تقدمت في تنفيذ مشاريعي فاني سأطبق قوانينكم في تنظيم الادارة واقتفى خطى الشعوب المتحضرة في قارتكم السعيدة ، فكل ما يعمل عندهم ليس اعتباطيا بل مدروسا . وكل أنظمتكم موجودة لدى بنصها وترجمتها ولن يمضي وقت طويل قبل أن أجعلها مطبقة ونافذة في بلادى » .

« وأنا لا أشعر بخوف الا من بريطانيا لان باستطاعة أساطيلها أن تشل ارادتي وفعالياتي وتخرب مالياتي بحصار تضربه على سواحي ، ولكن لي سياسة ، وسأسهر على ألا يكون فيها ما يفضب هذه الدولة . فاذا ساعدتني الحظوظ ومكنتني من كسب الوقت الكافي فاني سأخرج من هذه الظروف الصعبة وأنا على أطيب حال » (١٢) .

وكان وصول القوات المصرية بقيادة ابراهيم باشا انعطافا حادا في طبيعة الحرب اذ توالى انتصارات الجيش المصرى ، فتم تدمير حصن ميسولوجى مركز مقاومة اليونانيين الرئيسى فى ٢٢ ابريل ١٨٢٦ .

وشاءت مصادفات القدر أيضا أن يستسلم الاكروبول وتحتل قوات ابراهيم أثينا يوم ٥ يونيو ١٨٢٧ وهو نفس التاريخ الذى هزمت فيه القوات المصرية أمام اسرائيل بعد ١٤٠ عاما .

أظهر الجندى المصرى قدرته على التحمل والتضحية بأسرع مما توقعه اكبر القادة العسكريين تفاؤلا .

(١٢) السياسة الدولية فى الشرق العربى ، الجزء الثانى - اميل خورى وعادل اسماعيل .

وقد جذبت انتصارات محمد على أنظار الدول الغربية اليه باعتبارها خطرا يهدد أوروبا . . . ونصحها القائد الفرنسي بليار خلال مستشاره بوايه بقوله « غريب أن يستمر الباشا في عمله ويواصل ارسال عساكره وأمواله الى بلاد لا حظ له ببقائها تحت حكمه والتي أرادوا أن تكون مقبرة لقواه ومجده » . . . « ان سر عظمة محمد على الحقيقية هي في أن يكون قويا جدا ومنيعا في داره أى في حدود ملكه ، وأمامه مجالات واسعة لامتداد سلطته . . أمامه سوريا وإفريقيا وآسيا ، ففي هذه البلاد ميادين تليق بمجده » . . ونصحها أيضا بأن يسارع لعقد معاهدة تعاون وصداقة مع اليونانيين اذا لقي من يحدثه في ذلك (١٣) .

ولكن محمد على بقي مترددا في الانسحاب من المورة وترك جيوش السلطان تحت رحمة اليونانيين وعبر عن حقيقة تفكيره بما قاله لجنرال بوايه .

ولما تخرج الموقف بعد سقوط أثينا عقدت إنجلترا وفرنسا وروسيا معاهدة في لندن بعد شهر واحد من سقط الاكروبول - يوم ٦ يوليو ١٨٢٧ - وقررت فيها حل المسألة اليونانية بأن تصبح اليونان دولة مستقلة تحت اشراف السلطان ، أى فصلها مدنيا عن تركيا ، وتضمنت بنودا سرية في حالة رفض السلطان للمعاهدة تقضى باتخاذ اجراءات عملية لانهاء الحرب والاعتراف بالدولة اليونانية .

رفض السلطان المعاهدة ، وطلب من محمد على تحريك أسطوله في اليونان فتحرك فعلا في شهر أغسطس ١٨٢٧ ، وفي نفاين يوم ٢٠ أكتوبر حدث تصادم بين بحارة سفينة عثمانية وملاحى احدى السفن البريطانية انتهى الى معركة طاحنة انتهت بتدمير الأسطولين العثماني والمصرى تدميرا تاما . . ولم يكن ابراهيم وقتها في مكان المعركة ، بل كان في المورة .

وكانت معركة نفاين بداية حرب روسية تركية رفض محمد على الاشتراك فيها وأظهر من الحكمة والتعقل ما جعله يقبل طلب الدول الكبرى الجلاء عن اليونان بعد أن تكبد خسائر فادحة بلغت ٣٠ ألف مقاتل وأسطولا كاملا .

وغادر ابراهيم باشا المورة والتعاسة تثقل قلبه ، وأثناء تسليمه للقائد الفرنسي جنرال ميزون قال الأخير أن الغاية من قدومه ليست الا تكريس استقلال اليونان ، ورد عليه ابراهيم باشا ساخرا « اذا كان الأمر هكذا واذا صح ان فرنسا حريصة على استقلال الشعوب فلماذا تستبعد

(١٣) السياسة الدولية في الشرق العربى ، الجزء الثانى - اميل خورى وعادل اسماعيل .

(١٤) السياسة الدولية في الشرق العربى ، الجزء الثانى - اميل خورى وعادل اسماعيل .

الاسبان وترسل اليهم الجيوش للقضاء على حركتهم التحررية .. ا يكون
الاسبان أقل حقا من اليونانيين بأن يكونوا أحرارا ؟ (١٤) .

وفي ٩ سبتمبر غادر ابراهيم باشا المورة مع فلول قواته بعد أن انتهى
التعاون العثماني المصري ، وانفرط أيضا عقد التحالف الثلاثي بين روسيا
وانجلترا وفرنسا ، خشية تسرب النفوذ الروسى ، ووعدت فرنسا محمد
على بمساعدته فى بناء أسطول جديد .

من أجل دولة عربية مستقلة :

ولم تصب هزيمة نفارين محمد على باليأس . وإنما بعثت فيه نشاطا
جديدا فى صراعه من أجل سوريا وفلسطين وتكوين الدولة العربية الكبيرة
التي كان شديد الطموح لتكوينها .

وفى ذلك كتب كارل ماركس (لقد فقد الباب العالى هيئته فى عيون
رعيته نتيجة لحرب ١٨٢٨ - ١٩٢٩ الفاشلة ، وعندما تضعف السلطة العليا
- كما هو مألوف عادة فى الامبراطوريات الشرقية - تستمر انتفاضات
الباشوات ومنذ أكتوبر ١٨٣١ نشب خلاف بين محمد على باشا مصر الذى
كان قد آزر الباب العالى أثناء الانتفاضة اليونانية (١٥) .

كانت العلاقة بين السلطان ومحمد على تزداد توترا يوما بعد يوم ..
رفض محمد على الاسهام مع تركيا فى حربها مع روسيا ، ورفض المساهمة
فى دفع التعويضات مع السلطان .

وكان مفروضا أن تؤول ثورة محمد على التحررية الى حرب فعلية
ضد السلطان عقب انتهاء حرب المورة ولكنها تأجلت مدة عامين بسبب الخطط
المصرية الفرنسية الرامية الى فتح شمال افريقيا والتي انتهت الى رفض
محمد على للمشاركة فى هذا الفتح لان الاتفاق كان على حد قوله للمفاوضين
الفرنسيين « يعتبر تأمرا على الباب العالى مع دولة أجنبية » ، ويلقى
محمد على مزيدا من الضوء على أسباب رفضه فيقول أيضا « ليست مستعدا
للمجازفة بمرکزى وشعبيتى ، واذا قبلت الاتفاق ، فانى أخسر كل
ما أكتسبته اياه أعمالى وجهودى ، وأخسر معه شرفى فيحتقرني أبناء أمتى
وينصرف الناس غنى ، وثقوا أن قرارى وما أقوله لكم الآن لا ينبع من
عاطفة دنيئة فأنتم تعرفوننى وتعلمون اننى متحرر من هذه الاعتبارات التي
بتقيد بها قومي وأن تفكيرى يسمو فوقها ، ولكنى أفعل وأقول هذا لاني
لست كبيرا الا بفضل عطف أمتى على وثقتها بى . قلنا نقولون ان مواطنى

(١٥) تاريخ الاقطار العربية الحديث (لوتسكى) .

حمير وثيران • هذا حقيقة أعلمها • ولكن هؤلاء الثيران والحمير هم قوتي •
ان الاتفاق الذي تفرضونه على اذا قبلته كان قبولي حكما مني على نفسي
بالحلاك ولا أقول لكم هذا اعتباطا ولكن عن علم صحيح وبعد تفكير طويل •
والبدوى فى الصحراء أصدق علما بمرض بعيره من أكبر طبيب فى أوروبا •
وأنا لا أجزع من القيام بالحملة ، ولكنى لن أقوم بها الا منفردا وعلى أساس
الاتفاق الأول » •

رفض محمد على أن يسهم فى حملة ضد السلطان مشتركا مع دولة
غربية ، وأصر على أن تكون حركته منفردة حتى لا توصم بغير حقيقتها
القومية والتحررية •• كما زاد ارتباطا وثقة بالشعب والجيش المصرى •

وعندما وصلت محاولة الاتفاق لغزو شمال افريقيا مع فرنسا الى
نهايتها ، بدأت فورا حركة محمد على للاستيلاء على فلسطين وسوريا من
أجل تكوين دولة عربية واحدة مستقلة مستندا الى أن جزيرة كريت ليست
كافية وحدها لتعويض النفقات والمصاريف التى تكلفها فى حملة المورة •

واستخدم محمد على نزاعا نشب بينه وبين عبد الله باشا والى عكا
الذى رفض إعادة ٦٠٠٠ جندي هارب الى صفوف الجيش المصرى ٠٠٠ وكان
عدد من الجنود المصريين يعمد الى الهرب من العسكرية للمتاعب الشديدة
التي يتعرضون لها فى الحملات الخارجية ، ولشعورهم بأنهم يحاربون فى
معارك (لا ناقة لهم فيها ولا جمل) كما ان محمد على كان قد ضاعف عدد
المجندين لسد الثغرات التى فتحتها فى صفوف جيشه حروب الحبشة
وآسيا والمورة - على حد تعبيره ، وتجنيد عشرين ألفا من البحارة لتعزيز
أسطوله الجديد الذى أنشأ بالتعاون مع فرنسا بعد هزيمة نفارين وضم
ثلاث سفن ضخمة ذات ثلاثة طوابق ، وعشر بواخر ، وخمسة عشر طرادا ،
كما ان محمد على كان يتخذ أسلوبا عنيفا فى معاملة الهاربين من الجندية
اذا ظلوا فى مصر وهو فى ذلك يقول « ولا يخفى على أن عددا غير قليل من
عساكرى البريين والبحريين يفرون من الخدمة العسكرية ولذلك أمرت
بشنق كل رجل يأوى الى بيته جندي فار سواء كان هذا الرجل شيخ
القرية أو القاقم أو حاكم الاقليم » (١٦) •

ولذا استخدم محمد على رفض والى عكا إعادة الستة آلاف من الجنود
الهاربين ذريعة للهجوم على سوريا وفلسطين فى وقت كان الشعور فيه
معاديا للسلطان نتيجة لضيق الجماهير الشعبية من الضرائب التى أجبر
السلطان على فرضها للنفقات والغرامات الحربية •

(١٦) السياسة الدولية فى الشرق العربى ، الجزء الثانى - اميل خورى وعادل اسماعيل •

واستقبل المصريون كمنقذين ومحررين من نير السلطان ، لا من قبل سكان المناطق العربية فحسب ، بل من قبل سكان المناطق التركية الصرفة التابعة للإمبراطورية (١٧) .

كانت حركة الجيش المصرى فى سوريا وفلسطين مختلفة تماما عن حركته فى بلاد اليونان ٠٠٠ انه يناصر الشعوب العربية ضد الظلم الواقع عليها من السلطان التركى بينما كان فى السابق يعادى حركة الشعب اليونانى التحررية .

بدأت الحملة تحت قيادة ابراهيم باشا فى ٤ نوفمبر ١٨٣١ وتساقطت المدن واحدة بعد الأخرى : غزة ويافا وحيفا ثم عكا بعد حصار طويل ، وأخيرا دمشق وحمص وحماة وحلب ٠٠٠ وأثناء ذلك وجد الجيش المصرى قوات الأتراك التى تمركزت قرب حمص ، وكبدها خسائر بلغت ٤٠٠٠ قتيل وجريح ٠٠٠ ودخل بلاد الأناضول حيث هزم الجيش التركى للمرة الثانية فى بيلان فى ٢٩ يوليو ١٨٣٢ وهرب قائده مع فلول قواته الى أطنه ٠٠٠ وواصل الجيش المصرى زحفه حتى التقى بحشد من القوات التركية بلغ ٦٠.٠٠٠ يواجهون ٣٠.٠٠٠ جندى مصرى فى مدينة قونية ، وكانت النتيجة انتصارا باهرا للجيش المصرى الذى أسر القائد محمد رشيد باشا الصدر الأعظم ، وفتح الطريق بعد ذلك الى الأستانة ووصل الى كوهيه .

وكتب ابراهيم باشا الى والده بعد المعركة بتاريخ ٢٨ ديسمبر ١٨٣٢ يقول :

« انى أعتقد ان مشكلاتنا يجب أن تسوى فى الأستانة لا فى غيرها من الأماكن . ففى الأستانة اذن يجب أن ندق أوتادنا لنملى ارادتنا ونحقق أهدافنا ٠٠ ويجب ألا ننسى أن الأتراك لم يعقدوا الصلح مع روسيا الا بعد أن وصلت جيوش القيصر الى أبواب الأستانة . لذلك يجب علينا أن نسرع بالتقدم الى بروسه على الأقل ونحتل البلاد الواقعة على ساحل بحر مرمره وننخذها قواعد بحرية لتموين جيشنا . ومتى دخلناها يصبح سهلا علينا نشر الاشاعات التى تؤدى الى اسقاط السلطان . واذا عجزنا عن خلعها فأننا لن نعجز عن املاء شروط الصلح التى نريدها » (١٩) .

(١٧) نفس المصدر .

(١٨) تاريخ الاقطار العربية الحديثة ٠٠ (لوتسكى) .

(١٩) السياسة الدولية فى الشرق العربى .

ولكن محمد علي كان له رأى آخر صرح به لفنصل روسيا فى الاسكندرية بعد رؤيته لفزع الدول الكبرى من انتصاراته الخاطفة اذ قال له :

« اننى لا أسعى للجلوس على عرش السلطان رغم علمى بما يدور فى الآستانة واطلاعى على امكانات الباب العالى الحقيقية • ان باستطاعتى أن أنزل السلطان عن عرشه بهجمة موفقة يقوم بها أسطولى ولكنى لا أحب الاعتداء على حقوق أبنائه لانهم خلفاء النبى • وليس معنى هذا اننى أُرهب جيوش السلطان •• ان السلطان يتهمنى بالعصيان وينسب اننى استوليت على مصر بسيفى وان أحدا لا يستطيع أن يخرجنى منها الا بحد السيف • أنا تابع للسلطان ولكنى فى مصر بحق الفتح • واذا كتب لى البقاء فى الشام فسأظل تابعا له ودعامة لعرشه » •

وكان محمد علي أبعد نظرا اذ سرعان ما طلب السلطان محمود الثانى المعونة من روسيا فى ٣ فبراير ١٨٣٣ فدخل أسطولها مياه البوسفور فى ٢٠ فبراير وأنزل فيلقا عسكريا من ٢٠ ألف محارب ، وأسرت بريطانيا وفرنسا خوفا من تغلغل النفوذ الروسى الى مصالحة محمد على مع السلطان الأمر الذى تحقق فى كوتاهيه بتاريخ ٤ مايو ١٨٣٣ عندما أصدر السلطان فرمانا يثبت فيه حقوق محمد على فى مصر والجزيرة العربية والسودان وكريت وتعيينه حاكما عاما على فلسطين وسوريا ، بعد ان كان قد أصدر فى ٤ مايو ١٨٣٣ نطقا يعلن فيه خروج محمد على عن الطاعة هو وابنه ابراهيم وعزله عن ولاية مصر •••

ظل صلح كوتاهيه شفها ورفض السلطان أن يسجل أحكامه فى معاهدة خطية مما جعله بمثابة تجميد للمشكلة وليس حلا لها ••• هدنة وليست صلحا •

كان السلطان يريد الانتقام من محمد علي ، ولكنه كان عاجزا وحده عن أن يفعل شيئا ، فأتجه الى روسيا التى ساعدته على الاحتفاظ بعرشه ، وعقد معها معاهدة (هفكار اسكسى) فى ٨ يوليو ١٨٣٣ فور جلاء القوات الروسية عن الأرض التركية •

وأثارت هذه المعاهدة التى عقدت لمدة ثمانى سنوات ونصف وكانت احدى موادها السرية تشير الى تعهد الباب العالى باقفال الدردنيل بوجه كل أسطول أجنبى يرى الروس فيه ما يهدد سلامة ممتلكاتهم الواقعة على البحر الأسود مع فتح المضائق امام الأساطيل الروسية فى سيرها الى البحر الأبيض المتوسط فى حال وقوع حرب بين روسيا واحدى الدول الأخرى •

أثارت هذه المعاهدة عاصفة في السياسة الدولية لأنها تمت تحت ضغط حقد السلطان على محمد علي وفي ذلك قال المندوبى انجلترا وفرنسا بأن « الدولة العثمانية وعاصمتها لا قيمة لهما في نظره وانه مستعد للنزول عن عاصمته لمن يجيئه برأس محمد علي » (٢١) .

ماذا فعل محمد علي في الأرض التي احتلها الجيش المصرى ؟

كتب بالمرستون عن محمد علي في عام ١٨٣٣ قائلا « ان هدفه الحقيقي هو تكوين مملكة عربية تضم كل الاقطار التي تتكلم بلغة الضاد » . . . وأبلغ البارون بوالكمث الممثل الفرنسى لدى ابراهيم بأنه يرمى « الى بعث الوعي القومى العربى واحياء الأمة العربية وغرس شعور وطنى أصيل عند العرب » (٢٢) . وسبق أن ذكرنا تصريحاً لابراهيم قال فيه ان فتوحاته ستصل « الى حدود البلاد التي لا يتكلم فيها الناس ويتفاهمون باللسان العربى » .

وهكذا كانت القومية العربية تلهب خيال محمد علي وتدفعه الى تجريد الامبراطورية العثمانية من سكانها العرب .

وبذل ابراهيم في سبيل ذلك الى جانب خطواته الحربية خطوات أخرى اجتماعية . . فقام بعدد من الاصلاحات مثل التي قام بها والده في مصر لتصفية العسف الاقطاعى وتغيير أسسه ، فحرم الابتزاز وأعفى الأرض البكر من الضرائب وسكن البدو في الأرض المناسبة .

زادت مساحة الأرض المنزرعة في سوريا خلال العامين الأولين من ٢٠٠٠ الى ٧٠٠٠ فدان في حوران واستطاع الفلاحون أن يتاجروا بمحاصيلهم بدلا من تخزينها خوفا من الباشوات الأتراك وكبار الاقطاعيين الذين أجبرهم ابراهيم على الخضوع للسلطة المركزية .

وأعاد ابراهيم تنظيم البلاد على أساس ست مديريات بنظام عصرى مركزى ، كما أصلح نظم التعليم وأنشأ المدارس الابتدائية في كافة أنحاء سوريا ، والمدارس الثانوية في المدن الكبيرة ، وجعل كلوت باشا مشرفا عليها طالبا منه غرس الوعي القومى العربى في نفوس الطلاب . . . وأنشأ ابراهيم أيضا أول دار للطباعة في لبنان (٢٣) .

وكان ابراهيم مثل والده محمد علي بعيدا عن التعصب الدينى فحرر المسيحيين من القيود التي فرضها عليهم الباشوات والأتراك .

(٢١) السياسة الدولية في الشرق العربى .

(٢٢) تاريخ الاقطار العربية الحديث - لوتسكى .

(٢٣) السياسة الدولية .

ولكنه رغم كل ما قام به محمد علي وإبراهيم من اصلاحات في سوريا وفلسطين الا أن تجمعا معارضا بدأ يتحد ضده من الاقطاعيين الذين قهر نفوذهم ومن الفلاحين الذين بدأ يطبق عليهم قوانين التجنيد فقامت عدة انتفاضات من الفلاحين ضد التجنيد في فلسطين وفي مناطق الدروز ، وتعرضت القوات المصرية وإبراهيم نفسه لأخطار شديدة ، تغلب عليها بعد مقاومة عنيفة .

وانتهز السلطان هذه الفرصة متذعرا بالاضطرابات ليعاود موقفه العدائي من محمد علي مستهدفا إبعاده عن سوريا لانه على حد تعبيره « غير أهل للحكم وعاجز عن تأمين الأمن والراحة للاهلين » . ولكن الأمر كان يجاوز حدود قدراته لفقدان الباب العالي لبيته وعجزه عن ارغام محمد علي عسكريا على الانسحاب .

ولكن تطورات السياسة الدولية ساعدت السلطان على اتخاذ موقف صريح ضد محمد علي ، فان فرنسا فشلت في انجاح المفاوضات بين السلطان ومحمد علي ، وانجلترا برزت في الميدان تستهدف تحطيم نفوذ فرنسا ووقف نمو النفوذ الروسي وانتصار محمد علي في وقت واحد .

كان محمد علي يخشى انجلترا . . . ولم تكن الحكومة البريطانية من جهتها مرتاحة الى نجاح محمد علي والتقدم الزراعي والصناعي والعسكري الذي أحرزه في مصر وبسطه لسيطرته على الجزيرة العربية وسوريا مما يجعل طريق الهند تحت رحمة رجل قوى منظم يقود قوة عسكرية هائلة .

ولعب بالمرستون وزير خارجية بريطانيا دورا خبيثا في تحقيق هذه الأهداف معتمدا على ضعف السلطان . . . وقد وصف كارل ماركس هذا الرجل الداهية بقوله :

« أنه محافظ من رأسه الى أخمص قدميه ، ألبس السياسة البريطانية نسيجا من الكذب والنفاق فكان في هذا خير ممثل للمحافظين وأصبح ناطق باسمهم . وكان ماهرا في صب الآراء والأفكار الاقطاعية في قالب كلامي ديموقراطي ، وفي اخفاء ما في صدره من أطماع تجارية رأسمالية وراء ستار الحرص على السلام والاستمساك الشديد بالقيم الروحية » (٢٤) .

وكان محمد علي قد استدعى قنصلي بريطانيا وفرنسا وأبلغهما انه قرر إعلان استقلاله تمشيا مع سياسته الإصلاحية وتطور بلاده ، وان بقاء

(٢٤) السياسة الدولية .

مصر وسوريا في حظيرة السلطان يتنافى والواقع السياسى والاجتماعى فى الشرق . . . وكان قد سبق له حديث قاس مع القناصل سألهم فيه كيف تقبل دولهم استقلال الولايات المتحدة واليونان وبلجيكا وتابى على مصر أن تستقل قائلا لهم « خبرونى أيها القناصل عن التاريخ الذى قرأتم فيه أن رجلا كان له من القوة والشأن مثل ما لى فاستكفى بوضع التابع ولم يحطم الغير ليتحرر ويستقل » .

وكان بالمرستون يعتقد ان أى تصادم بين محمد على والسلطان سيكون فيه القضاء على الجيوش العثمانية قضاء تاما فيتدفق الروس الى الأستانة ودمشق ويصعب اخراجهم منها ، كما أن انتصار محمد على لايد أن يحل انتعاشا للنفوذ الفرنسى . . . ولذا عقد معاهدة تجارية مع تركيا عام ١٨٣٨ ، حولت بها الامبراطورية العثمانية الى مصدر تابع للدول الأجنبية يزودها بالمواد الأولية ، وألفت احتكار الخزينة الدولية لمختلف أنواع المواد الأولية .

ولكن السلطان محمود الثانى عندما شعر بمساندة الدول الأوروبية له (روسيا وانجلترا والنمسا وبروسيا) استعد للحرب بصورة مخمومة . وعبا جيشا من مائة ألف جندى .

الجملة السبورية الثانية .:

غمرت القوات التركية الفرات فى ٢١ ابريل ١٩٣٩ . وهاجمت قوات محمد على ولكنها منيت بهزيمة شديدة فى ٢٤ يونيو قرب نصيبين رغم أن القوات العثمانية كانت تحت ادارة القائد الألماني المشهور (فون مولتكه) الذى أصبح فيما بعد القائد الأعلى للجيش الروسى فى عهد بسمارك .

أصبح الطريق مفتوحا للمرة الثانية أمام ابراهيم باشا الى الأستانة وتوفى السلطان محمود بعد ستة أيام من هذه الهزيمة . واعتلى العرش ابنه عبد المجيد . . . وانضم الأسطول العثمانى كله بقيادة الأميرال أحمد فؤادى الى جانب محمد على .

ومع ذلك لم يتقدم ابراهيم باشا الى الأستانة . . . واستجاب لرأى والده الذى أراد تفادى القيام بأى عمل استفزازى ضد الروس .

تردد محمد على فى فرض ارادته كما فعل بعد انتصاره فى المورة . . . وكان عدد كبير من المفكرين الأوروبيين يرون أنه كان على محمد على أن يعلن استقلاله بالقوة أثناء حرب المورة فتضطر الدول الى معاملة مصر على قدم المساواة مع اليونان . وكان من أبرز هؤلاء المفكرين الأمير البروسى

بوكلر - موسكو وهو عالم ائري ، فكتب أن الدول الأوروبية ظنت وأعلنت أن واجب الشرف قضى عليها بخوض معركة نافارين دفاعا عن حرية اليونانيين واستقلالهم ، وواجب الشرف يقضى علينا نحن بأن نسالها لماذا لم تنظر الى استقلال بلاد الفراعنة بالعين التي نظرت بها الى الحرية اليونانية . ان علماء الآثار ورجال التاريخ والجغرافيا لا يفرقون بين حضارة البلدين وحق كل منهما في الاستقلال والحرية ، ولكن القوة العسكرية ليست بيدهم . ان واحة أوروبا وآسيا ومصلحة العلوم والفنون والحضارة أحق بالرعاية والاحترام من الغايات المادية . ولقد كان على محمد علي أن يمشى الى هدفه غير متأثر أو متعثر بالاعتبارات الخارجية . وأخشى أن ينطبق عليه قول حكيمنا شيللر « ان الفرصة التي اعطاها الدهر فرفضتها لن تعيدها لك الأبدية » .

وتحقق قول شيللر فعلا فضاعت الفرصة من محمد علي ووقعت الدول الأربع مذكرة الى تركيا تطالبها بعدم اتخاذ قرار نهائي وبدون مساعدتهم لها وان ترقب نتائج التعاون المشترك الذي اتخذ من قبلهم من أجل مصيرها (٢٥) .

وقامت في فرنسا معاوضة قوية ضد الرأي الذي بدأ يسود بتسوية الأوضاع في الشرق على أساس إعادة سوريا الى السلطان دون تعويض محمد علي . وشنت الصحافة الفرنسية حملة شديدة على السياسة البريطانية التي استشعرت خطرهما على مستقبل فرنسا في البحر المتوسط وهم يحتلون أهم المراكز الاستراتيجية في جبل طارق ومالطة وكورفو ويتحينون الفرصة للاستيلاء على الاسكندرية والسويس .

خطب الشاعر المعروف لامارتين في الجمعية الوطنية الفرنسية في أول يوليو خطابا كان له دوى عظيم في المحافل السياسية قال فيه :

« أجل ان الدولة التركية تميل الى الانهيار . وكبار الرجال والعناصر الفتية والقوية ينفخون روح الرجولة في الامبراطوريات الهرمة ويجلدون لها شبابها . انظروا الى باشا مصر يبعث البلاد العربية فهل هو ابن سلطان . ان هو الا عبد متمرّد . وهل في هذا ما يحط من شأنه أو من قيمته . هو الرجل الذي تتجسم فيه الشرعية الوحيدة في الشرق الناهض . وقد حقق المعجزات . هو رسول الحضارة الى الشرق وسيد مصر وبلاد العرب وسوريا . ولو انكم لم تحولوا دون زحفه بعد وصوله الى كوتاهيه لكان

الآن في الآستانة رأس الامبراطورية يبعثها جديدة قائمة على أنقاض دولة بنى عثمان ، (٢٦) .

ومضى ما يقرب من عام كامل والدول الكبرى تتفاوض حول مصير تركيا ومصر ٠٠٠ مؤتمر للسفرء ينقذ بصفة مستمرة في لندن ٠٠٠ وفرنسا تنجح في مايو ١٨٤٠ في عقد اتفاقية بين مصر وتركيا يمنح السلطان فيها محمد على حكما وراثيا في مصر وسوريا ، ولكن الدول الكبرى تعمل على احباط هذه الاتفاقية .

وتنشط بريطانيا في استفزاز قوة محمد على دون توريط قواتها التي كانت تعاني في الصين مما أجبرها على اجلاء الرعايا البريطانيين من الأماكن التي كانت تحتلها في ماكاو ، واضطرابات عدن وهجمات البدو على الحامية البريطانية فيها ، وتدهور الحالة الداخلية في الهند .

اطلق البريطانيون الجواسيس والعملاء يشجعون اللبنانيين على الثورة ضد ابراهيم باشا والأمير بشير لزيادة الضرائب التي بلغت ثمانية ملايين وسبعمائة وخمسين ألف قرش عام ١٨٤٠ بعد أن كانت لا تزيد عن المليونين ونصف المليون قبل مجيء الجيش المصري قبل ذلك بشماني سنوات ، وصندوق قانون الخدمة العسكرية الاجبارية على جميع اللبنانيين مسلمين ونصارى ، وكذلك استخدم الأمير بشير للسخرة .

وعندما فشلت ثورة لبنان التي كانت ضعيفة التنظيم حاول البريطانيون خلق المتاعب لمحمد على بتحريض بحارة الأسطول العثماني اللاجئ الى الاسكندرية على رفع راية العصيان والعودة الى الآستانة .

وسامت العلاقات بين محمد على والقنصل البريطاني هودجز الذي قال عند تقديم أوراق اعتماده بأن بريطانيا عازمة عزما أكيدا على مواصلة سياستها القائمة على سلامة الامبراطورية العثمانية ووحدةها مما يحمل شبهة اعلان الحرب على محمد على الذي انصرف الى تقوية دفاعه وتوسيع استعداداته العسكرية ، فبدأ بتشكيل فيالق جديدة ، وبناء تحصينات قوية على الشواطئ وفي داخل القطر ، وجمع الضرائب واستنفر الرجال . فأقلقت استعداداته قناصل الدول في مصر وسوريا فكتب هودجز الى بالمرستون في ٢٢ فبراير ١٨٤٠ ، ان الدول الأوروبية تخطيء خطأ فادحا اذ تعتقد أن محمد على زعيم عصابات من الأفاقة السود الذين لا معنى عندهم للقيادة ولا قيمة للنظام ، فهو في الحقيقة رئيس لدولة غنية بالرجال والأموال وقائد لجيش مدرب على أحدث الطرق الأوروبية . وهو ينظر بعين

ملؤها الحذر الى تنكر أوروبا لهضته وتجهها له ويستعد للقائها . وقد تلمست في نشاطه ، في كل نواحي هذا النشاط ، فكرة نقطة واردة منظمة كنت بعيدا كل البعد عن الاعتقاد بوجودها عنده . ولكن بالمرستون كان مصمما على القضاء عليه فكتب الى هودجز يقول له بكل صراحة أن الدول الأوروبية قد قررت استعمال القوة ضده اذا لم ينفذ قراراتها واقام على موقفه من السلطان .

كان تفكير محمد علي سليما في استعدادة لمواجهة بريطانيا بالقوة ، ولكن حيل بالمرستون لم تنضب فركز على النشاط الدبلوماسي ، ودفع عجلة المفاوضات بين السفراء في لندن حتى نجح في الحصول على توقيع النمسا وبروسيا وروسيا وتركيا على اتفاقية لندن في ١٥ يوليو ١٨٤٠ وهي الاتفاقية التي قررت مصير محمد علي .

اعتبرت اتفاقية لندن عام ١٨٤٠ نصرا كبيرا للدبلوماسية البريطانية، والتي وجهت الى محمد علي اذارا في ١٩ أغسطس بشروط الاتفاقية وهي :

- ١ - تسلم محمد علي بمقابل مصر كملك وراثي .
- ٢ - اناطة ادارة فلسطين (ولاية عكا) به كملك عليها مدى الحياة .
- ٣ - اعادة جميع الممتلكات الأخرى الى السلطان .
- ٤ - في حالة عيـس موافقة محمد علي على الشروط المقترحة خلال عشرة أيام يحتفظ بمصر وحدها .
- ٥ - ان لم يوافق خلال عشرين يوما على هذه الشروط يفضل على عزله عندئذ بجهود الجلاء المشتركة .

رفض محمد علي الاذار ، وأعلن أنه ينوي أن يبقى بالسيف ما ربحه بالثنييف ، وبدأت الحرب بتزول قوات بحرية بريطانية ونمساوية مشتركة عن شواطئ لبنان وانتهت بسقوط بيروت واللاذقية والاسكندرية وعكا وتهديد الاسطول البريطاني بشرب الاسكندرية .

واضطر محمد علي الى التوقيع على الاتفاقية يوم ٢٧ نوفمبر ١٨٤٠ لتجبت فوهات المدافع البريطانية بعد أن اقتضت مساعدة فرنسا حليفة مصر على الاهداد بالأسلحة والتأييد المعنوي ، متحاشية دخول جرب أوروبية ضد روسيا وانجلترا في وقت واحد . . . فتركت مصر وحدها في كفة الأقدار .

اصدر محمد علي مرسوما بالجلاء عن سوريا وفلسطين ، واضطر ابراهيم باشا للانسحاب في ظروف صعبة عبر السهول والصحاري الأردنية

فلم يصل من قواته التي بلغت ٦٠.٠٠٠ جندي مصر الا ٢٤.٠٠٠ وهلك الباقون من العطش والجوع والبرد والمرض وهجمات العرب عليهم .

تمت تسوية الموقف في أول يونيو ١٨٤١ بأصدار مرسوم سلطاني يحتفظ فيه محمد علي ضمن ممتلكاته الوراثية بمصر والسودان مع إعادة جميع الأراضي الباقية ، وانقاص عدد الجيش ليصبح ١٨.٠٠٠ فقط مع حرمان محمد علي من حق تعيين اللوامة في جيشه أو بناء السفن الحربية ، مع اعترافه بأنه تابع للسلطان ، يتعهد بدفع جزية كبيرة الى خزنته .

وهكذا تحالفت البرجوازية الأوروبية وخاصة الانجليزية لضرب مصر التي حقق فيها محمد علي انجازات هائلة في ميدان الصناعة والزراعة والثقافة والحرب الحديثة وضعت تبعية مصر الشكلية لتركيا لتقرب وتقع في دائرة النفوذ البريطاني .

لم يكن محمد علي مثلما حاول لامارتين الشاعر الفرنسي أن يصف صورة السيد في الشرق مظهرا للخلاف بينها وبين صورة السيد الذي يحكم في الغرب عندما وقف خطيبا أمام الجمعية الوطنية الفرنسية قائلا :

« في الشرق لا وجود للنظم والأجهزة بمفهومها الصحيح ولا أثر للتقاليد السياسية . ولا وجود فيه الا لسيد من ناحية ولعبيد من ناحية أخرى . والرجل الكبير فيه ليس سوى شخصية أو حدث ، بل هو أشبه بنجم يتلألأ لحظة في ظلمات البربرية . هو رجل يقوم بأعمال كبيرة يسخر لها آلاف من الناس الذين يحكمهم ولكنه لا يغير شيئا في مستوى هذا الشعب ولا يؤسس دولة وطيدة الأركان ، ولا يخلق أجهزة أو يضع قوانين ، فاذا غادر هذه الدنيا طوى عبقريته كما يطوى البدوى خيمته وتوارى معها تاركا المكان خاليا كما كان قبل قيامه » .

لم يكن محمد علي مثل البدوى الذي يطوى خيمته ويصادر الأرض بلا أثر فانه أقام في مصر نظاما اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا انتكس بعد موته ولكنه لم يندثر .

كان محمد علي قد وضع أساسا سليما لاقامة بناء ينفرد به المصريون ولا يخضعون فيه لسلطة قوة خارجية عنهم .

وضعت اتفاقية لندن نهاية لحكم عصرى متحضر امتد ما يقرب من ٤٠ عاما استطاع فيها أن يستنفذ جانبا من طاقات الشعب المصري ، ويتيح الفرصة لأبنائه في مجالات التعليم والثقافة والحرب أيضا .

وكتب كارل ماركس قائلا (ان محمد علي كان الشخص الوحيد الذي كان في قدرته تحويل تركيا من العمامة المفتخرة الى رأس حى حقيقى) .

الفصل الثاني

الأمير الای عرابی ثائرا وقائدا

(السلطة التي أتمتع بها الآن لم أقم باغتصابها
بل قلدني اياها الشعب) .

احمد عرابي

اثر الاستسلام على قدرة محمد علي العقلية وهو في الواحدة والسبعين
من عمره فتنحى عن ادارة شئون الدولة لابنه ابراهيم باشا الذي ادارها
في الأربعينيات حتى أصبح حاكم مصر الرسمي عام ١٨٤٨ الا أنه توفي بعد
ثلاثة شهور فقط في ١٠ نوفمبر ولحق به محمد علي الذي مات عن ثمانين
عاما في ٢٠ أغسطس ١٨٤٩ .

تولى عباس باشا الحكم في ٢٤ ديسمبر ١٨٤٨ ومحمد علي ما يزال
على قيد الحياة . . .

وانحسرت خلال حكمه منجزات محمد علي ، لانه كان معاديا للتطور .
نفورا من الحضارة الأوروبية ، منجذبا الى السلطنة التركية . . . فاغلق
المصانع والمدارس وهدم ما بنى من القناطر الخيرية . . . وخضع لتعليمات
الانجليز خضوعا تاما . واستند في حكمه الى كبار الاقطاعيين الذين تكونوا
في عهد محمد علي ، وأضاف عباس لهم مزيدا من الأرض ، وكان هو نفسه
أكبر مالك في مصر .

منح عباس الانجليز امتياز سد السكة الحديد من الاسكندرية الى القاهرة والسويس لتسهيل تجارتهم مع الهند ٠٠٠ وأصبحت انجلترا هي الدولة الأولى في التعامل التجارى مع مصر ٠٠ وفى أواخر الأربعينيات كان بيع الاستيراد منها وثلث الصادرات اليها ٠

ووصل الانحسار الرجعى فى مصر الى صفوف الجيش أساسا فانقص عدده عما حدد له حتى هبط فى وقت ما الى ٥٠٠٠ جندى ، حوله كما كان فى عهد بكوات الماليك الى حرس خاص له ٠٠٠ ومع ذلك كانت نهايته القتل بواسطة حرسه والاعلان فى بيان رسمى صدر فى يوليو ١٨٥٤ بأنه مات بالسكتة القلبية ٠

ولم يكن سهلا على عباس أن يرجع بمصر التى تألفت باصلاحات محمد على الى الأنظمة التركية القديمة ٠٠٠

كانت مصر قد بعثت فيها القوى الانتاجية ، واتضحت العلاقات الرأسمالية وتكونت البرجوازية ، وارتبطت بالسوق العالمية ٠

وفى ١٤ يوليو ١٨٥٤ تولى الحكم سعيد باشا أحد أولاد محمد على الصغير وكان مختلفا فى طبيعته عن عباس باشا ٠٠٠ تميز بتفكير حر واعتبر نفسه مصرية إلا أن ميوله كانت غربية ٠٠٠ منح صديقه فرديناند دى ليسبس امتياز شق قناة السويس بعد ثلاثة شهور فقط من حكم مصر ٠

كانت بعض شروط الامتياز شديدة الاجحاف بمصر التى تعهدت بتقديم أربعة أخماس العبال المطلوبين للحفر مجانا ، والذين بلغ عددهم بصفة مستمرة ما بين ٢٥ الى ٤٠ ألف فلاح ، عملوا فى سخرة مطلقه وتحت ظروف رهيبة القسوة ، فمات منهم خلال العمل ٢٠ ألفا ، شيّدوا بحياتهم وبحرق زملائهم أضخم مشروع للبرجوازية الأوروبية فى القرن التاسع عشر ٠

وفى نفس الوقت حرم سعيد باشا نظام وتجارة واستيراد الرقيق ، وحرر العبيد الذين كانوا يعيشون فى مصر ٠٠٠ وأعطى للفلاح حق تملك الأرض ، وحرية زراعة وبيع المحصولات الزراعية بعد أن ألغى نظام الاحتكارات وقام بتصفية الجمارك الداخلية ٠٠ وقد كون هذا الوضع طروفا ملائمة لتطور العلاقات الرأسمالية فى القرية حيث أتيح للتجار وأثرياء الملاحين شراء الأرض مما قلل مساحات كبيرة الى المزارعين والرأسماليين الأجانب ٠

وفى عهد سعيد أصبحت اللغة العربية هى اللغة الرسمية الوحيدة فى مصر ٠

وكان سعيد باشا مع ضعفه وتناقضاته يحب مصر حبا عميقا ، ويتحمس للمصريين ، وانعكس ذلك على الجيش أساسا ، فأعاد له صبغته الوطنية ، ونجح في تغيير بعض القيود التي فرضت على الجيش عام ١٨٤١ فحصل في عام ١٨٥٦ على موافقة من الباب العالي بزيادة الجيش المصري من ١٨ ألفا الى ٣٠ ألف جندي ، وكان يقضى معظم وقته مع الجيش ، يقدم لجنوده جيد الطعام ، ويوفر لهم أفخم الملابس الزاهية ، ويشجع المصريين على دخول مدارس الجيش التي أعاد فتحها ٠٠ يقول عرابي في مذكراته ان سعيدا أهده تاربخ نابليون بالعربية طبع بيروت وهو بادي الفيض لتمكن الفرنسيين من التغلب على البلاد المصرية .

وسن قاعدة جديدة تسمح بترقي صف الضباط والضباط المصريين الى رتب كبار الضباط ٠٠٠ وكسر بذلك نهائيا الحاجز الذي كان يسد طريق وصول المصريين الى قيادة الجنود لأول مرة في تاريخ مصر الحديث ، وفي نفس الوقت مهد الطريق لثورة حقيقية في المجتمع المصري .

وصل الى رتبة البكباشي - المقدم - في عهده ضابطان مصريان ، هما أحمد عرابي وعبد العال حلمي ٠٠ ووصل الأقباط كذلك الى رتب الضباط لأول مرة .

وأحمد عرابي ولد عام ١٨٤١ ابنا لشيخ بلد قرية (هرية رزنة) بالشرقية ، تعلم القراءة والحساب على يد صراف قبلي ثم انتقل الى الأزهر ومنه الى الجيش ، حيث ساعده تعليمه وزيادة عدد الجيش على سرعة الترقى حتى أصبح ملازما عام ١٨٥٨ وبكباشي وياورا لسعيد عام ١٨٦٠ .

ولكن أحمد عرابي لم يواصل ترقياته السريعة في عهد اسماعيل الذي اقتصر منذ تولى الحكم بعد سعيد عام ١٨٦٣ على ترقية الضباط الألبانيين والشراكسة الى المناصب القيادية ، وابعاد الضباط المصريين الى المناصب الثانوية ، مما أحدث خلافا في صفوف الجيش بين العناصر الوطنية الديمقراطية من الضباط الذين كانوا يسمون أنفسهم (الفلاحين) والآخرين الذين لقبوا باسم (الشراكسة) وزادت حدة التناقضات بتوزيعه خمسمائة فدان لكل لواء ، ٢٠٠ فدان لكل أميرالاي ٠ ١٥٠ لكل قائمقام ٠٠٠ ومعنى هذا حرمان المصريين من هذه الهبات .

ومع هذا لم يكن عهد الخديوي اسماعيل يمثل انحسارا في تطور الجيش ٠٠٠ العكس هو الصحيح .

أتاحت الفرمانات التي حصل عليها من الباب العالي فرصة كبيرة لتطوير الجيش والمجتمع أيضا .

وصل الجيش فى السبعينيات الى ثمانين ألفا ، وأرسل ١٥ فرقة عسكرية الى مولدافيا وكريت لمعاونة الجيش العثماني فى القضاء على ثوراتها ، وكما حضر الضباط الفرنسيون بعد هزيمة نابليون للعمل فى الجيش المصرى ، حضر أيضا عدد من الضباط الأمريكيين بعد انتهاء الحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١ - ١٨٦٥) .

وقد احتجت إنجلترا وفرنسا على ذلك ولكن اسماعيل قابلهما بالسخرية وعدم الاكتراث .

كان الخديوى اسماعيل يفضل الضباط الأمريكيين لان الولايات المتحدة الأمريكية فى ذلك الوقت كانت بعيدة عن الأطماع الاستعمارية وخلال الفترة من ١٨٧٠ - ١٨٧٩ كان هناك ٥٤ ضابطا أمريكيا يخدمون فى الجيش المصرى ، أحدهم فى رتبة لواء واثنان فى رتبة أميرالاي ، ولكنهم سرحوا جميعا عام ١٨٧٩ كنتيجة للأزمة المالية الطاحنة ، ولم يبق الا اللواء ستون باشا الذى كان رئيسا لهيئة أركان الحرب من ١٨٧٠ الى ١٨٨٢ .

ولم يكن الضباط الأمريكيون يعينون فى قيادة الوحدات ، ولكنهم كانوا يتولون مناصب فى الرئاسات وفى الأسلحة المساعدة قام البعض منهم بأعداد خرائط حربية لمناجم النيل وغرب السودان وتشاد .

ونتيجة لزيادة عدد الجيش المصرى ، وصودر قرار بتعيين ضباطه من خريجي مدارس الجيش فقط ، زادت نسبة الضباط المصريين حتى أصبحوا الأغلبية التى ترأسها وتتحكم فيها الأقلية الشركسية كما انتشر التعليم فى الجيش بحيث لم يكن فيه سوى ٤٢ جنديا أميريا فقط (٢٧) .

أحمد عرابى الذى وصل الى رتبة البكباشى فى عهد سعيد أمضى ١٩ عاما بلا ترقية خلال حكم اسماعيل ، ولم يصل الى رتبة الأميرالاي الا بعد خروج اسماعيل فى صيف ١٨٧٩ .

وتألفت فى الجيش المصرى عام ١٨٧٦ أول (جمعية سرية) فى تاريخه الحديث برئاسة على الروبى للدفاع عن مصالح الضباط الوطنيين باسم (مصر الفتاة) وزاد نشاطها عقب انضمام أحمد عرابى لها بعد حرب الحبشة . التى اتهمه الأتراك خلالها ظلما بالرشوة ، عندما كان مأمور الحملة فى (مصوع) وأصبح عرابى بجرأته وفصاحته الرئيس الفعلى لهذه الجمعية عام ١٨٧٧ .

واختبرت الأحداث قوة الضباط الوطنيين في مواجهة السلطة عندما تأخر صرف مرتبات الضباط ما يقرب من ١٥ شهرا ، ثم سرت اشاعة بنية رئيس الوزراء الأرميني نوبار باشا ووزير ماليته ريفرز ويلسون الذى عينته الحكومة البريطانية لتسوية الديون بتسريح ٢٥٠٠ ضابط مصرى ، وتخفيض رواتب الباقين الى النصف .

وقام الضباط المصريون بقيادة لطيف سليم ناظر المدرسة الحربية بأول مظاهرة فى التاريخ يوم ١٨ فبراير ١٨٧٩ وحاصروا نوبار وويلسون أمام وزارة المالية وانهالوا عليهما ضربا ، حتى حضر الخديوى شخصيا لانقاذهما ، غير انه لم يتخذ أى اجراء مضاد ، نظرا لعدم تمحسه لللائنين . . . ومع ذلك فقد قدم أحمد عرابى وعلى الروبى ومحمد النادى الى المحاكمة بتهمة تدبير التمرد واكتفى المجلس العسكرى بتوبيخهم رغم عدم اشتراكهم فى المظاهرة وهذا دليل على ان حركتهم كانت تحت الضوء . . . وقد دفع ذلك عرابى الى التفكير فى تكوين جمعية لخلق الخديوى اسماعيل الذى اقترض ٤٠٠.٠٠٠ جنيه من بيت روتشيلد لدفع المرتبات المتأخرة ، وأقال نوبار باشا فى ٩ مارس وعين ابنه رئيسا للوزراء .

وكانت هذه الحادثة بمثابة الاكتشاف الجديد ، لقوة ضباط الجيش الوطنيين الملقبين باسم (الفلاحين) ، اذ أدركوا امكانية خوضهم النضال ضد الظلمة الأوروبية ، واشتهرت بينهم أسماء عرابى وعلى الروبى وعبد العال حلمى وعلى فهمى ومحمود فهمى وغيرهم من الضباط الوطنيين .

ولم تكن حركة الضباط منعزلة عن الجماهير . . بل كانت مرتبطة بها أشد الارتباط . . وكان أحمد عرابى يعتبر نفسه من أتباع جمال الدين الأفغانى الذى استقر فى مصر عام ١٨٧١ وأبعد عنها فى سبتمبر ١٨٧٩ ، كما برز بعض المعبرين عن أيديولوجية الحركة مثل الشيخ محمد عبده وأديب اسحق الكاتب والصحفى السورى الذى استوطن مصر عام ١٨٧٦ وعبد الله النديم وسليم نقاش وابراهيم اللقانى وغيرهم من المثقفين .

ولم يقف ارتباط حركة الضباط بالقوى السياسية عند هذا الحد بل وصلت اتجاهات المعاوضة الى (مجلس شورى النواب) الذى كان مشكلا من أصحاب الأراضي ورجال الدين ، والذى تحولت جلسته الدورية فى يناير ١٨٧٩ الى ساحة لمهاجمة (الوزارة الأوروبية) والتي أصبح الهجوم عليها أساسا لكافة الاتجاهات الوطنية فى الجيش وخارج الجيش .

وفى هذه الفترة حدث تجمع العناصر -الشراكية الأذكيا والبرجوازية الزراعية فيما عرف باسم (الحزب الوطنى) بقيادة محمد شريف باشا . . .

ورغم ان جمعية (مصر الفتاة) كانت تعتبر أكثر تقدما الا انها تحالفت معه واندمجت فيه . ولكن الحزب الوطنى فى تشكيله العام كان قاصرا عن الوعى بأبعاد التناقضات التى تعيش فى الجيش ومدى ما يمكن أن تؤدى اليه .

وبدأت تعقد الاجتماعات ضد (الوزارة الأوروبية) علانية ، وترسل العرائض للخديوى من المدنيين والعسكريين مطالبة بإقالتها . وثمة اختلاف فى عدد الموقعين على عريضة المطالب وعلى تصنيفهم ، يذكر مراسل التيمس ان هذه العريضة قد وقعها سبعون من العلماء على رأسهم شيخ الاسلام وبطريك الأقباط وحاخام اليهود بالنيابة عن طوائفهم ، وستون من الباشوات ومثلهم من البكوات وأربعون من الأعيان وكثير من ضباط الجيش . ومعنى هذا أن الموقعين على البيان هم ٣٢٠ غير ضباط الجيش . بينما يذكر الأستاذ الرافعى أن عدد الموقعين جميعا ٣٢٧ منهم ٦٠ من أعضاء مجلس الشورى و ٦٠ من العلماء والهيئات الدينية و ٤٢ من الأعيان والتجار و ٧٢ من الموظفين والعاملين والمتقاعدين و ٩٣ من الضباط . ويقل العدد فى مصادر أخرى الى ٢٠٠ عضو فقط منهم ٦٢ من رجال الدين و ٤١ من كبار الملاك الزراعيين والتجار و ٦٠ من أعضاء مجلس الشورى و ٣٧ من الضباط (٢٨) .

وشرع مجلس النواب يعد خطة مالية خاصة بخلاف خطة ويلسون . . وقد ساعد المناخ السياسى على بلورة الاتجاهات السياسية فى الجيش كما ربط بين الضباط والمدنيين . . . وسارع فى خلق علاقة وثيقة بين المطالب المهنية والسياسية .

وجدت هذه الاتجاهات الوطنية صدى عند الخديوى اسماعيل الذى عقد اجتماعا يوم ٧ ابريل ١٨٧٩ فى قصر عابدين أعلن فيه أن الاستياء قد بلغ ذروته فى البلاد وأن الأمة تطالب بتأليف وزارة مصرية خالصة وقال « انى أعتبر واجبى المقدس كرئيس دولة وكمصرى أن أراعى وجهة نظر بلادى وأن أحقق آمانى أمتى الشرعية بصورة تامة » .

وأعلن الخديوى اسماعيل عزل الوزارة الأوروبية وتأليف حكومة مصرية برئاسة شريف باشا وزير العدل وكان من كبار أصحاب الأملاك وذوى الأفكار الوطنية الحرة .

أثار موقف الخديوى اسماعيل نائرة الدول الأوروبية فأخذت تصفه بأنه (طاغية شرقى) بعد أن كانت تثنى عليه باعتباره حاكما مثقفا تقدميا أثناء استدائته للقروض الخارجية .

(٢٨) الثورة المصرية - صلاح عيسى .

وقدم القنصل البريطاني انذارا باسم اللورد سالكسبورى وزير الخارجية رفضه الخديوى اسماعيل وتبعه انذار آخر من حكومتى ألمانيا والنمسا ثم وصل انذار نهائى فى ١٩ يونيو ١٨٧٩ قدمته انجلترا وفرنسا تطلبان فيه التنازل عن العرش ، تحت تهديدهما بالالتجاء الى السلطان التركى وخلعه بالقوة •

رفع اسماعيل الموقف بنفسه للسلطان فكانت النتيجة وصول برقية من السلطان يوم ٢٥ يونيو بعزله وتعيين ابنه توفيق خديوى على مصر • • • ورحل اسماعيل وقد ودعته مظاهرة شعبية قدرت موقفه الأخير فى تأليف حكومة وطنية وانتهاج سياسة مستقلة •

وطويت صفحة الخديوى اسماعيل الذى يعتبر رائد التطور الرأسمالى فى مصر ، والذى حقق فى المجتمع انجازات كبيرة شملت الصناعة التى تقدمت فى مجالات النسيج والتسليح وصناعة السكر وبناء السفن التى وصلت بأسطول مصر التجارى الى مستوى تفوقت به على الأسطول الفرنسى من الناحية الفنية • • • كما أن نسبة البواخر الى السفن الشراعية كانت ٦٠٪ فى مصر ، ٢٥٪ فى انجلترا ، ١٥٪ فى فرنسا • • • وسبقت مصر فى مجال السكة الحديد عددا من الدول الرأسمالية المتطورة ففى عام ١٨٧٦ مثلا كان فى فرنسا ٣٧٥ كيلو متر سكة حديد لكل ألف كيلو متر مربع من الأرض بينما وصلت فى مصر الى ٥٥ كيلو متر •

وارتفع عدد المدارس فى عهد اسماعيل من ١٨٥ مدرسة الى ٤٦٨٥ كان يدرس بها خالى مائة ألف تلميذ وأنشئت الأوبرا ودار الكتب والمتحف والجمعيات العلمية وانتشرت الصحافة المتطورة •

وكانت سياسته فى الجيش أيضا سببا فى وقوف الضباط المصريين الذى أدى الى وقوعه فريسة لديون الدول الرأسمالية التى أطاحت بعرشه •

وكانت سياسته فى الجيش أيضا سببا فى وقوف الضباط المصريين منه موقف الجفاء ، اذ أدركوا انه لا يساندتهم مساندة صريحة ، وانما يستخدمهم لأغراضه • • • نبيه جعفر مظهر حكماء السودان الى ضرورة ارسال ضباط مصريين بدلا من الضباط الأجانب لاكتشاف مناطق خط الاستواء ، ولكنه أرسل صمويل بيكر ثم عين جوردون خلفا له فى حكومة خط الاستواء ، وأخيرا عينه حاكما عاما فى السودان ترضية لانجلترا وبناء على توصية البرنس أوف ويلز ولى عهد انجلترا •

وعقب مظاهرة فبراير ١٨٧٩ أصدر أمرا بنقل أحمد عرابى الى الإسكندرية مغضوبا عليه • • • مما جعل الضباط يجتمعون مرتين

ويفكرون في عزل اسماعيل والتخلص من أسرة محمد علي واعلان الجمهورية
كما روى أحمد عرابي .

وكان المصدر الرئيسى الذى تشعبت منه هذه المظاهرة هزيمة الجيش
المصرى فى الحبشة عام ١٨٧٦ عندما أرسل الخديوى اسماعيل حملة مؤلفة
من ٢٠ ألف مقاتل تحت قيادة راتب باشا التركى والجنرال الأمريكى
لورنج وأركان حرب ٠٠٠ وحدثت خلافات فى القيادة العليا بين الاثنين
انتهت بهزيمة منكرة للجيش كلفت الدولة أكثر من مليون جنيه ، وبذرت
فى الشعب والجيش شعورا بالاستياء العام .

وكانت هذه الحملة هى الأخيرة فى سلسلة الحملات التى قام بها
الجيش المصرى خلال ثمانين عاما تقريبا خارج وادى النيل (مصر والسودان)
وتحققت فيها انتصارات كبيرة ، أثبت فيها الفلاح المصرى انه محارب
شجاع وصبور متى توافرت له القيادة القادرة .

وكان وصول المصريين الى مراكز القيادة فى الجيش ، وتوافر الأغلبية
العامة بين الضباط لهم ، وتوحيد الأفكار داخل الجيش وخارجه بين
العناصر الوطنية ، دافعا الى اتخاذ مواقف وطنية أكثر جرأة وصلابة ضد
الخديوى توفيق الذى بدأ حكمه بعد والده باتخاذ خطوات رجعية متهاونة
٠٠٠ ورفض التوقيع على لائحة الدستور التى أعدها شريف باشا ، وأعاد
الرقابة المالية الثنائية ، ثم أقال وزاة شريف باشا واستبدله برياض باشا
الذى كان شديد الخضوع للمستولين البريطانيين ، فمارس المراقبون الأجانب
وأعضاء (لجنة دين الخديوى) وظائف الحكومة الفعلية فى البلاد .

وبدأ احتكاك الضباط بالخديوى يظهر فى صورة عملية بعد إلغاء فرمان
١٨٧٣ الذى حصل عليه اسماعيل ، فتقرر حرمان مصر من عقد قروض
خارجية الا بعد موافقة الباب العالى ، وخفض عدد الجيش المصرى مرة ثانية
ليكون ١٨ ألف شخص فقط . فأحيل عدد كبير من الضباط الى الاستبداد ،
ووقعوا فى ضيق مالى شديد .

عادت القسوة فى معاملة الفلاحين لسوء جشع المرابين الأجانب .
وتأخر صرف مرتبات الضباط عدة مرات . وتربع الشراكسة تماما فى
المراكز القيادية التى أبعد عنها الضباط المصريون .

وحدث الصدام الأول بين الجيش والحكومة عندما أعد عثمان رفقى
وزير الحربية فى وزارة رياض باشا مشروعا بقصر مدة التجنيد على أربع
سنوات فقط ، الأمر الذى يحرم ترقية الجنود الى ضباط ٠٠٠ أو بمعنى
أصح يحرم المصريين من ذلك . . . لأن المدة المقررة للخدمة لا تكفى لكى

يصل العسكرى الساذج الخالى من المعارف العسكرية الى درجة تؤهله لان يكون ضابطا ، فلابد أن ينحصر تعيين الضباط فيمن ينال المعارف العسكرية بالتحصيل فى المدارس الحربية لا غير • وهى حجة واهية لأن المدارس الحربية فى ذلك الوقت كانت فى مستوى عادى ، ولم تكن تقدم معارف عسكرية ذات قيمة فضلا عن أن دخول العناصر المصرية اليها لم يكن ميسورا • وكان الهدف الحقيقى من اصدار القانون هو حرمان المصريين حرمانا تاما من الوصول الى مراكز قيادية فى الجيش •

وتقدم أحمد عرابى قائد الكتبية الرابعة بالجيش وعلى فهمى قائد الكتبية الأولى بعريضة الى رئيس الوزراء يطلبان فيها التحقيقات فى الترقيات الأخيرة ، وعزل عثمان رفقى وزير الحربية لانه فصل بعض الضباط دون تحقيق •

واجتمع مجلس الوزراء برئاسة الخديوى يوم ٣٠ يناير ١٨٨١ وأصدر قرارا باعتقال أحمد عرابى وعلى فهمى وعبد العال حلمى ومحاكمتهم لان عثمان رفقى اعتبرها (حركة فلاحين شيالين بالمقاطف) •

استدعى الضباط الثلاثة الى وزارة الحربية يوم أول فبراير ١٨٨١ حيث كان كل شىء معدا للتنكيل بهم ••• المحاكمة الصورية والأحكام المسبقة ••• ولكن قرار مجلس الوزراء لم يكن سرا بالنسبة لهم ، فاتخذوا حيلتهم وأبلغوا وحداتهم بأنهم اذا تأخروا عن العودة أكثر من ساعتين فعليهم التحرك مع آلاى مشاة آخر فى طره لانقاذهم •

وما أن بدأت تمثيلية المحاكمة حتى وصلت قوات المشاة المصرية الى الوزارة فطوقتها ، وهرب عثمان رفقى من الشباك ، واقتحم الجنود قاعة المحاكمة وحملوا قادتهم على الأعناق ، وتوجهوا فى مظاهرة الى قصر الخديوى حيث طالبوا بعزل عثمان رفقى فورا ، واقرار حقوق متساوية فى الجيش •

وتلقت الخديوى حوله فلم يجد أحدا يسأله ، فعزل وزير الحربية فورا وعين بدلا منه محمود سامى البارودى الذى كان شاعرا ووطنيا ديموقراطيا من الحزب الوطنى انجذب بعد ذلك الى جناح عرابى أكثر من جناح شريف باشا ••• وصدر قرار خديوى بتشكيل لجنة خاصة للتحقيق فى ترقيات عثمان رفقى وعين فيها أحمد عرابى •

كانت هذه هى المظاهرة العسكرية الثانية بعد مظاهرة الضباط ضد نوبار باشا ••• ولكنها كانت قاصرة أيضا على مطالب مهنية محدودة ، ولم

تتجاوز ذلك الى مطالب وطنية أخرى فلم يعترضوا على صلاحيات المراقبين الأجانب وتركوا رياض باشا في منصب رئاسة الوزراء .

يرجع ذلك الى السرعة التي تمت بها كرد فعل دون تدبير وإلى عدم اكتمال تنظيم الحزب الوطنى من المدنيين والعسكريين والاتفاق على برنامج واضح لهم .

وكانت هذه المظاهرة تعنى فقدان الخديوى لثقلته فى ضباط الجيش وتربصه بهم وتدبيره الخطط للتنكيل بهم .

نظرة الخديوى توفيق للجيش كانت ترى فيه حاميا للطبقة السائدة ووظيفته محدودة فيما رسم له وقد عبر الخديوى عن ذلك فى خطاب القاه فى احتفال اقيم فى ١٢ فبراير ١٨٨١ عقب الهجوم على قصر النيل وحضره جميع الضباط الكبار فى الجيش ، وفى هذا الخطاب أعلن الخديوى أسفه لما حدث فى أول فبراير ، وعفوه عنه ، ثم أكد للضباط أنه « يلزمكم ألا تشتغلوا من الآن فصاعدا بشئ خارج عن حدود وظائفكم » ، ذلك أن « العسكر ليس لهم وظيفة سوى التمسك بالقوانين الجهادية والسعى فى أداء واجباتهم العسكرية والامتثال لولى أمرهم » . وان أكمل الصفات العسكرية هى « الاستقامة والامتثال فى كل الأمور والأحوال » . وكرر رياض باشا - رئيس الوزراء اذ ذاك - هذه الأفكار ، فقد خاطب الضباط قائلا : « أنتم روح الضبط والربط وأنتم قوة الحاكم وآلته المنفذة ، فإذا بدأكم الحاكم بحسن الالتفات ونظر اليكم بعين الرأفة والرحمة فعليكم وجوبا كما أخذتم ما لكم أن تؤدوا ما عليكم وهو طاعة ولى الأمر الذى هو السبب الأعظم فى جميع هذه الخيرات التى شملتنا . فعليكم أن تكونوا دائما على قدم الاستعداد لتنفيذ أحكامه والمحافظة على أوامره ونواميسه العادلة » .

أما نظرة ضباط الجيش فقد تمثلت فى رد عرابى على خطاب رياض وتأكيديه بأنه وزملاءه « يريدون الإصلاح واقامة العدل على قاعدة الحرية والاخاء والمساواة » وفى حديثه مع بلفت قال : « ان الجيش هو القوة الواقفة الآن بين مصر وحكامها الأتراك الذين لا يحجمون عن تجديد مظالم اسماعيل فى أى وقت اذا لاحت لهم فرصة » ويقول « ان المراقبة الأوروبية تحول بصفة جزئية بين أولئك الحكام وما يريدون ولكنها لا تؤهل البلاد لحكم نفسها حين ينقضى أجل المراقبة » وقال « لقد كسب الجيش للمصريين حق التكلم فى مجلس النواب ، ونحن نؤيدهم - أى النواب - حتى لا يخذعوا ولا يضغط عليهم بالقوة ، ومتى عرف برلماننا كيف تنتهى مهمتنا نحن الجنود ، ونحن مصممون على خراصة الشعب المصرى وحمايته من الذين يحاولون اسكات صوته » وهو ما عبرت عنه المسادة الرابعة من برنامج

الحزب الوطني حيث أشارت الى مجلس النواب التركي الذي أكره على الصمت وقالت ان الوطنيين قد « فوضوا أمرهم الى أمراء الجهادية وطالبوا منهم أن يصمموا على طلبهم لعلمهم ان رجال العسكرية هم القوة الوحيدة في البلاد ، وهم يدافعون عن حريتهم الآخذة في النمو . وليس في عزمهم ابقاء الحال على ما هو عليه ، بل متى تحصلت الأمة على حقوقها عدلوا عن السياسة الحاضرة ، وان أمراء الجهادية عازمون على ترك التدخل في السياسة متى فتح المجلس . فهم الآن بصفتهم حراس على الأمة التي لا سلاح لها . » ومن هذا التصور لدور الجيش كسلطة ثورية تحفظ « حقوق الأمة » انطلقت القوى الثورية لتحقيق مفهومها هذا عمليا .

وهكذا بدأ التناطح وظهر ذلك سريعا اذ لم تكد تهلدا الاضطرابات حتى عزل الخديوى توفيق محمود سامي البارودي ، وقرن ذلك باجتماع دعا اليه كبار الضباط وأبلغهم انه يضع ثقته كاملة في رياض باشا رئيس الوزارة وأمر بزيادة مرتبات الضباط المصريين الذين أحيلوا الى الاستبعاد ، كما أصدر أمرا آخر يقضى بمعاملة جميع الضباط مستقبلا على قدم المساواة سواء أكانوا أتراكا أم شراكسة أو مصريين ، وحاول في سنة ١٨٨١ أن يضم اليه القوات المرابطة في الاسكندرية ، وأن يتفاهم مع علي فهمي ليضمه اليه هو وقوات حرس الخديوى وخدعه علي فهمي وأكد له أنه معه تضليلا . . . كما أصدر من جهة أخرى تعليمات بمنع اجتماعات الضباط في المنازل أو الأحياء ولكن هذه الخطوات لم تضعف من تأهب كل فريق للآخر وحذره منه . . . كان الضباط يواصلون اجتماعاتهم السرية وارتباطاتهم العلنية مع الوطنيين والمثقفين . . . وكان الخديوى يعد خطته للتخلص من الاتجاهات المضادة له في الجيش ، فأصدر أمرا يوم ٩ سبتمبر ١٨٨١ ينقل بعض الألايات الى الريف وكان ينبغى أن يرحل معها أحمد عرابي وعلي فهمي وعدد من الضباط الوطنيين .

وقرر القادة الوطنيون عدم الاستجابة للأمر اذ كانوا على ثقة من أن هذه كانت خطوة تمهيدية للتخلص منهم ، خاصة وأن بدور شك كانت قد بعثت في صدورهم بوجود مؤامرة لاغتيالهم .

وتحرك الجيش المصرى في مظاهراته الثالثة خلال فترة أقل من ثلاث سنوات في نفس اليوم الذي تلقوا فيه الأوامر بتحريك القوات للريف . . . وكان عددهم حوالى ٢٥٠٠ ضابط وجندى اصطفوا في شكل مربع مفتوح مواجه لسراى عابدين بقيادة أحمد عرابي ، وعندما نزل الخديوى توفيق الى الساحة ومعه أوكلند كلفن المراقب المالى البريطانى ، بعد أن حاول عبثا استشارة وحدات موالية له . . . تقدم له أحمد عرابي ممطيا جواده ومقدما ثلاثة مطالب محددة هي :

١ - اقالة وزارة رياض باشا .

٢ - اعلان الدستور وتشكيل مجلس نواب على النظام الأوروبي .

٣ - زيادة عدد الجيش .

وارتبك الخديوى ثم دار الحوار المشهور عندما قال له الخديوى :

كل هذه الطلبات لا حق لكم فيها وأنا ورثت هذه البلاد عن آبائى
وأجدادى وما أنتم الا عبيد احساناتنا .

وقال عرابى قولته المعروفة :

لقد خلقنا الله أحرارا ٠٠٠ واننا لا نستعبد بعد اليوم .

وخاف الخديوى من لهجة الحديث وأشار عليه القنصل البريطانى
الذى كان يقف الى جانبه بالعودة للسراى ، وتصدى هو وكلفن لمناقشة
عرابى الذى وافقهما على تنفيذ المطلب الاول بتعيين شريف باشا رئيسا
للوزراء وتأجيل الباقي لعرضه على الباب العالى فى تركيا .

ومرة ثانية ٠٠٠ لم تصل الحركة العسكرية الى غايتها ، ولم تحقق
اهدافها كاملة رغم تعبيرها عن ارادة الجماهير كما قال عرابى للقنصل
البريطانى « ان طلباتى المتعلقة بالاهالى لم أعمد اليها الا لانهم أقامونى نائبا
عنهم فى تنفيذها بواسطة هؤلاء العساكر الذين هم اخوانهم وأولادهم » .

كان النصر مرة أخرى جزئيا ٠٠٠ لان المظاهرة الثالثة أيضا بعد
مظاهرة ١٨٧٩ وأول فبراير ١٨٨١ كانت من رد الفعل الذى أجبر الضباط
على تنفيذه دون تخطيط أو تدبير فى نفس اليوم ، حتى يكونوا فى الهجوم
بدلا من الدفاع .

وكانت العلاقة بين الضباط الثوريين أبناء الفلاحين ٠٠٠ وبين كبار
الملاك الأرستقراطيين غير منسجمة بالقدر الذى يحقق لها الوحدة الشعبية
الكاملة ٠٠٠ فعندما دعى شريف باشا لتولى الوزارة عارض فى أن تأتية
عن ترشيح الجيش المتمرد .

ولم يذعن شريف لرجاء مندوبى انجلترا وفرنسا ٠٠٠ وأراد أحمد
عرابى أن يحصل على تأييد مجلس النواب وأعيان القاهرة فجمعه يوم ١٣
سبتمبر ، وعرض عليه نتيجة اتصالاته بشريف وموقف الأخير منها ، حيث
كان يصر على انسحاب الآليات المتمردة الى المواقع التى يختارها لها فى حالة
تولييه رئاسة الوزارة .

ولم يدرك أحمد عرابى فى هذه اللحظة عمق التناقضات الطبقية بين
الفلاحين الذين كان يفخر بتمثيله لهم ، وبين الأعيان الذين كان يمثلهم

شريف ٠٠٠ كان كبار الملاك ينتابهم الخوف من اندفاع الحركة الشعبية ٠٠٠
كما أن العناصر المدنية تخشى تأليف حكومة عسكرية كاملة .

ولذا وقف المدنيون من الأعيان وغيرهم الى جانب شريف ، وتوسطوا
لديه بقبول الوزارة على أن يكون الجيش خاضعا لها ٠٠٠ وحدثت مساومة
قبل فيها عرابى نقل الآلات المتمردة من القاهرة ، وقبل شريف تولى الوزارة
مع تعيين محمود سامى البارودى وزيرا للحربية وتنفيذ القانون العسكرى
الذى تعتبر أهم مادة فيه زيادة الجيش الى ١٨ر٠٠٠ .

ورغم ذلك تعتبر انتفاضة ٩ سبتمبر ١٨٨١ نقطة انتقال فى تاريخ
الحركة الوطنية المصرية ، اذ ربطت لأول مرة بين الشعب والجيش فى
نضال مشترك ٠٠ ولم يعد عرابى زعيما لفريق من الضباط وانما أصبح
فى مركز الصدارة من الزعامة الشعبية ورئيسا فعليا للحزب الوطنى وأصبح
الجيش هو المنظمة الوحيدة التى تتطلع اليها الجماهير لتحقيق آمالها ٠٠
والدفاع عن حرياتهما ٠٠٠ وتعزز من مركز الوطنيين فى مصر ووقعوا توكيلات
بانابة أحمد عرابى عن الأمة فى كل ما يتعلق بالسياسة الوطنية .

وانتهز شريف باشا الذى أسفر عن موقفه الطبقي المعادى لحركة
الجيش فرصة توليه الوزارة فأرسل الى الخديوى يطلب استمرار نظام
المراقبة الثنائية الأوروبية على الحكومة كما شرع فى ترحيل الآليات
المتمردة ، فانسحب فى أكتوبر ١٨٨١ آلاى عرابى الى أبو كبير وآلاى
عبد العال حلمى الى دمياط .

وكانت تحركات هذه القوات فرصة لقيام مظاهرات شعبية ضد
حكومة شريف ، واحتشد عشرات الآلاف من سكان القاهرة لتوديع عرابى
وجنوده والاحتجاج على نقلهم من القاهرة ٠٠ وقد زاد ذلك فى متانة النسيج
بين الشعب والجيش .

ولم تنجح هذه التحركات فى اضعاف المد الثورى اذ واصل جنود
حامية القاهرة مساندتهم لعرابى الذى رجع الى القاهرة بحجة توعك صحة
زوجته ، وبدأ يواجه الخديوى صراحة ويعارض اتجاهاته علانية .

وظهر عرابى بمظهر الرجل القوى الذى يهدد المصالح الأجنبية فى
مصر مما دفع فرنسا وانجلترا لتهيئة خطة مشتركة للعمل فى مصر ٠٠٠
وقرر شريف عندئذ عقد مجلس النواب لكى يحرم الجيش من دوره النضالى
مصرحا بأن مجلس النواب سيصبح هيئة يستند اليها الخديوى وحكومته
فى نضالهما ضد (الاستبداد العسكرى) .

ورفض شريف اقرار الدستور الذى أعده هو نفسه منذ سنتين ليظل المجلس محصورا فى حدود سلطاته المحدودة ٠٠٠ وهكذا وقف عرابى والجيش مع دستور شريف ، واحتفظ شريف بقانون المجلس القديم ٠

وتألف المجلس فعلا فى ديسمبر ١٨٨١ برئاسة محمد سلطان باشا ، واتخذ موقف التأييد من الخديوى ، ولكنه أصر على حقه فى التصويت على الميزانية المصرية ٠٠٠ مما دفع حكومتى انجلترا وفرنسا الى تقديم مذكرة أثارت استياء عاما فى مصر وجعلت المجلس يقرر أن حقه فى التصويت على الميزانية لا يمكن أن يكون موضع نقاش مع الدول الأجنبية ٠

واستقال شريف الذى كان قد قبل المذكرة واقترح على المجلس اجراء مفاوضات مع انجلترا وفرنسا فى ٥ فبراير ١٨٨٢ وتولت الحكم وزارة يرأسها محمود سامى البارودى وعين أحمد عرابى وزيرا للحربية ، وكان ذلك انتصارا للحركة الوطنية وانتصارا للجيش الذى وصل الى قمة المسئولية فيه جندى من الصفوف ، وهكذا نجحت ثورة الجنرالات التى عبرت عن حق المواطن المصرى فى تحقيق ذاته من السلطة الشرسية ومن أجل التغيير الاجتماعى ٠

وعبرت هذه الحكومة عن ذلك بعمل اجراءات هامة ٠٠ أصدر عرابى أوامره بترقية ٤٠٠ ضابط الى رئيس أعلى ، وترقية ١٥٠ صف ضابط الى رتب الضباط واحالة ٣٠٠ ضابط الى المعاش بحجة تجاوز السن القانونية وأغلبهم من الشراكسة والأتراك ٠

وقررت زيادة المراتبات أيضا :

ملازم ثان من	٣٥٠ قرشا	الى ٦٠٠ قرش
يوزباشى من	٥٠٠ قرش	الى ٩٥٠ قرشا
بكباشى من	٢٥٠٠ قرش	الى ٣٥٠٠ قرش
رتب أعلى	٥٠٠٠ قرش	

ونلاحظ النظرة الاجتماعية فى هذه الزيادات اذ علت نسبة الزيادة للرتب الصغيرة عنها للرتب الكبيرة ، وقلت الفروق الى حد كبير بين الرتب العليا والرتب الصغيرة فى الجيش بعد أن كانت النسبة بين الحد الأدنى والحد الأعلى فى فئة الضباط (ملازم الى فريق) هى ١ : ٣٧ فى القانون القديم ، قلت فى القانون الجديد الى ١ : ١٣ ٠ أما النسب بين الحد الأدنى والحد الأعلى فى فئة صف الضباط (من أومباشى الى صول) فقد كانت فى القانون القديم ١ : ٤ زادت الى ١ : ٦ نتيجة لرفع الصول الى ما يوازى ٢٠٠٪ ، وهذا مع الغلم بأنه بعد رتبة الصول مباشرة يحدث تقارب شديد

بين فئات المرتبات • أما رتبة النفر فقد زاد مرتبها الى ما يوازي ١٣٣٪ مما كانت عليه • وبشكل عام فان النسبة بين أدنى فئة وأعلى فئة (نفر - فريق) كانت في القانون القديم ١ : ٣٧٥ قلت ١ : ٢٦٦ ، وهو ما يمثل الى حد كبير تقدما لا بأس به في ظروف العصر •

وهكذا تبدل الحال ••• وبعد ان كان الضباط المصريون يعيشون في خوف التشييت أو الاحالة الى الاستبداد ••• فاذا بهم يشعرون بالامن والاستقرار ويحصلون على زيادة في المرتبات سبق أن حصل عليها المدنيون • ولم تتوقف الاجراءات عند حدود الجيش فقط ••• اذ أن الوزارة الجديدة أبطلت المراقبة الثنائية ، وأعدت (لا لثة أساسية) لمجلس النواب تضمن له حقوقه ، وأعدت قانونا انتخابيا جديدا أكثر ديمقراطية ، كما أعدت عدة قوانين تقدمية تقضى بإلغاء السخرة وتأسيس البنك الزراعي واصلاح المحاكم المختلفة وتحريم استخدام جباة الضرائب للسيارات ، كما أعد مشروع أقره مجلس النواب يقضى بإنشاء مدرسة في كل قرية وتعميم التعليم لتخلو مصر من الأميين خلال عشر سنوات •

وقد أدت هذه المشروعات الاجتماعية المتتالية الى بحث نقطة شعبية أضعفت من سلطة المديرين المطلقة ، ودفعت بعض الفلاحين الى أخذ حقوقهم بالتهجم على أراضي كبار الملاك ، وأعلن أحد كبار الضباط أنشاء زيارته للريف بأن الأرض يجب أن تكون لمن يفلحونها ••• وارتفع شعار (مصر للمصريين) كأحد شعارات الجيش وحرص زعماء الحركة العسكرية الثلاثة أن ينهوا أسماءهم بلقب (المصري) تمييزا لهم •• ونبتت فكرة الانفصال النهائي عن الخلافة • وظهور فكرة الجمهورية أو الدولة العربية •

وهنا بدأ أصحاب الأملاك يتلمسون خطرا يهددهم ، وتراجع بعض أعضاء مجلس النواب في موقفهم ، وقال سلطان باشا رئيس المجلس للقنصل الانجليزي أن استقالة شريف باشا تمت بضغط من العسكريين تحت زعامة أحمد عرابي •

وهكذا بدأ تجمع رجعي من الخديوى والضباط الشراكسة وبعض الاقطاعيين •• واكتشف عرابي مؤامرة لاعتقاله فحوكم ٤٨ ضابطا شركسيا من بينهم عثمان رفقي وأصدرت المحكمة في حقهم حكما معقولا اذ قررت تجريد ٤٠ من رتبهم العسكرية ونفيهم الى السودان ، ولكن الخديوى خفف قرار المحكمة في مايو ١٨٨٢ بإيعاز من القنصلين الفرنسي والانجليزي واكتفى بالابعاد عن القاهرة الى الريف بدلا من النفي •

وكان هذا الموقف من الخديوى تحديا للجيش ومفجرا لطاقات النضال فوقف أحمد عرابي أمام مجلس النواب مطالبا بإخلع الخديوى • ولكن

أعضاء المجلس لم يستجيبوا له ٠٠٠ البعض كان عاطفا على الخديوى
والبعض كان فى خشية الوقوع تحت حكم عسكري .

وطلب الخديوى عقد المجلس بصورة غير قانونية ، مطالبا بحله ، وهنا
استقال محمود سامى البارودى ، ورفض الوزراء الوطنيين الاستقالة حتى
يصدر مجلس النواب قراره بذلك ٠٠٠ ورفض كافة أعوان الخديوى تولى
رئاسة الوزارة ما دام الوطنيين فى قيادة الجيش .

واضطر الخديوى أمام هذا الموقف الى استبقاء محمود سامى البارودى
رئيسا للوزراء ٠٠ ليدبر مع انجلترا وفرنسا خطة أخرى قضت بحضور
بعض قطع الأسطولين الانجليزى والفرنسى الى الاسكندرية يوم ٢٠ مايو
١٨٨٢ وبعد خمسة أيام طلبت الدولتان من الخديوى رسميا فى مذكرة
٢٥ مايو الشهيرة ابعاد أحمد عرابى عن مصر وابعاد على فهمى وعبد العال
حلمى عن الجيش الى الريف واقالة محمود سامى البارودى .

قبل الخديوى هذه الطلبات وأعلن اقالة الوزارة بعد أن كانت قد
قدمت استقالتها يوم ٢٦ مايو على أساس قبول الخديوى للمذكرة ٠٠٠
وهنا تحركت قوات الجيش فأرسلت حامية الاسكندرية يوم ٢٧ مايو برقية
للخديوى ترفض موافقتها على الانذار وتعطيه مهلة ١٢ ساعة للتفكير .

وقد حدد عرابى موقفه فى أنه لا يعتبر استقالة الوزارة انتهاء لوجود
القوة الثورية وانحسارا لتأثيرها . وقد صرح بالضباط فى اجتماع عقد فى
٢٧ مايو بقشلاق عابدين « انه تنازل عن نظارة الجهادية ولم يتنازل عن
رئاسة الحزب الوطنى » . وأكد ذلك فى خطاب أرسله تلغرافيا لجميع
مراكز العسكرية قال فيه « اننى وإن كنت قد استعفيت من نظارة الجهادية
لكن لم أستعف من رئاسة الحزب الوطنى » .

وعقد كبار ضباط الجيش والبوليس فى القاهرة اجتماعات متعددة
لبحث الموقف على ضوء احتمالات التدخل الأوروبى . واجتمع كبارهم فى
قشلاق عابدين حيث تعاهدوا على الدفاع عن الوطن . وحضر هذا الاجتماع
الذى أقسم فيه المجتمعون على مصحف وسيف كل من عرابى وعبد العال
وطلبة عصمت ويعقوب سامى وعلى الروبى وعلى فهمى ومحمد عبيد
وعبد الغفار الزمر وحسن جاد وعلى يوسف ومحمود فهمى والبارودى .
كما حضره عمر وحمى وإبراهيم فوزى مأمور الفيلق . ويقال أيضا ان
عبد الوهاب قومندان البوليس قد حضره . وقام الشيخ محمد عبده بتلقين
الحاضرين يمينا من بين فقراته : « والله العظيم قاهر السماوات والأرض
اننى أنا فلان لا أخون وطنى ولا أخون نفسى ولا أغش أحدا من أهل بلادى
وأحافظ على عرضى وعلى دينى وعلى عرض أهالى بلادى ما دمت قادرا على

منعه ، واننى أحافظ على النظام وعلى القانون العسكرى بكل ما يمكنى ،
واذا حثت فى يمينى أكون مستحقا لقطع الرقبة وشق الصدر وأن أكون
محروما من مزايا الانسانية والآداب » . وذكرت جهات الأمن أنه قد ذكر
فى اليمين أن « يكون الضباط يدا واحدة وعصبة واحدة ولا يسمعون أوامر
من أحد الا اذا اتفقوا عليها » .

واستبد الذعر بالخدوى فلجأ الى سلطان باشا الذى حاول اقناع
الوطنيين بالطاعة فى نفس اليوم ، ولكن ردهم كان المطالبة بخلع الخديوى
الذى أصبح تابعا للدول الأجنبية . وقال أحد قائمقامات الجيش على حسب
رواية كرومر بأن « الضباط يمزقون عرابى اربا اذا هو تخلى عنهم » .
وكان هذا دليلا على ان جذور الحركة الوطنية قد ضربت بعمق فى صفوف
الجيش والشعب معا ، فقامت المظاهرات وعقدت الاجتماعات مطالبة بعزل
الخديوى وتثبيت عرابى والوزراء الوطنيين فى السلطة .

وارتبكت أفكار الخديوى فقرر اعادة عرابى ، وأصبح هو الوزير
الوحيد بلا وزارة . ثم استنجد بالبواب العالى الذى أرسل بعثة من
درويش باشا وشيخ السعيد قام الخديوى برشوهم بمبالغ مالية كبيرة ،
وطلبت البعثة من عرابى أن يذهب الى استانبول على وعد بأن ينال منصبا
كبيرا هناك .

وقضى عرابى قائلا (ان السلطة التى أتمتع بها الآن لم أقم باغتصابها
بل قلدى اياها الشعب ويتوجب على أن أنزل على ارادته وأعطى أذنا صاغية
لشكاويه) .

وعقب فشل مهمة البعثة بدأ تنفيذ خطة جديدة صاحب فكرتها
المعتمد البريطانى مالبت وهى اثارة اصطدامات داخلية تكون سببا فى تدخل
خارجى مسلح .

ويوم ١١ يونيو ١٨٨٢ استأجر مالطى كان فى خدمة القنصل
الانجليزى بالاسكندرية حوذا حملته الى احدى البحانات ، وعندما طالبه
بأجره حدثت بينهما مشادة أطلق فيها المالطى النار على الحوذى وظهر عدد
من الأجانب المشتبه فيهم فاطلقوا النار على الأهالى الهائجين . وفى توقيت
معلوم ظهر فريق من البدو كان الخديوى قد استأجرهم فشاع الاضطراب
فى الاسكندرية وقتل ١٤٠ مصريا و٥٠٠ أوروبا فى المدينة التى كان الأجانب
من المرابين والمضاربين والرأسماليين قد بدأوا يتدفقون عليها بعد بداية
الصائقة الاقتصادية الناجمة عن الديون .

ولكن عرابى استطاع السيطرة على الاضطرابات واعادة الهدوء الى
المدينة وانكشف أمر المدبرين ، وفشلت خطة التدخل .

وشقت هذه الحادثة المجتمع الى شقين ٠٠٠ الخديوى وكبار الملاك والأعيان فى جانب والقوى الوطنية من المدنيين والعسكريين فى جانب آخر .

وسار الخديوى الى الاسكندرية ومعه كبار الرجعيين والاقطاعيين مثل نوبار باشا ورياض باشا وانضم اليهم أيضا شريف باشا وسلطان باشا . . وهناك ألف الخديوى وزارة خاضعة فى الاسكندرية برئاسة راغب باشا . . بينما كانت القاهرة تحت سيطرة الوطنيين .

رُتبت خطة ثالثة للتدخل الأجنبى عندما قرر أحمد عرابى ترميم الحصون الساحلية عقب زيارة الأسطولين الانجليزى والفرنسى للاسكندرية، وأرسل الباب العالى يطلب وقف الترميمات ووجد الأميرال سيمور قائد الأسطول البريطانى فى ذلك فرصة للتدخل فأرسل انذارا الى رئيس حامية الاسكندرية يوم ٦ يوليو ١٨٨٢ مطالبا بوقف التحصينات ٠٠٠ وأجاب عرابى بأنهم يقومون بالترميم فقط دون اقامة أى تحصينات جديدة .

ومع ذلك قدم سيمور انذارا آخر يوم ١٠ يوليو مطالبا بتسليم التحصينات خلال ٢٤ ساعة ورفض عرابى ذلك رفضا باتا ٠٠٠ فأطلق سيمور مدافع أسطوله يوم ١١ يوليو على الاسكندرية فحولها الى أنقاض . . ومع ذلك ظل الخديوى وكبار الأعيان فى قصورهم بالضواحي بعد تحذير سيمور لهم فى الوقت المناسب ، وأصدر عرابى أمرا بانسحاب الحامية من المدينة المحترقة . . وغادروها معه آلاف السكان ٠٠٠ وبعد ٤ أيام احتل الانجليز المدينة المهجورة ٠٠٠ وكان ذلك ايذانا بالحملة البريطانية على مصر التى صوت مجلس العموم البريطانى على اعتماداتها يوم ٢٧ يوليو ١٨٨٢ تحت قيادة الجنرال ولسلى .

وطلب الخديوى من عرابى أن يوقف العمليات الحربية ضد الانجليز، ولكن عرابى رفض تنفيذ الأمر مخاطبا الشعب بأن حربا قد بدأت بين المصريين والبريطانيين المعتدين محذرا الخونة ٠٠٠ وأسرع الخديوى القابع فى الاسكندرية تحت حماية الغزاة باصدار أمر بعزل عرابى من وزارة الحربية يوم ٢٢ يوليو معلنا عصيانه .

وكان رد عرابى لجماهير الشعب يوم ٢٥ يوليو ١٨٨٢ بيانا قال فيه : ان الخديوى قريب الى الانجليز وكل ما يقوله يعود عليهم بالفائدة ٠٠٠ وهو يقوم بتضحية مصالح البلاد والشعب ٠٠٠ وأما فيما يتعلق بنا فنحن لا نتخل عن الشعب ما دام لنا قلب ينبض . . .

ونقل عرابى المعركة الى صفوف الشعب ٠٠٠ وتقدم آلاف المتطوعين من الفلاحين وسكان المدن مقدمين تبرعاتهم التى ساعدت على التسليح .

واعتبرت هذه الحركة امتدادا لنضال الشعب المصرى المسلح ضد الحملة الفرنسية . ثم غزو الانجليز للاسكندرية ورشيد عام ١٨٠٧ ، ولكن تميز هذه المرة بوجود قادة مصريين وعساكر نظاميين من العمال والفلاحين .

وتشكل (مجلس الطوارئ) من العلماء والمشايخ والأعيان ، ولكن بعضهم كان مترددا بين الولاء للخديوى وبين الاندفاع مع التيار الوطنى ، وذهب بعضهم الى الخديوى فى الاسكندرية . . وتشكل أيضا (المجلس الحربى) من الضباط الوطنيين .

وأعدت خطة الدفاع عن الشمال اعدادا تاما أعجز الانجليز عن التقدم عند كفر الدوار . . وأعد رئيس أركان حرب الجيش محمود فهمى خطة أخرى للدفاع عن الشرق تقضى بتعطيل قناة السويس وسد ترعة الاسماعيلية ولكن فرديناند دى ليسبس فزع من هذه الخطة حرصا على أرباحه وتأمره مع الغزاة فتعهد لعرابى بأنه سوف لا يسمح للقوات الانجليزية بالنزول فى منطقة القناة . . وقبل عرابى منه هذا التعهد .

وكانت هذه غلطته الأولى حربيا وسياسيا .

ونزلت القوات البريطانية فى السويس يوم ٢ أغسطس ١٨٨٢ ثم قاموا بعملية انزال فى بور سعيد والاسماعيلية يوم ٢٠ أغسطس رغم وعود دى ليسبس وبدأوا بتنظيم القوات استعدادا للمعركة الحاسمة .

وحدثت موقعة التل الكبير يوم ١٢ سبتمبر ١٨٨٢ بهجوم بريطانى مفاجئ لاذ البدو بعده بالفرار ورموا عرابى بالحجارة .

وهرع عرابى الى القاهرة حيث عقد (مجلس الطوارئ) مصرا على مواصلة النضال ، مقترحا تشييد تحصينات حول العاصمة ، مقترحا اغراق الوادى حول القاهرة ، وأيده فى ذلك عبد العال حلمى وعبد الله النديم ومحمود سامى البارودى ، ولكن كبار الملاك والأعيان صوتوا من أجل الاستسلام وخضع عرابى لهذا القرار . . . رغم وجود قوات الجيش المصرى سليمة فى الشمال .

وكانت هذه هي غلطة عرابى الثانية والأخيرة . . . فقد استسلم للبريطانيين على مشارف القاهرة يوم ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ ، نتيجة لخيانة شيوخ البدو وأعيان القاهرة .

وهكذا طويت صفحة مضيئة من صفحات نضال الشعب المصرى ، بعد أن تكالبت عليه بريطانيا كما تكالبت الدول العظمى على محمد على من قبل ٤٢ عاما فقط .

ولكن هناك فرقا في الحالتين ..

محمد علي لم يكن مصريا صميما - قال ابنه ابراهيم « غيرتنا شمس مصر وصهرتنا » - ولم يعتمد الا على الارستقراطية والبرجوازية التي كانت موجودة أو خلقها بهباته من الأرض للمماليك والالبانيين .. كما لم يطور النظم والمجالس التي كونها نابليون .. ولم ينقل من ديموقراطية أوروبا وفكرها السياسى مثلما نقل علومها وصناعاتها .. كما أن غزواته أثارت ضده شعوب الدول المقهورة ومهدت ضده مؤامرات الدول الاستعمارية الكبرى التي وجدت فيه خطرا تابعا من الشرق .

أما أحمد عرابى فكان مصريا صميما .. أقرب الزعماء في تاريخ مصر الحديث الى قلوب الفلاحين وأول قائد لجيش كامل من المصريين ... وأول ثائر تتجمع حوله الجماهير من العساكر والمدنيين بما استثابه فيها من همة وحماسة ... وهو في حركته كان يستلهم أفكار الثورة الفرنسية الديموقراطية ، ويحاول أن ينسج بين الشعب والجيش .. وإن كان قد فاته ادراك التناقضات الاجتماعية العميقة التي ظهرت في المجتمع مع ظهور البرجوازية المصرية .. والتي خلفت لحركته أعداء طبقيين يرون خطرا كبيرا في اطلاق ارادة الفلاحين والبرجوازية الوطنية الصغيرة والبروليتاريا الناشئة ... كما انه لم تتوافر لأحمد عرابى النظرة العلمية الشاملة التي تجعله يحسن تصنيف الأصدقاء والأعداء فخذه دى ليسبس وخضع لأصوات أعيان القاهرة .

وثورة عرابى لم تحصر في دائرة التناقضات القائمة بين الضباط المصريين والشراكسة ولكنها امتدت الى رحاب الشعب فكانت انعكاسا لما هو قائم في المجتمع من فروق طبقية وقهر اجتماعى بين الفلاحين والاقطاعيين وأغلبهم من الأجانب والمرايين والشراكسة .

وهزيمة ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ أدت الى نتائج وخيمة للحركة الشعبية وللقوى الوطنية في الجيش .

الفصل الثالث

الجيش المصرى ٠٠ تحت الاحتلال البريطانى

(من الحكمة ألا نمكن العدو من رقابنا
وأنا لا أود أن يدخل ضباط الجيش
فى حركتنا السياسية) ٠٠

مصطفى كامل

أصدر الخديوى توفيق يوم ١٩ سبتمبر ١٨٨٢ مرسوما من جملة
واحدة (تسريح الجيش المصرى) ٠٠ وعاد الخديوى الى القاهرة فى حماية
القوات البريطانية ليتابع اصدار قراراته بتجريد جميع الضباط من رتبة
يوزباشى فما دون الذين اشتركوا فى الثورة العربية من رتبهم وحرمانهم من
المعاش ، وتقديم أعداد كبيرة من الرتب الكبيرة للمحاكمة ، بعد اعتقال
٣٠٠٠ شخص ، وفرض المحتلون تعويضات على الشعب المصرى قيمتها
٩ ملايين جنيه استرلينى ٠

واختار الخديوى توفيق (السير فلانتين بيكر) لتنظيم جيش مصرى
جديد ٠٠ وعين (السير ايفلين وود) قائد جيش الاحتلال ليكون قائدا عاما
للجيش المصرى الذى تقرر أن يهبط عدده ليكون ٦٠٠٠ جندى ٠
وتبع ذلك خطوات أخرى اذ أغلقت كل المدارس الحربية عدا واحدة ،
وأغلقت ترسانات الأسلحة والمدوسة البحرية ، وعطلت الترسانة البحرية ،
وبيعت السفن الحربية ٠

وفي بداية عام ١٨٨٣ كان هناك ٢٥ ضابطا بريطانيا يتولون المناصب القيادية في الجيش المصري ، أما صفار الضباط فكانوا يختارون من الأسر الموالية للانجليز والخبديوى .

وفي ديسمبر ١٨٨٢ حوكم عرابى وصدر الحكم باعدامه هو وأنصاره ، ولكن دوفرين سفير إنجلترا في تركيا الذى كان قد حضر للتنكيل بالمشاركين في الدفاع عن الاستقلال الوطنى قرر استبدال الاعدام بنفيه هو وسبعة من زملائه نفيا مؤبدا الى سيلان . مدركا ان اعدام أحمد عرابى يمكن أن يؤدى الى انتفاضة شعبية أخرى .

ودخل العسكريون المصريون فى مرحلة جديدة ، لم تعد لهم فيها القيادة وأدخل الاحتلال نظام (البديل النقدي) عام ١٨٨٦ ليصبح التجنيد فى الجيش قاصرا على الفقراء ، ويعفى منه أبناء الضباط ورجال الدين وموظفو الحكومة وطلبة المعاهد الدينية مما أدى الى زيادة الفارق الطبقي بين الجنود والضباط ، كما عمل على قتل روح الجندية فى جماهير الشعب . وكان الجيش المصرى عند وقوع الاحتلال موزعا بين مصر والسودان وكانت ثورة المهدي مشتعلة هناك ، وناور الاحتلال البريطانى أولا بعدم امداد الجيش فى السودان بأية امدادات ثم تعيين ضابط بريطانى هو الجنرال هكس ليقود الجيش هناك خلفا لعبد القادر باشا حلمى وذلك بناء على طلب من رئيس الوزراء شريف باشا .

وأخيرا انتهز الاحتلال فرصة اشتعال الثورة المهدية ليتخلص من الجنود والضباط المصريين الذين اشتركوا فى الثورة العربية ، فأقاموا معسكرا للتدريب فى القناطر الخيرية جمعوا فيه بقايا جيش عرابى المنحل . وأرسلوا ٥٠٠٠ جندي الى الخرطوم وارتفع العدد عندما وصل هكس باشا يوم ٧ مارس ١٨٨٣ ليصبح حوالى ١٣٠٠٠ جندي .

ولكن الجنود الذين أرسلوا الى السودان كانت فى قلوبهم مرارة شديدة لشعورهم بأن بلادهم محتلة ، ولاحساسهم بأنهم انما يرسلون الى هناك للتخلص منهم ، وذلك كما ورد فى تقرير كتبه كولونيل ستيوارت الذى أرسلته الحكومة البريطانية الى السودان لتقديم تقرير عن الحالة .

وقد وقعت الكارثة التى رسمها الاحتلال عندما خرج الجنرال هكس (باشا) يوم ٨ سبتمبر فى حملته التعيسه لمهاجمة كردفان فلما وصل الى غابة شيكان فوجئ بالدراويز يحاصرونه من كل جانب بينما كان جنوده قد أنهكهم التعب والجوع والعطش وأبسد الجيش الذى تجاوز عدده ١٠٠٠٠ جندي عن آخره ولم ينج منه سوى ضابطين برتبة الملازم وثلاثمائة جندي معظمهم من الجرحى .

نمت هذه الكارثة بذور الريبة في موقف الحكومة البريطانية التي نادت أولا بعدم التدخل التي ساندت الجنرال هكس باشا في اعداد حملته على كردفان رغم تحذير الكولونيل ستيوارت من خطرها في تقرير رسمي .

واكتملت ابعاد هذه الخطة بعد مصرع آلاف من جنود الجيش المصرى عندما نصحت الحكومة البريطانية مصر باخلاء السودان .
ورفض شريف باشا .

وهنا ارسل اللورد جرانفيل وزير المستعمرات برقية في يناير ١٨٨٤ تفيد بأن من لا يريد اتباع نصائح الاحتلال فعليه أن يتخلى عن منصبه واستقال شريف باشا في ٧ يناير ١٨٨٤ قائلا (اذا تركنا السودان فالسودان لن يتركنا) .

وجاءت وزارة نوبار باشا يوم ١٠ يناير خاضعة للاحتلال البريطانى ساجدة لأوامره مصدرة تعليماتها باخلاء السودان وترحيل الموظفين وسحب الحاميات المصرية التي بلغت ٢٥٠٠٠ جندي وصدر مرسوم في ١٥ يناير بالحاق ادارة السودان بوزارة الحربية بدلا من رئاسة الوزراء .

كان المستهدف هو افساء الجيش المصرى أولا ثم انسحاب مصر من السودان ثانيا .

ولذا لم تقف الكارثة عند حدود معركة (شيكان) فقط ، وانما امتدت لتشمل تدبيرا بريطانيا قضى باعلانهم استقلال السودان عن مصر في مقابل تعيين غوردون حاكما عاما للسودان .

ووصل غوردون يوم ١٨ فبراير ١٨٨٤ الى الخرطوم ، وأعلن استقلال السودان وعين المهدي سلطانا على مديرية كردفان ، محتفظا لنفسه بمنصب الحاكم العام ، ، وقام بالغاء جميع الضرائب المتأخرة ، وأعلن العفو عن المسجونين الذين تأخروا عن دفعها ٠٠٠ الا أن المهديين اكتشفوا هذه المناورة البريطانية ، ولم يكن في نيتهم تقديم السودان للسلطة الانجليزية .

وعندما فشلت هذه الخديعة تقرر تكليف غوردون بتدبير عملية انسحاب المصريين مدنيين وعسكريين من السودان ، ولكن دون أن تصله أية قوات لتأمين عملية الانسحاب ٠٠٠ الجنرال ولسلي وهو الجنرال الذي فتح مصر وقاد جيشا من ٧٠٠٠ جندي ولم يصل الى الخرطوم .

وفي ذلك قال غوردون (لقد عينت لاخلاء السودان وليس للهرب من الخرطوم) وترك الحاميات الأخرى في جميع المواقع تواجه مصيرها ٠٠٠ واعتبر التخلي عن هذه الحاميات عارا لا يحى .

ثورة يوليو ج ١ - ٥٦

وفي ٢٣ يناير ١٨٨٥ توقفت الخرطوم المحاصرة عن المقاومة ، واحتلها الثوار المهديون وقتل غوردون والانجليز الذين كانوا معه أثناء اقتحام المدينة .

وتركت الحاميات الأخرى تواجه مصيرها قبل سقوط الخرطوم ويعسدها .

وكان من نتيجة موقف الحكومة البريطانية أن أيبى أكثر من ٣٣.٠٠٠ جندي مصري من حاميات المدن السودانية المختلفة وأثناء سقوط الخرطوم وكسلا وسنار خلال عامي ١٨٨٤ ، ١٨٨٥ .

نفذت الخطة الاستعمارية لإبادة الجيش المصري في مصر والسودان لضرب الحركة الوطنية التي تولدت فيه ، ووقف نموها ٠٠٠ وكان انتصار ثورة المهدي عام ١٨٨٥ قد طوى صفحة الجيش المصري في السودان الى حين . وبدأ الاستعمار البريطاني مناوئاته لتحويل الاحتلال المؤقت الى احتلال دائم عن طريق الماطلة ، حتى عقدت في ٨ ابريل ١٩٠٤ اتفاقية بين فرنسا وانجلترا ، انطوت على نص يقضى بأن الحكومة البريطانية ليس في نيتها تغيير الوضع السياسي في مصر مما يطلق يدها في مصر ويد فرنسا في مراكش .

وقبل هذه المعاهدة وخلال ثمانينيات القرن الثامن عشر ، وبعد الضربة الشديدة التي وجهت للقضاء على الجيش المصري واعتقال ٣٠.٠٠٠ مصري بعد قمع الثورة العربية غابت الحركة الوطنية المنظمة ، وقضت كوادد الوطنيين أو مارسوا نشاطا سريا .

ولكن لم تكد تسعينيات القرن تهبط حتى نشط مثقفو البرجوازية الوطنية المصرية بعد وفاة الخديوي توفيق وتعيين ابنه عباس حلمي الثاني الذي حكم مصر في يناير ١٨٩٢ وهو في الثامنة عشرة من عمره وبرز في هذه الفترة الشيخ محمد عبده الذي سعى الى تطوير الشريعة الاسلامية بما يتناسب مع العصر ، وناضل ضد قترك السكان العرب في الامبراطورية العثمانية داعيا الى بحث اللغة العربية الفصحى ، وعبد الرحمن الكواكبي (١٨٤٩ - ١٩٠٣) المولود في حلب والذي هاجم الاستبداد في كتبه ودافع عن الفقراء والبؤساء واستنكر التعصب الديني ودعا الى تكوين دولة عربية واحدة ، واضعا الوطن فوق الدين والوطنية فوق الخلافات الدينية ٠٠٠ ومصطفى كامل الذي كون حلقة من الشباب وهو ما زال تلميذا ، وطالب بإبعاد الانجليز عن مصر ، ففتحت له الأبواب في فرنسا .

وكان مثقفو البرجوازية المصرية لا يؤمنون بإمكانية الحركة المثقفة الجماهيرية في هذه المرحلة ، تأثرا منهم بتكسة الاحتلال ، ولذا وجهوا

اهتمامهم في الحصول على التحرر الوطنى الى محاولة استغلال التناقضات بين الدول الامبريالية وخاصة انجلترا وفرنسا ٠٠ واتجه مصطفى كامل أيضا الى اعتبار التثقيف والدعاية وسيلة أخرى من وسائل التحرر الوطنى. وذلك بعد أن أجهده السعى وراء المتناقضات ٠

ولكن الخديوى عباس الثانى له وجهة نظر فى الجيش عبر عنها بقوله « انه الأداة الوحيدة القادرة على ضمان الحريات الوطنية) ٠٠ ولذا فقد ربط نفسه به وأظهر اهتماما شديدا باصلاحه ٠٠٠ كان يلبس الملابس العسكرية ويزور الوحدات ويحضر التدريب والمناورات ويرعى حالة الجنود والضباط مما جعل قوات الجيش تتعلق به على عكس والده ٠

وانتهز الخديوى فرصة سفر كرومر الى انجلترا وعين محمد ماهر باشا وكيلًا لنظارة (وزارة) الحربية ، واعتبر هذا الاجراء بداية المتاعب ، فقد أخذ ماهر باشا يحدد سلطة كتشنر سردار الجيش ، ووافق الخديوى في زيارة تفتيشية مع كتشنر عند حدود مصر الجنوبية ، حيث أكثر الخديوى من انتقاد العيوب وخاصة التى لمسها فى تصرفات الضباط البريطانيين قائلا للجنرال كتشنر عقب استعراض فى وادى حلقة « انه من العار - فى رايه - أن يكون الجيش المصرى على هذه الدرجة من عدم الكفاءة » ٠

وقدم كتشنر استقالته وأرسل الى كرومر بما حدث فأصر على أن ينقل الخديوى محمد ماهر باشا من (نظارة) الحربية ، تحت التهديد بوضع الجيش المصرى تحت سلطة الحكومة البريطانية رأسا ٠٠ وقد خضع الخديوى عباس للانذار ووجه الى السردار خطابا ثمر فى الجريدة الرسمية يبدى الرضى عن حالة الجيش ، ويسجل للضباط البريطانيين خدماتهم فيه ٠٠ وبعد أيام نقل محمد ماهر باشا محافظا الى بور سعيد ٠

كان هذا الموقف نقطة تحول فى تاريخ الجيش ٠٠٠ فبعد أن كان الخديوى تولى يأتى موقفا معاديا من رجاله ويلقى بنفسه فى أحضان الانجليز ٠٠٠ اذا بالخديوى عباس يحاول أن يأخذ موقفا معاديا من الانجليز ويلقى بنفسه فى أحضان الجيش ٠

ولكن خضوع الخديوى لانذار كرومر أضعف من نبت الحركة الوطنية فى الجيش التى انتعشت بالأمل ٠٠٠ ولكنها لم تدبل تماما ٠٠٠ تكونت فى صفوف الضباط جمعية سرية اسمها (جمعية المودة السرية) من الضباط الموالين للخديوى لتزويده بالإنباء والأخبار ٠

واتخذ البريطانيون موقفا أكثر تشددا في تعيينات الضباط المصريين وترقياتهم ؛ وبدأوا بتعيين ادوارد زهراب باشا وكيلا للحربية وكان ولاؤه للإنجليز كما يقول ملتر (أمر لا يحتمل المناقشة) .

وهنا خلقت الظروف موقفا وضع الجيش المصرى أمام مسئولية جديدة .

كانت خطة الاستعمار البريطانى لإبادة الجيش المصرى وإبعاده عن السودان قد تحققت . . . وأراد الاستعمار بذلك أن يكسب السودان صفة الدولة التى لا يستعمرها أحد فى إفريقيا لمدة سنوات مما يبعد صلته عن مصر ، ويضعف العلاقات الشعبية الوثيقة بينهما . . . ثم يهجم الاستعمار البريطانى عليه من الجنوب . . . من كينيا وأوغندا ليحتله بقواته ويصبح مستعمرة بريطانية كاملة لا صلة لها بمصر .

كان الاستعمار البريطانى يريد أن يقيم (عازلا زمنيا) به مصر والسودان .

ولكن عاملا هاما لم يكن قد دخل فى حسابات الخطة البريطانية انقض عليها ، فغيرها تغييرا كاملا .

إعادة تكوين الجيش المصرى :

تسابت الدول الاستعمارية على اقتطاع أطراف السودان والتوغل فى أرضه على حساب حكومة الخليفة عبد الله التعايشى الضعيفة . وكانت فرنسا تزحف على إفريقيا من الغرب ولما كان السودان بعد عام ١٨٨٥ يعتبر دولة مستقلة فأنها قررت أن تحتله وزحفت عليه بعثة وإرشان حتى وصلت حدوده عام ١٨٩٨ .

وحدث سبب مباشر عند هزيمة الايطاليين فى موقعة عدوة أول مارس ١٨٩٦ على أيدي الأحباش ، وتهديد الدراويش السودانيين لكسلا التى كان الايطاليون قد أدخلوها بصفة مؤقتة عام ١٨٩٤ . . . وطلب الحكومة الإيطالية من الحكومة البريطانية أن يهاجم الجيش المصرى الدراويش فى دنقلة للتخفيف من الضغط عليهم .

ولم يجد الاستعمار البريطانى أمام هذه الظروف المتغيرة من سبيل إلا إعادة تكوين جيش مصرى لدخول السودان .

واتخذت الحكومة البريطانية قرارها فى ١٢ مارس ١٨٩٦ باسترجاع دنقلة ، وكان فى هذا نقطة تحول عن سياسة إنشاء جيش مصرى صغير للأعمال البوليسية ، الى إنشاء جيش محارب قادر على خوض المعارك .

لم يكن قد مضى على حل الجيش المصرى فى مصر الا ١٤ عاما ٠٠ ولم يكن قد مضى على الابادة المتعمدة للجيش المصرى فى السودان الا ١١ عاما ٠٠٠ وبدأ تكوين جيش مصرى جديد ٠

وكان الاستعمار البريطانى يعتمد فى ضمان بقائه بمصر على وجود جيش الاحتلال ، وقيادة الضباط البريطانيين للجيش المصرى الجديد ٠ وزاد عدد الجيش المصرى حتى بلغ ١٨٠٠٠ جندي عند بدء حملة دنقلة وبدأت عملية استرداد السودان تحت قيادة كتشنر سردار الجيش المصرى ٠

كان هجوم البريطانيين على السودان من كينيا وأوغندا متعذرا فى هذا الوقت الضيق لطروف طبيعية ٠٠٠ كما أن دخول السودان بالجيش المصرى كان يعطى للغزو سنداً قانونياً أمام فرنسا التى كانت قواتها قد احتلت (فاشودة) غرب السودان ٠

دخل كتشنر (أم درمان) عاصمة المهديين فى سبتمبر ١٨٩٨ مستخدماً الرشاشات كسلاح جديد ، فأصيب جيش المهدي بخسارة فادحة بلغت ٢٠ ألفا وانسحب الجيش الى كردفان ٠ وعن هذه المعركة قال الكولونيل مساعد كتشنر : كانت تحركات المهديين دائماً الى الأمام تحت وابل رصاصنا ليلاقوا الموت المحتم وجها لوجه ٠ وبعد المعركة التى سجلنا فيها انتصارنا كانت جثث قتلاهم بثيابها البيضاء تغطي ساحة القتال كما تغطيها الثلوج ، ولم يقتف أثر المهديين ولكنه اتجه الى (فاشودة) حيث التقت القوات البريطانية وجها لوجه مع القوات الفرنسية ، وحدثت أزمة (فاشودة العالمية) المعروفة والتى قال لينين عنها : كانت انجلترا على شفا الحرب مع فرنسا ، وانتهى الأمر بينهما الى توقيع اتفاق ٨ ابريل ١٩٠٤ تعهد فيه فرنسا بعدم معارضة النفوذ البريطانى فى مصر أو تحديد موعد لجلاء قواتها عنه ٠ كما تعترف بريطانيا بسيادة فرنسا على المغرب ٠

ولكن عندما لم يحدث اذ حسمت المشكلة على أساس توازن القوى وبعد مفاوضات طويلة أمرت الحكومة الفرنسية (مارشان) بالتراجع يوم ٤ نوفمبر ١٨٩٨ عن (فاشودة) ، ووقعت فى مارس ١٨٩٩ اتفاقية انجليزية فرنسية لتوزيع مناطق النفوذ فى افريقيا ٠

وتم استرداد السودان فى ٢٤ نوفمبر ١٨٩٩ بعد حرب امتدت أكثر من ثلاث سنوات خاضها الجيش المصرى ٠

وبعد استرداد السودان وأجه الاستعمار البريطانى مرة أخرى مشكلة وجود جيش مصرى ، بدأت تنتشر فى صفوفه أفكار الحركة الوطنية التى

كانت قد انتعشت في صفوف الجماهير وبين المثقفين في التسعينيات من القرن التاسع عشر .

ولم تجد الحكومة البريطانية مبررا يدفعها الى إلغاء الجيش المصري مرة أخرى ٠٠ كما فعلت في بداية الاحتلال ٠٠٠ ولكنها أبقت معظم الجيش الذي بلغ في مطلع القرن العشرين عددا يتراوح بين ٢٠ ألفا ، ٢٥ ألفا في السودان لعدة أسباب أهمها :

١ - إبعاد الجيش المصري الذي استرد ثقته بنفسه عن قاعدته الجماهيرية - على حد تعبير كرومر .

٢ - إطلاق الأمر لجيش الاحتلال في مصر دون منازع .

٣ - تثبيت الأمن بالسودان .

٤ - وجود الجيش المصري في السودان أعفى الحكومة البريطانية كذلك من تواجد جيش كبير للاحتلال . وقد احتلت وحداتهم مواقع استراتيجية هامة مثل القلعة والعباسية وقصر النيل بالقاهرة . ومصطفى باشا ورأس التين بالاسكندرية .

وكان استرداد السودان وتوقيع اتفاقية ١٨٩٩ للحكم الثنائي المصري البريطاني وهي الاتفاقية التي وقعها بطرس غالى عن مصر ولورد كرومر عن بريطانيا ، والتي جاء في مقدمتها أن الأسباب التي دعت الى الحكم الثنائي هي أن مصر حكمت السودان حكما سيئا مما أدى الى ضياعه (وموافقة) الحكومة المصرية على السماح لانجلترا بإدارة السودان لقاء المعونة التي قدمتها الى مصر في السودان .

ولا شك أن هذه الاتفاقية التي فرضت على مصر ، كانت (اتفاقية اذعان) أطلق عليها الناس اسم (الاتفاقية المشنومة) .

أصبح الحاكم العام البريطاني هو السلطة العليا في السودان تتجمع في يده جميع السلطات المدنية والعسكرية والتنفيذية والتشريعية . وبدأت الحكومة البريطانية ترسم سياسة جديدة نحو الجيش المصري .

قررت تجريد الضباط والجنود المصريين والسودانيين في السودان من الأسلحة والخيرة بواسطة الجنرال مكسويل نائب الحاكم العام ٠٠٠ وكان أن تمردت بعض الوحدات ، فسجن الضباط المتهمون بالتحريض وحوكموا ثم طرد منهم سبعة من خدمة الجيش وأحيل واحد الى المعاش وآخر للاستيداع .

وأراد كرومر أن يستغل هذا الحادث لاهانة الخديوى وتحقيره أمام المتعاطفين معه فى الجيش ، فطلب منه احضار المحكوم عليهم وتوبيخهم ، ليضعه فى موقف حرج سواء بالرفض أو القبول ٠٠٠ وقد قبل الخديوى ذلك ، واحضر المحكوم عليهم ووبخهم وأعلن تأييده للسردار ونجت باشا .

وقررت الحكومة البريطانية أيضا انقاص الوحدات المصرية البحتة فى الجيش وزيادة الوحدات السودانية ، وألقوا (أورطين) كتيبتي مشاة ، وسرحوا المدفعية ، وخفض عدد (الأورطة) الكتيبة المصرية الى ٦٠٠ جندي بدلا من ٨٠٠ جندي للكتيبة السودانية ، ونقص عدد الضباط المصريين فى الوحدات السودانية الى العشر .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل شنت الجيش المصرى فى السودان الى حاميات صغيرة مبعثرة فى المدن البعيدة ، بينما تركزت الحامية البريطانية فى الخرطوم .

وهكذا ضمّر الجيش المصرى بعد أن أدى واجبه فى استرداد السودان ٠٠٠ وأخذ الاحتلال البريطانى يكلف وحداته بواجبات تعميرية مدنية .

ولما كان هناك نقص شديد فى الصناع المهرة بالسودان فقد استصدر اللورد كتشنر أمرا خديويا يقضى بتجنيد أبناء القاهرة والاسكندرية ، وكان ذلك موقوفا منذ بدء الاحتلال منعا لتسرب الأفكار الحضارية فى المدن الى صفوف الجيش ، وهكذا تضاعف عدد الصناع فى السودان عدة مرات .

وقام الجيش المصرى بدور حضارى فى السودان ٠٠٠ أنشأ طرق السكك الحديدية فى ظروف بالغة القسوة والصعوبة ٠٠٠ قال اللورد كرومر انهم مدوا ٣٢٥ ميلا من خطوط السكة الحديد خلال ١٤ شهرا ٠٠٠ وقال أحد الضباط المصريين (انه توجد تحت كل شبر منها جثة جندي مصرى) .

وكثير من منشئات السودان فى المدن المختلفة بنيت بواسطة الوحدات المصرية حتى أصبح ذلك طابعا للجيش ، وهدفا يقصد به صرفه عن التدريب والتماسك ٠٠٠ وعندما فكر الرئيس السابق اللواء محمد نجيب فى دخول المدرسة الحربية ، قال له ابراهيم عرابى بن أحمد عرابى وكان مقيما فى السودان ، وهو يحاول أن يثنيه عن عزمه (يابنى ٠٠٠ ان الضباط فى بلد محتل ليس سوى مقاول عمال أو رئيس فعله ولا يتعدى عمله الحفر والردم) .

وكان كلام ابراهيم عرابى صحيحا الى حد ما ٠٠٠ فقط روى لى محمد نجيب ان أول عمل كلف به عقب تخرجه كان تمهيد بعض الطرق فى السودان .

بعد أن استقرت الأحوال نوعاً ما صدر قانون القرعة العسكرية - التجنيد - عام ١٩٠٢ بعد أن تلاشت الحاجة لأي قوات مصرية من وجهة نظر المصالح البريطانية ، ولذا فقد تضمن اعفاء كل العناصر ذات الفعالية أو التأثير في الاتجاهات الوطنية لمكافحة الاستعمار ، حتى تظل بفيضة عن الجيش .

أعفى أبناء العمد والمشايخ وموظفي الحكومة والعلماء وطلبة الأزهر وطلبة الجامعة وأبناء واخوة ضباط الجيش .

انخفض بذلك مستوى المجندين ومستوى الجيش بالتالي .

استمر العمل بهذا القانون حتى ١٩٤٧ أي ٤٥ عاما متصلة .

وخلال السنوات الأولى للحكم الثنائي في السودان قامت عدة انتفاضات شعبية لم يذكر السير (الدون جورست) الحاكم العام شيئا عن دور الجيش المصري في قمعها ، مشيراً فقط إلى القوات البريطانية والسودانية ٠٠٠ وإذا صح ذلك فإنه يشير إلى خشية الاحتلال من تحريك الجيش المصري حركة عسكرية في مواجهة انتفاضة شعبية خشية حدوث التحام بينهما ، وخاصة أن ضباط الجيش كانوا ما زالوا يتذكرون انتفاضة عرابي ، ويقرأون سرا كلمات الزعماء والمثقفين في مصر مثل محمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي ومصطفى كامل وغيرهم .

وكان الاتجاه السائد في الرأي العام المصري هو الاستفادة من التناقضات الدولية ، والنضال ضد قوات الاحتلال البريطانية باعتبار مصر تحت السيادة الشرعية التركية .

وقد تعرض الجيش المصري عام ١٩٠٦ لموقف شديد الحرج عندما أرادت الحكومة العثمانية أن تمد خط سكة حديد الحجاز من معان إلى العقبة ثم إلى قناة السويس ، وما يستتبعه ذلك من ضرورة اقتطاع جزء من سيناء .

وعندما وجدت قوات الاحتلال أن ذلك يهدد قواتها البحرية في البحر الأحمر أرسلت قوة مصرية صغيرة يقودها مصري هو الأميرالاي سعد رفعت لاحتلال بلدة « كابا » التي تقع على بعد ٨ أميال برا من قلعة العقبة ، ولكنها عندما وصلت وجدت أن القوات التركية قد احتلتها ، وأصبح الموقف يهدد بمواجهة عسكرية بين القوتين .

كان موقف الجيش المصري غريباً في هذه الأزمة التي تتنازع فيها الأرض المصرية دولتان أجنبيتان هما تركيا صاحبة السيادة الشرعية وإنجلترا صاحبة قوات الاحتلال .

ولكن الرأي العام المصرى انجذب الى السلطان الذى كان اسمه يذكر
فى خطب الجمعة بالمساجد ويدعى له بالنصر . . . وناقشت الصحف صراحة
احتمال تمرد الجيش المصرى والضمamah للقوات العثمانية باعتبارها قوات
اسلامية لا يجوز معاداتها .

ووجدت قوات الاحتلال البريطانى انها فى مأزق يهددها بتمرد الجيش
فسارعت بزيادة الحامية البريطانية واستدعت قوات هندية للدفاع عن
قناة السويس ، ونشرت الصحف البريطانية مقالات تثير بها الشك فى ولاء
ضباط وجنود الجيش المصرى ، ونشرت جريدة (ديل اكسپريس) تصف
الضباط الشبان بانهم مصر خطر لصلتهم بالضباط الاكبر سنا او المتقاعدين
وانهم جميعا يعتبرون خطرا فى حالة الغلق القائمة فى ذلك الوقت .

وكان فى حديث الصحيفة البريطانية اشارة غير مباشرة الى أن قوات
الاحتلال كانت تختار صفار الضباط من ذوى الولاء لقبول الاحتلال دون
معارضة .

وأصبح مؤكدا أن قوات الاحتلال لم تعد تنق فى ولاء الجيش المصرى .
كما انها فطنت الى أن الرأي العام المصرى يلعب على التناقض القائم بينهم
وبين الدولة العثمانية . . . فكانت النتيجة هى زيادة الحامية البريطانية ،
ووقوع حادثة دنشواى بعد شهر واحد من أزمة (طابا) التى انتهت بتفادى
القتال .

ورافق هذه الحادثة نشاط عربى فى تركيا ، اذ كونت الجالية العربية
فى القسطنطينية منظمة عربية جماهيرية فى ٢ سبتمبر ١٩٠٨ باسم
(الاخاء العربى العثمانى) رأسها ضابط سابق لأركان حرب التركى اسمه
صادق باشا العظم مرتبطا بجمعية (تركيا الفتاة) .

ولكن انتخابات البرلمان التركى فى ذلك العام وبرنامج جمعية
(تركيا الفتاة) الذى نشر فى أواخر هذا العام ، قد أزل ضربة حاسمة
بالأوهام التى كونها القوميون العرب حول تركيا الفتاة .

كان تعداد الأتراك ٧٥ مليون وتعداد العرب ١٠٥ مليون من مجموع
٢٢ مليون نسمة هم مجموع سكان الامبراطورية العثمانية فى ذلك الوقت .

وتكونت جمعية سرية أخرى عام ١٩١١ باسم (الجمعية العربية
الفتاة) فى باديس لعبت دورا كبيرا فى تاريخ الحركة الوطنية العربية ،
حيث أعدت برنامجا يقوم على أساس الاستقلال العربى ومحاولة توحيد
الحركات العربية المختلفة .

.. وفى نفس العام قامت الحرب الايطالية العثمانية (١٩١١ - ١٩١٤)
حيث بدأت ايطاليا يوم ٣٠ سبتمبر ١٩١١ تستولى على الساحل الليبى

وأوقف الاحتلال البريطاني الترقية الى رتب الضباط بين ضباط الصف ، وأغلق بذلك الباب أمام الفلاحين والفقراء وحال بينهم وبين الوصول الى المراتب القيادية كما حدث مع أحمد عرابي ٠٠٠ وبدأت الفروق الطبقية تظهر بطريقة حادة في صفوف الجيش ٠٠٠ الضباط كانوا يختارون اما من أبناء الضباط واما من أبناء العائلات الكبيرة الفاشلة في التعليم دون التقيد بشهادة مدرسية حتى صدر قانون ١٩٢٨ الذي يقصر دخول المدرسة الحربية على خريجي المدارس الثانوية ٠٠٠ اما الجنود فكانوا من أفقر عائلات مصر .

وعادت من جديد حدود الترقية الى الرتب العليا ٠٠٠ المصريون لا يرقون أكثر من رتبة الأميرالاي ، والسودانيون لا يتجاوزون رتبة الصاغ ، بينما البريطانيون يبدأون من رتبة اليوزباشي الى أعلى رتب الجيش .

وحدث خلال هذه الفترة انحسار حقيقي في حالة الجيش ٠٠٠ تدريباً وتسليحاً وعدداً ٠٠ وارتباطاً بالحركة الوطنية . أيضاً فقد كان البريطانيون يختارون الضباط خلال ثقب اختيار ضيقة ، ويحاولون أن يجتذبوهم الى نموذج الحياة البريطانية وتقاليدها مما يعزلهم تدريجياً عن مجتمعهم .

وعندما نشبت الحرب العالمية الأولى وكانت تركيا ما زالت في مرحلة الحياد ، ضغطت الحكومة البريطانية على الحكومة المصرية لمنع اتخاذها قراراً بالحياد وأصدرت قراراً في ٥ أغسطس ١٩١٤ يقضى بمنع التعامل مع ألمانيا ورعاياها ومنع السفن المصرية من الوقوف في أي ثغر ألماني ٠٠٠ ولما نشبت الحرب بين إنجلترا وتركيا فرضت الحماية البريطانية على مصر وأسقطت السيادة العثمانية يوم ١٨ ديسمبر ١٩١٤ .

وفي اليوم التالي مباشرة أي ١٩ ديسمبر خلع الانجليز الخديوي عباس حلمي الثاني الذي كان في القسطنطينية في ذلك الوقت ، وعينوا الأمير حسين كامل منعين عليه بلقب السلطان .

واقترنت هذه الاجراءات باعلان الأحكام العرفية في ٢ نوفمبر ١٩١٤ وأصبحت السلطة العليا في يد الجنرال مكسويل قائد القوات الانجليزية في مصر ، واعتقل آلاف الوطنيين من المثقفين البرجوازيين ، وعطلت الصحف الوطنية ووضع الباقي تحت رقابة شديدة .

ولم يعتمد الانجليز في حربهم ضد الأتراك على قوات الجيش المصري اعتماداً كاملاً ، بل كلفوا وحدات قليلة منه بالاشتراك في خطة الدفاع عن قناة السويس ٠٠٠ وحسب ما كتبه الليفتنانت كولونيل كيرزي ، كان يوجد في مصر في أواخر عام ١٩١٤ ما يقرب من ٢٢ ألفاً من القوات المصرية والسودانية ، بينما كان يوجد ٧٠ ألفاً من القوات الهندية والاسترالية

والنيوزيلندية والبريطانية ثم زادت هذه القوات مع استمرار الحرب حتى وصلت ٢٧٥ ألف جندي .

ولم يدفع الانجليز بكل قواتهم الى المعركة . . . احتفظوا بحامية كبيرة في القاهرة والاسكندرية خوفا من الانتفاضات الشعبية .

وكانت معاداة البريطانيين هي العامل المحرك للقوى الوطنية في ذلك الوقت ، وخاصة بعد دخول الحرب ضد الأتراك . . . وان كانت قد بذلت ونمت فكرة الاستقلال والتحرك الوطني بعيدا عن الدولتين .

وفي الصحراء الغربية كانت القوات المصرية تحت قيادة كولونيل بريطاني (سيسل سنو) بينما كان القائد المصري هو اليوزباشي محمد صالح حرب - باشا فيما بعد - والذي انتهاز فرصة السحاب (سنو) من السلوم الى مرسى مطروح بعد نشوب القتال مع السنوسيين وعدم اهتمامه بمصير قوات الحدود المصرية في سينى برانى وبقي ، فانضم صالح حرب وقعه حوالي ٨ ضباط وأكثر من ١٢٠ جنديا الى السنوسيين ضد البريطانيين .

ومع ذلك فقد اشتركت وحدات مصرية صغيرة لمساعدة حركة القوات البريطانية في الصحراء الغربية بعد ذلك .

الاشتراك الرئيسي للجيش المصري في الحرب العالمية الأولى كان في السودان ضد السلطان علي دينار في دارفور بعد أن نبذ ولاءه لحكومة السودان في ١٠ فبراير ١٩١٦ تحت تأثير الأتراك والسنوسيين ، وذلك بعد أن كانت قد اعترفت به حكومة السودان سلطانا على دارفور عام ١٩٠٠ بعد استخلافه لها من يد دراويش المهدي .

كانت الحملة تحت قيادة ضابط بريطاني اللغتينت كولونيل (كيلي) ولكن الضباط والجنود للحاربين كانوا من المصريين والسودانيين . . . وقد انتهت الحملة بانتصار الجيش المصري ودخول (الفاشر) عاصمة دارفور في مايو ١٩١٦ ، وقتل السلطان في إحدى المعارك غرب دارفور في نوفمبر ١٩١٦ ، مما دفع الملك جورج الخامس الى ارسال برقية تهنئة عنه . احتلال الجيش المصري للفاشر ، وإشادة الحاكم العام للسودان أثناء احتفاله بعيد الهجرة (١٢٣٥ - ١٩١٦) في نادي الضباط المصريين قائلا « الله يذكر بمزيد الفخر والاعجاب الخدمة العظيمة التي قام بها الجيش المصري وضباطه البواسل في دارفور فانها ستبقى مسطورة بأحرف من ذهب في تاريخ الجيش » .

واضح أن الاشتراك المسلح للجيش المصري كان محدوداً ومقتضراً على عمليات صغيرة أو قوات مساعدة . . . ولم يجول البريطانيون أن يجندوا

وحدات كبيرة تدخل المعارك الحربية ، كما هو الحال بالنسبة للقوات الهندية مثلا ، وذلك لادراكهم ان ذلك قد يصبح ممكن خطر عليهم لان الروح الوطنية في الشعب كانت ملتزمة لا تخمد .

خرجت قوات الاحتياط التي استدعيت للخدمة يوم ٢٩ يناير ١٩١٦ من ثكنات عين شمس وسارت في مظاهرة جماعية حتى سراي عابدين وهم يهتفون ضد الظلم الذي تعرضوا له لاستدعائهم عقب مدة خدمة الزامية امتدت ست سنين .

ولما لم يجدوا اذنا صاغية خرجوا في مظاهرة في اليوم التالي ، حيث تصدت لهم قوات البوليس ، وفرقتهم بعد ان تساقط عدد من الجرحى .

واستبدلت الحكومة البريطانية سير هنري مكماهون المندوب السامي البريطاني ، الذي لم يسبق له الخدمة في مصر بالسير يجنلد وينجت حاكم عام السودان الذي كانت له صلات متعددة مع عدد من ضباط الجيش المصري وقد ابقى السير وينجت لنفسه الاشراف على الجيش المصري وحكومة السودان وعين سير لي ستاك نائبا للسردار ونائبا للحاكم العام للسودان حتي عين سردارا وحاكما عاما في ٩ مايو ١٩١٥ .

وقد ابتكر وينجت اسلوبا جديدا لاستغلال القوة البشرية المصرية وقدرتها على الصبر والتحمل والتضحية فشكّلوا ما سمي (فيلق العمل المصري) وكانوا يحبذون فيه العمال والفلاحين للقيام بالأعمال العسكرية الشاقة مثل جفر الخنادق والآبار واقامة الاستحكامات ومبني السكة الحديد وأنايب المياه عبر الصحراء ونقل الأثقال وتطهير القاذورات وكان ذلك غالبا ما يتم في ظروف المعركة تحت نيران العدو مما يعرض أفراد الفيلق لأخطار جسيمة الأمر الذي جعل الناس يهربون من القرى ويختفون من مجال إقامتهم حتي لا تلحقهم يد (التطوع) لهذا الفيلق ، والذي أنشئ في البداية على أساس (التطوع) شيكليا ثم لما نفر الناس منه نفورا شديدا ، وعجزت السلطة البريطانية عن اغراء الناس بالاعلان عن الاعفاء من الخدمة العسكرية لكل من يقضى سنة واحدة في حش ، اضافي (أي جيوش الحلفاء) - تحول التجنيد له الى اجبار عام . ١٩١٧ .

كان الحشد لفيلق العمل يتم ثلاث أو أربع مرات في العام وكل مرة ينحشد فيها حوالي ١٣٥ ألف شخص يبقون مدة ستة شهور وحاوز مجموع من دخل هذه الفيلق رقم المليون وبلغ عدد الضحايا ٣٠ ألفا لاقوا حتفهم على حدود مصر أو في فرنسا والاردنيل وفلسطين حيث امتد فظاقي حملتهم

وهكذا جند البريطانيون مئات الآلاف من المصريين وحشدوهم في أعمال خشنة صعبة تحت ظروف شديدة الخطر والقسوة ... ولكن بدلا من أن يضعوا في أيديهم السلاح وضعوا الفؤوس والمساو وأدوات الحفر والبناء .

كان (فيلق العمل المصري) جيشا غير مسلح يتعرض لخطر الممارك وليس في يده ما يدافع به عن نفسه .

وخلال سنوات الحرب كانت اقتصاديات مصر قد تأثرت ، فارتفعت أسعار القطن من ١٤ رويالا عام ١٩١٣ الى ٣٨ رويالا عام ١٩١٧ وأثرى كثير من التجار والمضاربين والوسطاء ، وأدت الحرب وقطع الصناعات التجارية الى تطوير الصناعة المحلية ، وتنشيط رأس المال المصري وخلق مئات من المشاريع اليدوية والصناعية ... وزاد عدد العمال حتى بلغ حوالى نصف المليون عام ١٩١٧ .

ومع ذلك لم يتحرر رأس المال المصري المتطور من وصاية السلطات الاستعمارية ، فقد أودع في الخزينة البريطانية الرصيد الذهبى للبنك الاهلى المصري ، وانتزعت سلطات الاحتلال العملة الذهبية والفضية واستبدلتها بأوراق نقدية عام ١٩١٦ ، وزادت كمية هذه الأوراق المتداولة حتى حدث تضخم نقدي أودى الى ارتفاع الأسعار كمقارنة مع أسعار ١٩١٤ فوصلت ٢١١٪ عام ١٩١٨ ، ٣١٢٪ عام ١٩٢٠ وخاصة للمواد الأساسية مما أزهق الفلاحين والفقراء ، الذين صادرت سلطات الاحتلال حبوبهم دون ثمن مجز ، الأمر الذى أدى الى شعور كامل بالسخط ضاعفه نظام السخرة والعمل الاجبارى .

وقد أدت مشاعر السخط العفوية ، الى نمو سريع فى الاتجاهات القومية وخاصة فى صفوف المثقفين والبرجوازية الصغيرة الذين التفوا حول الحزب الوطنى ... بينما جنحت البرجوازية الكبيرة الى التعاون مع الاحتلال بعد أن تضاعفت أرباحها .

ولكن ظروف الحرب والارهاب أوقفت نمو الحركة الوطنية ودفعت بأقسام منها الى الأعمال الارهابية ... تمت محاولتان لاغتيال السلطان حسين كامل فى ابريل ويونيو ١٩١٥ ومحاولة ثالثة لاغتيال رئيس الوزراء حسين رشدى باشا فى سبتمبر ١٩١٥ .

ولم تثر المحاولات الارهابية الا مزيدا من ضغط قوات الاحتلال ... ومزيدا من انطواء الوطنيين على أنفسهم .

وضعفت جماهيرية الحزب الوطنى التى كانت قد بلغت القمة بتأثير مصطفى كامل ، ويذكر أن ٣٢ ضابطا من حامية سنواكن أرسلوا برقية الى

مصطفى كامل عندما قلتم عريضته المشهورة الى البرلمان الفرنسي قالوا له فيها « ان قلمك الحق أمضى من سيفوفنا ، وحججك القوية أمضى من رصاصنا ، ... وكان أخوه على فهمي كامل أحد ضباط الحامية .

ولم يدر في خاطر مصطفى كامل أن يكون غرايبا آخر . فقد كانت حركته بعيدة عن الارتباط بالجيش بعدا كبيرا ، ولذا فقد أرسل لهم ردا قال فيه « من الحكمة ألا تمكن العدو من زقابتنا . وأنا لا أود أن يدخل ضباط الجيش في حركتنا السياسية دخولا ظاهرا لأن هذا يضر بالمسألة ضررا بليغا حيث يجد الاحتلال مسوغا لخلق التهم الثورية بمصر وغير ذلك مما لا يخفى عليكم » .

هكذا كان مصطفى كامل حريصا على عدم إثارة شبهة اتصاله بقوات الجيش علنا ، وما أظن ان القادة الوطنيين الذين برزوا بعده أحمد عرابي كانوا راغبين في الظهور بهذا المظهر تحت سيطرة قوات الاحتلال البريطاني خشية من ناحية وحلدا من ناحية أخرى ورغبة في عدم تكرار مأساة الثورة العرابية ، وخاصة ان قوات الجيش كانت تشتت وتفتني تبعات المخططات امبريالية .

على فهمي كامل شقيق مصطفى كامل لم يطل به المقام في الجيش ، وخاصة بعد نشاطه مع ضباط حامية سواكن اذ حوكم وعزل من رتبته ووقف بجانبه بعض الضباط من جانب الوفاء ولكنهم كانوا أعجز من أن يتحركوا حركة اعتراضية ايجابية وقد مضى بعد ذلك على فهمي كامل في خضم الحياة السياسية حتى أصبح وكيلا للحزب الوطني .

وما أن انتهت الحرب ، حتى بادر الشعب المصري يعبر عن ارادته وفي يوم الهدنة ١١ نوفمبر ١٩١٨ تقدم سعد زغلول الوكيل المنتخب للجمعية التشريعية التي توقف عملها مع اشتعال الحرب وعضوا الجمعية على شعراوي باشا وعبد العزيز فهمي بك بطلب مقابلة سير ويجنالد وينجت المندوب السامي البريطاني فتحدد لهما يوم ١٣ نوفمبر للمقابلة وهو اليوم الذي ظلت تحتفل به مصر عيدا للجهاد تعطل فيه الحكومة حتى قيام حركة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

ومنذ هذا التاريخ تشكل (الوفد المصري) برئاسة سعد زغلول بناء على عرائض وقعتها الجماهير في مختلف المديريات تفوضهم « في أن يسعوا بالطرق السلمية المشروعة جيشا وجنودا سنبلا للبعث في استقلال مصر استقلالا تاما » .

وحيثما فكر سعد زغلول ورفاقه في السفر الى الخارج لعرض قضية مصر على المسئولين في الحكومة البريطانية ، رفض الجيش البريطاني السماح لهم بالسفر ، وكان هو جهة الاختصاص في سفر كافة المواطنين .

وانفجرت ثورة ١٩١٩ تحت ضغوط اصرار البريطانيين على فرض الحماية على مصر ، وحالة الارهاب التي امتدت سنوات الحرب ، والمعاملة الخشنة والسخرة للمصريين من جانب قوات الاحتلال وارتفاع الاسعار وما صاحبها من ضائقة اقتصادية ، والتطلع الى الاستقلال التام (مصر للمصريين) بعد المبادئ التي أعلنها (ويلسن) رئيس الولايات المتحدة الأمريكية .

واشتعلت الثورة بين مختلف الفئات ... بدأت بالطلبة ثم العمال والفلاحين واضراب الطوائف وتظاهر السيدات ، وأخيرا اضراب الموظفين . ولم يكن للجيش سردار ايجابي في أحداث ١٩١٩ ، كما كان في ثورة عرابي .

الأعوام التي انقضت بين الثورتين نفلت فيها قوات الاحتلال مخططا يقضى بفصل الجيش عن الحركة الوطنية ، وتولية نوعية خاصة من الضباط ذات جذور اجتماعية وفكرية تجعلها في موقع بعيد عن مرآة الثورة .

كان الضباط يدخلون المدرسة الحربية بتعليم محدود لا يتجاوز الابتدائية يمرون خلال مجهر استعماري خاص يفحص أصولهم الطبقية ، وهم كانوا غالبا اما أبناء ضباط معروفين ، واما أبناء أسر اقطاعية ثرية فشلوا وعجزوا عن مواصلة التعليم .

وقد أدى توقف النمو الفكري والثقافي للضباط الى خلق هوة واسعة بينهم وبين المثقفين الذين انجذبوا الى حضارة الغرب ونقلوا الأفكار العصرية مبشرين بمجتمع جديد .

أحمد عرابي وضباط الجيش الوطنيين كانوا أقرب ما يكونون الى مثقفي عصرهم جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده وأديب اسحق وعبد الله النديم ويعقوب صنوع (أبو نضارة) وسليم نقاش وغيرهم . أما ضباط الجيش عام ١٩١٩ فكانوا أبعد ما يكونون عن مثقفي ذلك العهد . محمد فريد ولطفى السيد وطه حسين .

خطب لورد كيرزون الوزير البريطاني يوم ٢٤ مارس ١٩١٩ والثورة في قمة التهابها يثنى على « موظفي الحكومة ورجال البوليس والجيش المصري » ويشيد بحسن سلوكهم أثناء الاضطرابات في الوقت الذي أعلن فيه أن الحكومة البريطانية لا تنوى العدول عن الحماية .

وكان رد فعل هذا الخطاب عند الموظفين لقيامهم باضراب طويل شامل بدأ في ٢ ابريل وانتهى بسقوط وزارة حسين رشدي باشا رغم الافراج عن سعد زغلول يوم ٦ ابريل وسفر الوفد بعد ذلك بخمسة ايام الى مالطة ومنها الى باريس ٠٠٠ وذلك لشعورهم بالحرج لما انطوى عليه الخطاب من اتهامهم بالانحياز الى صف الاحتلال والحماية والتنكر للحركة الوطنية .

أما ضباط الجيش فلم يتحركوا حركة ثورية ٠٠٠ ليس لانهم قد تنكروا لوطنيتهم ٠٠٠ فان مواقفهم تدل على عكس ذلك ٠٠٠ فقد ذهب حشد منهم بملابسه الرسمية الى بيت الأمة عقب نفى سعد زغلول ، وحملوا صورته أمام مصوري الصحف ، دون أن يعابوا بأثر ذلك عليهم ، وكان من بينهم اللواء محمد نجيب وهو ما زال في رتبة الملازم .

والفلاحون والعمال الذين يشكلون الطبقة التي يجند منها الجنود قاموا بأعمال ثورية باهرة خلال الثورة ٠٠٠ كانت الأقاليم تلتهب بالمظاهرات وقطع المواصلات والسكك الحديدية الى الدرجة التي أفزعت قوات الاحتلال من حراس الغفر للسكة الحديد فاستبدلوهم بجنود بريطانيين .

رفض الجنود أبناء العمال والفلاحين اطاعة الأوامر باطلاق النار على المتظاهرين ، كما حدث في المنيا عندما أصدر لهم البكباشي شاهين أمرا بذلك ٠٠٠ فأطلق هو الرصاص على المتظاهرين وقتل ثمانية منهم .

وبعض ضباط الجيش اندمجوا في خدمة قوات الاحتلال ونفذوا الأوامر بلا تردد حتى اشتهر بعضهم بالقسوة في معاملة الجماهير مثل البكباشي شاهين . ومحمد حيدر الذي أصبح قائدا عاما للقوات المسلحة فيما بعد .

والبعض منهم كان متعاطفا مع الثورة ٠٠٠ بل مساهما فيها ٠٠٠ مثل عبد الرحمن فهمي الذي كان أحد أعمدة التنظيم والتنفيذ والعمل السري في الثورة ٠٠٠ وهو ضابط سابق من ضباط الجيش المصري اشترك في الحملة المصرية بقيادة كتشنر لاعادة فتح السودان ، ثم عين ياورا لوزير الحربية عام ١٨٩٦ ثم انتقل بعد ذلك الى سلك البوليس والادارة .

كانت القيادات العليا وقيادات الكتائب كلها للضباط البريطانيين . الذين رصدوا عيونا لهم تسجل كل كلمة ثائرة أو حركة معادية ٠٠٠ كما ان قوات الاحتلال تضاعفت خلال سنوات الحرب في الوقت الذي جمد فيه الجيش المصري ، واستقرت نسبة عالية من وحداته في السودان .

قال لي محمد نجيب انه كانت هناك (جمعية سرية للضباط الوطنيين) في السودان لا يعرف الضابط منها الا من ضمه اليها ٠٠٠ وعندما حضرت لجنة ملتر كلفت الجمعية محمد نجيب بالوقوف أمام نادي الضباط بالخرطوم

ثورة يوليو ج ١ - ٨١.

خلف مبنضة صغيرة عليها صورة البرقية التي قرر الضباط ارسالها للاحتجاج على الجنسية ملتر ، والقول بأنه لا يجوز التفاوض الا مع الوفد المصرى برئاسة سعد باشا زغلول ، حتى يوقع الضباط عليها تضامنا مع الشعب المصرى .

ويقول محمد نجيب ان احدا لم يتخلف عن التوقيع ولكنه فوجئ باعتقاله فى اليوم التالى واغلاق نادى الضباط بأمر السردار ٠٠٠ وعرف فى المعتقل بعض أعضاء الجمعية لأول مرة وكان منهم اليوزباشى أحمد الصاوى الذى أصبح وكيلا لوزارة الحربية عام ١٩٣٨ واليوزباشى محمود هاشم الذى أصبح مديرا لسلاح الحدود واليوزباشى عبد الوهاب البهنساوى الذى عين فيما بعد قائدا لقسم القاهرة واليوزباشى أحمد عطية والملازم أول طبيب سليمان أباطة والطبيب البيطرى اليوزباشى سليمان عزت .

واحتجز الضباط فى المعتقل حتى أفرج عنهم بعد أسبوع تحت ضغط الضباط من زملائهم الذين ثاروا لاعتقالهم ولاغلاق النادى الذى فتح بعد أربعة أيام من اغلاقه .

كانت قوات الاحتلال تقبل مرغمة مثل هذه التحركات المحدودة ٠٠٠ ولكنها لم تكن تسمح أبدا بما يتجاوز هذه الحدود .

وقد استطاعت ثورة ١٩١٩ أن تحقق نتائج إيجابية محدودة ، اذ صدر تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ الذى أعلنت فيه انجلترا انتهاء الحماية البريطانية على مصر وأعلن استقلالها يوم ١٥ مارس وبذا انتهت مرحلة طويلة من عدم الاستقرار والتشتت السياسى فى وضع مصر التى كانت تعتبر لفترة طويلة (ولاية عثمانية تحت الحكم البريطانى) .

ولكن الاستقلال الذى ظلت مصر تحتفل به يوم ١٥ مارس وتعطل فيه المصالح كان استقلالا شكليا اذ احتفظت الحكومة البريطانية بتولى الأمور التالية بصورة مطلقة :

- ١ - تأمين مواصلات الامبراطورية البريطانية فى مصر .
- ٢ - الدفاع عن مصر ضد كل اعتداء أو تدخل أجنبى بالذات أو بالواسطة .
- ٣ - حماية المصالح الأجنبية فى مصر وحماية الأقليات .
- ٤ - السودان .

واستطاعت ثورة ١٩١٩ أيضا أن تجبر الاستعمار والسراى على وضع دستور ١٩٢٣ الذى تشبث به الشعب ووجد فى تطبيقه تعبيرا عن

ارادته رغم انه كان ناقصا من الوجهة الديمقراطية اذ كان يعطى للملك حق حل مجلس النواب وتأجيل انعقاده واصدار مراسيم فى غيبته .

ومع ذلك فان القوى المعادية لانطلاق ثورة ١٩١٩ الى اهدافها بادرت قبل أن تأتى وزارة الثورة الأولى الى اصدار (قانون الاجتماعات العامة والمظاهرات فى الطرق العمومية وقانون الأحكام العرفية اللذين أصدرتهما وزارة يحيى ابراهيم فى مايو ١٩٢٣ ٠٠٠) كما عينت سفنكس باشا البريطاني مفتشا عاما للجيش .

عقب ذلك ظهرت فى السودان حركة وطنية بين الضباط المصريين والسودانيين ، وكان أبرز قادتها الملازم أول على عبد اللطيف من الكتيبة التاسعة للمشاة والذى نشر منشورا فى مايو ١٩٢٢ بعنوان (مطالب الأمة السودانية) يطلب فيه استقلال السودان وضمه الى مصر ٠٠ فقبض عليه وحوكم بتة... اثناء الشغب والاضطراب وفصل من الجيش وسجن لمدة عام ٠٠ ولكنه بعد خروجه من السجن كون جمعية (اللواء الأبيض) فى اجتماع عام لم يحضره مصريون ، واختاروا للجمعية علما أبيض رسمت عليه خريطة النيل وفى ركن منها العلم المصرى الأخضر وقد كتبت على أرضيته البيضاء (الى الامام) ، وكانت لهذه الأحداث انعكاسات فى (البرلمان المصرى) .

ووصلت المظاهرات فى السودان الى ذروتها يوم ٩ أغسطس ١٩٢٤ عندما تظاهر طلبة الكلية الحربية بزيهم العسكرى وهم يحملون البنادق، واتجهوا الى منزل على عبد اللطيف وهتفوا بسقوط الانجليز والحاكم العام ، الأمر الذى أدى الى محاكمة على عبد اللطيف وسجنه ثلاث سنوات أخرى .

واجتمعت حكومة سعد زغلول فى ١٥ أغسطس لدى الحكومة البريطانية بخطاب تقول فيه انها تتبّع بمزيد من الحزن والأسف الحوادث التى تتوالى فى السودان ، والتى اعتبرتها نتيجة طبيعية لأسلوب الموظفين البريطانيين .

ولكن الحكومة البريطانية ردت بأنها اتخذت العدة لتعزيز الحماية البريطانية ، وأجازت لحكومة السودان أن تبعد فى الحال أى وحدة من وحدات الجيش المصرى يظهر منها عدم الولاء .

وخلال هذه الفترة التى بدأت فيها ارهاصات ثورة داخل الجيش وخارجه فى السودان قتل السردار العام سى لى ستاك يوم ٢١ نوفمبر ١٩٢٤ فى أحد شوارع الزمالك بالقاهرة . وانتهزت انجلترا الفرصة وقسمت اذارا للحكومة المصرية عن طريق اللورد اللنبى الذى توجه الى سعد

زغلول برئاسة الوزارة في هوكب من ٦٠٠ فارس بريطاني مطالباً بسحب الجيش المصري من السودان ، وتحويل الوحدات السودانية التابعة للجيش المصري الى قوة سودانية تكون خاضعة لمرابطة للحكومة السودانية وحدها على أن تصدر الحكومة المصرية بياناً بذلك خلال ٢٤ ساعة .

رفض سعد باشا زغلول الاذار وقدم استقالته يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٢٤ بعد عشرة شهور فقط من توليه الحكم .

وأسّرت الحكومة البريطانية لتنفيذ مخططاتها بمحاصرة القوات البريطانية للقوات المصرية في الخرطوم ٠٠٠ ورفضت الكتبية الثالثة السفر إلا بأمر وزير الحربية المصري .

وئارت أيضا الكتبية ١١ السودانية وحاولت الاتحاد مع الجيش المصري في الخرطوم بحرى فتعرضت لها قوة بريطانية ونشب قتال لم ينته الا عند منتصف الليل بعد أن نفدت الذخيرة وقتل قائدها الشهيد عبد الفضل المظ .

وأعدمت قوات الاحتلال ثلاثة شهداء هم الضباط حسن فضل الخولى وسليمان محمد ٠٠٠ وثابت عبد الرحيم ٠٠٠ وكان رابعهم على البنا الذى نجى من الاعدام وعمل في مصر حتى أصبح كبيرا للياوران بعد ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

وفصل الاستعمار ١٧ ضابطا رفضوا أن يقسموا يمين الولاء للحاكم العام وقروا الى مصر كما حضر اليها عدد من طلبة المدرسة الحربية الذين سجنوا بسجن كوبر بخرطوم بحرى ٠٠ وقد عمل هؤلاء جميعا في الجيش أو البوليس المصري .

وهكذا حقق الاحتلال البريطاني خطته بفصل السودان عن مصر وسحب الجيش المصري من هناك كما حدث عام ١٨٨٥ .

وأدت انتكاسة انتفاضة ١٩٢٤ الى انحسار موجة العمل السياسى داخل صفوف الجيش وذابت الجمعيات السرية أمام المحاكمات والصفوط الارهابية .

ومع ذلك ظلت جذوة الوطنية مشتعلة في صدور بعض الضباط ، ورغم انتهاء التنظيمات الخاصة بهم ، وحدثت بعض تصرفات فردية تدل على ذلك مثل ذهاب محمد نجيب متخفيا الى منزل مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد في عام ١٩٢٩ عقب حل الملك فؤاد للبرلمان ومنع مجلس النواب من الانعقاد ، لوجود أغلبية وفدية ساحقة ليبلغه استعداد الجيش لمقاومة الاجراءات غير الدستورية التى يركبها الملك .

حضر هذه المقابلة مصادفة مكرم عبيد باشا سكرتير الوفد ومحمود فهمى النقراشى أحد أعضائه ٠٠٠ ولكن مصطفى النحاس قال لمحمد نجيب انه يؤثر أن يكون الجيش بعيدا عن السياسة وأن تكون الأمة مصدر السلطات ٠٠٠ ولو أنه يتمنى أن يكون ولاء الضباط للوطن والشعب أكثر مما هو لشخص الملك .

وإذا تفاضينا عن فردية هذا الحدث فإنه يستبين لنا أن الوفد المعبر عن ارادة الشعب كان لا يستجيب لدعوة ضباط الجيش للتحرك ٠٠٠ تقديرا منه لخطورة الصدام مع قوات الاحتلال أولا فى وقت لم تنضج فيه الظروف لذلك بعد ٠٠٠ كما أن خضوع الجيش سنوات طويلة لسيطرة قوات الاحتلال كما يبعث الحذر فى جدية التعاون ٠٠٠ اذ كان معروفا أن اليد العليا فى تحريك الجيش هى لقوات الاحتلال ، وقائد الجيش وكبار قادته كانوا من البريطانيين منذ عام ١٨٨٢ .

عندما فكر البرلمان المصرى عام ١٩٢٨ فى زيادة وحدات الجيش المصرى وتحسين أسلحته ومهامه وترقية التعليم فى المدرسة الحربية ليصبح الدخول لها بالثانوية العامة (اليكالوريا) والحد من سلطة المفتش العام البريطانى احتجت أنجلترا وأرسلت ٣ بوارج من أسطولها الى الاسكندرية فاضطرت الحكومة المصرية الى التراجع ومد خدمة سفنكس باشا المفتش العام للجيش ومنحه رتبة الفريق وتعيين ضباط انجليز جنودا بالجيش .

وهكذا كان الفارق الفكرى والثقافى يزداد اتساعا بين الجيش والقوى السياسية أو بين قادة الأحزاب الذين تخرجوا فى الجامعات وحصل البعض منهم على شهادات عالية فى الخارج ٠٠ وبين ضباط الجيش الذين كانوا حتى صدور قانون عام ١٩٢٨ القاضى بقصر دخول المدرسة الحربية على خريجي المدارس الثانوية يتخرجون وهم لا يحملون أكثر من الشهادة الابتدائية .

الضباط المتطلعون الى الحياة هم الذين كانوا يواصلون دراستهم لتأكيد شخصيتهم وصقل مواهبهم كما فعل محمد نجيب مثلا عندما درس أثناء خدمته فى الجيش حتى حصل على الشهادة الثانوية وليسانس الحقوق ودبلومين بعد ذلك .

واستمرت حالة الجيش على هذا المنوال ٠٠٠ بعيدا منذ استرداد السودان عام ١٨٩٩ عن خوض أية معارك حربية ، يتعرض للنقصان وليس للزيادة ، يزداد خضوعه لقوات الاحتلال والسرائى ومظهر ذلك تدخل الجيش فى الانتخابات بالأقاليم وخاصة فى الانتخابات التى أجراها اسماعيل صدقى

بعد إلغاء دستور ١٩٢٣ وعمل دستور جديد ضد إرادة الشعب عام
١٩٣٠

نشرت مجلة روز اليوسف في عددها أول يوليو ١٩٣٠ أن زيارة
النحاس باشا إلى القزايق مرت بسلام ، فأحيل قائدة قوة الجيش الصاغ
محمد أمين إلى الاستبداد دون تحقيق .

ونشرت أيضا خبر تعيين اللواء عبد العظيم باشا على قائدة لحصار
البرلمان وكان قبل ذلك قائدة لقوة المنصورة حيث جرت اضطرابات شديدة
سقط فيها بعض الجرحى ، ثم عين لحراسة النادي السعدى وقد صرح بأنه
يكون سعيدا يوم يفرغ رصاص مسدسه في رأس مصطفى النحاس باشا .

وهكذا كانت حالة العسكريين في مصر ، عندما عقدت معاهدة ١٩٣٦
... لم يكن الجيش قوة سياسية ولم يكن خاضعا لقيادة وطنية ... وكان
الاستعمار يسعى جاهدا لتفطية دوره الحربى التاريخى ، ونضاله مع جماهير
الشعب ، تحت ستار من النسيان .

وكانت معاهدة ١٩٣٦ بذلك نقطة تحول في تاريخ مصر الحديث ..
ونقطة تغير في واقع العسكريين المصريين وفي تفكيرهم .

الباب الثانى

● الجيش والحركة السياسية فى مصر قبل الثورة

الفصل الرابع نضال الشعب ٠٠٠ وموقف الجيش ٠٠ بعد
معاهدة ١٩٣٦

(لن نطلق الرصاص على مظاهرات الطلبة
والعمال)

قسم بعض ضباط الجيش اثناء وزارة
اسماعيل صدقى
عام ١٩٤٦

الفصل الخامس حشرب فلسطين

(اننى متفائل ونحن نعرف قوة اليهود ،
وانا أحب اطمئناك الى ان الانجليز هم
الذين شجعونى على ذلك)

محمود فهمى النقراشى لوفاد سراج الدين
فى مجلس الشيوخ يوم ٢٢ مايو ١٩٤٨

الفصل السادس الضباط الاحرار

(الشعب والجيش يقفان اليوم بالمرصاد لكل
حركة ترجع بنا الى الوراء ٠٠٠ ان الشعب
والجيش سيحطمان أى محاولة لضرب
الحركة الوطنية ٠٠٠ لقد أيدنا الحكومة
الوفدية فى خطواتها التى اتخذتها بالغاء
المعاهدة الاستعمارية)

منشود للضباط الاحرار

الفصل الرابع

فضال الشعب وموقف الجيش بعد معاهدة ١٩٣٦

(لن نطلق الرصاص على مظاهرات الطلبة
والعمال) .

قستم بعض ضباط الجيش

أثناء وزارة اسماعيل صدقي عام ١٩٤٦

الضموور الذى عانى منه الجيش المصرى ، والعزلة عن المجتمع التى
فرضت عليه ، والخضوع المطلق لسلطات الاجتلال والسراى ، تغيرت مع
عقد معاهدة ١٩٣٦ الى حد كبير ، ولم يعد الجيش محدودا بعدد ١٥٠٠٠
جندى فقط .

وقد عقدت معاهدة ١٩٣٦ فى ظروف كان الاجتلال البريطانى يجهده
فيها موقفا لم يتعرض له من قبل . . تناقضات الامبريالية العالمية تشتد
وتقترب من حرب عالمية . . . ايطاليا تغزو الحبشة وتنتصر عليها
والامبراطور هيلاسلاسى يهاجر الى انجلترا . . . والنازية تحصل الى الحكم فى
ألمانيا . . الحركة الوطنية تشتعل من جديد ضد دستور صدقي . . وتقم
المظاهرات مصر ، ويسقط عدد من الشهداء .

ووصف النحاس باشا هذه المعاهدة بأنها (وثيقة الشرف والاستقلال)
ولكنها لم تكن كذلك . . . فقد كان فى بنودها سلبيات وإيجابيات .

أمنت المعاهدة نوعاً من التحالف المشترك مثل الذى تم بين بريطانيا والعراق عقب انتهاء الانتداب فى أكتوبر ١٩٣٢ ، وبينما اعترفت المعاهدة بسيادة مصر على أراضيها وحرية التصرف فى الشئون الداخلية إلا انها نصت على ضرورة التزام مصر بعدم انتهاج سياسة خارجية تتناقض مع التحالف ، كما نصت على وضع مميز للسفير البريطانى يتقدم به سائر الدبلوماسيين الأجانب .

واحتفظت بريطانيا بقواعد بحرية فى مصر ، مع حقها فى استخدام التسهيلات لقواتها التى تنسحب الى منطقة قناة السويس بعد ٨ سنوات ، وقد اعترفت بريطانيا بسيادة مصر على القناة ، كما اعترفت مصر بأن القناة وسيلة دولية للمواصلات ، وأنها وسيلة مواصلات حيوية بين الأطراف المختلفة للإمبراطورية البريطانية ، وأن من حق بريطانيا أن تبقى قواتها فى منطقة القناة الى الوقت الذى تصبح فيه مصر قادرة عسكرياً على حماية القناة ، كما أن للجيش البريطانى حق العودة فى حالة الحرب أو خطر الحرب .

وأعطت المعاهدة بريطانيا حق المطالبة بفرض الطوارئ وإعلان الأحكام العرفية فى حالة قيام الحرب .

وقال ممثلون يدينون أمام مجلس العموم البريطانى يوم ٢٤ نوفمبر ١٩٣٦ إن السبب الذى دعا حكومة إنجلترا الى التنازل عن احتلال القاهرة والاسكندرية والاقتصاص على منطقة قناة السويس ، هو أن قوات إنجلترا أصبحت ميكانيكية تستطيع الحركة فى سهولة على الطرق المعبدة ، ولذا نصت المعاهدة فى ملاحقها على أن تقوم الحكومة المصرية ببناء ثكنات القوات البريطانية فى الأماكن التى تحددها ، مع إنشاء شبكة طرق بمواصفات خاصة عرفت باسم (طرق المعاهدة) بين القاهرة والاسكندرية وبورسعيد والإسماعيلية والسويس وغيرها .

والطريف أن المعاهدة قد أعطت للقوات الجوية المصرية حق الطيران فى أجواء بريطانيا ، لأنها أعطت للقوات الجوية البريطانية حق الطيران فى الأجواء المصرية كلها .

معاهدة ١٩٣٦ لم تحقق أهداف ثورة ١٩١٩ .

ومع ذلك لم تكن المعاهدة قيوداً كلها ، كانت هناك إيجابيات حققت جانباً من أهداف الجماهير .

ألغيت الامتيازات والمحاکم المختلطة ، وأصبحت مصر عضواً فى عصبة الأمم فى مايو ١٩٣٦ ، واقترب الاستقلال الشكلى الذى ورد فى تصريح فبراير ليكون أكثر واقعية ، رغم بقاء نفوذ وسلطة قوات الاحتلال .

وعادت القوات المصرية الى السودان بعد سحبها عام ١٩٢٤ ،
واستقبلتها الجماهير هناك بترحيب كبير .
وحددت المعاهدة مدة عشرين عاما لبقاء القوات البريطانية في مصر
واقترن ذلك حسب نص المعاهدة بقدرة مصر على حماية القناة .
وكان ذلك خافزا على تطوير الجيش المصرى واخفاذه من جودده وعزلته
وتشكل مجلس الدفاع الأعلى ، وعين اللواء محمود شكري باشا قائدا
للجيش المصرى بعد سفتكس باشا الذى خرج من قوة الجيش المصرى هو
وجميع الضباط البريطانيين .

وكانت المعاهدة قد نصت أيضا على أن تقوم بريطانيا بتدريب الجيش
المصرى وتزويده بالسلاح وتشكلت البعثة البريطانية من ضباط
بريطانيين انتشروا فى مختلف أسلحة الجيش ، وكان لهم نفوذ كبير فى
التوجيه والتدريب . . بعض هؤلاء الضباط كانوا صنف ضباط فى الجيش
البريطانى وحصلوا على الترقية عند الالتحاق بالجيش المصرى ولم يعينوا
فى رتبة أقل من يوزباشى واتخذت البعثة البريطانية مقرها لها مبنى
فى كوبرى القبة مجاورا للمستشفى العسكرى العام .

وبدا مجلس الدفاع الأعلى يرسم سياسة جديدة لزيادة الجيش . . .
ففتحت أبواب المدرسة الحربية التى تحولت الى كلية بعد المعاهدة
لدفعات وصلت الى عدة مئات وخاصة عند اقتراب الحرب العالمية الثانية
بعد أن كانت الدفعة لا تتجاوز العشرين أو الثلاثين طالبا .

فتح أبواب الكلية الحربية لهذا العدد الكبير نسبيا فى وقت كانت
المدارس الثانوية فيه محدودة ولا توجد الا جامعة القاهرة وحدها ، ضيق
من امكانية تحديد نوعية معينة من المقبولين ، وجعل عناصر جديدة من
الطبقة الوسطى النامية تنسرب الى صفوف الجيش ، رغم وجود لجنة
تكشف على المتقدمين (كشف هيئة) تفرز فيه أصولهم العائلية
والاجتماعية .

ولكن المقبولين عموما كانوا فى حدود القادرين على دفع مصروفات
الكلية التى كانت ستين جنيها فى العام وهو مبلغ كبير اذا قدر بمتوسط
الدخل العام ومرتب خريج الجامعة الذى لم يكن يتجاوز ثمانية جنيهات
فى الشهر عدلت فيما بعد لتصبح ١٢ جنيها . ولكن قدرة الدولة على
استيعاب الخريجين بهذا المرتب كانت محدودة ، الأمر الذى خلق بطالة
بين المتعلمين أو اضطرارهم للعمل بمرتبات أقل وأغرى فى نفس
الوقت عددا كبيرا من حملة الثانوية العامة على الالتحاق بالكلية الحربية
لضمان الوظيفة والمرتب الكبير نسبيا .

واعاد المجلس الاعلى للدفاع خطة لتطوير الجيش وتسليحه عام ١٩٣٨ فى حدود مبلغ ٢٠٠ مليون دولار ، ولكن ذلك لم يتحقق لان شروط المعاهدة كانت تنص على ضرورة التسليح من بريطانيا فى وقت كانت تحتاج هى فيه لكل قطعة سلاح لما كان يبدو فى الافق من اخطار حرب عالمية ثانية لم تلبث ان اندلعت عام ١٩٣٩ واستغرقت جهد بريطانيا مما ترك الجيش المصرى دون تسليح يتناسب مع الرغبة فى الوصول به الى مستوى معقول بعد عشرات السنين من الضمور .

ولم تكذ وزارة الوفد التى آتت بها الانتخابات تبدأ تنفيذ سياسيتها حتى اقيمت فى ٢٩ ديسمبر ١٩٣٧ وكان الملك فاروق قد تولى سلطانه الدستورية فى ٢٩ يوليو من ذلك العام وهو فى الثامنة عشرة من عمره . وهكذا عصف الملك بإرادة الشعب وبروح الدستور وعين محمد محمود رئيس حزب الأحرار الدستوريين رئيسا للوزراء وتولت الحكم وزارات أحزاب الأقلية ، وكان قد انضم إليها حزب جديد هو الحزب السعدي الذى انشق على الوفد وتشكل برئاسة أحمد ماهر باشا . ومعه محمود فهمى النقراشي باشا ، ولعب دورا كبيرا فى خدمة الرأسماليين المصريين ، فأصبح أحمد ماهر رئيسا لمصانع نسيج القاهرة بعد أن كان من تقاليد أعضاء الوفد عدم تولي مناصب الإدارة فى الشركات .

ولم يلب الجيش دورا سافرا فى تزييف إرادة الشعب أثناء الانتخابات التى أعقبت إقالة الحكومة الوفدية ، لأن الوفد رغم كل شيء كان يمثل القوة السياسية الشعبية القادرة على نيل أغلبية الأصوات ومقاعد البرلمان فى انتخابات ديمقراطية حرة .

وزجعت وحدات الجيش على الأقاليم ووضعت تحت تصرف رجال الإدارة يستعينون بها وقت الحاجة كما حدث فى سمود مثلا وهى بلد مصطفى النحاس باشا التى رشخ نفسه فيها ، عندما فتحوا الكوبرى لتعطيل المرور وانتقال الناخبين .

يروى اللواء صلاح الحديدي قائد المخابرات الحربية فيما بعد ان العمدة دعا الضباط من رتبة البكباشى لما فوق الى مأدبة عشاء ليلة الانتخابات تأييدا للمرشح المضاد للنحاس وكان اسمه على النزلوى . . وفى الصباح عندما ظهر التدخل سافرا أبلغ المرشحون النيابة التى قامت باستجواب الضباط . . . ولم يتردد صغار الضباط فى القول بأنه حدث تدخل فعلا لمصلحة المرشحين المعادين للوفد . . . ولكن التحقيق لم ينته مع ذلك الى قرار .

وخرج الوفد من الحكم بعد ان أدى الدور الذى رسمه الاحتلال له فى

تكوين جبهه وطنية تقرر معاهدة تتيح حدا أدنى من الاستقرار فى ظروف اقتراب خطر حرب عالمية ٠٠٠ وابتد ذلك أن معاهدة ١٩٣٦ لم تحقق المضمون الحقيقى للاستقلال الوطنى ، ولم ترسخ القواعد الديمقراطية فى المجتمع .

وكان إبعاد الوفد عن الحكم ٠٠٠ إبعادا له عن النفوذ الى الجيش أيضا ٠٠٠ حيث كان الدخول الى الكلية الحربية يتم خلال لجنة تشكل من بعض كبار القادة الخاضعين خضوعا كاملا لنفوذ السراى مما لم يتح للوفد فرصة تسريب عناصر كثيرة من أبناء أنصاره الموالين له فى العاصمة والأقاليم الى صفوف الجيش ، علاوة على بث روح من الجفاء بين الجيش والوفد باعتباره تنظيما يضم جماهير الشارع التى تتناظر فى حركتها مع النظام والانضباط الذى يسود الجيش ، والذى كان كبار الضباط الذين دخلوا الجيش من ثقب الاحتلال يتشبهون به باعتباره المظهر الوحيد لقدرة وسلطاتهم .

وكان الركود الذى أصاب الجيش خلال السنوات الماضية قد انعكس عليه ، عزله عن الجماهير وعن الحركة الوطنية ٠٠٠ وخاصة فى مناصب القيادة العليا ، بينما كان صفار الضباط المتخرجين فى الكلية الحربية ، والمتدربين اليها فى دفعات متتالية بلغت ثلاث دفعات فى كل من أعوام ١٩٣٧ ، ١٩٣٨ ، ١٩٣٩ يحمل البعض منهم الى الكلية أفكار الطلبة الذين تظاهر معهم من أجل عودة دستور ١٩٢٣ ، وسقوط الاستعمار .

وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية فى سبتمبر ١٩٣٩ بادر على ماهر الذى كان قد تولى الوزارة بعد اقالة محمد محمود باشا فى شهر أغسطس الى اعلان الأحكام العرفية تنفيذا لمعاهدة ١٩٣٦ ، والتى قضت بتوقيف عقوبات شديدة لا على كل من يرتكب الجرائم الضارة بأمن الدولة فقط ، وانما على كل من يرتكب أضرارا ببلد حليف أو شريك لمصر فى العمل ضد عدو مشترك ٠٠٠ وكان الغرض هو حماية انجلترا حماية كاملة .

والغريب أن على ماهر الذى تولى الوزارة بعد رئاسته للديوان الملكى لم يكن له حزب ولا عضو واحد فى البرلمان .

كان العيب بالدستور واقالة حكومة الوفد فاتحة لمزيد من العيب ومزيد من الاقالات ٠٠٠ حتى على ماهر نفسه لم ينج منها عندما تلكأت وزارته فى موقفها ازاء رعايا ايطاليا التى أعلنت الحرب فى ١٠ يونيو ١٩٤٠ فاجبر على الاستقالة فى ٢٨ يونيو وخلفه حسن باشا صبرى على رأس وزارة من الدستوريين والسعديين والحزب الوطنى الذى اشترك فى الحكم لأول مرة لأنه كان يرفض دائما الاشتراك فى الحكم قبل اتمام الجلاء .

الجيش والحرب العالمية الثانية

لم تعلن مصر الحرب على المحور ، ولم يدخل الجيش المصرى فى اطار جيوش الحلفاء ، ولم تستعن به بريطانيا فى عمليات حربية خارج حدود مصر ، كما استعانت بجيوش الهند والسودان وليبيا وغيرها من الدول الافريقية .

بلغ عدد الجنود السودانيين فى صفوف الحلفاء ما يقارب سبعين ألف جندي ، اشترك منهم حوالى ستين ألفا فى معارك ليبيا والصحراء الغربية . . .

ومع ذلك كان الجيش المصرى رغم تواضعه عددا وعدة محل اهتمام القوات البريطانية التى حاولت فى البداية ان تحتويه وتستعين به فى عملياتها الحربية ، ثم تراجعت عن ذلك لما لمست من خطورة تحريك الجيش فى ظروف لا يحمل فيها الشعب أى ارتياح لقوات الاحتلال .

ورفض عزيز المصرى رئيس أركان حرب الجيش فى ذلك الوقت اشتراك المقاتلات المصرية فى خطة الدفاع البريطانية بدعوى أن مصر لم تكن الحرب على ألمانيا ، كما رفض تحريك قوات مصرية الى سيوة ضمن خطة الدفاع عن الصحراء الغربية .

وكان الجنرال سير هنرى ميتلاند ويلسون قد عثر أثناء فحص الأوراق الايطالية التى وجدها فى مقر رئاسة القوات على الخطة الدفاعية البريطانية عن الصحراء الغربية وهى الخطة التى كان قد أرسلها الى عزيز المصرى منذ شهور .

وطلب الانجليز اخراج عزيز المصرى وأذن على ماهر لهم فمنحه أجازة لأجل غير مسمى .

ويقول قائد الجناح عبد اللطيف البغدادي عضو مجلس قيادة الثورة فيما بعد ان الطيارين المصريين قد اشتركوا بعد ذلك فى خطة الدفاع عن القاهرة مع أسراب الطائرات البريطانية ، من مطار حلوان ، وخاصة بعد ان دمرت الغارات الألمانية ٢٠ مقاتلة بريطانية . . . ولكن ذلك لم يستمر سوى شهور معدودة تغيرت بعدها الظروف ، وانعدمت ثقة البريطانيين فى امكانية التعاون مع الجيش المصرى .

وكان خروج عزيز المصرى من الجيش بداية لاتصالات سرية قام بها مع عدد من الضباط الذين وجدوا فى الاتصال بالامان فرصة لتحرير مصر من القوات البريطانية دون تقدير سليم لابعاد الفكر النازى القائم أساسا على التعصب والتفرقة العنصرية .

وقد بدأت محاولات الاتصال بالألمان في مجال سلاح الطيران حيث امكانية الحركة متوافرة ٠٠٠ وكانت قد تكونت عام ١٩٣٩ مجموعة من قادة الاسراب والطيارين عبد اللطيف البغدادي وحسن ابراهيم وحسين ذو الفقار صبرى وعبد المنعم عبد الرؤوف ووجيه اباطة وأحمد سعودى وحسن عزت وانضم لهم فيما بعد ضابط الاشارة أنور السادات .

وكان محور تفكير هذه الجماعة هو ضرورة خلق دور للشعب المضرى في المعركة الدائرة على أرضه بين الحلفاء من جهة والقوات الفاشية والنازية من جهة أخرى .

وكانت هذه المجموعة منبهة باللعاية والنظم النازية ، تتطلع الى الانتصارات الاولى لألمانيا وترى خلالها النتيجة الوحيدة المحتملة للحرب العالمية الثانية .

وعندما تقدم رومل في هجومه السريع نحو الاسكندرية قررت هذه المجموعة ارسال قائد السرب أحمد سعودى مندوباً عنهم الى رومل لشرح وجهة نظرهم في التعاون ضد بريطانيا ٠٠٠ وأعدوا له حقيبة من المستندات بها مفجر يفجرها عند الخطر ٠٠٠ وكلف حسن ابراهيم عضو مجلس قيادة الثورة فيما بعد بحمل الحقيبة الى سعودى حتى الطائرة بعد اختفائه في أحد الخنادق ، كما كلف ووجيه اباطة بإعداد خط سير الرحلة .

لم يصل أحمد سعودى الى الألمان ، سقطت طائرته واذاعت الاذاعة الألمانية خبر اسقاط طائرة قتال بريطانية اقتربت من مرسى مطروح ٠٠٠ وحوكم حسن ابراهيم باعتباره ضابطاً مناوياً وتأخرت أقدميته ليصبح آخر دفعته ونقل الى المهبات .

ولم تتوقف محاولة الاتصال بالألمان بعد اختفاء طائرة سعودى ٠٠٠ سلك نفس السبيل الصول الطيار محمد رضوان الذى كان ووجيه اباطة قد استعان به في وضع الخطة . ووصل رضوان فعلاً الى القوات الألمانية حيث تعاون معها تعاوناً كاملاً الى ان اعتقل في برلين عندما دخل الحلفاء وحوكم بمجلس عسكري بعد انتهاء الحرب وحكم عليه بالسجن ١٥ عاماً ، ٨٠٠٠ جنيه غرامة حتى أفرج عنه بعد الثورة ، وعمل بعد ذلك في ادارة الشئون العامة للقوات المسلحة .

ولم تكن هذه هي المحاولات الوحيدة للاتصال بالألمان ٠٠٠ عزيز المصرى أيضاً قام بهذه المحاولة عقب اشتعال ثورة رشيد عالي الكيلانى في العراق ، وكان عزيز المصرى على اتصال بالألمان ، الذين أعدوا معه خطة للهروب بهبوط طائرة ألمانية في منطقة (جبل رزه) على طريق الواحات البحرية .

وكان مفروضاً أن يقود قائد الجناح عبد المنعم عبد الرؤوف سيارة عزيز المصرى الى المنطقة المحددة ليستقل الطائرة ولكن الحظ لعب دوره وتعطلت السيارة قرب منطقة الاهرام وفشلت خطة الهرب .

ولكن عزيز المصرى لم يقنع بذلك أصر على الهرب مرة أخرى بطائرة مصرية كان يقودها له حسين ذو الفقار صبرى وعبد المنعم عبد الرؤوف .

ولكن الطائرة لم تحقق هدفها لأن الميكانيكى أخطأ فقفل مفتاح الزيت بدلاً من فتحه . . . ولم تكده تحلق الطائرة حتى هبطت فى قليب فى احدى الحدائق . . . ولجأ عزيز المصرى الى مأمور المركز الذى كان تلميذا له فى كلية البوليس فأعطاه عربته دون أن يعرف سر رحلته الفاشلة ، أوصلته الى ميدان الأوبرا ثم لجأوا الى مدرس فى امبابه كان عضواً بجماعة مصر الفتاة .

وكان هذا المدرس مراقباً من البوليس بحثاً عن أحمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة الذى كان هارباً وقتها فى طنطا كدرويش من دراويش السيد البدوى . . . واعتقل عزيز المصرى وحسين ذو الفقار صبرى وعبد المنعم عبد الرؤوف لمدة تزيد عن عام ونصف الى أن أفرجت عنهم وزارة الوفد فى مارس ١٩٤٢ واعادتهم للجيش مع نقل حسين ذو الفقار الى السودان وعبد المنعم عبد الرؤوف الى المهمات ، حيث لم يعد بعدها للطيران أبداً . . وكان قد نقل من اعتقالهم ٢٣ ضابطاً من الطيران الى أسلحة الجيش المختلفة .

وانتهى عمل مجموعة الطيران مع فشل رحلة عزيز المصرى وانتهت صلاتهم التى لم تكن تنظيمية بالمعنى المعروف للتنظيم ، وانما كانت تضمهم رابطة صداقة ووحدة هدف وطنى .

وكان هناك اتصال آخر بالألمان وضباط الجيش المصرى عن طريق أنور السادات وحسن عزت اللذين قدم لهما عبد الغنى سعيد اثنين من رجال المخابرات الألمانية هما (هانز ابلى) الذى تزوجت والدته الألمانية من مستشار مصرى (صالح جعفر) فى ألمانيا ، ثم حضرت الى مصر ومعها ابنها الألمانى الصغير ، وأراد الزوج المصرى أن يوفر لابن زوجته حياة مطمئنة فأعطاه لقب أسرته وعرف باسم (حسين جعفر) ، ولكنه انصرف عن حياة المجتمع المصرى وهاجر الى وطنه ألمانيا ليعود بعد ذلك عميلاً لمخابراتها هو وزميل آخر اسمه (صاندى) .

وقد انتهى اتصال أنور السادات وحسن عزت، بهما الى اعتقال الجميع فى أغسطس ١٩٤٢ بعد افتضاح أمر الجواسيس الألمان الذين أقاموا فى عوامة مع الراقصة حكمت فهمى .

وجرت محاولة لمحاكمة أنور السادات وحسن عزت أمام مجلس عسكري يضم بعض الضباط الانجليز بتهمة التجسس ، ولكن محمد نجيب مساند نائب أحكام الجيش في ذلك الوقت اعترض على تكييف التهمة ، وانتهى الأمر بطردهم من الجيش في ٨ أكتوبر ١٩٤٢ ثم اعتقالهم حتى نهاية الحرب .

وكان الضباط المصريون قد أخذوا موقف المقاومة عندما ظهرت بوادر تنفيذ الخطة البريطانية لنزع سلاح الجيش المصري اذا حاول مقاومة البريطانيين ٠٠٠ وقد ظهر ذلك في محاولة سحب الدبابات المصرية بدعوى شرائها بعد معركة (دنكرك) ورفض ضباط الوحدات المصرية تسليم أسلحتها كما حدث في حامية منقباد ، وفي الصحراء الغربية حيث رفضت الوحدات المصرية تسليم أسلحتها للقوات البريطانية التي ستحتل مواقعها وعادوا بها الى القاهرة كاملة .

وكانت الصحراء الغربية في ذلك الوقت هي المنفى الذي ينقل اليه الضباط الذين تظهر عليهم أية ميول سياسية ٠٠٠ نقل اليها أنور السادات بعد الاشتباه في تحركاته ، وتشكلت هناك مجموعة كان فيها مجدى حسنين أحد الضباط الأحرار ومؤسس مديرية التحرير فيما بعد ، وكان هدف هذه المجموعة تدمير مهمات ومعدات الجيش الانجليزى ٠٠٠ وقاموا في سبيل ذلك بالاتصال مع ضباط الفرقة الرابعة الهندية لاثارتهم ضد القوات البريطانية ، وقد حوكم أربعة من الهنود فعلا في (فوكة) ونفذ فيهم حكم الإعدام لأنهم رفضوا الخروج للحرب .

ومن مصادفات هذه الفترة أن قافلة عسكرية مصرية من ٦٨ عربية كانت متجهة الى سيوه تحمل تموينا لها وللتأكد مما اذا كانت محرة أو سقطت في يد القوات النازية ٠٠ وعند العودة عثر مجدى حسنين قائد هذه القافلة على ٦ عربات مهجورة للفرنسيين الأحرار وكان بها ٦ صناديق قنابل يدوية (٧٢ قنبلة) حملها الى الطيار حسن عزت . وكانت هذه هي القنابل التي استخدمت في الأعمال الارهابية بالقاهرة فيما بعد انتهاء الحرب العالمية .

زاد الشعور المهادى لبريطانيا مع استمرار الحرب ، وفشلت أحزاب الأقلية في قيادة الدولة ، حتى بلغت أزمة التمويل حدا أشباع القلق والسخط ، وأطلق المظاهرات فى شوارع القاهرة ، وأجبر بريطانيا على الاقتناع بضرورة رفع الحظر الذى فرضته على السراى ضد حكم الوفد .

كان الاستعمار البريطانى على حذر شديد من قيام ثورة شعبية فى مصر ضد صفوفه الخلفية ، ولذا فانه عندما ظهر فى الأفق خطر الهجوم النازى رأوا أن يعيدوا الوفد الى الحكم ضمانا لسيطرته على الشعب فى

هذه المرحلة الحاسمة ، وخاصة بعد أن كان الملك وبعض المحيطين به على استعداد كامل للتعاون مع الغزاة الفاشيين والنازيين .

ولما تلقا الملك فاروق فى الاستجابة لارادة الحكومة البريطانية لاستمراره الحكم فى ظل حكومات ضعيفة تابعة ، ولأمله فى ان يتغير مسار الحرب لصالح المحور ، قدم السفير البريطانى انذارا للملك يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ بعد ان كانت وزارة حسين سرى قد استقالت يوم ٢ فبراير ٠٠٠ . وحاول رئيس الديوان أحمد حسنين المراوغة لتشكيل وزارة قومية رغم مقابلة السفير له يوم ٣ فبراير ، وطلبه أن يعهد الى النحاس بتشكيل الوزارة ، وهو تدخل كان يعتبر حتى هذه اللحظة طبيعيا فى مجال السياسة المصرية . . . ولكن مراوغة الملك استمرت حتى يوم ٤ فبراير فقدم السفير انذارا هذا نصه (اذا لم اعلم قبل السادسة مساء أن النحاس باشا قد دعى لتأليف الوزارة فان الملك فاروق يجب ان يتحمل تبعات ما يحدث) . . . ولما لم تتم استجابة فورية لذلك حاصرت الدبابات قصر عابدين فى الساعة التاسعة مساء ، ودخل السفير وقائد القوات البريطانية وأمامهم ثمانية ضباط يحملون المسدسات ، ودخل السفير على الملك فى مكتبه وكان بجواره أحمد حسنين فخيره بين التنازل أو تشكيل وزارة وفدية فقبل الحل الثانى فورا (٢٩) .

أدت مظاهرة السفير العسكرية ، ودعايات أحزاب الأقلية الى الاساءة للوفد ، وأصبح ٤ فبراير مطعنا يطعنه منه كل معاد له أو كل من لم يكتشف حقيقة دور السراى المتعاونة مع السلطنة الأجنبية فى الجذور ، أو الذين جرفتهم الوطنية الى قبول الأفكار الفاشية دون بحث أو تمحيص .

ولذا ترك حادث ٤ فبراير فى الجيش تأثيرات بعيدة المدى ٠٠٠ قدم اللواء محمد نجيب استقالته ، ولكن الياور عبد الله النجوى السودانى الأصل أقنعه بسحبها ، واجتمع ضباط سلاح الطيران وقرروا تسجيل أسمائهم فى سجل التشريعات ، وذهب عبد اللطيف البغدادى وعبد الحميد الدغيدى الى أحمد حسنين رئيس الديوان ليحصلوا منه على تقييم لموقف مصطفى النحاس (حتى اذا كان خائفا يقتل) على حد تعبيرهم ، ولكن أحمد حسنين أبلغهم انه سيرفع الأمر الى مولاه ليتصرف بحكمته ، وأوقف مجدى حسنين حفلا فى نادى الضباط بالاسكندرية أقيم بمناسبة عيد ميلاد الملك فاروق فى ١١ فبراير أى بعد الحادث بأسبوع وكانت تشترك فيه الراقصة ببا عز الدين والمطرب جلال حرب ، وقام البكباشى محمد كامل الرحمانى بحركة نشطة فى الجيش تأييدا للملك وانتهت بتشكيل مجموعة متعاطفة معه كنت واحدا من أعضائها هدفها منح البريطانيين عند انسحابهم

أمام الألمان من تدمير المنشآت المصرية مثل الكبارى والجسور وانتهى به الأمر الى اعتقاله هو والقائمقام فؤاد صادق الذى أصبح قائدا للقوات المصرية المقاتلة فى حرب فلسطين بعد ذلك .

لم تكن هذه هى حوادث الاعتراض والاحتجاج الوحيدة ، فقد كان معظم ضباط الجيش قد تأثروا بهذا الحادث من الوجهة الوطنية ... وأثر ذلك على اتجاهاتهم السياسية وأبعدهم عن الوفد ... وقد تأثرت حقيقة عندما قال لى كمال الدين حسين عضو مجلس الشورى فيما بعد قراءته للمذكرات كديرن ووثائق الخارجية البريطانية من اكتشافه ان النحاس كان بريثا فى ٤ فبراير ...

البراة بعد ٣٠ عاما تصبح كلمة فى التاريخ ولكن ادراك حقيقتها فى حينها كان كفيلا بتغيير كثير من الأمور .

وانتهز الملك هذه الفرصة ، فأكثر من زيارته لنادى الضباط بالزمالك ... وكانت هذه الفترة هى بداية ظهور حركات سرية بين ضباط الجيش بعد ركود طويل أعقب حادث السودان عام ١٩٢٤ وسحب الجيش المصرى من السودان .

وقد بلغت الاثارة بين الضباط حدا جعل ضابطا فى مصلحة خفر السواحل اسمه شبانة يلقى حذاه على رئيس الوزراء مصطفى النحاس عند خروجه من مسجد الرفاعى بعد الصلاة فيصيب عربة عبد الحميد عبد الحق أحد الوزراء الوفديين ، وتطوع عدد من الضباط للشهادة معه رغم عدم وجودهم فى مكان الحادث كان منهم اليوزباشى عز الدين ذو الفقار المخرج السينمائى فيما بعد والملازم مجدى حسنين .

وحتى هذه اللحظة كان المحرك الرئيسى لاتجاهات الضباط هو الأمل فى انتصار الألمان وهزيمة البريطانيين ... ولذا كانت هزيمة رومل فى معركة العلمين أمام الفيلد مارشال مونتجومرى نقطة تحول هامة فى تفكير الضباط الذين استبدت ببعضهم الحيرة وهو يرقب الهزائم المتتالية تلحق بالجيوش النازية التى صورتها الدعاية فى صورة القوات التى لا تقهر .

ولم يكن الضباط يتحركون وحدهم فى عزلة أو فى فراغ ... كانت لهم صلات بالقوى السياسية خارج الجيش .

ومع ذلك لم تحل ارهاصات العمل السياسى والوطنى داخل الجيش المصرى بينه وبين تنفيذ واجبات محددة ضمن خطة الدفاع البريطانية ... كان أبرزها ولا شك دور المدفعية المضادة للطائرات والأنوار الكاشفة فى القاهرة والاسكندرية ومنطقة القنال ، رغم أن دخول سيناء كان محظورا إلا بتصريح حتى لضباط الجيش ، وكانت السلطة فيها لقوات الاحتلال والمخافض البريطانى .

قال تشرشل (ان مصر قامت بدور مشرف مهم له قيمته لا في دفاعها عن نفسها فحسب ولكن في الصراع العالمي) وقال الجنرال أوكنل قائد القوات البريطانية « ان المساعدة التي قدمها لنا الجيش المصرى عظيمة فقد حرس المرافق الداخلية ، وتولى أعمال المراقبة ، والأنوار الكاشفة والبطاريات المضادة للطائرات وخفف بذلك الضغط على قواتنا الى حد كبير » .

وعندما انفجرت أزمة العلمين سمحت القوات البريطانية لعدد من الضباط المصريين بالحصول على فرق تدريبية فى مدارس الجيش البريطانى بالشرق الأوسط بفلسطين مثل مدرسة المدفعية المضادة للطائرات فى حيفا ومدرسة مدفعية السواحل فى عكا ومدرسة المشاة فى صرند وغيرها .

وفى هذه المرحلة كانت حكومة الوفد تواصل مسارها ، بعد ان انجذب مكرم عبيد سكرتير الوفد الى السراى ونشر فى الاهرام مقالا يقول فيه عقب مقابله للملك يوم ١٣ مارس ١٩٤٢ « لم البث طويلا حتى أدركت ان ملكنا الشاب قد ملك زمام الأمور بفضل ما أوتى من رجولة مبكرة وخبرة متنوعة نادرة قلما أتيت للملك من الملوك فكان يتنقل من موضوع الى آخر ومن نصيح الى نصيح فى عطف ووداعة وصراحة أخاذة ونفاذة » وشكل حزب (الكتلة الوفدية) التى أصبحت حزبا من أحزاب الأقلية المنفرطة أساسا من مسيحة الوفد ، وتعرض الوفد خلال هذه الفترة الى حملات شديدة ضد سياسة المحسوبية والاستثناءات التى انتهجها لخدمة أنصاره بعد أن اتقى عن الحكم أكثر من خمس سنوات .

ولكن الوزارة الوفدية استطاعت خلال حكمها أن تقدم إنجازات، ذات تأثير اجتماعى هام مثل اصدار قانون مجانية التعليم الابتدائى ، وإنشاء جامعة الاسكندرية ، وديوان المحاسبة ، واستخدام اللغة العربية فى مكاتبات، الشركات ودفاتها ، وصدار قانون استقلال القضاء ، ونقابات الضريبة المربوطة على صغار المزارعين ، ووضع مشروع المجموعات الصحية ، وصدار قانون عقد العمل الفردى ونقابات العمال .

وبعدما أدت وزارة الوفد دورها فى تهدئة الجماهير تخلى الاستعمار عنها وأسرع الملك يصدر قرارا بإقالتها يوم ٨ أكتوبر ١٩٤٤ ، بعد ان وقعت بروتوكول الاسكندرية الخاص بإنشاء جامعة الدول العربية فى اليوم السابق مباشرة وكاننا انتظر منها ان تخرج دورها بتكوين الجامعة التى بارك انطونى ايدن انشاءها .

وكان خطاب الاقالة مهينا مثل خطاب الاقالة السابق اذ قال فيه الملك وهو يقيل وزارة الأغلبية الشعبية انه يقيل الوزارة بدافع الحرص على

إن تحكم البلاد « وزارة ديموقراطية تعمل للوطن » وتطبق أحكام الدستور نصا وروحا » وهكذا انتصرت حاشية السراى على ارادة الاغلبية الشعبية .

هذه الثورى فى مصر

واعقب اقالة الوزارة الوفدية عودة أحزاب الاقلية الى الحكم ومعها الحزب الجديد (الكتلة الوفدية) فى وزارة برئاسة أحمد ماهر رئيس حزب السعديين الذى حل البرلمان لاجراء انتخابات جديدة لم يشترك فيها الوفد ، واجتمع البرلمان الجديد فى ١٨ يناير ١٩٤٥ ولكن لم تمض الا أيام حتى اغتيل أحمد ماهر يوم ٢٤ فبراير اعتراضا على اعلانه اشتراك مصر فى الحرب اغتاله المحامى محمود العيسوى الذى كان يعمل محاميا فى مكتب الكاتب المؤرخ عضو الحزب الوطنى عبد الرحمن الرافعى .

وتألفت بعد ذلك وزارة محمود فهمى النقراشى .

كان انتهاء الحرب وانهاء الرقابة على الصحف فى ٩ يونيو ، والغاء الأحكام العرفية فى ١٤ أكتوبر بداية مرحلة جديدة من مراحل النضال الوطنى ضد الاستعمار .

وتحت ضغط الشعور الشعبى العام الذى الهبته الصحافة الوفدية وخاصة بعد المذكرة التى أرسلها مصطفى النحاس الى السفير البريطانى يطالب فيها بالجلء الكامل عن مصر ووحدة مصر والسودان ، أرسل محمود فهمى النقراشى مذكرة الى الحكومة البريطانية فى ٢٠ ديسمبر ١٩٤٥ يطالب فيها بسحب القوات البريطانية وقت السلم ، مشيرا الى ان علاقات مصر وبريطانيا ستكون مستمرة على أساس من التحالف .

ومع ذلك جاء رد الحكومة البريطانية بعد شهر كامل ، ليقول ان المبادئ الأساسية التى قامت عليها معاهدة ١٩٣٦ سليمة فى جوهرها « وان سياسة حكومة جلالة الملك هى ان تدعم بروح من الصراحة والود التعاون الوثيق الذى حققته مصر ومجموعة الأمم البريطانية والامبراطورية فى أثناء الحرب » .

وكان لهذا الرد الذى ربط بين مصر ومجموعة الأمم البريطانية لأول مرة رد فعل شعبى مضاد ، تحركت معه جماهير الطلبة ، فأصدرت اللجنة التنفيذية العليا للطلبة ، واتحاد خريجي الجامعة بيانات احتجاج ... وتقرر عقد مؤتمرات عامة فى المعاهد والجامعة لمناقشة الحالة .

وعقد مؤتمر فى الجامعة يوم السبت ٩ فبراير ١٩٤٦ ضم بضعة آلاف تحركوا بعده فى مظاهرة كبيرة نحو قصر عابدين تحت شعار (لا مفاوضة الا بعد الجلء) .

وعندما وصلت المظاهرة في طريقها الى كوبرى عباس وجدته مفتوحا. فاصبر الطلبة على عبوره وحاصره البوليس وانهاال عليهم ضربا في قسوة شديدة ، ثم أطلقت بعض طلقات الرصاص مما دفع بعدد من الطلبة الى القاء أنفسهم في النيل ، وعرفت هذه الحادثة يومئذ باسم (مذبحة كوبرى عباس) ، التي قدر عدد المصابين فيها بستين طالبا واعتقل ١٥٠ متظاهرا . وعمت المظاهرات أنحاء مصر احتجاجا على المذبحة وامتلات الصحف ببيانات الاحتجاج وصادرت الحكومة بعض الصحف التي نشرت صور المظاهرات يوم ١١ فبراير (عيد ميلاد الملك فاروق) وحطم الطلبة ترتيبات الحكومة التي أقامتها احتفالا بالعيد وداسوا صور الملك بالاقدام وأشعلوا فيها النار وحتفوا ضد الاستعمار والبراي ، وخرجت في اليوم التالي ١٢ فبراير جنازة صامئة وأقام طلبة الأزهر صلاة الغائب .

ولم تجده الوزارة أمامها بعد عجزها الفاضح عن مجابهة الانجليز بعد حديث متكرر عن (الصمت) و (الوقت المناسب) ، وبعد قسوتها في مجابهة مظاهرات الطلبة ، وأمام تصاعد المقاومة الشعبية حيث لم تعد المظاهرات قاصرة على الطلبة بل امتدت الى طوائف الشعب الأخرى - لم تجده الوزارة الا أن تقدم استقالتها يوم ١٥ فبراير ، ليتولى الوزارة بعد ذاك اسماعيل صدقي رئيسي حزب الشعب السابق الرجل الذي كان قد شكل دستور ١٩٣٠ وعضو مجلس إدارة شركة قناة السويس ، ورئيس اتحاد للصناعات .

وقد مهد اسماعيل صدقي لموافاقته بحديث كان فيه بشره في الأهرام يوم ٧ فبراير يدعو فيه الى المفاوضة بدلا من المباحثات التمهيدية مع السفير البريطاني وهي الخطة التي كانت وزارة النقراشي قد انتهجتها ، وهو في مقاله يعتبر بريطانيا صديقا وحليفا ويعلن ان الرغبة في التحالف مهم لا تحتاج الى تدليل .

وسهل الانجليز أيضا مهمة اسماعيل صدقي بسحب لورد كيلرن السفير البريطاني الذي يرتبط اسمه بحادث ٤ فبراير وعينوا بدلا منه سير رونالد كامبل .

وقد بدأ صدقي وزارته بأسلوب ناعم . . . أقنع السعديين الأحرار بخطر عودة الوفد فضمن تأييد البرلمان له . . . وصرح بقيام المظاهرات لانيام محدودة . . . وصرح للطلبة باستعدادهم ورغبته في التعاون مع مصطفى النحاس ، ولكن النحاس باشا صرح بأنه لا يقبل أى نوع من أنواع التعاون الا على أساس انتخابات برلمانية جديدة وهو الأمر الذي يعني انتهاء التحالف القائم بين أحزاب الأقلية التي ارتضت الاشتراك في الوزارة على حزب الكتلة الوفدية .

ولم يتوقف المظاهرات الشعبية لوعيها بطبيعة وتاريخ اسماعيل صدقي ، وتشككها وحذرهما من تصريحاته عن التحالف مع بريطانيا ، وأصدرت لجنة الطلبة التنفيذية بيانا قالت فيه ان الأسباب التي دعت الى الجهاد ما زالت قائمة ٠٠٠ وفي ١٨ فبراير تجمع بميدان عابدين نحو ٤٠ ألف متظاهر ، كما تجمع نحو ١٥ ألفا بفناء الجمعة بالجيزة .

وخلال هذه الأيام العائرة بالنضال التقى مندوبو الطلبة والعمال وانبثقت (اللجنة الوطنية للعمال والطلبة) لتؤدى دورا تاريخيا بدأته باعلانها ان نقابات العمال وطلبة الجامعات والأزهر والمعاهد العليا والمدارس الخصوصية والثانوية قررت ان يكون يوم الخميس ٢١ فبراير ١٩٤٦ يوم الجلاء ويوم الاضراب العام لجميع هيئات الشعب وطوائفه ، ونادت أيضا بتعطيل المرافق العامة ووسائل النقل والمحلات العامة والتجارية .

ووصلت المظاهرات قمة النجاح وتعطلت الحياة العامة فى القاهرة ، وعقد مؤتمر شعبى فى ميدان الأوبرا قرر مقاطعة المفاوضات والغاء مباحثه ١٩٣٦ والغاء اتفاقية ١٨٩٩ وعرض القضية على مجلس الأمن ، ثم تحركت المظاهرات الى ميدان قصر النيل (التحرير بعد ذلك) حيث ظهرت عربات بريطانية مسلحة اخترقت الجموع وذهمنهم فألقى المتظاهرون الحجارة على التكنات ، فردت القوات البريطانية بإطلاق الرصاص من خلف الأسوار ٠٠٠ وتساقط عدد من الشهداء قتلوا بعشرين شهيدا وتارت ثائرة الجماهير فانقضوا على بعض المحلات الأجنبية ومعسكر للجند الإفريقيين خلف المحكمة المختلطة ونادى الطيران البريطانى واعتدوا عليهم واستمرت المظاهرات تطوف شوارع القاهرة وتلوح بالناديل المخضبة بدماء القتل أمام قصر عابدين حتى منتصف الليل .

ولم تقتصر المظاهرات على القاهرة وحدها ٠٠٠ انتشرت فى مختلف المدن ، ولم تنفع بيانات صدقي فى التفرقة بين الطلبة والعمال ، وتقرر يوم ٤ مارس يوما للحداد العام على أرواح الشهداء ، فأضربت الصحف عن الصدور ، وأغلقت المصانع والمدارس ، وفى الاسكندرية تحركت مظاهرة شعبية ضخمة من محرم بك الى محطة الرمل ، وحاول بعض المتظاهرين انزال علم بريطانى يرتفع على فندق يقيم فيه بعض رجال البحرية البريطانية فأطلق عليهم جنود البوليس الحربى البريطانى الرصاص من كمشك فى ميدان محطة الرمل ٠٠٠ وحدث صدام انتهى الى قتل ٢٨ متظاهرا ، ٢ من الجنود البريطانيين وجرح ٣٤٢ .

وكانت الحكومة البريطانية رغم تأييدها لاسماعيل صدقي قد أخذت عليه تهاونه فى قمع المظاهرات الأمر الذى يمهّد لقيام ثورة شعبية تهدد قوات الاحتلال ، فأرسلت بيان احتجاج للملك مباشرة ، وقبل صدقي

الاحتجاج دون ان يعلن ذلك ، ولكن وزير الدومنيون البريطاني أعلن الخبر في مجلس اللوردات وطيرته وكالة رويتر للصحف المصرية مما أوقع صدقي في دائرة الحرج ، وكشف تماما عن دوره المخادع عندما أصدر قرارا بمنع المظاهرات .

وسرعان ما ألف في ٧ مارس ١٩٤٦ وفدا رسميا للمفاوضة مع الانجليز يضم الى جانبه محمد شريف صبرى وعلى ماهر ومحمد حسين هيكل وعبد الفتاح يحيى وحسين سرى ومحمود فهمى النقراشى وأحمد لطفى السيد وعلى الشمسى ومكرم عبيد وحافظ عفيفى وإبراهيم عبد الهادى ، وهى مجموعة من الاسماء المعروفة فى السياسة المصرية ، يؤمن معظمهم بأن التحالف مع بريطانيا أمر تقتضيه الضرورة والمصلحة . أما الوفد فقد أبى الاشتراك فى هذه الهيئة مادام لا يملك رئاستها أو الأغلبية فيها .

وكان رفض الوفد للاشتراك فى وفد المفاوضات دافعا الى تساؤلات ظهرت فى الصحافة البريطانية تشكك فى سلامة تمثيل هيئة المفاوضات للواقع المصرى . . وأدى هذا الموقف الى تدهور سريع فى علاقات صدقى مع الوفد تمثل فى مصادرة الحكومة لصحف الوفد ومحاصرة الجنود لدورها ، وأوضح ذلك صبرى أبو علم زعيم المعارضة الوفدية بمجلس الشيوخ فى ٩ مارس ، وأصدر صدقى بيانا فى ٢ ابريل هدد فيه الوفد بعنف واتهمه بأنه يضع العراقيل أمام المفاوضات ، ويدفع الطلبة والعمال الى الاضراب والتظاهر .

وعندما اطمانت الحكومة البريطانية الى موقفه المتشدد شكلت حكومة العمال البريطانية وفدا للمفاوضة برئاسة بيشن وزير الخارجية ولورد ستانيسجيت وزير الطيران ، وأصدرت فى ٧ مايو بيانا حددت فيه سياستها على أساس سحب كافة قواتها من مصر على أسس ثلاثة هى :
أولا : توطيد التحالف مع مصر على أساس المساواة بين امتين تجمع بينهما مصالح مشتركة .

ثانيا : أن يتقرر بالمفاوضات تحديد مراحل الجلاء والمواعيد التى يتم فيها .

ثالثا : الاتفاق على ما يتخذ بين الحكومتين من التدابير لتحقيق التعاون فى حالة الحرب أو خطر حرب وشيكة الوقوع .

وقد قوبل هذا البيان بهجوم متعدد الأطراف . . حمل تشرشل على البيان فى مجلس العموم من ناحية ان القواعد العسكرية فى برقة وفلسطين لن تكون كافية لحماية قناة السويس ، وقال ايدن ان عدم تمثيل الوفد

فى وفد المفاوضات يجعل العرض البريطانى بالجلاء عرضا مقدما بغير ضمان استيفاء الثمن من مصر

وفى يوم صدور البيان نقلت وكالة رويتر عن الدوائر الرسمية القول بأن الجلاء لا ينتظر أن يتم بالسرعة التى تم بها عن سوريا ولبنان وذلك بسبب ضخامة حجم القوات البريطانية أولا وبسبب ما يحتاجه الجيش المصرى من استعدادات تؤهله لحمل التبعات ثانيا .

هذا ما حدث فى بريطانيا ٠٠٠ اما فى مصر فقد أهاجت فكرة التحالف شعور المصريين وخرجت المظاهرات الى الشوارع . وفى ١١ مايو اصطلح البوليس بمظاهرة خرجت من الأزهر وجرح فيها ثلاثون متظاهرا وعشرة من رجال البوليس ، وأصدر الوفد والحزب الوطنى بيانا هاجموا فيها البيان البريطانى .

واستمرت المفاوضات حتى قبل الجانب المصرى فكرة تكوين (لجنة الدفاع المشترك) من عسكريين مصريين وبريطانيين ، وما ان عرفت موافقة الحكومة على انشاء هذه اللجنة حتى تحركت المنظمات الشعبية تعقد المؤتمرات وترتب المظاهرات ، وأصدرت اللجنة الوطنية للعمال والطلبة بيانا حددوا فيه يوم ١١ يوليو ١٩٤٦ (ذكرى ضرب الإنجليز للاسكندرية عام ١٨٨٢) يوما للحداد العام وبداية الجهاد الوطنى .

وهنا أسفر صدقى عن وجهه الحقيقى وقام فى اليوم السابق على الاضراب باعتقال حوالى مائتين من الكتاب والصحفيين وزعماء اللجنة الوطنية ونقابات العمال والطلبة ، وأغلق كثيرا من دور النشر والجمعيات الجديدة ذات الطابع التقدمى مثل دار الأبحاث العلمية ولجنة نشر الثقافة الحديثة ودار القرن العشرين والجامعة الشعبية الأهلية واتحاد خريجي الجامعة وجامعة أم درمان ومؤتمر نقابات عمال قطر مصرى ونادى الشرقية ورابطة بمئات الجامعة والمعاهد ، كما أغلق نهائيا صحف الفجر الجوية والجمعة وأم درمان والعراق واليراع والضمير والوفد المصرى وصادر لعدة أيام جرائد المصرى والكتلة ومصر الفتاة ، ومنع الاحتفال بيوم ١١ يوليو .

وأطلق على هذه الحملة (قضية المبادئ الهدامة) وألصق بالمعتقلين تهمة الشيوعية ، وكان منهم سلامة موسى والدكتور محمد مندور ومحمد زكى عبد القادر وغيرهم ، ورغم الغضب تصريح جريدة (الوفد المصرى) بأن معارضة الوفد لهذه الاجراءات لم تكن قوية بالدرجة الكافية ، وضحي الوفد بجريده مطالباً بصدور جريدة أخرى بدلا منها (صوت الأمة) .

وبقدر ما قوبلت حملة صدقى باشا بالازتياع فى الدوائر الاستعمارية ودوائر السراى والرجعية المصرية ، بقدر ما قوبلت بالرفض من جانب

المثقفين والعمال والطلبة ، فما لبث ان اضربت عمال شركة الغزل الأجلية بالاسكندرية يوم ١٥ يوليو ، والقيت خمس قنابل يوم ١٧ يوليو على أحد الأندية البريطانية .

وكانت هذه الحملة نقطة تحول في أسلوب السلطة التنفيذية إذ جعلت تهمة (الشيوعية) سيفا مصلتا على رقاب كل الوطنيين الذين يقفون موقف المعارضة لربط مصر بمجلة الاستعمار .

وحاول صدقي جامدا ان يصل الى عقد اتفاقية مع الانجليز بعد حملته الصليبية ، وسافر فعلا الى لندن في ١٥ أكتوبر بعد ان كان قد قدم استقالته في ٢٨ سبتمبر وكلف الملك خاله شريف صبرى بتشكيل وزارة تضم الوفد اليها ولكنه عجز عن تحقيق ذلك لرفض الوفد وأصراره على اجراء انتخابات جديدة ، وأدى ذلك الى ذهاب مصطفى النحاس لتوقيع اسمه في سجل التبريرات بمناسبة عيد الاضحى لأول مرة بعد اقالته .

وقع صدقي اتفاقية بالحروف الأولى مع بيغن ، وعاد يعلن أن الوحدة بين مصر والسودان قد تقرر نهائيا ، ولكن رئيس الوزراء البريطاني مستر اتلي كذب هذا التصريح مما أضعف من موقف صدقي ، الذي كان يعاني في الداخل معارضة شديدة ، وخاصة من جانب الطلبة الذين عقدوا مؤتمرا يوم سفره الى لندن حضره ممثلو الطلبة الوفديين والحزب والوطنى والتنظيمات الماركسية والكتلة وإبطلة الطلبة المصريين وقرروا إلغاء معاهدة ١٩٣٦ وقطع المفاوضات فوزا والالتجاء الى مجلس الأمن ، وكان صدقي قبله أجل الدراسة الى ١٧ نوفمبر .

وما كادت الجامعة تلتج أبوابها حتى بدأت المظاهرات ، دون توقف ، تزداد انتشارا وقوة في مختلف المدارس والمعاهد والكليات ، وتصطدم بالبوليس يوميا ويتسبب قط الجرحى من المتظاهرين ، وخطب مصطفى النحاس في ذكرى عيد الجهاد (١٣ نوفمبر) مهاجما مشروع صدقي بيغن ومحاولة فرض بريطانيها معاهدة التحالف على مصر متهما صدقي بأنه المسئول عما يراق في الشوارع من دماء .

وتحت هذا الضغط الشعبي أصدر سبعة من أعضاء وفد المفاوضات بيانا أعلنوا فيه معارضتهم للمشروع الذي انتهى اليه صدقي مما أجبره على حل وفد المفاوضات في ١٦ نوفمبر . . . وتعهد الانجليز احراجه أيضا بعد أن وجدوا انه لم يستطع التعبير عن ارادة الشعب المصري ، فجعلوا الحاكم العام للسودان يصدر تصريحات تنافى مع بيانات اسماعيل صدقي .

وفشلت دعاية الصحفي مصطفى أمين لمشروع صدقي في مقالاته التي كتبها في مجلة آخر ساعة تحت عنوان (أوقعها وألفها) واضطر

صدقى لتقديم استقالته يوم ٦ ديسمبر ١٩٤٦ تحت ضغط النضال الشعبى العام والموقف الموحد للجماهير والتنظيمات السياسية والجهنية .
وبهذا انتصرت الإرادة الشعبية ، وسقط مشروع صدقى بينفن .
وسقط حكم صدقى بعد عشرة شهور فقط .

وعاد محمود فهمى النقراشى رئيسا للوزراء يوم ٨ ديسمبر ١٩٤٦ .
وتعتبر الفترة التى مضت بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وهزيمة النازى حتى سقوط مشروع صدقى بينفن من أكثر فترات النشاط السياسى خصبا وتوهجا وتأثيرا فى المجتمع .

ولم يكن الجيش خلال هذه الفترة بعيدا عن الأحداث ... ولم تكن هزيمة النازى التى حطمت أحلام كثير من الضباط هى كلمة (النهاية) فى نضالهم .

تحول النشاط عند مجموعات الضباط التى أسقطتها هزيمة النازى فى حيرة شديدة الى البحث عن موقع جديد يواصلون منه نضالهم الوطنى .

وكان الجيش خلال الفترة التى عمت فيها المظاهرات مصر يؤدى دورا بوليسيا ... لم تسحب اليه وزارة محمود فهمى النقراشى الأولى ، ولكن سحبته له وزارة اسماعيل صدقى التى أعلنت نظام الطوارئ ، وجندت قوات الجيش فى مناطق مختلفة ... حديقية الأورمان المجاورة لجامعة القاهرة ، وفى منطقة شبرا الخيمة وفى المجلة الكبرى والإسكندرية وغيرها .

وطبق نظام الطوارئ ... كان الجندى يحصل على علاوة طوارئ عشرة قروش يوميا فى الوقت الذى كان مرتبه الشهرى فيه ٥٤ قرشا ، ويحصل الضابط من الرتب الصغيرة على أربعين قرشا يوميا بينما مرتب الملازم ١٢ جنيها شهريا ، وترتفع هذه القيمة حتى تصل الى جنيهن فى اليوم لرتبة اللواء .

كان خروج الجيش علنا لمقاومة المظاهرات ، واجتماع الضباط والجنود قريبا من مناطق تجمع الطلبة والعمال دافعا لهم على مناقشة الموقف السياسى ومحاولة التعرف على أبعاده ، وخاصة بعد حرص كثير من الطلبة على الاجتماع بالضباط فى زيارات ودية أثناء وجودهم فى حديقة الأورمان .

واستقر رأى صغار الضباط من مختلف الاتجاهات السياسية أخوانا أو شيوعيين أو غير منتبين لتنظيمات سياسية فى عدد من الوحدات على عدم إطلاق النار مطلقا على مظاهرات الطلبة أو العمال مهما كانت الظروف .

حرص اسماعيل صدقي على استخدام الجيش كوسيلته الرئيسية للارهاب والتهديد لم يكن مساهرا للتطور الذي أحدثته معاهدة ١٩٣٦ في صفوف الجيش ٠٠٠ اذ لم يعد الجيش محدود العدد او خاضعا تمام الخضوع لنوعية خاصة من الضباط تمتد من أعلى الرتب الى اصغرها ، وبالتالي لم يعد أداة طيعة في يد السلطة كما كان في عهد وزارة صدقي في بداية الثلاثينيات عندما استخدمه لتزييف الانتخابات .

تطورات كثيرة كانت قد حدثت في مصر وفي الجيش لم يدركها ذكاء اسماعيل صدقي المعروف ٠٠٠ وظهر رفض ضباط الجيش لاداء هذه المهمة البوليسية التي أوكلت اليهم - الى جانب التقارب وتوجيه آرائهم - في صورة منشورات كثيرة وزعت خلال هذه الفترة من الضباط المنضمين للاخوان ، او التنظيمات اليسارية .

وتولد شعور طبقي ناشئ وغير منظور عند صغار ضباط الجيش وعند عدد من صف الضباط الواعين ٠٠٠ بأنهم يعملون في خدمة طبقة اقطاعية لا ينتمون اليها ٠٠٠ ومن هنا كان اقتناعهم بالا يكونوا أدوات تطلق النار على جماهير الطلبة والعمال .

ورغم هذا الموقف فان الضباط لم ينجذبوا الى الوفد العدو المعارض لاجزاب الاقلية ، والذي لم يطلق خلال تاريخه رصاصة واحدة على المتظاهرين ، والذي كانت صحفه في ذلك الوقت تلتهب بمقالات الاثارة بأقلام الدكتور محمد مندور والدكتور عزيز فهمي وغيرهما من شباب الوفد .

يرجع ذلك أساسا الى الاسباب الآتية :

أولا : كانت فرص الوفد في التسلل الى صفوف الجيش عن طريق دفع مؤيديه الى صفوفه محدودة جدا لقلة الوقت الذي بقى الوفد فيه متوليا الحكم مقارنة بحكم احزاب الاقلية .

ثانيا : تثبت القيادة الوفدية دائما بمبدأ فصل السلطات وابعاد الجيش عن السياسة وحرصهم على تنفيذ ذلك لادراكهم ان الجيش كان في هذه المرحلة يتحرك بأوامر السراى الخاضعة لنفوذ الاستعمار البريطاني ، وهي العدو التقليدي للوفد ٠٠ ولذا لم تكن هناك صلات او محاولة عقد صلات بين الوفد ورجال الجيش .

ثالثا : كانت الدعاية المضادة التي صاحبت حادث ٤ فبراير قوية الى الدرجة التي أثرت فعلا في سمعة الوفد داخل صفوف الجيش ، وأظهرته بمظهر الحزب المتعاون مع البريطانيين في وقت كان فيه الارتباط بالنازيين هو الصورة البراقة للوطنية .

وأبعا : ظهور تنظيمات سياسية جديدة ذات اتجاهات فكرية واجتماعية مختلفة (مصر الفتاة - الإخوان المسلمين - الحزب الوطني الجديد - التنظيمات الشيوعية) قادتها أقرب من ناحية السن والتكوين الاجتماعي لصغار ضباط الجيش ٠٠٠ وحركتها التنظيمية أكثر انضباطا من الوفد الذي كان يعتمد على رصيد زعامته وجماهيرية أهدافه وقدراته المالية ، وبالتالي كانوا أكثر جاذبية للضباط الذين اعتادوا الانضباط والضبط والربط - على حد التعبير العسكري - فى حياتهم اليومية .

خامسا : كان تكوين القيادة الوفدية متنافرا الى حد بعيد مع طبيعة الجماهير المؤيدة له ٠٠٠ فمعظم القيادة كانت من الاقطاعيين ، ومعظم الجماهير كانت من العمال والفلاحين والمتقنين ٠٠٠ ولذا فان الضباط لم يجدوا فى تكوين القيادة الوفدية ما يجذبهم اليها باعتبارهم أبناء للطبقة الوسطى ، تولدت فى صفوفهم أفكار وطنية وثورية ، أكسبتها الروح العسكرية طابعا حادا يميل الى التغيير السريع .

انجذب الضباط بعد هزيمة النازى وفى مواجهة الموقف الذى انسحبوا اليه لمواجهة جماهير الشعب بطلقات الرصاص الى أحزاب وتنظيمات أخرى .

تعددت الاتجاهات ٠٠٠ وتنوعت قوى الجذب المختلفة .

ويمكن بلورة الاتجاهات داخل الجيش فى ذلك الوقت فى ثلاثة اتجاهات رئيسية :

١ - اتجاه جذبه الارهاب واغتيال جنود الاحتلال وامتد حتى وصل الى بعض السياسيين المصريين .

٢ - الإخوان المسلمون كقوة سياسية جديدة تظهر على المسرح مصحوبة بدعاية هائلة وتأييد صريح من حكومة اسماعيل صدقى .

٣ - التنظيمات اليسارية التى كانت تنمو فى سرية مطلقة مستفيدة من المد الثورى ، ووضوح موقف الدول والقوى الاشتراكية فى تأييد قضيتنا .

أما بقية القوى والأحزاب السياسية فان فرصتها للعمل والنشاط داخل الجيش كانت محدودة ٠٠ بل معدومة تقريبا .

ومصر الفتاة لم تنجح لها الحرب العالمية الثانية فرصة النشاط مع الضباط وخاصة الذين تأثروا بمبادئها خلال الدراسة الثانوية ، لأنها كانت مطاردة من السلطات لاتجاهاتها الفاشية فى هذه المرحلة .

أما أحزاب الأقلية فإن قدراتها كانت أضعف من التأثير على شباب الضباط لاتجاهاتها الرجعية المحافظة .

وهكذا انفردت هذه الاتجاهات الثلاثة لتتلمذ داخل صفوف الجيش .

أولا - الإرهاب :

كان الاتجاه الإرهابي أقدم في وجوده من الحركة الشعبية التي انطلقت عام ١٩٤٦ ، وهو يمتد بجذوره الى أفكار (الحزب الوطني) الذي بدأ أعضاؤه يعتنقون الفكر الإرهابي خلال ثورة ١٩١٩ وما بعدها ، بعد أن طغى الوفاء عليهم بجماهيرته وشعبيته .

كان ضباط الطيران فعلا على اتصال ببعض الذين ناضلوا ضد البريطانيين في جماعة (عصابة اليد السوداء) خلال ثورة ١٩١٩ وما بعدها مثل عبد العزيز عتي الذي أصبح وزيرا في وزارة محمد نجيب وكان عضوا في الحزب الوطني .

وكان أعضاء الحزب الوطني يعتبرون الاغتيال وسيلة من وسائل النضال ، ومحمود العيسوي الذي قتل أحمد ماهر كان محاميا تحت التمرين في مكتب عبد الرحمن الرافي الذي اعتقل هو وفتحي رضوان عقب حادث الاغتيال ثم أفرج عنهما بعد أن ثبت عدم وجود صلة لهما بعملية الاغتيال نفسها .

وحدث التقاء بين بعض الضباط وبين شباب من أعضاء الحزب الوطني ، كونوا مجموعة للاغتيالات . . . وكانت المحاولة الاولى اغتيال مصطفى النحاس الذي اجتمع عليه رأيهم لما تركه حادث ٤ فبراير في نفوسهم ، وقد قام بهذه العملية التي لم تنجح أنور السادات ، وحسين توفيق الذي اغتال أمين عثمان بعد ذلك ، وسعد كامل ابن أخت فتحي رضوان وعضو اللجنة التنفيذية العليا للحزب الوطني الجديد فيما بعد ، ومحمد كامل السفيير بعد ثورة ١٩٥٢ .

وتشكلت داخل الجيش مجموعة أخرى اتصلت بسعد كامل وضممت الضباط مصطفى كامل صدقي وحسن فهمي عبد المجيد وعبد الرؤوف نور الدين ، والقوا قنبلتين على منزل عبد الفتاح عمرو سفييرا في لندن بالدقي ، وقنبلة أخرى على الاتحاد المصري الانجليزي فكان نادي ضباط القوات المسلحة بالزمالك الآن ، وقنابل دخان على دار أخبار اليوم .

وقامت المجموعة التي فشلت في محاولة اغتيال النحاس بإشسان باغتيال أمين عثمان بعد ذلك . . . ولكنها اعتقلت وخوكت وحكم على القاتل

حسين توفيق بالأشغال الشاقة المؤبدة ، وكان والده وكبلا لوزارة
المواصلات .

وأمكن لهذه المجموعة تهريب حسين توفيق واختاؤه فترة طويلة .

ولم يكن هذا النشاط خارج حدود الجيش ٠٠ بل تبلورت في الداخل
حركة مضادة لرئيس أركان حربها الجيش اللواء إبراهيم عطا الله الذي
ابتعدت قيادته للجيش عن كل معاني الجدية والتطور ٠٠٠ ذهب مع بعثة
من كبار الضباط لزيارة الولايات المتحدة وبعد عدة أسابيع عاد ليصدر
قرارا وحيدا يقضى بأن نلبس كل الرتب عدا رتبة اللواء بنطلونات قصيرة
أثناء التواجد بالمعسكرات الأمر الذي أثار الضحك على بعضهم لكروشمهم
البارزة ٠٠٠ ونفاقا للسراى أصدر قرارا بأن يلبس ضباط الجيش ربطات
عنق سوداء يوم ٢٨ ابريل ذكرى وفاة الملك فؤاد ، ولكن عددا ملحوظا من
ضغار الضباط رفضوا تنفيذ الأمر ٠٠ كما أنه أوحى لضباط سلاح
المدفعية بأن يجمعوا نقودا لشراء (عضء الماريشالية) لتقدم هدية للملك
فاروق عند زيارته للسلاح ، وقد رفض أيضا عدم من الضباط ان يسهموا
في ذلك ٠٠٠ وكانت زيارة فاروق لميس المدفعية بالمطلة هي زيارته الأولى
والأخيرة ، اذ أثارت مشاعر الضباط لما خونه من بدخ في الطعام والترفيه
٠٠٠ اذ أقاموا مسرحا خارجيا استضافوا فيه فرقة الريحاني واحد فرقة
الباليه الأجنبية التي حضرت من الطائرة الى المدفعية مباشرة فقبل ان تظهر
في كباريه الأوبرج ، وأعدوا بيسيت للرقص لم يشارك فيه الا عدد محدود
من زوجات الضباط اللاتي قبلن الحضور فقط رفض أغلبية الضباط
احضار زوجاتهم في حفلة يحضرها الملك ٠٠٠ ويذكر خلال هذه الليلة ان
الصاغ عبد المنعم رياض - الفريق الشهيد بعد عدوان ١٩٦٧ - كان ناعلا
طربوشه ، فاقرب منه كبير التشريفاتية وأبأغه بأن ذلك ممنوع في حضرة
الملك ، وحدثت بينهما مناقشة انتهت الى استدعائه في اليوم التالي للسراى
وتصفية الأمر بعد ما لمسوه من غضب الضباط واحتجاجهم على هذا الاستلوب
في مخاطبة أحد المدنيين لضابط مرموق .

وقررت مجموعة من الضباط اغتيال ابراهيم عطا الله ، وأصدرت
منشورات أعدها مصطفى كمال صدقي الذي كان ضابطا للمخابرات في
مكتب ادارته ، الأمر الذي كشف مجموعته وأدى إلى اعتقاله مع ٢٣ ضابطا
وصولا من بينهم البكباشى رشاد مهنا واليوزباشية عبد الرؤوف نور الدين
وحسن فهمى عبد المجيد ومدوج جبهه والبكباشى إسماعيل يوسف حبيب
والصاغ عثمان نوري واليوزباشية عاطف سعد ومحمد أحمد حسن والملازم
عبد القادر طه وأحمد فؤاد .

• وسبب اعتقال أفراد هذم الجساعة هو تبليغ أحد ضبولات إدارة المخابرات (جمال الدين جلال) الذى استعانوا به فى عملية تهريب سلاح للفلسطينيين عن طريق بور سعيد ، وذلك بعد اتصبالهم بالحاج أمين الحسينى فى القاهرة •

ولم ينته اعتقال هذم المجموعة الى محاكمة عسكرية ، وإنما انتهى الامر الى الافراج عنهم - وعودتهم الى أعمالهم ، واعفاء ابراهيم عطا الله من منصبه وتعيين اللواء عثمان المهدي بدلا منه ، كما عين محمد حيدر وزيراً للحربية •

• وكان هذا التعيين مفاجأة للجيش ٥٥٠ اذ المعروف ان محمد حيدر ضابط من السجون ، وكان له تاريخ مشهور أثناء ثورة ١٩١٩ فى ضرب المتظاهرين ، وقد استاء من ذلك عدد ملحوظ من الضباط اذ وجدوا فى ذلك امتهانا لهم ، واتهاما بعدم كفاءة أحد منهم لقيادة الجيش •

• وكان تعيين محمد حيدر ربيب السراى وياور الملك خطوة لمزيد من السيطرة على الجيش ، التقت فى خطوة أخرى تمثلت فى احتواء عدد - وليس كل - الضباط الذين اعتقلوا فى حادث ابراهيم عطا الله وتشكيل تنظيم خاص لهم للدفاع عن الملك والسراى عرف باسم (الحرس الحيدى)

ولم يكن هذا التنظيم خاضعا للحرس الملكى أو للجيش ، وإنما كان تنظيمًا سريًا خاصًا يرتبط بالسراى عن طريق يوسف رشيد الطيب البحرى وياور الملك ويضم من الجيش أحمد يوسف حبيب ومصطفى يوسف كمال صدقى وسيد جاد وعبد الرؤوف نور الدين وخالد فوزى وحسن فهمى عبد المجيد •

وينفى خالد فوزى انه كانت له صلة بالحرس الحيدى • ولاشك انه كان الوحيد بين هؤلاء الذى انضم الى تنظيم الضباط الاحرار ، وكان له دور ايجابى معهم فى التحضير لحركة الجيش •

وقد بدأ (الحرس الحيدى) فور تكوينه يمارس عملياته الارهابية ••• أطلق عبد الرؤوف نور الدين الرصاص ومعه أنور السادات على مصطفى النحاس يوم ٥ ابريل ١٩٤٨ من عربة من عربات القصر الملكى أخضرها اليوزباشى عبد الله صادق من مطافى القصر كان يقودها حسن فهمى عبد المجيد فأخطاه رغم قرب المسافة ثم شرع مصطفى كمال صدقى وعبد الرؤوف نور الدين فى نسف منزله بسيارة حملت كمية كبيرة من المفرقات يوم ٢٥ ابريل • وكان ذلك نتيجة موقف النحاس باشا المتشدد فى المسألة الوطنية ، ورفضه لكافة محاولات التقرب من الوفد على غير أساس اجراء انتخابات جديدة •••

واستمر هذا التنظيم يواصل عملياته الارهابية السرية ، ويتعرف على اختيار الضباط ليلغها للسراى ويحاول ان يحيط الملك بهالة مضللة تقنع الناس بأنه يمكن تحقيق الإصلاح عن طريقه .

وكان يساند هذا (الحرس الحديدي) محمد حيدر وزير الحربية واسماعيل شيرين مدير ادارة شئون فلسطين وزوج الاميرة فوزية .

وهكذا انتهى الارهاب الذى اندفع اليه بعض الضباط ومعهم عدد من المثقفين بعد هزيمة النازية لاغتيال جنود الاحتلال الى أن أصبح أداة فى يد السراى للتخلص من أعدائها وأعداء الاستعمار فى نفس الوقت .

لم يستطع الارهاب أن يفرض نفسه داخل الجيش بعد أن وصل نشاط الحركة السياسية فى المجتمع الى ذروته وانعكس ذلك داخل الجيش أيضا وعندما تنمو الأفكار يذبل الارهاب ومع ذلك فان آثار الارهاب والاغتيال لم تنته تماما ، ولكنها حوصرت فى دائرة الحرس الحديدي والضباط المواليين للسراى .

ومع ذلك فانه فى لحظات اليأس من الموقف والرغبة الجارفة فى التغيير ، وضعف الثقة فى التنظيم كان الفكر الارهابى عند الضباط الوطنيين يعاود الظهور ، بل ويتحرك للتنفيذ أحيانا . . . ولكنه لم يستطع أن يفرض نفسه سيدا للموقف كما سيأتى تفصيلا فيما بعد .

ثانيا - الاخوان المسلمون :

صلة الضباط بالاخوان تعود الى الحرب العالمية الثانية ، ولكنها لم تظهر كتيار رئيسى فى مجال الحركة السياسية بالجيش الا بعد انتهاء الحرب .

ولم تكن اتصالات الاخوان المسلمين مقتصرة على فرد أو افراد محدودين وانما كانت منتشرة مع أكبر عدد متاح لهم من الضباط . ونظرة تاريخية الى حركة الجماعة قد تفيد .

تحول النشاط عند مجموعات الضباط التى أسقطتها هزيمة النازى فى حيرة شديدة الى البحث عن موقع جديد يواصلون منه نضالهم الوطنى . طوال حكم الوفد خلال فترة ١٩٣٦ - ١٩٣٧ لم تتجاوز الجماعة حدود دعوتها الدينية ، ولم تظهر على المسرح السياسى بصورة سافرة الا بعد خروج الوفد عندما أصدرت مجلته النذير السياسية عام ١٩٣٨ وقال أحمد حسين رئيس مصر الفتاة أنشاء مرافعتة فى قضية اغتيال محمود فهمى النقراشى بعد ذلك عام ١٩٤٩ ان حسن البنا وقادة الاخوان

ثورة يوليو ج١ - ١١٣ .

كانوا قد اعتقلوا في بداية الحرب العالمية ، الى ان حضر حامد جودة الوزير السعدى وقابل حسن البنا منفردا ثم تم الافراج عنه بعدها بأيام ٠٠٠ وقال كذلك ان عبد الرحمن عمار مدير الأمن العام كان عضوا في الجماعة .

وكان حسن البنا مرشد الاخوان ذا شخصية نافذة يجيد الخطابة ويحيط نفسه بهالة من الغموض تتيح له حسب لائحة الجماعة زعامة فردية مطلقة لا منازع له فيها .

يقول أنور السادات في كتابه (أسرار الثورة المصرية) ان حسن البنا كان حريصا على ان يظل ما بينهما سرا خافيا (حتى على كبار الاخوان أنفسهم) .

وعقب اقالة الحكومة الوفدية في ٨ أكتوبر ١٩٤٤ نشط (الاخوان المسلمون) نشاطا شديدا وصرخت لهم وزارة محمود فهمى النقراشي بعقد الاجتماعات والمؤتمرات الشعبية في أواخر عام ١٩٤٥ بينما حرمتها على كافة الهيئات الأخرى .

وكان حسن البنا طموحا يبغي الاتصال بالملك ليخلق بين الاخوان والسراى نوعا من التعاون الوثيق . ولجأ في ذلك الى أنور السادات يوسف - حسب روايته - ليطرق باب صديقه الدكتور يوسف رشاد ليمهد له مقابلة مع الملك .

وقد وجد عدد ملحوظ من الضباط في هذه الجماعة مركز جاذبية لهم يختلف عن الأحزاب السياسية التي تعتمد على التنظيمات الجماهيرية المفتوحة ، حيث انه كان لهم تنظيم هرمي يقف المرشد على قمته ، ولهم تنظيم عسكري خاص لا يخلط بين المدنيين والعسكريين كان يساعد المرشد في الاشراف عليه ضابط مصرى سابق كان قد هاجر الى ألمانيا ثم عاد منها هو الصاغ محمود لبيب الذى اتصل بمعظم الضباط الذين جندوا في الجماعة ، هذا الى جانب تنظيم الجهاز السرى الذى كان يصل اليه الموثوق فيهم وكان تحت اشراف عبد الرحمن السعدى .

وفي الأيام الأخيرة لوزارة الوفد عام ١٩٤٤ استدعى فؤاد سراج الدين وزير الداخلية حسن البنا ، وأبلغه بأن الوزارة لاتسمح بخروج جواله الاخوان لاستقباله على المحطات أو القيام بطوابير استعراضية له . وكان فؤاد سراج الدين قد زار المركز العام للاخوان خلال الحرب عندما كانت جمعية معانة مثل الشبان المسلمين يحرصون على الظهور في مظهر دينى - وكانت شعب الاخوان قد بلغت ما يزيد عن ٥٠٠ شعبة تقوم بمشروعات اجتماعية تحصل بها على اعانات من الدولة .

واستدعى مصطفى النحاس حسن البنا أثناء الحرب العالمية لمقابلته في مينا هاوس حيث أقام فترة وحذره من الانغماس في العمل السياسي وطلب منه الا يتجاوز حدود دعوته الدينية .

ولكن اقالة حكومة الوفد كانت نقطة بدء لتحرك الاخوان المسلمين ليس ضده فقط . . . ولكن ضد كافة التنظيمات الشيوعية والديموقراطية والاتجاهات الاشتراكية .

ووصلت ذروة المساندة لجماعة الاخوان المسلمين عندما تولى اسماعيل صدقي الوزارة بعد مذبة كوبرى عباس ، ووجد في الوفد كتلة صلبة لا تلين في عداها التقليدية التاريخي له منذ مطلع الثلاثينيات . . هرع اسماعيل صدقي عقب توليه الوزارة الى زيارة مركز الارشاد لجماعة الاخوان المسلمين في الحممية الجديدة ، ونسق سياسته معهم ، حتى أصبحوا من مروجى الدعاية له والمدافعين عن سياسته .

عندما كانت الجامعة في عنفوان اشتعالها الوطنى وقف مصطفى مؤمن زعيم الاخوان في الجامعة يعلق على وعود اسماعيل صدقي المسنولة بأية من القرآن ، وأذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا . .

وعندما شكلت (اللجنة التنفيذية العامة للطلبة) شكل الاخوان (لجنة الطلبة التنفيذية العليا) وعندما تكونت اللجنة الوطنية للعمال والطلبة (التي قادت مظاهرات ٢١ فبراير ، أسرع الاخوان الى تشكيل (اللجنة القومية) وفيها ممثلون أيضا لمصر الفتاة والحزب الوطنى وحزب الفلاح الاشتراكي وجبهة مصر . . والتنظيمان الاخيران من التنظيمات الشككية التي تعتبر لافتات بلا جماهير . وقد ساندت الحكومة هذه اللجنة واتفق على ان يكون محمد حسن العشماوى وزير المعارف ممثلا للحكومة في هذه اللجنة .

ومع ذلك لم يستمر الاخوان طويلا في عضوية (اللجنة القومية) التي شكلت في مركز الاخوان ، بل أعلنوا عقب يوم ٤ مارس ١٩٤٦ - يوم الحداد العام - انهم يعتبرون أن اللجنة قد شكلت لاطهار شعور الأمة ، وأن مهمتها تعتبر قد انتهت بذلك . . . ولكن بقية أعضاء اللجنة أصروا على بقائها حتى تتحقق المطالب الوطنية بالجلاد والوحدة .

ورغم هذه المواقف السياسية الناشزة من الاخوان المسلمين فان اتصالهم بالضباط كان عريضا ومنتشرا لم يقتصر على أفراد محددين . . . ضباط الطيران كانوا على اتصال بهم . . . وأنور السادات كان على صلة شخصية بحسن البنا الذى كان أول من أتاح له فرصة التعرّف بعزیز

المصري كما ورد في كتابه (أسرار الثورة المصرية) ٠٠٠ وقد لعب عبد المنعم عبد الرؤوف قائد السرب الذي حاول الهرب مع عزيز المصري دورا نشيطا في هذا المجال استمر الى ما بعد ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ٠٠٠ وخالد محيي الدين عضو مجلس قيادة الثورة فيما بعد قال انه كان عضوا في الاخوان ومجموعته التي وصلت الى مستوى الانضمام للجهاز السرى العسكرى لهم كانت تضم البكباشى جمال عبد الناصر والصاغ كمال الدين حسين ٠٠٠ ولم يكن الانضمام لهذا الجهاز السرى مفتوحا الا للخلصاء موضع الثقة ٠٠٠ وكانوا يقسمون بين الاخلاص للدعوة فى غرفة مظلمة خالية بمنزلة عتيق على جى الصليبية ويد الضباط على مصحف ومسندس معا .

الظاهرة التي تستلفت النظر هي قيام هذه المجموعة المنظمة للاخوان بعقد جلسات لتحضير الأرواح ٠٠٠ يقول ثروت عكاشة وزير الثقافة فيما بعد أن مجموعة كانت تضمه هو وجمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وخالد محيي الدين كانت تعقد جلسات لتحضير الأرواح كل أسبوع بحضور الشيخ عبد الرحيم القنساوى ، ويقول مجدى حسنين ان مجموعة أخرى كانت تضمه أيضا مع جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر واللواء طبيب حسين رياض كانت تحضر الأرواح مع وسيط آخر هو الدكتور عزت خيرى الذى أصبح عميدا لكلية علوم جامعة القاهرة .

هكذا كانت الاخوان تضم أعدادا من الضباط ينتمون فى جماعات تنتشر بينهم الأفكار الآتية :

١ - معاداة الحزبية بأشكالها القائمة على اختلاف اتجاهاتها وأفكارها الاجتماعية ، مما رسب فى نفوسهم روحا معادية للديموقراطية ٠٠٠ وكان الاخوان يعتمدون على شعار (الرسول زعيمنا) بمعنى الرفض الكامل للزعامات الشعبية القائمة .

٢ - التمسك بالقيبيات التي تنشر الضباب الفكرى وتحول دون انطلاق الرؤية الى آفاق جديدة كما يتضح من تركيزهم على عقد جلسات لتحضير الأرواح يحضرها الضباط .

٣ - الانضباط التام للتنظيم والخضوع المطلق لشخصية المرشد الذى كان يقف وحده بصلاحيات مطلقة على قمة التنظيم الشعبى والعسكرى السرى معا .

٤ - تبنى مفاهيم عنصرية خاطئة لا تربط بالواقع بل تحرف الأنظار عما يدور فى المجتمع مثل قول المرشد « ان الدور عليكم فى قيادة الأمم وسيادة الشعوب ، وتلك الأيام نداولها بين الناس » ، وهى ترديد بصورة أخرى لبعض الأفكار النازية العنصرية .

وكانت فرصة تجنيد الضباط لجمعية الاخوان متاحة أكثر من غيرها
... فالارهاب يحتاج الى جرأة وشجاعة وسرية وتعرض الذات للخطر ...
كما أن التجنيد للتنظيمات اليسارية كان يتم في سرية مطلقة في وقت
كانت كلمة (الاشتراكية) وحدها تكفي لالقاء الشبهات على الناطق بها ،
وفتح أبواب المعتقلات له في أول فرصة مناسبة .

ومنع تدفق الضباط على تنظيم الاخوان وكثرة عدد الذين ارتبطوا
به ، فإن كثيرا منهم لم يجدوا في الاخوان ما يرضى نزعاتهم الوطنية
الاجابية ، ولم يجدوا اجابة واقية مقنعة على أسئلتهم واستفساراتهم ،
كما سيتضح في مسار الحركة السياسية بعد ذلك .
ثالثا - التنظيمات اليسارية :

التنظيمات اليسارية لم تعاود نشاطها في مصر بعد ضرب الحزب
الشيوعي المصري عام ١٩٢٤ ، وحل تنظيماته ومطاردة وسجن أعضائه
الا خلال الحرب العالمية الثانية بعد الانفراجة السياسية التي صاحبت
تحالف الاتحاد السوفييتي مع بريطانيا والولايات المتحدة في حربهم
المشتركة ضد محور النازية والفاشية .

وتشكلت عدة تنظيمات جديدة ...

(اسكرا) وهي كلمة روسية تعنى (الشرارة) بالعربية وكانت
واجهتها العلنية دار الأبحاث العلمية .

(طليعة العمال) هي تنظيم سرى أصدر مجلة (الفجر الجديد)
وعمل في أوساط الطلبة والعمال .. كانت له داران للنشر هما دار
القرن العشرين ولجنة نشر الثقافة الحديثة ... وكانوا على صلة وثيقة
بالشباب الوفدي .

(الحركة المصرية للتححرر الوطني) كانت أكثر الحركات الشيوعية
ارتباطا بالواقع وانتشارا بين التجمعات الجماهيرية ، وكانت لها صحيفة
(أم درمان) العلنية .

وقد حدث اندماج عام ١٩٤٧ بين (اسكرا) والحركة المصرية للتححرر
الوطني ، في تنظيم سرى باسم (الحركة الديمقراطية للتححرر الوطني)
أو حدتو .

وكانت الأفكار اليسارية التي حرصت هذه التنظيمات على نشرها
في صفوف العمال والطلبة والمثقفين ، قد بدأت تمثل مركز جاذبية ملحوظة
حتى لعدد من الضباط الذين بهرتهم الأفكار والتنظيمات النازية في المرحلة
السابقة لهزيمة المحور .

اتصل عبد اللطيف بغدادى ومجموعة الطيران ضمن اتصالاتهم المتعددة مع (جمعية الرياضة وأوقات الفراغ) التى أسسها جسنى العراق أحد الأعضاء السابقين فى الحزب الشيوعى المصرى القديم ، ولكنهم لم يستقروا بها لأنها لم تشبع رغبتهم فى العمل والحركة .

كما حدث اتصال بين هذه المجموعة وبين ميكانيكية الطيران الذين بدأ انتشار الأفكار الماركسية فى الجيش بينهم ٠٠ ولكن لم يحدث اندماج تنظيمى نتيجة فزوق الرتبة والاتجاهات الطبقية والميول الفكرية المتنافرة بين الضباط وصف الضباط .

كانت الصلة قد بدأت بين (الحركة المصرية للتححر الوطنى) وبين صف الضباط المتخرجين من مدرسة ميكانيكا الطيران ، التى كانت قد فتحت أبوابها كمدرسة جديدة بعد المعاهدة عام ١٩٣٧ ودخلها فى الدفعة الأولى ٩٠ طالبا حاصلين على شهادات الكفاءة أو البكالوريا أو الفنون والصناعات نظام الخمس سنوات .

تم اجتذاب الطلبة والخريجين خلال مطالب اقتصادية بدأت بالمطالبة بأن تتاح فرصة الترقى لرتبة طيار من ضباط الصف ، وقد عارض ذلك معارضة شديدة الطيارون القدامى ٠٠٠ ولكن تحقق ذلك بالنسبة للدفعة الخامسة مما أثار خريجي الدفع السابقة مطالبين بمساواتهم بنظام الدفعة الخامسة التى كانت دراستها تمتد خمس سنين ، مع المطالبة بتغيير اللباس .

كان قادة هذا النشاط من المنضمين سرا الى الحركة المصرية للتححر الوطنى وبدأوا حركتهم بعمل برنامج يحقق المطالب الوطنية والاقتصادية ، وكونوا تنظيما سرىا من ٤٢ شخصا بحيث يمثل كل سرب أو قسم ائذان من المندوبين ، وتكونت لجنة تنفيذية عليا من ١١ شخصا كان النفوذ الرئيسى فيها المشيوعيين .

ولم يقتصر نشاط هذه المجموعة على سلاح الطيران وانما امتد أيضا الى ميكانيكية سلاح الصيانة ثم الطيران المدنى ٠٠٠ وعندما تحققت مطالب ميكانيكية سلاح الطيران فيما يتعلق باللباس والمساواة ، ارتفعت معنويات زملائهم فى سلاح الصيانة ، وتحرك ٦٠٠٠ طالب وخريج منهم متوجهين الى قصر عابدين ٠٠ ولكنهم صرفوهم على وعد بتحقيق مطالبهم ، ثم اعتقلوا بعضهم .

وانتشر هذا النشاط حتى وصل الى خريجي مدرسة الكتاب العسكريين والموسيقين ٠٠٠ ووجدت الأفكار اليسارية مجالا للانتشار بعد

هزيمة رومل في العلمين وظهور الاتحاد السوفييتي كقوة حربية وسياسية هائلة .

والملاحظ أن نشاط الاخوان كان مركزا على صغار الضباط ، ونشاط الشيوعيين كان مركزا على الميكانيكية وضباط الصف ولم يكونوا قد وصلوا بعد في هذه المرحلة الى صفوف الضباط ، كما أن السراي كانت تواصل اعتمادها على كبار الضباط الذين خدمت عندهم طاقة الحماسة الوطنية وارتضوا التبعية للسراي والاستعمار . . .

وكان موازيا لهذه الحركات في صفوف الجيش المصري ، حركات أخرى في صفوف الجيش اليوناني المعسكر في مصر ٥٥٠ وكانت اليونان تحت دكتاتورية الجنرال ميتكساس منذ عام ١٩٣٦ ، ولذا كان الحزب الشيوعي اليوناني هو الذي يتولى قيادة الكفاح السري المسلح في اليونان . . . وتشكلت جبهة التحرير الوطني (أيام FAM) في خريف ١٩٤١ ، وتشكل جيش التحرير الشعبي (ايلاس) في ربيع ١٩٤٢ .

وكانت اليونان بالنسبة للحلفاء نعمة من النعاج السوداء لديكتاتوريتها السابقة ، ولكن الملك ورئيس وزرائه في المنفى ايمانويل تسودوروس أعلنوا أن اليونان حكومة ديمقراطية تحكمها ملكية دستورية .

ومع ذلك ظلت (أيام و ايلاس) تهاجمان الملك باعتباره عدوا للشعب اليوناني ، وممثلا لعصابة فاشية ، وامتلات جدران الشوارع في القاهرة والاسكندرية بكتابات يونانية وعربية تعلن شعارات المنظمات ، وأخذت إحدى المجلات اليونانية هذا الاتجاه الذي عارضته القوات البريطانية في مصر لما استشعرته فيه من خطر ، وخاصة بعد ان حدثت اتصالات سياسية بين القوى اليسارية الناشئة في مصر « الحركة المصرية للتحرير الوطني » والقوى اليسارية اليونانية في مصر .

وفي الوقت الذي كان البريطانيون يقدمون فيه أقصى مساعدة لأيام و ايلاس في اليونان ، بدأوا هجوما على فروعهما في مصر ٥٥ وحدثت في مصر عدة تمردات في صفوف الجيش اليوناني .

حدث تمرد في معسكرهم بمينا هاوس واحتل الكولونيل نيكولامندس مقر قيادتهم في شارع قصر العينى ٥٥ وتمرد اللواء الذي كان معدا للحركة في ايطاليا ، وأعلنت خمس مراكب بحرية ولاءها للجمهورية ، وكذا بعض وحدات الطيران . . .

وتمرد البحارة التجاريون لمدة ثلاثة أسابيع في الاسكندرية . . . ولكن القوات البريطانية استطاعت قمع هذه التمردات ومحاكمة المسئولين

عنها ٠٠٠ وكانت الحرب الأهلية قد ظهرت بواورها في اليونان عندما أصدر تشرشل يوم ٢٩ سبتمبر ١٩٤٣ قرارا بتجهيز ٥٠٠٠ عسكري بريطاني لتولية الملك جورج على عرشه .

وكان اليساريون في صفوف الجيش المصري على صلة بهذه الحركات يقدمون لها المساعدة ويتخذون منها مادة للثارة والهجوم على البريطانيين دون أن يتورطوا في تأييد النازيين .

وخلال هذه الحركات السرية النشطة داخل الجيش ، التفطت التنظيمات السرية عددا من الضباط في الفترة التي أعقبت الحرب مباشرة . وكنت أول ضابط مصري تتاح له فرصة الانضمام لهذه التنظيمات ، والعمل في مجموعة واحدة مع صف ضباط الطيران وغيرهم ، وانفتح بذلك مجال لتجنيد عدد من الضباط ليصبحوا ماركسيين .

وكان التجنيد للتنظيمات اليسارية داخل الجيش عملا شديدا الصعوبة بالغ التعقيد معرضا في ذاته لأخطار العصف به من القوى الرجعية المتربصة بأي نشاط تقدمي وخاصة في صفوف الجيش .

ومع ذلك فإن حيرة الضباط الوطنيين بعد هزيمة النازية ، وعجز الاخوان المسلمين عن ارضاء نفوسهم بالاجابة الوافية على أسئلتهم واستفساراتهم ، وحركة المد الثوري التي انطلقت في المجامع وتمثلت في حركة المظاهرات والاضرابات المتزايدة ، وادانة الارهاب من أصحاب الضمائر الوطنية والأفكار السليمة ، الى جانب السمعة الطيبة التي احرزتها الحركات المسلحة السوفيتية خلال الحرب والتأييد الواضح المعلن من جانب الدول الاشتراكية لقضيتنا في هيئة الأمم وخارجها ٠٠٠ مع توافر التصور الفكري الواضح لمشاكل المجتمع ووجود اجابة وافية عميقة على تساؤلات الضباط ، الى جانب الثقافة الملوحة التي يتميز بها اليساريون الذين يعتمدون في حركتهم على عقولهم وأفكارهم ٠٠٠ دون الاعتماد على العضلات أو الغيبيات .

كل هذه العوامل مجتمعة كانت تجعل من التجنيد للتنظيمات اليسارية أمرا ممكنا رغم خطورة ذلك في صفوف الجيش ، الا انه لا يمكن مقارنة نسبة التجنيد لهذه التنظيمات بنسبة التجنيد للاخوان المسلمين مثلا .

الأمر عند الاخوان لم يكن يحتاج الى تغيير الأفكار والمعتقدات القديمة ، والقسم على مصحف ومسند كان كافيا لضم العضو الجديد ٠٠٠ أما في التنظيمات اليسارية فان الأمر كان يحتاج الى مباراة فكرية تهتز فيها الأفكار القديمة الثابتة لتشرق الأفكار الجديدة النامية ٠٠٠

والانضمام للاخوان لم يكن يعرض الضابط لخطر الارهاب البوايسى ،
بينما الانضمام للتنظيمات السرية اليسارية كان يضع الضابط فى مركز
خطر شديد لا يملك سلاحا لحماية نفسه به الا السرية والامن .

وخلال هذه الفترة أمكن خلق نواة من صف الضباط والضباط
اليساريين فى صفوف الجيش ، يصدرن منشورات تلاحق الأحداث
وتفسرها وتنقد ما فيها من أخطاء . . . وكانت تصدر بتوقيع (رجال
الجيش) .

ولم يحدث أن تعرضت هذه التنظيمات لكشف السلطة لها ومحاولة
العصف بها الا فى سلاح الطيران عندما اشتدت موجة المطالبات الاقتصادية
وما كشفته من اتجاهات سياسية أدت الى نفى ٤٠ صف ضابط الى سيوة .

وكانت الأحداث السياسية قد بدأت اتجاها جديدا مؤثرا . . . كانت
له انعكاسات هامة أيضا فى صفوف القوى العاملة داخل الجيش .

استتقال اسماعيل صلقى وتولى محمود فهمى النقراشى رئاسة
الوزارة بعد توقف المفاوضات .

واستغلت الحكومة قرار البريطانيين بالانسحاب الى منطقة القناة
لتهدئة الخواطر ومنع الاحتكاك مع المصريين ، فأقامت احتفالات لرفع العلم
المصرى على القلعة وكنات قصر النيل وغيرها ، ولكن المظاهرات والاضرابات
لم تتوقف للكشف عن طريقة (الجلاء الجزئى) والضغط على الحكومة لالغاء
معاهدة ١٩٣٦ واتفاقية ١٨٩٩ واللجوء الى مجلس الأمن .

وقدمت الحكومة عريضة المسائل المصرية الى مجلس الأمن يوم ١٣
يوليو بعه ثمانية شهور من توليها الحكم وبعده يوم واحد من فض الدورة
البرلمانية تفاديا لمواجهة المعارضة ،

وسافر النقراشى الى نيويورك يوم ٢٢ يوليو ١٩٤٧ وعرض القضية
المصرية بطريقة عبرت عنها صحيفة التايمز البريطانية « النقراشى يسير
سفينته بشراع المعارضة » وركزت الدعاية على قوله « أيها القراصنة أخرجوا
من بلادنا » .

أيد مصر فى مجلس الأمن ثلاثة مندوبين ، المنسوب السورى فارس
الخورى والمندوب السوفييتى اندريه جروميكو والمندوب البولندى أوسكار
لانج ، ووقفت فرنسا ضد مصر خوفا من اشتعال الحركة الوطنية فى شمال
أفريقيا ضد فرنسا ، بينما وقفت الحكومة الأمريكية موقفا عبرت عنه
صحيفة نيويورك تايمز بقولها انها « ليست مستعدة لتأييد مطالب مصر

أو جلاء الانجليز عنها ولا الى التصويت ضدها وإن مصلحتها تأجيل البت
في النزاع » .

وقد كشف عرض القضية المصرية على مجلس الأمن حقيقة اتجاهات
الدول الكبرى بطريقة عملية . . . ارتفعت أصوات في مصر تطالب بصداقة
الاتحاد السوفيتي الذي وقف معنا ، ومثال ذلك مصر الفتاة التي غيرت
موقفها بعد أن كان أحمد حسين قد سافر الى الولايات المتحدة في بداية
١٩٤٧ والقي تصريحات تؤيد السياسة الأمريكية وتؤيد مبدأ ترومان : الذي
كان يقضى بالتدخل في شئون إيران واليونان وتركيا ، وهي الدول المجاورة
للإتحاد السوفيتي .

وارسل برقية الى ترومان من ألف كلمة يهنئه فيها بقرار مساعدة
تركيا واليونان ، ويرحب فيها باهتمامه بالشرق الأوسط ويقول له « إن
السياسة الأمريكية لمقاومة الشيوعية يجب أن تشمل مصر وهي لا تطلب
مالا بل تطلب الحرية فانها اذا حصلت على استقلالها ووحدتها مع السودان
ستكون سدا منيعا ضد الشيوعية » .

ولكن موقف مجلس الأمن كان تجربة بددت أوام أحمد حسين في
صداقة الولايات المتحدة لمصر مما جعله يخفف حملته ضد الدول الشيوعية
ويذهب بنفسه الى السفارة السوفيتية والبولندية ضمن الوفود التي
توافدت عليهما للشكر . . . وكذلك حافظ رمضان زعيم الحزب الوطني
المعروف بمواقفه المحافظة أصدر بيانا يطلب فيه أن توثق مصر علاقاتها مع
الدول التي ساندتنا في مجلس الأمن .

وكان محمود فهمي النقراشي قد طلب من الولايات المتحدة وهو
بنيويورك أن تمنحه قرضا ومساعدات اقتصادية فلم تجبه ، وطلب اليها
أن تمد الجيش المصري بخبراء عسكريين فكان الجواب أنه ليست لديهم
خطة حول هذا الموضوع .

وأمام غموض الموقف السياسي انفجرت المظاهرات الشعبية في ٢٢
أغسطس ونادى الوفد بالحياد ، وظهرت الدعوة الى الكفاح المسلح برفع
شعار (الجلاء بالدماء) وزادت اضرابات العمل زيادة ملحوظة من سبتمبر
١٩٤٧ ، وصلت الى ذروتها عندما أضرب عمال شركة الغزل والنسيج
بالمحلة الكبرى البالغ عددهم ٢٦٠٠٠ عامل واطلق البوليس عليهم الرصاص
فقتل أربعة عمال وأصاب ٢٠٠ وشببت بعض الحرائق قدرت الصدف
خسائرها بنحو ٢٠٠٠٠ جنيه .

واستدعى الجيش للتدخل فحاصرت قواته المصنع وربطت عرباته المصفحة بجوار المرافق العامة ، ولكنه كما حدث عام ١٩٤٦ لم يشتبك مع العمال باطلاق الرصاص ٠٠٠ أو لم يطلب منه الدخول في هذا الاختبار ٠

وفي ٢٦ سبتمبر أضرب عمال الشركة الأهلية للغزل بالإسكندرية واعتصموا بمصنعي الشركة ، وأرسلت اليهم قوات من الجيش أيضا ، وأعلنت حالة الطوارئ في الإسكندرية ٠

وأضرب عمال شبرا الخيمة تضامنا مع زملائهم وخرجوا في مظاهرة كبيرة منعتهم قوات البوليس من دخول القاهرة ٠

توالى حركات الاضراب حتى أصبحت أبرز ظواهر هذا العام وبداية عام ١٩٤٨ فقد أضرب مدرسو التعليم الحر ، وموظفو التلفزيون وامتنع نظار ومعاونو السكة الحديد عن العمل ، وأضرب المدرسون عن تصحيح أوراق الامتحانات ، وأضرب خريجو المدارس الثانوية الصناعية في مسابك السكة الحديد ببولاق وورش أبو زعبل ، والمرضون بالقصر العيني حيث قتل سليم زكي حاكمدار العاصمة ٠

وتعددت اضرابات الطوائف وتصاعدت موجتها حتى وصلت الى غايتها عندما أضرب رجال البوليس أنفسهم مطالبين بمساواة العسكريين منهم برجال الجيش ومساواة الاداريين منهم برجال القضاء ، وقدموا بذلك عدة مذكرات لم يحصلوا منها على جواب فاجتمعوا بناديتهم في حديقة الأزبكية يوم ١٣ أكتوبر ١٩٤٧ وقرروا الامتناع عن العمل يوم ١٥ أكتوبر حتى تجاب مطالبهم وقرروا تسجيل أسمائهم في قصر عابدين حتى لا يتهمون بالتمرد السياسى ٠

وفي صباح ذلك اليوم أعلنت الحكومة حالة الطوارئ كمنع الاضراب ولكن ضباط القاهرة تركوا مكاتبهم وغادروا أقسام البوليس واجتمع ٥٠٠ منهم بالنادى ووصلتهم برقيات تأييد من ١٧٧٢ ضابطا بالأقاليم ٠ وقرر ضباط الإسكندرية النوم في ناديتهم ٠

وبعد مقابلة الملك لعدد من مندوبى الضباط عدل الضباط عن الاضراب ، ولكن الحكومة شتتت قاداتهم ونقلتهم الى الأقاليم وأحالت بعضهم الى الاستيداع ٠

ولم يؤثر ذلك استمرار حركة ضباط البوليس اذ اجتمعوا بناديتهم في مارس ١٩٤٨ وقرروا أن يكون ١٥ ابريل موعدا لنهاية مدة الانتظار لاجابة مطالبهم مع المطالبة باعادة المنقولين والمحالين الى الاستيداع ٠

وفي اليوم المحدد للاضراب احتشد ضباط البوليس في ناديهم يحاصرون ضباط الجيش الذي كان مجلس الوزراء قد قرر أن يحتلوا أقسام البوليس ويقوموا بحفظ النظام .

تضامن الصولات والكولستبلات وعساكر البوليس مع ضباطهم ، وعندما حاول رجال الحرس الجمركي في الاسكندرية الخروج في شبه مظاهرة اصطدمت بهم قوات الجيش وقتل ثلاثة منهم واصيب ٢٧ .

وحدث صدام آخر اطلق فيه الجيش الرصاص على المظاهرات التي خرجت في الاسكندرية تضم العمال والطلبة وجنود البوليس وقد رفع بعضهم اربعة الخبز فوق بنادقهم ، وعندما امتلا بهم ميدان المنشية اطلق الجيش عليهم الرصاص ، وجاء رد الفعل في صورة حرائق صغيرة بقسمي الجمرك والميناء واحترقت ١٥ عربة ترام وبعض المحال ودور السينما وقتل ٢٧ شخصا منهم ٧ من جنود البوليس . . .

واصدرت الحكومة قرارا بمنع التجول في الاسكندرية من الساعة مساء ، وسافر النقراشي الى الاسكندرية بعد أن اتخذ مجلس الوزراء قرارا بفصل كل من لا يعود الى عمله في اليوم التالي مع تقديم المحرضين الى المحاكمة العسكرية ومنع النشر عن أخبار هذا اليوم وصودرت الصحف .

وكان هذا الاضراب في صورته التي تم بها تعبيراً عن التفسير الذي وصلت اليه الحالة ، وعجز الحكومة عن مجابهة الأمور .

وكانت الطلقات التي خرجت من بنادق الجيش ضد جنود البوليس أو مظاهرات الشعب دليلاً على أن الخطر قد وصل فعلاً الى حد تهديد النظام نفسه اجتماعياً وسياسياً .

ولم يكن الجيش نفسه بعيداً عن التأثير بهذه الحركات السياسية - مشروع صدقي بيغن - فشل القضية في مجلس الأمن - عجز الحكومة عن مجابهة الموقف - تصاعد الاضرابات والمظاهرات .

وكان أمراً خطيراً أن يصل انفعال الجيش بحركات الجماهير الى الذروة ، لأنه يعني في مضمونه احتمال انفجار ثورة شعبية لا تخمدتها قوة مسلحة خاضعة للسلطة الحاكمة .

كالت هذه الفترة من امجد فترات نضال الشعب المصري في حركة سياسية واجتماعية مشتركة . . . وفي تناسق ناشئ بين الشعب والجيش .

ولم يكن منتظرا أن تصاب السلطة الحاكمة ومن ورائها الاستعمار
بشلل مفاجئ. ٠٠٠ بل كان أمرا منتظرا وطبيعيا أن يحدث تدبير ما يجهض
هذه الانتفاضات الشعبية ، ينهى رد فعلها في صفوف الوطنيين بالجيش .

• وكانت قضية فلسطين .

الفصل الخامس

حرب فلسطين ١٩٤٨

(اننى متفائل ونحن نعرف قوة اليهود ، وأنا
احب اطمئنك الى أن الانجليز هم الذين
شجعوني على ذلك) .

محمود فهمى النقراشى لفراد سراج الدين

فى مجلس الشيوخ يوم ١٢ مايو ١٩٤٨

طلب ترومان رئيس الولايات المتحدة من الحكومة البريطانية فى
أكتوبر ١٩٤٥ فتح أبواب فلسطين فى الحال لدخول مائة ألف مهاجر يهودى
... وقد أذعنت الحكومة البريطانية لذلك نتيجة أزمته الاقتصادية
واعتمادها على الولايات المتحدة لاعادة بناء ما خلفته الحرب العالمية الثانية ،
ولكنها رأت اشراك الأمريكين معها فى تنفيذ سياسة التوسع فى تهجير
اليهود وذلك حتى لا تتحمل وحدها مسئولية ذلك أمام جماهير الأمة
العربية ، فى الوقت الذى ستفيد منه الولايات المتحدة حيث زاد نفوذ اليهود
الأمريكيين داخل الحركة الصهيونية حسب ما ورد فى مذكرات وايزمان .

وكان من أهم جوانب هجوم تشرشل زعيم حزب المحافظين البريطانى
على سياسة بيفن فى تصريحه بالجلالة عن مصر سنة ١٩٤٦ أن هذا الجلالة

يقضى بالبقاء في فلسطين الأمر الذي يبعد امكانيات الاتفاق بين بريطانيا وأمريكا ، ومع فشل مشروع صدقي بيقن في أواخر ١٩٤٧ وضع أن اتفاقا قد تم على أن تترك فلسطين للولايات المتحدة من خلال تمكين الصهيونية فيها على أن يستمر بقاء الانجليز في مصر .

وفي خريف ١٩٤٧ أعلنت بريطانيا عزمها على إنهاء الانتداب عن فلسطين في ١٤ مايو ١٩٤٨ وعرضت الأمر على الأمم المتحدة التي أصدرت قرارها بتقسيم فلسطين في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ .

وقد صدر هذا القرار في وقت كانت الحركة الوطنية فيه ملتزمة في مصر ، واضرابات الطوائف ومظاهرات الطلبة والعمال تتزايد ، وحركات الارهاب ضد البريطانيين وعملائهم تتجسد .

وكانت قضية فلسطين تشغل بال الرأي العام المصري ، ولكنها كانت تأتي بالتأكيد بعد قضية الجلاء والوحدة مع السودان والديمقراطية .

ولكن بعض التنظيمات السياسية مثل الاخوان المسلمين ومصر الفتاة دفعت بهذه القضية الى المقدمة وجعلت منها موضوعها الرئيسي ودعت الى الكفاح المسلح ضد الصهيونية ، ونظرت الى فلسطين كمجال لحرب مقدسة وطنية ودينية وأخذت جماهير هذه التنظيمات تتظاهر وتعتدى على بعض اليهود المقيمين في مصر وارتفعت دعوة التطوع للقتال وسافر أحمد حسين رئيس مصر الفتاة الى سوريا ، وألف الاخوان المسلمون كتابات الجهاد .

وكان حسين البنا قد وجد في قضية فلسطين فرصة لمضاعفة نشاط جماعته خارج مصر ، فاكسب تأييد أمين الحسيني مفتي فلسطين ، واتصل بحكام البلاد العربية وملوكها ، وشجعه على ذلك أمين الجامعة العربية عبد الرحمن عزام .

وعندما رفضت وزارة النقراشي السماح لهم بدخال افواج المتطوعين الى صحراء النقب تسلبوا عبر سيناء وانضم البعض منهم للجامعة العربية التي شكلت منهم ثلاث كتائب ، وقد بدأ قتالهم الفعلي في فبراير ١٩٤٨ في وقت كانت الاضرابات والمظاهرات الوطنية في مصر من أجل الجلاء قد بلغت الذروة .

أما سياسة الوفد فكانت حسب تصريح لمصطفى النحاس الى جريدة الأيام السورية تؤيد ان تكون فلسطين لأهلها مسلمين أو نصارى أو يهودا ولكنه لا يقبل أن تكون وطننا قوميا للصهيونية . وقال انه أعلن ذلك في بروتوكول الاسكندرية الذي صدر عام ١٩٤٤ بإنشاء الجامعة العربية

وقد عارض الوفد بوضوح تقسيم فلسطين ولكنه لم يدع الى الكفاح المسلح أو انشاء الكتائب أو دخول الجيش المصرى للحرب واكتفى بأسلوبه التقليدى فى النضال الجماهيرى .

أما الحركات الماركسية وهى (الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى) (طليعة العمال والفلاحين) فقد اتخذت موقف العداء للصهيونية ودعت الى مقاومتها وكشف ارتباطها بالاستعمار الأمريكى ، وشجعت اليهود المعادين للصهيونية الذين انتظمتهم (رابطة الاسرائيليين لمكافحة الصهيونية) و (الحركة المضادة للصهيونية) والتي نادى بالقضاء على الحركة الصهيونية والوقوف ضد هجرة اليهود من مصر وتأكيد ارتباطهم بمصالح الشعب المصرى وكفاحه الوطنى .

وعندما صدر قرار التقسيم عارضته (طليعة العمال والفلاحين) وأيدته (الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى) مبصرة ذلك بقولها « اننا لا نريد أن ننزع فلسطين من العرب ونعطيها لليهود بل ننزعها من الاستعمار ونعطيها للعرب واليهود ، ولا نوافق على التقسيم الا مضطرين كاساس لاستقلال فلسطين ثم يبدأ كفاح طويل للتقريب بين وجهات النظر فى الدولتين العربية واليهودية » .

وقد عارضت (حدتو) الدعوة المجمومة لدخول حرب دينية موضحة انه لن يفيد منها سوى المستعمر منادية كما جاء فى مجلتهما الجماهير (لنوجه السلاح الى الاستعمار فى فايد وقنال السويس والسودان فلن يمكن تحرير فلسطين وظهورنا مكشوفة للعدو) وجاء فى بيان للحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى « ان الضمان الوحيد لوحدة فلسطين هو العمل على ايجاد جو من اللفة والثقة المتبادلة بين الجماهير الكادحة العربية واليهودية ، وانه اذا كان قد اتخذ قرار التقسيم فان طريق توحيد الدولتين هو طرد الاستعمار » وعلق البيان على موقف الحكومات العربية قائلاً انها تهدف الى « وقف تيار الحركات الوطنية الصاعدة وتحويل حربنا المقدسة ضد الاستعمار الى حرب عنصرية دينية تدعم مركز الاستعمار وانه يرمى الى صرف أنظار الجماهير الكادحة عن الكفاح فى سبيل مستوى معيشتها الى أمر خارجى ينسبها هذا الكفاح » . ولكن هذا الموقف لم يجد استجابة لدى الجماهير أمام تيار الدعاية الذى شنته تنظيمات الاخوان المسلمين ومصر الفتاة وساندتهم فيه الجامعة العربية ، وموقف الوفد المتحفظ من القضية وخاصة بعد اقرار الأمم المتحدة لمشروع التقسيم .

وكان تيار التطوع يزداد تدفقاً ٠٠٠ كتائب الجامعة العربية تسلمت الى فلسطين تحت قيادة القائمقام أحمد عبد العزيز ومعه كمال الدين حسين

عضو مجلس الثورة فيما بعد وعدد من الضباط كانوا جميعا من المنتمين الى الاخوان المسلمين .

وقد كان مجمال عبد الناصر رأى فى التطوع أوضحه لوجيه خليل أحد الضباط الوطنيين الذين سعوا الى العمل التنظيمى خلال الحرب العالمية ثم استشهد فى فلسطين اذ طلب منه تأجيل ذلك حتى يدرس الأمر على مستوى الدولة كلها .

وأما مجموعة الطيران فقد اتصلت بفوزى القاوقجى قائد جيش التحرير السورى عن طريق عبد اللطيف بغدادى الذى أبدى استعداداه للتعاون معه بعد أن رفضت الحكومة المصرية تطوع الطيران عن طريق الهرب الى سوريا بطائرات مقاتلة ٠٠٠ ولم يكن فى سوريا وقتئذ سلاح للطيران ، ولا مطار سرى يصلح للهبوط .

وقال فوزى القاوقجى انه سوف يحتاج لهم فى المعركة الفاصلة . وسافر حسن ابراهيم عضو مجلس الثورة فيما بعد وزكريا سليمان وهو فى تسليح حيث قابلا وزير الدفاع السورى وأنشئ مطار سرى شرق دمشق بستين كيلو ٠٠٠ وانتدب القاوقجى شابا كان قد تدرب فى المانيا ليكون ضابط اتصال مع الطيران المصريين ، ولقد حضر الى مصر مع جهاز لاسلكى وشفرة خاصة .

وطال انتظار الطيران المصريين طويلا فلم يتصل بهم فوزى القاوقجى حتى قامت الحرب فعلا ، بعد ان جندوا ١٥ طائرة سبتمبر صالحة للقتال .

• وكانت فكرة التطوع تجد لها انصارا كثيرين فى الجيش من بينهم محمد نجيب الذى آمن بأن الوسيلة المثلى للقتال فى فلسطين لا تكون الا باستخدام حرب العصابات ٠٠٠ وفى هذه الفترة اصدرت كتابا كان الاول من نوعه فى العربية عن (حرب العصابات) .

ولم يكن لجوء النقراشى للقوة المسلحة ودخول الحرب أمرا واردا حتى يوم ١٦ مايو ١٩٤٨ عندما تغير رأيه فجأة (بين عشية وضحاها) على حسب تعبير الدكتور محمد حسين هيكل رئيس مجلس الشيوخ فى كتابه (مذكرات فى السياسة المصرية) وطلب فى ١٢ مايو عقد البرلمان فى جلسة سريعة لطلب دخول القوات المسلحة أرض فلسطين .

كان هذا التغيير المفاجئ فى موقف النقراشى مثيرا للانتباه والدهشة ٠٠٠ وقد سأله فؤاد سراج الدين زعيم المعارضة الوفدية فى مجلس الشيوخ عما اذا كان قد قدر موقف الانجليز ووعده بلفور وعن احتمالات طعنهم لجيشنا من الخلف ٠٠٠ فكان جواب النقراشى له « اننى متفائل ونحن

نعرف قوة اليهود تماما ، وأنا أحب أطمئنتك الى أن الانجليز أيضا هم الذين
شجعوني على ذلك » .

واعترض أيضا اسماعيل صدقي على دخول الجيش لأنه غير مستعد
من الناحية العسكرية ولكن النقراشي أكد أنها نزهة للجيش .

ولم يكن الملك أقل تخمسا للقتال من غيره ٠٠٠ بل انه بادر بتحريك
الجيش قبل موافقة البرلمان عن طريق اعطاء الأوامر لمحمد حيدر وزير
الدفاع دون علم رئيس الوزراء ٠٠٠ وأدلى الملك في اليوم السابق لعرض
الأمر على البرلمان بحديث الى مراسل اليونانيتدبرس تجاوز به حدود
اختصاصاته الدستورية وقال أنه سيمد العرب بكل مساعدة عسكرية
ومالية واقتصادية وأنه لن يقبل قيام دولة صهيونية على حدود مصر ولذا
فلا بد من استعمال القوة .

اتخذ القرار في لفة وعجلة ودون دراسة متروية في وقت كان الجيش
المصري فيه مازال يعاني من نقص التسليح فلم تكن بريطانيا قد أمدته
بالأسلحة التي طلبها بعد عقد معاهدة ١٩٣٦ ، وكانت بريطانيا قد امتنعت
عن تصدير الأسلحة اللازمة نتيجة الوضع الدولي واندلاع الحرب العالمية
الثانية ولم تستأنف المفاوضات حول هذا الموضوع الا عام ١٩٤٦ حيث
قطعت مرة أخرى بسبب الموقف الداخلي .

كان الجيش المصري حتى هذه الفترة بعيدا عن تنظيم المعركة ٠٠٠
فلم يكن قد عرف نظام التشكيلات بعد . أي كان أسلحة منفصلة لا تنسيق
فيها ولا تجميع للقتال ٠٠٠ وكان التدريب قاصرا ومتخلفا عن مناورات
المعركة .

ولم تكن طواير الجيش تشاهد الا في المخمل والجنائزات ٠٠٠ وكانت
هذه الحقيقة يدركها كل ضباط الجيش ، ولكن الدعاية الجارفة أشعلت
الحماس للقتال ، وجعلت رجال الجيش يقبلون على المعركة في البداية بروح
معنوية عالية .

حدث في سلاح الطيران ان جمع اللواء شعراوى قائد السلاح
ميكانيكية السلاح الجوي ليمهد لهم دخول الحرب ٠٠٠ وتساءل بعضهم
عما اذا كانت المناقشة حرة فلما أجاب بالايجاب ، وقال له بعض الحاضرين
ان سلاح الطيران تحت يد رجال البعثة البريطانية بطريقة عملية وأنه لن
توافر للمصريين حرية الحركة ، كما أن هناك تناقضا بين وجود القوات
المصرية في سيناء ومن خلفهم القوات البريطانية ٠٠٠ ووجد هذا الرأي
موافقة شبه جماعية ٠٠٠

ولكن ذلك لم يحمل دون دخول الجيش أرض فلسطين يوم ١٥ مايو ١٩٤٨ .

وكان في هذا الموقف انقاذ لنظام الحكم الذي كان يجابه المشاكل الآتية : -

١ - القضية الوطنية معلقة يعد فشل المفاوضات وفشل اللجوء لمجلس الأمن والسياسة الاستعمارية تعمل على فصل السودان ، والجماهير لا تغفل لحظة عن مطالبها الجماعية .

٢ - التهاب الموقف الداخلي بالمظاهرات واضرابات الطوائف والهيئات المهنية والعمالية في مطالبة جماعية بتحسين الأوضاع الاجتماعية ، وصلت الى ذروتها باضراب رجال البوليس .

٣ - ضيق الشعب بحكم احزاب الاقلية التي تمثل ارادته مطلقا .

٤ - استحكام الغلاء الى حد جعل الحياة شديدة الصعوبة بالنسبة للأغلبية الساحقة من الناس .

هذه هي الحالة التي كانت تسود مصر قبل حرب فلسطين مباشرة ، وهي مليئة بعوامل التفجر التي تهدد قواعد النظام الذي كان يستند الى ملكية فاحش راثية تصرفات رجالها الى الحد الذي أضعف تماما من مركز الملك ، واحزاب الاقلية عاجزة عن مجابهة المستعمرين ، الأمر الذي كان يحمل بذور ثورة شعبية .

وهكذا وجدت حكومة النقراشي في دخول الحزب انقاذا لها مما عجزت عن مجابهته ، ووجد فيها الملك والاستعمار طوق نجاة يتعلقان به لانقاذهما من غضب المجتمع المتزايد يوما بعد يوم .

وصحب دخول الحركة عدة اجراءات أنهت فترة المد الثورى التي بدأت مع انتهاء الحرب العالمية الثانية ، استصدرت الحكومة في ١٣ مايو قرارا يخولها حق اعلان الأحكام العرفية وبدأت عمليات الاعتقال في ١٦ مايو لعدد كبير من المناضلين اليساريين واليهود المصريين بلغ عدة مئات في معسكر هاكستب ٠٠ وفرضت الرقابة على الصحف ، وقيلت الاجتماعات العامة ، وضربت الحريات الشعبية .

وهكذا تراجعت المسألة الوطنية والصراع الاجتماعى ٠٠٠ وبرزت هستيريا النعاية الحزبية ٠٠

وبدأت قوات الجيش المصرى معاركها الأولى فوق أرض فلسطين ٠٠٠ بعد فترة لم يشترك فيها الجيش فى حرب منذ عاد من السودان عام ١٨٩٩ .

• خمسون عاما والجيش تحت الاحتلال البريطاني بلا قتال

كان الجيش المصرى غير مهيا للقتال تسليحا أو تدريبيا ٠٠٠ ولم يكن قد قام بمناورات قتال ضد وحدات عصابات متحركة •

قانون التجنيد الذى صدر عام ١٩٠٢ لم يتغير الا عام ١٩٤٧ بعد عشر سنوات من معاهدة ١٩٣٦ وقبل عام واحد من حرب فلسطين •

كان القانون الجديد خطوة الى الامام نحو تطوير الجيش المصرى • اذ الغى البديل البقدي وخفض مدة الخدمة العسكرية الالزامية من خمس الى ثلاث سنوات ، وسنة واحدة لذوى المؤهلات ، وسمح بتأجيل تجنيد الطلبة حتى سن ٢٧ •

كان غريبا أن يتأخر صدور هذا القانون بعد معاهدة ٣٦ عشر سنين يظل الجيش خلالها تحت ظروف شديدة التخلف مما أدى بالتالى الى دخوله حرب فلسطين وهو غير مهيا من ناحية المهارة والقدرة الفنية على القتال الحديث •

ومع ذلك صور له القادة المعركة وكأنها أمر يسير لن يحتاج لتضحيات أو جهد كبير •• قال اللواء عثمان المهدي رئيس أركان حرب الجيش فى ذلك الوقت لاجتماع من الضباط (أنتم ذاهبون الى فسحة) •

ولم تكن الدولة قد عباته نفسها للحرب •• بل لم تكن هناك ادارة للمتعبئة •• أول كتيبة دخلت أرض فلسطين كانت تحملها عربات أوتوبيس أحضرها أحد المقاولين •

وبعد الهدنة الأولى التى فرضت يوم ١١ يونيو ١٩٤٨ قدم فؤاد سراج الدين استجوابا للنقراشى باشا فى جلسة سرية بمجلس الشيوخ قال له فيه انه قد تبين منذ اليوم الخامس للقتال أن الحكومة تستولى على وسائل النقل المدنية لحساب الجيش •

ولم تكن هناك قيادة مشتركة للجيش العربى السبعة التى دخلت أرض فلسطين : جيوش مصر وشرق الأردن ولبنان وسوريا والعراق والسعودية وفلسطين والسودان • وقال النقراشى فى الجلسة السرية أيضا ان نوري السعيد قد عرض عليه تكوين قيادة مشتركة ، ولكنه رفض لانه « لا يستطيع أن يتحمل متاعبهم ، ولا يود أن يضع رقبته فى أيديهم » •

وجهات نظر مختلفة للقضية الفلسطينية

: غاد القتال فتجدد مرة أخرى يوم ٩ يوليو حيث توقف مرة ثانية يوم ١٨ يوليو .

وكانت قيادة اللواء أحمد المواوي للقوات المصرية محل شكوى كثير من الضباط ، وخاصة محمد نجيب الذي جرح في هذه الحرب ثلاث مرات وحدثت بينه وبين المواوي مشادة انتهت الى نقله مديرا للمدرسة الضباط العظام بالقاهرة ، حتى عين اللواء أحمد فؤاد صادق بدلا من المواوي .

وقد تغير الموقف قليلا بعد تعيين اللواء أحمد فؤاد صادق لانه كان يجيد الخطابة وأحاط نفسه بعناصر محبوبة من الجيش ٥٥٠ أعاد محمد نجيب الى ميدان القتال قائدا للواء الضارب ، وعين البكباشي محمد كامل الرحمانى الذى قاد حملة الاحتجاج على حادث ٤ فبراير واعتقل نتيجة ذلك ، اركان حرب له .

وقد فكر الضباط الذين كان قد فاض بهم من تصرفات كبار الضباط فى تعيين اللواء أحمد فؤاد صادق رئيسا لأركان حرب الجيش بطريقة مسرحية خلال حفل توديعه بعد انتهاء الحرب ، ولكنه عندما أحس بذلك خرج من القاعة بعد خطبته مباشرة ، وقبل أن يلقى الضابط المكلف بإعلان هذا الخبر كلمته .

والحقيقة أن أحمد فؤاد صادق كان على صلة ببعضو الحرس الحديدي مصطفى كمال صدقى الذى كان يهيم له الأمر ليكون رئيسا لأركان الحرب فعلا بإرادة الملك والسراى ، وليس بإرادة الضباط الوطنيين .

ومنذ هذه اللحظة تبين لصغار الضباط أن اللواء أحمد فؤاد صادق ليس أهلا لتحمل مسئولية ثورية ، وقد اعترف هو بذلك فى خطاب كتبه الى محمد نجيب بعد الثورة قائلا له : انه كان أشجع منه يوم قبل المهمة التى كلفه بها الضباط الأحرار .

وقد حفلت حرب فلسطين ببطولات نادرة للضباط والجنود المصريين ، الذين حاربوا ببسالة فى ظروف شديدة الصعوبة ، واستشهد منهم ٩٧ من خيرة الضباط .

ولم تستمر الهدنة الثانية أكثر من شهرين وتجدد القتال بهجوم صهيونى فى أكتوبر انتهى الى حصار الفالوجا فى ١٦ أكتوبر واستمرت محاصرة لمدة ١٣٠ يوما حتى بدأت مفاوضات رودس ووقعت بها اتفاقية الهدنة يوم ٢٤ فبراير ١٩٤٩ بعد ان توقف القتال يوم ٧ يناير .

كان أحد قادة الفالوجا قد أعد خطة لفك الحصار عنها مع التضحية بنسبة كبيرة من حاميتها ، ولكن جمال عبد الناصر أحد ضباط حرب الحامية المحاصرة عارض ذلك حتى تكون القوة المصرية بالفالوجا عامل ضغط سياسى للمفاوض المصرى فى رودس . وهذا يوضح بصيرته السياسية النافذة المبكرة .

وضعت اتفاقية الهدنة بسحب القوات المصرية من الفالوجا ، وتبادل الأسرى خلال عشرة أيام ، ومنع الفريقين من القيام بأى حركات عسكرية أو زيادة للذخائر أو المهمات الحربية ، وعدم انشاء مطارات فى فلسطين .

والمقارنة بين بنود اتفاقية الهدنة التى أقرت الأوضاع القائمة وأعطت الفرصة لاسرائيل بالاستيلاء على صحراء النقب والوصول الى ايلات وبين قرار الأمم المتحدة الخاص بالتقسيم يوضح أن العرب قد فقدوا فرصة إقامة دولة عربية مستندة الى قرار الأمم المتحدة وفقدوا جانباً كبيراً من الأرض التى كان قد منحها لهم قرار التقسيم .

صحيح ان التقسيم كان قد منح اليهود ٥٠٪ تقريبا من مساحة فلسطين بينما حجم الممتلكات اليهودية الفعلية لم يكن يتجاوز ٧٪ من هذه المساحة ولكنه صحيح أيضا ان العرب فى القسم العربى كانوا أغلبية كبيرة (٦٨٣ ألف عربى و ٨٠ ألف يهودى) وانهم فى القسم اليهودى كانوا ٥٨٤ ألف مقابل ٥٨٣ ألف يهودى (دراسة الكاتب الفلسطينى خيرى حماد)، وان فرصة النضال لتكوين دولة موحدة فى ظل السلام ، كانت أكبر من فرصة فرضها بالقتال .

كانت الدلائل توحى بذلك بعد ان تحولت الهاجاناه الى الهجوم بعد رفض العرب قرار التقسيم . وفى الواقع كانت أعمال المقاومة العربية تقتصر فى ذلك الوقت على قطع بعض الطرق أساسا ومحاولة حصار المناطق اليهودية لاجباط الأهداف التوسعية المتبقية ، فخلال الشهور التى انتقلت قرار التقسيم والى أن تدخلت جيوش السول العربية فى منتصف مايو ١٩٤٨ لم تهجر أو تدمر أى مستعمرة يهودية ، بينما اقتحمت القوات الصهيونية الكثير من القرى العربية « التى تبعد أميالا كثيرة عن المستعمرات اليهودية بحجة مهاجمة العصابات العربية » .

ويمكن القول ان الفترة ما بين أول ومنتصف مايو ١٩٤٨ تعتبر من أخطر مراحل المخطط الصهيوني وأعظمها أثرا رغم كونها لم تزيد عن ستة أسابيع ، فقبل هذه الفترة كان العرب يسيطرون على معظم أراضي فلسطين الا أنه خلال هذه الفترة كانت قوات الهاجاناه قد استولت على مدن طبرية وحيفا (علما الميناء لوجود قوات بريطانية) وصفد ويافا والأحياء الهامة من القدس كما حاصرت عكا واستولت على الجليل الغربي والشرقي (علما بان الجليل الغربي بما فيه مدينة عكا وكذلك مدينة يافا كانت خارج نطاق الدولة اليهودية) وتولت العصابات الارهابية (الارجون وشترن) أعمال الارهاب والعنف الرامية الى اجبار السكان المدنيين على ترك مدنهم وقراهم فهاجمت القرى الآمنة واركتبت مجازر وحشية ضد العرب دون تمييز بين الرجال والنساء والأطفال ومن أكتثرها بشاعة مذبحه دير ياسين التي جرت يوم ٩ ابريل ١٩٤٨ وانتهت بقتل أكثر من ٢٥٠ غريبا ٠٠٠ وقد بلغ عدد القرى العربية التي تعرضت للهجوم حوالي مائة قرية عربية ٠

هكذا التقى رفض العرب للمشروع التقسيم ونقص قدراتهم العسكرية مع المخطط الصهيوني التوسعي القائم على استخدام القوة ، وانتهى الأمر باعلان بن جوريون لدولة اسرائيل مساء ١٤ مايو ١٩٤٨ واعترفت حكومة الولايات المتحدة بها بعد دقائق من اعلانها ووجه ترومان السعوة لحاييم وايزمان رئيس دولة اسرائيل في اليوم التالي لتعيينه مباشرة ٠

وقد ساعد على تثبيت دعائم اسرائيل رغم دخول الجيوش العربية ساحة القتال وعرض القضية أمام مجلس الأمن ، الظروف التي سبق شرحها لحالة الجيوش العربية ، واستفادة الصهاينة من الهدنة الأولى لاعادة تنظيم وحشد قواتهم واستيراد الأسلحة الثقيلة كالدافع والدبابات واستخدام الطائرات لأول مرة ، مع أن قرار الهدنة كان يحظر استيراد الأسلحة ٠

وخلال الهدنة وصل الكونت فولك برنادوت مبعوثا لهيئة الأمم المتحدة وأعله مشروعا يدعو فيه الى توحيد فلسطين وشرق الأردن في وحدة مكونة من جزأين أحدهما عربي والآخر يهودي مع تخصيص النقب كله أو معظمه للقسم العربي والجليل كله أو معظمه للقسم اليهودي ، أما القدس فتبقى ضمن القسم العربي مع توفير حكم ذاتي للجالية اليهودية فيها ٠٠٠ وكانت نتيجة تفكيره في هذا المشروع اغتيال الصهاينة له يوم ١٧ سبتمبر ١٩٤٨ وتعيين رالف باناش بدلا منه ٠

وعندما استؤنف القتال في ٩ يوليو تمكنت اسرائيل من متابعة هجومها ضد مناطق سبق تخصيصها للدولة العربية والسيطرة على ١٤

مدينة و ٢٠٠ قرية عربية ، واستمر القتال عشرة أيام بدأ خلالها الموقف العسكري العربي يتعرض للاهتزاز خاصة بعد إخلاء الجيش الأردني لمدينتي اللد والرملة واستيلاء الصهيونيين عليهما ٠٠٠ وكان الجنرال جلوب البريطاني هو قائد قوات شرق الأردن .

ورغم اغتيال برنادوت فإن مشروعه عرض على هيئة الأمم المتحدة في أواخر سبتمبر وقبلته بريطانيا وأمريكا ولكن رفضه كل من العرب والصهيونيين ٠٠٠ العرب رغم وضوح دقة موقفهم وبواد هزيمتهم والصهيونيين بحجة (تسهيل الدفاع عن حدود إسرائيل) .

ولم يحافظ الاسرائيليون على الهدنة الثانية واستمروا يضيغون مزيدا من الأرض حتى تجدد القتال في أكتوبر وسقطت بئر سبع في ٢١ أكتوبر ليتوقف القتال بعد ذلك يوم ٢٢ ، وتدخل الأمور في دائرة المفاوضات التي انتهت بالهدنة .

وبينما كان الوفد الأردني يجري محادثاته في رودس اصدر جلوب أوامره بسحب القوات الأردنية من مناطق رأس النقب وأم شرش على خليج العقبة ، حيث احتلتها القوات الاسرائيلية وأقيم ميناء ايلات .

ترتب على الهزيمة رد فعل قوى خارج الجيش وداخل الجيش ٠٠٠ وكانت الحرب قد استغلت اسوأ استفلال وامتلأت المعتقلات والسجون بعدد كبير ، وتوقفت قسرا رحلة المقاومة الثورية ضد الاستعمار والظلم الشعبي ضد الظلم الاجتماعي .

وكانت جماعة الإخوان المسلمين قد انتهزت فرصة حرب فلسطين لتقوية جهازها السرى المسلح وامدادته بالأسلحة والذخيرة في الوقت الذي اسهم فيه بعض اعضائها بالقتال في فلسطين واستشهدوا هناك في أرضها .

وانتهزت الجماعة فرصة حرب فلسطين فقامت بعمليات إرهابية القت فيها القنابل والمتفجرات على المحال الكبيرة التي يملكها اليهود في مصر كاريكو وشيكوريل في يوليو ١٩٤٨ وبنزايون وجاتينيسو في أغسطس وشركة الاعلانات الشرقية في نوفمبر ٠٠٠ وكان قد سبق لهم اغتيال أحمد الخازندار رئيس محكمة جنايات مصر في مارس ١٩٤٨ ، واغتالوا أيضا سليم زكي حكمدار بوليس القاهرة في ٤ ديسمبر بقبلة ألقيت عليه أمام كلية الطب ، وكان هذا مما دفع الحكومة الى حل جماعة الإخوان .

وردت على ذلك جماعة الإخوان باغتيال رئيس الوزراء محمود فهمي النقراشي باشا يوم ٢٨ ديسمبر في بهو وزارة الداخلية ، ومحاولة نسف دار محكمة الاستئناف في ١٣ يناير ١٩٤٩ .

وهنا تصاعدت موجة العنف من جانب الحكومة عقب تولى ابراهيم عبد الهادى رئاسة الوزارة ، وبدأت عمليات الارهاب والتعذيب تطفو فوق سطح الحياة المصرية ٠٠٠ واغتيل الشيخ حسن البنا مرشد الاخوان بتدبير من الحكومة والسراى يوم ١٢ فبراير ١٩٤٩ -

واعتقل فى موجة الاعتقالات عدد من ضباط الجيش ، وكان قاتل النقراشى عبد المجيد أحمد حسن شقيقاً لأحد ضباط سلاح المدفعية ٠٠٠ واستدعى ابراهيم عبد الهادى البكباشى جمال عبد الناصر لمقابلته ، وحضر المقابلة اللواء عثمان المهدي رئيس هيئة أركان حرب الجيش ، حيث حذره من أى نشاط أو ارتباط بالاخوان المسلمين .

وخلال فترة حرب فلسطين وما بعدها كانت صلة الاخوان التنظيمية بضباط الجيش قد ضعفت نتيجة عدة عوامل منها حركة الوحدات الى فلسطين وما يصحبها من تنقلات تضعف الاتصالات أو انصراف البعض عن تنظيم الاخوان لما لصق به من تهمة الارهاب ، كما ان عددا من الضباط كانت عقولهم قد بدأت تتفتح على أفكار جديدة ويطلب اجابات لتساؤلات يعجز الاخوان عن الاجابة عليها ، كما أن القتال فى المعركة فتح عيون الضباط على حقائق الحياة وجعلهم يرفضون الخضوع المطلق للتبعيات . ومثال ذلك عندما طلب الشيخ سيد سابق القائى الروحى للاخوان من المتطوعين ان يهجموا متراصين مستندا فى ذلك الى آية قرآنية ، وقد ناقشه فى ذلك ورفض الموافقة على رأيه بعض ضباط المدفعية .

وقد نمت هذه التناقضات فى نفوس الضباط الى الدرجة التى طلبوا فيها مسئولاً كبيراً من الاخوان يجيب لهم على هذا السؤال (ماذا ستعملون فى البلد لو انتصرنا ؟) وكان الجواب غامضاً على عادة الاخوان ، خالياً من البرنامج المقنع المدروس .

ولم تضعف صلة الاخوان التنظيمية بالضباط فقط ، ولكن ضعفت أيضاً صلة الضباط بالتنظيمات اليسارية لعوامل أخرى الى جانب حركة القوات المفاجئة وما أثرت به على استقرار التنظيم ٠٠٠ منها أن عددا من الضباط لم يقتنع بموقف التأييد لمشروع التقسيم وجرفته حماسة الشعور التى ألهمت الدعاية المكثفة للقتال ، كما أن فتح المعتقلات واحتجاز المئات من الشيوعيين قد أضعف الصلة التنظيمية للحركة بصفة عامة . الأمر الذى أدى الى كتابة المنشورات بخط اليد وبورق الكربون . (كنت أقوم بذلك مع البكباشى يوسف صديق فى منزله بشكنات العباسية) .

وأدت حرب فلسطين ومواجهة الخطر المشترك وإدراك ما يحيط بالجيش والمجتمع من فساد ورشوة وانحلال الى خلق رابطة فكرية مشتركة

بين عدد من الضباط ذوي الميول الوطنية النابعة من اتجاهات سياسية مختلفة ... وتركزت النقمة على الملك واشتد السخط على حاشيته وعلى احزاب الاقلية أيضا التي صادرت الحريات وانتهزت فرصة حرب فلسطين وحوادث ارباب الاخوان لترد عليها بارهاب مماثل لم تشهده مصر من فترة بعيدة .

كان العنف قد أصبح طابعا للمرحلة ... الاخوان بما يملكون من ترسانة سرية للسلاح وايدولوجية ادهائية ، والدولة بما تملكه من أجهزة مسخرة في خدمتها مهما كانت الوسائل والغايات ... وقام الاميرالاي محمود عد المجيد بتدبير معظم الاغتيالات التي كانت تستهدف تصفية العناصر المضادة مثل حسن البنا وعبد القادر طه .

وعندما وقعت الهندنة وتكشفت هزيمة الجيش بدأ النظام يدخل مرحلة اختناق جديدة تجسدت في العوامل الآتية :

أولا : جابهت وزارة السعديين فشلا جديدا هو هزيمة الجيش يضاف الى فشلها السابق في حل المشكلة الوطنية عن طريق الجلاء والوحدة مع السودان وعجزها عن حل مشاكل الطوائف الثائرة .

ثانيا : جاءت الهزيمة طعنة قاسية للجامعة العربية التي قامت تحقيقا للاستراتيجية البريطانية ووضح تماما شكلية دورها بالاجراءات التي اتخذها شرق الأردن ، وأدت الى استيلاء اسرائيل على مناطق كبيرة من الدولة العربية الواردة في التقسيم ، وانتهت الى قيام المملكة الأردنية الهاشمية تحت قيادة الملك عبد الله المعروف بتبعيته للاستعمار البريطاني .

ثالثا : كان انتهاء الحرب الى الهزيمة يفرض على الحكومة انهاء الأحكام العرفية والافراج عن المعتقلين ، واطلاق حرية الصحافة ، الأمر الذي قوى الجبهة المعادية لحكومة الاقليات والسراى .

رابعا : سرعان ما طفت الى السطح من جديد المشكلة الوطنية واصرار الشعب على جلاء القوات البريطانية الأمر الذي أدى الى نمو سريع للحركة الثورية التي طال كبته تحت ضغط الارهاب والأحكام العرفية .

لم يجد الملك أمامه من سبيل الا التضحية بحكومة ابراهيم عبد الهادي فأرسل اليه محمد حيدر وزير الحربية بعد منتصف الليل يأمره بتقديم استقالته قبل يوم ٢٥ يوليو ، دون ان يقابله ، بطريقة وصفها الدكتور هيكل باشا بأنها كانت غير كريمة ، وهللت صحافة أخبار اليوم التي طالما ساندت ابراهيم عبد الهادي بأنها هدية الملك الى شعبه في العيد ...

والحقيقة أن الملك قد أجبر على ذلك اجبارا بعد أن كان موعد الانتخابات قد اقترب ، وانتصار الوفد فيها مؤكد ... وبعد أن كان ارباب حكم السعديين وأحزاب الأقلية قد بلغ الذروة دون قدرة على حل المشاكل المتراكمة ...

وكانت ظروف الهزيمة تفرض على الاستعمار البريطاني تغييرا استراتيجيا في المنطقة بعد أن ظهرت اسرائيل الى الوجود ، وبدأت حياتها في تعاون وثيق مع الولايات المتحدة الأمريكية ، بينما الاستعمار البريطاني يواجه في مصر أزمة شديدة .

ونشرت صحيفة الايكونوميست قبل اسبوع واحد من اجبار ابراهيم عبد الهادي على الاستقالة مقالا تعلن فيه افلاس السياسة البريطانية المعتمدة على الجامعة العربية وتقول « ان السياسة المستقبلية الوحيدة يجب ان تعتمد على التعاون الانجلو أمريكي وان تكون نقطة البدء في الشرق الأوسط هي التفاهم الوثيق بين الدولتين » .

كان تغيير وزارة ابراهيم عبد الهادي ضرورة تقتضيها الظروف السابقة التي استهدف الاستعمار بها محاولة الخروج من عنق الزجاجة بتكوين حلف عسكري أنجلو أمريكي في المنطقة يحفظ له قبضته وسيطرته .

وعين حسين سرى باشا في يوليو ١٩٤٩ رئيسا لوزارة ائتلافية تضم أربعة وزراء لكل من الوفد وحزب السعديين والاحرار الدستوريين ووزيرين من الحزب الوطني (جناح حافظ رمضان) وأربعة من المستقلين ... وكان حسين سرى معروفا بميله للسياسة البريطانية التي رفعته من موظف الى أحد كبار (السياسة المستقلين) الذين يلجأ اليهم عندما تتأزم الأمور وتتطلب وجها مرضيا عنه من الجميع .

وكان ذلك أول اشتراك للوفد في حكومة ائتلافية بعد أزمته مع الاحرار الدستوريين في وزارة ١٩٢٧ عندما تأمروا ضده بعد وفاة سعد زغلول .

ولم يطل عمر الوزارة الائتلافية كثيرا اذ استقال حسين سرى بعد الانتهاء من تقسيم الدوائر الانتخابية تبعا للتعداد الأخير للسكان ، ومحاولة أحزاب الأقلية تقسيم الدوائر للأحزاب ورفض الوفد ذلك رفضا باتا ... وتشكلت وزارة محايدة أخرى برئاسة حسين سرى في ٣ نوفمبر ١٩٤٩ لتشرّف على اجراء الانتخابات .

وحدثت خلال هذه الوزارة عدة أحداث هامة ... اذ أجرى وزير
التموين محمد على راتب تحقيقات تناولت سبعة من وزراء الحكومة السعدية
وانكشفت كثير من الفضائح التي كانت تدور خلف ستار .

وكان الافراج عن بعض المعتقلين ، ومحاكمة قاتل النقراشي ومحاولة
اغتيال حامد جودة التي ترافع فيها محمود سليمان غنام وعزيز فهمي
وتخفيف الاحكام العرفية والرقابة على الصحف ، تمهيدا للانتخابات -
فرصة فريدة كشفت أيضا أهوال التعذيب التي تعرض لها المعتقلون في
فترة حكم ابراهيم عبد الهادي سواء في معتقل هاكستيب أو الطور ...
واستنكر الأحرار الدستوريون ذلك ونفوا أن تكون لهم مسئولية الا عن
الوزارة التي يشغلونها ...

وتمزقت بصورة نهائية ثياب أحزاب الأقلية وانكشفت عورة سيئاتهم
الأمر الذي جعل فرصتهم للنجاح في الانتخابات محدودة جدا .

وأجريت الانتخابات في ٣ يناير ١٩٥٠ وكانت النتيجة انتصارا
واضحا للوفد اذ حصل على ٢٢٨ مقعدا من مجموع مقاعد مجلس النواب
البالغ عددها ٣١٩ ، وأطلقت صحيفة المصري على هذا اليوم (يوم ثورة
الشعب) .

وكانت نتيجة الانتخابات مفاجئة للملك أيضا ، فأسرع الى منزل
حسين سري ليلا وقرر تعيينه رئيسا للديوان الملكي حتى يمكنه التفاهم مع
الوفد من جهة ويحاول تنفيذ الاستراتيجية الأنجلو أمريكية من جهة
أخرى .

كانت نقطة الخلاف الأولى بين الملك والوفد أثناء تشكيل الوزارة
عندما طلب استمرار بقاء محمد حيدر في منصبه وزيرا للحربية ، وكان
قد احتفظ بموقعه في وزارات محمود فهمي النقراشي وابراهيم عبد الهادي
وحسين سري ، ليكون عوناً للملك في مجلس الوزراء ، وأداة للسيطرة
الكاملة على الجيش ، وهو الذي حرك الجيش الى حرب فلسطين دون انتظار
تعليمات رئيس الوزراء .

ولكن النحاس رفض ذلك رفضا باتا وأصر على تعيين وزير وفدى
هو مصطفى نصرت ، وتم الاتفاق على انشاء منصب جديد يعين فيه محمد
حيدر وهو منصب (قائد عام القوات المسلحة) ... وبهذا لم يعد للوزير
اليفدى نفوذ يذكر على الجيش وانقطعت صلة الوزارة الوفدية تقريبا
بسياسة الجيش وترقيات الضباط وتعييناتهم وتنقلاتهم واستمرت
السلطة العليا في الجيش للسراي ولندوبها محمد حيدر .

وكان قبول الوزارة الوفدية لهذا الحل الوسط تنازلا منها عن حقوقها الدستورية التي تمسكت بها منذ عام ١٩٣٧ عندما طالبت بأن يكون لها الاشراف على تعيين موظفى القصر نفسه ، وكان ذلك أحد أسباب اقالتها . . .

كانت سياسة الحكومة الوفدية تميل الى احتواء الملك بدلا من التصادم معه منذ اللحظة الأولى . . وخاصة انه رغم التأييد الشعبى الجارف والأغلبية الساحقة فى الانتخابات فان اقالة الحكومات الوفدية أصبحت طابعا متكررا . وابتعادها عن الحكم سنوات طويلة كان يضعف نفوذها فى الأجهزة التنفيذية ، مع ان الوفد فى المعارضة كان دائما أشد اثرا وأكثر جاذبية منه داخل الحكم .

لم تكن سياسة الوفد تصعيد الخلاف مع الملك الى درجة التنازم حتى لا يقفز الملك خارج اطار دستور ١٩٢٣ ويفرض حكما ديكتاتوريا تستفيد منه القوى الأجنبية المتربصة . . . وكان ذلك أمرا طبيعيا من حزب ملكى دستورى لجأ اليه النظام عندما دخل فى أزمة الاختناق .

ولكن انتصار الوفد فى انتخابات ١٩٥٠ لم يكن انتصارا له كحزب بقدر ما كان انتصارا لارادة الشعب ضد السراى وأحزاب الأقلية ، وتعبيرا عن الموجة الشعبية الجديدة المؤيدة للوفد ، المطالبة فى نفس الوقت بأهداف اجتماعية أكثر عمقا وشمولا .

ومع ذلك فان تشكيل الوزارة لم يات تعبيرا عن الاتجاهات اليسارية التى بدأت تنمو داخل الوفد . . بل استنتت خطة جديدة هى الاستعانة بالكفاءات والطاقات العلمية لمواجهة مطالب الجماهير الاجتماعية . . كان فى الوزارة خمسة يحملون لقب (دكتور) لأول مرة فى تاريخ الوزارات المصرية .

الفصل السادس

الضباط الأحرار

كان الجيش فى عام ١٩٤٩ جريحا ومطمونا من أثر الهزيمة ٠٠٠ عندما انتهت الحرب وزعت قوات القتال فى الجبهة على المناطق العسكرية المختلفة ، وضعت الصلات التنظيمية تبعا لذلك بين الجيش من جهة والاخوان المسلمين والتنظيمات اليسارية من جهة أخرى .

وضعف تيار العمل السياسى فى شعبه الرئيسية الثلاث التى تحدثنا عنها (الارهاب - الاخوان المسلمين - الشيوعيين) .

كان الارهاب الذى تركز فى يد (الحرس الحديدى) تقريبا ، قد عجز عن ايجاد دوافع جديدة للاغتيال ٠٠٠ وخاصة ان حادث ٤ فبراير كان قد ضعف اثره بعد نجاح وزارة الوفد فى الانتخابات نجاحا كبيرا معبرا عن تأييد شعبى جارف .

وهكذا توقفت حركة (الحرس الحديدى) .

اما الاخوان المسلمون فكانوا قد تعرضوا لحملة ارهاب حكومى شديدة بعد اغتيال النقراشى باشا ، أبعدت الضباط عن الاتصال بهم ٠٠٠ وان كان تنظيمهم قد استمر محتفظا بكيانه تحت قيادة قائد الجناح عبد المنعم عبد الرؤوف . وعاد البكباشى محمد أنور السادات الى صفوف الجيش من جديد ضابطا فى سلاح الإشارة .

واستطاع قسم الجيش فى (الحركة الديمقراطية للتحرد الوطنى - حدثو) أن ينجو سليما من ارهاب الحكومة لشدة الاهتمام بالأمن باعتباره

السلاح الوحيد الذى يحمى قسم الجيش فى وقت كان فيه معظم أعضاء القيادة قد ضمتهم أسوار المعتقلات ٠٠٠ وكان المسئول السياسى لهذا القسم هو كاتب هذه السطور ومسئوله الثقفى أحمد فؤاد وكيل النيابة فى ذلك الوقت ، ورئيس مجلس ادارة بنك مصر فيما بعد .

ولكن ضعف تيار العمل السياسى بالجيش فى شعبه الرئيسية الثلاث لم يدفع حركة الضباط الى الجمود ، ولم يمزق أحلامهم أو يبعثر جهودهم ٠٠٠ بل العكس هو الصحيح .

كان هناك فى كل سلاح ضباط لحقتهم يد السياسة ولم يكن ممكنا لهم أن يتخلصوا منها وخاصة بعد هزيمة حرب فلسطين .

وفى هذه الفترة كان جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين قد تركا الاخوان مع عدد ملحوظ من الضباط .

وكانت طبيعة الأمور تفرض على الضباط أن يتجمعوا ويتبادلوا الراى فى وحداتهم وأسلحتهم .

كان هناك ضباط وطنيون باتجاهات فكرية مختلفة ، بعيدا عن أية صلات تنظيمية متناسقة .

كان هؤلاء الضباط يمثلون نواة خرجت من حرب فلسطين وهى غير مرتبطة بتنظيم موحد ٠٠٠ ولم يكن لهم حديث الا ما تركته الهزيمة فى نفوسهم من مأساة .

وكان ابتعادهم عن التنظيمات السياسية القائمة (عدا التنظيمات اليسارية) دافعا لهم على البحث عن أرض مشتركة للقاء بعيدا عن التعصب والتحيز الفكرى .

وقد لعب البكباشى جمال عبد الناصر شخصيا دورا رئيسيا بارزا فى تجميع الضباط من مختلف الاتجاهات السياسية . بدأ هذا الدور قبل حرب فلسطين بطريقة محدودة .

ومع انفراج الضغط الارهابى بتولى الوزارة الوفدية مسئولية الحكم فى ١٢ فبراير ١٩٥٠ ، وتجمع الوحدات فى القاهرة بعد تشتيتها عقب الحرب فى منقباد والقنال والاسكندرية وغيرها ، نبت التفكير فى تكوين تنظيم من الضباط المهتمين بأمور السياسة .

وجمع جمال عبد الناصر اللجنة التأسيسية التى كان يتصل بها فى أواخر ١٩٤٩ خلال حكم وزارة حسين سرى ، وكانت مشكلة من خمسة فقط هم جمال عبد الناصر وحسن إبراهيم وخالد محيى الدين وكمال

الدين حسين وعبد المنعم عبد الرؤوف ... وهم ذوو ميول سياسية مختلفة مع انهم بدأوا جميعا في ساحة الاخوان المسلمين .

ولم يكن قد أطلق على هذه اللجنة اسم (الضباط الأحرار) بعد ، كما انه لم يكتمل الشكل التنظيمي الا مع مطلع عام ١٩٥٠ عندما زاد عدد اللجنة التأسيسية بانضمام صلاح سالم وعبد اللطيف بغدادى وعبد الحكيم عامر وأنور السادات وجمال سالم الذى دخل عليهم الاجتماع فجأة أثناء وجودهم فى منزل شقيقه صلاح سالم ، وتم فى هذا الوقت انتخاب جمال عبد الناصر رئيسا للجنة التنفيذية .

وكانت صلة جمال عبد الناصر قد بدأت بمحمد نجيب أثناء حرب فلسطين من خلال عبد الحكيم عامر ، الذى قال لجمال عبد الناصر انه قد وجد كنزا فى محمد نجيب لبرأته وشجاعته ووعيه بأن أزمة الهزيمة فى القاهرة وليست فى العريش .

وعندما بدأ العمل بين الضباط يأخذ شكلا تنظيميا ثبت اسم (الضباط الأحرار) ليكون توقيع أول منشور لهم يصدر فى فبراير عام ١٩٥٠ .

وهنا كان تنظيم الضباط الأحرار قد بدأ يأخذ شكلا منفصلا عن القوى السياسية خارج الجيش ... أى أنه لم يعد تنظيما تابعا للاخوان أو الشيوعيين أو الوفديين أو السراى ... ولكن بعض أعضائه فى اللجنة التأسيسية لم يقطعوا صلاتهم التنظيمية القديمة ، ولم يغيروا أفكارهم دفعة واحدة ... وانما أصبح انتماءهم الى مجموعة واحدة يشكل جبهة وطنية متحدة .

كان كمال الدين حسين ما زال على صلة طيبة غير تنظيمية بالاخوان المسلمين ، وكان خالد محيى الدين على صلة بالحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى ، بعد أن كان قد انضم الى منظمة « اسكرا » عام ١٩٤٧ . وكان أنور السادات على صلة ببعض رجال السراى ... كما كان جمال عبد الناصر الذى انتخبوه رئيسا لهم فى بداية ١٩٥٠ شديد النشاط كثير الاتصالات بمختلف القوى السياسية من مختلف الاتجاهات .

ولم يكن محمد نجيب يحضر اجتماعات التنظيم أثناء تكوينه لأنه كان محل رقابة سلطات الأمن المسئولة باعتباره نجما محبوبا من ضباط الجيش ... ولأنه كان فى رتبة كبيرة (اميرالاي) بينما كان أكبر الضباط فى ذلك الوقت يحمل رتبة (بكباشى) ، والاتصال بيدو مريبا ومثريا أيضا ... ولذا تم الاتفاق بينه وبينهم على أن تكون الصلة به فردية وليست تنظيمية .

وتوالى صدور منشورات (الضباط الأحرار) ٠٠٠ المنشور الأول .
كتبه جمال عبد الناصر وخالد محيي الدين وقام بطبعه مدني اسمه (شوقي
عزيز) ثم نقلت ماكينة الجستمر من منزله إلى منزل عبد الرحمن عنان أحد
ضباط سلاح الطيران ثم منزل حمدي عبيد أحد ضباط المشاة ووزير
الإدارة المحلية فيما بعد ، وأخيرا استقر أمر طباعة المنشورات وتوزيعها
بإجهزة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني (حدتو) وذلك في مرحلة
تالية بعد حريق القاهرة ٠٠٠ وكانت معظم المنشورات تكتب بأقلام
الضباط اليساريين ومنهم خالد محيي الدين والقاضي أحمد فؤاد وكاتب
هذه السطور ، والبعض كتبه جمال عبد الناصر .

وكان استمرار صدور المنشورات ، بتوقيع (الضباط الأحرار) اعلانا
عن بداية مرحلة جديدة بعد فترة امتدت خلال السنوات من ١٩٤٦ حتى
١٩٤٩ عندما كانت تصدر للجيش منشورات من تنظيم الضباط الإخوان
وتنظيم الشيوعيين بتوقيع (رجال الجيش) ومنشورات مجهولة كانت
تنسب للحرس الحديدي .

منذ صدرت منشورات (الضباط الأحرار) توقفت القوى السياسية
عن إصدار منشورات خاصة بها ، وكان هذا اعلانا عن نوع من الوحدة
التنظيمية .

وكانت المنشورات تصل إلى الضباط عن طريق عناوينهم المنزلية أو
في الوحدات بالبريد ٠٠٠ وأحيانا كانت توزع باليد داخل المعسكرات
بطريقة سرية .

وكانت هناك ظاهرة غريبة يمكن القول بأنها قد بدأت مع فترة المد
الثوري عام ١٩٤٦ ، وهي حرية الحديث والمناقشة بين الضباط في
تجمعاتهم اليومية سواء في عربات الجيش الكبيرة التي تحمل الضباط
من منازلهم إلى المعسكرات أو في الميس أو نادي الضباط .

وكانت هذه الأحاديث والمناقشات الصريحة تتابع الأحداث الجارية
وتعمقها بالتحليل من وجهات نظر مختلفة ، كانت تاتقي في النهاية على
فساد الحكم والملك ورجال الحاشية .

ولكن هذا التيار الوطني العام في المناقشة لم يكشف عن سرية
التنظيم الذي كان يتضاعف في سرعة شديدة ، ذلك ان الضباط بعد
هزيمة فلسطين كانوا يشكلون أرضا صالحة لبذر الأفكار الثورية المضادة
لنظام الحكم والملك شخصيا .

وعندما بدأ تسأول الضباط عن البرنامج الذي يرتبطون به . . .
أعلنت الأهداف الستة وصدرت في منشور . . . أعدتها أحمد فؤاد . . .
مخفى الدين . . . ووافق عليها جمال عبد الناصر . . .

أصبح اسم (الضباط الأحرار) يتردد في الجيش همسا أحيانا
وعلانية أحيانا أخرى كما ان القوى السياسية المختلفة وبعض الصحفيين
أخذوا علنا به . . . حتى المخابرات الحربية والبوليس السياتى كانا
يعلمان بوجود هذا التنظيم الوليد .

ولكن أجهزة الأمن سواء فى الجيش أو الداخلية كانت محدودة العدد
والعدة . . . كان ضباط المخابرات الحربية ١٥ ضابطا جند بعضهم فى
الضباط الأحرار أو كانوا على صلة هامشية بهم مثل عبد المنعم النجار
مدير المعلومات الذى أصبح سفيرا فى باريس والعراق بعد الثورة ومساعد
سعد توفيق واسماعيل فريد الذى أصبح سكرتيرا عسكريا لمحمد نجيب .
ثم محافظا للدقهلية فيما بعد .

وكان ضباط القسم المخصص بالداخلية لا يتجاوزون ٢٤ ضابطا ،
ولكن لم يكن يدخل فى اختصاصهم العمل داخل الجيش الا عن طريق
المخابرات الحربية .

وكانت قبضة أجهزة الأمن لينة ، وقدرتها على النفاذ الى أسرار الجيش
محدودة ، لأنهم لم يكونوا قد استخدموا بعد نظام العمالة لرجال الجيش ،
وشراء ضباط البعض ببالح ومكافآت متنوعة .

يقول عبد المنعم النجار ان وزارة الداخلية قد اتصلت بالمخابرات
الحربية للحصول على معلومات عن الضباط الأحرار وانهم حاولوا الكشف
عن عناصرهم وخططهم دون استخدام (وسائل قذرة) . . . ويقول أيضا
ان كلا من المخابرات الأمريكية والانجليزية كان لها خلايا خاصة بها ضد
النشاط الشيوعى بالذات . . . وقد أكد هذه الحقيقة الماجور ساتسوم
المستول فى البوليس السياسى المصرى ثم ضابط أمن السفارة البريطانية
بالقاهرة بعد خروج الضباط الانجليز جميعا من البوليس المصرى فى كتابه
(تجسس على الجواسيس) (Isiped spies)

ومع ذلك لم يعتقل أى ضابط من الضباط الأحرار . . فى الوقت
الذى كانوا فيه يزدادون عددا ووعيا .

ولم يكن فى سياسة الوزارة الوفدية ما يشير بالضباط الأحرار
ضدها . . . ولم يكن عداا الاخوان التقليدى للوفد ذا تأثير فى اتجاهات
الضباط الأحرار . . . بل ان جمال عبد الناصر كان ذا ميول وفدية .

واضحة ٠٠٠ أمضى ساعات طويلة في منزلى بالاسكندرية قبل ٢٣ يوليو يدافع عن الوفد في مناقشة حضرها من الضباط الأحرار (البكباشى صلاح مصطفى الملحق العسكرى فى عمان الذى استشهد بطرد متفجر وصله من اسرائيل والبكباشى عبد الحليم الأعسر أركان حرب منطقة الاسكندرية فيما بعد) .

وقد بدأت الوزارة الوفدية عملها باقرار الحريات العامة ، فالغت الرقابة على الصحف ورفعت الأحكام العرفية بعد تردد فى مايو ١٩٥٠ وسمحت بالمظاهرات داخل الجامعة حيث مزقت صورة الملك وديست بالاقدام ٠٠٠

والى جانب استقرار الحريات على أسس معقولة ، واصلت الحكومة الوفدية سياستها الاجتماعية ، فأقرت مجانية التعليم الثانوى عام ١٩٥٠ بعد ان كانت قد أقرت مجانية التعليم الابتدائى عام ١٩٤٢ ، وضاعفت جميع الضرائب بما فيها الضرائب العقارية الى ١٠٠٪ ، وأعدت مشروعا لتعميم مياه الشرب فى القرى خلال خمس سنوات ، ودفعت وزارة التموين فروق أسعار بعض السلع لتكون فى مستوى محدودى الدخل ، وعمل كادر جديد للموظفين لمصلحة الصغار منهم .

الأساس الثالث الذى بنى الوفد سياسته عليه كان اجلاء الانجليز عن قاعدة قناة السويس قبل الموعد المحدد فى معاهدة ١٩٣٦ وهو عام ١٩٥٦ ، وتأكيد الوحدة بين مصر والسودان ، وقد بدأت المحادثات فى ١٠ أبريل ١٩٥٠ وكان يتولاها وزير الخارجية محمد صلاح الدين وابراهيم فرج ، وحضر الفيلد ماريشال وليم سليم رئيس أركان حرب الامبراطورية البريطانية وعقد ثلاثة اجتماعات مع الجانب المصرى برئاسة مصطفى النحاس يومى ٥ ، ٦ يونيو ١٩٥٠ . وقد أوضح له النحاس انه « لا يمكن ان يركن لوعود جديدة أو يقبل نظريات مستحدثة ترمى الى بقاء قوات أجنبية فى مصر تحت أى اسم وبأية صيغة » وذلك ردا على قول سليم بأن النحاس يستطيع بمركزه الشعبى ان يقنع الناس بأن « الجيش المشترك والوجود الأجنبى » مبدءا جديدا لا ينطوى على الاحتلال ٠٠٠ وكذلك أصر النحاس على ضرورة جلاء القوات البريطانية واقترح أن تنتقل الى فلسطين ليسهل عودتها الى مصر فى حالة قيام حرب فعلية ، كما طالب النحاس ان تمت بريطانيا مصر بالطائرات مشيرة الى اهتمام مصر بتقوية جيشها ليدافع وحده عن منطقة القناة .

استمرت المفاوضات دون أى تقدم من جانب البريطانيين الذين لم يتراجعوا عن موقفهم خطوة واحدة . وبعد وفاة بيقن وتولى موريسون وزارة الخارجية البريطانية التى خطابا استغف شعور المصريين لما فيه من قول

قاطع بعدم الجلاء ، مع مهاجمة الحكومة المصرية لمنعها مرور البضائع الاسرائيلية فى قناة السويس وخليج العقبة ، ورد عليه محمد صلاح الدين ببيان عنيف أنهى به المحادثات أمام البرلمان يوم ١٦ أغسطس ١٩٥١ وخاصة ان الحكومة الوفدية كانت قد تحملت بداية موجة هجوم ضد موقفها من قضية المحادثات .

وهكذا يمكن تلخيص سياسة الوزارة الوفدية فى اتجاهات رئيسية ثلاثة : تأكيد الحريات العامة ، وقرار نوع من العدالة الاجتماعية ، ومواجهة الاستعمار لتحقيق الجلاء ووحدة مصر والسودان .

ولم يكن فى هذه الاتجاهات الوطنية ما يثير الضباط أو يجنح بهم الى تيار المعارضة رغم ان الوفد لم يكن له فى الجيش أية شعبية نظرا للظروف التاريخية التى أبعدت الوفد عن جهاز الجيش ، وعن السيطرة على ادخال الطلبة للخدمة الحربية ، والاساءة التى لحقت به بعد حادث ٤ فبراير ، والتنافر الطبيعى الذى جعل من تأثيره الجماهيرى مطعنا له عند ضباط الجيش الذين لا تستقيم حياتهم الا على أساس من الانضباط والنظام .

ولذا تبلورت اتجاهات الضباط الأحرار كما ظهر فى منشوراتهم خلال حكم الوزارة الوفدية فى فضح مفاسد القيادات العليا فى الجيش ، والمطالبة بتحقيق الأهداف الوطنية .

وكانت مأساة حرب فلسطين قد عادت تطل على المجتمع بعد رغب الرقابة على الصحف ، وظهور عدة مقالات عن صفقات الأسلحة التى تمت خلال الحرب بواسطة بعض المقربين من السراى ، ومتابعة فى ذلك استقالة محمود محمد محمود رئيس ديوان المحاسبة ، والاستجواب الذى قدمه مصطفى مرعى عضو مجلس الشيوخ عن أسباب هذه الاستقالة .

ورغم ان محمود محمد محمود كان حريصا على الصمت الا انه أفضى لمصطفى مرعى بأسباب استقالته ، وكان ذلك لأنه سجل فى تقرير الديوان بعض الملاحظات على مسلك وزارة الحربية فى موضوع الأسلحة المشتراة أثناء حرب فلسطين ، بالإضافة الى حصول كريم ثابت المستشار الصحفى للملك على مبلغ ٨٠٠٠ جنيه من ميزانية مستشفى المواساة تحت باب (دعاية) ، وعندما أرسل التقرير الى المطبعة الاميرية ردت له البروفات .

وانتهزت الصحافة فرصة نظر الاستجواب فى آخر مايو ورفع الأحكام العرفية فشنت حملة على ما أسمته (الأسلحة الفاسدة) بدأت فى روزاليوسف يوم ٦ يونيو بمقال لاحسان عبد القدوس ومقالات لعللى سلام فى مجلة المصور ، ووجد بعض الضباط الذين لمسوا بأنفسهم فساد

عمليات الشراء والسمرة الفرصة المناسبة للاتصال بالرأى العام عن طريق الصحافة .

البكباشى عبد المنعم أمين الذى كان مدرسا فى مدرسة المدفعية المضادة للطائرات ، وأصبح عضوا فى مجلس قيادة الثورة فيما بعد ، سافر فى بعثة لشراء أسلحة مضادة للطائرات ، بعد أن ألقت إحدى الطائرات الاسرائيلية ٣ قنابل على القاهرة كشفت نقص وسائل الدفاع الجوى . . . كان معه البكباشى حسين محفوظ ندا مدرس مدفعية الميدان ، وهناك اكتشفوا انحرافات من لجنة الشراء التى اشترت قنابل يدوية بمبلغ ثلاثة أرباع المليون ٧ واشترت أيضا مدافع ماكينة هوتشكس من التى استخدمت فى حملة السودان (١٨٩٦ - ١٨٩٩) .

وأهملت اللجنة على حد قولهم كخبراء واعتمدت على السماسرة المهرين . . ولجأ عبد المنعم أمين الى مصطفى مرعى بما عنده من بيانات بعد تقديمه الاستجواب ، ولكن مصطفى مرعى تشكك فى اتصاله به قائلا له أنهم همدوء بالقتل ، وهو لا يعرف ان كان عميلا مدسوسا عليه .

ولم يكن عبد المنعم أمين هو الوحيد الذى لجأ الى مصطفى مرعى . . . ولكن عبد اللطيف البغدادي اتصل به أيضا هو وحسن إبراهيم وضباط الطيران محمد شوكت ومصطفى مرتضى ، وعندما قالوا له أنهم معجبون بموقفه ، وانهم على استعداد لتنفيذ ما يستقر رأيهم عليه حتى ولو وصل الأمر الى حد قتل الملك . . . وهنا جعل مصطفى مرعى من هذا الحديث الخطير الذى ليست له مقدمات من الثقة ، وآثر ان يتحفظ معهم كما تحفظ مع عبد المنعم أمين ، وسافر الى أوروبا .

هكذا كان الضباط غير المنتمين فى حيرة من أمرهم ، تركز غضبهم على السراى وما ارتكبه رجالها من آثام ، ولكنهم لم يجدوا الطريق السليم الذى يسلكونه . . . حتى ان أحدهم وهو الضابط محسن عبد الخالق الذى تولى ادارة دار التحرير للطبع والنشر بعد الثورة لجأ الى أمينة السعيد الصحفية ورئيسة تحرير (حواء) التى اعتادت تحرير باب تحت عنوان (اسألوني) .

كان الضباط فى مرحلة نشاط شديد للاتصال بالعناصر المعبرة عما تطويه صدورهم ، وخاصة ان كثيرا منهم لم يكن قد انضوى واستقر فى (الضباط الأحرار) ، ولم يكونوا قد شعروا بعد بحرارة الانتماء الى تنظيم مقنع لهم ، بعد ان كانوا قد تجاوزوا مرحلة الخضوع المطلق لتنظيم الإخوان المسلمين أساسا .

ولذا كان النشر عن قضية الأسلحة الفاسدة مركز جاذبية شديدة لهم فانهالت منهم البيانات والوثائق والمعلومات على الصحفيين الذين تصدوا للكتابة في هذا الموضوع الذي ألهب مشاعر الرأي العام ، ووجد فيه الضباط مشجبا يعلقون عليه هزيمة حرب فلسطين . ويردون به الكرامة لضباط الجيش .

ولم تجد الحكومة الوفدية بدا من تبليغ النائب العام للتحقيق رغم ان هذا يحدث تصادما مؤكدا بينها وبين الملك لأن الذين مستهم البيانات كانوا من رجال الحاشية مثل أنطون بولي وادمون صهلان ومحمد حلمي حسين ووصلت الاتهامات الى محاصرة محمد حيدر قائد عام القوات المسلحة باعتباره مسئولا ومتسترا على العملية من بدايتها عندما كان وزيرا للحربية ، مما اضطره الى الاستقالة ، هو والقريق عثمان المهدي رئيس هيئة أركان حرب الجيش ، بناء على طلب النائب العام إبعادهما عن مناصبهما الحالية .

بدأ النائب العام محمد عزمي التحقيقات بجراة واضحة ، بعد ان وصله أمر كتابي من وزير العدل عبد الفتاح الطويل يطلب منه القبض على أى شخص سواء فى الحكومة أو السراى للتحقيق معه ، ولذا أصدر أمرا باعتقال ادمون صهلان الذى هرب الى سراى عايدبن ، ولما اتصل حسن يوسف بوزير الداخلية الذى كان موجودا فى بلطيم لم يوافق فؤاد سراج الدين على حمايته وأصر على تنفيذ أمر النائب العام ، فقام صهلان بتسليم نفسه .

ولكن النائب العام لم يواصل خيلته حتى نهايتها ، بل استجاب لأغراء السراى فأخرج عن المعتقلين ، وحفظ التحقيق بالنسبة لرجال الحاشية ، ورفع الحظر عن عودة محمد حيدر وعثمان المهدي الى مناصبيهما .

وهاجمت الحكومة موقف النائب العام ، وخيرته بين الاستقالة أو النقل الى منصب آخر ، فوافق على النقل ، وعين رئيسا لإدارة قضايا الحكومة وأعلن الملك عن استيائه من موقف الحكومة عندما قرر منع جميع الوزراء نياشين أعلى عدا وزير العدل ، ورفض الوزراء قبول النياشين تضامنا مع زميلهم .

وأبرزت هذه الحادثة التناقض بين الملك وبين ضباط الجيش ، وعمقت فى نفوسهم الشعور بقدرة السراى على وضع الأمور فى طريق مسدود ولذا كانت قضية الأسلحة الفاسدة من أول القضايا التى اهتمت الثورة بتحقيقها وتقديمها للمحاكمة .

بعد ان استغرقت القضية ٩٠٠٠ صفحة فى محاضر التحقيق ، ٢٣٠٠ صفحة فى جلسات المحكمة ، ١٢٠٠ صفحة أمام قاضى الاحالة فانها انتهت بحكم بسيط هو ١٠٠ جنية غرامة لكل من القائمقام عبد الغفار عثمان والبكباشى حسن منصور وبراءة بقية المتهمين .

وهكذا كانت قضية الأسلحة الفاسدة ، قضية دعاية أكثر منها قضية مخالفة للقانون . . . وقضية اثاره أكثر منها قضية اختلاس وسرقة . . والأقلام التى انجذبت اليها صورتها على أساس انها قضية رئيسية فى هزيمة الجيش ، متجاوزة بذلك قضايا أخرى أكثر أهمية منها وأكثر نفاذاً فى التأثير على قدرة الجيش على القتال . . . قضايا تمس صلب النظام الحاكم وقدرته على تعبئة طاقات الجماهير بما فيها القوات المسلحة .

لم تكن الأسلحة الفاسدة هى السبب فى هزيمة الجيش المصرى فى حرب فلسطين . . . ولكنها كانت بقعة سوداء ضمن بقع كثيرة لطخت وجه النظام وأساءت الى قدرة الجيش ، وأثارت خلال فترة النشر والتحقيق مشاعر الجماهير ضد الملك ورجال الحاشية ، لأنهم ربطوا بين السرقات وهزيمة الجيش واعتقال الوطنيين الأحرار .

الكفاح المسلح ضد الاستعمار البريطانى

كان الموقف السياسى يتدهور ، وهيبة النظام تتآكل ، وحماقات الملك فى نفس الوقت تتضاعف وتتسم بعدم المبالاة أو سلامة التقدير . . . والتهمت الصحف بمقالات نقدية عنيفة تفضح التصرفات الشخصية للملك ورجال الحاشية بعبارات مستهترة ، ولم يفلح قانون حماية أخبار القصر فى وقف هذه الحملة التى ظهرت فى عدة صحف منها الاشتراكية (مجلة حزب مصر الفتاة) واللواء الجديد (مجلة حزب الوطن الجديد) والجمهور المصرى (مجلة اثاره) كان يملكها أبو الخير نجيب) والكاتب (مجلة أنصار السلام) والملايين (مجلة الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى - حدتو) وروز اليوسف التى بادرت بالسبق فى شن الهجوم فيما أطلقت عليه اسم الأسلحة الفاسدة .

وكان محمد صلاح الدين قد صرح فى مجلس النواب بأن الدورة لن تفض قبل أن يضى بحديث للمجلس عن نتيجة المفاوضات ، ولذا فان المجلس لم يكن ينعقد ، ولكن الدورة لم تنفض .

وكانت الحكومة الوفدية قد أعلنت فى خطاب العرش لهذه الدورة التى لم تفض تهديدها بإلغاء معاهدة ١٩٣٦ اذا لم تسفر المباحثات عن نتيجة .

وعندما القى محمد صلاح الدين بيانه أمام مجلس النواب يوم ١٦ أغسطس حمل حملة عنيفة على الاستعمار البريطاني والسياسة الانجليزية في فلسطين التي انتهت بإنشاء إسرائيل ، وأشار الى أن الحكومة بما زالت عند وعدها بإلغاء المعاهدة كما أعلنه رئيسها مصطفى النحاس في خطاب العرش .

والتقطت الجماهير خطاب وزير الخارجية ليكون نقطة انطلاق لها في حركتها التي كانت تتصاعد يوما بعد يوم حتى يوم ٢٦ أغسطس - تاريخ توقيع معاهدة ١٩٣٦ ، فقررت التنظيمات السياسية التظاهر ، وخرجت القاهرة عن (بكرة أبيها) على حد تعبير جريدة المصري ، وخرج نحو ١٥ ألف متظاهر من عمال الورش الاميرية والسكك الحديدية وورش أبو زعبل ٠٠٠ وحدث تصادم بين البوليس والمتظاهرين فأصيب البعض من الطرفين ، واستمرت المظاهرات تموج في القاهرة حتى المساء .

وقد لعبت التنظيمات الوطنية واليسارية دورا بارزا في تحريك الجماهير وقيادتها خلال هذه الفترة كما سيأتى ذكره فيما بعد .

ووجدت الحكومة الوفدية انها تفقد كثيرا من رصيدها الشعبي أمام موجة الحماس التي تجتاح الشعب ٠٠٠ ووجدت أيضا أنها قد أصبحت محاصرة بوعدها الذي قطعت على نفسها بإلغاء المعاهدة .

واستقر الرأي على اصدار قانون بإلغاء المعاهدة ، واصدار تشريعات بتعديل موقف السودان ، وكلف بذلك الدكتور وجيد رافت المستشار الملكى لرئيس الوزراء .

توقع الوفد الخروج من الحكم بعد اعداد هذه التشريعات ، ولكن الملك الذى استشار نجيب الهلالي قرر التوقيع لأن نجيب قال له ان الموقف لا يحتمل عدم التوقيع ٠٠٠ وعدم التوقيع سيكون له اثر سيء عند الشعب .

وجمع فؤاد سراج الدين سكرتير الوفد الهيئة الوفدية البرلمانية فى البهو القزعوئى الساعة الرابعة والنصف حيث أخذ يخاطبهم فى تنظيمات خاصة بالوفد لضمان تجمعهم لهذه اللحظة التاريخية الحاسمة .

ووصل النحاس باشا من الاسكندرية فى نفس اليوم ، والجماهير تستقبله بهتاف يكاد يكون واحدا (ألغ المعاهدة يا نحاس) .

ووقف النحاس باشا على منبر مجلس النواب ليعلن كلمته التاريخية « من أجل مصر أبرمت معاهدة ١٩٣٦ ومن أجل مصر اطالبكم اليوم بإلغائها »

وذلك فى يوم ٨ أكتوبر ١٩٥١ وهو نفس اليوم الذى أقال فيه الملك
الوزارة الوفدية بخطابه المهنى فى ٨ أكتوبر ١٩٤٤ .

فوجى البريطانىون بالصورة التى ألغيت بها المعاهدة ، فقد توقعوا
ان يكون الالغاء شكليا وليس بهذه الصورة الدستورية .

وحضر السفير البريطانى يحتج لدى فؤاد سراج الدين الذى قال له
ان عندكم قواعد أخرى مثل عدن وقبرص ومالطة ، ولكن السفير البريطانى
قال له انه لا يوجد فى أى قاعدة منها المزايا التى تتوافر فى قاعدة
السويس ، وعندما سأله سراج الدين عن هذه المزايا ، قال السفير
البريطانى ان قاعدة السويس تتميز بالآتى :

١ - توافر الأيدى العاملة الرخيصة .

٢ - وسائل النقل متوافرة لها من طائرات وبحر وسكة حديد .

٣ - الحياة الاجتماعية فى مدن القناة ، وهى مسألة جوهرية
للقوات المسلحة .

والتقط فؤاد سراج الدين هذه الكلمات لتبدأ منها سياسة الحكومة
الوفدية بعد الغاء معاهدة ١٩٣٦ فى مواجهتها للاستعمار البريطانى .

وكان الغاء المعاهدة اعلانا بينه الكفاح المسلح ضد قوات الاحتلال
البريطانية فى منطقة القناة ، وحافزا لتجمع القوى الاستعمارية والرجعية
فى محاولة للإطاحة بالحكومة الوفدية التى استردت كامل شعبيتها وأزالت
كثيرا من التناقضات بينها وبين القوى الوطنية الديمقراطية التى فرضت
نفسها على الساحة الشعبية .

وبعد خمسة أيام من الغاء المعاهدة تقدم سفراء انجلترا والولايات
المتحدة وفرنسا وتركيا يطلبون مقابلة مشتركة مع وزير الخارجية ، ولكن
الوزير حدد لهم مواعيد متتالية قدموا له فيها مذكرة واحدة تطالب
باستبدال الغاء المعاهدة بمقد اتفاقية دفاع مشترك ٠٠٠ ولكن مجلس
الوزراء قرر رفض المذكرة وأعلن ذلك فؤاد سراج الدين فى اليوم التالى
مباشرة أمام مجلس النواب بعد سؤال من حامد العلايلى مراقب حزب
الأحرار الدستوريين عن سر مقابلة السفراء الأربعة لوزير الخارجية .

وفى نفس اليوم كانت ٣ ناقلات جنود بريطانية وصلت الى بورسعيد
تحمل امدادات لتنفيذ خطة بريطانية جديدة تقضى باحتلال كافة مرافق
مدن القناة ووضع اليد على جميع وسائل عبور القنال ، وبذا تصبح قوات
الجيش فى غزة وسيناء تحت سيطرة قوات الاحتلال .

وتحزمت التنظيمات السياسية تعد نفسها للكفاح المسلح .

الوفد ممثلا في الحكومة أصدر تشريعا بسجن كل عامل مصري يعمل في القاعدة البريطانية ، مع اذكاء الروح الوطنية في الاذاعة مما أدى الى تحقيق بطالة كاملة لعدد من العمال المصريين كان يتراوح بين ٤٠.٠٠٠ و ٥٠.٠٠٠ عامل ، وأصدرت الحكومة في نفس الوقت تعليمات لوزير الشؤون الاجتماعية بصرف مرتبات العمال كاملة وتهيئة العمل المناسب لهم خارج منطقة القناة ، وفي أيام قليلة تجمعت أكثر من ١٧ باخرة بريطانية في القتال بغير تفريغ لشحناتها .

وصدر قرار وزاري يمنع السكك الحديدية من نقل أى مهمات أو مواد الى القاعدة البريطانية . . . وكذا منع النقل البرى والنهرى .

وصدر تشريع بمعاقبة كل من يتعاون مع القوات البريطانية بالسجن .

وتوقفت الحياة الاجتماعية للجنود في مدن القناة نتيجة لنشاط الفدائيين حتى اعتبرت المدن خارج الحدود للقوات البريطانية .

ويقول فؤاد سراج الدين ان عددا كبيرا من ضباط البوليس في ملابسهم المدنية قد شاركوا في عمليات القتال وحرب العصابات ضد الجنود البريطانيين في القاعدة . . . ويقول أيضا انه قد أبطلت كافة المزايا التي ذكرها له سير رالف ستيفنسون السفير البريطاني وهو يعدد له مزايا قاعدة السويس عن غيرها من القواعد الأخرى في قبرص ومالطة بوعدن .

وعندما تطور القتال في منطقة القناة بدأت الحكومة تشتري السلاح للفدائيين من الصعيد . . . كما قابل فؤاد سراج الدين سفراء يوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا والاتحاد السوفييتي وطلب منهم شراء أسلحة للبوليس . . . ولكن هذه المقابلات التي تعتبر بداية الاتصال بالدول الاشتراكية في موضوع شراء السلاح لم تسفر عن نتيجة ايجابية ، ويعمل فؤاد سراج الدين ذلك بأنهم لم يكونوا قد قرروا بعد مواجهة الغرب بطريقة استفزازية في المنطقة .

وكانت الحكومة الوفدية تتصل بالسفير الأمريكي جيفرسون كافردي عند مواجهتها بعض المصاعب ، فعندما منع الانجليز تدفق المازوت من السويس الى القاهرة الأمر الذي يؤدي الى توقف المجارى والمصانع والمخابز واللواري ، اتصل فؤاد سراج الدين بالسفير الأمريكي وحذره من خطر الهجوم على الأجانب اذا نفذ المخزون من المازوت وهو لا يكفي لأكثر من

سنة أيام ٠٠٠ وبعد اتصالات بين الحكومة الأمريكية والبريطانية عدلت القوات البريطانية عن منع المازوت عن القاهرة .

وكانت الحكومة الوفدية الى جانب اعطائها الاوامر لقوات البوليس بمهاجمة قوات الاحتلال البريطاني في القناة ، تعقد حملات مع بعض القوى الفدائية غير الحكومية ٠٠٠ فعندما قدم الصحفي المعروف فكرى أباطة رئيس تحرير المصور قريبه قائد الجناح وجيه أباطة الى فؤاد سراج الدين قامت بينهما صلة استمرت طوال معركة القناة كان يحصل فيها وجيه على مساعدات من الحكومة .

وتمت في هذه الفترة مقابلة اخرى بين فؤاد سراج الدين وأحمد أنور أحد الضباط الأحرار وقائد البوليس الحربي بعد الثورة ٠٠٠

وافق جمال عبد الناصر على المقابلة محذرا أحمد أنور من الارتباط بشئ لوجود زملاء يجب الرجوع اليهم ، كما حذره أيضا من محاولة فؤاد سراج الدين معرفة معلومات عن (الضباط الأحرار) .

يقول أحمد أنور ان فؤاد سراج الدين حاول أن يعرف منه اسم قائد التنظيم في سؤال عابر عن يصلح رئيسا لأركان حرب الجيش ، فقال له : محمود سيف اليزل ، كما يقول انه قد بارك حركة الضباط دون أن يورط نفسه فيها ، وانه حمل له ذلك فيما بعد جميلا لأنه كان يستطيع الاضرار به بعد المقابلة .

ويقول فؤاد سراج الدين ان أحمد أنور قد عرض عليه وقوف الجيش مع الحكومة الوفدية اذا أقالها الملك ، وانه قد علق على ذلك بقوله ان الملك لا يعتمد على الجيش ، ومع ذلك فقد اتفق بعد هذه المقابلة مع مصطفى النحاس على أن يقترح مصطفى نصرت وزير الحربية عزل محمد حيدر القائد العام للقوات المسلحة ، وفعلا ذهب مصطفى نصرت للسرائى وطالب بتغيير حيدر ولم يصل الرد حتى اقالة الوزارة ٠٠٠ وتصادف ان احتفل الجيش في نادى الضباط بعيد ميلاد الملك (١١ فبراير ١٩٥٢) في حفل تغني فيه أم كلثوم ، وأنايب الملك محمد حيدر في آخر لحظة حتى يفاجيء الوزارة بذلك ، واستقبله الضباط بعاصفة من التصفيق بينما استقبلوا كلمة وزير الحربية بتصفيق فاتر .

عمق هذا الاستقبال شعور الوفد بانصراف الضباط عنه ، وبأنهم القوة التي يستند اليها الملك ، رغم وجود حركة بين الضباط الوطنيين .

وظلت الحكومة الوفدية تواصل كفاحها ضد القوات البريطانية في القناة بواسطة البوليس أساسا ٠٠٠ بينما تأمر قوات البوليس بضرب

المظاهرات في شوارع القاهرة . . . وأدى هذا التناقض الى وجود نوع من الانقسام في طبيعة عمل قوات البوليس في هذه المرحلة الحرجة التي تواجه فيها الحكومة الوفدية عدواً اجنبياً في القناة ، وتواجه مظاهرات تشب ضدها في القاهرة ، تتهمة بالتقصير أحياناً ، وتطالب بالسلاح أحياناً أخرى .

ولم يكن الضباط بعيدين عن معركة الكفاح المسلح في القتال . . . كما ان اتصالهم بالوفد لم يكن هو الاتصال الوحيد .

ولم يكن الوفد هو القوة السياسية الوحيدة المؤثرة في تحريك الجماهير للكفاح المسلح . . . بل ان تنظيمات سياسية ناشئة استطاعت ان تلعب دوراً بارزاً في هذه الفترة التي عمرت بالحربة والديمقراطية .

وحدث تغيير آخر في ترتيب القوى داخل الجيش . . . بعد ان كانت الشعب الثلاث للعمل السياسي هي (الازهاب - والاخوان المسلمين والشيوعيين) ، حدث تحول مواكب للحركة الجماهيرية .

ضاع الاتجاه الارهابي في تيار الكفاح الشعبي المسلح ، وذبلت قدرة (الحرس الحديدي) على الاغتيال بعد تفجر طاقات الشعب والثورة ، واصيبت حيويته بالجمود .

وحدث تبدل في موقف الاخوان المسلمين جعل اوتباط الضباط بهم يضعف عما كان قبل وائناء حرب فلسطين . . . وكانت الصلة بين (الضباط الاحرار) وتنظيم الاخوان قد استثمرت قائمة على أسس غير عدائية وغير تنظيمية أيضاً .

وكان الاخوان المسلمون قد تعرضوا لهزة شديدة بعد اغتيال المرشد الشيخ حسن البنا ، ولبتت داخل الجماعة خلافات وصراعات على تولي الزعامة من بعده وخاصة ان نظامها الاساسي كان يركز كل السلطات في يد المرشد العام ، وليس لمكتب الارشاد أو الهيئة التأسيسية الوجود استشاري بجانبه طوال فترة توليه المسؤولية التي تمتد حتي آخر يوم في حياته دون تحديد لفترة زمنية معينة .

ولذا كان اختيار المرشد يعتبر موضوعاً حاسماً في صراع الخلفاء . ولم يفز الشخص القوي الذي يفرض نفسه ويدين له الباقون بالولاء . . . فكان ان اجتمع رأيهم على تعيين شخص ضعيف . لكي يبدأ كل منهم محاولته في السيطرة على الجماعة خلاله .

واتفق الرأي على تعيين حسن الهضيبي مرشداً عاماً ، وهو مستشار عمل بالفضاء ٢٧ عاماً واتصل بالشيخ البنا عام ١٩٤٢ ولكنه لم يكن

عضوا بمكتب الارشاد ولا بالجمعية التأسيسية المكونة من ١٥٠ عضوا .
ولم يكن عضوا بارزا معروفا للاخوان كما أنه كان قد أتم الستين من
عمره في عام ١٩٥٠ .

واتخذ الملك موقف التأييد من انتخاب المستشار حسن الهضيبي
رشدا عاما ، بل قيل انه كان العامل الأول في انتخابه لأنه كان متزوجا
من شقيقة ناطر الخاصة الملكية مراد حسن ، وقد نشرت مجلة اللواء
الجديد ان مزراحى باشا محامى الخاصة الملكية كان له دور فى تحسين
العلاقات بين الملك والاعوان ، ليستميلهم الى جانبه فى مرحلة اتخاذ موقف
العداء من الوفد .

ولم يمض شهر على انتخاب الهضيبي حتى ذهب فى احدى عربات
التصور الملكية مع بعض زعماء الجماعة لمقابلة الملك ، الذى ذكرهم بوعد
حسن البنا لكرم ثابت عام ١٩٤٨ باتخاذ خطة معاداة الشيوعية اذا القي
الملك قرار حل الجماعة . وقد تكررت زيارة المرشد للملك عدة مرات صرح
بعد احداها بأنها (زيارة نبيلة لملك نبيل) .

وكانت جماعة الاعوان المسلمين قد خرجت من حرب فلسطين ومن
فترة الاعتقالات ، وقد مال ميزان قوتها ، وضعت قبضتها على الضباط
الذين نظمتم فى صفوفها خلال السنوات السابقة . . .

ولذا لم تسهم جماعة الاعوان المسلمين خلال فترة الحكومة الوفدية
فى أى عمل ايجابي ضد الملك أو الاستعمار . . . بل انه عندما عين الملك
خافظ عفيفى رئيسا للديوان ، وسارت المظاهرات تهتف ضد الملك وحافظ
عفيفى ، كتبت مجلة الدعوة التى كان يصدرها ضالح عشاوى عضو مكتب
الارشاد هجوما على رئيس الديوان الجديد . . . وأبرقت وكالات الأنباء
بهذا الموقف الجديد للجماعة من الملك . . . ولكن عبد الحكيم عابدين
سكرتير الجماعة سرعان ما اذاع بيانا هذا نصه : « يقرر المركز العام
للاخوان المسلمين ان مجلة الدعوة لا تصدر عنه ولا تنطق بلسانه ولا تمثل
سياسته وانها صحيفة شخصية تعبر عن آراء صاحبها ولا تتقيد دعوة
الاعوان المسلمين بما ينشر فيها » .

وتخلفت الجماعة عن بقية القوى والتنظيمات السياسية التى حاولت
أن تجذبها فى اتجاه ثورى ، أو تؤيد اتجاه صالح عشاوى ضد اتجاه
الهضيبي المتحفظ والحريص على عدم حدوث احتكاك بينه وبين السراى
باعتبارها مركز السلطة فى مصر . . . رغم انه كانت تتوافر لهم الأسلحة
فى جهازهم السرى .

واقصر نشاط الاعوان خلال هذه الفترة على الدعوة الى التربية
الاسلامية وكانما هى تناقض الثورة ضد الاستعمار ، وفى حديث للهضيبي.

مع مجلة الجتهور المصرى يوم ١٥ أكتوبر ١٩٥١ أى عقب الغاء المعاهدة بأسبوع واحد قال « هل تظن أن أعمال العنف تخرج الانجليز من البلاد ، ان واجب الحكومة اليوم هو أن تفعل ما يفعله الاخوان المسلمون من تربية الشعب واعداده فذلك هو الطريق لاجراج الانجليز » . ثم نفى الهضيبي ما أشيع من ان الجماعة طلبت من الحكومة تدريب ١٦ ألف شخص ونفى أن فى نية الجماعة التوجه بهذا الطلب .

وكان الهضيبي يردد « اذا كانت الحكومة تريد تسليح الشعب فعليها أولا أن تسلحه بالأخلاق فتغلق تلك المواخير السامرة طوال الليل ودور اللعب التى تفسد الأخلاق » .

وخطب الهضيبي فى شباب الاخوان قائلا لهم « اذهبوا فاعكفوا على تلاوة القرآن الكريم » ، ورد عليه خالد محمد خالد متهما اياه بالابتعاد عن الدين الذى يفضل الكفاح على العبادة حسبا أثر عن رسول الله وقال « وجد الوطن فى التاريخ قبلما يوجد الدين وكل ولاء للدين لا يسبقه ولاء للوطن فهو ولاء ذاتى ليس من روح الله ، والوطن عماد الدين وسناده » ثم خاطب الاخوان قائلا « اطلقوا سراح الطاقة المحتكرة » . وكتبت روز اليوسف تقول انه يجب على الاخوان التحرك فى المعركة والا فقدتم مصر .

لم يسرع الضباط المنضمون للاخوان المسلمين لمعركة القناة ، كما اسرعوا للتطوع فى حرب فلسطين . . وبدأت منطقة القناة بخالية من أية حركة ايجابية لهم .

وبذلك تخلى الاخوان المسلمون عن أداء دور بارز فى الكفاح المسلح ، وآثروا مهاذنة الملك ، وترقب نتائج تورط الوفد فى مواجهة الاستعمار واحتفظوا بأسلحتهم فى المخازن ليوم قريب .

ونتيجة لهذا الموقف المتهاون انصرف الضباط الذين انضموا للجماعة عدا قلة محدودة جدا . وكانت هذه الفترة هى نقطة النهاية فى ارتباط الضباط بالاخوان المسلمين .

اما التنظيمات الشيوعية فقد أسهمت أيضا فى معركة الكفاح المسلح فى القناة ، ولكن بقدرات بدأت محدودة ثم نمت مع تطور القتال .

وصدرت فى هذه الفترة طبعة ثانية من كتابى (حرب العصابات) ، ودرست قيادة حدتو الموقف فوجدت أنه لا يجوز أن تضيق حلقة الكفاح لتصبح محصورة فى الفدائيين وحدهم ، وانما يجب ان يتسع نطاق المعركة ليشمل الفلاحين فى القرى المنتشرة بالمنطقة ، وكثير منهم مسلح

بقيادةها ، كما انه تم البحث في انشاء تنظيمات سياسية لتوعية الجماهير
وقيادتها في القرى ، وجرت اتصالات كثيرة لخلق قيادة موحدة لكافة
الكتائب والتنظيمات المقاتلة حتى يزداد تأثيرها وتتوحد أهدافها ، وتكون
قوة لجهة تخلق في جو المعركة .

وكانت معركة (القرين) تجسيدا لهذه الأهداف التي رسمتها
(حدتو) فلم تكن معركة فدائيين فقط ، وانما كانت معركة فلاحين
أساسا ، فقد خرجت القرية كلها ، وتسلق الفلاحون النخيل ، وصوبوا
أهدافهم ضد دبابات الانجليز التي تراجعت ، وعجزت عن احتلال القرين .

وكانت مشكلة التنظيمات الشيوعية هي نقص السلاح عكس الاخوان
المسلمين الذين لهم السلاح ولم تتوافر ارادة القتال ...

كما نحصل لهم على السلاح من داخل الجيش ... كان يحضره لنا
جمال عبد الناصر من مجدى حسنين في سلاح خدمة الجيش بشكنات
العباسية ، وكنت أحمله مع الصاغ عثمان فوزى سفير مصر في هولندا
بعد الثورة الى المقاتلين في منطقة القناة .

وكان جمال عبد الناصر يعرف حقيقة الدور الذي نقوم به ويوافق
عليه ، بعد ان كانت صلته قد توطدت بمندوبي قسم الجيش في (حدتو)
للعمل في تنظيم الضباط الأحرار وهما القاضي أحمد فؤاد واليوزباشى
خالد محيى الدين .

وقد استشهد في القتال عباس الأسير الطالب بكلية تجارة
الاسكندرية ، وعضو لجنة أنصار السلام بالمدينة ... وتحولت الجنازة
الى مظاهرة شعبية كبيرة ، نظمت اشتراك ضباط الجيش فيها رغم اتصال
بعض ضباط القسم السياسى بنا ومحاولتهم أن يثنونا عن ذلك ...
وسار ضباط الجيش في صفوف منتظمة ومن خلفهم الجماهير تهتف ،
وأمامهم طالب يحمل تمثالا كبيرا لحمامة السلام البيضاء ... وكان عدد
ملحوظ من الضباط وصف الضباط قد وقعوا بيان ميثاق ستوكهولم .

كان عدد الأنصار يتزايد ، ومضمون المعركة يتعمق ... ويلتقى
صوت طلقات الرصاص مع رنين الكلمات المطبوعة على صفحات المجلات
الوطنية .

ولم تكن التنظيمات والقوة السياسية وحدها في المعركة ... كان
هناك بعض ضباط الجيش أيضا .

كان تنظيم (الضباط الأحرار) قد بدأ يتبلور وتتجدد معاملة ويزداد عدد المنضمين اليه يوما بعد يوم ٠٠٠. وكانت المنشورات هي الوسيلة الأولى لاثارة الضباط وتوجيههم .

كانت المنشورات خالية من الهجوم على الوفد أو الحكومة القائمة ٠٠٠. لما كانت تقوم به من أعمال هي أقصى ما في طاقتها ٠٠٠. وكان كتاب هذه المنشورات من أعضاء قسم الجيش (حدثو) وهم يدركون ان الهجوم على الوزارة الوفدية لاجراجها واسقاطها يلتقي تماما مع رغبة الاستعمار والملك والعناصر الرجعية خارج السلطة وداخلها .

ولكن المنشورات كانت تعلن « ان الجيش هو جيش الأمة وليس جيش فرد من الأفراد ، والأمة هي التي تنفق عليه ودفعوا الضرائب من أبناء الشعب هم الذين يدفعون مرتبات هؤلاء الجنود ، وهم الذين يسلحونهم فمهمتهم الأولى أن يكونوا في خدمة الشعب لا في خدمة أى انسان آخر » ٠٠. وكانت تهاجم الأموال التي تنفق على زفاف الملك « اليكم يا من تجمعون المال من عرق الشعب لتنفقوه في غير صالح الشعب ٠٠٠ اليكم يا من تسوقون البلاد الى هاوية سحيقة لتصلوا بالبلاد الى مآربكم الخاصة ٠٠٠ اليكم كلمتنا هذه لتكون نذيرا لكم لعلمكم تثوبون الى وشدكم وترجعون عن غيكم ٠٠٠ وأنتم أيها الضباط اليكم هذا العرض الموجز لما يحدث اليوم من مهازل ، فكونوا متيقظين دائما لما يدير لجيشكم وبلادكم ، ولا تتهاونوا في حقوقكم قيد أنملة » ٠٠٠. وكانت تعلن موقفها السياسي كما يأتي : « الشعب والجيش يقفان اليوم بالمرصاد لكل حركة ترجع بنا الى الوراء ٠٠٠ ان الشعب والجيش سيحطمان أية محاولة لضرب الحركة الوطنية ٠٠٠ لقد أيدنا الحكومة في خطوتها الوطنية التي اتخذتها بالغاء المعاهدة الاستعمارية » (١) .

وكان جمال عبد الناصر الرئيس المنتخب لتنظيم الضباط الأحرار حريصا على اشتغال حركة الكفاح المسلح في القنال ٠٠٠. يسهل امداد التنظيمات المختلفة بالسلاح والذخيرة اذا طلبت وكما كان يعطينى السلاح لمتطوعي (حدثو) كان يعطى السلاح والذخيرة لعبد القادر عودة وحسن عسماوى ، كما كلف كمال رفعت أحد الضباط الأحرار المرتبطين في البداية بالتنظيمات اليسارية والوزير وعضو مجلس الرئاسة بعد الثورة ، وحسن التهامي ضابط المخابرات وعضو الضباط الأحرار ثم الوزير بعد الثورة بالاشراف على معسكر تدريب الندائيين في صحراء الفيوم ، ليرسلوا بعد ذلك الى كتائب وجيه أباطة عضو الضباط الأحرار ، والمتصل بفؤاد سراج الدين وزير الداخلية .

(١) حرب التحرير الوطنية - كمال رفعت .

ثورة يوليو ج١ - ١٩١١

... واشترك بعض الضباط الأحرار - اشتراكا فعليا في معركة القنال ...
 فبروى لنا أنور السادات الذي أعادته الوزارة الوفدية الى صفوف الجيش
 بعد فصله واعتقاله عقب ضبطه متصلا بالجواسيس الألمان في القاهرة
 يرى قصة (التيتل) وهو اللغم البحري الكبير الذي تقرر إغلاق القناة
 به واشترك في العملية تخطيطا وتنفيذا جمال عبد الناصر وأنور السادات
 وصلاح هدايت الضابط المتخرج بعد ذلك في كلية العلوم ووزير البحث
 العلمي بعد الثورة وحسن التهامي وضابط خفر السواحل عبد الستار
 عرفة ... ولكن العملية لم تنجح لأخطاء غير مقصودة في البداية ثم أخطاء
 فنية في النهاية .

لم يكن (الضباط الأحرار) يشكلون وحدات مقاتلة ، ولكنهم كانوا
 يتصلون بالفدائيين يدربونهم ويغدون معهم الخطط ، ويشتركون أحيانا
 في بعض العمليات .

ولكن وحدات الجيش العادية في منطقة القناة ظلت بعيدة تماما عن
 أحداث المعركة ، تخضع لتعليمات قادتها التقليديين الذين يتلقون أوامره
 من محمد حيدر رجل السراى وقائد عام القوات المسلحة .

وكان غريبا ان تسهم قوات البوليس بالعبء الأكبر في معركة الكفاح
 المسلح بالقناة ، الى جانب الفدائيين والأهالي الذين بدأوا ينضمون الى
 حرب العصابات .. بينما قوات الجيش تمارس حياتها الطبيعية دون
 اغتداء على قوات الاحتلال ، ودون تحريض من قوات الاحتلال .

ولولا نشاط بعض (الضباط الأحرار) وروحهم النضالية لعد الأمر
 بإجها على التناقض القبيح . وأظهر الجيش في مظهر القوة المستكينة
 لتعليمات السراى المتعاونة مع الاستعمار .

... أرسل ضباط العريش ورفح الى رئيس الوزراء ووزير الحربية
 ورئيس أركان حرب برقية قالوا فيها « ان مصر العزيرة أولى بمعاننا من
 فلسطين ، واذا لم تصدر الينا الأوامر بالتحرك الى القناة فسنصرف على
 مسئوليتنا » وقد حضر مفتش عام الجيش بعد البرقية للتحقيق ولكنه
 لم يصدر أى اتهامات ولم تحدث مساءلة .

وقد أهاجت هذه الحالة مشاعر الضباط ، وجذبتهم الى أحداث البلد
 السياسية ، وسهلت فرصة التجنيد لتنظيم (الضباط الأحرار) ، وشامت
 الظروف أن يدخلوا تجربة عملية لاختبار قوتهم .

وكانت هذه التجربة هى انتخابات نادى الضباط ، وهى فى العادة
 كانت تمر هادئة ودون اهتمام كبير من جانب الضباط ... ولكنها أقبلت
 هذه المرة فى ظروف مشحونة بالقلق والتوتر .

(الضباط الأحرار) يعيشون أزمة الوطن دون أن تنطلق طاقتهم في حرية مثل بقية المواطنين يلمسونه فساد السراى وتعاونهم مع الاستعمار ولا يجدون وسيلة للتعبير الا فى المنشورات .

وقد تمحدد موعد الانتخابات بعد اسبوع واحد من هدم البريطانيين لقرية كفر أحمد عبده ، وهياج وثورة الراى العام المصرى .

وقرر اللواء محمد نجيب ان يدخل الانتخابات رئيسا للنادى ، وكانت اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار قد اختارته لما انصف به من شجاعة وأمانة وبساطة خلقت له بين الضباط شعبية ملحوظة .

وتعتبر انتخابات نادى الضباط هى بداية المواجهة العلنية الصريحة بين الملك وبين (الضباط الأحرار) .

وعندما رشح محمد نجيب نفسه رئيسا للنادى لم يكن ذلك مما يريح الملك ، فقد سبق ان نقله منذ شهور من سلاح الحدود الى سلاح المشاة ، ردا على رغبته فى نقل الاميرالى حسين سرى عامر وكيل الحدود المقرب من السراى والذي تولى قيادة السلاح بعده ، لما احاط به من شبهاة سلوكية .

أراد الملك أن يفرض حسين سرى عامر على مجلس ادارة النادى . وأصدر أمره بتأجيل اجتماع الجمعية المحدد له يوم ١٨ ديسمبر ١٩٥١ . ولكن الضباط اجتمعوا وقرروا أن تجرى الانتخابات يوم ٣ يناير ١٩٥٢ . وفى اليوم المحدد رفضوا اعتبار سلاح الحدود من أسلحة الجيش التى ينتمى مندوبوها فى مجلس ادارة النادى باعتباره سلاحا يضم ضباطا منتدبين من مختلف الأسلحة .

وكان فى هذا الاجراء صفة شديدة لارادة الملك . . . وتمت الانتخابات فعلا وحصل محمد نجيب على أغلبية ساحقة (عدة مئات من الأصوات) بينما حصل المرشحون الآخرون لمنصب الرئاسة وهم اللواء حافظ بكري مدير المدفعية ، واللواء ابراهيم الأرنؤوطى مدير المهمات واللواء سيد محمد مدير الصيانة على ٥٨ صوتا فقط .

لم ينجح محمد نجيب وحده . . . ولكن نجح معه أيضا مرشحو تنظيم الضباط الأحرار الذين شكلوا أغلبية المجلس وكان منهم زكريا محبى الدين وحسن ابراهيم وابراهيم عاطف ورشاد مهنا الذى عين سكرتيرا لمجلس ادارة النادى .

وكان هذا دليلا على تأثير ونفوذ تنظيم (الضباط الأحرار) بين ضباط الجيش كما كان دليلا أيضا على شعبية محمد نجيب .

ولم يكذب تبقي عدة أيام على الانتخابات حتى قام جمال عبد الناصر وضعه حسين إبراهيم وكمال رفعت وحسن التهامي بمحاولة اغتيال حسين سرى عامر أمام منزله يوم ٨ يناير ١٩٥٢ .

وهكذا أطلت فكرة الاغتيالات برأسها من جديد . . . ولكن سرعان ما تبين لجمال عبد الناصر بعد تجربته الأولى ان الاغتيالات لن تحقق الهدف لأنها حتى لو نجحت فإن فساد النظام سوف يبقى ، كما عبر عن ذلك في كتابه (فلسفة الثورة) . . . وهكذا لم يكذب يطل الارهاب برأسه من جديد حتى عاد وأخفى . . .

وصرح رئيس شعبة الاخوان بالسويس بأنه « ليس للاخوان أى نشاط فى الحركة المقاومة » ، وأثار هذا التصريح جدلا بين بعض قادة الاخوان مثل الشيخ محمد الغزالي الذى عارض هذا التصريح ، وسيد قطب الذى قال ان مسئولية التعبير عن رأى الاخوان ملقاة على عاتق المرشد العام وليس على سواء . . . وعقب حسن الهضيبى على هذا الجدل منتقدا كثرة الحديث عن موقف الاخوان ومتسائلا « كان شباب مصر كله قد نهر الى محاربة الانجليز فى القنال ولم يتخلف الا الاخوان المسلمون » .

وكتب كمال رفعت فى كتابه (حرب التحرير الوطنية) أن أحد الفدائيين عندما ذهب الى الشيخ فرغلى مسئول الاخوان فى الاسماعيلية يسأله عن موقف الاخوان من احتلال الانجليز للمدينة فقال « نحن لسنا على استعداد لتحمل تهور النحاس ولا يمكن أن نضحي بأولادنا من أجل الوفد . . . الوفد عملها وعليه ان يتحمل نتائجها . . . وما حدث فى الأيام الماضية كلام فارغ وقد راحت الناس ولا أحد يدرى بها . . . كما أن الانجليز لا يمكن أن يخرجوا بالاتفاق مع الوفد وحده ، فهو حاليا لا يخيف الانجليز لأنهم يعلمون ان هناك قوة ثانية فى البلد هى الاخوان ، فإذا لم يقتنع الوفد بقوتنا فلن تفلح أى محاولة له ، علينا أن نترك الوفد يفرق وحده وينتهى » .

ويقول كمال رفعت انه كان لدى الاخوان أسلحة كثيرة مخبأة لم تستخدم فى القتال ضد الانجليز .

ومع ذلك لم يرغب الاخوان المسلحون عن معركة القنال شيئا تاما ، فان بعض أعضاء الجماعة من الشباب لم يطق الدخول فى جدل حزبي والمركة مع الاستعمار تدور فى القنال فاشترك البعض منهم ، وتشكلت منهم عدة مجموعات ، واستشهد منهم بعض طلبة جامعة القاهرة (فؤاد سابقا) عمر شاهين وأحمد المنسى وغيرهما .

ولكن هذه الحركات المحدودة لم تكن تعبر تماما عن امكانيات
وقدرات الاخوان المسلمين التي اندفعت الى معركة فلسطين بحماسة
أشد .

تطور الكفاح الشعبى المسلح تطورا ملحوظا فى منطقة القناة ،
وبدأت كتائب التحرير الشعبية تعالج نقط الضعف فيها ، وزاد اقبال
(الضباط الأحرار) على المشاركة الصادقة فيها ، وتصاعدت العمليات
حتى أصبحت خسائر القوات المحتلة مصدر قلق شديد للقيادة البريطانية .
نشرت جريدة التيمز يوم ٢٦ ديسمبر ١٩٥١ تقول « ان أعصاب الجنود
الانجليز قد أصبحت شديدة التوتر ، وانهم (أى الجنود) يتساءلون عن
جدوى الاحتفاظ بقاعدة عسكرية ، فقدت كل قيمة عسكرية لها نتيجة
للشعور الوطنى المعادى » . كما علقت نفس الجريدة على تصريح للشيخ
ابراهيم حمروش شيخ الأزهر يحل فيه دماء الجنود البريطانيين ، وكتبت
فى صفحتها الأولى تحذر من أبعاد هذا الجهاد الدينى . . . وعندما نسف
الفدائيون قطارا كاملا محملا بالجنود والأسلحة والذخيرة يوم ١٢ يناير
كتبت النيوز كرونيكل تقول « علق الضباط الانجليز على هذه المعركة
بأنها أعنف من أية معركة خاضوها أيام الانتداب البريطانى فى
فلسطين » . . . وكتبت نيوسيتيسمان « يبدو واضحا أن حرب العصابات
قد أصبحت مسألة مقررة عند الفدائيين فى مصر . . . أن مستقبل المصالح
البريطانية قد أصبح الآن مظلما . . . فاما جلاء مخجل عن مصر . وأما
اشتباك عسكرى لفترة طويلة من المعارك فى ظل الأحكام العسكرية . » .

ووصل الى القاهرة نجيب الراوى موفدا من نورى السعيد رئيس
وزراء العراق حيث قابل فؤاد سراج الدين فى مكتبه وقال له ان الانجليز
قد أفلسوا تماما ، وهم يطلبون حلا يحفظ ماء الوجه . . . واستطرد قائلا
بأنهم مستعدون للموافقة على كل شئ على شرط ايقاف أعمال الكفاح
المسلح فى القناة . . . وقال له فؤاد سراج الدين ان الموقف قد وصل الى
الحد الذى لا يجرو فيه مصرى على اعلان ذلك ، وأنه على الانجليز أن
يقرروا الجلاء ، وعلينا تأمين ظهرهم أثناء الرحيل .

وفى هذه الفترة كانت خطة تخلص الملك من الحكومة الوفدية
تتحرك فى نشاط . . . قال لى أحد كبار ضباط البوليس السياسى فى ذلك
الوقت ، ان تعليمات قد وصلت لهم خلال هذه الفترة بأنه قد تقرر
التخلص من الحكومة الوفدية ، وأن عليهم أن يهيئوا أنفسهم لذلك . . .
ويقول أيضا أن قوات بوليس القصور كانت عندها ملفات هى صورة
طبق الأصل من ملفات البوليس السياسى الذى كان يرسل لهم كل الأخبار
وكافة التقارير .

وعند مجازعة كريم ثابت أمام محكمة الغدر ، واستدعاء حافظ عفيفي كشاهد اثبات قال : ان الملك أبلغه أنه يريد التخلص من حكومة الوفد فقلت له أن المعركة دائمة مع الانجليز ولا يمكن اخراجها الآن ، وأنه لابد من حدوث شيء هام لاجراجها . ولم يملك المستشار نفسه عن التحديق قائلا : وأظن يا باشا وجدتم في حريق القاهرة الحاجة المهمة .

وكانت الحكومة الوفدية تواجه انفصاما في سلوكها . . تمدد قوات البوليس وكتائب التحرير بالذخيرة والسلاح وتطلب منهم مقاومة الانجليز ، بينما هي تضطر الى مقاومة المظاهرات في القاهرة والاسكندرية بالرصاص أحيانا .

وكانت المظاهرات عقب الغاء المعاهدة ظاهرة شملت معظم المدن المصرية ، وافرغت ما في صدور الجماهير من رغبة في القتال والمطالبة بالسلاح . . وكانت القوات البريطانية قد قتلت ٧ متظاهرين وجرحت ٤٠ في الاسماعيلية وقتلت ٥ وأصيب الكثيرون في بور سعيد ثم وضعت منقلبة القنال تحت حكم عسكري مباشر تجاهل السلطة المصرية . . وفي ١٧ ؛ ١٨ نوفمبر أطلق الانجليز النار على ثكنات البوليس في الاسماعيلية فرد هؤلاء وسقط القتل والجرحى من الجانبين ، وشيعت جنازة الشهداء المضربين في احتفال خرجت له المدينة كلها ، وفي اليوم التالي طلب الانجليز الى محافظ القنال سحب قوات البوليس المصري من الحي الأفرنجي بالاسماعيلية وسحب جنود بلوكات النظام وعدم ظهور الضباط المصريين بهذا الحي بأسلحتهم فقبل الجانب المصري هذه المطالب ، وفي ٣ ديسمبر أطلق الانجليز النار على بعض قوات البوليس في السويس واستشهد ٢٨ مصريا منهم ٧ من رجال البوليس وقتل من الانجليز ٢٢ ، وتجدد الاشتباك في اليوم التالي وسقط ١٥ شهيدا .

وفي ٨ ديسمبر طلب الانجليز اخلاء حي (كفر أحمد عبده) بدعوى تحصن الفدائيين به واجتمع مجلس الوزراء وقرر رفض الطلب ، فحشد الانجليز آلاف الجنود ودبابات ومصفحات لم يكن ممكنا لقوة بوليس لا يزيد عددها عن ٤٠٠ أن تقاوم فانسحبت وهدم الانجليز كفر أحمد عبده . . وردت الحكومة على ذلك باستدعاء عبد الفتاح عمرو السفير المصري بلندن فعينه الملك مستشارا له للسياسة الخارجية ، وهو المعروف بميوله الانجليزية ، واستولت على نادي الجزيرة الذي أنشاه البريطانيون فور احتلالهم مصر عام ١٨٨٢ وقضروا عضويته على العائلات البريطانية ولا يدخله المصريون الا بعد المرور على مجهر بريطاني دقيق ، وأباحت للشعب حمل السلاح .

كانت هذه الأحداث المتكررة تهيج مشاعر الشعب في مصر فتنتطلق المظاهرات ويحدث من بعض أفرادها اعتداء على الممتلكات .. وأدرك بعض الثوريين ان ذلك يمكن أن يكون ثغرة يتسرب منها المستعمرون ، فكتب سلامة موسى في صوت الأمة (٢٥ أكتوبر ١٩٥١) يذكر بأن ما حدث من فساد للنظام أمر يخيف الأجانب وان بعض الشعارات كانت سيئة مما يعطى للأعداء فرصة الاندساس فيها لافسادها .. وخاطب النحاس باشا الشعب طالبا منه الهدوء .

وأصدر رؤساء تحرير الصحف بيانا يطالب بالعدول عن المظاهرات حتى لا يستغلها الانجليز ، وقد وقع البيان معظم رؤساء التحرير بما فيهم رؤساء تحرير (الكاتب) و (الاشتراكية) ورفض أبو الخير نجيب رئيس تحرير مجلة (الجمهور المصري) التوقيع لأن مجلته كانت من مجلات الاثارة غير الواعية .

ولكن استشهاده المكافحين في القنال جعل وقف المظاهرات أمرا صعبا مما اضطر الحكومة عقب اعلان ٢٣ أكتوبر يوما للحداد الى اصدار بيان بأن عناصر غير بريئة اندست في المظاهرات ، وقررت منع المظاهرات منعاً باتاً مع التهديد باستخدام العنف .

ومع ذلك لم تتوقف المظاهرات تماما .. ولم تستخدم الحكومة العنف تماما حتى يوم ١٤ نوفمبر حيث صرحت الحكومة بخروج أكبر مظاهرة شهدتها مصر تحت شعار (الصمت . الحداد . النظام) ، وسار في طليعتها مصطفى النحاس وبجواره على ماهر ورجال الحكومة ، وشيخ الأزهر والبطريوك والحاخام ورجال الدين والقضاء والجامعة والمهنيون وبعض العسكريين كما اشتركت وفود من الدول العربية والسودان .. وكانت كتائب التحرير تحرس المظاهرة فلم يحدث حادث واحد ، في الوقت الذي قدر فيه عدد المتظاهرين بمليون متظاهر عدا المتفرجين على الأرصفة ، حتى انها وقد بدأت من ميدان الاسماعيليه (التحرير) لم يعرف لها أول من آخر ، وعم الصمت المظاهرة الكبيرة ، وتساقطت على المتظاهرين المنشورات الثورية وارتفعت لافتات قدرت بعشرة آلاف لافتة كتب عليها (يسقط الدفاع المشترك) (الوساطة الأمريكية خدعة) (يسقط الاستعمار) (الموت للخونة) .. الى غير ذلك من الشعارات الثورية .

ولم تكن هذه المظاهرة التاريخية هي خاتمة المظاهرات .. فقد كانت حوادث القنال تجد انعكاسا وردود فعل سريعة في القاهرة لا تجد لها وسيلة للتعبير الا التظاهر رغم حظر ذلك ، حيث كانت المظاهرات تخرج بصفة تلقائية شعبية دون قيادة منظمة قادرة .

وزادت حدة المظاهرات في أواخر ديسمبر وأحرق المتظاهرون بعض عربات الترام ، ورجموا البوليس بالحجارة مما أدى الى تعطيل الدراسة في الجامعات ، وتجمع الطلبة رغم ذلك في مظاهرات كانت تزداد عنفاً وشدة طوال شهر يناير .

وبدت ظاهرة جديدة أيضاً هي هجوم بعض الشبان على الملاهي والحانات كما حدث من تحطيم ملهين بالقاهرة يوم ١٥ يناير ، وانفجار دارين للسينما يوم ١٩ يناير ٠٠ وهو اتجاه يتنافر مع المظاهرات الشعبية ، ويشير دون دليل الى فكر الاخوان المسلمين الذين كانوا يرددون دائماً الحديث عن الملاهي والحانات ، ولا يخوضون مباشرة في قضية الكفاح المسلح ٠٠ مما يكون قد دفع بعض العناصر لهذا اللون من التدمير .

ومن الاستفزازات البريطانية التي كانت تفتعل في القناة رداً على نشاط الفدائيين ٠٠ ومن ردود الفعل المنبثقة في شكل مظاهرات في القاهرة والأقاليم ٠٠ رسم الاستعمار البريطاني والملك وقوات البوليس السياسى خطتهم المشتركة للاطاحة بالحكومة الوفدية :

وصلت الاستفزازات البريطانية الذروة ليلة الجمعة ٢٥ يناير عندما حاصر آلاف الجنود البريطانيين ومعهم المصفحات والدبابات مبنى محافظة الاسماعيليه وأرسل الجنرال اكسهايم القائد البريطاني بالمنطقة انذاراً لقوات البوليس المصرى بمحاطة الاسماعيليه بتسليم أسلحتها والخروج من المحافظة والثكنات والرحيل عن منطقة القناة كلها .

وجد القسائد المصرى نفسه أمام احتمالين كلاهما صعب ، تسليم السلاح أو المقاومة مع فارق العدد والعدة وأراد أن يستطلع رأى فؤاد سراج الدين وزير الداخلية فأرسل ضابطاً صغيراً ففز من فوق السور ليتصل به بعد ان كان الانجليز قد قطعوا أسلاك التليفون عن المحافظة .

تمت المكالمة في الثانية بعد منتصف الليل وكان فؤاد سراج الدين نائماً وعندما استيقظ وجد نفسه مضطراً لاعطاء قرار : فسأل الضابط بالايجاب عما اذا كانوا مستعدين للمقاومة حتى آخر طلقة ولما أجاب الضابط بالايجاب أعطى فؤاد سراج الدين قراره بالمقاومة ، ثم وضع السماعة وهو يبكى .

وكان عدد جنود بلوكات النظام في الاسماعيليه ألف جندي مع كل منهم ألف طلقة ٠٠ وبدأت المعركة باطلاق قذائف المدفعية والدبابات على مبنى المحافظة ، وقاوم البوليس المصرى مقاومة بأسلة وأطلق مليون طلقة رصاص ، وانتهت المعركة بمقتل ٧٠ عسكرياً مصرياً ، ٤٠ عسكرياً بريطانياً .

ودخل الجنرال اكسهايم مبنى المحافظة وصافح قائد القوة المصرية قائلا له « أهنتك وأهنت جنودك على الروح التي قاتلوا بها ، ولذا فلن أعاملكم كإسرى حرب ، ولن تخرجوا من هنا رافعي الأيدي » .

ورحل جنود بلوكات نظام الاسماعيلية فى عربات السكة الحديد الى القاهرة ، وعندما أذيعت الأخبار كانت لها ضجة عالمية .. وظهرت ضحف انجلترا يوم ٢٦ يناير وقد كتبت (انها تخجل لأن الجيش البريطانى يحارب البوليس المصرى) .

وتحركت فى القاهرة منذ الصباح الباكر دوامة من المظاهرات لا تهدأ ولا تتوقف .

اتصلت السفارة البريطانية فى الثانية بعد منتصف ليلة ٢٥ - ٢٦ يناير بقوات البوليس تطلب حماية طائرة بريطانية هبطت فى مطار القاهرة .. وموظفو المطار ممتنعون عن تقديم أى خدمات لها ولم ينزلوا الركاب وهددوا بحرق الطائرة بمن فيها .. وبعد اتصالات طويلة لم يعثروا على اللواء امام ابراهيم رئيس مكتب الأجانب ، فتحرك الى المطار بعض ضباط القلم السياسى . وبقوا هناك حتى السادسة والنصف صباحا .

وفى طريق العودة بلغهم ان عساكر يلوكات النظام قد خرجوا فى مظاهرة ، فغيروا خط سيرهم لتفاديها ، وذهبوا الى منازلهم للنوم حتى الحادية عشرة صباحا .

وكان جنود بلوكات النظام فى تكتات العباسية قد خرجوا بأسلحتهم فى السادسة صباحا فى مظاهرة صاخبة احتجاجا على ما أصاب زملائهم فى الاسماعيلية ، واتجهوا الى جامعة فؤاد بالجيزة حيث اختلطوا بالطلبة المتظاهرين ، وتحركت الحشود المشتركة تنادى بحمل السلاح والسفر لمحاربة الانجليز ، وتهتف أمام قصر عابدين بسقوط الملك .

وتجمع المتظاهرون فى مبنى رئاسة الوزراء حيث خرج عبد الفتاح حسن وزير الشئون الاجتماعية يخطب فيهم ، وهم يهتفون بالمقاطعة الكاملة للانجليز وارسال القوات المسلحة للقناة ، وابرار معاهدة للصدقة مع الاتحاد السوفييتى ، وتجاوزت بمطالبها قدرة عبد الفتاح حسن على احتوائها وقد أوقف وزير الداخلية حكمدار القاهرة لأنه لم يمنع المظاهرات .

وكانت مظاهرة أخرى تسير أمام كازينو أوبرا حوالى الحادية عشرة والنصف صباحا حيث استفزها بعض ما شاهدته فى شرفته فأحرقت الكازينو .

«لوهنا بلغ الأمر فؤاد سراج الدين الذى أصدر أوامره بفض المظاهرات
بشدة» وكان لدى الحكماء اللواء مراد الخولى أوامر كتابية باطلاق
الرصاص ولكنه لم يفعلها .. وأبلغ امام ابراهيم مروسنيه بأن الوزير
قد أصدر أوامره بعدم التعرض للمظاهرات رغم صحة ذلك ومعروف ان
امام ابراهيم كان أحد كبار المسئولين فى القسم السياسى الذى لا يدين
بالولاء الأول لوزير الداخلية وإنما يدين بالولاء أساسا لسلطات السراى
التي كانت لها دائما صلات مشبوهة علنية وسرية بالسفارة البريطانية .

وانتقلت مظاهرات هذا اليوم بعد ذلك الى مرحلة جديدة مشبوهة
هى حرق سينما ريفولى ثم سينما مترو ثم نادى (الترف كلوب) البريطانى
الذى اشتعل بمن فيه ، وتلاحقت الحرائق فى المتاجر الكبيرة والفنادق
حتى شملت ٣٠٠ متجر وفندق شبرد ومترو بولوتيان ، وعشرات من
الحانات والبارات ومعارض السيارات وبنك باركليز البريطانى وغيرها
مما خول وسظ القاهرة الى شعلة من النيران .

ومع بداية هذه المرحلة المثيرة كان ٦٠٠ من ضباط الجيش والبوليس
يتوافدون بالثلاث على سراى عابدين لحضور مأدبة غداء ابتهاجا بمولده
(حضرة صاحب السمو الملكى الأمير أحمد فؤاد ولى العهد) والذى كان قد
ولد يوم ١٦ يناير وأصدر مجلس الوزراء قرارا بتعطيل المصالح (ابتهاجا)
بمولده يوم ١٧ يناير ، وقرر منح كل موليد هذا اليوم عشرة جنيهات
(لتكتمل البهجة) ، واجتمع البرلمان فى جلسة خاصة للاحتفال بالمناسبة
(السعيدة) ، وذهبوا جميعا الى قصر عابدين لقيد أسمائهم فى سجل
التشريفات .

وفى مناسبة مرور اسبوع على ميلاد ولى العهد استعرض الملك قوات
الجيش من شرفة عابدين وقال « فى هذا اليوم أهدي الى الجيش أعز شىء
عندى وهو ابنى » .. وأصدر حركة ترقية كبيرة فى الجيش ، وألقت
طائرات الهليكوبتر أكياس الحلوى على سكان القاهرة الذين كانت
أفكارهم مع المكافحين فى القناة .

القاهرة تحترق وضباط الجيش والبوليس على مأدبة الملك يتناولون
الغداء الشهى ويحتفلون بميلاد ولى العهد ، ووزير الداخلية يحاول الاتصال
بجيدر باشا تليفونيا ليصدر أوامره بنزول قوات الجيش ، ولكن حيدر
باشا لا يفادز مقعده على المائدة ويرسل له وحيد شوقى مدير خفر السواحل
يحدثه مما دفع فؤاد سراج الدين الى مغادرة مكتبه بوزارة الداخلية والذهاب
بنفسه الى قصر عابدين ، بعد ادراكه أن الحرائق خطه مدبرة ، ومع ذلك
ظل ينتظر حتى الساعة الثالثة الا ربع مساء حتى حضر له جيدر وحافظ
عفيفى ثم ذهبوا معا لمقابلة الملك وعادا فأبلغاه موافقة (جلالتة) على نزول

ضباط الجيشين . . . وقد نصحبهم عثمان المهدي قبل نزولهم بعقادي الشوارع المزدحمة بالمظاهرات حتى الخامسة مساء لم تتحرك قوات الجيش ، وعندما وصلت بعد ذلك الى حديقة الأزبكية أخذت موقفا سلبيا من الذين يحرقون القاهرة بدعوى انه لا توجد عندهم أوامر كتابية بإطلاق الرصاص .

ومع القروب كان كل شيء قد انتهى . . . احترقت القاهرة وباتت فيها عصابات اللصوص والمخربين تسرق وتتهب .

واجتمع مجلس الوزراء ليلة ٢٦ يناير بعد ان كانت قد توقفت كل أعمال العنف ، وانطلقت معظم الحرائق ولم يقدم النحاس استقالته للملك كما جاء في بعض المصادر .

يقول فؤاد سراج الدين انه كان هناك احتمال قائم بتكرار أعمال العنف يوم ٢٧ يناير وخاصة بعد ثبوت ان الحرائق لم تكن تتم بطريقة مرتجلة . . . وانما كانت تتم بوسائل حديثة كما ظهر في حريق شبندر اذ كانت هناك جماعات تفتح غازات معينة ثم تشعلها .

ويشير كمال رفعت في كتابه (حرب التحرير الوطنية) الى هذه الحقيقة عندما يقول ان هناك فرقا منظمة من محترفي الحرق والتخريب انقضت على قلب العاصمة في سيارات الجيب ، تحمل أحدث أساليب الحرق والتدمير وأشدّها فاعلية . . . وكانوا يقومون بمهيمتهم بأعصاب ياردة دون أن يدر عنهم شعار أو تصدر كلمة أو إشارة . . . كان عملهم ميؤوسا وخريطتهم مرسومة . . . الأماكن التي يقصدونها محددة سلفا تتقدم مجموعة لاقتحام الأبواب اما بنفسها بقنبلة عند أسفلها أو عمل فجوة بمواقف الاستيلاء ، وتسرح الى الداخل مجموعة ثانية تقذف في جوف المبنى بالمواد الفاسفة والحارقة وتندفع خارجة بعد ثوان معدودة ، وفي لمح البصر يكون المبنى كله شعلة من النار .

ويستطرد فؤاد سراج الدين فيقول انهم لم يجدوا امامهم من سبيل الا فرض الأحكام العرفية لسرعة اعتقال بعض الشبان المعروف عنهم التهور واجراء التفتيش للبحث عن المواد التي استخدمت . . . فكرت الحكومة الوفدية في الآثار التي يمكن أن تترتب على فرض الأحكام العرفية وفكروا أيضا في أمر الاقالة المائل امامهم .

وكان حافظ عفيفي قد سأل فؤاد سراج الدين في مكتبه بقصر عابدين وهو ينتظر حيدر عما اذا كانت الحكومة الوفدية قد قررت قطع العلاقات السياسية مع بريطانيا ، لأن السفير البريطاني أبلغه بوجود معلومات تشير الى ذلك ، وان هذا يعتبر بمثابة إعلان حرب بين الدولتين ، يمكن أن تدخل القوات البريطانية بعده القاهرة .

وعندها قال سراج الدين أنهم لو حضروا الى القاهرة لانقضى عليهم الشعب. ٠٠ ولكن حافظ عفيفى قال ان الأمر خطير لأنهم عندئذ قد يأخذون الملك أسير حرب وبهذه الطريقة يفرضون شروطهم على مصر .

ويقول فؤاد سراج الدين انه أيقن بعد هذه المحادثة أن عمر الحكومة الوفدية قد انتهى ، لأنه طالما وصل الحديث الى احتمال أسر الملك فان الأمر لأبد أن يؤدي للاطاحة بالحكومة الوفدية .

وقد جاء فى مذكرات ايدن بعد ذلك انهم فكروا فعلا فى دخول القاهرة عندما أزعج الكفاح المسلح قوات الاحتلال ، ولكن القائد البريطانى أبلغه أن قواته لا تستطيع ان تؤدى هذه المهمة .

كانت الاقالة ماثلة أمام الوزارة الوفدية وهى تناقش ليلة ٢٦ يناير موضوع فرض الأحكام العرفية ، وكانوا يدركون أيضا أن هذه الأحكام ربما تجعلهم أول من يكتوى بنارها ٠٠ ومع ذلك « لم يكن أمامنا مفر - صيانة للأمة واحتياطا للمستقبل - من فرض الأحكام العرفية » على حد تعبير فؤاد سراج الدين .

التقرير غير مقنع ، ومفاجأة الحريق جعلت الوفد يجنح الى طبيعة غير طبيعته ، لأن قبضته على السلطة ضعفت ، واقتناع الناس بقوته قد قُاثر من الأحداث ومن الحريق .

عين النحاس باشا حاكما عسكريا فى نفس الليلة ، وأوقفت الدراسة فى الجامعة والمعاهد والمدارس الى أجل غير مسمى ، بدأت حملة اعتقالات شملت بعض الثوريين ، وأغلق مبنى الحزب الاشتراكي ، وصدر قرار بمنع التجول فى مدينة القاهرة والجيزة من السادسة مساء الى السادسة صباحا عين عبد الفتاح حسن رقيبا عاما على الصحف . وعين المحافظون والمديرون حكاما عسكريين فى مناطقهم وصدر أمر عسكري بمنع التجمهر واعتبار كل تجمع مؤلف من خمسة أشخاص أو أكثر مهددا للسلم والنظام العام ويعاقب من يشترك فيه بالحبس سنتين أو بالسجن خمس سنوات ان كان حاملا سلاحا .

ولكن هذه الاجراءات العنيفة ، ولبس ثياب الحاكم العسكرى لم تنقذ حكومة الوفد من مصيرها المحنوم فقد أصدر الملك أمرا باقالتها بعد أقل من ٢٤ ساعة فى مساء يوم ٢٧ يناير ١٩٥٢ .

وتحديد مرتكبى جريمة حريق القاهرة ، يأتى من تحديد الذين استفادوا من هذه الجريمة .

كانت قوات الاجتلال البريطاني تعاني معاناة شديدة من الكفاح المسلح حتى كاد الأمر يصل بهم الى حالة اليأس ، وجاء حريق القاهرة بالاحكام العرفية التي قضت على الحركة الثورية الصاعدة ، ومنعت نشاط الفدائيين واخمدت الجبهة المشتعلة في نفوس الشعب .

ويقول كمال رفعت في كتابه (حرب التحرير الوطني) ان المخابرات البريطانية اعدت معسكرا في (كسبريت) كان معزولا تماما عن العالم الخارجى ، وكان يضم مجموعة من عملاء المجرمين والمخافين عنده المخابرات والتجسس ، ويشير الى انهم كانوا العناصر المدربة التي اعتمد عليها البريطانيون في تدبير الحريق ، كما حدث بعد ذلك في حريق طهران الذي صاحب اسقاط حكومة مصدق عام ١٩٥٣ .

وكانت قبضة الملك على السلطة قد ضعفت ، واهينت كرامته وهتف بسقوطه في المظاهرات ، واتخذت الحكومة الوفدية قرارات واجراءات دستورية لم يفلح في مقاومتها الا بالتآمر والتنسيق مع الاستعمار عن طريق تعيين حافظ عفيفى رئيسا للديوان ، والذي قالت جريدة التايمز يوم تعيينه « انه اول شعاع ضوء يبدد ظلام الجو الشامل في مصر » .

ولذا فان اقامة مأدبة غداء تضم ٦٠٠ ضابط من قيادات الجيش والبوليس في اليوم الموحد الموحد لبنة الحريق ، وابقاء الملك لهم شبه محتجزين في السراى امام موائد الطعام الى ما بعد الثالثة مساء ، وبعد ان كانت الحرائق قد اتهمت معظم شوارع وسط القاهرة ، وهو أمر لا يمكن ان يرتفع فوق الشبهات ، وخاصة انه نفل في اليوم التالى مباشرة لأكبر الأعمال استفزازا لشعور المصريين وهو معركة الاسماعيلية يوم ٢٥ يناير ، مما يدل على وجود تنسيق مشترك محكم .

وكان اختيار اليوم مدروسا في الخطة الملكية الانجليزية المشتركة بعناية فائقة ، فان كان مفروضا في هذا اليوم أن تفي الحكومة الوفدية بوعدها في قطع العلاقات نهائيا مع انجلترا ، وعقد معاهدة صداقة مع الاتحاد السوفيتى . كما ان اخبار اليوم نشرت لمراسلها البريطاني (ايار) صباح يوم الحريق برقية بأن لندن تتوقع اشتراك الجيش المصرى في معركة القنال وذلك بعد البرقيات التي ارسلها بعض ضباط الجيش يطلبون فيها المساهمة في الكفاح المسلح . كما ان يوم ٢٦ يناير كان اليوم السابق لعقد أول مؤتمر لاتحاد عام نقابات العمال المصريين بنصريه من الحكومة الوفدية .

وقد اسهم اليونسف السياسي في تهيئة المؤامرة بدور المزعوم عن طريق غيابة بعض قياداته أو اتخاذهم من المظاهرات موقفا سلبيا، أو ادعائهم بأن الوزير قد آمن يعلم التعرض لها ٢٠ وهم الذين سبق أن ناقشوا سرا طريقة التخلص من الحكومة الوفدية حسب رواية اللواء صادق مخلوف ١٩٢٠. وهكذا تمت فصول الخطة الملكية الانجليزية المشتركة ١٩٢٠. واحتقرت القاهرة، وانتكست الحركة الثورية التحررية للشعب المصري ١٩٢٠ ودخلت الحياة السياسية في مصر مرحلة جديدة ١٩٢٠.

الباب الثالث

● الجيش في السلطة

الفصل السابع حركة ٢٣ يوليو

(انى اؤكد للشعب المصرى ان الجيش
اليوم كله أصبح يعمل لصالح الوطن فى
ظل الدستور مجردا من أية غاية) .

محمد نجيب فى البيان الأول للثورة:

الفصل الثامن الواقع الاجتماعى والطبقى للضباط الأحرار

(لم يكن بين قادة الجيش ضابط واحد من
اسرة اقتطاعية كبيرة ٠٠٠ ولم يكن بين
الضباط الأحرار أى باشا أو بك)

حقيقة تاريخية:

الفصل التاسع سقوط الملك

(انتم سبقتونى فى اللى عملتوه ٠٠ اللى
عملتوه دلوقتى كنت أنا راح أعمله)

الملك فاروق لمحمد نجيب

وهو يودعه فى رحلته الأخيرة من مصر
بعد عزله يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢

الفصل العاشر الضباط فى السلطة ٠٠ لأول مرة

(ليس من الدقة القول بأن الجيش يملأ
الفراغ ٠٠٠ ومن الأفضل القول بأنه يفتح
طريقا محجوزا بالقوة)

روستو

الفصل السابع

حركة ٢٣ يوليو

(انى اؤكد للشعب المصرى ان الجيش اليوم
كله أصبح يعمل لصالح الوطن فى ظل
الدستور مجردا من أية غاية)

محمد نجيب

من البيان الأول للثورة

احتُرقت القاهرة ، وأقيمت حكومة الوفد ، وبقيت الأحكام العرفية
التي اعلنتها .

وكان لحريق القاهرة أثر شديد على الضباط الأحرار ٠٠ البعض
جمحت به حماسته الى حد المطالبة بضرورة الحركة الفورية مثل عبد اللطيف
البغدادي الذي كان يتبنى دائما الراى المطالب بالاندفاع لأعمال تنفيذية
سريعة ، والذي وجد فى الحريق ما يثبت وجهة نظره من ان البلد كانت
معرضة للدمار والفوضى وان يزول الجيش كان كفيلا باعطاء الضباط
الأحرار فرصة فريدة لتغيير شامل فى بساطة شديدة ٠٠ وفى غمرة الدفاع
عن موقفه قال عبد اللطيف البغدادي انه جاهز فى منزله عندما يقررون
الحركة فقد سنم تكرار الاجتماعات والحديث .

ثورة يوليو ج١ - ١٧٧

ويقول عبد اللطيف البغدادى ان عدم تكامل تنظيم الضباط الاحرار كان هو السبب فى عجزهم عن الحركة فور الحريق .

والبعض دفعه الحادث الجسيم الى التفكير فى الهدف الحقيقى لهذا التجمع من الضباط .. حتى هذه اللحظة لم يكن التنظيم قد أخذ شكلا هرميا متعدد المسئوليات منضبط السرية ، ولم تكن له لائحة أو برنامج ، كما أن بعض المجموعات لم تكن تواظب على دفع الاشتراكات ، ولم يكن نظام الخلايا قد استقر على أسس ثابتة وخاصة فى سلاح الطيران .

وإذن أصبح من الواجبات الملحة أن يستقر التنظيم على أساس برنامج ولائحة .. اللائحة لم يتسع الوقت لكتابتها .. والبرنامج كتبته أحمد فؤاد وخالد محيى الدين وتمثل فى الأهداف الستة للثورة (القضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة المصريين - القضاء على الاقطاع - القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم - اقامة عدالة اجتماعية - اقامة جيش وطنى قوى - اقامة حياة ديمقراطية سليمة) .

كان الضباط الاحرار يعتمدون على منشوراتهم التى لم تتوقف والتى تبادل مسئولية طبعتها وتوزيعها عدد منهم عبد الرحمن عنان وحمدى عبيد وزير الادارة المحلية فيما بعد ، وخالد محيى الدين .. وأخيرا استقرت بعد حريق القاهرة لتكون من مسئولية (الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى) . وفى هذا تفسير للأفكار والآراء التى حفلت بها المنشورات والتى كانت تعكس اتجاهها أكثر تقدمية - الاتجاه الحقيقى لمجموعة الضباط الاحرار .

ظهر بعد حريق القاهرة منشور يقول :

أيها الضباط ..

« ان الخونة المصريين يعتمدون عليكم وعلى جيشكم لتنفيذ أهدافهم وهم يظنونكم اداة طيعة فى ايديهم للبطش بالشعب وارغامه على قبول ما يكره .. فليفهم هؤلاء الخونة ان مهمة الجيش هى الحصول على استقلال البلاد وصيانتها .. وان وجود الجيش فى شوارع القاهرة انما هو لاحتياط قرارات الخونة التى تهدف الى التدمير والتخريب .. ولكننا لانقبل ضرب الشعب .. ولن نطلق رصاصة واحدة على مظاهرة شعبية .. ولن نقبض على الوطنيين المخلصين .. يجب ان يفهم الجميع اننا مع الشعب الآن ، ومع الشعب دائما ولن نستجيب الا لنداء الوطن » .

وفى منشور آخر صدر فى فترة وزارة أحمد نجيب الهملاى الاولى كتب ما يأتى :

توالبت مؤامرات الاستعمار الانجلو أمريكى فى الفترة الأخيرة فى مصر لمحاولة القضاء على الحركة الوطنية ولصرف أنظار الشعب عن الكفاح المسلح ضد الاستعمار فى القنال الى مشاكل داخلية. ففى القاهرة فبعد أن أعلنت حكومة الوفد قطع المفاوضات والغاء المعاهدة ورفض حلف الشرق الأوسط الرباعى الاستعمارى وتكوين الكتائب الوطنية ، واشتلت جذوة الوطنية فى البلاد حتى كادت أن تصل مصر الى حقوقها الكاملة ، دبر الاستعمار وأذنايه انقلاب ٢٦ يناير ١٩٥٢ (حريق القاهرة) وجاءت حكومة على ماهر وبدأت المفاوضات من جديد ، وكان الاستعمار والخونة المصريون يأملون كثيراً من على ماهر التسليم تسليماً كاملاً بمطالبهم بقبول واستعمال الأحكام العرفية للتنكيل تنكيلاً واسعاً بالشعب . ولكن خاب رجاءهم ولم يجبه على ماهر الى مطالبهم ، فكان لابد من انقلاب جديد لتحقيق الأهداف الاستعمارية السابقة ، وتحويل الحركة الى الداخل ، والقيام بحركة تطهير واسعة بالبلاد بحجة تقوية الصفوف قبل مجابهة الاستعمار . وهكذا وصل الهلالى الى الحكم بعد تدبير سابق . . . وقد جاء الهلالى وأعلن برنامج الوزارة بصراحة ، وان مهمتها الرئيسية هى التطهير وقد تناسى ان الفساد الأكبر مصدره الاستعمار وانه لا يمكن القضاء على الفساد الداخلى الا اذا قضى على أسبابه ومصدره . . . أن من أهداف الضباط الأحرار الكفاح ضد الفساد وضد الرشوة والمحسوبية واستغلال النفوذ . . . ولكن يجب ألا نتجه الى ذلك الا بعد القضاء على الاستعمار . . .

أبرزت المنشورات السابقة اتجاهات وطنية تقدمية تتعارض تماماً مع التخطيط الأمريكى للسياسة المصرية . . . بل وربطت بين الاستعمارين البريطانى والأمريكى فى محاولتهما القضاء على الحركة الوطنية وصرف أنظار الشعب عن الكفاح المسلح .

وخلال هذه الفترة تبين أن حريق القاهرة لم يحرق الوفد وحده وإنما أحرق معه قواعد النظام الذى فقد قدرته على الاستمرار .

كان نجيب الهلالى ينفرد بالحكم وحده بعد أن عطل الدستور ومنع الصحف من النشر عن الانتخابات ، وحاصر البرلمان بقوات البوليس بعد قرار حل مجلس النواب خشية اجتماعه عنوة ، وصادر مجلات الملايين (التنظيمات الشيوعية) والكاتب (أنصار السلام) واللواء الجديدة (الحزب الوطنى الجديد) واعتقل قادة هذه التنظيمات كما اعتقل فؤاد سراج الدين سكرتير الوفد .

أما الإخوان المسلمون فقد عادوا للنشاط مرة أخرى . . . أيدوا على ماهر عندما تولى الوزارة ، وأيدوا من بعده نجيب الهلالى لان وزارته « من رجال

غير جزيين عرفوا بسلامة القصد وبعد النظر واتصفوا بالجرأة والاقدام ،
كما نشرت مجلة (الدعوة) ٠٠ وقابل الهلالي الهضيبي ولم يعتقل واحد
من الإخوان المسلمين :

ولكن الافكار التي حوتها هذه المنشورات لم ترسب في أعماق
الضباط ولم يحتشدوا حولها ، ذلك أنه لم تكن هناك جهود مبذولة لتثقيف
الضباط ومناقشة المنشورات معهم والايحاء لهم بقراءة كتب معينة ٠٠ ولم
يكن ذلك الأمر ملحا لان أحدا لم يكن يتصور ان الظروف سوف تدفع
الضباط الأحرار الى حركة مفاجئة .

قال لى صلاح سالم انه لم يقرأ منشور الأهداف الستة ولم يناقش
هذا الموضوع أو يتعرف عليه الا بعد نجاح الثورة .

وقال جمال عبد الناصر للصحفي البريطاني دافيد مرجان فى حديث
نشر بصحيفة الصانداى تايمز البريطانية فى يونيو ١٩٦٢ انه كان فى نيته
القيام بالثورة فى عام ١٩٥٥ ، مما يوحى بأن الفرصة كانت ممتدة لمحاولة
توحيد الضباط حول القضايا الفكرية الرئيسية ، وإثارة اهتمامهم لتعميق
مفهوماتهم السياسية والثقافية .

وخلال فترة ما بعد الحريق كان محمد رياض أحد الضباط الأحرار
وقائد الحرس الخاص لمحمد نجيب فيما بعد قد اعتقل بتهمة الاشتراك فى
حريق القاهرة ، وكان على صلة شبة تنظيمية بأحمد حسين رئيس الحزب
الاشتراكي ٠٠ وصدر قرار بوضعه فى السجن أثناء التحقيق ، ولكن محمد
نجيب الذى كان يعرفه منذ حرب فلسطين توجه محتجا الى مكتب محمد
حيدر وزير الحربية ، ولم يخرج من عنده الا بعد أن نقل محمد رياض الى
الحجز فى ميس الضباط ، كما تقضى بذلك قوانين الجيش .

وكان لتوالى ظهور منشورات (الضباط الأحرار) وارتفاع أصواتهم
إلهامسة أثر على تحركات الملك ، وليس على تصرفاته ٠٠ وضاعف الحراسة
على نفسه ، وكان خلال سهراته ومبائله سواء فى نادى السيارات أو ملاهى
الليل يحيط نفسه بضباط من الحرس فى ملابس مدنية يمضون الليل
ساعرين ثم يحصلون على اجازة لمدة يومين ، وكان يقوم بهذه المهمة اعدد من
الضباط لمعت أسماؤهم فيما بعد (سعد متولى كبير الياوران بعد الثورة ،
ومحمد صادق وزير الحربية بعد ١٥ مايو ١٩٧١ ، وسعد الشاذلى رئيس
أركان حرس الجيش ، وحسين عرفة قائد المباحث الجنائية التابعة للشرطة
العسكرية) .

وكانت النعمة على الملك قد بلغت ذروتها وأصبح التركيز على نقده قاسما مشتركا في أحاديث الضباط .. وتسلب بذلك الضوء على محمد نجيب أساسا باعتباره أكثر الضباط شهرة وشعبية منذ حرب فلسطين .

زاره روما اللواء أحمد فؤاد صادق في مكتبه وروى له همسا أنه كان في منزل الدكتور يوسف رشاد وإذا به بعد اتصال تليفوني يعود له قائلا بأنه (سوف يقبض على اللواء محمد نجيب لاتهامه بتزعم حركة ثورية داخل الجيش) ولما نفى له اللواء أحمد فؤاد صادق احتمال ذلك - على حسب روايته ، قال له يوسف رشاد (ان المسألة خطيرة لانها تتعلق بحياة ملك) (١) .

وأدت هذه المعلومات الى اتخاذ الضباط الأحرار جانب الحيلة ، وخاصة بعد ان كانوا قد شكلوا لجانا قيادية للقاهرة ومنطقة العريش حيث تتجمع القوى الرئيسية للجيش .. شكلت لجنة القاهرة من جمال عبد الناصر وخالد محيى الدين وحسين الشافعى وزكريا محيى الدين ومجدي حسنين وأمين شاذلى .. وشكلت لجنة العريش من يوسف صديق وعبد الحكيم عامر وصالح سالم وجمال سالم (٢) .

وتصرف رشاد مهنا في هذه الفترة تصرفا أثار استياء زملائه ، وهو طلبه مغادرة القاهرة والانتقال الى العريش دون استشارة احد .. مما أدى الى توجه محمد نجيب الى مكتب حيدر محتججا على نقله باعتباره سكرتيرا منتخبا لمجلس ادارة نادى الضباط ولكنة فوجيء بأن النقل قد تم بینه على رغبتة .. وذهب نجيب الى رشاد في منزله وسمعه يبرر طلبه للنقل برغبته فى الابتعاد عن القاهرة فى الوقت الذى يلاحقهم فيه غضب الملك .

وكان رشاد مهنا قد التقى باللواء حسين سرى عامر مدير الحدود بعد محاولة اغتياله وتمت بينهما مصالحة شخصية .

وعندما وصل رشاد مهنا الى العريش كانت التعليمات عند البكباشى يوسف صديق مسئول المنطقة هى معاملته باحترام مع إبعاده عن التنظيم وعدم ربطه بحركته .

وخلال هذه الفترة أيضا قررت اللجنة القيادية للضباط الأحرار فصل (عبد المنعم عبد الرؤوف) من عضويتها لالتزامه وارتباطه بتنظيم الإخوان المسلمين ومحاولاته المتعددة مع عدد كبير من زملائه لنقل ولائهم لتنظيم الإخوان بدلا من تنظيم الضباط الأحرار .. فى وقت كانت فيه موجة المد

(١) كلمتى للتاريخ .

(٢) رواية خالد محيى الدين .

السياسى للاخوان قد انحسرت ، وانكشفت اتجاهاتهم المتهادنة مع الاستعمار
والسراى .

ومع ذلك لم تتوقف اتصالات الضباط الأحرار بالقوى والتنظيمات
السياسية المصرية من اليسار (الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى) والى
اليمن (الاخوان المسلمين) . وكان أبرز العناصر نشاطا ودأبا على هذه
الاتصالات (جمال عبد الناصر) الذى كان قد أعيد انتخابه رئيسا للجمعية
التأسيسية للضباط الأحرار بناء على طلبه ، عقب محاولته اغتيال حسين
سرى عامر والنقد الذى وجه له من زملائه أعضاء اللجنة التأسيسية وخاصة
عبد اللطيف البغدادى ، لعدم قيام الجيش بحركة فورية بعد حريق القاهرة
٠٠ وحصل جمال عبد الناصر على أصوات زملائه عند صوته هو فقد اعطاه
لحسين ابراهيم - كما ذكر لى عبد اللطيف البغدادى وحسن ابراهيم -
وكان ذلك تعبيرا منه عن الرغبة فى ترك موقعه ، واصرار زملائه على بقاءه
وكان اختياره لحسين ابراهيم لانه اشترك معه فى محاولة اغتيال حسين
سرى عامر .

اتصالات خارجية

ولم يقتصر اتصال الضباط الأحرار بالقوى والتنظيمات السياسية
المصرية فقط ، ولكنه امتد ليشمل أيضا مندوبى وزارة الخارجية والمخابرات
المركزية الأمريكية الذين استشارتهم منشورات الضباط الأحرار ، وانتصارهم
فى انتخابات نادى الضباط ، فبدلوا غاية جهدهم للتعرف عليهم ، واكتشاف
آرائهم ومحاولة اجتذابهم .

وكانت حلقة الاتصال مع ضابط فى المخابرات المصرية طبيعة عمله
تسمح له بالاتصال بالملحقين العسكريين الأجانب ، بينما هو مرتبط
بالضباط الأحرار وبجمال عبد الناصر شخصيا .

ولم تتسع حلقة الاتصال بين المسئولين الأمريكيين وبين الضباط
الأحرار رغم اعتمادهم على الصحفي المقرب منهم محمد حسين هيكل رئيس
تحرير آخر ساعة فى ذلك الوقت ورئيس تحرير الأهرام فيما بعد ، لانه لم
يكن قد تعرف بجمال عبد الناصر أو غيره من قادة تشكيل الضباط الأحرار
حتى ذلك الوقت أو اكتسب ثقتهم .

وكان حريق القاهرة حافظا لنشاط الأمريكيين فى المنطقة فقد أرسل
دين اتشيسون وزير الخارجية مندوبا عنه استعاره من وكالة المخابرات
المركزية هو كيرميت روزفلت لدراسة الأحوال فى مصر .

وكيرميت روزفلت هو حفيد الرئيس الأمريكى الأسبق تيودور روزفلت الذى زار مصر أثناء ولايته رئاسة الجمهورية (من عام ١٩١٦ الى ١٩١٩ وأثار الشعور العام ضده عندما خطب فى الجامعة المصرية ممتدحا الاستعمار البريطانى لائما المصريين على تنكرهم لفضائله ومزاياه ، وأرسل له محمد فريد زعيم الحزب الوطنى برقية احتجاج ، وخرجت المظاهرات التى شهدتها القاهرة لأول مرة بعد اخماد الثورة العربية ، تهتف بسقوطه وحياة الاستقلال .

بعد ان ظهرت اسرائيل ، وتمت هزيمة الجيش المصرى فى حرب فلسطين ، وتسرب النفوذ الأمريكى للمنطقة ، لم تقف الولايات المتحدة موقفا محايدا من نضال الشعب المصرى ضد الاستعمار البريطانى ، فقله أعلن دين اتشيسون وزير الخارجية الأمريكية عندما ألغى مصطفى النحاس معاهدة ١٩٣٦ « ان مصر لم تعط الالتزامات الدولية احترامها اللائق » ووجه اللوم لإلغاء المعاهدة .

ونشرت مجلة التايم فى أكتوبر ١٩٥١ مقالا جاء فيه « أن الموقف فى مصر أشبه ما يكون بالموقف فى اليونان سنة ١٩٤٧ ، حين اضطرت إنجلترا نظرا لضعفها الى سحب قواتها من اليونان ، فحلت أمريكا محلها ، واستأنفت القيام بدورها حتى لا تترك فراغا يتسرب منه النفوذ السوفييتى . » وأمريكا أعدت عديتها للموقف منذ زمن بعيد حتى لا تفاجأ كما فوجئت فى ايران ووضعت مشروع الشرق الأوسط .

وبدأ الصراع الخفى بين بريطانيا وأمريكا . . ونجحت المخابرات المركزية فى تدبير انقلاب حسنى الزعيم فى سوريا ، وهو أول محاولة لنقل أسلوب الحكم المفضل لدى الامبريالية الأمريكية والذي مارسه لزمان طويل فى أمريكا اللاتينية . . وهو حكم العسكريين الذين يقمعون الثورات والقتال الداخلية ، ويعملون مباشرة لحساب الشركات والاحتكارات الأمريكية .

وابتدا الصراع الانجلو امريكى بانقلاب دبتره بريطانيا ، هو انقلاب اللواء سامى الحناوى ، وردت عليه الولايات المتحدة بانقلاب ثالث بقيادة اللواء أديب الشيشكلي .

وركزت الولايات المتحدة اهتمامها بعد ذلك على مصر ، فعينت جيفرسون كافرى سفيراً لها بالقاهرة ، وهو من أشهر مدبرى الانقلابات فى وزارة الخارجية الأمريكية ، ويضم سجله سلسلة طويلة منها تقارب الثلاثين فى أمريكا الجنوبية والوسطى (كما ذكر محمد عودة فى كتابه « ميلاد ثورة ») .

وكان كافرى أول سفير أمريكى فى فرنسا بعد التحرير ٠٠ فى فترة ازيج فيها ديجول عن الحكم وطرد الشيوعيون من الائتلاف الوزارى ، وجذب الاشتراكيون للولايات المتحدة ، وأصبحت فرنسا قاعدة لمشروع مارشال ثم لحلف الأطلسى .

ولكن كافرى جوبه فى مصر بحركة شعبية متصاعدة ، اضعفت من فرص القدرة على أحداث انقلاب مشابه لما حدث فى سوريا ، وقد أسرع هو وسفراء انجلترا وفرنسا وتركيا لتقديم مذكرتهم المشتركة الى محمد صلاح الدين وزير الخارجية المصرى التى تدعو الى اقامة دفاع مشترك فور الغاء المعاهدة ٠٠ وهى المذكرة التى أعلن مجلس الوزراء المصرى رفضها أمام البرلمان ٠٠

ولذا كان حريق القاهرة فرصة مواتية انعشت آمال الامبريالية الأمريكية فى التسرب الى مصر ، ووضع قبضتها على مركز الحركة السياسية فيها ٠٠ أعلن دين اتشيسون وزير الخارجية الأمريكى ، فى ٣١ يناير قوله « ان قيادة الشرق الأوسط ليست اقتراحاً يمكن قبوله أو رفضه مازالت تقر بريطانيا على عدم اعترافها بالغاء مصر لمعاهدة ١٩٣٦ » ، ويقول تشرشل وترومان فى بلاغ مشترك « ان أفضل وسيلة لازالة التوتر الراهن فى مصر هى قبول قيادة الشرق الأوسط » .

ولم يكن رجال المخابرات المركزية كيزميت روزفلت مندوب وزارة الخارجية الأمريكية ورئيس بعثتها الى مصر بعد حريق القاهرة ، غريباً على المجتمع المصرى ، فقد عمل فى مصر خلال الحرب ، وتوطدت صلته بالملك فاروق ، ووقف الى جانبه خلال أزمة ٤ فبراير ١٩٤٢ ، وأعد له مقابلة مع الرئيس فرانكلين روزفلت خلال زيارته لمصر عام ١٩٤٥ .

ولم يبدأ كيزميت روزفلت مهمته الجديدة من فراغ ٠٠ فالن السياسة الأمريكية كانت لها نقط ارتكاز أقامت خلال فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ٠٠ كانت الوزارة الوفدية قد وافقت على مشروع (النقطة الرابعة) الأمريكى الذى يتيح للولايات المتحدة التغفل باسم المعونات الاقتصادية والخبرة الفنية لها ، وتعرضت بسببه الى هجمات عنيفة ظهرت فى الصحف خلال عام ١٩٥١ ، ووصلت الى حد مهاجمة الطليعة الوفدية له فى بيان نشرته (الاشتراكية) يوم ٢٢ يونيو ١٩٥١ تتهم فيه أمريكا بأنها سبب الاستعمار البريطانى فى مصر .

وكان جيفوسون كافرى نشيطاً فى مقابلاته وعلاقاته ٠٠ فقد نشرت اصحف - مجلة الجمهور المصرى عدد ٢٢ يناير ١٩٥١ - ان هناك مشروعاً

لانشاء مكتب أمريكي انجليزى مصرى لمقاومة الشيوعية ، ردا على المظاهرات المعادية التى تهتف بسقوط الاستعمار الانجلو أمريكى ، وان مكتب الصحافة الأمريكى يعمل على كسب بعض كبار الصحفيين ويطالب بمبالغ كبيرة لزيادة نشاطه .

وكان مصطفى أمين صاحب دار أخبار اليوم قد أصدر كتابا باسم (أمريكا الضاحكة) فيه دعاية للمجتمع الأمريكى ، يمكن مقارنته بكتاب (الانجليز فى بلادهم) الذى أصدره حافظ عفيفى .

وكانت السفارة الأمريكية قد نشطت فى الاتصال بعدد كبير من السياسيين المصريين فى محاولة لاجتذابهم الى صفها . كان حافظ رمضان لا يخفى صلتة بالأمريكيين ، ويقول فتحنى رضوان ان حافظ رمضان كان يتفضل بمستتر ايرلاند مستشار السفارة الأمريكية ، بأمل الضغط على البريطانيين كما صرح عبد الرحمن أمين الجامعة العربية بقوله « أننا على استعداد للتألف مع أمريكا » .

ويقول مصطفى مرعى ان الأمريكيين قد اتصلوا به ثلاث مرات للتعاون معهم على أسس رفضها ، قال لهم أنه ضد الملك وليس ضد النظام . وأنه مع الديمقراطية وضد الحكم الفردى . ورفض اقتراحا خاصا بتطبيق قانون الإصلاح الزراعى ، وابلغهم أنه يفضل تطوير قانون عضو الشيوع محمد خطاب بحيث يضطر كل من يملك أكثر من ٣٠٠ فدان الى بيعها .

ويدل اتصال الأمريكيين بمصطفى مرعى على أنهم كانوا يهدفون لنوع جديد من الحكم كان يرفضه لتنافره مع الديمقراطية ، ولتشجيعه للإصلاح الزراعى بطرق غير دستورية . وهذا يفسر سياستهم التمهيدية لقبول انقلاب يتفادى أخطار الانتفاضات الشعبية بتحقيق بعض إنجازات اجتماعية شكلية مع تثبيت قبضة السلطة الخاضعة للامبريالية الأمريكية ، المهددة للديموقراطية الشعبية .

وكان أحمد حسين وزير الشؤون الاجتماعية فى وزارة الوفد والذى استقال منها فى صيف ١٩٥١ هو أحد أصفياء السياسة الأمريكية . يدعو لسياسة اصلاح اجتماعى تتفادى خطر الثورة . وقد اقترح على (على ماهر) أن يطلب الى الملك - مكافحة للشيوعية وتصفية للسخط الشعبى - اعلان تنازله عن أملاكه - أو عن نصفها للشعب مثلما فعل شاه ايران حينما بعد أثناء معركة البترول كمقدمة لضرب الحركة الشعبية هناك . كما أنه اعتذر عن عدم الاشتراك فى وزارة على ماهر عندما عارض فى رفع شعار (التطهير قبل التحرير) .

كان أحمد حسين يؤدي دورا نشطا بين الساسة المستغلين بدعوى مجاربة الفساد ، وقد اتصل بعد خروجه من الوزارة الوفدية بنجيب الهلالى واتفقا على أسس التخطيط والعمل بعد التخلص من الوفد .

كان أحمد حسين يهدف مع المبعوثين الأمريكين الذين تركزوا فى القاهرة الى تنظيف ثوب الحكم الملوث ، ورتق ثقوب النظام المتفسخ عن طريق فصل بعض رجال العاشية ، وتشكيل وزارة لا يتدخل الملك فى اختيار اعضائها ، على أن يصدر الانجليز اعلانا بالجله من طرف واحد ، ثم يجرى تطهير الأحزاب بعد ذلك .

وكانت هذه هى المحاولة الأخيرة لمساندة النظام ، ووقع الاختيار على نجيب الهلالى الوفدى السابق ، ذى المواقف السابقة الشجاعة فى مواجهة الملك ، المشهور بنزاهته وصراحته ... ولكنه أمام تكليفه بتشكيل الوزارة تغاضى عن المبادئ المتفق عليها ، وقبل وزراء الملك « مرتضى المراغى وزكى عبد المتعال » ولم يتعرض لرجال العاشية بسوء .. واكتفى بالحديث عن (التطهير قبل التحرير) مما دفع أحمد حسين الى الاعتذار عن عدم الاشتراك فى وزارة كان هو شخصيا أحد المخططين لتكوينها ، وأحد وسائل الاتصال بين رئيسها وبين الأمريكين خلال عام ١٩٥١ .

ولم تنجح وزارة نجيب الهلالى فى تنفيذ المخطط الأمريكى .. لأن الملك ظل سائرا فى عبثه ، مطمئنا الى سطوته بعد اقامة الحكومة الوفدية ، معتمدا على حسن صلاته بالانجليز والأمريكين معا .

ولكن كبرميت روزفلت كان قد كون من دراسته لمصر رأيا آخر .. وجد ان الملك أعجز من أن يؤدي دورا ايجابيا فى اصلاح النظام .. لم يكن الملك من ذلك النوع من الرجال الذين كان روزفلت يبحث عنهم فقد كان الملك فاقدا القدرة على تركيز أفكاره ، وكم من جلسة ابدى فيها تفهما عميقا لما يدور فى مملكته ، ووافق على اتخاذ بعض الاجراءات الأساسية فى خطة روزفلت ، ولكنه فى اليوم التالى يختفى عن الانظار مفضلا ممارسة هوايته فى العزبة والجنس وضاربا عرض الحائط بكل ما اتفق عليه فى اليوم السابق ، ولا يخرج فى الأسبوع التالى من اتخاذ اجراء ينسف خطة روزفلت برمتها ، وقد أمضى روزفلت فى القاهرة الشهرين الأولين من سنة ١٩٥٢ مع الملك يلهوان بتنفيذ مخطط (الثورة السلمية) وذلك بأن دفعا رجل الحكم القويين مرتضى المراغى وزكى عبد المتعال لخلق أزمة وزارية ، بينما أوعز الملك الى البوليس السرى لجمع الأدلة والوثائق ضدهما ليثبت حين تحين الفرصة - انهما عميلان للمخابرات المركزية الأمريكية ، ثم قام الملك بتكليف نجيب الهلالى ذى الشهرة الواسعة والسمعة الجيدة بتولى مهام

دياسة الوزراء ، ولكن الملك لم يستدعه يلباقة كافية ، مما جعل الهلالي يرفض تسلم الوزارة حتى اتصل به روزفلت سرا وأسر له بأنه إذا لم يتسلم رئاسة الوزارة ، ويقوم بتطهير جهاز الدولة من المرتشين والفاستدين ، ويكون رائدا للثورة السلمية فإن الثورة لن تبقى سلمية ابدا .

وهكذا يفسر مايلز كوبلند في كتابه (لعبة الأمم) موقع وحركة مرتضى المراهي وزكي عبد المتعال . . ويلقى الضوء على حقيقة الدور الذي كان مفروضا ان يؤديه نجيب الهلالي ويكشف محاولة التمسك بثورة سلمية تحاشيا لثورة غير سلمية .

ويحاول مايلز كوبلند في كتابه (لعبة الأمم) الايحاء بأن جمال عبد الناصر كان على اتصال بكيرميت روزفلت عندما ذكر « وقد أخبر عبد الناصر كيرميت روزفلت صراحة انه مع ضباطه لن ينسوا ذلك الاذلال الذي لاقوه على أيدي الاسرائيليين عام ١٩٤٨ ، الا أن نقيمتهم ستتنصب بالدرجة الأولى على كبارضباط الجيش المصري ثم بقية حكام العرب والبريطانيين ، وأخيرا على الاسرائيليين » .

وكان ذلك في معرض حديثه عن اهتمام الأمريكيين بتوضيح موقف المصريين من قضيتين هامتين أولاهما اسرائيل وثانيتهما القومية العربية . . ويبدو حديث جمال عبد الناصر كأنما وجهه لروزفلت قبل ٢٣ يوليو ، إذ ان كبارضباط الجيش جميعا غدا قلة محدودة جدا منهم قد عزلوا وأحيلوا الى التقاعد فور نجاح حركة الجيش .

ولكنه لا يوجد دليل واحد على أن جمال عبد الناصر قد اتصل شخصا بكيرميت روزفلت قبل الحركة . . ولو أن اتصالات بعض زملائه بالأمريكيين قد جعلته يطلب من خاله محيي الدين عدم استخدام عبارة (الاستعمار الانجلو أمريكي) في منشورات الضباط الأحرار ، والاكتفاء بذكر الاستعمار البريطاني ، وكان ذلك في شهر مارس ١٩٥٢ ، وذلك للتأييد الذي لمسه هؤلاء الزملاء من المسؤولين الأمريكيين في المنطقة .

والمقطع به أن الأمريكيين قد وجدوا في النشاط السري لحركة الضباط الأحرار ما يحقق لهم أهدافهم في المنطقة ، ولكنهم لم يستطيعوا أبدا أن كونوا مسيطرين عليه .

وعندما عاد كيرميت روزفلت الى واشنطن في مايو ١٩٥٢ بعد اقامة امتدت ثلاثة أشهر قدم تقريرا الى وزير الخارجية الأمريكية دين اتشيسون حسب رواية مايلز كوبلند في كتابه (لعبة الأمم) تتضمن النقاط الآتية :

١ - لم تعد الثورة الشعبية التي كان يسعى اليها كل من الاخوان المسلمين والشيوعيين - وتخشاها وزارة الخارجية الأمريكية - واردة في الحسابات .

٢ - لم يعد هناك أى أمل في ابعاد الجيش عن القيام بالانقلاب قريب وائثائه عن عزمه على إستلام السلطة ، رغم كل التحفظات التي كان يديها واضعو مخططاتنا في واشنطن من أن تكون النتائج مشابهة لما جرى في سوريا على أيدي العسكريين .

٣ - ان قادة الانقلاب المحتمل ، يرفعون شعارات قياسية تخالف ما اقترحه كثير من المراقبين الدبلوماسيين وتجعل منهم وهم في السلطة طرفا لنا ومرنا في أية مفاوضات نخوضها معهم كما انها تزيد من فرصتهم في النجاح .

٤ - يجب أن توافق الحكومة الأمريكية على اقضاء الملك فاروق ، وربما النظام الملكي نهائيا في مصر ، ولا يمنع هذا من اتباع بعض الشكليات للدبلوماسيين بارسال مذكرة احتجاج رقيقة تفسح المجال أمام السفير كافرئ لاطهار قلقة المصطنع على سلامة الملك فاروق .

واذا صح ان كبريت روزفلت قد وصل الى هذه النتائج فان هذا لا يعنى ارتباط تنظيم (الضباط الأحرار) بالمسؤولين الأمريكيين ارتباطا عضويا ، ولا يدل على ان حركتهم تتم بتوافق وتنسيق مع الاتجاهات الأمريكية ، وانما يدل على اتساع دائرة معرفتهم ، وخبرتهم السياسية في دول تتعرض لآزمات وطنية وحركة جيوشها في مواجهة هذه الآزمات .

التحضير للانقلاب :

دليل ذلك أن (الضباط الأحرار) لم تكن لهم خطة عمل . . ولم يحددوا تصورا لحركتهم ، ولم يقرروا أسلوب انقضاضهم الى ما قبل ٢٣ يوليو بأيام قليلة .

كانت الاتجاهات متضاربة ، والرغبات مشتتة ، والحلول المقترحة متعددة .

وظهر ذلك واضحا بعد أن أصدر الملك قرارا بحل مجلس الادارة المنتخب لنادى الضباط وتعيين مجلس مؤقت برئاسة اللواء على نجيب قائد قسم القاهرة وشقيق اللواء محمد نجيب ، وعضوية يوسف العجرودى ، وجلال صبرى ، ومصطفى كمال عبد الرازق ، ومحمد حسنى وعلى صبرى ضابط مخابرات الطيران ونائب رئيس الجمهورية فيما بعد .

وكان هذا القرار الذى صدر فى ١٧ يوليو صدمة جعلت (الضباط الأحرار) يهرعون الى التفكير فى تنفيذ شيء ما .. دون أن يستبينوا حقيقة هذا الشيء .. ودون أن يعدوا لكل أمر عده .

وتأرجحت الآراء ..

يقول محمد نجيب انه ظهرت أمام الضباط ثلاثة طرق مفتوحة :

الاول : ارسال برقيات احتجاج من الضباط للملك .

الثانى : احتلال النادى بالقوات المسلحة .

الثالث : تجميع كبار الضباط واعتقالهم وفرض شروط الضباط على الملك .

ولم تكن هذه الحلول هى التى فرضت نفسها فقط على تفكير الضباط .. برزت مرة أخرى فكرة الاغتيالات بطريقة ملحة .. وسادت مجموعة الطيران فكرة اغتيال قادة الأحزاب ورجال السراى وبعض رجال السياسة .. وسرت الفكرة الى مجموعات أخرى تجند للاغتيال ، وتشكلت مجموعة لذلك فعلا من كمال رفعت وعياد وضوان وزير الداخلية فيما بعد واسماعيل مفرید محافظ المقهلية السابق ومحمد المبتاجى محافظ الجيزة السابق وعبد الحليم عبد العال المحقق العسكرى فى واشنطن فيما بعد ، كانت تنتظر أوامرها من عبد الحكيم عامر .. ولكن هذه الأوامر لم تصدر ولم تطلق رصاصة واحدة للاغتيال .

وكانت فكرة الاغتيالات تراود الضباط دائما ، فهى أقرب اسلوب يتفق مع منطقهم وطبيعتهم .. وساعده على ظهورها مرة أخرى فى هذه المرحلة - بعد ان ذوت وتراجعت فى فترة الكفاح الشعبى المسلح ضد الانجليز فى القناة ، وتجمع الارهابيين فى تنظيم (الحرس الحديدى) التابع للسراى ، وعدم وجود ظروف تؤهل لهم خلق اعداء تتجسم فيهم فكرة الاغتيال - ساعد على ظهورها اغتيال ملازم الصيانة الفنى (عبد القادر طه) فى مايو ١٩٥٢ الذى كان عضوا فى الحرس الحديدى ثم كفر به وبدأ اتصالاته مع القوى الوطنية واليسارية .. ونشرت الصحف وقتها اتهامها الى اللواء حسين عامر الذى بادر الى اعداد تكذيب له فى جريدة (الأهرام) ولكنه تراجع عن نشره فى آخر لحظة حتى لا يكون فى هذا التكذيب توجيه لاتهام للسراى فى وقت كان يتطلع فيه الى منصب الوزارة .

هكذا كانت فكرة الاغتيالات تطرح نفسها دائما ..

ولكن الظروف كانت تتغير بسرعة شديدة .. والمناطحة أصبحت متوقعة بين السراى والضباط الأحرار فى أية لحظة .

السراى فى مركز السلطة وتملك القدرة على اعتقال المشتبه فيهم من الضباط .. والضباط الأحرار يشعرون باقترب الخطر منهم دون أن يكون عندهم تصور كامل أو خطة معدة لحركتهم .

وكان حسين سرى قد اقترح عند تشكيل وزارته يوم ٢ يوليو ١٩٥٢ بعد استقالة نجيب الهلالي تعيين محمد نجيب وزيرا للحربية ولكن الملك رفض ذلك رفضا باتا .. وغضب أيضا على محمد حيدر الذى لم يجد سبيلا الا جل مجلس ادارة النادي ترضية للملك ونقل محمد نجيب من قيادة سلاح المشاة ليكون قائدا للمنطقة الجنوبية فى منقباد بأسبوط .

وفكر محمد نجيب فى الاستقالة .. بل وكتبها فعلا .. ولكن موقف بعض الزملاء منه دفعه الى التراجع عنها وسحبها قبل وصولها .. فقد قال له يوسف صديق (اذهب الى منقباد وسنعيدك الى القاهرة بالدبابات) واقتنع محمد نجيب ، وقرر أن يواصل المقاومة مع زملائه من موقعه فى أى مكان ..

وفى هذه المرحلة أيضا كانت صيحة المناداة بالحاكم (العاقل المستقيم) قد علت وترددت ووصلت الى اليدوة .. سواء فى الخارج الداخل ..

نشر الكاتب الأمريكى ستيفورث السنوب مقالا فى صحيفة (شيكاغو صن تايمز) يقول فيه « اذا كانت بريطانيا قد استطاعت فيما مضى ان تحافظ على سيادتها على مصر بخلق الباشوات وجعلهم أصحاب النفوذ ، وبرشوتهم بعد ذلك ليكونوا أداة تسهيل مصالح بريطانيا الاستعمارية فإن هذه الطريقة لم تعد عملية ولا مجدية اليوم ، ان الشعب الفقير قد أخذ يستيقظ ويشعر بالضيق الفاحش اللاحق به » ثم أنهى مقاله بقوله « ان الحديث عن انعاش الديمقراطية فى بلد كمصر يعيش فيه أغلبية الشعب عيشة أحر من عيشة الحيوانات ، هو لغو فارغ ، ان مصر لا تحتاج الى ديمقراطية بل تحتاج الى رجل فرد ، الى رجل ككمال اتاتورك ليقوم بالاصلاحات الضرورية اللازمة للبلاد ، لكن مشكلة مصر كيفية العثور على الديكتاتور ، فليس بين رجالها من لديه المؤهلات اللازمة للديكتاتور » .

كتب احسان عبد القدوس مقالا بعنوان (ان مصر فى حاجة الى ديكتاتور .. فهل هو على ماهر ؟) تضمن فيه للدفاع عنه وقال أنه معروف

غنه انه يعتد برأيه الى حد لا يسمح معه للوزراء بالتفكير ثم قال : ومصر تقبل معه أن يعتد برأيه الى حد أن يصبح ديكتاتورا للشعب لا على الشعب ، ديكتاتورا للحرية لا على الحرية ، ديكتاتورا يدفعها الى الامام ولا يشدها الى الوراء ،

وفي نفس الوقت تقريبا ظهرت عدة مقالات كتبها جوزيف السوب (من نادى الجزيرة بالقاهرة) قال فيها أن فاروق قد فقد أهليته ، وأن الوفد حزب لا يمكن الاعتماد عليه ، وأن الأمل الوحيد في الجيش ٠٠ وقد أثارت هذه المقالات التي نشرت في أمريكا اهتمام المبعوثين المصريين هناك ، ودفعت الدكتور ابراهيم سعد الدين عضو الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكي ومستول معهد ، الدراسات الاشتراكية فيما بعد الى كتابة مقال لمجلة (الكاتب) دون توقيع ، تحدث فيه عن احتمال وقوع انقلاب عسكري .

وكانت صحف دار أخبار اليوم هي المنبر الذي تنطلق منه الدعاية للسياسة الأمريكية ، فهي تمدح السراى والملك ، وتهاجم الوفد وتحاول التشهير به ، ثم تنقلب الى غمز السراى عندما تتبلور السياسة الأمريكية وتفقد الثقة في قدرة الملك على الإصلاح . وقد اوضح موسى صبرى ذلك في كتابه ملك وأربع وزارات ، اتخذت موقفا معاديا للشيوعية في وضوح وقوة ونادت بالإصلاح ، وكان منطقها في محاربة الانجليز ، خذ منهم ما تستطيع ثم حارب من جديد ، ولعل صحافة أخبار اليوم كانت تمثل حيرة الشباب في البحث عن بطل ، وعبرت في كثير من مقالاتها وتحقيقاتها عن هذا الأمل الذي تجمع حوله الناس .

وفي غمرة البحث الأمريكي وراء خفايا الحياة السياسية في مصر ، ومحاولة معرفة (البطل) الذي تحدثت عنه صحف (أخبار اليوم) ، وقف جهاز اكتشافهم الحساس عند ظاهرة ، لم تكن وقتها ذات أثر كبير في حياة الجماهير اليومية ، ولكنها اظهرت بادرة مثيرة في أخطر جهاز منظم في مصر . وهي انتخابات نادى ضباط الجيش التي دفعت اسم محمد نجيب الى الضوء .

وفي يوم ١٨ يوليو فوجئ محمد نجيب بحضور مدير مكتب محمد هاشم وزير الدولة وزوج بنت حسين سرى بعد الغروب طالبا منه الذهاب معه لمقابلة محمد هاشم وزير الداخلية .

وذهب محمد نجيب الى شقة محمد هاشم في الزمالك حيث انتظره الى ما بعد منتصف الليل لانه كان في اجتماع مجلس الوزراء ودار بينهما

حوار عن أسباب التلزم في صفوف الجيش ارجع نجيب فيه السبب الى ان البلد تحكم حكما بعيدا عن الديمقراطية غير معبر عن ارادة الشعب .
ويقول نجيب أن محمد هاشم أدار الحديث فجأة ليسأله عما اذا كان تعيينه وزيرا للحربية يعتبر أمرا كافيا لازالة أسباب التلزم وخلق حالة من الرضى بين الضباط .

كان الاقتراح مفاجئا ، ولكن نجيب رفضه مباشرة متعللا بأنه سبق أن عرضت عليه وكالة الوزارة ورفضها وانه يفضل ان يظل في موقعه بالجيش ويقول نجيب ان رفضه انبعث في الحقيقة من شعوره بأنهم يقومون بمناورة لابعاده عن الجيش .

وخلال الحديث الذي امتد الى الثانية بعد منتصف الليل ابلغه محمد هاشم بطريقة عابرة ان هناك اسما ١٢ ضابطا عرفت السراى انهم يحركون (الضباط الأحرار) ولكن نجيب أبدى عدم اكتراث بهذه الواقعة مؤكدا له بأن هناك شعورا عاما وجارفا في صفوف الجيش ضد كثير من تصرفات رجال السراى .

ونام محمد نجيب نوما قلقل مضطربا يستعجل الصباح ليبلغ اللجنة القيادية للضباط الأحرار ، وفوجئ قبل خروجه من المنزل بحضور الصاغ السابق جلال ندا المحرر العسكري لدار أخبار اليوم ، ومحمد حسنين هيكل رئيس تحرير آخر ساعة يتحريان منه عما تم في مقابلته مع محمد هاشم .

واندهش محمد نجيب لسرعة معرفتهما بالخبر ، ولكن تبين فيما بعد أن مصطفى أمين كان قريبا جدا من محمد هاشم وانه التقى به قبيل وبعد مقابلة محمد نجيب له ، وان ارسال ندا وهيكل كان من باب التعرف على وجهة نظر الضباط الأحرار .

ولم تقف المفاجأة عند هذا الحد . فلم تكده تمضي لحظات حتى وصل جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر والتزما الصمت حتى لا يدور الحديث مع نجيب أمام الآخرين . وهنا طلب هيكل تعريفه بالضابطين ، وكان هذا هو اللقاء الأول بين جمال عبد الناصر ومحمد حسنين هيكل .

انفرد نجيب بجمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ، واسر لهما بتفاصيل المقابلة ، وركز على تلميح محمد هاشم له بمعرفة السراى لاسماء عدد من الضباط ، واحتمال اتخاذ اجراء مضاد لهم في اية لحظة .

وفي هذا اليوم بالتحديد تقرر القيام بحركة عسكرية . ولكن الصورة التي تتم بها كانت مازالت مهتزة وغير واضحة ، تتأرجح بين الاغتيالات وبين الاعتقالات .

واتصل حسن ابراهيم بعبد اللطيف البغدادي يبلغه انباء قرارهم بالتحرك وكان في ذلك استجابة لموقفه الذي جعله يبتعد منتظرا بعد حريق القاهرة .

واجتمعت اللجنة القيادية للضباط يوم ١٩ يوليو ١٩٥٢ وناقشت الحلول المقترحة فور المقابلة مع نجيب الذي لم يحضر الاجتماع لانه كان اكثر الضباط عرضة للرقابة وتسليط الضوء عليه .

وتراجعت فكرة الاغتيالات بعد وضوح صعوبة تنفيذها بصورة جماعية واحتمال القيام بحملة اعتقالات واسعة بعد تنفيذ الاغتيالات ، الى جانب احتمال تعرضها للفشل وتعرض القائمين بها للخطر . ووافقت المجموعة كلها على ذلك .

ونبتت فكرة الانقلاب ، واخذت تنمو مع المناقشة ، بدأت بالتفكير في الاستيلاء على قيادة القوات المسلحة دون الاذاعة أو غيرها . ثم تطورت حتى أصبحت حركة واسعة وانقلابا عسكريا حقيقيا .

وكلف زكريا محيي الدين بوضع خطة الانقلاب رغم انه لم يكن قد أصبح عضوا في اللجنة القيادية للضباط الأحرار ، ولكنه كان زميلا لجمال عبد الناصر وكمال الدين حسين في التدريس بكلية أركان الحرب .

واستمرت اجتماعات قادة الضباط الأحرار بعد ذلك نشطة ومتلاحقة ومتواصلة بصورة أبعدت النوم عن عيونهم يومين كاملين .

وتم اعداد الخطة .

وبقى تحديد الموعد باليوم والساعة .

ليلة ٢٣ يوليو :

كان تحديد موعد الحركة يخضع للظروف المتجددة ، فلم يكن الضباط الأحرار وحدهم هم الذين يملكون تحديده باليوم والساعة . كانت النية هي القيام بحركة عسكرية عام ١٩٥٥ كما قال جمال عبد الناصر للصحفي البريطاني دافيد دين مورجان مراسل السانداي تايمز في شهر يوليو ١٩٦٢ ولكن حريق القاهرة أصبح قوة ضاغطة تدفع للحركة ، واستقر الرأي في البداية على أن يتم ذلك في شهر نوفمبر ١٩٥٢ حيث يقضى الدستور بضرورة اجتماع البرلمان في هذا الشهر ، فاذا حدثت مخالفة دستورية أو تزيف في الانتخابات فإن حركة الجيش عندئذ تكون لحماية الدستور . ومضت الامور في هذا السبيل ، حتى أصدر الملك قراره بحل مجلس ادارة نادي

ثورة يوليو ج ١ - ١٩٤٢

الضباط ، وكان هذا في ذاته مؤشرا له دلالتة بأن الصدام حتمي ، وإن التأجيل لن يكون في مصلحة الحركة . . . وحددت اللجنة القيادية يوم ٥ أغسطس موعدا للحركة لسببين هما استكمال حضور كتيبة مدافع الماكينة الأولى لتزويد القوة الضاربة للضباط الأحرار ، وحتى يكون الضباط قد استلموا مرتباتهم . ولكن معلومات محمد نجيب عقب مقابلته لمحمد هاشم ولقائه مع جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر جعلت التأخير حتى ٥ أغسطس أمرا لا مبرر له حذرا من مبادرة الملك لضربة تصيب الحركة بالشلل . . . وساعده على تبكير الموعد ليتم خلال ٤٨ ساعة حديث تلاه ثروت عكاشة عن صهره أحمد أبو الفتح رئيس تحرير (المصري) يبلغه فيه من الاسكندرية بأن أنباء تردد عن اعتقالات لعدد من الضباط ، وتعيين حسين سري عامر وزيرا للحربية .

تقرر يوم ١٩ يوليو ان تتم الحركة ليلة ٢١ ، ٢٢ يوليو ، وكان الوقت محدودا جدا لوضع الخطة ودراسة كافة الاحتمالات وحشد كل الضباط الأحرار والتأكد من سلامة تقدير الموقف وضمان حركة المناطق الخارجية عدا القاهرة وأهمها الاسكندرية والقنال والعريش .

ورغم ضيق الوقت لم يكن هناك من سبيل للتراجع ولم يعد هناك مفر من الاقدام . . . واصبحت القضية هي قضية الاتصالات وتحضير الضباط للعمل الانقلابي ، بعد ان صرف النظر عن الاغتيالات وتبين تحت ضغط عامل السرعة ان التنفيذ في الموعد المحدد (ليلة ٢١ ، ٢٢ يوليو) هو امر شديد الصعوبة لتعذر تجهيز كافة الترتيبات والانتها من كل الاتصالات ، وتقرر تأجيل الموعد يوما واحدا لتكون الحركة (٢٢ ، ٢٣ يوليو ١٩٥٢) . . . وقد أثر هذا التأجيل في نفسية بعض الضباط الذي كانوا قد تهيأوا تماما للعمل وابلغوا قيادتهم بأنه اذا حدث تأخير جديد ، فسيصرفون منفردين .

قرأ زكريا محيي الدين الخطة في الاجتماع الأخير الذي عقد يوم ٢٢ يوليو بمنزل خالد محيي الدين ، ويبدى عبد اللطيف بغدادى ملاحظة شكلية اذ يقول ان جمال عبد الناصر قد انتحى به جانبا هو وحسن ابراهيم حيث قال لهما انه كان مفروضا ان يقرأ الخطة ، وان المسألة ليست مسألة (اقدامية) باعتبار زكريا محيي الدين اقدم منه رتبة . . . بينما كان جمال عبد الناصر هو رئيس الضباط الأحرار انتخابا ولم يكن ذلك محل خلاف .

ورغم التأجيل يوما فان سرعة اعداد الخطة والتحديد المفاجيء للموعد احدث عدة مفارقات . . . أنور السادات غادر رفح يوم ٢٢ يونيو ولم يتصور ان الحركة ستتم هذه الليلة ، فذهب مع أسرته الى دار ضيافته للسينما . ولم ينضم لزملائه من الضباط الأحرار الا بعد عودته من السينما وقرأته

ورقة تركها له جمال عبد الناصر ، وعندما وصل كانت قيادة الجيش قد سقطت في يد الضباط الأحرار فعلا .

ومنطقة العريش لم تعرف بتفاصيل الحركة موعدا أو مسئولية . . وكذا منطقة القنال فهما لم يعرفا الا من محادثة تليفونية تمت في الثانية بعد منتصف الليل وفيها أبلغ القائمقام أحمد شوقي الصاغ توفيق عبد الفتاح بنجاح العملية ، وطلب منه جمال عبد الناصر تبليغ الصاغ صلاح سالم في رفع لتعذر الاتصال به تليفونيا . . ولم ينجح توفيق عبد الفتاح في ذلك الا مع أول ضوء يوم ٢٣ يوليو .

وحدث ذلك أيضا مع حامية السويس حيث كان الصاغ لطفى واكد يعرف التفاصيل والموعده ولكن نجاح العملية لم يعرف الا بعد اتصال أنور السادات باليوزباشى أحمد طعيمة .

أما منطقة الاسكندرية فقد حضر لى عز العرب عبد الناصر وشوقي عبد الناصر شقيقا جمال عبد الناصر يوم ٢١ يوليو ليلغاني بالتوجه الى مصر لمقابلته دون توضيح الأسباب .

والتقيت بجمال عبد الناصر أمام منزله بالقاهرة حوالى الخامسة والنصف مساء يوم ٢٢ يوليو وترك عربته السوداء الصغيرة على مقربة من المكان الذى وقفت انتظره فيه ، بعد ان اعتذرت عن عدم الانتظار بالمنزل لشعور ريفى بالحرج من دخول منزل فى غيبة صاحبة . . وكان فى العربة الصاغ كمال الدين حسين والقائمقام أحمد شوقي والساغ صلاح نصر .

وفوجئت تماما عندما ابلغني جمال عبد الناصر بأن الجيش يتحرك الليلة لغرض مطالبه على الملك ، فاذا لم يستجب لها فسينظر فى أمره . . وكان سر المفاجأة هو التوقيت الفورى ، الى جانب طبيعة الدور الذى سيقوم به الجيش .

كان تفكيرى مرتبطا بتفكير زملائي فى الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ، الذى لم يقدروا للجيش دورا فوق دور الشعب ، ولم يتوقعوا أن الجيش سوف يتحرك وحده والناس نيام فى منازلهم ، بل كانوا ينظرون الى الجيش كفصيلة من فصائل الشعب تتحرك فى توافق وتنسيق وتوقيت مشترك مع الفصائل الشعبية الأخرى المثلة فى الأحزاب والاتحادات والنقابات . . لم يدر فى خلد احد ان نتعاون من أجل انقلاب عسكرى .

واستفسرت من جمال عبد الناصر عن طبيعة الدور الذى يمكن ان تقوم به قوات الاسكندرية فكان الجواب هو تأمين منطقة والسطيرة عليها

حدوث تنافضات بين حامية الاسكندرية وفيها الملك
والحرس الملكي والوزارة وبين حامية القاهرة .

كان توجيهها عاما أكثر منه توجيها للتنفيذ . . متروكا لمبادرة الضباط
الأحرار في الاسكندرية ، ولطبيعة الموقف الذي يمكن ان نجابهه .

وشعرت بالمسئولية الثقيلة التي القيت على كتفى ووجدت من واجبي
ان اشرك فيها زملائي ، فأسرعت الى أحمد فؤاد وكان منزله قريبا وابلغته
بعديتي مع جمال عبد الناصر ولم يكن الموقف قد اتسع للقائهما فلم يكن
يعرف شيئا عن موعد الثورة . . وذهبنا معا حيث قابلنا خالد محيي الدين
ولم نتردد في ضرورة المشاركة بعد ان دارت العجلة وأصبح وقفها مستحيلا .

وذهبت الى يوسف صديق وكان زميلا أيضا في (حدثو) وفوجئت
بالدماء تنزف من صدره ، وقد أخذ حقنة في الرابعة مساء لمنع النزيف ، وهو
في معنوية عالية يهيب نفسه لواجب الليلة . . وغادرت القاهرة بعد ان
ابلغت سيد سليمان رفاعي أو (بدر) سكرتير (حدثو) بموعد الحركة
المفاجئة ، فوصلت الاسكندرية مع منتصف الليل .

ولم يكن بدر وأحمد فؤاد هما المدنيين الوحيدان اللذان عرفا بتحريك
الجيش قبل مواعده . . كان جمال عبد الناصر قد ابلغ حسن عشاى
عضو مكتب الارشاد بالاخوان المسلمين كما ثبت من حديث له فيما بعد ، كما
ذهب جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين يوم ٢٢ يوليو لابلغ صالح أبو
رقيق عضو مكتب الارشاد أيضا واتفقا معه على ان يسهم بعض الاخوان في
مساندة حركة الجيش بعد انتصارها في الصباح . وابلغ أحمد أنور شبرا
في كلية الشريعة اسمه محمد الاودن كان يتبارك به ليدعو لنجاح الثورة . .
فظل قائما يصلى طول الليل - حسب رواية أحمد أنور - حتى أذبح البيان
الأول للثورة .

أخطأ غير متوقعة :

ولا شك ان اتصالات قد حصلت بين بعض الضباط والمدنيين قبل
التحرك ولكن في حدود معينة ، لاتتجاوز دائرة الاقارب أو الأصدقاء .

ولكن التسرب لموعد الثورة وحركتها جاء من ملازم أول حسن محمود
صالح الذى ابلغ زملاءه في المدفعية أنه عندما ذهب الى المنزل لتغيير ملابسه
فهمت والدته انه مقدم على عمل ما فى هذه الليلة ، فأبلغت أخاه أواء نجوى
متقاعد صالح محمود صالح الذى ابلغ بدوره حيدر باشا تليفونيا بان
الضباط ينوون عمل شيء فى البلد .

• عرف ضباط المدفعية بذلك في السابعة مساء يوم ٢٢ يوليو .
فأعادوا الضابط الى والدته ليقتنعا بأنه ليس هناك شيء جدي .

ولكن الخبر كان قد وصل الى السراى فعلا ، وأصبحت الحركة مهددة
بالفشل والتوقف قبل أن تبدأ .

ولم تكن هذه هي الثغرة الوحيد . . . حدثت ثغرة أخرى قبل الحركة .
بساعات في سلاح الفرسان عندما اتصل أحد الضباط (ممدوح شوقي)
بضابط آخر ليس عضوا في التنظيم (يوزياشي فؤاد كرامة) الذي ابلى ذلك
الى اللواء أحمد طلعت حكمدار العاصمة ، الذي أسرع بابلاغ القصر ، حيث
استدعى اللواء حسين فريد الى عابدين ومنها توجه الى القيادة .

كان واضحا ان العجلة والسرعة هما الطابع السائد للحركة ، وان
الروح الاندفاعية هي المسيطرة وان السباق مع الزمن كان يدفع الى الاهتمام
بالوصول مع عدم الوقوف عند كثير من الفرعيات .

ويقول عبد اللطيف بغدادى أنهم في أثناء المناقشة الأخيرة للخطة
توقعوا النجاح بنسبة ١٠٪ والفشل بنسبة ٩٠٪ ، ولكن لم يكن هناك مقر
من الاقدام .

واعطيت الخطة اسما كوديا هو (نصر) وتحدد منتصف الليل
(ساعة الصفر) .

وبدا تنفيذ الواجبات في حدود القوى المتاحة .

وقبل ان تتحرك أى قوة من موقعها . . وقبل الخطوة الأولى في تنفيذ
الخطة كان اللواء حسين فريد رئيس أركان حرب الجيش قد استدعى
قادة الأسلحة والمناطق الحرة ، عدا اللواء محمد نجيب مدير المشاة ،
وقتشد لخشيته منهم واعتقادهم انه العنصر الرئيسى المحرك للضباط الغاضبين
. . الى مؤتمر فى العاشرة مساء بمبنى القيادة العامة للقوات المسلحة بكوبرى
القبّة .

وقد تناسق عدم استدعاء محمد نجيب الى المؤتمر مع خطة الضباط
الأحرار التى كانت تقضى ببقائه فى المنزل على أهبة الاستعداد ، دون أية
حركة قد تثير الشبهات ضده ، الى ان تنجح الخطة فيستدعى لتولى
القيادة .

ولكن محمد نجيب علم من شقيقه على نجيب قائد قسم القاهرة بطبيعة
وموعد المؤتمر ، فأسرع بتبليغ ذلك شخصيا الى عبد الحكيم عامر ونصحته
بأن يتم اعتقال القادة المؤتمرين أثناء خروجهم حقا للدماء .

كان الوقت متأخرا لا يسمح بتبليغ الضباط تغييرا في الخطة ، كما ان وقف التنفيذ لم يكن واردا مهما كانت الاخطار .

• واتصل عبد الحكيم عامر بجمال عبد الناصر وخرج الاثنان معا في عربة جمال الصغيرة يراقبان حركة القوات . فلم يكن الاثنان مرتبطين بيوحدات عاملة في القاهرة . عبد الحكيم عامر كان في العريش وجمال عبد الناصر كان مدرسا في كلية اركان الحرب .

ومعظم ضباط اللجنة القيادية للضباط الاحرار لم يكونوا مرتبطين بيوحدات متحركة في هذه الليلة عدا خالد مجيب الدين الذي تحرك في اطار خطة السوارى ، وكمال الدين حسين الذي تحرك في اطار خطة المدفعية رغم انه كان مدرسا في كلية اركان الحرب . صلاح سالم كان في العريش وأنور السادات كان قد وصل للقاهرة في نفس اليوم كما ذكرت . وضباط الطيران عبد اللطيف البغدادي وجمال سالم وحسن ابراهيم لم يكن في الخطة تحركهم الا بعد ضوء الصباح عندما يصبح للطائرات فرصة التحرك .

كانت لحظات حرجة . مؤتمر للقادة في كوبرى القبة . والضباط الاحرار يتسللون ليوحداتهم يجهزون أسلحتهم .

سباق خفى مع الزمن . القادة لا يعرفون ماذا يدور في وحداتهم . والضباط الاحرار لا يعرف معظمهم حقيقة المؤتمر ولا ماذا استقر أمر المجتمعين عليه .

سقوط القيادة العامة :

• وحدث خطأ بسيط . ولكنه كان عظيم الأثر .

تصور البكباشى يوسف صديق ١٠ ساعة الصفر هي ٢٣٠٠ أى الحادية عشرة مساء وليس منتصف الليل .

كان يوسف صديق قائدا ثانيا لكتيبة مدافع الماكينة الأولى . ودل مع مقدمة كتيبته الى القاهرة منقولاً من العريش يوم ١٣ يوليو ١٩٥٥ وكان عدم وصول بقية الكتيبة سببا في التفكير السابق لتأجيل الحركة الى ٥ أغسطس .

لم يخف يوسف صديق الموقف على ضباطه وجنوده ، خطب فيهم قبل التحرك وقال لهم انهم سيفخرون بما سينجزون في هذه الليلة .

• وتحركت القوة التي وصلت مصر من الكتيبة (سرية الرئاسة وسرية أخرى) من معسكر (هاكستيب) أبعد معسكرات ضواحي القاهرة (خلف مطار القاهرة الدولي) ٠٠ دون أن تدري شيئا عما يدور في قيادة الجيش •

كان يوسف صديق راكبا عربية جيب في مقدمة طابور عربات الكتيبة المليئة بالجنود ٠٠ وفي الطريق فوجيء باللواء عبد الرحمن مكى قائد الفرقة يقترب من المعسكر ، فاعتقله ، وعند أوائل مصر الجديدة اعتقل أيضا الاميرالاي عبد الرؤوف عابدين قائد ثاني الفرقة ، الذي كان يسرع بدوره للسيطرة على معسكرات هاكستيب • وركب الاثنان في عربتهما والمدافع موجهة عليهما من العربات الأخرى ، والعلم يرفرف على مقدمة العربة •

ولم تقف الاعتقالات عند هذا الحد فقد فوجيء بجنوده يلتفون حول اثنين تبين انهما جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ٠٠ وكانا وحسب رواية يوسف صديق - في ملابس مدنية •

كان اعتراضهما للقول المتحرك واقترابهما منه سببا في إثارة شبهات الجنود ، ولما استفسر منهما يوسف صديق عن سر وجودهما في هذا المكان ابلفاه بالمواقف في رئاسة الجيش ٠٠ وهنا أعيد يوسف صديق فجأة خطة جديدة تقضي بهاجمة الرئاسة •

كانت قوات يوسف هي الوحيدة التي تتحرك في شوارع القاهرة ، وهي الوحيدة التي تتحرك في جراحة نحو مركز رئاسة الجيش •

وكانت الخطة التي اعدتها يوسف صديق للاقتحام بسيطة ٠٠ فصيلة تقطع الطريق عند مستشفى الجيش أمام كوبري القبة ، وفصيلة أخرى تقطع الطريق عند كوبري السيوف أمام سلاح خففة الجيش ، وبقيّة القوة تقتحم بلا احتياطي •

وأثناء نزول الجنود من عرباتهم ظهر الاميرالاي أحمد سيف اليزل خليفة ، فكان ثالث المعتقلين ، وترك سائقه فقط حرسا عليهم وعنده أوامر باطلاق النار •

واقترح يوسف صديق وجنوده مبنى القيادة وفتشوا الدور الأرضي وكان خاليا ، وعند ارادوا الصعود الى الطابق الأعلى اعترض طريقهم شوايش حذره يوسف صديق ولكنه أصر على موقفه ، فاطلق عليه يوسف طلقة إصابته في رجله شفى منها فيما بعد •

وعندما حاول فتح غرفة القيادة وجد خلف بابها مقاومة ٠٠ : فاطلق جنوده الرصاص على الباب ثم اقتحموا الغرفة ٠٠ وهناك كان يقف اللواء

حسين فريد رئيس اركان حرب الجيش واللواء حمدي هيبه وضابط آخر
يرفع منديلا ابيض .

كان حسين فريد رابط الجاش شجاعا .

وقال له يوسف :

ـ لقد طلبت مقابلتك من مدة ، ويوسفنى أن تكون هذه هى مناسبة
اللقاء .

وطلب منهم ان يتحركوا حيث سلمهم لليوزباشى عبد المجيد شديد
أمين التنظيم بالاتحاد الاشتراكي فيما بعد ليذهب بهم الى معسكر الاعتقال
المعد حسب الخطة فى مبنى الكلية .

وفى هذه اللحظة وصل ضابط ومعه ٥٠ جنديا كل منهم يحمل ١٠٠
طلقة حضروا بناء على استدعاء من رئاسة الجيش ، فضمهم يوسف الى قواته
بعد أن عين عليهم قائدا من ضباطه .

واخيرا جلس يستنشق انفاسه مع بعض ضباطه فى مكتب رئيس هيئة
اركان حرب الجيش .

كانت قيادة الجيش قد سقطت . . وكان بعض كبار الضباط قد
اعتقلوا . . وكان جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر يرقبان الموقف من
موقع مجاور تماما للقيادة هو المكان الذى أقيم فيه المسجد الذى استقر فيه
جثمانه بعد وفاته .

ولم يكن جلوس يوسف صديق على مقعد رئيس اركان حرب الجيش
يعنى أن الحركة قد انتصرت أو أن الخطة قد نفذت . . ولكنه كان يعنى
فقط أن أخطر مركز للسلطة قد سقط . . وأنه لم يعد هناك - فى القاهرة -
مركز يستطيع أن يعطى أوامر مضادة لحركة قوات الضباط الأحرار .

كانت جراءة يوسف صديق وبسالته عاملا مرجحا لقوات الحركة . .
وكان كبار ضباط الجيش الذين غادروا القيادة عقب مؤتمرهم قد بدأوا
يتساقطون فى ايدى القوات الثائرة .

قوات المدفعية فى الماطة اعتقلوا اللواء على نجيب قائد المنطقة المركزية
كما اعتقل اللواء حافظ بكري قائد المدفعية والبكباشى عبد الفتاح كاظم
اركان حرب السلاح . . اعتقلهم كمال الدين حسين ووضعهم يوزباشى
محمد أبو الفضل الجيزاوى اركان حرب مدفعية الميدان فى مكتبه تحت
الحراسة .

وبعد منتصف الليل اتصل من الاسكندرية الفريق محمد حيدر •
يطلب اللواء حافظ بكري ، وكان قد سبق له الاتصال برئاسة الجيش فلم
يتلق جوابا مطمئنا •• ورد عليه اليوزباشي الجيزاوي مقلبا صوت اللواء
حافظ بكري ودار بينهما الحديث التالي بعد سؤال حيدر عن الحالة :

— أنا حافظ بكري يا معالي الباشا •• وقد أرسلت استسعى قادة
الوحدات واحنا مسيطرين تمام على الموقف •

وقال حيدر وصوته يتهلل :

— أنا متشكر على الهمة دى يا حافظ وأنا جابغ مولانا ، وخليك على
اتصال بينا •

وفى الواحدة بعد منتصف الليل اتصل حيدر للمرة الثانية يطلب
افادة عن الموقف ، فعلمانه أبو الفضل قائلا ان قادة الوحدات والضباط
قد وصلوا فقال له خيدر :

— أنا سامع ان فيه دوشة عند القيادة •

وقال أبو الفضل :

— المعلومات عندنا وسارسل قوة لضرب هذا التجمع

ولم تكده تضى نصف ساعة حتى اتصل حيدر مرة ثالثة والقلق
يتضح فى صوته وأبو الفضل يجيب :

— أرسلنا قوات للعباسية واحنا مسيطرين على الموقف فى الماطة
والعباسية وسنقبض على الضباط المتجمعين أمام القيادة •

وفى الثانية بعد منتصف الليل اتصل حيدر للمرة الرابعة وواضح
من صوته انه فى حالة نفسية سيئة وهو يقول :

— هنا معلومات وصلتنا بان بعض الضباط قد استولوا على القيادة
فعلا •• فما هى الحقيقة ؟

وحاول أبو الفضل يطمئنه قائلا :

— ان هذه المعلومات ليست صحيحة وان قواتنا فعلا هى المسيطرة
على الموقف •

ولكن الشك كان قد دخل قلب حيدر الذى قال :

— انت باين عليك هتس حافظ بكري •• وصوتك مثقير ••

— لا يا أفندم أنا حافظ بكري ، وتغير الصوت من التليفون •

— ادبنى أمارة •

— أمارة إيه يا معالي الباشا •

— ادبنى أمارة بخصوص العيد •

وقال أبو الفضل :

— هوه بعد العيد يتفتل الكحك •

وصدم حيدر بالرد فقال :

— مهن عيب يا بنى كده •

وجهم أبو الفضل الموقف قائلا :

— مصلحة البلد فوق كل اعتبار •• وأرجو أن تتركنا لكي نكمل

عملنا •

ولم يكن محمد حيدر هو الوحيد الذى اتصل بالمدفعية ، ولكن قائد البوليس الحربى خاطبه أيضا ، باعتباره (حافظ بكري) وطلب منه قوة مسلحة لأن هناك وحدات تهاجم القيادة فى كوبرى القبة •

وعنانما سأل محمد أبو الفضل الجيزاوى عما إذا كانت القوة يجب أن تكون معها الأخيرة قال قائد البوليس الحربى :

— طبعا يا أفندم لازم نضرب فى المليون ونمنع الفتنة دى •

وقال له أبو الفضل وقد فاض به :

— انتب بكره الى حتنضرب بالرصاص فى ميدان عابدين •

واتصل بالمدفعية أيضا ، قائد ثان السلاح من منزله ، ومدير العمليات الاميرالاي سيد طه القائد السابق لقوات الغالوجا •

كانت هذه المكالمات تدور أمام القادة المعتقلين ، ولم يملك على نجيب نفسه من الابتهاج عندما اعتقله كمال حسين قال له : (اننى اعتقلك ، بأمر اللواء محمد نجيب) فطلب من (أبو الفضل الجيزاوى) أن يقدم لهم (قهوة وشاي وكازوزة) هذا بينما ظهرت الكتابة واضحة على وجه حافظ بكري •

نفذت المدفعية بالمظلة المطلوب منها فى الحطة وهو وضع قوات على مدخل المنطقة العسكرية للتحكم فى الداخلين اليها ، وقد قاد هذه القوات

كمال الدين حسين واليوزباشى خالد فوزى واليوزباشى أحمد كامل رئيس
المخابرات العامة فيما بعد واليوزباشى على فوزى يونس المحافظ فيما بعد .
استقر الموقف فى الماطة . تحت قيادة الضباط الأحرار فى المدفعية .

أما فى سلاح الفرسان المواجه تماما للقيادة فقد استعبد تحت قيادة
ثلاثة من ضباطه هم البكباشى حسين الشافعى والصاغ خالد مخيمى الدين
والبكباشى ثروت عكاشة . . . وكان به أكبر حشد من الضباط الذين كان
معظمهم مستعدا للنحرك فعلا من الليلة السابقة ، ولم يغادروا المعسكرات .
وخرجت المدرعات والعربات المصفحة من السلاح بعد أن اعتذروا فانه
الفرقة المدرعة الاميرالاي حسن حشمت ، وبعد ان كانت القيادة قد أصبحت
معقلا للضباط الأحرار فعلا .

كانت مسئولية خالد مخيمى الدين قيادة المدرعات والمصفحات التى
ترابط عند مدخل مصر الجديدة (سينما روكسى) ، وكانت هناك وحدات
أخرى اشرف حسين الشافعى وثروت عكاشة على توزيعها الى مطار الماطة
ومدخل العباسية ومحاصرة سلاح الحدود . . . وقد تم التوزيع على ضوء
البطاريات حيث كان النور قد انقطع مصادفة .

يقول ثروت عكاشة انه كان يسترجع فى هذه الفترة كلمات
جمال عبد الناصر له بالآ مجال للعواطف فى هذه الحركة فهى ليست
نزهاء للسينما وقد تكون هناك دماء ، واذا هددت الثورة فعليك ان تقتل .

وأثناء انشغال السوارى باستعداد قواته وصل زكريا محيى الدين
فمنعه الحرس من الدخول لولا تصريحه بكلمة السر (نصر) وطلب من
السوارى ان يرسلوا بعض المصفحات الى الكتيبة ١٣ مشاة لرفع روحها
المعنوية . . .

وبدأت المدرعات والمصفحات تتحرك الى مواقعها بعد منتصف الليل
.. لم تجد فى الطريق مقاومة ، ولم تطلق رصاصة واحدة . . . كان
الاطمئنان يعمر قلوب الضباط وهم يشهدون أنوار القيادة مضياء ،
ويعرفون ان زملاء لهم من الضباط الأحرار قد احتلوها وأصبحت
قاعدة لهم .

كما تحركت الكتيبة ١٣ مشاة لحماية مدخل العباسية من ناحية كلية
البوليس ، واحتلت رئاسة الحدود ، وكانت تعمل تحت قيادة القائمات
أحمد شوقي أكبر المشتركين فى الحركة رتبة بعد اللواء محمد نجيب ،
وكان أركان حرب الكتيبة هو الصاغ صلاح نصر رئيس المخابرات العامة
ففيما بعد .

وقام سلاح خدمة الجيش تحت قيادة الصاغ مجدى حسنين بتعبئة عرباته بالنزيرين وارسالها للوحدات المتحركة ، كما منح خروج عربات الضباط من معسكر العباسية حيث كانت تبيت .

وكان بعض ضباط مركز تدريب اللواء الثامن مشاة يعملون كقوة احتياطية تحت قيادة حمدي عبيد . كما كان شمس بدران وزير الحربية فيما بعد ضابطا بلواء اساس المشاة وقوته من المجندين الجدد الذين لا يجيدون حمل السلاح ، وقد تولى هو مسئوليته ولكن لم يكن عليهم واجبات هامة فى هذه الليلة .

خروج قوات الكتيبة الاولى مدافع ماكينة من معسكر هاكستب لم يكن الخروج الوحيد . كانت هناك المدفعية المضادة للدبابات التى صادفت بعض المتاعب عندما حرك ضابط عظيم المحطة (الصاغ المعتز بدين الله الكامل) قوات البوليس الحربى لاحتلال كشك التفتيش عند الباب الرئيسى لمنع الخروج ، عقب مكالمة تليفونية كانت قد تمت بينه وبين اللواء حسنين فريد قبل اعتقاله .

ولكن مجموعة ضباط المدفعية الذين تحركوا تحت قيادة اليوزباشى فتح الله رفعت واليوزباشى كمال لطفى واليوزباشى محسن عبد الخالق واليوزباشى أحمد شهاب أطلقوا النيران فى الهواء واعتقلوا جنود البوليس الحربى ، واقتحمت جرادة أحد المدافع البوابة المغلقة فحطمتها ، وانطلقت قوات المدفعية فى الطريق الذى سبق ان سلكته قوات يوسف صديق قبل ساعتين .

وبقيت فى المعسكر بعض قوات المشاة تحت قيادة الصاغ عبد القادر مهنا واليوزباشى فؤاد المهداوى وعندما وجدت أن المدفعية قد خرجت ، بدأ تحركهم بعد أن اعتقلوا ضابط عظيم الفرقة (الصاغ المعتز) .

وهكذا أصبحت المنطقة العسكرية من العباسية الى الماطة وهاكستب تحت سيطرة وحدات الضباط الأحرار والساعة تشير الى الثانية بعد منتصف الليل ، وقيادة قسم القاهرة احتلها أحمد أنور قائد البوليس الحربى فيما بعد .

وبقى فى الحطة واجبان هامن . احتلال الاذاعة واعتقال بعض كبار الضباط الذين لم يحضروا المؤتمر لأنهم ليسوا قادة للأسلحة أو التشكيلات .

واحتلال الاذاعة ذو شعبتين . . . المبنى فى شارع الشريفيين بوسط القاهرة ومحطات الارسل فى أبى زعبل .

وتولى مسئولية احتلال المبنى اليوزباشى أحمد المصرى من السوارى
ومعه سيارات مدرعة فوصلها حوالى الساعة الرابعة والربع صباحا حيث
كانت تحيط بها قوات من البوليس ، استطاع أحمد المصرى أن يقنعهم بأنه
موفد من السراى ، وان أحمد طلعت حكمدار العاصمة الذى أصدر لهم
الأوامر قد سافر الى الاسكندرية لمقابلة الملك ٠٠٠ وتم احتلال الاذاعة
وتعيين نقط حراسة فى المنطقة المحيطة بها فى الساعة الخامسة والنصف
صباحا .

أما محطات الارسال فى أبى زعبل فقد اتجه اليها تروب سيارات
مدرعة تحت قيادة مجدى حسنين فى تمام الساعة الثالثة ٠٠٠ ولكن مجدى
أسرع وحده بعربته الى هناك لبطء سرعة تروب السيارات ووجد المحطة
مضادة ومغلقة وبها شابان أحدهما كان (الجارحى القشلان) فتجاوبا معه
على الفور ، ولكن النور قطع فجأة عن منطقة أبى عبل بأوامر شخصية من
كريم ثابت ٠٠٠ وأسرع الى محطة النور بعد أن ترك السائق حارسا عليهم
وهدد العاملين فيها بالمسدس .

عادت الكهرباء ، ووصل تروب السيارات ومعه المهندس جمال غلام
أحد ضباط قسم الجيش فى (حدتو) وعبد الفتاح على أحمد محافظ
الدقهلية فيما بعد .

ووصل أنور السادات الى مبنى الاذاعة فى الساعة الا ربعا صباحا
ليجد كل شئ معدا لاذاعة البيان الأول للثورة الذى كان قد كتب فى
مجلس القيادة .

أما الاعتقالات فقد قامت بها مجموعة من الضباط ٠٠ كمال رفعت .
ومحمد البلتاوى وآمال المرصفى الذين اعتقلوا اللواء سعد الدين صبور
واللواء الطيار حقى هارون الذى كسرت ترقوته لمقاومته .

وتعددت بعد ذلك حركات الاعتقال وامتدت الى بعض المدنيين مثل
عبد الرحمن عمار مدير الأمن العام وكامل القاويش وقد اشترك فى هذه
العملية أنور السادات ومحمد أحمد رياض .

خلال هذه الليلة التاريخية كانت الخطة تقضى بأن يبقى محمد نجيب
فى منزله حتى تتم التحركات العسكرية ثم يذهب الى رئاسة أركان الحرب
لتولى القيادة ٠٠٠ وكان عنصرا هاما من عناصر نجاح الخطة أن تبعد يد
الاعتقال عن محمد نجيب والا يثير الشبهات بحركته حتى لا تفقد الحركة
الوجه الذى سيمثلها فى مواجهة الملك والاستعمار وكل أخطار المرحلة .

وأبقى محمد نجيب الليلة ساهرا في منزله ، كلما مضى الوقت اشتد به القلق رغبة في معرفة لنتائج العملية ، وكان يسكن وقتها في الزيتون. بعيدا عن سماع أو معرفة ما يدور حوله .

وعند منتصف الليل اتصلت زوجة شقيقه على نجيب تسأل عنه لأنه ليس من عادته التأخير دون إبلاغها ٠٠٠ ولم يكن محمد نجيب قد حدث أخاه عن الحركة خشية أن يتعارض ذلك مع واجبه ، باعتباره قائد قسم القاهرة والمسئول عن الأمن والنظام بها .

وبعد دقائق طلب على شقيقه وكانما ليستوثق من وجوده بالمنزل . ثم أبلغه أن معلومات وصلته من البوليس تفيد بأن قوات من الجيش تتحرك نحو عابدين ٠٠ وشجعه محمد نجيب على الذهاب الى عابدين للتأكد من صحة ذلك ، وكان غرضه أن تكسب قوات الضباط الأحرار فرصة للحركة لأنه كان يعلم أن عابدين كان خارج مجال النشاط هذه الليلة .

ولم تكده تمضي بضعة دقائق أخرى حتى تلقى مكالمة تليفونية من مرتضى المراغى وزير الداخلية وفريد زعلوك وزير الدولة من الاسكندرية وهما يقولان له : « ان بعض أولادك قائمون باضطراب في كوبرى القبة ورجاؤنا أن تمنعهم حرصا على مصلحة الوطن » وأنكر نجيب معرفته بحدوث شيء ما وبعثت هذه المكالمة في نفسه الرغبة في مخالفة الخطة والتحرك فورا ٠٠٠ ولكن قلقه لم يطل فان القيادة العامة للقوات المسلحة اتصلت به (البكباشى جمال حماد) وأبلغه المرحلة الأولى وأنهم سيرسلون له ثلاث عربات مصفحة ٠٠٠ ولكنه أبلغهم انه سيحضر بعربته الخاصة ٠٠٠ ومع ذلك توجه اليه جمال حماد بعرباته المصفحة .

وكان جمال عبد الناصر قد كلف البكباشى جمال حماد بالذهاب له في عربة رئيس أركان حرب الجيش ، في الوقت الذى كان قد تحرك فيه محمد نجيب بعربته الصغيرة الى كوبرى القبة ، حيث قابله بعض الضباط الأحرار وركب عربة جيب دخل بها مركز قيادة الجيش .

واكتملت مظاهر الحركة ٠٠٠ وصل القائد الجديد الى مركز قيادته ٠٠ واحتلت الوحدات مراكزها التى تحاصر بها المنطقة العسكرية وتعزلها تماما عن القاهرة ٠٠٠ وأصبحت الاذاعة بشطريها تحت سيطرة الحركة ٠٠٠ والاعتقالات تتم حسب الخطة المرسومة .

حققت الخطة أهدافها فى القاهرة .

وبدأت القيادة العامة تتصل بالمناطق الخارجية فى القنال والعريش لإبلاغ الضباط بالتصاريح الحركة ٠٠٠ ولم يتيسر الاتصال بصلاح سالم فى منطقة رفح الا مع الصباح .

ولم تكن التعليمات للمناطق الخارجية تقضى باكثر من محاولة عزل القيادات الكبيرة والسيطرة على الوحدات دون تحريكها .
ولم تضع الخطة حلولا لاية مواقف اعتراضية مفاجئة من القوات البريطانية فى القنال وعندما تسأل يوزباشى أحمد عبد الله طعيم عن ذلك من السويس ، كان الجواب بأن ذلك متروك لطبيعة الموقف وللمبادرة الشخصية .

كان ضيق الوقت والاسراع فى وضع الخطة سببا فى عدم دراسة كل التفاصيل ووضع الاجابات الحاسمة على كافة التساؤلات
أما فى الاسكندرية فقد وصلت اليها قرب منتصف الليل خاتمة تعليمات جمال عبد الناصر التى تلقيتها منه مغرب نفس اليوم ٢٢ يوليو ، وأسرعت فى محاولة الاتصال بالضباط الأحرار . فوجدت ان بعضهم كان فى اجازة الصيف السنوية ، والبعض مررت عليه فى منزله وذهبنا الى المسكر (رئاسة الألاى الثانى أنوار كاشفة) فى (سوتر) بعد منتصف الليل .

كان الموقف فى الاسكندرية مختلفا تماما عن القاهرة الملك هناك والحرس الملكى والقائد العام للقوات المسلحة والوزارة الجديدة التى أقسمت اليمين منذ ساعات برئاسة نجيب الهلال أى إن فرصة السيطرة لها على المدينة كانت أكثر يسرا من القاهرة ، وخاصة لأن قوات الجيش التى كان بها عدد من الضباط الأحرار كانت أقل نسبيا من القوات الخاضعة لسيطرة الملك والخالية تماما منهم مثل السلاح البحرى والحرس الملكى وخفر السواحل .

وأرسلت اشارة الى قادة الوحدات بالذهاب الى وحداتهم وعندما حضروا لم نسلك أسلوب القاهرة فى اعتقالهم ، لأنه التعليمات كانت تقضى بمحاولة السيطرة وتأمين المنطقة وعدم تفجير تناقضات بين الاسكندرية والقاهرة . وظل الموقف معلقا . . . الضباط الأحرار ينشطون فى الاتصال بزملائهم واستدعائهم للوحدات ، والقادة فى مكاتبهم عاجزون عن التصرف ، للمفاوض الذى يحيط بهم .

وكان الفصل فى تحديد الموقف هو البيان الأول للحركة الذى أذيع على الشعب باسم اللواء محمد نجيب القائد العام للقوات المسلحة ، وقراء بصوته البكباشى السادات :

(اجتازت مصر فترة عصيبة فى تاريخها الاخير من الرشوة والفساد وعدم استقرار الحكم ، وقد كان لكل هذه العوامل تأثير كبير على الجيش وتسبب المرتشون فى هزيمتنا فى حرب فلسطين)

(وأما فترة ما بعد هذه الحرب فقد تضاعفت فيها عوامل الفساد وتآمر الخونة على الجيش وتولى أمره أما جاهل أو خائن أو فاسد حتى تصبح مصر بلا جيش يحميها ، وعلى ذلك فقد قمنا بتطهير أنفسنا ونولي أمرنا في داخل الجيش رجال نثق في قدرتهم وفي خلقهم وفي وطنيتهم ولا بد أن مصر كلها ستلقى هذا الخبر بالابتهاج والترحيب) .

(أما من رأينا اعتقالهم من رجال الجيش السابقين فهؤلاء لن ينالهم ضرر وسيطلق سراخهم في الوقت المناسب ، وإنى أؤكد للشعب المصرى أن الجيش اليوم كله أصبح يعمل لصالح الوطن في ظل الدستور مجردا من أية غاية) .

(وانتهز هذه الفرصة وأطلب من الشعب الا يسمح لأحد من الخونة بأن يلجأ لأعمال التخريب أو العنف لأن هذا ليس في صالح مصر وإن أى عمل من هذا القبيل يقابل بشدة لم يسبق لها مثيل ، وسيلقى فاعله جزاء الخائن في الحال ، وسيقوم للجيش بواجبه هذا متعاوناً مع البوليس) .

(وإنى أطمئن اخواننا الأجانب على مصالحهم وأرواحهم وأموالهم ويعتبر الجيش نفسه مسئولاً عنهم والله ولى التوفيق) .

عقب اذاعة هذا البيان وضحت الصورة في القاهرة والاسكندرية وكل المناطق . . . وبذات ظاهرة فريدة هي اقبال الضباط وصف الضباط والجنود جميعاً على تأييد الحركة والانضمام للضباط الأحرار حتي انه لم يظهر موقف معاد للحركة في أى مكان .

وكان الجيش مع الصباح قد خلا تماما من الرتب الكبيرة (قائمقام أو عقيد فما فوق) فقد حفظ عليهم الذهاب لوحدهم وطلب منهم العودة الى منازلهم حتى يستبين الأمر .

ومع الصباح تحرك ضباط الطيران الى المطارات ، وتم اعتقال أعضاء السرب الملكي (قائم سرب مهندس عبد الحميد محمود وقائد جناح عادل حافظ ومدكور أبو العز وحسن صالح وعبد المجيد نعمان) .

كان قائد الجناح مدكور أبو العز ضابطا شديدا الالتزام يرفض تنفيذ الأوامر الا من رئيسه المباشر الياسر حسن عاكف ، الأمر الذى أدى الى صدور الأوامر باعتقاله مع زملائه رغم صلته الطيبة بالضباط الأحرار في الطيران - صلة شخصية غير تنظيمية - . . . وكان عبد المجيد نعمان أيضا من الضباط المنتسبين لقسم الجيش فى (حدتو) ولم يرتبط بالضباط الأحرار حتى لاكتشف سرية فى موقع حساس كالسرب الملكي طالما استخدمت رحلاته فى أداء مهمات سياسية مزيفة .

واحتجز ضباط المدفعية المحاصرون لمصر الجديدة قائد الجناح على
صبرى وهو فى طريقه الى القيادة حيث استدعى لتبليغ السفارة الأمريكية
عن طريق مساعد الملحق الجوى الأمريكى الذى كانت تربطه به صلة
صدافة خاصة ، حيث كان يعمل ضابطا فى مخبرات الطيران ٠٠ ولم
يسمحوا له بالمرور الا بعد الاتصال بالقيادة •

ويبدو ان الوقت بين تبليغ السفارة الأمريكية وإذاعة البيان كان
قصيرا حتى أن مايلز كوبلند مؤلف (لعبة الأمم) يقول ان الحكومة الأمريكية
لم تعلم بوقوع الانقلاب الا من الصحف الصادرة صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ •
وقام البكباشى عبد المنعم أمين بإبلاغ القائم بأعمال السفارة
البريطانية •

وكان نجيب الهلالي رئيس الوزراء قد اتصل بمحمد نجيب يطلب منه
الحضور للاسكندرية فاعتذر له عن عدم استطاعته مغادرة القاهرة ووصل
مرتضى المراغى بالطائرة ليقابله فى القاهرة وكان موفدا من السراى
مباشرة • وعندما طلب محمد نجيب من المراغى الحضور الى مبنى القيادة
العامة تردد المراغى ووصلته أنباء اعتزام الوزارة تقديم استقالتها فعاد الى
الاسكندرية •

ولم يجد نجيب الهلالي مغرا من تقديم استقالته قبل ان يمضى عليه
فى الحكم يومان •

الفصل الثامن

الواقع الاجتماعي والطبقي للضباط الأحرار

(لم يكن بين قادة الجيش ضابط واحد من
أسرة اقطاعية كبيرة)

حقيقة تاريخية

نجحت حركة ٢٣ يوليو ، واصبحت مصر على واقع جديد ٠٠ ضباط
الجيش خرجوا من نطاق عملهم التقليدي ، تمردوا على قادتهم ، وثبوا الى
السلطة في الجيش ٠٠ لم يعد في العاصمة لواء مطلق السراح ينعم بحريته
الا محمد نجيب والباقيون ضممهم معتقل الكلية الحربية حتى شقيقه على ٠٠
وكافة الرتب العليا من قائمقام أى عقيد فما فوق ، منعوا من الذهاب الى
وحداتهم ، وتركوا حتى يستبين الأمر ٠٠ ولم يبق الى جوار اللواء محمد
نجيب الا القائمقام أحمد شوقي قائد الكتيبة ١٣ والذي انضم للضباط
الأحرار في الأيام القليلة السابقة للحركة .

الصف الأول من الجيش أصبح في رتبة البكباشي أو المقدم ٠٠
والذين عادوا للعمل بعد ذلك في القوات المسلحة برتب أعلى من هذه
الرتبة ، عادوا وهم يدركون أن تغييرا عنيقا قد حدث ، وأن الأقدمية
المطلقة لم تعد هي أساس السلطة .

اهتزت قواعد التنظيم في الجيش .. وخرج من الخدمة كل الذين يحملون رتبة فريق أو لواء وكل الذين يحملون رتبة الأميرالاي أو العميد (عدا اثنين هما محمد ابراهيم الذي عين رئيسا لأركان الحرب ، وعبد الحميد نعمت الذي عين وكيلًا لوزارة الحربية) .

أصبح واضحًا أن جيلاً جديداً قد وثب إلى السلطة ، وإذا استثنينا محمد نجيب الذي كان في الثانية والخمسين من عمره ، فإننا نجد أن جمال عبد الناصر الرئيس المنتخب للجنة القيادية للضباط الأحرار لم يكن قد أكمل بعد عامه الخامس والثلاثين .

ثغرة الفرق في العمر ، ووثوب جيل جديد إلى السلطة ، يظهران أن حركة ٢٣ يوليو كانت منذ لحظتها الأولى تعبيراً عن شيء جديد في مصر .

شيء جديد لا يقتصر على تحنُّود الجيش فقط ، أو على فارق العمر وحده .. وإنما يمتد أيضاً خارج الجيش وإلى أبعاد أعمق مما يشير إليه فارق السنين .

والضباط الأحرار الذين تحركوا في هذه الليلة التاريخية كانوا يمثلون واقعا اجتماعياً خاصاً إلى جانب أنهم كانوا يعبرون عن ارادة جيل معين ، كما أن قيادتهم كانت تمثل نوعية خاصة من الضباط .

واختلفت حركة ٢٣ يوليو عن انقلابات العراق وسوريا من عدة وجوه .. عندما قام بكر صدقي بأول انقلاب عسكري في العالم العربي سنة ١٩٣٦ كان في رتبة الأميرالاي ويعمل رئيساً لأركان حرب الجيش العراقي بالنيابة ، وكذلك حسنى الزعيم كان رئيساً لأركان حرب الجيش السوري عندما قام بانقلابه عام ١٩٤٩ ، وكان سامى الحناوى وأديب الشيشكلي قادة الانقلابات التالية في رتبة الأميرالاي برئاسة الجيش .

أما حركة ٢٣ يوليو فقد تمت فعلاً بجهد ضباط من رتب صغيرة لاتتجاوز رتبة البكباشي .. حتى محمد نجيب لم يكن كمدير لسلاح المشاة في موقع يسهل له فيه تحريك قوات الجيش إذ أنه منصب إشرافي وتدريبى أكثر منه منصباً تنفيذياً .

لم يكن انقلاب جنرالات .. وإنما كانت حركة صغار الضباط .

كان محمد نجيب استثناء بين زملاء رتبته ، معظمهم استكان لواقع الحياة وارتضى حالة المجتمع والجيش كما هي عليه ، وأصبح رغم ارادته أداة من أدوات الملك للسيطرة على الجيش وبالتالى على الشعب . هذه الفئة من الضباط الكبار في الرتبة الذين ناضلوا ضد الاستعمار البريطانى منذ لحظته الأولى والذين شرد وفصل الكثيرون منهم على مدى سنوات

طويلة انتهت بنكسة ١٩٢٤ كانوا قد أصبحوا يمثلون بواقعهم وبتفكيرهم وبمصالحهم عائقا كبيرا ضد الانطلاق الى اصلاح ثورى وجدرى فى الجيش. أو المجتمع .

وبعض الذين أخذهم الغضب عقب حادث ٤ فبراير مثل اللواء أحمد فؤاد صادق الذين تعرض مع زميله محمد كامل الرحمانى للفصل والاعتقال عادوا الى الهدوء ومسائلة النظام بعد الافراج والعودة الى الجيش . . . ووصل أحمد فؤاد صادق الى منصب قائد القوات المحاربة فى فلسطين وعين الرحمانى أركان حرب له . . . ومع ذلك عندما حاول الضباط الأحرار أن يتلمسوا موقفه وجدوا أنه أقرب فى حركته الى الانجذاب نحو (الحرس الحديدي) منه الى (الضباط الأحرار) .

وهكذا كان محمد نجيب شخصية استثنائية بين زملاء رتبته جذوة نضاله القديم لم تخمد فى قلبه ، وشجاعته ظهرت أروع ما تكون فى حرب فلسطين وما بعدها من اتخاذ موقف المجابهة الصريحة مع قيادات الجيش الخاضعة لنفوذ السراى .

والضباط الذين قادوا حركة الضباط كانوا يشكلون نوعية خاصة . ثلاثة منهم حصلوا على ترقية استثنائية فى حرب فلسطين هم عبد الحكيم عامر وكمال الدين حسين وصلاح سالم .

وثلاثة حصلوا خلال الحرب على نجمة فؤاد وهم جمال عبد الناصر وعبد اللطيف البغدادي وزكريا محيى الدين .

وثلاثة كانوا مدرسين ليلة الحركة فى كلية أركان الحرب هم جمال عبد الناصر وزكريا محيى الدين وكمال الدين حسين .

وإثنان تخرجوا فى الجامعة هما محمد نجيب الذى حصل على ليسانس الحقوق وحصل بعد ذلك على دبلومين فى القانون الخاص والقانون العام الى جانب تخرجه فى كلية أركان الحرب ، وخالد محيى الدين الذى تخرج فى كلية التجارة .

هذه الشريحة تظهر انهم من أكثر الضباط ثقافة ، وانهم لم يكونوا من الخاملين . . . بل أن شخصياتهم ومراكزهم كانت مصادر الجاذبية لتجمع الضباط الأحرار حولهم .

ومع ذلك يصعب القول بأنهم فى مجموعهم أو فى الأغلبية من قياداتهم كانوا من المثقفين . . . لأن طبيعة الضباط وتعليمهم وعزلتهم عن المجتمع تجعل منهم فئة خاصة تتعامل مع الحياة بالاسلوب الذى اعتادته

فى الجيش والذى يخلق دائرة التفكير غالباً فى حدود اعطاء الأوامر وتنفيذها .

وما ورد فى منشورات الضباط الأحرار لا يعكس المستوى الفكرى لهم ولا يعطى مقياساً صحيحاً لدرجة وعيهم . . بل هو تعبير عن أفكار عدد محدود منهم .

ولاشك أن قصر الفترة الزمنية لتشكيل تنظيم (الضباط الأحرار) التى لم تتجاوز الثلاثة أعوام بكل ما صاحبها من ظروف التجنيد واستكمال شكل التنظيم ، كانت سبباً رئيسياً فى عدم خلق وحدة فكرية وعى ثقافى مشترك لهؤلاء الضباط القادمين من مدارس فكرية مختلفة وتنظيمات سياسية متباينة .

كانت الأفكار الوطنية العامة والنقمة على الاستعمار هى الدافع الرئيسى لتحريك الضباط ، ولكن تفاصيل الأمور كانت متباينة فى عقولهم وصورة المستقبل غير واضحة أمامهم .

وتجاوباً مع طبيعة الضباط فى تقبل الحركة البدنية التنفيذية عن الحركة الفعلية الذهنية ، تحركوا ليلة ٢٣ يولييه ، ولكن أغلبيتهم العظمى لم تكن تدرك ، أو تحاول بذل الجهد فى معرفة ما يحمله القد .

كان (الضباط الأحرار) فى حركتهم دعاة تغيير واصلاح . . لم يكونوا مثل جنرالات باكستان أو جنرالات السودان فيما بعد . الذين استولوا على السلطة دون أن يكون فى أحلامهم تغيير شكل المجتمع أو القيام باصلاحات جذرية ، بل انهم كانوا استمراراً لنظام الحكم القائم بملابس عسكرية بدلا من الملابس المدنية .

كان الواقع الطبقي والاجتماعي للضباط الأحرار مختلفاً عن الواقع الطبقي والاجتماعي للسلطة التنفيذية .

لم يكن بين الضباط الأحرار ابن من أبناء الأسر الاقطاعية أو ابن لكبار الرأسماليين . . كانت هذه الأسر تتعالى على الجيش ولا تدخل أبنائها فيه . فلم يكن هناك فى الجيش ضابط من أسرة البدرائى عاشور أو شعراوى أو سلطان أو الموم أو الطرزى . . حتى زكى شقيق فؤاد سراج الدين دخل الكلية الحربية عام ١٩٤٢ وخرج هارباً بعد عام واحد . . حتى كبار الضباط الذين وصلوا الى مراكز عالية لم يدخلوا أبناءهم الجيش . . الاميرالاي محمود ماهر (١٨٥٤ - ١٩٠٩) هو والد على ماهر وأحمد ماهر . . وسردار الجيش المصرى (١٨٦٤ - ١٨٧٩) كان من عائلة راتب التى لم يدخل أولادها الجيش . . وفى كتاب (تاريخ المملكة الزراعية فى مصر

الحديثة) ان ١٠٠ عائلة اقطاعية فى النصف الاول من القرن العشرين
٣٠ منهم ممثلون فى البرلمان نوابا وشيوخا وأحيانا بأكثر من عضوين ،
١٨ منهم عينوا وزراء ولكن لا ضابط واحد .

ولم يكن فى الجيش أحد من أبناء الأسرة المالكة كما كانت العادة من
قبل ٥٠ تعين الأمير اسماعيل داود قائدا لسلاح الفرسان فى الفترة من
عام ١٩٤٢ الى ١٩٤٤ ، وكان تعيينه تعبيرا عن نزوة خاصة ، أساء اليها
سلوكه الشخصى المتسم بالشذوذ . كما عين الملك زوج شقيقته الأميرة
فوزية الأميرالاي اسماعيل شسرين مديرا لإدارة فلسطين دون ان يكون
متخرجا فى الكلية الحربية ، ثم عينه وزييرا للحربية فى وزارة نجيب الهاللى
الآخيرة .

لم يكن الجيش المصرى فى ذلك الوقت مثل الجيوش الأوروبية
الاستعمارية ، التى يشكل الضباط فيها طبقة متميزة تتوارث حمل السلاح
جيلا بعد جيل ، وينتمى الى طبقة النبلاء من بقايا الاقطاع الأوروبى . ومن
المعروف ان الجيش الألماني كان يعتمد بصفة خاصة على الضباط (اليونكر)
من البارونات الاقطاعيين البروسيين ، والذين تتحل أسماؤهم بكلمة
(فون) التى تنسبهم الى أرض معينة كان لأجدادهم عليها سلطان اقطاعى
٥٥٠ وفى فرنسا أعرق الديموقراطيات البرجوازية يعين فى قمة جيشها
القادة الذين يحملون المرافد الفرنسى لكلمة (فون) وهو (دى) ديجول ،
دى لانتر ، دى كاستر فائده قاعدة ديان بيان فو الذى كان يفخر بأنه
جنرال ابن جنرال حتى القرن السابع عشر .

يعمل الضباط عادة فى تلك الجيوش على غرس روح الطاعة العمياء
وازدراء الحركات الشعبية واستنكار العمل السياسى والاعجاب بالقادة
الرجعيين والشوفينية المتطرفة والاستمتاع بالبطش بشعوب المستعمرات .

كان الموقف فى مصر مختلفا ٥٥ عدم نضج الاقطاع أو نظام النبالة
الطبقي ، وابتعاد أبناء هذه الأسر مع أبناء الأسرة المالكة وأبناء الأسر
الرأسمالية الكبيرة عن الحاق أبناءهم بالكلية الحربية كان عاملا من عوامل
خلخلة نفوذها وضعف سيطرتها على القوات المسلحة التى تحمى نظامها
وطبقتها . وقد أدى ذلك الى محاولة اكتشاف رتب كبيرة من القيادات
تؤدى دورها فى خدمة الطبقة الحاكمة باخلاص دون ان ترتبط معها
بمصالح ذاتية خاصة ٥٥ فلم يكن بين قادة الجيش اقطاعى واحد حتى
ولا الفريق محمد حيدر ، الذى كان رغم ولائه الشديد للملك وعدائه
الشديد للحركة الشعبية فى بدء حياته العسكرية ، لم يكن يجارى
النظام فى حماس ولم يكن يبادر لتنفيذ ما يحمى النظام من وجهة نظره ٥٥

وعن طريقه مثلا تسربت الى الوفد خلال عبد الفتاح حسن اسرار الجلسة التي حضرها هو وحافظ عفيفى والياس اندراوس والملك ، وتقرر فيها اقالة الوفد وذلك ليلة ٢٦ يناير ١٩٥٢ . ولم يكن نشاط الضباط الأحرار بعيدا عن حاسة الشم عنده . . ولكنه آثر الصمت والسكون .

لم يكن بين كبار ضباط الجيش المصرى رغم خضوعهم وتبعيتهم للنظام الملكى من يعتبر مدافعا فى حماس عن الاقطاع أو من ترتعن مصلحته الذاتية بمصلحة الاقطاعيين . .

وهكذا لم تكن الطبقة الاقطاعية أو الرأسمالية الكبيرة تسيطر بذاتها على القوات المسلحة . . وانما كانت تسيطر بأبناء الطبقة الوسطى ، الذين لم يطل بهم الصبر .

كان الضباط الأحرار من الطبقة المتوسطة الذين يتأرجحون بين أبناء الموظفين صغارا أو كبارا وبين بعض أثرياء الفلاحين أصحاب الملكيات الصغيرة .

وفى بحث قمت به مع كافة الضباط الذين تحركوا ليلة ٢٣ يوليو تبين ان أحدا منهم لم يكن والده قد حصل على رتبة (باشا) أو (بك) ، كما ان أحدا منهم لم يكن يملك والده ليلة الثورة ما يزيد عن خمسين فدانا . . كما ان أصولهم لم تكن تنحدر من عائلات عسكرية ، أى توارث الأبناء فيها مهنة الآباء ، اذا استثنينا محمد نجيب الذى كان والده وخاله وخدم جميعا ضباطا فى الجيش خدموا فى السودان ودفنوا هناك . . وكان ذلك أمرا طبيعيا فى فترة دخول نجيب للمدرسة الحربية التى لم تكن تشترط شهادة معينة ، ولذا كان الضباط يدفعون أبناءهم اليها ، كما كانت بعض الأسر الكبيرة تلحق الأبناء العاجزين عن مواصلة التعليم بها ليصبحوا ضباطا . . وقد اشتهرت بعض العائلات بوفرة عدد الضباط من أبنائها مثل عائلة الشاهد وفهمى وشكرى .

كان الضباط الأحرار يحكم واقعهم الاجتماعى من الطبقة البرجوازية المتوسطة عدا قلة منهم كانت من أبناء فقراء هذه الطبقة . . أبناء صغار الموظفين الذى تثقل أعباء الحياة كاهلهم ويضطرون الى الاستدانة لدفع مصروفات أبنائهم فى الكلية الحربية التى كانت تصل فى مجموعها الى ٨٠ جنيها فى وقت كان مرتب خريج الجامعة ١٢ جنيها شهريا .

هذه الحقيقة توضح ان الذين تحركوا ليلة ٢٣ يوليو كانوا من أبناء الطبقة الوسطى ، ولم يكونوا من أبناء الطبقات الكادحة (عمالا أو فلاحين) . . كانوا تعبيرا عن شريحة طبقية معينة من المجتمع ، ولم يكونوا تعبيرا عن الأغلبية الساحقة للمجتمع .

وهناك ظاهرة ملحوظة أيضا وهي قلة عدد أبناء رجال الدين في الضباط الأحرار لقد كان رجال الدين يفضلون ان يتبع اولادهم خطاهم .
أو ينطلقون الى الحياة المدنية غير العسكرية .

كما يلاحظ أيضا أنه لم يكن هناك ضباط أقباط بين الضباط الأحرار سوى ضابط واحد ، وذلك لأن نسبة الضباط الأقباط داخل الجيش كانت محدودة ، كما أن جذور الضباط الأحرار كانت تمتد في غالبيتها الى الاخوان المسلمين .

لم يكن هناك في ليلة ٢٣ يوليو من يحمل رتبة لواء سوى مسيحي واحد ، كما انه لم يكن هناك من يحمل رتبة أميرالاي الا مسيحيين .

ولا يعنى هذا أن الجيش المصرى كان يعانى من الطائفية كما كانت الجيوش تعاني في سوريا ولبنان مثلا . ولكنه يوضح واقعا مختلفا عما كان فى المجتمع اذا كانت كل وزارة تضم وزيرين قبطيين ، كما ان ثورة ١٩١٩ كانت قد نجحت فى ازالة التفرقة الدينية التى حاول الاستعمار أن يبذرهما بين الشعب ليمزق وحدته الوطنية .

كان حسن البنا مرشد الاخوان المسلمين قد طالب بعد توقيع معاهدة ١٩٣٦ بحجز نسبة من طلبة الكلية الحربية لخريجي الأزهر حتى يضمن بذر الأفكار الدينية داخل الجيش ، ولكن الحكومات المتعاقبة لم تأخذ هذا الطلب مأخذ الجد ، لأنها لم تكن تفرق بين مسلم تخرج فى الأزهر أو تخرج فى المدرسة الثانوية ، كما أن افتقاد خريجي الأزهر لمعرفة اللغات الأجنبية كان أمرا يعرقل قدرتهم على متابعة الحياة العسكرية الحديثة .

ولم يدر فى خلد أحد لحظة واحدة ان حركة ٢٣ يوليو كانت حركة دينية اسلامية ، ولم يقف الأقباط منها موقفا متحفظا . بل اتضح منذ اللحظة الاولى ان هذه الحركة كانت بدافع وطنى اصلاحي ، منبثقة من واقع جديد مختلف تماما عن واقع الأحزاب الحاكمة وقتئذ . والتى كانت قياداتها اما من الاقطاعيين أو كبار الرأسماليين .

كان واقع الضباط الأحرار الطبقي والاجتماعى أقرب الى قيادات الأحزاب الوطنية الناشئة (الحزب الاشتراكي - الحزب الوطنى الجديد - الاخوان المسلمين - أنصار السلام - الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى - الحركات الماركسية) الذين كانوا فى معظمهم من الطبقة الوسطى رغم تنافر نظرتهم الاجتماعية ، واختلاف أهداف نضالهم الطبقي منه الى قيادات الأحزاب المتبادلة للحكم (الوفد - الحزب السعدى - حزب الأحرار الدستوريين - حزب الكتلة - الساسة المستقلين) .

ومع ذلك كانت هناك فروق واضحة فى نظرة الضباط وفى نظرة السياسيين المدنيين للأمور . كان الضباط الأحرار رغم ادراكهم للمأساة التى يعيش فيها الشعب ، وللفساد الذى يهترىء المجتمع بسببه ، يعيشون حياة بعيدة عن الجماهير الى حد ما .

مهنة الضابط كانت تفرض عليه نوعا من العزلة تشل فى ملبسه الخاصة وفى القوانين واللوائح التى يتعامل بها مع الجنود .

وإذا قلنا مهنة فأنما نعنى الخبرة والمسئولية والتعاون فى بناء المجتمع . فالضابط حتى القرن التاسع عشر لم يكن يشكل مهنة من المهن المعروفة كالطب والهندسة والمحاماة ، ولكنه كان يمارس عملا يستطيع الانسان العادى أن يؤديه ربما بفارق فى المهارة ولكن دون عجز فى الأداء ، وهو الاشباك من فوق صهوة جواد .

ولكن مع استهلال القرن التاسع عشر وحروب نابليون بدأ عمل الضباط يتحول الى مهنة ، لأنه أصبح مع تطور العلم فنا خاصا يحتاج الى علم ودراسة وخبرة . ولم يعد كالماليك الذين سادوا ساحة القتال فى مصر منذ منتصف القرن التاسع حتى ثلاثينيات القرن التاسع عشر بتدريب بسيط يتحولون بعده الى فرسان مقاتلين .

عمل الضابط اذن أصبح مهنة ولكنها تختلف عن بقية المهن لما يحيط بها من ظروف وملابسات خاصة .

والضباط قبل ليلة ٢٣ يوليو كانوا يعيشون بفارق اجتماعى حاد بينهم وبين الجنود . كان الجندى يتناول مرتبا شهريا قدره ٥٤ قرشا فقط زيد بعد ذلك ليصبح ٦٩ قرشا ، كما انه كان يتناول معظم وجباته من العذس . واللحم أربع مرات فى الاسبوع فقط . والامية كانت سائدة بين الجنود فنظام البذل النقدي كان يتيح فرصة التهرب من الخدمة العسكرية للجميع عدا فقراء الفلاحين .

ولم يكن ممكنا لصف الضباط والجنود ان يترقوا الى رتب الضباط ، كانت القوانين تسمح لهم تحت ظروف خاصة ان يصلوا الى رتبة (صول) فقط .

وكان الضباط يدركون الظروف البائسة التى يعيش فيها الجنود . البعض منهم كان يحلم بتغيير هذه الظروف ، باعتبارها انعكاسا لحالة المجتمع .

وهكذا يمكن القول بأن الضباط لم يكونوا فى عزلة كاملة عن واقع مجتمعهم رغم حياتهم المنعزلة . كما انه لا يمكن القول بأنهم كانوا

مرتبطين بمجتمعهم ارتباطا عضويا كاملا رغم صلاتهم بالقوى والتنظيمات السياسية المختلفة .

تنظيم (الضباط الأحرار) تحرك ليلة ٢٣ يوليو منفردا دون اتصال وثيق بال جماهير أو بالتنظيمات والأحزاب السياسية الوطنية والتقدمية ، معتمدا على السرية التي أحاط نفسه بها ، متخذًا الطابع الانقلابي المفاجيء ، واثقا في نفس الوقت من احتضان الشعب لحركتهم بعد ان فاض به كيل الغضب من تصرفات الاستعمار والسراى .

ولا تدل حركة (الضباط الأحرار) فى هذه الليلة التاريخية على انهم أكثر الفئات الوطنية ثورية وتقدمية . . كما أنها ليست دليلا على أن تنظيم (الضباط الأحرار) كان هو الطليعة الوحيدة فى مصر . . ولكن هذه الحركة تظهر حقيقة دور الجيوش فى الدول النامية وتثبت ان الضباط يشكلون أكثر أقسام المثقفين الوطنيين تنظيما ، وقدرة على فرض ارادتهم بقوة السلاح .

ولكنه تبين منذ اللحظة الأولى لنجاح حركة ٢٣ يوليو ان هذا القسم المحدود من المثقفين الوطنيين الذين كانوا يشكلون فى وقتها فئة محدودة أيضا ، لا يستطيع وحده ان يقرر بصورة مستقلة تماما النهج السياسى لمصر التى عاشت حياة سياسية خصبة عامرة بالثورات والانتفاضات والاضرابات ، مليئة بالأحزاب والتنظيمات السياسية .

الفصل التاسع

سقوط الملك

(أنتم سبقتوني في اللى عملتوه .. اللى
عملتوه دلوقتى كنت أنا راح أعمله)

الملك فاروق محمد نجيب

فرجو يودعه فى رحلته الأخيرة من مصر
بعد عزله يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢ .

متاعات محدودة فى ظلام ليلة حولت (الضباط الأحرار) من شبان
يلتهب الفضب فى صدورهم الى مسئولين عن سياسة مصر دون أن
يستعدوا لذلك بدراسة عميقة أو تخطيط واضح .

وعلى قدر ما دفعتهم الظروف والأحداث وخشية تحرك الملك ضدهم
.. على قدر ما كان الوقت أضيق من أن يتسع للتفكير والتأمل .. وخاصة
أنهم كما ذكرنا لم يكونوا قد اجتمعوا على وحدة فكر ، أو منهج أو برنامج
سياسى تفصيلى .

كان انتصار الحركة مفاجئا لأكثرهم تفاؤلا .. تهاوت قلاع الملك
وسقط أعوانه من كبار الضباط دون مقاومة .. واشتعل الحماس بين
رجال الجيش مع شروق شمس ٢٣ يوليو . واحتشد الجميع لتأييد الحركة .

كاد يتلاشى الخط المميز بين الضباط الأحرار الذين تحملوا مسئولية الاعداد والتنظيم والتنفيذ ، وبين زملائهم الذين لم تتح الظروف لهم فرصة الانضمام لتنظيم (الضباط الأحرار) .

كانت الفرحة تغمر الجميع داخل الجيش وخارج الجيش .. والتف الشعب حول أجهزة الاذاعة يسمعون البيان الاول ويفسرون ما شاء لهم التفسير .

تمت الحركة فى سرية بعيدا عن الجماهير .
وكان السؤال الاول الذى تردد فى قاعة اجتماعات مبنى القيادة العامة بعد أن استقبلوا يوسف صديق وقولها وهم يصفقون باعتباره الضابط الشجاع الذى اقتحم هذا المكان وأتاح لهم فرصة الاجتماع فيه هو :

ماذا نعمل ؟

لم يكن هناك من شئ معد فى الخطة سوى تقديم عدة مطالب للملك ، ثم يكون التصرف بعد ذلك تبعا لرد الفعل ، ولحركة الملك .

وعندما اتصل نجيب الهلالى بمحمد نجيب تليفونيا من الاسكندرية. أبلغه بأن مطالب الجيش تنحصر فى الآتى :

١ - تكليف على ماهر بتشكيل الوزارة .

٢ - تعيين محمد نجيب قائدا عاما للقوات المسلحة .

٣ - ابعاد كريم ثابت والياس أندراوس ومحمد حسن وحلمى حسين وانطون بوللى ويوسف رشاد من حاشية الملك .
كانت هذه الطلبات بمثابة جس نبض لموقف الملك ، والتعرف عما اذا كان فى مركز ضعف أو قوة .. يستند الى قوات الاحتلال أو لا يستند اليها .

ولم يكن معقولا ان يطلب الجيش تعيين على ماهر رئيسا للوزراء دون استشارته والتفاوض معه ولذا تحرك محمد نجيب وأنور السادات الى منزل على ماهر بالجيزة حيث عرضا عليه تولي رئاسة الوزراء .

وافق على ماهر واشترط ان يصدر له امر التكليف من الملك صاحب السلطة الشرعية .. ووافق نجيب فلم يكن قد حدد حتى هذه اللحظة موقفا نهائيا من الملك .

وأبلغ على ماهر الملك بمقابلة نجيب له ، ورغبتهم فى تكليفه بالوزارة .

كان الخبر قد وصل الى الملك أيضا عن طريق مصطفى صادق ضابط الطيران السابق ، وعم الملكة ناريمان ، الذي أسرع الى القيادة في الساعة العاشرة صباحا يستفسر عن حقيقة ما يدور ، فقابلته محمد نجيب وجمال عبد الناصر وأبلغاه بالمطالب السابقة .

ويقول مصطفى صادق ان المطالب تركزت حول قضيتين أساسيتين . . حكم الأغلبية وتطهير الحاشية . . ويقول أيضا انه عندما طلب صدور بيان يعلن فيه الجيش الولاء للملك ، قال عبد الناصر له ان البيان يتضمن الولاء للدستور وهو ما يعنى الولاء للنظام الملكى .
كان فى ذلك محاولة لتحويل النظر عن أهداف الحركة .

واتصل على ماهر محمد نجيب فى الثانية والنصف بعد ظهر ٢٣ يوليو ليبلغه بأن الملك قد كلفه بتشكيل الوزارة ، ويطلب منه زيارته . . وذهب اليه نجيب وأنور السادات فوجدا انه يحاول التعرف منهما على أبعاد حركة الجيش ولكن نجيب موه عليه وأبلغه ان الأمور لا تتعدى المطالب السابقة . ويقول محمد نجيب ان على ماهر كان مشرقا وشديدا الحيوية فى هذه الجلسة .

والتقى محمد نجيب بعلى ماهر للمرة الثالثة فى الصباح الباكر ليوم ٢٤ يوليو قبل سفره الى الاسكندرية لمقابلة الملك ، حيث تمت المقابلة عصر ذلك اليوم وصرح بعدها على ماهر بأن الملك قد قبل (كل) مطالب الجيش . وانه وقع مرسوما بتعيين محمد نجيب قائدا عاما برتبة (الفريق) . . وهو تحصيل حاصل لأن البيان الأول أذيع بصفته قائدا عاما ، ولكن برتبته (اللواء) .

وكان اختيار على ماهر رئيسا للوزراء قد تم تحت دافع انه مستقل عن الأحزاب فلا تبدو الحركة حزبية منذ لحظتها الأولى ، كما انه اسم مقبول لدى الملك فلا يعترض عليه ويحدث تناقض يفرض ظروفًا قد تخلق صعوبات غير منتطرة ، هذا الى ان على ماهر لم يكن ذا سمعة سيئة بل ان موقف وزارته بعد حريق القاهرة كان يفضل موقف وزارة نجيب الهلالي فقد خرجت من الحكم نتيجة خلاف واضح مع السفير البريطانى .

ذهب على ماهر الى الاسكندرية وهو يتصور فى نفسه صورة المنقذ التى هبات له الظروف فرصة رد اعتباره أمام رجال القصر الذين أحاطوا بالملك . . فشكل وزارته من أغلبية أعضاء وزارته السابقة التى استقالت فى فبراير ، وتولى هو شخصيا وزارتي الداخلية والحربية .
وتكليف على ماهر بتشكيل الوزارة لم يضح حدا لحركة الضباط ولم يوقف عجلة اندفاعها . .

النشاط البشري الذي بدأ قبل الحركة بيومين وظهر في صورة اتصالات ومناقشات لا تنقطع في الليل أو النهار ظل مستمر لا يهدأ ... وخيرة الضباط ورغبتهم في المعرفة تركزت على سؤال أعضاء مجلس القيادة الذين استقروا في مبنى القيادة بكوبرى القبة ، بعد ان وصل صلاح سالم وجمال سالم من العريش .

كانت كلية أركان الحرب هي أكبر مكان لتجمع الضباط إذ كانت تفقد فيها الدورة الثانية عشرة ٠٠ وفي صباح ٢٣ يوليو حضر الجميع ، ولم يتغيب أحد الأبطال عليه الناصر وزكريا محيي الدين وكمال الدين حسين من المدرسين ، وعباس وضوان واسماعيل فريد من الطلبة ٠٠ هؤلاء فقط هم الذين اشتركوا في حركة ٢٣ يوليو ، أما بقية الطلبة وكان عددهم ٦٣ ضابطا فلم يشتركوا في الحركة ومنهم أسماء لمعت فيما بعد مثل عبد القادر جاتم نائب رئيس الوزراء للثقافة والاعلام ، ومحمد فوزي وزير الحربية ، وعبد المجيد أبو النور أمين عام الاتحاد الاشتراكي .

وزع أفراد هذه الدفعة من الضباط الذين لم يكملوا دورتهم ، ولم تكن قد حددت بعد وحداتهم فمدة الدراسة كانت عاملا كاهلا - على الأجهزة والمصالح الحكومية أو في الجيش تبعا للرغبات الطارئة ، والمعرفة الشخصية .

ومثال الدفعة ١٢ في كلية أركان الحرب يظهر نسبة عدد الضباط الأحرار المحفودة ، كما يفتح بداية لتوزيع الضباط في غير الأماكن التي هيأتها لهم الدراسة التي كانت تعتبر بمثابة (الماجستير في العلوم العسكرية) مثل تعيين الضباط مصطفى لطفى وأحمد عبد السلام كفاقي وعبد العزيز صادق لإنشاء مكتب اشرافي في وزارة الداخلية .

وظل مجلس القيادة في شبه اجتماع مستمر يناقش الموقف بعد ادعاء الملك لمطالب الجيش ، وتقرر في اجتماع استغرق ليلة ٢٣/٢٤ يوليو عزل الملك على ان يظل الأمر سرا حتى بالنسبة لعل ماهر نفسه .

ولما كان الملك في الاسكندرية فقد أخذت الأنظار تتجه اليها وخاصة بعد ان استتب الأمن في القاهرة ، وحوصر قصر عابدين ، وتم اعتقال كبار ضباط الجيش ، والقلم السياسي ، ومدير الأمن العام .

لم تكدهم أنفاس الضباط الأحرار في القاهرة حتى كان الأمر قد استقر على ارسال وحدات الى الاسكندرية تمهيدا لعزل الملك ، بناء على خطة كلف زكريا محيي الدين بوضعها كما وضع من قبل خطة تحريك القوات ليلة ٢٣/٢٤ يوليو .

لم يكن تحريك القوات الى الاسكندرية مجرد مظاهرة عسكرية ولكنه كان ضرورة تقتضيها ظروف الحيلة والحذر من تصرفات الملك ، الذي كان مجرد وجوده يمثل خطرا حتى اللحظة الأخيرة ، فالبحرية مثلا كانت خاضعة له خضوعا كاملا ولم تسهم بأى دور فى الحركة ٠٠ وقوات الجيش هناك كانت محدودة ٠

الملك لم يكن يائسا ٠٠ كان يبحث عن طريق للخروج من هذا المأزق ٠٠ كانت كلماته التى حملها مرتضى المراغى الى محمد نجيب تحمل تلميحا باحتمال تدخل القوات البريطانية فى الموقف كما حدث فى أيام أحمد عرابى ٠

واستدعى الملك جيفرسون كافرى سفير أمريكا لمقابلته فى سراى المنتزة يوم ٢٣ يوليو ، وطلب منه فاروق ان يطلب من حكومته اقتناع الحكومة البريطانية بحاجة الملك الشديدة لتدخل قواتها ٠

ويقول ايدن فى مذكراته انه كان قد أوضح للسفارة البريطانية بالقاهرة ان القوات البريطانية لايجوز ان تتدخل لابقاء فاروق على العرش ٠ ولذا فان السفارة لم ترد على السفير الأمريكى كافرى ردا مشجعاً بعد اتصالات عاجلة تمت بين لندن وواشنطن كما يقول انطونى نائنج فى كتابه (ناصر) ٠

ومع ذلك فانه بعد ليلة ٢٣ يوليو تحركت بعض القوات الى طريق مصر - السويس للدفاع عن القاهرة فى حالة حدوث أى تحرك بريطانى ٠٠ وكلفت القوات المصرية فى منطقة القناة بمراقبة تحركات القوات البريطانية والابلاغ عنها ٠

لم تثمر جهود الملك فى استجلاب تدخل بريطانى أو أمريكى لحماية عرشه ٠

وكانت تعليمات جمال عبد الناصر لى باعتبارى ممثلا للضباط الأحرار فى الاسكندرية تقضى بالسيطرة على المنطقة فى هدوء دون عمليات استفزازية قد تفجر الموقف وتخلق تناقضا لا مبرر له بين الموقف فى القاهرة والموقف فى الاسكندرية ٠

وكان محمد حيدر قد دعا الى مؤتمر فى مبنى القيادة بمصطفى باشا صباح ٢٣ يوليو حضره قادة الوحدات بالاسكندرية ، وأبلغهم ان ما يدور فى القاهرة هو عملية محدودة ، وألقى عليهم مسئولية قيادة وحداتهم ٠

ولكن الضباط الأحرار بتعاون وثيق مع كافة الضباط الذين فجر البيان الأول ، كل طاقاتهم الوطنية وكل أحلامهم الثورية كانوا قد سيطروا

ثورة يوليو ج ١ - ٢٢٥

على الوحدات ، وعقدنا مؤتمرا لشباب الضباط في رئاسة الاي الثاني المضاد للطائرات ظهر نفس اليوم ، واخترنا البكباشي عاطف نصار ليكون قائدا للمنطقة والصاغ عبد الحكيم الأعسر ليكون أركان حرب لها .

واستقر الوضع في الاسكندرية أيضا بعد ان نصحنا كبار الضباط بالذهاب الى منازلهم فاستجابوا دون معارضة وبعد أن أوقفنا محاولات للاثارة في البحرية وخفر السواحل عن طريق الاستعداد بالمدفعية والاتصالات الشخصية . .

وقد اتصل بي اللواء محمد نجيب وجمال عبد الناصر عصر ذلك اليوم فأبلغتهم بهدوء الحالة واستقرار منطقة الاسكندرية . . وأبلغني الاثنان باحتمال هروب حسين سري عامر عبر الصحراء الغربية الى ليبيا وضرورة ملاحظته .

كان على ماهر فد وصل الى الاسكندرية يوم ٢٤ يوليو واقسمت وزارته اليمين القانونية ، واستدعى اليه سليمان حافظ مستشار رئاسة مجلس الوزراء المنتدب من مجلس الدولة ليعده له التشريعات المطلوبة بناء على طلبات محمد نجيب .

ومع ذلك كان على ماهر في حيرة من امره لا يعرف أبعاد حركة الجيش ويشعر أن شيئا ما لا يدرك حقيقته يدبر في الخفاء . . ولما علم من سليمان حافظ ان فتحي رضوان يعتبر صديقا لأنور السادات وانه معتقل في هاكستيب والحكومة لم تفرج عنه رغم حكم مجلس الدولة ، أصدر قراره فوريا بالافراج عنه هو ويوسف حلمي وسعيد كامل (ابن شقيقته) واستدعاه الى الاسكندرية فورا على متن طائرة حربية .

كان الثلاثة من أعضاء الحزب الوطني الذي كان ينتمي اليه سليمان حافظ أيضا . . ولم يستطع فتحي رضوان أن يشبع رغبة على ماهر في معرفة تحركات ضباط الجيش لأنهم لم يفصحوا عن ارادتهم لأحد ، حتى وصل محمد نجيب الى الاسكندرية بالطائرة ومعه يوسف صديق وجمال سالم وأنور السادات وحسين الشافعي وزكريا محيي الدين صباح ٢٥ يوليو .

كان مفروضا حسب الخطة أن يتم عزل الملك في نفس اليوم ، ولكنه كما حدث تأجيل لحركة الجيش ليلة واحدة ، تقرر تأجيل العزل يوما واحدا أيضا ، بناء على طلب زكريا محيي الدين واضح الخطة الذي وجد ان الجنود في حاجة الى الراحة لأن بعضهم لم ينم منذ ليلة ٢٢/٢٣ يوليو ، والطابور المدرع كانت تنقصه بعض التجهيزات الادارية .

كان محمد نجيب على موعد مع على ماهر لتبليغه بالانذار ، ولكنه غير رأيه وأبدى له بعض ملاحظات شكلية على التشريعات التي كان سليمان حافظ قد أعدها . . . والتقى محمد نجيب مع سليمان حافظ وتبين انهما كانا أعضاء في إحدى المحاكم العسكرية العليا خلال الحرب العالمية الثانية .

بقى يوم على عزل الملك . . . والاسكندرية في حالة ابتهاج شديدا تلاحق مواكب الضباط بالهتاف ، وتفسر حركتهم تفسيرات شتى . . . كان الجيش مازال يدبر خطته في سرية بعيدا عن الجماهير .

وآثار جمال سالم اشكالا استغرقت مناقشته عدة ساعات . . . قال ان مجلس القيادة قرر عزل فاروق ولكنه لم يقرر شيئا عن مصيره .

وكان جمال سالم أكثر الموجودين حماسة لاعداد فاروق أو محاكمته ، مستندا في ذلك الى أخطائه التي ارتكبها والضحايا الذين سقطوا نتيجة لها . . . وتأثر بحماس جمال سالم كل من عبد المنعم أمين وذكريا محيي الدين فوافقا على الاعداد ، بينما وقف ضد هذا الرأي كل من محمد نجيب وأنور السادات ويوسف صديق وحسين الشافعي . . . واستقر رأى الحاضرين وقد بلغت الساعة الثانية بعد منتصف ليلة ٢٥/٢٦ يوليو أن يسافر جمال سالم بالطائرة إلى القاهرة ويعود حاملا رأى زملائه هناك . . . جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وخالد محيي الدين وعبد اللطيف البغدادي وكمال حسين وحسن ابراهيم وصالح سالم .

يلاحظ ان جميع أعضاء مجلس قيادة الثورة بقوا في القاهرة لم يغادروها للاسكندرية سوى أنور السادات وجمال سالم فقط .

هل يعدم الملك أم يحاكم ويسجن أم يطرد فقط ؟

سؤال لم تكن الاجابة قد اكتملت عليه حتى اليوم الذي تقرر فيه تقديم الانذار . . . أو بمعنى أصح اليوم التالي لليوم المحدد لتقديم الانذار لولا تأجيل الخطة . . . وهذا يدل على أن تلاحق الأحداث ، كان في غير حسابان الضباط الأحرار . . . وان ضغط الوقت لم يسمح لهم بالتفكير الهادئ والتخطيط المتزن .

كانت كل مشكلة تحل في وقتها . . . وكل أزمة تعالج في لحظتها . . . سافر جمال سالم بالطائرة حرصا على عدم الاتصال بليونيا بأعضاء مجلس القيادة بالقاهرة تأكيدا للأمان . . . وعاد في الصباح الباكر يحمل الرأي المرجح وهو (يترك فاروق حيا ويحكم عليه التاريخ) .

النوم منذ الحركة لا يتم الا لحظات خاطفة . . . في المكاتب وبملابس العمل . . . وفي التاسعة صباحا كان محمد نجيب يتجه الى رئاسة مجلس

الوزراء في بولكى لتسليم الانذار الى على ماهر حتى يستطيع الملك أن يتدبر أمره في الساعات الباقية .

وكان الملك قد غادر قصر المنتزة الى قصر رأس التين في اليوم السابق مع الملكة والأميرات . وكانت قوات الجيش التي وصلت من القاهرة قد حاصرت قصرى رأس التين والمنتزة . وحدث اشتباك محدود بين قوات الحرس الملكى والقوات المحاصرة لرأس التين ، اتصل بعده الملك بالمستر جيفرسون كافرى سفير الولايات المتحدة ، وعلى ماهر الذى هرع لمقابلة الملك .

وعندما وصل محمد نجيب أبلغه سليمان حافظ ان مستر (سباركس) مستشار السفارة الأمريكية قد حضر منذ مدة وانه في حالة اضطراب وانفعال شديدين ويقول انه موفد من مستر كافرى للتحري عن حقيقة إطلاق الرصاص على قصر رأس التين ، ومدى ما يترتب على ذلك من أضرار قد تسيء الى مصلحة البلاد .

وهذا محمد نجيب مستر سباركس قائلا له ان هذه القوات قد وزعت في الاسكندرية كاجراء روتينى لحماية الأمن ، وانه قد أصدر أوامره بوقف الضرب الذى بدأ على أساس تصور خاطيء من الحرس الملكى بأن هذه القوات تريد ان تقتحم القصر .

وانصرف مستر سباركس وقد خف اضطرابه وهذأت حدة انفعاله .

وكان الملك في هذه اللحظة قد جمع انطوان بولى ، كافاتسى (مدرّب الكلاب) وجارو (الحلاق) والقائمقام حلمى حسين (السائق) ومحمد حسن (الشماسرجى) والأميرالاي محمد أبو النصر مدير مشاة الحرس - والياور على مقلد والياور الجوى حسن عاكف ، وطلب منهم صد الهجوم عن القصر بتوجيه نيران الهجانة ومدافع الماكينة على الدبابات الرابضة خارج الاسوار .

وبدأت الطلقات المتبادلة ، ثم أمر الملك بوقف الضرب عندما أبلغ ان مدفعا كبيرا مصوباً فوهته على صالة القصر .

وغادر على ماهر القصر بعد ان عاد الهدوء .

ولكن على ماهر فوجيء في بولكى بتقديم انذار الجيش للملك بضرورة توقيع وثيقة التنازل عن العرش قبل الثانية عشرة ظهرا ومغادرة البلاد قبل الساعة السادسة مساء . وارتجفت شفتا على ماهر وهو يسمح حديث محمد نجيب وشحب وجهه ولكنه تجلده وقال (رى ما تشوفوا) ثم غادر

بولكنى الى القصر مرة ثانية فى نفس الصباح بعد أن قرأ كلمات الانذار التى تقول :

من الفريق أركان الحرب محمد نجيب باسم ضباط الجيش ورجائه الى جلالة الملك فاروق الاول :

انه نظرا لما لاقتة البلاد فى العهد الاخير من فوضى شاملة عمت جميع المرافق نتيجة سوء تصرفكم وعبثكم بالدستور وامتهانكم لارادة الشعب حتى أصبح كل فرد من أفراده لا يطمئن على حياته أو ماله أو كرامته - ولقد سمعت سمعة مصر بين شعوب العالم من تماديكم فى هذا المسلك حتى أصبح الخونة والمرتشون يجدون فى ظلكم الحماية والأمن والثراء الفاحش والاسراف الماجن على حساب الشعب الجائع الفقير ، ولقد تجلت آية ذلك فى حرب فلسطين وما تبعها من فضائح الأسلحة الفاسدة وما ترتب عليها من محاكمات تعرضت لتدخلكم السافر مما أفسد الحقائق وزعزع الثقة فى العدالة وساعد الخونة على ترسم هذه الخطى فائرى من أثرى وفجر من فجر ، وكيف لا والناس على دين ملوكهم .

لذلك قد فوضنى الجيش الممثل لقوة الشعب أن اطلب من جلالتيكم التنازل عن العرش لسمو ولى عهدكم الأمير أحمد فؤاد على ان يتم ذلك فى موعد غايته الساعة الثانية عشرة من ظهر اليوم (السبت الموافق ٢٦ يوليو ١٩٥٢ والرابع من ذى القعدة ١٣٧١) ومغادرة البلاد قبل الساعة السادسة من مساء اليوم نفسه والجيش يحمل جلالتيكم كل ما يترتب على عدم النزول على رغبة الشعب من نتائج) .

توقيع : فريق (اركان حرب) محمد نجيب

عاد محمد نجيب الى ثكنات مصطفى كامل .

وأبلغ على ماهر الملك شفاهة بانذار الجيش لقسوة بعض كلمائه مشفوعا برأيه وتصيحته فى النزول عن العرش لابنه أحمد فؤاد الثانى استيفاء للعرش فى ذريته . . ولكن الملك قال أنه ليس جباناً وأن عنده قوات موالية أكثر مما عند الثائرين . . ولكن على ماهر أوضح له مخاطر تعريض مصر لحرب أهلية لا يعلم مداها الا الله . . واقتنع الملك دون نقاش طويل ، وعندما سأله على ماهر اذا كان يفضل السفر جوا . أجاب بأنه يفضل السفر بحرا على الباخرة (المحروسة) وهى يخته الخاص مشترطا الآتى :

١ - ان يستصحب معه زوجته ناريمان وابنه الطفل أحمد فؤاد وسائر أولاده .

٢ - ان يودع على الصورة التى تليق بملك نزل عن العرش
بأختياره .

٣ - ان تشترك الحكومة فى وداعه ممثلة برئيسها وكذلك القوات
المسلحة ممثلة بقائدها محمد نجيب .

٤ - ان يمكن من مقابلة السفير الأمريكى جيفرسون كافرى قبل
سفره .

٥ - ان تقوم قطع الاسطول المصرى بحراسة الباخرة التى
سيستقلها حتى وصوله الى ايطاليا .

عاد على ماهر الى بولكى يحمل الموافقة ومعها هذه الطلبات . . وبدأ
تسليم رجال الحاشية المطلوبين الى القوات المحاصرة للقصر . . استلم
عبد المنعم أمين قائد القوة ، حلمى حسين ومحمد حسن وأنطون بوللى .

وأعد الدكتور عبد الرازق السنهورى رئيس مجلس الدولة وثيقة
التنازل فى صيغة أمر ملكى يستلهم ديباجته من الدستور . . ووافق
محمد نجيب الذى اجتمع مرة ثانية مع على ماهر وجمال سالم وأنور السادات
فى بولكى حوالى الحادية عشرة صباحا .

حدث تعديل وحيد على الصياغة اقترحه جمال سالم ووافق عليه
الدكتور السنهورى وهو اضافة عبارة تفيد بأن النزول عن العرش كان
(استجابة لرغبة الأمة) .

وكلف على ماهر المستشار سليمان حافظ بحمل الوثيقة الى الملك
لتوقيعها قبل الثانية عشرة حسب الانذار الموجه له .

ويقول سليمان حافظ أن الملك أقبل عليه وهو عارى الرأس فى حلة
القائد الأعلى للقوات البحرية يسير بخطى سريعة تأخذ بخناق سعة عصبية
متواصلة ، وقرأ الوثيقة على مهل ثم تساءل عما اذا كان ممكنا اضافة بعد
عبارة (بناء على ارادة الأمة) كلمة (وارادتنا) وقال له سليمان حافظ أن
صياغة الوثيقة فى صورة أمر ملكى ينطوى على هذا المعنى . وقال الملك
(فما الضرر اذن من اضافتها) وقال سليمان حافظ (اننا لم ننته من
صياغة الوثيقة على صورتها الا بصعوبة لا تسمح بادخال أى تعديل)
فقال الملك (اذن كانت هناك وثيقة أخرى) فلما أجاب سليمان حافظ
بالاجاب طلب الملك الاطلاع عليها فقال له أنه لم يطلع عليها وهى ليست
معه . . . فقال الملك (لملك لا تريد ذكر شئ عنها لما قد يكون فيها من
معانى تخرج شعورى) .

• وقع الملك الوثيقة وهو فى حالة انفعال شديد ، ثم وجد أن توقيعها ليس منضبطا فوقها مرة ثانية فى أعلى الكلمات التى تعلن تنازله عن العرش فى كلمات موجزة تقول :

• أمر ملكى رقم ٦٥ لسنة ١٩٥٢ •

نحن فاروق الأول ملك مصر والسودان •

لما كنا نرغب رغبة أكيدة فى تجنب البلاد المضاعف التى تواجهها فى هذه الظروف الدقيقة ونزولا على إرادة الشعب •

قررنا النزول عن العرش لولى عهدنا الأمير أحمد فؤاد وأصدرنا أمرا بهذا الى حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا رئيس الوزراء للعمل بمقتضاه •

صدر بقصر رأس التين فى ٤ ذى القعدة ١٣٧١ (٢٦ يوليو ١٩٥٢)

حمل سليمان حافظ وثيقة التنازل الى على ماهر فى رئاسة الوزراء ثم ذهب الى محمد نجيب وزملائه فى ثكنات مصطفى كامل ليعرض عليهم رغبة الملك فى أخذ انطوان يولى معه فى رحلته الأخيرة ، ولكن أعضاء مجلس القيادة رفضوا التراجع عن مطالبهم لتحقيق مستهدف يمس نزاهة الحكم ، كما رفضوا طلب الملك أن تصحب (المحروسة) بعض قطع الأسطول المصرى حتى تصل الى ايطاليا •• وقد طلب الملك من جيفرسون كافرى فيما بعد حراسة بعض قطع الأسطول الأمريكى له أثناء رحلته •

كان محمد نجيب معتزما أن يكون فى وداع الملك على مرسى رأس التين •• ولكن المظاهرات التى اعترضت طريقه فى شوارع الاسكندرية وخطا السائق فى معرفة الباب الصحيح جعله يصل متأخرا أربع دقائق عن رحيل الملك فى تمام السادسة •

كان فى وداع الملك على المرسى على ماهر وجيفرسون كافرى وزوجا شقيقتيه اسماعيل شيرين ومحمد على رءوف وبعض ضباط الحرس والجميع فى وجوم شديد •• وكان الملك ينظر الى ساعته بين لحظة وأخرى حتى أعلنت السادسة فقرر الرحيل ، وهنا عزفت الموسيقى السلام الملكى : ثم أنزل العلم الملكى • وطواه ضابط من ضباط الحرس سلمه الى على ماهر الذى سلمه بدوره الى الملك ، وأطلقت المدفعية ٢١ طلقة •• وأدى حرس الشرف التحية العسكرية •• وصافح الملك مودعيه بينما خدم القصر والمودعون يجهشون بالبكاء •

وعندما وصل محمد نجيب كانت آثار الدموع مازالت تلمح فى عيني على ماهر ، وأصر نجيب على توديع الملك فركب لثقتنا ليلحق بالمحروسة ونفعا

القائمقام أحمد شوقي وقائد الجناح جمال بسالم والبكباشي حسين الشافعي واليوزباشي اسماعيل فريد .

وصعد محمد نجيب الى المحروسة ومعه زملاؤه ، ثم أدى التحية العسكرية للملك المعزول وتصافحا باليد . . ومضت فترة سكون يقول عنها محمد نجيب (الملك يتوقع أن أتحدث والقدرة على التعبير ضاعت من رهبة الموقف) .

وأخيرا انطلق نجيب يتحدث قائلا :

اننى أريد أن أقول لك شيئا . . عندما اقتحمت الدبابات البريطانية قصر ك فى ٤ فبراير ١٩٤٢ كنت أنا الضابط الوحيد الذى قدم استقالته احتجاجا على هذا الاعتداء الشنيع على استقلال البلاد . فعلت هذا باسم الجيش كله وعبرت به عن شعور هؤلاء الضباط الذين قاموا بالحركة اليوم . . وفى هذا ما يدل على مبلغ ما كان من ولائنا نحن رجال الحركة لك . . أما الآن فقد تطورت الأحوال وانقلبنا نحن حماة الى ثوار عليك نتيجة أعمالك وتصرفات من حولك .

ووفجىء فاروق بهذا الحديث فقال :

على كل حال اننى أتمنى للجيش كل الخير . . وانى أوصيك خيرا بالجيش المصرى فهو جيش آبائى وأجدادى . . ان مأموريته شاقة وصعبة .

وقال له نجيب :

أنى أعرف أن الكولونيل سيف سليمان باشا الفرنساوى هو الذى بدأ تكوين الجيش المصرى .

وكان فاروق قد لاحظ أن جمال سالم يحمل عصاه وهو فى حضرته فتوقف عن الحديث وأشار له قائلا :

أرم عصاك .

وحاول جمال سالم أن يعترض ولكن محمد نجيب نهره عن ذلك فألقى عصاه ووقف وقفة فيها شيء من اللامبالاة .

وقال الملك وهو يصافحهم مودعا بعد أن أدوا له التحية العسكرية :

أنتم سبقتونى فى الى عملتوه . . الى عملتوه دلوقتى كنت أنا راح أعمله .

وطلب الملك تأجيل رحيل المحروسة نصف ساعة حتى تحضر بقية حقائبه ووافق نجيب بلا تردد . وخرج وفى ذهنه كلمات الملك .

كان سباقا مع الزمن بين الملك وبين الضباط الأحرار .
لو كانت الحركة قد تأخرت أياما ربما كان بعضهم قد أصبح خلف
قضبان السجون ، والملك فى حياته اللاهية .
ولكن أحداث التاريخ شامت أن يخرج الملك معزولا من مصر ، وأن
يصبح محمد نجيب قائدا لحركة الجيش .
وكانت عملية اخراج الملك قد تمت فى سرية تامة عن الجماهير التى
لم تسمع شيئا مؤكدا عنها الا فى السادسة والنصف عندما اذيع بيان
تاريخى بصوت محمد نجيب يعلن فيه خروج الملك ، ويطلب من المواطنين
الذين غمروهم الفرح أن يلتزموا الهدوء .
ويقول محمد نجيب أن صدره قد استراح باذاعة هذا البيان لأنه
كان حريصا على ان يفهم كل مصرى أن المشاركة فى الحركة لم تكن لكسب
شخصى مادى وانما كانت لتحرير الوطن والمواطنين وأراد أن يضرب
المثل بنفسه عندما عينه قائدا عاما للقوات المسلحة يوم ٢٤ يوليو ، وقناعته
برتبته الحالية . رتبة اللواء .
هكذا سقط الملك فاروق ، وغادر مصر . وطويت صفحة حكمه فى
دون تردد .
وبعد ساعة ونصف أى فى الثامنة مساء أذاع محمد نجيب بيانا آخر
أعلن فيه على الشعب تنازله عن رتبة (الفريق) التى كان قد منحها له
الملك فاروق .

الفصل العاشر

الضباط فى السلطة ٠٠ لأول مرة

لم يكن سقوط الملك اعلانا عن سقوط الملكية .
ولم يكن خروج فاروق هو نهاية الحكم الملكى من الوجهة الدستورية
كانت أول مشكلة تواجهها قيادة الجيش ٠٠ هى قضية الوصاية على
العرش .

المادة ٥١ من دستور ١٩٢٣ كانت تنص على ألا يتولى أوصياء العرش
عملهم الا بعد أن يقرأوا اليمين أمام مجلس النواب والشيوخ مجتمعين
تماما كما يؤدي الملك اليمين قبل مباشرة سلطته الدستورية ٠٠ وللملك
حسب أحكام الأمر الملكى رقم ٢٣ عام ٢٢ اختيار هؤلاء الأوصياء على أن
يقر المجلسان اختياره .

وتنص المادة ٥٢ من الدستور على انه عند وفاة الملك يجتمع البرلمان
بحكم القانون خلال عشرة أيام من الوفاة ، فان كان المجلس منحلا وكان
الموعد المعين لاجتماع المجلس الجديد بعد انتخاب أعضائه يجاوز اليوم
العاشر وجب دعوة المجلس المنحل للعمل حتى يجتمع المجلس الذى يخلفه .

أما المادة ٥٥ فتتنص على أن يتولى مجلس الوزراء - بصفة مؤقتة -
سلطات الملك الدستورية حتى يؤدي أوصياء العرش اليمين أمام البرلمان .

كان مفروضا ان يدعى البرلمان الوفدى المنحل للانعقاد طبقا للدستور
وطبقا لفتوى قدمها عدد من رجال القانون الوفديين لرئيس الوزراء على
ماهر وأرسلوا صورة منها الى محمد نجيب . ومعروف ان على ماهر كان

قد رفض حل مجلس النواب الوفدى خلال رئاسته الوزارة بعد حريق القاهرة .

ولكن على ماهر الذي أصبح مجلسه جامعا للسلطة التشريعية وسلطة الملك الدستورية الى جانب السلطة التنفيذية يعلن بعد اجتماع مجلس الوزراء بأن قيام برلمان نظيف على أساس سليم يحتاج الى تمهيد يستغرق سنوات ٠٠ وعلق السنهورى الذى استدعى هو وسليمان حافظ لحضور اجتماع المجلس بأن ذلك الراى يعنى اتجاه على ماهر الى حكم البلاد بغير برلمان مستندا الى سلطة الجيش .

ورغم ان سليمان حافظ والسنهورى كانا يستهدفان اقامة حكم برلمانى بأسلوب جديد فى الانتخابات يحرم الوفد من أغلبيته المطلقة التى كان يتمتع بها رغم عدم حصوله على أكثر من ٤٠٪ من أصوات الناخبين - على حد قوله - الا ان سليمان حافظ كان حريصا أشد الحرص على عدم دعوة البرلمان الوفدى المنحل ، مناضلا من أجل ذلك بكل الطرق الممكنة وذلك لخلاف سياسى عميق بينه كرجل من رجال الحزب الوطنى وبين الوفد كحزب جماهيرى .

ولجأ سليمان حافظ الى فكرة عرضها عليه الدكتور حسن بنگادى عميد كلية الحقوق بالاسكندرية فى ذلك الوقت ، تقضى بتعديل الأمر الملكى رقم ٢٣ لعام ١٩٢٢ تعديلا يكفل انشاء الوصاية المؤقتة وينظمها وهو تعديل يتييسر لمجلس الوزراء اقراره بحكم توليه السلطة التشريعية فى شعبة البرلمان عملا بالمادة ٤١ من الدستور .

وافق الدكتور عبد الرازق السنهورى على ذلك الراى أيضا ، وهو الوزير السعدي السابق . وعرض الأمر على مجلس القيادة فاتفق الراى على تفويض الأمر الى قسم الراى مجتمعيا بمجلس الدولة ، الذى أصدر قرارا بإجماع الأصوات عدا صوت الدكتور وحيد رافقت بأنه لا يجوز دعوة مجلس النواب المنحل للعمل فى حالة نزول الملك عن العرش بل يجب المبادرة الى اجراء الانتخابات لمجلس النواب الجديد ودعوته للاجتماع فى الميعاد الدستورى لتعيين أوصياء العرش فإذا رأت الحكومة ان الضرورة العملية تتطلب لاجراء الانتخابات وقتا غير قصير لا ينبغى لمجلس الوزراء أن يستمر خلاله فى مباشرة سلطات الملك ، أمكن ايجاد نظام وصاية مؤقتة تنتقل اليها هذه السلطات من مجلس الوزراء الى أن تتولاها لجنة الوصاية الدائمة .

وتشكل مجلس الوصاية المؤقت من الأمير محمد عبد المنعم رئيسا وعضوية بهى الدين بركات باشا والقائمقام رشاد مهنا الذى عين وزيرا

للمواصلات لمدة يوم واحد حتى يكون تعيينه في مجلس الوصاية
دستوريا .

واعتبر سليمان حافظ هذا الموقف انتصارا له فقال في مذكراته
التي كتبها وأودعها عند صديقه الدكتور مصطفى مرعي الذي تفضل
باطلاعي عليها بالحرف الواحد (بآء الوفد بالخيمة وبؤت مع السنهوري
بالفوز بما كنا نبغيه من على ماهر) .

وانتقل مكتب سليمان حافظ منذ ذلك الوقت الى رئاسة مجلس
الوزراء .

وصدرت عدة تشريعات برامة من ناحية الشكل . . اذ ألغيت بدعة
تصنيف الوزارة بالاسكندرية ، وخفضت السيارات الحكومية . والغيت
الألقاب والرتب المدنية .

ولكن هذه التشريعات وحدها لم تكن كافية لمواكبة اندفاع مجلس
القيادة الذي كان يواصل اجتماعاته ليل نهار ، يتصل أعضاؤه بمعارفهم
من مختلف الاتجاهات السياسية ، يتأثرون بأحاديثهم ويسمعون الى تنفيذ
بعض اقتراحاتهم .

وكان على ماهر يعتبر نفسه رجل الساعة ، يحافظ بكل ما في جهده
وطاقته على استمرار الأوضاع على ما هي عليه ، ليظل في مركز السلطة
ولكن التناقضات كانت قد بدأت تنبت بينه وبين مجلس القيادة الذي
كان يتحمل عبء المسئولية الفعلية في مصر بعد خروج الملك .

كان مجلس القيادة المشكل من تسعة أفراد هم : جمال عبد الناصر
وعبد الحكيم عامر وجمال سالم وصالح سالم وعبد اللطيف البغدادى
وحسن ابراهيم وخالد محيى الدين وكمال الدين حسين وأنور السادات
قد قرر في ١٥ أغسطس ضم خمسة من الذين أسهموا بقدر كبير في
نجاح الحركة وهم محمد نجيب ويوسف صديق وزكريا محيى الدين
وحسين الشافعى وعبد المنعم أمين .

تقررت هذه الزيادة بعد تقديم جمال عبد الناصر استقالته لأنه كان
راغبا في سلوك أسلوب ديموقراطى بينما طلب جمال سالم اختزال عدد
أعضاء المجلس الى خمسة أعضاء فقط ، وتكليف الباقين بالعودة الى
مواقعهم في الجيش .

أدت هذه الزيادة الى اجتذاب عدد كبير من الضباط للمجلس . .
وأصبح له مندوبون من الضباط في مختلف الوزارات ، مما خلق في كثير
من الأحوال ازدواجية وحساسية ، وخلق عند الضباط رغبة الخروج من

أطار النظام العسكري والانطلاق بملابسهم الرسمية الى مواقع العمل المدنية ، واشتهر باصطلاح (مندوب القيادة) الذي كان يتحرك به هؤلاء الضباط ليصدروا تعليماتهم وتوجيهاتهم في مواقف كثيرة متعددة .

بدأ الانضباط العسكري يفقد طابعه القديم ، وأخذت اتصالات الضباط تمتد خارج حدود الجيش . ولم يعد الأمر قاصرا على الضباط الأحرار وحدهم ، وإنما أتاحت الفرصة أيضا لعدد آخر من الضباط الذين تميزوا بالمهارة في التقرب والقدرة على التلون .

وكان صعبا على مجلس القيادة في مرحلته الأولى وخلال دوامة الاجتماعات والاتصالات أن يقيم تنظيما أو يصدر تعليمات تمنع الضباط من الاندفاع الى هذا المجال الجديد .

وهذا نمت الازدواجية وظهرت الحساسية بين الوزارة ومجلس القيادة .

كان على ماهر قد زار مرسى مطروح فترة العيد واتصل به محافظ الصحراء الغربية (بكباشى حسنى الدمنهورى) وآثار معه عدة قضايا ، منها . . اعطاء تراخيص اقامة للمصريين فى الصحراء الغربية وهو نظام افتعلته قوات الاحتلال بالنسبة لكل مناطق الحدود المصرية . . وأصدر على ماهر قرارا بالغاء تصاريح الدخول والاقامة للمصريين فى جزء من بلادهم وآثار معه أيضا قضية اعطاء (تراخيص تموين) للمصريين المقيمين فى الصحراء الغربية فوافق عليها أيضا .

وعقد على ماهر اجتماعا موسعا مع الضباط أثرت فيه قضية فصل الضباط من الجيش بعد الثورة . . وقال عبد الجليل العمري (وزير المالية) الذى كان مرافقا له فى هذه الزيارة ان خروج عدد كبير من الضباط سوف يثقل كاهل الميزانية بمعاشات كبيرة .

وتطرق الحديث بعد ذلك الى موضوع اصلاح الزراعى ، فأبدى على ماهر رأيه فى أن يكون الحد الأقصى ٥٠٠ فدان ، ان لم يوافق على فرض ضرائب تصاعدية .

ولم يقتصر اجتماع على ماهر بالضباط على مرسى مطروح . . بل عقد اجتماعا ثانيا مع ضباط الاسكندرية فى ناديهم بالشاطبي . . وأثيرت هذه القضايا مرة أخرى .

مثل هذا الاتصالات بين على ماهر والضباط ، الى جانب آرائه المعارضة للاصلاح الزراعى الذى تبني فكرته جمال مبالم بعد ان صقلت

خلال عدة لقاءات تمت بينه وبين أحمد فؤاد ودكتور راشد البراوى أدت إلى توافق أخذ يزداد حتى وصل شأفته .

وكان الاتفاق قد تم بين مجلس القيادة وعلى ماهر على ان تتم الانتخابات فى شهر فبراير تنفيذاً لرأى مجلس الدولة الذى شكل به مجلس الوضاية المؤقت ، وطلبوا منه أن يذيع ذلك توضيحاً للشعب . ولكن على ماهر اذاع البيان دون تحديد شهر فبراير ، بل قال ان الانتخابات ستتم فى أقرب فرصة .

أما عدم تحديد الموعد نائرة ضباط القيادة ، وأذاعوا بياناً يتناقض مع بيان على ماهر ويحدد فبراير موعداً للانتخابات . الأمر الذى نقل مشكلة الخلاف من كواليس السياسة إلى ساحة الجماهير .

كان على ماهر يستهدف من عدم تحديد موعد الانتخابات اعطاء نفسه فرصة أطول للسيطرة على الحكم بطريقة غير دستورية .

والواقع ان رجعة الى تاريخ على ماهر الذى بدأ حياته عضواً فى لجنة الثلاثين لاعداد دستور ١٩٢٣ ، توضح لنا انه اتخذ طوال حياته السياسية مواقف تعادى روح الدستور وتتناقض معه .

اشترك على ماهر فى وزارات أحمد زيور ومحمد محمود واسماعيل صدقى وهى الوزارات الانقلابية التى أهدت سلطة الأمة واعتدت على الدستور وعطلته ثم ألغته ، والتى كانت حرباً على الحريات والحرمات والكرامات ، كما كانت وسيلة لدعم سلطات الملك ونظريته القائمة على أنه يملك ويحكم .

وعندما عين على ماهر رئيساً للديوان الملكى بعد تولى فاروق سلطته الدستورية كان استهلال عهده اقالة وزارة مصطفى النحاس عام ١٩٣٧ ، رغم ما فى ذلك من اعتداء على روح الدستور . ثم تولى رئاسة الوزراء بعد انتخابات مزيفة دون ان يستند الى حزب أو تنظيم سياسى عام ١٩٣٨ .

كانت موافقة على ماهر على انهاء مجلس النواب الوفدى بعد حزيق القاهرة من أجل بقاء وزارته فى الحكم بعد حصوله على تأييد الوفد والمجلس . ولكنه عندما تلمس فرصة الحكم بعيداً عن الدستور ، بعيداً عن البرلمان . تنكر لموقفه القديم وعارض فى دعوة مجلس النواب المنحل . بل وعارض فى تحديد موعد الانتخابات الجديدة .

وعقب اذاعة بيان مجلس القيادة بعد بيان على ماهر فكر فى الاستقالة ولكنه تراجع عن ذلك .

وبعد أزمة الاتصال بالضباط ومعارضة الإصلاح الزراعي ٠٠ والخلاف
حول موعد الانتخابات مما يمس دستورية الحكم ٠٠ ظهر خلاف ثالث
حول تعديل الوزارة ٠

كان علي ماهر قد اتفق مع محمد نجيب على أسس تعديل وزارته
التي شكلت في سرعة شديدة عقب تكليفه بذلك من معظم عناصر وزارته
التي أقالها الملك ، وكانما ليظهر أمامه في مظهر المنتصر ٠٠ ثم فوجيء
محمد نجيب بمراسيم التعديل الوزاري وقد صدرت على غير ما اتفقوا
عليه ، إذ حصل علي ماهر على توقيع رشاد مهنا ، معتقدا انه يمثل سلطة
الجيش ٠

ويقول محمد نجيب « يبدو أن علي ماهر في هذه الفترة كان تحت
ضغوط شديدة من بعض رجال الأحزاب والسياسيين القدامى لتعطيل
قانون الإصلاح الزراعي ٠٠ ومن أصدقائه الوزراء الذين اتفقنا معه على
إخراجهم ثم شعر أمامهم بالاحراج ٠٠٠ وكان طموحا في نفس الوقت
لاستمرار الوزارة دون انتخابات محددة الموعد لا يعرف نتيجتها » ٠

ظهر منذ وقت مبكر في حركة ٢٣ يوليو ان مركز القوة والسلطة
قد انتقل الى مجلس القيادة ، وانهم ما كانوا ليطبقوا حكما يتعارض مع
أرادتهم أو يعرقل مشاريعهم ٠

وسلك مجلس القيادة سلوكا يستظهر به قوته ليس أمام علي ماهر
وانما أمام كافة السياسيين ٠٠ إذ أصدر قرارا باعتقال ٦٤ سياسيا يوم
٧ سبتمبر دون الرجوع الى رئيس الوزراء ٠٠٠ وأعلن جمال عبد الناصر
الخبر في اجتماع لمجلس القيادة كان يحضره الدكتور عبد الرزاق
السنهوري وسليمان حافظ ٠

وتحدد بهذا القرار مصير وزارة علي ماهر ٠

وبدأ البحث عن اسم رئيس الوزراء الجديد ٠

ولكن علي صبري همس في أذن جمال سالم وكان حاضرا لهذا
الاجتماع باعتباره سكرتيرا لمجموعة الطيران ٠٠٠ وقال جمال سالم أنه
يجب السنهوري ويعرف قدرته ويعترف بجدارته ويثق في إخلاصه
للحركة كما بدا واضحا في تأييده لقانون الإصلاح الزراعي ولكنه يستسيغ
الصراحة والإخلاص في عرض السبب الذي يجعله مرغبا على العدول عن
ترشيحه -

وكان السبب كما قاله جمال سالم هو ان الأمريكيان سوف يعترضون
على الترشيح لأن بعض الصحف الغربية نسبت اليه في أواخر عهد الملك

السابق وأثناء حكم الوفد أن له ميولا يسارية .. انه رغم يقينه ببطلان هذه التهم ، الا أن مصلحة الحركة - وقد أخذت بعض الصحف في الخارج تنهما بالشيوعية - يقتضى تفادى كل ما من شأنه أن يستغله الأعداء .

ويقول، خالد محيي الدين ان الأمريكيين كانوا قد أبلغوا على صبرى بذلك عندما شعروا باقترب السنهورى من مجلس القيادة ورجوع الأعضاء اليه فى كافة مشاكلهم الدستورية .

وأجاب الدكتور السنهورى فى ثقة هادئة بأنه يقر وجهة نظر جمال سالم بعد ان قال ان الذريعة التى استندت اليها صحافة الغرب فى اتهماته بالشيوعية ترجع الى انه وقع وزملاء له من مستشارى محكمة القضاء الادارى بمجلس الدولة نداء للسلام هو ما عرف فى ذلك الوقت باسم (نداء ستوكهلم) ومضمون النداء لا يعدو أن يكون دعوة لاقرار السلام العالمى ومقاومة أسباب الحروب .

وانهى الدكتور السنهورى كلامه طالبا الانتقال للحديث عن مرشح آخر .

وانتهى الأمر الى الاقتراح بتعيين محمد نجيب رئيسا للوزراء وسليمان حافظ نائبا لرئيس الوزراء .

حدث ما توقع المجلس واستقال على ماهر ، ولكنهم طلبوا منه أن يحتفظ بموقعه رئيسا لوفد مصر فى اجتماعات الجامعة العربية ، وفى وفد مفاوضة الأحزاب السودانية .

خرج آخر رئيس وزراء مدنى بعد فترة حكم امتدت ٤٧ يوما فقط . سقط الحكم المدنى فى مصر شكلا وموضوعا باستقالة على ماهر ... بعد ان سقط الملك من قبل .

كان موقف السياسيين الذين أحاطوا بمجلس القيادة فى هذه الفترة هو أحد الأسباب الرئيسية التى أنهت هذا الحكم .

الاخوان المسلمون وجدوا فرصتهم الفريدة لتحقيق أطماعهم فى القضاء على الوفد بدعوى القضاء على الحزبية والتحزب ... ووثقوا أن شجرة الانقلاب تنمو فى ساحتهم ...

موقف على ماهر من رغبته فى الانفراد بالحكم على غير أسس دستورية أهدر القيم التى كان يمكن أن تكون سندا للارادة الشعبية ... كما أن

ثورة يوليو ج ١ - ٢٤١

تشكيله للوزارة من عناصر ليس لها احترام وتقدير شعبي أضعف من مركز الوزارة عموماً أمام الجماهير ، وجعل كل الأمور متعلقة بشخصه .

فتولى سليمان حافظ وقسم الرأي بمجلس الدولة التي حالت دون دعوة مجلس النواب المنحل للموافقة على الأوصياء كانت ظاهرة بارزة في محاربة الوفد واستخراج تشريعات لا تتماشى مع روح الدستور ولا مع الرؤية السياسية السليمة .

كل هذه الاتجاهات التي أحاطت بمجلس القيادة منذ البداية خلقت شعور استهانة بالدستور ، وأظهر أنه يمكن الالتفاف حوله . . . كما أنها تجاوب مع ما في صدور الضباط عامة من الرغبة في التعبير السريع الحاسم الذي يتناسب مع إيقاع الحياة العسكرية في الجيش .

سقطت واجهة الحكم المدنية . . وتولى اللواء محمد نجيب القائد العام للقوات المسلحة منصب رئيس الوزراء .

لم يصل الضباط إلى السلطة دفعة واحدة . . . ولم يتحول مجلس القيادة فجأة من ضباط إلى وزراء . . . عين محمد نجيب رئيساً للوزراء فكان أول رجل عسكري يتولى رئاسة الوزارة في تاريخ مصر الحديث بعد محمود سامي البارودي وأحمد عرابي . . ولكن أحداً من الضباط لم يشترك في الوزارة .

تم تشكيل الوزارة في يوم واحد ٧ سبتمبر ١٩٥٢ . . . ولم يكن نجيب يعرف معظم الذين اتصل بهم . . . قام بهذه المهمة سليمان حافظ وفتحى رضوان الذي كان قد اجتمع بأعضاء مجلس القيادة بناء على دعوة وجهت إليه ، وكان محور حديثه معهم هجوماً على وزارة على ماهر وبعض شخصياتها الهزيلة .

عرضت الوزارة على محمود محمد محمود وحامد سليمان غالى وعبد الجليل العمرى وإبراهيم بيومى مذكور فاعتذروا فوراً .

وإذا كان هناك نقد يمكن أن يوجه لوزارة على ماهر ومستوى تشكيلها وضعف أفرادها فإن هذا النقد يمكن أن يوجه مضاعفاً إلى وزارة محمد نجيب الأولى التي ضمت سليمان حافظ نائباً لرئيس الوزراء وستة وزراء من الحزب الوطنى ووزيرين من الإخوان المسلمين والباقيين من المستقلين .

وكان غريباً أن تشكل وزارة محمد نجيب الأولى معتمدة على الحزب الوطنى الجديد اعتماداً شبه كامل ، رغم أنه لم تكن هناك صلة ما قد عقدت قبل الثورة بين أى ضابط من الضباط الأحرار وأعضاء الحزب

الوطني الجديد اذا استثنينا عبد العزيز على الذي عين وزيرا للشئون البلدية وكان موظفا في الدرجة الثالثة وله تاريخ في جمعية اليد السوداء النابعة من الحزب الوطني القديم وكانت له صلة بعبد اللطيف البغدادي ومجموعة الطيران .

ولكن مجلس القيادة كان حريصا على عدم صبغ وزارته الأولى بصبغة حزبية سافرة ، كما انه كان حريصا على عدم ظهور الحركة بمظهر انها امتداد لنشاط الاخوان المسلمين . ولذا ضاقت دائرة الاختيار حيث ان كافة المستقلين المعزوفين كانت لهم انتماءات أو صلات مع الأحزاب المختلفة ، والبعض منهم رفض الاشتراك .

ولم ينظر مجلس القيادة الى الحزب الوطني الجديد باعتباره حزبا من الأحزاب التي تحرض الحركة على عدم الارتباط بها . . . لأنه لم يشارك في أية حكومة سابقة قبل ٢٣ يوليو ، كما انه لم يكن للحزب الوطني أي أنصار أو نفوذ سياسي بالقدر الذي يخيف نظاما جديدا ، كما ان المبادئ التي نادى بها الحزب الوطني وظهرت على صفحات (اللواء الجديد) كانت - متناسقة مع المبادئ الستة للضباط الأحرار .

كان معظم الوزراء أسماء جديدة على سمع الجماهير . . ليس لأحد منهم (الا قلة محدودة) تاريخ وشهرة سياسية معروفة ، كما ان تجربتهم في الحكم جميعا كانت جديدة ، فلم يسبق لأحد منهم أن تولى الوزارة عدا الدكتور عبد الجليل العمري الذي كان وزيرا للمالية والاقتصاد في وزارة علي ماهر . . ويلاحظ أن هذا المرسوم كان أول مرسوم يصدر دون أن يقترن الاسم باللقب بعد أن الغيت الألقاب بل ان أحدا منهم لم يكن يحمل رتبة البيكوية سوى سليمان حافظ وعبد الجليل العمري .

وتم اختيار وزيرى الاخوان بعد خلاف في الرأي . . كان قد تم اتصال مع حسن الهضيبي لترشيح وزيرين ، فاقترح الشيخ أحمد حسن الباقورى عضو مكتب الارشاد وأحد اثنين أما أحمد حسنى وكيل محكمة النقض أو محمد كمال الديب محافظ الاسكندرية . . . وتم الاتصال فورا بالباقورى وحسنى .

وبينما هم في انتظار حضورهما اذا بحسن العشماوى ومنير الدلة يحضران موقدين من حسن الهضيبي باعتبارهما مرشحين للاخوان ويقابلان جمال عبد الناصر الذى عرض أمر ترشيحهما على سليمان حافظ الذى اعترض لصغر سنهما ولانه اتصل فعلا بالشيخ الباقورى وأحمد حسنى .

واتصل جمال عبد الناصر بحسن الهضيبي الذي أبلغه أن الترشيح الأول كان ترشيحا شخصيا منه ، وأنه عندما عرض الأمر على مكتب الارشاد قرر ترشيح العشماوى والدلة أو عدم الاشتراك فى الوزارة .
ومع ذلك تم تشكيل الوزارة واضطر الشيخ الباقورى الى الاستقالة من مكتب الارشاد ازاء الموقف الذى اتخذته جماعة الاخوان المسلمين .

اقترن تشكيل الوزارة فى اذهان الجماهير بحركة اعتقال السياسيين . . . ووضع ذلك حدا لهجوم الصحافة على وزارة على ماهر ، وكان أحمد أبو الفتوح رئيس تحرير المصرى قد كتب مقالا نشر يوم ٧ سبتمبر ١٩٥٢ تحت عنوان (الى أين ؟) قال فيه « ان فرحتى لعزل الملك كانت كل أسبابها مستمدة من ان فى زواله تمكينا للحياة الدستورية واسترداد الشعب حقوقه ، لا مجرد كونه سيئ الخلق أو مرتشيا أو ناهبا . . . وفى هذا المقال حذر من تولى الجيش السلطة ، وقال ان سلسلة الأخطاء قد بدأت بافتاء قسم الرأى بمجلس الدولة فى موضوع مجلس الوصاية المؤقت . . . ثم تساءل فى النهاية قائلا « أين أنت أيها الدستور ؟ » .

كانت حركة الاعتقال التى صاحبت تشكيل الوزارة قد تفرعت حتى وصلت الى مختلف الاتجاهات السياسية . . . اعتقل نجيب الهلالى وفؤاد سراج الدين وإبراهيم عبد الهادى وحافظ عفيفى وكريم ثابت وادجار جلاد ومحمد صبيح والبير مزراحى وغيرهم .

كان الهدف من هذه الاعتقالات - على حد تعبير محمد نجيب - هو « تهدئة الجو السياسى الذى ثار فى الأيام الأخيرة لوزارة على ماهر ولكن النتيجة كانت عكس ما توقعنا اذ بدرت الشكوك بين الأحزاب السياسية وبين حركة الجيش . . . ولم يكن هناك مفر من المضى فى الطريق الى غايته » .

وكانت عملية الاعتقال الجماعى غير المبرر ، لها مظهر الاعتقالات التى قام بها البريطانيون عند بدء اشتعال ثورة ١٩١٩ . . . كما أنها كانت موجهة الى مختلف القوى والتنظيمات السياسية ، وليست مركزة على اتجاه واحد . . . الأمر الذى جعل الجيش فى جانب وكافة القوى السياسية فى جانب آخر .

القوة السياسية الوحيدة التى لم تمسها حركة الاعتقالات كانت الاخوان المسلمين . . . تماما كما حدث فى وزارة نجيب الهلالى .

كانت عودة الجيش الى الاعتقالات بعد أقل من خمسين يوما من حركة الافراج التى صاحبت الحركة ، والتى شملت كل المعتقلين حتى الشيوعيين

الذين أفرج عنهم جميعا عدا ١٧ معتقلا ظلوا كخمية تكبر وتجدد ثبعا للظروف دليلا على أن تغييرا هاما فى طبيعة الموقف السياسى قد ظهر فى مصر .

أخذ الجيش يظهر كقوة سياسية لا تستند الى جذور تاريخية أو تنظيمات حزبية وانما تعتمد على الأثر الهائل لعزل الملك ، واصدار قانون الاصلاح الزراعى بعد يومين من وزارة نجيب - ٩ سبتمبر - والذى وجه طعنة شديدة الى الاقطاع والاقطاعيين .

واعتمدت حركة الجيش أيضا على الشعبية التى اكتسبها محمد نجيب بين الجماهير لبساطته الشديدة وابتسامته الدائمة وحيويته المتجددة . . . كانت له جاذبية واضحة .

وقد وجدت جماهير الشعب التى تجاوزت أحلامها وآمالها قدرة النظام الملكى بأحزابه المختلفة ، فى حركة الجيش فرصة للانطلاق نحو مستقبل أفضل . . ولذا كان هذا التأييد الجارف الذى قربت به منذ لحظتها الأولى .

وأدركت الأحزاب السياسية ان انطلاق هذه الحركة التى يقودها المثقفون أبناء الطبقة الوسطى فى الجيش ، وخاصة بعد وصول نظامهم السابق الى طريق مسدود ، سوف يضعف قبضتهم ويبدد سلطتهم ، وينهى مستقبلهم السياسى ، ولذا فانهم تخوفوا منها منذ اللحظة الأولى ، وهرع بعضهم الى لقاء قادتها ، وتسجيل أسمائهم فى سجلاتها ، ومحاولة الارتباط بها والتعرف على قادتها .

وكانت الحركة قد تمت ومصطفى النحاس وفؤاد سراج الدين فى انجازة صيف بسويسرا . . وصلوا جنيف يوم ٢٤ يوليو بعد رحلة بالباخرة ، وفور وصولهما اتصل بهما بعض أعضاء الوفد طالبين منهما العودة . . . وعاد النحاس وسراج الدين بالطائرة وكانت هذه أول مرة يركب فيها النحاس طائرة فى حياته . . تحركت الطائرة من جنيف عصر ٢٦ يوليو قبل أن يعلموا بعزل الملك ، وقد عرفوا ذلك من الطيار الذى أبلغهم به فور سماعه فى الاذاعة .

وصلت الطائرة القاهرة بعد منتصف ليلة ٢٦/٢٧ يوليو وكان فى استقبالهم بالمطار أحمد أبو الفتوح رئيس تحرير المصرى ، والذى كان له معرفة وثيقة برجال القيادة ، وأبلغهم انهم يجب أن يذهبوا لتهنئة رجال الثورة ، وهم مستيقظون طوال الليل فى انتظارهم .

وافق النحاس بعد استشارة فؤاد سراج الدين ، ولكنهما عندما وصلا الى القيادة فى الثانية بعد منتصف الليل وكانت فى صمت مطبق

وليس فيها بادرة تشير الى انتظارهم لزيارة أحد ٠٠٠ وانتظر النحاس وسراج الدين فى غرفة صغيرة بالدور الأرضى ريثما صعد أبو الفتح الى أعلى حيث تأخر أربعين دقيقة صعدا بعدها حيث وجدا محمد نجيب فى مكتبه وحوله ضباط القيادة .

رحب محمد نجيب بمصطفى النحاس واحتضنه ، ولكن تحية الضباط لهما كانت باردة وجافة ٠٠٠ وظل الجميع واقفين حتى انتهت الزيارة .
كُن هذا هو اللقاء الأول والأخير بين مصطفى النحاس وأعضاء مجلس القيادة ٠٠٠ بينما تعددت اللقاءات مع فؤاد سراج الدين بعد ذلك .

كان مصطفى النحاس مقبلا بقلبه على الثورة ، سعيدا بعزل الملك الذى طالما أقال وزارته ، معتقدا ان الحركة قد تمت فى إطار الدستور وانها لن تلبث أن تعيد البرلمان المنحل لتعيين مجلس الوصاية ، ثم تجرى انتخابات جديدة يضمن الوفد فيها أغلبيته المعتادة .

ولكن معظم ضباط مجلس القيادة لم يكونوا من العاطفين على الوفد أو المرتبطين به فكريا اذا استثنينا جمال عبد الناصر وخالد محيى الدين ويوسف صديق ، الذين لم يكونوا متحمسين للوفد ، ولكنهم فى نفس الوقت لم يكونوا فى موقف العداء منه .

كان جفاف المقابلة نابعا من ادراك ضباط القيادة ان الوفد يمثل الخطر الحقيقى على سلطتهم الوليدة ، ونابعا أيضا من تأثير بعضهم بموقف الاخوان المسلمين المعادى للوفد .

كما أن التكوين الطبقي لضباط القيادة كان متنافرا كما ذكرنا مع تكوين قيادات الأحزاب التقليدية التى تولت الحكم ، قريبا الى حد ما من قيادة الأحزاب الناشئة التى تتطلع الى الحكم .

كان وصول الجيش الى الحكم بطبيعة تكوين قياداته مؤشرا الى انطلاق روح وطنية ، وحركة اجتماعية جديدة .

ولم تكن حركة ٢٣ يوليو محصورة فى حدود مطالب اقتصادية أو مهنية خاصة بالجيش ٠٠٠ بل كانت دائرتها أوسع من حدوده ، فامتدت لتشمل المجتمع بكل ما يدور فيه من أحداث وقضايا .

ولعل هذا هو ما دفع الكاتب اجارون كوهيمه الى القول عن حركة ٢٣ يوليو « فى حين ان الحكام التقليديين عاجزون على الاستمرار فى السلطة والطبقة الوسطى أضعف من أن تمسك بها ، والعمال لم ينضجوا بعد لتحقيق هذا الهدف ، لا توجد قوة غير العسكريين قادرة على ملء هذا الفراغ » .

ويعقب روستو على ذلك باعطاء تعريف أكثر تحديدا فيقول « ليس من الدقة القول بأن الجيش يملأ الفراغ ، ومن الأفضل القول بأنه يفتح طريقا محجوزا بالقوة » .

ويقول بيير أزوى بعد ان يوضح ان قوى كثيرة حاولت الاستيلاء على الحكم فى العراق وسوريا ومصر ، ولكنها فشلت فى حين نجح الجيش ... يقول « لا يعنى ذلك انه لا توجد قوى أخرى غير الجيش ، فهذه القوى توجد بالتأكيد ، ولكنها لا تملك القوة التى يملكها الجيش » .

تمت الخطوة الأولى لاستيلاء الجيش على السلطة نتيجة ظروف متعددة :

أولا : تمت حركة يوليو فى توقيت مناسب سليم كان الشعب قد وصل فيه الى ذروة النقمة على الملك ورجال الحاشية ، وحكومات الأقلية التى عطلت الدستور عمليا ، واستندت الى ارباب الأحكام العرفية ... ولذا جاء استقبال الجماهير للحركة معبرا عن التأييد الكامل ، مشجعا الضباط الأحرار على مواصلة السير فى الطريق .

ثانيا : أحزاب الأقلية كانت لافتات تضم فريقا من الاقطاعيين وكبار الرأسمالين بعيدا عن ساحة الشعب ، ولذا فانها مع ظهور الحركة لم تعد أحزابا منظمة ، وانما تحولت الى شخصيات يسلك كل منها سبيلا خاصا يدافع به عن نفسه وعن مصالحه ، ولو على حساب الآخرين .. وهذه الانهيارات كشفت للضباط مدى التفسخ والتمزق الذى كانت تعاني منه هذه الأحزاب ، وسقطت بعض الأسماء الكبيرة بتصرفات صغيرة .

ثالثا : احتفظ الوفد بوحدته ولم يحدث له مثل ما حدث فى أحزاب الأقلية ، ومع ذلك ظل موقفه صريحا وغير واضح ... يؤيد الحرية ، فيشجعها على الاستمرار ، ويرقب الاعتداء على روح الدستور ولا يشن حملة شعبية حول ذلك ... ولعله كان حذرا لعدم قدرته السير فى اتجاه مضاد للتيار الشعبى المتدفق المؤيد للحركة والذى كان يضم بالتأكيد جماهير الوفد الممثلة فى القوى العاملة التى طال بها الحرمان ... ولذا لم تشعر الحركة بجديّة المعارضة ، أو صلابة الموقف المسئول .

رابعا : كان نجاح حركة ٢٣ يوليو هو فرصة الاخوان المسلمين الفريدة للسيطرة على الحكم والسلطة ، فقادتها ليسوا غرباء عن تنظيمهم ، بل انهم نشأوا واستمر اتصال بعضهم به ، وواصل البعض الآخر علاقته الطيبة بهم .. والاخوان يعتبرون انهم شاركوا فى نجاح الحركة عندما كلفوا بعض أعضائهم المسلحين بحراسة دور العبادة وبعض المرافق العامة وأرسلوا فريقا منهم الى طريق مصر - السويس واستنفروا قواتهم فى

منطقة القنال صباح ٢٣ يوليو بعد مقابلة جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين عسماوى وصالح أبو رقيق قبل يومين من الحركة .

وشجع موقف الاخوان المؤيد - وهم ثانى التنظيمات السياسية انضباطا وجمهورية ضباط الجيش على الاستمرار فى مسيرتهم . . . وذلك قبل أن تظهر التناقضات بينهم وبين الجيش فى محاولة التنازع على مركز السلطة .

خامسا : وقفت الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى - أكثر القوى التقدمية تأثرا - موقف التأييد لحركة ٢٣ يوليو منذ اللحظة الأولى ، وكان ذلك أمرا طبيعيا فالمنشورات كانت تطبع عندهم ، ومعظمها يكتب بإيدى الضباط المنضمين اليها ، والمعتقلون الشيوعيون أفرج عن معظمهم . . . وشجع هذا الموقف أيضا ضباط الحركة على الاقتناع بأنهم لا يجابهون معارضة من أى اتجاه .

سادسا : القوى الوطنية التقدمية التى أسهمت بدور بارز فى معركة الكفاح المسلح بالقناة وقفت مع الحركة منذ لحظتها الأولى . . . أحمد حسين رئيس الحزب الاشتراكي وجد فيها طوق النجاة من الاتهام الذى استهدف التخلص منه لحرق القاهرة . وأنصار السلام : أفرج عن يوسف حلمي وسعد كمال لحظة الافراج عن فتحى رضوان . . والحزب الوطنى الجديد اقترب من ضباط الحركة اقترابا شديدا بحيث أصبحوا يشكلون الأغلبية فى أول وزارة يتولاها رجل عسكرى .

سابعا : كان تعاونا الحركة منذ البداية مع على ماهر الرجل الذى عاش حياته مرتبطا بالقوى التى تهدر الدستور وتلغيه . . وسليمان حافظ الرجل القانونى البعيد عن السياسة والذى ارتبط فى آرائه بالحزب الوطنى فاتخذ موقفا جامحا ضد الوفد واستخرج من الدستور تشريعات تتناقض مع روحه لاقامة سد عال أمام عودة الوفد أو اقترابه من الحركة .

كان لذلك أثر بالغ فى عقلية الضباط التى لم تكن قد شكلت بعد على أصول سياسية سليمة . . . وكانوا فى مرحلتهم الأولى أكثر ما يكونون تأثرا بالمحيطين بهم ، قبل أن تصقل آراؤهم الشخصية . وثبت مصالحهم الذاتية والطبقية ، وكان وقوعهم بين على ماهر من جهة وسليمان حافظ من جهة أخرى دافعا لهم على السير فى طريق السلطة مع الاستعانة بالدستور والقوى الشعبية .

ثامنا : كان احتجاج أعضاء مجلس القيادة وإخفاء أسمائهم ومنع الدعاية لهم وبروز اسم محمد نجيب فقط بشخصيته الجذابة ، مثيرا

للحديث عن نكران الذات والعمل بعيدا عن الاضواء ، وباعثا على اقتناع الجماهير بأن الحركة قد قامت على أسس سليمة ، الأمر الذى أحاط الضباط بتأييد جارف فى الأيام الأولى للحركة .

كل هذه العوامل دفعت الضباط الى أخذ الخطوة الأولى على طريق السلطة . . . وهى دليل على ان القوة السياسية القائمة خارج الجيش لم تكن ضعيفة أو متهاكة . . . ولكنها كانت مشتتة بين التأييد المطلق أو التحفظ فى المعارضة حتى لا تسير ضد التيار الشعبى . . وان ارادة الجيش قد تبلورت فى الاستيلاء على السلطة يوما بعد يوم ، كلما ضعفت شخصيات وأحزاب المعارضة أمام الاجراءات التى اتخذت والدعاية المكتسبة التى صاحبت الحركة .

ويمكن تلخيص ذلك فى القول بأن الجيش كان يملك القوة التى تستطيع أن تحسم له الأمر فى شق طريقه ، وانه لم يواجه معارضة شعبية تجبره على الابتعاد عن هذا الطريق . . . كما ان انطلاق الجيش للعمل خارج حدود طبيعته التى خلق لها ، تشبه تماما أسطورة خروج المارد من (القمقم) وصعوبة عودته اليه .

كانت الخطوة الأولى نحو السلطة هى تعيين قائد مجلس القيادة رئيسا للوزراء . . . وتبعتها خطوات أخرى .

الباب الرابع

● سنوات الصدام

الفصل الحادى عشر القضاء على الاقطاع

(سقط حق الملكية المقدس فى مصر لأول مرة
بعد سبعة آلاف سنة من تاريخ مصر المكتوب
ولصالح الفلاحين) .

الفصل الثانى عشر إلغاء الدستور وحل الأحزاب

(أصبح لزاما أن نغير الأوضاع التى كادت
تودى بالبلاد والتى كان يسندها ذلك
الدستور الملى بالثغرات ٠٠٠ وهانذا أعلن
باسم الشعب سقوط الدستور ٠٠٠ دستور
١٩٢٣) .

محمد نجيب

١٠ ديسمبر ١٩٥٢

الفصل الثالث عشر اعتقال الشيوعيين

(أنا برى ٠٠٠ أريد إعادة محاكمتى) .

العامل مصطفى خميس

قبل الإعدام

الفصل الرابع عشر حل الإخوان المسلمين

(أنا على ثقة من أن الغرب سيقتنع بمزايا
الإخوان المسلمين وسيكف عن اعتبارهم
شيئا مفزعا كما حاول البعض أن يصورهم)

حسن الهضيبي

المرشد العام للإخوان المسلمين

(أن حسن الهضيبي كان حريصا على حسن
العلاقات معنا) .

انطوني ايلدن
في مذكراته

الفصل الخامس عشر صدام الضباط

(كان ١٥ يناير ١٩٥٣ نقطة تحول في تاريخ
وتقاليد الجيش المصرى . . اذ دخل الضباط
برتبهم وملابسهم العسكرية معتقلين الى سجن
الأجانب) .

الفصل السادس عشر الصدام الأخير

الفصل الحادى عشر

سنوات الصدام

القضاء على الاقطاع

(سقط حق الملكية المقدسة فى مصر لأول مرة
بعد سبعة آلاف سنة من تاريخ مصر المكتوب)

كان تعيين اللواء محمد نجيب رئيسا للوزراء ووزيرا للحربية وقائدا
عاما للقوات المسلحة دليلا على أن حركة ٢٣ يوليو قد بدأت الاستيلاء على
السلطة الفعلية ، قبل أن ينقضى عليها أكثر من شهر ونصف تقريبا .

واعتمدت الحركة فى توطيد مركزها على الشعبية الجارفة التى حازتها
بعد عزل الملك فاروق ، وفضح مفاصد النظام المنهار ومبازله ، وتطلع
ال جماهير الى حكم جديد يرفع عنها قبضة الاستغلال ويحقق آمالها فى مجتمع
نظيف .

ولم تعتمد الحركة على التأييد الذى صاحب مولدها فقط ، ولكنها
بادرت بتنفيذ مشروعات جديدة ، جعلت منها أساسا لانطلاقها ، ومركز
جاذبية لها .

ولم تصبى الوزارة الجديدة وقتا لاعداد هذه المشروعات ولكنها كانت
جاهزة ومعدة فى الملفات ٠٠ بل ان بعضها كان مصدرا للخلاف مع على ماهر

وهو ما ظهر فى قانون الاصلاح الزراعى الذى أصدرته الوزارة الجديدة فور تعيينها يوم ٩ سبتمبر ١٩٥٢ •

هذا المشروع وغيره من المشروعات التى سنتحدث عنها كانت تحمل التأييد للحركة فى نفس اللحظة التى سببت فيها الصدام الفعلى مع قوى اجتماعية وسياسية مختلفة •

ويمكن القول بأن الحركة قد دخلت بهذا المشروع (سنوات الصدام) وكان هذا ضرورة وحتمية تاريخية ، يفرضها وثوب الطبقة الوسطى الى مقاعد الحكم •

والاصلاح الزراعى لم يكن أمرا جديدا فى واقع الحياة المصرية ٠٠٠ بل ان أصواتا ارتفعت تطالب بتحديد الملكية على صفحات الصحف وداخل قاعة البرلمان فى فترة حكم فاروق •

مررت غالى نشر كتيباً قدم به مشروعا عن الاصلاح الزراعى يتضمن تحديد الملكية بمائتى فدان بعد أن تستولى الحكومة على ما يزيد عن هذا الحد من الملكيات القائمة •

وصادق سعد أحد كتاب مجلة (الفجر الجديد) الماركسية أصدر كتيباً عام ١٩٤٥ باسم (مشكلة الفلاح) عرض فيه حالة الفلاحين فى مصر من وجهة النظر الماركسية وحدد ثلاثة مطالب للاصلاح الزراعى هى :

١ - تحديد الملكية الزراعية وتوزيع ما يزيد عن خمسين فدان على الفلاحين الفقراء ••

٢ - تشجيع زيادة الانتاج عند هؤلاء الفلاحين عن طريق تشجيع الجمعيات التعاونية الانتاجية •

٣ - حماية الطبقة الفلاحية باصدار التشريع الفلاحى •

وتقدم محمد خطاب عضو مجلس الشيوخ وعضو الهيئة السعدية بمشروع لتحديد الملكية بحد أقصى خمسين فداناً على أن يتم دون تأميم أو مصادرة وإنما يتم على مدى الأجيال بتفتيت الوراثة وعدم السماح بزيادة الملكية •••

كان هذا المشروع قد أثار انتباهى فكتبت رسالة الى محمد خطاب الذى رد على فوراً بدعوتى الى منزله فى شارع الطلبات بجاردن سيتى لمناقشة المشروع •• ثم دعانى أيضاً لحضور جلسة مجلس الشيوخ التى عقدت لمناقشته يوم ٢٦ يونيو ١٩٤٥ وفوجئت هناك بضراوة هجوم

أعضاء المجلس على محمد خطاب واتهامهم لمشروعه بأنه (بولشفية)
يجب بترها .

أحيل المشروع الى لجان لدراسته ولكنه بقي معلقا حتى خرج محمد خطاب من مجلس الشيوخ فرفض النقرأشى تعيينه مرة أخرى في المجلس ، ولما رشح نفسه عام ١٩٤٧ في عابدين أسقطته الحكومة وكان محمد خطاب قد حاضر بنفسه في (دار الأبحاث العلمية) بعد ان لمس بنفسه عن الرجعية والاقطاعية .

وكان رأى الوفد في مشروع تحديد الملكية الذى عبر عنه محمد صبرى أبو علم سكرتيره العام وزعيم المعارضة في مجلس الشيوخ هو قوله « ان مواجهة الظروف الاجتماعية هي التي حدثت بمقدم المشروع الى تقديمه وفي الحق انه بذل جهدا مشكورا في دراسة صوغه وإعداده وقد اطلعت على بعض محاضر اللجنة وفهمت أنه قد أعد له كثيرا من الوثائق وكثيرا مما يبرره » .

هذا الموقف المتعاطف مع المشروع لم يستمر طويلا ، فانه بعد هجمة صدقى باشا على الوطنيين عام ١٩٤٦ وتوجيه تهمة الشيوعية لعدد كبير من المفكرين والأدباء والصحفيين وتعطيل عدد من الصحف والمجلات منها (الوفد المصرى) وقف صبرى أبو علم ينفى تهمة الشيوعية عن الوفد ، ويدلل على ذلك بأنه كان قد اتفق مع محمد حسنين هيكل رئيس مجلس الشيوخ على تحويل مشروع محمد خطاب الى لجنة يدخل بعدها في متاهات لا تنتهى وقد تم ذلك فعلا حتى خرج محمد خطاب نفسه من مجلس الشيوخ ومن الهيئة السعدية أيضا .

ورغم ان محمد خطاب لم يدع في المشروع الى المصادرة أو التأميم وإنما دعا الى الحد من تضخم الملكية الزراعية ووقف نموها الاقطاعى في حدود احترام الدستور الذى كانت تنص المادة التاسعة منه على « ان الملكية حرمة فلا ينزع من أحد ملكية الا بسبب المنفعة في الأحوال المبينة في القانون وبالكيفية المنصوص عنها فيها » وبشرط تعويضه تعويضا عادلا « فان المعارضة له كانت عنيفة وحاسمة من جانب الاقطاعيين والحكومة الذى وجدوا في الحديث عن تحديد الملكية صدمة شديدة لهم » .

ولم يكن مشروع محمد خطاب هو نهاية الحديث عن اصلاح الزراعى قبل ٢٣ يوليو داخل البرلمان النائب ابراهيم شكرى عضو حزب مصر الفتاة (أو الاشتراكي) فيما بعد قدم مشروعا لمجلس النواب مطالبا بتحديد الملكية بخمسين فدانا وذلك تجاوبا مع برنامج الحزب الذى صدر عام ١٩٤٩ .

ولكن المشروع لم ير النور أيضا •

كان موقف الاقطاعيين من هذه المشروعات فى غاية الضراوة والشراسة وفى مقدمتهم الملك فاروق الذى ورث عن والده فؤاد ١٥ ألف فدان زادها الى ٤٨ ألف فدان وسيطر على نحو ٤٥٠٠٠ فدان من اراضى الأوقاف ، اغتصب الكثير منها من وزارة الأوقاف « وقف اسماعيل والوادى والمنتزه وقولة وحفظة الألفية » •

هذا رغم أن الطبقة الاقطاعية لم تكن ضاربة الجذور فى أعماق التاريخ المصرى •• ولم تكن لها تقاليد العائلات الاقطاعية الأوروبية التى ما زالت قائمة حتى الآن فى اسبانيا مثلا •

تاريخ الاقطاع فى مصر يعود الى ثلاثينيات القرن التاسع عشر عندما أعاد محمد على توزيع الاراضى الاميرية على أقاربه وكبار الأعيان والموظفين وضباط الوحدات الكردية والجركسية والتركية وزع خلال مدة قصيرة مئات الألوف من الأفدنة مع من كان يقطنها من الفلاحين ، ومن ثم صار ملاك هذه الأرض يدفعون ضريبة العشر منذ عام ١٨٥٤ أى منذ أقل من مائة عام فقط ••• وهكذا بعدما حرم محمد على الأشراف الاقطاعيين القدماء من ممتلكاتهم ونقودهم وبعد ان صفى طبقة الملتزمين أنشأ على انقاضهم طبقة جديدة من النبلاء الاقطاعيين الذين أصبحوا سند الأسرة الحاكمة الجديدة •

كان الخديوى اسماعيل مثلا يملك يوم توليه الحكم ١٥ ألف فدان • وأصبح بعد ١٧ سنة يملك ٥٩٠ ألف فدان استولت عليها الحكومة بعد عزله •• وكان الملك فؤاد يملك عند توليه الحكم عام ١٩١٧ ثمانمائة فدان بلغت يوم وفاته عام ١٩٣٦ حوالى ٢٨ ألف فدان •

وهكذا اتسعت هذه الطبقة وزادت سيطرتها على الأرض حتى ان ٢٧ مالكا من أسرة محمد على كانوا يمتلكون حوالى ١٤٣ ألف فدان خلاف اراضى الأوقاف ••• أما الملك والأسرة والأوقاف والأصهار فكانوا يمتلكون عام ١٩٣٩ حوالى نصف مليون فدان ، وكان ١٣٠٠٠ مالك يمتلكون حوالى مليونين ونصف مليون فدان من اجمالى الأرض الزراعية البالغة ستة ملايين فدان •

ويوضح الإحصاء التالى صورة لما كان عليه توزيع الأرض فى مصر قبل عام ١٩٥٢ •

فئات الملكية	جملة الأطنان بالفدان	عدد الملاك
فدان وأقل	٧٨٠ر٢٤٦	١٩٨١ر٣٣٩
من فدان الى عشرة	١ر٨٥٥ر٠٥٤	٦٩٨ر٨٧٩
من عشرة الى خمسين	١ر٢٩١ر٣٥٥	٦٨ر٥٥٨
من خمسين الى مائتين	٨٨١ر٥١٤	٩ر٧٧٠
من مائتين الى ألف	٧٠٧ر٥٦٥	١ر٩٢٧
فوق ألف فدان	٤٤٦ر٩٩٨	١٨٨
الجملة	٥ر٩٦٢ر٦٦٢	٢ر٧٦٠ر٦٦١

ومن هذه الاحصائيات تتضح صورة الهرم المقلوب للملكية الزراعية ، ومظهر الاقطاع المتكاثف في مصر .

وكانت هذه الطبقة التي استند الاستعمار على زعمائها في فرض سيطرته على مصر قد ثبتت في نفوس الفلاحين ان ملكيتهم تعتبر حقاً ربانياً لا يجوز الاعتداء عليه ، وقد تبني هذه العقيدة وروج لها أيضاً الاخوان المسلمون الذين لم يطالبوا مطلقاً بتحديد الملكية وانما طالبوا على لسان مرشدكم حسن الهضيبي المشرف على أطيان الملك عندما سألته مندوب صحيفة (شيكاغوريلي نيوز) في ابريل ١٩٥٢ عن الاصلاح المطلوب بالنسبة للفلاحين فقال « يجب الا يسمح للملاك الأراضى بأن يؤجروا أراضيهم للفلاحين نظير مبالغ ثابتة بحيث اذا طرأ ما يؤثر في المحصول وقع الفلاحون في الدين ، يجب أن يقوم ايجار الأرض على أساس نصيب غلتها وبهذا يحصل المستأجرون على الأقل على جزء من مجهودهم » .

هكذا كانت نظرة الاخوان المسلمين للقضية الاجتماعية والمشكلة الزراعية قاصرة ومؤيدة لكبار الملاك ... اذ انه في الوقت الذي أدلى فيه حسن الهضيبي بهذا الحديث كانت شكاوى الفلاحين قد ارتفعت من نظام المزارعة الذي ينهب عرق الفلاحين .

لم يتحدث الاخوان المسلمون مطلقاً عن (تحديد الملكية) بل ان موقفهم من استمرار الوضع كما هو عليه كان صريحاً بلا لبس ... رغم ما حدث في المجتمع من انتفاضات قام بها الفلاحون احتجاجاً على أسلوب الاقطاعيين غير الانساني .

في يونيو عام ١٩٥١ اشتكى الفلاحون في (كفور نجم) حيث كان الأمير محمد على ولى العهد يمتلك ٧٠٠٠ فدان من ارتفاع الايجارات دون جدوى ، فعبروا عن احتجاجهم بحرق المحاصيل وماكينات الري والسواقي ... ورد البوليس على ذلك بحملة ادهابية اقتحم فيها بيوت الفلاحين واعتقل منهم خمسة ثم دبر مقتل زعيمهم (عنانى أحمد عواد) فور خروجه من المعتقل .

وفى (بهوت) احدى قرى عائلة البدر اوى اقتحم رجال العائلة بيوت الفلاحين يستولون على متاعهم سدادا للايجار وضربوا من وكلهم الفلاحون دفاعا عن مطالبهم ، فتجمع اهل القرية حول قصر البدر اوى صاحبين فقتل المالك اُحدهم فثارت نائرتهم وطلوا يحصبون القصر بالحجارة وأشعلوا النار فى أجران القمح فلما أسرع عميد العائلة (سيد البدر اوى) الى بهوت قادمًا من مقره الأساسى فى (درين) القى الفلاحون عليه الحجارة فقدم نحو ٥٠٠ جندي حاصروا القرية وأعملوا الضرب فى الفلاحين وزجوا بخمسين منهم فى السجن .

وفى قرية (أبو الفيظ) كانت الأوقاف تؤجر أرضها الى صغار الفلاحين ثم قررت أن تطرد ٥٠٠ منهم من الأرض لتؤجرهم جملة الى صهر وزير التموين ، فنشبت معركة بين الفلاحين والبوليس قتل فيها ١٢ فلاحا .

وفى (ميت فضالة) ضرب الفلاحون عن جمع القطن لما وجدوا أن المطلوب منهم سداده يفوق ثمن المحصول ذاته فقبض على تسعة منهم عذبوا فى السجن ومنع عنهم الطعام والشراب . فتجمع الفلاحون فى القرية صاحبين . فلما أطلق أحد الضباط النار عليهم هجموا على التفيتش. فاحتل البلدة ٧٠٠ جندي وأعتقل الكثير من الفلاحين .

تعددت انتفاضات الفلاحين وزاد معدلها خلال عام ١٩٥١ وبدأت الأرض تهتز تحت أقدام الاقطاعيين وكان الخطر من انطلاق قوة جماهير الفلاحين موضع خشية السلطة فى مصر والاستعمار أيضا .

بل ان الولايات المتحدة كانت ترقب هذه الانتفاضات التى وصلت (الفلاح المصرى) فى حذر شديد ، لأنها رأت فيها ارهاصات ثورة شعبية جامحة يمكن أن تنتهى الى تغييرات اجتماعية جذرية . تتناقض فتعارض فى واقعها مع أهداف الاستعمار والامبريالية العالمية .

ولذا كانت فكرة (الاصلاح الزراعى) واردة فى أحاديث المسئولين الأمريكيين الذين تدفقوا على مصر بعد حريق القاهرة .

كانوا يطلبون (اصلاحات) اجتماعية تمنع اشتعال (ثورة) شعبية ...

وانبرى الدكتور أحمد حسين أحد المقتنعين بهذه السياسة والشديد القرب من الأمريكيين يدعو الى الاصلاحات الاجتماعية ، ويشكل (جمعية الفلاح) ، ويطلب من على ماهر أن يدعو الملك الى التنازل عن نصف أرضه للشعب .

طالب أحمد حنين الدولة بالتدخل لوضع حد أدنى لأجور العمال ..

وقد خدع هذا الاتجاه البراق الجديد بعض الصحفيين فكتب احسان عبد القدوس في روز اليوسف خلال شهر مايو ١٩٥٢ يشيد بالدكتور أحمد حسين ويدعوه الى تحويل (جمعية الفلاح) الى حزب ولكن الدكتور أحمد حسين فضل الا يحول جمعياته الى حزب حتى لا تصطدم بالأحزاب الأخرى وحتى يتاح للموظفين والمثقفين والاداريين فرصة الانضمام اليها ..

هذا في الوقت الذي اكتشف فيه اليساريون ان مثل هذه الجمعية انما تستهدف اطلاق البخار من المرجل الشعبي حتى لا ينفجر في وجه الاستعمار فاطلقوا عليها اسم (جمعية الفلاح الأمريكي) وذلك لما أحاط بالدكتور أحمد حسين من سمعة تربط بينه وبين المسئولين الأمريكيين المتدققين على مصر .

ووضح من اتصالات الأمريكيين برجال السياسة المصرية ان الاصلاح الزراعي كان أحد العروض التي يقترحونها كما روى مصطفى مرعي عندها اتصلوا به قبل ٢٣ يوليو ، ورفض الموافقة على فكرتهم في تحديد الملكية عن أى طريق يتعارض مع الدستور . واقترح تطويرا لمشروع محمد خطاب .

وعندما تحركت قوات الجيش ليلة ٢٣ يوليو كانت تحمل (القضاء على الاقطاع) هدفا من أهدافها ولكنها لم تكن قد أعدت لذلك مبرورا أو خطة متكاملة . ولم تكن فكرة القضاء على الاقطاع نابعة من فكر أمريكي .

الفكرة الأولى نبتت في الاجتماعات الأولى لمجلس الثورة ، واستدعى من أجل ذلك الدكتور راشد البراوي الاستاذ بكلية التجارة بجامعة القاهرة ، والذي كان معروفا للضباط بكتبه التي كتبها عن الشرق الأوسط . والذي كان مادة من مواد امتحان القبول في كلية أركان الحرب حيث كان يقضى أجازته في الاسكندرية . وقد قابلته في مكتبه الصغير بجريدة (الزمان) ثم حضر معي الى القاهرة واستقبله كمال الدين حسين في المحطة ، وذهب به مباشرة الى اجتماع لمجلس القيادة حضره أحمد فؤاد أيضا ، وفي هذا الاجتماع أوكل الى جمال سالم مسئولية متابعة مشروع الاصلاح الزراعي مع الدكتور البراوي وأحمد فؤاد .

ولم تكن فكرة المشروع محل موافقة جماعية من جميع ضباط مجلس القيادة . . . محمد نجيب اعترض عليه في البداية لأنه يعتمد الى تأميم الأرض ومصادرتها وهو ما يتنافى - في رأيه - مع روح الدستور الذي أعلنت الحركة قيامها في ظله . . . كما انه كان ميالا الى فرض ضريبة نضاعدية لا تجبر الدولة على خلق أجهزة ادارية معقدة لتنفيذ المشروع .

ولكن اتساع المناقشة أوضح له ان قانون الاصلاح الزراعى لا يستهدف ضرب الاقطاع بزيادة أعبائه المادية فقط ، وانما يستهدف تحرير الفلاح الذى يعيش فوق الأرض تابعا لصاحبها ٠٠٠ الأمر الذى يخلق قوة سياسية للاقطاعيين بنفوذهم على الفلاحين .

وهنا وافق محمد نجيب على مشروع الاصلاح الزراعى بلا تردد . وعرض جمال سالم صيغة المشروع التى أعدها مع البراوى وأحمد فؤاد على الدكتور عبد الرازق السنهورى وسليمان حافظ الذى قال فى مذكراته ان السنهورى قد رحب بالفكرة « فقد كانت له نزعة واضحة الى الاشتراكية وضع فى ظلها مشروع تنقيح القانون المدنى فجاه اشتراكى الطابع » .

وشكل السنهورى لجنة رأسها وعكفت تعمل بضعة أيام ليلا ونهارا حتى أنجزت مشروع القانون وعرضه مجلس القيادة على على ماهر الذى أبدى موافقته عليه من ناحية المبدأ . ولكنه لم يعرضه على مجلس الوزراء لما قبل به القانون من نقد ومعارضة الاقطاعيين من مختلف الاتجاهات .

وتأرجحت فكرة على ماهر بين الضريبة التصاعدية وبين تطبيق القانون ٠٠٠ وعقد لذلك مؤتمرا موسعا برئاسة مجلس الوزراء حضره محمد نجيب وجمال سالم وصلاح سالم وعبد الجليل العمري وعبد الرازق السنهورى وعضوا مجلس الوصاية بهى الدين بركات ورشاد مهنا وسليمان حافظ وراشد البراوى .

وانقسمت الآراء حول المشروع ٠٠٠ وقف فى جانب الضريبة التصاعدية عضو مجلس الوصاية فقط ثم أعلن رشاد مهنا اذعانه لقرار الأغلبية ٠٠٠ وعند مناقشة الحد الأعلى للملكية كان هناك اتجاه عند على ماهر لرفعه الى خمسمائة فدان ولكن الاحصاءات أثبتت انهم لا يزيدون عن ٨٠٠ مالك الى جانب اتساع الرقعة ، بينما يبلغ عدد الذين يملكون أكثر من ٢٠٠ فدان حوالى ٢١٦٠ مالك .

كان مفروضا بعد هذا المؤتمر أن يصدر المشروع ٠٠٠ ولكن على ماهر انحاز الى جانب الاقطاعيين الذين حاولوا تشكيل رابطة لهم ثم حاصروه بأرائهم وانتقاداتهم ، فعمد الى التهمل والمراوغة وكانت النتيجة حسم قضية خروجه من الوزارة .

وكان اسراع محمد نجيب فى اصدار القانون تعبيرا صريحا عن ارادة الجيش واسلوبه فى معالجة الأمور ٠٠٠ وقد ذكرنا ان أبناء الأسر الاقطاعية لم يكن لهم مكان فى صفوف ضباط الجيش .

ويذكر في هذه المناسبة ما أعلنه أحد ضباط الثورة العراقية من أن الأرض سوف تكون ملكا لمن يفلحها . . . وأن هذا الاتجاه قد أحدث نفورا عند كبار الملاك أوردته لورد كرومر في مذكراته على لسان السير كوكس عندما أبلغه « أن الاضطراب وعدم الاستقرار في المديريات دفعا الأعيان وغيرهم من ذوي الأملاك إلى التحلل من التحالف الذي تسرعوا في عقده مع الحزب العسكري وإلى محاولة التخلص من سيطرة هذا الحزب » . وهكذا حدث أيضا بعد سبعين عاما . . . فقد هز صدور القانون طبقة الاقطاعيين ، رغم انه لم يصدر كما ورد في مشروع البراوى وأحمد فؤاد . . . إذ أمر عبد الجليل العمري على زيادة الحد الأقصى للملكية ١٠٠ فدان تخصص للأبناء مع حق المالك في التصرف بالبيع . وكان ذلك شرطا لدخوله وزارة محمد نجيب .

قدر القانون ثمن الفدان من الأرض المستولى عليها بعشرة أضعاف القيمة الإيجارية . . . وقدرت القيمة الإيجارية بسبعة أمثال الضريبة المفروضة على الفدان .

وأجاز القانون للمالك خلال خمس سنوات أن يتصرف بنقل ملكية ما لم تستول عليه الحكومة من أطيانه الزائدة على مائتي فدان إلى صغار الزراع الذين تكون حرفتهم الزراعة ولا يزيد ما يملكه كل منهم على عشرة أفدنة .

ويعتبر القانون بذلك متواضعا إذا قورن بما طبق على دول الديمقراطية الشعبية أو في بعض الدول الرأسمالية مثل اليابان . عقب الحرب العالمية الثانية إذ لم تزد جملة ما صودر من الأرض عن ٦٠٪ فقط بينما بلغ الحد الأقصى للملكية ٧٥ فدان في اليابان وخمسين فداناً في عدد من الدول .

ومع ذلك فقد بدأ الصدام بين الطبقة الوسطى ممثلة في الجيش وطبقة الاقطاعيين عند بدء تنفيذ القانون كما حدث في الأسبوع الأول من اعلانه بمدينة أحميم عندما تصدى النائب السابق عدلى للموم لممثلي الحكومة رافضا تسليم أرضه .

وجاء رد الجيش سريعا متناسبا مع طبيعته إذ شكل مجلس عسكري لمحاكمة عدلى للموم ابن الأسرة الاقطاعية الكبيرة في الفيوم المدينة التي حاول المقاومة فيها . . . وصدر الحكم عليه بالسجن المؤبد .

رأس المجلس العسكري حسين الشافعى وكان الأعضاء البكباشية عبد المحسن أبو النور وحسن فكرى الحسينى والصاغ أحمد عبد الله طعيمة واليوزباشى فتح الله رفعت والمدعى العام الصاغ عبده مراد .

السرعة في مجابهة الصدام في موقعه ومحاكمة عدلى للموم أوقفت
محااولات أخرى كان يمكن أن تحدث في مناطق الاقطاع .

وتراجع أفراد الطبقة الاقطاعية المسيطرة على قيادات أحزاب الأقلية
ورجال الرأي ، وبعض أعضاء الوفد ٠٠٠ وآثروا السلامة بتسليم الأرض .
كانت الطبقة الاقطاعية قد اهتزت وأصبحت أعجز من أن تقاوم هذا
المد الثورى المنبعث من صفوف الجيش .

ولذا لم يكن الصدام عنيفا ذا صوت مسموع ٠٠٠ بل انهم فضلوا
الانحناء للعاصفة حتى تتاح لهم فرصة أخرى يقتربون فيها من مركز
السلطة .

ولو كان هذا القانون قد صدر في بلد آخر لما كان له تأثير مثلما
حدث في مصر ، وذلك لارتفاع نسبة الفلاحين بين السكان كما يتضح
في المقارنة التالية :

الدولة	نسبة الفلاحين الى السكان
انجلترا	٣٣
أمريكا	١٢٥
المكسيك	٦٠٨
فرنسا	٢٧٥
مصر	٦٥٤
باكستان	٧٩٥
الهند	٧٣٩
تركيا	٨٥٧

الأغلبية العظمى من السكان في مصر تطلعت اذن الى مشروع الاصلاح
الزراعى ووجدت فيه طوقا للنجاة مما يعانون منه .

سقط حق الملكية المقدسة في مصر لأول مرة بعد سبعة آلاف سنة
من تاريخ مصر المكتوب .

ولم يجرؤ صوت واحد على الارتفاع معارضا هذه الخطوة التى هزت
الوانح الاجتماعى للمجتمع وأظهرت أن هناك مقدسات يمكن أن تتحطم
لمصلحة أفراد الشعب .

كانت الحركات الشيوعية والأحزاب الوطنية التى لم تصل مقاعد
الحكم قبل ٢٣ يوليو (الاشتراكي والوطن الجديد) أشد التنظيمات

السياسة حماسا للمشروع ٠٠٠ أما الاخوان المسلمون فلم يسمع لهم بعد صدوره رأى معارض ولا رأى مؤيد ٠

أما الوفد فقد صاحب اعلان موقفه موجة من الضباب والدعاية المضادة ، ومعروف ان الوفد كان قد قرر مبدأ الضريبة التصاعدية ، وضاعف فى وزارته عام ١٩٥٠ جميع الضرائب بما فيها الضرائب العقارية لتزيد ١٠٪ ووصل فى ضرائب الشركات الى ٩٠٪ فى الفئات العالية ٠

وكان الاعلان عن قانون الاصلاح الزراعى مفاجأة لأعضائه الذين ينتسب عدد منهم الى الطبقة الاقطاعية ٠ فبدأوا يتلمسون الحوار مع رئيس الوزراء على ماهر ومع ضباط القيادة للتعرف على أبعاد القانون ٠

وكان فؤاد سراج الدين قد طلب تحديد موعد مع محمد نجيب عقب عودته من أوروبا ٠ ولكن أحد أقاربه اليوزباشى عيسى سراج الدين (السفير فيما بعد) دعاه الى منزله فى الزيتون لمقابلة جمال عبد الناصر وجمال سالم وصالح سالم وحضر أحمد أبو الفتوح جانباً من الاجتماع الذى امتد من الخامسة مساء حتى الواحدة بعد منتصف الليل ٠

دار الحوار فى هذه الجلسة حول تحديد الملكية وحاول فؤاد سراج الدين اقناعهم بفكرة الضريبة التصاعدية ٠ ولكن الاجتماع الفص دون الوصول الى رأى موحد وعلى ان يلتقوا مرة ثانية بعد أسبوع ٠

وفى اليوم المحدد للاجتماع الثانى ، وفؤاد سراج الدين فى طريقه من الاسكندرية للقاهرة قرأ خبراً نشره مصطفى أمين فى ملحق (آخر لحظة) التابع لمجلة (آخر ساعة) وفيه يقول ان فؤاد سراج الدين قد صرح بأنه وضع ضباط القيادة فى جيبه وتوقع فؤاد بعد قراءته للخبر الغاء الاجتماع وقد كان ٠٠ فقد اتصل به أحمد أبو الفتوح ليبلغه ذلك ٠

ولم يشأ ان يترك موقفه من قانون الاصلاح الزراعى غامضاً فأدلى فؤاد سراج الدين بتصريح لجريدة المصرى يوم ٦ سبتمبر ١٩٥٢ قبل تولى نجيب الوزارة وقبل اعتقاله بأيام قال فيه بالتحديد :

(ان الوفد وافق على مبدأ تحديد الملكية الزراعية من حيث المبدأ وله ملاحظات وتعديلات على المشروع الذى نشر وقد سبق ان أبلغنا تلك الملاحظات الى الجهات المسئولة فى أسرع وقت) ٠

ثم استطرد مصرحاً :

(اننا نوافق على المبدأ الذى هو صميم المشروع أما ملاحظتنا فهى مقصورة على التفاصيل فقط دون الجوهر) ٠

وتأكد موقف الوفد بعد ذلك عندما أصدر برنامجه الجديد يوم ٢١ سبتمبر ١٩٥٢ وفؤاد سراج الدين في المعتقل يقول فيه (الموافقة على مشروع تحديد الملكية باعتباره يهدف للعدالة الاجتماعية ويقرب بين الطبقات) .

هكذا كان موقف الوفد . . . موافقة على المبدأ ومناقشة للتفاصيل ثم قبولا للمشروع بعد صدوره . . . ولكن صحافة الاثارة (أخبار اليوم) التي حاربت الوفد في عهد الملك ظلت تحاربه بعد الحركة بأسلوب الأخبار المثيرة لمشاعر الضباط لتخلق هوة عازلة بينهم وبين الرشد ، الحزب الذي ينتمي اليه معظم أبناء الطبقة الوسطى ، التي انبثق منها الضباط الأحرار .

هكذا انتهى الصدام الأول لحركة الضباط الأحرار مع الطبقة الاقطاعية في مصر ، وصدر قانون الاصلاح الزراعى الذى حدد الملكية دون دعاء . . . فقد كان الموقف ناضجا لذلك تمام النضوج والجاهزية مهياة لاستقبال القانون بترحيب شديد .

وكسبت حركة الضباط الأحرار نصيدا كبيرا بهذه الخطوة الاجتماعية الهامة التى حددت موقفهم من قضية التطور الاجتماعى فى مصر واكسبتهم تأييدا جماهيريا واسعا ، تفرغت معه الحركة للدخول فى صدامات جديدة . . . فقد كانت هذه هى فاتحة (سنوات الصدام) .

الفصل الثانى عشر

الفصل الدستور وحل الأحزاب

على قدر ما كان الصدام الأول سهلا ومؤثرا بالايجاب فى الحركة السياسية والاجتماعية بمصر ٠٠ على قدر ما كان الصدام الثانى صعبا ومتعدد الجبهات وذا تأثير معقد فى محصلته النهائية ٠

أدى الصدام الأول الى توجيه ضربة شديدة للطبقة الاقطاعية وانهيار الأسس الاقتصادية التى كانت تستند اليها ٠٠٠ أما الصدام الثانى فقد بدأ مبكرا مع الأحزاب والتنظيمات السياسية وتم على مراحل زمنية مختلفة انتهت الى الصدام مع الاخوان المسلمين ٠

وضح من خطوات الحركة الأولى أنها لا تستند الى قوة حزبية أو سياسية معينة ٠٠٠ وانها حركة خاصة منبعثة من صفوف الجيش ذات طابع مستقل ولها صلات متعددة مع عدد من التنظيمات السياسية المتباينة الاتجاهات ٠

اعتقد الناس وكثير من قادة الأحزاب مما جاء فى البيان الأول للحركة من القول باسم محمد نجيب ٠ وانى أؤكد للشعب المصرى أن الجيش اليوم كله أصبح لصالح الوطن فى ظل الدستور مجردا من أية غاية ٠

ولكن البيانات التى صدرت بعد ذلك أظهرت ان تدخل الجيش كانت له بداية وليست له نهاية ٠

صدر بيان من القيادة العامة يوم ٣١ يوليو ١٩٥٢ جاء فيه :
« والجيش وقد كان أول الهيئات العاملة على تطهير صفوفه وتسليم قيادته
لأيد أمينة صالحة نزيهة يرى أن يقوم الجميع بهذا العمل كل في صفوفه
على أن يكون التطهير كاملاً يتناول الأداة الحكومية والأحزاب والهيئات
دون أي تأخير أو تسويق » ثم يقول البيان « كما يرى الجيش أن تعلن
الأحزاب والهيئات المستقلة للشعب برنامجاً واضحاً المعالم حتى يكون
الشعب على بينة من أمره » .

وهكذا أطل شعار (التطهير) مرة أخرى بعد أن تبناه نجيب الهلالي
عقب حريق القاهرة . . . وجاء هذا البيان المبكر صدمة لقادة الأحزاب الذين
هرعوا إلى مجلس القيادة في الأيام الأولى يؤدون التحية ويعلنون الولاء . . .
وأصابهم لفظ (التطهير) بهزة شديدة ، أعطت لحركة الجيش فرصة
التسرب إلى صفوفهم ، وإغراء العناصر الضعيفة أو المترددة بينهم ، وتمزيق
وحدة أحزابهم .

ورغم أن البيان كان يعنى في مضمونه الاعتراف بوجود الأحزاب
والتمسك بالدستور ، إلا أنه كان في الواقع يجعل من تطهيرها شرطاً
لبوجودها . . . مما يجعلها معتمدة في بقائها على إرادة حركة الجيش .

وبدت الحركة حريصة على إجراء تطهير الحكومة والأحزاب تمهيداً
للانتخابات التي حددت موعداً في فبراير ١٩٥٣ ، وأصدرت بذلك بياناً
في ١١ أغسطس وهو البيان الذي تناقض مع بيان على ماهر الذي أذيع في
نفس اليوم ولم يحدد موعداً لإجراء الانتخابات . . . وقد جاء في بيان
القيادة العامة ما يلي : « تم الاتفاق مع رئيس الحكومة من قبل على أن
تجرى الانتخابات في شهر فبراير لإعطاء فرصة كافية للحكومة لتطهير
أدائها والأحزاب لتطهير صفوفها تطهيراً كاملاً شاملاً حتى تنعم البلاد في
ظل الدستور بحكم نيابى سليم » .

هكذا أظهرت حركة الجيش أنها حريصة على الدستور والانتخابات
ولكنها احتفظت في يدها بمفتاح الموقف هو (التطهير) .

ولم تستجب الأحزاب لهذه الدعوة لحساسية تطبيقها ، وعدم ارتفاع
كثير من قادتها عن المستوى الذي يمكن أن تصلهم فيه يد التطهير . . .
ولذا بادر سليمان حافظ بأعداد مشروع قانون لتنظيم الأحزاب السياسية
عارضه الدكتور عبد الرازق السنهورى من جهة المبدأ معارضة شديدة
في بداية الأمر بدعى أن العرف الدستوري لتنظيم الأحزاب ترك الأمر
لها .

ولكنه أمام الحاج سليمان حافظ واقناعه لضباط مجلس القيادة .
أقر المشروع على شرط ألا تتدخل الإدارة إلا عند الاقتضاء لتحقيق أغراض
القانون ، وأن يكون تدخلها تحت رقابة مباشرة من القضاء الإداري بمجلس
الدولة .

وما أن تولى محمد نجيب رئاسة الوزراء حتى صدر قانون تنظيم
الأحزاب ونص على أن المقصود بالحزب السياسي كل حزب أو جمعية أو
جماعة منظمة تشغل بالشئون السياسية للدولة الداخلية منها أو الخارجية
لتحقيق أهداف معينة عن طريق يتصل بالحكم .

وقضى القانون بأن من يرغب في تكوين حزب سياسي عليه أن يحيط
بذلك وزير الداخلية بكتاب موصى عليه بعلم الوصول ٠٠٠ ولوزير
الداخلية حق الاعتراض على تكوين الحزب خلال شهر من تاريخ إخطاره ،
وفي حالة الاعتراض يعرض الأمر على محكمة القضاء الإداري لتفصل في
جلسة تحدد بعد أسبوعين من وقت تقديم الاعتراض ٠٠٠ كما ألزم القانون
الأحزاب بإيداع أموالها في البنوك ، كما نص على أن تعيد الأحزاب القائمة
تكوينها وفقاً لأحكامه .

وكان صدور القانون بمثابة خطوة نحو محاصرة الأحزاب وإخضاعها
لمسلطة الجيش المثلثة في وزير الداخلية ٠٠٠ كما أنه كان بداية لصدام
بين القوى السياسية المختلفة وحركة الجيش .

وقد سحب صدور القانون حملة اعتقالات السياسيين التي تمت في
اليوم السابق على تشكيل محمد نجيب لوزارته التي أصدرت القانون في
اليوم التالي لأدائها اليمين أمام مجلس الوصاية .

لم يكن لهذا القانون نظير في الدول الديمقراطية ٠٠٠ وإن كان
فتحى رضوان قد صرح للصحف في معرض الدفاع عنه بأن له نظيراً في
العراق وألمانيا الغربية ٠٠٠ وهما دولتان لم يكونا في ذلك الوقت نموذجاً
للديمقراطية لخضوعهما بعد الحرب العالمية الثانية لنفوذ الإمبريالية
العالمية الحريصة على عدم ظهور أحزاب معادية لها .

العسكريون يزحفون على الحكم ، والأحزاب يأخذها القانون على
غرة ، فيصيبها بالدوار وتعجز عن حسن التصرف أو اختيار الطريق ٠٠٠
وتنشط العناصر المفسامة والانتهازية في كل حزب ، وتبدأ الصراعات
الداخلية .

كانت الدعوة إلى التطهير فخا وقعت فيه الأحزاب ، فظهرت التظلمات
الفردية أسوأ ما في شخصياتها القيادية .

وخلال هذه الفترة انهارت أسماء كثيرة كانت تلمع في سماء الحياة السياسية قبل ثورة ٢٣ يوليو وبادر بعضها الى الاتصال برجال الجيش بصورة جعلت جمال عبد الناصر يعبر عنها فيما بعد في كتاب (فلسفة الثورة) بقوله « كل رجل قابلناه لم يكن يهدف الا الى قتل رجل آخر » .

التنافس يعلن على صفحات الجرائد بين ابراهيم عبد الهادي وحامد جودة لرئاسة حزب الهيئة السعدية ٠٠٠ ثم ينشط سامح موسى شوكت. التوني ويعلمان فصل الاثنان من الحزب السعدى .

والوفد أيضا يقع في الفخ ليصدر قرارا بفصل عدد من أعضاء الهيئة الوفدية الذين أحاطت بهم الشبهات دون تحقيق وكان أبرزهم محمود عبد اللطيف الذى كان وزيرا للشئون الاجتماعية وكأنه يتجاوب بذلك مع دعوة التطهير .

ولكن صدور القانون وضع الأمور في وضعها الصحيح ٠٠٠ اعتبرت الأحزاب منحلة ، ولا يمكن لها العودة الى ساحة العمل السياسى الا من باب الجيش ٠٠٠

وكانت المعركة الرئيسية حول الوفد .

ولم يكن موقف الوفد حازما في هذه القضية الدستورية ٠٠٠ اذ صرح مصطفى النحاس بأنهم سيبعدون المعتقلين عن تنظيمات الوفد الجديد ٠٠٠ وأرسل فؤاد سراج الدين من المعتقل استقالته من الوفد ومن مجلس الشيوخ قال فيها للنحاس « اننى أستقيل اخلاصا للوفد ولشخصكم » .

وتنفيذا لقانون الأحزاب أصدر الوفد برنامجه في ٢١ سبتمبر ١٩٥٢ باعتباره « هيئة سياسية ديمقراطية اشتراكية لتحقيق الاستقلال والوحدة ورفض جميع صور الدفاع المشترك » ونص البرنامج على ما يأتى :

التمسك بعروبة فلسطين .

دعم مجموعة الدول الافريقية والآسيوية وتأييد سياستها في الدفاع عن قضايا الحربة .

اقرار حد أدنى للأجور عموما ، وللعمال الزراعيين خصوصا .

صدور قانون معاقبة الوزراء .

صدور قانون التأمين الاجتماعى للعمال وتعميمه .

استصدار قانون تأمين صحي للعمال وأفراد أسرهم .

- تجديد القرية المصرية خلال عشرين عاما
- حد أدنى للأجور (العامل الزراعى)

الانتهاء من تعميم المياه الصالحة للشرب خلال خمس سنوات طبقا
لمشروع وزارة الوفد الذى أقرته عام ١٩٥١ •

- جعل التعليم الدينى اجباريا
- تحريم الخمر والميسر

الموافقة على مشروع تحديد الملكية باعتباره يهدف للعدالة الاجتماعية
ويقرب بين الطبقات •

يلاحظ ان البرنامج كان يضع خطوطا استراتيجية عريضة للسياسة
الداخلية والخارجية تعتبر فى حينها ذات طبيعة متقدمة تتجارب مع
مشاعر الجماهير قبل الحركة وبعدها ٠٠٠ ولذا هاجمت بعض الصحف
البريطانية الوفد ٠٠٠ واتهمت مصطفى النحاس بالتطرف •

ويلاحظ ايضا ان هذا هو أول برنامج مكتوب للوفد الذى كان يبنى
سياسته على أساس بيانات مؤتمراته الوطنية التى عقدت سنوات ١٩٢٨ -
٣٥ - ٤٣ وعلى ما يرد فى خطب عيد الجهاد الوطنى « ١٤ نوفمبر » •

ورغم صدور هذا البرنامج الوطنى التقدمى للوفد فان سليمان حافظ
أصر على ملاحقة مصطفى النحاس ومحاولة إبعاده عن موقعه وفى ذلك
قال للدكتور محمد صلاح الدين وزير الخارجية السابق وهو يحاول
الاستفسار منه عن موقفه من الوفد ورئاسة مصطفى النحاس له « ان لدى
الوزارة أسبابا خطيرة للاعتراض عليه أمام مجلس الدولة » •

وعندما شاع هذا الموقف المضاد لمصطفى النحاس بادر بأصدار
البيان التالى :

« اننى أعد نفسى دائما ملكا للشعب وقد كانت ثقتى فى الشعب
وثقته فى شخصى طوال حياتى السياسية عونى على الشدائد وظهري فى
العيش • وسأظل ما بقى من عمري ملكا لهذا الشعب الوفى ولن تستطيع
قوة أن تنحيني عن هذه المكانة بعد الله جلّت قدرته الا الشعب دون سواه
والله ولى التوفيق » •

أصر أعضاء الوفد على الا يتكون الا برئاسة مصطفى النحاس ٠٠٠
ولعبت جريدة (المصرى) دورا بارزا فى الدفاع عنه وكتب أحمد أبو الفتح
سلسلة مقالات طويلة دفاعية عن مصطفى النحاس معتبرا أن محاولة هدمه
هى محاولة لتحطيم كفاح الشعب ضد الاستعمار •

ووصلت معارضة القانون الى الذروة عندما صدر البيان التالى يوم

١٧ سبتمبر .

« نظرا لما صحح فى يقين الوفد المصرى من أن المقصود هو محاربة الوفد ومحاولة هدمه والتخلص منه قرر الوفد المصرى باجماع الآراء بجلسته المنعقدة يوم السبت ٢٧ سبتمبر ١٩٥٢ الا يقدم الى وزير الداخلية اخطارا باعادة تكوينه » .

توقيعات : مصطفى النحاس - عبد السلام فهمى جمعة - على زكى العربى - عبد الفتاح الطويل - أحمد حمزة - محمد محمد الوكيل .

وزراء سابقون : ابراهيم فرج - عبد المجيد عبد الحق - محمد صلاح الدين - عبد الجواد حسن .

كان هذا هو أقصى ما وصل اليه الوفد فى نضاله ضد قانون تنظيم الاحزاب ولكنه موقف لم يستمر طويلا لعدة اسباب :

أولا : كان مصطفى النحاس قد تجاوز السبعين من عمره ولم يعد فى توجبه القديم وقدرته على النضال التى عرف بها يوم كان يجذب حكماء البوليس من فوق حصانه وينام على أرضه المحطات .

ثانيا : احاط بمصطفى النحاس بعض عناصر التوفيق التى افقدت الوفد الصلابه الضرورية وكان من أكثرهم تأثيرا عليه فى هذه المرحلة عبد السلام فهمى جمعة والدكتور طه حسين .

ثالثا : تجرد الوفد وعدم وصول العناصر الشابه الى القيادة وكان معظم أعضائه فى ذلك الوقت من الباشاوات الذين قد تجاوزوا الخامسة والستين وهم سيد بهنسى ومحمد المغازى وفهمى حنا وعبد السلام جمعه وعبد الفتاح الطويل وعلى زكى العربى وعثمان محرم ومحمد سليمان الوكيل وأحمد حمزة . . ولم يكن هناك أقل من هذه السن الا محمود سليمان غنام وفؤاد سراج الدين الذى كان فى هذه الفترة خلف قضبان السجن .

وقد شعر النحاس بهذه الحقيقة فور اعتقال فؤاد سراج الدين فضم الى الوفد محمد صلاح الدين وابراهيم فرج الذى عين سكرتيرا مؤقتا لحين الافراج عن سراج الدين الذى لم تقبل استقالته .

رابعا : عدم توافر الانضباط الحزبى الكامل فى صفوف الوفد الذى اعتاد منذ تكوينه على أن يضم الجماهير من مختلف الاتجاهات فى شكل جبهة ، وعندما يحرم من فرصة الاتصال العلنى مع الجماهير فإنه يعجز عن الاتصال بها وتحريكها بوسائله التنظيمية .

خامسة : الدعاية المركزة ضد الأحزاب عموماً والوفد خاصة والتي أسهمت فيها بقدر كبير صحافة أخبار اليوم ، مما جعل كثيراً من الناس تتطلع الى الحكم الجديد لينقذهم من المظالم التي عاشوا فيها .

كان رأى النحاس « ان الجيش يشبه (وابور الزلط) لا شيء يقف امامه الا ما هو أقوى منه ... وهذه القوة هي قوة شعب مؤمن بالديمقراطية والدستور » .

وقد اهتز هذا الايمان كثيراً في عهد الملك من كثرة انتهاكات الدستور التي ارتكبتها وأسهمت فيها أحزاب الأقلية والعناصر المستقلة من أمثال أحمد زيور واسماعيل صدقي وعلى ماهر ... ولذا افتقد الوفد القوة اللازمة لمجابهة تصرفات حركة الجيش .

وبدأت مرحلة التراجع ... واستدعى مصطفى النحاس رئيس تحرير المصرى أحمد أبو الفتوح وأمل عليه مقالاً نشره يوم ٦ أكتوبر أبدى فيه حرصه على ضرورة وجود الوفد مهما كان الأمر يتعلق بشخصه ... وجمع أعضاء الوفد ليسلمهم أمانته . وصدر بعد ذلك بيان يقول :

« رعاية لما أبداه الرئيس الجليل مصطفى النحاس وأصر عليه من أن الحالة أصبحت لا تمكنه من مباشرة أعباء الرئاسة الفعلية ومقتضياتها بعدما احتمل الكثير في سبيل الدفاع عن القضية الوطنية في الثلاثين سنة الماضية فان الوفد المصرى اد ينزل مضطراً ازاء إصراره على إرغبتة واذ يقرر جعله رئيس شرف له مدى حياته الطويلة المباركة ان شاء الله يستلهم منه التوجيه ويشهد من اخلاصه إخلاصاً ومن قوته ووطنيته وصلابته في الحق سراجاً منيراً ، ويقرر انه سيمضى فى مستقبل أيامه على نهجه الواضح وطريقه المستقيم وخطته القوية التي رسمها لتحرير الوادى معتبراً إياه ركنه الركين وحصنه الحصين ومرجعه فى الملمات » .

توقيعات : عبد السلام فهمى جمعة - على زكى العرابى - عبد الفتاح الطويل - محمد محمد الوكيل - أحمد حمزة .

هز هذا البيان عواطف جانب كبير من الجماهير ، شعرت ان رجالا ارتبطت به مسيرتها سنوات طويلة كأن مثالا للوطنية والنزاهة ، ينتزع منها رغم ارادتها فذهبت المظاهرات تطوف بمنزله وتهتف « لا وفد بدونك يا نحاس » .

وكتب أحمد أبو الفتوح فى المصرى يقول « الشعب الذى يحبك يقول - عاش النحاس زعيم الشعب ، وأما أنا فاقول « لن يكون هناك وفد الا برئاسة مصطفى النحاس » .

ونشر النحاسي بعد ذلك بيومين بياناً بمناسبة ذكرى الغاء معاهدة ١٩٣٦ في ٨ أكتوبر قال فيه « جاءت حركة الجيش التحررية صورة حية رائدة لصحوة الشعب وقدرته على استبداد المستبدين وطفيان المستهترين العابثين فدارت عليهم الدوائر وباء عهدهم وتطلعت البلاد الى عهد جديد من العدالة المطلقة والحرية الشاملة » .

ولكن هذه الكلمات لم تجد صدى عند مجلس القيادة ، ولم يتحقق أى نوع من اللقاء الفكرى أو العاطفى بينهم وبين الوفد رغم ان محمد نجيب كانت له صلات مع الوفد ، وجمال عبد الناصر كثيراً ما دافع عن مسلك الوفد. في وزارته الأخيرة ، ويوسف صديق وخالد محيى الدين كانا متعاطفين معه . . . الا أن اغراء السلطة وعدم وجود موانع قوية تحول دون الوصول اليها الى جانب الدور التخريبي الذى قام به سليمان حافظ لهدم الوفد ، والذى قاومه جمال عبد الناصر وبعض الزملاء في مراحل الأولى مقاومة بدأت ملحوظة ثم أخذت تفتر أمام تراجع الوفد وعدم صلابته وعجزه عن تحريك جماهيره .

كل هذا حدد الموقف تماماً وانتهى الأمر الى اعتراض وزير الداخلية يوم ٨ نوفمبر على رئاسة مصطفى النحاس الشرفية للوفد وكذلك اعترض على اسم عبد الفتاح الطويل كمؤسس .

وكان وزير الداخلية قد تلقى اخطارات تكوين ١٦ هيئة وحزبا (هيئة الوفد والاخوان المسلمين وأحزاب السعدى والأحرار الدستوريين والعمال - والعمال والفلاحين - والاشتراكي والوطني والفلاح الاشتراكي والكتلة الوفدية والديمقراطي وحزب الله وثلاثة أحزاب نسائية هي بنت النيل والنسائي والنسائي الوطني) .

واعترض سليمان حافظ الى جانب اعتراضه على مصطفى النحاس وعبد الفتاح الطويل على الدسوقي أباطة في حزب الأحرار الدستوريين كما اعترض على كل من الحزب الديمقراطي والحزب الجمهورى لأنهما كانا يناديان بتطبيق النظام الجمهورى .

عرضت هذه الاعتراضات على مجلس الدولة في نهاية شهر نوفمبر ١٩٥٢ واتخذ بعضها شكل مظاهرة داخل المحكمة عندما احتشد ٥٠ محاميا من الاسكندرية يترافعون عن عبد الفتاح الطويل .

وضع من طبيعة اعتراضات وزير الداخلية سليمان حافظ الممثل لسلطة الجيش انها قامت على أسس شخصية أو على أساس خروجها على النظام الملكى .

لم تفرق حركة الجيش بين طبيعة الأحزاب ... ولم تعترض على
الواقع الطبقي لبعضها ، أو على انتماء بعض قادتها للطبقة الاقطاعية
المضروبة .

ولم تفرق أيضا بين الدور الوطني والنضالي الذي قامت به الأحزاب
لمقاومة الاستعمار والاحتلال البريطاني .

وكذلك لم تفرق بين الأحزاب التي تبادلته الحكم في عهد الملك ...
والأحزاب الناشئة التي كانت قيادتها من أبناء البرجوازية الصغيرة أساسا
والتي قامت بدور المعارضة العنيفة لنظام ما قبل ٢٣ يوليو .

سرت الاعتراضات بين كافة الأحزاب ... وجعلت الأحزاب المناضلة
ضد الاستعمار تقف مع الأحزاب المتهاونة في صف واحد ... ولم تفرق
بين اتجاهات الأحزاب الرجعية والتقدمية وتمثيلها الطبقي .

الفضيلة الوحيدة لقانون تنظيم الأحزاب كانت البرامج المكتوبة
والمعلنة لهذه الأحزاب والتي عبرت عن طبيعة دورها في المجتمع فالحزب
السعدي مثلا نادى في برنامجه بالعمل على « تحويل رؤوس الأموال المصرية
الراكدة الى ميدان الاستغلال الصناعى والتجارى والاستعانة برؤوس
الأموال الأجنبية في حدود تتفق مع مصالح البلاد » ... وهكذا وجدت
الجمهير الفرصة سانحة أمامها لاختيار الحزب الذى يعبر برنامجه عن
أهدافها .

واتخذت حركة الجيش أسلوبا لم يكن يتناسب مع خطواتها الزاحفة
نحو مركز السلطة ... إذ لم تعلن عن تنظيمات حزبية لها ونفى محمد
نجيب رغبة الجيش في ذلك .

ولذا كانت المنافسة على أسس حزبية. أمرا غير مضمون العاقبة إذا
كانت الرغبة هي استمرار الحركة في مساراتها ... ذلك ان الضباط
الأحرار كانوا ما زالوا أفرادا غير معروفين ... ومجلس القيادة لم يعلن
تشكيله أو تاريخ حياة أعضائه وليس لأحدهم ماض يجعل الجماهير تلتف
حولهم ومحمد نجيب رغم شجاعته وشخصيته الجذابة البسيطة لا يعيش
في ضمير الشعب المصرى قائدا عظيما مثل نازليون أو بيتان أو دينجول ...
فهو فى النهاية قائد غير منتصر فى حرب فلسطين ، لا يملك أمجادا حزبية
أو وطنية .

وبدأ الأمر يتضح يوما بعد يوم ... طريق الديمقراطية الليبرالية
لا يمكن أن تسلكه حركة جيش لأنها لا تضمن الانتصار أو الاستمرار لحيه .

وأخذ سليمان حافظ يصدر تشريعات تمهد للحركة سلطة مطلقة ،
اذ أعطى حق اقالة الموظفين عن غير الطريق التأديبي وحرمان القضاة
والعزولين من معاشهم أو مكافآتهم • واحدة جرائم الاصلاح الزراعي
للمحاكمة العسكرية ، مع رفع عقوبة الاشاعات •

وكانت الحركة قد بدأت ممارسة تطبيق شعار (التطهير) عن طريق
تكوين لجان شكلت بمقتضى قوانين خاصة من نوعين ••• أولهما ادارى
ذو صيغة قضائية على رأسها قاض وفى عضويتها أحد رجال النيابة
العامة لفحص حالات موظفى الدولة وفصل من يستاهل الفصل منهم •••
أما الثانية فكانت لجانا قضائية يرأسها مستشار وعضوية اثنين من
كبر رجل القضاء فى الأعمال الحكومية واحالة المسئولين عنها الى المحاكم
الجنائية أو الادارية حسب الأحوال •

وأثار سليمان حافظ مشكلة ان اللجان الأولى تمضى بسهولة فى
عملها أما اللجان الثانية فكانت تصطدم بأن كثيرا من الوزراء السيقين
كانت تقع عليهم المسئولية الجنائية أو السياسية ••• وهؤلاء لا يمكن
الوصول اليهم لأن الدستور يحميهم من القضاء العادى وجعل لهم محكمة
خاصة لا ترفع أممها الدعوى الا بقرار من مجلس النواب •

وهكذا كان التطهير يصل الى صغار الموظفين بينما يعجز عن الوصول
الى الوزراء •

ولم يجد سليمان حافظ حلا الا فى الغاء الدستور الذى يستند اليه
هؤلاء فى تهريبهم من المحاكمة ووافق ذلك ظهور عدة مقالات فى الصحف
تهاجم.دسنور ١٩٢٣ ، والقى على ماهر محضرة يوم ١٤ نوفمبر قال فيها
انه يرجو « ان نواجه حياتنا السياسية بدستور يتجنب تخلف دستور
١٩٢٣ عن مسيرة الديمقراطية الحرة فى تطورها » •

ويقول محمد نجيب ان بعض أعضاء المجلس قد قاوموا هذا الاتجاه
ولكن مقاومتهم ضعفت أمام الحاح سليمان حافظ وشهوته الجامحة فى
الوصول الى محاكمة بعض الوزراء ، وتوافق نغم هذا الطلب مع رغبة بعض
أعضاء المجلس الذين كانوا يهدفون الى تولى السلطة وحدهم •

ويقول سليمان حافظ فى مذكراته « وانعكس صدى الضجة العنيفة
التي أثارها الوفد على مجلس القيادة فقام خلاف شديد بينى وبين
جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ويوسف صديق أصرت فيه
على تنفيذ قانون الأحزاب تنفيذا تعدل فيه الصرامة النصفة ، وصممت
أذنى عن سماع أى كلام آخر فى هذا الموضوع ، ومن الحق ان أذكر ان
محمد نجيب وجمال سالم وصلاح سالم وكذلك أنور السادات - ان لم
تخنى ذاكرتى - كانوا فى هذا الخلاف من جانبى » •

قال جمال عبد الناصر لأحمد فؤاد في هذه الفترة وهو يحدثه عن أهمية الديمقراطية « يظهر ان احنا لازم نعمل انقلاب تانى علشان الديمقراطية » .

ثم يقول سليمان حافظ ان محمد نجيب وجمال عبد الناصر قد قاما بزيارة مصطفى النحاس زيارة مجاملة أيام اشتداد المعركة « بينى وبين الأحزاب عامة والوفد بصفة خاصة » ثم « حاول نجيب ان يبرر لى هذا التصرف بقوله ان هذه الزيارة لم تكن الا محاولة لكسر محور تألف بين الوفد والشيوعية فلم اقتنع بهذا العذر » .

هكذا كان سليمان حافظ بما ورد على لسانه محركا عنيفا ضد الأحزاب والدستور .

وأخذ الحديث عن الدستور والديموقراطية يخفت ويتلاشى .. وصدرت التعليمات بنزع لافتة كنت قد أصدرتها مع مجلة التحرير بريشة المهندس حسن فؤاد ولصقت على جدران المباني فى أنحاء مصر ٠٠٠ وهى تمثل جنديا خلفه قبة البرلمان وتحتها عبارة (نحن نحمل الدستور) ٠٠٠ وكانت جريدة المصرى قد نشرتها فى صفحتها الأولى يوم ١٤ سبتمبر ولكنها نزعتم فى منتصف نوفمبر .

ونزع الدستور نفسه فى ١٠ ديسمبر ١٩٥٢ .

سقط دستور ١٩٢٣ للمرة الأخيرة بعد ان عطل من أول نوفمبر ١٩٢٤ حتى عام ١٩٢٦ ثم فى يونيو ١٩٢٨ على يد وزارة (اليد الحديدية) التى رأسها محمد محمود حتى أواخر ١٩٢٩ عندما تكونت وزارة عدلى يكن المحيطة لاجراء انتخابات جديدة ٠٠٠ وأخيرا الفى عام ١٩٣٠ واستبدل بدستور اسماعيل صدقى حتى عاد بنضال الشعب وتضحياته عام ١٩٣٥ ، باقلة الحكومة الوفدية بعد ذلك وفرض أحزاب الأقلية أكثر من مرة .

سقط دستور ١٩٢٣ الذى كان رغم ما فيه من صلاحيات للملك تعطل أثره الا انه كان ضمانا وركيزة لحرية الجماهير السياسية ٠٠٠ سقط الدستور ببيان أعلنه محمد نجيب فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل يقول فيه « أصبح لزاما أن نغير الأوضاع التى كادت تودى بالبلاد التى كان يسندها ذلك الدستور الملىء بالثغرات » ٠٠٠ ثم قال « وهانذا أعلن باسم الشعب سقوط الدستور . دستور ١٩٢٣ » ٠٠٠ وأعلن البيان أن الحكومة هى التى تتولى السلطات فى فترة الانتقال .

هكذا سقط دستور ١٩٢٣ الذى كان مليئا بالثغرات فعلا ، ومع ذلك لم يحتمل النظام الملكى تطبيقه فعصف به أكثر من مرة .

وكان الدستور في خدمة الطبقة الاقطاعية والبرجوازية الكبيرة أساسا ٠٠٠ اذ اشترطت المادة ٧٨ منه أن يدفع المرشح للبرلمان تأميناً قدره ١٥٠ جنيتها وهو مبلغ في ذلك الوقت لا يسهل حصول البرجوازية الصغيرة أو الطبقة العاملة والفلاحين عليه ٠٠٠ كما أنه أسبغ حقوقاً وامتيازات واسعة للملكية مثل حق حل مجلس النواب وتأجيل انعقاده ، واشترط في أعضاء مجلس الشيوخ أن يكونوا من طبقة في مستوى كبار الموظفين أو الملاك الذين يؤدون ضريبة لا تقل عن مائة وخمسين جنيتها في العام ، ومن لا يقل دخلهم السنوي عن ألف وخمسمائة جنيه من المشتغلين بالأعمال المالية أو التجارية أو الصناعية أو المهن الحرة .

كان وضعا تاما ان دستور ١٩٢٣ لم يعد يتناسب مع الطبقة المتوسطة التي وثبتت الى السلطة ٠٠٠ ولم يكن منطقيا أن تترك دستورا يحرمها من فرصة تأكيد وجودها وتحقيق أهدافها .

الغى دستور ١٩٢٣ ٠٠٠ وكان طبيعيا ان تسقط من بعده أشياء كثيرة تراثت على وجوده ٠٠٠ فتقرر تأجيل الانتخابات التي كانت الحركة قد قرأت موعدها في شهر فبراير في بيانها المعروف ٠٠٠ وصرح جمال عبد الناصر لأحمد أبو الفتوح يوم ٩ فبراير بأن تأجيل الانتخابات عن الموعد المحدد لها إنما هو - لاجلاء الانجليز .

ولم تعتمد أصوات الاحتجاج على قانون تنظيم الأحزاب حتى بعد إلغاء الدستور فظل أحمد أبو الفتوح يهاجمه على صفحات المصري في مقالات عديدة ٠٠٠ واحتشد الطلبة في الجامعة حيث فاز مرشح الجبهة المتحدة أي جبهة الأحزاب والقوى السياسية الوطنية والتقدمية (أحمد الخطيب) على مرشح الإخوان المسلمين (حسن دوح) ٠٠٠ وكان هذا تعبيرا عن معارضة الشباب للخطوات الزاحفة لمحاورة الديمقراطية .

وتزاعف في قضية الوفد أمام مجلس الدولة الدكتور وحيد رافت وإبراهيم فرج ومحمود سليمان غنام وأحمد عبد الهادي ٠٠٠ وكانوا قد أعدوا مذكرة بعدم دستورية قانون تنظيم الأحزاب ومناقباته للديمقراطية ٠٠٠ وتأجيل نظر القضية .

وكان مجلس الدولة حتى هذه اللحظة يعتبر نسيجا للحريات والديمقراطية ٠٠٠ فقد رفع ٢٥ من المعتقلين السياسيين قضية أمام مجلس الدولة لبطان قرار الاعتقال ، وكان الرد هو حبسهم أفراديا وعدم السماح لهم بالأكل من الخارج .

وتحت هذا الضغط تنازل الكثيرون وأصر على الاستمرار في القضية فؤاد زكريا الدين ومحمود سليمان غنام وحامد جودة وعدد محدود من السياسيين .

وفوجئ سراج الدين بدخول الصحفي مصطفى أمين الى غرفته بالمعتقل حاملا رسالة من أعضاء مجلس القيادة تقول انهم على استعداد للافراج عنه اذا تنازل عن القضية ٠٠٠ ولكن فؤاد سراج الدين رفض فكرة التنازل قائلا انهم اذا أفرجوا عنه سقطت القضية تلقائيا وانه لا يساوم على حريته .

وكان غريبا ان يتحول مصطفى أمين الى مندوب لرجال القيادة وهو الذي اعتقل في الأيام الأولى للحركة ٠٠٠ وبقي فؤاد سراج الدين في المعتقل حتى أفرج عنه قبل الجلسة أمام مجلس الدولة بليلة واحدة .

ويظهر هذا أن مجلس الدولة كان يمثل مركز مقاومة يلجأ اليه كل من يقع عليه الظلم .

وتشكلت في ١٣ يناير ١٩٥٣ لجنة لوضع مشروع دستور جديد (يتفق وأهداف الثورة) من خمسين عضوا ، تولى رئاستها على ماهر ، وضمت ثلاثة من أعضاء لجنة دستور ١٩٢٣ وهم على ماهر ومحمد علي عليمية وعلي المنزلاوي وأربعة من الوفديين واثنين من السعديين واثنين من الدستوريين واثنين من الكتلة وثلاثة من الحزب الوطني وثلاثة من الحزب الرطني الجديد وثلاثة من رؤساء القضاة (رئيس محكمة النقض ورئيس مجلس الدولة ورئيس المحكمة العليا الشرعية) . وثلاثة من رجال الجيش والبوليس والمتقاعدين والباقي من المستقلين .

الأغلبية كانت من حملة رتب الباشوية والبيكوية الملقاة ، أصحاب الأسماء القديمة المعروفة ، أبناء البرجوازية الكبيرة ، ورئيسها كان أحد الذين أسهموا في ائتمان دستور ١٩٢٣ . وتغلبن سلطة الملك على ارادة الشعب بما هو معروف في تاريخه السابق .

وما كادت تداع أسماء أعضاء لجنة الدستور ، حتى أذبح بعدها بأربعة أيام يوم ١٧ يناير ١٩٥٣ بعد منتصف الليل بيان من القائد العام للقوات المسلحة يعلن فيه « حل جميع الأحزاب السياسية ومصادرة جميع أموالها لصالح الشعب بدلا من أن تنفق في بذر بذور الفتنة والشقاق » . . . وأعلن فيه أيضا قيام فترة انتقال لمدة ثلاث سنوات « حتى تتمكن من اقامة حكم ديموقراطي دستوري سليم » وكشفت الحركة عن أنيابها وقالت في نفس البيان « ومنذ اليوم لن أسمع بأى عبث أو أضرار بمصالح الوطن وسأضرب بمنتهى الشدة على كل من يقف في طريق أهدافنا التي صنعتها الأمم الطويلة » .

وهكذا وصنل الصدام غايته ، والهي الدستور ١٩٢٣ ، وحلت الأحزاب السياسية ، ولم يعد في طريق حركة الضباط الاحرار بتنظيمات

سياسية قانونية ، بعد ان تضمن مرسوم حل الأحزاب نصا يقضى بانهاء قانون تنظيم الأحزاب وسقوط الفضايا المعروضة أمام مجلس الدولة .

وفي ١٨ يناير صدر مرسوم بقانون بحماية التدابير التي يتخذها القائد العام للقوات المسلحة (رئيس حركة الجيش) يقصد حماية الحركة والنظام القائم عليها باعتبارها من أعمال السيادة وذلك لمدة سنة من ذلك التاريخ بعد ان كانت المدة ستة شهور طبقا لمرسوم صدر في ١٣ نوفمبر ١٩٥٢ .

كانت هذه الاجراءات وما صاحبها من اعتقالات جديدة (٤٨ شيوعيا ١٤٤ حزيبا ، ٣٩ متصلا بجهات أجنبية) هي رد الفعل لما حدث من مظاهرات الطلبة المعادية ٠٠٠ ونشاط بقايا الأحزاب وجماهيرها من أجل البقاء ٠٠٠ وبدا التناقضات في صفوف الجيش ومجلس القيادة كما سيأتي تفصيلا فيما بعد .

كانت فترة منتصف يناير ١٩٥٣ مليئة بالأحداث والصدمات التي حددت موقف الحركة من قضية الأحزاب والسلطة ٠٠٠ وجعلت مجلس القيادة يعلن عن نفسه لأول مرة تحت اسم (مجلس قيادة الثورة) .

أثبتت الأحداث أن حركة الضباط الأحرار لم تنجح إلى التعاون مع الأحزاب أو محاولة احتوائها وإنما أخذت تحاصرها بإجراءات متتالية لأنها وجدت فيها عنصرا مذبذبا لها في النفوذ والسلطة ٠٠ وقد كان التصادم شديدا مع أقواها تأثيرا في الجماهير . وأشدّها تمسكا بالديمقراطية . وأكثرها خطرا عليها وهو الوفد .

واحتفظت الحركة حتى صدور قانون حل الأحزاب بعلاقات طيبة مع الإخوان المسلمين الذين لم تكن تهمهم كثيرا قضية الأحزاب والديمقراطية بقدر ما كانوا يخططون لورثة الحركة أو احتوائها .

كان تركيز السلطة في يد (مجلس قيادة الثورة) اعلانا عن قيام نظام يستند إلى الديكتاتورية العسكرية ، ولا يجيد التخفي في ثياب الديمقراطية .

صرح صلاح سالم لجريدة المصري بعد ذلك بقوله « قبل ان تعود الحياة البرلمانية يجب ان نستأصل جميع أسباب الفساد من الأمة ، ٠٠٠ وكان استئصال الفساد يمكن ان يتم بعملية جراحية مثل استئصال اللوزة أو المرارة !

طبيعة الأمور في هذه المرحلة أدت الى هذه النتيجة للعوامل الآتية :

أولاً : خروج الجيش عن نطاق واجباته المحددة المعروفة وظهوره في مظهر قوة سياسية منظمة لها أهداف تخرج عن اطار القوات المسلحة ، أمر يصعب التراجع عنه دون ضغط ظروف شديدة .

ثانياً - القوى السياسية التي جابهت حركة الجيش كانت اضعف من وقف مسيرتها نحو السلطة لاحقاد أحزاب الاقلية على الطبقة الاقطاعية التي وجهت لها ضربة شديدة ، ولأن قيادة الوفد كانت غير قادرة على تحريك الجماهير في اتجاه ديمقراطي سليم .

ثالثاً - كسبت الحركة العسكرية تأييد جانب كبير من الجماهير بما أقدمت عليه من عزل الملك واصدار قانون الاصلاح الزراعي وتخفيض ايجار الأرض الزراعية والغاء الرتب المدنية ، وغير ذلك من القوانين التي تجاوبت مع مشاعر الشعب .

رابعاً - الاعتقالات التي اقترنت بتشكيل وزارة محمد نجيب وصدور قانون حل الأحزاب السياسية ، وبعثت نوعاً من الفزع والتردد بين القيادات السياسية القائمة وجنحت بمعظمها الى الصمت والسلبية .

هذه العوامل في مجموعها أدت الى انهاء طبيعة النظام القديم ، وتولية الجيش أو (مجلس قيادة الثورة) شئون السلطة . ولا يستقيم القول بأن النية كانت مبيتة منذ اللحظة الأولى على اقامة الديكتاتورية العسكرية . فان نقص التخطيط والظروف المواتية هي التي مهدت الطريق كما انه لا يصح القول أيضاً بأن حركة الجيش كانت حريصة على الديمقراطية فانه رغم بعض الأصوات التي دافعت عنها داخل المجلس وفي صفوف الجيش الا أن اغراء السلطة وضعف المقاومة كان حرياً بأن ينتهي الى هذه النتيجة .

أوضحنا ان حركة الجيش منذ لحظتها الأولى في ليلة ٢٣ يوليو لم تكن تتحرك بخطة واحدة معلومة ، أو استراتيجية متكاملة بطريقة تكتيكية ماهرة ، يصعب معها التنبؤ - في لحظتها - عن الاتجاه الاستراتيجي لها . فانه من اصرار على اذاعة بيان بموعد الانتخابات في فبراير ضد بيان علي ماهر الى تراجع كامل عن الانتخابات وتأجيلها لاجل غير مسمى . ومن حرص على إعلان التمسك بالمستور الى الغاء الدستور نفسه . ومن بيان يظهر قبول مبدأ وجود الأحزاب الى مرسوم يحل الأحزاب وينهى دورها نهائياً . ومن حديث عن ضمان الحريات الى اعتقالات للمسياسيين من اتجاهات مختلفة ثم افرج وإعادة اعتقال تبعاً للموقف .

انتهت هذه المواقف التكتيكية الى السفور عن سلطة الجيش
وعادت الرقابة على الصحف وفتحت المعتقلات .

وقام محمد نجيب واعضاء مجلس القيادة بجولة في الاقاليم ، استقبلوا فيها استقبالا حارا ، وتدافعت الجماهير والفلاحون ترحب بهم . . . وكان في هذه المظاهرة ما يدفعهم الى التصور بأن ارادة الشعب قد تجسدت فيهم ، وان هذا هو التعبير الديموقراطى الاصيل عن رأى الجماهير .

ولم يتجاوز هذا التصور حدود ولا يتهم على الناس . . . فلم يفكروا في اشراك الشعب في مسئولية الحكم وانما قرروا أن ينفردوا وحدهم بهذه المسئولية معتمدين على مظاهر التأييد المحيطة بهم فقط . . . دون سعى الى خلق نظام يكفل المشاركة والرقابة الشعبية واستمرار الروح الثورية .

واعتقد مجلس قيادة الثورة انه قادر على ملء الفراغ السياسى الناتج عن حل الأحزاب ووقف نشاطها بتكوين (هيئة التحرير) التى أعلن تكوينها يوم ٢٣ يناير ١٩٥٢ بمناسبة مرور ستة شهور على الحركة وسط مهرجانات صاخبة حافلة ، وافتتح مقرها فى ثكنات الحرس الملكى (سابقا) بميدان عابدين يوم ٦ فبراير .

أعلن محمد نجيب ميلاد الهيئة بعد أن هاجم الأحزاب هجوما عنيفا مفيدا أنها وراء كل تأخر وتناز وفرقة ، وأقسم خلفه الحاضرون قسما يقول « اللهم انك تحب الأقوياء . . وتكره المستضعفين . . ونشر رحمتك على الذين يؤثرون الموت العزيز فى سبيل الحرية . . على الحياة الذليلة . . فى مجال الاستعباد اللهم وانك القريب . . ترى وتسمع وانا لنقسم بذاتك العلية . . على أن نعمل ما وسعنا العمل لارساء قواعد الحياة المقبلة لوطننا المصرى على اصول محررة من العبودية منزهة عن الهوى . موصولة بالحق والعدل ، وأن نبذل فى سبيل ذلك ما تقتضيه مصلحة أمتنا ويبتغيه شرف بلادنا ، وأن يكون شعارنا دائما الاتحاد والنظام والعمل . . اللهم فاشهد وأنت خير الشاهدين » .

هذا القسم الانشائى المجرد كان وجهه صلة الجماهير بهيئة التحرير عند مولدها فى وقت ضمنت جذران السجن فيه قادة الأحزاب السياسية والتنظيمات الشيوعية . . . ولم يكن مطلق السراح سوى الإخوان المسلمين ، تماما كما كانوا فى فترة حكم نجيب الهمالى بعد حريق القاهرة .

وقام بالاشراف على هيئة التحرير ابراهيم الطحاوى وأحمد عبد الله طعيمة وهما ضابطان بعينان عن مشترك العمل السياسى .

كان التصور أن تملأ هيئة التحرير الفراغ السياسي في مصر ، ولكنها لم تستطع ان تظم الى صفوفها أحداً من الذين مارسوا العمل السياسي من قبل عدا قلة محدودة. ٠٠٠ كما ان قبضة الجيش فيها كانت واضحة ، وتبين انه على قدر ما هزت حركة الجيش قواعد النظام المنهار ٠٠٠ على قدر ما وقفت حائلا دون اندفاع الطبقات العاملة نحو أحداث تغييرات جذرية أو ديموقراطية في المجتمع .

وأثبتت حركة الجيش بذلك انها نبعت فعلا من الطبقة الوسطى (البرجوازية الصغيرة) وانها عملت على خدمة طبقتها وترسيخ قواعدها .
وبقدر ما استغلت الطبقة الاقطاعية الطبقة الوسطى في خدمتها ٠٠٠ بقدر ما بدأت الطبقة الوسطى تستغل مظاهر التأييد من الطبقة العاملة والفلاحين في تثبيت أقدامها .

لم يكن هناك شك في ان مصر قد أصبحت تحكم بعد منتصف يناير بمجموعة عسكرية صرفة . . . دون ان يجبروا أحد على اطلاق لفظ (الديكتاتورية) عليها فقد اعيدت الرقابة على الصحف وفتحت المعتقلات وتعددت عمليات الفصل بلا محاكمة .

ويذكر ان الزعيم الأمريكي المضلل في بداية الثلاثينيات من هذا القرن (هيلونج) قال عندما سئل من الصحفيين اذا كان يعتقد أن الفاشية يمكن ان تصل الى الولايات المتحدة فأجاب قائلا : « بالتأكيد ٠٠٠ ولكننا سنطلق عليها لفظ (المضاد للفاشية) » .

وقال جمال عبد الناصر بعد ذلك في الميثاق عام ١٩٦٢ « ان سيادة الاقطاع المتحالف مع رأس المال المستغل على اقتصاديات الوطن كانت لابد ان تمكن لهما طبيعيا وحتميا من السيطرة على العمل السياسي فيه » ٠٠٠ « ان الديموقراطية على هذا الأساس لم تكن الا ديكتاتورية الرجعية ٠٠٠ ان فقدان الحرية الاجتماعية لجماهير الشعب سلب كل قيمة لشكل الحرية السياسية التي كانت قد تفضلت بها عليها الرجعية المتحكمة حتى لقد صدر دستور ١٩٢٣ منحة من الملك منه وتفضلا » .

ولكن حركة الجيش في هذه (المرحلة الزمنية) ٠٠٠ لم تلغ نهائيا (ديكتاتورية الرجعية) لتقيم بدلا منها (الديموقراطية الشعبية) ٠٠٠ وانما استبدلتها (بالديكتاتورية العسكرية) للمثلة لمصالح الطبقة الوسطى .

وهكذا تكون عادة طبيعة الانقلابات العسكرية ٠٠٠ فايوب خان في باكستان اطلق على نظام حكمه (الديموقراطية الأسناسية) . وخطب في القاهرة

بعد ذلك أثناء زيارته لها قائلا : « الشرط الأساسي للتقدم هو الاستقرار السياسي . ونحن مثلكم استعزنا النظام الغربي ولكنه لم يمش عندنا » .
والواقع أن حركة الضباط الأحرار في مصر لم تدخل تجربة الانتخابات البرلمانية ، ولم تواصل أسلوب الحياة السياسية قبل الثورة ٠٠٠ فهي لم تبدأ أن تدخل في منافسة انتخابية وهي لا تملك مقدرات النجاح .
لم تفعل الحركة مثلما فعلت الثورة الفرنسية بعد إلغاء الاقطاع ووضع دستور جديد ، حيث أجريت الانتخابات بعده ذلك مباشرة رغم أنه كان قد مر على فرنسا ١٧٥ عاما دون برلمان .

وفي ١٠ فبراير ١٩٥٣ صدر دستور مؤقت حكمت به مصر خلال فترة الانتقال صدر من سبع مواد مبادئ عامة وأربع مواد للسيادة العليا فقط . . . وهو يقضى بأن تكون أعمال السيادة العليا لمجلس قيادة الثورة الذي يكون له حق التعيين وعزل الوزراء على أن يتولى مجلس الوزراء السلطة التشريعية والتنفيذية معا ، وأن يتألف من مجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء مؤتمر ينظر في السياسة العامة للدولة وما يتصل بها من موضوعات ويناقش ما يرى مناقشته من تصرفات كل وزير في وزارته .

وفي اليوم التالي مباشرة احتفلت الحركة بتشجيع رفات مصطفى كامل إلى قبره الجديد في القلعة في ذكرى وفاته الخامسة والأربعين حيث توفي في ١١ فبراير ١٩٠٨ .

وفي اليوم التالي أيضا ١٢ فبراير ذهب محمد نجيب وجمال عبد الناصر وعبد اللطيف البغدادى وأنور السادات إلى ضريح حسن البنا في الذكرى الرابعة لوفاته .

ثم توجه محمد نجيب بعد ذلك لزيارة ضريح سعد زغلول حيث قرأ الفاتحة عليه .

تمت هذه الزيارات بقصد إشعار الجماهير أن حركة الجيش لا تعادى زعماء الأحزاب المنتهين لها وإنما تعادى تصرفات خلفائهم من بعدهم . . .

ورغم قرار حل الأحزاب فإن اليأس لم يبعد أمل الجماهير ، أو يدفعها إلى الصمت والسكوت الكامل . . . تركزت الأنظار على لجنة الخمسين لاعداد الدستور التي كان يرأسها على ماهر ، لعلها تنتهى من دستور يعيد الأمل في قيام حياة برلمانية ، للنظام القديم . . . ولكن اللجنة ظلت تعمل في بطن شديد دفع أحمد أبو الفتوح إلى مهاجمة على ماهر في جريدة المصرى بمقال تحت عنوان : « الدستور يارئيس اللجنة) يطالب فيه بتحديد موعد لانتها العمل » بدلا من الانتظار سنوات والتشاؤم في الاجتماعات .

ويطالب أيضا بأن يكون هناك (أسبوع للدستور) تشبها بموضة كانت قد ظهرت للاحتفال بأسابيع مختلفة مثل أسبوع الأمن وأسبوع النظافة وأسبوع الدواجن وأسبوع مشوهى الحرب ٠٠٠ الخ .

وكانت جريدة المصرى تلعب دورا بارزا فى الدفاع عن الدستور والديموقراطية ٠٠٠ وحدث شجار بين أحمد أبو الفتوح الذى كتب بعد ذلك مقالا بعنوان (نعم ٠٠٠ الدستور) ، ورد عليه صلاح سالم فى نفس العدد بعد أن عطل نشر مقالته حتى يرد عليه بمقال آخر عنوانه (الشاكون والمتباكون) ٠٠٠ واعتكف بعدها أحمد أبو الفتوح عن الكتابة وسافر إلى الاسكندرية .

وبدأت محكمة الغدر عملها يوم ٢٥ مايو ١٩٥٣ ووجهت اتهاماتها الأولى إلى كريم ثابت وعثمان محرم والدكتور أحمد النقيب ومحمد حسن واسرة الوكيل وأحمد شعير ٠٠٠ ومنهم وزراء ما كانت يد القانون لتصل إليهم إلا بعد إلغاء الدستور .

وكان اسم مصطفى النحاس قد اختفى نهائيا قبل ذلك بثلاثة أيام من صفحات الجرائد الوفدية التى اعتادت أن تنشر مقابلاته وتحركاته .

وفجأة أعلنت الصحف ان اللجنة الحماسية المنبثقة عن لجنة الدستور والمشكلة من الدكتور عبد الرازق السنهورى ومكرم عبيد وعبد الرحمن الرافعى والسيد صبرى وعثمان خليل عثمان لبحث نظام الحكم قد استقر رأيها بالاجماع على أن يكون نظام الحكم جمهورياً على أن يتقرر ذلك عن طريق استفتاء شعبى .

وفى يوم ١٧ يونيو ١٩٥٣ أدلى جمال عبد الناصر بحديث إلى جريدة الأهرام قال فيه « أن الجمهورية آتية لا ريب فيها » وأكد « أن اصلح نظام حزبي يجب ان يقوم فى مصر الحديثة هو النظام الذى يقوم على أساس ديمقراطى صحيح » كما تساءل « لماذا نفكر فى قيام حزب واحد أو فى قيام الحكم المطلق ، وقد تحولت الدول التى طبقت الى تطبيق النظام الديموقراطى الصحيح وتعدد الأحزاب ٠٠ ولم لا نفسح المجال أمام كل مبدأ تعتنقه جماعة صالحة ويستهدف خدمة الوطن فى أن يعيش ويعمل فى حرية لخدمة المجموع » .

وفى نفس الحديث قال جمال عبد الناصر « ان هيئة التحرير ليست حزبا سياسيا ولم تنشأ لتكوين حزب سياسى يجر المغام على الاعضاء أو يستهدف شهرة الحكم والسلطان أما السبب فى تأسيسها فيرجع الى الرغبة فى ايجاد أداة لتنظيم قوى الشعب » .

وفي اليوم التالي مباشرة ألغى النظام الملكي في مصر وخلع الملك أحمد فؤاد الثاني وانتهى حكم أسرة محمد على بعد مائة وخمسين عاماً تقريباً وأعلنت الجمهورية يوم ١٨ يونيو ١٩٥٣ وكان محمد نجيب أول رئيس لجمهورية مصر .

كانت ظواهر الأمور تدل على أن الساحة قد خلت فعلاً للجيش وسلطته ممثلاً في (مجلس قيادة الثورة) وخاصة بعد اعلان الجمهورية واشتراك بعض أعضاء المجلس في الوزارة ، واختفاء صوت الأحزاب ، وتشتت تنظيماتهم ، ومصادرة نشاطهم ولكن واقع الأمر كان غير ذلك فإن الصدام مع الأحزاب أو جماهيرها لم يكن قد وصل غايته وسلطة (مجلس قيادة الثورة) لم تعد وحدها المسيطرة على كل شيء .

كانت عوامل الصدام مازالت قائمة ، تمتد وتنحسر ، وتنشط وتحمل ولكنها كانت دائماً تترقب الفرص المواتية .

لم يكن الصدام مع الأحزاب والغاء الديمقراطية أمراً سهلاً الانتهاء منه في معركة واحدة ، أو بقرار مكتوب ، مثلما حدث في معركة الإصلاح الزراعي ، لأنه كان في إبعاده تنازعا على السلطة ليس بين الطبقة الاقطاعية المضروبة ، وبين الطبقة الوسطى النامية وإنما كان نزاعاً في حدود الطبقة الواحدة والخلاف كان على الأسلوب .

لم ينته الصدام باعلان الغاء الدستور أو حل الأحزاب ، أو اعلان الجمهورية ، أو تشكيل هيئة التحرير ولكنه اتخذ أشكالا أخرى مغايرة .

وكانت الأخبار والشائعات التي تملأ المجتمع هي المظهر الذي يثير أعصاب مجلس القيادة ويؤرق ليلهم ويمنحهم المبرر في نفس الوقت لاتخاذ اجراءات أشبه قسوة

« وظهرت على صفحات الصحف مثل هذه النداءات في برايز خاصة ، « الشائعات الكاذبة المفرضه آفة خلقية لها ما للآفات الجسيمانية من نتائج اذ تنتشر شيئاً فشيئاً فتصيب بالعدوى كافة أعضاء المجتمع » . من واجب كل مواطن ان يجارب الإشاعات واجرهم في ذلك اجر المجاهد في سبيل الله » .

ولكن يبدو أن أحداً لم يستجيب لهذه النداءات ، فقد قال جمال عبد الناصر في تصريح له « من سوء الحظ أو حسن الحظ أن ثورتنا كانت ثورة

بيضاء » وقال صلاح سالم « اننا مستعدون ان نرى اصحاب هذه الرؤوس
الدماء تسيل انهارا » .

وجاء قرار تشكيل محكمة الثورة في منتصف سبتمبر ١٩٥٣ بخطاب
القاه محمد نجيب في مؤتمر شعبي بنيدان الجمهورية بمثابة رد فعل حاد
لاضطراب المجتمع ، وقد تشكلت المحكمة برئاسة قائد الجناح عبد اللطيف
البغدادي وعضوية البكباشي أنور السادات وقائد الأسراب حسن ابراهيم .

وصحب اعلان التشكيل حملة اعتقالات شملت ابراهيم عبد الهادي
وشقيقه اسماعيل المليجي و ابراهيم فرج ومحمود سليمان غنام والنيل
السابق عباس حليم والدكتور أحمد النقيب وكريم ثابت وكامل القاويش
وسعد الدين السنباطي وممدوح رياض .

وحددت القائمة مصطفى النحاس وزوجته زينب الوكيل وحافظ
عفيفي .

وقد شكلت المحكمة دون معرفة لقواعدها أو تخديده لاهدافها
واقترح صلاح سالم عقدها في ميدان التحرير ، بعد ان أعلن في خطبة عامة
ان هناك وثيقة تدين بعض السياسيين باتصالاتهم بجهات اجنبية .

بدأت محكمة الثورة عملها بمحاكمة ابراهيم عبد الهادي بتهمة الاتصال
عام ١٩٥٣ بجهات اجنبية تهدف الى الاضرار بالنظام ومصلحة البلد العليا ،
كما أنه عمل في سنة ١٩٤٨ على الزج بجيش مصر في معركة فلسطين قبل
أن يتخذ الجيش أهبيه لخوض غمارها وأشاع حكم الأراهاب أثناء رئاسته
للوزارة ، وبخياً لاعوانه الأسباب التي يسرت لهم قتل الشيخ حسين البنا .
كان الحديث عن فلسطين بهذا المضمون شيئاً جديداً .

وانتهت المحاكمة الأولى بصدور الحكم بالإعدام في أول أكتوبر ١٩٥٣
ثم تخيفه الى المؤبد ومصادرة كل مازاد من ممتلكاته وأمواله عدا ورثته شرعياً
وأفرج عنه صحياً في فبراير ١٩٥٤ .

حاكمت محكمة الثورة ٣٤ شخصاً بعضهم من السياسيين والبعض
من المتهمين بالتجسس والاتصال بجهات اجنبية أو ترديد الشائعات .

حوكم ستة من الوفديين هم ابراهيم فرج ومحمود سليمان غنام
وفؤاد سراج الدين وزينب الوكيل ومحمود أبو الفتح وحسين أبو الفتح
وثلاثة من رجال السراي هم كريم ثابت وأحمد النقيب ومحمد حلمي حسين
والنائب العام السابق كامل القاويش وسعدى واحد هو ابراهيم عبد الهادي

ودستورى واحد أحمد عبد الغفار ، وضابطان هما قائمقام عبد الغفار عثمان وأمرالاي أحمد شوقي ، ١٣ جاسوسا و ٣ من مروجى الشائعات ، واثنان للتستر على الاتصال بجهات أجنبية .

أصدرت المحكمة ستة أحكام بالاعدام ، نفذ منها أربعة على الجواسيس ، وعدل اثنان الى المؤبد ااحدهما على إبراهيم عبد الهادى ومتهم آخر بتقديم تقارير وتبليغات لجهات أجنبية اسمه أحمد على عوض ، كما صدرت أربعة أحكام بالبراءة فقط .

محكمة الثورة كانت موجهة أساسا ضد الوفد وبقياء الأحزاب والتبنيطات السياسية ، فقد حوكم من الوفد كل الأعضاء الذين لم يبلغوا الخامسة والستين من العمر ، وكانت محاكمة فؤاد سراج الدين هى أطول محاكمة اذ استمرت ٤٥ جلسة طرحت فيها مختلف القضايا وجاء فى قرار المحكمة ما يأتى : « المحكمة تعيب وتأسف على موقف الحكومة الوفدية المرتجل من معركة التحرير بالقنال وعدم الاستعداد لها ، وهكذا تحول الموقف الذى يستحق الفخر فى تاريخ الوفد ٠٠ الى موقف يجلب له العيب والأسف » ووجهت الطعنة فى غير موضعها فمشارك التحرير والنضال الشعبى لا يشترط ان تستكمل تماما فى بدايتها ٠٠٠ بل هى تنمو وتزداد صلابة مع كفاح الشعب المسلح ، وهو ما حدث فعلا قبل حريق القاهرة . وما تكرر أيضا بصورة أخرى بعد ٢٣ يوليو حتى توقيع اتفاقية الجلاء .

وكانت محكمة الثورة تنعقد خلف باب رفعت عليه هذه الآية . (واقبلوهم حيث تغفتموهم) . وتعقد جلسات سرية لا يحضرها الا اعضاءها والمتهم وذكرياً محبى الدين رئيس مكتب الادعاء الذى كان مشكلا من الضباط الحقوقيين محمد التابعى وإبراهيم سامى وسيد جاد ووكلاء النائب العام مصطفى الهلباوى وعبد الرحمن صالح وأحمد موافى وعلى نور الدين .

المتهمون كانوا يواجهون المحكمة بلا تحقيق ، ويوجه الادعاء التهمة اليهم كنوع من المفاجأة وفى الجلسة السرية التى حوكم فيها إبراهيم فرج فوجى بتهمة الاتصال بجهات أجنبية ، واخيرا تبين ان المقصود هو مقابلته مع مصطفى النحاس لنهرو أثناء زيارته لمصر عقب اعلان الجمهورية بخمسة أيام .

وكان نهرو قد أرسل رسالة جعلها السفير الهندى يطلب مقابلة مصطفى النحاس ضمن زيارته لمصر ، ولما حاول النحاس الاعتذار عن عدم المقابلة منعاً للهرج ، ابلغه السفير بأنه اذا لم تتم الزيارة فان نهرو لن يحضر الى مصر .

وكان النحاس قد التقى بنهرو قبل ذلك مرات ٠٠٠ ولذا كان نهرو حريصاً على ان يظهر في مظهر الوفاء للزعيم الذي احتل مركزه عن طريق الديمقراطية التي يؤمن بها نهرو ايماناً راسخاً والتي كانت موضع حديث دائم بينه وبين أعضاء مجلس قيادة الثورة في كل مناسبة يلتقي بهم فيها .

قال نهرو في هذه المقابلة التي تمت في منزل النحاس انه لا ينسى علاقته بوالده (موليتال) وانه يعتبر الحركة الوطنية في الهند ابنة الحركة الوطنية في مصر التي قادها الوفد ٠٠ وقال له النحاس انه سعيد لانه عاش حتى اليوم الذي أعلنت فيه الجمهورية بمصر ، وصارحه بأنه يكره الحكم العسكري ويرى من واجبه مقاومته حتى يعود الدستور والديموقراطية والحرية .

وعندما انتهت جلسات محكمة الثورة التي بدأت في أول أكتوبر ١٩٥٣ وانتهت في ابريل ١٩٥٤ كان معظم قيادات الوفد قد أصبحوا خلف قضبان السجون .

ويذكر أن أفراداً من أسرة سراج الدين ذهبوا الى جميع أعضاء مجلس الثورة لاقناعهم ببراءة فؤاد ، وقد التقوا بكلمات مجاملة أو اعتذار عن عدم المقابلة ، علما جمال عبد الناصر الذي صارحهم بأنه لا بد من الحكم عليه ، وانه لا بد من التصديق على الحكم ٠٠٠ قائلاً لهم ان فؤاد سراج الدين كرجل سياسى يعرف لماذا حكم عليه ٠٠٠ ومنى سيخرج .

وكان هناك سببان أحدهما خارجى وهو عودة الأحزاب في سوريا بعد الاطاحة بحكم العقيد أديب الشيشكلي وسبب داخلى هو استعداد رجال الثورة للقضاء على الاخوان المسلمين كما صارحهم بذلك .

كانت الأحزاب في سوريا قد توقفت نشاطها أربعة أعوام منذ عام ١٩٤٩ ولكنها عادت للتشكيل فوراً بعد القضاء على ديكتاتورية الشيشكلي . وهو الأمر الذى كان يؤرق رجال الثورة بصفة عامة ، وجمال عبد الناصر بصفة خاصة ٠٠٠ لانهم كانوا يدركون ان مجرد وجودها يشكل خطراً على سلطتهم في لحظة زمنية معينة تحت ضغط ظروف موالية .

وهكذا بعد ان كانت تجربة سوريا تبعث الحذر من تكرار الانقلابات العسكرية ٠٠٠ أصبحت تبعث الحذر أيضاً من عودة الأحزاب السياسية .

وعندما انتهت محكمة الثورة من عملها ، وألقت بعدد من زعماء الوفد
والأحزاب السياسية داخل السجون ، وفتحت أبواب المعتقلات وحظرت
أى نوع من النشاط السياسى خارج هيئة التحرير ، بدأ الأمر كما لو أن
الصدام مع الأحزاب قد وصل غايته .

ولكنه تبين رغم ذلك ان الحياة مازالت تنبض فى جسد الأحزاب ،
وانها استأنفت لتعاود الحياة مرة أخرى فى بداية ١٩٥٤ كما سيأتى تفصيلا
فيما بعد . . .

الفصل الثالث عشر

اعتقال الشيوعيين

(أنا برى ومظلوم : اريد اعادة محاكمتى)

العامل مصطفى خميس

قبل لحظة الاعدام

عندما تحركت قوات الجيش ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٣ كان معسكر الاعتقال فى هاكستيب يضم مئات من الشيوعيين ، ولم ينعم بعضهم بالحرية الا بعد تصفية المعتقلات فى عهد حكومة الوفة عام ١٩٥٠ ، بعد ان كانت قد اقيمت بمناسبة حرب فلسطين عام ١٩٤٨ فى عهد حكومة منمودة فهمى النقراشى .

ومنذ حملة اسماعيل صدقى ١٩٤٦ ، والشيوعيون يتعرضون فى مصر للاعتقال كلما تهيأت للسلطة الحاكمة ظروف مواتية . . . حتى انه يمكن القول بان فترات الحرية لهم كانت الاستثناء وليست القاعدة .

ولذا كانت حركة الجيش محل تأييد من الحركة الديمقراطية للتحرز الوطنى (جدتو) وهى التنظيم الشيوعى الرئيسى فى هذه الفترة ، وعندما ابلغت قيادتها ليلة ٢٣/٢٢ يوليو بان قوات الجيش ستتحرك بعد ساعات لضرب النظام القائم ، وفرض شروطها على الملك ، اعتدت منشورا

ثورة يوليو ج١ - ٢٨٩

يؤيد حركة الجيش باعتبارها حركة وطنية ، ووزع المنشور في ساعات الصباح الأولى يوم ٢٣ يوليو وكان أول تأييد للحركة من أية قوة سياسية ، الى جانب موقف الاخوان المسلمين المساند للحركة ، والذي دفع عناصرها لحراسة المعابد والمرافق الحيوية ، في الوقت الذي كان فيه منشور (حدثو) يوزع في شوارع القاهرة .

وكان طبيعيا من (حدثو) ان تبادر الى التأييد ، لأن منشورات الضباط الأحرار كانت تطبع في جهاز طباعتها السري بعد حريق القاهرة ، وتوزع أيضا بواسطة اجهزتها ٠٠٠ وبعض أعضائها كانوا يؤدون دورا بارزا في حركة الضباط الأحرار ٠٠٠ كانت لجنة قسم الجيش بها تضم أحمد فؤاد مستولا للدعاية ومن كاتب هذه السبطور مسئولو للسياسة ، وقد استطاع أحمد فؤاد أن يخلق علاقة طيبة مع جمال عبد الناصر الذي تعرف عليه عن طريق خاله محيي الدين الذي كان عضوا في تنظيم قسم الجيش هو ويوسف صديق وعدد آخر من الضباط الأحرار .

ولم تتخذ اللجنة التأسيسية لحركة الضباط الأحرار موقفا من خالد محيي الدين مثل الموقف الذي اتخذته من عبد المنعم عبد الرؤوف الذي فصلته لارتباطه بالاخوان ومحاولته ضم الضباط اليهم بدلا من الضباط الأحرار ٠٠٠ وذلك لأن تنظيم قسم الجيش في حدثو كان حريصا على توفير مواصفات خاصة في الضباط الذين ينتمون اليه ، ولذا فإن أعضائه كانوا يجندون الضباط أولا لتنظيم (الضباط الأحرار) ويعتبرون خلال هذه الفترة في مرحلة الترشيح حتى اذا استكملوا مواصفات الدخول للتنظيم فكروا ووعيا ، عرض عليهم الانضمام لقسم الجيش .

لذا فإن اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار لم تجد تناقضا بينها وبين الضباط الشيوعيين ٠٠٠ ولم تثبت حالة واحدة كان يجنب فيها أحد الضباط ، وخاصة (الأحرار) ، لتنظيم (حدثو) مباشرة .

وخلال فترة ما قبل ٢٣ يوليو ، وعندما اشتعلت الروح الثورية مع كفاح الشعب المسلح ضد الانجليز في منطقة القناة ، اعتبر قسم الجيش في (حدثو) ان جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر بالذات من العناصر الوطنية المخلصة والمتطورة والتي يمكن مصارحتها بدخول التنظيم يوما ما .

ولكن قيام الحركة التي فترة الترشيح والنظرة المرتقبة ٠٠ وبدأت الحركة السياسية بين قطبين مختلفين ٠٠٠ ولا يصح قول أحمد أبو الفتح في كتابه بأن جمال عبد الناصر كان منضمّا لتنظيم (حدثو) تحت اسم حركي (مورييس) .

ومع ذلك كان من قرارات الحركة الأولى الإفراج عن المعتقلين الشيوعيين ، ولقد تم الإفراج عنهم جميعاً على التوالى عدا ١٧ شخصاً تحجرت نية الإفراج عنهم ، وبقوا كخبرة لمعتقلين جدد .

وسرعان ما حدث خلاف فى رأى ، عندما تفجرت قضية كفر الدوار عقب مظاهرة احتجاج قام بها عماله شركة مصر للغزل والنسيج الرقيق البالغ عددهم نحو عشرة آلاف عامل يوم ١٢ ، ١٣ أغسطس للمطالبة ببعض الحقوق العمالية ، وتعرض البوليس لهم ثم حدث اشتباك أدى الى اشتعال بعض الحرائق ، والاستنجد بقوات الجيش التى تصادمت مع العمال أيضاً ، وانتهى الأمر بمصرع ثلاثة جنود وثلاثة عمال وجرح ٢٨ شخصاً . . .

تصرفت حركة الجيش ازاء هذا الموقف برعونة شديدة تحت وهم ان هذه المظاهرات هى بداية أعمال مضادة ضد الجيش ، وتشكل مجلس عسكري برئاسة عبد المنعم أمين عضو مجلس القيادة فى ذلك الوقت ، ويقول انه قد تطوع لرئاسة المجلس واقترح عقده فى موقع الحادث . وقد تشكل من حسن ابراهيم عضو المجلس والبكباشى محمد عبد العظيم شحاته والبكباشى أحمد وحيد الدين حلمى والصاغ محمد بدوى الخولى واليوزباشى فتاح الله رفعت واليوزباشى جمال القاضى . .

كانت المحاكمة سافرة العدوان على حقوق المتهمين ، فلم تفتح لهم فرصة الاعتماد على المحامين الى الدرجة التى ذفعت عبد المنعم أمين الى مطالبة الصحفي موسى صبرى الذى كان يمثل جريدة الأخبار ، للدفاع عن العامل محمد مصطفى خميس باعتباره حاصلاً على شهادة الحقوق .

ويقول عبد المنعم أمين ان مصطفى خميس قد ترفع عن نفسه مراعاة عظيمة لمدة نصف ساعة ولكنهم استندوا مع ذلك الحكم عليه بالاعدام هو ومحمد حسن البقرى ، وصدرت أحكام بالسجن على بقية المتهمين الذين كان من بينهم صبرى فى الثامنة عشرة من عمره .

أهاج أسلوب المحاكمة مشاعر الجماهير فى مصر والخارج ، ووضع (حدثون) التنظيم الشيوعى الممثل للقوى العاملة فى وضع شديد الحرج ، فانه رغم ان مصطفى خميس ومحمد حسن البقرى لم يكونا أعضاء فى الحركة الديمقراطية ، الا ان الدفاع عنهما اعتبر واجباً مقدساً على كل تنظيم أو شخص شيوعى أو تقدمى .

وقد تسرع مصطفى النحاس فأصدر بياناً يستنكر فيه حوادث الشعب ويدعوا العمال الى الانتاج المثمر ، وكذلك أصدر (الحزب الوطنى) بياناً بنفس المعنى . . . وكان هذا الموقف ، دليلاً على معاداة الأحزاب وحركة

الجيش معا للطبقة العاملة. والتخوف من حركتها ٠٠٠ وبينما أثبت التحقيق كما أشارت جريدة (الأهرام) الى أن البوليس قد أطلق النار قبل الشعب مما استفز العمال ، وانه بذلك ينهار ركن هام في الجريمة ٠٠٠ فان ذلك لم يغير من الأمر شيئا .

وصبيحة مصطفى خميس التي اطلقها قبل اعدامه : أنا برى ومظلوم ، أريد إعادة محاكمتي ٠٠٠ ان محامى لم يطلب شهودا وكان هناك اثنان قد شهداني : أنا ماشى ، قد ضاعت وتبدلت فى الهواء ٠٠٠ وتؤكد هذه الصيغة قسوة المجلس العسكرى فى معاملة المتهمين وحرمانهم من حق أساسى من حقوق الانسان هو توكيل المحامين .

ومع ذلك يقول عبد المنعم أمين أن حكم المجلس العسكرى لم يكن بالاجماع مما يتعارض مع قانون الأحكام العسكرية ٠٠٠ كما أن تصديق مجلس قيادة الثورة لم يكن بالاجماع أيضا ، فقد اعترض على الحكم بالاعدام ولم يوافق عليه كل من جمال عبد الناصر ويوسف صديق وخالد منجى الدين فقط ، كما أن محمد نجيب كان مترددا فى التصديق على الحكم واستدعى اليه مصطفى خميس فى مكتبه لمحاولة مساعدته اذا قدم له معلومات مفيدة ، ويقول محمد نجيب أن مصطفى خميس كان رجلا شجاعا . لم يعترف على أحد ولم يوجه اتهامات ظالما ، لأنه حقيقة لم يكن مدفوعا من أحد ، ولم يرتكب جرما يستحق عليه الاعدام .

وقد آثرت محاكمة كفر الدوار عاصلة شديدة من النقد على المستوى العالمى فان تصرفات المجلس العسكرى واسلوبه كانت محل ادانة كل القوى التقدمية واليسارية والمنظمات العمالية ورجال الصحافة ، فى مختلف أنحاء العالم ٠٠٠ وادى هذا الى تصوير حركة الجيش أمام العالم بأنها حركة رجعية فاشية .

وصفت بأنها « مجموعة من الضباط الرجعيين تربطهم صلة مباشرة وقوية بالولايات المتحدة » .

وقد أدى هذا الموقف الى وضع الحركة الديمقراطية للتحريرو الوطنى (حدتو) فى موقف المدافع عن قضية خاسرة ٠٠٠ فان النظرة الى حركة الجيش كانت على أساس أنها حركة وطنية تجمل تباشير بحريرو وطنى وتغيير اجتماعى .

كتب (بالم دات) عضو المكتب السياسى للحزب الشيوعى البريطانى تقريرا هاجم فيه حركة الجيش وقامت (حدتو) والحركة السودانية للتحريرو

« أشهد لوجه الحق ان هذه الواقعة ليس لها أساس من الصحة وإن الرئيس الراحل لم يزودنى بأية قائمة لا بأسماء المحررين الشيوعيين ولا بغيرهم لفصلهم من مجلة التحرير كما لم أقتدم بأية قوائم . وإذا لم تكن هناك قائمة أصلا أو نية لاستبعاد بعض المحررين فمن باب أولى ألا يكون هناك مجال للسيد عبد المنعم الصاوى الذى كان يعمل مديرا للتحرير بأن يتدخل فى مثل هذا الأمر الموهوم فقد ظل المحررون الشيوعيون يكتبون المقالات موقعين بأسمائهم باستثناء واحد فقط لظروف خاصة لحمايته وبرضائه الشخصى » .

كما أراد الدكتور ثروت عكاشة تأكيد هذه الحقيقة فاستكتب خاله محبى الدين هذه الكلمة :

« انى كنت حاضرا عندما كلف جمال عبد الناصر ثروت عكاشة بتولى مسئولية مجلة التحرير ولم يقدم جمال عبد الناصر قائمة لثروت عكاشة بأسماء محررين شيوعيين يجب فصلهم ولكن ما أذكره هو أن جمال عبد الناصر طلب اليك ، أى لثروت عكاشة ، الحذر من سيطرة شيوعية كاملة على مجلة التحرير وأن تكون عينك مفتوحة ل هذه الغرض وأنت مسئول أمامه عن سياسة المجلة . والدليل على ذلك أنه لم يحدث فصل لأى محرر يسارى أو شيوعى أو غير ذلك طوال مدة رئاستك لمجلة التحرير . هذا حسبما أذكره ولا اعتقد أن جمال عبد الناصر قد قابل عبد المنعم الصاوى بهذا الصدد كما ورد برسالتك نقلا عن الكتاب . لأن عبد الناصر لم يذكر لى أنه قابل عبد المنعم الصاوى » .

وسواء صحت رواية ثروت عكاشة أو عبد المنعم الصاوى فإن الحقيقة الثابتة أن أحدا من المحررين لم يفصل من عمله ، كما أنى بعد ان اعتقلت وأخرج عنى طلب منى جمال عبد الناصر ضرورة العودة للكتابة فى المجلة التى اسهمت فى تأسيسها ورأست تحريرها فاستجبت لذلك حرصا على عدم اتخاذ موقف انعزالي ورغبة فى مواصلة التعاون مع زملاء اعتز بهم . . ولكن ذلك لم يستمر لفترة طويلة .

وانضمت حركة الجيش موقفا صريحا من الشيوعية عندما أصدرت وزارة محمد نجيب فى يوم ١٦ أكتوبر ١٩٥٢ قرارا بالغاء الشامل عن المحكوم عليهم بالجرائم السياسية التى وقعت فى الفترة من توقيع معاهدة ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ الى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ أو المتهمين بقضايا سياسية خلال المدة ، وأعلن فتحى رضوان فى تصريح صحفى ان القضايا الشيوعية تدخل ضمن القرار ، ولكن القانون الذى عفا عن ٩٤٣ شخصا استثنى الشيوعية باعتبارها موجهة ضد النظام الاقتصادى والاجتماعى للدولة .

وقد رفع الشيوعيون المحكوم عليهم قضايا أمام مجلس الدولة للتظلم من هذه التفرقة ، ولكنها لم تنظر بعدما اعتبرت القوانين من أعمال السيادة التي لا يجوز مراجعتها طبقا للدستور المؤقت الذي اذيع فيما بعد .

وأظهرت حركة الجيش موقف العداء من الشيوعية مرة أخرى عندما خطب يوسف صديق في بنى سويف أثناء جولة في الأقاليم صحبه فيها عبد العزيز على وزير الشؤون البلدية وفتحى وضوان وزير الارشاد القومى ، وقال ان الحركة (لاشرقية ولا غربية) . . . لم تذع الاذاعة تسجيل الخطبة واحتج بعض أعضاء المجلس على إعلان هذا الموقف الذى أثار رجال السفارة الأمريكية وبعث في نفوسهم الضيق - على حد قولهم .

كان الحياء مرفوضا في هذه الفترة من جانب الغرب ، وتعرض يوسف صديق بعد ذلك لمضايقات من زملائه أعضاء المجلس ، وخاصة بعد اعتراضه على رفع سعر السجائر ، وعدم مناقشة المجلس لتشكيل وزارة محمد نجيب وعدم تدوين محاضر الجلسات ، وعزى عن رئاسة تحرير مجلة (التحرير) وسلوك بعض الأعضاء بطريقة مسيئة للجميع .

كانت التناقضات تلمو بينهم وبين يوسف صديق يوما بعد يوم ، وكان يختلف سلوكه عن زميله في التنظيم خالد محيى الدين . . . فكان يوسف أكثر صراحة وانفعالا ، وكان خالد أكثر هدوءا ومرونة .

كانت استراتيجية (الحركة الديمقراطية للتحرير الوطنى) التي ينتمى لها الاثنان هي الحرص على التعاون مع حركة الجيش ، وتنمية العوامل الايجابية فيها ، والعمل على ذبول التناقضات المفتعلة . . . بل ان مجلة الكاتب أعلنت عن ظهور (حزب التحرر الوطنى) برئاسة كامل البندارى الذى حل الدكتور ابراهيم رشاد مكانه في رئاسة مجلس السلام وضمت اللجنة الرئيسية للحزب حقنى محمود ويوسف حلمى وخالد محمد خالد وزكى مراد وكمال عبد الحلوم وأحمد الرفاعى والعاملين أحمد طه ومحمد على عامر والسيدة سيزا نبراوى . . . ولكن الحزب لم يقدم طلبا لوزير الداخلية لأن قانون الغاء الأحزاب قد لحقه قبل ان يعلن عن وجوده بطريقة شعبية كانت تستهدف عقد مؤتمر عام يضم مندوبين من كافة أنحاء مصر ويعلن برنامج الحزب أثناء انعقاد المؤتمر لتتم مناقشته والتصديق عليه .

ولكن حركة اعتقال الضباط يوم ١٥ يناير ١٩٥٣ كانت حدا فاصلا بين مرحلتين . . . فقد صدر الأمر باعتقالى ضمن مجموعة ضباط المدفعية ورشاد مهنا رغم علم صلتى بهم ، بل وتناقض أفكارى الشديدة مع أفكارهم

... وكنت الوحيد من قسم الجيش في (حدتو) الذي صدر الأمر باعتقاله لانهم كانوا حتى هذه اللحظة غير معروفين اذا استثنينا يوسف صديقي وخاله محيي الدين .

ولم تقف الاعتقالات عند حد الضباط فقط ، ولكنها امتدت الى السياسيين وبدأ اعتقال الشيوعيين يوم ١٦ يناير ، ولكن اعتقالى كان انذارا لهم فلم يسقط أحد أعضاء المكتب السياسى للحركة والذي كان مكونا من ميكائيل الطيران السابق سيد سليمان رفاعى والشاعر كمال عبد الحليم والعامل محمد شطا والمحامين زكى مراد وأحمد الرفاعى والسودانى عبد الخالق جنية .

نشرت الصحف أنه تم اعتقال ١٠١ بينهم ٤٨ شيوعيا .
واصدرت (حدتو) منشورا يهاجم اعتقالى وكتب كمال عبد الحليم فصيدة فى مجلة (الكفاح) تحية لى داخل السجن .
كانت حركة الاعتقال نقطة تحول خطيرة ، وخاصة انها ارتبطت بمصادرة الجرائد والمجلات اليسارية مثل الكاتب والملايين والميدان والواجب (صحيفة الهلال) وصوت الطالب والمعارضة التى كان يصدرها فتحى الرملى .

أصر يوسف صديقي على الاستقالة معلنا ان ضميره لا يسمح له بالبقاء وسط مجلس يصدر قرارات باعتقال زملائه يعتبرهم شرفاء لا يستحقون مثل هذه المعاملة ... وحاول أحمد فؤاد اقناعه بالبقاء ولكنه أصر على موقفه دون تردد .

وعادت الأحزاب الشيوعية والمنظمات الديمقراطية العالمية تهاجم حركة الجيش باعتبارها حركة رجعية فاشية تعتقل الوطنيين وتحل الأحزاب السياسية وتعادى الديمقراطية .

وفى الداخل كان النضاع عن حركة الجيش مع هذه الاجراءات أمرا شديدا الصغوبة وليس له صدى عند الجماهير الواعية .

وبدأت (حدتو) تفقد جانبا من أنصارها الذين وجدوا فى موقفها الصبور المتهاون مع حركة الجيش ، ما يمكن اعتباره خطأ وانحرافا ... وبدأوا ينتقلون الى تنظيم آخر هو (الحزب الشيوعى المصرى) الذى تشكل فى يناير ١٩٥٠ من جانب حدتو (مصطفى طيبة وصالح هاشم) ومجموعة أخرى كانت ضد عدم تكوين (حدتو) لحزب شيوعى يمثلها (جلال كشك وعبد الرحمن شاكر) والدكتوران اسماعيل ضبرى عبد الله وفؤاد مرسى اللذان كانا يدرسان فى فرنسا .

المطارق التي انهالت على رأس حدتو لعدم ادانتها لحركة الجيش
بالفاشية ، دفعت كثيرا من أعضائها الى الخروج منها والانضمام الى
(الحزب الشيوعي المصري) الذي كان يعلن انها حركة رجعية فاشية منسقة
نعمته في ذلك مع بعض الأحزاب والمنظمات الديمقراطية العالمية .

وخلال فترة اعتقال التي امتدت خمسين يوما دون تحقيق الا أسئلة
عابرة من ذكرى محيي الدين يوم الافراج عنى ، اتخذ أحمد فؤاد موقفا
جديدا هو الانتقال من (حدتو) الى (الحزب) لأمور لم يتحقق من صحتها
وأدى تغيير موقفه الى هبوط النشاط في قسم الجيش وتحول العمل
النضالي فيه الى مناقشات تدور حول مواضيع تنظيمية خاصة تهذب
الموقف السياسى العام .

أدى انتقال أحمد فؤاد الى عزلته عن قسم الجيش ، ثم خروجه عن
الحزب وتركيزه على العمل فى المناصب التي تولاها بعد ذلك .

وكانت هذه بداية التفكك فى الصلابة التنظيمية لقسم الجيش
التي بدأت مع مطلع الأربعينيات واستمرت حتى ذلك الوقت فى سرية
كاملة وقدره على العمل لا تتوقف وكانت النتيجة بعد ذلك هي صدور
قرار اللجنة المركزية بحل قسم الجيش تفاديا لما يمكن ان تجلبه الخلافات
من متاعب على الحركة كلها وتوجيه اتهامات للمسؤولين قد تكون
جسرا لاعداء بعض قادة الحركة الشيوعية باعتبارهم يتدخلون فى شئون
الجيش .

وكانت الشهور التالية لبداية حركة الاعتقالات مجالا لصراعات متعددة
بين حركة الجيش والشيوعيين عموما من جهة وبين الخطين السياسى
والمعارضين لحدتو والحزب من جهة أخرى .

لم تفرق الاعتقالات بين أعضاء (حدتو) وأعضاء (الحزب) فقد
اعتقل بعض أعضاء المكتب السياسى لحدتو فى شهر ابريل ١٩٥٣ ، واكتمل
اعتقالهم فى نوفمبر ١٩٥٣ وكانت (حدتو) خلال هذه الفترة قد
استطاعت تهريب ٧ معتقلين من معتقل روض الفرج ، كما هربت أحمد طه
شقيق عبد القادر طه من معتقل بنى سويف .

وعندما ضاقت الحلقة على الشيوعيين خارج الجيش ، ضاقت عليهم
داخل الجيش أيضا تضاعفت الرقابة الى الحد الذى جعل اتصالى
بأى من الزملاء مصدر خطر له ، وقرر مجلس القيادة نفي يوسف صديق
خارج مصر ، فسافر فى ابريل ١٩٥٣ الى سويسرا ثم لبنان ، ولما طلب
العودة أرسلوا له زوجته وأولاده ، ولكنه قرر العودة سرا وعاد فعلا

فى أغسطس ١٩٥٣ وأرسل لمحمد نجيب برقية من بنى سويف يعلن فيها وصوله الى مصر .

صدر قرار بتجديده اقامة يوسف صديق فى بلده .

وتشكلت محكمة عسكرية عليا برئاسة القائمقام أحمد شوقي قائد قسم القاهرة للنظر فى قضيتين شيوعيتين فى شهر يوليو ١٩٥٣ .

وقد طلب الدفاع استدعاء محمد نجيب وجمال عبد الناصر وصالح سالم وأنور السادات لسماع أقوالهم ولكنهم لم يحضروا .

لم يتوقف الشيوعيون خلال هذه الفترة عن المطالبة بالديموقراطية وعودة الحياة البرلمانية ولم يجدوا فى ذلك أى تناقض مع الماركسية وبدأوا سعيهم الحثيث لتكوين جبهة وطنية ديمقراطية تضم الوفديين والشيوعيين والايخوان المسلمين والاشتراكيين (الحزب الاشتراكي - مصر الفتاة) وأنصار السلام وغيرهم من الهيئات والتنظيمات .

بدأت هذه المحاولات مع تصاعد حملة الاعتقالات ، وكان التحضير لها يتم بطريقة سرية وقد فرض الوفد ومصطفى النحاس شخصيا النائب الوفدى حنفى الشريق ، ومثل (حدتو) المحاميان أحمد رفاعي وزكى مراد ، ومثل الاشتراكيين إبراهيم شكرى ، ومثل أنصار السلام يوسف حلمي وسعد كامل ، ومثل الاخوان الدكتور خميس حميدة وعبد الحفيظ الصيفى .

أعدت (الجبهة الوطنية الديمقراطية) التى كانت لاتزال بعده فى مرحلة التشكيل برنامجا اشتراكيا ديموقراطيا وافق عليه الجميع ، عدا مندوبى الاخوان المسلمين الذين انسحبوا من اجتماعات الجبهة وتكروا لها بل ووقفوا موقف المخاصمة لها فى انتخابات طلبة الجامعة .

كانت خطوات تشكيل الجبهة تمضى فى طريقها رغم ضربات البوليس واعتقاله لبعض أفرادها وهنا يجدد بنا القول بأن هذا النشاط العريض للتنظيمات الشيوعية كان يتم بأفراد لا يتجاوزهم أكبرهم الخامسة والثلاثين فقد كانت الحركات الشيوعية هى دفعة الجيل الجديد .

ويقول رودنسون فى كتاب (مصر منذ الثورة) :

« قد يبدو غريبا عند البعض ممن يعتقدون أن الديمقراطية والماركسية لا تتفقان كالأمريكيين أن يروا المصريين الماركسيين يدافعون بحراة خلال هذه الفترة عن كل من النظام البرلماني والعودة الى الحياة الدستورية وهو ما لعب دورا تاريخيا هاما . »

ولكن هذا الدفاع كان منزها عن المكيفيلية بل انه لم يكشف بالضرورة عن منافسته مع الجماعات السياسية الأخرى ، واني لعل يقين من هذه النتائج اذ كنت انا نفسى موجودا في القاهرة خلال هذه الفترة وعلى اتصال وثيق ومشاركة عقلية للجماعات الماركسية .

وحاولت حركة الجيش ان تواصل لعبتها السياسية في التسرب داخل صفوف الشيوعيين كما فعلت ذلك مع الاخوان المسلمين أيضا . فكلفت بذلك حسين عرفة رئيس المباحث الجنائية العسكرية بالبوليس الحربي ، الذي أمكن له الاتصال ببعض العناصر الشيوعية ، ثم لعب بعد ذلك دورا شبه علني باعتباره مفوضا من السلطة للتفاهم معهم وتسهيل اجراءاتهم ، وهو يمارس دور المخابرات في نفس الوقت .

وقد لعب حسين عرفة دورا نشطا في التسرب لصفوف الشيوعيين امتد عدة سنوات ، ولكنه مع ذلك لم يكن ذا تأثير كبير في تمزيق التنظيم ، لما وجده من صلابة الأعضاء ورفضهم التبرك لمبادئهم .

ويضرب مثلا لذلك موقفا لسعد كامل الذي اعتقلته السلطات فارسل برقية غاضبة هو ويوسف حلمي لجمال عبد الناصر ، وكان يوسف حلمي على اتصال بجمال عبد الناصر منذ بداية الثورة ، يحاول التوفيق بينه وبين الوفد والقوى الشعبية والديموقراطية الأخرى . وبعد تقدير موقف جديده داخل السجن ، أُرسل الاثنان برقية تحمل رأيهما الحقيقي الذي لاتناقض رئيسي فيه بينهما وبين جمال عبد الناصر ، فافرج عنهما وهرب بعدها يوسف حلمي الى الخارج .

وكانت الثورة قد قدمت (قضية الجبهة الوطنية الديمقراطية) للمحكمة ، وهي القضية التي جمعت خيوطها بعد اكتمال اعتقال المكتب السياسي لحدتو ، والنائب الوفدي حنفي الشريف واليوزباشي مصطفى كمال صدقي والغنانة تحية كاريوكا وغيرهم . وطلب حسين عرفة من سعد كامل ان يذهب الى المحكمة معارضا رأى زملائه مدافعا عن جمال عبد الناصر كما ورد في برقيته ولكنه رفض تماما باعتباره ان ذلك يعتبر موثا سياسيا له ، وكانت النتيجة تقديمه هو الآخر للمحكمة والحكم عليه هو وزوجته كما سيتضح من تفاصيل هذه القضية في فصل قادم .

ويبدل حسين عرفة على ذلك بقوله أيضا انه اعتقل هاملا يوزع منشورات شيوعية ولكنه رفض الاعتراف وعندما أخذه الى الجبل وأطرق أربع رصاصات للارهاب قال له العامل في بساطة (لا انت حقتلني . . . ولا أنا حاعترف) .

وقد لعبت المخابرات المركزية دورا كبيرا في افساد العلاقة بين التنظيمات الشيوعية المعبرة عن آمال الفلاحين والطبقة العاملة وبين حركة الجيش التي فرضت نفسها بقوة السلاح ممثلة للطبقة الوسطى .

كان ممكنا أن يحدث نوع من التحالف بين حركة الجيش والحركات الشيوعية لولا ضغط عدة عوامل منها :

١ - الخشية من وجود قوة تبازع حركة الجيش في سلطتها .

٢ - العداء التقليدى السافر بين الاخوان المسلمين المتحالفين مع حركة الجيش وبين الفكرة الشيوعية .

٣ - تدخل المخابرات الأجنبية للايقاع بين القوى الوطنية حاملة شعائر (الطياء للشيوعية) .

٤ - تأثر معظم الضباط بالدعايات المضادة للشيوعية التي استهلكت الدولارات من الدول الامبريالية .

٥ - عدم وصول التنظيمات الشيوعية في عمرها القصير الى الدرجة المؤثرة التي تحشد أغلبية الجماهير حولها ، علاوة على ما عانته من انقسامات أثرت على حركتها ونفوذها بين الجماهير وبالتالي تقدير حركة الجيش لها .

٦ - قال جمال عبد الناصر لبعض قلدته (جلدتو) أثناء الاتصال بهم في الشهور الأولى من الثورة وعقب زيارته للأقاليم ، انه كان يراقب في نقطة شديدة هتافات الجماهير ليتعرف على انتماءاتها السياسية وانه لاحظ وجود تأثير شيوعي في بعض المناطق العمالية مثل المحلة الكبرى والاسكندرية وشبرا الخيمة والمنصورة . . . ولكنه لم يلحظ تأثيرا قويا للشيوعيين في المناطق الأخرى ، كما لاحظ للاخوان المسلمين .

وصل التضاد بين حركة الجيش والحركات الشيوعية غايته مع نهاية عام ١٩٥٣ عقب اعتقال معظم القيادات وجانب كبير من أعضاء التنظيم .

ولكن هذا لم يصب التنظيمات الشيوعية بالسكتة القلبية كما حدث مع بعض الأحزاب التي فقدت قدرتها تماما بفعل قانون حل الأحزاب . . . ولم تصب بهبوط شديد كما حدث مع الوفد الذى أقر قانون الإصلاح الزراعى على جانب كبير من قيادته وتاهت جماهير بلا قيادة . . .

على قدر ما كان الصدام عنيفا ، كانت المقاومة ٠٠٠ وعلى قدر
ما فتحت أبواب السجن للمناضلين الشيوعيين ، على قدر ما تجددت
التنظيمات بأعضائه جدد .

ولذا لم يصل التصادم الى نقطة سكون ، بل ان الشيوعيين ظلوا
موجودين رغم كل شيء ٠٠٠ وكان لهم دور متجدد كما سيتضح تفصيلا
فيما بعد .

الفصل الرابع عشر

حل الاخوان المسلمين

(أنا على ثقة من أن الغرب سيقتنع بمزايا
الاخوان المسلمين وسيكف عن اعتبارهم
شبيحا مفزعا كما حاول البعض أن يصورهم)

حسن الهضيبي

المُرشد العام للاخوان المسلمين

(أن حسن الهضيبي كان حريصا على حسن
العلاقات معنا)

الطوني ايلن

علاقة الاخوان المسلمين بحركة الجيش بدأت وثيقة ، واستمرت فترة
طويلة ثم انتهت نهاية دموية مريرة .

ذهب جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين لتبليغ حسن عسماوى
وصالح أبو رقيق عضوى مكتب الارشاد بموعد الحركة ، وفى صباح
٢٣ يوليو كان عدد من الاخوان المسلمين يحرس المنشآت وأماكن العبادة .

صلة الضباط الأحرار بالاخوان المسلمين كانت وثيقة ، عدد كبير
منهم انتمى للجماعة فى مرحلة من مراحل حياته كما سبق ذكره ٠٠٠ ولكن

تنظيم (الضباط الأحرار) رفض أن يكون تابعا لحزب أو قوة سياسية ،
وأنه ان يكون حركة وطنية مستقلة تملك السلاح مع أهدافها الخاصة ...
ولذا قررت اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار فصل عبد المنعم
عبد الرؤف منها في بداية ١٩٥٢ ، لأنه كان يحاول تجنيد الضباط
للإخوان ... وليس لتنظيم الضباط الأحرار .

وعندما انتصرت الحركة ، اعتقد الإخوان أن في ذلك انتصارا لهم ،
وكانوا في ذلك الوقت أحرارا خارج المعتقلات على عكس بقية الأحزاب
والقوى الوطنية التي ضربت بعد حريق القاهرة مثل الحزب الاشتراكي
والحزب الوطني وأنصار السلام والتنظيمات الشيوعية .

واختلط صوت الإخوان بصوت الجماهير المؤيدة لحركة الجيش في
الأسابيع الأولى ... ولم تكن هناك فرصة ليعلو صوتها فوق صوت
الآخرين ... فان الأفراج من المعتقلين ، ونساء المحافظة على الدستور
والديموقراطية ، دفع الأحزاب جميعا إلى النشاط ... ولم تكن جماعة
الإخوان المسلمين مركز جاذبية شديدة للوطنيين بعد أن كشفت الأيام
كثيرا من مواقفها المتهاونة المترددة مع الرأي ، وأظهرت تصريحات مرشدها
العام حسن الهضيبي أن لها اتجاهات خاصة متباينة مع اتجاهات
الجماهير .

كان الإخوان المسلمون قد أيدوا على ماهر ، ثم أيدوا نجيب الهلاني
لأن وزارته من رجال حزبيين عرفوا بإسلامة القصد وبعد النظر واتصفوا
بالجراة والأقدام ... كما أن موقفهم من المسألة الوطنية كان يتضح من
حديث للهضيبي قال فيه بعدم قبول الإخوان المفاوضة في مبدأ الجلاء ،
وانما تجرى المفاوضة في كيفية تنفيذ الجلاء ، وعلى أساس أن اشتراك مصر
في أي دفاع إقليمي يجب ألا يكون شرطا للجلاء والوحدة ... وهو ما كان
يعتقه نجيب الهلالي من صدور بيان بريطاني من جانب واحد بالجلاء
والوحدة ، ثم تجرى المفاوضات في طريقة التنفيذ .

وكان هذا الموقف يتعارض تماما مع ارادة الشعب المصري التي
أجمعت على رفض الارتباط بالأجلاف أو مواثيق الدفاع الاقليمي ...

ومع ذلك فكرت حركة الجيش في تعيين وزيرين من الإخوان المسلمين
في وزارة محمد نجيب ... ورشح الهضيبي الشيخ أحمد حسن الباقوري
وأحمد حسني وكيل وزارة العدل ومحمد كمال الدين محافظ الاسكندرية ،
وبعد أن تم الاتصال بالأول والثاني فعلا ، أبلغ جمال عبد الناصر
سليمان حافظ الذي أسهم بقدر كبير في تشكيل الوزارة أن حسن
العشماوي ومدير الدلة قد حضرا موفدين من المرشدين العام ليبلغاه أن

اختيار الاخوان المسلمين قد وقع عليهما ليبتلاهما في الوزارة ٠٠٠ وأن الترشيح الأول كان شخصيا من الهضيبي وليس من مكتب الارشاد .

كان الاعتذار للباقورى وأحمد حسنى بعد تبليغهما صعبا ٠٠٠ كما ان رأى سليمان حافظ فى عشناوى والدلة كان انهما شباب أكثر مما ينبغي ٠٠٠ ولذا فانه كان هناك احتمالان أما اشراكهما فى الوزارة وأما قبول قرار مكتب الارشاد لعدم الاشتراك ، وقد استقر رأى على الأمر الثانى .

وكان هذا هو الصدام المكتوم الأول ٠٠٠ فقد شعر الاخوان ان الحركة لا تستجيب لارادة الجماعة ، وشعرت الحركة بموقف الجماعة السلبي ٠٠٠ ولكن هذا لم يغير من طبيعة التعاون ولم يضعف الصلة .

فصل الشيخ الباقرى من مكتب الارشاد بعد توليه وزارة الأوقاف ٠٠٠ وهو كان يأمل بالتأكيد أن يجمع بين عضوية المكتب والوزارة معا . . . وادى هذا الموقف الى ظهور بعض تناقضات فى صفوف الجماعة ٠٠٠ وهى تناقضات بدأت قبل ٢٣ يوليو ، عقب اغتيال حسن البنا ، وصراع زملائه للوصول الى منصب المرشد ، تم الاتفاق على حسن الهضيبي وهو بعيد عن تنظيمات الجماعة ، ولم يكن له فيها دور رئيسى ، وانما ارتضته كل الأطراف المتنافسة ، لانتهاز فرصة السيطرة عليه وبالتالي على الجماعة .

واستمرت العلاقة طيبة بين الحركة والجماعة ، وخاصة بعد الافراج بعفو خاص فى ١١ أكتوبر ١٩٥٢ عن قتلة المستشار أحمد الخازندار رئيس محكمة جنايات القاهرة الذى كان قد حكم بالادانة فى بعض جرائم للاخوان المسلمين ، ومحمود فهمى النقراشى الذى كان قد أصدر قرارا بحل الجماعة بعد حرب فلسطين ، وعن المحكوم عليهم فى قضية قنابل مدرسة الخديوية ٠٠٠ وقد توجه المفرج عنهم من السجن الى مركز الارشاد فورا ، حيث استقبلوا بحفاوة شديدة من أعضاء الجماعة .

ثم صدر بعد ذلك بأيام مرسوم بالعفو الشامل عن الجرائم السياسية التى وقعت فى المدة من توقيع معاهدة ٢٦ أغسطس ١٩٣٦ الى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ أو المتهمين فى قضايا سياسية ولم تزل قضاياهم أمام المحاكم ٠٠٠ وقد بلغ عددهم ٩٣٤ شخصا ، هم الذين استثنى منهم المحكوم عليهم فى قضايا شيوعية باعتبارها جريمة اقتصادية كما سبق ذكره ، وكان من بينهم عدد كبير من الاخوان .

وعندما صدر قانون تنظيم الأحزاب بادرت جماعة الاخوان المسلمين بتقديم طلب بتوقيع حسن أحمد المليجى والدكتور محمد خميس حميده وفهمى أبو غدير ، يطلبون حق تشكيل الجماعة ببيان جاء فيه : الاخوان

المسلمون جنبه الله حينما يتناولون أمر هذا الدين فهم لا يستهدفون
الا ما استهدفه الاسلام ، ولا يتوسلون في بلوغ هذه الاهداف الا بالوسائل
التي يقرها الاسلام » .

ولكن الطلب لم يأخذ مجراه مع بقية الأحزاب ، وإنما اتصل جمال
عبد الناصر بوزير الداخلية سليمان حافظ وقال له « ان الجماعة كانت
من أكبر أعوان الحركة قبل قيامها وانها ساهمت بنصيب كبير فيها
وما زالت تقسم لها العون المستمر » وطلب منه ايجاد مخرج للجماعة .

وفي مكتب وزير الداخلية التقى جمال عبد الناصر وحسن الهضيبي
وتم الاتفاق على ادخال تعديل في اخطار التأسيس يبعد الجماعة عن مجال
الأحزاب .

ويؤكد ذلك استمرار العلاقة الطيبة بين الحركة والجماعة أثناء
الصدام مع الأحزاب ، فقد كانت الجماعة دائما ضد الأحزاب والحزبية ،
لأن ذلك كان يعنى في نهايته خلو الساحة لهم وحدهم .

ولكن بعض تصرفات الحركة وقراراتها لم تجد قبولا أو حماسا عند
الاخوان المسلمين ، فقد مر قانون الاصلاح الزراعي دون كلمة تأييد واضحة
منهم ، واستقبلوا اقالة رشاد مهنا بفتور شديد فقد كان قريبا منهم ،
وراهنوا عليه أحيانا بأنه سيكون الجواد الفائز .

كما ان بعض تصريحات وتصرفات الاخوان المسلمين لم تجد ترحيبا
من جانب مجلس قيادة الثورة ٠٠٠ مثال ذلك تصريح المرشد العام
حسن الهضيبي لادوارد بولاك محرر الاسوشيتدبرس يوم ٥ يوليو ١٩٥٣
الذي قال فيه :

« اعتقد أن العالم العربي سيربح كثيرا اذا حاول أن يحسن فهم
مبادئنا بدراستها بروح العدل البعيدة عن التعصب ، وأنا على ثقة من أن
الغرب سيقتنع بمزايا الاخوان المسلمين وسيكف عن اعتبارهم شعبا مفرعا
كما حاول البعض أن يصورهم . وأنا أثق في أن الغرب سيجد أن الاخوان
المسلمين عامل كفء في سبيل تقدم الانسانية والرخاء والسلام بين مختلف
الشعوب » .

كانت هذه التصريحات بمثابة غزل للدولة الغربية لم ترض عنه
الحركة في وقت كانت المفاوضات فيه قد تعثرت مع الجانب البريطاني
ثم انقطعت .

وقد كتب أنطوني ايدن في مذكراته بعد ذلك يقول « ان الهضيبي
كان حريصا على حسن العلاقات معنا » .

ومن جهة أخرى كان وجود الاخوان المسلمين في المظاهرات التي تحتشد لمقابلة محمد نجيب أو أعضاء المجلس ، أمرا يصددهم ويشعرهم بأنهم مازالوا كتلة نشطة بين الجماهير تعبر عن نفسها بهتافها المعروف (الله أكبر ولله الحمد) .

كان هذا الأمر يثيرهم كثيرا ٠٠٠ أن الجماهير لم تتحول تماما الى جانب الثورة ٠٠٠ ولذا أعدوا شعارا آخر بهيئة التحرير يهتفون به أثناء مظاهرات الاستقبال وفي الاجتماعات الشعبية وهو (الله أكبر والعزة لمصر) .

كانت حربا مستترة غير معلنة ٠٠٠ لا الاخوان المسلمون يصارحون بالعداء جهارا ولا مجلس قيادة الثورة يهاجم الاخوان .

ولم تكن هناك فرصة الا ممارسة اللعبة المعروفة وهي التهرب الى صفوف الاخوان المسلمين ومحاولة تعميق التناقضات الموجودة بينهم ، وتفجيرهم من الداخل ٠٠٠ وقد أسهم في ذلك من جانب الحركة الشيخ أحمد حسن الباقوري بالتعاون مع ابراهيم الطحاوي سكرتير هيئة التحرير .

وكانت هناك بداية انقسام في الاخوان المسلمين حول قضيتين أساسيتين :

أولا : التعاون مع حركة الجيش .

كانت هناك فئة تؤيد ذلك يتزعمها حسن العشماوي ومنير الدله ويقف حسن الهضيبي منها موقف عدم المعارضة .

وفئة ترفض ذلك ويتزعمها سعد الوليلي ويوسف طلعت وعبد القادر عودة والشيخ محمد فرغلي وابراهيم الطيب .

ثانيا : بقاء النظام والجهاز السري .

كان هناك رأى ينادى باستمرار النظام السري باعتباره قد انشأ أساسا لحماية الجماعة أو تحقيق أهدافها وأنهم أحوج ما يكونون اليه في ظل نظام عسكري يستطيع أن يبطش في أية لحظة .

ورأى آخر ينادى بإلغاء النظام السري ، لأن النظام العسكري القائم سوف يستغزه وجود جهاز سري فيستدرجه ذلك الى التعجيل بضرب الاخوان .

وكان جمال عبد الناصر قد استطاع أن يجذب اليه عبد الرحمن المنندي رئيس الجهاز السري والذي كان على خلاف مع حسن الهضيبي والشيخ سيد سابق منشيء الجهاز السري .

وقد أدى ذلك الى حدوث انقسام فى تنظيم الجهاز وشكلت له قيادة جديدة كان على رأسها الذين عارضوا التعاون مع حركة الجيش وهم ابراهيم الطيب (محامى) ويوسف طلعت (نجار) والشيخ محمد فرغلى ، ومحمد فايز (موظف) الذى انفجر فيه طرد من حلاوة المولد النبوى ، وأدى ذلك الى زيادة حدة الصراع بين الجناحين .

وقد نجح هذا الجناح فى اجتذاب عدد من ضباط الجيش كانوا ينتمون الى الاخوان المسلمين كما بدأوا فى تنظيم عدد من ضباط البوليس وهكذا استمرت اللعبة بعد أن أصبحت حركات التسرب متبادلة .

ولم تقف اتصالات الاخوان فى حدود الضباط المنتمين اليهم ، ولكنهم حاولوا الاتصال أيضا بمحمد نجيب ، مدركين أن هناك تناقضا قد بدأ يظهر بينه وبين زملائه أعضاء مجلس قيادة الثورة .

لم يتم اللقاء مع محمد نجيب شخصيا وإنما تم مع قائد حرسه الخاص اليوزباشى محمد رياض الذى قابل حسن عسماوى ومدير الدلة عدة مرات فى ديسمبر ١٩٥٣ .

كانت مطالب الاخوان تدور حول :

١ - تعيين رشاد مهنا قائدا عاما للقوات المسلحة وكان رشاد وقتها ينفذ عقوبة السجن المؤبد بعد محاكمته عقب اعتقاله فى ١٥ يناير ١٩٥٢ .

٢ - عدم تأييد الحكم الديموقراطى .

٣ - عدم تأييد عودة الأحزاب والاصرار على حلها .

٤ - عودة الضباط الى الثكنات .

٥ - تشكيل وزارة يرضى عنها الاخوان .

وعندما تبلورت اتصالات محمد رياض مع الاخوان فى هذه المطالب عرض الأمر على محمد نجيب ، فرفض الحديث فى ذلك شكلا وموضوعا . رفض فكرة الاتصال السرى بالاخوان مطلقا ، ولذا فهو لم يقابل أحدا منهم .

ورفض مطالبهم من الوهلة الاولى ، لأنه أدرك انهم يريدون حكما ديكتاتوريا يستبدلون فيه شخص الديكتاتور ، ويقاومون عودة الديموقراطية والحياة البرلمانية ، وتوقفت الاتصالات بين مجمند نجيب والاخوان فى وقت كانت تتجمع فيه سحب الخلاف وغيوم التوتر التى

تجمعت ورغم ما قامت به الثورة من تقديم أشرس أعدائهم إبراهيم عبد الهادي في أول قضية أمام محكمة الثورة وصدر الحكم عليه بالإعدام ثم تخفيفه إلى السجن المؤبد ... ورغم تصفية الأحزاب تصفية رسمية وسجن زعمائها بأحكام محكمة الثورة .

بل يبدو أن الإخوان المسلمين قد وجدوا ذلك فرصة مناسبة للانقضاض على السلطة في وقت أصبحت فيه الساحة السياسية خالية من كل القوى السياسية الاقوتهم .

أصبح الصدام بين حركة الجيش وجماعة الإخوان حتميا ... تغذية تخوفات مجلس الثورة من موقف الجبهة المناوئة لهم في الإخوان ، وما يرتبط بها من تنظيم وجهاز سرى مسلح ... ويقذف أيضا تناقضات الإخوان الداخلية التي بلغت حد الانفصال والمواجهة .

لم ينجح في اذابة الخلاف ، أو تحاشي عوامل الصدام المقابلات الدورية التي كان يقوم بها عدد من زعماء الإخوان مثل عبد القادر عودة وكامل الشريف (الذي هرب من مصر وأصبح سفيراً للاردن في باكستان) ، مع جمال عبد الناصر وعدد من زملائه أعضاء المجلس .

وتفجر الموقف في ساحة الجامعة يوم ١٢ يناير ١٩٥٤ عند الالتفال بذكرى شهداء معركة القنطرة ، وحضور الطلبة الإخوان ومعهم الارهابي الايراني (نواب صفوي) زعيم جماعة (فدائيات اسلام) والذي كانت صحف أخبار اليوم قد هلمت له وأحاطته بدعاية ضخمة ... وحدث اشتباك بينهم وبين الطلبة الآخرين انتهى إلى إصابة بعض الطلبة ، واستخدام الإخوان يومها أسلحة نارية إلى جانب العصي ، مما أحدث جواً بالغا من العنف والتوتر .

وجد مجلس الثورة نفسه مواجهاً بموقف يحتاج إلى حزم حتى لا تفلت الأمور من قبضتهم ، فقد كان الخلاف داخل المجلس مع محمد نجيب قد أصبح في الشوارع حديث المجتمع ، وظهور العنف داخل الجامعة كفيل بنقله إلى خارجها .

وأصدر مجلس قيادة الثورة يوم ١٤ يناير ١٩٥٤ قراراً بحل جماعة الإخوان المسلمين بعد سنتين كاملتين بالتحديد من حل الأحزاب السياسية .

... لم يوافق محمد نجيب على قرار حل الإخوان ويقول في ذلك :

« رفضت الموافقة على حل جماعة الإخوان المسلمين عندما عرض الأمر على مجلس القيادة ... لم أرفض الحل لأنني كنت متشاكاً للإخوان ، فقد

سبق أن رفضت اعتبارهم خارجين على قانون الأحزاب ٠٠٠ كان رفضي
لحل الاخوان المسلمين مبنيا على أساس مبدئي ٠٠٠ وليس على أساس
موقف ذاتي ٠

ولكن عدم موافقة محمد نجيب لم تؤثر في صدور قرار الحل ، فقد
كان هو الصوت الوحيد المعارض رغم انه لم يكن يسعى لخلق جبهة مع
الاخوان لأنه لم يكن على صلة بهم ٠

ولكن هذا الموقف انبت في صدور زملائه الخشية أن يكون هناك
تدبير ما بين محمد نجيب والاخوان ومع ذلك آثروا مواجهة الموقف
في صلاية ٠

وصدر بيان من المجلس يوجه الى الاخوان المسلمين الاتهامات الآتية :

١ - التقاعس في تأييد المرشد العام للحركة الا بعد خروج الملك ٠

٢ - عدم تأييد قانون الاصلاح الزراعي والمطالبة برفع الحد الأقصى
للملكية (في حالة التطبيق - الى ٥٠٠ فدان) ٠

٣ - محاولة فرض وصاية على الحركة بعد حل الأحزاب السياسية ٠

٤ - اتخاذ موقف المعارضة من (هيئة التحرير) ٠

٥ - بدء التسرب الى ضباط الجيش وضباط البوليس وتشكيل
وحدات تحت اشراف المرشد مباشرة ٠

٦ - تشكيل جهاز سرى جديد بعد حل الجهاز السرى الذي كان
يشرف عليه (عبد الرحمن السندى) منذ أيام حسن البنا ٠٠٠ (والمعروف
أن السندى كان على صلة بجمال عبد الناصر) ٠

٧ - حدوث اتصال عن طريق الدكتور محمد سالم الموظف في
شركة النقل والهندسة بين مستر ايفانز المستشار الشرقى للسفارة
البريطانية في مايو ١٩٥٣ مع منير الدلة وصالح أبو رقيق ثم مع
حسن الهضيبي بعد ذلك ٠٠٠ واعتراض جمال عبد الناصر وقتها على
حدوث مثل هذه الاتصالات ٠

٨ - زيارة حسن العشماوى يوم الأحد ١٠ يناير ١٩٥٤ - أى قبل
قرار الحل بأيام - لمستر كريسويل الوزير البريطانى المفوض ثم عودته في
نفس اليوم لزيارة أخرى امتدت من الرابعة الى الحادية عشرة مساء ٠

كانت هذه الاتهامات الرئيسية في البيان الذى اعتبر كلمة النهاية
في علاقة حركة الجيش وجماعة الاخوان ٠٠٠ والذى اقترنه صدوره باعتقال
حسن الهضيبي و ٤٥٠ عضوا بالجماعة في القاهرة والاقاليم ٠

اعتقد الناس جميعا أن صدور البيان وما صحبه من اعتقالات سوف يكون نهاية مثيرة لصلة حركة الجيش بالاخوان ٠٠٠ فلم يعد هناك شيء يمكن ان يضاف الى تهمة الاتصالات بجهات اجنبية وتدير أجهزة سرية .

كانت الرؤوس قد تناطحت فعلا ، ولكنها لم تستمر في تناطحها ، لأن خطرا مشتركا كان يهددها معا ٠٠ فمجلس قيادة الثورة كان يفقد أنصاره خارج حدود عضويتهم مثلهم في ذلك مثل كافة الأحزاب الفاشية التي تعتمد على آراء ومبادئ عنصرية أوروبية ، كما أن حوادثهم الإرهابية السابقة ، ومبالاة الثورة لهم بالافراج عن القتلة من أعضاء جماعتهم كانت موضوع استنكار فئات كثيرة من الشعب .

اكتشف الطرفان أن وقوع المصادمة كان في وقت مبكر وغير مناسب للطرفين ٠٠٠ ولكن مجلس قيادة الثورة لم يتراجع فورا ، بل أعلنت وزارة الداخلية أنها ستفرج عن كل معتقل لاتوجه له تهمة معينة ، وفعلا بدأت الصحف تعلن عن أعداد الذين يفرج عنهم كل يوم ٠٠٠

وحرص جمال عبد الناصر الا يقطع الجبل نهائيا معهم ، فقام بعد قرار الحل بزيارة قبر حسن البنا في الذكرى الخامسة لاستشهاده (١٢ فبراير ١٩٥٤) مع صلاح سالم وأحمد حسن الباقوري ، وخطب قائلا : « أشهد الله اني أعمل - وكنت أعمل - لتنفيذ هذه المبادئ وافني فيها وأجاهد في سبيلها » .

وظلت محاولة اجتذاب جماهير الاخوان عن طريق الجناح المتعاون مع الثورة مستمرة .

كان الصدام مع الاخوان قد تفجر ، ولكنه لم يطح بكل شيء ٠٠٠ فقد فرضت الأحداث فيما بعد على الحركة والجماعة أن يلتقيا من جديد ٠٠٠ حتى ينفجر الموقف مرة ثانية نى (الصدام الأخير) الذى بدأ في فبراير ١٩٥٤ كما سيأتى ذكره تفصيلا فيما بعد .

وهكذا شملت (سنوات الصدام) صداما مع الاقطاع والأحزاب السياسية والشيوعية والاخوان المسلمين .

ولكن كان هناك صدام آخر ، أكبر خطرا ، وأشد تأثيرا .

الفصل الخامس عشر

صدام الضباط

(كان ١٥ ينساير ١٩٥٣ نقطة تحول في تاريخ وتقاليد الجيش المصري . . . اذ دخل الضباط برتبهم وملايسهم العسكرية معتقلين الى سجن الأجانب)

لم يكن الصدام قاصرا على الطبقة الاقطاعية والطبقة الوسطى . . . ولم يكن فقط بين المدنيين والعسكريين . . . ولكنه كان أيضا في صفوف العسكريين . . . ولم يبدأ متأخرا . . . وانما بدأ مع اللحظات الأولى للثورة .

كان التخلص من ضباط الرتب الكبيرة لواء واميرالاي تعبيرا عن صراع الأجيال . . . كما أن تطهير صفوف الجيش من بعض ضباط الرتب الصغيرة كان يتخذ طابعا أخلاقيا أكثر منه سياسيا . . . فالذين فضلوا من الجيش مع أيام الثورة الأولى من الرتب الصغيرة كانت تلاجعهم أو تلاحق بصرفاتهم وأسرهم شبهات متداولة . . . ولم يكن أحد منهم من أبناء الأسر الاقطاعية أو البرجوازية الكبيرة كما سبب إن أوضحنا .

تجاوز غدد الذين فصلوا في الإشهور الثلاثة الأولى أكثر من ٥٠٠ ضابط ، وكان تحديد أسمائهم يتم عن طريق المداولة بين أعضاء التنظيم

(الضباط الأحرار) الذى ظل قائما ومتماسكا يعقد الاجتماعات فى مختلف الاسلحة والمناطق ، ولكن بدرجات متفاوتة .

كانت زحمة العمل اليومى وكثرة المسئوليات الملقاة على عاتق أعضاء مجلس القيادة ، وتكليف بعض أعضاء الصف الثانى بواجبات خارج الوحدات أو خارج الجيش عاملا من عوامل ضعف الحركة التنظيمية بعد ٢٣ يوليو ، الى جانب تدافع عدد كبير من خارج تنظيم (الضباط الأحرار) للعمل والمشاركة والحرص على القول بأن الحركة للجميع ، وتصريح بعض أعضاء مجلس القيادة بأن الضباط (أحرار) فى محاولة لكسب تأييد الجميع .

نشأت التناقضات فى صفوف الضباط وفى اجتماعات أعضاء مجلس القيادة كنتيجة لاجراءات المجلس ورد فعل لقراراته واتجاهاته .

كانت البداية سامية ٠٠٠ الكل يتحرك فى حماس وإخلاص للقضاء على العفن الذى استقر فى السراى ، ولتحرير مصر من جنود الاحتلال . . . رحب الضباط جميعا - الا أفرادا محددين - بخروج الملك الذى أقسموا له بمين الطاعة والولاء ، وعاش بعضهم يتصورونه مخلدا .

عندما وجد فاروق مطالب الضباط أمامه فى اليوم الاول قبلها . عين محمد نجيب قائدا عاما برتبة فريق ومرتب وزير ٠٠٠ وما ان ودعه محمد نجيب يوم ٢٦ يوليو حتى أذاع بنفسه بعد ساعتين فقط من خروج الملك بيانا تنازل فيه عن رتبة الفريق (قائما برتبة اللواء مراعاة لحالة الدولة المالية) على حد قوله - وكان ذلك تعبيرا عن روح التضحية التى يقول محمد نجيب انه كان حريصا على اظهارها « حتى يفهم كل مصرى أن المشاركة فى الحركة لم تكن لكسب شخصى مادى وانما كانت لتحرير الوطن والمواطن » .

ولكن المثل الذى ضربه محمد نجيب لم يحتد تماما ٠٠٠ وبدأ بعض الضباط يقدمون على تصرفات شخصية مثيرة ، وخاصة الذين كلفوا بأعمال خارج الجيش تحت اسم (مندوب القيادة) ٠٠٠ والذين انتشروا فى مختلف الوزارات والمصالح ٠٠٠ من التموين الى المواصلات ٠٠٠ ومن الاشراف على (قطار الرحمة) الى السيطرة على (وزارة الداخلية) .

وكان أول خروج للضباط من صفوف الجيش ، هو تعيين رشاد مهنا وزيرا للمواصلات ثم عضوا فى مجلس الوصاية ٠٠٠ واختيار ١٨ ضابطا من حملة رتبة اللواء والعميد لتعيينهم فى مناصب مدنية ، وكان منهم سفيران هما على نجيب الذى عين فى لبنان ومحمد سيف الدين الذى عين فى الاردن .

الباب الذى فتح لتعيين الضباط فى مناصب مدنية والذى بدأ فى مجالات خاصة محدودة لم يفلح من يومها ٠٠٠ وتدفع منه العشرات والمئات كما سيأتى ذكره تفصيلا فى حينه .

وكان تعيين محمد نجيب رئيسا للوزارة بداية لتوزيع أعضاء مجلس الثورة أنفسهم ليكونوا مشرفين على الوزارات أى يشكلون ما يمكن التعبير عنه باسم (وزارة الظل) وعندما استغرقتهم مهمات أخرى أوكلوا أعمالهم الاشرافية الى ضباط من معارفهم الذين يتقنون فيهم الأمر الذى أحاط كل ضابط من ضباط القيادة بشلة خاصة من الضباط تتحرك فى مجال معين، وتتصرف تبعا لسلوك أعضائها الخاص ، دون توافر فرصة لرقابة دقيقة .

ولما كانت الحركة قد تمت بحافز التغيير أساسا دون التعرض لتفصيلات ما بعد التغيير ، ودون تخطيط لحركة المستقبل ٠٠ وارتباط الضباط الفكرى ببعضهم البعض لم يكن يتجاوز حدود ما ورد فى منشورات الضباط الأحرار - اذا كان قد قرئ- ثم هضم - والأهداف الستة التى تمثل آمالا طموحا دون طرح السبيل للوصول الى تحقيقها ٠٠٠ فان الآراء بدأت تتنافر وخاصة عقب كل قرار يصدر من مجلس القيادة .

اعترض رشاد مهنا مثلا على قانون الاصلاح الزراعى ، ولم يوافق عليه الا خضوعا لرأى أغلبية المؤتمر المحدود الذى دعا اليه على ماهر ٠٠ ولكنه فى اتصالاته وآرائه كان يمثل جانبا خاصا منفردا غير مرتبط بمجلس القيادة ٠٠٠ وقد فوجئ محمد نجيب عندما قام بزيارته فى مكتبه بقصر عابدين هو وسليمان حافظ لتنهئته بمولود جديد ، بشكوى عارمة يقذفها فى وجهه رشاد مهنا وهو يخطب المكتب بيده قائلا : انه لا يقبل أن يهمل مجلس الوزراء ارسال جدول أعماله الى الأوصياء قبل عقد الجلسة ، وهو عرف جرت الأمور عليه فى عهد الملك ٠٠٠ وقال له نجيب ان هذا العرف يتعارض مع الدستور ، وأنه يكفى أن مشروعات القوانين والمراسيم تصل الى القصر لتوقيعها من الأوصياء بعد اقرارها من مجلس الوزراء .

ولكن رشاد مهنا لم يقتنع بهذا المنطق ، وانتقلت الجلسة الى مكتب بهى الدين بركات حيث كان الأمير محمد عبد المنعم موجودا أيضا ٠٠٠ وفتح الحديث حول جدول الأعمال مرة أخرى كما أثير موضوع الاتصال بالوفود السودانية التى كانت تزور القاهرة ، وقال بهى الدين بركات ان هناك مفاوضات تجرى وهو لا يعرف عنها شيئا .

وتم الاتفاق على اجتماع ثان يعقد بعد أيام ٠٠٠ ولكن الثقة كانت قد فقدت بين أعضاء المجلس ورشاد مهنا الذى كان منتحيا الى حزب (شباب

محمد) وهو حزب يقف على يمين الأخوان المسلمين ، كما أن محمد نجيب كان مازال يحتفظ في قلبه بأثر الموقف رشاد عندما طلب نقل نفسه من القاهرة الى العريش تجنباً لمواجهة محتملة من جانب السراى . وكان رشاد بعيداً عن تنظيم الضباط الأحرار وخاصة بعد اتصاله بحسين سرى عامر للتصالح .

وكان رشاد مهناً خلال فترة عمله وصياً على العرش يعطى لنفسه نفوذاً أكثر مما تحتمله مسؤولية المنصب ، ويتصل مباشرة بالاجهزة التنفيذية والصحافة لابتداء زايه فى كثير من المواضيع الأمر الذى كان يتعارض فى أحيان كثيرة مع اتجاهات المجلس .

ووصل الأمر غايته عندما قرر مجلس القيادة بالاجماع اعفاء رشاد مهناً من منصبه وتحديد اقامته وعندما وصل الخبر الى بهى الدين بركات قدم استقالته وغادر القاهرة الى عزبته فى (بساتين بركات) .

لم ينزع مجلس القيادة رشاد مهناً من موقعه فى سكون ٠٠٠ وانما آثار ضده عاصفة من الاتهامات لتحسين موقفهم ضد أى عمل مضاد من جانب الضباط .

ولم يكن الموقف هادئاً داخل مجلس القيادة ٠٠٠ كانت بعض قرارات المجلس تلقى معارضة شديدة من جانب يوسف صديق الذى انبرى لمعارضة قانون تنظيم الأحزاب واعتقال السياسيين ومحاولة ضرب الوفد على غير أساس ديموقراطى ٠٠٠ وقد وقف الى جانبه فى المراحل الاولى جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وخالد محيى الدين .

وكان جمال عبد الناصر قد اعتكف فى منزله وأعلن انه لن يشارك فى اجتماعات المجلس اذا كان الأعضاء سوف يتنكرون للديموقراطية .

ولكن وحدة يوسف صديق وجمال عبد الناصر لم تستمر طويلاً ، فقد تراجع جمال عبد الناصر عن موقفه أمام الحاح وتفسيرات سليمان حافظ ، واكتشف انه أن الوفد ليس فى الصلابة التى تحول دون ضربه ، وتبينه أن الطريق للانفراد بالسلطة ليس شديداً الوعورة والتعقيد .

ولكن يوسف صديق الذى كان يعبر عن رأى الشيوعيين ظل متمسكاً بالديموقراطية والحياة البرلمانية ، رغم انه لم ينجح فى تحقيق رأيه بدعوة مجلس النواب المنحل لتعيين مجلس الوضاية ولا فى منع صدور قانون تنظيم الأحزاب ولا فى منع إعدام خميس والبقرى عمال كفر الدوار فقد كان المؤيدون له أقلية ٠٠٠ وكأكثر قرارات المجلس تصدر بالأغلبية ٠٠٠

وظهر بين الضباط وخاصة في سلاح المدفعية اتجاه يدعو الى أن يكون تمثيل الضباط في مجلس القيادة بالانتخاب وتحمس جميع أعضاء المجلس ضد هذا الاتجاه ، الا يوسف صديق .

كان السبب الكامن وراء هذا الطلب هو ما أثير من ملاحظات حول تصرفات شخصية لبعض أعضاء المجلس ، الذين عرف عن واحد منهم انه أقام علاقات شخصية مع الأميرة السابقة فائزة وقدم لها نظير ذلك تسهيلات كبيرة ، والذين اشتهرت زوجة واحد منهم بقوة شخصيتها وأحاديثها عن أعضاء المجلس في السهرات وخاصة في نادي السيارات .

وتصادف أن الاثنین كانا من ضباط المدفعية .

ولذا عقد جانب من ضباط المدفعية اجتماعاً مع أعضاء مجلس القيادة ناقشوا فيه هذا الرأي بصراحة مطلقة ولكنهم اعتقلوا يوم ١٥ يناير ١٩٥٣ بدعوى انهم يدبرون مؤامرة لاغتيال أعضاء مجلس قيادة الثورة . وذلك بعد طبعهم لمنشور خاص .

كان هذا الاعتقال هو أول صدام مباشر بين ضباط الجيش ، وكان دخول الضباط برتبهم وملابسهم العسكرية سبباً للأجانب هي أول سابقة في تاريخ الجيش المصری ، تحت القيادة المصرية ، اذ كانت القوانين تنص على حجز الضباط حجزاً شديداً أى تحت الحراسة في ميس احدى الوحدات ، وليس في غرفة السجن حتى تنتهى المحاكمة .

وكان مجلس القيادة قد حذر منذ أيامه الأولى من تكرار ما حدث في سوريا من سلسلة انقلابات متعاقبة . . . فبادر الى اعتقال ٣٥ ضابطاً من ضباط المدفعية ، وانتهز هذه الفرصة لاصدار قرارات جامحة تظهره في مظهر القوة ، وتقوى قبضته على السلطات ، فكان قرار حل الأحزاب في ١٧ يناير وتشكيل مجلس قيادة الثورة .

اختار مجلس القيادة جانب الصدام المباشر مع ما يحويه ذلك من احتمالات الخطر .

ولم يكن الضباط المعتقلون جميعاً من اتجاه سياسى أو فكرى واحد . . . فقد اعتقل رشاد مهنا واعتقلت أنا أيضاً ، ولم يكن المعتقلون جميعاً من سلاح المدفعية ولكن قلة محدودة منهم كانت من المشاة وبعض المدنيين (محمود رشيد ودكتور عبد العزيز الشال وصبرى الحكيم) .

ولم يقلل يوسف صديق مبدأ اعتقال الضباط بعد معارضته الشديدة لاعتقال السياسيين . . . وقرر الاستقالة من مجلس القيادة معلناً ان ضميره لايمكن أن يستريح وهو عضو في مجلس يصدر قرارات تخالف أفكاره

وعقيدته ٠٠٠ ولا يستقيم الأمر بأن قرارات المجلس تصدر بالأغلبية فإن المجلس في ذاته لا يمثل الشعب ، ولا يمثل الجيش أيضا .

أصر يوسف صديق على الاستقالة ، وزاد اصراره بعد عودة الرقابة على الصحف وصدور قانون حل الأحزاب ٠٠٠ ولم يتراجع عنها رغم ما بذله معه أحمد فؤاد من محاولة اقناعه بأنه ينهى دوره السياسي باختيار الاستقالة من المجلس ٠٠٠ ولكن يوسف وجد أن ضميره سوف يكون مثقلا بما لا يقبله . ولم يعلن المجلس استقالته ، ولكنهم أخبروه على السفر الى سويسرا في مارس ١٩٥٣ .

وكان المجلس قد تخلص من عبد المنعم أمين الذي غرقت سمعته في فيض من الاتفاويل والشائعات ، فقرر ارساله الى لندن - دون تحقيق - للبحث في امكانيات التفاوض مع بريطانيا حيث كان الدكتور محمود فوزي سفيرا لنا هناك ، ثم عين سفيرا في بلجيكا بعد ذلك .

ولم تمض حركة اعتقال ضباط المدفعية في سكون او بلا أثر ٠٠٠ فقد تجهر ضباط المدفعية عندما بلغتهم انباء الاعتقالات واجتمع ٤٠٠ ضابط في ميس المدفعية معانين أنهم سيعتصمون حتى يتم الافراج عن زملائهم ٠٠٠ وطلب جمال عبد الناصر من اللواء محمد حسين مدير المدفعية أن ينصح الضباط بالانصراف والتمسك بالسلوك العسكري ٠٠٠ وعندما جاوبه بمعارضة الضباط وقف محمد أبو الفضل الجيزاوي أحد الضباط الاحرار وأخرج طبنجته وقال صائحا انه سيضرب كل من يعمل ضد الثورة ٠٠٠ وبعد جدل صاحب اتفاق الرأي على أن يكون هناك مجلس تحقيق ومجلس عسكري يشكلان من ضباط المدفعية ٠٠٠ وأكد جمال عبد الناصر للمجتمعين موافقته على ذلك ٠٠٠ ولكن بعد أن انفض الاجتماع اتخذ مجلس القيادة سبيله الخاص في التحقيق والمحاكمة بنفسه .

ولم يقف أثر الاعتقالات في حدود سلاح المدفعية فقط ، ولكنه امتد الى أسلحة أخرى فقد توجه البكباشي حسنى الدمنهورى أحد ضباط اللواء الرابع المشاة لمقابلة اللواء محمد ابراهيم رئيس أركان الجيش وسؤاله عن سبب اعتقال الضباط ، فكان جوابه سلبيًا وأبلغه أنه لا يعرف شيئا عن ذلك ، فأخذ يواصل اتصالاته ببعض ضباط سلاح الفرسان ومحاولة اثارتهم للافراج عن زملائهم ضباط المدفعية ٠٠٠ ولكنه فوجئ باعتقاله في منزله يوم ١٧ يناير .

وبدأت التحقيق معه لجنة مشكلة برئاسة عبد اللطيف البغدادى وعضوية عبد الحكيم عامر وصلاح سالم وذكريا محيى الدين وكان يحرسه ثلاثة هم كمال رفعت وحسن التهامي ومحمد أبو نار ٠٠٠ وخلال التحقيق

وجه اليه صلاح سالم السبب وتبادلا الاتهامات والكلمات البذيئة وقام ضباط الحرس بضربه ضربا شديدا واستمر تعذيبه من الفجر حتى الرابعة مساء دون طعام أو شراب ٠٠٠ وفى منتصف الليل استدعى الى مبنى مجلس القيادة حيث وقف فى السادسة صباحا أمام محكمة يرأسها جمال عبد الناصر وبها كل أعضاء المجلس عدا يوسف صديق وعبد المنعم أمين وأنور السادات وعندما حاول صلاح سالم سب المتهم نهره جمال عبد الناصر .

استمرت المحاكمة حتى التاسعة صباحا ٠٠٠ وفى صباح اليوم التالى ١٩ يناير ١٩٥٢ تلى عليه الحكم بالاعدام فى غرفة مأمور سجن الأجانب ثم نقل الى السجن الحربى مقيد اليدين والرجلين بالحديد وهو ببلاسه الرسمية .

وظهرت مانشيتات الصحف الرئيسية يوم ٢٠ يناير وهى تعلن (اعدام البكباشى حسنى الدمنهورى) وكانت هذه هى آخر صحف تطلع عليها فى سجن الأجانب ونحن فى حبس الفرادى ٠٠٠ ومن الغريب أنه كان يجاورنى فى الغرفة البكباشى رشاد مهنا الذى كنت معه فى رأى على طرفى نقيض ، رغم تقديرى لسلوكه وتصرفاته الشخصية .

وكان هذا هو أول حكم بالاعدام يصدر على ضباط فى الجيش المصرى بتهمة أخرى غير الخيانة العظمى ٠٠٠ وقد رفض محمد نجيب التصديق على الحكم رغم الحاج زملائه عليه وتحذيرهم له من خطر الانقلابات العسكرية ، ولكنه أصر على موقفه قائلا :

« اننى لا أريد ان أمضى فى طريق مفروش بدماء الزملاء من الضباط » .

وكان تعذيب حسنى الدمنهورى قد بلغ محمد نجيب عن طريق قائد حرسه الذى لمح أثناء التحقيق والضرب ينهال عليه والدماء تسيل منه .

وكان هذا التعذيب هو بداية التصرفات الهمجية الوحشية من جانب ضباط القيادة ضد زملائهم فى السلاح ومن بعدهم معظم المعتقلين السياسيين .

كان اعتقال ضباط المدفعية والتحقيق معهم ومحاكمتهم بواسطة أعضاء المجلس هو كلمة النهاية فى وجود تنظيم (الضباط الأحرار) ٠٠٠ فانه بعد نجاح الحركة ليلة ٢٣ يوليو استمرت بعض الاجتماعات التنظيمية بقوة الدفع الذاتى ، ولكنها تباعدت وتهملت ثم توقفت ، لأن أعضاء مجلس القيادة وجدوا فى (الضباط الأحرار) تنظيما يمكن أن يشاركهم ، ويضع تصرفاتهم تحت مجهر النقد والمحاسبة .

ولذا فإنهم سرعان ما استبدلوا التنظيم القديم رغم عدم انضباطه في الاجتماعات وعدم مراعاته للقواعد التنظيمية الحزبية ، بتنظيمات خاصة أخرى تعتمد على الضباط المحيطين بهم القريبين منهم المكونين للشل الخاصة ، الذين تسرب اليهم عدد لم يكونوا من الأحرار أصلا ، وانما أظهروا براعة في مخاطبة الغرائز الشخصية لأعضاء مجلس القيادة .

ووضع في مراكز القيادة نوعان من الضباط . . أما أهل الثقة الكاملة المرتبطون بأعضاء القيادة ارتباطا شخصيا وثيقا . . . وأما الضباط الذين لا رأى لهم ولا يهتمون إلا بمصالحهم الخاصة . . ولا ينفي هذا وجود بعض استثناءات .

كانت نهاية تنظيم (الضباط الأحرار) القديم ، وبداية تشكيل (التنظيم الخاص) الجديد ، تحولاً في نوعية الضباط الداخلين في ميدان السياسة . . لأنه مهما قيل عن طبيعة الضباط ، فلا شك ان (الضباط الأحرار) كانوا يمثلون أكثر الضباط ثقافة واهتماما بالمشاكل العامة وشجاعة في مجابهة الخطر ، واستعدادا لتحمل التضحية .

صحيح ان أغلبية (الضباط الأحرار) احتفظوا بأماكنهم والبعض منهم عين في مراكز هامة وحيوية خارج الجيش أو داخله ، ولكن ذلك كله كان يتم . . . ليس عن طريق ارادة التنظيم وروتيه ، وانما عن طريق العلاقات الشخصية .

كانت شخصية الضباط الأحرار تستند قبل الحركة من ارتباطهم بالتنظيم واستعدادهم للنضال والتضحية . . . ولكنها أصبحت بعد ذلك تستند من رضا القيادات عليهم واستعدادهم للخضوع والمسيرة .

ولكن كثيرا منهم رفض أن تطبق عليهم هذه القاعدة العامة ، واتخذوا مواقف بأسئلة شجاعة تبنيها آراء ليس مهما ان تكون خطأ أو صوابا ، ولكن المهم انها كانت آراء خاصة وليست تابعة .

ولما كان اعتقال ضباط المدفعية قد اعتبر عاملا حاسما في وضع نهاية لتنظيم (الضباط الأحرار) . . . فقد بدأ الضباط المعارضون الراضون يبحثون عن اسلوب جديد للعمل ، ويتلمسون ساحة جديدة للتنظيم .

توقفت اجتماعات الضباط الأحرار لتمسكهم بحرية المناقشة والديموقراطية . . . وقال بعض المخلصين منهم ان ذلك سوف يفتح بابا للمؤامرات .

وصدرت الأوامر بنقل بعض ضباط سلاح الفرسان خارج السلاح عندما اعترضوا على اعتقال مجموعة ضباط المدفعية .

ويلاحظ في هذه الفترة ان أعضاء مجلس القيادة لم يتخذوا موقفاً
موحداً من هؤلاء الضباط ٠٠ عبد الحكيم عامر نصح أجدهم (توفيق عبده
اسماعيل) أثناء التحقيق منفرداً قائلاً له (أوعى تضعف أحسن يدبوك)
٠٠ وخالد محيي الدين كان ينتهز الفرص لينصحهم بذكر ما يمكن أن
يؤخذ عليهم .

وبينما كان زكريا محيي الدين يحرص على دقة التحقيق ٠٠٠ كان
عبد الحكيم عامر يطلب الافراج عنهم ويظهر روحاً انسانية طيبة .
لم يعتقل أحد ويحاكم من سلاح الفرسان ٠٠٠ وتمت محاكمة ضباط
المدفعية بواسطة أعضاء مجلس الثورة مجتمعين عدداً محمد نجيب .
وصدرت عليهم الأحكام بمدد تتراوح من المؤبد الى عام واحد .
وأفرج عنى بلا اتهام أو تحقيق الا كلمات محدودة بعد خمسين يوماً
من الحبس الانفرادى .

كانت ظاهرة التحقيق والمحاكمة بأعضاء من مجلس القيادة تستلقت
النظر لأنها عبرت عن خشية خروج التحقيق الى دائرة واسعة من الضباط
فيخرج الأمر من أيديهم ولا يتم التحقيق وفق هواهم ، ولا تصدر الأحكام
طبقاً لأرادتهم ٠٠٠ ولذا مثلوا دور الاتهام والحكم في وقت واحد .

وكانت الآراء في مجلس القيادة أمام هذه القضية تتأرجح بين ما نادى
به جمال سالم من محاكمة صورية واعدامهم فوراً ٠٠٠ واعتراض
محمد نجيب على أن يكون الخصم هو الحكم ٠٠ واقترح عبد الحكيم عامر
بالأ يصدر حكم الاعدام الا بموافقة جماعية ، وان يكون حكم السجن هو
أخف عدد مقترح من السنن يحصل على أغلبية ٠٠٠ وتوترت المناقشة
واعترض خالد محيي الدين على السرعة واقترح عليهم النوم حتى الصباح
لمواصلة المناقشة في جو هادئ .

نام الجميع على الأرض في هذه الليلة ، وهمس خالد لجمال عبد الناصر
قائلاً انه غير موافق على أحكام الاعدام ولا على المحاكمة بهذه الصورة ،
ووافق جمال عبد الناصر مؤيداً « أنا معك » ٠٠ فاستمر في المعارضة .

وفي الصباح انجلت المناقشة عن تشكيل المحكمة من مجلس الثورة
عدداً محمد نجيب وان يكون حكم الاعدام بالاجماع والسجن يقرر بأخف
الأحكام كما اقترح عبد الحكيم عامر .

كان التناقض الرئيسى بين الضباط خلال هذه المرحلة نابعا من
شعور أغلبيتهم بانفراد مجلس القيادة بالسلطة وبأن الكلمات يجب أن
تموت على شفاههم حتى لا يتعرضوا للخطر .

• لم يكن هناك تجمع خلف موقف سياسي أو اجتماعي معين ،
مما يمكن رصده في صورة تكتلات واضحة ٠٠٠ فلم تكن هناك مواقف
معارضة لقانون تنظيم الاحزاب واعتقال السياسيين واعادة الرقابة والغاء
الدستور الا في صفوف تنظيم الجيش للحركة الديموقراطية للتحرير
الوطني ٠٠٠ أما فيما عدا ذلك فلم تكن هناك أفكار معارضة قد نضجت
أو تبلورت بعد •

ولكن الامر لم يكن كذلك داخل مجلس القيادة ، حيث كانت تناقش
كافة مشروعات القوانين وتدرس كل الاجراءات قبل صدورها •

وحمل خالد محيي الدين لواء المعارضة بعد استقالة يوسف صديق
ورفضه الاستمرار عضوا في المجلس ٠٠٠ وقد تجسست معارضته في عدة
مواقف منها قانون الافراج عن المسجونين السياسيين الذي أعلنه سليمان
حافظ واستثنى الشيوعيين باعتبار الشيوعية (جريمة اقتصادية) •

وعندما عرض مشروع قانون العمال اعترض عليه خالد اعترضاً
شديداً لانه كان يلغى حق الاضراب ويبيع الفصل ، وكان متحمساً لذلك
عبد المنعم أمين الذي كان موكولا اليه الاشراف على وزارة الشؤون
الاجتماعية بما فيها العمال ، وهو الذي تطوع لرئاسة المجلس العسكري
لمحاكمة خميس والبقرى في كفر الدوار •

وكان من أهم الحجج التي استند اليها أعضاء المجلس هي ان
راس المال الأجنبي يحتاج الى نوع من الضغط على العمال ، لضمان
الاستقرار والاستثمار معا •

ولم يجد خالد محيي الدين في ضميره ما يسمح له بالبقاء في عضوية
المجلس مع صدور هذا القانون المتخلف ، فذهب الى مكتبه في سلاح
الفرسان ليكتب استقالته ٠٠٠ وكان ذلك في اليوم الذي صدرت فيه
الأحكام ضد رشاد مهنا وضباط المدفعية ٠٠٠ ودخل عليه في مكتبه
جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ودارت بينهم مناقشة انتهت الى
اقتراح جمال عبد الناصر عبر عنه بقوله :

— طيب لو رجعنا القانون وبدأنا نعيد النظر فيه تسحب استقالتك؟

ووافق خالد ، وأعيدت مناقشة القانون أمام مجلس قيادة الثورة
الذي لم يقبل سوى منع الفصل التعسفي للنشطاء النقابي مع تأجيل
الموضوع حتى يصدر الدستور الجديد •

وفوجئ خالد يوما بأن بيانات قد وصلت مجلس القيادة تفيد بأن
ضباط سلاح الفرسان ثائرون ٠٠٠ وكان خالد مقيماً بينهم ويناقش معهم

بعض ما يدور داخل المجلس . . . وقرر المجلس (فصل خالد محيي الدين) ولكن ثروت عكاشة أبلغهم انه لا يضمن السلاح بعد فصل خالد . . . وهذا قرر المجلس التراجع عن قراره مع الزام خالد بوقف الاتصال مع أحمد فؤاد ، صلتته في ذلك الوقت مع الحركة الشيوعية . . . ومع عقد اجتماعات المضباط الأحرار أو غيرهم .

كانت التناقضات داخل المجلس تصل أحيانا الى حافة الصدام . . . وتميز بين الاتجاهات وتقرب بين أصحاب الآراء المتشابهة .

وفي معظم الاجتماعات كان محمد نجيب يلحظ ان الموضوعات التي تعرض على المجلس يكون قد سبق مناقشتها بينهم قبل الاجتماع ، وتكون الأغلبية جاهزة . . كما انه بدأ يلحظ ان اجتماعات قد بدأت تعقد دون حضوره .

وتسرب الى نفسه شعور بأن فارق السن قد بدأ يلعب دورا بينه وبينهم . . . دون أن يلحظ أن هناك تناقضات ومصادمات تظهر بينهم . ولذا فانه عندما بلغه يوما أن ضباط سلاح الفرسان وفي مقدمتهم خالد محيي الدين وثروت عكاشة غير راضين عن أسلوب العمل داخل مجلس القيادة ، وتصرفات جمال عبد الناصر الذي بدأ ينفرد بنفوذ ويشكل قوة خاصة داخل المجلس . . وقال له المصدر الذي أبلغه ان خالد وثروت مستعدان لتأييده في موقفه داخل المجلس وخارجه ، أحس وقتها أن فخا ينصب له وانه على وشك الوقوع في شرك ، وذلك كما يقول في كتابه (كلمتي . . . للتاريخ) انه منذ اللحظة الأولى لم يطلب تأييد أحد منهم ولم يحاول تشكيل شلة من بينهم ، وخشى ان تورط في الموافقة أن يكون ذلك دافعا لمزيد من الاثارة والتمزق .

وقد دفعه هذا الاعتقاد الى الحذر . . . بل الحذر الشديد . . . مما دفعه الى ارتكاب خطأ . . . بل خطأ جسيم . . . اذ انه روى قصة الاتصال به كاملة داخل المجلس وكانت صدمته شديدة عندما تبين انه لم يكن هناك اتفاق مدبر بينهم للابقاع به في شرك ، وان صراحته قد وضعت خالد وثروت في حرج شديد .

أثار نجيب هذا الموضوع بحسن نية أو سذاجة ، كشف عن حقيقة كامنة وهي ان الخلافات داخل المجلس لم تعد تتحرك بطريقة فردية ، وانما بدأت تأخذ طابعا آخر ، وتسلك سبيلا جديدا .

وكان جمال عبد الناصر خلال هذه الفترة يمارس عمله داخل المجلس وخارجه بنركيز شديد يعطى لياه ونهاره للاتصال بالضباط والسياسيين

ومناقشة المشاكل العامة والاستعداد لجلسات مجلس القيادة حتى ينتصر رأيه .

وكانت براعته في اجتذاب بعض زملائه لجانبه والحصول بهم على الأغلبية التي يريدها ، أمرا لا يتوافر لأحد من زملائه ، الذين كثيرا ما كانت تفرقهم بعض المشاكل أو الاهتمامات الخاصة ، والذين لم يحدد أحد منهم طريقه أو رأيه الخاص وإنما كان يندفع مع المجموعة في حماس شديد ، تاركا التفكير لغيره .

كان جمال عبد الناصر أرصن زملائه شخصية ، وأقلهم كلاما ، وأحسنهم استماعا ، وأقدرهم على حل المشاكل بمهارة تكتيكية ملحوظة .

وتميز خلال هذه الفترة بمرونة فرضتها طبيعة الأحداث فهو لم يجمد عند رأيه الخاص بالديموقراطية والأحزاب مثلا ، وإنما اختار طريق انفراد المجلس بالسلطة عندما وجده مبهما ومحل استجابة أكبر من زملائه ولم يتشبث برأيه الذي أعلنه لضباط المدفعية من أن التحقيق مع زملائهم سوف يكون عن طريق ضباط من المدفعية يحاكمونهم أيضا ، وذلك عندما وجد في هذه الخطوة ما يمكن أن يعرض كيان المجلس للخطر وهو يعيد قانون العمال ليناقشه المجلس ثانية عندما اعتقد أن استقالة خالد محيي الدين يمكن أن تحدث شيئا في صفوف الجيش إذا تمت في وقت واحد مع صدور الأحكام على رشاد مهنا وضباط المدفعية ويقابل حديث محمد نجيب عن خالد وثروت بالصمت دون تفجيده في وقت غير مناسب .

وكما كان جمال عبد الناصر هو مركز حركة الضباط الأحرار ، وأكثرهم اتصالا بالضباط والقوى السياسية المختلفة قبل ٢٣ يوليو فإنه ظل أكثرهم اتصالا بمختلف الضباط أيضا بعد الحركة ، مدركا أن قوته تأتي من صلته الوثيقة بزملائه في مختلف الأسلحة .

ولكن استمرار هذه الاتصالات كان يشكل عبئا شديدا عليه في وقت تضخمت فيه المسؤوليات وتعددت الواجبات ، وتجاوزت مرحلة تكوين تنظيم إلى مرحلة المسؤوليات الكاملة عن مصر وكانت أحداث المدفعية وردود فعلها قد ضاعفت حذره من خطر انفجارات القوات المسلحة ، وفي ذهنه دائما ما حدث في سوريا والعراق ، حيث ضاع بكر صدقي وحسن الزعيم وسامي الحناوي بانقلابات تمت على يد بعض رؤوسهم .

واستقر رأيه على تعيين الصاغ عبد الحكيم عامر زميله وصديق عمره وأقرب زملائه لقلبه وأكثرهم إخلاصا ووفاء له ، حيث كانا يسكنان معا في شقة واحدة قبل الزواج ، قائدا عاما للقوات المسلحة بدلا من محمد نجيب

التي وصلت شعبيته الى درجة الخطورة على زملائه ، والذي كان حريصا على صلته بالجيش فقام بمئات الزيارات للوحدات منذ ٢٣ يوليو .

كانت الفكرة خطيرة وجريئة معا . . . فان ترقية صاغ الى رتبة لواء هو أمر يتناقض تماما مع انضباط القوات المسلحة ، ويتنافر مع طبيعة الضباط الذين تمثل الأقدمية عندهم شيئا مقدسا .

وكان الاعلان عن هذه الفكرة بطريقة مجردة حريا بأن يقابل بالرفض والمعارضة من جانب محمد نجيب الذي عاش حياته جنديا يعتز بجنديته . . . ورأى جمال عبد الناصر ان يربط هذه الخطوة الجريئة بخطوات أخرى تكون أكثر جاذبية لاهتمام الناس ، وتضعف من صلابة المقاومة عند محمد نجيب وزملائه في مجلس القيادة . . .

ومن هنا كان الربط بين ترقية عبد الحكيم عامر قائدا عاما للقوات المسلحة وبين اعلان الجمهورية وتعيين محمد نجيب أول رئيس لجمهورية مصر .

ولكن محمد نجيب لم يوافق . . . اعترض ورفض . . . وقال انه قاوم تعيين محمد حيدر قائدا عاما للقوات المسلحة لأنه كان بعيدا عن صفوف الجيش . . . وهو يقاوم تعيين عبد الحكيم عامر قائدا للجيش لأنه ليس مهيا لذلك .

ولم يياس جمال عبد الناصر من تحقيق فكرته . . . كرر عرض الموضوع على المجلس أكثر من مرة ، وتعرض مجلسه نجيب لتهجم بعض أعضاء المجلس ، ولكنه ظل يقاوم ثلاثة أسابيع كاملة ، حتى أذعن .

فكر محمد نجيب في الاستقالة ، ولكنه لم يقدم عليها . . . وهو يقول في ذلك « اعترف أن هذا كان خطئي الكبير الذي وقعت فيه ، فقد شعرت بعد قليل انني أصبحت في مركز أقل قوة بعد ان تركت قيادة الجيش » . . . وقال لي زكريا محيي الدين ان قوتهم كأفراد يشكلون سلطة المجلس قد انتهت بتعيين عبد الحكيم عامر قائدا عاما للقوات المسلحة .

أعلنت الجمهورية يوم ١٨ يونيه ١٩٥٣ وعين محمد نجيب رئيسا للجمهورية مع احتفاله بمنصب رئيس الوزراء وتخليه عن منصبه وزير الحربية وقائد عام القوات المسلحة . . . ودخل مجلس الوزراء عدد من البارزين في مجلس القيادة ، حتى لا يثير تعيين عبد الحكيم عامر قائدا عاما الحسد والضيق في نفوسهم . . . فعين جمال عبد الناصر نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للداخلية ، وصالح سالم وزيرا للإرشاد ، وعبد اللطيف البغدادي وزيرا للحربية .

وكان أول قرار جمهوري وقعه محمد نجيب قرار تعيين عبد الحكيم عامر قائدا عاما للقوات المسلحة بعد ترقيته الى رتبة اللواء .

قوبل هذا التعيين بمعارضة مكتومة ، ولكن دون تعبير ايجابي . فلم يستقل من المثات من اصحاب الرتب الاقدم الذين قفز فوقهم عبد الحكيم عامر اللواء حسين محمود قائد السلاح الجوي .

كان وصول عبد الحكيم عامر الى مركز القيادة العامة للقوات المسلحة نقطة تحول هامة في سيطرة أعضاء مجلس القيادة على الجيش بصورة عامة ، وسيطرة جمال عبد الناصر على أعضاء مجلس القيادة بصفة خاصة .

كان تعيين عبد الحكيم عامر هو نهاية اتصال أعضاء مجلس القيادة بالضباط زملائهم في مختلف الاسلحة وقد استقر الأمر على ذلك بدعوى الحرص على الانضباط العسكري ، بينما هو في حقيقته قد انتهى الى عزلة هذه المجموعة من ضباط الجيش ، فلم يعودوا بقادرين على تحريك قواتهم السابقة الى مناقشة أمورهم بصفة قانونية .

وقد أصبحت اليد العليا في السيطرة على القوات المسلحة هي يد جمال عبد الناصر الذي كان يثق ثقة شديدة في صديقه عبد الحكيم عامر ، والذي كانت صفاته الشخصية تجذب الضباط اليه لروحه المرحية وطنيته وإنسانيته ، رغم انه لم يكن يملك مواصفات قائد القوات المسلحة الذي يحتاج الى يقظة وعلم وخبرة وشخصية متماسكة .

وقد أدى هذا التعيين الى وضع خط فاصل بين ضباط الجيش وضباط القيادة ، كما وضع نهاية للانضباط الذي تفرضه الأقدمية ، ذلك أن الرتب الكبيرة كانت تشعر دائما انها تحت مراقبة ونفوذ بعض الضباط الأصغر رتبة والأكثر قدرة على الاتصال بالقائد الجديد وحاشيته .

وبلغ الأمر حدا جعل شمس بدران وهو ضابط برتبة الصاغ يتسلط على مفسد القوات المسلحة ، ويمتنع أفراد الرتب الكبيرة ، فتضطر الى تحيته ، لأنه كان مديرا لمكتب القائد العام عبد الحكيم عامر .

انتهى تماما عهد الجيش النظامي التقليدي ، ولم يبدأ عهد الجيش الوطني الثوري وإنما بدأ عهد الجيش الذي يتم الاشراف عليه بصلات شخصية خفية .

ولم يتم التغيير دفعة واحدة ، وإنما تم خلال مراحل من المصادمات أدت الى نقل بعض الضباط للعمل خارج الجيش ، وإلى دخول البعض منهم الى السجن ، كما سيأتي تفصيله فيما بعد .

وقد جعل هذا التغيير بذور الخلاف بين محمد نجيب وأعضاء المجلس تنمو في سرعة شديدة . . .

وبينما كان محمد نجيب هو الذي أعلن عن تشكيل محكمة الثورة في خطاب عام بميدان الجمهورية إلا أنه فوجيء بظهور اسم مصطفى النحاس في قائمة المعتقلين حيث حددت إقامته ، وكان محمد نجيب قد اعترض على ذلك ، لاعتقاده بأن النحاس قد أدى لمصر خدمات جليلة ، ولا يجوز تحديده إقامته وهو في الرابعة والسبعين من عمره ، وشطب اسمه من الكشف فعلا ، ولكنه فوجيء بإضافة اسمه عن طريق التزوير .

وعندما صدر حكم بإعدام إبراهيم عبد الهادي ، صرح محمد نجيب للندويي الصبحف بمعارضته للإعدام ، حتى لا يعدم دون علمه . . . وقال لبعض أعضاء المجلس أنه يفضل أن يلتف حبل المشنقة حول عنقه دون أن يصدق على حكم الإعدام . . . ثم سافر إلى الإسكندرية منتويا علم العودة احتجاجا على هذا (الانزلاق الخطير) - في رأيه - وبعد يومين أمضاها في استراحة ثكنات مصطفى كامل حضر له جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وذكريا محيي الدين وأبلغوه أنه يمكن استبدال حكم الإعدام بالأشغال الشاقة المؤبدة .

الوحيد الذي وقف معه في المجلس ضد حكم الإعدام كان خالده محيي الدين .

وهكذا أصبحت المضادفات داخل مجلس القيادة أعلى صوتا ، محمد نجيب في جانب ومعظم الأعضاء في جانب آخر . . . أقر بهم إليه أصبح خالد محيي الدين الذي صاحبه في رحلة لزيارة النموبة ، حيث التقت أفكارهما معا على أهمية الديمقراطية باعتبارها الحل الوحيد الذي يعطي للشعب جقه ويضمن التعبير على إرادته ، ويعيد الجيش إلى واجبه الأصلي داخل الثكنات .

كانت رحلة اللوبة هي بداية اللقاء الفكري بين محمد نجيب وخالد محيي الدين . . . ولكنه لقاء لم يتجاوز الحدود الفكرية إلى آفاق تنظيمية ، فالإثنان معا كانا ضد فكرة تكرار الانقلابات العسكرية ، وكانا حريصين حرصا شديدا على عودة الجيش إلى طبيعته ، وتحاشي الانفجارات والصدامات الدهوية .

ولم يقف دخول الضباط إلى الوزارة عند حد الثلاثة الذين دخلوا مع إعلان الجمهورية فقد أجبر نجيب على إدخال ذكريا محيي الدين وذكرا للدخالية وجمال سالم وزيرا للمواصلات في ٥ أكتوبر ١٩٥٣ بناء على قرار

مجلس قيادة الثورة اتخذ في غيبته مع تفرغ جمال عبد الناصر لمنصب نائب رئيس الوزراء .

وكان التوتر بين محمد نجيب وجمال سالم في الذروة ، الأمر الذي دفع جمال سالم الى ارتكاب مخالفة دستورية لم تحدث في تاريخ مصر ، اذ رفض هو وزكريا محيي الدين أداء اليمين القانونية أمام محمد نجيب . .

وعندما وصل الخلاف بين محمد نجيب وأعضاء المجلس الى حد تبادل الاتهامات ثبت اقتراح من أحد أعضاء مجلس القيادة بتدبير عملية اغتيال لمحمد نجيب ، ولكن عبد اللطيف البغدادى عارض هذا الاقتراح في حسم شديد قائلا : (ان الثورة ستضيع اذا نفذ ذلك) .

ولم يكن محمد نجيب خصما عنيدا . . . فهو رغم صراحته وشجاعته وبسالته في حرب فلسطين كان لين الجانب في معاملته مع زملائه ، ينظر اليهم كابنائيه أو أخوته الصغار ، لا يسلك أسلوبهم في محاولة تجميع الضباط وتنظيمهم . معتمدا على سحر شخصيته وجماهيرته في الجيش وخارجة .

ولكن هذا الموقف المتهاون من جانب محمد نجيب قد دفع الى تمادي أعضاء المجلس في مهاجمته والاساءة اليه بالشائعات . . . وتبدلت الحال تماما بعد ان كان جمال عبد الناصر يرحب به في بلده بني مر أثناء زيارته لها في مارس ١٩٥٣ قائلا « باسم أبناء هذا الاقليم أرحب بك من كل قلبي وأعلن رياسم جميع الفلاحين اننا آمنا بك فقد حررتنا من القزع والخوف وآمنا بك مصلحا لمصر ونذيرا لأعدائها » ، وعبد الحكيم عامر بقوله في قريته اسطال « ها هو بلدى يبايعك وها هم أولاد رجاله أمامك أقوىاء أشدهاء يعاهدونك على السير معك وثقين بك ومؤمنين » . . .

وبعد أن قال صلاح سالم في المحلة الكبرى يوم ٢٢ يونية « يقول البعض أنه كان يجب انتخاب رئيس الجمهورية انتخابا شعبيا واعتقد وكلكم تعتقدون أن محمد نجيب قد نجح في أكثر من انتخاب ولقد سار في كل ركن من أركان هذه الدولة والتف حوله ملايين من البشر » .

هذه أمثلة محدودة مما قاله أعضاء المجلس عن محمد نجيب ، ولكن الأمور بينهم تدهورت بسرعة الى درجة التفكير في اغتياله ، وإحراجه باتخاذ القرارات في غيابه ، والاساءة اليه بين حين وآخر .

ولم يكن محمد نجيب وحده قادرا على مواجهة هذه الموجة العنيفة من الكراهية التي بدأت تثور ضده وتحاصره ، فهو بطبيعته كان مفتوحا على الجميع ، لا يدبر شيئا في الخفاء ويرفض الانزلاق الى المؤامرات . . .

وكان حظه سيئاً مع زملائه في المجلس ، كلما تحدث مع واحد منهم بصدر مفتوح أسرع بنقل حديثه الى جمال عبد الناصر فأظهره بمظهر الصداوة والتربص .

كانت الظروف تندفع دفعا الى نقطة الصدام بين محمد نجيب وأعضاء المجلس وتوافرت عوامل أخرى جعلت لهذا الصدام فرقة شديدة داخل الجيش وبين الجاهير .

وهو ما نتحدث عنه فيما يلي عن الأزمة التي كانت بمثابة (الصدام الأخير) .

الفصل السادس عشر

الصدام الأخير

لم يكن الصدام الأخير مع فئة واحدة من الفئات السابقة ، ولكنه كان معها كلها مجتمعة .

لم تكن الخطوات الادارية أو السياسية التي اتخذت قد انتهت . حياة الاقطاع أو الأحزاب أو الشيوعية أو الإخوان . . . ولم تكن قد جوبت ضباط الجيش إلى فئة من المطيعين المستسلمين .

كانت كل هذه الفئات قد انحنت للعصاة ، تنتظر الفرصة المناسبة للظن مرة أخرى . . . بدأ فبراير ١٩٥٤ وحركة الجيش مثل المريض الذي بدأت تظهر عليه عوارض أمراض مختلفة كانت جراثيمها كامنة تتحين الفرصة المناسبة لحالة ضعف عام في الجسم .

كان أخطر ما تعاني منه حركة الجيش ، التناقض الداخلي بين الضباط ، وتوتر الموقف بين محمد نجيب وأعضاء المجلس . . . في وقت امتلات فيه السجون بزعما الأحزاب والشوعيين والإخوان المسلمين .

كانت جهات الصدام قد تعددت ، وأصبح التركيز على واحد منها أمرا متعلدا .

وانفجر الموقف عندما وجد نجيب أن استمراره رئيسا للجمهورية ورئيسا لمجلس قيادة الثورة أصبح أمرا مستحيلا بعد أن وصلت الامور إلى حالة يصعب علاجها ولا يملك وحده - على حد تعبيره - القدرة على الفصل فيها .

قرر محمد نجيب الاستقالة ... بعد صبر طويل على تحميل معاملة زملائه له ، وهو يبرر ذلك بحرصه على عدم سقوط حركة الجيش فريسة للديكتاتورية ، وتصوره ان وجوده يمكن ان يحقق الديمقراطية .

ولا يمكن اغفاء محمد نجيب من المشاركة الايجابية في كل ما اتخذته حركة الجيش من قرارات ضد الحرية والديموقراطية ... هو الذي وقع قرارات الاعتقال واعدام خميس والبقرى واصدر قوانين الغاء الدستور وحل الأحزاب وتشكيل محكمة الثورة .

ولكنه مع ذلك كان عاجزا ضد جموح أعضاء المجلس الذين أصروا على اعدام البكباشي حسن المنهوى وعارض هو ... وأعلنوا حكم الاعدام على ابراهيم عبده الهادي ورفض التصديق .. واعترض على عمليات الضرب والارهاب التي تعرض لها الضباط يوم دخلوا السجن بملابسهم ورتبهم العسكرية .

قدم محمد نجيب استقالته في كلمات محدودة ... أرسلها الى كمال الدين حسين باعتباره سكرتير مجلس قيادة الثورة الذي كان يسجل قراراته .

ولم تكن الاستقالة تعني انسحابا هادئا من الحياة العامة ... ولكنها كانت تعني في مضمونها انتهاء لأعمال مجلس قيادة الثورة وإقالة لأعضائه ... فقد ارتبطت الجماهير البسيطة بشخصية محمد نجيب التي امتلكت الشوارع ووجد الكثيرون فيها حلقة انقاذ لهم من طوفان ديكتاتورية عسكرية تقترب عنه الأفق .

والواقع انها قدمت بعد احتمال محمد نجيب لكثير من العيب والتصرفات الصغيرة ... كانت الرقابة تحذف ما يدل به من تصريحات .. والإذاعة لا تذيب كلماته الا اذا كانت على الهواء ... والمباحث العسكرية تطبع منشورات تشكك في موقفه ... والشائعات تدبر ضده في الجيش وخارجه .

كل الأجهزة الحساسة لم تكن في قبضة محمد نجيب ... قيادة الجيش والداخلية ووزارة الارشاد وهيئة التحرير ... جميعا كانت في ايدي أعضاء المجلس ... ومعظم الذين احاطوا به من الضباط كانوا مزروعين حوله يبلغون اخباره وتحركاته .

لم يعتمد محمد نجيب الا على شعبيته ... لم يرتبط بتنظيم داخل الجيش ... ولم يعقد اتفاقيات خاصة مع القوى والأحزاب السياسية

المختلفة ٠٠٠ ولم يكن له نداء معروف سوى الديمقراطية وعودة الجيش إلى
الثكنات وهو ما قاله صراحة أمام الضباط في ناديهم في ديسمبر ١٩٩٣:

ولذا كانت الاستقالة بمثابة الاختبار لقوة محمد نجيب في مواجهة
المجلس ٠٠٠ وامتحاناً لإرادة الشعب.

ما إن ذهب محمد نجيب إلى منزله بعد تقديم الاستقالة حتى فوجئ
بأن التليفون لم يعد صالحاً للعمل.

وظهرت الجرائد في صباح ٢٥ فبراير تحمل هذه المانشيتات:

اجتماع هام مفاجئ لمجلس الثورة

تعيين جمال عبد الناصر رئيساً للوزراء

قبول استقالة محمد نجيب من جميع الوظائف التي يشغلها

منصب رئيس الجمهورية يظل شاغراً حتى تعود الحياة النيابية إلى
البلاد.

وكان مجلس قيادة الثورة قد أعلن هذه الأخبار ضمن بيان وزعه على
الصحف في الرابعة صباحاً ٠٠٠ ولم تكن قرارات المجلس بالإجماع فقد
اعترض عبد اللطيف البغدادي وخالد محيي الدين على قبول الاستقالة ،
وأعلن خالد أنه سيقدم استقالته بعد أسبوع.

وجاء في البيان ما يفيد بأن محمد نجيب تحرك إلى مقر القيادة ليلة
٢٣ يوليو بعد مكالمات مرتضى المراغي ، وأنه لم يضم إلى مجلس القيادة
إلا يوم ١٥ أغسطس ، وأن جمال عبد الناصر قد تنازل له عن رئاسة مجلس
القيادة لمدة عام واحد رغم أنه كان منتخباً ، وأن محمد نجيب يطالب
بسلطات أوسع وبحق النقض لقرارات المجلس.

وكان إعلان الاستقالة صدمة للجماهير التي لا تعرف ما يدور في
كواليس السياسة والتي ارتبطت بمحمد نجيب واحبته منذ اليوم الأول
للثورة ٠٠٠ ولم تجد كلمات البيان صدى عند الجماهير لأنها رأت محمد
نجيب يتصدر الحركة منذ لحظتها الأولى ويوقع بيانها الأول ، ويعرض
نفسه لاحتمالات الانقضاض على الحركة من جانب الملك أو القوات
البريطانية.

وعقب استمرار (مجلس قيادة الثورة) على هذا الرأي وتوزيع البيان
على الصحف قام عبد المحسن أبو النور قائد الحرس الجمهوري بعمل خدعة

لقائمه الحرس عند منزل محمد نجيب أبعدته بها عن المنزل واستبدل القوات
التي كانت تحرس المنزل ونزع أسلحتها .

أصبح محمد نجيب معتقلا في منزله ونشرت الصحف في اليوم
التالي نبا استقالة أديب الشيشكلي ديكتاتور سوريا ومفادته لها وتولى
هاشم الاتاسى رئاسة الجمهورية .

كان توافقا غريبا في التوقيت .

وفي اليوم التالي صدرت الصحف تعهد بيانات من مجلس قيادة
الثورة وتصريحات من صلاح سالم وزير الارشاد .

البيانات تقول ان محمد نجيب طلب عسك مقابلة السفراء الأجانب
مطلقا وكان هذا صحيحا لأنه وجد في ذلك اعتداء على مسئولية وزير
الخارجية - حسب روايته - .

وتصريحات صلاح سالم كانت مثيرة حيث قال ان محمد نجيب
قد توعده أمام الصحفيين لأنه منع نشر تصريح له وأنه سلم نفسه
للسجن الحربي هربا من متاعب محمد نجيب التي خلقها له في الاذاعة .
حتى ذهب له حسين ذو الفقار صبرى وعدد من الضباط أخرجه من هناك .

وصدر بيان ثالث لشعب السودان جاء فيه « الثورة ليست ثورة
نجيب ولا ثورة جمال أو صلاح . . . العلاقة المقدسة تربط بين شعبينا
الخالدين ، وما الحاكمون الا أدوات موقوتة زائلة » .

لم تترك هذه البيانات والتصريحات أثرا في نفوس الناس وبدأت
سلسلة من ردود الفعل في مختلف المواقع داخل الجيش وفي الشارع
. . . . في القاهرة والأقاليم وفي مصر والسودان .

أقوى ردود الفعل وأسرعها كان في سلاح الفرسان ، حيث كانت
الأفكار الديمقراطية تجد مجالا خصبا للنمو ، كنتيجة لوجود خالد محيي
الدين ضابطا لمخبرات السلاح ، وثروت عكاشة أركان حرب السلاح وهو
المعروف بصلة النسب التي تربطه بأحمد أبو الفتوح رئيس تحرير (المصرى) .

خلال الفترة السابقة لم تخمد تطلعات أفراد السلاح للديمقراطية.
ورفع قبضة مجلس القيادة القوية عن الجيش

وأثناء نظر مجلس القيادة في استمرار مشروع (النقطة الرابعة) ،
الأمريكي ، اشترى ضباط الفرسان عشر نسخ من كتاب (النقطة الرابعة)
تأليف الكاتب الصحفي أحمد بهاء الدين ، واتصل به بعضهم لمقابلة خالد.

محيي الدين وثروت عكاشة حيث فهم من المقابلة أن مشروعاً معرضاً على القيادة وأن ضباط الفرسان يريدون أن يشكلوا مجموعة ضغط عن طريق مناظرة ينتصر فيها رفض المشروع .

وعندما اختلف ثروت عكاشة مع صلاح سالم بعد نشره مقالاً في مجلة التحرير بمناسبة مرور عام على الثورة لم يذكر فيه شيئاً عن صلاح سالم ، وإذاعة الأخير لبيان قال فيه أن مجلة التحرير لا تعبر عن الثورة قرر مجلس القيادة وضع مجلة (التحرير) تحت الرقابة شأنها شأن سائر المجلات ولكن ثروت عكاشة رفض تنفيذ القرار وقدم استقالته بعد إجراء عنيف تمثل في ذهابه إلى دار الهلال حيث كانت تطبع المجلة ، وطمس الرصاص وسحب المقالات . . . الأمر الذي أدى إلى صدورهما من دار أخبار اليوم بواسطة الإشراف المباشر لأنور السادات بمعاونة مصطفى بهجت بدوي مدير إدارة المجلة

وكانت استقالة ثروت تؤدي إلى حركة من جانب ضباط الفرسان لولا وجود خالد محيي الدين وقبول ثروت العمل ملحقاً عسكرياً في باريس دون خلاف . . . ولكنها كانت إضافة لعوامل الرفض في نفوس ضباط الفرسان .

كان اليوم التالي لإعلان استقالة محمد نجيب يوم الجمعة . . . ومع ذلك فقد دعا ضباط سلاح الفرسان إلى اجتماع عام لم يحضره خالد محيي الدين ولا ثروت عكاشة الذي قد عين ملحقاً عسكرياً في باريس . . . حضر حسين الشافعي فطالبه الضباط بعودة محمد نجيب والحياة الديمقراطية ولما عجز عن إقناعهم ، حضر جمال عبد الناصر .

الظاهرة الواضحة في هذا الاجتماع الذي بدأ في الساعة مساءً كانت تدفق الضباط عليه وظهور نغمة نقد من الضباط العاديين للضباط الأحرار لأنهم تركوا الأمور تتردى إلى هذا الحد .

ووصل جمال عبد الناصر إلى ثكنات السوارى في الساعة والنصف مساءً ، وهو الوقت الذي تعود فيه الدبابات المكلفة بحراسة شرق القاهرة إلى المعسكر لتغادرها في الصباح وقده تصور جمال وهو يسمع صواتها دون تعليق أنها تتحرك لعمل انقلاب عسكري .

عرض جمال عبد الناصر في هذا الاجتماع خطوات الثورة وما قامت بتحقيقه . . . ولكنه فوجئ بنقد قاس من الضباط موجه إلى تصرفات مجلس القيادة السياسية وتصرفات بعض أعضائه الشخصية .

كانت هناك عدة محاور للمناقشة :

١ - الشكل الديمقراطي للتعبير عن ارادة الشعب المصرى :

٢ - المدى الذى يتدخل به الجيش فى شئون الحياة اليومية ،
وموعد عودته للمكثات لاداء دوره الطبيعى فى خدمة الوطن .

٣ - تأثير عزل محمد نجيب على اتفاقية السودان ، وكان ابن محمد
نور الدين الزعيم السودانى والضابط بالسلاح قد أعلن أن الشعب
السودانى عاطفى وان عزل محمد نجيب سيؤدى الى انتصار حزب الأمة .
وكان هناك أيضا هجوم شديد بالأمثلة على تصرفات بعض أعضاء
المجلس فى النواحي المادية والشخصية والنسائية .

وتحول الهجوم الى عاصفة شديدة لم يستطع جمال عبد الناصر
مجابتها الا بقوله (أنا شخصيا لا مثالب عندى) وصور اسلوب حياته
الخاصة . واستمر الاجتماع حتى الثالثة بعد منتصف الليل ، حيث
طلب جمال عبد الناصر العودة للمجلس لاستشارته والحضور مرة أخرى .

وكان خالد محيى الدين قد وصل الى مبنى القيادة بعد عودته من
حفلة السواريه فى احدى دور السينما واستدعائهم له . ويقول انه وجد
وجوها جامدة أحس فى تضاريسها بالكراهية ولم يكن قد بلغه بعد ما دار
فى سلاحه .

وروى لهم جمال عبد الناصر قصة اجتماع السوارى ، وأشار الى
صوت الدبابات قائلا انها كانت تتحرك أثناء الاجتماع ودارت مناقشة
قصيرة للخروج من المأزق ومجابة الموقف .

حسمها جمال عبد الناصر باقتراحات محددة هي تولى خالد محيى
الدين رئاسة الحكومة والعمل بسرعة على عودة الحياة الدستورية ، وذلك
لفقدانهم الثقة فى محمد نجيب وعدم رغبتهم فى التعاون معه .

واعترض خالد على هذا الاقتراح قائلا انه لا يقبل البقاء وحده . . .
ولكن جمال عبد الناصر قال ان البلد تريده محمد نجيب ونحن لا نستطيع
مقاومة التيار . . . وتمت موافقة المجلس على الاقتراح بعد تحذير كمال الدين
حسين لخالد من عدم تحويل البلد الى شيوعية ، وبعد قبول عبد الحكيم
عامر للبقاء مع خالد محيى الدين لفترة محدودة يستقيل بعدها أيضا .

وذهب جمال عبد الناصر مع خالد محيى الدين الى الضباط المجتمعين
فى السوارى ، والذين لم يغمض لهم جفن طوال الليلة وكانت الساعة
قد بلغت الثالثة صباحا تقريبا .

وأعلن جمال عبد الناصر ان المجلس وافق على ما يأتي :

- ١ - حل مجلس قيادة الثورة .
- ٢ - عودة محمد نجيب رئيسا لجمهورية برلمانية .
- ٣ - يشكل خالد محيي الدين حكومة انتقال لمدة ستة شهور .
- ٤ - تجرى الحكومة انتخابات لجمعية تأسيسية لتضع دستورا دائما .

٥ - يعود أعضاء مجلس قيادة الثورة الى وحداتهم .

ضجت القاعدة بتصفيق شديد ، وضاعت محاولات الكلام في ضجة الموافقة وخرج جمال عبد الناصر من سلاح الفرسان مع خالد محيي الدين .

وتوجه خالد محيي الدين مع اليوزباشي شمس بدران وضابط آخر الى منزل محمد نجيب لإبلاغه بقرار مجلس قيادة الثورة وقد رحب محمد نجيب بالقرار ترحيبا شديدا وكانت علاقته بخالد قد أصبحت علاقة وثيقة على خلاف علاقته ببقية أعضاء المجلس .

وعندما عاد خالد محيي الدين الى القيادة كانت معالم الصورة تتغير تدريجيا ، فان ضباط الصف الثاني المحيطين بمجلس القيادة رفضوا الاستجابة لقرار مجلس قيادة الثورة وعودة الضباط الى الكنتات ، فحملوا السلاح وتملكتهم حالة هستيرية ، وتصرفوا تصرفات فردية . . . وحاول بعضهم الاعتماد على خالد محيي الدين فمنهم عبد الحكيم عامر وجمال سالم .

ورفض هؤلاء الضباط تسليم بيان مجلس القيادة الى مندوب الاذاعة الذي حضر في السابعة والنصف صباحا .

كان يحمل لواء المعارضة للقرارات البكباشي أحمد أنور قائد البوليس الحربي والصاغ مجدى حسنين وقائد الجناح وجيه أباطة واليوزباشية كمال رفعت وحسن التهامي ومحمد أبو الفضل الجيزاوي والصاغ مسعد زايد وغيرهم من الضباط الذين خرجوا عن حدود الانضباط وبدأوا يهاجمون أعضاء المجلس الذين اتخذوا هذا القرار .

وفي مكتب عبد الحكيم عامر ارتفعت ضجة النقاش وتبين خطر الصدام المسلح ووقف عامر فوق مكتبه شاهرا سلاحه مهددا بالانتحار اذا حدث قتال بين أسلحة الجيش ووحداته .

ثورة يوليو ج ١ - ٣٣٧

ومع ذلك لم يرتدع ضباط الصف الثاني ، وتحركوا تلقائيا لتنفيذ رغباتهم دون تنسيق . . . بعض ضباط المدفعية أحضروا المدفعية المضادة للدبابات وحاصروا سلاح الفرسان من جهة الشارع ، وجنود إحدى كتائب مدافع الماكينة وجهت مدافعها نحو اسلاك السلاح من داخل كتكتات العباسية وحول البوليس الحربى مسار عربات واتوبيسات سلاح الفرسان ، واعتقلوا من بها من الضباط . . وأخرج على صبرى ووجيه أباطة الطائرات لتحلق فوق سلاح الفرسان .

فوجئ ضباط الفرسان بهذه التغييرات المفاجئة وحاول البعض منهم تفادى صدام دموى مسلح فذهبوا لمناقشة أعضاء القيادة ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك فقد اعتقلوا ومنعوا من العودة .

ولم تقف التضمرات الذاتية لضباط الصف الثاني عند هذه الحدود . . . بل ان اليوزباشية كمال رفعت وداود عويس اتجها الى منزل محمد نجيب دون أوامر لاعتقاله ولما اعترضهم الحرس اتصلوا بصلاح نصر قائد كتيبة الحرس الجديد فأذن لهما بالدخول .

كان الوقت فجرا ومحمد نجيب فى فراشه عندما دخلوا عليه وطلبوا منه أن يلبس للخروج معهما . . . واعترض نجيب قائلا ان صلاح سالم أبلغه تليفونيا بقرارات المجلس وان خاله محيى الدين قد زاره شخصيا منذ حوالى الساعة . . . وطلب الاتصال تليفونيا بأحدهما ولكن كمال رفعت رفض ذلك .

وأخرج محمد نجيب من داره برغما وهو يتسلسل عما إذا كان معتقلا ، وعن الوجهة التى يقصدها . . . ولكنه لم يتلق جوابا شافيا .

وتحركت العربى الملاكى الخاصة الى ميس المدفعية بالمظلة وكان اليوم شديد البرودة ، فطلب محمد نجيب الجلوس فى الشمس ولكنهم اصرروا على استبقائه فى احدى الغرف حتى لا يشاهده الجنود .

وترك كمال رفعت محمد نجيب فى ميس المدفعية مع اركان حرب السلاح الصاع أبو اليسر الأنصارى وعاد الى مبنى القيادة ليبلغ عبد الحكيم عامر الذى ثار عليه وانه هو وصلاح نصر قائد كتيبة الحرس . . . وأرسل اليوزباشى حسن التهامى للافراج عن محمد نجيب واعادته الى منزله .

وفى طريق العودة لم تستطع العربى الجيب العسكرية ان تسلك طريقا جانبيا مهجورا وغير معبد . واعتقد محمد نجيب انهم سيطلقون عليه الرصاص من ثبات ضرب النار التى يمر بها هذا الطريق . . وقال لحسن التهامى أنه لا يهاب الموت ولكن دمه سوف يظل لعنة عليهم .

ووصل محمد نجيب الى منزله سالماً بعد يوم عصفت بنفسه التوقعات.
المختلفة ، وكسرت فيه قواعد الاجترام لرئيس الجمهورية وتمزقت نهائيا
وحدة الضباط الأحرار .

ولم يكن رد الفعل الوحيد لاستقالة محمد نجيب قاصرا على ما حدث.
فى سلاح الفرسان ٠٠٠ ولكنه كان موقفا ضمن عدة مواقف أخرى .

ضباط المنطقة الشمالية فى الاسكندرية عارضوا استقالة محمد نجيب
فور اعلانها ، وكانوا قد عبروا عن رأيهم فى ضرورة ابقاء محمد نجيب رئيسا
للمهورية وعدم التهمج عليه فى اجتماع عقده حسن ابراهيم معهم فى نادى
الضباط موقفا من مجلس القيادة ، وحاول فيه الاساءة الى محمد نجيب
بأحاديث شخصية اعترض عليها أحد ضباط الفرسان (اليوزباشى أمال
المرصفى) عضو تنظيم قسم الجيش فى حديثه سابقا ، وايده جميع الحاضرين
بالتصفيق .

كان مجلس القيادة قد أوفده البكباشى صلاح الدين مصطفى الملحق
العسكرى الذى استشهد فى عمان بعد ذلك للتصرف على رأى ضباط
الاسكندرية ٠٠٠ وقد صارحناء وقتها بأننا لا يمكن ان نقف ضد الحرية
والديمقراطية التى ينادى بها محمد نجيب والتى خرجنا من أجلها ليلة ٢٣
يوليو .

كان موقف أغلبية ضباط الاسكندرية حاسما وواضحا فى تأييد
محمد نجيب .

وتجاوزت ردود الفعل حدود الجيش

عمت المظاهرات شوارع الخرطوم وبعض مدن السودان نهيب
(لا وحدة بلا نجيب) وكان محمد نجيب قد أصبح رمزا للوحدة عند
السودانيين فبعد خدمته الطويلة هناك ، ودفن والده وخاله الضباطين
بالجيش فى السودان ، وعلاقته الوثيقة ومعرفته بكثير من الزعماء والبسطاء
هناك جعلت منه شخصية شعبية محبوبة فى السودان كما فى مصر .

وخرجت المظاهرات أيضا فى القاهرة تهتف بحياة محمد نجيب منذ
الصباح الباكر .

وفى الوقت الذى احاطت فيه قوات الجيش بسلاح الفرسان وتم
اعتقال عدد كبير من ضباطه بلغ الأربعين ٠٠٠ وبدأ الأمر كما لو ان مجلس
الثورة قد انتصر تماما ، عقد اجتماع فى ظهر ذلك اليوم اقترح فيه صلاح
سالم وجمال سالم وحسن ابراهيم وكمال حسين وأنور السادات اخراج

خالد محيي الدين من المجلس واعتقاله ... وطالب البعض بتحديد اقامته
في مرسى مطروح بينما طلب عبد الحكيم عامر تسفيره للخارج .

الوحيد الذي عارض اتخاذ اجراء ضده خالد محيي الدين كان
عبد اللطيف البغدادي الذي قال ان خالد لم يخف آراءه عنا وكان معروفا
ان له آراء مختلفة وقد طلب ان يستقيل وقد رفضنا .

وحسم جمال عبد الناصر المناقشة بقوله ان القضية ليست قضية
خالد محيي الدين ولكنها قضية محمد نجيب ، فاذا تقرر عودة محمد نجيب
فلا بد من عودة خالد أيضا .

وبدأت مناقشة موضوع محمد نجيب ... وكان قد تقرر تشكيل
محكمة من جمال سالم والبكباشي أحمد أنور والصاغ أحمد عبد الله لمحكمة
ضباط الفرسان المعتقلين والذين نقلوا الى مقر البوليس الحربي في محطة
مصر .

وأثناء الاجتماع اتصل أحمد ضباط الفرسان (يوزباشي محمود
حجازي) بعبد الحكيم وأبلغه أنه اذا لم يفرج عن كل الضباط المعتقلين
فان الدبابات المحاصرة ستوجه نيرانها على مبنى القيادة ... وليحدث بعد
ذلك ما يحدث .

وكانت المظاهرات تزداد انتشارا في شوارع القاهرة وتهتف (لا ثورة
بلا نجيب ... الى السجن يا جمال ... الى السجن يا صلاح) ...
ومناقشات مجلس القيادة في مصر محمد نجيب مستمرة لا تنقطع .

وعند الثالثة بعد الظهر كان الارهاق قد استبد به جميع أعضاء المجلس
بعد ليلة مرهقة حافلة بالأحداث ، فقرروا رفع الجلسة للنوم أربع ساعات
... وطلب منهم جمال عبد الناصر تفويضا بالتصرف اذا ساءت الأمور خلال
هذه الساعات ، فوافقوا على ذلك ... وكان هو الوحيد الذي بقي في مقر
القيادة بعد أن ذهب الجميع لخطف وقت للراحة ... وكانوا خلال هذه
الفترة لا ينامون في منازلهم .

وما هي الا برهة قصيرة حتى كانت الأخبار تتلاحق على مجلس قيادة
الثورة ... وكالات الأنباء تحمل أخبار مظاهرات السودان ... البكباشي
صلاح مصطفى يصل من الاسكندرية حاملا موقف ضباطها تأييدا لنجيب
... وأخيرا عودة صلاح سالم وقد صدمه منظر المظاهرات تملأ الشوارع
أمام قصر عابدين وهو في طريقه الى منزله .

وقال صلاح سالم لجمال عبد الناصر الذي كان يجلس وحيدا في

الغرفة ٠٠٠ « أما ان ينزل الجيش لتفريق المظاهرات وأما أن يلتهب الموقف » .

ولم يجيب جمال عبد الناصر ٠٠ الذي جلس في صمت وقد وضع رأسه بين يديه .

وتابع صلاح حديثه « أعتقد انه لا بد من عودة نجيب » .

وظل جمال عبد الناصر صامتا لا يجيب .

وقال صلاح سالم « سأبلغ الخبر للاذاعة » .

واستمر صمت جمال عبد الناصر .

وكرر صلاح عبارته في الحاح .

ولم ينطق جمال عبد الناصر ٠٠٠ ظل محتفظا بصمته وأفكاره .

ولم يجد صلاح سالم بلما من تبليغ الاذاعة بنجر عودة محمد نجيب .

وفوجئ أعضاء المجلس في منازلهم ببيان تذييع الاذاعة في السادسة من مساء ٢٧ فبراير ١٩٥٤ يقول « حفظا على وحدة الأمة يعلن مجلس قيادة الثورة عودة الرئيس اللواء محمد نجيب رئيسا للجمهورية ولله والى سيادته على ذلك » .

وصحب هذا البيان بيان آخر تكررت اذاعته « تعلن قيادة الثورة ان أى إخلال بالأمن في أنحاء البلاد سيقابل بكل شدة وعنف » .

عاد محمد نجيب رئيسا للجمهورية .

التمزق الذي حدث في صفوف الجيش ٠٠ والتأييد الشعبي الجارف في مصر والسودان ٠٠ وعجز مجلس القيادة عن اتخاذ قرار أمام تتابع الأحداث ٠٠ كالت هي العوامل التي أعادت محمد نجيب ، وأبقت خالد محيي الدين عضوا في مجلس قيادة الثورة .

عاد محمد نجيب عودة المنتصر .

ونشرت صحف الصباح ٢٨ فبراير بيانا على لسانه قال فيه :

« أرى من واجبي أن أبين لآخواني وأبنائي المصريين والعرب اننى استقلت من منصبى بمحض ارادتي مقتنعا بأن مجلس الثورة هو الهيئة التي تركزت فيها غاياتنا العليا ، ورسمت أهداف الثورة السابقة التي ترمي الى رفعة الوطن واستقلاله ، وما أقدمت على هذه الاستقالة الا لكي أوسع

لاخوانى أعضاء المجلس الفرصة للعمل على تحقيق هذه المبادئ والعمل على طرد العدو الغاصب الذى مازال يحتل جزءا من أرضنا الطاهرة وانى لاهيب بالمصريين المخلصين والعاملين ان يتحدوا صفا واحدا خلف اخوانهم واخوانى أعضاء مجلس قيادة الثورة ، يعملون معهم جاهدين لتحقيق الأهداف السابقة .

لم تكن عودة محمد نجيب هزيمة لطرف من الأطراف ، وانتصارا للطرف الآخر ولكنها كانت توفيقا فرضته الظروف الحساسة المتوازنة ، وبداية رحلة جديدة من المواجهة الصريحة والمستترة .

التناقضات القديمة تراكمت وكادت تتحول الى صدام مسلح بين قوات الجيش ، لولا الحرص الشديد على تجنب اراقة الدماء .

وبدا محمد نجيب يومه الأول بعد العودة بالذهاب الى قصر عابدين حيث تنفقت المظاهرات رغم بيتان المجلس الذى تكررت اذاعته عدة مرات وحديث اصطياد بينها وبين البوليس ادى الى اصابة ١٣ متظاهرا . حمل المتظاهرون قمصانهم الملونة بالدماء يلوحون بها الى محمد نجيب الذى خرج يخطب فيهم من شرفة قصر عابدين وعندما لمس نجيب هياج الجماهير وارتفاع هتافات الاحتجاج ضده الاعتماد عليهم . استدعى اليه فى الشرفة عبد القادر عودة أحد زعماء الاخوان المسلمين ليهديه من نائرة المتظاهرين ، وخطب فيهم قائلا انه لم يقبل الاستئصال عن الاستقالة الا من اجل الحرية والديموقراطية والانتخابات البرلمانية .

وابلغ محمد نجيب النائب العام للتحقيق فى حادث الاعتداء على المتظاهرين .

وفى اليوم التالى اول مارس ١٩٥٤ ظهرت الصحف وفيها أخبار القبض على ١١٨ شخصا بينهم عبد القادر عودة واحمد حسين ، كما تقرر ايقاف الدراسة فى الجامعات الثلاث الى نهاية الأسبوع ، حيث كانت المظاهرات قد اجتاحتها أيضا .

وسافر محمد نجيب فى نفس اليوم الى السودان لحضور افتتاح البرلمان السودانى بناء على ارتباط سابق مع صلاح سالم واحمد حسن الباقورى .

كان موعد السفر غير مناسب اطلاقا فالأمور لم تهدأ بعد فى مصر ، وكثير من المشاكل كانت تحتاج الى حل ومواجهة .

• وكانت هناك فى الخرطوم مفاجأة شديدة •

جماهير حزب الأمة احتشدت فى المطار والشوارع المؤدية اليه تعلن
ارادة الانتصار بعد انتصار الحزب الوطنى الاتحادى فى الانتخابات وتعيين
اسماعيل الأزهرى رئيسا لوزارة السودان هاتفة (لا مصرى ولا بريطانى ...
السودان للسودانى) •

ورغم ان الصديق المهدي كان فى استقبال محمد نجيب فى المطار ،
الا ان المظاهرات أخذت شكلا معاديا ، واصطدام الجماهير بالبوليس أفسد
مظهر الاحتفال بافتتاح البرلمان السودانى وحاصر المدعوين فى أماكنهم ...
وكان محمد نجيب فى القصر الجمهورى يحاول الاتصال بعنشا بالسيد
عبد الرحمن المهدي ، واجتمع بالسفراء العرب لمناقشة طبيعة المظاهرات
فاجمعوا على ان استغزات البوليس قد (شوحت الموقف وحولته الى
مجزرة) •

وغادر الخرطوم مع الفجر محمد نجيب وزملاؤه ، كئيبا غادروها أيضا
سلوين لويده الوزير البريطانى ولم يفتتح البرلمان السودانى ... وقد حكمت
المحاكمة العليا التى كان يرأسها قاض بريطانى بعد ذلك باعدام عوض صالح
رئيس تحرير جريدة الأمة ومدير دائرة عبد الرحمن المهدي وبالبطش المؤبد
على الصحفي على فرج بالجريدة ، وأربع سنوات على عبد الله عبد الرحمن
نقله الله سكرتير عام منظمات الأنصار ... وقد خففت محكمة الاستئناف
بعد ذلك حكم اعدام الى المؤبد ، وحكم المؤبد الى عشر سنوات •

وبعد عودة محمد نجيب استمرت حركات الاعتقال ... فتم يوم ٣
مارس اعتقال ٤٥ من الإخوان ، ٢٠ من الحزب الاشتراكى ، ٥ وفدين ،
٤ شيوخين ... وصدر قرار باستمرار إغلاق الجامعة لمدة أسبوع آخر •

كان هذا دليلا على أن عودة محمد نجيب لم تكن استقرارا للوضع ،
ولكنها كانت فرصة لالتقاط الأنفاس للتباطؤ من جديد •

طالب مخمخه نجيب بإطلاق سراح المعتقلين ، وتحقيق النيابة مع
المسئولين عن جرحى المظاهرات ... وصرح فى مؤتمر صحفى حضره عدد
كبير من مندوبى وكالات الأنباء والصحفيين الأجانب الذين توافدوا على مصر
بعد الأحداث الأخيرة « اننى لا أرى أن أكون رئيسا للجمهورية فى بلد
غير ديمقراطى وغير برلمانى ... وانه سيفرج عن المعتقلين جميعا » •

وعقد مجلس قيادة الثورة اجتماعا لم يحضره محمد نجيب ولا خالد
محيى الدين الذى كان قد سافر الى وادى النطرون بناء على نصيحة

زكريا محيي الدين ليبثعد عن القوات المسلحة التي اعتبرت حركة سلاح
الفرسان بمثابة شرح عميق فيها .

وجد المجلس ان الصدام المباشر ليس في صالحه ، وان جميع القوى
السياسية متربصة به رغم اعتقال زعمائها . . . واقترح جمال عبد الناصر
ان ينفس من الضغط المتراكم بقرارات تتيح لهم البقاء فترة في هدوء .
وصدرت قرارات ٥ مارس التي أعلنها جمال عبد الناصر في بيان
جاء فيه :

قرر مجلس قيادة الثورة اتخاذ الاجراءات فوراً لعقد جمعية تأسيسية
منتخبة بطريقة الاقتراع العام المباشر على ان تجتمع خلال يوليو ١٩٥٤
ويكون لها مهمتان :

١ - مناقشة مشروع الدستور الجديد واقراره .

٢ - القيام بمهمة البرلمان الى الوقت الذي يتم فيه عقد البرلمان الجديد.
وفقاً لأحكام الدستور الذي ستقره الجمعية التأسيسية .

وقرر المجلس أيضاً إلغاء الرقابة على الصحف . . . والغاء الأحكام
العرفية قبل اجراء الانتخابات الجمعية التأسيسية . . . على أن يكون لمجلس
الثورة سلطة السيادة لحين اجتماعها . . . كما ان تنظيم الأحزاب سيكون
متوقفاً على الدستور الجديد . . .

وصرح جمال عبد الناصر بأنه ينوى الافراج عن المعتقلين أما الذين
لم يحاكموا بعد فلن يقدموا للمحاكمة . . . وقال « سأنسى الاساءة التي
لحقت بي وسأنظر للجميع على اختلاف ألوانهم باعتبارهم مواطنين يعملون
جميعاً لصالح الوطن . . . كما اننى سأنسى كل ما أصابنى ، وسأنظر فى
بناء مصر على أسس ديمقراطية صحيحة » .

سادت مصر روح جديد . . . وعقب الجو بنسيم الحرية . . . وعادت
الحيوية الى الصحف بعد رفع الرقابة . . . ولكن اليقين باستقرار
الديموقراطية لم يكن وارداً . . . فان مركز السلطة والنفوذ كان فى يد
مجلس قيادة الثورة . . .

وظهرت عدة مقالات متباينة الآراء فى الصحف . . . الدكتور وحيد
رافت يدافع عن الديمقراطية فى المصرى . . . وأنور السادات يكتب فى
الجمهورية قائلا « ثم كان ما أعلن بالأمس . . . وما أعلن بالأمس ان هو
الاخيوط ملحة كبرى بدأت منذ شهور طويلة وكان لابد أن تصل الى القمة
فى يوم من الايام . . . قصة أرادها الانتهازيون والموتورون قوضى ودماء » .

وإشياء الله ان، يريدنا على لسان رفاق الثورة حرية في القول برفع الرقابة عن الصحف وحرية للشعب في أن يختار فيعلن عن موعد انعقاد الجمعية التأسيسية بالانتخاب الحر المباشر .

وجمال عبد الناصر يصرح للصحفيين . . . « هذه القرارات اتخذها مجلس الثورة من أجل مصلحة الوطن العليا » .

ولكن قرارات ٥ مارس لم تكن النهاية في قضية الخلاف بين محمد نجيب وخاله وبين أعضاء مجلس القيادة . . فقد بدأ كل فريق يتحرك ضد الآخر بإساليب مختلفة .

اعتمد محمد نجيب على شعبيته وعودته منتصرا فطلب أن يعود رئيسا للوزراء بعد أن كان جمال عبد الناصر قد تولى هذا المنصب واستمر فيه حتى ٧ مارس الى أن عاد محمد نجيب في اليوم التالي رئيسا لكل من الجمهورية ومجلس الوزراء ومجلس قيادة الثورة . . . وأخذ يوالى تصريحاته قائلا : « ان كل ما يقال من اننا نبغى الاستمرار في حكم عسكري ما هو الا هراء وافساد وازعاج » . . وأبلغ الصحف عن خطاب وصله من حسن الهضيبي من داخل المعتقل يطلب منه الرجوع عن حل الإخوان والافراج عن المعتقلين . . .

وخطاب آخر وصله من نقيب المحامين عمر عمر لدفع الاعتداء الجسيم الذي وقع على المحامين أحمد حسين وعبد القادر عودة وعمر التلمساني ، والدعوة لجمعية عمومية تطلب عودة الحياة النيابية وعمل ميثاق وطني .

واستمر محمد نجيب على أسلوبه . . . لا يقيم صلات تنظيمية مع الضباط الموالين له ، لا يخطط معهم حركة ما في المستقبل . . . ولا يربط نفسه بحزب أو قوة سياسية معينة اعتمادا منه على تأييد (كل) الجماهير .

هنا بينما اعتمد مجلس قيادة الثورة على أسلوب آخر ، هو الاعتماد على القوات المسلحة التي كان قادة وحداتها قد عينوا بأمر عبد الحكيم عامر . . . وحاولوا تضيق شقة الخلاف فافرجوا عن ضباط المدفعية الذين حوكموا في بداية عام ١٩٥٣ ، وأقام عبد الحكيم عامر مأدبة عشاء في نادي الضباط حضرها ١٣٥٠ ضابطا وخطب فيها محمد نجيب وأعضاء المجلس في محاولة لترطيب الجو وتهديته .

لم تكن هناك قوة سياسية يستطيع أن يعتمد عليها أعضاء مجلس القيادة بعد أن حلت جميعا ووضع قادتها في السجن . . . الا هيئة التحرير .

وكانت هيئة التحرير قد قامت في نشاطها على أساس الدعاية لجمال
عبد الناصر . . . وليس لمحمد نجيب .

كان الموقف يندفع اندفاعا نحو انتخابات الجمعية التأسيسية .

كتب سليمان حافظ في مذكراته يقول « كان يتعين علينا ان نحسب
حساب الوفد في الانتخابات المقبلة بحكم انه اكبر الأحزاب القديمة وأكثرها
نظاما ومن ثم كنت وجمال عبد الناصر متفقين على الا نكتفى بتقليد اظافره ،
بان نجرده من العناصر الطيبة التي كانت منتمة اليه لنتنظيمها جبهتنا بل
يجب ان ياتلف تحت علمها جميع خصومه من رجال الأحزاب الآخرين
والمستقلين ونظرا لضيق الوقت رأينا ان نسلك اليهم طريق زعمائهم ومن
أجل هذا نشبط للاتصال بهؤلاء الزعماء وعملت على رفع الحجب عن
بعضهم » .

وطالب جمال عبد الناصر من ابراهيم الطحاوي سكرتير مساعد هيئة
التحرير الاتصال بالسياسيين الثمانين الذين سبق له الاتصال بهم عند
تكوين الهيئة وايدوا استبعادهم الكامل للتعاون معهم وكان من بينهم
الدكتور محمد صلاح الدين عضو الهيئة الوفدية ووزير الخارجية السابق ،
وفكرى أباطة واللواء محمد فتوح النائب الوفدى وغيرهم ، وذلك لأن جبهة
المجلس كانت الاستقالة والتقدم للانتخابات كحزب من الأحزاب .

وفوجئ ابراهيم الطحاوي بأن السياسيين قد تراجعوا عن موافقتهم
السابق ، وعادوا إلى أحزابهم القديمة ، بما فيهم الدكتور محمد صلاح الدين
الذى كان مرشحا ليكون سكرتيرا عاما لهيئة التحرير .

وانتهزت بعض الصحف فرصة رفع الرقابة عن الصحف فتبادلت
فى الهجوم على العسكريين . . . مثل مجلة (الجهور المصري) التى هاجمت
البوليس الحزبى وأحمد أنور هجوما قد يكون بعض ما ورد فيه صدقا ولكنه
كان ممتنزا أو مشيرا ، ودافعا لتفتت المجلس وخسباص الصف. الثانى
بالسبابة خوفا مما يمكن أن يحدث لهم اذا تغيرت الأمور وبدأوا يخضعون
للتحقيق والحضاب وكشف ما ارتكبه بعضهم من أخطاء وانحرافات قد تصل
بهم الى دائرة العقاب أيضا .

وانتشرت النكتة التى تروى قصة رجل كان يجلس مع زوجته فى
القطار فعاكسها ضابط يجلس بجانبها فلما اشتكت لزوجها صفعه على
وجهه . وفوجئ الركاب برجل يهرع من آخر العربى ويصنع الضابط أيضا
ولما سأله الناس عن سبب ذلك ، قال (الله . . هيه مش الثورة خلصت) .

بعض القوى اندفعت كالثور الهائج فى حلبة المصارعة دون أن ترى السهام فى يد الفارس الذى يركب الحصان وهو يتحين الفرصة لبرشقتها فى رقبة الواحد بعد الآخر .

كانت الحلقة تضيق حول مجلس القيادة . . . التناقضات بين الضباط ما زالت قائمة . . . البعض الذى لم يستفد يطالب بالعودة للشكنات ، والمستفيدون من رجال الصف الثانى وبعض المقتنعين بفساد القديم عن يقين يصرون على استمرار الثورة . . . والقوى السياسية كلها معادية ومن خلفها جماهيرها . . . وهيئة التحرير بعد تولى السياسيين عنها اضعف من انه تحقق شيئا .

وفى يوم ١٩ مارس انفجرت أربع قنابل فى اتحاد متفرقة من القاهرة . وفى صباح ٢٠ مارس كان اجتماع المؤتمر المشترك ، واثرت قضية الانفجارات طلب جمال سالم وذكريا محيى الدين اتخاذ اجراءات صارمة للضرب على أيدي هؤلاء المخربين .

وقال محمد نجيب فى تلخيص رأيه لا يوجد صاحب مصلحة فى التخريب الا هؤلاء الذين يبتغون تعطيل مسار الشعب نحو الديمقراطية .

كان محمد نجيب يريد أن يثبت دعائم الديمقراطية عن أحد طرفين . . . أولها عودة الأحزاب قبل انتخابات الجمعية التأسيسية . . . ولأنها اجراء استفتاء شعبى عام على النظام الجمهورى وتعيينه رئيسا للجمهورية لأنه عين رئيسا دون استفتاء شعبى عام . . .

ولكن سليمان حافظ الذى كان يعادى الحزبية خوفا من قوة الوفد افتى بمعارضة هذا الاتجاه وأعد مع الدكتور عبد الجليل العمرى وزير المالية فى ذلك الوقت مقترحات لعبور الفترة الباقية على الانتخابات لتلخص فى تشكيل وزارة مدنية تتولى السلطات التنفيذية والتشريعية ، وإن يقتصر اختصاص مجلس الثورة على تعيين وعزل رئيس مجلس الوزراء والوزراء بموافقة رئيسهم وتولى المجلس عما عدا ذلك من أعمال السيادة . . . ونص المشروع على إلغاء الأحكام العرفية قبل ذكرى إعلان الجمهورية فى ١٨ يونيو ١٩٥٤ والى أن يتم ذلك يفرج عن جميع المعتقلين الذين لم توجه لهم تهمة «مينة تنبأش النياية تحقيقها» .

لم ير هذا المشروع النور ولم يحدث أى تغيير لتدافع الأحداث . . . فقد وصل الملك سعود الى مصر فى زيارة رسمية يوم ٢٠ مارس . . . وظهرت تصريحات لجمال عبد الناصر الى وكالة (انسا) الإيطالية يبدى راية فيها عن الاخوان فيقول « سيكونون أحرارا فى تشكيل حزب اسلامى أو هيئة

اسلامية » وعن الشيوعيين يقول « كلما بدا ان من الممكن الاتفاق مع لندن. قام الشيوعيون - وعددهم ليس كبيرا ولو انهم منظمون تنظيماً جيداً يزاولون نشاطهم تحت ستار المطالب الوطنية وقاموا بحملة تهدف للحيلولة دون الوصول الى اتفاق » ومحمد نجيب يواصل تصريحاته عن الديمقراطية فيقول « لن نتراجع عما استهدفناه من عودة الحياة النيابية ... ولماذا نخاف منها وما ثرنا الا لاعادتها خالية من الشوائب » كما أكد انه ليس في نيته تكوين حزب ...

وظهر الوفد مرة أخرى عندما أدلى برأيه في الموقف الحاضر وهو يتلخص في « التمسك بالنظام الجمهوري والاصلاح الزراعي والمطالبة بعودة الحياة النيابية فوراً حتى تستقر الأوضاع » ويعود على ماهر ليصرح بقوله « ان مصر لا تستطيع الوقوف موقف الحياد ويجب ان تنضم للغرب » .

وحدثت خلال هذه الفترة اتصالات بين الوفد ورجال الثورة خلال محمد صلاح الدين الذي كان مرشحاً لأن يكون سكرتيراً لهيئة التحرير وبين ابراهيم الطحاوي يقترح فيها الوفد على رجال الثورة ان ينضموا اليه وان يكون جمال عبد الناصر سكرتيراً عاماً للوفد .

لكن جمال عبد الناصر رفض الاقتراح .

ونشرت المصري رسالة لمعضو مجلس قيادة الثورة السابق يوسف صديق يقول فيها رايه في الموقف ويقترح قيام وزارة ائتلافية من الوفد والاشركيين والشيوعيين برئاسة الدكتور وحيد رافت لاجراء انتخابات للبرلمان الجديد ... وكانت هذه المرة الأولى التي يطرح فيها علناً اشرك الشيوعيين في الحكم ضمن جبهة وطنية ديموقراطية .

كان يوسف صديق قد هرب من تحديد الإقامة في بنى سويف .

وتميزت هذه الفترة بحيوية شديدة في اعلان الراى ... محمود عبد المنعم مراد يتافع بصراحة عن حكم الشعب في جريدة (المصري) . وجلال الدين الحمامصي يحذر من الانتخاب في جريدة (الأخبار) .

وأصبح الموقف مهتزاً تحت أقسام مجلس قيادة الثورة ، ووهنت قبضته على الحكم والسلطة ، وأصبح استمرار الحالة على ما هي عليه ضرباً من المستحيل ، وكان لابد من شىء ينهى فترة القلق والتوتر وعدم الاستقرار .

واجتمع أعضاء مجلس قيادة الثورة يوم ٢٥ مارس بحضور محمد نجيب وخالد محيي الدين حيث دارت مناقشات عاصفة ، بدأت باقتراح من عبد اللطيف البغدادى بالغاء قرارات ٥ مارس وتمسك خالد محيي الدين

بها مع مطالبته بتشكيل جديد للديموقراطية يحرم النواب الذين صوتوا تأييدا لاي قوانين مقيدة للحريات والذين رفضوا دفع ضريبة الأطنان ورؤساء الأحزاب ، والذين طبقت عليهم قوانين الإصلاح الزراعي - من حق الترشيح للجمعية التأسيسية .

وانصرفت المناقشة الى وضع الأمور على طرفى نقيض .

أما إلغاء قرارات ٥ مارس .

وأما رفع كافة القيود عن عودة الأحزاب والافراج عن كل المعتقلين .

وبعد مناقشة استمرت خمس ساعات انتهى الأمر الى إصدار ما عرف بقرارات ٢٥ مارس والتي كتبها كمال الدين حسين بخط يده رغم عدم إيمانه أو اقتناعه بها . مما يدل على أنها كانت محاولة لصرف الأمور الى وجهة أخرى وهي :

١ - يسمح بقيام الأحزاب .

٢ - مجلس قيادة الثورة لا يؤلف حزبا .

٣ - لا حرمان من الحقوق السياسية حتى لا يكون هناك تأثير على الانتخابات .

٤ - تنتخب الجمعية التأسيسية انتخابا مباشرا دون تعيين أى فرد ويكون لها السيادة والسلطة الكاملة ، وتكون لها سلطة البرلمان كاملة والانتخابات حرة .

٥ - حل مجلس الثورة فى ٢٤ يوليو باعتباره الثورة قد انتهت وتسلم البلاد لممثل الأمة .

٦ - تنتخب الجمعية التأسيسية رئيس الجمهورية بمجرد انعقادها .

لم تكن هذه القرارات هي ما يجيش فى صدور أعضاء مجلس القيادة، ولا هي ما يتطلع اليه محمد نجيب أو خالد محيي الدين . . . ولكنها كانت عملا من أعمال الاثارة المبنية على التخلي فجأة عن كل السلطات والصلاحيات والاشارة الى انتهاء الثورة بما يمثل النكسة لأمال الجماهير ، ويقترب بالأمور من حافة الهاوية .

كانت خطة الجنوح للنقيض واضحة فى مناقشات المجلس ، عندما قال أحدهم باننا اذا أعدنا الأحزاب نستعيد الحزب الشيوعي كنوع من

التهديد... وعقب ثاب أن الافراج عن المعتقلين سيضمن مصطفى النحاس وأحمد حسين وحسن الهضيبي وكل زعماء الأحزاب .

كان انتقالهم المفاجيء من النقيض يدل على وجود تدبير ما... فلا يعقل أن يوافقوا موافقة غير مشروطة على عودة الأحزاب والافراج عن كل المعتقلين .

هذا الاتجاه من التفكير صحيح... ولكنه صحيح أيضا ان المجلس لم يكن في موقف القدرة على (الاختيار) بقدر ما كان قريبا من اليأس ، يسلك لهدفه في الاستمرار أي سبيل .

صرح صلاح سالم بأن الهدف من إعادة الحزب الشيوعي إثارة الأمريكين .

وقال خاله محيي الدين ابن الصحفي الفرنسي ممثل مجلة (توفيل اوبزرفاتور) قال له أن جمال سيكسب المعركة مع محمد نجيب ، وأنه عرف ذلك بحكم صلاته بالسفارات الأمريكية والبريطانية... وأن مجلس القيادة قد أعطى إشارة للأمريكين بأنهم سيوافقون على المعاهدة وادخال تركيا في حالة العودة للقناة .

وما إن أعلنت القرارات حتى بدأ اخراج المعتقلين... أول الذين خرجوا كان الاخوان المسلمون ومرشدتهم العام حسن الهضيبي الذي توجه جمال عبد الناصر لزيارته بمنزله في منتصف الليل فور الافراج عنه كما نشرت جريدة المصري يوم ٢٥ مارس وقد كان هذا الاجتماع حاسما في تغيير موقف الأخوان المسلمين ، فقد استأنفوا نشاطهم وعقدوا أول اجتماع بعد الافراج عنهم ، وصرح حسن الهضيبي قائلا : « ان الجماعة قائمة وانها أقوى مما كانت » وذلك قبل صدور قرار الغاء جملها... .

وحرص محمد نجيب على التأكيد من الافراج عن كبار المعتقلين فاتصل بهم في منازلهم فلم يجد أحدا قد افرج عنه الا حسن الهضيبي وعبد القادر عودة ، أما مصطفى النحاس وأحمد حسين فلم يفرج عنهما .

وقد التقطت جريدة (الأخبار) تسجيلا دفعت به المباحث اليها عن اتصال محمد نجيب بمصطفى النحاس لسؤاله عن رفع تحديد الإقامة والاستفسار عن صحة زوجته ، ونشرت ذلك بالبنط العريض ، لتعمق الوهم بأن هناك اتصالات خفية بين محمد نجيب والنحاس ، والأمر الذي يثير ضباط الجيش ويبعدهم عنه .

أثبت عدم الافراج عن مصطفى النحاس وأحمد حسين ، ومحاولة إثارة الضباط ضد محمد نجيب أن النية لم تكن خالصة لتنفيذ قرارات

٢٥ مارس ، رغم اعتقاد بعض أعضاء المجلس الذين لم تكن لهم اتصالات خفية ان الأمور قد انتهت الى ذلك .

ذهب حسين الشافعي الى هيئة التحرير وابلغ ابراهيم الطحاوي ان المجلس قرر الانسحاب والعودة للشكنات ٠٠٠ ثم تدبير ثورة أخرى .

اعترض الطحاوي على هذا التفكير معلنا ان الانسحاب معناه دخول الضباط للسجن وأعلن انه سيقاوم قرار المجلس ٠٠٠ وهكذا كان تفكير ضباط الصف الثاني الذين سبق أن أوقفوا تعيين خالد محيي الدين رئيسا للوزراء ، واعتقلوا محمد نجيب ، وانتقلوا المجلس من حركة ضباط سلاح الفرسان .

وبدا الصدام يأخذ شكلا حادا ٠٠٠ نقابة الصحفيين تطلب الغاء الأحكام العرفية فورا وتشكيل وزارة قومية ، ونقابة المحامين تعلن الاضراب ٠٠٠ والصحف تنشر أن مصطفى النحاس ورشاد مهنا وأحمد حسين لم يفرج عنهم ٠٠٠ والقائمقام أحمد شوقي قاله الكتيبة ١٣ مشاة التي قامت بدور كبير ليلة ٢٣ يوليو والذي حددت اقامته يوم ٨ مارس أرسل خطابا نشرته الصحف يعلن فيه نفس المطالب ٠٠٠ وهيئات التدريس وطلبة الجامعات يطالبون بعودة الحياة النيابية .

وفي الجانب المقابل كان (الصاوي أحمد الصاوي) سكرتير اتحاد عمال النقل قد اتصل بابراهيم الطحاوي متخوفا من انشكاس مكسب العمال في منع الفصل التعسفي ، ويذبح الأثمن خطة لأعتصام متراية لعمال النقل ينتهي باضراب عام ٠٠٠ وضباط البوليس يعلنون « ان العودة الى الحياة النيابية مع وجود الاحتلال خدعة استعمارية » ، وفي قيادة الحرس الوطني ومنظمات الشباب ينقلان قواتهما للقاهرة ٠٠٠

وكان موقف الاخوان المسلمين في هذه الفترة يمكن ان يعتبر عاملا ترجيح لاحد الجانبين ٠٠٠ وقد اتصل محمد رياض قائده حرس محمد نجيب ببعض قادة الاخوان دون استشارته فجاء الرد بانهم لم يتدبروا أمرهم بعد ، وانهم يفضلون الانتظار والهدوء حتى يتم الافراج عن كافة المعتقلين .

وصدر لهم تصريح في صحف صباح ٢٧ مارس يقول : « فيما يخص بقودة الأحزاب السياسية أملنا ألا يعود الفساد أدراجة مرة أخرى فأننا لن نسكت على هذا الفساد بل نؤيده بقوة حرية الشعب الكاملة ولن نطالب تأليف أحزاب سياسية لسبب بسيط هو اننا ندعو المصريين جميعا لأن يسروا ورائنا ويقتفوا أثرنا في قضية الاسلام » .

ونشر في الجمهورية في نفس الوقت خبر جاء فيه انه « بقرار إعادة

جماعة الاخوان المسلمين وان كل أثر لقرار حل الجماعة الصادر فى يناير
الماضى قد زال .

هكذا اختارت جماعة الاخوان المسلمين الوقوف مع مجلس قيادة
الثورة . والتخلّى عن تأييد الديموقراطية وعودة الحياة النيابية . وهو
موقف نابع من رفضهم القديم والمستمر للحياة البرلمانية وخاصة فى هذه
الفترة التى عادت فيها تباشير الحياة الى القوى والأحزاب السياسية ، وبعد
ان كانوا القوة السياسية الوحيدة المصرح لها بالعمل والنشاط .

تم الاتفاق على ان يجتفحوا للسلبية فى هذه الايام الحرجة ، وان
يبتعدوا عن الاشتراك فى أى مظاهرة معادية للمجلس .

وهكذا بينما لعبت جماهير الاخوان المسلمين دورا حاسما فى العودة
لمحمد نجيب بعد استقالته فان قيادتها لعبت دورا انتهازيا فى قضية عودة
الحياة النيابية .

واخذت كفة مجلس القيادة ترجع ساعة بعد أخرى . ومفاتيح
السلطة تحرك الاجهزة التابعة لها . وهيئة التحرير التى بنيت على
أساس تأييد جمال عبد الناصر وليس محمد نجيب ، احتضنت الحركة
العمالية وأبناء اتحاد الصعيد الذين وصلوا الى شل حركة الاتوبيس والترام
والتاكسى والقطارات ثم نزلوا بعد ذلك الى الشارع فى مظاهرات كان يحركها
الطحاوى وطيمية بعربات ركبت فيها الميكروفونات .

وكانت جريدة المصرى قد صدرت بمانشيت كبير يوم ٢٨ مارس
يقول : (مؤامرات ضد الشعب) .

وقال خالد محيى الدين عندما سئل عن المظاهرات « عساهم ألا يكونوا
قد هتفوا بسقوط الحرية والبرلمان والحياة النيابية » .

ولكنهم هتفوا فعلا بسقوط الحرية يوم ٢٨ مارس . وكان محمد
رياض قائد الحرس الخاص لمحمد نجيب قد دخل عليه فى حجرة نومه بعد
منتصف ليلة ٢٧/٢٨ وأبلغه عن الخطة المدبرة لاشعال المظاهرات يوم ٢٨
والتي اشتركت فيها قوات الحرس الوطنى ومنظمات الشباب وهيئة
التحرير وعمال النقل ومديرية التحرير والذين وضعت العربات اللورى تحت
تصرفهم .

وأعلن مؤتمر نقابات العمل الدعوة لاضراب عام اعتبارا من ٢٩ مارس
حتى يستجيب لهم المجلس بالعدول عن قراراته .

ابصل محمد نجيب بوزير الداخلية زكريا محيي الدين وحذره من خروج المظاهرات ، واستدعى اللواء الباجوري وكيل الداخلية الى منزله وطلب منه فض المظاهرات بالقوة فطلب منه الباجوري توقيع أمر كتابي بإطلاق الرصاص على المتظاهرين ، فرفض محمد نجيب وقال : « اقطع يدي ولا أوقع أمرا بإطلاق الرصاص على أبناء الشعب » .

وحاول بعض الضباط الملتفين حول محمد نجيب ان يدفعوه لاعلان تشكيل وزارة جديدة مدنية يرأسها وحيد رافت ، وأن يتخذوا اجراء ضد أعضاء المجلس ، ولكنه تردد وأثر ان يؤجل ذلك الى ما بعده عودته من الاسكندرية بعد زيارته لها مع الملك سعود .

ولكن الوقت كان متأخرا فان المظاهرات المدبرة قابلته في المحطات تهتف ٠٠٠ (لا أحزاب ٠٠٠ ولا برلمان) ورفض محمد نجيب الانسياق وراء غرائزه حتى لا يحدث صدام مسلح أو حرب أهلية ٠٠٠ وذهب الى الملك سعود مساء يوم ٢٨ حيث عقد اجتماع بينه وبين الملك والدكتور عبد الرازق السنهوري وجمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وعبد الرحمن عزام وحسن بغدادى ٠٠٠ بدأ بعد منتصف الليل ، وعرض نجيب فيه ان يستقيل ولكن جمال عبد الناصر لم يكن يريد أن تصل الأمور الى هذا الحد قبل تصفية شعبية محمد نجيب وما يمثله من أفكار تصفية كاملة .

استمر الاجتماع حتى فجر يوم ٢٩ مارس وسلم فيه محمد نجيب للمجلس بعد ان خذلته الجماهير ولم تناصره كما حلت عنه استقالته ، وبعد ان قرر عدم اللجوء الى ما يثير صداما مسلحا .

وسافر الملك سعود ، وسقط محمد نجيب في المطار مغشيا عليه لبقى بعد ذلك مريضا في منزله لمدة ثلاثة أسابيع تصدر عنه نشرة طبية يوقعها الدكتوران رجب عبد السلام وأنور المفتي ، حتى لا تشاع أخبار تثير الجماهير من جديد في وقت يدرك فيه ان مظاهرات اليومين الأخيرين كانت مدبرة ومفتعلة ويصعب لها الاستمرار .

وفي الساعة السادسة والنصف من نفس اليوم أذاع صلاح سالم القرارات الآتية :

١ - ارجاء تنفيذ قرارات ٥ ، ٢٥ مارس حتى نهاية فترة الانتفال .

٢ - يشكل فورا مجلس وطني استثنائي يراعى فيه تمثيل الطوائف والهيئات والمناطق المختلفة ويحدد تكوينه واختصاصه بقانون .

وبعد اذاعة هذه القرارات مباشرة توجه جمال عبد الناصر وصلاح سالم وكمال الدين حسين لزيارة اتحاد نقابات النقل المشترك حيث خطب

ثورة يوليو ج ١ - ٣٥٣

الصاوى أحمد الصاوى وأعضاء المجلس ٠٠٠ ونزلت القوات المسلحة الى الشوارع لحفظ الأمن .

ولكن الدور الذى لعبه الصاوى أحمد الصاوى لم يشفع له ، فقد اعتدى عليه أحمد أنور بعد ذلك بالضرب فى مطار القاهرة أمام المودعين أثناء سفر عبد الناصر لباندونج ، وانتهى دوره بعد ان اعتصرت فائدته .

انتهى أخطر صدام تعرض له مجلس قيادة الثورة ٠٠٠ محمد نجيب مريض فى منزله وقوات الجيش الموالية فى الشوارع ، ومظاهرات العمال فرضت نفسها على الموقف والاخوان المسلمون فى تجنبهم الحذر لكل ما حدث .

ولكن الموقف مع ذلك لم يكن قد استقر تماما ٠٠٠ كانت هناك (جيوب للمقاومة) نشرت جريدة الأخبار خبرا عن اجتماع مفاجئ للجمعية العمومية لمجلس الدولة بما يوحى احتمال اتخاذ قرارات ضد مجلس الثورة، وكان موقف الدكتور عبد الرازق السنهورى أثناء اجتماعهم مع الملك سعود واضحا فى معاداته لأساليب العنف وافتعال المظاهرات .

واستدعى أحمد أنور مدير البوليس الحربى حسين عرفة مدير المباحث الجنائية العسكرية وطلب منه منع عقد هذا الاجتماع بالحسنى أو العنف مع تحذيره من وفاة أى شخص .

ويروى حسين عرفة القصة لى فيقول انه ذهب الى المجلس فى ملايس مدنية محاولا اقناع السنهورى بفض الاجتماع تحاشيا للمظاهرات العمالية « هى فى أصلها جنود من البوليس الحربى يلبسون ثيابا مدنية مع بعض أعضاء هيئة التحرير » ٠٠٠ ولما رفض السنهورى مقاباته أرسل مندوبا من البوليس للطحاوى وطعيمة فوصلت المظاهرات الى سور المجلس تهتف (الموت للخونة) ٠٠٠ وكانت الأبواب مغلقة بالحديد .

واتصل السنهورى بأمن الجيزة وطلب مندوبين من المتظاهرين واثتهز حسين عرفة الفرصة ففتح الأبواب واندفع الناس الى السنهورى وأعضاء الجمعية العمومية وانهالوا عليهم ضربا ٠٠ حتى أمر حسين عرفة باخراجهم من المجلس ، بعد ان أطلق رصاصتين فى السقف ليبدو كما لو كان مدافعا فعلا عن حياة المستشارين .

وكتب المستشارون بيانا لا يؤيد الثورة ، قرأه أحدهم فاعتدوا عليه وتصايحوا (تحيا الثورة تسقط الرجعية) ٠٠٠ وبدأ الموقف يشتعل بتعليمات حسين عرفة من جديد ٠٠٠ الى أن اضطروا لكتابة بيان نشرته الصحف فى اليوم التالى وجاء فيه :

يعلن المجلس على لسان رئيسه انه لم يتخذ أى قرار بشأن ما أذيع اليوم بجريدة الأخبار من انه ستجتمع الجمعية العمومية لأمر هام ويقرر أن قرارات الجمعية كانت منصبه على حركة ترقية الموظفين ٠٠٠ ومجلس الدولة يعلن تأييده لمجلس قيادة الثورة) .

ولما تسلم حسين عرفة البيان مثل دور المسمى عليه من جهد مقاومة المظاهرات الى ان حضر صلاح سالم وتسلم البيان وخرج ليعلنه فى الاذاعة .

نقل الدكتور عبد الرازق السنهورى الى المستشفى ورفض مقابلة جمال عبد الناصر عندما قام بزيارته ، لأنه حسبما ورد فى مذكرات سليمان حافظ قد اتصل به قبل وقوع الاعتداء عليه بساعة طالبا منع المظاهرات المتجهة للمجلس ، كما ان الدكتور حسن بغلادى اتصل به من مكتب جمال عبد الناصر يستفسر عن سبب الاجتماع فقال له انه اجتماع عادى لتوقيات العاملين بالمجلس .

ومع ذلك توجه جمال عبد الناصر الى مجلس الدولة واجتمع بالموكلين واستنكر الاعتداء على السنهورى .

كان الاعتداء على مجلس الدولة والدكتور السنهورى نهاية لقدسية القضاء ، واطلاقاً لقوى العنف .

وعندما تسربت أخبار ما حدث فى مجلس الدولة ، خفتت أصوات المعارضة وعاد الخوف والحذر يسيطر على خطوات الناس ٠٠٠ وكان مفروضاً ان يعقد اجتماع فى نقابة الصحفيين ، عصر ذلك اليوم ، ولكن أحداً لم يحضر الاجتماع .

وواصل أعضاء مجلس القيادة هجومهم ٠٠٠ تقرر يوم ٣٠ مارس التحقيق مع حسين أبو الفتح رئيس تحرير (المصرى) وهى الجريدة التى ناضلت ببسالة من أجل الديمقراطية والحياة البرلمانية وقرار الدستور ، والتى تعرضت خلال أيام الصدام الأخيرة الى مظاهرات مدبرة حاولت الاعتداء عليها .

وهاجم جمال عبد الناصر على زكى العرابى والدكتور محمد صلاح الدين لانهما ذهباً يوم ٢٤ يوليو ١٩٥٢ الى قصر عابدين ٠٠٠ ثم اتجها يوم ٢٧ يوليو الى ثكنات مصطفى باشا يعلنان انهما قد طلقا السياسة .

وشمل الهجوم أيضاً محمد كامل البندارى الذى أطلق عليه جمال عبد الناصر لقب (الباشا الأصفر) لأنه يسكن فى عمارة الشمس بجاردن سیتی .

وكلما شعر أعضاء المجلس ان أقدامهم تزداد ثباتا واصلوا الاجراءات
التي تعزز مواقعهم .

أصدر المجلس يوم ٥ ابريل قرارا يتضمن الآتى :

١ - محاسبة المسئولين عن الفساد فى العهود الماضية وطرق
إبعادهم من العمل فى محيط السياسة وحرمان عدد منهم من حقوقه
السياسية .

٢ - تطهير الصحافة .

٣ - منح سلطات للمسئولين فى الجامعات لضمان انتظام
الدراسة فيها .

٤ - البت فى اصدار قانون لحماية الثورة والاسس التى يقوم
عليها المجلس الوطنى .

٥ - مشروعات هامة لمصلحة مختلف طبقات الشعب وتنشيط
الاقتصاد القومى والقضاء على الفساد .

٦ - اختيار عناصر صالحة فى مجالس البلديات وحل مشكلة
المواصلات بالقاهرة .

وقد ترجم هذا القرار بعد ذلك الى اجراءات تنفيذية اذ صدر قرار
يوم ١٤ ابريل يحرم من حق تولى الوظائف العامة ومن كافة الحقوق
السياسية وتولى مجالس ادارة النقابات والهيئات لمدة عشر سنوات كل
من سبق أن تولى الوزارة فى الفترة من ٦ فبراير ١٩٤٢ الى ٢٣ يوليو
١٩٥٢ أى فى السنوات العشر السابقة على قيام الثورة ، وكان منتما
للوفاة أو حزب الأحرار الدستوريين أو الحزب السعدى أما من لم يكن
فلا يحرم الا بقرار من مجلس قيادة الثورة ويلاحظ أن (الكتلة
الوفدية) هى الحزب الوحيد الذى استثنى مع أن القرار قد طبق على مكرم
عبيد باعتباره وزيرا وفديا سابقا .

طبق هذا القرار على ٢٢ وزيرا وفديا ، ٨ وزراء سعديين ، ٨ وزراء
دستوريين وطبق ضمنا على ستة من أعضاء لجنة الخمسين لاعداد
الدستور وهم على زكى العرابى ومحمد صلاح الدين وعبد السلام فهمى
جمعة ومكرم ومحمود غالب والدكتور عبد الرازق السنهورى الذى نزع
بهذا القرار من منصبه فى رئاسة مجلس الدولة أيضا .

وصدر قرار ثان بأن تدخل الجامعة على مراحل . . . سنة بعد أخرى
. . . تفاديا للاضرابات أيضا .

ثم قرر مجلس قيادة الثورة في اليوم نفسه حل مجلس نقابة الصحافة بدعوى أن سبعة من أعضاء المجلس البالغ عددهم اثني عشر قد تقاضوا مصروفات سرية وشكل لجنة تحل محل مجلس النقابة من فكرى أباطة ووكيل وزارة الارشاد ومحام عام والمدير العام لحسابات الحكومة .

وصدر كشف بأسماء الذين تقاضوا مصروفات سرية وهم :

حسين أبو الفتح - مصطفى القشاشي - أبو الخير نجيب - احسان عبد القدوس - فاطمة اليوسف - قاسم أمين زوج فاطمة (روز اليوسف) - مرسى الشافعي - البرت مزراحي - محمد رخا - ابراهيم عبده - حسنى خليفة - ادجار جلاد - كريم ثابت - عبد الرحمن الخميسي - عبد الشافي القشاشي - عبد الرحمن زايد - أحمد عصفور - محمد خالد - كامل الشناوى - نعمة الله غانم .

وحصلت روز اليوسف على مبلغ	١٩٢٨١ جنيها
والجمهور المصرى	٢٨٠٨٠٠٠ جنية
الأساس	٤٨٠٠٠ جنية
الصباح	٧٢٢٢ جنية
الحوادث	٤٥٠٠ جنية
السودان	٢٥٢٥٠ جنية
البلاغ	٧٩٠٠ جنية
صوت الأمة	٢٩٠٠ جنية
النساء	٢٢٠٠ جنية
السياسة	١٥٩٠٠ جنية
الدستور	٩٩٠٠ جنية
بلادى	٣٠ ٥ جنية
التسعييرة والصراحة	١٠٠٠ جنية
والزمان	١٢٥٠٠ جنية

ووصلت الأمور غايتها عندما عين جمال عبد الناصر رئيسا للوزراء وشكل وزارته الأولى في ١٧ ابريل ١٩٥٤ : فخرج منها عبد الجليل العمري وحلمى بهجت بدوى وعلى الجريتللى وعباس عمار ووليم سليم حنا وحسن بغدادى . . . ودخلها حسين الشافعي وزيرا للحربية وحسن ابراهيم وزيرا لشئون رئاسة الجمهورية .

وبذا وصل عدد الضباط في مجلس الوزراء الى ثمانية من أعضاء مجلس القيادة ولم يبق خارج الوزارة سوى عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة وأنور السادات رئيس مجلس ادارة دار التحرير .

ويعتبر وصول جمال عبد الناصر الى منصب رئيس الوزراء بداية رسمية للتحول في مسار الثورة ، ونهاية علنية للصراع بين محمد نجيب وأعضاء المجلس .

وخلال الأيام التي اتخذت فيها هذه الاجراءات لم يكن الموقف في القوات المسلحة هادئا تمام الهدوء رغم وضوح انتصار مجلس القيادة ، وانسحاب محمد نجيب مريضا أو مرغما على مرضه .

كان خالد محيي الدين يصاحب محمد نجيب والملك سعود في زيارتهما للاسكندرية . . . وكان بقية أعضاء المجلس قد اعتذروا عن عدم الذهاب مع توديعهم للملك في محطة مصر ، لأنهم كانوا يدبرون موضوع المظاهرات ويريدون أن يكونوا فريين من مركز التدبير في القاهرة .

عندما عاد محمد نجيب الى مصر لم يعد معه خالد محيي الدين . . . بل اختفى في الاسكندرية عدة أيام كنت على اتصال دائم به خلالها . . . وأرسل جمال عبد الناصر رسولا هو عبد الحليم الأعسر يطلب عودة خالد، وكذلك تحدث معي عبد الحكيم عامر طالبا مني أن أطمئنه ويطلب العودة .

وعندما عاد خالد محيي الدين قدم استقالته فقبلها جمال عبد الناصر فورا وسأله عن مشروعاته ولم يكن خالد قد فكر في ذلك بعد .

وواصل جمال عبد الناصر حديثه قائلا في صراحة :

« لا . . . فعاد هنا مفيش . . . لأن الناس تحتكلم عليك . . . وأنا بين موقفين أمن البلد أو صداقتك . . . لذا تخرج في بعثة مجلس الانتاج ثم تعين سفيرا » .

هكذا انتهت صلة خالد محيي الدين بمجلس قيادة الثورة في أوائل ابريل ١٩٥٤ ، ولم يستقبل بعض ضباط سلاح الفرسان هذا الاجراء بالرضاء الكامل أو الصمت الحكيم . . . بدأ يتكون داخل السلاح رأى عام حول حوادث الشهور الثلاثة الماضية ، كما بدأت اتصالات سرية بين ضباط من مختلف الأسلحة .

يقابل ذلك اجراء حركة تنقلات في قيادة السلاح ، إعادة بعض الضباط الذين خرجوا منه ليلة ٢٣ يوليو ، كما يعين عبد العزيز مصطفى قائدا بعد تعيين حسين الشافعي وزيرا للحربية .

وهنا نبتت بين بعض الضباط الأحرار الذين خشوا ان تزحف اليهم موجة التنقلات ، والذين كانوا ضد كثير من الاجراءات التي اتخذت . . . فكرة (اجراء انقلاب عسكري بهدف تغيير مجلس الثورة وحياء نظام

ديموقراطى فى مصر على أساس الاتفاق الذى تم مع ضباط السلاح فى
نهاية فبراير ١٩٥٤) .

كانت عيون المخابرات والمباحث فى غاية اليقظة ، ويقول حسين عرفه
انهم جندوا مرشدين من ضباط الصف والعساكر ، وباعة جريلة الاخوان
المسلمين ، وتنكروا أمام السلاح فى زى باعة بطاطا .

ومع ذلك لم تكن الصورة كاملة ٠٠٠ فقد تمت الاجتماعات فى سرية
تامة حتى صباح يوم ٢٤ ابريل الذى كان محددا للتحرك لاتمام الانقلاب فى
الواحدة بعد منتصف الليل ٠٠٠ وأعدت خطة مشابهة لحركة ٢٣ يوليو
١٩٥٢ مع احتمال تصادم مسلح مع بعض قوات الجيش .

وكان ضباط الفرسان قد استطاعوا تجنيد ضابط فى البوليس
الحربى اسمه عفت عبد الحليم فاجأه أحمد أنور بشكوكه حوله ، فاعترف
الضابط بكل ما يعرفه على أن يكون (شاهد ملك) .

كان مفروضا ان يكون موعد اللقاء للتحرك فى الساعة مساء ، وفى
نفس الساعة تمت اعتقالات واسعة للضباط الذين حضروا اجتماع فبراير
لضباط سلاح الفرسان مع جمال عبد الناصر وكانوا حتى ذلك الوقت فى
القاهرة .

وبدا التحقيق تحت اشراف زكريا محيى الدين بلجنة مشكلة من
اللواء محمد فوزى الدجوى (مشاة) وعبد المنعم رياض (مدفعية)
وجمال رياض (مشاة) ٠٠ وشكلت بعد ذلك محكمة خاصة برئاسة اللواء
محمد حسين مدير المدفعية وأصدرت أحكامها فى شهر يونيو على ١٦ ضابطا
أخذ قائدهم اليوزباشى أحمد المصرى (١٥ سنة) والصاغ حسنى الصاوى
واليوزباشى عزت الالفى (١٠ سنوات) واليوزباشى فاروق الأنصارى
(٣ سنوات) وفؤاد العرابى سنة واحدة .

ويلاحظ أن الرتب التى استعدت للانقلاب كانت أصغر من رتب
أعضاء مجلس القيادة وان عددا منهم كان منتحيا فى السابق لتنظيم
الضباط الأحرار ، وان محاولة الانقلاب تمت تحت الشعارات الديموقراطية
التي ارتفعت فى السلاح منذ شهر فبراير .

كانت محاكمة مجموعة (أحمد المصرى) عاملا من عوامل التفكك فى
محاولة تجميع تنظيمات ضباط خاصة مستقلة ٠٠ ولكن تنظيمات الضباط
المتصلة بالقوى السياسية المختلفة كانت مازالت قائمة .

وفى أوائل مارس تم اعتقال اللواء جوى بالمعاش عبد المنعم
عبد الرؤف ومعه البكباشى أبو المكارم عبد الحى والصاغان حسين حموده

وخليل نور الدين ومحمد فؤاد جاسر وسعد الدين صبرى ، وهم جميعا من الاخوان المسلمين .

وواصل مجلس قيادة الثورة محاكماته للضباط المعارضين له ، فقدم القائمقام أحمد شوقي قائد قسم القاهرة السابق الى المحكمة التى أعيد عقد جلساتها بعد أن كانت قد توقفت عقب محاكمة فؤاد سراج الدين ، وصدر عليه الحكم بالسجن لعشر سنوات ٠٠٠ وفى دورة محكمة الثورة الثانية حوكت السيدة زينب الوكيل والصحفيون : محمود أبو الفتوح وقد حكم عليه بالسجن عشر سنوات وكان متغيبا فى الخارج ، وحسين أبو الفتوح (١٥ سنة مع إيقاف التنفيذ) وأبو الخير نجيب (١٥ سنة أشغال شاقة مع التجريد من شرف المواطن) .

وفى ٣١ مايو تم اعتقال ٢٥٢ شيوعيا .

وتبع ذلك محاكمة اليوزباشى مصطفى كمال صدقى ضمن قضية سياسية هامة هى (قضية الجبهة الوطنية الديمقراطية) والتى انتهى اليها مصطفى بعد أن كتب تقريرا مفصلا عن علاقته بالحرس الحديدى ، وابتعاده عنه بعد مقتل صديقه عبد القادر طه ، الذى كان قد غير اتجاهه واتصل بالتنظيمات الشيوعية أيضا .

بدأت المحاكمة يوم ٢٤ يوليو بعد الإفراج عن عدد من المعتقلين هم : حنفى الشريف النائب الوفدى والفنانة تحية كاريوكا ٠٠ وصدرت الأحكام بالأشغال الشاقة عشر سنوات على محمد نسطا ودكتور شريف حتاتة وحليم طوسون ، وثمانى سنوات أشغال شاقة على زكى مراد ومحمد خليل قاسم والبير أربيه ، والسجن خمس سنوات على أحمد طه ومحسن محمد حسن وعبد اللطيف جمال ، وسعد كامل وزوجته ، وزوجة الشاعر كمال عبد الحليم ٠٠٠ وهؤلاء جميعا من قيادات الحركة الديمقراطية للتححر الوطنى ٠٠٠ أما مصطفى كمال صدقى فقد حكم عليه بالسجن خمس سنوات ، وبالسجن ثلاث سنوات على ابراهيم حسين وسيد البكار وهما وفديان وبالسجن سنتين على بكر سيف النصر وهو وفدى أيضا .

ووقعت فى يد المباحث الجنائية العسكرية للبوليس الحربى فى صيف ١٩٥٤ معلومات عن تنظيم خاص لضباط الصف فى سلاح الفرسان ، كان يطبع منشورات بطريقة بدائية (على البالوطة) تتحدث عن ضرورة مقاومة الضغط الهابط من مجلس قيادة الثورة ، وضرورة ترقية الصف ضباط الى رتبة ضابط ٠٠ ويقول حسين عرفة أن عمليات التعذيب قد بدأت مع اعتقال هؤلاء الصف ضباط ، اذ أن الضرب كان اسلوبا متداولاً فى الجيش يهين به الضباط كرامة الجنود رغم انه ممنوع قانونا .

وقد أمكن التوصل خلال هذا التنظيم الى معرفة الجهاز السرى
للاخوان المسلمين داخل الجيش ، رغم ان التنظيم المعتقل لم يكن كل أفراد
من الاخوان .

ولم تتردد المباحث الجنائية العسكرية فى اعتقال هذا التنظيم دون
تهمة أو وجود ما يدين وبلغ عدد أفراد ١٧ صف ضابط وعددا من ضباط
الطيران ٠٠٠ وقد وضعوا فى الاعتقال بسجن الأجانب بينما حوكم ١٤
صف ضابط من صف ضباط تنظيم سلاح العرسان .

كان اعتقال الجهاز السرى أو جانب منه داخل الجيش أمرا مثيرا
للتناقض من جديد بين الاخوان المسلمين وحركة الجيش التى قامت
بتصفية كافة التنظيمات والشخصيات المعادضة لها تصفية ادارية .

لم يستطع الاخوان المطالبة بالافراج عن أعضاء تنظيم داخل الجيش
حتى لا يعترفوا بوجوده ولم تستطع حركة الجيش اثاره القضية أو محاكمة
المعتقلين لأنه لم يكن هناك ما يدينهم ٠٠٠ كانت هناك حالة هدنة قائمة
بين الجيش والاخوان .

ولم يفتن الاخوان المسلمون الى أن اتفاهم مع حركة الجيش عقب
الافراج عنهم وإعادة تنظيم جماعتهم هو أمر لا يمكن أن يدوم لتنازع
السلطة ٠٠٠ كما أن حركة الجيش لم تكن لتسمح بوجود تنظيم قوى آخر،
وخاصة وهى تعرف انه جهاز سرى مسلح ، وانه تنظيم متسرب فى
الجيش .

وبدأت حركات التصادم تعود من جديد ٠٠٠ وكانت نقطة الخلاف
المعلنة هى اتفاقية الجلاء التى تم توقيعها يوم ٢٧ يوليو ١٩٥٤ بالأحرف
الأولى ، وقعها عن الجانب المصرى جمال عبد الناصر وعن الجانب البريطانى
أنطونى هيد وزير الحربية البريطانى .

حدثت فى أواخر أغسطس اشتباكات كانت بين البوليس والاخوان
عندما وقف حسن دوح بعد صلاة الجمعة يحرض الناس على مقاومة الثورة
ويدعوهم الى العنف .

وتبلورت معارضة الاخوان للثورة فى موقف الرفض الذى وقفه
كافة القوى السياسية ضد ما ورد فى اتفاقية الجلاء من حق عودة القوات
البريطانية الى مصر فى حالة وقوع هجوم مسلح على أى بلد يكون طرفا
فى معاهدة الدفاع المشترك بين دول الجامعة العربية أو تركيا .

وعندما تم التوقيع النهائى على الاتفاقية يوم ١٩ أكتوبر لم تستقبلها
الجباير استقبالا طيبا وانتفض بعض الاخوان المسلمين فرصة الشعور

المعارض لتدبير اغتيال جمال عبد الناصر أثناء اللقاء خطابه بالاسكندرية يوم ٢٦ أكتوبر احتفالاً بتوقيع الاتفاقية في ميدان المنشية بالاسكندرية .

كانت تقارير البوليس الحربي تدل على ان الشعور المعادي يسود الاسكندرية ٠٠٠ وتختلف الأقوال في جو سرادق الاحتفال بينما يقول ابراهيم الطحاوي سكرتير عام مساعد هيئة التحرير ان رجال الجيش الوطني - تحت قيادة اللواء عبد الفتاح فؤاد - الذين حضروا الى السرادق كانوا يهتفون هتافات خاصة بهم لا يذكرون فيها اسم جمال عبد الناصر ٠٠ يقول حسين عرفة أن جماهير الاسكندرية التي احتلت السرادق تعالي هتافها ضد الظلم ومن أجل الحرية .

وبينما يقول ابراهيم الطحاوي ان رجال الحرس الوطني قد افتعلوا ضجيجاً متعمداً في السرادق عندما حضر الوفد السوداني معتقدين أنه موكب عبد الناصر ٠٠ يقول حسين عرفة انهم أدخلوا السرادق من الجماهير في الخامسة بعد الظهر .

ويتفق الطحاوي وعرفة على أن أغلبية الموجودين في السرادق كانوا ١٠٠٠ من عمال مديرية التحرير الموالين للثورة موالاة تامة ، والذين تسرب بينهم محمود عبد اللطيف أحد أعضاء الجهاز السري للاخوان المسلمين .

وقد أدت اجراءات اخلاء السرادق وإعادة ملئه الى تأخير حضور عبد الناصر وزملائه بعض الوقت ٠٠ وما أن بدأ خطبته حتى أطلقت من مسدس محمود عبد اللطيف ٩ طلقات وكان يجلس في الصفوف الأمامية على بعد ١٥ متراً من منصة الخطباء والضيوف .

أصيب ميرغني حمزة وزير السودان والمحامي أحمد بدر الذي كان يقف بجانب جمال عبد الناصر الذي لم تصبهِ الطلقات ٠٠ والذي أصر على متابعة خطبته بعدما حدث في السرادق من هرج مردها قوله « أيها الرجال ، فليبق كل في مكانه ٠٠ حياتي لكم ، دمي فداء لمصر ، أتكلم اليكم بعون الله ، بعد أن حاول المعارضون أن يعتدوا علي ، ان حياة جمال عبد الناصر ملك لكم ، عشيت لكم وسأعيش حتى أموت عاملاً من أجلكم ومكانتي في سبيلكم » .

ولكن الخطبة لم تكتمل

وكان حادث الاعتداء نقطة تحول هامة في مشاعر الشعب الذي كان يرفض ارهاب الاخوان المسلمين قبل ٢٣ يوليو ، والذي يرفض بطبيعته

المسألة مثل هذا الأسلوب الدعوى ، ويستتكر أن تكون طلقات الرصاص هي لغة التفاهم والاقتناع .

واعتقل بعض الضباط الموجودين في السرايق محمود عبد اللطيف ، الذى أطلق الرصاص واعتدوا عليه بالضرب الشديد ، ولكن أحمد أنور تحفظ عليه في غرفة بجوار مكتبه طوال فترة التحقيق ولم يلبس ملابس السجن .

كان محمود عبد اللطيف العامل البسيط الذى يسكن إمبابية مقتنعا بما أقدم عليه متأثرا بما أوحى به اليه محام اخوانى اسمه هندأوى دوير من أن اتفاقية الجلاء ليست في مستوى ما يطلبه الشعب بعد نضاله الطويل ، وانها تكلف مصر أعباء طائلة ، وتضعها تحت رحمة الانجليز في المستقبل .

حولت طلقات الرصاص مشاعر الجماهير نحو جمال عبد الناصر ، الذى قام بجولة في الشوارع قابلته فيها الجماهير بحماس طبيعي وخطب صلاح سالم ليلتها في نقابة المحامين بالاسكندرية فتأثر بعضهم حتى البكاء .

وفي نفس الليلة صدرت الأوامر باعتقال الاخوان المسلمين ، وبدأت أكبر حملة اعتقال شهدتها مصر حتى وصل الأمر الى حد إعطاء المعتقلين بطاقات يسجلون فيها أسماءهم وعناوينهم لتدون في كشوف سليمة .

وشكل مجلس قيادة الثورة في أول نوفمبر ١٩٥٤ محكمة خاصة باسم (محكمة الشعب) برئاسة جمال سالم وعضوية أنور السادات وحسين الشافعى . . . فكانت رابع نوع من المحاكم تشكيلة الثورة ، بعد المجالس العسكرية ومحكمة الغدر ومحكمة الثورة .

وقد شكلت ثلاث دوائر فرعية من محكمة الشعب الأولى برئاسة اللواء صلاح حتاتة والثانية برئاسة قائد الجناح عبد الرحمن عنان والثالثة برئاسة القائمقام حسين محفوظ ندا .

بلغ عدد الذين حكمت عليهم محاكم الشعب ٨٦٧ ، وعدد الذين حكمت عليهم المحاكم العسكرية ٢٥٤ شخصا وصدر الحكم بأعدام محمود عبد اللطيف ويوسف طلعت وهندأوى دوير وإبراهيم الطيب وعبد القادر عودة ومحمد فرغى ونفذ الحكم فعلا كما صدر حكم اعدام حسن الهضيبي ثم خفف الحكم الى الأشغال الشاقة المؤبدة ، ثم حكم على سبعة آخرين بالأشغال الشاقة المؤبدة .

كان محمد نجيب مازال حتى لحظة محاولة الاعتداء على حياة جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية بلا سلطات فعلية تقريبا يقوم بمعظم واجباته ويحضر مقابلاته حسن ابراهيم وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية .

وعندما وجد محمد نجيب في اتفاقية الجلاء بعض ما يستحق النقد كتب مذكرة الى مجلس قيادة الثورة ٠٠٠ ثم فوجيء بها مطبوعة يوزعها الاخوان المسلمون .

وعقب الاعتداء على جمال عبد الناصر أرسل اليه برقية ومندوبا للاستفسار عن صحته ، ولكن الصحف والاذاعة لم تشر الى ذلك ٠٠٠٠ فذهب محمد نجيب الى عبد الناصر في منزله مستفسرا عن سبب عدم الاشارة الى ذلك في الصحف ، مستنكرا أن يكون وراء ذلك محاولة افهام الناس برضاؤه عن هذا الاعتداء الارهابي ٠٠٠ ولم يسمح محمد نجيب جوابا مرضيا .

وفي يوم ١٤ نوفمبر توجه محمد نجيب الى مكتبه فوجد عددا من ضباط البوليس الحربي أمام قصر عابدين ، ولما اتصل بجمال عبد الناصر مستفسرا عما وراء ذلك ٠٠٠ حضر اليه بعد فترة قصيرة عبد الحكيم عامر وحسن ابراهيم ليبلغاه أن مجلس قيادة الثورة قد قرر اعفائه من منصبه .

وذهب الاثنان معه الى حيث حددت اقامته في فيلا صغيرة كانت تملكها السيدة زينب الوكيل بضاحية المرج شمال القاهرة وعادا وحدهما ليصدر في نفس اليوم قرار باعفائه من جميع المناصب التي كان يشغلها كما تقرر ان يبقى منصب رئاسة الجمهورية شاغرا وان يستمر مجلس قيادة الثورة في تولى كافة سلطاته بقيادة جمال عبد الناصر .

هكذا وصل الصدام الأخير مع مجلس قيادة الثورة الى نهايته .

عزل محمد نجيب من رئاسة الجمهورية .

حلت الأحزاب السياسية ووضع قاداتها في السجون .

أغلقت صحيفة المصري التي لعبت دورا كبيرا في أزمة مارس .

حلت جماعة الاخوان المسلمين وأعدم قاداتها ووضع الألوف من أعضائها في المعتقلات والسجون .

فشلت محاولات الانقلاب العسكري وانتهت التنظيمات العسكرية المستقلة ، أو التابعة للقوى السياسية الخارجية داخل الجيش .

حلت نقابات الصحفيين والمحامين ، وعينت لها لجان مؤقتة موالية
لمجلس قيادة الثورة (١) .

كان واضحا منذ اللحظة الأولى ان الانتصار كان أكثر انجذابا لجانب
أعضاء المجلس للأسباب الآتية :

أولا : لم تتوافر لمحمد نجيب شخصية الزعيم المؤثر في أفكار
الجماهير ، واقتصرت جاذبيته على سماحته وبساطته وهي أمور لا تكفي
وحدها لتوجيه الحركة السياسية .

ثانيا : لم يلجأ محمد نجيب الى تكوين تنظيم موال له في الجيش
كما فعل جمال عبد الناصر وزملاؤه . كما أن صلته كانت معدومة بالقوى
السياسية المختلفة ، على عكس جمال عبد الناصر الذي تعددت صلاته
وتوحدت أهدافه أو تنافرت مع هذه القوى تبعا للظروف القائمة .

ثالثا : ضعف الوفد والأحزاب السياسية الأخرى وعدم قدرتها على
تحريك الجماهير تبعا لتوجيهاتها لغياب عنصر التنظيم الحزبي الملتزم
واعتتمادها فقط على التنظيمات القديمة المؤثرة في الجماهير بطريقة
شخصية فقط .

رابعا : عدم وصول القوى الشيوعية واليسارية الى الدرجة المطلوبة
من النضج والانتشار الكفيل بحشد الجماهير حولها ، مبالغة على معاناتها
من الانقسامات والاعتقالات .

خامسا : العجز عن تكوين الجبهة الوطنية الديمقراطية نتيجة لتردد
الوفد ورفض الإخوان المسلمين وعدم وضوح الخط السياسي
لمحمد نجيب .

سادسا : ترجيح كثير من الفئات للخط الوطني الذي تبنته الحركة
في بدايتها على خطواتها المعادية للديمقراطية والتي لم تصل الى الجماهير
البسيطة في حياتها اليومية .

سابعا : انتهازية الإخوان المسلمين ووقوعهم في شرك مساندة
(مجلس قيادة الثورة) في أخرج وقت تصادمت فيه القوتان .

(١) وكان مجلس نقابة المحامين مشكلا من عبد الرحمن الرافعي رئيسا وصليب سامي
وكيلا وزهير جرائة أمينا للصندوق ومحمود الحناوي سكرتيرا وعلى بدوي ومحمود فهمي
جندية وعمر عمر ومحمد مصطفى القلسي وعازر جبران وأحمد زكي الحشيتي ويواكيم غبريال
وتوفيق ومنصور فريد وأحمد بدر وعبد العزيز الشوربجي وصالح عبد الحافظ وعادل علوبة
أعضاء . وعين فكرى أباطة رئيسا لمجلس نقابة الصحفيين .

ثامنا : عدم تعاطف الشعب مع الاخوان في محنتهم لتصرفاتهم الارهابية السابقة وتخليهم عن النضال من أجل الحرية والديمقراطية ومعاداتهم المستمرة للأحزاب السياسية .

ثاسعا : عدم توافر الظروف المواتية لتجميع العناصر الوطنية الديمقراطية داخل الجيش وتأييد بعضهم لمجلس القيادة حيث لم يجد منبرا آخر أكثر جاذبية له .

عاشرا : غيبة الحركة الجماهيرية المؤثرة التي كان يمكن ان تشكل قوة ضاغطة على أعضاء المجلس فلم يكن هناك اتحاد لنقابات العمال ولم تكن هناك تنظيمات فلاحية ، كما أنه لم يكن هناك تنسيق بين النقابات المهنية .

كل هذه الأسباب وغيرها جعلت انتصار (مجلس قيادة الثورة) باعتباره المعبر عن حركة الجيش أكثر رجحانا . . . وخاصة بعد أن انفردت الحركة بالقوى المختلفة تطيح بها واحدة بعد الأخرى ، دون ادراك بأن هذه المطرقة الهاوية لن تتوقف الا اذا تحولت كل التنظيمات الحية الى جثث هامدة أو مغشى عليها .

ومنذ ان عزل محمد نجيب واختفت التنظيمات السياسية واحتشدت السجون والمعتقلات السياسية من مختلف الاتجاهات . . . أصبحت حركة الجيش هي المسيطرة .

وانتصر الجانب المسلح من الطبقة المتوسطة بعد ان وجه ضربة قاضية للاقطاع ، وضربات شديدة لابناء طبقته من المدنيين .

وانتهت سنوات التصادم بانتصار كامل للعسكريين .

وبدأت مواجهتهم لمشاكل المجتمع تحدد خط سيرهم في المستقبل القريب والبعيد .

مجتمع جمال عبد الناصر

الى ولدى صلاه وهانى

وجيل مصر الجديد

مقدمة

كان الأمر عندى مشكلة ...

عندما بدأت جلسات الحديث والمناقشة مع المسئولين عن النظام
فى مصر من أعضاء مجلس قيادة الثورة والضباط الأحرار والسياسيين ،
تبين أن قصة ثورة يوليو أكبر من أن يضمها كتاب واحد .

وتبينت أيضا أن الحديث عن مصر والعسكريين لا ينتهى بوصولهم
إلى قمة السلطة ... ولكنه يبدأ .

واكتشفت أن سنوات الصدام التى انتهت كما ورد فى الجزء الأول
بالقضاء على الأحزاب القديمة واعتقال الشيوعيين وحل الإخوان المسلمين ،
وضرب المحاولات الانقلابية داخل الجيش ، وعزل محمد نجيب ...
لا تظهر الدور الذى قام به العسكريون فى بناء المجتمع ... ولكنها تؤجله
بل وتخفيه .

ووجدت نفسى قد بدأت مرحلة لا يمكن التراجع عنها أو التردد
فيها ...

وواصلت المسيرة باحثا ... ومحاولا تسليط الضوء على قضايا ...
قد لا تكون جديدة ... ولكنها فى زحمة الأحداث تبدو فرعية ... وهى
رئيسية .

وفى هذا الجزء الثانى (مجتمع جمال عبد الناصر) أقدم هذه
المحاولة .

لماذا ... مجتمع جمال عبد الناصر ؟

متابعة حركة السلطة العسكرية الجديدة فى مصر يكشف أنه بعد
أن تغلب مجلس قيادة الثورة على أعدائه وخصومه ، بدأ الدور الذى يلعبه
جمال عبد الناصر - القائد المنتخب للضباط الأحرار - يصبح أكثر بروزا

وتميزاً ٠٠٠ فهو بين زملائه القائله المفوض ٠٠٠ وعند الجماهير القائد الجديد الذى يخلف محمد نجيب صاحب الشخصية البسيطة ، بعد محاكمات الاخوان المسلمين التى وقف فيها بعض زعمائهم على المشنقة ونفذ فيهم الاعدام .

كانت مسئولية الانفراد بالسلطة ، والتوجه لحل المشاكل ، وكسب ثقة الجماهير ٠٠٠ هى العوامل التى تثقل كاهل القيادة الجديد .

ولكن سرعان ما تبين ان قيادة وطنية ثائرة ، قد وجدت امامها فرصة متاحة للانطلاق .

وكانت الفترة التى اخترت لها اسم (سنوات الصعود) .

القيادة الجديدة تصعد خلف جمال عبد الناصر فى سرعة خارقة الى قمة عالية ٠٠٠

توالى المواقف الوطنية التى وجدت ارادة القيادة وارادة الجماهير ٠٠٠ والتى جعلت من جمال عبد الناصر زعيماً شعبياً تلتف حوله الأمة العربية على امتداد الوطن الكبير فى المدن والقرى الصغيرة ونجوع الصحراء البعيدة .

وبعد تحرير مصر والسودان ، والانتصار فى معركة الأحلاف العسكرية ، وتأميم القناة ، وانسحاب قوات العدوان الثلاثى ، بدأ تشكيل المجتمع الجديد .

أين يقف العسكريون من هذا المجتمع ؟

وما هو دور الجيش فى هذه المرحلة ؟

أسئلة تحتاج الى بحث فى أرجاء المجتمع وفى حشايا الجيش ٠٠٠ وفى موقفه من الطبقات المتصارعة .

كان زحف العسكريين نحو السلطة يتم فى دأب وهذوء ٠٠٠ حتى كادت تصبح معظم المراكز القيادية ، والمواقع الحساسة فى ايديهم ، بعد أن استبدلوا ثيابهم العسكرية بثياب مدنية .

هرم متماسك من العسكريين تكون فى قمة السلطة ٠٠٠ وشخصية الزعيم تزداد ارتفاعاً وتألقاً .

ولكن الساحة ظلت خالية من التنظيمات السياسية والنقابية ذات التعبير الصحيح عن ارادة الجماهير .

وبدأ تشكيل المجتمع الجديد بالارادة الذاتية للزعيم ، وبالوسائل
التجريبية التي جعلت التكتيك يسبق الاستراتيجية .

غابت الايديولوجية كما غابت التنظيمات السياسية الحقيقية .

الجيش يدعم سلطته كقوة سياسية . . . ولكن موقفه الطبقي غير
محدد .

الحيرة تمزق الباحث . . . كما تغلب على تصرفات الحاكم .

والاختيار صعب . . . فتحدد الطريق وسط دوامة الأحداث المحلبة
والعالمية . . . أمر شاق وعسير .

واخيرا

يتحدد الطريق . . . وتسجل الأفكار . . . ويبحث الميثاق - أول
وثيقة مكتوبة للثورة - دليلا للعمل . . . نحو تشكيل مجتمع جديد . . .
مجتمع جمال عبد الناصر .

الحرية ، والاشتراكية ، والوحدة . . . شعار النظام ومضمون
الميثاق .

هل تحققت الاشتراكية ؟

هل مضى التطبيق في طريقه السليم ؟

أسئلة كثيرة نفوس فيها في مجتمع عبد الناصر . . . لنصل الى
الحقيقة .

ولا بد من كلمة شكر وتقدير لكافة الذين تفضلوا فمناحوني من
وقتهم ساعات وساعات ولم يترددوا في اعلان آرائهم ومواقفهم . . . عندما
علموا ان الكلمات لن تضيع وتتبدد في الهواء . . . ولكنها سوف تسجل
لتكون تاريخا لمصر . . . ولثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

احمد حمروش

الباب الأول

● سنوات الصدود

الفصل الأول

تحرير مصر ٠٠ والسودان

خرج جنود الاحتلال البريطاني من
السودان قبل مصر ٠٠ وعلمنا خرجوا من
مصر بعدها بشهور قال جمال عبد الناصر
(والآن يبقى علينا اعادة بناء بلدنا)

ما ان نجحت حركة ٢٣ يوليو في وصول الضباط الى السلطة وتحمل
مسئولية الحكم حتى فرضت القضية الوطنية نفسها ، واصبح على الحكام
الجدد أن يجدوا حلا لها بعد ان تمثرت طويلا في طريق المفاوضات ٠٠٠ وبعد
ان كانت سوريا ولبنان قد جلت عنهما القوات البريطانية والفرنسية فعلا
عام ١٩٤٦ .

والقضية الوطنية في ذلك الوقت لم تكن تعنى تحرير مصر وحدها
ونجلاء القوات البريطانية عن أرضها فقط ، ولكنها كانت تشمل قضية
السودان أيضا .

والسودان هو الصخرة التي تحطمت عليها معظم المفاوضات المصرية
البريطانية وخاصة التي قامت بها الحكومات الوفدية ٠٠٠ يقول فؤاد سراج
الدين (ان فكرة الاستفتاء كانت مستبعدة ومرفوضة ، لانه لا يمكن اقرار
استفتاء لاسيوط مثلا) ٠٠٠ هذا يعنى ان الأساس في النظرة المصرية
كان وحدة عضوية شاملة لمصر والسودان .

ويقول فؤاد سراج الدين أيضا ان محمد صلاح الدين وزير الخارجية فاجأهم قبل سفره الى باريس في يناير ١٩٥٢ لحضور اجتماعات عصبة الأمم بأنه يريد اللقاء قبله يتحدى بها البريطانيين على أساس قبول الاستفتاء اذا خرج الموظفون البريطانيون من هناك ٠٠٠ ولكن الحكومة لم توافق لمخالفة ذلك لسياسة الوفد ، وخشيتهم من التدرج لقبول - مبدأ الاستفتاء ، وما قد يصحب ذلك من تعثر الضمانات المطلوبة لاستفتاء حر سليم .

تراجع محمد صلاح الدين عن رأيه ، ولكن الوزارة فوجئت بخطابه يوم ٢٣ يناير ١٩٥٢ يكرر فيه ما سبق ان قاله ٠٠٠ واجتمع مجلس الوزراء فوراً لمناقشة خطاب صلاح الدين ٠٠٠ وانبرى بعض الوزراء لمهاجمته وفي طليعتهم الدكتور طه حسين ، الذى تحدث عن (الخيانة الوطنية العظمى) التى ارتكبها وزير الخارجية ٠٠٠ وكلف مصطفى النحاس اسنداءه على أول طائفة ٠٠٠ ولكنه وصل يوم ٢٧ يناير بعد اقالة الحكومة الوفدية .

مبدأ الاستفتاء الذى قبله محمد صلاح الدين بضمان خروج الموظفين البريطانيين قبل اجرائه ، كان محور اهتمام الضباط عقب وصولهم للسلطة .

كان ثلاثة من مجلس قيادة الثورة لهم صلات خاصة بالسودان ٠٠٠ محمد نجيب ولد فى الخرطوم ووالده وخاله خدما هناك فى الجيش المصرى ودفنا هناك ٠٠ وصلاح سالم ولد فى سنكات احدى مدن السودان الجبلية التى تستخدم كصيف ٠٠٠ وأنور السادات من أم سودانية .

ولكن ذلك لم يكن يعنى ارتباط الثلاثة بالسودان ٠٠٠ محمد نجيب هو الوحيد الذى كان له صلات شخصية بعدد كبير من السودانيين لخدمته هناك فى مطلع حياته ، وإعدادة لكتيب خاص عن السودان ٠٠٠ أما أنور السادات فقد شغلته اهتماماته بقضية مصر عن تجديده صلاته بالسودان ٠٠٠ وصلاح سالم كان بعيدا تماما عن مشكلة السودان .

يقول صلاح سالم فى كتاب الدكتور محمد المعتصم (صلاح سالم) ٠٠٠ (لم اقرأ فى حياتى قبل ٢٣ يوليو عن السودان سوى القدر اليسير ٠٠٠ لم اقرأ سوى كتابين - احدهما استخفى عنوانه عن الصيد والمغامرات فى غابات جنوب السودان لعلا أثناسيوس أحد المؤرخين المصريين والآخر لتشرشل بعنوان (حرب النهر) ٠٠٠ ولم يكن لى صديق سودانى واحد يحدثنى واتحدث معه فى شئون بلاده وأهله ٠٠٠ لم أسمع شيئا عن السودان الا من والدى الذى أمضى زهرة شبابه وحياته فى ربوع هذا القطر .

وفرضت قضية السودان نفسها على مجلس القيادة بأسرع ما توقعوا
٠٠٠ ففي الأيام الأولى للحركة كانت مسئولية الجيش موزعة على ثلاثة عم
عبد الحكيم عامر وكمال الدين حسين وصلاخ سالم ٠٠٠ وتلقى الأخير
مكالمة تليفونية من البكباشي عبد الفتاح حسن الياور المصري للحاكم العام
في الخرطوم يبلغه فيه أن بعض الجنود السودانيين الذين جندوا بعد حريق
القاهرة ثم سرحوا وأرسلوا للسودان قد تظاهروا ضد مصر لانهم لم
يحصلوا على مكافأة ترك خدمة ٠ ورغم ان القانون لا يسمح بصرف هذه
المكافأة فإن صلاح سالم أصدر قراره بصرفها باعتباره قد كلف بمسئولية
قوات الجيش في السودان ٠

وقد توافدت وفود الأحزاب السودانية على مصر للتعرف بقيادة
الحركة من ضباط الجيش ، وكان محمد نجيب معروفا لأغلبهم ، وكان
صلاح سالم مؤيدا للاتصال بهم بعد أن كلفه المجلس بالاشراف على شئون
السودان في الوقت الذي وزعت فيه مسئولية الوزارات المختلفة على أعضاء
المجلس خلال شهر أغسطس ١٩٥٢ ٠

وكانت نقطة البدء هي توجيه الدعوة لمثل كافة الأحزاب السودانية
للحضور الى القاهرة لمناقشة الموقف والاتفاق على رأى موحد ٠٠٠ وخاصة
ان السودانيين كانوا لا يعتبرون أنفسهم غرباء عن سياسة مصر ٠٠٠ نشر
محمد أحمد محجوب قطب حزب الأمة مقالا اعتبر فيه رأى سليمان حافظ
في تنحية النحاس مخالفا للقانون وحضرت وفود الأحزاب السودانية المؤيدة
للاتحاد مع مصر والمعارضة له أيضا ٠٠٠ حضر السيد عبد الرحمن المهدي ٠
واعترض عن عدم الحضور السيد على الميرغنى لمرضه ٠

وبدأت المفاوضات مع مندوبى الأحزاب بوفد مصرى شكل برئاسة
اللواء محمد نجيب رئيس الوزراء ومعه على ماهر وعبد الرازق السنهورى
وصلاخ سالم وحسين ذو الفقار صبرى ٠

وناقشت الوفود خلال المفاوضات موقف بريطانيا ، حيث أعلن الحاكم
العام في أوائل ١٩٥٢ مشروع دستور للحكم الذاتى للسودان منتهزا فرصة
إلغاء وزارة مصطفى النحاس لمعاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتى السودان عام ١٨٩٩ ٠

وهذا ما دفع محمد صلاح الدين الى اتخاذ موقفه السابق ٠٠٠ وهو
ما دفع وفد المفاوضات المصرى أيضا الى مجابهة هذا الموقف بأسلوب جديد ٠

وأصبح تعبير (تقرير المصير) متداولاً بين المصريين والسودانيين
أيضا ، بعد أن كان سلاحا يشهره البريطانيون لعزل مصر عن السودان ٠

التنظيمات الوحيدة التي أيدت (حق تقرير المصير) للسودان قبل حركة ٢٣ يوليو ، كانت التنظيمات الشيوعية التي ورد ضمن برنامجها المنشور في ١٧ أبريل ١٩٥١ بمجلة روز اليوسف (حرية الشعب السوداني وحق تقرير مصيره بنفسه وتأييد كفاحه من أجل التحرير الكامل وجلاء جميع القوات الاستعمارية البريطانية والمصرية من أرضيه) .

ولم تستمر المفاوضات التي بدأت في نوفمبر ١٩٥٢ مع الأحزاب السودانية طويلا ، فقد توصلوا الى اتفاق يقبل به الجميع نتيجة الاستفتاء على تقرير المصير وتوصلوا أيضا الى توحيد الأحزاب السودانية عدا حزب الأمة عن طريق تفويض لجنة ثلاثية من الدردري أحمد اسماعيل وخضر حمد وميرغنى حمزة لوضع ميثاق تأليف حزب واحد .

وافق الجميع ووقعوا تحت هذه العبارة (اقبل قيام الحزب الواحد بأى وضع يرتضيه الثلاثة) ووقع على هذا التفويض كل من محمد نور الدين وحامد توفيق ودردري أحمد اسماعيل ودردري محمد عثمان والطيب محمد خير واسماعيل الأزهرى وخضر حمد ومبارك زروق وخضر عمر وعلى الشيخ بشير وميرغنى حمزة ويحيى الفضلى ، ووقع معهم محمد نجيب وصالح سالم وحسين ذو الفقار صبرى .

وهكذا انبثق عن هذه اللجنة تكوين (الحزب الوطنى الاتحادى) مع اختيار اسماعيل الأزهرى رئيسا ومحمد نور الدين نائبا له ونص دستور الحزب على جلاء الانجليز وقيام اتحاد مع مصر بعد تقرير المصير .

وهكذا أمكن للمصريين مواجهة البريطانيين بأسلوبهم مع ضمان توحيد الأحزاب السودانية في حزب واحد برأى موحد هو (الاتحاد مع مصر) ومع ضمان موافقة حزب الأمة على نتيجة الاستفتاء ايا كانت وهذا مما يفسح الطريق للاتحاد مع مصر حيث كان حزب الأمة يمثل الأقلية في رأى مجلس القيادة .

وبعد ما وصلت المفاوضات مع الأحزاب السودانية الى هذه النتيجة في ٢٨ أكتوبر ، تشعب النشاط السياسى الى شعبتين سافر صلاح سالم الى السودان في نوفمبر ، وأرسل محمد نجيب مذكرة الى البريطانيين اقترح فيها الآتى :

١ - تمكين السودانيين من ممارسة الحكم الذاتى الكامل .

٢ - تهيئة الجوهر المحايد الذى لا يله من توافره لتقرير المصير .

وكان هذا التغير الجذري في ايدولوجية المفاوض المصري مفاجأة تامة للحكومة البريطانية التي لم تجد بدا من الموافقة .

بدأت المباحثات في ٢٠ نوفمبر ١٩٥٢ وتشكل الوفد المصري برئاسة محمد نجيب وعضوية صلاح سالم وحسين ذو الفقار صبرى والدكتور محمود فوزى والدكتور حامد سلطان وعلى زين العابدين ، وكان الوفد البريطاني مكونا من سير رالف ستيفنسون ومستر كوزويل الوزير المفوض ومستر باورز السكرتير الأول بالسفارة .

وكانت هذه أول تجربة يخوضها الضباط المصريون في مباحثات سياسية هامة ، يتعرضون فيها الى ديبلوماسية تخالف طبيعتهم ، ويواجهون مواقف تحتاج منهم الى دراسة واطلاع . خاصة وان بعضهم كان يجابه مشكلة غريبة عليه تماما مثل صلاح سالم حسب روايته .

الخلافات التي حدثت أثناء المباحثات أمكن التغلب عليها بحيوية الشباب فقد سافر صلاح سالم مرة ثانية الى السودان حيث اجتمع مع ممثلى الأحزاب السودانية - الأمة والوطن الاتحادى والجمهورى الاشتراكي في ١٠ يناير ١٩٥٣ واتفقوا على توقيع وثيقة تؤيد وجهة نظر المفاوض المصرى فيما يتعلق بموضوعات جنوب السودان واختصاصات الحاكم العام وسودنة الوظائف وجلاء الجيوش الأجنبية . وان تكون هذه الوثيقة هى أساس دستور الحكم الذاتى ، والا فان الأحزاب تقاطع الانتخابات .

وعندما وضعت هذه الوثيقة امام المفاوضين البريطانيين سدت عليهم سبل المناورة ، ووصلوا الى توقيع اتفاقية السودان في ١٢ فبراير ١٩٥٣ . . . هكذا لم تستمر المفاوضات الا فترة تقل عن ثلاثة شهور وانتهت مشكلة السودان بأمل كبير فى الاتحاد مع مصر .

وهكذا كانت الصخرة التي تحطمت عليها معظم المفاوضات المصرية هى أول المشاكل التي أمكن لضباط الجيش أن يصلوا فيها الى حل ارتضته الأطراف الثلاثة . . . وكان ذلك راجعا الى المرونة التي تبناها المفاوض المصرى ، بعد الرفض المطلق لمبدأ (الاستفتاء وتقرير المصير) . واعتبار حق مصر فى السودان حقا مقدسا لا يقبل الجدل .

ولا شك ان موقف حركة الجيش كان سليما تماما فى وجهة النظر التي تقبل الاستفتاء فى حق تقرير المصير وترفض اكراه شعب السودان على قبول أمر لم يختره بارادته الحرة . . . وكان لمحمد نجيب دور فى تبني هذه الفكرة واقتناع زملائه بها لصلاته الوثيقة بالسودان .

وقع الاتفاقية محمد نجيب ورالف ستيفنسون ونصت على تحديد فترة انتقال مدتها ثلاث سنوات يتم فيها تصفية الادارة الثنائية (الانجلو

مصرية) ٠٠٠ ويكون للحاكم العام أثناء فترة الانتقال السلطة الدستورية العليا وفقا لقانون الحكم الذاتى تعاونه لجنة خماسية مؤلفة من عضوين سودانيين ومصرى وبريطانى وباكستانى ٠٠٠ مثل مصر فيها حسين ذو الفقار صبرى ٠٠ (وتقرر أيضا تأليف جمعية تأسيسية منتخبة لتقرير مصير السودان على أساس :

(أ) ارتباط السودان بمصر على أية صورة .

(ب) أو الاستقلال التام أى الانفصال عن مصر .

وان تنسحب القوات العسكرية المصرية والبريطانية من السودان فور اصدار قرار البرلمان السودانى رغبته فى الشروع فى اتخاذ التدابير لتقرير المصير .

كما شكلت لجنة لسودنة الوظائف خلال فترة الانتقال .

وكان توقيع الاتفاقية انتصارا لشعب السودان ٠٠٠ وأملًا لشعب مصر فى اتحاد ديموقراطى مع البلد الشقيق .

يقول أنطونى ايدن فى مذكراته أعرب بعض أعضاء مجلس العموم عن شكوكهم فى أهمية هذا الاتفاق وكنت أخشى لو لم يصدق البرلمان على الاتفاق ان يلقي السودانيون اللوم علينا ويتهموننا بعرقلة الجهود المبذولة لاجراء الانتخابات فى بلادهم تمهيدا لتمتعهم بحق تقرير المصير وبدىهى ان مصر كانت ستغتنم الفرصة فتضاعف من حملتها علينا ، لهذا جاهدت فى شرح الاتفاق ومزاياها لأعضاء المجلس الى أن تمكنت من اقناعهم بسلامته ، وكنت فى الواقع أرى أن استقيل لو لم يؤيد المجلس الاتفاق ويأخذ بوجهة نظرى) .

وفى سبيل ذلك قرر مجلس القيادة ايفاد صلاح سالم فى زيارة الى جنوب السودان حيث كان محرما على أبناء الشمال من السودانيىن الذهاب الى الجنوب الا بتصريح خاص ، كما حرم على الجنوبيين الخروج الا باذن خاص أيضا ٠٠٠ ولكن صلاح سالم كسر هذه القاعدة ولم يحصل على اذن بالدخول ٠٠٠ ويقول يوزباشى محمد أبو نار مدير مكتبة لشئون السودان فى ذلك الوقت أن الأمريكىين قد ساعدوا فى دخول البعثة المصرية الى الجنوب عن طريق اتصالات مستر كانرى السفير الأمريكى ومستر صوينى ضابط اتصال السفارة وكان اهتمام أمريكا بالسودان مؤيدا لمحاولتها انشاء مكتب هناك كما نشرت المصرى فى ٦ أكتوبر ١٩٥٢ وتمت الزيارة فى شهر أغسطس وهو خريف السودان وموسم الأمطار هناك .

كانت رحلة صلاح سالم الى الجنوب ناجحة تماما ٠٠٠ فقد زار المديرية الاستوائية. ولبى دعوة المحافظ البريطاني الى العشاء حيث كانت زوجة المحافظ على خدمتهم بنفسها ٠٠٠ ولكن هذا لم يمنع « صلاحا » من اجراء مناقشة حادة مع المحافظ حول اسلوبه فى معاملة الناس ٠٠٠ وكان لهذه المناقشة تأثير سحرى على الجماهير التي كانت تنظر للمحافظ كمعبود لا يجرؤ احد على معارضته ، حيث كانت له سلطة العقاب وطرد المفتشين البريطانيين أنفسهم .

وهكذا اهتمت صورة المعبود وتدفقت العرائض على صلاح سالم تحمل شكاوى وآلام الناس هناك ٠٠٠ وازدادت الزيارة نجاحا عندما زار صلاح سالم منطقة قبائل الدنكا واستقبلوه برقصة الحرب ، فشاركهم فيها عاريا ، ونشرت الصحف البريطانية صورته معلقة عليه اسم (الصاغ الراقص) .

وخلال هذه الفترة اعتمد صلاح سالم على المساعدات والهبات المالية يقدمها الى الزعماء السياسيين ليضمهم الى جانب مصر ٠٠٠ وقد أثرت شائعات كثيرة حول مجموع المبالغ التي صرفت هناك ، ولكن محمد أبو نار يؤكد انها لم تتجاوز نصف مليون جنيه .

وحدثت عدة مساجلات بين ايدن وصلاح سالم ٠٠٠ قال ايدن فى مجلس العموم فى أكتوبر ١٩٥٣ ان صلاح سالم يذهب الى السودان لاقناع السودانيين بتقسيم مقاعد البرلمان ، ولكنه لم ينجح - على حسب تعبير ايدن .

ولم يتردد صلاح سالم فى مهاجمة ايدن علنا ، مؤكدا هزيمة السياسة البريطانية فى السودان ، كاشفا أن وزير الخارجية سلوين لويد كان يزور الخرطوم وقت وجود صلاح سالم هناك فى محاولة لمنع مرشح الحزب الوطنى الاتحادى الدرديرى محمد عثمان من دخول لجنة الحاكم العام ولكنه فشل ٠٠٠ كما استدعى لجنة من الجنوب لتدلى برأى مناصر للاتجاهات البريطانية هناك ، ولكنها لم تنجح فى تحويل التيار المؤيد لمصر هناك .

وأجريت اول انتخابات فى ظل الاتفاقية .

وفاز الوطنى الاتحادى بأغلبية ساحقة ، وتولى اسماعيل الأزهري رئاسته اول وزارة سودانية يوم ٩ يناير ١٩٥٤ .

وهكذا يمكن القول ان حيوية صلاح سالم واسلوبه الذى يتفق مع طبيعة تكوينه كضابط قد حقق نجاحا لا بأس به كان يمهّد الطريق فعلا لوحدة وادى النيل .

الحزب الوطني الاتحادي الذي يملك الأغلبية مشكل من أعضاء مرتبطين في تضالهم الطويل بالشعب المصري ، ووحدهم كانت على أساس الاتحاد مع مصر ، ولكن الأمور لم تمض في طريقها الطبيعي .

لم يسلك مجلس القيادة اسلوبا حكيما في التعامل مع السودانيين . . . ولم يواجه زعماءهم بوجه واحد . . . وانما ترك صلاح سالم يتصرف في الأمر وحده بطريقته الخاصة ، دون مناقشة جماعية مشتركة . وبغير حرص على الاستفادة من علاقة محمد نجيب الطيبة بكافة الزعماء السياسيين .

كانت ظروف العمل في مجلس القيادة لا تسمح كثيرا بالمناقشة الهادئة أو المتابعة الدؤوبة ، فقد كان انتقال أعضائه من أعمال محدودة معروفة لهم جيدا في صفوف الجيش ، الى مسئوليات متعددة متشعبة معظمها مجهول لهم في بحر السياسة والادارة المصرية ، هو أمر يحتاج منذ البداية الى تنظيم علمي هادئ وتخصيص تنظيمي سليم .

تدقق الأعمال على مجلس القيادة فرض ظروفها يفرد فيها البعض بمسئوليات تحتاج الى التشاور . . . وظهور التناقضات بين محمد نجيب وأعضاء المجلس عكس ذلك على اتصالاتهم الخارجية ومظهرهم أمام الجماهير . . . وخاصة في السودان .

ولذا فإن الأمور لم تمض في طريقها الطبيعي . . . وتصرف صلاح سالم في معاملاته مع بعض زعماء السودان بأسلوب الضباط وليس بأسلوب السياسيين ، كما ان تجمع بعض ضباط الصف الثاني الذين كونوا شللا خاصة لكل عضو من أعضاء المجلس حال بينهما وبين الرؤية الكاملة . . . وسياسة توزيع الأموال على السياسيين كانت في أغلبها مفسدة .

وعندما زار عبد الحكيم عامر وصلاح سالم السودان في يناير ١٩٥٤ بعد أيام من تولي الأزهرى رئاسة الوزراء كان الاستقبال لهما طيبا . وصرح الأزهرى قائلا (ان الاتفاقية سوف توضح موضع التنفيذ نصا وروحا) .

وقام الاثنان بزيارة كافة مناطق السودان ، زيارة احتج عليها سلوین لويذ وزير الخارجية البريطاني .

ولكن الزيارة في مظهرها العلني لم تكن معبرة تعبيرا صادقا عن همسات بدأت تتردد عن خلافات في مجلس القيادة ، يبدو أن صلاح سالم قد خاض فيها بصراحته المعهودة ، فانعكس ذلك خشية وترددا بين بعض الزعماء السودانيين .

كانت مصر قادرة حتى هذه اللحظة تحت قيادة محمد نجيب وبمجلس قيادة موحد أن تستوعب كل الآراء الوطنية في السودان لاقامة اتحاد على أساس ديموقراطي لمصلحة الشعبين ٠٠٠ ولكن ظهور الخلافات فتح ثغرة مناسبة لاعداء الاتحاد مع مصر ينفذون منها .

والاتحاد بين الدول لا ينجح اذا تم على أساس فوقى بين الحكام وبعضهم وانما ينجح اذا تم على أساس جماهيري تدعمه تنظيمات واعية قوية ، وكان لمصلحة البلدين فعلا . .

كان ظهور الخلافات بين محمد نجيب وأعضاء المجلس بداية لانكاسات واضحة في تنفيذ الاتفاقية ٠٠٠ وقد وصلت المشكلة الى الذروة عندما فوجئت الجماهير السودانية باستقالة محمد نجيب في فبراير ١٩٥٤ .

وكان لهذه الاستقالة وقع عميق في نفوس السودانيين الذين تطلعوا الى الاتحاد مع مصر في وجود محمد نجيب - نصف السوداني - والذين أدانوا أسلوب التناقضات الحادة بين أعضاء المجلس واعتبروا موقفهم من نجيب متسما بعدم الوفاء ، مما عكس عليهم هذه الصفة ، وخلق في نفوس السودانيين حذرا من الاتحاد مع أعضاء المجلس ، فقامت المظاهرات تهتف لنجيب في شوارع المدن السودانية .

وقد سافر الى القاهرة فور اعلان الاستقالة وفد سوداني في محاولة لرأب الصدع ولكن نجيبا كان قد عاد الى موقعه تحت ضغط المظاهرات في الشوارع وسافر بعد ذلك فورا الى السودان مع صلاح سالم يوم اول مارس ١٩٥٦ للمشاركة في احتفالات السودان بافتتاح أول برلمان ولكن مظاهرات حاشدة أطلقها حزب الأمة حاصرت المطار تهتف (لا مصرى ولا بريطاني ٠٠٠ السودان للسوداني) وحدثت اشتباكات دموية قتل فيها ٣٣ قتيلا وجرح ١٠٧ وعاد نجيب فجر اليوم التالي مع صلاح والمقابلة تشكل طعنة لا شك ، فيها ثم سرعان ما تفجر الموقف ضد نجيب مرة أخرى في شهر مارس كما سبق شرحه وانزوى نجيب في مكانه رئيسا للجمهورية بلا سلطة . حتى عين جمال عبد الناصر رئيسا للوزراء وصاحب سلطة مطلقة .

وانتهزت القوى المعادية للاتحاد مع مصر هذه الفرصة ، وعبرت عن نفسها تعبيرا صريحا . . .

ولم يكن ذلك أمرا شاذًا . . . فان وضع أى مواطن أمام اختيارين فقط هما الاستقلال أو الاتحاد مع مصر ، يدفعه الى اختيار الاستقلال الا اذا كان مطمئنا تمام الاطمئنان الى فوائد الاتحاد ومنفعته له وثقته في

قيادته وخاصة ان هذا الاختيار يتم بعد مرحلة طويلة من الاستعمار لم ينعم فيها الشعب السودانى بحريته ويمارس فيها حكم نفسه بنفسه .

وهكذا وجد الأزهري لنفسه فرصة التحول عن رأيه مدعيا انه كان يقصد بالاتحاد (اتحاد أقاليم وقبائل السودان) ، واتخذ عدة اجراءات أسفرت عن موقفه تماما .

١ - رفض هدية من الأسلحة الحديثة عرضتها مصر فى أوائل عام ١٩٥٤ .

٢ - رفض ارسال ضباط سودانيين للتدريب فى مصر على نفقتها وأصر على تدريبهم فى بريطانيا .

٣ - أوقف الصحف الاتحادية وسحب ترخيص بعضها .

٤ - لم يوافق على رصد مصر لمبلغ ٧٥٠ ألف جنيه لتنفيذ مشروعات ثقافية وصحية واجتماعية فى أرجاء السودان .

وسافر اسماعيل الأزهري الى لندن يوم ٨ نوفمبر ١٩٥٤ حيث استقبلته الملكة إليزابيث ، وأقام له تشرشل حفل غداء ، وعقد اجتماعا مع لجنة الشئون الخارجية لحزب المحافظين كما نشرت صحيفة الأهرام يوم ٨ ، ٩ نوفمبر .

وعقب عودته من لندن ، أعلنت اقالة محمد نجيب وتحديد لقامته يوم ١٤ نوفمبر وأشارت الصحف الى احتمال محاكمته لارتباطه بالاخوان المسلمين .

وأسرع من جديد الى القاهرة وفد سودانى فى محاولة لانقاذ نجيب من المحاكمة مشكل من نجل السيد على الميرغنى واسماعيل الأزهري ومحمد نور الدين وعلى عبد الرحمن ويحيى الفضلى و ابراهيم المفتى . واستقبل الوفد جمال عبد الناصر وصلاح سالم وتم الاتفاق بينهما على اصدار هذا البيان الذى نشر فى الأهرام يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٥٤ وجاء فيه :

(أطلع وفد الحزب الوطنى الاتحادى على دقائق الأمور ، وكان متتبعا لسير الحوادث التى قادت الى الظروف الراهنة فى مصر ، وهو مقتنع تماما بأن اجراء تنحية اللواء محمد نجيب عن منصبه ، كان اجراء لا مفر منه ، روعيت فيه مصلحة البلاد العليا أولا وأخيرا فى تلك المرحلة التى ما كانت لتتحقق للبلاد لو سارت الأمور على ما كانت عليه ، ولقد تلاقت وجهات النظر مع الحسيب النسيب السيد على الميرغنى ووفد الحزب الوطنى الاتحادى والمسئولين فى مصر على قفل هذا الموضوع نهائيا بعدم تقديم اللواء محمد نجيب للمحاكمة حتى لا تعطى الفرصة لاعداء البلاد الذين يتربصون للثقل من وحدة الصفوف وتدمير أهداف البلاد) .

قفل هذا البيان موضوع محاكمة محمد نجيب ٠٠٠ وقفل أيضا فرصة الاتحاد مع مصر ، نتيجة عدة عوامل أساسية نتجت عن تصرفات مجلس القيادة وهي اقالة محمد نجيب ، وقسوة محاكمات الاخوان المسلمين الذين كانوا يفرخون في أحضان حزب الأمة ، واعتقال الشيوعيين الذين كان لهم نفوذ كبير في السودان خاصة بين المثقفين والعمال ٠٠٠ هذا الى جانب نشاط الانجليز والأمريكان في محاولة احتواء اسماعيل الأزهرى ومبارك زروق .

وعندما سافر اسماعيل الأزهرى الى مؤتمر بانلدونج ٠٠ لم يقف مع الدول المتحررة ، ولكنه اتخذ موقفا التقى فيه مع اتجاهات بعض الدول الرجعية مثل العراق التي كانت تهيم نفسها لدخول حلف بغداد ٠٠٠ كما انه كان قد ألف لجنة من أعضاء الحزب الوطنى الاتحادى قررت التخل عن مسالة الاتحاد مع مصر ، ووافقت الهيئة العامة للحزب على ذلك .

واخذت بذور التناقض تنمو بين الأزهرى ومجلس القيادة ممثلا في صلاح سالم والذي كان قد فقد بعض شعبيته هناك لموقفه الحاد من محمد نجيب ، ولكنه دخل في تناطحه مع الأزهرى الى أبعد مدى ، فقد أثار ضده فريقا من الحزب الوطنى الاتحادى بزعامة محمد نور الدين نائب رئيس الحزب ، وأثار ضده الجنوبيين أيضا كقوة ضغط ٠٠٠

طلعت المعركة الى السطح ٠٠٠ وخطب اسماعيل الأزهرى في الجماهير يقول (ان لحم أكتافى من مصر ، وقد دخلتها منتعلا حذاء كاوتش ٠٠٠ ولكن هل يرضيكم أن يحكمنا صلاح سالم والعسكريون في مصر ؟ وتصرخ الجماهير بصوت عال (لا ٠٠٠ لا) .

واستخدم صلاح سالم في معركته ضد الأزهرى كل الأسلحة المتاحة له الى جانب انشقاق الحزب واثارة الجنوبيين ٠٠٠ فقد قرر التحالف مع الشيوعيين أيضا في معركته ضد الأزهرى التي تبلورت الى موقفين واضحين ٠٠٠ اما الاتحاد مع مصر ٠٠٠ واما الاستقلال الذى أصبح الأزهرى ينادى به علنا .

اتصل صلاح سالم بالشيوعيين السودانيين لما لاحظهم من تأثيرهم السياسى في محاربة الوضع القائم كله ٠٠ واتصل في هذه المرحلة بالشهيد بن عبد الخالق محجوب سكرتير الحزب الشيوعى السودانى والشفيح أحمد الشيخ سكرتير عام اتحاد العمال وعضو المكتب السياسى للحزب .

وعندما علم صلاح سالم أن الحزب الشيوعى السودانى هو نواة انفلقت من الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (احدثو) وعملت لفترة

تحت اسم الحركة السودانية للتحرر الوطني (حستو) ، قرر أن يتصل
بالشيوعيين المصريين ليساعدوا في اقناع زملائهم في السودان وكان ذلك
يوم أول سبتمبر ١٩٥٥ .

ولكن الشيوعيين المصريين كانوا معتقلين والبعض منهم قدم الى
المحاكمة وصدرت ضده أحكام بالسجن ٥٥ . ومع ذلك لم يتردد صلاح
سالم في استدعاء الدكتور يوسف ادريس وكان معتقلا في سجن القناطر ،
والكاتب ابراهيم عبد الحليم ، والكاتب فتحى خليل والفنان زهدى وكانوا
معتقلين في سجن أبى زعبل .

وصل الأربعة الى قصر عابدين - حيث كانت مكاتب وزارة الارشاد
في الوقت - بثياب ممزقة وأجسام هزيلة بعد معاملة بوليسية قاسية
أعقبت اضرابا عن الطعام استمر ١٨ يوما من أجل مطالب انسانية خالصة .

دخل الأربعة على صلاح سالم فى مكتبه ، فاستقبلهم استقبالا حارا
وأبدى استنكاره لمظهرهم ، واتصل تليفونيا - حسب رواية فتحى خليل -
بذكرى محى الدين وزير الداخلية طالبا منه وقف المعاملة الشاذة للمعتقلين
فى سجن أبو زعبل .

وقدم لهم صلاح سالم تحليلا سياسيا استمر ثلاث ساعات ركز فيه
على النقاط الآتية :

١ - المفهوم العام لقيادة الثورة وتصور خط سيرها مع تحفظ بعض
العناصر على الاتحاد السوفييتى بتأثير دعاية الغرب .

٢ - ارجع غموض موقف الثورة من الشيوعيين الى خشية البعض من اتهام
الحركة بأنها شيوعية .

٣ - أبرز نقاط الخلاف مع الولايات المتحدة وخاصة رفضها امداد مصر
بالسلاح .

وخلص صلاح سالم من ذلك الى أن هناك تغييرا فى الخط السياسى
للثورة يتلخص فى :

أولا ٥٥٥ فى السياسة الخارجية . استقرار الثورة على توثيق العلاقة
مع الاتحاد السوفييتى والصين والدول الاشتراكية .

ثانيا ٥٥٥ فى قضية الديمقراطية . وضع دستور جديد واعداد
انتخابات عامة وتشكيل برلمان ٥٥٥ .

وأكد لهم صلاح سالم أن هذين الاتجاهين سوف ينطلقان بأقصى قوتهما في منتصف عام ١٩٥٦ . . . ولعله كان يقصد بذلك تحديد موعد جلاء القوات البريطانية عن منطقة القنال .

وفاجأهم صلاح سالم بخبر لم يكن قد أعلن بعد . . . وسرا لم يعرفه أحد . . . وهو تعاقد مصر مع الاتحاد السوفييتي على توريد صفقة سلاح . . . كما وعدهم بالافراج عن جميع الشيوعيين قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٦ .

وعرض موقفه بعد ذلك في قضية السودان ، ونقد نفسه نقدا ذاتيا لاضطراره الى السير بأسلوب حكام ما قبل الثورة للزعماء وتردى الحال بعد ذلك حتى في صفوف حزب الوطني الاتحادي ، ومع اسماعيل الأزهري خاصة .

ثم انتقل الى الحديث عن (الحزب الشيوعي السوداني) . . . وقال اننا تجنبناه لموقفنا من الشيوعية في مصر . . . وانه كان في التأييد والمعارضة حزبا مبدئيا شريفا . . . وانه على حد تعبيره (حزب حقيقي وجاد وغير ملوث) . وقال لهم صلاح سالم انه عندما اتصل بالشهيدين عبد الخالق والشفيح وعرض عليهما مساعدات في حدود العمل الوطني مثل اقامة السرايدات أو الامداد ببعض الاموال ، رفضوا في شدة .

وقال صلاح سالم انه تدور في صفوف الحزب مناقشة حول الموقف في مصر ويتأرجح الرأي بين التأييد والمعارضة ، وموقف الحكومة المصرية من الشيوعيين المصريين يلعب دورا كبيرا في ترجيح جانب على آخر . . . وانه لو تحول الموقف داخل قيادة الحزب الى التأييد فان هذا قد يخرج الموقف في السودان من دائرة اليأس ولم يخف صلاح سالم مرارته ويأسه نتيجة تغير موقف الأزهري .

وصارحهم بأنه استأذن مجلس القيادة في الاتصال بهم فوافقوا ، وانه يطلب منهم اذا اقتنعوا بصدق تحليله السياسي ، فانهم عندئذ يصبحون مطالبين بالسفر الى السودان لاقتناع قيادة الحزب هناك بتأييد القاهرة وخط الاتحاد مع مصر .

وتداول الأربعة على جانب ووجدوا انه لابد من شيئين . . . الاستيثاق من حديث صلاح سالم ، والاتصال بزملائهم الهاربين خارج المعتقل . . . واتفق صلاح معهم على الخروج لفترة محدودة مدتها أسبوع يعودون بعدها الى مكتبه .

واكن الأربعة لم يعودوا الى مكتب صلاح سالم . . . لأن الصحف نشرت في اليوم الخاص للمقابلة خبر استقالته واعتكافه في منزله .

ولم تكن استقالة صلاح سالم مفاجأة للقرييين من مجلس القيادة ،
فان سياسة صلاح سالم في السودان كانت موضع خلافات ومناقشات
داخل المجلس ، وخاصة بعد حريق اشتعل في الجنوب بتدبير من
الاستعمار ، ومطالبة صلاح سالم بأن تطلق يده في العمل بصورة كاملة .

وقد حدث نوع من التحقيق مع صلاح سالم في تدهور العلاقة بين
مصر والسودان في مارس ١٩٥٥ ، ولكن صلاحا كان عنيفا في مناقشاته ،
وسفه آراء بعض الذين اشتركوا في المناقشة من غير علم كاف ، وانهى
حديثه بتقديم استقالته ٠٠٠ ولكن المجلس لم يقبل الاستقالة .

وسافر صلاح سالم ضمن الوفد المصرى الى باندونج ، والخلاف
يثقل صدره ، ومعاملة جمال عبد الناصر له يتسرب اليها البرود ٠٠٠

وكان صلاح سالم في وقت من الأوقات وبقوة اندفاعه وحيويته ،
وبموقفه كوزير للارشاد، وبقدرته على تلوين الحديث ، يتطلع الى رئاسة
جمهورية الاتحاد ٠٠٠ ولم يكن ينظر الى جمال عبد الناصر كمنافس له
وانما كان يخشى منافسة نجيب في الاستفتاء .

ولكن هذه التطلعات سواء كانت حقيقية أو غير حقيقية ، تلاشت
وذبلت بعد اقالة محمد نجيب ٠٠٠ وبدأ صلاح سالم نفسه يتعرض لهجمات
زملائه ، بل وبعض ضباط الصف الثانى ، وهو الذى كان عنيفا في هجومه
على محمد نجيب .

وبدأ مجلس القيادة يحاصر صلاح سالم ٠٠٠ وخاصة بعد اتصاله
بالشيوعيين المصريين ٠٠٠ زكريا محيى الدين قال ان الفريق الذى يعتمد
عليه صلاح سالم ليس هو القوة الأساسية في السودان .

وجمال عبد الناصر انتقد سياسة التعامل مع الزعماء السودانيين
باسلوب غلبت عليه روح المنفعة الذاتية .

وحسين ذو الفقار صبرى اضطر الى مسايرة حزب الأمة لينقذ ما يمكن
انقاذه .

ووصل الخلاف الى ذروته عندما تصادم صلاح سالم مع جمال
عبد الناصر ٠٠٠ ولم يستطع صلاح أن يجتذب زملاءه الى صفه ، لانفراده
بالعمل طوال الفترة الماضية وسخريته من بعضهم وتفوق جمال عبد الناصر
في قدرته على اقناع زملائه برأيه .

وقدم صلاح سالم استقالته للمرة الثانية في سبتمبر ١٩٥٥ متصورا
انها لن تقبل مثل استقالته السابقة ، ولكن المجلس قبلها فورا ، وكان
شقيقه جمال سالم وقتها في زيارة خارج مصر .

وطويت صفحة صلاح سالم أيضا في تاريخ علاقات مصر والسودان،
بعد أن طويت صفحة محمد نجيب ... وتولى زكريا محيي الدين مسئولية
السودان ... ونقل محمد أبونار الى وزارة الخارجية حيث عمل مديرا
للادارة الافريقية لشئون السودان .

وأصبح واضحا بعد خلع صلاح سالم من موقعه ان الموقف السياسي
بين القاهرة الخرطوم قد فقد كثيرا من نشاطه ، وانه دخل مرحلة جديدة
تبدد منها الامل في انتهاء فترة الانتقال الى ظهور الاتحاد بين دولتي وادي
النيل الغربيين .

وبعد أن أخذت اجراءات السودنة مداها ، وأوشكت ثلاث سنوات
الاتفاق على النهاية ، أبلغت الحكومة السودانية برئاسة ازهرى حكومتى
مصر وبريطانيا برغبة الجمعية التأسيسية وطالبت بسحب جيش الاحتلال
لاجراء الاستفتاء (فى جوهر محايد) .

وسحبت مصر وبريطانيا جيوشهما ، وتركت مصر كل الأسلحة
الثقيلة التى كانت تخص جيشها فى السودان وتم الجلاء فعلا فى
نوفمبر ١٩٥٥ .

ووجدت حكومة السودان بعد الجلاء أن الأمر لا يحتاج الى استفتاء
بشأن شكل الحكم بعد اتفاق كل الأطراف الحاكمة على معارضة الاتحاد
... وأعلنت قيام الجمهورية السودانية فى ١٩ ديسمبر ١٩٥٥ وتشكيل
مجلس قيادة لرئاسة الدولة .

ولم يجد مجلس قيادة الثورة فى مصر فرصة للمطالبة باتمام
الاستفتاء ... وأعلن استقلال السودان رسميا فى أول يناير ١٩٥٦ ،
وذهب صلاح سالم الى هناك مدعوا كشخص عادى ، ورفض ازهرى اقتراحا
بقبوله أول سفير مصرى هناك .

وهكذا تحرر السودان بفضل اتفاقية ١٢ فبراير ١٩٥٣ ، وكما كانت
السودان أول دولة عربية افريقية تستقل فى القرن التاسع عشر بعد ثورة
المهدى ، فانها كانت أيضا أول دولة عربية افريقية تجلو عنها قوات
الاحتلال أيضا .

وأصبح السودان مستقلا وغير مرتبط بمعاهدات أو احلاف عسكرية
ولا توجد أية قواعد أجنبية ...
تم ذلك قبل مصر ذاتها ...

بل ان جلاء القوات البريطانية عن مصر كان مشروطا بشروط معينة ،
وتم بعد جلاء القوات الأجنبية عن السودان بستة شهور كاملة .

وكان جلاء القوات البريطانية عن منطقة القنال هو القضية الرئيسية
التي تحمل العسكريون مسئوليتها يوم وثبوا الى السلطة .

وكان فضال الشعب المصرى قد وصل الى مرحلة الكفاح المسلح فى
القناة مما هدد الوجود الاستعمارى فى المنطقة الى ان توقف بحريق
القاهرة .

وكما كان الوفد حريصا على اجلاء القوات البريطانية قبل انتهاء
معاهدة ١٩٣٦ التى تمتد عشرين عاما . ولما كان حريصا أيضا على عدم
ربط مصر بأحلاف عسكرية .

كما كان الوفد . . . كانت حركة الجيش أيضا وتصريحات أعضاء
مجلس قيادة الثورة كانت تشير الى هذا الاتجاه . . . أوضح التصريحات
وأكثرهما جراءة كانت تصريحات جمال عبد الناصر . . . قال فى شبين الكوم
فى يناير ١٩٥٣ (الجلاء عن القنال أو القتال حتى الموت) ونشرت صحيفة
الأنبار يوم ١١ يناير ١٩٥٤ عنوانا رئيسيا فى صفحتها الأولى تحت عنوان
(أخطر تصريح لجمال عبد الناصر) قال فيه (لن تستطيع الدول الغربية
أن تخلعنا بوعودها المعسولة اذا ما نشب صراع عالمى مسلح ثالث ونحن
بعد غير معترف بحقوقنا المشروعة فى الاستقلال التام) .

وقال محمد نجيب يرد على تشرشل عندما صرح بأنه يريد رؤية
اسرائيل أقوى دولة فى شرق البحر الأبيض المتوسط (ان معاهدة
١٩٣٦ الملغاة فرضت على مصر تحت ضغط قوات الاحتلال) .

ولكن حركة الجيش لم تواصل الكفاح المسلح مباشرة . . . أثرت ان
تمضى فى طريق المفاوضات ، مستهدفة النجاح السريع كما حدث فى
اتفاقية السودان .

وتشكل الوفد المصرى للمباحثات برئاسة محمد نجيب وعضوية
جمال عبد الناصر وصلاح سالم والدكتور محمد فوزى والدكتور حامد
سلطان والدكتور على حسن زين العابدين .

وظهر منذ اللحظة الأولى فى المباحثات التى بدأت جلستها الأولى يوم
٢٧ ابريل ١٩٥٣ أن الموقف يختلف عن مباحثات السودان التى حوصرت
فيها الجانب البريطانى باتفاق الأحزاب السودانية على رأى واحد .
والتقاء وجهات نظر المصريين والسودانيين . . .

كان الجانب البريطاني يستهدف ربط مصر بحلف دفاعي للشرق الأوسط ، كما كان يستهدف بقاء قناة السويس قاعدة لقواته وعملياته العسكرية في المستقبل .

وكانت هذه الاتجاهات مرفوضة تماما من الجانب المصري . . . ولم تعد السودان هي الصخرة التي تتحطم عليها المفاوضات ، ولكن أصبحت الأحلاف وموائيق الدفاع المشترك هي الخطر الذي حاول العسكريون تحاشيه .

وظهرت سلامة الموقف الوطني للمفاوضين المصريين بتصریحاتهم المتعددة المتلاحقة .

محمد نجيب قال لعضو البرلمان البريطاني ريتشارد كوسمان (قل لا بد ان صبر مصر أوشك أن ينفد وأن فرصة الوصول الى اتفاق مسرف لن تظل سانحة الى الابد) .

وواصل جمال عبد الناصر خطبه الداعية الى الجلاء غير المشروط ، مهددا بعودة الكفاح المسلح .

ولم تستمر المفاوضات أكثر من أيام فتوقفت في ٦ مايو ونشرت الصحف قائلة أن مشكلة الخبراء البريطانيين هي سبب توقف المفاوضات ، وأصدر محمد نجيب رسالة للشعب يوم ١٩ مايو قال فيها ان قطع المباحثات كان نتيجة (محاولة البريطانيين العبث بالمبدأ الذي جعلناه أساسا للدخول في هذه المباحثات وهو جلاء جنود الاحتلال عن أرضنا جلاء كاملا دون قيد أو شرط) .

ولم تكد تقطع المفاوضات حتى توتر الموقف . . . ونصحت بريطانيا رعاياها بالرحيل عن البلاد في شهر مايو ٥٣ في محاولة للضغط على مصر . ولم تجد حركة الجيش سبيلا الا العودة الى الكفاح المسلح . . . ولكن بأسلوب آخر ، فقد ظهر تصريح في الصحف يوم ١٧ مايو يقول (ان كل شيء في المعركة السابقة كان يجري ارتجالا ولم يكن هناك شخص مسئول ، أما اليوم فكل شيء موضوع تبعا للخطة المرسومة) .

ولم يكن هذا التصريح موفقا . . . اذ انه لم يكن هناك مبرر لنقل تناقض مفتعل بين حركة الكفاح المسلح للشعب في مراحلها المختلفة . . . بل كان الواجب اظهار الامر كانه حلقات في سلسلة متصلة . . . ولكن حركة الجيش في ذلك الوقت كانت حريصة على سلب الفضائل من الأحزاب عامة والوفد خاصة حتى ولو كانت مفخرته الكبرى وهي سماحه بانطلاق طاقات الشعب في كفاح مسلح مساند من الحكومة ضد القوات البريطانية في القناة . :

ويقول كمال رفعت الذى كان يعمل ضابطا فى المخابرات ومستولا عن الكفاح المسلح بالقناة فى ذلك الوقت (ما ان أعلن جمال عبد الناصر بيان توقف المفاوضات حتى تحركنا للعمل) .

وشهد شهرا مايو ويونيو ١٩٥٣ تحركا واسع النطاق للقذائيين ٠٠٠ وقال جمال عبد الناصر فى رده على خروج الأسر البريطانية (ان الذين لا نريد هم فى بلادنا هم جنود الاحتلال الانجليز وحدهم دون غيرهم ٠٠٠ أما الرعايا البريطانيون المدنيون من أفراد الجالية البريطانية فهم فى حماية مصر) .

وفى ١٤ يونيو قال أيضا (اننا نكون جيشا كبيرا يضم ٢٢ مليونا من المصريين وهو جيش قادر على اخراج المستعمر من البلاد ، ولن نعتد على فئة قليلة ، ولكننا نعتد على المواطنين جميعا ٠٠٠ اننا نوزع السلاح فى جميع أنحاء البلاد) .

ولكن طبيعة الكفاح المسلح عام ١٩٥٣ ، كانت تختلف عن طبيعته عام ١٩٥٠ ، ١٩٥١ ٠٠٠ تحول الكفاح المسلح بعد حركة الجيش الى عمل تنظيمى منضبط فى يد ضباط المخابرات المصريين الذين انبثوا فى مدن القنال ٠٠٠ وكان فى مقدمتهم كمال رفعت وعبد الفتاح أبو الفضل وفؤاد هلال وعمر لطفى وغيرهم .

وكان جميعا يعمل تحت قيادة زكريا محيى الدين الذى كان حتى ذلك الوقت مشرفا على كافة أجهزة الأمن (وزارة الداخلية - المخابرات العامة - المخابرات الحربية) ٠٠٠ والذى قسم منطقة القنطرة الى قطاعات عين لكل قطاع منها ضابطا مسؤولا وكان يعقد لهم اجتماعات دورية لتنسيق وتوجيه الخطط .

وكان لهذا الأسلوب الجديد فى الكفاح المسلح سببيات وإيجابيات ٠٠٠ فقد كان تركيزه فى يد الضباط يعطيه طبيعة عسكرية قادرة على التدريب والتوجيه وضرب المناطق المؤثرة ٠٠٠ ولأنهم منتمون الى المخابرات فقد كان التصنيف السياسى للناس عندهم ذا أهمية تصل الى المرتبة الأولى ، مما عزل عن المعركة كثيرا من العناصر السياسية القادرة على توعية الجماهير وتعبئتها .

كانت المعركة تتحرك فى خطوط مرسومة ، وتحقق عمليات ناجحة . ولكنها لم تلتقط حرارة الجماهير أو تتحرك فى أحضانها ولم تعمل على بعث تربية قومية .

لم يكن مصرحا لكل واحد أن يحمل سلاحه ويختار كتيبته وقيادته ، ويضحى بحياته فى صفوف التنظيم الذى يؤمن به ٠٠٠ ولكنه كان ضروريا

أن يرتبط بالمخابرات ليحصل على جواز المرور الى التضحية والكفاح المسلح .

وكان كثير من الشباب والعناصر السياسية يرفض الارتباط بالمخابرات ويخشى اسمها فهي كقيلة بالاساءة اليه ، في وقت كانت يدها فيها مطلقة في اعتقال الزعماء السياسيين وأفراد التنظيمات الشيوعية .

وهكذا اختفت أعلام كتائب الوفد ومصر الفتاة والشيوعيين التي ارتفعت عام ١٩٥١ وجذبت اليها أعدادا متزايدة من المناضلين ٠٠٠ ولم يعد هناك سوى علم واحد وهو علم المخابرات وقيادة واحدة هي قيادة الضباط .

أما الاخوان المسلمون فانهم لم يسهموا في الكفاح المسلح ضد الانجليز رغم انهم كانوا القوة السياسية الوحيدة المصرح لها بالعمل علنا ٠٠٠ وأثروا أن يتكلموا على أنفسهم ، تماما كما فعلت قيادتهم أثناء حكم الوفد عندما قال حسن الهضيبي انهم لا يعتبرون الكفاح المسلح هو الأسلوب السليم للنضال واعترض على جموح بعض شبابهم الذين اشتركوا في معارك القتال ٠٠٠ كما قال الشيخ فرغلي مسئول الاخوان في الاسماعيلية لكمال رفعت مما ورد في كتابه (حرب التحرير الوطنية) :

— احنا معندناش استعداد لتحمل تهور الناس ولا يمكن نصحي بأولادنا عشان خاطر الوفد ٠٠٠ الوفد عملها والوفد يتحمل نتائجها والى حصل اليومين الى فاتوا كانوا كلام فارغ .

وهكذا كانت سياسة الاخوان أيضا بعد الثورة ٠٠٠ لم يسهموا في حركة الكفاح المسلح ، في الوقت الذي عجزت فيه القوات الشعبية الأخرى عن المساهمة لوجود قاداتها في المعتقلات والسجون .

واقصر الكفاح على المتعاونين مع ضباط مخابرات الثورة .

اقترن نشاط الكفاح المسلح بالموقف السياسي وارتبط به ارتباطا وثيقا ٠٠٠ كلما تقدمت المحادثات هدأت منطقة القناة ، وكلما تعثرت انفجرت الأحداث في المنطقة .

ولذا كان شهرا مايو ويونيو ١٩٥٣ من الأشهر الساخنة بعد توقف المفاوضات واستمر تصاعد الكفاح المسلح حتى بلغ ذروته عندما اختفى الشاويش البريطاني ديجدن من السلاح الجوي يوم ٧ يوليو ، وأرسلت القيادة البريطانية انذارا الى مصر فيه تهديد باتخاذ اجراءات عنيفة بالاسماعيلية وتحددت الساعة التاسعة من صباح ١٣ يوليو لتنفيذ ذلك .

• رفض مجلس قيادة الثورة الانذار •

• ورفض محمد نجيب مقابلة مستر هانكي الوزير المعوض البريطاني •

• ونوقش موضوع اختفاء الشاويش البريطانى فى مجلس اللوردات •

وقال لى صلاح سالم انهم رحلوا الشاويش البريطانى الى باريس حيث ظهر هناك ، واستوقفت المباحثات نتيجة ذلك فى ٣١ يوليو ١٩٥٣ •

ويشير كمال رفعت فى كتابه (حرب التحرير الوطنية) الى ازدياد الحوادث التى تمت خلال فترة توقف المفاوضات ، ويشير أيضا الى انه بعد عودة المباحثات لم تتوقف الأحداث ، بل ان السفارة البريطانية قدمت احتجاجا فى نوفمبر ١٩٥٣ على زيادة عدد الحوادث فى المنطقة •

وقد أمكن خلال هذه الفترة اعتقال عدد من الجواسيس الذين كانوا فى خدمة القوات البريطانية ، وحكمتهم محكمة الثورة وأصدرت على بعضهم الحكم بالاعدام مثل محمود صبرى على المعروف بكنج صبرى ، والفريد عوض ميخائيل ، محمد عزت محمد ، وبولس مكسيموس وأصدرت الحكم على البعض بالأشغال الشاقة •

وخلال فترة انقطاع المفاوضات كان جون فريستر دالاس قد حضر لزيارة مصر يوم ١١ مايو ١٩٥٣ فى محاولة لعقد صلح بين العرب واسرائيل ودعم سياسته فى تطويق الاتحاد السوفييتى بأحلاف عسكرية •

قدم دالاس الى محمد نجيب هدية ايزنهاور عبارة عن مسدس بلا ذخيرة أثبتت الأحداث فيما بعد انه السلاح الوحيد الذى قدمته أمريكا الى مصر ٠٠٠ بينما أرسل محمد نجيب الى ايزنهاور تمثالا من الذهب لاله الحكمة عند قدماء المصريين •

وقد صرح دالاس عند وصوله قائلا (ضرورة بناء قاعدة القنصاة لاستخدامها فى حالة الحرب دفاعا عن العالم الحر) •

ولم تقابل تصريحات دالاس بأى تأييد من جانب الشعب ولا من جانب ضباط مجلس القيادة الذين التزموا بسياسة عدم الارتباط بأحلاف عسكرية •

وكتب أحمد أبو الفتح فى جريدة المصرى يوم ١١ مايو مخاطبا دالاس مظهرا تناقضات موقف أمريكا التى تؤيد اسرائيل التى تصرح بقيام حزب شيوعى فيها ، بينما مصر تعتقل الشيوعيين ومع ذلك تصر أمريكا على مساندة انبثاقها ضدها •

ولم تكن صورة الولايات المتحدة عند المصريين كما حاول أن يرسمها محمد حسنين هيكل في كتاب (عبد الناصر والعالم) بقوله (كانت الولايات المتحدة تحيط بها كل معاني النجاح والفتنة ، براقة متسدية على الفشل الذريع الذى منى به الاستعماريون القدامى ، وكان الدس متجاوبين مع فكرة قيام الأمريكيين بدور رئيسى فى الشرق الأوسط ومستعدين لقبولها) .

لم يكن هذا التصور صحيحا ٠٠٠ فان كافة القوى الوطنية كانت ضد السماح للأمريكيين بأداء دور سياسى بديل لدور انجلترا ، ظهر ذلك فى سياسة الوفد وأحزاب مصر الفتاة والوطن الجديد والتنظيمات الشيوعية والجماهيرية ، فقد كشفت أمريكا الستار عن موقفها أثناء عرض النقراشى لقضية مصر على مجلس الأمن .

وإذا استثنينا السراى التى كانت على علاقة طيبة بالأمريكيين والايخوان المسلمين الذين حرصوا على اثبات حسن نيتهم للأمريكيين ، وبعض رجال أحزاب الأقلية فان أحدا من المثقفين أو السياسيين المصريين الوطنيين لم يكن ينظر الى أمريكا بنظرة محمد حسنين هيكل ، أو نظرة مصطفى أمين فى كتابه (أمريكا الضاحكة) أو نظرة حافظ عفيفى مؤلف (الانجليز فى بلادهم) الذى كتب مقالا فى الأهرام يوم ٢٥ أغسطس ١٩٥١ قال فيه (لا مانع مطلقا من أن نعقد مع بريطانيا ومع غيرها من دول المعسكر الغربى معاهدة تحقق أهدافنا وتضمن لنا ولها معونة عسكرية متبادلة عند الحاجة ٠٠٠ وأرى أن محالفة ثلاثية تحقق هذه الأغراض مع انجلترا وأمريكا وهى خير ما أطمع فى الوصول اليه وأتمناه لبأذى) ٠٠٠ وكن أجره على ذلك تعيينه رئيسا للديوان الملكى .

والضباط أيضا لم يكونوا أقل التزاما بإرادة الشعب من السياسيين الوطنيين قبل الثورة ٠٠٠ ولم يكونوا أكثر اقترابا من أمريكا الا بالقدر الذى تساندتهم به فى الضغط على بريطانيا .

ووضح من زيارة دالاس ان احتمال ضغطه على بريطانيا سراب لا يجوز التعلق به وكن نجيب وجمال عبد الناصر صريحين معه تماما فى عدم الاستجابة لرغبته فى الارتباط بأحلاف غربية خوفا من الشيوعية .

وفى ذلك قال جمال عبد الناصر ، كما روى محمد حسنين هيكل فى كتابه (عبد الناصر والعالم) :

(ان الاتحاد السوفيتى يبعد عنا ٥ آلاف ميل ولم نقم قط مشاكل معه كما أنه لم يهاجمنا أبدا ولم يحتل أرضنا اطلاقا ولم يكن له قط قاعدة

في مصر بينما لا تزال بريطانيا في مصر تمارس احتلالا استعماريا منذ سبعين عاما) .

وزاد موقف أمريكا وضوحا عندما استجابت الى قرار بريطانيا بحظر توريد الأسلحة لمصر وفي ذلك يقول أنطوني ناتج في كتابه (ناصر) معلقا على نتائج زيارة دالاس قائلا :

(ان الانعكاس المريع لحديث الأمريكيين عن مساعدة شعوب الدول النامية لم يكن أكثر من أفيون لتخديرها) .

ولذا فان خطاب ايزنهاور الذي أرسله الى محمد نجيب يؤكد فيه عزم أمريكا على تقديم مساعدات اقتصادية وعسكرية كبيرة الى مصر اذا وصلت الى اتفاق مع بريطانيا كما ذكر ناتج في كتابه ناصر - غير ذي صدى عند أعضاء مجلس القيادة .

والحقيقة أن أمريكا لعبت دور الوسيط في المباحثات . . . حاولت اقناع بريطانيا بجلاء قواتها وحاولت اقناع مصر بالارتباط بحلف دفاعي غربي .

ولكنها وجدت من الضباط اصرارا على عدم التورط في أحلاف دفاعية . ولذا فانه عندما عقد مؤتمر لأقطاب الغرب في جزيرة برمودا بالمحيط الاطلنطي في ديسمبر ٥٣ حضر تشرشل رئيس وزراء بريطانيا وأنطوني ايدن وزير الخارجية وجوزيف لانيل رئيس وزراء فرنسا واجتمعوا هناك بالرئيس ايزنهاور ودالاس وزير الخارجية ، ونوقش موضوع تنسيق جهود الدول الاستعمارية الثلاث ، اتفق رأيهم جميعا على عدم الاستجابة لرأى مصر ، وممالاة بريطانيا في موقفها المتشدد .

أخذت المفاوضات أسلوبها التقليدي في الماطلة . . . وانعكس ذلك على الشعب نقدا لأسلوب العسكريين في معالجة المشكلة بأسلوب السياسيين .

لم يكن الكفاح المسلح في القناة مشتتلا كما كان عام ١٩٥١ بدرجة مقنعة للجماهير ، وبدأت روح المعارضة تتحول من همسات الى مظاهرات قام بها الطلبة ، وعاد مجلس القيادة الى اعتقال عدد كبير من السياسيين وتقديمهم الى محكمة الثورة ، في الوقت الذي حوكم فيه الجواسيس .

وبعد انتهاء المحاكمات وخلالها لم تتوقف حوادث الكفاح المسلح في القناة ، وصرح سلوين لويد وزير خارجية بريطانيا أمام مجلس العموم في يناير ١٩٥٤ بعد تولى ايدن رئاسة الوزارة عقب تخلي تشرشل عن الحكم قائلا (ان من المستحيل الوصول الى اتفاق مع مصر ما دامت هذه الحوادث مستمرة) .

وفى يوم ٢٠ يناير ١٩٥٤ أطلق الانجليز الرصاص على سيارة جيش
مصرية تحمل ١٧ جنديا من سلاح الطيران ، أصيب أربعة منهم وقتل
واحد ٠٠٠ وكان هذا هو أول حادث من نوعه ٠٠٠ صدام بين القوات
المسلحة وبعضها ٠

ورد المصريون على ذلك فورا ، وتصاعد القتال فى المنطقة ٠٠٠ ولكنه
ظل منعزلا عن الجماهير ٠٠٠ بل ظل منعزلا حتى عن ضباط الجيش
أنفسهم ٠٠٠ ولم يتأثر بالخلاف بين محمد نجيب وأعضاء مجلس قيادة
الثورة ٠٠٠

وعندما تخلص مجلس القيادة من محمد نجيب وتولى جمال
عبد الناصر رئاسة الوزارة فى ١٧ ابريل ١٩٥٤ تفرغ لحل مشكلة الجلاء
بعد ان وصلت الأمور الى حد تهديد شعبية مجلس القيادة بعد ان لم
تفلح العمليات العسكرية فى القناة فى تليين عناد البريطانيين ٠

واتخذ جمال عبد الناصر عدة خطوات ايجابية بناء على تقدير موقف
شخصى ٠

قرر من ناحية المبدأ قبول عودة القوات البريطانية الى منطقة القناة
اذا هوجمت تركيا ، وهو أمر كان مرفوضا قبل ذلك من الجانب المصرى
٠٠٠ وقرر أيضا بعد شهر واحد من توليه الوزارة دعوة البريطانيين الى
عودة المباحثات مع وقف النشاط الفدائى بعد ان كان قد وصل الذروة
كما ذكر أنطونى ناتنج ٠

واستؤنفت المباحثات فى يوليو ، بعد أن كان جمال عبد الناصر قد
أعلن فى ١٨ يونيو ان مفاوضات تجرى بين مصر وأندونيسيا ويوغسلافيا
بشان عقد المؤتمر الآسيوى والأفريقى ، وبعد ان أضرب العمال المصريون
فى ٢٣ يونيو عن الذهاب الى معسكرات القناة ، وعقب قولته المعروفة
فى شبين الكوم (على الاستعمار أن يحمل عصاه على كتفه ويرحل) ٠

وفى ٢٥ يونيو انتقلت قيادة القوات البريطانية فى منطقة قناة
السويس الى قبرص ، وأعلنت السفارة بيانا قالت فيه (ان انتقال قيادة
القوات الى قبرص لا يعنى أى تحويل فى موقف بريطانيا من المفاوضات) ٠

تشكل وفد المفاوضات المصرى بعد ابعاد نجيب برئاسة جمال
عبد الناصر وعضوية عبد الحكيم عامر وعبد اللطيف البغدادى
وصلاح سالم ودكتور محمود فوزى ومن الجانب البريطانى السفير
البريطانى سير رالف ستيفنسون وميجر بنسون قائد القوات البريطانية
ومستر رالف مورى الوزير المفوض فى السفارة ، وحضر وزير الحربية
البريطانية أنطونى هيد فى المراحل الأخيرة ٠

لم تستغرق المفاوضات وقتا طويلا . بدأت في ١١ يوليو وانتهت في ٢٧ يوليو ، حيث وقعت الاتفاقية بالأحرف الأولى في دار رئاسة مجلس الوزراء ورفعها عن مصر جمال عبد الناصر وعن بريطانيا مستر أنطواني هيد .

قصر مدة المفاوضات بعد استئنافها ، وسرعة الاتفاق والتوقيع بالأحرف الأولى أمر مثير للتساؤل ، وهو دليل على أن نقاط الخلاف قد سويت قبل الجلسات ، وأن قبول جمال عبد الناصر عودة القوات البريطانية في حالة مهاجمة تركيا ، كان حرصا منه على إنهاء المفاوضات للسيطرة على الموقف الداخلي بعد تصادم الثورة مع كل القوى السياسية عدا الإخوان المسلمين الذين كانوا يتربصون ويتحينون الوقت المناسب لثانقضاى .

تأكد بعد ذلك ان هذه السرعة في توقيع الاتفاق كان نتيجة وساطة أمريكية . كما ذكر لى زكريا محبى الدين استهدفت حل المشكلة بين البريطانيين والمصريين لخلق جو مناسب لربط مصر بسياسة جديدة في المنطقة .

ويبدو أن جمال عبد الناصر كان يتطلع الى جلاء القوات البريطانية باعتباره هدفا رئيسيا ، يدبر بعده من الخطط ما يحمى الاستقلال الوطنى واعتبر ان الاتفاقية لا تزيد عن كونها (حبر على ورق) يستطيع أن يفعل بعد توقيعها ما يشاء عقب جلاء جنود الاحتلال ، وهو لم يعتبر ادراج تركيا بمثابة ارتباط تحالفى مع بريطانيا .

خاطب جمال عبد الناصر الشعب يوم ٢٢ يوليو قائلا (اننا نعيش الآن لحظة مجيدة في تاريخ وطننا ونقف على عتبة مرحلة حاسمة من مراحل كفاح شعبنا ، لقد وضع الهدف الأكبر من أهداف الثورة منذ هذه اللحظة موضع التنفيذ الفعلى) .

ولكن هذا لم يكن رأى فئات كثيرة من الجماهير اعتبرت اتفاقية الجلاء أقل من طموحها وأكثر تراجعا من ارادتها فهي تعنى في مضمونها تحالفا مع البريطانيين قبله الوفد عام ١٩٣٦ ثم رفضه رفضا باتا بعد الشاء المعاهدة .

نصت الاتفاقية على انسحاب القوات البريطانية خلال عشرين شهرا من التوقيع النهائى ، وانتهت معاهدة ١٩٣٦ وكافة ارتباطاتها ، واعتبرت قناة السويس جزءا من مصر تكفل حرية الملاحة فيه اتفاقية الاستئنة في ٢٩ أكتوبر ١٨٨٨ .

ونصت الاتفاقية أيضا على بقاء أجزاء من القاعدة صالحة ومعدة للاستخدام تعود اليها القوات البريطانية اذا ما هوجمت دولة من دول معاهدة الدفاع المشترك لجامعة الدول العربية أو تركيا أيضا ٠٠٠ وفي حالة التهديد بالهجوم يجرى التشاور فورا بين مصر وبريطانيا .

وبين توقيع الاتفاقية بالحروف الأولى وتوقيعها النهائي تبلورت المعارضة للاتفاقية عموما ولجمال عبد الناصر بصفة خاصة ٠٠٠ وظهرت بوادر ذلك في صورة نسف كوبرى أبو سلطان بمنطقة القنال في ٢ أغسطس ١٩٥٤ عن غير طريق ضباط المخابرات المسئولين عن الكفاح المسلح .

ويقول كمال رفعت في كتابه (حرب التحرير الوطنية) ان (أصابع الاتهام أشارت الى الذين لا يريدون جلاء القوات الأجنبية عن بلادنا ٠٠٠ أشارت الى فئة لم تطلق أبدا رصاصة على الانجليز منذ الناء معاهدة ١٩٣٦) .

ويدون كمال رفعت فقرة من تقرير المخابرات البريطانية يقول من الأمور ذات المفزى ان المنطقة الواقعة شمال أبى سلطان مشهورة بأنها قلعة حصينة للاخوان المسلمين ، وترد أنباء عن مسنودعات أسلحة فى تلك المنطقة من مصادر موثوق بها من حين الى آخر .

اذا صح ذلك فان هذا يعنى سرعة تحرك الاخوان المسلمين من جديد ضد جمال عبد الناصر ، راكبين فى ذلك موجة الرفض الشعبى لاتفاقية الجلاء ، منتهزين فرصة الهجوم العام على جمال عبد الناصر وشخصيته التى صورت فى هذه الفترة بمظهر القوة فى معاملة محمد نجيب والزعماء السياسيين والشبوعيين ٠٠٠ وأساء اليها بقبول اتفاقية الجلاء ٠٠٠ وفى ذلك يقول جان لاكوتير فى كتابه (عبد الناصر) (لم يبد البكباشى أكثر انعزالا بنظر الشعب المصرى كما بدا فى اليوم الذى حمل فيه الى الشعب اتفاقية الجلاء) .

وخطب جمال عبد الناصر يوم ٢١ أغسطس مهاجما الاخوان المسلمين مرددا اتصال الهضيبي بمستر ايفانز المستشار الشرقى للسفارة البريطانية وهو ما ورد فى بيان مجلس القيادة عند حل جماعة الاخوان المسلمين فى يناير ١٩٥٤ .

وتم توقيع الاتفاقية يوم ١٩ أكتوبر ١٩٥٤ وقعها عن مصر جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وعبد اللطيف البغدادي وصلاح سالم ومحمود فوزى وعن انجلترا أنطونى ناتنج وزير الدولة البريطانى وسير الف سنتيفنسون وميجر جنرال منسون كبير المفاوضين العسكريين .

بورة يوليو ١٩٥٤ - ٤٠١

ويروى ناتنج في كتابه واقعة طريفة حدثت وقت التوقيع عندما احتفظ ناتنج بقلم جمال عبد الناصر الذي استعاره منه للتوقيع . . . فقال له جمال مداعبا (أظن انكم أخذتم منى في هذه الاتفاقية . . . فهل تسمح بإعادة قلبي) .

وكاد توقيع هذه الاتفاقية يودى بحياة جمال عبد الناصر .
لم يكد يمضى أسبوع واحد على توقيع الاتفاقية حتى اعتدى محمود عبد اللطيف عضو الجهاز السرى لجماعة الاخوان المسلمين على جمال عبد الناصر بإطلاق الرصاص عليه أثناء خطاب له في ميدان المنشية بالاسكندرية . . . وبدأت بعد ذلك حملة اعتقالات واسعة ومحاكمات عنيفة ضد الاخوان المسلمين .

وكانت بريطانيا قد رفعت حظر تصدير السلاح الى مصر في شهر أغسطس بعد ان كانت قد فرضته في عهد وزارة الوفد عام ١٩٥١ عقب اشتعال الكفاح المسلح في القناة .

وكان الهدوء قد عاد الى منطقة القناة في ظاهر . . . ولكن ضباط المخابرات المصريين ظلوا يكلفون بأعمال تتصل بالقاعدة البريطانية والحصول على معلومات عنها .

واسمرت الجلاء عن المعسكرات البريطانية واحدا بعد الآخر حتى تم جلاء البريطانيين عن آخر معقل كانوا يحتلونه في بورسعيد وهو مبنى البحرية الذى تسلمه الجيش المصرى يوم ١٣ يونيو ١٩٥٦ .

يقول فتحى رضوان ان جمال عبد الناصر دخل عليه فى ذلك اليوم وسأله عن موعد حادث دنشواى فقال له فتحى انه حدث يوم ١٣ يونيو ١٩٥٦ أى من نصف قرن بالضبط وأبلغه جمال أن الانجليز قد تم انسحابهم سرا فى هذا اليوم .

واقترح فتحى رضوان أن يخرجوا الى الجماهير ويشاركوها الفرح بالغناء والرقص فى هذا اليوم البهيج .

ولكن جمال عبد الناصر ابتسم فى هدوء قائلا له (روح انت غن وارقص لوحدهك) .

(قال له ذلك كما لو كانت النتيجة التى وصلوا اليها طبيعية .
وليسست نقطة نهاية وانما نقطة بدء) .

وفى ١٨ يونيو ١٩٥٦ ، الذكرى الثالثة لإعلان الجمهورية فى مصر .
رفع جمال عبد الناصر العلم على مبنى البحرية فى بورسعيد . واعتبر هذا التاريخ منذ ذلك الوقت عيد الجلاء .

تحررت مصر والسودان من الوجود الاستعماري قبل أن تمضى أربع سنوات على قيام حركة ٢٣ يوليو .

ويقول جان لاكوتير انه يوم توقيع الاتفاقية كان وجه جمال عبد الناصر يشوبه العبوس وعندما سأله قائلا :

— والآن ؟

رد جمال عبد الناصر قائلا :

— والآن يبقى علينا إعادة بناء بلدنا .

وقال عبد الحكيم عامر عندما سئل عن توقعاته لتعزيز الجيش .

— لن نشتري دبابات ، بل سنشتري جرارات فهي أكثر فائدة لنا .

• خرج الاحتلال البريطاني من مصر بعد ٧٤ عاما .

• دخل بعد ان قهر ثورة قادها عسكريون .

• وخرج بعد أن قهرته ثورة قادها عسكريون أيضا .

الفصل الثانى

مع الحياد ... ضد الأحلاف

(ان انتصار مصر فى معركة الأحلاف
انتصار للهند أيضا)

جواهر لال نهرو
أثناء زيارة القاهرة فى فبراير ١٩٥٥

لم يكن توقيع اتفاقية الجلاء نهاية للصراع مع الاستعمار البريطانى
... ولكنه كان بداية لمرحلة جديدة : حاولت فيها بريطانيا بعد ان عجزت
هى والولايات المتحدة عن اقناع الحكام العسكريين الجدد فى مصر
بالارتباط بحلفها الدفاعى للشرق الأوسط ، أن تضم دولا عربية أخرى
الى هذا الحلف .

كان أقصى ما أمكن فرضه على اتفاقية الجلاء هو النص على عودة
القوات البريطانية الى منطقة القناة فى حالة الاعتداء على تركيا المرتبطة
بحلف الأطلسى الذى تشكل عام ١٩٤٩ وقد قبل جمال عبد الناصر هذا
النص تفاديا لأزمات داخلية ، ومحاولة لتهدة الاستعمار حتى لا يلعب
على التناقضات الداخلية التى كانت قائمة ، الى جانب رغبته فى عقد اتفاق
ينهى قضية جلاء قوات الاحتلال ، ليتفرغ الى مشاكل بناء المجتمع الجديد .

ولكن الشبهة التي أحاطت بالاتفاقية باعتبارها نوعا من التحالف عرضت حياة جمال عبد الناصر للخطر وجعلته يقول لا يدن أثناء زيارته لمصر في فبراير ١٩٥٥ انه تكبد الكثير بسبب هذه الاتفاقية الى حد التعرض لاطلاق النار عليه كما ذكر محمد حسنين هيكل في كتابه (عبد الناصر والعالم) .

في صباح اليوم التالي لاطلاق النار على جمال عبد الناصر ذهب اليه بعض ضباط الجيش في استراحة ستانلي وهي منزل صغير من دور واحد له حديقة خضراء منبسطة تشرف على البحر ، وكان هناك عبد الحكيم عامر يقول للضباط في صراحة بسيطة انه لا يعرف شيئا عما تحققه الثورة وان جمال هو الذى خطط ونفذ وهو الذى يعرف خطوات المستقبل وعندما دخلنا الى جمال عبد الناصر في غرفة جلوس صغيرة كان وجهه شاحبا فلم يكن قد نام الا قليلا واستيقظ مبكرا لمقابلة الزائرين وقال وعيناه تلمع (الاخوان المسلمين عاملين وطنيين . . . كانوا في معركة القناة) . . . ثم استطرد يشرح للعدد القليل من الضباط الحاضرين مفهومه لاتفاقية الجلاء ، واستبعاده الكامل لحدوث معركة تسمح للقوات البريطانية بالعودة .

كان تنفيذ الاتفاقية يمضي في طريقه المرسوم بلا تعقيدات من الجانبين . . . القوات البريطانية تواصل انسحابها من المعسكرات واحدا بعد الآخر . . . والحكومة البريطانية رفعت الحظر عن توريد السلاح الى مصر في أغسطس ١٩٥٤ .

والحكومة الأمريكية ايضا قدمت لمصر ٤٠ مليون دولار كمساعدة في شهر نوفمبر ١٩٥٤ . . . أى بعد شهر واحد من توقيع الاتفاقية . . . وكان قد حضر الى مصر ضابطان أمريكيان موفدان من البنتاجون لتزويد مصر بالسلاح الذى تحتاجه للأمن الداخلى . . . وقد بذل هذان الضابطان جهدهما لاقتناع جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر بأن العدو الحقيقى للعرب هو الشيوعية العالمية وان هذا كاف لتحريك حوافز العرب لعقد تحالف يدفع خطر الغزو السوفييتى . . . وأجاب عبد الناصر على ذلك بالتفريق بين خطر التغلغل الشيوعى الذى هو مسألة أمن لكل بلد على انفراد وبين خطر الغزو العسكرى السوفييتى الذى لا تشعر به مصر التى تواجه عدوين هما بريطانيا واسرائيل .

وقد دهش مندوبو البنتاجون لموقف جمال عبد الناصر . . . وردا على احتمال تشكيل عبد الناصر لجبهة من العرب ترفض الارتباط بأحلاف الغرب العسكرية بقولهما (لقد تأخر كثيرا فلقد كسبنا لجانبنا كلا من

العراق ولبنان والأردن وتركيا وإيران والباكستان كما ذكر مايلز كوبلند في كتابه « لعبة الأمم » .

ومع ذلك لم تفقد الحكومة الأمريكية الأمل في ربط مصر بحلف دفاعي يبقى قناة السويس قاعدة صالحة ولذا أعلنت عن تقديم مساعدة الأربعين مليوناً لمصر في نوفمبر ١٩٥٤ ، وأعطت تسهيلات بعشرين مليون دولار كمساعدة عسكرية لشراء معدات حربية .

وبدأت وزارة الحربية المصرية تعد قوائم بالأسلحة المطلوبة وتراجعها وتعد لها في مراسلات متبادلة مع المسئولين في وزارة الدفاع الأمريكية ولكن ظلت المشكلة معلقة عدة شهور باعتبارها (تحت الدراسة) ولكن الواقع انه كانت هناك خشية من استخدام جمال عبد الناصر لهذه الأسلحة ضد إسرائيل .

وعلى قدر ما طالت مفاوضات التسليح ، على قدر ما انتهت في سرعة عملية تقديم ٣ مليون دولار منحة شخصية من المخابرات المركزية الى رئيس الدولة وهي قصة أثارت اهتمام الكثيرين لما أحاط بها من جدل .

بدأت القصة باقتراح من عميل المخابرات المركزية الأمريكية مايلز كوبلند والتي كشف أسرارها في كتابه (لعبة الأمم) عندما قال انه لولا نشره لها لظلت خمسة آلاف عام تحير الباب علماء الآثار كما تحيرها أهرامات مصر ذلك انها انتهت الى بناء برج القاهرة في الجزيرة المواجهة للنيل والمطل على أفخم فنادق العاصمة وأكبر نواديها .

يحدد مايلز كوبلند تاريخ اعطاء المبلغ لضابط المخابرات حسن التهامي الذي أخذه وأحصاه في منزله بالمعادي ووجده ناقصاً عشرة دولارات في شهر نوفمبر ١٩٥٤ أي نفس الشهر الذي حصلت فيه مصر على الأربعين مليوناً كمعونة اقتصادية .

وينفي هذا التحديد ما نشره محمد حسنين هيكل في كتابه (عبد الناصر والعالم) من القول بأن هذا المبلغ قد سلم الى اللواء محمد نجيب (وان جمال عبد الناصر عندما علم بذلك استشاط غضباً وطلب تفسيراً من محمد نجيب الذي كان آنذاك رئيساً للوزراء وأصر نجيب على انه فهم انه ليس للمخابرات الأمريكية علاقة بذلك المبلغ وانه مرسل من الرئيس أيزنهاور الذي خصص اعتمادات مالية لبعض رؤساء الدول ليتمكنوا من تجاوز مخصصاتهم المفيدة بالميزانية من أجل الدفاع عن أنفسهم وعن بلادهم ضد الشيوعية) وهذا طلب عبد الناصر على حد قول هيكل - ايداع المال في خزانة ادارة المخابرات وأمر بعدم صرف أى شيء الا باذن مجلس قيادة الثورة .

ينفى تحديد تاريخ تسليم المبلغ ذلك لسبب بسيط هو أن محمد نجيب لم يكن رئيسا للوزراء في هذه الفترة بل كان رئيسا للجمهورية بلا عجل حتى ١٤ نوفمبر ثم معتقلا في المرج بعد ذلك وكان حسن ابراهيم وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية يحضر كافة مقابلاته ويراقب كل تصرفاته ... مما يبعد تماما فكرة عدم معرفة جمال عبد الناصر بوقوع مثل هذا الحادث .

هذا من ناحية ... ومن ناحية أخرى فإن الأمريكيين ما كانوا ليعطوا مثل هذا المبلغ لمحمد نجيب وهو رجل معزول عن الحياة العامة تدفقت عليه الهجمات عقب اطلاق الرصاص على جمال عبد الناصر وربطت بينه وبين الاخوان المسلمين وكان على وشك أن يحاكم معهم .

هذا اذا أردنا استبعاد رأى مايلز كوبلند كما ورد في كتابه .

وعندما قرأ محمد نجيب ما نشره هيكل في كتابه رفع عليه قضية أمام محكمة الجيزة واضطر هيكل للاعتذار على صفحات الاهرام . وأثبت محمد نجيب أمام المحكمة قوله بأن الواقعة موضوع الادعاء غير صحيحة على الاطلاق ... وصمت هيكل مؤثرا الانسحاب من خطأ أساء به الى سمعة الرجل .

ومثل هذه المبالغ كانت تدفع عادة لبعض رؤساء الدول ... البعض تقبلها في سكون ، والبعض يرفضها في صخب كما فعل رئيس وزراء سنغافورة عندما أعلن انها محاولة لرشوته ، والبعض لا يأخذها لنفسه وانما يستخدمها لخدمة مجتمعه كما فعل جمال عبد الناصر عندما شيد بها برج القاهرة ليكون مركزا للاتصالات اللاسلكية السرية مع سفارات مصر في الخارج .

هكذا كان موقف حكومة الولايات المتحدة مع جمال عبد الناصر بعد توقيع اتفاقية الجلاء ... أمل في ربطه بالأحلاف العسكرية ، وحوار متصل حول ذلك ، واغراء بالمساعدات المالية وتقديم تسهيلات شكلية للتسليح وتوطيد للعلاقات الشخصية معه ببعض العناصر الأمريكية القادرة على اجتذاب عاطفته .

وفي هذا السبيل استبدلت الحكومة الأمريكية جيفرسون كافري بهنرى بايرود الذى قدم أوراق اعتماده في ٨ مارس ١٩٥٥ وكان قبل ذلك زكيلا لوزارة الخارجية درس حضارة مصر القديمة وهو ضابط سابق برتبة عبيد ، عمره ٣٩ عاما يستطيع أن يكون أكثر تفهما لزملائه من الضباط المصريين الذين يجمعهم عمر واحد ومهنة واحدة .

ولكن كل هذه الظروف لم تضعف من اصرار جمال عبد الناصر وأعضاء مجلس الثورة على اتخاذ موقف الحياد ومعاداة الأحلاف العسكرية .

الرصاصات التي أطلقت على جمال عبد الناصر في ميدان المنصية رغم انها عمل من أعمال الارهاب الممقوت والمدان ، الا انها كانت صوتا من أصوات الاحتجاج على شبهة التحالف التي وودت في اتفاقية الجلاء ولذا لم يكن جمال عبد الناصر مستعدا للتورط في تحالفات عسكرية .

ليس هذا فقط . . . بل ان جمال عبد الناصر بدأ معركة ضد الدول العربية التي أخذت تنجذب الى مغناطيس الأحلاف الغربية وكان هذا جديدا في السياسة المصرية . . . فمصر قبل الثورة كانت ترفض الأحلاف ولكنها لا تهاجم الدول العربية التي تروج الدعاية لها .

بل ان موضوع الأحلاف كان مجالا لوجهات نظر مختلفة داخل مصر . . . اسماعيل صدقي وقع بالأحرف الأولى مع اتورين بيفان وزير خارجية بريطانيا على مشروع معاهدة تقضى بالتحالف مع بريطانيا ، وكان يصحبه في المفاوضات وزير خارجيته ابراهيم عبد الهادي رئيس الحزب السعدي فيما بعد ، وروج مصطفى أمين لذلك بمقال كتبه في آخر ساعة تحت عنوان (أوقعها والعنفا) .

ومحمود فهمي النقراشي خطب في واشنطن مهاجما الشيوعية والنظام السوفيتي متحدثا عن وجوب ثقة الغرب في مصر الديمقراطية وكرهيتها للشيوعية ، موافقا على مبدأ الأمن الجماعي وهو شعار الأحلاف العسكرية الذي رفعه الاستعمار وقتها .

وعبد الرحمن عزام أمين الجامعة العربية صرح في شهر يناير ١٩٥٢ بأنه على استعداد للتحالف مع أمريكا .

أما الوفد فقد أعلن رأيه صراحة في رفض استمرار التحالف ، واقترح مصطفى النحاس أثناء مفاوضاته مع المارشال سليم ان تنتقل القوات البريطانية عند القناة الى فلسطين بما يمكنها في حالة الحرب من العودة خلال اسبوع .

كان الوفد يطلب الجلاء أولا ثم النظر في موضوع التحالف بعد ذلك . . . أما الاستعمار فكان يصر على توقيع التحالف أولا قبل اتمام الجلاء . . . ولذا الغيت المعاهدة وبدأ الكفاح المسلح (أما الأحزاب التقدمية فقد اتخذت موقف الرفض والمعارضة لفكرة الأحلاف العسكرية) .

وتغير الموقف بعد حركة ٢٣ يوليو . . . اذ أخذت القيادة العسكرية

ليس على رفض التحالف فقط ، بل على مقاومة الأحلاف التي ترتبط بها الدول العربية مع الاستعمار .

ودخلت الثورة بذلك معركة ضارية ضد الأحلاف العسكرية .

لم تستجب لأغراء ايزنهاور بامداد مصر بما تحتاجه من أسلحة اذا ارتبطت بحلف دفاعي مع الغرب كان هذا الاغراء أقل تأثيرا على العسكريين منه على المدنيين الذين ارتفعت بعض أصواتهم تطلب التحالف ، مثل على ماهر الذي صرح في جريدة الأخبار يوم ٢٥ مارس ١٩٥٤ بان اشتداد الأزيمة بين محمد نجيب وأعضاء المجلس بقوله (ان مصر لا تستطيع الوقوف موقف الحياد ويجب ان تنضم للغرب) وكأنما يناجي بكلماته قادة الغرب ليمدوا له ولأمثاله يد المساعدة ، أو لينظروا له بعين العطف من جديد .

ولم تتحول نظرة العسكريين عن موقفهم المبدئي في رفض الأحلاف ولو تدفق السلاح وكانت حكومة الولايات المتحدة قد عقدت اتفاقيات امداد بالسلاح لكل من العراق وباكستان عام ١٩٥٤ كمقدمة لحلف بغداد .

كما تشكل حلف جنوب شرق آسيا في مانايلا عاصمة الفلبين في ٨ سبتمبر ١٩٥٤ وبدأ عمله في ١٩ فبراير ١٩٥٥ بالدول الآسيوية باكستان والفلبين وتايلند وبعض الدول البعيدة عن المنطقة المرتبطة بحلف الأطلسي وهي أمريكا وانجلترا وفرنسا .

ولكن كل ذلك لم يضعف من مقاومة مصر بل زادها اشتعالا وجعلها طليعة الدول العربية في هذا المضمار .

وعندما قام ايدن بزيارته الوحيدة لمصر في ٢٦ فبراير ١٩٥٥ لم تترك الزيارة أثرا في موقف جمال عبد الناصر الذي شرح له موقفه كما سبق ان شرحه لدالاس وعندما تساءل ايدن عن سر الهجوم على أفراد الأسرة الهاشمية ونوري السعيد في العراق لرغبتهم في الانضمام لحلف بغداد قال له جمال عبد الناصر انه لا يهاجم هؤلاء الناس شخصا ولكنه يعتقد أن فكرة حلف بغداد تؤدي الى تجزئة العالم العربي ، وانقسامه والى عزل مصر .

ويقول ناتنج في كتابه (ناصر) ان زيارة ايدن ومناقشاته قد غيرت من الجو النفسي الذي حرص ناتنج على تحقيقه بعد توقيع اتفاقية الجلاء آملا في تعاون مثمر بين الدولتين في المستقبل .

وكان مجلس قيادة الثورة قد أوفد صلاح سالم الى العراق في

صيف ١٩٥٤ بعد توقيع اتفاقية الجلاء بالحروف الأولى للتعريف على حقيقة
أخبار اقتراب العراق من الأحلاف العسكرية .

وكان الهدف من الزيارة إعادة الحرازة الى العلاقات الباردة بين مصر
والعراق ومحاولة كسب ثقة نوري السعيد الذي انتهى مشروعه القديم
(الهلال الخصيب) الذي يضم العراق وشرق الأردن وسوريا في دولة
بواحدة بعد تكوين الجامعة العربية في الأربعينيات .

ذهب صلاح صالح الى سرسك مصيف الأسرة المالكة في شمال
العراق ، وكان جو اللقاء مرحا ، أصر فيه نوري السعيد على مصاحبة
صلاح سالم الى عرس كودي قبل أى مباحثات رسمية .

وفي المباحثات حرص صلاح سالم على كبت عواطفه المتفجرة
والتحدث بهدوء شديد عن أمل مصر وتطلعها في الا يرتبط العراق بأى
حلف أجنبى حتى تجلو القوات البريطانية تماما عن مصر وتجلو كافة
القوات الأجنبية عن بقية البلاد العربية ، وذلك حتى لا ينفذ الاستعمار
الى صفوف الدول العربية فيمزق وحدتها .

ولما أشار نوري السعيد الى أن الشيوعية تهدد العراق وأنه يحتاج
إلى مساعدة لمقاومة هذا التهديد ، قال له صلاح سالم ان الارتباط بأحلاف
أجنبية هو الذى يدفع العناصر الوطنية الى اعتناق الشيوعية .

ولما كان نور السعيد لم يحدد بعد موقفا نهائيا في مقترحات بريطانيا
للارتباط بحلف معها فإنه بعد ان أبدى لصلاح سالم تخوفاته من موقع
العراق الجغرافي وقربه من الاتحاد السوفييتي ارجأ معه دراسة الموضوع
... ولكنه وهو السياسى العتيق خدع صلاح سالم فى كلمات البيان
المشترك الذى صدر بعد الزيارة .

كما ان صلاح سالم أجاب فى مؤتمر صحفى أثناء الزيارة ردا على
سؤال خبيث عن موقف مصر من رغبة الوحدة في بعض الدول العربية
بقوله انه اذا كان هناك شعبان أو أكثر يريدان الوحدة فإن مصر لا تمنع
فى ذلك ... وقد ترجم هذا الرد على انه موافقة على مشروع الهلال
الخصيب الذى تنطوى فيه سوريا تحت جناح العراق .

وقد كان لهذه الرحلة تأثير شديد على جمال عبد الناصر ، لعدم
موافقته على آراء صلاح سالم ، فأبلغ السفير العراقى ان ما ورد فى البيان
خاصا باستشارة مصر والعراق لبريطانيا والولايات المتحدة من أجل
تقوية الجامعة العربية هو أمر يتنافى مع استقلال الدولتين .

. وأسرع نوري السعيد الى القاهرة ليجابه جمال عبد الناصر بقوله :
انه لا يستطيع الاعتماد على الدول العربية وحدها للدفاع عن العراق .
وانه يعتبر ميثاق الضمان الجماعي العربي حبرا على ورق وانه يعتقد
ان بريطانيا وحدها هي التي تستطيع أن تساعد في ذلك .

وكان نوري السعيد قد زار مصر قبل ذلك عام ١٩٥٣ والتقى بمحمد
نجيب وجمال عبد الناصر وأعضاء مجلس الثورة ، وحمل معه مشروعا
يقضى باتحاد الدول العربية المتقاربة على هذا الأساس (السودان ومصر
وليبيا) ثم (العراق وسوريا والأردن) ثم (تونس والجزائر والمغرب) .
وأخيرا (السعودية واليمن والخليج) . ولكن نوري السعيد لم يجد
صدرا مفتوحا لمناقشة مشروعه فقد قال له محمد نجيب انه لا يريد أن
يقفز لتحقيق مشروعات تبدو خيالية قبل أن يتم الجلاء عن مصر .

. وحاول أن يفتح نوري السعيد ملف هذا الموضوع مرة ثانية ، ولكن
جمال عبد الناصر أبلغه انه لا يمكن التفكير في وحدة الدول العربية مع
بعضها الا اذا تحررت تماما من الاستعمار وجلت عنها قوات الاحتلال .

ووضح تماما ان هناك تصادما لابد وأن يحدث بين القاهرة وبغداد
... اذاعة صوت العرب تدعو كافة المواطنين العرب الى اتباع نموذج
القاهرة والتحرر من القوات الأجنبية كما فعلت مصر بعد عامين فقط من
ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٠ وعواطف الجماهير على امتداد الوطن العربي تلتهم
مع هذه الاذاعات المثيرة ...

. واتبع نوري السعيد أسلوبا جديدا في مقاومة هذا الهجوم الاعلامي
عندما أعلن وزير خارجيته موسى شهبندر ، في مؤتمر صحفي أثناء اجتماع
لوزراء الخارجية العرب في القاهرة بأن العراق لن ينضم لحلف مع تركيا
والباكستان وانما سيستبدل ذلك بعقد اتفاقية مع بريطانيا تشابه اتفاقية
مصر معها على أن يسمح بعودة القوات البريطانية الى العراق اذا هوجمت
إيران أو تعرضت لخطر الغزو .

وأكد نوري السعيد أقوال وزير خارجيته أمام البرلمان العراقي يوم
أول يناير ٥٥ ولكن محاولته لوقف الهجوم على العراق لم تستمر فقد
هبط بغداد بعد خمسة أيام فقط من خطبته عدنان مندريس رئيس وزراء
تركيا مع وفد كبير ، أمضى أسبوعا في العراق وانتهى الأمر الى صدور
بيان يوم ١٢ يناير ١٩٥٥ يفيد بأن اتفاقا قد تم بين الدولتين على توقيع
حلف دفاعي مشترك في أقرب وقت ممكن ، وانهما يتطلعان الى انضمام
الدول الأخرى التي تفكر بمثل أسلوبهما) .

وكان هذا الاعلان صدمة حقيقية لجمال عبد الناصر ، اذ تأكد ارتباط العراق بحلف الاطلنطي عن طريق تركيا التي كانت اول دولة من دول الشرق الأوسط ترتبط بهذا الحلف ... ليس هذا فقط بل ان الدولتين تسعيان لضم دول عربية أخرى .

وانقضت معركة الأحلاف الى رحلة جديدة ... شددت فيها مصر الهجوم على الأحلاف اعلاميا وسياسيا .

ودعت القاهرة وزراء خارجية العراق وسوريا ولبنان والسعودية والأردن واليمن وليبيا للاجتماع يوم ٢٢ يناير ١٩٥٥ لمحاصرة نوري السعيد الذي حاول اغراء العرب بأن تركيا سوف تساعدهم ضد اسرائيل بناء على تصريحات أدلى بها عدنان مندريس .

ولكن الاجتماع لم يحقق الغرض المطلوب ... فارس الخوري وزير خارجية سوريا كان يمايئ العراق ولا يتخذ موقف المعارضة وسامى الصلح كان متجاوبا مع سياسة كميل شمعون رئيس جمهورية لبنان المعروف بتبعيته للغرب والذي زاره عدنان مندريس في طريق عودته من العراق وتوفيق أبو الهدي كان يتحرك في حدود سياسة الأسرة الهاشمية التي تحكم البلدين . والخضوع لنفوذ جلوب باشا .

وبدا الأمر كما قاله مندوبا البنتاجون عقب مقابليهما لجمال عبد الناصر من أن الولايات المتحدة قد كسبت الى جانبيها كلا من العراق ولبنان . والأردن .

وقال فاضل الجمالي وزير خارجية العراق صراحة انه طالما ان العراق لا يريد التعاون مع الشيوعية فان الغرب لن يمدهم بالسلاح - لزوجة عيونهم - انما لوصولهم معه الى اتفاق ، ودعا وزراء خارجية الدول المجتمعين الى التفاهم مع الغرب .

ولكن جمال عبد الناصر لم يتردد أمام هذه المواقف غير المشجعة .. بل زاد حملة دعائية ضد الأحلاف وضد نوري السعيد وشمعون وفارس الخوري باعتبارهم عملاء للغرب .

واستقبل جمال عبد الناصر في القاهرة خلال شهر فبراير ١٩٥٥ ثلاثة من كبار السياسيين في العالم ، تتنافر أفكارهم في موضوع الأحلاف العسكرية ... انطوني ايدن رئيس وزراء بريطانيا والذي حاول عبثا خلال لقاء بارد مع جمال عبد الناصر ان يوقف حملات الدعاية ضد نوري السعيد والأسرة الهاشمية ... وتم أيضا اللقاء الأول بين تيتو وجمال على اليخت غالب في قناة السويس أثناء عودة تيتو من الهند ، وكان هذا أول لقاء

بين جمال عبد الناصر وزعيم شيوعي ، أصبح فيما بعد صديقا شخصيا له ٠٠٠ وزار القاهرة للمرة الثانية بعد الثورة تهرؤ الذي كان يستعد لحشد الدول الافروآسيوية لحضور مؤتمر باندونج والذي أمضى معظم وقته مع القادة العسكريين لمصر في زيارته السابقة يحدثهم عن الديمقراطية والتخطيط والحياد الايجابي ، والذي سبق له ان خطب في نقابة الصحفيين المصريين يوم ٢٠ مايو ١٩٥٣ قائلا انه (لا يرى ضرورة لقيام أحلاف عسكرية) والذي قال في زيارته هذه عقب لقائه الثاني مع عبد الناصر (ان انتصار مصر في معركة الأحلاف انتصار للهند أيضا) .

وكانت بداية احتكاك جمال عبد الناصر بهؤلاء الزعماء العالمين الذين تمرسوا على السياسة خلال نضال طويل وفي مواقع بعيدة بأساليب مختلفة فرصة فريدة له للتعرف على أحوال العالم السياسية من القائمين بأدوار رئيسية فيها ومشجعا له على اتخاذ موقف أكثر صلابة في مواجهة دعاة الأحلاف العرب ٠٠٠ كما كانت هذه اللقاءات تمهيدا لاطلاق طاقات جمال عبد الناصر في ميدان السياسة الخارجية ، بعد ان كانت كل أفكاره مركزة على الموقف الداخلي وحده حتى ذلك الوقت .

زاد جمال عبد الناصر بعد هذه الاجتماعات اصرارا على خوض المعركة ضد الأحلاف بكل ما يملكه من وسائل .

ولكن العراق لم يتراجع عن انزلاقه للارتباط بالأحلاف فوق مع تركيا وثيقة جلب عراقى تركى مشترك كانت هى خيمة حلف بغداد الذى انضمت اليه بريطانيا بعد مؤتمر باندونج فى شهر ابريل ١٩٥٥ ومعها إيران وباكستان بعد ان أنهت معاهدتها المعقودة مع العراق عام ١٩٣٠ .

وهكذا ارتبطت أول دولة عربية بأحلاف الغرب العسكرية .

واستمرت المعركة قائمة ٠٠٠ بل زادت شدة وقد حدث تغير فى سوريا وخرج فارس الخورى من الوزارة وعين بدلا منه خالد العظم وزير للخارجية فى وزارة يرأسها صبرى العسلى فسافر صلاح سالم الى دمشق فى مارس ١٩٥٥ حيث وقع ميثاقا للتعاون العسكرى والسياسى والاجتماعى مع سوريا وهتف الزعيم شوكت شقير رئيس الأركان العامة للجيش السوري بحياة الجيش العربى الموحد .

وانتقل صلاح سالم مع خالد العظم وزير خارجية سوريا ووزير الدفاع بالنيابة الى الأردن ثم السعودية لعرض نتيجة الاتفاق المشترك بين مصر وسوريا والذي نص على الآتى :

أولاً : عدم الانضمام الى الحلف التركي العراقي .

ثانياً : اقامة منظمة دفاع وتعاون اقتصادى عربى مشترك .

ثالثاً : انشاء قيادة مشتركة دائمة لها مقر رئيسى وتشرف على تدريب القوات العسكرية تضعها كل دولة تحت تصرف تلك الدول .

رابعاً : الاتصال بالحكومات العربية لعقد مؤتمر من الدول المدافعة .

وقد صلبر بيان سعودى سورى مصرى وقعه الأمير فيصل رئيس مجلس الوزراء السعودى وخالد العظم وصالح سالم يفيد بأن الملك سعود يوافق موافقة كاملة على ما ورد فى البيان المصرى السورى ويتطلع الى عقد مؤتمر .

وكانت السعودية فى نزاع شديد مع بريطانيا حول أحقيتها فى واحة البورى التى كانت تحت السيطرة البريطانية .

ولم تترك الدول العربية العراق ينضم الى تركيا دون محاولة لإرجاعه فقد سافر خالد العظم الى العراق يوم ١٤ مارس ولكن فاضل الجمالى صرح بأن العراق لن يرجع عن تحالفه مع تركيا ، وقال الملك سعود (العراق اخوتنا وأبنائنا والعراق يستطيع الانضمام للميثاق الجديد لينبذ حلفه مع تركيا) ولكن موقف العراق لم يتغير . بل ان حكومته منحت محمود أبو الفتح رئيس تحرير المصرى الذى أغلقته الثورة يوم ١٠ مارس الجنسية العراقية واعطته جواز سفر عراقى .

وانضمت اليمن بعد أيام الى الميثاق الجديد بلا تحفظ وأعلن الامام أحمد انه مع الدول الثلاث مصر والسعودية وسوريا .

وحاولت تركيا أن تهدد سوريا وتضغط عليها وأغلقت الحدود بين البلدين ، فترة زاد فيها التوتر . وأيد الاتحاد السوفيتى سوريا معتبرا ان تصرفات تركيا موجهة ضده .

وخلال هذه الفترة كان جمال عبد الناصر يستعد للسفر الى باندونج لحضور مؤتمر الدول الآسيوية والافريقية الذى نبتت فكرة عقده فى مؤتمر كولومبو عاصمة سيلان فى مايو ١٩٥٤ والذى حضره ممثلو خمس دول هى الهند وباكستان وسيلان واندونيسيا وبورما .

تقرر عقد المؤتمر بدعوة من أندونيسيا فى مدينة باندونج عاصمة جاوا الغربية وهى مدينة مشهورة بجمال طبيعتها وتبعد عن العاصمة جاكرتا ١٢٠ ميلا .

ودعيت الى المؤتمر الدول المعترف دوليا باستقلالها في القارتين
الكبيرتين مما أسبغ عليه صفة رسمية ٠٠٠ وتقرر دعوة الصين الشعبية
وعلم توجيه الدعوة الى فورموزا ، واستبعدت كوريا الشمالية والجنوبية
معا للخلاف المستحكم بينهما ، كما استبعد اسرائيل أيضا لعدم قبول
الدول العربية حضور المؤتمر اذا دعيت اليه ، كما استبعدت دولة اتحاد
جنوب أفريقيا لعنصريتها وعدائها للشعب الأفريقي الاصيل .

حاولت الدول الاستعمارية مقاومة عقد هذا المؤتمر وشنت الصحافة
الغربية عليه موجات من النقد الشديد وحاولت منع الدول الخاضعة لها
من الذهاب ، ولكن تيار المد التحرري في هذه الفترة كان جارفا ٠٠٠
وكانت الدول حديثة الاستقلال تسعى الى التعاون والترابط وهي تخرج
من قيود الاحتلال الى عالم جديد .

وقد حاولت قوى كثيرة تعطيل سفر جمال عبد الناصر ومنعه من
الظهور في هذا المؤتمر وكتب محمد حسنين هيكل قائلا : أنه غير متحمس
للذهاب الى باندونج .

ولكن جمال عبد الناصر كان قد اشتعل حماسا بمقابلات نهرو وتيتو
وفتح عينيه على ميدان جديد كانت طبيعته تعشقه ، ولم يتردد لحظة
في الذهاب على رأس وفد مشكل من صلاح سالم وزير الارشاد ومحمود
فوزي وزير الخارجية وقائد الجناح على صبرى الذى عين مديرا لمكتبه
جمال عبد الناصر والشيخ أحمد حسن الباقورى وزير الأوقاف .

الدول التي حضرت المؤتمر ٢٩ دولة تمثل أكثر من نصف سكان
العالم ومن الدول العربية تسع هي مصر وسوريا ولبنان والسودان
والعراق والأردن والسعودية وليبيا واليمن .

غادر جمال عبد الناصر مصر يوم ٨ ابريل وزار باكستان في طريقه
الى الهند التي أمضى بها عدة أيام رافقه فيها نهرو واتاح له فرصة
الخطابة في جمع حاشد يبلغ نصف مليون والقى خطابا أيضا أمام برلمان
الهند ٠٠٠ وكان جمال عبد الناصر هو وصلاح سالم يرتديان حلتهمما
العسكرية ، فكانا الوحيدين بين قادة الدول من العسكريين .

لم تكن موجة الانقلابات العسكرية قد اجتاحت بعد الدول النامية
الحديثة الاستقلال ٠٠٠ حتى سوريا التي عرفت الانقلابات العسكرية عام
١٩٤٩ بانقلاب حسنى الزعيم كان يرأس جمهوريتها في ذلك الوقت مدنى
هو هاشم الأتاسى بعد أربعة انقلابات متتالية وأحد عشر تغييرا وزاريا .

وكانت هذه هي رحلة جمال عبد الناصر الأولى خارج مصر ٠٠٠ ظهر فيها كنجم بارز يمثل دولة ذات حضارة عريقة ولها دور قيادي في الدول العربية التي كانت تشكل ثلث أعضاء المؤتمر تقريباً ٠٠٠ وقد احاطه نهرو وسوكارنو وشوان لاي واونو رئيس وزراء بورما بكل تقدير ٠

يقول جان لاكوتير في كتابه (عبد الناصر) أثناء المؤتمر كان استقبال الجماهير لعبد الناصر - بفضل ترتيبات سوكارنو أشد حماسة من استقبالات القاهرة والاسكندرية ، كان ظهوره على منصة الخطابة أو في الأروقة أو الشوارع يقابل بمظاهرات حارة جداً فهو وشوان لاي كانا رجل الساعة ، مع العلم أنه عند وصوله كما يستبد به القلق والخوف من ايثار العراقيين والأتراك عليه) ٠

كانت الرحلة الأولى لجمال عبد الناصر خارج مصر رحلة غير عادية ٠٠٠ وطريقة استقباله فيها كانت كفيلة بالتأثير العميق على شخصيته وأفكاره ورؤيته الشاملة للعالم ٠

التناقضات التي كانت قائمة بينه وبين العراق لم تجد فرصة للظهور ، فقد نجح جمال عبد الناصر في الحصول على قرار من المؤتمر يقول انه (بالنظر الى التوتر القائم في الشرق الأوسط بسبب الموقف في فلسطين وخطر ذلك التوتر على السلم العالمي يؤيد المؤتمر حقوق شعب فلسطين العربي ويدعو الى تطبيق قرارات الأمم المتحدة وتحقيق التسوية السلمية لمشكلة فلسطين) ٠

وكان ذلك انتصاراً للحق العربي ، ودافعاً لظهور الدول العربية بمظهر التضامن ، في وقت لم تتوقف فيه اسرائيل عن مهاجمة قطاع غزة منذ غارتها الكبيرة يوم ٢٨ فبراير ١٩٥٥ حتى أيام انعقاد المؤتمر ٠

اعاد مؤتمر بانكوك ثقة الدول المتحررة بنفسها ، ودعم سياسة الحياذ بين المعسكرين في وقت كان يعتبر فيه دالاس كلمة (عدم الانحياز) كلمة قدرة كما قال حسنين هيكل في كتابه (عبد الناصر والعالم) ٠

كانت أيام انعقاد المؤتمر من ١٨ الى ٢٤ ابريل ١٩٥٥ من أهم أيام التاريخ اذ حدث تحول عميق في سياسة كثير من الدول ومنها مصر ٠

وينعكس ذلك على ما يروي مايلز كوبلند في كتابه (لعبة الأمم) في باب (ناصر واتحاد المحايدين الايجابيين) اذ يقول ان الروس قد غيروا وجهة نظرهم تجاه ناصر عندما وجدوا احتمال أن يصبح عاملاً رئيسياً في الحرب ضد الامبريالية الغربية عدوهم اللدود في الدول الافريقية والاسيوية ٠٠٠ بينما أبدى الأمريكيون عليه تحفظات عديدة ٠

ثورة يوليو ج ١ - ٢١٧

وكان غريباً أن تصدر جريدة (الأخبار) الموالية للأمريكيين خلال بعض أيام المؤتمر بمانشيتات مثيرة لعلامات الاستفهام .

يوم وصول جمال عبد الناصر الى باندونج يوم ١٨ ابريل صدرت الأخبار بمانشيت أحمر رئيسي يقول (سيده بسلا رأس في قطار الاسكندرية) .

وفي اليوم الذي كان جمال عبد الناصر يخطب فيه في برلمان الهند كان المانشيت الرئيسي الأحمر لنفس الجريدة (براءة ٦ متهمين في قضية قتل شبرا) ومانشيتات فرعية بنفس المقياس تقول (عبد الناصر خطب في البرلمان الهندي) وتقول أيضا (براءة زوج فاطمة أخت القتل ورجوات زوجة ابنه) .

ومحمد حسنين هيكل رئيس تحرير آخر ساعة ومندوب الأخبار في ذلك الوقت كتب أثناء انعقاد المؤتمر تحقيقاً في الأخبار يوم ٢٥ مارس ١٩٥٥ بعنوان (تعال معي الى باندونج) يسخر فيه من اندونيسيا ويقول (ان باندونج التي فيها هذا المؤتمر ليست بلدة اندونيسية . . . هي قطعة من هولندا نسيها الاستعمار على أرض جزيرة جاوة عندما جمع حقايبه ورحل عن اندونيسيا) . ويحاول ان يصور اندونيسيا وكأنها تخدع الزائرين بقوله (في كل مكان ذهبت اليه لمحت آثار الطلاء على الأرض) ويقول أيضا بعد حديثه عن إحدى المدارس (مطلوب من كل زائر ان يفهم مدارس اندونيسيا هكذا) ثم يقول (بائعات الهوى يزيفن بطاقات على انهن طالبات في الجامعة) .

لا كلمة واحدة عن المؤتمر

بل ان محمد حسنين هيكل يكتب أيضا في تحقيق ثان يوم ٢٧ مارس ١٩٥٥ (وليس يغنييني ماذا قرر المؤتمر ولا كيف كان اتجاه المناقشات فيه تلك كلها مسائل ثانوية) .

هكذا أسفرت بعض الصحف المصرية عن موقفها من مشاركة جمال عبد الناصر في هذا المؤتمر الذي غير مسار التاريخ بما اتخذته من قرارات اعتبرت دستورا للعلاقات بين الدول ، وكانت تطبيقاً لمبادئ التعايش السلمي ، الذي احتل مكاناً رئيسياً من أعمال المؤتمر ، ورأس جمال عبد الناصر لجنته .

نصت قرارات المؤتمر على رفض الاحلاف كما ورد في المادة السادسة (الامتناع عن استخدام التنظيمات الدفاعية الجماعية لخدمة المصالح الذاتية لأي دولة من الدول الكبرى) .

وعاد جمال عبد الناصر بعد زيارة أفغانستان في طريق العودة .

وعلى قدر ما تلقى من استقبالات حافلة في كل دولة زارها على قدر ما كانت هناك محاولة لعدم استقباله في القاهرة استقبالا شعبيا يناسب نجاح المؤتمر .

كان جمال سالم خلال زيارة عبد الناصر قد عين رئيسا بالنيابة . . . وعندما اجتمع عبد الحكيم عامر وزكريا محيي الدين وكمال رفعت وأحمد لطفي وأحمد مدبرا مكتب جمال عبد الناصر في ذلك الوقت للبحث في اعداد استقبال شعبي ، ولما عرض الأمر على جمال سالم لم يوافق على ذلك ، وطلب أن يكون الاستقبال عاديا ، ولكنهم رفضوا رأيه ونفذوا اجراءات الاستقبال وحدهم مما جعله ملجأ له عند وصوله الى المطار .

ولم تكن محاولة منع الاستقبال الشعبي من جانب جمال سالم وحده . . . ولكن هنري بايرود السفير الأمريكي اقنع السفراء الغربيين بعدم مقابلة جمال عبد الناصر في المطار بحجة اعتقاده ان استقبال عبد الناصر يجب ان يبقى مظاهرة اسيوية افريقية فقط كما روى كوبلند .

كان موظفو السفارة الأمريكية يطلقون على مؤتمر ياندونج (لعبة المحتالين من سكان المدن السود) .

وصل جمال عبد الناصر القاهرة يوم ٢ مايو حيث استقبل استقبالا شعبيا حافلا وصفه جان لاكوتير في كتابه (عبد الناصر) بقوله (هبت موجة حارة على الرجل وعلى الجماهير ففي ميلان التحرير حيث اقيمت أقواس النصر تحمل اسماء عبد الناصر ونهرو وشو ان لاي فشاهدنا سيارة (جيب) تخترق الجماهير ويقف فيها ناصر مبتسما ابتسامة عريضة . تفرج لأول مرة عن انكماش وجهه الصلب بينما يجرى وراءه الشعب الذي طالما واكب في الماضي النحاس باشا أو محمد نجيب فماذا جرى الآن ؟) .

ويجب لأكوتير بقوله (ذلك أن العهد قد ولج طريقا جديدة فقبل سفر البكباشي الى آسيا بأسبوع ولم يكن قد تأكد بعد أنه سيذهب بنفسه) اعتقل رجال المباحث عشرات الشيوعيين وزجهم في غياهب السجون ، ولكن عندما قرر ناصر السفر الى اندونيسيا تلقى بريقة من المعتقلين تقول (عاش المناضل في المعركة ضد الامبريالية) .

وكتب محمد حسنين هيكل متراجعا عن موقفه المعارض لسفر جمال عبد الناصر الى المؤتمر قائلا في صحيفة الأخبار (ان الاستقبال الكبير الذي لقيه جمال عبد الناصر بعد عودته أمس الى أرض الوطن بعد مؤتمر

باندونج المثير ، وبعد الرحلة السريعة فوق بلاد الشرق الأقصى أثبت لي مرة أخرى خطأ كنت قد وقعت معه واعترف بأنني لم أكن متحمسا لسفر جمال عبد الناصر ولا لاشتراكه بنفسه في مؤتمر باندونج) .

وكننت قد طلبت مقابلة جمال عبد الناصر عندما علمت باتخاذ قرار السفر بعد فترة طويلة ، امتنعت فيها عن ممارسة أى نشاط سياسى نتيجة للمراقبة الشديدة ، وعزلى في قويسنا بالجيش المربط لفترة طويلة بعد أزمة مارس ١٩٥٤ فكنت الوحيد من خريجي كلية أركان الحرب الذين يعملون في هذا الجيش الذى كان مكافأ بحراسة المنشآت من جنود الاحتياط .

ذهبت اليه في دار رئاسة مجلس الوزراء ، فاستقبلني مع البكباشي عبد الحكيم الاعسر زميل مجموعتي للضباط الأحرار بالاسكندرية فور علمه بوجودنا .

وعندما دخلنا كان متهلل الوجه وبادرني بقوله :

ـ أخيرا . . . رجعت ورضيت تيجي لنا .

وقلت له صادقا :

ـ الشعب كله معاك في خطوتك . . . وأنا واحد من الناس .

وجلسنا معه لأول مرة بعد سنوات كان مرحا منشرح الصدر تحدث عن معركته ضد الاحلاف بنقطة متناهية .

وعندما عاد من باندونج أرسل له محبى الدين خطابا قال له فيه ان شقة الخلاف بينهما تضيق ، وفي نوفمبر ١٩٥٥ أرسل عبد الناصر اليه رسولا قال له انه يستطيع العودة لمصر ، فعاد في ٤ ديسمبر ١٩٥٥ وقابل جمال عبد الناصر لأول مرة أيضا منذ سفره للخارج في ابريل ١٩٥٤ .

كان موقف جمال عبد الناصر بعد مؤتمر باندونج في مقاومة الاحلاف وتأكيد الاستقلال الوطنى أقوى منه قبل المؤتمر وأشد تأثيرا .

نهرو حضر الى مصر في زيارة انتهت الى بيان مشترك صدر في ١٢ يوليو ١٩٥٥ تضمن نصا على ان الاشتراك في مواثيق واحلاف عسكرية مع الدول الكبرى يخلق جوا يؤدي الى الحرب ولا يخدم قضية السلام وكان ذلك أول بيان رسمى يؤكد في مضمونه الكامل كافة مبادئ باندونج .

هجمات القاهرة على حلف وحكومة بغداد هزت أعصاب الحكام هناك . . بل دفعت سلوين لويده الذى عين وزيرا لخارجية بريطانيا الى

ابلاغ السفير المصري في أغسطس ١٩٥٥ بأن بريطانيا ستكف عن بذل المزيد من الجهود لنضم الدول العربية الى حلف بغداد اذا اوقفت مصر دعايتها ضده ٠٠ وقد سر عبد الناصر لذلك كثيرا ٠

ولكن الحركة مع ذلك لم تتوقف ٠٠٠ فقد تلقت السياسة البريطانية ضربة شديدة عندما وصل الجنرال سير جيرالد تمبرلر الى عمان في ديسمبر ١٩٥٥ ليجتمع مع المسئولين هناك أمر دخول الأردن حلف بغداد ، وقابله الشعب العربي في الأردن بثورة شديدة بددت الأمل في ضم الأردن الى حلف بغداد ٠

ولم ينته أثر زيارة تمبرلر بمصادرته عمان ، فان الأمة العربية التهمت جميعها بمعاداة الاحلاف ، وحضر سلووين لويده الى القاهرة ليؤكد لجمال عبد الناصر ما سبق ان قاله للسفير المصري في لندن من رغبته في وقف حملات الدعاية ضد حلف بغداد ، على ان تجمد بريطانيا مساعيها لتوسيع الحلف ، وحاول سلووين لويده التقليل من مهمة تمبرلر قائلا انها تمت تحت ضغط الأتراك والعراقيين ٠

وتصادف أثناء تناول الاثنين طعام العشاء حسب رواية محمد حسنين هيكل ان تلقى السفير البريطاني برقية تفيد أن الملك حسين قد طرد الجنرال جلوب وطلب منه مغادرة الأردن في نفس الليلة ٠٠٠ ولكنه لم يبلغ سلووين لويده بها وهما في طريقهما الى السفارة ٠٠٠ واعتبر وزير الخارجية البريطاني أن عبد الناصر كان يعلم بذلك وانه سخر منه بعدم ابلاغه ٠

ولكن تبين ان جمال عبد الناصر لم يعرف بالخبر الا في صباح اليوم التالي ، واعتبر انه اجراء ذكي من البريطانيين لانه يفتح صفحة جديدة في العلاقات بين البلدين ٠٠٠ ولكن سلووين لويده اعتبره أمرا يقود الى مصير غير معلوم ٠

حقيقة ان جمال عبد الناصر لم يكن يعلم بالخبر وقت لقائه مع سلووين لويده ٠٠٠ ولكنها حقيقة أيضا انه كان قد أرسل كمال رفعت وأحمد لطفى وأكد مديري مكتبه الى الأردن لاثارة الجماهير هناك ضد الاحلاف وضد زيارة تمبرلر ودراسة أسلوب مهاجمة اسرائيل من الداخل ردا على هجماتها المتصلة على قطاع غزة بعد غارتها الشهيرة في ٢٨ فبراير ٠

كان الاثنان يعملان باسماء مستعارة ٠٠٠ ويقول الاثنان ان الشعب الأردني قد قام بثورة ضد تمبرلر بدافع ذاتي دون تدخل من جانبها اطلاقا ٠٠٠

وقد روى جمال عبد الناصر قصة اوساله لكمال رفعت ولطفي واكد الى الأردن في مجلس الوزراء ٠٠٠ وذلك تديلا على الدور الذي تقوم به مصر عقب اقالة جلوب .

وكان كمال ولطفي قد اتصلا ببعض الضباط الأردنيين الذين تأثروا بأفكار العسكريين المصريين ، والذين لم تصل قدرتهم في ذلك الوقت الى حد الثورة على الملك ، فقاموا بدلا من ذلك بالضغط عليه لاقالة جلوب حتى يستعيد شعبيته التي فقدتها خلال زيارة تمبلر .

كان اسم جمال عبد الناصر في ذلك الوقت يتصاعد عاليا ، ويكتسب ملايين الأنصار في الدول العربية ٠٠٠ وقد اكتشف سلوين لويد ذلك بنفسه عندما جوبه بعد مغادرته مصر بمظاهرات عنيفة في البحرين تهتف (ناصر ٠٠٠ ناصر) .

أصبح واضحا مع نهاية عام ١٩٥٥ ان الاستعمار قد فقد قدرته على دعم احلافه العسكرية في الوطن العربي ، وبعد أن كان مفروضا ان تصبح العراق مقدمة للدول العربية الأخرى المنضمة المنضمة اذا بها تصبح الدولة العربية الوحيدة المعزولة في شباك الاحلاف العسكرية .

كان البريطانيون ينظرون الى قاعدة قناة السويس باعتبارها القاعدة الوحيدة المناسبة استراتيجيا لتكون مقرا للقيادة البريطانية في الشرق الأوسط الممتدة من مالطة الى باكستان ومن تركيا الى كينيا .

كانت القاعدة نتاجا لجهد الحرب العالمية الثانية بكل ما توفر منها من مصانع وورش ومحلات ومدن للحياة والترفيه ، ويصعب على القيادة البريطانية ان تستبدلها بأخرى ، أو تقيم قاعدة بمواصفاتها اذا تهيأ مكان استراتيجي ملائم .

وكذا فانه عندما وصلت الأمور عند بريطانيا الى مرحلة اليأس من ضم مصر الى الاحلاف العسكرية ، أثر ذلك على حلف بغداد فلم يتحول الى تنظيم عسكري مثل حلف الأطلسي ولم تتكون له قيادة عسكرية مشتركة ٠٠٠ ولم تتوفر له قاعدة رئيسية مثل قاعدة قناة السويس .

ومنذ ان دخل جمال عبد الناصر نسادى رؤساء الدول المؤثرة في السياسة الدولية بعد باندونج استخدم تعبيرات جديدة لم تكن في قاموسه قبل ذلك ٠٠٠ استخدم كلمة الاشتراكية كمزاد للعدالة الاجتماعية ٠٠٠ وأعلن أول يونيو ١٩٥٦ تأكيدها لمبدأ الحياد الايجابي بقوله (ان سياسة مصر لا شرقية ولا غربية بل مصرية صميعة تعمل لمصر وللوطن العربي

الأكبر) ٠٠٠ وهى الألفاظ نفسها التى اعترض على يوسف صديق لانه نادى بها فى خطاب بمدينة بنى سويف عام ١٥٩٢ لأن السفارة الأمريكية احتجت عليها .

تغير كبير حدث فى سياسة مصر بعد توقيع اتفاقية الجلاء وعقد مؤتمر باندونج .

تغير أكد وعمق معانى الحياد ٠٠٠ ومعاداة الأحلاف العسكرية ٠٠٠ مما جعلها مرادفة للاستقلال الوطنى الذى عاش الشعب يناضل من أجله عشرات السنين .

ويستطيع جمال عبد الناصر ان يفخر بقيادته لهذه المعركة الوطنية التى ناضل فيها ضد الامبريالية العالمية معتمدا على جماهير الأمة العربية ٠٠٠

كانت أياما خالدة ، صقلت فيها شخصيته ولع اسمه ، واحتشد حوله الملايين فى نضاله مع الحياد ٠٠٠ وضد الأحلاف ٠٠٠ تأكيدا للاستقلال الوطنى .

الفصل الثالث

السوفييت في المنطقة

(صفقة الأسلحة المصرية السوفييتية أخطر
إجراء منذ قيام حرب فيتنام)

جون فوستر فالاس

وزير خارجية الولايات المتحدة

(ان هذه الاتفاقية التجارية التي وقعناها بلا
قيود ولا شرط لا تعتبر فتحا للنفوذ الروسي
ولا للنفوذ الأجنبي ولكنها تعتبر قضاء على
النفوذ الطويل الذي تحكمه فينا وسيطر
علينا)

جمال عبد الناصر

لم يدخل السوفييت الى المنطقة غزاة ٠٠٠ ولم يتقدم عليهم خلف
التجارة كما فعلت انجلترا في الصين ٠٠٠ ولم ينتصر تنظيم ماركسي في
احدى الدول ٠٠٠ ولكن دخولهم كان دعوة وطنية من العسكريين .

وكان الاعتقاد السائد عند العسكريين وفي مقدمتهم جمال عبد الناصر
ان البعيد ومقاومة الاحلاف العسكرية تماما مثل الاستقلال الوطنى معركة

لا يتم الانتصار فيها الا بتحقيق هدفين ٠٠٠ أولهما جلاء القوات البريطانية عن منطقة قناة السويس ، والثاني تسليح الجيش المصرى تسليحا حديثا يتناسب مع تطور العصر .

وبدا النضال من أجل تأكيد الحياد الايجابى ورفض الأحلاف يأخذ طابعا جديدا بعد توقيع اتفاقية الجلاء ٠٠٠ طابعا يختلف عن مجرد التصريحات المعلنة فى فترة المفاوضات أو الكفاح المسلح بالقناة ، اذا اتخذ شكلا أكثر ايجابية وحرصا على ارتباط مصر بالدول العربية وعزل العراق وابطال دورها فى اغراء اية دولة عربية أخرى .

كان تحقيق الجلاء حافزا حقيقيا على تقديم نموذج للدول العربية ، ابرزت فيه مصر امكانية تحقيق دولة الارتباط بحلف من الأحلاف .

اما الهدف الثانى وهو تسليح الجيش ٠٠٠ فكان قضية العسكريين الكبرى ٠٠٠ وذلك مفهوم يحكم طبيعتهم وتكوينهم وارتباطهم المهنى . وحرصهم على تكوين جيش وطنى كما ورد فى اهدافهم الستة .

وبدا الاهتمام بتسليح الجيش مبكرا ٠٠٠ مع الأيام الأولى للثورة ٠٠ صرح محمد نجيب فى شهر أغسطس ١٩٥٢ (لا بد ان نحصل على أسلحة حديثة من دولة ما واذا كنت لا تستطيع ان أحدد من من الدول سيمدها بالأسلحة فى حالة امتناع أمريكا والديمقراطيات الغربية عن مساعدتنا فمن البديهي فى هذه الحالة اننا نسلحها الى غيرها) .

وضرح محمد نجيب أيضا للصحف فى شهر نوفمبر بقوله (ان النداء الذى وجهناه الى انجلترا للحصول على أسلحة حدث طبقا لسياسة الحكومة المصرية التى تريد تعزيز الجيش المصرى تدريجيا والتوسع فى قواته وتعزيز مركز مصر الاستراتيجى أيضا .

وكل ضابط فى الجيش المصرى كان يدرك ان الأسلحة متخلفة ولا تتناسب مع التطور الحديث الذى حققته الحرب العالمية الثانية والحرب الكورية من بعدها .

ومنذ عام ١٩٣٦ والحكومة المصرية تسعى لتسليح الجيش من انجلترا بناء على مواد المعاهدة ولكن السلاح دائما كان مثل السراب .

برنامج تطور الجيش لكى يكون قادرا على الدفاع عن قناة السويس لم ينفذ لتوتر الموقف العالمى فى سنوات ما قبل الحرب حتى عام ١٩٣٩ بهتموى احتياج انجلترا لكل قطعة سلاح ٠٠٠ ثم عطلت الحرب نفسها أية مجاذبات جديده لتسليح الجيش ، فخاضة وأن بريطانيا ام تعتمد على الجيش المصرى كقوة محاربة فى صفوف الحلفاء كما اعتمدت على جيوش الهند

والسودان وليبيا وغانا وغيرها ، وذلك لاذراكها ان في صفوفه بذور حركة وطنية ... وبالتالي فانها لم تقدم له تسليحا جديدا .

ولم تتوفر فرصة مناسبة للحديث عن تسليم الجيش حتى في المفاوضات صدقي - ليفن ١٩٤٦ التي فشلت . واعقبتهما حرب فلسطين . ففرضت بريطانيا حظرا جديدا لم يرفع الا عام ١٩٥٠ .

وكان محمود فهمي النقراشي قد طلب خبزا عسكريين من أمريكا وأثناء وجوده هناك لعرض القضية على مجلس الأمن ، ولكن وكيل وزارة الخارجية الأمريكية أفاد بأنه (ليس لديهم خطة في هذا الأمر حتى الآن) . توصلت وزارة الوفد الى موافقة الحكومة البريطانية على وضع مصر في قائمة المشتريين للأسلحة الثقيلة مثل الطائرات النفاثة ودبابات سننورين ... وأسرعت فوقعت عقدا مع الحكومة البريطانية لشراء ٨٠ دبابة سننورين فدفعت ٨٠٪ من ثمنها عند توقيع العقد ... ولكن تعثر المفاوضات ثم توقفها دفع الحكومة البريطانية الى ابلاغ الحكومة المصرية بأن طلبات حلف الاطلنطي ودول الكومنولث سوف تؤخر استجبتها في الحصول على الدبابات المتعاقدة عليها .

ثم استجابت حكومة العمال بعد ذلك للضغوط الواقعة عليها ، فاجلت توريد السلاح الى أجل غير مسمى .

هذا الحظر على توريد السلاح لم يمنع حكومة الوفد ... البحث عن سبيل للحصول عليه وخلال فترة الكفاح المسلح ١٩٥١ كان فؤاد سراج الدين وزير الداخلية يشتري الأسلحة من الصبيح حسب روايته - ويخزنها في بدروم منزله ثم يرسلها الى الفدائيين الذين كان يشرف عليهم .

ويقول فؤاد سراج الدين أنه اتصل بسفراء يوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا والاتحاد السوفييتي في محاولة للحصول على أسلحة بدعوى انها للبوليس ، ولكنهم - على حد قوله - كانوا حريصين على عدم حصول استفزاز للغرب ، خاصة وان تبادل التمثيل الدبلوماسي مع الاتحاد السوفييتي لم يتم الا في وزارة الوفد الاولى عام ١٩٤٢ .

ولم يكن الوفد وحده هو الذي يحاول ذلك ... صحيفته الاشتراكية دعمت صراحة بعد الغاء المعاهدة الى عقد مفاوضات سريعة مع دول أوروبا الشرقية لامداد مصر وجيشها بالسلاح بعد ان اخفقت في شرائه من السويد والدول الخاضعة للنفوذ الأمريكي .

وكانت قد ظهرت في مصر نبرة تدعو الى التعاون مع الاتحاد السوفييتي بعد موقفه الواضح الصريح في تأييد قضيتنا بدجاس الأمن .

وقام عمال الميناء في بور سعيد يوم ٨ يناير ١٩٥٢ بربط الأسطول
السوفييتي وتمويله وتحمية بحارته رغم اضرابهم عن العمل .

وكان هناك اتجاه اجمعت عليه كل القوى الوطنية لعقد معاهدة صداقة
مع الاتحاد السوفييتي خلال فترة الكفاح المسلح في القناة في بداية عام
١٩٥٢ ، ولكن احترقت هذه الدعوة مع حريق القاهرة ، ولم تعد تتردد.
هذه حتى قامت حركة الجيش .

ولم يبدأ العسكريون في مصر من حيث وصل الشعب في قمة كفاحه
عام ١٩٥١ ، ولكنهم طالبوا البريطانيين ومن بعدهم الأمريكيين بتسليح
الجيش ، تماما كما حاول الولد من قبل .

ولم يكن متصورا أن يكون هناك رفض كامل ومماثلة شديدة لهذا
الطلب المشروع من عسكريين وصلوا الى السلطة وتفرض عليهم طبيعتهم
وظروفهم أن يسلموا جيشهم بما ينفي عنه صفة الضعف ، ويعيد اليه ثقته
بعد هزيمة حرب فلسطين عام ١٩٤٨ .

ولكن الثمن كان باهظا ... ضرورة الارتباط بحلف دفاعي ...
وكان هذا أمرا مرفوضا تماما .

أبلغت حكومة المحافظين محمد نجيب بهذا الشرط التصفي بصفته
قائدا عاما للقوات المسلحة ، وكان الحظر على توريده السلاح ما زال
مستمرا فقد اشتعل الكفاح المسلح في القناة .

ولجأ مجلس القيادة الى أمريكا يطلب منها السلاح ... وكانت المفاجأة
أن مصر وأمريكا مرتبطتان بعقد تسليح سري مع حكومة على ماهر التي
تولت الحكم بعد حريق القاهرة (فبراير عام ١٩٥٢) بمبلغ خمسة ملايين
دولار .

وعندما اطلع العسكريون على قائمة الأسلحة وجدوا انها من
النوع الذي يصلح للبوليس أكثر مما يصلح للجيش ... فلم تكن فيها
دبابات طائرات أو مدفعية .

وقد ناقش السفير الأمريكي كافري رغبات أعضاء مجلس القيادة
في أول عشاء اجتمعوا معه فيه بمنزل البكباشي عبد المنعم أمين المثل على
النيل قريبا من كوبري الجيزة .

وقد وصل الى القاهرة بعد ذلك في ٥ نوفمبر ١٩٥٢ مستر وليام
فoster وكيل وزارة الدفاع الأمريكية ، الذي اجتمع مع جمال عبد الناصر

وعبد الحكيم عامر وعبد المنعم أمين صاحب الصلات الطيبة بالسفارتين الأمريكية والبريطانية .

وانتهت زيارة وكيل وزارة الدفاع الأمريكية الى الاتفاق على قائمة أسلحة مناسبة للجيش قيمتها مائة مليون دولار واقترح فورستر ايفاد بعثة الى أمريكا لتسهيل شحنها ومقابلة المسئولين هناك .

وسافر فعلا قائد الجناح على صبرى والقائمقام حسن الفكلاوى الى أمريكا حيث أمضيا هناك عدة أشهر يتنقلان بين مكاتب البنتاجون ومكتب السفير والملحق العسكرى المصرى دون الوصول الى نتيجة عملية ، رغم ما أحاط بهذه البعثة من تفاؤل شامل ، وما غذته عناصر الدعاية من أن الأمور تتحرك بصورة طبيعية .

وعاد الى مصر وزير الخارجية الأمريكية جون فوستر دالاس ليقدم تقريرا الى محمد نجيب وجمال عبد الناصر بأن الرئيس الأمريكى الجديد دوايت أيزنهاور قد استجاب لرجاء تشرشل الذى ألح عليه فى فرض الحظر على تسليح مصر كما تفعل بريطانيا حتى لا توجه نيران الأسلحة الى الجنود البريطانيين فى قناة السويس ، وذلك بحكم زمالتهما القديمة ، وقيادتهما أيزنهاور العسكرية لجنود الحلفاء فى الحرب العالمية الثانية .

وتوافقت اللهجة الأمريكية تماما مع اللهجة البريطانية ، واقتصرن توريده السلاح بشرط الانضمام الى الاحلاف العسكرية وتبدد التفاؤل الذى غمر العسكريين باحتمال وصول أسلحة جديدة للقوات المسلحة .

ومع ذلك لم يفرق العسكريون فى بحر اليأس ، واحتفظوا بصلات طيبة مع المسئولين الأمريكيين وسافرت الدفعة الثالثة عشرة من خريجي كلية أركان الحرب ٦٠ ضابطا التى دخلت بعد ٢٣ يوليو ، والتى كنت ضابطا من أفرادها الى الولايات المتحدة بدعوة من وزارة الحرب الأمريكية فى شهر سبتمبر ١٩٥٣ .

وكانت المفاجأة أننا بعد أن قطعنا مئات الأميال وجدنا برنامجا هزيلا يتضمن مشاهدة عرض موسيقى لفرقة من فرق الجيش فى ملعب كرة ، وثار ضباط الدفعة واحتجوا لدى الملحق العسكرى القائمقام عبد الحميد غالب والسفير أحمد حسين على مغزى هذا الاستقبال المهين ، وتغير البرنامج فعلا فى أيامه الأخيرة ليحوى زيارة بعض الوحدات وشاهدة أنواع جديدة من الأسلحة ولكن الزيارة لم تحقق نتيجة أيضا .

ولم تمتنع الحكومة المصرية عن ايفاد بعض ضباطها الى الولايات المتحدة للحصول على فرق عسكرية يستعملون فيها أسلحة وتكنيكات

لا تطبق في مصر ٠٠٠ كما أرسلت أيضا عدة بعثات تدريبية في أعمال البوليس والمخابرات مثل الصاغ حسين عرفة رئيس المباحث الجنائية العسكرية بالبوليس الحربى الذى حصل على فرقة في معسكر كامب كوردون بولاية جورجيا ٠٠٠ وهذا مثل وحيد لعشرات من الفرق .

ظاهرة أرسل الضباط الى أمريكا توضح انه كان هناك أمل في تحسن العلاقات ، ورفع الحظر عن توريد السلاح ٠٠٠ ولكن الأمر مضى على عكس ذلك تماما .

ولم يقف مجلس القيادة موقفا جامدا في مواجهة الرفض والمماطلة الأمريكية ٠٠٠ خاصة وأنه كانت هناك بعض المظاهر المحدودة للاهتمام بدول الكتلة الشرقية .

حرص محمد نجيب وجمال عبد الناصر على زيارة المفوضية السوفيتية بالقاهرة في عيد الثورة الاشتراكية الخامس والثلاثين يوم ٧ نوفمبر ١٩٥٢ رغم ان المؤتمر التاسع عشر للحزب الشيوعى الذى عقد فى أكتوبر ١٩٥٢ لم يشر الى حركة الجيش المصرى بأى شئ انتظارا لاستكمال الدراسة عن اتجاهاتها وأهدافها .

وتقرر سفر أول بعثة للدول الاشتراكية برئاسة حسن رجب وكيل وزارة الحربية لشئون المصانع وعضوية أحمد فؤاد واليوزباشى صلاح هدايت وزير البحث العلمى الذى تخرج فى كلية العلوم بعد أن أصبح ضابطا وحسن ناجى رئيس مؤسسة الفزل والنسج فيما بعد وبعض تجار القطاع الخاص .

وكانت هذه البعثة واحدة من عدة بعثات تقرر إرسالها الى الدول العربية ودول أوروبا الغربية .

ونشرت جريدة المصرى أخبار هذه البعثات يوم ١١ أغسطس ١٩٥٣ بمائشيت أحمر رئيسى يقول (الكتلة الشرقية يمكن أن تسد حاجات مصر من الأسلحة) .

وكان هذا المائشيت الرئيسى الى جانب أنه من نوع الضغط على الأمريكين والبريطانيين فى محاولة الحصول على الأسلحة ، كان بداية تفكير جرى فى هذا الاتجاه ٠٠٠ فقد طلب حسن رجب مشرفة رأى الحكومة التشيكوسلوفاكية فى توريد الأسلحة . فكان الرد بعد دراسة هو (نحن بلد نحب السلام ولا نعطى أحدا سلاح) .

وعندما أرسل ايزنهاور خطابا يعلن فيه استعداد أمريكا لتسليح مصر وذلك أثناء زيارة انطونى هيد وزير الحربية البريطانى للقاهرة اذا تم.

الاتفاق مع بريطانيا. التي كانت تصر على الارتباط بحلف دفاعي - كما كتب أنطوني فاتنج - تأكدت الحقيقة بأن الموقف قد أصبح يدور في حلقة مفرغة .

وخلال لقاء لمحمد نجيب مع السفير السوفييتي بنيامين سولود في ديسمبر ١٩٥٣ تطرق الحوار الى مملأة مصر للغرب ، ثم تساءل محمد نجيب عن احتمالات تسليح الاتحاد السوفييتي لمصر

وكان هذا هو أول حديث رسمي يدور بين مسئول مصري ومسئول سوفييتي حول هذا الموضوع .

ولكن لم يكن الحديث الوحيد . . . كان ضيق حلقة الحصار حول توريد السلاح يدفع المسئولين الى عمل تجسسات مختلفة .

السفير المصري في موسكو عزيز المصري استفسر من السوفييت ايضا عن احتمالات تسليحهم لمصر بمبادرته الخاصة خلال عام ١٩٥٤ ولكنه لم يقدم لهم طلبات أو يتابع الموضوع بطريقة رسمية كما روى لي الدكتور مراد غالب مستشار السفارة في ذلك الوقت . وأحمد لطفى وأكد مدير مكتب جمال عبد الناصر اتصل أيضا بمستشار السفارة السوفييتية بالقاهرة في وقت متأخر بعد توقيع اتفاقية الجلاء لمناقشة موقفهم. من سفلر عبد الناصر الى باندونج وتطرق الحديث الى موضوع الأسلحة دون ربطه بوثائق رسمية أو خطابات متبادلة .

كان جمال عبد الناصر حريصا على طريق باب هذا الاحتمال ، فكلف حسين عرفة مدير المباحث الجنائية بالبوليس الحربي والذين كان مكلفا بالاتصال بالشيوخ وعين والتسرب الى صفوفهم وتسهيل بعض الأمور لهم اكتسابا لثقتهم . . . وفي هذه الفترة تعرف ببعض التقدميين مثل محمد كامل البنداري وعبد الرحمن الشرقاوي والدكتور محمد انيس ، وحضر معهم مؤتمر الدفاع عن شعوب الشرق الأوسط ومؤتمر السلام في برلين عام ١٩٥٥ . . . وطلب حسين عرفة من البنداري أن يتصل بالسفير السوفييتي باعتباره صديقا له منذ كان سفيرا في موسكو ليسأله عن إمكانية تقديم السلاح لمصر ، وجاء الرد السوفييتي بأن تقديم السلاح لمصر والجنود البريطانيون يحتلون القناة سيكون معناه في النهاية تسليم السلاح للبريطانيين .

وقام حسين فهمي رئيس تحرير الجمهورية والصحفي المقرب من جمال عبد الناصر باتصال آخر بالسفير السوفييتي سولود في وقت متأخر

بعد ذلك ، وجاءت الموافقة على تقديم الأسلحة من ناحية المبدأ ولما أبلغ حسين فهمي الموافقة لعبد الناصر كان الصمت هو الجواب .

وأعطى صلاح سالم تصريحاً للصحف في فبراير ١٩٥٤ قال فيه (ان مصر قد عرضت كل مشروعاتها على الدول المختلفة ومنها روسيا وانه توجد اتصالات في هذا الخصوص وهناك احتمال أكيد ان تقدم روسيا على اقامة بعض المشروعات لو حصل اتفاق نهائى على التفاصيل واجب ان اضيف ان مصلحة مصر سيكون لها دائما الكلمة الصلبة) (١) .

وكان مجلس الانتاج القومى الذى شكل برئاسة حسين فهمي قد تلقى بناء على دراسته واتصالات البعثة التى زارت الدول الاشتراكية عرضاً لاقامة مصانع في مصر .

وعندما عرض أحمد فؤاد وصلاح هداية اتفاقيات البعثة على جمال عبد الناصر في حضور جمال سالم ثار الأخير ثورة شديدة ، معترضاً على هذا الاتجاه وقال جمال عبد الناصر في هدوء لأحمد فؤاد تبقى تحكى الكلام ده لى ييجوا يحكموا بعدنا) وذلك لأن الوقت كان في قمة التوتر لازمة أعضاء المجلس مع محمد نجيب في مارس ١٩٥٤ .

ولم تسفر هذه التصريحات أو الاتصالات عن شيء الا زيارة سولود الى محمد نجيب بمنزله في يناير ١٩٥٤ وأبلغه ان الاتحاد السوفييتى قد وافق من ناحية المبدأ على بيع السلاح لمصر ويقول محمد نجيب انه أرسل كتاباً بذلك الى عبد الحكيم عامر بصفته قائداً عاماً للقوات المسلحة يطلب منه كشفاً بالأسلحة المطلوبة ، وانتهت صلبته بهذا الموضوع فقد كانت هذه الفترة من أشق الفترات في علاقة محمد نجيب ببقية أعضاء قيادة الثورة ، وهى التى انتهت الى أزمة مارس ١٩٥٤ ثم اعطاه نجيب صفة شكلية كرئيس للجمهورية حتى تم عزله في ١٤ نوفمبر ١٩٥٤ .

إذا صححت هذه الرواية فهى لا تعنى أكثر من اندفاع نجيب في مطالبته للسلاح من السوفييت في وقت كان جمال عبد الناصر يعتقد فيه ان الوقت لم يكن ملائماً بعد لاتخاذ هذه الخطوة الجريئة التى تعنى احتمال حدوث صدام مع انجلترا وأمريكا في وقت لم تكن فيه اتفاقية الجلاء قد وقعت بعد بين انطونى هيد وزير الحربية وجمال عبد الناصر .

وعقب توقيع اتفاقية الجلاء بالحروف الأولى في يوليو ١٩٥٤ رفعت بريطانيا الحظر عن توريد السلاح الى مصر في شهر أغسطس ١٩٥٤ ،

(١) جريدة المصرى ١٤ فبراير ١٩٥٤ .

وكان هذا يشير بأن مصر سوف تحصل على احتياجاتها من الأسلحة دون
صدام مع الدول الاستعمارية .

أرسلت بعثة عسكرية الى أمريكا في شهر سبتمبر ١٩٥٤ برئاسة
اللواء محمد إبراهيم رئيس أركان حرب الجيش ، وعضوية الأميرالي
مصطفى يوسف مدير التدريب والقائمقام عبد المحسن كامل مرتجي مدير
مكتب القائد العام للقوات المسلحة ، والبكباشي صبري كمال أركان حرب
المدرعات . . . ولكنها لم تحقق مثل بعثة على صبري السابقة اية نتائج .

كان موقف الرفض والمماطلة ما زال مستمرا ، خاصة وأن موقف
جمال عبد الناصر من معركة الجهاد ومعاداة الاحلاف قد أصبح أكثر
وضوحا وتأثيرا في المنطقة .

. . . وحدث في ذلك الوقت حادث كانت له ابعاد الآثار في سياسة مصر
خلال هذه المرحلة وما بعدها . . . وهو اعتداء إسرائيل على قطاع غزة
والاغارة على معسكر للجيش المصري وقتل ٣٨ جنديا مصرية يوم ٢٨ فبراير
١٩٥٥ .

تم هذا الحادث في وقت لم تكن فيه العلاقات المصرية الاسرائيلية في
حالة من التوتر الشديد ، بل كانت هناك فرص للتفاهم لم تقبلها المؤسسة
العسكرية في إسرائيل كما سيأتي توضيحه في فصول قادمة .

ووجه جمال عبد الناصر ان موقف الجيش المصري يحتاج الى علاج
سريع ، فالأسلحة قديمة متخلفة ورغم رفع انجلترا للحظر المفروض على
مصر فإنها لم تورد سوى ٣٢ دبابة سنتورين من الدبابات الثمانية التي تم
التعاقد عليها ودفع ثمنها في عهد حكومة الوفد . . . وتبين ان رفض أمريكا
لتوريد السلاح لم يكن من أجل اجبار مصر على دخول الاحلاف فقط ، وانما
كان من أجل إسرائيل أيضا . . . فهي رغم انها لم تكن تصدر لها السلاح
حتى ذلك الوقت ، فإنها لم تكن توافق على ترجيح كافة الدول العربية على
إسرائيل .

وحاولت مصر كسر هذه القيود . . . فأرسلت بعثات الى الدول
الأوروبية لشراء السلاح . . . واتضح ان فرنسا تشترط عدم مساعدة ثوار
الجزائر وانها تورد السلاح لإسرائيل ، وانها تعاقبت معها على توريد
طائرات المستير النفثة على ان يتم التسليم في منتصف عام ١٩٥٦ . . .
وتعاقبت إسرائيل أيضا مع كندا للحصول على الطائرات الأمريكية ساير .
أما البعثات العسكرية المصرية التي ذهبت الى سويسرا والسويد

ثورة يوليو ج ١ - ٤٣٣

وايطاليا وأسبانيا فانها لم تستطع الحصول على أسلحة ثقيلة متطورة لأن انتاج هذه البلاد محدود .

وعرضت على جمال عبد الناصر في هذا الوقت وثيقة سرية للغاية حصل عليها أحد ضباط المخابرات المصرية كانت قد طبعت من ١٢ نسخة فقط وهي تنص على النقاط الآتية بعد مقدمة عن تطور العلاقة بين إنجلترا وإسرائيل .

١ - اتفاقية الجلاء لن تحول دون عودة القوات البريطانية لاحتلال قاعدة القناة مرة ثانية .

٢ - ان بريطانيا لن تمد مصر بالسلاح الا اذا ارتبطت معها بحلف عسكري .

٣ - وجود تعاون وثيق وتأييد كامل لسياسة إسرائيل وهجومها على قطاع غزة وتطلب الوثيقة من القيادة البريطانية في الشرق الأوسط نجنيد بعض المصريين للتعاون معها في حالة العودة .

وسافر جمال عبد الناصر وصلاح سالم الى باندونج وهما يحملان هموم الغارة الاسرائيلية على غزة ، والحصار المضروب على مصر لمنع حصولها على السلاح . . . الى جانب الاصرار على مقاومة التسرب الغربي داخل الوطن العربي عن طريق جذب بعض دوله الى الاحلاف العسكرية .

وكان مؤتمر باندونج نقطة تحول رئيسية في مسار السياسة المصرية . . . صقلت شخصية عبد الناصر ، واكتسب في المؤتمر شعبية احاطت اسمه بهالة من التقدير كقائد وطني ، وزادت معتقداته في أهمية الجهاد ورفض الاحلاف صلاية .

ليس هذا فقط بل اتاحت له الظروف أيضاً فرصة فريدة لنقل موضوع الحصول على السلاح الى مرحلة أكثر ايجابية انتهت الى كسر الاحتكار الذي فرضته الامبريالية العالمية .

قال لي صلاح سالم ان الفيللا التي أقام بها كانت قريبة من سكن شوان لاي رئيس وزراء الصين الذي شاركه عبد الناصر في دائرة الضوء والاهتمام داخل المؤتمر وخارجه على نطاق عالمي . . . وفي إحدى الزيارات المتبادلة ، صارحه سالم بحاجة مصر الى السلاح لمقاومة تهديدات إسرائيل وبناء جيش وطني قادر على تثبيت مبادئ الجهاد الايجابي وسأله عما اذا كان يمكن للصين ان تقدم له حاجته من السلاح . :

واعتذر شوان لاي قائلا ان الصين تستورد سلاحيها من الاتحاد السوفييتي واذا وافق صلاح فسيندل جهينه للاتصال بالسوفييت ومعرفة رأيهم في موضوع تزويد السلاح لمصر ٠٠٠. ووافق صلاح فوراً .

وقابل جمال عبد الناصر السير رالف ستيفنسون السفير البريطاني وأطلعه على الوثيقة بعد ان طمس نمرتها ، ونفى له السفير علمه بها ٠٠٠ ولكن الجنرال (هل) قائد القوات طلب من اللواء عامة نقل ضابطه بمخابرات منطقة القنال الى القاهرة حتى لا يؤثر ذلك على تنفيذ الاتفاقية، ولكن طلبه رفض في لحظتها باعتباره تدخلا في شئون مصر الداخلية .

بدأ الشك يساور عبد الناصر في تواطؤ إنجلترا واسرائيل معا على ضياع اثر اتفاقية الجلاء وثبوت التعاون بينهما وخاصة بعد تصريح تشرشل الذي قال فيه انه يود ان يرى اسرائيل اقوى دولة في المنطقة .

وكانت غارة غزة قد أثبتت أن هناك نقصا في ذخيرة الجيش المصري . وأصدرت ادارة المخابرات توجيهاتها الى ضباطها في منطقة القناة بمحاولة الاستيلاء على ذخائر كانت تنقص مدفعيتنا المضادة للطائرات والمضادة للدبابات من مخازن القاعدة وذلك بعد محاولة شرائها من الجيش البريطاني ورفض قاداته الموافقة على ذلك .

وقد أمكن فعلا سرقة عدد من القطارات والدبابات المحملة بالذخيرة من (أبو سلطان) سلمت المدير مكتب السفير للتسليم .

والشيء المقلوع به ان صلاح سالم لا يد وانهُ أبلغ جمال عبد الناصر بحديثه مع شوان لاي ٠٠٠ وانتهى المؤتمر والطلب معلق بلا جواب .

وبعد العودة لمصر وفي شهر مايو ١٩٥٥ اتصل دانيال بولود السفير السوفييتي بصلاح سالم وأبلغه موافقة الاتحاد السوفييتي على تزويد ما تشاء مصر من أسلحة ، وأبدى له استعداد السوفييت أيضا للمساهمة في المشروعات الصناعية التي يحتاجها تطوير المجتمع .

أبلغ صلاح سالم جمال عبد الناصر بحديث السفير السوفييتي ، ويقول ان صلته بعد ذلك انتهت بهذا الموضوع ، فقد حمل مسئولية الاتصال بعد ذلك على صبري مدير مكتب جمال عبد الناصر .

ومع وجود هذا العرض المفتوح من جانب السوفييت والذي تم الاتفاق عليه مع جمال عبد الناصر فان التعاقد لم يوقع عليه أو ينفذ ٠٠٠ فقد كان جمال عبد الناصر شديد الحذر في اتخاذ هذه الخطوة التي تعني صداما مباشرا مع الأمريكيين والبريطانيين الذين ما زالت بعض قواتهم في منطقة القناة لم ترحل بعد .

واستخدّم جمال عبد الناصر اتفاقه مع السوفييت كقوة ضغط على الغرب فى محاولة أخيرة لإجبارهم على توريده السلاح ٠٠٠ اتصل جمال عبد الناصر بسفيرى أمريكا وبريطانيا وأبلغهما أبناء الصفة وحذرهما من اضطراره لقبولها ، اذا لم تصله أسلحة من الدولتين .

واقبل شهر يونيو دون أن يتلقى جمال عبد الناصر رداً عليه من السفيرين ٠٠٠ فى الوقت الذى كان يستعجل فيه السفير السوفييتى موقف مصر لإبلاغ موسكو ٠٠٠

ولم يجد جمال عبد الناصر بداً من عرض الأمر على مجلس قيادة الثورة خشية تراجع السوفييت عن موقفهم بعد مضي عدة أسابيع دون تعاقد ٠٠٠ واقترح السفير السوفييتى سولود فى شهر يونيو دعوة شيلوف رئيس تحرير البرافدا والنجم الصاعد فى سماء السياسة السوفييتية لحضور احتفالات عيد الثورة الثالث فى القاهرة .

وجهت الدعوة الى شيلوف الذى حضر الى القاهرة ، حاملاً معه تفويضاً انتهى الى مشروع اتفاق يقدم به الاتحاد السوفييتى أسلحة لمصر قيمتها ٨٠ مليون جنيه وتشمل طائرات نفائة من طراز ميغ المقاتلة ، وقاذفة القنابل اليوشن ، ودبابات ستالين الشهيرة على أن يتم الدفع بالقطن المصرى خلال ١٢ عاماً واتفاقيات الدفع بالقطن كانت ترفضها أمريكا لتوفر القطن عندها .

وتم الاتفاق على أن يكون التعاقد بين الحكومة المصرية والحكومة التشيكوسلوفاكية ، وقد رأى جمال عبد الناصر أن ذلك قد يقلل من حجم المشكلة أمام الغرب ، خاصة وأن تشيكوسلوفاكيا كان قد سبق لها امداد إسرائيل بالأسلحة أثناء حرب فلسطين ثم توقفت بعد عدة شهور ، عودة لسياسة ستالين التى كانت تقضى بعدم تقديم أى مساعدة عسكرية او اقتصادية لاي دولة غير شيوعية .

كان مشروع الاتفاق تغييراً حقيقياً فى سياسة الاتحاد السوفييتى بالمنطقة ، لما لسه فى الثورة المصرية من معاداة للاستعمار والإحلاف العسكرية وارتباط بالقوى التحررية فى باندونج .

وكان الاتحاد السوفييتى قد قطع علاقاته الدبلوماسية مع إسرائيل فى فبراير ١٩٥٣ عقب لقاء قبيلة على مفوضيته فى تل أبيب .

وكانت مصر أول دولة غير شيوعية تتلقى أسلحة من الاتحاد السوفييتى ، على أساس السياسة الجديدة التى تقضى بمساعدة قوى التحرر الوطنى دون شروط أو التزامات ، ودون تحديد لنسوع السلاح أو كميته .

وهكذا أسقط مشروع الاتفاق المصري السوفييتي كل القيود التي كان يفرضها الغرب على توريد السلاح .

ومع ذلك ظل الاتفاق سرا غير معلن وغير موقع . . . فقد كان جمال عبد الناصر يريد له أن يأخذ مداه كقوة ضغط على الغرب يعفيه من تصادم محتمل معه .

(ظل جمال عبد الناصر متزهدا بأمل تغير يحدث في الساعة الحادية عشرة في موقف الغرب) كما يقول ناتينج .

كان جمال عبد الناصر يعتمد على رأى السفير الأمريكى هنرى بايرون الذى ساند طلبه فى الحصول على معدات عسكرية معتقدا أنه ليس ثمة خطر من استخدام ناصر لهذه الأسلحة ضد المصالح الأمريكية ويتطلع الى افراج الحكومة البريطانية عن توريد ٣٢ دبابة سننورين ومن مدرعتين خلال الشهور التالية رفع الحظر فى أغسطس ١٩٥٣ .

واستدعى جمال عبد الناصر الملحق الجوى فى سفارة مصر بواشنطن قائد الجناح وأبلغه أن هناك مشروع اتفاق نهائى لم يوقع بعد بصفقة أسلحة مع السوفييت وأن عليه ابلاغ المسئولين فى واشنطن باضطراب مصر للحصول عليها اذا ظلت أمريكا فى موقف الرفض .

ولكن كل هذه المحاولات انتهت الى لا شئ .

ولخص الاميرال برا وفورد هذه الحقيقة أمام احدى لجان الكونجرس بقوله : (ان المصريين يريدون شراء أنواع من السلاح لا تريد لهم أن يحصلوا عليها) .

ولم يكن هناك بد من توقيع الصفقة والاعلان عنها .

أول من سرب أخبارها كان صلاح سالم فى لقائه مع الشيوعيين . الأربعة الذين استدعاهم الى مكتبه يوم أول سبتمبر ١٩٥٥ للاتصال بالحزب الشيوعى السودانى وهم يوسف ادريس وفتحى خليل وابراهيم عبد الحليم وزهدى .

وأخبار الصفقة وموضوعها لم يعرض على مجلس الوزراء مطلقا حتى أعلنها جمال عبد الناصر كما روى لى فتحى رضوان .

وصرح جمال سالم فى كلمتنا أثناء زيارة قام بها الى الشرق الأقصى والتي استقال خلالها شقيقه صلاح سالم من مناصبه بقوله (أن مصر ستشتري أسلحة من روسيا اذا تخلت الدول الأوروبية عن تعاقباتها) . كما نشرت الأهرام يوم ٦ سبتمبر ١٩٥٥ .

وسافر أول وفد صحفي إلى الاتحاد السوفيتي برئاسة حسين فهمي رئيس تحرير الجمهورية وعضوية على أمين وأحمد بهاء الدين وأنجي رشدي خلال شهر سبتمبر وهو أول وفد صحفي يزور موسكو في تاريخ العلاقات بين البلدين .

والذي يتابع أخبار الصحف في هذه الفترة التي امتدت من يوم الغارة على غزة في ٢٨ فبراير حتى شهر سبتمبر يجد أن مانشيتات الصحف لم تتوقف خلال هذه المدة عن الاعلان عن اعتداءات اسرائيلية واشتباكات مع الفدائيين وقوات الجيش المصري ، الأمر الذي كان يستهدف الضغط على مصر ، والذي كان يدفعها في نفس الوقت دفعا إلى محاولة الحصول على السلاح دفاعا عن أرضها واستقلالها وحيادها أيضا .

ونشرت جريدة الأهرام فجأة يوم ٢٦ سبتمبر (مانشيت رئيسي) يعلن (أمريكا تعرض بيع أسلحة على مصر) وتقول (العرض الروسي بتقديم الأسلحة لمصر يزعم وزارات الخارجية والدفاع في أمريكا - منع الروس من دخول الشرق الأوسط أهم عند الأمريكان من ارضاء اسرائيل) .

ونشرت أيضا (ان قوات اسرائيل المسلحة مزودة بأسلحة أفضل من كل قوات البلاد العربية مجتمعة وذلك لأنها كانت قد ابتاعت في الماضي مقادير كبيرة من الأسلحة من بريطانيا) .

وظهرت الأهرام أيضا في اليوم التالي ٢٧ سبتمبر بمانشيت رئيسي يقول (أمريكا تباحث مصر لتزويدها بالسلاح) وتقول فيه (العرض الأمريكي جاء بعد رفض قبول أسلحة مجانا مقابل انضمامها لميثاق الأمة المتبادل) .

وفي اليوم التالي ٢٨ سبتمبر كان العنوان الرئيسي للأهرام (جمال عبد الناصر يشرح قصة تسليح الجيش المصري) .

وكان جمال عبد الناصر قد اختار أن يعلن النبأ الحاسم من داخل الجيش ، واختار فرصة افتتاح معرض للصور الفوتوغرافية أقامته الشئون العامة للقوات المسلحة يوم ٢٧ سبتمبر ليعلن على العالم صفقة الأسلحة التشيكوسلوفاكية .

روى جمال عبد الناصر قصة الأسلحة منه بدايتها وقال (ان هذه الاتفاقية التجارية التي وقعناها بلا قيد ولا شرط لا تعتبر فتحا للنفوذ اليوسى ولا للنفوذ الأجنبي ولكنها تعتبر قضاء على النفوذ الطويل الذي تحكمه فينا وسيطر علينا . . . أن مصر ، مصر المستقلة مصر : التأثير القوية لن تمكن النفوذ أجنبي في بلادنا) .

وأعلن جمال عبد الناصر أن الاتفاق قد وقع نهائيا منذ أسبوع واحد فقط . . . وهذا يعني انه وقعه بضمه ان استنفد كل وسائله مع أمريكا وبريطانيا للحصول على السلاح .

وفي اليوم التالي لاعلان الخبر أرسلت بريطانيا وأمريكا تحذيرا الى الاتحاد السوفييتي .

ووصف دالاس الصفقة بأنها (أخطر اجراء منذ قيام حرب فيتنام) . وكان دالاس قد حاول منع الصفقة في الدقيقة التاسعة والخمسين ، وأرسل الى القاهرة كيرميت روزفلت عميل المخابرات المركزية الأمريكية . . . (وتناقض أقوال محمد حسنين هيكل في كتابه (عبد الناصر والعالم) مع أقوال مايلز كوبلن في لعبة الأمم . . . الأول يقول ان عبد الناصر قرر ان يقطع الطريق على كيرميت روزفلت باعلان الخبر قبل مقابلته . . . والثاني يقول ان كيرميت روزفلت قابلته قبل اعلان الصفقة فعلا ووجد من الحكمة الا يمتعض عليها بعد ان انتهت وانما حاول اقناع عبد الناصر بأن بعضها أسلحة دفاعية وأنه على استعداد لأن يقبل مشاركة الاسرائيليين للقيام بجهد مشترك بغية الوصول الى سلم دائم .

ولكن عبد الناصر لم يعلن شيئا من هذا اما لانه لم يقابل كيرميت روزفلت قبل الاعلان . . . واما لحدوث خلاف بينه وبين السفير الأمريكي بايروود وفي احدى الجلسات الخاصة ، جعله يرفض الاستجابة لأي طلب أمريكي .

أعلن جمال عبد الناصر في ٢ أكتوبر أثناء الاحتفال بتخريج دفعة جديدة للكلية الحربية (لقد كانت حادثة ٢٨ فبراير ١٩٥٥ والاعتداء اليهودي المدبر على غزة الذي وصفه مجلس الأمن بأنه اعتداء وحشي على جنود أميين . . . كان هذا الاعتداء نقطة تحول) .

ولم يقبل دالاس في سهولة أن تتخطى مصر نقطة التحول في طريقها الجديد . . . وبعد أن عجز مندوبه كيرميت روزفلت عن اقناع عبد الناصر بالعدول عن الصفقة ، قرر أن يرسل له انذارا مكتوبا في رسالة مغلقة مع وكيل وزارة الخارجية الأمريكية جورج ألين ، وقيدت وكالات الانباء الأمريكية هذا الخبر .

وغلث الدماء في رأس عبد الناصر عندما سمع بنبا الانذار وأتخذ عدة خطوات ايجابية حاسمة .

استدعى كيرميت روزفلت وأبلغه أنه اذا جئوا الى على تقديم الانذار فانه سيأمر بطرده من مكتبه وسيعلن قطع العلاقات الدبلوماسية مع أمريكا .

اتصل جمال عبد الناصر في نفس الوقت بأوسع دائرة من الضباط الأحرار وأبلغهم أنه سيقاوم الانذار الأمريكي ، حتى ولو اضطر الى الكفاح السرى المسلح ، وقد استخدم تعبير Under ground وهو يبلغ ذلك الى مح أحمد فؤاد ولطفى واكد ... لفتصل بالشيوعيين استعدادا للمقاومة الشخصية .

طلب من قيادة الجيش توضيح أبعاد صفقة الأسلحة وما تحققه لمصر من كسر الغضوع لاحتكار السلاح وتأكيد الاستقلال الوطنى ، والقوة على الدفاع عن النفس ضد اسرائيل وحماية الحياض الايجابى ... وقد القيت محاضرات وكلمات وعقدت ندوات فى كافة وحدات الجيش حول هذا الموضوع .

كلف ضباط المخابرات المنبئين فى منطقة الغنال بمراقبة تحركات القوات البريطانية التي لم تكن قد انسحبت كلها من القاعدة بعد ... واعطى انذارا لقوات لجيش بأن تكون على استعداد وفى حالة طوارئ ..

وقد تصرف بايرود وكيرميت روزفلت بمبادرتهم الخاصة واتصلا بجورج الين وهو فى الجو ليطلبوا منه علم الادلاء بتصريحات للصحفيين عند هبوطه من الطائرة ، واقتناه بعد مقابلته بعدم تقديم الانذار المكتوب ، تفاديا لانفجار يحدثه الموقف الشديد التوتر كما ذكر هيكى فى كتابه (عبد الناصر والعالم) .

واستقبل عبد الناصر جورج الين الذى لم يقدم الانذار واكتفى بأن قال له ان دالاس فى ضيق ، وكان رد عبد الناصر (وليكن ... ولكن شعبى مهدد) .

وحاول الين للمرة الأخيرة أن يثنيه عن تنفيذ الصفقة بقوله انه فى حالة الغائما فإن الولايات المتحدة تتطلع الى امداده بالسلاح . وأجابه عبد الناصر قائلا :

ـ لقد فات الاوان .

نعم كان الاوان قد فات ... وعلق موسى شاريت على الصفقة قائلا (انها خطر لا مثيل له ومن المحتم ان تؤثر تأثيرا بالغا على أمن اسرائيل ... كما انها غيرت ميزان القوى تغييرا حاسما وضع حدا لتفوق اسرائيل النوعى على مصر ... انها خطر داهم لم تشهده اسرائيل منذ حرب الاستقلال) .

واستقبل الشعب المصرى أنباء الصفقة استقبالا حماسيا وازداد اسم جمال عبد الناصر لمعانا ، وارتفع نجمه فى سماء الأمة العربية بل وفى العالم الثالث رمزا لقدرة النضال على مواجهة الاستعمار .

وكان اتمام صفقة السلاح بعد ١٦٠ يوما فقط من افتتاح مؤتمر بانسويج تأكيدا لاستمرار سنوات الصعود ، وبعثا للثقة في نفوس الجماهير التي شعرت للمرة الأولى انها تملك ارادتها وانها قادرة على تحقيق ما يشبه المعجزات .

يقول جان لاکوتير في كتابه عبد الناصر (نسقت الدعاية الرسمية والحركة اليسارية جهودهما للمرة الأولى واثارتا لدى الجماهير ردات فعل حماسية عارمة) .

والحقيقة القاطنة ان اليسار المصري قد رحب بهذه الخطوة ترحيبا شديدا ، واعتبرها نقطة تحول في مسار السياسة المصرية ، تدفع قرارات بانسويج لتطبيق عملي ٠٠٠ ولكن معظم قيادات الحركة الشيوعية كانوا في السجن ومن هنا أرسلوا برقيات تأييد لجمال عبد الناصر .

وكما لم يشترط الاتحاد السوفييتي أية شروط تتعلق بصفقة الأسلحة من حيث الكمية أو النوع أو طريقة الدفع ٠٠٠ فانهم لم يشترطوا أيضا ضرورة الافراج عن الشيوعيين المصريين واعتبروا هذا أمرا داخليا لا يجوز التدخل فيه ٠٠٠ وان مراحل النضال وحدها هي الكليّة بأبراز الدور الوطني للشيوعيين .

تحطم الاحتكار الغربي للسلاح في سهولة ويسر ، ولم تحدث ردود فعل عنيفة أكثر من محاولة تقديم افذار دالاس ٠٠٠ وفتحت مصر الباب لمزيد من صفقات الأسلحة بين دول منطقة التحرر الوطني والاتحاد السوفييتي .

وحضر الى مصر عقب اعلان الصفقة وزير خارجية سوريا صلاح البيطار على رأس وفد سوري للتعرف على أبعاد الصفقة .

وبعد أيام انتهت المباحثات بين مصر وسوريا الى عقد ميثاق عسكري في أكتوبر ١٩٥٥ اعتبر فيه ان أي اعتداء على دولة من الدولتين يعتبر اعتداء على الأخرى وقررت مصر تسجيل هذا اليوم ٢٠ أكتوبر باعتباره (يوم الجيش) تحتفل به كل عام . (ولم تمض عدة شهور حتى تعاقبت سوريا مع الاتحاد السوفييتي على شراء السلاح وتبعتها أفغانستان ولم يمض وقت طويل حتى كانت اليمن هي الدولة الرابعة ، ومن بعدها توالى تعاقبات الدول ، وكأنها مسبحة انفرط عقدها من يد الامبريالية العالمية التي كانت تقبض عليها .

كانت نتيجة هذه الصفقات المتتالية نهاية مرحلة كانت الامبريالية العالمية تسيطر فيها على كافة دول العالم غير الشيوعية وتراقب مراكزها

وتحدد قوتها وتسلب منها ارادتها الى جانب ما تستولى عليه من المواد الخام ومن جهد الانسان .

ومن الأمور الرئيسية التي ساعدت على تحقيق هذه الصفقة واحداث تغيير جذري في موازين القوى العالمية حرص العسكريون في مصر على تزويد الجيش بأحدث الأسلحة الممكنة .

طبيعة العسكريين لعبت دورا كبيرا في شق هذا الطريق الذي كان يبدو وعرا يصعب السير فيه . ولكنهم أقدموا على خوضه بكل ما يملكون في أنفسهم من اندفاع تلهبه حماسة الشباب ، وكل ما في صدورهم من اصرار على خلق جيش يحمي مصر من العدوان .

والأسلحة التي حصلت عليها مصر كانت حديثة تماما . . . أدخلتها عصر النفاثات في عالم الطيران ، ووفرت لها الدبابات الثقيلة وشبكة انضالات اليكترونية ، ومحطات رادار حديثة ، وقوارب طوربيد . . . وكاسحات الغام . . . وكانت هذه أسلحة يسيل لها لعاب العسكريين .

ووصول مثل هذه الأسلحة الحديثة الى بلد غير شيوعي من الاتحاد السوفييتي ما كان ليتم لولا وفاة ستالين وحدوث تغيير في سياسة الحزب الشيوعي السوفييتي ظهرت واضحة في قرارات المؤتمر العشرين الذي عقد في فبراير ١٩٥٦ وقرار الانفتاح على شعوب آسيا وأفريقيا ودعم حركات التحرر الوطني .

ولم يجد الاتحاد السوفييتي في ذلك تعارضا مع سياسة التعايش السلمي التي تبناها لأن مساندة دول التحرر الوطني بالسلاح يخضع استقلالها الوطني. وحيادها ومعادتها الأحلاف ، وهي الأمور التي تحاصر جموح الامبريالية العالمية ، وتجبرها على قبول مبدأ التعايش السلمي .

وقد فرض هذا الاسلوب السوفييتي في التعاون مع الدول غير الشيوعية اسلوبا جديدا في تعامل أمريكا مع الدول غير المرتبطة معها بأحلاف دفاعية . . . وهو الأمر الذي انتهى الى اقرار مشروع ايزنهاور في ٥ يناير ١٩٥٧ ، مما سيأتي تفصيله فيما بعد ، وامداد الاردن ولبنان وتونس وغيرها بالأسلحة رغم عدم ارتباطها بأحلاف دفاعية .

وهكذا أدت صفقة الأسلحة الى انقسام الموقف في الشرق الاوسط الى دول وطنية متحررة تشتري السلاح من الاتحاد السوفييتي بلا قيود أو شروط ، ودول أخرى تابعة للامبريالية ومرتبطة معها اما بأحلاف عسكرية أو بقبول ما ورد في مشروع ايزنهاور .

هذا الموقف الجديد لصر أتاح لها للمرة الأولى منذ ثلاثينيات القرن

الثامن عشر: في عهد محمد علي أن تحصل على السلاح الذي تزيده لتحقيق آمال قادتها العسكريين ومصر لم يحكمها عسكريون مهنة وأصلا منذ عهد محمد علي وإبراهيم الا محمد نجيب وجمال عبد الناصر .

استقبلت الأسلحة السوفيتية استقبالا جيدا من جانب ضباط القوات المسلحة المصرية ، لأنهم وجدوا فيها بديلا عظيما عن الأسلحة البسيطة التي كان يشتريها الجيش من السويد أو سويسرا فقط .

وسافر الى تشينكو سلافوفيا ثم الاتحاد السوفيتي ضباط مصريون للتدريب لأول مرة في التاريخ وكانوا يسافرون بأسماء مستعارة تحاشيا للأمريكيين .

ووصل الخبراء السوفيات العسكريون في عام ١٩٥٨ بدأوا باعداد محدودة على مستوى القيادات العليا فقط ، واشتركوا في اعادة تنظيم الجيش على أساس توحيد مدارسهم .

كان الجيش حتى ذلك الوقت خليطا من أفكار واتجاهات ومدارس مختلفة . . . الاختلاط والتنظيم التقليدي البريطاني الذي نظم الجيش على أساسه منذ الاحتلال عام ١٨٨٢ ، والدراسات الأمريكية المستحدثة من ذهاب عدد متزايد من الضباط الى دورات تدريبية في أمريكا ، وصلت الى مستوى قادة السرايا ، واستيراد عدد من الخبراء العسكريين الالمان وعلى رأسهم الجنرال فون باخر الذين خدموا في عهد النازي وتأثيرهم المتزايد في الأبحاث والصواريخ والمخابرات . . . وأخيرا وصول الأسلحة السوفيتية الحديثة .

وتنظيمات الجيش على مختلف المستويات من الجماعة الى الفرقة تعتمد على التسليح ، بل ترتبط به . . . ولذا كان ضروريا ان يعاد تنظيم الجيش على أساس العقيدة السوفيتية ، وان تتوحد مدارسهم . . . وقد تم ذلك على مراحل متدرجة .

وأرسلت الى الاتحاد السوفيتي أيضا فرق لدراسة نظم المخابرات السوفيتية . حتى يكون هناك تناسق كامل بين أسلوب المعاملات واسلوب القتال ، وكان من أوائل الذين حصلوا على هذه الفرقة هناك شعراوي جمعة أمين عام التنظيم بالاتحاد الاشتراكي ووزير الداخلية فيما بعد ، عندما كان يعمل وكيلًا لإدارة المخابرات العامة .

ويعتبر العسكريون أن أفضل فترات الجيش بعد الثورة كانت هي فترة استقراره على أسس العقيدة والتنظيمات السوفيتية ، وذلك بعد الانهيار الذي حدث في (الضبط والربط) العسكري بعد ٢٣ يوليو ،

وارتباط كثير من الضباط بشلل تحيط بأعضاء مجلس القيادة أو ارتباطهم بأعمال خارجية ، وظهور اصطلاح (مندوب القيادة) الذى أحدث خلخلة فى تماسك الجيش .

كان وصول الخبراء السوفييت للقوات المسلحة المصرية بعد خبرتهم العالية فى الحرب العالمية الثانية بداية مرحلة اهتمام جدى بالتدريب لم يعرفها الجيش المصرى من قبل ٠٠٠ وبداية وصول القوات الجوية والقوات البحرية إلى مستوى عال لم يتوفر لها من قبل مما حقق بعضا جديدا للجيش المصرى بعد الضغوط التى تعرض لها عقب معاهدة لندن فى عهد محمد على .

ولم تقف اسرائيل جامدة أمام هذا التقدير الجذرى الذى حدث فى صفوف الجيش ، فانتهى مرحلة كان نقص السلاح وقلة الخبرة وضعف القيادة هى عناصر الجيش الرئيسية ٠٠ وكانت فرنسا هى ربيبة اسرائيل فى ذلك الوقت لأنها منذ خرجت من الشرق الأوسط بعد انتهاء الانتداب على سوريا ولبنان عقب الحرب العالمية الثانية ، ومنذ واجهت طلائع الثورة الجزائرية وهى تأخذ موقفا معاديا للعرب ٠٠٠ فكانت أرض فرنسا هى مكان تدريب الهاجاناه الاسرائيلية فى منتصف الأربعينيات ٠٠٠

وعندما تردد ايزنهاور فى اعطاء اسرائيل طائرات نفثة ودبابات لحفظ رجحان كفتها على مصر ، بادرت فرنسا بإمدادها بما تريد ، الأمر الذى دفع جمال عبد الناصر الى عقد صفقة ثانية للسلاح مع الاتحاد السوفييتى رفع مجموعها الى ٢٠٠ مليون دولار وحصل بها على طائرات ميغ ١٧ .

.. وحاولت حكومة الولايات المتحدة احتواء الموقف ، وأرسل دالاس روبرت اندرسون مندوبا له فى نهاية ١٩٥٥ لـ يحمل إنذارا مثل جورج الين ، وإنما يحمل مشروعا لحل المشكلة الفلسطينية وانهاء حالة الحرب بين مصر واسرائيل ٠٠٠ ولكن جمال عبد الناصر - كما يقول محمد حسنين هيكل فى كتابه عبد الناصر والعالم - درج على تسمية هذا المشروع باسم يتصل ببدء الطبيعة لاهتمامه بالفرعيات والشكليات دون تقديم حل سليم ودائم للمشكلة .

وتمت محاولة أخرى لغرض حظر على تصدير الأسلحة الى الشرق الأوسط بدأتها المفاوضة العمالية فى انجلترا باقتراح عقد مؤتمر رباعى يضم ممثلين للاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة وفرنسا وانجلترا وذلك احراجا لحكومة المحافظين .

ولكن فرنسا لم يجذبها الإقتراح ، وكانت قد رفضت الاشتراك في حلف بغداد من قبل ، ولم يزعجها وصول الأسلحة السوفيتية الى مصر لأنها كانت المصدر الرئيسى لامداد اسرائيل بالسلاح . كما انها كانت مهتمة بموقفها في الجزائر .

وانتهز أنطوني ايدن فرصة زيارة خروشفوف وبولجانين الى لندن في ابريل ١٩٥٦ واقترح عليهما فرض حظر على تصدير السلاح الى الشرق الأوسط ، ورد عليه خروشفوف بأن الاتحاد السوفيتى لا يمانع اذا كان ذلك ضمن خطة شاملة تتم تحت اشراف هيئة الأمم المتحدة .

ولكن التزامات بريطانيا اذا دول حلف بغداد (تركيا والعراق) أنهت هذا الاقتراح ، وركنته على الرف كما يقولون .

وعندما بلغ عبد الناصر خبر هذا الاقتراح من السوفييت بادر باتخاذ قرار الاعتراف بحكومة الصين الشعبية في ١٦ مايو ١٩٥٦ بعد أيام من مغادرة خروشفوف وبولجانين لندن ، وذلك تقاسدا لحظر محتمل على الأسلحة ، تستطيع فيه اسرائيل بتسربها الى أماكن النفوذ والسلطة في بعض الدول ان تحصل على ما تشاء بينما تظل الدول العربية محرومة من السلاح .

وكان الاعتراف بالصين الشعبية مبادرة جريئة من مصر فلم تكن هناك دولة في الوطن العربى أخذت هذا الموقف في وقت كانت حكومة الولايات المتحدة فيه كالنمر الهائج ضد كل ما هو صينى . . . حتى ان جوازات سفر الأمريكين كان يصرح لهم فيها بالسفر الى كل دول العالم عدا الصين وكوريا الشمالية .

وخلال هذه الفترة كانت علاقات الصين مع الاتحاد السوفيتى وثيقة ولم تكن قد ظهرت فيها أية خلافات أو تناقضات ، وكان ماوتسى تونج قد حضر المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى السوفيتى في فبراير ١٩٥٦ وخطب فيه منددا بستانين ومشيدا بدور الاتحاد السوفيتى في مساعدة حركات التحرير .

أمن جمال عبد الناصر بهذه الخطوة حق مصر في استيراد السلاح ، حتى لو فرض حظر على المنطقة تحت رعاية هيئة الأمم المتحدة . .

وبعد أيام قليلة في شهر يونيو ١٩٥٦ حضر الى مصر مرة أخرى شبي洛夫 رئيس تحرير البرافدا الذى أصبح وزيرا لخارجية الاتحاد السوفيتى لحضور احتفالات جلاء آخر جندى بريطانى عن مصر .

وهدرت في شوارع القاهرة يوم العرض العسكرى احتفالا بعيد الجلاء

لمدة أربع ساعات دبابات سنيتالين وقاذفات اللهب ، والمدفعية الخفيفة والثقيلة ، وغطت السماء أسراب طائرات الميج النفاثة وقاذفات القنابل الاليوشن .

وانبهرت الجماهير بما رآته من تسليح حديث ، وزغزدت النساء وتأثر العرب الذين حضروا العرض العسكري مشاركة لمصر في احتفالها التاريخي أرسل الأردن كتيبة من الفيلق العربي وأرسل لبنان مجموعة من جنود التزحلق ، واليمن جماعة من تلاميذ المدارس الحربية ، وليبيا والسعودية وسوريا وحدات نظامية .

كان يوما حافلا بالنشوة والابتهاج ، وبخاصة للعسكريين الذين حققوا هدفا من أعظم أهدافهم ، ولم تعد استعراضاتهم العسكرية هزيلة أو متخلفة .

ولم يدخل السوفييت الى المنطقة بدعوة العسكريين المصريين لهم للحصول على السلاح فقط ، ولكنهم دخلوا أيضا من باب آخر ، غير باب السلاح .

وكانت حركة ٢٣ يوليو قد ركزت على بعض المشاريع الهامة لتنفيذها منذ البداية ومنها قانون اصلاح الزراعى ومشروع السد العالى .

تابع المشروعات قائد الجناح جمال سالم الذى عرف بحدة طبعه وذكائه وتصرفاته الرعناء أحيانا .

استطاع جمال سالم أن يصدر قانون اصلاح الزراعى مع وزارة مجيد نجيب الأولى يوم ٩ سبتمبر ١٩٥٢ .

ولكن مشروع السد العالى لم يكن قانونا يصدر فينفذ ، ولكنه كان مشروعا يحتاج الى بحث ودراسة وتمويل . . وصبر أيضا .

فكرة المشروع قديمة عرضها مهندس مصرى من أصل يونانى اسمه ادريان دانيوس على بعض حكومات ما قبل الثورة منذ عام ١٩٤٧ ولكنه لم يجد منها قبولا . . . الى ان التقى مع جمال سالم وعندما درس جمال سالم المشروع فتنه وتبناه أمام أعضاء مجلس القيادة ، وأصبح محور حديثه الدائم ، وموضع اهتمامه ومتابعته ، حتى ان أحدا من أعضاء المجلس لم يبذل جهدا لمعرفة تفاصيل المشروع والقى العيب كله عليه .

وبدأ جمال سالم يقوم بدراسات مصرية للسد العالى ، واعترض عليها بعض كبار المهندسين مثل عثمان محرم وعبد العزيز أحمد ولكنه واصل

أبحاثه مع بعض بيوت الخبرة الأجنبية ... وأجريت مفاوضات مع مجموعة
فرنسية انجليزية أمريكية .

جميع بيوت الخبرة العالمية وافقت على المشروع من الناحية الفنية
... وما زال يوجد حتى اليوم نموذج كامل للسد العالي فى قرية جرينوبل
بفرنسا عندما تعاونت مصر فى مجال البحث مع إحدى الشركات الفرنسية
... وذلك حسب مشاهدة حسن إبراهيم وروايته تدليلا على سلامة
المشروع .

وأعطى جمال سالم باعتباره نائبا لرئيس الوزراء دفعة جديدة
للمشروع وقبب الى جانيه فيها المهندس سمير حلمى الذى عين وزيرا
للصناعة فيما بعد ، وكانت الوقفة الرئيسية عند اختيار المكان المناسب
لبناء الهرم الجديد .

استمر مجلس القيادة متابعا لموضوع السد العالي من بعيد .. تهتم
به كلما عرض عليهم جمال سالم مزيدا من التفاصيل ... وعندما أبلغهم ان
كل الدراسات قد أصبحت جاهزة ، ولم يعد باقيا الا التمويل ، نبئت
أمامهم علامة استفهام كبيرة ، فقد كان الموقف السياسى متوترا مع الغرب
بعد عقد صفقة الأسلحة المصرية التشيكوسلوفاكية .

ولكن وزارة الخارجية الأمريكية أصدرت تصريحا فى أكتوبر ١٩٥٥
تقول (ان الولايات المتحدة على استعداد للمساهمة فى تمويل مشروع
السد العالي وفى مشروع وادى الاردن وان هنالك (مشروع مارشال)
أمريكى للشرق الأوسط على نمط المشروع الأوروبى) ... وطلبت ارسال
مستول مصرى لدراسة الموقف مع واشنطن ، بدأ الأمر كما لو ان حكومة
الولايات المتحدة لا تريد أن تفقد كل صفقات مصر ... واستقبل الدكتور
عبد المنعم القيسونى وزير الاقتصاد والمعروف بميله الى الغرب فى نوفمبر
١٩٥٥ استقبالا حافلا فى واشنطن وخمليه دالاس رسالة حسب ما ورد فى
كتاب محمد حسنين هيكل (عبد الناصر والعالم) يقول فيها لعبد الناصر
انه اذا كان الاتحاد السوفيتى يساعد مصر بالسلاح وان ذلك يعنى الموت ،
فان الولايات المتحدة مستعدة الى مساعدة مصر على بناء السد العالي وهذا
يعنى الحياة .

كان الموقف يدعو الى التفاؤل وجمال سالم يكاد يخلق من الابتهاج ..
وخاصة فى منتصف ديسمبر ١٩٥٥ عندما أصدرت الحكومتان البريطانية
والأمريكية بيانا أعلنتا فيه مساهمتهما فى تمويل المرحلة الأولى للسد العالي
بما قيمته ٧٠ مليون دولار تدفع منها بريطانيا ١٤ مليون ، ثم تبحت
الحكومتان بعدئذ اشتراكتهما فى المرحلة الثانية .

وتم الاتفاق أيضا على ان يقرض البنك الدولي للانشاء والتعمير مصر ٢٠٠ مليون دولار دفعة أولى بعد مفاوضات استمرت مدة أسبوعين بين جمال عبد الناصر وجمال سالم ورئيس البنك يوجين بلاك ٠٠٠ وأعلن الاتفاق يوم ٨ فبراير ١٩٥٦ على أساس اعطاء البنك حق الحصول على معلومات عن الاقتصاد المصرى وحق الاشارة بالخطوات اللازمة ، دون حق الاشراف على الاقتصاد وهو ما كان يطالب به .

وكان البنك الذى انشئ عام ١٩٤٦ بهدف إعادة بناء اقتصاد الدول المكتوبة من العمليات الحربية والذى تملك الولايات المتحدة ٣٢٪ من أصوات مجلس إدارته ولا يعيد رئيسا له الا أمريكى قد حاول أن يفرض على مصر عدم الحصول على قروض خارجية ولا أى اتفاقيات. دفع الا بموافقته الأمر الذى رفضه جمال عبد الناصر تماما ٠٠٠ لان ذلك كان يعنى حظر التعامل أو استيراد السلاح من الاتحاد السوفييتى .

كان مفهوما أن يعفى مشروع السد العالى فى طريقه الطبيعى بعد ذلك ، ولكن اتضح أن حكومة الولايات المتحدة كانت تهدف الى ربط الاقتصاد المصرى بها طوال مدة بناء السد التى تمتد عشر سنوات وقد تزيد .

كتبت النيويورك تايمز تقول (تربط حكومة الولايات المتحدة بين مقترحاتها بمساعدة مصر مساعدة طويلة المدى لمدة عشر سنوات لبناء السد العالى وبسوية النزاع المصرى الاسرائيلى ، وتعتقد حكومة الولايات المتحدة ان المساعدة الاقتصادية لمصر تستطيع أن تؤدي الى تسوية عامة للموقف فى الشرق الأوسط) .

وضع هربرت هوفر وكيل الخارجية الأمريكية ومستشار دالاس لشنون الشرق الأوسط ، وهو من رجال شركات البترول الأمريكية ومن أبطال الانقلاب الأيرانى الذى قامت به المخابرات المركزية ضد مصدق وأسقطته مذكرة تقول (السد العالى مقابل الصلح) .

وصارح هوفر السفير أحمد حسين بذلك طالبا اليه أيضا ان تعلن مصر فى بيان رسمى امتناعها عن عقد المزيد من صفقات السلاح مع الاتحاد السوفييتى .

واتضح خطة حكومة الولايات المتحدة فى محاولة السيطرة على الاقتصاد المصرى واخضاعه لنفوذها بعد أن أفلتت منها فرصة منع مصر من عقد صفقة السلاح مع السوفييت .

يقول أنطونى ايدن فى مذكراته (كان المطلوب أن يعطى المصريون وعدا بأن يجعلوا لمشروع السد العالى الأولوية على غيره من المشروعات

الأخرى وأن لا يقوموا بتنفيذ غيره من المشروعات وأن يرفضوا المساعدات التي تعرض عليهم من المصادر الشيوعية) .

وبدأت بوادر تحليل الحكومتين البريطانية والأمريكية من وعودهما تظهر في تصريحات وأحاديث المسئولين وتتسرب الى جمال عبد الناصر خلال وزير عراقى سابق أرسل وثائق ما دار فى جلسات حلف بغداد فى شهر ابريل ١٩٥٦ ومنها تبين أن الحكومة البريطانية كانت قد قررت الانسحاب من ارتباطاتها .

أكد هذه الواقعة ما ورد على لسان أنطونى ايدن أيضا فى مذكراته عندما كتب (كانت ثمة نقطة لا يمكن تجاوزها فى عملية تمويل السد ذلك أنه كان علينا أن نراعى أيضا مركز حلفائنا ولا سيما العراق وكانت له احتياجاته الخاصة وكانت الحكومة العراقية قد اشتكت بالفعل فى أوائل ذلك العام من أن المصريين استفادوا بمعداتهم للغرب أكثر دون أن يتعاونوا معه وكان العراقيون قد حصلوا على ٣ ملايين جنيه وعدد قليل من الدبابات أما المصريون فقد بدأ انهم سيفوزون بالسد العالى ، فإذا كان لابد من تقديم احسان فان من حق الدول العربية الصديقة أن تسعى للحصول على نصيبها من هذا الاحسان ، ولم يكن من المتوقع من هذه الدول أن تنظر بحماس الى تقديم الغرب مبالغ كبيرة من المال لمشروع مصرى فى الوقت الذى تزداد فيه الروابط بين مصر وروسيا السوفيتية) .

وقال فولبرايت فى تقرير رسمى أعدته لجنة الشئون الخارجية للكونجرس (تثبت الأدلة أن الحكومة الأمريكية قد بدأت تراجع قرارها للرجوع عنه بعد بضعة أسابيع فقط من تقديمه) .

وظهرت بعض التعليمات الصحفية تقول (طالما لم نستطع شراء الصلح العربى الاسرائيلى مقابل السد فقد مات الحماس) .

وطالب جمال عبد الناصر من حسن ابراهيم أن يجس نبض اديناور مستشار ألمانيا الغربية لبحث امكانية المساهمة فى تمويل السد وحسن ابراهيم يقول انه رغم اهتمام اديناور الشديد بالمشروع ورغم قائده للشركات الألمانية فإنه لم يعرض المساهمة أبدا ورفض البحث فيها ربما خشية من حكومة الولايات المتحدة .

كان رفض أعضاء مجلس القيادة الخضوع لطلبات الحكومتين الأمريكية والبريطانية فى وقف التعامل والتسليح مع السوفييت وقبول الصلح مع اسرائيل هما حجر الزاوية فيما اتخذ من قرار سحب الحكومتين العرض فيما بعد ولم يكن موضوع الاعتراف بالصين الشعبية هو السبب الذى حملهما على إلغاء الموافقة ، كما تحاول بعض الجهات المعادية

الاساءة لموقف جمال عبد الناصر ، وتصويره بمظهر المستفز الذى يجبر خصمه على اتخاذ خطوات عنيفة ضده ، ولكنها ربما كانت النقطة التى فاض بعدها الاناء .

اسرائيل وريبة أمريكا اعترفت بالصين الشعبية عام ١٩٥٠ دون أن يحدث ذلك صدئ فى علاقتها مع واشنطن ٠٠٠ وأمريكا لم تسحب موافقتها الا بعد شهرين من اعتراف مصر بالصين .

الأمر غير ذلك تماما فانه عندما حضر السفير المصرى أحمد حسين وأبلغ جمال عبد الناصر أن دالاس محرج أمام الكونجرس الأمريكى لرفض مصر لشروط القرض قال له جمال عبد الناصر الذى كانت قد توفرت له المعلومات واليقين بأن الحكومة الأمريكية قد قررت سحب موافقتها ، أنه يمكن أن يذهب الى دالاس ويبلغه أن مصر قد قبلت كل الشروط ثم يبلغه برد فعله .

ولم تكن مصر قد تعاقبت مع السوفييت كما أشيع بعد زيارة شبيلوف الثانية لمصر لحضور احتفالات الجلاء فى ١٨ يونيو ١٩٥٦ .
قابل دالاس السفير المصرى فى حضور هربرت هوفر وجورج إلين الذى سجل المقابلة هو فى هذه الكلمات .

دخل السفير المصرى الى مكتب دالاس وكان هناك هربرت هوفر وأنا وكان السفير حسين متأمركا جدا وكان يرهق عبد الناصر دائما بمكالماته التليفونية التى يحثه فيها على تأييد أمريكا ، وقال حسين لدالاس أنه قلق من العروض الروسية وما سوف تثيره وأنه لابد وأن تقوم الولايات المتحدة ببناء السد وبأسرع وقت .

رد دالاس بهدوء (اننا بحثنا الأمر جديا ونقدر أهميته ولكن بصراحة أن موقفنا الاقتصادى يجعل من المتعذر على الولايات المتحدة الاشتراك ونحن نسحب العرض الذى قدمناه) .

وفى اللحظة التى دخل فيها السفير أحمد حسين لمكتب دالاس كان المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية يوزع بيانا على المراسلين يعلن فيه سحب العرض الأمريكى كما كتب محمد حسين هيكى فى كتابه (عبد الناصر .. والعالم) .

كان البيان يحاول الوقية بين مصر من جهة والسودان وأثيوبيا وأوغندا من جهة أخرى اذ جاء فيه (انتهت الحكومة الأمريكية الى أنه من غير العمل فى الظروف الحاضرة أن تشترك فى المشروع اذا لم يتم الاتفاق بين الدول المشتركة فى موارد مياه النيل) ويحاول هدم سمعة الاقتصاد

المصري بقوله (أن مقدرة مصر على تخصيص موارد كافية تضمن نجاح المشروع سارت أكثر التقادا للتوكيد بخلاف ما كانت عليه عند تقديم العرض) .

هل تكون سبعة شهور فقط قد غيرت من حقيقة الوضع في مصر بين يوم اعلان الموافقة ويوم سحبها ؟؟ .

وقد لخص فولبرايت حقيقة الموقف الأمريكى بقوله فى تقرير اللجنة الشئون الخارجية بالكونجرس .

(كانت صفقة الأسلحة هى السبب فى الاسراع بعرض المساهمة وكانت هى السبب أيضا فى سحب العرض) .

ويقول التقرير أيضا أن الأسباب التى أعلنت لم تكن من الأسباب الحقيقية بالطبع ولم تجد اللجنة أى دليل على أن الاقتصاد المصرى قد ساءت حالته قبل سحب العرض .

وأعلنت بريطانيا بعد ٢٤ ساعة سحبها للمساعدة التى التزمت بها ويقول انطونى ايدن فى مذكراته (أبلغتنا الحكومة الأمريكية بهذا القرار دون أن تتشاور معنا بشأنه ولهذا لم نتح لنا أية فرصة لانتقاده أو إبداء رأينا فيه قبل إبلاغه الى السفير المصرى وكانت النتيجة أن الفى البنك الدولى أيضا القرض الذى كان سيقدمه لمصر) .

وقد ثار يوجين بلاك عندما شعر أنه أدى دور دمىة متحركة فى يد دالاس وايدن وقال (ان دالاس لا يملك الحكم على الاقتصاد المصرى هذه هى مهمة البنك الدولى ، وقد كلفنا أن نجيب على سؤالين محددين هما : هل المشروع ممكن ؟ وهل يتحمل الاقتصاد المصرى ؟ وأجاب البنك عن السؤالين بالإيجاب .

وبرر دالاس تراجع ليوجين بلاك بقوله ان الكونجرس لم يصدق على مساعدات خارجية كافية لامداد تيتو فى يوغوسلافيا وعبد الناصر فى مصر وأنه أى دالاس - يفضل أن يقدم مساعدات لتيتو الذى يبتعد عن الكتلة الشيوعية أكثر من عبد الناصر الذى يقترب من هذه الكتلة .

وفى ليلة صدور البيان الأمريكى كان جمال عبد الناصر وعبد اللطيف البغدادى فى الطائرة مع نهرى عائدين من بربونى بعد لقاء ثلاثى مع تيتو وقدم المرافق الجوى له رسالة لاسلكية بملخص للبيان ، وكان تعليقه على ذلك قوله لرفيقه فى الرحلة عبد اللطيف البغدادى أن هذا ليس سحبا للعرض ، أنه هجوم سافر على النظام الحاكم ودعوة الشعب المصرى الى إسقاطه .

وعندما أطلع عبد الناصر نهرو على البيان قال الزعيم الهندي
(يا صلافة هؤلاء الناس) لم تكن مصر قد اتصلت بالسوفييت اتصالا
رسميا من أجل تمويل السد العالي ٠٠٠ ولم يكن هناك دراسات سوفيتية
للمشروع .

وكان جمال عبد الناصر قد قرر تأميم قناة السويس ٠٠٠ وقرر في
نفس الوقت ان يبدأ اتصالا جديدا مع السوفييت لتمويل مشروع
السد العالي .

وكان سولود السفير الذي تمت في عهده صفقة الأسلحة لا يبدى
اهتماما بمشروعات اقتصادية لا تطلبها مصر ٠٠٠ ولا يحاول الظهور في
مظهر الحرص على عقد اتفاقيات خاصة وقد قيل أن سولود قد أبلغ سفير
الهند بأن الاتحاد السوفييتي لم يقرر تمويل السد العالي بعد ويبدو أن
ذلك مبدأ سوفيتيا يفرض عليهم الحرص على الظهور بمظهر البعيد عن
المشاكل الداخلية ، الذي لا يبدى رأيا الا اذا طلب منه ذلك .

كلف جمال عبد الناصر اللواء عبد الحكيم عامر للاتصال بالسفير
السوفييتي الجديد كيسيليف لمعرفة رأى الاتحاد السوفييتي في تمويل
المشروع .

وبعد أسبوع وصل الرد بالموافقة من حيث المبدأ ٠٠٠ وتحرك المشروع
من جديد ٠٠٠ ولكن جمال سالم الذي تبني فكرته لم يكن قد أصبح عضوا
فى الوزارة ٠٠٠ أثر ان يستقيل بعد انتهاء فترة الانتقال وأصر على موقفه
فى الحاج ٠٠٠ وصدرت وزارة ٢٩ يونيو ١٩٥٦ أول وزارة يشكلها
جمال عبد الناصر بعد انتخابه رئيسا للجمهورية فى ٢٥ يونيو ١٩٥٦ .
وليس فيها جمال سالم ولا شقيقه صلاح سالم الذى قبلت استقالته من
قبل أغسطس ١٩٥٥ وتولى جمال عبد الناصر أعماله فى وزارة الدولة
للسودان ووزارة الارشاد القومى لمدة شهرين حتى عين فتحى رضوان ٠٠٠

وعلى قدر ما كانت صفقة الأسلحة المصرية التشيكية حدثا كبيرا
مؤثرا فى العام الثالث كله ، ومغيرا لموازين القوى العالمية ، على قدر ما
كانت دعوة المصريين للسوفييت لبناء أعظم وأخلد أعمال الشعب المصرى
فى العصر الحديث ، بداية تعاون جديد فى مجال الاقتصاد والصناعة .

وهكذا وصل السوفييت الى المنطقة وكأنهم عامل انقاذ من طغيان
الامبريالية العالمية التى حاولت فرض الاحتكار على السلاح وفشلت والتى

حاولت احتواء مصر عن طريق تمويل السد العالي باتفاقية تضع مصر تحت اشرافها ثم تراجعت وانسحبت ، عندما وجدت ان خطتها لن تعيد حلقة الحصار من جديد .

وصل السوفييت الى المنطقة فكانوا عاملا مساعدا ومشجعا في سنوات الصمود للعسكريين وأصبحوا عنصرا رئيسيا من عناصر الحركة السياسية المؤثرة في المنطقة .

الفصل الرابع

القناة • • والعدوان

(ان رجلا له سجل ناصر يجب الا يسمح
له بان يطبق يده على رقبتنا)

انطوني ايدن

(ان عبد الناصر يجب ان يلفظ القناة
ولا يبتلعها)

جون فوستر تالاس

(انا في القاهرة ساقاتل معكم ضد اى غزو
الى آخر نقطة دم)

جمال عبد الناصر

من فوق منبر الأزهر

كان سحب الأمريكيين والبريطانيين لعرض تمويل السد العالى ،
واتهام الاقتصاد المصرى بعدم القدرة على انجاز هذا المشروع الكبير ، ضربة
شديدة لجمال عبد الناصر الذى جعل من السد العالى محورا من اهم محاور
التقدم للمجتمع والقورة •

ولم يكن من الطبيعي أن يتلقى هذه الضربة المهيمنة في هدوء ... ولم يكن عنده حتى هذه اللحظة عرض آخر لتمويل المشروع رغم تصريحه لصحيفة نيويورك تايمز الذي نشرته الجمهورية يوم ١٣ إبريل ١٩٥٦ يقول (إذا انقطعت المفاوضات الخاصة بالمساعدة الغربية لتمويل السد العالي فإن مصر ستضطر بكل تأكيد الى الموافقة على العرض السوفييتي لتمويل هذا المشروع ... اننا لم نرفض العرض السوفييتي فقد كان هذا العرض عاما جدا .

ونبتت فكرة تأميم قناة السويس .

لم تكن فكرة طارئة ، أو رد فعل عفوى لسحب عرض التمويل ... وانما هي فكرة قديمة تابعتها حركة الجيش منذ بدايتها ، ولكن دون أن يكون هناك قرار واضح المعالم .

وقناة السويس تمثل مأساة في حياة الشعب المصري ... مات من أبنائه ١٢٠ ألفا وهم مستخرون في حفرها ... بعد أن كانت مشروعا درسته حملة نابليون ، وأخطأ مهندسو الحملة بقولهم أن هناك فارقا قدره ٩ أمتار بين مستوى البحر الأحمر والبحر الأبيض مما يجعل شق القناة مستحيلا ... ولم تستمر الحملة لتصحيح الخطأ .

وتبنى المشروع بعد ذلك فرنسيون أيضا من أتباع المفكر الاشتراكي الخيالي (سان سيمون) وحضر زعيمهم (بروسبير انفتنان) محاولا اقناع محمد علي بالمشروع ، الذي رفض قائلا انه لا يريد (بوسفورا جديدا) .

ولم تكن مصر تملك شيئا من أموال شركة القناة ، بعد أن باع الخديوي اسماعيل ١٧٦٠٠٠ سهم الى الحكومة البريطانية عام ١٨٧٥ بمبلغ ٤ ملايين جنيه ، كلفت مصر ١٦ مليون جنيه وأغرقت الشعب المصري بديون بلغت ١٠٠ مليون جنيه ، دفعت عنها فوائد بلغت ٣٠٠ مليون جنيه .

وكانت هناك اتفاقية عقدت عام ١٩٤٩ بين الشركة والحكومة المصرية حصلت بموجبها على ٧٪ من الأرباح ، وتعيين خمس مصريين في مجلس الادارة الذي يضم ٢٥ انجليزيا وفرنسيا .

ومنذ الشهور الأولى لحركة الجيش تكون مكتب لقناة السويس كان مقره مجلس الشيوخ وتابع لرئاسة مجلس الوزراء عمل به الدكتور مصطفى الحفناوى الذى أثارت الشركة اهتمامه وأحلامه وأصدر مجلة خاصة باسم (قناة السويس) وكان جمال عبد الناصر قد استدعاه لالقاء محاضرة يفتتح بها الموسم الثقافي لنادى ضباط الجيش فى نوفمبر ١٩٥٢ -

طالب فيها بالتأميم . . . وكان ذلك عقب لقاء تم بينه وبين عبد الناصر
في أغسطس ١٩٥٢ .

ثم دعم هذا المكتب وصدر به قرار جمهوري في نوفمبر ١٩٥٤ وتوفي
رئيسه الدكتور حلمي بهجت بدوى وضم الدكتور حامد سلطان
ومحمد علي الفتيت ومحسن شفيق وأصبح اختصاصه دراسية شئون
قناة السويس واعداد أبحاث حول احتمال تأمينها .

وعندما حاولت حركة الجيش الحصول على شروط أفضل . . .
تمسكت الشركة بمدة الامتياز التي كان مفروضاً ان تنتهى عام ١٩٦٨
في مقابل زيادة نسبة الأرباح وزيادة عدد المصريين . . . ورفضت الشركة
زيادة عدد المرشدين المصريين رغم وجود عجز ٢٠٪ ، وظل الموقف كما هو
٤٠ مرشداً مصرياً فقط من ٢٠٥ مستخدمهم الشركة .

وأهتمت إدارة التعتية العامة للقوات المسلحة بشئون قناة السويس
أيضاً بتوجيه من جمال عبد الناصر وأرسلت إليها مندوبين للبحث لاستكمال
المعلومات في مشروعى الحصر الصناعى والكفايات الفردية . . . التي كانت
تقوم بها على مستوى الجمهورية ونشرت عدة مقالات في بداية عام ١٩٥٦
في مجلتها الشهرية الهدف التي كنت رئيساً لتحريرها . . . مقالات تحت
عنوان (هذه القناة ملكنا) .

وكلف جمال عبد الناصر وجمال سالم وعبد الحكيم عامر في جلسة
مشتركة ضابط المخابرات المسئول في منطقة القناة في أغسطس ١٩٥٥
بالحصول على معلومات تثبت تدخل شركة القناة في الشئون الداخلية لمصر
مستغلة الأموال التي تتدفق عليها من عوائد المرور .

وتبين من المعلومات التي حصلوا عليها أن الدخل الحقيقي للشركة
يختلف عن الدخل الذي كانت تخطر به الحكومة المصرية . . . كما أنها
كانت تدفع مصروفات سرية للموظفين المصريين العاملين بها وصلت أحيانا
الى ٢٠٠ جنيه شهريا .

وكانت الشركة حتى ذلك الوقت تمثل اقطاعية خاصة لا تسمح
لضباط الجيش بارتياذ ناد بها . . . وحدث حادث طريف اذ فكر قائد
المنطقة في طريقة يكسر بها هذا الحاجز ، فأطلق عددا من جنود الجيش
للسباحة في القناة عرايا تماما حتى اقتربوا من النادى الخاص بالشركة ،
ونعادوا سباحة . . . فما كان من أحد الموظفين المصريين بالشركة - نجم
الدين شاهين الضابط السابق بالجيش - إلا أن هرع الى قيادة الجيش
يعلن السماح لضباط الاشتراك في النادى .

واستدعى جمال عبد الناصر الضابط المسئول عن مخبرات القناة مرة أخرى في مايو ١٩٥٦ وطلب منه اعداد دراسات خاصة عن الموقف اذا ما حدث تأميم قناة السويس .

وعندما عين ثروت عكاشة نائبا لمدير المخبرات في مايو عام ١٩٥٦ بدرجة وكيل وزارة ، كلفه جمال عبد الناصر باعداد دراسات خاصة عن تأميم القناة ، دون أن يلصق له بشئ عن الهدف من ذلك .

وكان جمال عبد الناصر يلقي بفكرته عن تأميم شركة قناة السويس أخيانا لتمام بعض خلصاته بطريقة عابرة ليدرس ردود الفعل عندهم .

عندما أبلغ أحمد حسين السفير المصري بواشنطن اثناء أزمة تمويل السيد العالي الذعر وطلب منه التريث وعدم الاندفاع في هذا التفكير .

وصارح بتقو أيضا اثناء زيارة ليوغوسلافيا بأنه يفكر أحيانا في إعادة قناة السويس للشعب المصري ، ولكن الأمر لم يكن ملحا بما يجعل المناقشة جادة ومركزة .

ويبدو أن بعض هذه الأخبار كان قد تسرب الى الخارج فطلب المستر بيتون النائب المحافظ في مجلس العموم من الحكومة البريطانية أن تتشاور مع الدول الغربية والولايات المتحدة حول مستقبل قناة السويس كمر هامى دولي .

وكتبه أنور السادات في جريدة الجمهورية ردا عليه يقول (أما عن مستقبل قناة السويس فالقناة اذا كان السيد بيتون لا يعلم فهي جزء لا يتجزأ من مصر كما اعترف العالم أجمع) .

كان ذلك دليلا على أن فكرة التأميم لم تكن طارئة ، أو رد فعل فوري وانما كانت تعيش في رأس جمال عبد الناصر امتدادا لنداءات رفعها مصريون من قبل ، وتعبيرا عن مشاعر مكبوتة في نفوس المصريين منذ عشرات السنين .

برنامج الحزب الشيوعى المصرى كان يدعو صراحة الى تأميم قناة السويس .

وأحمد حسين رئيس الحزب الاشتراكى بدأ حملة مطالبات بتأميم قناة السويس فورا اثناء حركة الكفاح المسلح فى القناة ، خطب مناديا بذلك ، وكتبت مجلة الاشتراكية تدعو لذلك فى اعداد كثيرة ، كما نشر فى كتابه (الأرض الطيبة) .

وكان محور تفكير وكتابات الدكتور مصطفى الحفناوى فى مجلته
«السوة لتأميم الشركة» .

وقد أكد جمال عبد الناصر ذلك فيما بعد بتصريح لمجلة لوك الأمريكية
يوم ٢٤ يونيو ١٩٥٧ قال فيه (كنا ندرس مسألة تأميم القناة ، ولكننا
لم نكن قد وصلنا الى قرار فجعلتمونا أنتم نستقر على قرار) .

لم يطل الوقت بين سماع جمال عبد الناصر لخبر التمويل مساء ١٩
يوليو وبين اتخاذ قراره بتأميم القناة صباح يوم السبت ٢٠ يوليو .

واعتمد جمال عبد الناصر فى تنفيذ قراره على السرية المطلقة .

لم يطلع ضيفه وصديقه نهرو الذى كان فى ضيافته ، والذى غادر
مصر قبل الموعد المحدد لانتهاء الزيارة عندما شعر بأن المشاغل تستهلك
وقت وتفكير جمال عبد الناصر .

ولم يطلع مجلس الوزراء على فكرته كما أكد لى فتحى رضوان .

ولم يبلغ الذين عهد اليهم بالتنفيذ الا يوم ٢٤ يوليو عندما استدعى
المهندس محمود يونس زميله فى التدريس بكلية أركان الحرب وأبلغه
بالخطة فلم يتمالك نفسه من تقبياه فى خده وهو يهنئه .

ولكنه جمع زملاءه أعضاء مجلس قيادة الثورة الذى كان كيانه قد
انتهى بانتهاء فترة الانتقال وانتخاب جمال عبد الناصر رئيسا للجمهورية
فى ٢٥ يونيو ١٩٥٦ . عقد اجتماعا صغيرا حضره معه عبد الحكيم عامر
وعبد اللطيف بغدادى وزكريا محيى الدين لمناقشة الموضوع . اقترح
عبد الحكيم عامر الاكتفاء بزيادة الرسوم . ولكن جمال عبد الناصر
أوضح له أن ذلك لا يكفى لتمويل السد العالى ، بل ان صافى أرباح
الشركة وهى ٣٢ مليون جنيه فى العام (ودخلها ٩١ مليون) يعتبر
أقل مما يتطلبه هذا المشروع الكبير .

وفى هذه الجلسة تم تكليف عبد الحكيم عامر بالاتصال بالسفير
السوفيتى الجديد كيسلنوف لبحث امكانية تمويل السوفييت لمشروع
السد العالى .

وعقد اجتماعات منفردة أخرى مع زملائه أعضاء المجلس . . . ولم
ينس استدعاء جمال سالم وحسن ابراهيم اللذين لم يكن لهما مركز
رسمى فى جهاز الحكم فى هذا الوقت .

وافق الجميع بلا تردد .

يقول زكريا محيى الدين أن أعضاء المجلس الذين اجتمع بهم

جمال عبد الناصر قد ناقشوا المخاطر التي قد تتعرض لها مصر عقب التأميم،
وانه قد استقر الرأي على أن نسبة المخاطر تمثل ٣٠٪ إلى ٤٠٪ ، ولذا فقد
استقر الرأي على السير في هذه العملية على اعتبارها (مخاطر محسوبة) .

وكان الاحتمال الأغلب عندهم هو دفع اسرائيل للهجوم وكان هذا
احتمالا مرجحا عن أى غزو بريطاني أو فرنسي .

وبعد هذه الجلسة بدأ اتخاذ الخطوات التنفيذية للتأميم .

كلف جمال عبد الناصر وزير الاقتصاد الدكتور عبد المنعم القيسوني
باعداد مشروع قانون التأميم .

واشترك في وضع القانون محمد علي الغنيت عضو مكتب هيئة قناة
السويس حيث كان رئيسه الدكتور حلمي بهجت بدوى متغيبا في الخارج .
المستشار بدوى حمودة ممثلا لمجلس الدولة والمستشار حسن نور الدين
مستشار وزارة الداخلية .

اقترح بعض المستشارين وضع الشركة تحت الحراسة مستنديا الى
مخالفات الشركة وتلاعبها ٠٠٠ ولكن جمال عبد الناصر أصر على التأميم .

واستدعى جمال عبد الناصر الدكتور مصطفى الحفناوى يوم ٢٤ يوليو
من عزبته قريبا من الاسكندرية عن طريق ضابط شرطة لا يعرف سبب
الاستدعاء ثم طائره حربية الى القاهرة ، وأخيرا الى حديقة منزل
جمال عبد الناصر بمنشية البكري ، الذى صارحه بأنه سيحقق فكرته ويؤمّم
القناة ، وطلب منه المساهمة في اعداد مشروع التأميم .

ولكن الدكتور مصطفى الحفناوى اصابة الهلع وطلب تأجيل التنفيذ
عدة شهور لتهيئة الرأي العام قائلا له (انى أكاد أسبّح بأذنى أزيز
الطائرات التى تستهدف علينا) .

حتى الذين عاش التأميم حلم حياتهم ، والذين حصلوا على الدكتوراه
عن القناة ، والذين بشروا بهذه الدعوة في الكتب والندوات وأصدروا مجلة
خاصة لها صدمتهم المفاجئة فى مواجهة الأمر الواقع واهتزت أعصابهم ٠٠٠
الا أن جمال عبد الناصر كان قد حسم رأيه وقر قراره .

وطلب من الدكتور مصطفى الحفناوى أن يروى قصة القناة لعدد من
الأشخاص لم يكن يعرفهم ٠٠٠ استدعاهم جمال عبد الناصر فرواها الى
ما بعد منتصف الليل ، ليزيد الحاضرين وضوحا عن أبعاد المسألة ،
ويضعف عزمهم على مجابهة هذه الخطوة الجريئة . وأخيرا طلب منه
جمال عبد الناصر الا يتصل بأحد مطلقا حتى يعد القانون ويحضره له فى

اليوم التالي ، حيث كان اللقاء في مكتبه بمجلس قيادة الثورة يوم ٢٥ يوليو
في العاشرة مساء .

وقال له جمال عبد الناصر أنه يتفاد من هذه الغرفة التي اتخذ فيها
قرار صفقة الأسلحة ، وراجع معه القانون وأجرى عليه بعض التعديلات
ثم تفرغ لكتابة خطبته التي كان مقررا أن يلقيها مساء ٢٦ يوليو في
الاسكندرية كما اعتاد كل عام ، وهو ذكرى رحيل المنك فاروق من مصر
عن طريق ميناء سراي رأس العين .

كان الخبر كبيرا ٠٠٠ والدول الكبيرة تتابع خطوات جمال عبد الناصر
لمعرفة رد فعله على قرار سحب التمويل ٠٠٠ وتأرجحت التوقعات وخاصة
بعد خطبته التي هاجم فيها أكاذيب الأمريكان عن موقف الاقتصاد المصري
وقال لهم موتوا بفيظكم أن مصر ستبنى السد العالي ولو بأظافر أبنائها ٠٠

ماذا كان يدبر ؟ عقد حلف مع الاتحاد السوفييتي ؟ قطع العلاقات
مع الولايات المتحدة ؟ كان الصحفيون كخلية نحل يبحثون عن الخبر المثير
الذي توقعه الجميع في خطاب المنشية .

ولم يصل أحد الى الحقيقة ٠٠٠ عندما قال أحد معبري السفارة
الفرنسية يوم ٢٣ يوليو باحتمال التأميم قبل كلامه بسخرية مهذبة كما
يقول جان لاكوتير في كتابه عن عبد الناصر .

وقبيل خطابه في ميدان المنشية استلعي جمال عبد الناصر أعضاء
الوزارة الى منزله الصيفي أثناء ذلك العام ، وأبلغهم بخبر التأميم الذي
سيعلنه بعد دقائق .

لم يعترض أحد من الوزراء ، ولكن فتحى رضوان اقترح عدم الربط
بين سحب تمويل السد العالي وبين تأميم القناة ، لأن لذلك - حسب
رأيه - عيبين أولهما أنه ينتقص من حق مصر في التأميم ، والثاني عدم
رغبته في الربط بينه وبين الاعتداء علينا حتى لا يقال اننا نستغل القناة
كأداة في الضغط الوطني .

كان اعتراض فتحى رضوان شكليا لا يتناسب مع حجم الخبر نفسه ،
ولم يؤثر في مشروع الخطبة التي أعدها جمال عبد الناصر .

كان ميدان المنشية كعادته كل عام يزخر بعشرات الألوف من الناس ،
ولكن مشاعرهم في هذا العام كانت تختلف عن مشاعرهم في الأعوام
السابقة ٠٠٠

كان جمال عبد الناصر قد حقق عدة انتصارات ٠٠٠ منها هزيمة
حلف بغداد وقصر دخوله على العراق من الدول العربية ، وعقد صفقة

الاسلحة التشيكوسلوفاكية التي قوبلت بتأييد شعبي جارف واعلان
الدستور والافراج عن عدد كبير من المعتقلين السياسيين وبعض الذين
حكمت عليهم محكمة الثورة واحتفال البلاد يوم ١٨ يونيو بجلاء آخر جندي
بريطاني عن أرض مصر .

لم تكن مشاعر الجماهير غاضبة أو سلبية كما كانت عام ١٩٥٤ عندما
استغل الاخوان المسلمون موجة الرفض لاتفاقية الجلاء لما أحاط بها من
شبهة التحالف مع بريطانيا ، وأطلقوا الرصاص على جمال عبد الناصر في
نفس الشرفة التي وقف يخطب فيها اليوم .

كانت خطبة جمال عبد الناصر في ذلك اليوم ، ٢٦ يوليو ١٩٥٦ قمة
خطبه ، وأعظمها تأثيرا في الجماهير ، وأشدّها اثارة ٠٠٠ فهو لم يعلن
خبر التأمين دفعة واحدة ، وانما مهد له بطريقة درامية ، واختار اسم
ديلسبس اشارة لفريق تنفيذ التأمين برئاسة المهندس محمود ، لكي يبدأ
عمله .

وأثناء القاء الخطبة توجه فريق الى مبنى الشركة الرئيسي
بجاردن سيتي بالقاهرة وفريق آخر برئاسة محمود يونس الى مقر الشركة
بالاسماعيلية ، أما محمد رياض محافظ بور سعيد فقد قابل محمود يونس
في الاسماعيلية عصر يوم ٢٦ يوليو وأبلغه بقرار التأمين واستدعى الى
مكتبه مديري الشركة ، بينما احتل فريق ثالث كل مكاتب الشركة
في بورسعيد .

تمت العملية في هدوء ودقة رغم ضيق الوقت الذي مضى بين الإبلاغ
والتنفيذ ٠٠ وارتجت مصر كلها قبل ان تنتهي الخطبة بالتصفيق وهتاف
التأييد وكلمات الحماس ٠٠ وارتج العالم الذي هزه الاجراء الكبير .

كان تأمين القناة حلما بل خيالا ، فأصبح حقيقة ٠٠٠ وتشكل أول
مجلس ادارة مصرى لادارة القناة من الدكتور حلمى بهجت بدوى رئيسا
والمهندس محمود يونس نائبا للرئيس والدكتور محمد أحمد سليم
والمهندس محمد القشيري والدكتور مصطفى الحفناوى والمستشار بدوى .
حمودة ومحمد على الفتيت وبرهان سعيد .

وأثناء القاء جمال عبد الناصر لخطبته في ميدان المنشية ، كان ايدن
يتناول العشاء في داوننج ستريت مع الملك فيصل ونورى السعيد وبلغه
خبر التأمين من أحد سكرتيريه الخصوصيين ، فأبلغ ضيوفه بذلك .

ويقول في مذكراته أنهم (رأوا فيه بوضوح قلبا لكل الاتحاهات
والافكار والآمال التي كنا نتحدث فيها) وأدركوا على الفور ان الكثير يتوقف
على الهزيمة التي سيقابل بها هذا التحدى .

كان نوري السعيد أكثر الموجودين حماسا لضرب عبد الناصر بينما كان ايدن يتوقع لمصر الفشل في ادارة القناة .

وانتهى العشاء مبكرا ليجتمع ايدن مع كبار السياسيين والعسكريين في حكومته ومع السفير الفرنسي والقائم بالأعمال الأمريكي .
وعلق ايدن على سحب عبد الناصر لمبلغ خمسة ملايين جنيه مصرى من أموال الشركة كانت مودعة في البنك العثماني بقوله (ان رجلا له سجل ناصر يجب الا يسمح له بأن يطبق يده على رقبتنا) .

وبدا ايدن حركته نحو استخدام العنف ، فاقبل بايزنهاور برقيا يوم ٢٧ يوليو وأوضح له أن الضغط السياسي والاقتصادي وحدهما قد لا يكفيان لردع جمال عبد الناصر وأنه لابد من وضع احتمال تدخل عسكري ٠٠٠ وأرسل ايزنهاور روبرت مورفي من وزارة الخارجية الأمريكية الى لندن ، ثم تبعه دالاس الذي كان في رحلة الى أمريكا اللاتينية يوم التأميم .

وأرسلت الحكومة البريطانية مذكرة احتجاج رسمية الى الحكومة المصرية احتجاجا على الاستيلاء على قناة السويس ٠٠٠ ولكن المذكرة أعيدت الى السفارة البريطانية - كما كتب ايدن في مذكراته - مشفوعة بقصاصات غير ممضاة مكتوب عليها (تعاد الى السفارة البريطانية) .

وبدا الضغط الاقتصادي على مصر فورا ٠٠٠ جمدت بريطانيا حسابات مصر الجارية من الاسترليني وفرضت الحماية على أموال وممتلكات شركة قناة السويس في لندن كما حظر تصدير أية أسلحة أو مواد عسكرية الى مصر ، ومنعت أربع مدرعات مصرية كانت في المواني البريطانية من السفر .

كان جملة ما جمده بريطانيا ١١٢ مليون جنيه استرليني ، وثبعتها أمريكا فجمدت أيضا ٦٠ مليون دولار كانت لمصر هناك ، ولكنها لم تجمد العمليات الجديدة كما فعلت بريطانيا .

وعقد في أول أغسطس اجتماع بين وزراء خارجية بريطانيا (سلوين لويد) والولايات المتحدة (جون فوستر دالاس) وفرنسا (كريستيان بينو) ٠٠٠ ولخص دالاس موقف أمريكا فيما يلي :

١ - ان بقاء القناة تحت سيطرة دولة واحدة بغير إشراف دولي أمر لا يحتمل .

٢ - يجب اتخاذ معاهدة ١٨٨٨ أساساً للمناقشة لتجنب التعقيدات فيما يتعلق بقناة بنما .

٣ - القوة هي آخر طريقة ينتج اليها ولكن الولايات المتحدة لا تستبعد استخدام القوة .

٤ - يجب تعبئة الرأي العام العالمى لصالح فكرة وضع القناة تحت إدارة دولية .

٥ - يجب أن نحاول جعل آراء الدول الثلاث مقبولة من أغلبية تتألف على الأقل من ثلثي مؤتمر الدول البحرية المزمع دعوته .

وقال دالاس فى معرض تفسيره لموقف أمريكا (ان عبد الناصر يجب ان يلفظ القناة ولا يبتلعها) .

ولكن السياسة الأمريكية لم تكن تجارى حدة الرغبة الفرنسية او الانجليزية فى الوصف بجمال عبد الناصر ، لاقترب موعد الانتخابات الأمريكية وحرص ايزنهاور على عدم الدخول فى مناورات تعرض موقفه الانتخابى للضعف ، بينما الفرنسيون يخشون من تأثير تأميم القناة مع رفع معنويات الثوار الجزائريين .

كان دالاس يتبنى فكرة ان جمال عبد الناصر كان يفكر فى تأميم القناة منذ وقت طويل بينما كان يينو يرى أن أمريكا هي المسئولة عن القرار لسحبها تمويل السد العالى وانه يجب الا تخفى نفسها من الاهتمام بعواقبه .

وتقرر الدعوة لعقد مؤتمر من الدول البحرية يوم ١٦ أغسطس وتضمن البيان الثلاثى الذى صدر فى ٢ أغسطس تحديد هذه الدول الثمانى التى وقعت على معاهدة القسطنطينية ، ست عشرة دولة رئيسية تستخدم القناة (١) .

لم تحضر دولتا مصر واليونان .

لم يذهب جمال عبد الناصر الى المؤتمر رغم نصيحة نهرو وتيتو له بالذهاب . . . لهجوم ايدن عليه قائلاً (معركتنا ليست مع مصر ولكنها مع ناصر) . . . وأرسل بدلا منه على صبرى ليكون قريبا من أعضاء الوفود

(١) الدول التى دعيت للمؤتمر من استراليا والدانمرك وأثيوبيا وفرنسا والمانيا الاتحادية والبرازيل وإيطاليا واليابان وهولندا ونيوزيلندا والنرويج وباكستان والبرتغال وأسبانيا والسويد وتركيا وانجلترا والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى والندونيسيا وسيلان والهند واليونان ومصر .

في لندن لمناقشتهم وتوضيح الأمور لهم . . . ولم تذهب اليونان لعلاقاتها الخاصة ومصالحتها المرتبطة بمصر .

كان واضحاً أن المؤتمر خاضع للنفوذ الغربي . . . فأغلبية الثلاثين المطلوبة كانت لدول منضمة الى حلف الأطلسي أو حلف جنوب شرقي آسيا . . . ولكن في يوم انعقاده ١٦ أغسطس - أضرِب ٨٠ مليوناً من العرب تأييداً لحق مصر وصدق ايدن عندما قال في مذكراته أن قنيسة السويس أصبحت قناة العرب .

انتهى المؤتمر في ٢٢ أغسطس الى قرارات تتضمن في تأكيد مبدأ الاشراف الدولي ، والاعتراف بحق السيادة المصرية مع ضمان دخل عادل مقابل استخدام القناة ، واقتراح الدخول في مفاوضات بشأن عقد اتفاقية جديدة توكل مهمة ادارة القناة الى لجنة تضم مصر وعدداً من الدول تختارها الدول الموقعة على الاتفاقية .

رفض القرار الاتحاد السوفييتي والهند وأندونيسيا وسيلان ، واقترحوا تشكيل هيئة استشارية بحثة ليس لها أى سلطة على ادارة القناة .

وتقرر بناء على بيان الدول الثماني عشرة ارسال لجنة لعرض الأمر على جمال عبد الناصر يرأسها روبرت منزيس رئيس وزراء استرالياً ومعه وزراء خارجية ايران وأثيوبيا والسويد ولوى هندرسون ممثلاً للولايات المتحدة ويلاحظ انها تمثل دولة واحدة من كل قارة .

ووصلت اللجنة الى القاهرة يوم ٢ سبتمبر ، ولكن جمال عبد الناصر رفض قبول فكرة الاشراف الدولي رفضاً باتاً ، وفشلت البعثة في تحقيق غرضها رغم محاولات روبرت منزيس رئيسها .

وكان ايدن قد أعد خطة متشعبة . . . عرض الأمر على مجلس حلف الأطلسي ، ونجح في الحصول على موافقته بعدم دفع رسوم القناة . . . وكافت السفن البريطانية والفرنسية تدفع كل عام نحو ٥٥٪ من هذه الرسوم تليها السفن الأمريكية ثم الإيطالية فالهولندية والنرويجية والألمانية . . . وكان الجميع متفقين مع فكرة الحكومتين البريطانية والفرنسية في عدم دفع الرسوم الا الولايات المتحدة التي أعلن دالاس في مؤتمر صحفي (أن قناة السويس لا تمثل مركزاً رئيسياً من اهتمام الولايات المتحدة) .

وبدا واضحاً أن تغيراً ما قد حدث في موقف حكومة الولايات المتحدة عبر عنه ايدن في مذكراته بقوله ان دالاس قد غير رأيه فجأة يوم ٤ سبتمبر بعد عودته من عطلة نهاية الاسبوع التي قضها في جزيرة البط على بحيرة انتاريو . . . فقد بدأ ينادى بتكوين جمعية للمتقاعدين .

وقررت الحكومتان البريطانية والفرنسية الاستجابة الى ذلك قبل عرض القضية على هيئة الأمم المتحدة .

هذا ما كان في لندن وباريس بعد التأميم . . . استعداد وتحفز لسلوك كافة السبل بما فيها الاستعداد للقتال .

أما في مصر ، فان شعبية جمال عبد الناصر ارتفعت الى مستوى لم يحصله زعيم عربي في التاريخ الحديث ، واتخذ موقفا صلبا في مواجهة المؤامرات الاستعمارية . . . رفض فكرة التحويل وأطلق عليها (لفظ) (مؤامرة) . . .

وبذلت الادارة المصرية لقناة السويس جهودا خارقة لإدارة القنال في وقت رفض فيه ٦٠ مرشدا كانوا في اجازات بالخارج العودة الى مصر من مجموع ٢٠٥ مرشدين . . . وازداد ضغط الشركة واغراؤها للمرشدين بترك العمل في مصر . . . عرض رئيس الشركة جاك جورج بيكو مرتب ثلاث سنوات مقدما لمن يرفض العمل من المرشدين تحت الادارة المصرية ، ثم حدد بفقدان المرشدين الباقين لمعاشهم .

وكانت النتيجة خروج جميع المرشدين الأجانب عدا ١١ يونانيا رفضت حكومتهم التصريح لهم بمغادرة موقعهم في هيئة قناة السويس . . . وبذا أصبح المجموع ٥١ مرشدا انضم اليهم عدد مناسب من المرشدين السوفييت واليوغوسلاف واليونانيين والأمريكيين أيضا ولم تؤثر الضغوط الاقتصادية التي فرضتها بريطانيا وفرنسا على مصر حيث كانت تدفع بواخرهم رسوما في لندن ، دون ان تمنعها الادارة المصرية من المرور ، تقاديا لحدوث أزمة ملقطة .

وكان جمال عبد الناصر قد قدر أن نجاح التأميم وسيطرة مصر على القناة يتأكد اذا مضى شهر دون تدخل البريطانيين . . . قال ذلك للوزراء أثناء اجتماعهم به قبيل خطبته يوم ٢٦ يوليو . وقال أيضا ان البريطانيين حسب المعلومات المتوفرة لديه لن يهاجروا قبل شهرين ، كما استبعد احتمال تدخل اسرائيل وذلك ردا على استفسار أحد الوزراء .

وعندما تتابعت الأحداث ووصلت الى حد الدعوة لانعقاد (نادي المتفمين) في مؤتمر لندن الثاني يوم ١٩ سبتمبر ، أرسل بولجائين خطابا الى ايدن يقول له فيه ان الاتحاد السوفييتي يطلب تسوية سلمية مع النظر الى مصالح كل الدول التي يهمها الأمر .

وتسأل بولجائين في رسالته (كيف لا يبدى الاتحاد السوفييتي العطف على موقف مصر في الوقت الذي تدافع فيه عن سيادتها وأرضها الوطنية) ؟

تحققت الفكرة الأمريكية وانعقد نادى المنتفعين فى مؤتمر لندن الثانى. . . . ومنه تقرر عرض الأمر على هيئة الأمم المتحدة ، تحقيقا لرغبة بعض الدول التى أرادت أن يساعد موقفها قرار فى الهيئة .

قدمت المذكرة بريطانيا وفرنسا دون أن توقع عليها الولايات المتحدة، وعرضت القضية يوم ٥ أكتوبر على مجلس الأمن الذى عقد جلسات سرية لمدة تسعة أيام ثم حولها الى علنية بعد قرار جماعى قائم على مبادئ ستة هى :

- ١ - أن تكون الملاحة فى القناة حرة ومفتوحة ودون تمييز .
- ٢ - أن تحترم سيادة مصر .
- ٣ - أن تكون ادارة القناة منفصلة عن سياسات أى دولة كانت .
- ٤ - ان تحدد رسوم القناة باتفاق بين مصر والمنتفعين بالقناة .
- ٥ - ان تخصص نسبة عادلة من العائدات لتحسين القناة وتطويرها .
- ٦ - فى حالات النزاع يسوى الأمر بالتحكيم .

واعتبر هذا الاتفاق نصرا لمصر التى أثبتت نجاحها فى ادارة القناة. وقال همرشولد بعد التصويت على المبادئ الستة للدكتور فوزى وزير خارجية مصر (انها نتيجة ممتازة فبعدما أنهى البريطانيون استعمارهم العسكرية ضدكم ، مر القطار وفات المحطة) .

ولكن القطار لم يكن قد فات المحطة بعد .

كانت بريطانيا وفرنسا قد قدمت توصيتين الأولى تقدم ضمانات للمنتفعين بالقناة هى فى مضمونها ما اقترحه الدول الثمانى عشرة والثانية توصى بفتح حركة المرور عبر القناة وفق معاهدة ١٨٨٨ هادفة بذلك السماح لاسرائيل لعبور القناة ٠٠٠ وكانت مصر تمنع المراكب الاسرائيلية من العبور رغم قرار مجلس الأمن الصادر فى أول سبتمبر ١٩٥١ بصورة رسمية ولو انها سمحت بمرور ٦٠ راكبا فى الفترة من ١٩٥١ الى ١٩٥٤ لراكب اسرائيلية لا ترفع العلم الاسرائيل .

استخدام شيبيلوف وزير خارجية الاتحاد السوفييتى الفيتو ضد التوصيات الانجليزية الفرنسية معتبرا ان فيها (قسرا لمصر على سلوك معين) .

وتقرر اجتماع وزراء خارجية انجلترا وفرنسا ومصر فى جنيف يوم ٢٩ أكتوبر لبحث أسلوب تغيير المبادئ الستة .

ولكن ٢٩ أكتوبر كان يوم العملية المدبرة سرا للعدوان الثلاثي على

مصر .

لم يكن العدوان مفاجأة ، ولكنه كان مستبعدا في تقدير عبد الناصر .
كل المعلومات كانت تشير الى استعدادات عسكرية تدبر لمهاجمة

مصر .

١ - ثروت عكاشة الملحق العسكري بفرنسا وصلته خطة تحركات القوات الفرنسية قبل العدوان بعشرة أيام عن طريق بعض الشيوعيين من المصريين الذين ابعدها عن مصر وارسلها الى جمال عبد الناصر بخطاب خاص مع الملحق الصحفي عبد الرحمن صادق لتسليمه شخصيا الى جمال عبد الناصر وقد كتبه بخط يده من نسختين فقط ، أرسل واحدة واحتفظ بالأخرى .

٢ - زكريا العادل أمام الملحق العسكري بتركيا وسفيرنا في الصين والهند بعد ذلك عرف كافة أسرار الحشد العسكري في قبرص واسرائيل عن طريق بعض المنديبين الأتراك الذين أرسلهم الى هناك ، عقب ملاحظته ان الأتراك قد ألفوا الأجازات وأعلنوا حالة الطوارئ القصوى وأرسل نتيجة معلوماته برقية يوم ٦ أكتوبر تقول (ستوجه انجلترا وفرنسا انذارا نهائيا الى مصر يعقبه عدوان جماعي بالتعاون مع اسرائيل في منتصف نوفمبر) ثم تبعها ببرقية أخرى تقول (رغم ان المعلومات عندي بأن الهجوم في منتصف نوفمبر الا أن الظواهر تدل على انه سيكون قبل آخر أكتوبر) أرسلها مع الملحق الإداري الذي سافر وعاد فوراً ، وردت عليه المخابرات الحربية بأنه الملحق العسكري الوحيد الذي أبلغهم مثل هذه المعلومات ولما استشعر الخطر سافر بنفسه الى القاهرة يوم ١٩ أكتوبر ليبلغ عن أمرين أولهما تدريب اسرائيل لفرد من عائلة الحوت لاغتيال جمال عبد الناصر ، والثاني تأكيد أخبار العدوان وقد التقى زكريا بعبد الحكيم عامر وأبلغه بكل ما يعرفه دون أن يتلقى ردا شافيا ثم غادر القاهرة يوم ٢٧ أكتوبر دون أن تتاح له فرصة مقابلة جمال عبد الناصر رغم اصراره على ذلك .

٣ - عقب عودة صلاح سالم من لندن حيث كان هناك وقت انعقاد

المؤتمر الثاني أبلغ جمال عبد الناصر بأن العدوان مؤكد وحتمى .

٤ - سرب الأمريكيون معلومات الى سفيرنا في واشنطن بأن الجنرال

كيتلي قد اختير لقيادة غزو مصر وانه يدرب رجاله في قبرص .

وهكذا لم تكن احتمالات العدوان مجهولة فان تصريحات ايدن أمام مجلس العموم كانت تشير الى ذلك عندما أوضح انه اذا رفضت

الحكومة المصرية تقديم القدر اللازم من التعاون معها فانها ستكون قد خرقت اتفاقية ١٨٨٨ (وفي هذه الحالة سيكون لحكومة جلاله الملكة والأطراف المعنية الأخرى حرية اتخاذ أية خطوات تراها لازمة أما عن طريق الأمم المتحدة أو بوساطة وسائل أخرى لضمان حقوقها) .

وتهديدات روبرت مانزيس بأن مؤتمر لندن الأولى لم يستبعد استعمال القوة قيلت لجمال عبد الناصر شخصيا .

وتصريح آيزنهاور في مؤتمر صحفي عقده يوم ١٩ سبتمبر عندما سئل عما اذا كان سيؤيد بريطانيا وفرنسا اذا اضطرننا لاستخدام القوة فقال . (ان هذه البلاد لا يمكن أن تخوض حربا ما دمت أتولى منصبى هذا الا اذا دعى الكونجرس للانعقاد وأعلن الحرب) ٠٠٠ دليل على ان احتمال العدوان الانجلو فرنسي كان واردا (وسحب فرنسا لسفيرها بالقاهرة بحجة ضبط سفينة مصرية تحمل أسلحة لشوار الجزائر) .

ولكن جمال عبد الناصر كان له تقدير خاص للموقف ، يوم ٢٢ يوليو أدلى به الى كينيث لوف في حديث صحفي بعد ذلك بثماني سنوات ، قال فيه انه (استبعد لجوء البريطانيين الى التحالف مع الاسرائيليين لاستعادة القناة بالقوة لانهم يعرضون مراكزهم ومصالحهم في الشرق الأوسط للخطر ٠٠٠ أما بالنسبة لفرنسا فكانت غير راضية عن حلف بغداد وكنت أعتقد أنهم منهكون في الجزائر بما لا يسمح لهم بالحملة ضدنا ٠٠٠ أما الأمريكان فكان انطباعنا انهم لن يلجأوا اطلاقا الى استعمال القوة) .

وتقدير الموقف الذى نشره محمد حسنين هيكل في كتابه (عبد الناصر والعالم) والمؤلف من ١٤ نقطة يظهر مختلف الاحتمالات ، ولكنه يخلق تناسباً عكسيا بين الزمن واحتمالات العدوان ٠٠٠ كلما مضى الزمن قل احتمال الغزو ٠٠٠ وانه اذا مضى شهر على التأميم فانه سيكون فى أمان من الغزو .

ويقول هيكل فى نفس الكتاب انه (لما تمت الموافقة على المبادئ الستة قرر الرئيس عبد الناصر ان نسبة خطر الغزو قد انخفضت الى ١٠ فى المائة بل انه استبعد عمليا احتمال الغزو) .

لم يتحقق استنتاج جمال عبد الناصر من تقدير موقفه ٠٠٠ وفوجئ يوم ٢٩ أكتوبر بخبر يقول ان الاسرائيليين قد أعلنوا انهم أرسلوا طابورا مدرعا الى سيناء للقضاء على الفدائيين ثم أعلنوا فى نفس الليلة أن قواتهم تقترب من قناة السويس ، وذلك عندما أرسلوا قوات المظلات الى مصر متلا .

واجه أعضاء مجلس قيادة الثورة الذى اجتمع بهم جمال عبد الناصر الموقف على انه هجوم اسرائيلى فقط ٠٠٠ لم يشد أحد منهم برأى خاص ، ولم يحاول أن يربط بين ذلك الهجوم واستعدادات انجلترا وفرنسا لغزو منطقة قناة السويس .

ويقول زكريا محيى الدين ان المعلومات عن احتمالات غزو انجليزى فرنسى لم تستبعد تماما ، وانما نظر اليها على انها محاولة خداعية لصرف النظر عن غزو اسرائيلى ولذا فانه عندما بدأ الغزو الاسرائيلى بدأ الأمر كما لو ان تقدير موقفهم كان سليما .

ومع ذلك فان خطة الجيش كانت قد وضعت على أساس عدم استبعاد احتمال الغزو البريطانى الفرنسى نهائيا ، بل ان الخطة الدفاعية قد أعدت على أساس احتمالات انزال فى بورسعيد أو الاسكندرية ٠٠٠ وكان احتمال الاسكندرية أكثر ترجيحاً لقربها من القاهرة مركز الحكم اذا كانت نية الهجوم هى القضاء على النظام .

وهنا يجب ملاحظة أن قوات الجيش المصرى كانت ما زالت فى مرحلة الانتقال من جيش لا تتوفر له الأسلحة الحديثة ، ولا تنظم وحداته على أساس التشكيلات القتالية بل على أساس أسلحة متباعدة غير مترابطة (مدفعية مشاة - مهندسين الخ) كما كان قبل الثورة ٠٠٠ الى جيش بدأت تتدفق عليه الأسلحة السوفيتية الحديثة وما يتبعها من تنظيم جديد وعقيدة قتالية جديدة .

كان الجيش فى رحلة الانتقال غير مستقر على أرض ثابتة من نواحي التسليح والتدريب والتنظيم والعقيدة القتالية أيضا .

وفى هذا الجو صدرت الأوامر للقوات المصرية المسلحة باحتلال ممر متلا بلواء مدرع ومهاجمته جوا ٠٠٠ وتحركت القوات فعلا .

ولكنه مع فجر اليوم التالى اتضحت الصورة الخافية ٠٠٠ ظهرت طائرات الاستطلاع البريطانية ، واستدعى السفيران المصريان فى لندن (سامى أبو الفتوح) وباريس (كمال عبد النبى) لمتابعة المسئولين فى وزارة الخارجية الانجليزية والفرنسية حيث تسلما انذارا جافا يطلب من كل من مصر واسرائيل أن توقف إطلاق النار وتنسحب عشرة أميال بعيدا عن جانب قناة السويس ، مع قبول مصر لقوات الانجلو فرنسية فى بورسعيد والاسماعيلية والسويس على أن يتم ذلك خلال ١٢ ساعة تنتهى فى الساعة ٦٣٠ من صباح الأربعاء ٣١ أكتوبر والا فان قوات المملكة المتحدة وفرنسا ستتدخل بأية قوة تحتها الضرورة لتأمين تنفيذ ذلك .

كان التحرك الاسرائيل والانذار الانجلو فرنسى خيوطا مشتركة فى
لسيح واحد ، وخطة مدبرة لغزو مصر والاطاحة بنظامها الذى أخذ خطوات
تقدمية غير منتظرة هزت من ثبات الاستعمار فى المنطقة .

نبتت رغبة اسرائيل فى العدوان عقب حصول مصر على الأسلحة
السوفيتية ، فقد استدعى بن جوريون موسى ديان فى أكتوبر ١٩٥٥ بعد
أيام من اعلان الصفقة واعلان اقامة قيادة عسكرية مشتركة بين مصر
وسوريا فى ١٩ أكتوبر ١٩٥٥ وكلفه بأعداد خطة الحرب قائلا فى صراحة
(لابد ان يسقط النظام فى مصر قبل ان تصل الأسلحة الروسية) .

يقول موسى ديان فى مذكراته (اجتمعت مع بن جوريون فى حجرته
بفندق هاناس) بالقدس ٠٠٠ وفى نهاية الحديث أمرنى باعتباره وزيرا
للدفاع أن أكون مستعدا لاحتلال مضائق تيران مع شرم الشيخ ورأس
نصراني وجزيرتي تيران - صنافير - بفض تأمين الملاحة الحرة فى خليج
العقبة والبحر لأحمر) .

أعد موسى ديان الخطة وعرضت على مجلس الوزراء الاسرائيلي فى
ديسمبر ١٩٥٥ وتحدد موعد الهجوم بعد شهر من بدء العام الجديد ٠٠٠
ولكن مجلس الوزراء رفض الموعد قائلا انه لابد من وجود مبرر ٠٠٠ وقال
ديان (وكان من السهل خلق المبرر) .

وحصلت اسرائيل خلال هذه الفترة على طائرات مستير ٤ التى
تنتجها فرنسا لحلف الاطلنطى وذلك بعد موافقة ايزنهاور ودالاس التى
حملها مبعوثها الخاص (هربرت هنرى) .

وكتب بن زوهار مؤرخ حياة بن جوريون الرسمى يقول (كانت
أزمة السويس بعدئذ طارئة وهى لم تغير فى شئ من خطط اسرائيل الذى
كانت تستهدف على أية حال ولكنها سهلت لها أصعب الأمور ، السلاح
والحلفاء وطبعا المبرر) .

وكانت خطة بريطانيا العودة الى منطقة قناة السويس وقاعدتها بأى
ثمن ، لقد ثبت ذلك من تعليمات حصلت عليها المخابرات المصرية فى
منطقة القناة مرسله من رئاسة القوات فى لندن الى قيادة القوات فى
القناة ، وذلك عام ١٩٥٦ وفيها تشير الى ضرورة عمل مخابىء تحت الأرض
فى ٦ معسكرات لتكون مخازن تخزين فيها الأسلحة والدبابات والمدفعية
الباقية فى منطقة القناة ولا ترحل ٠٠٠ وتشير التعليمات الى ضرورة حفظ
علاقات طيبة مع بعض العملاء واحتمال عودة القوات خلال الشهور الستة
الاولى بعد الانسحاب .

وعندما علم جمال عبد الناصر بهذه التعليمات توجه سرا مع ضابطه المخابرات المسئول الى منطقة القناة حيث أمضى الصباح في منزله ثم نزل ليلا بنفسه ليتفقد المخازن السرية ووجد مدخلها من أحد المكاتب الى دهليز ثم سلم حديد ينزل الى عمق ٥ أمتار ، ثم يمتد بطول نصف كيلو واتساع ١٠ أمتار وهو مليء بالمدافع المشحمة وصناديق الذخيرة .

ومع ذلك كانت ردود الفعل عند جمال عبد الناصر هادئة ٠٠٠ أوقف عمليات الفدائيين في غزة تحاشيا لاستفزاز الاسرائيليين وخلق مبرر لهم للهجوم ٠٠ كما صرح للخبراء البريطانيين بسحب الذخيرة من قاعدة القناة وارسالها للخارج دون اعتراض وذلك تنفيذا لبنود الاتفاقية وحرصا على عدم التصادم رغم علمه بانها قد تستخدم في غزو جديد لمصر .

واجتمع مجلس الوزراء مساء نفس اليوم - ٣٠ أكتوبر - واتخذ قرارا برفض الانذار بعد ان اتفق الرأي على ذلك سوف يكون عودة للاحتلال ، كارثة على مصر ٠٠٠ واستدعى سير هنري تيليان وأبلغه رفض مصر .

وتحول جمال عبد الناصر كلية الى مواجهة الموقف العسكري ٠٠٠ وتغير تقدير موقفه بعد ان ظهرت كل خيوط المؤامرة ، ووجد ان ارسال قوات الى سيناء يعنى التضحية بها بين القوات الاسرائيلية من الشرق والقوات الانجليزية الفرنسية المشتركة التى تستهدف احتلال القنال فتحصنها من الغرب .

وكان جمال عبد الناصر حتى ذلك الوقت قريب العهد من عمله مدرسا في كلية أركان الحرب كما كان عنده أيضا الحس الشعبى الذى انفع به من تعاطف الجماهير وتأييدها الجارف ٠٠٠ ولذا قرر سحب قوات الجيش الى منطقة القناة لتقف مع الشعب في دفاعه عن حريته وقناته . بدلا من دفعها الى سيناء وهى ١/٨ مساحة مصر كلها والقوات المتيسرة ليست كافية للدفاع عنها في ظروف تفرض الصحراء فيها متاعب ادارية وفنية كبيرة .

ولم يدرك عبد الحكيم عامر للوهلة الاولى فكرة عبد الناصر من الانسحاب ، وظل في مناقشة عاصفة معه طوال الليل مما أخر سحب الدبابات قليلا .

وحدث خلاف جديد بين جمال عبد الناصر وبين العسكريين من رجال الجيش الذين تصوروا أن التحام الشعب بالجيش يكون بسحب القوات الى غرب القناة حيث تزيد كثافة السكان ونقلوا مركز الرئاسة الى الزقازيق فعلا . ولكن جمال عبد الناصر أوضح لهم انه لا يجوز ترك القناة

عارية بلا دفاع لأن ذلك يسهل للمهاجمين اقتحامهما دون عناء وانهم سيقفون عند حدود ذلك دون رغبة في اقتحام الدلتا أو الوصول الى القاهرة .

لذا كان الانذار البريطاني الفرنسى بمثابة صدمة كهربائية أفادت كل الحواس وأظهرت الأمر الواقع ، وضعت جمال عبد الناصر فى مواجهة احتمالات خطيرة .

وثبت فيما بعد ان خطة العدوان قد وضعت اللمسات النهائية فيها خلال اجتماع أحيط بسرية شديدة وتم فى ضاحية سيفر قريبا من باريس فى الفترة من ٢٢ أكتوبر الى ٢٤ بين بن جوريون وموشى ديان وسلوين لويدي وزير الخارجية البريطانية ، وجى موليه رئيس وزراء فرنسا وكريستيان بينو وزير خارجيتها .

تمت اجتماعات سيفر فى الوقت الذى كان أعضاء مجلس الأمن ينهكون فيه أنفسهم ببحث موضوع التأمين وتوصلوا فيه الى النقاط التى اختاروا ٢٩ أكتوبر موعدا لاجتماع جنيف بين وزراء خارجية مصر وفرنسا وبريطانيا ٠٠٠ ولكن اجتماع سيفر اختار هذا التاريخ موعدا للعدوان وليس موعدا لاجتماع من أجل السلام .

ووقع الاختيار بعد مناقشة خطة (شال) الفرنسية وخطة (موسكتير) البريطانية التى وضعها جنرال ستوكويل ، على اختيار الخطة البريطانية بعد تعديلات بسيطة أدخلت عليها وسميت (موسكتير الجديدة) .

وكان الهجوم الاسرائيلى فى الموعد المقرر ٠٠ والانذار الفرنسى البريطانى المشترك تبعا للخطة الموضوعية والتوقيت .

الغريب ان بن جوريون صرح بعد اجتماعات سيفر بأنه يسعى للسلام ويود ان يجتمع مع جمال عبد الناصر بشأن عقد تسوية فى الوقت الذى كانت فيه كل خيوط المؤامرة قد نسجت . وذلك تبعا لما ورد فى حديث لعبد الناصر يوم ٢٥ ابريل ١٩٦٠ -

واستقرت الخطة الدفاعية على أساس تفكير جمال عبد الناصر ، وأعدت خطة الدفاع عن القناة ، وبدأ التنسيق بين القوات المسلحة وبين جيش التحرير الشعبى الذى شكل وعين كمال الدين حسين قائدا له فى ٩ أغسطس ١٩٥٦ ، واتخذ من مدينة الاسماعيلية مقرا له ٠٠٠ وعندما بلغ جمال عبد الناصر ان عملية الانسحاب قد تمت قال (شعرت على الفور ساعة أخطرت أن مصر كسبت المعركة حين أحبطت خطة العدو ٠٠٠ ولو ان قرار الانسحاب قد تأخر ٢٤ ساعة فقد كان الأمر كله قد انتهى) .

تباينت في مواجهة العدوان ردود فعل أعضاء مجلس القيادة الذين لم يكن يجمعهم شكل تنظيمي ولكن جمال عبد الناصر كان دائم الاستشارة لهم ، حريصا على الارتباط بهم من موقعه الشرعي رئيسا للجمهورية
وقد ظهر التباين في أوضح صورة بعد بدء الغارات البريطانية على المطارات الحربية يوم ٣١ أكتوبر .

كان عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة غير مؤهل في شخصيته لتولى هذا المنصب الخطير ، ولكن جمال عبد الناصر عينه فيه خلال أزمة التناقض مع محمد نجيب ليضمن السيطرة على الجيش لثقتهم من ولاء عبد الحكيم له باعتباره صديق عمره والذي كان يسكن معه في سكن واحد قبل الزواج .

ولذا فإن مواجهة عبد الحكيم عامر للعدوان لم تكن ايجابية . . .
ولا ديناميكية وشخصيته الطيبة المحبوبة لم تكن ذات تأثير نافذ في ظروف المعركة كان تحريكه للقوات واعداده للخطط . رغم استعانتهم حتى ذلك الوقت في مكتبه بعدد من خيرة الضباط أركان الحرب ، لم يكن متناسبا مع خطورة الموقف فأصدر أمرا لمحمد رياض محافظ بورسعيد بتولى قيادة القوات المسلحة في بورسعيد وهو مدني متخرج في كلية الحقوق ، كما ان مساعده قائد القوات الجوية محمد صدقي محمود ترك طائراته فريسة للهجوم وهي رابضة على الممرات الجوية دون تحليل ، مما أدى الى تحطيمها فعلا في يوم واحد ، رغم ان خطة المعتدين قد قدرت لذلك يومين .

أما صلاح سالم فقد كان رد الفعل عنده أكثر وضوحا صابح جمال عبد الناصر وقنابل البريطانيين تتساقط فوق المطارات ومحطة الاذاعة وبورسعيد بأنه قد أدى دوره وخدم بلده في حدود قدراته ، وان عليه أن يذهب الى السفير البريطاني ويسلم نفسه له لأنهم يطلبونه شخصيا كما قال ايدن .

والنفت جمال عبد الناصر الى زملائه بهدوء وبلا انفعال يسألهم عما اذا كان هناك أحد يتفق مع صلاح في الرأي ولكن أحدا لم يكن معه .

وقد برر صلاح سالم هذا الموقف فيما بعد بأنه لم تكن عنده أية فسحة من الأمل في مقاومة عدوان ثلاثي على مصر في وقت لم يكن الجيش فيه قد استكمل معداته أو تدريبه أو تنظيمه وأنه كان في موقف الاختيار بين جمال عبد الناصر وبين مصر فاختر مصر .

لم يتخذ جمال عبد الناصر موقفا فوريا من صلاح سالم الذى ذهب الى القيادة العامة للقوات المسلحة حيث دارت بينه وبين عبد اللطيف وعبد الحكيم عامر مناقشة حول موقفه انتهت الى قيامه ولبسه ملابس جندى المراسلة الذى يقدم القهوة وصدر تعليمات له من عبد الحكيم عامر بالذهاب الى السويس ليكون مسئولا عن المقاومة الشعبية فقام من فوره وسافر اليها دون أن يتوجه الى منزله .

قال جمال عبد الناصر فيما بعد ان أكثر من اثنين من أعضاء مجلس القيادة أظهرا حماسا وتأييدا لاقتحام المعركة كأننا عبد اللطيف بغدادي وذكريا محيي الدين .

ويقول عبد اللطيف البغدادي انه ظل ملازما جمال عبد الناصر فى كل تحركاته الى الحد الذى جعلهما ينأمان فى غرفة واحدة بمبنى مجلس قيادة الثورة طوال مدة العدوان .

وتفرغ ذكريا محيي الدين للسيطرة على الموقف الداخلى واعداد المقاومة السرية .

كان جمال عبد الناصر قد قرر أن يقاتل ولا يستسلم . . . أعلن ذلك من منبر الجامع الأزهر المكان الذى خرجت منه المظاهرات الوطنية على مدى التاريخ . . . بصوت متحشج فقد كانت الانفلاوازا قد داهمت قبل العدوان وسمعه الملايين من العرب يقول (أنا فى القاهرة سأقاتل معكم ضد أى غزو وإلى آخر نقطة دم . . . سأبقى فى القاهرة مع أولادى . . . لن نستسلم أبدا ، سنبنى بلدا وتاريخا ومستقبلا . . . وسننتصر) .

ومع ذلك اجتمع عدد من رجال الأحزاب وقسروا مطالبة جمال عبد الناصر بالتناحي عن منصبه لأن العنوان يستهدفه أكثر مما يستهدف مصر . . . ولكنهم لم يجلبوا من يجرؤ على رفع هذا الطلب اليه . . . كانوا كمن يبحث عن يضع الجرس فى رقبة القط .

وصل هذا الخبر الى اجهزة الأمن المصرية عن طريق أحد الذين حضروا الاجتماع والذين كان قد استقر رأيهم على تكليف سليمان حافظ بمقابلة جمال عبد الناصر .

لم تتم المقابلة لأنه صدرت أوامر اعتقال الذين حضروا الاجتماع وهم سليمان حافظ ومحمد صلاح الدين .

واعتقل معهم عدد من السياسيين السابقين مثل فؤاد سراج الدين وابراهيم فرج حيث بقوا فى المعتقل حتى أفرج عنهم فى منتصف فبراير . ١٩٥٧ .

وقد استدعى هذا الموقف من رجال الأحزاب ، موقفا آخر من اللواء محمد نجيب الذى كانت اقامته ما زالت محدودة فى فيلا زينب الوكيل حرم مصطفى النحاس بالمرج ، وكان يعيش حياة قاسية بعد أن انتزع بعض ضباط الشرطة العسكرية أثاث منزله وحرموه من كتبه ومذكراته وأصدقائه .

صدرت الأوامر بنقل محمد نجيب الى طما فى جنوب الصعيد ليكون بعيدا عن القاهرة فى حالة ما اذا حاولت قوات العدوان الاستعانة به اذا انتصرت . . . وكانت الرحلة شاقة وقاسية وعمل فيها معاملة لاتليق بقائه ثورة ورئيس جمهورية وضابط برتبة لواء . . . وكان ذلك يتصرف ذاتى من بعض صفار الضباط الذين لا يرون فى أنفسهم الا أدوات تعذيب وامتهان دون تفكير . . . واستمر محمد نجيب فى هذا المكان القصى فى منزل محام قريب لأحمد أنور مدير الشرطة العسكرية حتى تم الجلاء الثانى ، وعاد الى قهده الاقامة من جديد فى منزل المرج .

واذا استثنينا محمد نجيب الذى لم يأخذ موقفا مضادا لقيادة جمال عبد الناصر ولم يصدر منه تصريح مضاد ، ولم يكن فى ظروف تسمح له بالتعبير عن رأيه . . . فائنا نجد ان موقف السياسيين السابقين الذين هرعوا للاجتماع ومطالبة عبد الناصر بالتنحي . . . وموقف صلاح سالم فى الوهلة الأولى ، وموقف عبد القادر حاتم الذى كان مسئولاً عن مصلحه الاستعلامات ، والذى نبهه جمال عبد الناصر الى ان مسئوليته هى رفع معنوية الجماهير ، وليس التحذير من خطر العدوان لما حادثه فى ذلك كما يرويه انطونى ناتنج فى كتابه (ناصر) .

موقف هؤلاء يدل على عدم سلامة تقديرهم لظروف مصر فى مواجهة العدوان .

كان جمال عبد الناصر خلال الفترة التى اعقبت خروج محمد نجيب قد استطاع أن يؤكد زعامته الوطنية وان يشق طريقا تقدميا للجماهير ، يثبت فيه معالم بارزة مثل قرارات باندونج والانتصار فى معركة الاحلاف . وصفقة الأسلحة وابرار دور القومية العربية وتأميم القناة . . . ومن هنا اكتسبت شخصيته ثقة الناس . . . وتخل الكثيرون عن ارتباطاتهم الحزبية القديمة ووجدوا فيه بديلا ثوريا معبرا عن ارادة الملايين من أبناء الأمة العربية .

وبذا لم يعد الفصل سهلا أو ميکنا بين شخصية جمال عبد الناصر وبين الشعب . . . وسقطت الدعاية الاستعمارية التى حاولت فى ذلك الوقت

ان تظهر فى مظهر الديكتاتور .. فهو لم يكن فى هذه الفترة قد أصبح حاكما مطلقا بعد ، ولكنه كان قائدا يقود الجماهير فى سلم الصمود .

كان قصورا فى تفكير هؤلاء الساسة المشتركين فى الاجتماع ، وتصورا بأنهم قادرون فى مرحلة المله الوطنى ان يركبوا الموجة من جديد .
بدأ العدوان الذى استبعد جمال عبده الناصر احتمال وقوعه اذا تأخر عن التأميم شهرا ٠٠٠ وقع بعده ثلاثة شهور نتيجة للظروف السياسية التى سبق توضيحها ونتيجة أيضا لبعض المشاكل العسكرية البريطانية ، الأمر الذى أجبرهم على تأجيل الخطة التى وضعت وصدق عليها فى أواخر يوليو ١٩٥٦ .

كان هناك نقص فى جنود المظلات البريطانيين ونقص فى عدد الطائرات التى تحملهم ونقص ثالث فى عدد السفن حاملة الجنود ، مما اضطر الانجليز الى الاعتماد على الفرقة الفرنسية العاشرة من جنود المظلات بعد ادماج الالاي ١٦ البريطانى معها ٠٠٠ كما ان القيادة البريطانية اضطرت الى اتخاذ جزيرة مالطة مركزا للعمليات بدلا من قبرص التى لا تصلح عمق موانئها لاستقبال بواخر الانزال والمسافة بينها وبين بور سعيد ٩٠٠ ميل تستغرق أيام كما ورد فى مذكرات ايدن .

بدأت العمليات فى ظروف معارضة متزايدة للحكومة البريطانية ، كانت وزارة الظل لحرب العمال قد أعلنت انها لا تبرر استخدام القوة الا بقرار من الأمم المتحدة ومعنى ذلك رفض الموافقة على استخدام القوة كما ان دعوة الاحتياط للجيش أثار تيسارا من المعارضة ظهر على صفحات الصحف ، وقامت المظاهرات ضد ايدن أثناء تحركاته فى لندن كما قال فى مذكراته يوم هاجمته الجماهير يوم عيد زواجه ٠٠٠ ولم يساند ايدن حضور تشرشل زعيم حزب المحافظين السابق جلسة مجلس العموم .

كانت خطة الغزو مقسمة الى ثلاث مراحل ٠٠٠ الأولى ضرب المطارات والطائرات والسفن التى قد تسد القناة ٠٠٠ والثانية ضرب الأهداف والمنشآت العسكرية بقصد تدمير أى دفاع منظم ٠٠٠ والثالثة انزال جنود المظلات من قبرص ثم وصول القوات بعد ذلك من مالطة بعد ٢٤ ساعة على ان تستغرق العملية منذ الطلقة الأولى الى احتلال منطقة القناة فترة لا تزيد عن عشرة أيام الى أسبوعين أى من ٧ الى ١١ نوفمبر .

كانت الخطة بطيئة نوعا ما تخشى مفاجأة وجود عديد من الخبراء السوفييت يقودون الطائرات أو المدرعات المصرية ، خاصة وانه كانت هناك معلومات بان مصر كانت قد تلقت غواصتين سوفييتيتين كما ذكر ايدن فى

مذكراته . ويذكر الدكتور مصطفى الحفناوي انه كان قد أرسل خطاباً
يرجو دعم السلاح البحري بغواصتين بعد التأمين لحماية مداخل القناة من
خطر اغراق الاعداء لبعض السفن فيها .

ولكن الظروف هي التي اجبرت مصر على سد القناة عندما تحركت
في منطقة البحيرات المرة ست من سفن الشحن محملة بالاسمنت لاغراقها
في القناة عند بدء الغزو ، وعلم الانجليز بها فأغاروا عليها لمنعها من ذلك ،
ولكن واحدة منها نجحت في سد القناة سدا محكما ونجحت الأخرى بتشكيل
حاجز جعل العبور في القناة مستحيلا .

وتشعب أثر العدوان في عدة اتجاهات . . . العمليات العسكرية
والصراع السياسي في هيئة الأمم ومواقف التأييد العربية ، وموقف الاتحاد
السوفييتي ثم موقف الولايات المتحدة ودول عدم الانحياز .

وإذا كانت مصر قد تلقت الانذار وحدها فإن ردود الفعل في معظم
انحاء العالم كانت تساند لها وتشهد من أزرها .

في العمليات العسكرية توقف الهجوم الاسرائيلي بعد الانذار الانجلو
فرنسي بعيدا عن القناة تبعا للخطة المشتركة ، وواصلت الطائرات البريطانية
عملياتها التمهيدية تنفيذا للخطة التي قادها من قبرص جنرال تشاولس
كفيل مع الاميرال الفرنسي جيبير بارجو .

وعرضت القضية على مجلس الأمن صباح ٣٠ أكتوبر ، وقدم هنري
كايوت لودج مندوب أمريكا مشروع قرار بانسحاب اسرائيل الى ما وراء
خطوط الهدنة ، ولكن انجلترا وفرنسا استخدمتا حق الفيتو لأن ايذن
اعتقد انه (كان هدف أمريكا من هذه الحركة هو أخذ الموضوع في يدها
بدلا من فرنسا وبريطانيا وجعل النداء الذي وجهناه الى مصر واسرائيل
لا داعي له) .

واستخدم البريطانيون والفرنسيون الفيتو مرة أخرى في مشروع
قرار سوفييتي ، وحاولت يوغوسلافيا والهند نقل الموضوع الى هيئة الأمم
التي كانت تضم ٨٠ دولة في ذلك الوقت ويتسع فيها المجال لادانة
العدوان . .

وصدر فعلا من الجمعية العامة قرار من ٦٤ دولة بوقف إطلاق النار
وانسحاب القوات الأجنبية ، ولكن لم تكن له قوة التنفيذ وانفجر الموقف
في البلاد العربية كما لم يحدث من قبل . . . عندما ضربت محطة اذاعة
القاهرة في أبو زعبل يوم ٢ نوفمبر ، أعلنت عمان ودمشق من محطاتها

(هنا القاهرة) ٠٠٠ واتصل الملك حسين بجمال عبد الناصر قائلا انه سيهاجم اسرائيل ولكن جمال أوضح له ضخامة المؤامرة وطلب منه التريث. وكان الموقف في الأردن موافقاً فقد تولى سليمان النابلسي رئاسة الوزارة يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٥٦ بعد نجاح القوى الوطنية في الانتخابات وقطعت الأردن والعراق علاقاتها السياسية مع فرنسا كما قطعت السعودية وسوريا علاقاتهما السياسية مع كل من إنجلترا وفرنسا ودمر العقيد عبد الحميد السراج قائد المكتب الثاني السوري (المخابرات) ونائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة فيما بعد انابيب ضيق البترول التابعة لشركة بترول العراق ٠٠٠ وذهب شكري القوتلي الذي كان قد انتخب رئيساً لجمهورية سوريا في سبتمبر ١٩٥٥ الى موسكو في زيارة معقدة من قبل ، وناقش مع خروشوف وبولجانين والمارشال زوكوف ضرورة التدخل العسكري لنجدة مصر ، ونصحوه هؤلاء بضرورة استنفاد كافة الوسائل القانونية والسياسية المتاحة في هيئة الأمم المتحدة ، حتى يصبح التدخل هو السهم الأخير .

وتحدد موقف مصر في المقاومة دون الاستسلام وقال جمال عبد الناصر (صدرت الأوامر بتوزيع السلاح وعندنا منه الكثير وسنقاتل في معركة مريرة من قرية الى قرية) .

الاتجاه الى الشعب كان تفكير جمال عبد الناصر في وقت الأزمة ، كما حدث عندما اعتقد ان جورج الين وكيل وزارة الخارجية الأمريكية سيقدم له انذاراً بعد صفقة السلاح ، وقرر المقاومة السرية .

كان زكريا مجيب الدين هو المسئول عن اعداد ترتيبات المقاومة السرية ٠٠٠ وقد بدأ فعلاً في اتخاذ الاجراءات الضرورية مؤكداً انه لم يكن هناك خطر على اشتراك أي قوة سياسية في هذه المعركة الوطنية ، وانه لم تتخذ أية اجراءات أمن الا ضد بعض السياسيين القدامى الذين سبق ذكرهم مع محمد نجيب الذين كان يمكن أن يكونوا أوراقاً يلعب بها الاستعمار من جديد .

كانت هناك ٤٨ ساعة حاسمة اتخذت فيها كافة ترتيبات المقاومة السرية من اعداد عربات بنمر مدنية ، وأوراق تحقيق شخصية مزيفة ، واجهزة لطبع أي منشورات أو مجلات وحتى جوازات السفر ، وأجبرت بعض الشقق بأسماء مستعارة ، كما كلف بعض الأفراد بتشكيل هيكل للتنظيم السري ، واعدت أجهزة اتصال لاسلكي ، ومخازن سرية للسلاح ، ومعدات وأدوات للتفجير .

كانت الاستعدادات تسير في هذا الاتجاه بجدية شديدة دليلاً على الاصرار على القتال وعدم التسليم ، ولكن عندما أجبرت الظروف قوات

المعتدين بوقف إطلاق النار ، تغير التفكير في معالجة الموقف وأصبحت المقاومة من موقع السلطة ... ووضعوا جانباً المدافع الرشاشة التي كان كل منهم يتحرك بها .

وينفى ذكرى محيي الدين ما ذكره انطوني ناتنج في كتابه من أنهم أعدوا حبات من سباتيد البوتاسيوم للانتحار بهما وقت الحاجة ، وقال انه كان هناك اقتراح بذلك ولكنه رفض باعتباره الانتحار ضد الدين الاسلامي ، وانهم طالما يدافعون عن قضية عادلة فعليهم ان يتحركوا والمدافع في ايديهم .

وأرسلت مصر في نفس الوقت بياناً لكل الدول تقول فيه :

(في هذه اللحظة الحاسمة تناشد مصر العون من المتطوعين والأسلحة وغير ذلك من كل أولئك الذين ما زالوا يحترمون في جميع أنحاء العالم كرامة الانسان وحكم القانون في العلاقات الدولية ... ان شعب مصر يخوض معركة البقاء والشرف ، وهو لا يقاتل من أجل نفسه وبلده فقط ، بل هو يقاتل من أجل العالم المتحضر كله) .

انتقلت المعركة مع الاستعداد العسكري الى الساحة الشعبية أيضا ... وبدأت حركة المقاومة مع انزال البريطانيين لجنود المظلات في بورسعيد يوم ٥ نوفمبر ، وأسهم فيها الشيوعيون الذين كان قله أفرج عن آخر المعتقلين منهم بعد تأميم القناة ... وبدأت تتكون مجموعات من العسكريين والشيوعيين والسياريين معا .

وكانت في بورسعيد من قوات الجيش اللواء ٧ والكتيبة ٤ المشاة الى جانب المدفعية الساحلية والمضادة للطائرات ... ولكن عندما نزلت القوات البريطانية في الجميل تبعثرت القوات العسكرية نتيجة انهيار القيادة المسئولة - قائمقام عبدا الرحمن قدرى - وأصدر قائده المحطة - اميرالاي صلاح الموجي - الأوامر بوقف إطلاق النار ثم الغائها بعد ذلك ، وفشل قائد المقاومة الشعبية - صاغ غريب الحسيني - وقائد جيش التحرير الشعبي - صاغ عبدا المنعم الحمدي - في اقناع الجماهير بالتحرك معهم لبعدهم عن فهم روح الشعب الحقيقية ثم هربهم بعد ذلك من بورسعيد ... وقدا تم فصل هؤلاء الضباط الأربعة من الجيش بعد انتهاء المعركة ...

وعندما تشتتت القوات وغلبت الحيرة صفار الضباط طلب حمدي عبدا ومحمد أبو نار من الضباط منير موافى الذهاب لمقابلة شمس بدران مدير مكتب عبدا الحكيم عامر الذي كان يفتش على الحرس الوطني في المنصورة ، وقال له انه الحل الوحيد هو السماح للشيوعيين بالدخول الى

بور سعيد لانهم أقدر من غيرهم على فهم نفسية الجماهير والتعامل معهم
... وقد رجع شمس بدران الى القاهرة ثم وافق على ذلك ، ورفع الحظر
بعدها عن تحركات الشيوعيين .

ويقول محمد أبو ناز ان رجال المباحث العامة خلال القتال كانوا
يراقبون تحركات الشيوعيين في الوقت الذي هرب فيه قائد المباحث العامة
من بور سعيد وسلم البوليس أسلحته كاملة ... ويقول أيضا ان الانجليز
كانوا يقبضون من سجلات البوليس على الشيوعيين والاخوان المسلمين .

طالب الناس بالسلاح منذ أول لحظة في عدوان اسرائيل ، ولكن تعطل
ذلك لكي يتم تحت إشراف المباحث العامة بشكل روتيني ومظهري وغير
فعال ، ورغم الفارات على بور سعيد فإن عددا قليلا من السلاح كان قد
تم توزيعه .

ولكن مع هبوط جنود المظلات ووصول قطار محمل بالسلاح والذخيرة
الى محطة بور سعيد بدأ توزيع السلاح على الأهالي دون نظام ... السلاح
في الشحم والناس غير منضبة أو منظمة تتحرك وراء أى صوت يدعوها
للحجوم على العدو في أى مكان ، الأمر الذي قلل من فاعليتها وعرضها
لبعض الخسائر .

وهكذا تم توزيع السلاح على الشعب في اللحظة الأخيرة وكأنه طوق
نجاة يلقي لفريق .

كان في مقدمة العسكريين كمال رفعت وحندى عبيد ومحمد أبو ناز
ومحمد فايق وسعد غفره ومنير موافى وصالح زعزوع وفي مقدمة الشيوعيين
واليساريين عبد المنعم شتلا وأحمد الرفاعي وسعد رحيم ويوسف إدريس
وحسن فؤاد وعلى الشلقاني وحرمة نانا سالم وأحمد عباس صالح ومحسن
لطفى وإبراهيم أجوج وأحمد مجاهد وعبد المنعم القصاص وأمينه شفيق
وغيرهم .

ويقول محمد رياض محافظ المدينة الذي كان يقود بور سعيد اذاريا
من غرفة عمليات خشبية بذائنة غير محصنة انه عندما استقبل الجنرال
ستوكويل قائد القوات البريطانية رفض تسليم المدينة ، تنفيذا لتعليمات
زكريا محيي الدين قبل العدوان لأن اتصالاته السلوكية بالقاهرة كانت قد
انقطعت مع بدء عمليات الانزال . وقد أمضت المدينة أياما قاسية حيث
رفض المحافظ قبول الأكل من الانجليز الذين فتحوا مخازن الترانزيت
وتركوا الأهالي يأخذون منها ما يريدون بينما كاميرات السينما والتليفزيون
تسجل المشهد للحماية في الخارج بينما دعاء القتلى لم تكن قد جلت بعد .

كانت المقاومة الشعبية تقاوم في بور سعيد بينما توقف الجيش عمليا عن القتال بعد انسحابه من سيناء ٠٠٠ واعداده للدفاع عن مدينة الاسماعيليه تحت قيادة كمال الدين حسين الذي استخدم قوات الجيش وقوات الشعب أيضا بالتنسيق مع اللواء على عامر القيادة الشرقية .

وفي السويس كان صلاح سالم قد حول المدينة الى حصن كله خنادق ودشم وجزاغل مما يجعل اقتحامها صعبا جدا على الغزاة . وتكلف في ذلك ما يقرب من نصف مليون جنيه صرفت خلال أيام قليلة قبل أن يتوقف إطلاق النار . واعتمد في ذلك على الجماهير بالدرجة الأولى .

وعلى قدر ما كان اجراء جمال عبد الناصر على القتال سببا في الهاب حماس الشعب المصري والأمة العربية والأحرار في كل الدول ٠٠٠ على قدر ما كان قرار ايدن وجي دي موليه سببا في تعرضهما لموجات عنيفة من النقد والمعارضة ووصلت المظاهرات ذروتها في لندن وباريس بعد وصول اخبار الانزال بالمظلات ٠٠٠ وتحول ميدان الطرف الآخر الى كتل من البشر تهتف بسقوط ايدن وقاد الشيوعيون المظاهرات في فرنسا ضد جي موليه .

ووصلت الضجة المعارضة في مجلس العموم الى حد لم تعرفه التقاليد البريطانية من قبل ، وادان الخطباء هذا (العمل البوليسى) الشنيع . ورفعت الجلسة لتهنأ ثورة الأعضاء .

كانت الحلقة تضيق حول ايدن وجي موليه ٠٠٠ تنفيذ الخطة لا يتم . بالسرعة المطلوبة ٠٠٠ القنات أصبحت مسدودة ٠٠٠ الرأي العام الصالى يسباند مصر ٠٠٠ الشعب البريطانى والفرنسى يتور ضد العدوان ٠٠٠ وزير الدولة انطونى ناتنج يستقيل احتجاجا يوم ٣ نوفمبر ٠٠ الولايات المتحدة تأخذ موقفا معارضا لاجلثرا وفرنسا ٠٠٠ انقسم الكومنولث انقساما يهدد كيانه ٠٠٠ وهيئة الأمم تصدر قرارا بالانسحاب .

ولكن الأمور لم تصل غايتها الا مساء يوم ٥ نوفمبر عندما تبين لقادة الاتحاد السوفييتى انهم قد استنفدوا كل الضغوط السياسية والقانونية . المبكبة في اطار الأمم المتحدة وغيرها ، فارسل المارشىال نيكولاى بولجانين رئيس الوزراء خطابا الى ايدن ، قال له فيه (ان الحرب في مصر يمكن أن تتطور الى حرب عالمية ثالثة) ثم تساءل ٠٠٠

(فى أى وضع كانت بريطانيا تجد نفسها اذا هاجمتها دولة أقوى منها . تملك كل نوع من أنواع الأسلحة الحديثة البعاكة ، وهناك اليوم دول لا تحتاج الآن لأن ترسل الأساطيل أو القوات الجوية الى شواطئ بريطانيا » وانما تستطيع أن تستخدم وسائل أخرى كالصواريخ مثلا ، اننا عاقدو

العزم على استغلال القوة لسحق المعتدين وإعانة السلام الى الشرق ونحن نأمل أن تظهروا الحكمة وتستخلصوا من هذا النتائج المناسبة) .

وأرسل بولجانين خطابا ثالثا الى بن جوريون مختلفا في صيغته إذ قال له في قسوة (أوضحت تصرفات اسرائيل قيمة كل التأكيدات الزائفة عن حب اسرائيل للسلام ورغبتها في التعايش السلمي مع جيرانها العرب ، واسرائيل وهي تعمل لحساب الغير ووفق التعليمات التي تصدر اليها من سادتها وتلعب لعبا اجراميا وغير مسئول بمصير السلام وبمصير شعبها) .

أثار الانذار السوفييتي فزعا في العالم الغربي كله وكان الاتحاد السوفييتي قد أطلق (سبوتنيك) وطهر تفوقه في عالم الصواريخ على الولايات المتحدة ذاتها . . ولم يكن متوقعا ان يأخذ قادة الاتحاد السوفييتي هذا الموقف الصلب الحازم في وقت تعرضت فيه المجر لثورة مضادة وطلب الحكومة فيها من القوات السوفيتية الانسحاب من المجر وكانت موجودة بحكم اتفاقيات حلف وارسو

انسحبت القوات السوفيتية فعلا ، وهدل الين دالاس رئيس المخابرات المركزية الأمريكية شقيق دالاس وزير الخارجية وقال (اننا نشهد معجزة وان الثورة الشعبية يمكن ان تقوم وتنجح بالرغم من كل القوات وكل الأسلحة الكبيرة والحديثة) وأضاف (أننا على حافة نصر عظيم عملنا له وانتظروا طويلا) .

وتبين سريعا ان حركة المجر قد استهدفت ضرب الاشتراكية عندما ذهب الكاردينال مندزنتي رئيس الاساقفة والذي أصبح الزعيم الدولي للحركة الى الاذاعة وطالب بالفناء الاصلاح الزراعي وساد التردد والعجز أعضاء الحكومة المجرية الى أن انشق جناح تزعمه (بجانوس كادار) وهو أحد المطالبين بالاصلاح وطالب القوات السوفيتية بالعودة والتدخل لانقاذ المجر الاشتراكية وأوروبا الشرقية عموما .

عادت القوات السوفيتية وقضت على المؤامرة خلال ساعات بثمن باهظ لم يكن هناك من سبيل لتفاديه وعجزت أجهزة دالاس عن الود الا بحرب نووية شاملة لا يجرؤ على اعلانها عاقل .

عاد الهدوء الى المجر يوم ٤ نوفمبر وفي اليوم التالي مباشرة كانت اذاعات بولجانين قد وصلت الى حكام دول العدوان الثلاثي وهكذا سقطت المؤامرة الأمريكية في المجر وولجعت المؤامرة الثلاثية أعنف رد تعرضت له .

وصل الخطاب الى ايدن وموليه فى مساء يوم ٥ بعد ان كان بولجانيون قد أعلن مضبوطه قبل وصوله وظهرت الصحف البريطانية والفرنسية تحوى عناوين مفزعة باحتمال ضرب لندن بالصواريخ ٠٠٠ وفى الساعة العاشرة الا ربعا من صباح اليوم التالى ٦ نوفمبر اجتمع مجلس الوزراء البريطانى وقرر وقف القتال وذهب ايدن فى المساء الى مجلس العموم ليعلن قرار وقف اطلاق النار فى منتصف ليلة ٧/٦ نوفمبر بتوقيت جرينتش أى الثانية بعد منتصف الليل بتوقيت بور سعيد .

ولكن النار لم تتوقف فى الموعد المحدد ، بل واصل البريطانيون انزال قواتهم فى الصباح واصدرت القيادة العامة المصرية بلاغا بذلك .

ولم تركز المقاومة الشعبية الى الهدوء لأن الايطاليين فرضوا حظر التجول من الخامسة مساء حتى السادسة صباحا ، واستولوا على كثير من المنازل الصالحة لسكن القوات وطردوا السكان منها كما استولوا على المستشفيات ٠٠٠ واستمر القتال بين الشعب وجنود الاحتلال تحت قيادة مجموعة من الضباط الوطنيين وعدد من الشيوعيين تحت علم (الوحدة الوطنية) دون محاولة من الشيوعيين لفرض سيطرتهم على المليشيات الوطنية كما أشار محمد حسنين هيكل فى كتابه (عبد الناصر والعالم) ٠٠٠ بل أن القنصل السوفييتى فى بور سعيد (اتاتولى تشنيكوف) كان ينقل المنشورات والأسلحة ويسهل نخبة أفراد المقاومة بطريقة سرية .

اعترف الجنرال ستوكوبل يوم انسحابه من بور سعيد أن المقاومة السلبية فى المدينة نجحت تماما (ولم تقدم لنا أى مساعدة من أى جهة من الجهات) .

وقال الجنرال كيتلى (قاتلنا ضد شعب جهزته قواته المسلحة بأحدث الأسلحة والطائرات واستمات أفراد فى الدفاع عن بور سعيد باصرار وعناد وحكمة) .

الجنرال ستوكوبل عمل بعد ذلك فى وظيفة كتابية بوزارة الحرب البريطانية واحيل الجنرال كيتلى الى التقاعد .

لم يكن الشيوعيون هم الذين حاولوا فرض سيطرتهم اذا كما ادعى هيكل فى كتابه (عبد الناصر ٠٠٠ والعالم) ولكنهم كانوا من اوائل الذين بادروا للدفاع عن بور سعيد والاشتراك فى المقاومة الشعبية مع سكانها ٠٠ ومع ذلك تعرضوا لموقف معاد من السلطة ظل يلاحقهم طويلا .

بدأت السلطة البوليسية تحارب الشيوعيين وتقمعهم ، والفت نشرة المقاومة الشعبية ولا حققتهم بتقارير كاذبة ٠٠٠

يعمل ذكرها بحبي الدين هذا الموقف بأنه من الطبيعي اذا اشترك تنظيم سياسي سرى فى عملية جماهيرية فانه لا شك سيحاول تقوية صفوفه بتجنيد عناصر جديدة ، وخلق نفوذ له بيد الجماهير وانه من الطبيعي أيضاً أن تتحرك أجهزة الأمن للتعرف على هذه الاتجاهات .

ولكنه يؤكد ان السلطة لم تتخذ اجراء من شيوعى نتيجة اشتراكه فى المقاومة الشعبية كما انه لا يذكر ان صداما قد حدث بين السلطة وبين الشيوعيين فى هذه المرحلة .

ولكنه عندما طويت صفحة العدوان الثلاثى ، ووصل التاريخ الى عام ١٩٥٩ وقدم بعض الشيوعيين الى المحاكمة بتهمة انهم عملاء لدولة اجنبية طلب الدفاع عن عبد المنعم شاتيل ١٣ ضابطاً فى الخدمة او على المعاش للشهادة ، ولكن لم يحضر منهم سوى خالد محبى الدين واحمد لطفى وأكد عضوا قسم الجيش فى حديثو سابقا ، ويقول محب الدين أبو نار ان حسن المصالحى رئيس قسم مكافحة الشيوعية فى المباحث العامة قد استدعاه ونصحه بعدم الشهادة ، ثم استدعاه بعد ذلك عباس رضوان وطلب منه عدم الشهادة فاعتذر عنها مرغماً .

كانت المقاومة الشعبية فى بور سعيد هى الوجه المشرف للشعب المصرى بينما لم تؤد القوات المسلحة واجبتها على الوجه الاكمل لظروف متعددة سياى شرحها فيما بعد ، الأمر الذى أدى الى اخراج ٣٠ ضابطاً فيما بعد العدوان ، والى شكرى جمال عبدالناصر من كثرة الحسائر بلا مبرر .

وخلال معارك بور سعيد تأثر بعض صفات الضباط من دور الشيوعيين فى المقاومة الشعبية ، وذبلت فى نفوسهم الحساسية المزروعة فيها من الدعاية المركزة ضد الشيوعية .

وعندما انتهت المعركة وانسحب جنود الاحتلال ، ذهب عبد اللطيف البغدادي الى بور سعيد لاعادة تعميرها ، وأصدر أوامره بجمع السلاح من الأهالى ولم يتردد أفراد الشعب فى تسليم أسلحتهم ، وكان يرغبيهم فقط ان يحصلوا على شهادة تقول (فلان كان يعمل فى المقاومة الشعبية وادى دوره بأمانة وشرف) .

كان توقف الهجوم العدوانى الذى وصل الى مدينة الكاب جنوب بور سعيد ثمره لعدة عوامل تفاعلت جميعها بنسب مختلفة وانتهت الى هذه النتيجة ويمكن تلخيصها فيما يلى :

أولاً : اصرار القيادة على القتال ورفض الاستسلام .

ثانيا : توزيع السلاح على الجماهير واطلاق المقاومة الشعبية والبداية
في اتخاذ ترتيبات المقاومة السرية .

ثالثا : الانذار السوفييتي العنيف المهدد بضرب لندن وباريس
بالصواريخ اذا لم يوقف اطلاق النار .

رابعا : الموقف الأمريكي المعارض للخطوة البريطانية الفرنسية
لاسباب استراتيجية أمريكية .

خامسا : التضامن العربي والتأييد الايجابي لموقف مصر .

سادسا : قرار هيئة الأمم المتحدة بأغلبية ٦٤ صوتا من ٨٠ وهو قرار
معبر عن الرأي العام العالمي .

سابعا : تمزق الموقف الشعبي في إنجلترا وفرنسا ووجود تيارات
ومظاهرات معادية متزايدة .

هذه هي الأسباب التي تجمعت وانتهت العدوان الثلاثي ... ولكنه
كانت هناك تناقضات أخرى ثانوية بين القائمين على تنفيذ الخطة من القادة
البريطانيين وحلفائهم الفرنسيين الأمر الذي لم ينفذ انطلاقهم الى جنوب
الكامر رغم توافر الظروف المهيئة لذلك امامهم .

لم يعصف العدوان بجمال عبد الناصر ولم يهدم النظام الذي أقامته
حركة ٢٣ يوليو ، وإنما عصف بأنطوني ايدن رئيس وزراء بريطانيا الذي
أذاع وقواته ما زالت بعد في مصر يوم ٢٠ نوفمبر انه يعاني ازهاقا شديدا ،
وان بيكر حامل اختام الملكة سيراس اجتماعات مجلس الوزراء في غيبته .

وبقي ايدن في جزيرة جامايكا بالبحر الكاريبي حتى اعتزل منصبه
بالاستقالة يوم ٩ يناير ١٩٥٧ وخلفه وزير ماليته هارولد ماكميلان أحد
المتحمسين للعدوان على مصر .

ولم يذهب ايدن وحده ... ذهب معه جى موليه فقد سقطت وزارته
أيضا في ٢١ مايو ١٩٥٧ .

وتلك القوات البريطانية والفرنسية في تنفيذ الجلاء ... ولكن
المقاومة الشعبية لم تهدأ ، وقررت مصر عدم البدء في تطهير القناة وإعادة
الملاحة فيها قبل انسحاب آخر جنتي .

بدأ الانسحاب مع شهر ديسمبر ، ورحل آخر فوج من المعتدين يوم
٢٢ ديسمبر ١٩٥٦ وارتفع العلم المصري فوق بور سعيد حيث كان
البريطانيون ، وفوق بور فؤاد حيث كان الفرنسيون وأصبح يوم ٢٣

ديسمبر يوما تحتفل به مصر كل عام ، واعتاد جمال عبد الناصر أن يزور المدينة في مثل هذا اليوم ويوجه من هناك خطابا للشعب .

انسحب الانجليز والفرنسيون ، ولكن اسرائيل تحسنت قرارات الانسحاب ورفضت الانسحاب من غزة ورفع وشم الشيخ وجزيرتي تيران وصنافير ومنطقة ساحلية طولها ٢٢٠ كيلو مترا وعرضها ٢٨ كيلو مترا بطول خليج العقبة .

أعلنت وزيرة خارجية اسرائيل انها لن تنسحب بعد ذلك الا اذا أخذت ضمانات لحرية مرور السفن الاسرائيلية في خليج العقبة وعدم استخدام غزة قاعدة ضدها ، ورفضت مصر أى شرط للانسحاب .

تدخلت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت تترصد الفرصة المناسبة للنفوذ الى المنطقة ، فأسهمت في اضعاف موقف بريطانيا وفرنسا للانهاء من نفوذها ومصالحها في المنطقة وضغطت على اسرائيل للانسحاب وضغطت على مصر لتبقى قوات طوارئ دولية فقط في شرم الشيخ حتى لا تتاح للقوات المصرية مستقبلا فرصة قفل خليج العقبة ومنع الملاحة فيه .

ولم يشأ جمال عبد الناصر ان يعاند ويواصل تحدى أمريكا ، لانه وجد في ذلك على حد تعبيره - موقفا غير سياسى - وقبل هذا الشرط مرغما كما يقول فانتنج .

وكانت المظاهرات لا تتوقف في غزة تطالب بعودة الادارة المصرية .
وتؤرق القوات الاسرائيلية ...

وبدأت اسرائيل الانسحاب بعد تدمير كامل لجميع منشآت سيناء ... من آبار بترول ومناجم وخطوط سكة حديدية وصهاريج مياه ومباني ... وغادرت قواتها العريش يوم ١٤ يناير ١٩٥٧ ثم رفع وخان يونس ... وأخيرا انسحبت من غزة يوم ٦ مارس ومن شرم الشيخ يوم ٧ مارس . بعد ان صرح بن جوريون قبل ذلك بيوم واحد (ان اسرائيل لن تنسحب من غزة أو شرم الشيخ) .

لم ترسل مصر حاكما عسكريا لغزة كما كانت الأمور من قبل ، وانما عينت حاكما مدنيا ولم ترسل معه قوات عسكرية ، بل اكتفت بفريق من الشرطة العسكرية .

وتم تطهير القناة واعيد فتحها يوم ٢٩ مارس ١٩٥٧ وحاولت بريطانيا وفرنسا مقاطعتها ولكنهم اضطروا للعودة اليها بعد أسابيع بادارتها المصرية الكاملة .

وانتهت (اتفاقية الجلاء) عمليا مع انتهاء عدوان عام ١٩٥٦ ، وتمزقت شروطها وتحمرت مصر نهائيا من شبهة التحالف التي وردت ضمن بنودها بعودة القوات البريطانية اليها في حالة الهجوم أو احتمال الهجوم على تركيا ، وثبتت سلامة تقدير موقف جمال عبد الناصر وزملائه أعضاء مجلس القيادة في ان تحقيق الجلاء هو الأساس الرئيسى لانطلاق مصر بعد ذلك في سياستها الوطنية بإرادتها الحرة .

وأصبحت مصر لأول مرة منذ الاحتلال البريطاني متحررة من القوات الأجنبية ، مستقلة استقلالاً كاملاً غير مرتبط بآية اتفاقيات أو أحلاف .

واستولت مصر على الممتلكات البريطانية في القاعدة التي بنت من أجلها المخازن والمستودعات تحت الأرض والتي بلغت قيمتها ٣٠٠ مليون جنيه استرليني .

وقبلت مصر قوات الطوارئ الدولية لتكون حاجزا بينها وبين القوات الاسرائيلية حتى لا تتكرر الاشتباكات المسلحة التي طلت تحتل العناوين الرئيسية في الصحف على فترات متقاربة منذ غارة غزة ٢٨ فبراير ١٩٥٥ حتى عدوان ١٩٥٦ ..

ووجدت أفكار جمال عبد الناصر التي عبر عنها الى مجلة (الشئون الخارجية) الأمريكية وهي مجلة ربع سنوية ذات قيمة في السياسة الدولية في فبراير ١٩٥٥ قبل تصاعد هذا التوتر فرصتها للتحقيق من جديد فقد قال يومئذ (ليس هناك محل للحرب مع سياستنا الانشائية التي قررناها لتحسين مستوى الشعب) .

الباب الثاني _____

● العسكريون في مركز السلطة

الفصل الخامس

زحف العسكريين نحو السلطة

(لا يمكن للقوات المسلحة أن تكون ولم تكن يوما ولن تكون أبدا محايدة) .
لينين

كان جلاء قوات العدوان الثلاثي عن أرض مصر ، انتصارا للشعب ، ونقطة ارتكاز لحركة العسكريين ، غيرت طابعها الانقلابي ، وأكدت الفرق المميز بينها وبين كافة الانقلابات العسكرية التي حدثت في الوطن العربي ، أو في دول العالم الثالث عامة .

اكتسب جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية المنتخب وصيدا شعبيا هائلا ، جعل النسبة التي حصل عليها وهي ٩٩.٩٪ في المائة يوم ٢٥ يونيو ١٩٥٦ حقيقة راسخة (عدد الناخبين ٥٥٥٠٤٩٤٠٥ وغير الموافق ٢٦٧٠٥) .

كان الانتخاب قد تم بناء على قواعد الدستور ، الذي أعلنه جمال عبد الناصر يوم ١٦ يناير ١٩٥٦ في مؤتمر شعبي كبير عقد بميدان الجمهورية من ١٩٦ مادة ، وجاء في مقدمته انه صادر عن الشعب المصري (الذي انتزع جقه في الحرية والحياة ، بعد معركة متصلة ضد السيطرة المعتدية من الخارج والسيطرة المستقلة من الداخل) وليس صادرا كمنحة من الملك مثل دستور ١٩٢٣ .

كان جمال عبد الناصر هو المرشح الوحيد . ولم يسمح لغيره بالترشيح ، وكان طبيعيا ان يحصل على النجاح في الاستفتاء الشعبي .
عقب مواقفه الوطنية في بانسوتج ، ضد الاحلاف العسكرية ، وتأكيد الاستقلال الوطني ، وكسر احتكار السلاح ، وبعد جلاء آخر جندي أجنبي عن أرض الوطن .

ولا شك انه كانت هناك أصوات تعارض أسلوب الانتخاب ، وتشير الشكوك في صحة النسبة التي حصل عليها ٠٠٠ ولكنه بعد تأميم القناة ، ومقاومة العدوان الثلاثي ، والانتصار عليه عمليا باجباره على الانسحاب والجلاء مرة ثانية خلال ستة شهور من جلالة الأول ، أصبح انتخاب جمال عبد الناصر مدشنا بارادة شعبية جارفة .

وصل قائده الضباط الأحرار المنتخب الى منصب رئيس الجمهورية الشرعية ووصلت مجموعة الضباط الأحرار ، التي قامت بحركتها ليلة ٢٣ يوليو بعد لا يتجاوز المائتين من شعب بلغ ٢٣ مليوناً ، الى قمة انتصاراتها .

ولكنها لم تصل كما بدأت ٠٠٠ تنظيماً للضباط الأحرار ، وانما وصلت بعد فترة انتقال انتهى معها تشكيل مجلس قيادة الثورة ، ولم يعد له كيان رسمي ، كما سبق ان انتهى تنظيم الضباط الأحرار وتوقف عمله ، واستبدل بتنظيمات شخصية هامشية ، تركزت أخيراً في يد قيادة الجيش الجديدة المؤلفة من القائد الأعلى جمال عبد الناصر والقائد العام عبد الحكيم عامر ومدير مكتب القائد العام الصاغ شمس بدران .

وكان موقف أعضاء المجلس بعد انتهاء المرحلة الانتقالية - ٢٣ يوليو ١٩٥٦ - متبايناً ٠٠٠ صلاح سالم كانت قد قبلت استقالته في أغسطس ١٩٥٥ .

أما شقيقه جمال سالم فقد كان قد بدأ يتخذ موقفاً معارضاً لانفراد جمال عبد الناصر المتزايد بالسلطة قبل حل المجلس ، بعد أن كان في البداية من أشد المهاجمين لمحمد نجيب المبايعين لجمال عبد الناصر ، الأمر الذي جعله في ٢ نوفمبر ١٩٥٥ نائباً لرئيس الوزراء ، ونائباً لرئيس الجمهورية في غيبته بالخارج .

كان قد حدث تجمع داخل مجلس قيادة الثورة عام ١٩٥٥ من ضباط الطيران الثلاثة ٠٠ جمال سالم وعبد اللطيف البغدادي وحسن ابراهيم والظم اليهم صلاح سنالم ٠٠ وقرروا حسب رواية حسن ابراهيم الا يشتركوا في الحكم بعد انتهاء فترة الانتقال ، والا يستقيلوا قبلها أيضاً .

كانوا يستهدفون بفكرة استقلالهم الجماعية تنبيه الجماهير لانفراد جمال عبد الناصر بالسلطة مما يمثل في نظرهم بعنا لحكم الفرد ولكن التدبير لم ينفذ لاستقالة صلاح سالم المبكرة ولاعتقاد البغدادي انه قادر خلال وجوده رئيسا لمجلس الأمة - حسب ما تم اتفاقهم عليه - على خلق روح وحياة ديموقراطية .

الغريب أن هذا الاتفاق قد تم بين أطراف متناقضين .. حسن ابراهيم كان قد اشتكى لجمال عبد الناصر من أسلوب العمل داخل مجلس قيادة الثورة ، وشاركه الرأي عبد اللطيف البغدادي لأن المناقشات كانت تدور تحت ضغط التوتر من عصبية جمال سالم المبالغ فيها ، وسخرية صلاح سالم المبالغ فيها أيضا .

كانت عصبية جمال سالم وسخرية صلاح سالم لا تسنحان بالمناقشة العميقة ، وللدفعان الى الجمود ، ويقول حسن ابراهيم انه لا يستبعد وجود صلات جانبية بين عبد الناصر وجمال سالم وصلاح سالم لانهم كانوا ينحضرون اجتماعات المجلس كتلة واحدة .

ولكن سرعان ما استنفذ كل من الفنيقيين دوهما وكالا اول الخارجين من المجلس .

ولكن الواقع أن جمال عبد الناصر كان أكثرهم تقدما في طريق الوعي والتطور ، وأشدهم حرصا على تطبيق العدالة الاجتماعية ، الى جانب تماسكه بشخصيته القيادية وثباتها .

كان مختلفا على سبيل المثال عن جمال سالم أحد الخارجين عن المجلس في أفكاره التي ادلى بها الى جان لاكوتير ممثل وكالة الأنباء الفرنسية ونشرت في جريدة المصري يوم ٢٤-يناير ١٩٥٤ .

قال جمال سالم (هناك عائلات من كبار الملاك تتعاون مثل عاقبة البدرأوى)

وعندما سأله لاكوتير هل أنت اشتراكي ؟

أجاب (هذا ليس بصحيح .. لسيت اشتراكيا - وليس هذا لاني أكره انتهاز سياسة التأميم في مصر . بل لاني أؤمن بأن اقتصاديات هذا البلد لن تتقدم الا بالمنافسة الحرة) وفسر أفكاره بقوله (لم نصل الى المرحلة الاشتراكية لأننا لم نصل الى الاحتكار الا في الزراعة أما صناعتنا فما زالت طفلا يحتاج الى رؤوس الأموال الخاصة)

وهكذا طويت صفحة مجلس قيادة الثورة ، وطويت معه أيضا فرصة المناقشة المحدودة في مركز اصدار القرار وانتهت بنهايته امكانية مراجعة الموقف من وجهات نظر مختلفة ... وتحول الأمر من سلطة المجلس الى سلطة الفرد .

ربما كانت الآراء تختلف يمينا ويسارا ، وربما كانت الأفكار تتنافر حول القضايا المعروضة ... ولكن الأمر في نهايته كان يقتضى من القائد أمّا تطويع زملائه لأرائه وأفكاره ، والصبر على مناقشاتهم حتى تتوفر لهم في النهاية وجهة فكرية في القضايا الاستراتيجية الكبيرة ... وأما التخلص منهم لينفراد برأيه سواء أكان أكثر صوابا أم أكثر دهاءا .

والواقع أن جمال عبد الناصر طوال فترة وجود مجلس قيادة الثورة كان عريضا على أن تأخذ المناقشات غايتها وأن تمتد وتطول حتى يصفى كل الموقف والآراء المعارضة له بالحجة والاقناع ... الأمر الذي جعل معظم قرارات المجلس تصدر بالإجماع كما يؤكد زكريا محيي الدين إذا استثنينا بعض القرارات التي صدرت في عهد ولاية محمد نجيب لرئاسة الجمهورية ووجود يوسف صديق وخالد محيي الدين في المجلس .

كانت الشعبية الجارفة التي رفعت جمال عبد الناصر الى القمة قد جعلته في مركز الائق من سلامة رأيه وصحة رؤيته .

أول وزارة شكلها جمال عبد الناصر باعتباره رئيسا شرعيا للجمهورية صدرت مراسيمها يوم ٢٦ يونيو باعتبارها القرار الجمهوري رقم ١ وخرج منها جمال سالم نائب رئيس الوزراء ، وخرج منها أيضا حسن إبراهيم وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية ، ودخلها عبد الحكيم عامر وزيرا للتربية ، وثقن عدد العسكريين فيها من ستة الى خمسة كلهم من أعضاء المجلس ، ويلاحظ انهم أخذوا أسبقية خاصة على الوزراء المدنيين السابقين لهم لهم التعيين ، مما يعد نوعا من تثبيت وضع خاص لهم بعد حل مجلس القيادة ... أول الوزراء في القرار الجمهوري كان عبد اللطيف البغدادي يليه زكريا محيي الدين ثم حسين الشافعي فعميد الحكيم عامر وكمال الدين حسين ...

تحول الوضع الزمني لأعضاء مجلس قيادة الثورة ، الى أقدم وزراء في المجلس .

وانتهت العوامل التي كان يمكن ان تصور حركة ٢٢ يوليو باعتبارها انقلابا عسكريا ، كما صورت يوم وقوعها ، يوم أجساد الدكتور واشد .

البدرأوى كتابه المعروف (حقيقة الانقلاب الأخير في مصر) ، فالانقلاب حدث عارض لا يغير نظام الحكم وإنما يستبدل شخصية الحكم ولا يقوم على مساندة شعبية ، وإنما يعتمد على سطوة القوة العسكرية .

أما حركة ٢٣ يوليو فقد بدأت ولها كل مظاهر الانقلاب إلا أنها في مسارها أخذت طابع الثورة .

ومنذ البداية لم تكن انقلاب جنرالات يماثل نظام الحكم القائم ويحافظ على استمراره . . . وإنما كانت انقلاب صفار الضباط الذين وقفوا منذ البداية ضد النظام ومع التغيير .

صحيح أنها لا تحمل أسلوب ثورة ١٤ يوليو ١٧٨٩ (الثورة الفرنسية) ولا ثورة ٧ نوفمبر ١٩١٧ في روسيا (الثورة الاشتراكية العظمى) لأنها لم تقم بجماهير الشعب ، رغم حصولها على تأييده منذ اللحظة الأولى نتيجة لفساد الحكم الملكي السابق .

سنوات الصدام مع القوى السياسية المختلفة (الوفد والشيوعيين والايخون المسلمين والعناصر المعارضة في صفوف الجيش) دفعها الى اتخاذ اجراءات ادارية اعطتها طابعا عسكريا قاسيا ، الى جانب انها اقتصرته في حركتها منذ اللحظة الأولى على حركة القوات المسلحة وتجنبته التفاعل مع الجماهير الشعبية في حذر .

وكانت أزمة مارس ١٩٥٤ التي أطاحت بمحمد نجيب رئيسا لمجلس قيادة الثورة ، وحاصرته رئيسا شكليا للجمهورية لمدة شهرين خرج بعدها في ١٧ نوفمبر أثناء الصدام مع الاخوان المسلمين وبدء محاكمتهم بعد محاولة اغتيال جمال عبد الناصر في أكتوبر ١٩٥٤ . . . أزمة ذات وجهين .

جماهير الشعب خرجت في فبراير تؤيده محمد نجيب بعد استقالته ، وتجبر مجلس قيادة الثورة على إعادته ، وقبل ان تمضي عدة أسابيع كانت هيئة التحرير وبعض الضباط الموالين للمجلس قد استطاعوا تحريك جانب آخر من الجماهير بمساعدة صاوى أحمد صاوى سكرتير اتحاد عمال النقل حتى وصل الأمر الى حد التظاهر والأضراب . . . الأمر الذي سهل لهم انتزاع نجيب من موقعه والرجوع عن قرارات ٥ مارس أى ٢٥ مارس المعروفة (انظر الجزء الأول) .

هذا الحدث في ذاته ، ورغم دور الجماهير في دعم وجود المجلس واستمراره ، ترك تأثيرا مباشرا في جمال عبد الناصر إذ اشعره بأنه يمكن التخلص من الجماهير وأنها أمام القوات المسلحة يصبح دورها محدودا . . .

قال جمال عبد الناصر لعدد كبير من أصدقائه ومنهم خالد محيي الدين ان الخروج من أزمة مارس لم يكلفهم سوى عشرة آلاف من الجنيهات دفعت للمتظاهرين والمضربين .

وقال لأكرم الحوراني في مناقشة (لا تحدثني عن الشعب فاني أعرف كيف تتحرك الجماهير) ا

ولكن الثورة مع ذلك كانت تكسب تأييد الجماهير بلا ضغط يوما بعد يوم من خطواتها الوطنية ، حتى ارتبطت مع الشعب تماما في مواجهة العدوان الثلاثي ، وأصبحت تستحق أن يطلق عليها اسم (الثورة) لانها تحولت الى قيادة حقيقية قادرة على تحريك الجماهير ، معبرة عن ارادتهم ، مناضلة عن أهدافهم ...

وهكذا تحول الانقلاب الى ثورة ، ودخل ٢٣ يوليو في تاريخ ثورات التحرر الوطني ...

وتأكلت زعامة جمال عبد الناصر وأصبح يتلقى مئات الرسائل في اليوم الواحد ، وانحسرت محاولات الانقلاب عليه ، وتراجعت في مواجهة التأييد الشعبي الهائل ... ولم تضبط الا محاولة قام بها القائمقام عاطف نصار الملحق العسكري بالهند ، متعاوناً مع خمسة مدنيين منهم محمد صلاح الدين وزير الخارجية وعبد الفتاح حسن وزير الدولة في وزارة الوفد سنة من ضباط الجيش بالاسكندرية ، وقدمت للمحكمة العسكرية العليا يوم ٢٠ أكتوبر ١٩٥٧ ، وصدر فيها الحكم بالاشغال الشاقة المؤبدة على عاطف نصار ، ومحمد صلاح الدين ١٥ سنة وعبد الفتاح حسن ١٢ سنة وعلى الباقين بأحكام مختلفة وبراءة اثنين .

وضبطت مؤامرة أخرى تولتها ادارة المخابرات البريطانية واشترك فيها ضابط سابق (حسين خيرى) ، اتصل بأحد ضباط مخابرات الطيران (عصام خليل) وموله بمبالغ بلغت جملتها ١٦٥ ألف جنيه من أجل اعادة الملكية لمصر ... وقد نظرت القضية أمام المحكمة العسكرية العليا ، وأصدرت الحكم يوم ٢٨ ابريل ١٩٥٨ على مرتضى المراشى وزير الداخلية السابق في وزارة نجيب الهاللى وحسين خيرى بالاشغال الشاقة المؤبدة ، ومحمود ناموق ١٥ سنة ، وكانت الأحكام غيابية لوجوده خارج القطر ... وقد قبض بعد ذلك بشهور على محمود ناموق في بغداد عقب ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨ في العراق .

ولكن الموقف في صفوف الجيش كان قد هدام واستقر ، ولم تعد المحاولات الانقلابية ، ترتبط بعدد واسع من الضباط ... لم تعد في صورتها.

التي كانت بها قبل تصفية محمد نجيب وثبوت سلطة عبد الحكيم عامر ،
الذي كان مفروضاً أن يحاسب عسكرياً على موقفه من القوات المسلحة في
عدوان ١٩٥٦ التي ثبت يقيناً إنها لم تؤد دورها كما يجب مع تقدير وجودها
في رحلة انتقال في التسليح والتدريب والتنظيم والعقيدة القتالية ، كما
سيأتى شرحه تفصيلاً فيما بعد .

كان قانون التجنيد الذي صدر عام ١٩٤٧ قد تغير مرة أخرى عام
١٩٥٥ بصدر القانون رقم ٥٠٥ الذي رفع الحد الأدنى لدوى المؤهلات
ليكونوا من حملة القانون العامة بخدمة سنة ونصف . وخفض مدة الخدمة
لخريجي الجامعات لتكون سنة واحدة يعدون ليكونوا ضباط احتياط ،
وزاد سن تأجيل التجنيد ليصبح ٢٩ سنة ، ٩ شهور .

ولم تكن الفرصة كافية لجنى ثمار هذا القانون اذ صدر قبل عدوان
١٩٥٦ يوم واحد ، تماماً كما صدر قانون ١٩٤٧ للتجنيد قبل عام واحد من
حرب فلسطين ٠٠٠ الأمر الذي لم يجعل لهما تأثيراً كبيراً على مستوى الجيش
من ناحية القتال الحديث . ولعل هذا كان عذر المشير عامر .

يقول عبد اللطيف البغدادي وحسن ابراهيم انه تقرر في ذلك الوقت
عزل قائد القوات الجوية محمد صدقي محمود ، ويقول زكريا محيي الدين
انه كان هناك قرار بعزل قيادة القوات البرية والبحرية والجوية ، ولكن
عبد الحكيم عامر تشبث بهم ورفض اخراجهم .

ووافقه جمال عبد الناصر ولم يأخذ موقفاً حاسماً في مواجهة الأخطاء
كما أخذ موقفاً حاسماً في مواجهة الأعداء .

واذا كان التهاون قد بدأ في محاسبة العسكريين في المواقف الوطنية
فانه لا بد وان ينسحب الى التهاون أيضاً في محاسبة الآخرين في المجالات
المختلفة ، اذا وجدوا من يدافع عنهم ، ليس أمام القضاء ، ولكن أمام
السلطة .

وصعب ان يضع الكاتب نفسه في مقعد القاضي ، ولكنه أمر معروف
في كل الجيوش ان القائد المهزوم لا يجوز له ان يواصل القيادة في موقعه .

كان استثناء عبد الحكيم عامر من المحاسبة والابقاء على قيادة القوات
الثلاث ، راجعاً الى الطبيعة الخاصة في علاقات جمال عبد الناصر بزميل
عمره وموضع ثقته وراجعاً أيضاً الى ان الظروف التي وضع من أجلها
عبد الحكيم عامر قائداً عاماً للقوات المسلحة وهو غير مؤهل لذلك ما زالت

قائمة ٠٠٠ الرغبة فى السيطرة على القوات المسلحة بكل تفاصيلها عن طريق أشد زملائه اخلاصا له .

كان جمال عهد الناصر ما زال يعتمد على الجيش كمؤسسته الرئيسية رغم انتصاراته الشعبية ، ورغم انه بدأ يخلق مع زملائه ملايسهم العسكرية بعد انتهاء فترة الانتقال .

وكان فى ذلك أكثر ميلا الى الرأى القائل بأن الجيش هو القوة الوطنية (الجامعة والوحيدة) القادرة على تزعم ثورة التحرر الوطنى ، وهو الرأى الذى يتعارض تماما مع القول بأن السلطة السياسية الناتجة عن الانقلاب العسكرى هى سلطة رجعية وعسكرية .

والواقع ان الرايين لا يمثلان حقيقة الواقع فى مصر فى ذلك الوقت ، فالرأى الأول ينفى وجود قوى سياسية أخرى قادرة على تزعم حركة التحرر الوطنى وهو أمر غير صحيح ٠٠٠ والرأى الثانى يدين كل حركة عسكرية بأنها رجعية وانقلابية ولا تحمل بدورا وطنية تقدمية ٠٠٠ وهو أمر غير صحيح أيضا .

الجيش كانت تتعايش فيه الأفكار المختلفة الموجودة فى المجتمع الأمر الذى دفع أصحاب كل اتجاه الى محاولة السيطرة على الجيش وبالتالي على المجتمع .

والجيش ليس طبقة أو فئة اجتماعية واحدة ، كما انه ليس جهازا معزولا عن عمليات الصراع الطبقي .

ولكن الجنود فى الجيش المصرى لم يتحركوا كقوة مستقلة ، ولم يدخلوا حركة الصراع الوطنى والطبقي مستقلين عن قيادتهم تما حدث مثلا فى ثورتى فبراير وأكتوبر ١٩١٧ فى روسيا ، عندما تصرف الجنود كفلاحين يحملون السلاح .

الجنود المصريون كانوا خاضعين تماما لسلطة الضباط .

وكان جمال عهد الناصر واعيا بحركة الصراع داخل الجيش وقد حاول حسمها لصالح مجلس القيادة فى السنوات الأولى التى أعقبت الحركة ، واضطر فى سبيل ذلك الى اتخاذ اجراءات عنيفة أحيانا .

ولكنه وقد وقف على قمة التأييد الشعبى بدأ يخلق انصاره الذين استنفدوا أغراضهم ، والذين شوهت صورتهم أمام الجماهير فى اندفاعهم الحماسى المحموم ، والذى وقف أفكارهم عند حدود دورهم المرسوم بلا رؤية جديدة ولا ادراك عميق لطبيعة الصراع فى المجتمع وأفاق التطور .

وتساقطت في هذه الفترة أسماء كان الشعب قد فاض به الكيل من كثرة ما سمعه عنها وما لمسها من تصرفاتها ٠٠٠ جمال سالم الذي كانت له مع كبار الموظفين والاداريين اعتداءات وتصرفات مثيرة للدهشة البالغة ، وكانت له في محكمة الثورة أساليب وعبارات في غاية القسوة ٠٠٠ أحمد أنور قائد البوليس الحربي الذي اقترن اسمه بالاعتقالات والتعذيب بعد ان وزعت قواته على تشكيلات الجيش المختلفة ٠٠٠ ابراهيم الطحاوي وأحمد عبد الله طعيمه وهما اللذان أوكل اليهما الاشراف على هيئة التحرير دون خبرة سياسية سابقة مما جعل اسمهما معاً محل تنذر بعض الناس .

بدأت هذه الأسماء تتساقط ٠٠٠ رغم أدوارها البارزة في دفع عجلة الثورة للأمام وتأكيد سلطة العسكريين ، وتغليب كفة مجلس القيادة في أزمة مارس ١٩٥٤ وضرب القوى السياسية المعارضة ٠٠٠ وظهرت أسماء أخرى من العسكريين أيضاً .

تساقطت هذه الأسماء ومعها اجهزتها ٠٠٠ الشرطة العسكرية وهيئة التحرير . وكان هذا من دوافع تحول الانقلاب الى ثورة .

وكانت هذه الأجهزة من معوقات الارتباط بين الشعب والعسكريين فالشرطة العسكرية كانت صورة العذاب والارهاب بعد ان أعطى لضباطها صفة الضبطية القضائية بعد اعتراض المحامين في كثير من القضايا ٠٠٠ وهيئة التحرير عجزت عن اكتساب ثقة الجماهير .

ومع بداية تطبيق الدستور وانتخاب جمال عبد الناصر كانت معظم المعتقلات قد صفيحت وخرج المعتقلون منها ٠٠٠ أفرج عن يوسف صديق عضو مجلس قيادة الثورة السابق بعد اعتقال استمر ١٣ شهراً في مايو ١٩٥٥ وأفرج بعدها بأيام عن زوجته أيضاً وكانت عضوة في الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني (حدتو) ٠٠٠ وظلا بعدها في تحديد الإقامة حتى منتصف عام ١٩٥٦ حيث أفرج عنه .

الوحيد من العسكريين الذي ظلت اقامته محلودة ، غير المحكوم عليهم بالسجن كان اللواء محمد نجيب .

كانت هناك انفراجة نسبية في موضوع المعتقلين والمعتقلات ، ويذكر انه حتى هذه الفترة وما بعدها لم تغل معسكرات الاعتقال من نزلاء تتغير الوانهم السياسية تبعاً للظروف .

كان الاعتقال بلا تحقيق ، أمراً ادارياً بسيطاً كاد من تكراره لبعض الشخصيات ان يصبح من روتين حياتهم ٠٠٠

واجهزة الأمن منذ ٢٣ يوليو تنمو وتزدهر ... الذي أوكلت اليه مسئوليتها منذ البداية كان زكريا محيي الدين ، وهو يقول ان ذلك قد تم مصادفة. عندما كان أعضاء المجلس يتولون في البداية وتوزيع المسئوليات فيما بينهم ... جمال سالم للاقتصاد وعبد اللطيف البغدادي للتصنيع والشئون البلدية وصالح سالم للسودان وعبد المنعم أمين لشئون العمال ويوسف صديق للأوقاف ، وخالد محيي الدين للصناعة والصحة وهكذا .

قدم الأمريكيون منذ اللحظة الأولى خبرتهم لتنظيم المخابرات بعد ان كانت في عهد الملك محدودة الأثر محصورة في البوليس السياسي الذي كان يشرف عليه ماجور سائسون الذي أسس جمعية (اخوان الحرية) المتصلة بالمخابرات البريطانية ، والذي أصبح فيما بعد ضابط أمن بالسفارة البريطانية حتى رحل عن مصر فجأة يوم ٣١ يناير ١٩٥٣ كما نشرت الصحف المصرية وعين بعد ذلك في ليبيا وألف كتاباً عن حياته في مصر باسم (تجسست على الجواسيس) .

قبل ٢٣ يوليو ، لم يكن هناك جهاز أمن يعرف باسم المخابرات العامة وكان عدد ضباط المخابرات الحزبية في الجيش ١٥ ضابطاً فقط ، وعدد ضباط القسم المخصص بالبوليس السياسي ٢٤ ضابطاً .

وقد استعان زكريا محيي الدين بعدد من الخبراء الألمان الى جانب تقارير المخابرات المركزية الأمريكية التي كانت تقترح توحيد أجهزة الأمن .

وأعد زكريا محيي الدين مشروع قانون المخابرات على أساس الهيمنة على كافة أجهزة المخابرات في ادارة واحدة منعاً لازدواج الجهد وكثرة التكاليف ... وهذا لا يعنى ضمها في جهاز واحد وإنما يعنى التنسيق بينها بفكر ورأى واحد .

وقد تحقق ذلك فعلاً لفترة محدودة . وكان زكريا محيي الدين هو المشرف على كافة أجهزة الأمن القائمة في ذلك الوقت (المخابرات العامة - مخابرات الجيش - المباحث العامة بالداخلية) .

ولم يستمر ذلك الأمر طويلاً فقد بدأت الأراءات المختلفة تنجاذب أجهزة المخابرات وبدأ ذلك بالقوات المسلحة عقب تولي عبد الحكيم عامر القيادة العامة ، فانفصلت مخابرات الجيش عام ١٩٥٥ . وتكونت فيما بعد مخابرات أخرى منفصلة للقوات الجوية .

وعندما عين زكريا محيي الدين وزيراً للداخلية ترك الإشراف على ادارة المخابرات العامة بعد عدة شهور ، وعين على صبرى نائبة لمديرها . ثم مديراً لها في يونيو ١٩٥٦ .

كان ضباط المخابرات العامة قد تحولوا الى مدنيين في سبتمبر ١٩٥٥ ، وأنشئ في نفس العام المعهد الاستراتيجي بجوار برج القاهرة الذي دفعت المخابرات المركزية الأمريكية ثمن انشائه - ٣ ملايين دولار - كما سبق ذكره . وكانت تدريس فيه محاضرات المخابرات المركزية الأمريكية عن طريق شركة بوز آلف وهاملتون لضباط المخابرات والمباحث وضباط أمن الوزارات وبعض أعضاء السلك الدبلوماسي بالخارجية ، وذلك حسب رواية فريد طولان مدير المعهد في ذلك الوقت .

كان النموذج الأمريكي هو المثال الذي تهتدى به أجهزة المباحث والمخابرات في ذلك الوقت ، وقد تسربت أجهزة المخابرات الأمريكية الى بعض ضباط هذه الادارات ، كما حدث عندما ذهب البكباشي أحمد حلمي مدير قسم مكافحة الشيوعية بالمباحث العامة الى أمريكا لعمل غير معروف دون استئذان أو ابلاغ الجهات المختصة اذ كان قد أبلغ بأنه يمضي أجازته السنوية في قبرص وشوهد هناك مصادفة ولما علم زكريا محيي الدين بذلك أصدر قرارا بأحالة الى الاستيداع حيث بقي لمدة عام ، وانتقل بعد ذلك الى أجهزة البوليس العادية بغير محاكمة .

حدث التسرب الأمريكي رغم ان وزارة الداخلية لم تحتفظ في المباحث العامة سوى بأربعة ضباط فقط من رجال البوليس السنيابي السابقين ، ورغم ان العسكريين فرضوا اشرافهم على وزارة الداخلية منذ الأيام الأولى ، حيث تبادل هذه المسئولية عدد من ضباط الجيش مثل البكباشي مصطفى لطفى الذى عين فى الخارجية وتدرج فى مناصبها حتى أصبح وكيلا للوزارة ثم اليوزباشي محيي الدين أبو العز الذى أشرف على تكوين المباحث العامة وعين محافظا للقيوم ، وعندما تولى جمال عبد الناصر وزارة الداخلية عقب اعلان الجمهورية فى ١٨ يونيو ١٩٥٣ ودخول أربعة من أعضاء المجلس الى الوزارة ، أعطى صلاحيات كبيرة ليوزباشي البوليس صلاح الدين دسوقي الذى انتهى محافظا للقاهرة .

كان جمال عبد الناصر يعتمد على أجهزة الأمن ولكنه يشك فى سلامة موقفها وإخلاصها للثورة ، كما يشك أيضا فى قدرة أفرادها على متابعة أفكاره ، ويشك أخيرا فى احتمال وجود صلة بين بعض ضباطها وأجهزة المخابرات الأجنبية .

كانت هذه الشكوك تعيش فى نفسه ، وتنمو مع الوقت ولعل هذا الشعور هو الذى دفعه الى الموافقة على تعدد أجهزة الأمن والمخابرات بقيادات مختلفة ، بحيث تصب كافة معلوماتها فى النهاية عنده وحده . . . بل انه أنشأ فى مكتبه فيما بعد جهازا خاصا للمخابرات والعمليات والاتصالات الخاصة ، كان يشرف عليه سكرتيه الخاص للمعلومات سامي

شرف ، دون تبعية لآى جهاز آخر من أجهزة الأمن ... الأمر الذى يدل على عدم ثقة عبد الناصر الكاملة فى هذه الأجهزة والذى خلق ازدواجية متكررة ، وكبد الدولة تكاليف باهظة .

كان جمال عبد الناصر مؤمنا ومعتقدا بأن أجهزة الأمن لا تسير فى خط متوافق مع أفكاره ، وكان يقول ساخرا - حسب رواية أحمد أنور وحسين عرفة - (لولا اننى رئيس للجمهورية وقلت الكلام ده ، كانت المباحث حطتنى فى السجن) ومع ذلك لم يبذل جهدا ايجابيا لتسييس أجهزة الأمن ، بل انها نمت واتسع نفوذها بايدولوجيتها الجامدة المتخلفة ، ووسائلها الوحشية ، وأطماعها الذاتية .

وعندما كلف مدير مكتبه أحمد لطفى وأكد بالاتصال بالسوفييت اتصلا سريا قبل باندونج ، حذره من خطر معرفة المباحث والمخابرات لهذه الاتصالات ، واستدعاه مرة الى منزله فى حضور عبد الحكيم عامر ليشهده بأنه كلف لطفى وأكد بهذه الاتصالات ، حتى لا يهتم بالاتصال بجهات أجنبية فى حالة اذا ما تعرض جمال عبد الناصر نفسه للخطر أو الموت .

ولازمت هذه الحالة جمال عبد الناصر لسنوات طويلة ، حتى انه لما فكر فى تطبيق الميثاق عام ١٩٦٣ وتشكيل طليعة الاشتراكيين داخل الاتحاد الاشتراكي ، حرص على أن تكون تنظيما سريا بعيدا عن رؤية المباحث والمخابرات ، رغم انه كان يهدف قيما بعد الى الدمج بينهما بتوحيد شخصية أمين التنظيم ووزير الداخلية فى شعراوى جمعه .

وكان هذا موقفا انفصاميا من جمال عبد الناصر ... يعتمد على أجهزة للأمن لا يثق فى قيادتها ولكنه يعتمد على تقاريرها ...

وقد أخذ نفوذ أجهزة الأمن المتعددة ينمو ويستشرى وخاصة فى الجيش حيث أصبح الضباط مطاردين بعناصر منهم منبثة فى صفوفهم . تدفع الجميع الى الحذر والحرص ثم ايثار السلبية والبعد عن السياسة . كان تنظيم الضباط الأحرار قد انتهى تماما كما سبق أن أوضحنا ، ولم يعد هناك أى ارتباط تنظيمى داخل الجيش الا تنظيم أجهزة الأمن والمخابرات .

وانفضت أيضا الرابطة التنظيمية لأعضاء مجلس القيادة ، وانفرطت مسبحة تنظيمهم ، وأصبحوا أفرادا تتنازعهم أفكارهم ومواقفهم الخاصة ... وأصبح جمال عبد الناصر هو القوة الوحيدة القادرة على اعطائهم فرص العمل التى يراها مناسبة لهم سواء فى الوزارة أو خارجها .

أول الذين عهد اليهم بعمل خاص كان صلاح سالم الذى تولى رئاسة مجلس ادارة جريدة (الشعب) الجريدة الثانية للثورة بعد (الجمهورية)

التي رأسها أنور السادات وبعد مجلة (التحرير) التي أصدرتها ورأست تحريرها في ١٦ سبتمبر ١٩٥٢ .

ولم يبق صلاح سالم طويلا في منصبه فقد أقيل بعد موقفه أثناء فترة العدوان الثلاثي بخطاب جاء فيه (هناك مواضيع ليس من المصلحة أن تخوض فيها الآن مما يدعو الى الاستغناء عن خدماتك) وظل في منزله بلا عمل حتى أعيد لميدان الصحافة مرة أخرى رئيسا لمجلس إدارة دار التحرير للطبع والنشر في ٨ مارس ١٩٥٩ .

وعين جمال عبد الناصر خالد محيي الدين أيضا رئيسا لمجلس إدارة (المساء) التي صدرت يوم ٦ أكتوبر ١٩٥٦ وبذا أصبح للثورة ثلاث جرائد يومية ومجلة اسبوعية وأخرى شهرية باسم (نداء الوطن) أصدرها أمين شاكرك مدير مكتبه فيما بعد .

كان اهتمام جمال عبد الناصر بالسيطرة على أجهزة الاعلام والصحافة أمرا ملحوظا . بل ان تعييناته في مجال الصحافة كانت تعتبر احساسا للتحيز بحركته السياسية في المستقبل .

لم يتوقف تعيين جمال عبد الناصر لزملائه أعضاء المجلس عند حدود الصحافة ، بل عينهم في المراكز الدينية أيضا .

عين أنور السادات سكرتيرا عاما للمؤتمر الاسلامي ، ولحقه فيه مساعدا له أمين شاكرك ثم حسن التهامي . ووصل الأمر الى تولى عبد الحكيم عامر تنظيم الطرق الصوفية مع الفاء القيود التي كانت مفروضة على تسير هذه المراكز كما نشرت الأهرام يوم ١٨ مارس ١٩٥٥ .

وحتى نهاية فترة الانتقال كان الضباط الأحرار يحتفظون برتبهم في الجيش الا الذين حوكموا منهم أو أبعدها ، وتحدثت نشرة ٢٣ يوليو ١٩٥٦ باعتبارها آخر نشرة عسكرية يمكن للضباط الذين يرغبون في الخروج من خدمة الجيش أن يلحقوا بها .

وفضل بعض الضباط أن يخرجوا من صفوف الجيش لممارسة حياة مدنية ، وكان مفروضا ان تغلق أبواب الخروج بعد ذلك .

ولكن نشرة ٢٣ يوليو ١٩٥٦ أو نهاية فترة الانتقال لم تكن حدا فاصلا ، ولم تكن حاجزا يحول دون تسرب الضباط الى الحياة المدنية .

لم يتوقف زحف الضباط على الحياة المدنية تحت اغراء ما توفره لهم من حرية ومكافأة مادية تزيد عن مرتباتهم المقيدة بقواعد الترقية العسكرية .

وانتشر الضباط فى مختلف المجالات ولكنهم تركزوا أساسا فى عدة جهات ٠٠٠ أجهزة العمل السياسى والخارجية وشركات التجارة والصناعة ٠

ولم يكن خروج الضباط من الجيش يتخذ موقفا طبقيا يخلص الجيش من العناصر المضادة أو مقرونا بكفاءتهم وقدرتهم على الانتاج فى الأعمال التى كلفوا بها ٠٠٠ ولكنه اذا استثنينا الضباط الأحرار الذين كانت صلتهم بالعمل السياسى قد جعلت عودتهم لقيود الجيش عملية صعبة ، كان الخروج يتم تحت تأثير عدة عوامل ٠

أولا : الرغبة فى تقديم خدمة لبعض الضباط من الأصدقاء المقربين ٠

ثانيا : الرغبة فى التخلص من بعض العناصر التى لا تفكر فى تدبير انقلاب ولكنها ليست من الانتهازيين والمنافقين مما يجعل لها شخصية بارزة ٠

ثالثا : تطهير الجيش من بعض العناصر سيئة السلوك والتى لا سند لها ٠

رابعا : الاستفادة من بعض العناصر التى تولت أعمالا مدنية وأثبتت فيها كفاءة مرضية خلال السنوات الأولى للثورة ٠

تحت ضغط هذه العوامل الأربعة استمر تيار الخروج متدفقا من الجيش لا يتوقف رغم تصريح أنور السادات لجريدة المصرى يوم ٧ يوليو ١٩٥٣ بأن أحدا من العسكريين لن يعين فى منصب مدنى ٠

واستمرت قيادة الضباط للتنظيم السياسى الجديد فعين كمال الدين حسين مشرفا عاما على الاتحاد القومى ، بعد أنور السادات سكرتيره العام الذى عين وكيلًا لمجلس الأمة ٠

وزع الضباط أيضا فى أول برلمان منتخب بعد ٢٣ يوليو ٠

وتبعًا لمواد الدستور الجديد وقانون الانتخاب الذى صدر فى ٣ مارس ١٩٥٦ خفض سن الناخب الى ١٨ سنة بعد ان كان ٢١ سنة لانتخاب النواب ، ٢٥ سنة لانتخاب الشيوخ وأعطى للمرأة حق الانتخاب لأول مرة فى تاريخ مصر ٠٠٠ ومنح العسكريون أيضا حق الانتخاب وصدر قانون عضوية مجلس الأمة فى ١١ يونيو لانتخاب مجلس مؤلف من ٣٥٠ عضوا بدلا من مجلس للشيوخ والنواب وحدد سن العضو بثلاثين سنة على الأقل مع خفض قيمة تأمين الترشيح من ١٥٠ جنيها الى ٥٠ جنيها ، وتحديد المكافأة الشهرية بمبلغ ٧٥ جنيها ٠

صدرت التعليمات لعدد من الضباط بترشيح أنفسهم فى دوائر معينة ، حتى فى الدوائر البعيدة مثل الوادى الجديد (محمد أبو نار)

وسيناء (فتحي رزق) ومرسى مطروح (فؤاد المهداوى) . . . وشكلت
لجنة خاصة من العسكريين ضمت زكريا محيى الدين وعلى صبري وعدد
من ضباط المخابرات لفرز الترشيحات للمجلس واستبعاد الذين لا يتلاءمون
مع ارادة السلطة العسكرية .

وقد استبعد نتيجة لذلك عدد كبير من المرشحين . . . وعلى سبيل
المثال شطب حق الترشيح فى دائرة (نكلا العنب) البخيرة من تسعة
مرشحين كنت واحدا منهم لتقفل الدائرة على فتحي الشرقاوى المحامى .

لم تكن المسألة هى إدخال الضباط للمجلس . . . وانما ادخال
الضباط المواليين والسائرين فى ركب السلطة ، تجنباً للمعارضة . . .

وهكذا قضى منذ البداية على فرصة وجود معارضة بعد ان اعطى
الدستور للاتحاد القومى حق الاعتراض على المرشحين . . . وقد اعترض
على ١١٨٨ من ٢٥٠٨ مرشحين .

اجريت الانتخابات فى هذا المجلس بحرية نسبية دون تدخل واغلقت
كافة الدوائر التى رشح فيها أعضاء مجلس قيادة الثورة تجنباً لاتهامات
بالتزوير ومواجهة صريحة للجماهير بالرغبة فى ادخالهم الى مجلس الأمة
. . . وأصدر وزير الداخلية زكريا محيى الدين أوامره بالحياد المطلق بين
كافة المرشحين . وكان دليل ذلك سقوط والد كمال الدين حسين فى
القليوبية وسقوط شقيق زوجة زكريا محيى الدين نفسه فى الشرقية .

عدد الدوائر التى أغلقت كانت ٤٣ دائرة وعدد الضباط من الجيش
والبوليس الذين دخلوا مجلس الأمة كانوا ٥٩ ضابطاً وقد انتخب
عبد اللطيف البغدادى رئيساً للمجلس وأنور السادات وكيلاً له .

اضفى مجلس الأمة شرعية ديموقراطية على نظام الحكم ، ولكنه ظل
فى مضمونه عسكرياً يقبض العسكريون فيه على زمام السلطة التى أصبحت
تتركز فى يد جمال عبد الناصر .

أبرز أزمة فجرت تناقضات العسكريين داخل مجلس الأمة كانت
أزمة مجدى حسنين ومديرية التحرير . . . وكان هو الذى أنشأها ثم طرد
منها يوم ٣ نوفمبر ١٩٥٧ بعد منعه لقوات البوليس من تنفيذ أمر صادر
بإخلاء منطقة معروفة من سكانها وإعادة أثاث المنازل بعد اخراجه بالقوة
باعتباره نائباً للمنطقة .

قدم عشرة نواب اقتراحاً بطرد مجدى حسنين من المجلس هو والنواب
الدكتور محمود القاضى واسماعيل نجم المحامى والصاغ أحمد شفيق أبو
عوف باعتبار ان مجدى حسنين قد أفسدهم بتعيينهم فى مديريةية التحرير

... والدستور يعطى لمجلس الأمة حق الموافقة على ميزانية الحكومة ومصروفاتها ، وبذا كان في مقدوره ان يعترض على الحكومة التي يعينها رئيس الجمهورية الذي يعين بواسطة المجلس وتستفتى في شأنه الأمة ومع ذلك فللرئيس سلطة حل مجلس الأمة .

قرر عبد اللطيف البغدادى رئيس المجلس تشكيل لجنة دستورية للتحقيق على أن تنتهى منه خلال ٤٨ ساعة .

كان جمال عبد الناصر قد أظهر تخليه عن مجدى حسنين فتحسب ضده عدد كبير من أعضاء المجلس ... ولكن مراجعته للموقف واستماعه لبعض الضباط جعله يعتقد أن قرار فصل مجدى حسنين من مجلس الأمة سوف يعتبر ادانة لمشروع مديرية التحرير وهو الذى تحمس له عند افشائها باعتباره من مشاريع الثورة الهامة وشكل لها مجلس ادارة على مستوى عال برئاسة الدكتور عبد الرازق صدقى وزير الزراعة وعضوية الوزراء عبد اللطيف البغدادى وكمال حسنين وأحمد الشرباصى وعبد الحكيم الرفاعى محافظ البنك الاهلى وأحمد فؤاد ووكيل وزارة الخزانة وعدد من أساتذة الزراعة في مصر ... وكان مجدى حسنين هو العضو المنتدب ، ووقفه ضد رأى جمال سالم الذى كان يعارض اشراف الدولة على الزراعة ، والذي حمل لواء المعارضة في اجتماع مشترك لمجلس الثورة ومجلس الانتاج ومجموعة من مديرية التحرير دعا اليه عبد الناصر لمناقشة المشروع .

وبعد ان كان قد أبلغ البغدادى موافقته على فصل مجدى عاد فأبلغ بعض النواب العسكريين المقربين منه بعدم موافقته ... وهنا تحول تيار المجلس ، وفترت حماسة المهاجمين لمجدى حسنين وتحول بعضهم الى موقف التأييد له والدفاع عنه .

وعندما شعر عبد اللطيف البغدادى بهذا التحول وهو الذى كان على وشك تنفيذ اجراءات فصل مجدى حسنين ترك منصة الرئاسة وخطب في الأعضاء قائلاً ان هناك خللا دستوريا وتدخل من السلطة التنفيذية في شئون السلطة التشريعية .

طالب الأعضاء بأن تكون الجلسة سرية بعد ان أعلن البغدادى انها ستكون علنية ولذا قرر في نهايتها ان يستقيل معه مجموعة من أعضاء المجلس ... ولكنه فوجيء وهو في طريق عودته ومروره على منزل جمال عبد الناصر ان هؤلاء الأعضاء عنده .

وانتهت الازمة بجلسة طويلة بين جمال عبد الناصر والبغدادى فسر له فيها جمال رأيه في احتمالات تطور الموقف بما أقنع البغدادى وأعاد الهدوء الى نفسه .

وانتهت أزمة مجدى حسنين بعد ان عرض التحقيق على المجلس
ووقف بجانب مجدى ٢٣٠ عضوا من ٣٥٠ هم عدد أعضاء المجلس .

واسفرت هذه الأزمة عن ظهور التناقضات بين أعضاء مجلس القيادة
الى المجال العلنى بعد ان كانت مطوية فى نطاق السرية .

وقدم كمال الدين حسنين الى عبد اللطيف البغدادى استقالته من
عضوية مجلس الأمة احتجاجا على تصرفات مجدى حسنين ولكنه سحبها
بعد تدخل شخصى من جمال عبد الناصر .

لم تكن هذه أول استقالة لجمال الدين حسنين ولكنها كانت الثالثة . . .
قدم الأولى فى الشهر الأول من حركة ٢٣ يوليو دون أن يذكر بها أسبابا
معينة . . . وقدم الاستقالة الثانية أثناء غياب جمال عبد الناصر فى
باندونج احتجاجا على بعض تصرفات جمال سالم .

أدت هذه المواقف والاستقالات المرفوضة الى زيادة اعتماد جمال
عبد الناصر على عناصر جديدة من العسكريين غير الذين أدوا أدوارهم فى
بداية الحركة . . . ولمعت أسماء لم تكن فى تنظيم الضباط الأحرار .
زحف العسكريين نحو السلطة ، يأخذ طابعا جديدا .

وفى الوزارة التى شكلت يوم ٦ مارس ١٩٥٨ عين على صبرى وزيراً
لشئون رئاسة الجمهورية . واللواء فتحى رزق نائباً لوزير الحربية وكمال
الدين رفعت نائباً لوزير شؤون رئاسة الجمهورية .

وكان هذا بداية تسرب العسكريين من خارج مجلس قيادة الثورة
الى مراكز السلطة الرئيسية فتح الباب بعده لمزيد من التعيينات . فضمت
الحكومة المركزية التى شكلت فى ٧ أكتوبر من نفس العام ١٩٥٨ حسنين
ذو الفقار صبرى نائباً لوزير الخارجية ومحمد عبد القادر حاتم نائباً
لوزير شؤون رئاسة الجمهورية بعد تعيين كمال رفعت وزيراً للدولة .

ودخل المجلس التنفيذى للأقليم المصرى فى نفس التاريخ الوزراء
العسكريون ثروت عكاشة للثقافة والارشاد القومى وعباس رضوان
للداخلية والدكتور محمد محمود نصار للصحة ومحمد توفيق عبد الفتاح
للشئون الاجتماعية وأحمد عبد الله طعيمة للأوقاف .

مثل هذه التعيينات الجديدة خلقت فارقا واسعا بين مركز السلطة
المتمثل فى جمال عبد الناصر وبين الذين عينوا وزراء . . . فقد كان بعض
هؤلاء ومن جاء بعدهم أبعد ما يكونون عن السياسة ، ووصلهم الى
المسئولية الوزارية لم يكن عن طريق النضال السياسى وانما عن طريق
الاختيار الشخصى . . . وبذا أصبحت تبعيتهم كاملة لشخصية الزعيم

وخاصة فى غيبة التنظيم السياسى الفعال ، حيث بدت تجربة الاتحاد القومى على انقراض هيئة التحرير هشة وغير جذابة للجماهير .

معظم المراكز القيادية والوزارات أخذت تسقط بالتدريج فى يد العسكريين واصبحوا هم الكادرات التى يعتمد عليها النظام . . .

ويقول ماكسيم رودنسون (احتاج الامر الى وقت أطول ليتبين أن الجيش جماعة أنانية متلهفة الى الاستمرار فى السلطة وإلى زيادة امتيازاتها ، وإنها بعيدة عن الطبقات العاملة لم يكن واردا حتى هذه اللحظة . . . وتعبير العسكريين عن أهدافها كان تصورا بعيدا عن الواقع والحقيقة .

بقى الجيش هو السنه الرئيسى للنظام . . . وفى سبيل ذلك منح ضباطه كثيرا من الامتيازات .

ارتفعت المرتبات بنسبة أسرع كثيرا من ارتفاع مرتبات خريجي الجامعة :

الرتبة	المرتب عام ١٩٥٢	المرتب ١٩٦٢	المرتب عام ١٩٧٢
عسكرى	٦٩ قرشا شهريا	٢٥٠ قرشا	٣٠٠ قرش
ملازم ثان	١٢ جنيها شهريا	٢٠ جنيها	٢٥ جنيها
لواء	٩٠ جنيها شهريا	١١٠ جنيها	١٢٥ جنيها

وتقررت للضباط بدلات جديدة مثل بدل التمثيل الذى كان قد قرر للوزراء ووكلائهم ورؤساء مجالس الادارة فى صورة مرتب الاستقبال (فريق ١٣٥٠ جنيها سنويا ، لواء ٧٥٠ جنيها سنويا ، عميد ٣٧٥ جنيها سنويا) للرتب الكبيرة فقط ، وارتفعت قيمة بدل السكن ، وبدل الاقامة فى محافظات أسوان والبحر الأحمر وقنا وسوهاج ، ومنح مرتب امتياز للخدمة برئاسة الجمهورية (يتراوح بين ١٤ جنيها شهريا لرتبة اللواء ، وعشرة جنيها شهريا للملازم والنفيب) .

كما زادت العلاوات عددا وقيمة . . . أصبح هناك علاوة تدريس وعلاوة تعليم وعلاوة تشكيل وعلاوة مترجم . . الخ .

كانت هذه العلاوات والبدلات والمكافآت مرضية للضباط أصحاب الرتب الكبيرة ، وكانت تخلق فى نفس الوقت فروقا اجتماعية وطبقية حادة بين الضباط والمجندين ، تماما كما كانت الحال فى الجيش قبل الثورة ، ولكن بصورة أخف قليلا . . . مع ضرورة مراعاة ارتفاع مستوى الجنود الاجتماعى بعد قانون تجنيد عام ١٩٥٥ .

وتقرر أيضا رفع سن الاحالة على المعاش (المشير ٦٥ سنة والفريق ٦٣ سنة واللواء ٦٠ سنة) وهكذا تتدرج تنازليا حتى تصل الى سن الخمسين لرتبة الرائد (الصاغ) ، ٤٤ للملازم .

وكانت شخصية عبد الحكيم عامر الذي حصل على رتبة المشير في أول يونيو ١٩٥٨ بعد الوحدة وأصبح نائبا لرئيس الجمهورية مساندة لهذا الاتجاه فهو بحكم تكوينه ودود ، يفتقد على كل من يلجأ اليه من الضباط ، ويهتم بالمسائل الاجتماعية أكثر من اهتمامه بالمسائل العسكرية . والمكتب العسكري الفني للقائد العام الذي ضم عددا من خيرة الضباط مثل حافظ اسماعيل ونور الدين قرة ومحسن ادريس وعبد المحسن مرتجى وغيرهم لم تعد له سلطة أمام مكتب شئون الأفراد الذي يديره شمس بدران . . ونقل معظم الأكفاء من المكتب إلى الوظائف المدنية بعد انفجار التناقضات والخلافات .

وكانت الحاشية التي أحاط المشير نفسه بها قد عرفت فيه هذه الصفحات فتمادت في سلوكها اللاأخلاقي واستغلت أموال الدولة أسوأ استغلال .

كل الذين اقتربوا من رجال مكتبه الذين كان يقودهم الصاغ على شفيق صفوت ، كانت تأخذهم الدهشة من الجموح المكشوف في مجال اللهو والبذخ المبالغ فيه ، الأمر الذي أثر تأثيرا شديدا على قمة القيادة العسكرية وانعكس على بقية مستويات الضباط .

وبقى الجيش هو المصدر الرئيسي لتوريد الوزراء والمحافظين ورؤساء مجالس الإدارة ووكلاء الوزارات والسفراء وغيرهم من أصحاب المناصب الرئيسية . . . يزداد ذلك وضوحا كلما مضت الأيام . . . وخاصة في عهد الوحدة مع سوريا حيث ظهرت مناصب جديدة لنواب رئيس الجمهورية وأعضاء مجلس تنفيذى في مصر وسوريا . . .

وظهرت فئة جديدة من الضباط المؤهلين خريجي الجامعات وخاصة المهندسين الذين تدفقوا على الأعمال المدنية بعد بداية الحركة ثم وصلوا إلى مناصبها الرئيسية مع تعيين القائم مقام محمود يونس نائبا لرئيس هيئة قناة السويس واللواء المهندس عبد الوهاب البشري نائبا لوزير الحربية والصاغ صلاح هدايت خريج كلية العلوم أيضا وزيرا للبحث العلمي . بدأ هؤلاء الضباط التكنوقراط يمثلون فئة جديدة من فئات السيلطة العليا . . .

كما بدأ الضباط يتولون أعمالا بعيدة عن اختصاصاتهم ولا تدخل في مجال العمل السياسي وإنما تحتاج إلى تخصص وتأهيل فتولى في وزارة ١٨ أكتوبر ١٩٦١ بعد الانفصال . . . كمال رفعت وزارة العمل

وعبد المحسن أبو النور وزادة الاصلاح الزراعى واصلاح الاراضى ٠٠٠
وأحمد عبد الله نوابا لرئيس الجمهورية واحتفظوا بأعمال تنفيذية مثل
عبد اللطيف البغدادي وزييرا للخزانة والتخطيط وذكريا محيي الدين
للدخالية وعبد الحكيم عامر للحربية والقيادة العامة وحسين الشافعي
للأوقاف والشئون الاجتماعية وكمال الدين حسين وزييرا للإدارة المحلية
والاسكان والمرافق .

نقطة تحول

كان هذا هو الاتجاه حتى عين على صبرى رئيسا للمجلس التنفيذي.
فى مصر يوم ٢٧ سبتمبر ١٩٦٢ بعد تشكيل مجلس الرئاسة من جمال
عبد الناصر رئيسا وعبد اللطيف البغدادي وعبد الحكيم عامر وذكريا محيي
الدين وحسين الشافعي وكمال الدين حسين نوابا لرئيس الجمهورية
وأنور السادات وحسن ابراهيم وعلى صبرى والدكتور نور الدين طراف
والمهندس الزراعى أحمد عبده الشرباصى وكمال الدين رفعت أعضاء .

كان تعيين على صبرى رئيسا للجهاز التنفيذى بعد تشكيل مجلس
الرئاسة بداية لسحب السلطات التنفيذية والإدارية من بين أعضاء مجلس
قيادة الثورة ، واقتصار عملهم على الشئون السياسية وما يعرض عليهم
من أمور فى محاولة شكلية للقيادة الجماعية ، ومحاولة فعلية للإشراف
المباشر على أعمال مجلس الوزراء عن طريق على صبرى ٠٠٠ واعتبر ذلك
التاريخ نهاية فعلية لسلطات أعضاء المجلس المباشر ولو فى مناصب وزارية
عدا عبد الحكيم عامر الذى ظل فى موقعه وزييرا للحربية حتى النهاية .
علل جمال عبد الناصر ذلك لذكريا محيي الدين بقوله ان وجودهم
فى المناصب التنفيذية يسبب له حساسيات ويضعف من ارادته فى
التغيير .

كما كان تعيين على صبرى رئيسا للمجلس التنفيذى أول تكليف
لعسكرى من خارج مجلس قيادة الثورة بعمل رئيسى وايدانا بالاستعانة
بعدد من العسكريين الجدد فى مناصب وزارية ٠٠٠ لم يخرج أحد من
الوزراء العسكريين القدامى وإنما أضيف اليهم البكباشى طلعت خيرى
وزير دولة للشباب وعين عبد العظيم فهمى أول ضابط شرطة وزييرا
للدخالية كما تم تعيين صدقى سليمان وزييرا للسد العالى فى وزارة ٢٥
مارس ١٩٦٤ ، ومحمود رياض وزييرا للخارجية ثم دخول شعراوى جمعه
وزيرا للدولة فى وزارة ذكريا محيي الدين أول أكتوبر ١٩٦٥ ومعه
عبد الفتاح حسن وزير دولة ٠٠٠ وأحمد حمدي عبيد وزييرا للإدارة
المحلية ، ونور الدين قره وزييرا للتموين والتجارة الداخلية ، وأمين هويدى
وزيرا للإرشاد .

بلغت نسبة الضباط خلال الفترة التي أعقبت الانفصال أعلى نسبة في تاريخ الحركة .

مجلس الرئاسة ١٠ عسكريين من ١٢ عضوا بنسبة ٨٣٪ / ٣
مجلس الوزراء أثناء رئاسة على صبرى ١٠ وزراء ونواب وزراء من ٢٩ عضوا بنسبة ٣٤٪ / ٢ .

ثم ارتفعت النسبة في وزارة ٢٥ مارس ١٩٦٤ لتكون ٥٠٪ للعسكريين من بين رئيس الوزراء ونواب رئيس الوزراء رئيس الوزراء واحد عشر نائبا ٠٠ ولتصبح ٢٥٪ من الوزراء ٦ عسكريين ، ١٨ مدنيا . ارتفعت هذه النسبة في وزارة زكريا محيى الدين لتصبح ١٠ وزراء عسكريين ، ١٦ مدنيا بنسبة ٣٩٪ تقريبا .

كان عدد الوزراء عموما أكثر مما تحتمله طاقة مصر ٠٠٠ الوزارة البريطانية بعد الحرب كانت تشكل من ١٨ الى ١٦ وزيرا والوزارة الأمريكية تشكل من ١٢ وزيرا .

واضح من هذا الاعتماد المتدرج على العسكريين ان الجيش كان السند الحقيقي للسلطة وانه لم يكن هناك مصدر رئيسى آخر يعتمد عليه ٠٠٠ وان الوزارات التي ابتعد عنها العسكريون وتولاها مدنيون منذ بداية الحركة لم تتجاوز وزارة العدل والأشغال والاقتصاد فقط ٠٠٠ أما بقية الوزارات فقد مر عليها العسكريون في رحنة أو أخرى .

والعسكريون في عملهم لهم طبيعة خاصة ٠٠٠ وكل مهنة لها مواصفات معينة تجمع المنتمين اليها وتصيغهم بصيغتها .

والحياة العسكرية تنمي في الضباط الروح الفردية والطاعة لأن كل فرد في العسكريين له سلطة اصدار الأوامر على من هم أحدث منه ، وعليه واجب تنفيذ أوامر من هم أقدم منه بلا اعتراض أو مناقشة .

ومثل هذه الحياة تخلق في الضباط ما يسمى (عيوب المهنة) ولكل مهنة عيوبها كما لها فضائلها ٠٠٠ وهى عند الضباط تتمثل في هذا الالتزام الغريب بتنفيذ الأوامر ، وتجنب المناقشة أو عدم القدرة عليها ، والأنعزال عن المجتمع لارتباطهم غالبا بحياة المعسكرات ، ووجود صلات شخصية وثيقة بينهم لتواجدهم الدائم مع بعضهم وخاصة في المناطق الخارجية والنائية ، وعزوفهم عن الثقافة والقراءة الجادة حيث لا تلتزم حياتهم بذلك الا في حدود الشئون العسكرية .

الوجه الآخر للتشكيل المهني للضباط هو اجادتهم وتفوقهم في الأعمال الادارية ، وانضباطهم في تنفيذ التعليمات ٠٠٠ الأمر الذى يجعل

الشركات الصناعية في الخارج تستعين بكفاءة الضباط المتقاعدين في الأعمال الإدارية .

ولذا فإن استعانة مركز السلطة بالعسكريين كان اختيارا للطريق السهل بدلا من اختيار الطريق الصعب في تكوين كادرات من خارج الجيش عن طريق الانفتاح على الجماهير واثاحة الفرصة لظهور العناصر ذات الطاقات والمواهب .

وظاهرة أخرى هامة تشير إلى نوعية الضباط المختارين لمنصب السلطة العليا معظمهم كانوا ضباطا في المخابرات العامة أو الحربية (على صبري وكمال رفعت وطلعت خيري وثروت عكاشة وعبد القادر حاتم وشعراوي جمعه وأمين هويدى وتوفيق عبد الفتاح وعبد المحسن أبو النور) وبذا يمكن القول انه اذا استثنينا التكنوقراطيين مثل صدقي سليمان ومحمود يونس وعبد الوهاب البشري فإن بقية العسكريين كانوا من المدربين في أجهزة المخابرات المتخرجين فيها الأمر الذي انعكس على أسلوبهم في الحكم ، حيث اعتمدوا على السرية والانغلاق والتقارير ولم يفتحوا انفتاحا حقيقيا على الجماهير .

كان مركز السلطة يحتم اهتماما مركزا برؤية ما يدور في المجتمع ليس عن طريق التفاعل الحيوى الطبيعى ، وانما عن طريق الرؤية المحدودة لأجهزة الأمن .

وكانت أجهزة الأمن والمخابرات تزداد في العدد والامكانيات المادية بصفة مستمرة

وكان طريق الوصول للسلطة هو كتابة التقارير فهي معيار الاخلاص وميزان الولاء وكان مطلوبا من الجميع في مراكز السلطة ان يسهموا في ذلك كل على قدر طاقته .

وكان هذا دافعا أيضا إلى اهتمام أجهزة العمل السياسى على مختلف تشكيلاتها (هيئة التحرير - الاتحاد القومى - الاتحاد الاشتراكي) بكتابة تقارير تسالط أجهزة الأمن في عملها .

ولم يقتصر هذا الأسلوب على العسكريين وحدهم وانما امتد إلى المدنيين أيضا عدد من الوزراء المدنيين كانوا يعملون ويتعاونون أصلا في المخابرات .

وكان هذا دافعا أيضا إلى اهتمام أجهزة العمل السياسى على مختلف تشكيلاتها (هيئة التحرير - الاتحاد القومى - الاتحاد الاشتراكي) بكتابة تقارير وتعطى لمركز السلطة معلومات قد لا تصل إليها أجهزة الأمن ، أو تبرز لها صورة خافية أو مختلفة .

ويبدو أن ذلك كان قد أصبح قاعدة طبيعية ، وعملا مطلوباً من الذين يعهد اليهم بأعمال مستولة .

قال جمال عبد الناصر للصاغ لطفى واكد عندما عهد اليه برئاسة تحرير جريدة الشعب ، انه عندما طلب بعض المعلومات عن عدد من الوزراء أحضرها له مصطفى أمين فى نصف ساعة ، بينما اقتضى ذلك من المخابرات أكثر من اسبوع . . . وقال له ان هذا دليل على أن عنده جهاز معلومات قادرا ونشيطا . . .

بعض المسئولين عن الصحف كانوا يلعبون دور أجهزة الأمن للمعلومات أيضا .

وطلب من لطفى واكد ان يعد جهازا خاصا فى صحيفته للحصول على مثل هذه المعلومات .

كانت بعض المؤسسات الصحفية تؤدى هذا الدور أيضا . . . وكانت هذه التقارير هى سلم الترقى .

وهكذا نمت أجهزة الأمن والمعلومات واتسعت شبكاتها حتى كادت تستوعب المجتمع كله . . . وفقد الناس الثقة فى بعضهم ، وبذر الخوف فى قلوبهم ، فانعقدت ألسنتهم وآثروا الصمت والسلبية والبعد عن المخاطر .

وفى هذا الجو تغلبت نظرية تغليب الاخلاص على الخبرة . . . ولم يعد غريبا ظهور عنصر العسكريين وخاصة المرتبطين بأجهزة الأمن فى مراكز تبعد تماما عن طبيعتهم ومعرفتهم . وكما حدث فى مناصب الوزراء حدث فى كثير من المناصب الأخرى الحساسة .

أول تطبيق لنظام الإدارة المحلية وتعيين المحافظين صدر فى ١٠ سبتمبر ١٩٦٠ وشمل تعيين ٢١ محافظا منهم ١١ ضابط جيش ، ٥ ضباط شرطة فى مناصب المحافظين . . . وهى مناصب سياسية من درجة نائب وزير يسقط شاغلوها مع انتهاء مدة رئيس الجمهورية ، والذى يخرج منها يحال للمعاش دون تولي منصب آخر .

كان من بين المحافظين سبعة فقط من الضباط الأحرار (وجهه أباطة ، حمدى عبيد ، اسماعيل فريد ، محمد البلتاجى ، محيى الدين أبو العز ، حمدى عاشور ثم صلاح الدين دسوقي ضابط الشرطة الذى عين محافظا للقاهرة) ، وكان هناك أيضا بعض الضباط الذين وقفوا الى جانب مجلس الثورة فى أزمة مارس ١٩٥٤ مثل سعد الدين زايد . . .

بورة يوليو ج ١ - ١٦٣

ومنذ القرار الأول لتعيين المحافظين ، أصبح الجيش مصدرا رئيسيا من مصادر توريدهم ، واحتفظ الضباط دائما بالأغلبية العددية بين المحافظين .

وكان عدد السفراء العسكريين في وزارة الخارجية يزيد ويتضاعف . في عام ١٩٥٢ لم يكن هناك سفراء عسكريون سوى اللواء علي نجيب في بيروت واللواء محمد سيف الدين في عمان . . .

تزايد تدفق الجيش الى الخارجية حتى بلغ عدد الضباط في مناصب وزارة الخارجية الكبرى ٧٢ ضابطا من ١٠٠ عام ١٩٦٢ . . . وكان جميع سفراء أوروبا خلال ذلك العام من الضباط عدا ٣ من المدنيين .

ولم يقتصر الأمر على المناصب الكبيرة فقط . . . ولكن طعنت الوزارة أيضا بعدد من الضباط أصحاب الرتب الصغيرة نسبيا في مناصب المستشارين والعسكريين ولكن نسبتهم لم تتجاوز ٢٩ ضابطا في المائة منصب الثانية وذلك تبعا لما ورد في كشف أقدمية أعضاء السلكين الديبلوماسية والقنصل الصادر من وزارة الخارجية في أول يناير ١٩٦٤ .

واستولى العسكريون على المناصب القيادية في نطاق الشباب أيضا ، واشترك أعضاء مجلس قيادة الثورة السابقون في ذلك .

ولم يكتف عبد الحكيم عامر بمنصب القائد العام للقوات المسلحة والمشراف على الطرق الصوفية ، بل أصبح رئيسا لاتحاد كرة القدم اللعبة الشعبية الكبرى في مصر ، وعين حسين الشافعي رئيسا لاتحاد الفروسية ، وعلى صبرى رئيسا لاتحاد السباحة ، ومجدي حسنين رئيسا لاتحاد التنس ، وعلى شفيق مدير مكتب المشير رئيسا لاتحاد الملاكمة . . . الخ .

لم يكن تدفق الضباط الى هذه المناصب المتعددة شرا كله . . . وان كان المبدأ في ذاته خاطئا ومدمرا لأنه حطم تقاليد الجيش ، وخلق بين الضباط تطلعات ذاتية وطبقية ، وأغرق بعض الجهات بأفراد أبعد ما يكونون عن الخبرة ، لا يعتمدون الا على صلاتهم الشخصية وملابسهم العسكرية السابقة .

ولا شك انه كانت هناك سلبيات وإيجابيات في أهل الثقة ، كما كانت موجودة أيضا في أهل الخبرة .

لم يبذل مركز السلطة جهدا إيجابيا في كسب ثقة أهل الخبرة بعد ضربات العنف التي وجهها لاعداء الثورة ، وبعد اعتماده الواضح على الجيش كمؤسسة وعلى أجهزة الأمن كمصدر تفريغ للمسئولين على كافة المستويات .

ولذا فان أهل الخبرة لم يكن عندهم اقتناع واضح بخطوات الثورة ، ولم يقدروا رغبة قيادتها الصادقة في تطوير المجتمع بعد تأكيد استقلاله الوطني ... فظلوا في عزلتهم يفرزون آراءهم المضادة دون محاولة جادة للتعرف على ما يدور في المجتمع من تغيرات اجتماعية .

لم يكن تحقيق التناسق بين أهل الثقة وأهل الخبرة عملية عسيرة معقدة ، ولكن مركز السلطة لم يفتن الى أنها ضرورة لبناء المجتمع على أسس علمية سليمة ، وآثر الراحة والاعتماد على خالصاته الأوفياء من العسكريين الذين جعلوا من أنفسهم حاجزا يعزل أهل الخبرة عن الوصول الى أماكنهم الطبيعية .

كتب محمد حسنين هيكل ينقد المثقفين في سلسلة مقالات تحت عنوان أزمة المثقفين في صحيفة الأهرام خلال شهر يونيو ١٩٦١ .

أين كان المثقفون ؟

وأين كان دورهم الطبيعي ؟

كان بروز القيادة الثورية من الطلائع العتيقة التي تحركت من صفوف الجيش ونجاحها في التعبير عن مطالبها تذكيرا دائما لهذه الفئات المثقفة بعجزها عن أداء دورها الطبيعي .

ويلخص هيكل أزمة المثقفين في ثلاث نقاط .

١ - المطالبة بعودة الجيش الى الثكنات .

٢ - المطالبة بعودة الحياة النيابية والأحزاب السياسية .

٣ - أهل الثقة وأهل الخبرة .

ويخلص هيكل الى القول (أزمة المثقفين هي تعبير عن فشلهم في الحياة) .

ودخل صلاح دسوقي في حملة الحديث عن أزمة المثقفين في مجلة البوليس بقوله (ليست هناك أزمة) وهاجم مثقفي الاقطاع والرجعية والأحزاب السياسية ... واعتبر المثقفين أشد المعارضين للنظام وأقصى الرافضين لراى الغير .

كان هذا الموقف دليلا على محاولة العسكريين ادانة المثقفين واتهامهم بالانطوائية دون محاولة جادة لاجتذابهم الى المشاركة الفعالة في مجالات الحركة السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

وغريب ان تظهر هذه المقالات في وقت كان فيه خيرة مثقفي مصر وأكثرهم اخلاصا لها داخل المعتقلات والسجون بتهمة الشيوعية .

ولكنها فيما يبدو كانت تعبيرا عن احساس مركز السلطة بوجود فراغ فكرى لدى المجتمع يعجز العسكريون عن ملئه .

ومع ذلك فان السلطة استمرت للجيش وحده لا تشاركه فيها أية قوة سياسية أو اجتماعية ولم تكن حركته - حتى هذه الفترة - تعبيرا عن طبقة معينة ، وانما كانت منفردة فى ذاتها .

لم يكن قد ظهر تحديد قطعى واضح بعد بوجود الجيش فى خدمة البرجوازية الكبيرة أو الصغيرة أو الطبقة العاملة .

ويقول لينين (لا يمكن للقوات المسلحة أن تكون ، ولم تكن يوما ، ولن تكون أبدا محايدة) .

ولكنها خلال هذه الفترة كانت فى مرحلة تثبيت أقدامها ، واستكمال قدراتها ، وتأكيد نفوذها لتؤدى دورها الطبيعى بعد ذلك فى خدمة طبقتها كما سيأتى توضيحه فى الفصول القادمة .

ولا يمكن النظر الى العسكريين ككتلة واحدة ... فانه فيما بين الضباط توجد تناقضات ... وفيما بين الضباط والجنود توجد ثغرة واسعة .

وقد ظلت العزلة الاجتماعية والفكرية بين الجنود والضباط هى المظهر المستمر .

الأغلبية الساحقة من الجنود كانوا من القرية أبناء الفلاحين البسطاء ... والضباط من المدينة أبناء البرجوازية الكبيرة والصغيرة .

والقاعدة التى وضعها الاحتلال البريطانى يمنع ترقية الجنود وصف الضباط الى رتب الضباط كما كان قائما فى القرن التاسع عشر ... الأمر الذى أدى الى ترقية أحمد عرابى وزملائه وثورتهم بعد ذلك ضد الخديوى والضباط الشراكسة والتدخل الأجنبى .

هذه القاعدة استمرت قائمة ولم تنفذ الا بطريقة شكلية عندما فتحت أبواب الترقى أمام الميكانيكية والفنيين وخريجى مدارس ضباط الصف عام ١٩٥٣ حيث أصبح مسموحا بترقيتهم الى رتب الضباط حتى رتبة رائد شرف .

ولكن تجدد سن حالتهم الى المعاش بالوصول الى سن الخمسين من العمر .

لم يكن هذا القانون الجديد تحطيا للفروق القائمة بين الضباط وصف الضباط بطريقة تجعل من أبناء الجيش وحدة واحدة ... التفوق فيها للأفضل ...

أعطى بعض الحقوق للجنود ... ولكنه وقف حائلا دون وصولهم الى راتب القيادة العليا مهما بلغت كفاءتهم .

وهكذا استمرت الثغرة بين الجنود والضباط قائمة ... وفي حرب عام ١٩٥٦ عندما أسر الاسرائيليون عشرات الضباط وتم استجوابهم ، صرح لهم بعد ذلك بتقديم أسئلة أو التقدم بطلبات خاصة .

ويقول الوزير بيبرى فى كتابه (ضباط الجيش فى السياسة والمجتمع العربى) ان أغلبية الضباط طالبت بتحسين ظروفهم المعيشية ، وتساهلته عن خط سير المعركة ، وسأل البعض عن عدد من زملائهم الضباط . ولكن أحدا من الضباط لم يسأل عن جنوده .

سواء صح ذلك أم لم يصح فإن حرب ١٩٥٦ لم تغير الواقع العسكرى إلا فى أضيق الحدود ... وغطى النصر السياسى على العيوب التى تكشفته ... وبدلا من علاجها آثرت القيادة السياسية تغطيتها حتى لا تشوه صورة النصر .

ثم حدثت بعد ذلك تحولات واضحة فى حياة الضباط أدت الى ارتفاع مركزهم الاجتماعى ، وزيادة ثقتهم الشخصية بأنفسهم ، وظهورهم كقوة سياسية .

وكان ذلك نتيجة للمخلفات التى قدمت لهم فى صورة جمعيات تعاونية لبناء المساكن بالتقسيط فى أفخر أحياء العاصمة ، وفى تقسيط أثمان العربات الخاصة لهم واعطائهم أسبقية خاصة فى الحصول عليها ، وفي رفع البدلات الممنوحة لهم واقرار بدلات جديدة ، وفي تسهيل سفرهم وسفر أسرهم للعلاج فى الخارج ، واعطائهم حق المضوية فى مختلف الأندية طالما هم أعضاء فى نوادى ضباط القوات المسلحة .

وساعدت زيادة الجيش على سرعة الترقيات ووصل الضباط الى الرتبة العالية (لواء وعميد) وهم فى بداية الأربعينيات من العمر ، على غير ما كان موجودا قبل الثورة .

محمد نجيب حصل على رتبة عقيد (قائمقام) وهو فى السابعة والأربعين من عمره .

ورغم ان قيادات الملك فاروق قد عزلت وصفيت من الجيش ، إلا ان القيادات الجديدة كانت تنتمى الى نفس المدرسة ، وينهج أغلب أفرادها عدل الثوريين منهم نفس الأسلوب القديم ، فى إحاطة الرتب الكبيرة بمظاهر اجتماعية مشابهة لما قبل الثورة ...

١٠٠٠ يصعب القول بأن تغيراً جذرياً قد حدث في الواقع الفكرى والاجتماعى
الضباط الرتب الكبيرة خصوصاً ١٠٠٠

١٠٠٠ ولذا فإنهم بقوا حيث هم بالنسبة الى المجتمع ٠٠٠ أكثر تخلفاً من
النخبة الثقافية وأشدّ البطء من الناحية السياسية ٠

كانت طبيعة وجود فئة من العسكريين فى قمة السلطة تفرض ذلك
وتشجعه حتى لا تختبر الانقلابات العسكرية العلوية ٠٠ أى انقلابات
الجنرالات ٠

الثقافة لم تكن موضع اهتمام للعسكريين ، بل الهسا كانت تمثل
عندهم معاناة وشيئاً ثقيلاً ٠٠٠

١٠٠٠ أثناء احتفالات الجيش بعيد الثورة فى بداية الستينيات اقترحت
يصفى مديراً المؤسسة المسرح تقديم رقصة بورسعيد للفرقة القومية
للفنون الشعبية ، وهى عمل فنى راق ومتكامل ومعبر عن المقاومة الشعبية
عام ١٩٥٦ ، ولكن المشير عبد الحكيم عامر طلب بدلاً من ذلك تقديم عمل
جزلى رخيص كان اسمه (دكتور ٠٠٠ الحقنى) لثلاثى أضواء المسرح ٠

١٠٠٠ وكان إبعاد الجيش عن السياسة هدفاً من أهداف العسكرية
الحاكمة ، وخاصة بعد تصفية محاولات الانقلاب ، وإخراج العناصر المضادة
لذات الشخصية من الجيش وزيادة نفوذ أجهزة الأمن ٠

١٠٠٠ والعسكريون فى مصر لم يرغبوا دور العسكريين فى بعض البلاد
الافريقية ، التى كان العسكريون فيها منضمين الى جيوش الدول المستعمرة
وبذا كانوا أكثر ثقافة وتقدماً وانفتاحاً على العالم من جماهير شعوبهم التى
فرض عليها الاستعمار الفقر والتخلف ٠

الموقف فى مصر كان يختلف عن ذلك تماماً ٠٠٠ فالاستعمار كان
يفرض على الجيش المصرى كما سبق ان أوضحنا العجز والجمود
والتخلف ٠٠٠ بينما تقدمت الحياة فى المجالات الأخرى ، ووصل بعض
المثقفين الى مستوى العصر ٠

١٠٠٠ وهكذا ظل الجيش المصرى متخلفاً فى واقعه عن بعض الجيوش
الافريقية ٠٠٠ لأن المجتمع المصرى كان أكثر تقدماً فى العلم والثقافة
والحضارة ٠

وظلت هذه الطبيعة تلازمه بدرجة أقل بعد الثورة ٠٠٠ فمما لا شك
فيه ان الانفتاح الكبير الذى حدث فى سنوات الثورة الأولى على المجتمع
والسياسة ، قد بعث فى صفوف الجيش حيوية جديدة ٠

ولكن تثبت نفوذ ثورة ٢٣ يوليو وخزنها على إبقاء الجيش عن السياسة ، وعدم تسييس الضباط قد عاد وفرض نوعاً من الانطوائية الإجبارية على الجيش . . . واقتصرت حياة الضباط على العسكرية دون الالتفات الضروري على حياة المجتمع الفكرية والثقافية والسياسية .

وبذا عاد الجيش تدريجياً إلى طبيعته السابقة على الثورة ، ولكن بشكل آخر . . . ارتبط كبار قادته بمركز السلطة ، وذبلت الحركات المضادة بين صفوفه/أما اقتناعاً بما يحدث في المجتمع من تطور وفي الجيش من تقوية ، وأما خوفاً من سلطة أجهزة الأمن . . .

والاستقرار الذي حدث للنظام العسكري في مصر ليس له نظير في الدول العربية أو البلاد النامية وقد أرجع دمكيجان ذلك في كتابه (مصر في عهد ناصر) إلى عدة عوامل يمكن تلخيصها فيما يلي :

- ١ - الترابط بين مجموعة الضباط الأحرار وزملائهم العسكريين .
- ٢ - التجييد والإبعاد المستمر للطبقات والفئات التي كانت مسيطرة في المجتمع .
- ٣ - الجاذبية والدور البارز الخاص للسلطة الشرعية .
- ٤ - التأثير التضامني الناتج من الوحدة ضد العدوان الخارجي .
- ٥ - اختيار وتطبيق إيديولوجية خاصة .

ولكن لا شك أن تصفية الثورة لأعدائها بطريقة غير دموية جعلتها ثورة بيضاء تتناسب في حركتها مع طبيعة الشعب المصري المسالم . . .

كما أن انتصارات جمال عبد الناصر الوطنية قد خلقت منه ليس زعيماً مصرياً فقط بل زعيماً عربياً أيضاً له ثقل ووزن في استقرار وثبات دعائم النظام .

لم تعد تقاس قوة السلطة بعد العدوان بقوة الجيش وحده وإنما بشخصية الزعيم .

وهنا كانت الفرصة متاحة وكاملة أمام جمال عبد الناصر لاختيار الطريق الذي يمضي فيه المجتمع ، وسلوك الأسلوب الذي تستقر عليه القيم الجديدة ، وتنمية الأفكار والأيديولوجية التي يقتنع بها .

كان ممكناً لزعامه جمال عبد الناصر في مصر أن تحقق كل ذلك . لو كانت هناك إيديولوجية واعية مدركة لحركة التاريخ ، مؤمنة بالتفاعل العلمي للعوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وتنظيماً سياسياً .

كانت هذه هي صورة المجتمع . . . طيبة في يد الزعامة التي أحاطتها بها المحبة الشعبية رغم أنها كانت عسكرية وفردية .

يختار الطريق الأصوب ...
مر وتثمر تنظيمات شعبية
وجهد لبعث الحيوية والوعي
اعتمد منذ البداية على العناصر
الفرص والامكانيات للسيطرة

مستمر بطريقة متزايدة ...
مهنية أو سياسية ظل طابع
: الا من رضى عنه العسكرية

مع الوقت يأخذ طبيعة خاصة
: والضباط الأحرار الذين مهما
: الوطنية والاقبال على التضحية
: أخرى من الضباط لا تتجاوز
في المحدود .

ن ابراهيم مراقبا عاما لها ...
نا لا يتصلان به في جركتهما
اليومية ولا يرجعان اليه في معظم الأمور ...
عبد الناصر قال له في بساطة صريحة (انهما يقومان بأعمال غير نظيفة
لا تستطيع انت القيام بها) ... وغادر حسن ابراهيم موقعه .

كان الاتجاه تنازليا من مجلس قيادة الثورة الى الضباط الأحرار
والى غيرهم .

ورغم ان جمال عبد الناصر كان حريصا على ان يبعد ثورة يوليو عن
مظهرها العسكري - كمال يقول زكريا محيي الدين - ... ورغم ان
الشعب قد تجاوب معه خلال مواقفه الوطنية تجاوبا لم يحصل عليه زعيم
مصرى من قبل ... الا ان تواجد العسكريين ونموهم أصبح طابع الثورة ،
وكان الانتماء للجيش هو جواز التغلب على المصاعب وتسهيل الأمور
والحصول على المناصب .

وخلال هذه الفترة التي تدعم فيها نفوذ العسكريين في المجتمع
وشكلوا همما وظيفيا متماسكا ، يمكن القول بأن الجيش كان يعمل
لحساب نفسه كقوة سياسية غير مرتبط بالتعبير الواضح الصريح عن
طبقة معينة ... ولو ان اتجاهها واضحا للعدالة الاجتماعية كان يظهر في
قرارات وقوانين الإصلاح الزراعى وخفض اجارات المساكن ، واخضاع

المساكن الجديدة لشروط معينة ، ورفع الحد الأدنى لمرتبات العمال ،
والسماح بالترقية من رتب الصف ضابط الى الضابط ، ومجانية التعليم
في كافة المراحل وانشاء الوحدات الصحية .

هذه القرارات كانت تعبر عن اتجاه شعبي عند قمة القيادة
العسكرية ، ... ولكن الجيش لم يكن بعد قد أصبح في خدمة طبقة
محددة ... كان في خدمة نفسه لتثبيت سلطته وتأكيد دوره ...

لم تكن قد وضحت خلال هذه المرحلة طبيعة الطبقة التي توجه
السلطة ... لينين يقول في المجلد ٢٩ (ان القضية الجوهرية لكل ثورة
هي دون شك قضية السلطة ، فالطبقة التي تقبض على السلطة تقرر
كل شيء) .

ولم تكن في مصر طبقة واحدة قد استطاعت ان تقبض على
الجيش ... وتشكل له ايدولوجيته وتثبت افكاره واهدافه .

كان الجيش خلال مسيرته يقوى من سلطته ، ويضرب في كل اتجاه
تبعا للظروف ... يضرب البرجوازية الكبيرة وفي نفس الوقت يحاول
دعمها ... يضرب الشيوعيين ويقدم خدمات للطبقة العاملة ... يحاكم
الاخوان المسلمين وينمى في نفس الوقت الاتجاهات المحافظة .

كانت حركة الجيش في مسيرته تمثل تقدما الى الامام ، ولكن في
خط متعرج غير مستقيم ، يميل أحيانا الى اليمين وأحيانا الى اليسار .

غياب الايدولوجية كان يخفي الطريق ... ويجعل من التجريبية
السبيل الوحيد لمجابهة الأمور .

الحيرة كانت تتجسد كثيرا أمام المشاكل ... والاختيار كان يبدو
صعبا .

والقوة السياسية الوحيدة المتوقعة ... كانت قوة العسكريين .

والمجتمع الطيع في يد القائد والزعيم لم يتشكل سياسيا أو اقتصاديا
بطريقة مستقرة ثابتة .

ويصدق خلال هذه المرحلة قول ابن خلدون (ثمة بلدان لا يعرف
القلق منها سبيلا الى قلب السلطان لندرة الثورات فيها ففي مصر مثلا
لا تجد غير السيد المطاع والرعية المطيعة) .

والسيد المطاع سمح بزحف العسكريين الى مراكز السلطة .. وترك
الرعية المطيعة بلا تنظيمات حية تطلق طاقاتها وتعبر عن ارادتها .

السيد المطاع محبوب ، ويزداد الناس له حبا . . . ولكن الحيرة التي
تجعل السيادة للتكتيك وليس للاستراتيجية ، تفقد الناس الوضوح ،
وتبدر في النفوس التساؤلات .
وبين الحيرة . . . والاختيار . . . حديث يطول .

الفصل السادس

الحيرة والاختيار

(لا تبصق في بئر قد تحتاج الى مياهه)

مثل روسي

خروشيوف

في خطاب الى جمال عبد الناصر

كان العسكريون قد وثبوا الى معظم المراكز الرئيسية في المجالات المختلفة ٠٠٠ الوزارة والتنظيم السياسي والمؤسسات والشركات الاقتصادية والصناعية ووزارة الخارجية .

وكان جمال عبد الناصر قد استكان اليهم بحكم طبيعتهم الخاصة ، ومصالحهم المشتركة ، ومعرفته لهم من علاقات العمل السابقة ٠٠٠ في وقت حوصر فيه كل الذين عملوا في ميدان السياسة قبل الثورة غدا افراد معدودين .

وبذا كون الضباط حلقة تحيط بالزعيم ٠٠٠ وكونوا مع الوقت حاجزا بينه وبين الجماهير .

كانت الفرصة متاحة امام جمال عبد الناصر لتشكيل المجتمع بالصورة التي يراها ، فكل شيء طيع بين يديه ، والشعب متعلق به ، بعد انتصاره في المعارك الوطنية .

ولكن لم تكن هناك ايدولوجية معينة تضيء الطريق . . .

كل ما كانت تملكه حركة ٢٣ يوليو . . . الأهداف الستة التي تعتبر
شعارات مجردة تحتاج الى تفسير وبرنامج . . . وخبرتها في مجال الصراع
الوطني مع الاستعمار البريطاني . . . ثم دخولها مع باندونج في نادي
السياسة الدولية الذي أصبح جمال عبد الناصر عضوا بارزا بين أعضائه .

كتاب (فلسفة الثورة) اذا جاز لنا ان نعتبره فلسفة ، يشخص حالة
المجتمع بكلمات عبد الناصر (اننا نعيش في مجتمع لم يتبلور بعد ،
وما زال يفور ويتحرك ولم يهدأ حتى الآن أو يتخذ وضعه المستقر ويواصل
تطوره التدريجي بعد مع باقي الشعوب التي سبقتنا على الطريق) .

ثم يتساءل :

واذن ما هو الطريق ؟

وما هو دورنا على هذا الطريق ؟

أما الطريق فهو الحرية السياسية والاقتصادية .

«لأما دورنا فيه فهو الجراس فقط ، لا يزيد ولا ينقص . . . الحراس
لمدة معينة بالوقت موقوتة بأجل .

ولكن

الحراس أصبحوا حكاما .

والايدولوجية غائبة .

(فلسفة الثورة) ليس أكثر من خواطر شباب وطني ، يحمله الأمل
الى آفاق مخيلة وعريضة ، ولكنه لا يقدم دليلا للعمل أو نظرية للتجمع .

الكتاب يتحدث عن دوائر عربية وافريقية واسلامية كمجال لاهتمام
مصر . . . ولكن ولا كلمة عن القومية العربية كتأصيل للفكرة . . .
ولا كلمة أيضا عن الاشتراكية .

ومن قبل . . . كان برنامج هيئة التحرير بلا كلمة واحدة عن
(القومية العربية) أو الاشتراكية .

والإتحاد القومي . . . التنظيم الجديد يعلن يوم ٢٨ مايو ١٩٥٧ .
ويتولى منصب السكرتير أنور السادات ثم يصدر جمال عبد الناصر قرارا
بعد عدة شهور بتعيين كمال الدين حسين مشرفا عاما يمارس أعمال
السكرتير العام الذي خرج من دائرة تنظيم وعمل الاتحاد . . . بينما
يتولى هو منصب رئيس الاتحاد .

تحرص قيادة الثورة على إبعاد شبهة أن يكون الاتحاد القومي حزبا
بعد حلها للأحزاب فتعلن أنه ليس حزبا وأنه ضد الأحزاب .

كلمة الاشتراكية التي ظهرت في قاموس الثورة بعد باندونج ،
سجلت في أهداف التنظيم الجديد (الاتحاد القومي ليس حكومة ولكنه
تنظيم يضم الحاكمين والشعب ، ويتيح الفرصة الحقيقية لتعاونهم على
علاج المشاكل المحلية والقضايا العامة في ظل المجتمع الاشتراكي
الديموقراطي التعاوني وهو سبيلنا الى الديموقراطية السليمة التي تشعر
الشعب أنه يحكم نفسه بنفسه) .

وعندما قال كمال الدين حسين في مؤتمر الاتحاد القومي (اشتراكيتنا
هي اشتراكية التمليك وليست اشتراكية المصادرة) وقف عباس محمود
العقاد في وسط القاعة مصفقا بحرارة . وهو الذي لم يكتب كلمة واحدة
في تأييد الثورة وعاتب جمال عبد الناصر بعد ذلك كمال الدين حسين
- حسب قوله - على توصيفه للاشتراكية قائلا له أننا لا نعرف ظروف
المستقبل وما قد تدفعنا اليه لتطبيق قد يقتضي المصادرة .

ويعتبر كمال الدين حسين أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة المتسكنين
بتعاليم الدين الاسلامي المحافظين على ارتباطهم بجماعة الاخوان المسلمين
رغم موقف الثورة العدائي منهم .

أصدر قرارا في فبراير ١٩٥٤ عند توليه وزارة الشؤون الاجتماعية
يقضى بضرورة بدء كل المكاتبات بـ « بسم الله الرحمن الرحيم » وأن تنتهي
بالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كان المشرف على الاتحاد القومي شديد التحفظ فيما يتعلق بأمور
الدين ، يرفض أن يتجاوز التفتح العقلي والاجتماعي عند حدود الشريعة
الاسلامية .

والاسلام عنده وعند كثيرين غيره هو أكثر من دين . أنه عقيدة
وقدوة للسلوك . . . وهذا ما جعله في مصر أكثر تأثيرا في القرن العشرين
عن مناطق تميزت بالاتجاهات الدينية مثل إيطاليا وغرب ألمانيا وجنوب
أمريكا وبورما .

وعلى قدر ما وجد الضباط في الاسلام حافزا على ثورتهم ضد النظام
الملكى لما فيه من تهتك ، على قدر ما وجدوا في بعض رجاله ما يمنهم من
الاندفاع لتغيير المجتمع . . . ولذلك أصدر قرار بتحل جماعة كبار العلماء
بعد صدور قانون الإصلاح الزراعي بأثنى عشر يوما ، ثم صدر قانون جديد
للجماعة حدد سن أعضائها من ٤٥ الى ٦٥ عاما وبذا خرج منها ثلاثة من

شيخ الأزهر السابق عبد المجيد سليم وإبراهيم حمروش ومحمد
الخضر حسيني .

ولم يتخذ الضباط موقفا معاديا من الدين مطلقا . . . ولكنهم كانوا
يريدون تغيير المجتمع ونقله الى حضارة العصر بخطوات سريعة لا تتفق
أحيانا مع آراء رجال الدين .

عندما نبئت فكرة تحديد النسل في مصر صرح الشيخ محمد خضر
حسني شيخ الأزهر للصحافة بقوله (الدعوة لتحديد النسل هدم لكيان
الامة وجريمة في حقها) كما نشرت المصري يوم ٢٩ سبتمبر ١٩٥٣ .
وقال البابا بيوس (تحديد النسل جريمة في حق الطبيعة واعتراض
على مشيئة الخالق) .

ومع ذلك لم يتردد الضباط مع الوقت من القيام بحملة لتحديد
النسل ، ولم يرفع رجال الدين صوتهم احتجاجا عليها أمام موجات الدعاية
الهائلة التي ربطت بين تغلف المجتمع وزيادة السكان .

ووصلت موجة تحطيم السدود التي وقف خلفها بعض رجال الدين
المحافظين الى حد إلغاء المجالس المحلية والجسبية والمحاكم الشرعية . . .
ويعتبر فتحي رضوان أن التخلص من هذا النوع من المحاكم انجاز من
أعظم انجازات الثورة لمصلحة الجماهير .

ولم يكن يعني هذا وفقا لتطبيق الشريعة الاسلامية ، ولكنه كان
تطهيرا لها من جمود أحاط بها ، ذلك لأن المحاكم المدنية ظلت تطبق قواعد
الدين الاسلامي والمسيحي في المنازعات الشخصية .

وامتد الاصلاح الى إلغاء الأوقاف التي حولت الأرض الى قطع
صغيرة تتوارثها الأجيال ويسيطر عليها نظام ينهبون ريعها . . . كما وصل
الى الأزهر نفسه فحولته الى جامعة عصرية في يونيو ١٩٦١ لتضم مختلف
الكليات العملية والعلمية الى جانب كلياته الثلاث القديمة (أصول الدين -
الشريعة - اللغة العربية) .

وكانت الثورة قد أقامت تنظيمات اسلامية جديدة . . . عندما قام
جمال عبد الناصر بالحج والتقى بحاكم باكستان والسعودية في مكة أصدر
بيانا يدعو فيه الى وحدة الاسلام ضد الغرب . . . وتكون المؤتمر الاسلامي
في سبتمبر ١٩٥٤ الذي عين أنور السادات سكرتيرا عاما له .

والتقت ارادة رجال الثورة مع علماء المسلمين عندما أصدرت هيئة
كبار العلماء بيانا في ١٧ نوفمبر ١٩٥٤ تدين فيه ارباب الاخوان
المسلمين .

وتكون أيضا المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وإنشئت مدينة البحوث الإسلامية للطلبة المغتربين .

كان موقف رجال قيادة الثورة حريصا على الجمع بين عقيدة الدين وإرادة التطور في وقت واحد معا ولكنهم لم يكونوا جميعا بنفس درجة الاقتناع .

البعض منهم لم يكن يهتم بإداء الفرائض أو الظهور في الجوامع والبعض منهم لم يكن يتوزع عن سلوك ما يعتبر منافيا لقيم الدين من ناحية الخمر والنساء وغيرها والبعض منهم كان محافظا على عقيدته شكلا وموضوعا .

هذه التيارات لم تحدث بينهم تصادما أو تناقرا لأنهم جميعا كانوا مع الدين حتى الشيوعيين في مجلس القيادة يوسف صديق وجمال محيي الدين حجوا الى بيت الله وسبق القول بأن خالد قد اشترك مع جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وبعض الضباط في جلسات تحضير الأرواح .

لم يسلك أحد من الضباط العسكريين في مصر مسلك اتاتورك الذي أخذ موقفا صريحا معاديا لرجال الدين وتقاليدهم الدين .

ولم يظهر من بينهم من يمتلك الجرأة مثل الحبيب بورقيبة الذي صدرت في عهده (فبراير ١٩٦٠) فقرة تسمح للعمال بالافطار في شهر رمضان ، وكذلك أجاز شرب البيرة وعندما اعترض عليه بعض رجال الدين طالبهم باتباع فتواه تمسكا بالآية التي جاء فيها (أطيعوا الله والرسول وأولى الأمر منكم) وهو ولي الأمر في تونس .

ولكن تشكيل مجلس قيادة الثورة من مسلمين فقط وعدم وجود غير ضابط قبطي واحد بين الضباط الأحرار قد أدى الى تغيير شكل واضح في التعاون مع الأقباط الذين تتراوح نسبتهم الى السكان بين ٧,٦٪ أي يوجد قبطي واحد بين كل ١٤ مسلم تقريبا .

كان تقليدا أن يشترك في الوزارات وزيران قبطيان وأكثر ، ووصل إلى الأقباط الى منصب رئاسة الوزارة (بوعوض نوبار باشا) في عهد الخديوي اسماعيل ثم بطرس غالي باشا وكان مكرم عبيد سنكوتية للوفد أكبر الأحزاب المصرية ثم رئيسا لحزب الكتلة الوفدية وكان أقرب المحيطين بالملك من المسيحيين وخاصة في السنوات الأخيرة . (الياس اندراوس وكريم ثابت وادجار جلاد وانطوان بولي) .

أما بعد الثورة فلم يعد هناك الا وزير قبلي واحد في كل وزارة ، وشخصيته لم تتغير لسنوات طويلة (كمال رمزي سستينو) الذي كان وزيرا للتموين .

وظلت تقاليد ابعاد الأقباط عن الرتب العسكرية الكبيرة سارية ، وامتد ذلك الى تقليص وجودهم في السلك الدبلوماسي بعد زحف العسكريين عليه ، حتى لم يعد هناك سفير قبلي واحد .

وليس هذا دليلا على موقف تعصبي طائفي من العسكريين . . . ولكنه انجراف وراء تيار سياسي نما في غيبة ايدى واجبة تناقش موقف الوحدة الوطنية بطريقة علمية ، وتبادر الى اذابة المناقضات قبل تحولها الى صخور تعوق الطريق .

ولذا فانه عندما اجريت انتخابات مجلس الأمة بعيدا عن الانتماءات الحزبية لم ينجح في مجلس ١٩٥٧ ولا قبلي واحد وصدر قرار جمهوري بتعيين عشرة نواب كان منهم ثمانية من الأقباط ومسلمين فقط هما ثروت عكاشة واحمد فؤاد .

ولم يكن في قيادة الاتحاد القومي أحد من الأقباط أيضا . وكان حرص كمال الدين حسين على صبغ حركة الاتحاد بالصبغة الدينية شديدا . . . ولكن جمال عبد الناصر كان يتطلع الى الدين والديناميا .

القومية العربية ظهرت أيضا في تقديم الاتحاد القومي باعتباره . . . منظمة قومية عربية تعمل على تحقيق وحدتنا ووحدة الشعب العربي الذي جمعته وتجمعه اصول تاريخية وروحية واحدة كما جمعته وتجمعه وحدة اللغة والعقائد والتقاليد والدم والمصالح المشتركة . . . وحدة هذا الشعب العربي في الوطن العربي المتحرر من كل اثر من آثار الاستعمار وأعوان الاستعمار .

دستور ١٩٥٦ ينص في المادة ١٩٢ على ان (يتولى الاتحاد القومي الترشيح لعضوية مجلس الأمة) . . . نصت المادة السابقة على ان (يقوم الاتحاد القومي بفحص طلبات الترشيح خلال ١٥ يوما من تاريخ اقبال باب الترشيح) . . . ونصت المادة الثامنة على ان يعد الاتحاد القومي كشفا بأسماء المرشحين الذين لا اعتراض عليهم في كل دائرة انتخابية ويكون قراره في هذا الشأن نهائيا غير قابل للطعن فيه بأي طريق من الطرق) . . . فكرة الاتحاد القومي استوردت من البرتغال ، حيث كان سالازار الديكتاتور الذي حكم ٣٤ عاما حكما مطلقا معتمدا على تنظيمه (الاتحاد القومي) أيضا .

سافر على صبرى لدراسة التنظيمات هناك ، وتأخر اعلان التشكيلات القيادية عدة شهور بعد صدور الدستور ، لطروق العدوان ، والرغبة فى التعرف على طبيعة التنظيم فى مجال العمل اليومي والسياسي .

يقول ذكرىا محيى الدين ان جمال عبد الناصر كان يريد أن ينزع من الثورة صفتها العسكرية لذا كانت محاولاته لتكوين تنظيم شعبي .

استكمل الاتحاد القومي تكوينه ، وليس تنظيمه ، فهو لم يكن تنظيميا بالمعنى المعروف ولم تكن له ميزانية خاصة ولا قيادات متفرغة كان يصرف له شيك بمبلغ خمسين ألف جنيه بتوقيع جمال عبد الناصر تستعوض بعد نفاذها وأقصى مبلغ صرف له فى عام واحد كان مائة وخمسين ألفا من الجنيهات ، كما يؤكد عبد المجيد شديد مدير مكتب كمال الدين حسين فى ذلك الوقت .

منع الشيوعيون والاخوان المسلمون من دخول الانتخابات ، ومعظم من نشط سياسيا قبل الثورة ، ظل بعيدا عن المشاركة فى الاتحاد القومي .

لم تشكل للاتحاد لجنة تنفيذية عليا شكلت له فقط لجنة عامة (مركزية) ، ولم يشأ جمال عبد الناصر ان يقيم تنظيميا قياديا جديدا يكون بديلا لمجلس قيادة الثورة ، وأثر ان تكون حركة الاتحاد القومي بين يديه وحده ، دون سلطة أخرى .

عين كمال حسين عددا من مدبرى المكاتب للاتحاد من ١٦ ضابطا و ٨ مدنيين (١) كانوا بمثابة قلب التنظيم ، والحق بمكتبه أيضا مندوبا من كل وزارة تسهيلا للاتصال والعمل أى بمثابة مجلس وزراء محدود .

واعتمد كمال الدين حسين فى حركة الاتحاد على المؤتمرات التى كان يحضرها معه عدد من الوزراء فى محاولة لحل المشاكل المحلية على الطبيعة ، والتى وصلت الذروة بمؤتمر فى الاقليم المصرى ومؤتمر شامل فى ج.ع.م . عقد فى يوليو ١٩٦٠ .

(١) عسكريون : عبد المجيد شديد مدير مكتب المشرف العام ، عبد السلام بدوى شئون اقتصادية وحلمى السعيد تخطيط ومحمد البلتاجى مالية وإدارية ويوسف السباعى ثقافة وعبد القادر حاتم مدلى وسعد زايد حكم محلى وخالد فوزى عمال ومختار عمر رقابة ومعلومات وأمين الشريف صناعة وأحمد شبيب تصريحات ، وبيجت رمضان تعاون وضباط اتصال عاطف سعد القاهرة ، وحمدى محمود، ومحمد أبو نار وفوزى شاش بحرى . مدنيون : سيد يوسف تربية وتعليم ، محمد فهمى السيد شئون قانونية ، حسين خلاف نقابات مهنية فؤاد جلال شئون عربية والفريقية ، محمد نجيب حشاد جامعات ، حسن عامر اتصالات قبلى . سعيد العريان علاقات عامة ، عبد الرؤوف جبريل الشكاوى .

ثورة يوليو ج ١ - ٥٢٩١

ومجلس الأمة دخله الأعضاء أيضا من باب الاتحاد القومي ... اللجنة التي نظرت في أسماء المرشحين كانت تحت إشراف زكريا محيي الدين وضمت عسكريين فقط على صبري وإبراهيم الطحاوي وأحمد عبد الله طعيمة وعباس رضوان ومجدي حسنين وكمال الحناوي ومصطفى المستكاوي من ضباط الجيش .

ومع ذلك لم يكن المجلس خاضعا تماما لارادة العسكريين ... صورة المجالس النيابية القديمة وما توفر لها من حرية المعارضة أغرت بعض النواب بتقديم أسئلة تحرج الحكومة ... وإذا تجاوزنا قضية مجدي حسنين واستقالة كمال الدين حسنين وجدنا أن تيار المعارضة قد وصل إلى بعض العسكريين أنفسهم .

الصاغ محمد أبو الفضل الجيزاوي قدم سؤالا إلى زكريا محيي الدين عن عدد المعتقلين الشيوعيين داخل المعتقلات وعن أسباب اعتقالهم ... وكان هذا جديدا في حياة المجلس لم تحتمله أعصاب القيادة العسكرية ، خاصة بعد أن قدم طلب آخر إلى عبد اللطيف البغدادوي رئيس مجلس الأمة يطلب فيه إنشاء معارضة داخل المجلس .

كان رد الفعل هو فصل ستة نواب من عضوية الاتحاد القومي مع استمرار عضويتهم في المجلس فابتعدوا بذلك عن فرصة الاتصال بال جماهير وتحاشاهم النواب هم محمد أبو الفضل الجيزاوي ودكتور محمود القاضي وإسماعيل نجسم وحريم الغمراوي والثلاثة الآخرون كانوا في قضية مجدي حسنين .

وعندما أعلنت الوحدة مع سوريا لم ينتخب مجلس جديد ، وإنما تم تعيين مجلس الوحدة من النواب السابقين ، وسقطت العضوية عن النواب الذين فصلوا من الاتحاد القومي وعن غير المواليين .

المؤسسات الديمقراطية والتنظيمات الجماهيرية اصطدمت في حركتها مع عقلية الميسطرين على النظام من العسكريين .

والتزيد في عمليات الأمن يتناقض تماما مع الاتجاه إلى الشعب الذي يعتمد على وفاق واسترخاء ضروريين .

وحركة التنظيم حائرة ، تدور بكلمات حماسية تشتعل وتخمد حسب الظروف ، وليست هناك عقيدة أو أيديولوجية واضحة ... والمجان الأولى للاتحاد القومي اجتازها أعضاء مجلس الأمة بلا انتخاب فكانت من المؤيدين لأعضاء المجلس فقط وانعزل عنها الآخرون حتى قال جمال عبد الناصر عنهم بعد ذلك في المؤتمر الوطني للقوى الشعبية جلسة ١٤

يوم ٤ يوليو ١٩٦٢ (بعد ما تكونت اللجان كل واحد نام نوما عميقا . . .
خطوا يافطة وناموا) ولما أجريت الانتخابات بعد ذلك بعام لم تفلح في
بعث الحيوية في الجهاز الذي اعتبر الجميع أعضاء فيه بلا كادرات قيادية
أو تنظيمية .

حاول كمال الدين حسين أن يبلور الفكر في الاتحاد القومي فاستعان
ببعض المثقفين فرادى مثل سليمان حزين وليبيب شقير وحسن عباس زكي
وسعيد العريان . . ولكن هذه المحاولات كانت أضعف من أن تشيد أساسا
فكريا وعقائديا لبناء الاتحاد القومي .

تشكل التنظيم . . . وغابت الايديولوجية .

الاشتراكية الديمقراطية التعاونية . . . ليس لها تفسير سوى
مجموعة أفكار مختلطة بعيدة عن البصيرة العلمية . . . تستهدف تطوير
المجتمع بالكلمات الطيبة وأحيانا بالاجراءات الادارية الحازمة التي تعتمد
على جهاز دولة متخلف وبيروقراطي معادى للديموقراطية والجماهير .
وكان تطبيق نظام الادارة المحلية وتعيين المحافظين بسلطات ادارية
واسعة في مناصب سياسية عامل من أهم العوامل التي حملت الى الريف
سلبيات وإيجابيات كثيرة .

كان المحافظ مطلق السراح في تنفيذ ما يريد معتمدا على أفكاره
المحاصة وطبيعة شخصيته مع عدم وجود تنسيق كامل لسياسة موحدة
الأمر الذي جعل المحافظون يتركون وهم فاقدون الاتجاه البعض منهم يهتم
بالنقااة والبعض يهتم بقضايا تافهة . . البعض يهتم بالدعاية لنفسه
والبعض يركز على مشاكل الجماهير .

لا شك ان تجربة الادارة المحلية قد بعثت حيوية في الريف ولكنها
لم تنطلق بالقدر اللازم لرفع مستوى المجتمع .

في مجال الصناعة والاقتصاد

كانت هزيمة العدوان الثلاثي وصدور الأمر العسكري في ٢ نوفمبر
١٩٥٦ بمنع التعاقد مع الرعايا البريطانيين والفرنسيين وفرض الحراسة
على مؤسساتهم وأموالهم في مصر ، فرصة نبهت الأذهان الى ضرورة اتخاذ
اجراءات تهدف الى القضاء على بقايا صور الاستغلال والسيطرة الأجنبية .
وفي يناير ١٩٥٧ صدرت قوانين التخصيص للبنوك وشركات التأمين
والوكالات التجارية . . . ونصت على ان تكون جميع الاسهم اسمية ومملوكة
للمصريين ، وجميع أعضاء مجلس ادارتها والمسؤولين عن الادارة فيها

مصريين ، على أن تكون مزاولة أعمال الوكالات التجارية مقصورة على المصريين أيضا .

الفرصة متاحة تماما لانتعاش البرجوازية المصرية في ظل نظام يحافظ على الأمن ويستهدف التقدم الاقتصادى .

ازدادات الأرباح .

١٤٤ شركة ربحت عام ٥٨/١٩٥٧ مبلغ ٤١٢ مليون جنيه وزاد الربح الى ٤٤٢ فى العام التالى ٠٠ وهو يشكل نسبة ٣٥٪ من رأس المال ، ٢٣٪ من مجموع ما يملكه المساهمون كما ورد فى كتاب الدكتور أنور عبد الملك (مصر ٠٠ نظام جديد بينية العسكريون) .

٢٣ شركة لها مركز احتكارى يسعى للسيطرة على الاقتصاد المصرى .

أحمد عبود له ١٤٪ من أسهم بنك مصر ، ١٠ أشخاص يملكون ٢٠٪ ، ٥٠ شخصا يملكون ٤٢٪ .

ولكن السلطة لم تكن فى يد البرجوازية الكبيرة ٠٠٠ وانما كانت فى يد العسكريين ٠٠ ولم يعد عبود أو غيره قادرا على الضغط لاسقاط الوزارات بل لم يعد قادرا على تعيين وزير واحد ٠٠ ولم تعد الفرصة كاملة أمامه لشراء الصحف وكبار الصحفيين .

يدلل عبد اللطيف بغدادى على ذلك بقوله ان أحمد عبود قد زاره فى مكتبه بعد ان قررت الحكومة خفض طن السماد من ٢٤ جنيها الى ٢١ جنيها بينما كان سعر الطن المستورد لا يتجاوز ١١ جنيها وشكى له أحمد عبود من هذا الاجراء ٠٠ وبعد حديث قصير تبين أن أحمد عبود كان يملك فى الشركة ١٦٨٠٠٠ سهم يكسب فيها كوبونات سنويا قيمتها ١٥٠٠٠٠ جنيه (الكوبون يصرف ٩٠ قرشا) هذا غير زيادة رأس المال بارتفاع قيمة الاسهم من ٤ الى ٩ جنيها .

وعندما طالبه البغدادي بشىء من القناعة بكى أحمد عبود وانهارت الدموع على خديه كما يؤكد البغدادي .

الرأسمالى الكبير كان عبدا لامواله .

ولم تنجح أيضا محاولة البرجوازية المصرية الكبيرة والاستيلاء على الممتلكات والشركات المصرة ٠٠٠ قال جمال عبد الناصر (ان الحكومة اذا باعت ما أصبح تحت اشرافها بعد التمهيز فان النتيجة الحتمية لذلك هى مجرد اتاحة الفرصة للذين يملكون فعلا لكى يملكوا مرة أخرى) .

أثبت العسكريون أنهم ليسوا في خدمة البرجوازية الكبيرة .

والنظام الجديد يستهدف تغيير المجتمع ، ويحتفظ في يد الدولة بما تمت مصادره أو وضع الحراسة عليه .

وتغيرت النظرة الى الشئون الاقتصادية .

كان اتحاد الصناعات قد دعا الى توظيف رؤوس الاموال الوطنية والأجنبية في المشاريع الصناعية معبرا بذلك عن موقف البرجوازية الكبيرة وكانت نسبة المساهمة المصرية الاجبارية التي صدرت في قانون رقم ١٣٨ عام ١٩٤٧ قد عدلت بعد الثورة لتكون ٤٩٪ بدلا من ٥١٪ وكذا استمر التعاون مع النقطة الرابعة وأعلن أيضا دكتور حسن فهمي رئيس مجلس الانتاج بأن كل من يقول بعدم استيراد رأس المال الأجنبي يعتبر خائنا .

والكتاب السنوى لاتحاد الصناعات عام ١٩٥٤ قال صراحة (ان ادخارنا لا يكفي عادة لتلبية احتياجات البلد العادية لذلك طالبنا تشجيع الاستثمارات الخاصة الأجنبية المورد ما أمكن ذلك وقد اعترف المسئولون أخيرا بصحة وجهة نظرنا) .

ولكن رأس المال تردد في المساهمة الصناعية .

الاستثمارات الصناعية كانت ٢٦٢.٨٤٠.٥ ملايين عام ١٩٥٦ هبطت لتصبح ١٢٩.٠٧٤.٣٢ مليون عام ١٩٥٧ . يقول الدكتور أنور عبد الملك في كتاب (مصر . . . نظام جديد بينيه العسكريون)

(ان ما حمل زعماء الجناح الصناعى للبرجوازية المصرية على التردد في توظيف أموالهم رغم كل الدعوات هو ان الجيش مصمم على رسم سياسته بنفسه أى انه مصمم على احتكار السلطة ووضع مصر كلها بما فيها البرجوازية الصناعية تحت وصايته ورهن اشارته) .

العسكريون يحكمون وحدهم والجيش لم يستند بعد الى طبقة معينة والبرجوازية تتردد في التصنيع ٢٨٥ مليون جنيه انفقت على البناء عام ١٩٥٧ بينما استثمر ٧٧ مليون جنيه في الصناعة فقط .

١٨ ابريل ١٩٥٧ حولت المصارف الانجليز والفرنسية والتركية الى مصارف مصرية المؤسسة الاقتصادية التي رأسها حسن ابراهيم ضمت ٥ بنوك ، ٦ شركات تأمين .

الشئون الاقتصادية أصبحت من هموم العسكريين .

وبدأت فكر التخطيط تجذب أفكارهم .

انثى (مجلس التخطيط الأعلى) برئاسة جمال عبد الناصر ويتولى تحديد الأهداف الاقتصادية والاجتماعية للدولة وإقرار خطط التنمية فى مراحلها المختلفة .

(ولجنة التخطيط القومى) ورأسها عبد اللطيف البغدادى وزير الدولة لشئون التخطيط .

وهكذا أصبح التخطيط تحت إشراف أعلى مستوى عسكرى فى الدولة .

وإدمج مجلس الانتاج القومى ومجلس الخدمات العامة فى لجنة التخطيط القومى .

وانشئت المؤسسة الاقتصادية لتدير ما أمم من أموال أجنبية بعد عام ١٩٥٦ . رأسها حسن إبراهيم وأحيلت اليها المشروعات التى كان يشرف عليها مجلس الانتاج .

يقول حسن إبراهيم أنه كون شركتين عام ١٩٥٨ هما شركة النصر لصناعة الأفلام - أول مرة يستخدم اسم النصر - وشركة البويات والصناعات الكيماوية . . . وان جمال عبد الناصر أسهم فيها بمساهمة رمزية دليلا على تأييده لفكرة تشجيع البرجوازية المصرية .

المؤسسة الاقتصادية كانت تحاول ان تقوم بما يعجز عنه القطاع الخاص من ناحية المال والخبرة . . . ولكنها لم تنجح الى فرض سيطرة الدولة .

وانشئت ادارة التعبئة التى كان يتولاها عسكرى - اللواء أمين أنور الشريف - وتطورت حتى أصبحت الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء . . . وكانت لها لجان فى مختلف الوزارات يمثلها عسكريون أيضا ، ويتدخلون فى كافة المشاريع لربطها باتجاهات القوات المسلحة .

وبعد ذلك تشكلت وزارة الصناعة لأول مرة وتولاها الدكتور عزيز صدقى فى أول وزارة يشكلها جمال عبد الناصر بعد انتخابه رئيسا للجمهورية يونيو ١٩٥٦ .

لم تكن هناك وزارة . . . مكاتب معاونين فى المرات . . . هكذا يقول عزيز صدقى ثم يتساءل ويبحث عن دور الدولة فى الصناعة .

عزيز صدقي يعد قانون التنظيم الصناعي بعد ٦ شهور ٠٠٠ واتحاد
الصناعات يعد تقريراً من ٣٠ صفحة يعارض فكرة تدخل الدولة ومراقبتها
للانتاج الصناعي .

أول مبلغ يرصد للصناعة ١٢ مليون جنيه في ميزانية عام ١٩٥٨ .
جمال عبد الناصر طلب من عزيز صدقي زيارة يوغوسلافيا ، ووقع
قانون التنظيم الصناعي ليلة سفره الى يوغوسلافيا في سبتمبر ١٩٥٧ .
المؤتمر الصحفي الذي أعلن فيه برنامج الصناعة كان في العيد
الخمسيني لاتحاد الصناعات الذي أخذ موقف المعارضة .

بعض العسكريين لم تأخذهم الحماسة لبرنامج التصنيع ٠٠٠ عارضه
في مجلس الوزراء عبد اللطيف البغدادي ومعه وزير الاقتصاد دكتور
عبد المنعم الـيسوني ٠٠٠ ونبتت التناقضات بين العسكريين في المؤسسة
الاقتصادية (حسن ابراهيم وصدقي سليمان) وبين وزارة الصناعة التي
سلبت منها سلطة الاشراف على الشركات .

يقول حسن ابراهيم انه لم يكن موافقاً على بعض الاجراءات غير
المدروسة التي تنفذ من باب الدعاية في مجال الصناعة وقد قدم استقالته
الأولى يوم ٢ مايو ١٩٥٩ عندما صدر قرار لم يخطر به لنقل الاشراف
على البنك الصناعي من المؤسسة الاقتصادية الى وزارة الصناعة ، ولكنه
سحبها بعد لقاء له مع جمال عبد الناصر في استراحة القناطر .

ولكن حسن ابراهيم لم يلبث ان استقال مرة أخرى من المؤسسة
الاقتصادية في ١٨ أكتوبر بخطاب طويل من ٢٢ صفحة . ومن هذا الخطاب
يتضح وجود خلافات بين وجهات النظر منها رغبة حسن ابراهيم في بيع
ما تملكه المؤسسة من أسهم الشركات للجمهور على أساس احتفاظها بنسبة
٣٥٪ فقط ورفض جمال عبد الناصر لهذا الاتجاه .

وزادت المعارضة عند عقد أول اتفاقية لتمويل الصناعة المصرية مع
الاتحاد السوفييتي يوم ٢٩ يناير ١٩٥٨ بمبلغ ٧٠٠ مليون روبل تسدد
على ١٢ سنة .

الدكتور عبد الجليل العمري محافظ البنك الأهلي يحذر في ٢٧ مارس
من الاتجاه الى التجارة مع الاتحاد السوفييتي .

ويدخل العسكريون ميدان الصناعة والاقتصاد أيضا .

مؤسسة مصر يرأس مجلس ادارتها الصاغ مهندس حلمي السعيد
مدير مكتب جمال عبد الناصر ويضم الضباط المهندسين سمير حلمي وأحمد
توفيق البكري والسيد عويس ثم حسن مرعي ومحمد علي حسن .

ولكن هذا التنظيم لا يستمر طويلا . . . تصدر وزارة الصناعة تنظيم المؤسسات على أساس نوعي وتلقي مؤسسة مصر ونصر والمؤسسة الاقتصادية وذلك عام ١٩٦٠ بعد الاستقالة الثانية لحسن إبراهيم من المؤسسة الاقتصادية في بداية العام .

وتتركز السيطرة في يد الدكتور عزيز صدقي وزير الصناعة .
وقطاع الصناعة كان أقل القطاعات انفتاحا للعسكريين . . . اتخذ الدكتور عزيز صدقي موقف الاختيار للكفء أولا بصرف النظر عن طبيعته العسكرية أو المدنية .

عندما عمل أول تنظيم للوزارة لم يضح فيها الاميرالاي حسين الحلواني مستشار الصناعة والاميرالاي محمود يونس مستشار البترول . . . وحاول زكريا محيي الدين اقناعه بغير ذلك ولكنه تمسك برأيه .
كما اعتذر عن عدم قبول تعيين الفريق محمد نديم رئيس ادارة الجيش بناء على اقتراح الرئيس عبد الناصر الذي قبل وجهة نظره وحوله الى هيئة النقل البحري .

ولذا كان عدد العسكريين في قطاع الصناعة محدودا . . . ولكنهم في ميدان الاقتصاد كانوا أكثر انتشارا .

قال جمال عبد الناصر في محادثات الوحدة بعد ذلك عام ١٩٦٣ (احنا بدأنا في هذه العمليات من سنة ٥٦ بس لأن طلعتنا في ٥٢ كنا عسكريين لا يعرف الا القطعة ١٨ على حد تعبير الأخ فهد - المقدم السوري فهد الشاعر أحد قادة حزب البعث - وكنا نقعد مع جماعة اقتصادية من الطراز التقليدي يبيعقدوا المشاكل ولا يجدوا لها حل . . . لكن بعد كده مشينا في العملية . . . ودرسنا وحاولنا نتعلم بجد وإخلاص) .

وأرسل يستشير شركة (آرثر ليتل كومباني في بوسطن) عن احتمالات التقدم الصناعي والاقتصادي في مصر وجاء الرد التالي (حتى لو حصلت على مليار من الدولارات التي تحتاج إليها في خطتك الخمسية ، وحتى لو نجحت خطتك الخمسية نجاحا كاملا بدون أي تعثر وتوقف ، وحتى لو بذل كل فرد في المجتمع المصري قصارى جهده وغاية طاقته مستخدما كل الخبرة والمعرفة الأجنبية فان أفضل ما تستطيعه حينئذ هو المحافظة على الوضع الراهن والحيلولة دون تفهقر أكثر الى الوراء) وذلك كما ورد في كتاب مايلز كوبلند (لعبة الأمم) .

صدر قرار جمهوري في ١٠ فبراير ١٩٥٧ باستخدام اللغة العربية في جميع العقود والتسجيلات .

في أغسطس ١٩٥٨ صدر القانون رقم ١١٤ ينص على ان مجالس الإدارة لا تزيد عن سبعة ولا تقل عن ثلاثة. والمضسبون لا يجمع بين مجالس ادارة أكثر من شركتين بعد ان كانت ستة. والعضو المنتدب على شركة واحدة ٠٠٠ وحدد مكافاة ومرتباً وبدل حضور ومزايا العضو بمبلغ ٢٥٠٠ جنيه في السنة فقط .

وكان قد صدر في ١٨ مارس ١٩٥٥ أول قانون للشركات بعد مناقشات طويلة يقول أحمد فؤاد انها كانت تمتد أحيثانا طوال الليل وانتهت باخراج أعضاء مجالس الادارة الذين تجاوزوا الستين مع استثناء الأعضاء المنتدبين وأصحاب ال ١٠٪ من الأسهم. وقصر عضوية مجالس إدارات البنوك على بنك واحد ومنع الجمع بين وظائف الحكومة والشركات .

ولحق ذلك قانون آخر في يناير ١٩٥٩ يلزم الشركات المساهمة بتجنيب ٥٪ من الأرباح الصافية لشراء سندات حكومية ، تحديد الحد الأقصى للأرباح عام ١٩٥٨ مضافا اليه ١٠٪ فقط ثم حلت تراجع عن هذا المبدأ بعد أن تأثرت بورصة الأوراق المالية وكسد النشاط فيها .

وكانت بعض الشركات الأمريكية ما زالت تربطها بصنعي صلاحيات تعاون ٠٠٠ مثل شركة بوز آلن آلد هاميلتون التي تفاقد معها زكريا محيي الدين لتقديم خدمات لأجهزة المخابرات العامة واعداد دراسات مطلوبة حسب رواية فريد طولان مدير المعهد الاستراتيجي بالمخابرات العامة سابقا .

أحدى هذه الدراسات أشارت بأن الحكومة المصرية لا يجوز ان تستخدم أكثر من ٢٠٠ ألف موظف .

الشركات الأمريكية تعرض صورة قائمة لاحتمالات تقديم المنتج صناعيا واقتصاديا ٠٠٠ وتقيم سدا في وجه خريجي المعاهد والجامعات لزيادة العمالة عن حدودها .

رفض جمال عبد الناصر هذه النظرة المتشائمة التي قدمت الشركات الأمريكية ، وأصر على تغيير المجتمع .

في وقت واحد ٠٠٠ البرجوازية الكبيرة تنتعش ٠٠٠ والدولة تزيد قبضتها في مجالات الصناعة والاقتصاد .

وفي وقت واحد أيضا ٠٠٠ تطور العلاقة مع الاتحاد السوفيتي ٠٠٠ ويستجلب تنظيم الاتحاد القومي من البرتغال الدولة الفاشية .

تعايش التناقضات في هذه المرحلة .

والاشتراكية الديمقراطية التعاونية ، مثل الفيل يراه الاعى من
المنطقة التي يلمسه منها .

فى مجال الثقافة والاعلام :

والعسكريون ايضا يتولون المراكز الحساسة فى توجيه الراى العام
... ويقتربون من مجال الفكر والثقافة .

حرص جمال عبد الناصر دائما على وضع العسكريين فى رئاسة
مجالس ادارات الصحف ورئاسة تحريرها .

مجلة التحرير تولى رئاسة تحريرها ثروت عكاشة بعد اعفائى من
العمل فيها فى نوفمبر ١٩٥٢ ، ثم ضمت الى دار الجمهورية حيث كان
أنور السادات رئيسا لها بعد اعفاء ثروت عكاشة أيضا .

المساء تولى رئاستها خالد محبى الدين ثم مصطفى المستكاوى .

الشعب تولاها صلاح سالم ثم لطفى واكد ، حتى انضمت الى جريدة
الجمهورية .

بناء الوطن المجلة الشهرية رأسها أمين شاكى .

الثورة مجلة أسبوعية أصدرتها منظمات الشباب ورأسها صاغ وحيد
الدين جوده رمضان .

وعهد الى باصدار مجلة أسبوعية جديدة تحت اسم (الفجر) عام
١٩٥٦ ، وشكلت لها مجموعة تحرير ضمت محمود أمين العالم ،
سعيد لبيب ، عبد المنعم القصاص ، منير حافظ ، صالح موسى ،
سامى الليثى ، بهيج نصار ، محمد صدقى ، راجى عنایت ، فهمى حسنى ،
جورج البهجورى ، ولكنها لم تصدر رغم طبع ثلاث أعداد منها للتجربة
ولم يكن هناك جواب شاف .

كل الصحف التى صدرت عن الحكومة رأسها عسكريون ولكنها
لم تكن جميعا تعبر عن رأى واحد .

جريدة المساء لعبت دورا فى ظهور الفكر اليسارى المتقدم ، ومخاطبة
الجماهير بآراء يسارية متحسرة ، واهتمت بالثقافة الجديدة ، وتابعت
قضايا المجتمع متابعة موضوعية تميزت بها عن غيرها من الصحف اليومية .

بينما بناء الوطن كانت تدعو الى الاقتصاد الحر والثقافة الغربية .

وجريدة الجمهورية عانت من انقلابات ادارية وفكرية لكثرة تغيير
الذين تولوا مسئوليتها بعد أنور السادات ... الصاغ محسن عبد الخالق

ثم القائمقام عبد الرؤوف نافع ثم صلاح سالم اداريا وحسين فهمي
وأحمد قاسم جودة وجلال الدين الحماصي وكامل الشناوي ثم صلاح سالم
تحريريا .

الايدولوجية ما زالت غائبة والحيرة طابع التصرفات . . .
والتجربة هي أساس الحركة .

جمال عبد الناصر يفكر في عمل مدرسة كادر يعهد بها الى خالد
محيي الدين في خريف ١٩٥٨ ثم ينتهي المشروع مع حوادث العراق
 وخروج خالد من المساء .

ويقترب العسكريون من مجال الفكر والثقافة ، وتعدد محاولات
الوصول الى الوضوح .

انشئت وزارة الثقافة عام ١٩٥٧ وأتاحت للدولة رعاية جميع صور
التعبير غير الرسمي والثقافة غير الاكاديمية . . . أول وزير لها كان
فتحى رضوان .

وتكونت جمعيات أخرى غير رسمية .

جمعية الخريجين التي رأسها محمد فؤاد جلال الذي تولى وزارة
الارشاد لفترة محدودة بعد استقالة صلاح سالم ثم خرج من الوزارة
لينشط في ميدان العمل السياسى بمحاولة تجميع البرجوازية والمتعلمين
العرب حول ثورة ٢٣ يوليو ، وكان له نشاط واضح في المشرق العربي . .
وفى افريقيا .

كان فؤاد جلال وطنيا مجردا ليهبت له نظرة اجتماعية . . .
وكان نشاطه متناسبا تماما مع المرحلة . . . مرحلة البحث والحيرة .
رابطة اشتراكية عربية يرأسها كمال رفعت وتضم مهدى بن بركة .
كلوفيس مقصود ، جبران مجدلاوى ، فؤاد الركابى ، محمد عودة ،
أحمد بهاء الدين ، لطفى الخولى وهى رابطة تستهدف مناقشة الفكر
الاشتراكي ومحاولة ربطه بالقومية العربية . . . وهى فى مضمونها كانت
تأخذ طريقا آخر غير الماركسية .

ورابطة مصرية للعلوم السياسية يرأسها عبد القادر حاتم ، وهى
رابطة تضم مجموعة من المشتغلين بالعلوم السياسية من أساتذة الجامعة
والمحيطين بهم ، وهى لم تسهم بتقديم جديد للفكر العربى المعاصر .

ورابطة الوعى الوطنى يرأسها أمين شاكى وتضم الضابطان محمود
الجوهري والمهندس محسن ادريس ، والدكتور رشاد رشدي والمهندس

صلاح عامر والأطباء أحمد أبو ذكري والنبوي المهندس . وتميزت هذه
الرابعة بأفكارها الليبرالية المحافظة ، التي جعلتها معزولة عن الواقع
الحى للمجمع .

(ولجنة التربية الوطنية) يرأسها صلاح دسوقي وتضم مراد غالب
والدكاترة إبراهيم حلمى عبد الرحمن وعبد الله العريان ورفعت المحجوب
ونظمى لوقا وسعيد النجار والأساتذة أحمد مختار قطب وسعيد العريان .
وكانت هذه اللجنة تعبيرا أيضا عن طبيعة المرحلة حيث لا يتوفر الوضوح
لشيء ، وتغلب الحيرة كل شيء وتختلط الأمور الفرعية مع الرئيسية
.. ويغيب صراع القوى الاجتماعية .

وكون كمال رفعت (رابطة لدرس الاشتراكية المعاصرة على الصعيد
النظري) تضم مراد غالب ، أحمد بهاء الدين ، صلاح دسوقي ،
وابراهيم حلمى عبد الرحمن ، وهى امتداد مصرى للرابطة العربية السابقة .
وكانت هناك أيضا لجنة قراءة المسرح القومى التى شكلت أثناء
ادارتى له ووجود يحيى حقى مديرا لمصلحة الفنون وشكلت من الدكاترة
محمد مندور ومحمد القصاص وعلى الراعى وعبد القادر القط .
كل هذه الروابط واللجان كانت ذات نشاط فى مجال المثقفين ولكنه
محدود فلم يكن لها تأثير فى مجال الرأى العام .

ولكن لجنة قراءة المسرح القومى لعبت دورا ايجابيا فى مساعدتى
على وقف زحف التيار الذى كان طاغيا على المسرح ، وهو تقديم المسرحيات
الترجمة او المقتبسة لكتاب غير معاصرين . كانت ظاهرة غريبة ان كافة
المؤلفين الأجانب كانوا ممن ماتوا فعلا . . . أما المسرح العربى فكان مقصورا
على خمسة فقط من الكتاب هم الذين تكرر تقديم مسرحيات لهم
أحمد شوقي وعزيز أباظة ومحمد تيمور وعلى أحمد باكثير وتوفيق الحكيم
وهو الوحيد الذى استمرت صلتة بالمسرح وثيقة حيوية ومتجددة حتى
أصبح المؤسس الحقيقى للدراما المصرية .

ساعدت لجنة القراءة على وقف زحف المسرحيات الجامدة الاسلوب
والفكر معا . . . وأتاحت للمسرح القومى تقديم جيل جديد من الكتاب
التقدميين ، حمل لواء المسرح بعد ذلك ومضى به فى طريق التقدم
نعمان عاشور ويوسف ادريس وسعد الدين وهبة والفريد فرج ورشاد
رشدى وغيرهم .

وظهر الكتاب التقدميون على خشبة المسرح لأول مرة يكتسبون تأييد
الجمهور والمثقفين معا ، فى مرحلة كان الناس فيها يتطلعون الى كل جديد
يضى لهم الطريق .

كتب دافيد كوان في كتاب مصر منذ الثورة (المسرح لقي من الثورة دفعة كبيرة جدا وأخذ يصبح قوة جبارة في الحياة المصرية رغم انه مازال صغيرا في حجمه) .

وهكذا كانت الجماعات المختلفة تتبنى أفكارا متباينة وأحيانا متنافرة .

وجمال عبد الناصر يترك لها حرية التعبير في صورة محدودة من عبارة ماوتسى تونج (دع مائة زهرة تفتح) .

الحرية للجماعات التي يوجد العسكريون في مركز التوجيه فيها . .
أما المناير والجماعات الأخرى فالأمر يختلف .

كانت الصحافة ما زالت حتى هذه الفترة ملكا لأصحابها حرة في تصرفاتها وتوجيهاتها بعد أن ألغيت الرقابة تماما بعد عام ١٩٥٦ .

ولم يكن مرضيا لطبيعة النظام ان تنفرد بعض الصحف باتجاهات لا تساير رغبة قيادة الثورة في تغيير المجتمع .

وكان الوضع مثيرا للدهشة فعلا . . . كل أجهزة الدولة تعرضت للتطهير مع بداية الثورة حتى الجيش نفسه . . . وخرج الذين أحاطت بهم الشبهات أو الذين اعتبروا في موقف العداء .

ولكن الصحافة ظلت ملكا لأصحابها قبل الثورة . . . فلم تكن هناك مصادرة أو تأمين خارج نطاق قانون الإصلاح الزراعي . . . كل أنواع الملكية تتعايش في المجتمع .

ولكن قيادة الثورة تريد أن تشق طريقا خاصا وأجهزة الاعلام والصحافة هي مدفعيتها الثقيلة . . . جزء منها تملكه . . . الاذاعة وصوت العرب الذي بدأ برنامجا محدودا مدة ارساله ساعتان اربع تابعا للمخابرات العامة عام ١٩٥٣ ، تحول في عهد ولاية صلاح سالم لوزارة الارشاد وتعيين أحمد سعيد مديرا للبرنامج الى جهاز دعائي مؤثر ارتفعت ساعات ارساله في العام الأول الى ثمانى ساعات ثم وصلت في عهد صلاح سالم أيضا الى ٢٢ ساعة هي مدة ارساله اليومي حتى الآن .

شارك صوت العرب في معارك التحرير العربية . . . أعلن ساعة الصفر لثورة الجزائر في الفاتح من نوفمبر ١٩٥٤ باذاعة بيان جبهة التحرير عن انفجار ٢٤ قنبلة في أماكن مختلفة وأعد لها إذاعة سرية خاصة . . . ووجه طعنات حادة لحلف بغداد ، والمحكام المتهاونين مع الاستعمار . . . وكان عاملا مؤثرا ضد الدعاية الاستعمارية .

كانت المبالغة الشديدة والهجوم اللاذع تدمخ برامج صوت العرب.
أحيانا ، ولكنها فى النهاية أدت دورا متناسقا مع طبيعة الحركة الثورية.
فى مصر .

ولكن الصحافة المصرية التى تعتبر من أجهزة الدعاية شديدة التأثير
فى العالم العربى فكانت بعيدة عن التجاوب الحقيقى الفعل مع أفكار
الثورة المتوهجة ، خاصة وان الرقابة كانت قد ألغيت تماما عام ١٩٥٦ .
وكان ذلك أمرا طبيعيا . . . معظم أصحاب الصحف ورؤساء
تحريرها كانوا من أتباع النظام الملكى المنهار ، المروجين له . . . الصحف
الوفدية التى تولت - الى حد ما - معارضة الملك وتجاوبت مع ارادة
الجماهير صودرت واختفت . . . المصرى وصوت الأمة والطليعة . . . وكل
الجرائد والمجلات اليسارية صودرت أيضا كما سبق ذكره .

صحف أخبار اليوم يملكها التوأمين على أمين ومصطفى أمين ودورهما
فى تأييد الملك وفى دعم صحافة الانارة ، والترويج للسياسة الأمريكية.
معروف .

صحف دار الهلال يملكها الاخوان اميل وشكرى زيدان وحرصهما
شديد على ان تظل مجلات الدار كلها بعيدة عن الانفعال الحى مع واقع
المجتمع المصرى .

والأهرام كانت ملكا لأسرة جبرائيل تقلا ، وظلت خلال تاريخها
الطويل بعيدة عن المساهمة الايجابية مع الادارة الشعبية المصرية مغلبة.
الاعتدال والاتزان على كل شىء .

صحف روز اليوسف يملكها احسان عبد القدوس ويشاركه فى
صدورها مجموعة من الشباب ذوى الآراء السياسية المختلفة وهى تحتضن
الشيوعيين كما تحتضن الاخوان المسلمين . . . وهم فى آرائها السياسية
واسلوبها الصحفى المتميز بالنقد لا يمكن ان تكون تابعة فى سكون .

ولم يتغير أحد من المسئولين عن تحرير هذه الصحف بعد الثورة
ولم يؤثر نشر كشف المصاريف السرية عام ١٩٥٤ على موقع أحد فى
المسئولية ، ولم يدخل التطهير دارا من دور الصحف .

ولم تكتف الثورة بما أصدرت من صحف يومية واسبوعية
وشهرية .

وتقرر تنظيم الصحافة فى سبتمبر ١٩٦٠ أى تملكها للاتحاد القومى
واعطائه سلطة الاشراف عليها ، وكان ذلك من مؤشرات التأميم والمبكرة.

مثل بنك مصر الذى أمم أيضا مع البنك الاهلى فى ١١ فبراير من نفس العام .

عبر جمال عبد الناصر عن أفكاره بالنسبة لتنظيم الصحافة بقوله فى اجتماع عقده مع رؤساء التحرير انها دأبت على نشر أخبار الطبقة البرجوازية فى نوادى القاهرة وانصرفت عن نشر أخبار الفلاحين والكادحين . . . (بلدنا هى كفر البطيخ . . . الى عاوز يكتب عن بلدنا يروح هناك ويشوف الناس الى لابسين برانيط قش الارز طول النهار علشان يعيشوا . . . كنت أفضل بدل الكلام عن هذا النوع من السيدات أن يكتب عن العاملات مثلا . . . فيه عاملات طلعا ياكلوا عيش بعرق جبينهم ويكافحوا بشجاعة وشرف) .

وعندما شكلت مجالس ادارات الصحف الجديدة. كان صلاح سالم فى موقعه رئيسا لدار التحرير ، وعين محمد حسنين هيكل الصحفى المقرب من جمال عبد الناصر رئيسا لمؤسسة الاهرام ودار الهلال بعد ضمها لبعضهما ، وتولى رئاسة مؤسسة أخبار اليوم .

وتولى منصب العضو المنتدب للمؤسسات الصحفية ضباط أيضا . . . القائمقام عبد الرؤوف نافع فى دار الهلال ويوسف السباعى فى روز اليوسف وسيد ابراهيم فى دار التحرير .

وبذا أصبح الجيش وقد وضع يده على المراكز الحساسة فى مجالات الصناعة والاقتصاد والاعلام والثقافة سنداً للحكم الوطنى الجديد . . . ليس سنداً مسلحاً فقط بل سنداً اداريا وتوجيهيا أيضا . . . وأصبحت معظم الأمور فى المجتمع رهنا بدرجة أمانة ومثانة هذا السند .

بمعنى ان تبرز داخل سلك الضباط وجهات نظر مختلفة حول دور الدولة الوطنية وطابعها وآفاق تطورها . . . البعض يتخذ مواقف محافظة ويعادى مشاركة الشعب فى التوجيه ، ويبث روح الديمقراطية . . . والبعض منهم يستفيد من اختلاطه بالجماهير فى مجالات العمل ، ويتعاطر فكريا ، ويسهم بقدراته فى تطوير المجتمع .

لم تصل وجهات النظر المختلفة ، أو الآراء المتنافرة الى درجة الصدام . . . لان الجميع كانوا ينظرون الى جمال عبد الناصر نظرة الزعيم الذى أصبحت المسافة بينه وبينهم شاسعة .

وكان جمال عبد الناصر يعتمد على تأييد الشعب كما يعتمد على سلطة الجيش .

لم يجد في ذلك تناقضا . . . فالجيش طبع بين يديه ، والشعب مؤمن به .

كان متاحا لجمال عبد الناصر في هذه المرحلة ان يفتح الطريق أمام القوى الوطنية والديموقراطية ، وان يبنى أسس النظام على حريات تؤمن مستقبله . . . وكان متاحا له أيضا أن يستوعب الطبقات المختلفة في جبهة وطنية بعد الاعتراف بكياناتهم المستقلة ، على غير الأسس الحزبية القديمة .

كان جمال عبد الناصر قادرا خلال هذه المرحلة على تجميع القوى المختلفة الاتجاهات والمواقع السياسية والاجتماعية والطبقية ، وله في ذلك تجربة ناجحة . . . قيادته لتنظيم الضباط الأحرار وهم من اتجاهات سياسية واجتماعية مختلفة . ولكن جمال عبد الناصر أثر أن يتطور المجتمع بأجهزته الخاصة ، وشعبيته الهائلة .

الايديولوجية ما زالت غائبة ، وليس هناك اهتمام خاص بها حتى هذه اللحظة . . . كان التركيز كله على القضايا الوطنية بصورتها العامة .

قال جمال عبد الناصر في مناقشات اللجنة التحضيرية يوم ٢٥ نوفمبر ١٩٦١ (لم يكن مطلوبا مني في يوم ٢٣ يوليو أن أطلع ومعنى كتاب مطبوع وأقول أن هذا الكتاب هو نظرية . . . مستحيل) . . . ويقارن ذلك بالاسلام فيقول (كان يقدر ينزل مع سيدنا جبريل كتاب مطبوع ومجلد ويقول : هذه هي النظرية ، هذا هو القرآن . . . ابتداء الاسلام باشهد ان لا اله الا الله . وان منيذا بمحمدنا رسول الله . . . ابتداء الاسلام بهذا . . . جملتان . . . لم يبدأ بكل ما هو موجود في القرآن) .

بعد سبع سنوات من الثورة قال ان ظروف مصر تختلف عن ظروف غيرها ، وان النموذج الذي يجب ان تطبقه هو الاشتراكية الديموقراطية التعاونية .

ويقول دكمجيان في كتابه (مصر في عهد ناصر) (ان طبيعة الحرب الباردة وخبرة مصر مع الاستعمار مرتبطة بالتقدم التجريبي للقادة العسكريين كان لها تأثير كبير في عدم الانحياز الايديولوجي الى الغرب أو الى الاتحاد السوفييتي .

ويبدو انه مع نهاية ١٩٥٥ تبين القادة العسكريون الاضرار والاطار التي يتعرضون لها في حالة اخذوا وتحديد ايديولوجية معينة ، أو اتخاذ موقف واضح الى جانب احدي الكتلتين . . . كما انهم تبينوا أيضا المكاسب

التي تعود عليهم من الابتعاد عن الاختيار ٠٠٠ وقد أدى هذا الى خلق توجيه ايدولوجي حيادي في السياسة الخارجية ، وعقيدة اشتراكية مستعارة للتغير الداخلي) .

عدم استقرار الموقف السياسي الخارجي كان له ولا شك تأثير كبير في غياب ايدولوجية الثورة ٠٠٠ واختيارها للاسلوب التجريبي الذي مارست به مسيرتها منذ اليوم الاول ٠٠

وصلت القيادة بذلك الى براعة تكتيكية في مواجهة المشاكل والمواقف اليومية ٠٠٠ ولكنها لم تحدد بعد خطا استراتيجيا ٠٠٠ ولم تكتب برنامجا نظريا .

ولا شك ان محصلة تجارب الثورة غني مواجهتها للمشاكل سوف تثرى خبرتها وتوفر لها فرصة الوصول الى ايدولوجية محددة .

واذا كان الموقف في مجالات الصناعة والثقافة والاقتصاد قد سجل تطورا لمصلحة الجماهير عن طريق تدخل الدولة ٠٠٠ فانه لم يسجل تبعية الجيش لطبقة معينة .

البرجوازية الكبيرة تحاصر ، والبرجوازية الصغيرة تنمو ، والطبقة العامة تزيد وتنتشر والفلاحون يتغير واقعهم في بطن شديد ٠٠٠ والجميع بلا تنظيمات تعبر عنهم ٠٠٠ والمثقفون معزولون .

الموقف الداخلي في المجتمع ليس مستقرا بما يفرض ايدولوجية معينة ، والقيادة في حركتها اليومية تختار الطريق البسيط ، ولا تعتبر غياب الايدولوجية قضية رئيسية .

السياسة الخارجية

والسياسة الخارجية أيضا تفرض نفسها على الموقف ٠٠٠ تسهم في خفاق حالة من التردد ٠٠٠ وتأجيل اختيار الطريق .

حكومة الولايات المتحدة اعتبرت أن خروج انجلترا وفرنسا من مصر سوف يترك فراغا ٠٠ ايزنهاور يبادر يوم ٥ يناير ١٩٥٧ بتقديم مشروع الى الكونجرس يخول حكومة الولايات المتحدة تقديم المساعدات الاقتصادية والعسكرية لدول المنطقة نفاديا للتسلل الشيوعي .

جمال عبد الناصر يرى في المشروع صورة جديدة من حلف بغداد .
وأمر نكا تريد تطويق مصر لفرض المشروع بتقديمه عن طريق الملك سعود ٠٠٠ وحشد قوات تركية على حدود سوريا ، وإعلان الحكومة

الأمريكية باقامة جسر جوى لامداد تركيا ولبنان والاردن والعراق
بالأسلحة .

الملك سعود يتراجع عن موقفه ويعلن تأييده لسوريا ، والأمير فيصل
ولى العهد يزور بيروت ودمشق . . . ومصر ترسل قواتا عسكرية الى
اللاذقية للدفاع عن سوريا ضد أى اعتداء .

فرصة نجاح مشروع ايزنهاور تضيق .

وجمال عبد الناصر ينظر الى أمريكا باعتبارها الدولة التى تنتظر
ورثة مصالح انجلترا وفرنسا بدلا من تنصيرها . . . وهو لا ينسى زفض
دالاس الافراج عن بعض الارصدة المجمدة فى أمريكا لشراء ادوية ومضادات
حيوية ، بينما لبي السوفييت طلبه فى الحال .

الاعتقاد يميل الى اشتراك أمريكا فى مؤامرة العدوان الثلاثى ،
كنسيكة تتمثل دورها فى البقاء جانبا الى ان يحدى موعد تدخلها . . .
ومشروع ايزنهاور هو بداية الدور .

ولكن فرصة نجاحه أقل من فرصة نجاح حلف بغداد ، لأنه يأتى بعد
انتصار مصر على عدوان ١٩٥٦ ، وتأكيد زعامة عبد الناصر فى العالم
العربى . . . وتعلق الجماهير باذاعة صوت العرب التى كانت تهجم الملوك
بلا تحرج .

العسكريون فى مصر يواجهون الغرب . . . وعلاقتهم مع الشرق
تزداد نموا . . .

هذا رغم ان حياة العسكريين فى الجيش قبل الثورة كانت تسير
باسلوب خاضع لى العناية نجعل الحياة الغربية محل اعجاب ، وتخلق من
دول الغرب نماذج تحدى .

النموذج الجذاب للعسكريين المصريين كان قائما فى الغرب حيث
درس بعضهم ، وتعامل معظمهم مع ضباط البعثة العسكرية ، وانبهر عدد
منهم بتقاليد الحياة البريطانية .

الخروج من دائرة الغرب ، المطبقة على كل الدول التى كانت محتلة ،
الى آفاق جديدة لم يكن بالرغبة الذاتية ، وانما اضطرارا أمام اختيار صعب
. . . أما الخضوع والتبعية الدائمة للامبريالية أو المحافظة على الحرية
والاستقلال الوطنى .

ينمى هذا الاتجاه المؤامرات التى اكتشفت ضد سوريا من المخابرات
المركزية الأمريكية عندما اعتقل دباوماسى أمريكى يحاول تهريب مهاجر

سنورى فى عربته عبر الحدود مع لبنان وكشف الستار عن مؤامرة نورى
السعيد نغز سوريا أثناء العدوان الثلاثى .
المؤامرات الأمريكية يمكن أن تصل الى مصر أيضا . . . وهذا موضع
الحذر .

وروح باندونج تعطى ثمرة فى القاهرة . . . مؤتمر الشعوب الآسيوية
الافريقية ينعقد فى القاهرة يوم ٢٦ ديسمبر ١٩٥٧ بقاعة الاجتماعات
الكبرى بجامعة القاهرة . . . حضر ٥٣٧ مندوبا يمثلون ٤٨ شعبا تؤلف
فى مجموعها ١٢٥٠٠ مليون شخص . . . أى ٧٠٪ من سكان العالم . .

انتخب المؤتمر أنور السادات رئيسا له . . . هذا مفهوم .

ولكنه انتخب يوسف السباعى سكرتيرا عاما . . . ويوسف ضابط
اديب بدأ حياته الصحفية فى مجلة مسامرات الجيب ونشر عددا من
القصص والروايات ، وليس له اهتمامات سياسية مطلقا ، ولم يكن من
الضباط الأحرار .

كان هذا اختيار جمال عبد الناصر شخصيا . . .

قال لى يوسف السباعى انه أبلغ عبد الناصر عند ابلاغه نبأ التعيين
بانه بعيد عن السياسة ولا يهتم بها كثيرا . . . وان الأدب يشغل حياته .

وهو اختيار يدل على الرغبة فى تعيين شخص بعيد عن الاهتمام
السياسى فى هذا المركز الهام الذى يمكن أن يؤدى دورا أساسيا بارزا فى
حياة الشعوب الآسيوية والافريقية .

واذا كان اختيار العسكريين ضروريا فانه كان بينهم من يستطيع بحكم
ميرله الذاتية واهتماماته السابقة وخبرته فى الأعوام الماضية ان يؤدى
دورا ايجابيا . . . لا يترك مؤتمر التضامن الآسيوى الافريقى فى القاهرة
مقرا هامشيا بلا فعالية أو اثر .

ربما كانت الخشية من زحف الأفكار اليسارية ، أو الخوف من تأثير
الأفكار التحررية على موقف السكرتير العام وهو فى موقع لا يتبع القيادة
فى مصر من الوجهة الرسمية أو القانونية .

الخلاف مع الشيوعيين

كان هذا الاختيار العكاسا لظروف المرحلة ، حيث اختفت كافة
التنظيمات عدا التنظيمات الشيوعية السرية التى مرت فى عدة مراحل
تنظيمية .

وكان وجود هذه التنظيمات دافعا الى بروز عدد من الاسماء اللائحة
فى مجالات الفكر والثقافة والصحافة .

موقف الثورة من الشيوعيين يكاد يعتبر فى هدية ٠٠٠ ولكن النظر
الى تنظيماتهم موضع حذر ، تماما مثل احتمال المؤامرات الأمريكية .

وفجرت الوحدة مع سوريا بعض التناقضات ، سكرتير الحزب
الشيوعى خالد بكنداش عضو مجلس النواب السورى حضر الى مصر فى وفد
برلمانى قبل الوحدة وقابل جمال عبد الناصر ، ولكنه عندما أعلنت الوحدة
رحل عن سوريا .

اعتبر الشيوعيون ان الوحدة قد خدمت مصلحة كبار الملاك
والرأسمالين العرب الذين تدفقوا على مصر وخاصة البرجوازية السورية
التي وجدت فيها استقرارا لها ووقفا للتيار الماركسى الذى كان ينمو
ويتشع هناك .

وجهات النظر المتعارضة لا تنبت بين الشيوعيين والسلطة فقط .
ولكن بين الشيوعيين أنفسهم داخل تنظيماتهم المختلفة .
وعودة الى الماضى القريب تفسر هذه الحقيقة .

فجر ٢٣ يوليو كانت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدتو)
قد أصدرت منشورا بتأييد الحركة الوطنية للجيش .

أما الحزب الشيوعى المصرى فلم يعلم بالحركة الا من الاذاعة والصحف
حيث لم يكن فيه قسم خاص للجيش ويقول الدكتور فؤاد مرسى سكرتيره
العم فى ذلك الوقت انه أصدر منشورين أحدهما للجيش والآخر للشعب
يطالب بالافراج عن المسجونين والمعتقلين ومواصلة الكفاح المسلح وإعلان
النظام الجمهورى . ضمن تأييد عام للحركة لم يستمر أكثر من ثلاثة أيام
فقط ، عندما تبين ان الحركة قد قررت اخراج الملك دون محاكمة ، وان
ذلك قد دفع الحزب الشيوعى الى سرعة اتخاذ موقف المعارضة ، بعد ثلاثة
أيام فقط ، صنفت فيه الحركة بأنها حركة عسكرية ستسير فى اتجاه
فاشى لمصلحة اعداء البلد والاستعمار انجلو أمريكى .

ولم يقبل جمال عبد الناصر التفسيرات التى قدمت له للتمييز بين
الاتجاهين ٠٠ اتجاه حدتو واتجاه الحزب الشيوعى ٠٠ اذ وجد ان ذلك
أمرا يصعب تفسيره للجماهير ٠٠ وانه شخصيا غير مقتنع به وانه يطالب
بموقف موحد للشيوعيين ٠٠٠ وكان ذلك الحديث فى منزل أحمد فؤاد ،
وقد حضرت هذا اللقاء مع عدد من المسئولين فى حدتو .

كان موقف الحزب الشيوعي في ذلك الوقت شديد التطرف والتفتت، فإن خروج الملك في ذاته كان يعتبر خطوة ايجابية ، لا يجوز تعطيلها بدعوى ضرورة محاكمة النظام الملكي كله ، في وقت لم تكن حركة الجيش فيه تستند الى تنظيمات شعبية قوية . ولم يكن مفروضا فيها ان تصرف كما لو كانت قيادتها ماركسية .

طلت وجهات النظر المختلفة الى حركة الجيش مستمرة من جانب التنظيمات الشيوعية ، ولو ان بعض الأحداث قد ساعدت على رفع شعار مشترك للمعارضة ضدها عندما اعدم خميس والبقرى وصدرت القوانين المعادية للديمقراطية بوقف الدستور وحل الأحزاب . كما ان بعض الأحداث قد جمعت الشيوعيين مع السلطة الجديدة في جهة واحدة كما حدث في مقاومة العدوان الثلاثي بعد تأميم قناة السويس عام ١٩٥٦ وفي تأييد خطوات النضال ضد الاحلاف العسكرية وكسر احتكار السلاح وبداية خلق علاقات تعاون وصداقة مع الدول الاشتراكية وفي مقدمتها الاتحاد السوفيتي .

وعندما اتحد الشيوعيون عام ١٩٥٨ في الحزب الشيوعي الموحد ظلت هناك عدة تيارات رئيسية داخل الحزب . تيار يقول بأن النظام هو ثالث يعتبرهم برجوازية وطنية صغيرة .

حيرة الحركة العسكرية وترددتها في اختيار طريق واضح انعكست مباشرة على تحليلات التنظيمات الشيوعية .

وساعد على ذلك أيضا ما تم في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي عام ١٩٥٦ .

كانت إعادة تقييم دور البرجوازية الوطنية في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي ، وظاهرة التفتح التي ظهرت في كلمات ماوتسي تونج بالصين دافعا الى حدوث مراجعات فكرية في التنظيمات الشيوعية أدت الى نبذ أفكار الرفض الكامل والجنوح الى التأييد والتحالف .

يقول جان لاكوتير (ان اتجاه المؤتمر العشرين قد ساعد ناصر على الا يصبح ديكتاتورا) .

ذلك صحيح لانه جعل الاتحاد السوفيتي يقدم له العون على تطوير المجتمع ، ولم يدعه يسقط فريسة للامبريالية يعادى بعدها كل الوطنيين والأحرار .

اصطدم الثياران وفصل الحزب ممثلي الاتجاه الثاني شهدي عطية الشافعي وكمال عبد الحليم ومبارك عبده فضل وأحمد رفاعي بعد ٤ شهور فقط من توحيد الحزب .

وحدث لقاء مثير في أكتوبر ١٩٥٨ في منزل أنور السادات بينه وبين محمود أمين العالم ممثل المكتب السياسي للحزب الشيوعي الموحد رتب المقابلة الدكتور يوسف ادريس عضو (حدتو) سابقا ، والقريب من أنور السادات في ذلك الوقت .

امتدت المقابلة من العاشرة مساء حتى الرابعة صباحا كانت جافة وحادة .

دعا أنور السادات الشيوعيين الى دخول الاتحاد القومي كأفراد واطهر العالم استعجابهم للتعاون بشكل تنظيمي داخل الاتحاد القومي على برنامج معين محتفظين بمنبرهم المستغل انتهت المقابلة دون اتفاق

وكانت ردود الفعل مختلفة عند الشيوعيين نظر الدكتور اسماعيل صبري عبد الله الى الموقف على ان الحكومة في حالة ضعف وانها تلجأ للشيوعيين لاستئجابهم ، فتضلل الجماهير وتمادى في تحليله فتوقع ان تدعوهم للمشاركة في الحكم ولكن لم تكن تضي على هذه المقابلة عدة أيام حتى بدأت حركة اعتقالات فردية للشيوعيين .

ولم يكن انفجار التناقض في مصر وحدها ولكنه كان في سوريا أيضا بصورة أكثر وضوحا .

عندما حاول اللواء عفيف البزري رئيس أركان الجيش السوري ابداء رأيه في توحيد الجيش ، وكان معروفا بصلاته الوثيقة مع الشيوعيين ، صدر قرار جمال عبد الناصر بخروجه من الجيش ومع الضباط اليساريون الموالون له في التفكير .

لم يصدر هذا القرار في مصر لسببين أولا أن الضباط الشيوعيين الذين ظهروا كمتعاونين في حركة الضباط الأحرار كانوا اما قد خرجوا من الجيش خلال السنوات السابقة أو ذابوا في صفوف الضباط لم يعرفهم أحد .

وبذا لم تكن حملة ضد الضباط الشيوعيين في مصر ولم تكن أيضا في سوريا كما حدث في إيران عندما حوكم ٦٥٠ ضابطا بتهمة الانتماء

الى حزب توده وحكم على عشرات منهم بالاعدام فى أواخر ١٩٥٤ ، أو كما حدث فى باكستان عندما حوكم عشرة ضباط منهم اللواء أحمد خان واللواء و . أحمد والأمير الامام لطيف فى مارس ١٩٥٣ بتهمة اعداد مؤامرة شيوعية ضد نظام الحكم .

لم يسلك جمال عبد الناصر سلوك القياصات الرجعية فى معاملة الضباط الشيوعيين لأن سلوك الشيوعيين نحو قيادته كان مختلفا .

كان حرصهم على التعاون معه فى مواقفه الوطنية يزداد وضوحا يوما بعد يوم . . . ولم تكن هناك تناقضات رئيسية بينه وبينهم .

ولكن ثورة العراق فرضت على الموقف أيضا مزيدا من الاضطراب . . . وتناقض جديد بين السلطة العسكرية فى مصر والسلطة العسكرية فى العراق كما سيأتى تفصيلا فيما بعد .

أدت هذه العوامل الى تغيير جاد فى مسلك الثورة من الشيوعيين . . . وبدأ الهجرم تليهم فى خطب جمال عبد الناصر تلميحا ثم تصريحيا فى خطبته يوم عيد النصر فى ٢٣ ديسمبر ١٩٥٩ فى بور سعيد المدينة التى قام فيها الشيوعيون مع العسكريين بدور وطنى بارز فى مقاومة المعتدين . وكانت جريدة المساء هى المنبر الذى يطل منه الشيوعيون على رأى العام . . . وكتب الدكتور عبد العظيم أنيس مقالا بعنوان (الحركة الوطنية العربية) اعتبره جمال عبد الناصر خروجاً على خط القومية العربية ، وطلب من خالد محيى الدين منع الدكتور عبد العظيم أنيس من الكتابة ووقعت المساء فى حيرة شديدة بين اتجاهات القومية العربية ، والاتجاهات اليسارية فى العراق . . . بل انها لم تنشر ما ورد فى خطبة جمال عبد الناصر من هجوم على الشيوعيين يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٥٨ فى بور سعيد .

ويقول خالد محيى الدين انهم حرصوا على عدم نشر شئ الا الانباء المؤكدة التى تجمع عليها وكالات الانباء .

وعندما لم تنجح ثورة الشواف فى العراق ، نشرت المساء (مانشيت) رئيسيا بعنوان (انتهت الثورة) واعتبر جمال عبد الناصر ذلك خروجاً على الخط وقرر عزل خالد محيى الدين من رئاسة المساء فأبلغه أنور السادات بذلك يوم ١٢ مارس ١٩٥٩ .

وتالت خطب جمال عبد الناصر تتهم الشيوعيين بالعمالة .

وفى يوم ٣١ ديسمبر ١٩٥٨ وصل يوجين بلاك يحمل عرضاً بقرض من البنك الدولى وفى ليلة رأس السنة هاجم البوليس منازل مئات من الشيوعيين ثم ترحيلهم الى المعتقلات .

صرح زكريا محيي الدين وزير الداخلية لسيمون لاکوتير المحررة فى مجلة (فرانس اوبزر فاير) قائلاً (فى سوريا تشكل الشيوعية خطراً أما فى مصر فهى لا تزيد عن كونها مشكلة فهنا نعرف الشيوعيين كلهم) .

وفى اليوم التالى لحركة الاعتقالات ٢ يناير ١٩٥٩ نشرت الصحف صورة برقيتين متبادلتين بين نيكيتا خروشوف وجمال عبد الناصر للتهنئة بمناسبة توقيع اتفاقية السد العالى .

ولكن هذه البرقيات المتبادلة لم تمنع مواصلة اتهامات عبد الناصر للشيوعيين بالعمالة ، ومواصلة نيكيتا خروشوف لمهاجمة عبد الناصر فى حفلات الاستقبال وفى المؤتمر الواحد والعشرين للحزب الشيوعى .
تفجر الموقف بين قائد حركة التحرير الوطنى فى مصر وسكرتير الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى .

ولكن جمال عبد الناصر أعلن فى خطابه بميثان الجمهورية فى العيد الأول للوحدة انه أرسل خطاباً الى خروشوف وتلقى منه رداً (قويا - على حد تعبيره - من عشر صفحات) قرأ بعض فقراته على الجماهير بعد أن قال ان هناك أحداث سببت بلبلة للناس مثل القول بوقف السلاح والمعونة والعلاقات الاقتصادية والمشاريع الصناعية بل والسد العالى .

قال خروشوف فى رده (اذا نظر الانسان الى الموقف الحالى نظرة عملية لتمكن بسهولة من أن يرى اعداء الصداقة بين الاتحاد السوفييتى والجمهورية العربية المتحدة يريدون فى الوقت الحاضر أن يجنوا أرباحاً جشعة فى الخلافات العقائدية بيننا) . وقال أيضاً (أما فيما سيتعلق بموقفنا من الشيوعية فى الجمهورية العربية المتحدة فإن الاتحاد السوفييتى لا يرغب فى التدخل فى الشؤون الداخلية) .

دخلت العلاقات مع الاتحاد السوفييتى فى مرحلة فتور ولكن الخطابات ظلت متبادلة . . . خروشوف يستند الى مثل شعبى أولى يقول (لا تبصق فى بئر قله تحتاج الى مياهه) وجمال عبد الناصر يستند الى مثل عربى يقول (يد واحدة لا تصفق) .

جمال عبد الناصر يحرص على عدم هدم العلاقات المصرية السوفيتية التى تقدم له العون فى مختلف المجالات . . . ولكنه أيضاً يود أن يؤكد سلطته داخل مصر ، فيصدر أوامره باعتقال مئات آخرين من الشيوعيين فى شهر ابريل ١٩٥٩ .

كان جمال عبد الناصر يتصرف كرجل دولة فى حرصه على العلاقة مع

السوفييت ، وكزعيم له طبيعة عسكرية فى التعامل مع المعارضين له فى
الجبهة الداخلية .

ويقول انطونى ناتنج (فى كتابه ناصر) ان جمال عبد الناصر لم
يفعل ذلك حفاظا على سلطته ، أو حماية للوحدة مع سوريا فقط ولكنه
أراد أن يثبت للعالم عامة وللولايات المتحدة خاصة أن سياسته بعد السويس
ليست مرتبطة بالأيديولوجية الشيوعية كما سبق له أن قال .

وانتهزت حكومة الولايات المتحدة الفرصة وانتعشت آمالها فى العودة
الى مركز النفوذ فى المنطقة من جديد .

واستأنفت مساعدتها الاقتصادية لمصر وأعلن دالاس ذلك فى
١٢ أكتوبر بمساعدة أولية مقدارها ١٣ مليون دولار . وبيع القمح بال نقد
المصرى .

وعادت العلاقات مع بريطانيا أيضا فى ديسمبر ١٩٥٩ بتعيين كرلين
كوو قائما بالأعمال ولكن جمال عبد الناصر لم يقابله أبدا حتى أعيدت
العلاقات الدبلوماسية كاملة مع بريطانيا فى مارس ١٩٦١ بتعيين سير
هارولد بيل سفيراً فى القاهرة .

أما فرنسا فلم تعد العلاقات معها الى طبيعتها بعد اعتقال مدير بعثتها
مسيو ماتى واتهامه بالتجسس فى نوفمبر ١٩٦١ وعدم الإفراج عنه إلا بعد
خمس شهور عندما قرر ديغول إعلان استقلال الجزائر .

محاولة استغلال الحكومة الأمريكية للموقف عن طريق عودة المساعدات
(كانت مكشوفة لدرجة انها لم تفلح) كما يقول انطونى ناتنج .

ولم يحدث تبادل للاتهامات فى الخطاب أو حفلات الاستقبال
وفوجئت يوما بصلاح سالم يحدثنى عن رغبته فى مقابلة خروشوف وإجراء
حديث معه .

وكان العرض من الغرابة فى وقت تستعر فيه الحملة ضد الشيوعية
الى الحد الذى تبين من انه محاولة من جمال عبد الناصر لرايه الصريح
دون ان يصرح صلاح سالم بذلك .

وفى اجتماع حضره صلاح ومستشار القاهرة السوفيتية فاديم
سينيليكوف وانا تم الاتفاق على ابلاغ موسكو برغبة صلاح سالم وجاء
الرد بعدها بأيام بالموافقة .

سافرت مع صلاح سالم ومعنا الزميل الصحفى اليسارى عبد العزيز
فهى الى الاتحاد السوفييتى يوم ٣ نوفمبر ١٩٥٩ واستقبل خروشوف

صلاح سالم في مكتبه بالكرملين وأجرى معه حديثا لجريدة الجمهورية نشر فيها .

١٠ ولكن الرحلة كانت تمهيدا للاتفاق على تنفيذ المرحلة الثانية من السد العالي وضمن استمرار الامداد بالأسلحة .

١١ وافق خروشوف دون تردد . . . وكانت بعثات الضباط المصريين ما زالت موجودة تواصل دراستها .

١٢ وفي هذا اللقاء تحدث خروشوف مرة أخرى عن عدم جدوى اعتقال الشيوعيين وان الوحدة مع سوريا بدأت تتعثر . . . وكان عبد الحكيم عامر وقت المقابلة في دمشق بصفته نائبا لرئيس الجمهورية ، ولم يتسورج خروشوف من القول بأن عامر يعيش في سوريا فوق (خازوق) في مقعده .

١٣ أرسل صلاح سالم صورة الحديث لناصر ومعه ملخص بما تم في المقابلة ، على أن تسافر معا إلى المغرب في محاولة لدخول الجزائر من مدينة (أوجا) ولكنه تلقى إرقية من عبد الناصر بالعودة فورا إلى القاهرة ، وعاد بفردة حذاء وفردة شيشب من آلام النقرس التي كان يعاني منها .

١٤ (نشر الحديث في جريدة الجمهورية يوم ١٠ نوفمبر ١٩٥٩ تحت هذه العناوين الرئيسية على لسان خروشوف (لا صلة بيننا وبين الأحزاب الشيوعية في البلاد العربية - الموقف في البلاد العربية غير صالح الآن لقيام نظام شيوعي - عواطفنا مع اللاجئين الفلسطينيين ولا نريد ان تكون لنا مصالح مع الصهيونية - الاستعداد لتسليح الجيش والمرحلة الثانية من السد العالي وتنمية الاقتصاد) .

١٥ وتحسنت العلاقات الرسمية قليلا وخفت حدة موجة الهجوم على الشيوعية ولكن إذاعة صوفيا ظلت منبرا للشيوعيين العرب ينتقدون فيها النظام الذي كان يهاجمهم من صوت العرب هجوما شديدا .

١٦ وحدث أن اذاعت المحطة في أوائل عام ١٩٦٠ خبر اعتقال القائمقام يوسف صديق ووفاته في المعتقل . . . ولم يكن الخبر صحيحا .

١٧ وتوجه يوسف صديق بنفسه إلى سفارة بلغاريا في القاهرة وأبلغهم أن إذاعة مثل هذه الأخبار لا تفيد شعب بلغاريا ولا تفيد أيضا شعب الجمهورية العربية المتحدة .

١٨ ولكن أخبار إذاعة صوفيا لم تكن كلها غير صحيحة . . . كان الشيوعيون الذين اعتقلوا أولا في اليوم ثم رحلوا إلى معتقلات انشئت في الواحات والوادي الجديد يعانون من المعاملة السيئة والتعذيب والاضطهاد .

وبلغ التعذيب غايته في سجن أبني زعبل حيث عومل كبار المثقفين المصريين وطلبة العمال والفلاحين معاملة وحشية وتعرضوا لاهانات لا تتفق مع الكرامة الانسانية ، مما جعل سمعة النظام المصري في الدول الاشتراكية وبين الأحزاب التقدمية يتعرض الى اساءة بالغة .

وفي يوم كان قد عاد من الاسكندرية. عدد من الذين كانوا يحاكبون أمام محكماتها العسكرية ، واستقبلهم بعض رجال السجن بالضرب الشديد. وسقط المناضل شهدي عطية الشافعي أحد الرواد الأوائل في الحركة الشيوعية المصرية قتيلا تحت أيدي المجرمين .

كان جمال عبد الناصر أثناء ذلك في زيارة تيتو في يوغوسلافيا عندما بلغه النبأ فاصدر أوامره بطرد اللواء اسماعيل راغب همت أحد ضباط الجيش الذين زحفوا أيضا حتى الى مصلحة السجون والتحقيق معه ومع عدد من ضباطه .

ولم يكن المناضل شهدي عطية الشافعي هو الشهيد الوحيد .

توفي ثمانية معتقلين شيوعيين من آثار التعذيب والمعاملة السيئة في السجن في الفترة ما بين ١٢ ابريل ١٩٥٩ ، ٢٣ يوليو ١٩٦٠ وهم المناضلون موظف محمد عثمان بطنطا وطالب مصطفى شوقي والدكتور فريد حداد وموظف سيد التركي وعامل على متولى الديب ومرشد محمد رشدي خليل وعامر سيد محمد .

فجاسة التوازن

ومضت أكثر من سنتين لم يقابل فيها جمال عبد الناصر خروشوف حتى اتبحت لهما الفرصة في سبتمبر ١٩٦٠ عند افتتاح الدورة الخامسة عشرة لاجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة ، بعد ان كان الاتحاد السوفيتي قد رصد لمصر ٩٠٠ مليون روبل في ٢٨ أغسطس ١٩٦٠ وقال له جمال عبد الناصر انه اذا كان قد حظر الحزب الشيوعي في مصر فانه فعل ذلك لأن الشيوعيين أخطأوا في تحليل الطريقة التي يجب تطوير البلاد بها كذلك أبلغه انه لا يشترك في أى حرب صليبية عامة ضد الشيوعية وانه ليس معاديا للشيوعية . وذلك كما ذكر محمد حسنين هيكل في كتابه (عبد الناصر والعالم) .

ولم يقابل جمال عبد الناصر خروشوف فقط في نيويورك وإنما التقى مع عدد كبير من زعماء العالم الذين احتشدوا في هذا الاجتماع التاريخي المعاصف والتقوا أيضا بايزنهاور رئيس الولايات المتحدة ، وتحدث

معه فى العلاقات ما بين البلدين وفي تطويراتها وفى ضرورة النظر اليها على ضوء جديد يتماشى مع ما نتطلع اليه جميعا من سلام قائم على العدل ... ولكن مدة رئاسة ايزنهاور كانت فى شهورها الاخيرة ومن ثم لم يتسع للمحاولة الجديدة ان توضع موضع الاختبار .

جمال عبد الناصر حريص على وجود علاقة طيبة مع العسكريين ... العلاقات مع الاتحاد السوفييتى تتحسن ... والولايات المتحدة تمتد مصر بالمساعدات بأمل محدود فى استعادة مواقعها .

كان المستثمرون الغربيون الذين كان يحتمل ان يوظفوا ثرواتهم فى مصر قد اعتقدوا ان مشاريع ناصر الكبرى ليست سوى نوع من (الاقتصاد الامبراطورى) الذى يهدف الى جعل مصر المركز الصناعى لامبراطورية عربية حديثة كما كتب جيلبر شيلورك فى عدد أكتوبر ٥٨ من مجلة فورتن ...

المساعدات الأمريكية لم تكن تلعب دورا كبيرا فى تطوير المجتمع ، ولكنها كانت ذات فائدة فى التمويل وبعض الخدمات ، واسهمت فى بعض مشاريع السنوات الخمس بمبلغ ١٦٢ مليون دولار مقابل ١٧٢ للاتحاد السوفيتى وحصلت هيئة قناة السويس على قرض قيمته ٥٦٥ مليون دولار من البنك الدولى فى ديسمبر ١٩٥٩ بالإضافة الى خمسة ملايين من المصارف الأمريكية لتحسين القناة .

واقتربت ألمانيا الغربية أيضا من مصر ... سافر اليها ٥٠٠٠٠ طالب فى منح وبعثات ، وقدمت مساعدات قيمتها ٤٨٤ مليون دولار فى مشروع السنوات الخمس الأولى .

وانتهز جمال عبد الناصر فرصة انتخاب جون كينيدى رئيسا للولايات المتحدة وأرسل له خطابا فى ٢٠ فبراير ١٩٦١ بمناسبة اغتيال الزعيم الكونفولى بارترىس لومومبا .

وبادر الرئيس الأمريكى بالرد على جمال عبد الناصر فى ٢ مارس ١٩٦١ ... وبدأت علاقة مراسلات ودية بين الرئيسين .

وحدث تحول ظاهر فى العلاقات عندما طلب جمال عبد الناصر تحويل طلبة البعثات المصريين فى الاتحاد السوفييتى الى الولايات المتحدة ووافقت الأخيرة على ذلك وانتقل فعلا ٢٤٠ طالبا الى هناك .

واستمرت الخطابات متخفية عقب محاولة الغزو الأمريكى لخليج الخنازير فى كوبا التى وقف عبد الناصر وتيتو فيها موقف التأييد لفيدل

كاسترو ، فى محاولة لاقامة صداقة مصرية أمريكية على أساس عدم التدخل أو التنازل عن الحرية والاستقلال الوطنى .

هكذا كان جمال عبد الناصر يحاول خلق علاقات طيبة مع الاتحاد السوفييتى ومع الولايات المتحدة فى وقت واحد لم يتورع عن الدخول فى مصادمات علنية عندما وجد ان فى ذلك ما يعتبر محاولة للتدخل فى شئون مصر ، ولكنه لم يلبث أيضا أن غلب مصلحة مصر فوق شحنة عواطفه المتفجرة .

كان جمال عبد الناصر حريصا على ان يلعب لعبة التوازن بمهارة فى السياسة الخارجية .

لا يمكن القول بأن جمال عبد الناصر كان مواليا للسوفييت أو مواليا للأمريكيين ولكنه كان مواليا لمصر فى حدود يقينه واقتناعه وقد برزت شخصيته فى المجال العالمى نتيجة مواقفه الوطنية وأصبح زعيما له شهرة عالمية تدفع الناس فى انحاء العالم اذا ما قابلوا مصريا فى بلدهم ان يقولوا (اوه . . . ناصر) .

ولكن هذا التميز الواضح والوصول الى طليعة زعماء العالم الثالث ، لم ينعكس تطورا على أسس علمية سليمة فى المجال الداخلى .

اختار جمال عبد الناصر الطريق السهل ، واعتمد على العسكريين فى اقامة نظامه ، ولم يبذل جهدا حقيقيا فى تكوين كادرات قيادية فى مجال العمل السياسى ، مع اتخاذه موقفا عاجزا بينه وبين العناصر التى مارست السياسة فى تنظيمات أخرى .

وأدى لمعان شخصيته فى المجال العالمى وانتصاراته فى المجال الوطنى الى خلق فارق واسع بينه وبين زملائه العسكريين ، فأصبح لهم زعيما لا ينازع وقائدا لا يتطاول الى قمته احد .

وأدى ذلك الى تغييرات حقيقية فى شخصيته وفى أسلوبه ، وخاصة بعد الوحدة مع سوريا واتساع رقعة البلاد ، وظهور محبة الشعب هناك له وحملهم لعربييه فوق الاكتاف فى مدينة حلب وغيرها .

أصبح صعبا عليه ان يمارس حياته التى اعتادها يقابل زملاءه فى بساطة دون تحديد مواعيد ، يستقبلهم احيانا فى غرفة نومه ، يستمع الى مزاحهم ونكاتهم يحرص على مناقشة آرائهم ويتعرف على أخبارهم .

أصبح ذلك مع الوقت صعبا عليه لأن وجوده فى قمة السلطة جعل

الجميع يتجهون اليه ويحاولون الوصول الى اغراضهم عن طريقه ، ويبعدون وقتهم وأحيانا يثيرون أعصابه .

ولذا دخل الزعيم الذي بدأ حياته رجلا عاديا بسيطا لا يهتم بالمظاهر دائرة حصار من العزلة . . . دخلها بارادته ولم يعد سهلا على أحد ان يقتحم عليه عرينه الا اذا كان مطلوبا أو بناء على موعد سابق .
وأصبحت صلته الرئيسية بالناس خلال أجهزته وخلال مكتبه . . . فكان يرى صورة المجتمع في أوراق وتقارير تقدم له . . .

ولا يعنى هذا انه فقد حسبه الشعبى . . . خطبه تظهر انه كان يعرف مشاعر الناس واحلامها ومتاعبها . . . والاجراءات التى كان يتخذها كانت تعبيرا عن رغبته فى تخفيف متاعب الناس .

قوانين الخدمات التى توالى صدورها وقفت بانشاء لمجلس الدائم للخدمات العامة ، والوحدات المجبة ، والمساكن الشعبية ، ومجانية التعليم وزيادة عدد المدارس ، وخفض اجارات المساكن التى انشئت بعد ١٨ سبتمبر ١٩٥٥ بمقدار ٢٠٪ والحد من السفر للخارج لتوفير ١٠ ملايين جنيه للدولة ، وصدر قانون الجمعيات التعاونية .

كل هذه القوانين كانت تظهر موقف القيادة الواضح فى تخفيف متاعب الناس عموما ودعم البرجوازية الصغيرة خصوصا .

ورغم وضوح هذا الموقف يوما بعد يوم الا أن الاتحاد القومى ظل عاجزا عن استيعاب هذه الأفكار والسير فى هذا الاتجاه . . . لأن قوانينه كانت تحوى عبارات عامة (يعمل على بناء المجتمع العربى الاشتراكى الديمقراطى التعاونى الذى يعمل بجميع منظماته وافراده على تحمل مسئولية مجتمع تسوده الرفاهية ويتحقق فيه القضاء على الاقطاع والاستغلال وان توجه الملكية الفردية وظيفتها الاجتماعية لمصلحة المجتمع والقضاء على الاحتكار وسيطرة راس المال على الحكم وان يقوم القطاع الاشتراكى فى مجالات الصناعة والتجارة والمرافق العامة بجانب النشاط الخاص) .

عجز التنظيم وتعليق الجماهير بارادة الزعيم اصابت المجتمع بروع من السلبية والتواكل ، انعكست فى النهاية على مسار الثورة فتعثرت فى أزمة الانفصال كما سيأتى تفصيلا فيما بعد .

وكانت هذه هى نهاية الاتحاد القومى كتنظيم سياسى ، حيث تكتشف نواحي العجز والقصور فيه ، وتبين انه لا يصلح تنظيما فى بلد وطنى يحرص على مصلحة طبقة جديدة لم تستكمل نواحيها وهى البرجوازية الصغيرة .

لم يكن الوضع في مصر مشابها لوضع في البرتغال حيث يحكم نظام ديكتاتوري ادهابي لا يهتم الا بمصلحة الاقطاعيين وكبار الاسكاريين والرأسماليين .

ومارس جمال عبد الناصر النقد الذاتي لأول مرة أمام الجماهير وهو يقول في مناقشات المؤتمر الوطني عام ١٩٦٢ (ان الفكر الثوري قد وقع في الخطأ حين توهم ان الطبقة المحتكرة التي كان لا بد ان تسلبها الثورة امتيازاتها الاستغلالية يمكن لها ان تقبل الوحدة الوطنية) .

ويفسر ذلك فيما بعد بكلماته البسيطة فيقول في عيد السد العالي ١٥ يناير عام ١٩٦٧ (الأساس الذي بنى عليه الاقتصاد القومي لم يكن بالأساس السليم ، شيء ضد العقل ... ضد الطبيعة واحنا كنا طيبين جدا وعاوزين نلم الاقطاع الى خدنا منه ألف فدان مع الفلاح الى وزعنا عليه خمس أقدنة وكنا بنعتبر انه حينئذ يقول ان احنا بنمشي في المجتمع الجديد) .

ليس هذا فقط ... بل ان جمال عبد الناصر يعتبر ان مهادنته للرجعية العربية كانت خطأ ... ويقول (كنا نرفض المصالحة مع الاستعمار ولكننا وقعنا في خطأ المصالحة مع الرجعية ، تصورنا انهم أبناء نفس الوطن وشركاء نفس المصير ، ولكن التجربة أثبتت خطأ ما كنا نتوهمه) .

وحمل جمال عبد الناصر طريقة جديد في خطابه يوم ١٦ أكتوبر ١٩٦١ (من هنا كان أهم ما يواجهنا هو إعادة التنظيم الشعبي ليكون الاتحاد الفرعي أداة ثورية للجماهير الوطنية وحدها ، صاحبة الحق والمصلحة في التغيير الثوري) .

اقتنع جمال عبد الناصر بأن بقايا الاقطاع والبرجوازية الكبيرة لا يمكن ان ترتفع فوق مصالحها الانانية الضيقة .

واقنع أيضا بأن محاربة الامبريالية في الخارج لا تفترق عن محاربة الرجعية المتعاونة مع الاستعمار في الداخل .

واقنع أخيرا بأن وجود التنظيمات السياسية بغير وثيقة فكرية توجه أفرادها هو أمر يبدد طاقتها في وجهات نظر متباينة وصراعات فكرية متعددة .

- ولم يعد غياب الايديولوجية مقبولا ...
- ولم يعد الاتحاد القومي تنظيما صالحا
- ووضع الاختيار ليقضى على الحيرة .

الباب الثالث

● مجتمع عبد الناصر

الفصل السابع

محاولة ... لنظرية جديدة

(لا بد لنا ان نقاتل الاستعمار فى قصور
الرجعية .. وان نقاتل الرجعية فى احضان
الاستعمار)

جمال عبد الناصر

لم يتغير واقع المجتمع ، ولم يرتفع مستوى المعيشة كثيرا رغم كل
الاجراءات التى اتخذت فى الخمسينيات ... قانون الاصلاح الزراعى
تخفيض ايجار المساكن ، مصادرة اموال الاسرة الملكية ، تأميم القناة ،
تمصير البنوك والشركات البريطانية والفرنسية ، تشجيع رؤوس الاموال
الأجنبية ورفع نسبتها فى الشركات الى ٥١٪ .

لم يتطور المجتمع عن طريق التقدم الراسمالي ... أحجمت
البرجوازية المصرية الكبيرة عن الاسهام الايجابى فى دعم الاقتصاد القومى
... وقدراتها فى ذلك عموما كانت محدودة ... الاستثمار الصناعى عام
١٩٥٢ كان ٢١٠٠٠٠٠ جنية فقط .

وبذلك أثبتت أن قدراتها فى تحقيق خطط التنمية محدودة .

وحتى فى هذا الوضع أخذت البرجوازية تتذمر وتفكر فى الخلاص من كل رقابة من جانب الدولة خاصة وان قيام الثورة كانت تقترب تدريجيا من التدخل عن طريق قوانين الشركات ، ووضع بعض العسكريين فى مواقع النفوذ ، واستيلاء الدولة (القطاع العام) على الشركات الممصرة .

ونضج التناقض بين مطالب الأمة الديمقراطية العامة وبين مصالح المستثمرين الطبقية ... ولم تعد (الاشتراكية الديمقراطية التعاونية) صيغة مناسبة لتطوير المجتمع لما أحاط بها من غموض وغلفها فى نوايا طيبة غير واقعية .

الهدف ... رفع مستوى المعيشة لا يتحقق بالصورة المرضية ... ما زال الفلاح فى تخلفه وفقره والعامل فى معاناته ... ولكن الطبقة الوسطى تنمو وتندمج ، ومع ذلك فالحياة ما زالت تطحنها .

ولم يكن استمرار الوضع على ما هو عليه مقبولا .. الشوار العسكريون لا يريدون ان يتحولوا الى حكام فقط ... والقادة الوطنيون الذين حصلوا على تأييد شعبى ساحق فى خطواتهم الوطنية لا يرتضون ان يقفوا موقف العجز أمام الشعب فى خطواتهم الاجتماعية .

عندما قرر جمال عبد الناصر تأميم بنك مصر استدعى اليه أحمد فؤاد وقال له انه يشعر بأن السلطة فى يد كبار الرأسماليين .

ولكن تأميم البنك الاهلى وبنك مصر لم يكن كافيا لازالة الشعور بسيطرة كبار الرأسماليين ... ولم يكن عاملا مؤثرا فى القضاء على مشاكل المجتمع .

والاشتراكية هى أكثر الكلمات بريقا واغراء فى مجال التقدم الاجتماعى ... ولكنها استخدمت أحيانا فى غير مجالها ... هتلر أطلق على حكمه النازى اسم (الاشتراكية الوطنية) ... وكلمتا الديمقراطية والتعاونية لم يتحولا الى جناحين تحلق بهما الاشتراكية فى مصر الى آفاق جديدة رغم قول جمال عبد الناصر فى المؤتمر التعاونى بجامعة القاهرة يوم ٥ ديسمبر ١٩٥٧ (اننا نهذف الى اقامة مجتمع اشتراكى ديمقراطى تعاونى متحرر من الاستغلال السياسى والاستغلال الاقتصادى والاستغلال الاجتماعى) .

الموقف يزداد صعوبة أمام القياادة الطموحة ... والذين بشروا بالاشتراكية فى مصر من قبل الثورة كانوا معتقلين فى السجون من ليلة رأس السنة لعام ١٩٥٩ ... تلاحقهم الاتهامات انهم شيوعيون وانهم عملاء .

ولكن هذه الحقيقة لم تقف عقبة في وجه جمال عبد الناصر . . .

أبقى الشيوعيين أو الاشتراكيين الحقيقيين في المعتقلات . . . وبدأ
يدبر ثورة جديدة سرية كاملة . . . بصورة تختلف قليلا عما حدث قبل
٢٣ يوليو .

الثورة الاجتماعية تدبر من السلطة بعيدا عن المناقشة الحرة المفتوحة
. . . والذين اشتركوا في تدبيرها عدد محدود .

يقول زكريا محيي الدين وعبد اللطيف البغدادي ان تأميمات ١٩٦١
لم تعرض على أعضاء مجلس القيادة السابقين في جلسات عمل رسمية . . .
وانما اثير الموضوع للمناقشة في جلسة واحدة خاصة بالاسكندرية حضرها
جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وعبد اللطيف البغدادي وزكريا محيي
الدين وكمال الدين حسين فقط .

لم تكن هناك صورة واضحة عن المدى الذي كان يراه عبد الناصر في
موضوع التأميم .

كانت هناك آراء بديلة من بعض أعضاء مجلس القيادة السابقين . . .
تحديد ملكية الاسهم في الشركات للفرد والأسرة . . . عدم تأميم أى مشروع
الا اذا كانت هناك قدرة على ادارته ادارة جيدة .

ومع ذلك فلم يعترض أحد من أعضاء مجلس القيادة على مشروع
قوانين التأميمات . . . جميعا وافقوا عليها . . . ولم يبذل أحد منهم جهدا
في دراستها لانها لم تعرض عليهم تفصيلا .

رتب جمال عبد الناصر مشروعات القوانين مع عبد المنعم القيسوني
وحسن عباس زكي وكلاهما غريب عن الاشتراكية ، بعيد عن الاقتناع
بها . . .

وأحمد فؤاد الاشتراكي الذي احتفظ بعلاقته مع عبد الناصر لم
يستشر أيضا ، كما استشير عند تأميم بنك مصر . . . وسمح القوانين من
الاذاعة وقراها في الصحف كما حدث مع الشعب في مصر وسوريا .

وعزيز صدقي وزير الصناعة استبقاه جمال عبد الناصر في استراحة
المعمورة بعد استقبال وفد من نيجيريا ، واطلعه على الدليل الصناعي حيث
كان قد أشر بالقلم الرصاص على أسماء شركات عديدة ثم قال له (الدولة
ليس لها رقابة . . . وأنا أريد تأميم الصناعة) .

وقدم عزيز صدقي مذكرة يقترح فيها تأميم الصناعات الأساسية . . .
الغزل والأسمت والمناجم .

كانت فكرة التأميم التي استولت على جمال عبد الناصر وليدة رغبته في التغيير الاجتماعي ، ونتيجة طبيعية لحركته التجريبية ، مع توفر الجدية والقدرة على الاستفادة والوصول الى نتائج جديدة ٠٠٠ تدفعه الى ذلك طبيعته العسكرية التي يعبر عنها زكريا محيي الدين بقوله (ان جمال عبد الناصر لم يكن فيلسوفا ولكنه كان ثوريا جامحا) .

كانت ارادة جمال عبد الناصر في التغيير أقوى من ان تقف عندها حواجز التقاليد القائمة في المجتمع ، وكان أسلوبه السري في التدبير مازال مسيطرا عليه .

لم يكن جمال عبد الناصر من المعتنقين للفكرة الاشتراكية العلمية مثله مثل كل العسكريين الذين أصبحت السلطة كاملة في ايديهم ، ولكنهم جميعا بالتاكيد كانوا يريدون تغيير المجتمع ، ويريدون أيضا ان يتحرروا من أية سلطة لرأس المال ، بعد ان تحرروا من كل القوى والهيئات والتنظيمات السياسية .

ولكن صلات جمال عبد الناصر الخارجية ، وتركيزه على العمل السياسي ، وجدته في مواجهة المشاكل ، كانت تدفعه دفعا الى اعتناق منهج فكري جديد تؤهله له موهبته ورغبته في التعليم وحسن استماعه .

ولم يكن هناك من سبيل الا الاشتراكية بعد بلورتها واخراجها من غموض الفترة السابقة التي اقترنت فيها بالديموقراطية والتعاوية .

أحد الذين أثروا على تفكير جمال عبد الناصر في هذه الفترة كان جوزيف بروز تيتو الذي تعددت اجتماعاته به ومناقشاته معه ٠٠٠ وكان جمال عبد الناصر خلال هذه الفترة يواصل تبادل الخطابات مع كيندي ٠٠٠ ولكن علاقاته مع خروشوف كانت باردة .

وتطور جمال عبد الناصر في هذه المجال كثيرا عن زملائه من الضباط الذين احاطوا به وكانت نظرتهم ثابتة غير متطورة ٠٠٠ وكان اليساريون أو الاشتراكيون الحقيقيون من الضباط اقلية قبل الثورة ، أما بعدها فقد عزلوا أو أصبحوا اقل نفوذا .

لم يكن هناك يساري واحد مقرب من جمال عبد الناصر خلال هذه الفترة ٠٠٠ يوسف صديق وخالد محيي الدين في المعاش بالمنزل ، وأحمد فؤاد لم يكن مقربا .

ولكن جمال عبد الناصر كان يريد تحطيم الحصار الذي حاولت البرجوازية المصرية أن تفرضه حوله وتقيده به ٠٠٠ فانها لم تكتف

بالاستقرار الذي يثبت الحكم العسكري دعائمه ، وانما ارادت المشاركة
فى السلطة ووقف تدخل الدولة .

ولم يكن هناك من سبيل لتنفيذ ما يبقى سوى السلطة الادارية وحدها
... التنظيم السياسى كان عاجزا عن الحركة وليس فيه كادرات قيادية
واعية ... والاشتراكيون الحقيقيون ما زالوا فى السجون والمعتقلات .

وفجأة ... وبلا أى تمهيد ... ودون حشد للجماهير أو تعبئة
للافكار ... أو محاولة لتحريك التنظيم أخذت وسائل الاعلام من الصحف
واذاعة تصدر بقوانين جديدة .

يخصص ٢٥٪ من أرباح الشركات للموظفين والعمال .

اشراك أربعة أعضاء منتخبين من الموظفين والعمال فى مجالس ادارة
الشركات .

تحديد الحد الأعلى للمرتبات ٥٠٠٠ جنية فى العام .

اقرار الضريبة التصاعدية لتصبح ٩٠٪ على الدخول التى تزيد عن
١٠٠٠٠ جنية .

قانون ١١٧ بتأميم ١٤٩ شركة تتحول أسهمها الى سندات اسمية على
الدولة لمدة ١٥ سنة بفائدة ٤٥٪ ... وكان منها ٧١ بنكا ، ١٧ شركة
تأمين .

قانون ١١٨ باشتراك القطاع العام فى ٩١ شركة بحصة لا تقل عن ٥٠٪
من رأس المال .

قانون ١١٩ بتحديد ملكية الفرد فى الشركات بما لا تزيد قيمته
السوقية عن ١٠.٠٠٠ جنية أو ١٠٠.٠٠٠ ليرة وتؤول الى الدولة ملكية
الأسهم الزائدة .

قانون رقم ١٢٠ تنظيم منشآت تصدير القطن فى الأقاليم الجنوبية
بحيث تأخذ شكل شركة مساهمة عربية لا يقل رأس مالها عن ٢٠٠.٠٠٠
جنية وتشارك فيها احدى المؤسسات العامة بحصة لا تقل عن ٥٠٪ من
رأس المال .

قانون رقم ١٢٣ باسقاط التزام استغلال مرفق النقل العام للركاب
بالترام والترولى باس بمدينة القاهرة على أن يؤول الى مؤسسة النقل
العام بعد نقل كل العمل اليها .

وكذلك قانون ١٢٢ باسقاط التزام شركة لينو (الفرنسية) .

قانون بتعديل بعض أحكام قانون الاصلاح الزراعي ليكون الحد الأقصى للملكية الزراعية ١٠٠ فدان والحد الأقصى للإيجار والانتفاع ٥٠ فدانا .

قانون ١٢٨ بتخفيض الديون الى النصف للمنتفعين بقوانين الاصلاح الزراعي .

قانون ١٢٩ بزيادة الضريبة على العقارات المبنية .

وقرار بقانون بمنع تعيين أى شخص فى أكثر من وظيفة واحدة .

خلال أربعة أيام بدأت من ١٩ يوليو وانتهت يوم الاحتفال بعيد الثورة التاسع كانت قد صدرت كل هذه القوانين التى تمت بطريق الصدمة ، وغيرت من واقع المجتمع ، وتلقاها الناس المستولون والبسطاء كمفاجأة سعدت لها الأغلبية وصدمت منها الأقلية .

سميت هذه القوانين باسم القوانين الاشتراكية .

من هم الذين سيقودون المجتمع بعد هذا التغيير ؟

يقول جمال عبد الناصر فى مناقشات اللجنة التحضيرية (من الذى سيقوم بالقيادة ؟ ٠٠٠ عندما نقول اشتراكية لا بد لها من اشتراكيين . . . أنا أريد للاشتراكية اناسا لا هم رجعيون ولا هم رأسماليون مستغلون) . جمال عبد الناصر يريد ان يعزل الرجعيين والرأسماليين . . . ولكنه لا يريد التعاون مع الاشتراكيين الحقيقيين . . . انه لا يريد للاشتراكية كادرا من الاشتراكيين ، ولكنه يكتفى بالقائمين على السلطة .

الاتحاد القومى ما زال هو التنظيم السياسى . . . وكمال الدين حسين ما زال هو المشرف العام المشجع لصدور هذه القوانين والمؤيد لها فى مؤتمرات الاتحاد ، رغم انها لا تتجاوب تماما مع أفكاره ومعتقداته . . . وكثيرا ما جاب المحافظات يدافع عنها ويروج لها .

لأشئ يتغير فى الفئة الحاكمة .

كل مسئول فى موضعه . . . الوزراء والمحافظون . . . وفيض جديد من رؤساء مجالس الادارة والمديرين . . . أغلبيتهم العظمى بعيدة تماما عن الفهم الصحيح أو الاقتناع بالاشتراكية ، ونسبة العسكريين فيهم ما زالت واضحة . . . فتح مجال هائل للترقية أمام التكنوقراط والبرجوازية الصغيرة .

الاشتراكية يبدأ تطبيقها بالمجموعة الحاكمة المسيطر عليها العسكريون
... والاشتراكيون الحقيقيون في معتقل الوادي الجديد يرسلون بقرقيات
التأييد لجمال عبد الناصر على خطوته الثورية التقدمية .

معتقدات الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني تعتقد في ان قيادة
عبد الناصر وطنية وفي تحالف مع القوى العاملة .. على غير ما كان ينادى
به البعض من انه يمثل البرجوازية الاحتكارية المتحركة في خدمة
الامبريالية .

وتحول المدبرون والمسئولون فجأة الى اشتراكيين ... غبروا أفكارهم
كما يغيرون ثيابهم .

وتماذى بعضهم في محاولة الظهور بمظهر اشتراكي عن طريق
التطرف والمغالاة .

والاتحاد القومي ما زال هو التنظيم المساند للتغير الحداثى فى
المجتمع مهتديا بفكرة المصالحة بين الطبقات ... (السلام والتعاون بين
الطبقات قد تحقق لأول مرة فى التاريخ) هكذا قال جمال عبد الناصر فى
يوليو ١٩٦١ .

الصراع الطبقي ما زال مرفوضا .

وهنا يحق لنا ان نتساءل عن العلاقة بين الانقلابات العسكرية فى
الدول النامية وما اذا كانت تستهدف الاستيلاء على ثمار الحركات الشعبية
المساعدة لمنع الوصول الى حرب طبقية ... وما اذا كانت القوانين
والاصلاحات الاجتماعية تتم بوساطة السلطة العسكرية لتفادى وصول
الصراع الطبقي الى نقطة الانفجار .

رغم هذه القوانين التى تهدم سلطة البرجوازية الكبيرة ، فان الطبقة
الحاكمة لا تريد تفجير الصراع الطبقي لانها بدأت تعبر فعلا عن واقع
البرجوازية الصغيرة التى أخذت تنمو وتتدعم ... وتفجير الصراع الطبقي
سوف يغلب فرصة الطبقة العاملة النامية والمتعاونة مع الفلاحين فى تحقيق
اهدافهم لمنع الاستغلال نهائيا ، والتعبير عن أنفسهم بالمشاركة فى السلطة
القائمة .

النقد الذاتى .. متأخرا

ولكن السلام والتعاون بين الطبقات لا يهدم ... والذين صودرت
ممتلكاتهم وخفضت أرباحهم تحولوا الى اعداء متربصين .

ولم يطل الأمر بهم كثيرا ٠٠٠ بعد شهرين فقط من صدور هذه القوانين وبداية تطبيقها في مصر وسوريا ، حدث الانفصال الذي فرق الجمهورية العربية المتحدة .

رئيس الوزراء الذي تولى الحكم بعد الانفصال ٠٠٠ مأمون الكزبري كان أمينا للاتحاد القومي في دمشق .

ليس هذا فقط بل انه كان متهما فيما عرف باسم قضية (الدندشي) التي اعترف فيها بمن أخذوا نقودا لتدبير انقلاب قبل الوحدة وفي مقدمتهم مأمون الكزبري وصبري العسلي .

ولكن جمال عبد الناصر الذي كان بريق الوحدة يستهويه ويتصور انه سوف يفتح صفحة جديدة للقومية العربية خالية من التحركات والانقلابات الرجعية ، رفض محاكمة الكزبري والعسلي وأخذ على حد قوله في مناقشات اللجنة التحضيرية بعد ذلك بمبدأ (عفا الله عما سلف) .

كانت القومية تمارس تأثيرا كبيرا على أوساط القيادة العسكرية ٠٠٠ ولكنها لم تؤخذ كمحركة تقدمية تستهدف تغيير المجتمع وتحرير الطبقات المستغلة ، وانما وجدت فيها البرجوازية فرصة لهيمنة نظرياتها الإصلاحية ، وخداع الفئات المتخلفة سياسيا ، ودعم الأوهام القائلة ان السلطة تروى (مصالح الأمة بأسرها) .

واستكان مأمون الكزبري عندما كانت الوحدة توفر للبرجوازية استقرارا مناسباً للنمو ومزيداً من الربح ، ولكن عندما صدرت القوانين الاشتراكية انتهى دور العسكريين المصريين في دعم الفرصة للبرجوازية وتحركت المؤامرة للانفصال ، بمن سبق لهم ان تأمروا للانقلاب قبل الوحدة .

واقعة الانفصال كانت ضياعاً لأمال جمال عبد الناصر الذي عشق سوريا ، وكانت صدمة لأفكاره أيضاً التي خيلت له انه يمكن ان يمضي في مسيرته مهما أصدر من قوانين بالسلام والتعاون بين الطبقات .

القوى الانفصالية في سوريا هاجمت القرارات الاشتراكية وجمال عبد الناصر قال للشباب العرب يوم ٢ أكتوبر ١٩٦١ (أخطانا أولاً في أمنا آمننا الى الرجعية وخلصنا بالرجعية ٠٠٠ وأخطانا أيضاً في اننا هادنا الرجعية العربية) .

وحدد الأخطاء التي وقع فيها في خطاب عام للشعب يوم ١٦ أكتوبر ١٩٦١ .

أولا ٠٠٠ رفض مصالحة الاستعمار مع خطأ المصالحة مع الرجعية .
وتغيرت لهجة الحديث وقال عبد الناصر (لا بد لنا أن نقاتل
الاستعمار في قصور الرجعية) .

ثانيا ٠٠٠ عدم كفاية التنظيم الشعبى .

ثم يتحدث عن (إعادة التنظيم الشعبى ليكون الاتحاد القومى اداة
ثورية للجماهير الوطنية وحدها صاحبة الحق والمصلحة فى التغيير
الثورى) ٠٠٠ ما زال الاتحاد القومى هو التنظيم القائم .

ثالثا ٠٠٠ عدم بذل الجهد الكافى فى توعية الجماهير الواسعة
بحقوقها .

واجاب على القائلين بأن الجيل تحمل مسئوليات فى النضال تنوء بها
اجيال بقوله (اذا توقفت الثورة الشعبىة قبل بلوغ أهدافها فانها لا بد
وان تنتكس) . وكان هذا تطورا فى رأيه بعدما أعلنه فى ٢٣ ديسمبر ١٩٥٩
فى بورسعيد عند الحديث عن خلافه مع الشيوعية من القول بأنه لا يريد
أن يتحمل جيلنا كل تضحيات بناء الاشتراكية .

رابعا ٠٠٠ استمرار العمل بنظم ولوائح قديمة مما سلب من الجهاز
الحكومى القدرة الكاملة على أن يكون من أدوات الثورة .

خامسا ٠٠٠ وجود ثغرات كثيرة لتسرب الانتهازيين (لقد كان الثمن
الذى دفعناه غاليا لتسلل بعض العناصر الانتهازية ٠٠٠ فان بعض العناصر
المؤمنة وجدت نفسها مرغمة على اتخاذ موقف سلبي ضد الحركة النضال
الشعبى) .

كانت أفكار عبد الناصر قد تطورت فى مواجهة الواقع بمرونتها
التجريبية .

أصبح التغيير حتميا .

الحركة الانفصالية أثبتت لجمال عبد الناصر ان هناك مسافة طويلة
بينه كثنائى وبين أن يصبح حاكما فى نظام مستقر لا تهدده الانقلابات .
وأثبتت له أيضا ان القوانين الاشتراكية كانت بذورا صالحة للثبات
فى أرض غير مهيأة ، وليس هناك من يرعاها لتنمو وتثمر .

وبدأت حملة جديدة من الاعتقالات ٠٠٠ فؤاد سراج الدين وإبراهيم
فرج و ٩٨ من السياسيين القدامى ظلوا فى سجون القلعة حتى فبراير
١٩٦٢ .

كانت الاعتقالات هي الاجراء الادارى الأسهل لمقاومة الرجعيين دون محاولة جادة للسير في الطريق الصعب بتصفية الرجعية فكريا واعداد تنظيم قوى قادرة على حماية القوانين الاشتراكية ، خاصة وان ثلثي الاقتصاد المصرى ظل فى يد القطاع الخاص ٧٩ ٠٠٠ ٪ من التجارة ، ٦٧ ٪ من المباني ، ٥٦ ٪ من الصناعة عموما ٠٠٠ وأكثر من نصف عمال مصر يعملون فى القطاع الخاص (٥٧ ٪ فى الزراعة والمباني) .

وفى هذه الفترة تمت بعض الافراجات المحدودة للمعتقلين الشيوعيين ، واليساريين ، دكتور لويس عوض ، سعيد خيال ، لطفى الخولى وغيرهم . ولكن أغلبيتهم العظمى ظلت خلف جدران معتقلات الوادى الجديد .

ديموقراطية ٠٠ فى لجنة

وبعد شهرين تقريبا من الانفصال ، عقد فى ٢٥ نوفمبر الاجتماع الأول للجنة التحضيرية للمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية ٠٠٠ وهى لجنة معينة والبرلمان لم يعد قائما .

تشكلت اللجنة من ٢٦٠ عضوا بينهم ٥٥ من العسكريين ولو انهم فى مراكز مدنية ، الى جانب الوزراء والمحافظين كان هناك ٣٩ من أساتذة الجامعات ، ٢١ من ممثلى العمال ، ١٩ من سكرتيرى الجمعيات التعاونية . للاصلاح الزراعى ممثلين عن قطاع الزراعة وليس بينهم فلاح يعمل بيده ، ٧ من رجال الصحافة والاعلام ، ١١ سيدة .

لم يكن فى اللجنة شيوعى واحد لأنهم كانوا فى المعتقلات ولم يكن فيها أحد من رجال الأحزاب السابقين ، كما لم يكن فيها عضو واحد من الاخوان الذين كانوا ينفذون أحكام السجن الصادرة بحقهم من محاكم الشعب والثورة .

عين أنور السادات أمينا عاما للجنة . وعبد السلام بدوى سكرتيرا . عاما لها ، وهو أحد الضباط أيضا .

وبدأ جمال عبد الناصر يلمس نواحي الضعف فى المجتمع ويصارع بها المجتمعين من أعضاء اللجنة .

تضاعف عدد الذين يربحون أكثر من ١٠٠٠٠ جنية فى العام . مليونير يسدد فى عام واحد مبلغ ٣ مليون جنية كان مدينا بهاء للحكومة .

الجامعات تدرس نظرية آدم سميث فى الاقتصاد الحر بينما تصدر القوانين الاشتراكية .

رأس المال الأجنبي الذى دخل مصر للاستثمار من عام ١٩٥٢ حتى عام ١٩٦١ ٨٧٠٠٠٠٠٠ جنيه فقط ٠٠٠ ثم يفسر تفضيله للقروض الأجنبية غير المشروطة فيما عدا الصناعات التى تحتاج الى أبحاث مثل البترول والأدوية .

المعونات ٠٠٠ ثم القروض غير المشروطة ٠٠٠ ثم الاستثمارات الأجنبية .

كانت اجتماعات اللجنة التحضيرية تذاع على الهواء وشاشة التليفزيون مباشرة ، المناقشات فيها عامرة بالحيوية ٠٠٠ الآراء تعبر عن أصحابها وتظهر الاتجاهات الفكرية العميقة والضحلة ، الصادقة والمنافقة .

صدرت التعليمات بأن ينشر كل شيء على الشعب ٠٠٠ لا تحذف كلمة واحدة مما يقال ، حتى تتبين ردود الفعل كاملة .

الديموقراطية تستهوى الشعب ٠٠ وصدور الناس تريد ان تعبر عما فيها .

خالد محمد خالد يطالب بالديموقراطية ٠٠٠ ومحمد فؤاد جلال يتعرض له مطالبا بعدم اعطاء الحرية لأعداء الشعب قائلا (ربما كان من الأخطاء التى حدثت ان الثورة احتوت جميع العناصر ولم تقص عن محيط العاملين أولئك الذين كان يجب ان يقصوا) .

وخالد يرد (أعلم ان قبل الثورة كان ثمة حياة سياسية تنطوى على كثير من الفساد ، ولكنى أعلم أيضا ان هذه الحياة السياسية كانت تنطوى على كثير من الجهد والعمل الطيب ، أنا ابن هذا الشعب وثورة ٢٣ يوليو وليدة هذا الشعب) .

الدكتور عبد الفتاح اسماعيل وكيل وزارة التعليم العالى يقول (اننا كنا شعبا من العبيد) ٠٠٠ وجمال عبد الناصر يصحح له كلمته .

ويرد جمال عبد الناصر أيضا على خالد محمد خالد مظهرا مسئولية رجال الثورة فى حماية الشعب من أعدائه ، دافعا عنها شبهة الظلم .

الحديث صريح عن محاكمات الاخوان ٠٠٠ يتساءل جمال عبد الناصر (هل حاكمناهم افتراء ؟ أم لأنه كان يوجد جيش مسلح للانقضاض على هذا الشعب . ألم يحدث هذا فى سنة ١٩٥٤ ؟ هل بدأنا بالعدوان ؟ وهل تركناهم فى السجون ؟ خرجوا من السجون واكثرهم أفرج عنه قبل أن تنتهى مدة العقوبة ، واكثرهم ممن كانوا فى وظائف وفصلوا وضع لهم قانون خاص بأن يعودوا الى وظائفهم ٠٠٠ هذا هو العدل الذى كنا نتبعه ، ونسير عليه) .

والحديث صريح أيضا عن الموقف من الشيوعيين ، وجمال عبد الناصر يقول (نحن لسنا ضد الماركسية أبدا بأي حال من الأحوال ولا ضد اليسار بل أننا ضد أخذ تعليمات من دول أجنبية ، وأي شخص يأخذ تعليمات من دولة أجنبية خائن لهذا الوطن) ويستطرد (يوجد شيوعيون طلقاء وأنت تعرف ذلك ولكنهم لا يأخذون تعليمات من دول أجنبية ٠٠٠ فالحزب الشيوعي المصري يأخذ تعليمات من صوفيا ، وقيادته موجودة في صوفيا ويأخذ تعليمات من بلغاريا ٠٠٠ قلت هذا الكلام وقلت إن هؤلاء عملاء ولا يمكن أن أترك للعملاء سبيلا لكي يفرروا بالشعب) .

في بداية الثورة قال جمال عبد الناصر (انهم كانوا يتلقون التعليمات من الحزب الشيوعي الايطالى) .

موقف العداء من الشيوعيين ما زال مستمرا والاتهام الظالم بالعمالة ما زال هو السند في أسلوب القهر والابعاد ، رغم اراصات الاشتراكية التي ظهرت في كلمات كثير من المتحدثين في اللجنة .

وخالد محمد خالد ما زال يحاور دفاعا عن الديمقراطية ، وجمال عبد الناصر يرفض فكرة تشكيل الأحزاب لأنها تعبير عن مصالح اجتماعية متنافرة لا يريد لها أن تجمع الى اليمين الرجعي أو اليسار الشيوعي .

ويعاود خالد محمد خالد حديثه عن الديمقراطية قائلا انها الاشتراكية شيء واحد لأن الاقتصاد لا ينفصل عن السياسة بل يؤثر فيها ويحركها ٠٠٠ ويبرر قوله بشعار ماوتسى تونج (دعوا الأزهار جميعها تتفتح) ويقول ان هناك أحزابا أخرى غير الحزب الشيوعي في الصين .

ويستمر الحوار مفتوحا ، ولكن يتغيب عن الاجتماعات منذ الجلسة السادسة التي عقدت في ٤ ديسمبر المشير عبد الحكيم عامر وهي نفس الجلسة التي تغيب فيها جمال عبد الناصر أيضا عن الحضور ٠٠٠ ومع الجلسة التاسعة بدأ تغيب أعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين جميعا ، وارتفع عدد المعتذرين الى ٦٧ عضوا ، واستمر الحال كذلك حتى انتهت اجتماعات اللجنة بعد ١٨ جلسة انتهت في ٣١ ديسمبر ١٩٦١ .

الآراء المتشعبة التي طرخت في اجتماعات اللجنة كانت بداية لتغيرات جذرية في الحياة السياسية المصرية .

الاتحاد القومي بدأ يعد لاجتماع المؤتمر الوطني للقوى الشعبية ٠٠٠ المؤتمر له أمينان عامان (سكرتيران) أنور السادات الأمين العام السابق للاتحاد القومي والأمين العام للجنة التحضيرية ٠٠٠ وكمال الدين حسين المشرف على الاتحاد القومي .

وفي الجلسة الأولى التي عقدت يوم ٢١ مايو ١٩٦٢ جلس أنور السادات على يمين جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين على يساره . . . وكان ترتيب أعضاء مجلس قيادة الثورة قد تحدد بأقدمية الرتب العسكرية السابقة ، ولكن تعيين أنور السادات أميناً أولاً كان إيذاناً بانتهاء دور كمال الدين حسين في التنظيم السياسي كما حدث مع إبراهيم الطحاوي في هيئة التحرير .

كانت انتخابات أعضاء المؤتمر قد تمت على مراحل تبعاً للفئات المختلفة ، بدأت يوم ٥ فبراير ١٩٦٢ وانتهت يوم ٢٤ فبراير ١٩٦٢ .

وتشكل المؤتمر من ١٥٠٠ عضو منهم ٣٧٩ يمثلون الفلاحين ، ٣١٠ يمثلون العمال ، ١٥٠ من الرأسمالية الوطنية ، ٢٩٣ من النقابات المهنية ، ١٣٥ موظفاً ، ٢٣ سيدة ، ١٠٥ من أساتذة ومدرسي الجامعات والمعاهد العليا ، ١٠٥ طلاب من القسم الثانوي والجامعات يضاف إليهم أعضاء اللجنة التحضيرية .

تولى مدير هيئة السكرتارية عبد المجيد شديد مدير مكتب المشرف العام كمال حسين .

الميثاق . . والاتحاد الاشتراكي

قدم جمال عبد الناصر إلى المؤتمر الوطني للقرى الشعبية وثيقتين . . . الميثاق وقانون الاتحاد الاشتراكي العربي .

وكان جمال عبد الناصر قد طلب إلى عدد من زملائه أعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين إعداد مشروع للميثاق حسب ما يتصورون . . . واجتهد بعضهم في صياغة أفكاره وتقديمها إليه مثل عبد اللطيف البغدادي كما قل لي .

وقد جمع جمال عبد الناصر هذه المشاريع وأضاف إليها أفكاره ومناقشات اللجنة التحضيرية وعكف على دراستها وتبويبها وعهد إلى محمد حسنين هيكل بصياغتها في الصورة التي عرفت باسم (الميثاق) وقدمت للمؤتمر .

كان الميثاق أول دليل عمل مكتوب تستند إليه الفئة الحاكمة في توضيح موقفها السياسي والاجتماعي . . . والمناقشات التي دارت حوله في المؤتمر كانت مطلقة السراح وانتهت الأمور إلى تشكيل لجنة من مائة عضو تولت الرد على مشروع الميثاق .

اختارت اللجنة الدكتور حسين خلاف مقرا للجنة صياغة الرد ولكن كمال الدين حسين تدخل وفرض الدكتور سليمان حزين رئيسا للجنة الصياغة .

وحرص كمال الدين حسين وصلاح دسوقي على الجلوس مع مجموعات من أعضاء اللجنة لمناقشتهم عن رد فعل الميثاق في نفوسهم بعد قراءة عبد الناصر له واستدعى بعض أعضاء اللجنة أيضا الى استراحة الهرم لمناقشة تقرير اللجنة كما ذكر لي أحمد بهاء الدين .

دارت مناقشات اللجنة في فرعيات مختلفة ، واعترض الدكتور محمد لبيب شفيق والدكتور رمزي استينو عضوا اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي فيما بعد على فقرتين هما الاشتراكية العلمية والنقد الذاتي .

وجاء تقرير اللجنة مختلفا عن الميثاق . . . لم يقرن لفظة العلمية بالاشتراكية التي أطلق عليها اسم (الاشتراكية العربية) رغم عدم ورود ذلك في الميثاق .

وتفول بعض فقرات التقرير :

(في مجتمعنا الاشتراكي يعتبر العمل أساسا لتقرير مكان الفرد في المجتمع وما دام الأفراد لابد وان يتفاوتوا في الاستعداد والنشاط فان النتيجة المنطقية لذلك ان يتفاوتوا فيما يحققون من نتائج) .

يوحى ذلك باتاحة الفرصة لنشاط الفرد في الاستثمار والربح .

ويقول التقرير أيضا :

(ان تدويب الفوارق بين الطبقات هو البديل السلمي لما نرفض الأخذ به من الصدام الدموي بين الطبقات) .

وكان ذلك ابتعادا عما ورد في الميثاق من القول بضرورة ازالة الطبقة المستغلة (ولكن ازالة هذا التصادم بازالة الطبقة التي فرضت الاستغلال توفر امكانية السعي الى تدويب الفوارق بين الطبقات سلميا) .

وفي كلمات . . جدد التقرير سمات الاشتراكية العربية بهذه الكلمات (انتهى التطبيق الاشتراكي في بلادنا الى اقامة اشتراكية عربية متميزة فهي تؤمن بالله وبرسالته وبالقيم الدينية والخلقية) .

المحاولة مستمرة للفصل بين حق الانسان في الاشتراكية وبين حرية اختياره لرسالة الدينية التي يؤمن بها .

تقرير اللجنة يعرض على المؤتمر ولكنه لا يناقش ... اقتراح من ٥٥٠ عضواً بقبوله دون مناقشة وكان ذلك ايذاناً بقبول الميثاق ... وعلنا عن وجود خلاف فكري بين جمال عبد الناصر من جهة وكمال الدين حسين الذي احتضن مشروع لجنة المائة من جهة أخرى .

وقف الأمينان العامان والأعضاء جميعاً عند قراءة كلمات اعلان الميثاق .

وجاءت الوثيقة الثانية ... قانون الاتحاد الاشتراكي العربي ... الاسم الجديد للتنظيم السياسي بدلا من الاتحاد القومي .

فوض المؤتمر جمال عبد الناصر في تشكيل لجنة تنفيذية عليا مؤقتة للاتحاد الاشتراكي تقوم باعداد القرارات واتخاذ الخطوات لتكوين مؤتمرات الاتحاد الاشتراكي ولجانه التنفيذية ... ولكنه لم يصدر قرار بتشكيلها .

وكان أول قرار هو تشكيل أمانة عامة للاتحاد الاشتراكي العربي من أنور السادات وحسين الشافعي وكمال الدين حسين وحسن ابراهيم وعلى صبرى والدكتور نور الدين طراف والمهندس أحمد عبده الشرباصي وكمال الدين رفعت وعباس رضوان والدكتور محمد عبد القادر حاتم ومحمد طلعت خيرى وأنور سلامة .

ولكن عقب زيارة جمال عبد الناصر لبيروت سعيد يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٦٢ جمع اللجنة العامة وقال انه أثناء هذه الزيارة شاهد الشعب كله يخرج مرحباً ، وأثقلت هذه الصورة صدره وجعلته يتساءل بمن يختار للاتحاد الاشتراكي وعمن يترك .

وقل لهم جمال عبد الناصر (انى أطرح هذه القضية عليكم وأريد سماع رأى كل واحد منكم) .

كان يجبر كل واحد من الحاضرين على الكلام حتى ولو لم يكن عنده رأى جديد .

واستمرت المناقشة ثلاث جنسات متصلة ، وانتهت الى الغاء مبدأ الاختيار للتنظيم والاكتفاء بالاستبعاد .

فتحت الأبواب لدخول التنظيم في أول يناير ١٩٦٣ وبلغ عدد الذين قيدوا أنفسهم ٩٣٣ و٨٨٥ شخصاً في ٢٠ يوماً ... وكان هذا دافعا الى ترجيح وتأكيد الرأى بالاستبعاد دون الاختيار .

وصدرت كشوف الاستبعاد لمن سبق ان اعتقلوا أو حددت اقامتهم أو أمست لهم أموال تزيد على عشرة آلاف جنيه ، أو أذانت التقارير سلوكهم

قوة يوليو ج ١ - ٥٤٧

... وكان معنى ذلك استبعاد كل أفراد القوى السياسية القديمة ،
والأخوان المسلمين والشيوعيين ، والاقتصار على الذين بدأت اهتماماتهم
السياسية بعد الثورة .

ثم استتنت اللجنة التنفيذية العليا من هذه الأسماء سبع فئات ...
الضباط الذين اشتركوا في ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وأعضاء هيئات
التدريس في الجامعات والمعاهد العليا والمدرسين والنظار والصحفيين
والمنتسبين لأجهزة الاعلام وأعضاء مجالس النقابات العمالية والمهنية وأعضاء
اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطني للقوى الشعبية وأعضاء المؤتمر ، ومن
طبقت في شأنهم قرارات اشتراكية بما لا يزيد عن ١٠٠٠ جنيه .

ولم يعد هناك فارق كبير من الناحية التنظيمية بين الاتحاد الاشتراكي
والاتحاد القومي ... تكوين التنظيم من مركز السلطة دفع الجماهير الى
الانضمام اليه بالملايين دون تفرقة بين المقتنعين بالتغيير الاجتماعي وأصحاب
المصلحة الحقيقية فيه ، وبين المنضمين اليه تملقا وتقربا من مراكز النفوذ .

وكما كان الاتحاد القومي خاضعا لنفوذ العسكريين كان الاتحاد
الاشتراكي أيضا كما هو واضح في تشكيل الأمانة (٩ ضباط ، ٣ مدنيين) .

ولكن الفرق مع ذلك كان موجودا بين الاتحاد القومي والاتحاد
الاشتراكي ... ففي الاتحاد القومي لم يكن هناك تنظيم هرمي بالمعنى
المعروف ، ولم تكن هناك صلات تنظيمية ثابتة ، وكذا الاعتماد سائدا على
كثير من الشخصيات ذات النشاط أو المركز الاجتماعي المرموق ، دون
اهتمام بالتفكير السياسي .

ولكن مع الاتحاد الاشتراكي خلق حد أدنى من الانضباط التنظيمي ،
وصورة هيكل محدود لبناء تنظيمي .

ولا شك ان الميثاق قد أضاف للاتحاد الاشتراكي قوة دافعة فقد
كان هناك مرجع يرجع اليه المسئولون في الاتحاد ، ويلتزم به أعضاء
القيادات المختلفة ، رغم امكانية تباين وجهات النظر في تفسير الميثاق .

ولا شك أيضا ان القيادات التي عينت في الاتحاد الاشتراكي سواء
اللجنة التنفيذية أو الأمانة العامة وفي المحافظات قد استفادت من الاتصال
بالجماهير وخاصة العسكريين الذين استفادوا وتطوروا بالتاكيد من اللقاء
مع الشعب في مواقع العمل والسكن ، وذاب من بعضهم قساع الجمود
والتزمت .

وتعتبر هذه المحاولة الجادة لوضع وثيقة فكرية وتكوين تنظيم
جماهيرى ... خطوة إيجابية هامة تظهر ان ضباط الجيش في مركز السلطة

تمت قيادة رجل توفرت له قدرات وإخلاص عبد الناصر يمكن ان يجعلوا من تدخل الجيش فى السياسة حركة تنتهى الى ثورة فعلا .

لقد وجد ولا يزال يوجد من يقفون موقف الرفض والعداء لاي نوع من أنواع تدخل الجيش فى الحياة السياسية ، ويعتبرون أن مثل هذا التدخل من العسكريين عمل رجعى خالص وهم يطلقون على هذا الاتجاه فى أمريكا اللاتينية اسم (العقلية المدنية) أى التمسك بالأسياب والمظاهر المدنية فى الحكم .

ولكن البروفيسور كوسوك الأستاذ بجامعة كزل ماركس فى لايبزج بألمانيا الديمقراطية يقول (يهمل أنصار هذا المذهب من ممثلى الأوساط البرجوازية اليمينية عن قصد الجانب الطبقي لقضية الحكم ، ويجعلون شكل الحكم مسألة مطلقة) .

جمال عبد الناصر فى محاولته لتقديم دليل على ثورته الجديدة ، وإقامة تنظيم جماهيرى يؤمن بالتحول الاشتراكى كان يغير تغييرا حقيقيا فى طبيعة حكم العسكريين ، ويضرب مثلا بإمكانية تواجد قادة وطنيين تقدميين يستطيعون أن يسايروا رغبات الشعب من صفوف الجيش .

وكان يحاول بهذا التنظيم أيضا خلق الثوب العسكرى عن جهاز الحكم حتى يكسب أيضا أصحاب (العقلية المدنية) ويبنى مجتمع جمال عبد الناصر على ثياب مدنية .

ومن دلائل اهتمام جمال عبد الناصر بهذا التنظيم الوليد تعيين زكريا محيى الدين مسئولاً عن محافظة القاهرة وحسن إبراهيم مسئولاً عن محافظة الاسكندرية وكمال رفعت مسئولاً عن محافظة الجيزة وهى مراكز التجمع الرئيسية فى مصر .

قال لى حسن إبراهيم انه قد شكل شبكة تنظيمية فى الاسكندرية تضم أفضل العناصر - حسب رأيه - وكانوا جميعاً من الذين استطاع الميثاق ان يقرب وجهات النظر بينهم وفى ذلك يقول حسن إبراهيم انه وافق على القرارات الاشتراكية بلا تحفظ عندما عرضها جمال عبد الناصر عليه باعتبارها اجراء تأمينيا للثورة .

الجوهر الرئيسى الذى استند اليه جمال عبد الناصر فى وثيقته الفكرية هى تحديد القوى الاجتماعية التى يضمها تحالف واحد وهم العمال والفلاحون والمثقفون والجنود والرأسمالية الوطنية وهى قوى وفئات يمكن بتدالفهما فعلا ان تعبر مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية .

وخارج هذا التحالف بقيت العناصر الاقطاعية والبرجوازية الكبيرة التي طبقت القرارات الاشتراكية ٠٠٠ وكان هذا الاجراء كفيلا - الى حد ما - بابعاد الرجعية عن المشاركة الايجابية في الحياة السياسية ٠٠٠ ولكنه لم يكن كافيا لأن تلعب الطبقات والفئات المشتركة في التحالف دورها القيادي الطبيعي .

والدستور المصرى المؤقت الصادر فى ٢٥ مايو ١٩٦٤ نص لأول مرة فى تاريخ الدساتير المصرية على ان (الجمهورية العربية المتحدة دولة ديمقراطية تقوم على تحالف قوى الشعب العامل) كما سجلت المادة التاسعة منه (ان النظام الاقتصادى للدولة هو النظام الاشتراكى) .
وهكذا تحدد اتجاه النظام ٠٠٠ لبناء مجتمع جديد .

الفصل الثامن

فى كواليس القيادة

(كانت كواليس القيادة مليئة بالتناقضات
والخلافات الشخصية ، ولكنها كانت محجوبة
عن الجماهير بسطار كثيف) •

شكل نظام الحكم تغييرا أيضا بعد صدور الميثاق ... صدر اعلان
دستورى فى ٢٧ سبتمبر ١٩٦٢ بتشكيل مجلس رئاسة من جمال
عبد الناصر رئيسا وعضوية عبد الطيف البغدادي وعبد الحكيم عامر
وزكريا محيى الدين وحسين الشافعى وكمال الدين حسين نواب رئيس
الجمهورية وأنور السادات وحسن ابراهيم وعلى صبرى (رئيس المجلس
التنفيذى) والدكتور نور الدين طراف والمهندس أحمد عبده الشرباصى
وكمال الدين رفعت (عشرة عسكريين ومدنيين) •

كانت هذه الخطوة تغييرا واضحا فى أسلوب الحكم ونقطة تحول
بارزة فى اتجاه جمال عبد الناصر فقد تولى رئاسة المجلس التنفيذى أى
مجلس الوزراء على صبرى وهو ضابط من خارج مجلس قيادة الثورة كان
يعمل مديرا لمكتبه لمدة سنوات طويلة بدلا من كمال الدين حسين وكانت
هذه علامة واضحة على رغبته فى تركيز الحكم بين يديه •

عين حسين الشافعى أمينا للانحد الاشتراكي ، وانتهت بنهاية الاتحاد
القومى مسئولية كمال الدين حسين فى التنظيم السياسى أيضا •

وفي بداية هذا العام ٠٠٠ فبراير ١٩٦٢ فقد مجلس قيادة الثورة
عضوا بارزا من أعضائه ٠٠٠ صلاح سالم رئيس مجلس إدارة دار التحرير ،
الذي كان قد اعتنق الأفكار الاشتراكية ، وخاصة بعد زيارته للاتحاد
السوفييتي ومقابلته لخروشوف في نوفمبر ١٩٥٩ ، وهي الزيارة التي
صحبتة فيها ونشر بعدها حديثه الشهير ٠٠٠

مات صلاح سالم بعد مرض عضال تعذب فيه كثيرا ، وعلى فراش
الموت قال لجمال عبد الناصر الذي كان يواظب على زيارته بمستشفى
القوات الجوية بالعباسية انه قد تأثر بالأفكار الماركسية وذلك حسب
رواية خالد محيي الدين الذي كان قد أنشأ معه هو ومجدي حسنين
- والاثنان كانا قد أصبحا عضوين في المجلس المصري للسلام - علاقة
وثيقة شاركهما فيها بعض كتاب الجمهورية مثل الدكتور محمد مندور
والدكتور لويس عوض .

كانت جنازة صلاح سالم شعبية لم تشهد لها القاهرة مثيلا حتى
ذلك الوقت واختلط فيها الوزراء والمسؤولون مع بسطاء الناس .

تشكيل مجلس الرئاسة تم من الأعضاء غير المستقلين أو المبعدين
الذين كانوا يمارسون أعمالا إدارية أو تنفيذية - ٨ أعضاء من ١٣ عضوا
هم أصل مجلس القيادة الذين كانوا يمارسون أعمالا إدارية وتنفيذية .

كان مجلس الرئاسة محاولة للقيادة الجماعية بعد انفصال سوريا
على حد تعبير جمال عبد الناصر .

يقول زكريا محيي الدين ان المجلس في جلساته الأولى بدأ البحث
في اختصاصاته ٠٠ وبدأ البحث أيضا في الحد من سلطات المشير
عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة بالنسبة للنواحي العسكرية
بعد تجربة ١٩٥٦ ، وبعد ما حدث في الانفصال عندما كان موجودا في
دمشق ومع سلطات رئيس الجمهورية ومع ذلك وقع الانفصال من ضباط
في مكتبه ، وهو هناك عاجز عن التصرف أو تغيير دفة الانفصاليين رغم
تطعيمه لمعظم المراكز الجساسة بضباط مصريين من المقربين اليه كما
سيأتي تفصيلا فيما بعد .

ويقول عبد اللطيف البغدادي ان جمال عبد الناصر هو الذي أعد
قرار تحديد اختصاصات المشير عبد الحكيم عامر بما يجعل سلطة تعيين
قادة الوحدات في القوات المسلحة من مسئولية مجلس الرئاسة وليس
مسئولية المشير .

أعد جمال عبد الناصر المشروع ولكنه لم يحضر الجلسة التي تولى
رئاستها عبد اللطيف البغدادي بحكم منصبه وأقدميته ٠٠٠ وعندما عرض

المشروع طلب المشير عامر تأجيل نظره وأيده في ذلك كمال الدين حسين فقط الذي كُن قد بدأ يقترب من دائرة الظل ، ويبتعد عن مناصبه التي شملت في وقت واحد (رئيس المجلس التنفيذي ، والمشير العام على الاتحاد القومي ، ووزير الادارة المحلية ، ورئيس المجلس الأعلى للعلوم ، ورئيس المجلس الأعلى للفنون والآداب ، ورئيس المجلس القومي للبحوث ، ونقيب المعلمين ، ورئيس المجلس الأعلى للجامعات ، ورئيس المصاهد القومية) (تسعة مناصب في وقت واحد) .

الأغلبية وافقت على القرار وأصدرته ٠٠٠ وخرج المشير عبد الحكيم عامر بغاضبا من الاجتماع ٠٠٠ كتب استقالته وسافر الى مرسى مطروح دون أن يبلغ أحدا من زقلائه .

كانت استقالة المشير عبد الحكيم عامر تطالب بتكوين حزبين مع اعطاء الحرية للصحافة وللجناهير .

وكان مضمون الاستقالة متناقضا مع موافقة المشير الكاملة على الميثاق وقانون الاتحاد الاشتراكي وعدم ابدائه أية معارضة أثناء المناقشة بسواء في جلسات عبد الناصر الخاصة أو في الجلسات العامة .

هزت الاستقالة جمال عبد الناصر فلم يكن يتوقع من عبد الحكيم عامر أن يتصرف بمثل هذا التصرف . خاصة وان قادة القوات البرية والبحرية والجوية وبعض كبار القادة قدموا استقالاتهم أيضا .

وكان جمال عبد الناصر حريصا على تماسك الجيش وعدم حدوث أي اهتزاز فيه ٠٠٠ فقدد موقفه بين قبول الاستقالة ومعالجة أمور الجيش على أسس جديدة تماما ، أو رفض الاستقالة والاحتفاظ بعامر مع احتمال ما يسببه ذلك من جفاء مع أعضاء مجلس الرئاسة ، وخاصة عبد اللطيف البغدادي .

واختار جمال عبد الناصر الحل الثاني ، وقرر رفض الاستقالة .

وبعد بحث طويل عنه اتصل به شمس بدران وصالح نصر وعباس رضوان عند محافظ مرسى مطروح فؤاد المهدي ٠٠٠ ونزل المشير الى القاهرة استجابة لرغبة جمال عبد الناصر بعد ان وضح له ان استقالة عبد الحكيم عامر قد أهاجت عددا كبيرا من قادة القوات المسلحة المقربين من المشير ، وانهم اجتمعوا في القيادة وأصروا على عودته الى موقعه .

وكان مجلس الرئاسة قد اتخذ قرارا بعزل قائد القوات الجوية الفريق محمد صدقي محمود الذي سبق ان تقرر اخراجه عام ١٩٦١ نتيجة تأخره في ارسال امدادات لقوات اللاذقية التي ظلت تقاوم الانفصال حتى

المغرب . وعندما وصل الفوج الأول كانت المقاومة قد توقفت واعتقل
الهابطون بالمظلات .

واعترض المشير على ذلك للمرة الثانية ٠٠٠ وبدأ أمام قادة القوات
المسلحة بمظهر المدافع عنهم .

وقد حدث خلاف أيضا بين عبد الناصر وعامر حول عودة بعض قيادات
الجيش في سوريا للعمل في مصر ٠٠٠ اعترض عبد الناصر على عودة اللواء
أنور القاضي رئيس أركان حرب الجيش السوري واللواء أحمد زكي
عبد الحميد رئيس هيئة التنظيم والإدارة والعميد أحمد علوي كتم الأسرار
والعقيد محمد استامبولي مدير المخابرات ٠٠٠ وبقي هؤلاء الضباط عاما
كاملا بلا عمل .

وهكذا لم يجد جمال عبد الناصر فرصة لتنفيذ القرار الذي أعده
بنفسه ٠٠٠ ولم يجد مجلس الرئاسة أيضا فرصة لتنفيذ القرار الذي
أصدره .

وكان الاتفاق قد تم بين جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر
— حسب رواية البغدادى وحسن إبراهيم — على اخراج قادة القوات البرية
والبحرية والجوية من الخدمة على أن يتم ذلك خلال فترة يتم فيها التمهيد
لإصدار القرار .

ولكن القرار لم يصدر ٠٠٠ فقد لحقته ثورة اليمن ، فاعتبر كأن
لم يكن .

وكان هذا الموقف الذي انتهى الى مصالحة بين جمال عبد الناصر
وعبد الحكيم عامر بداية انشقاق حقيقى بينهما ٠٠٠ أدرك عامر انه يستمد
سلطته من القوات المسلحة فوثق صلاته بقادتها ، وظل يواصل العطاء
لكل من يطلب ، ويقرر المنح ويقدم الخدمات ٠٠٠ وأهله طبيعته الشخصية
لذلك حتى اكتسب حب كل المحيطين به .

وأدرك جمال عبد الناصر ان القوات المسلحة لم تعد طيعة فى يده
كما كانت فى الخمسينيات ، وان الصديق الوفى الذى عين قنّدا عاما
رغم انه لا يملك من مؤهلات القيادة الا الاخلاص والحب لصديقه جمال
عبد الناصر قد تحول مع الزمن الى ند له يحسب حسابه ، ويخشى بأسه .

كان (الطفل المدلل) — حسب تعبير عبد الناصر لحسن إبراهيم —
قد أصبحت له أنياب وأظافر ٠٠٠ ولم يعد عبد الحكيم القديم .

ولكن عبد الحكيم عامر لم يكن من المؤهلين بحكم شخصيته للقيام
بأنقلاب عسكرى ضد جمال عبد الناصر لأنه كان من المدركين ان جمال

هو المخطط والمنفذ لحركة الثورة ، وقد أعفى نفسه من الدخول في مشاكل التفكير والتخطيط وترك المسئولية له طوال السنوات السابقة ، وكان مدركا أيضا أن شخصية جمال عبد الناصر قد احتلت مكانا مرموقا في نفوس المصريين والعرب وأصبح شخصية تسهم في تحريك السيدات العالمية ويصعب الانقضاء عليها . . . وأخيرا فانه كان ما زال محتفظا في نفسه بعلاقات الود والصدقة القديمة لا يتصور بحكم التقاليد انه قادر على تمزيقها .

كانت خطوة الانقلاب العسكري محدودة أو معدومة من ناحية عبد الحكيم عامر . . . ولكن جمال عبد الناصر ظل محتفظا ببقائه من القوات المسلحة ، متخذًا جانب الحذر في تعامله مع عبد الحكيم عامر . معتمدا على (الصاغ) شمس بدران مدير مكتب المشير الذي كان قد بدأ يؤدي دورا أكبر من رتبته معتمدا على منصبه وثقة المشير به ، ومعرفته لطبيعته التي تتجنب المشاكل وتتحاشي الدخول في تعقيدات . . الى جانب دفع جمال عبد الناصر له شخصيا واتصاله به اتصالا مباشرا ، في محاولة لايجاد نوع من التوازن داخل القوات المسلحة .

كانت هذه هي الحالة داخل القوات المسلحة وفي مركز السلطة أثناء بناء الاتحاد الاشتراكي الأمر الذي خلق تناقضا من البداية بين التنظيم العسكري (القوات المسلحة) وبين التنظيم الجماهيري الاتحاد الاشتراكي .

نص الميثاق على (ان دور القوات المسلحة في الجمهورية العربية المتحدة هو أن تحمي عملية بناء المجتمع ضد الأخطار الخارجية ، كما انه يتعين عليها أن تكون مستعدة لسحق كل محاولة استعمارية رجعية تريد أن تمنع الشعب من الوصول الى آماله الكبرى) .

واجب محدد ضد الأخطار الخارجية بالحرب . . . وضد الأخطار الداخلية بالقمع للرجعية .

ويقول الميثاق أيضا (ان فعالية الجيوش الوطنية تكمن في القوة الوطنية الاقتصادية والاجتماعية ، فان التقدم هو المسنود العظيم الذي يمد أداة القتال باحتياجاتها المادية والبشرية التي تتمكن بها من رد التحدي واحراز النصر وتعزيزه) .

ربط الميثاق بين احتياجات الدفاع واحتياجات التنمية ويحذر من طغيان واحدة على الأخرى ، ويرى ضرورة التنسيق بينهما .

ولذا نص قانون الاتحاد الاشتراكي على عضوية أفراد القوات المسلحة في الاتحاد الاشتراكي كما نص أيضا على عضوية رجال الشرطة ورجال القضاء .

ولكن ذلك لم ينفذ أبداً . . . وظل رجال القوات المسلحة والشرطة والقضاء طالما هم يمارسون العمل بعيدين عن عضوية الاتحاد الاشتراكي .

الضيفة الملائمة لدخولهم في صفوف التنظيم الجماهيري السياسي الوحيدة لم تتحدد مطلقاً . . . والرغبة الكامنة في إبعاد الجيش عن السياسة ظلت سائدة . . . ومحاولة ادخال السياسة الى الجيش ظلت تلاقى أبواباً موصدة .

وكان نمو التناقض الخفي بين جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر سبباً في تأجيل هذا الموضوع وعدم اثارته بطريقة جديدة .

كانت القيادة العسكرية ترى ان دخول السياسة الى صفوف الجيش خطر يحسن تفاديه . . . وهي خفيفة عملية طالما لا يوجد كوادر حزبية قادرة على ممارسة دور الموجهين السياسيين في الجيش وطالما لا يوجد حزب سياسي بالمعنى الحقيقي الذي يفرغ جيل من الشباب المؤمن بأهدافه ، يدخل الى الكلية الحربية فيتخرج ضابطاً ملتزماً عسكرياً وسياسياً أيضاً .

غيبية الحزب السياسي كانت عاملاً رئيسياً في عدم تنفيذ دخول رجال القوات المسلحة والشرطة والقضاء الى التنظيم الجماهيري .

وأدت التناقضات التي ظهرت بين جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر - رغم بقائها مغلفة بالسرية وبعيدة عن التأثير في الحياة العامة ، والحديث فيها لا يكثر بتردد الا بين عدد محدود جداً - الى خلق تناقضات جانبية بين القوات المسلحة وبين الاتحاد الاشتراكي رغم ان قيادته كانت من العسكريين الذين خلعوا ثيابهم العسكرية .

وبقيت المشكلة الدائمة هي العلاقة بين المجموعة العسكرية الحاكمة وبين الجماهير . . . واستمر التناقض قائماً بين الرغبة في استمرار القبضة العسكرية تمارس سطوتها . . . وبين الرغبة في اكتساب تأييد الجماهير .

كأن مركز السلطة الحقيقي في الدولة في يد دائرة القيادة التي تسلل اليها العسكريون عن طريق المشير وشمس بدران مرة أخرى ، بينما ضعف موقف العسكريين الآخرين من أعضاء مجلس القيادة يوماً بعد آخر حتى تلاشى تماماً .

كان دور القوات المسلحة يعاود الظهور بصورة سافرة ، مثلاً كانت الحال في سنوات الثورة الأولى ولكن بطريقة مختلفة ، فقد كانت معالم السلطة قد تحددت .

وبعدما كانت المباحث الجنائية العسكرية قد اختفت منذ إبعاد أحمد أنور عن قيادة البوليس الحربى وتببيع وحداته لتشكيلات الجيش المختلفة ، عادت مرة ثانية الى الظهور لتمارس دورا تاديبيا جديدا .

كانت المباحث الجنائية العسكرية التى يقودها حسين عرفة قد تعرضت بعد ابتعاد أحمد أنور شقيق زوجته الى حصار البوليس الحربى لها بأوامر من شمس بدران الذى كان قد بدأ ينمى قوات الصاعقة ويعمل فى نفس الوقت على تصفية المباحث الجنائية العسكرية .

وكذد يحدث احتكاك مسلح بين القوتين قال فيه حسين عرفة - حسب زوايته - (نحن نخدم جمال عبد الناصر) ورد قائد البوليس الحربى (ونحن ننفذ أوامر المشير) .

• صفيت المباحث القديمة فعلا .

واذا كان أحمد أنور قد أصدر أمرا باعتقال احسان عبد القدوس رئيس تحرير روز اليوسف فى عام ١٩٥٤ دون إبلاغ جمال عبد الناصر أو عبد الحكيم عامر . فان شمس بدران قد أصدر أوامره باعتقال قائد المباحث العامة فى الاسكندرية عام ١٩٦٣ لأنه تجرأ على مساءلة ضابط من ضباط القوات المسلحة دون إبلاغ جمال عبد الناصر أو عبد الحكيم عامر أيضا .

وكان فى هذا الموقف تكرار لأسلوب قديم ، يظهر فيه جموح بعض العسكريين فى السلطة واستهانتهم بالتقاليد والقوانين فى غمرة اندفاعهم وحرصهم على تنفيذ ما يصدر لهم من تعليمات .

وكانما انفلت الشيطان من عقاله ، فقد بدأت المباحث الجنائية العسكرية تمارس دورها القديم ، بتشكيل يتألف من ٣٠ ضابطا ، ٥٠٠ جندي يلبسون ثيابا مدنية ويؤدون دور المباحث العامة ، ومارس ضباطها سلطة الضبطية القضائية التى سبق ان منحت لهم ، يقودها أحد أتباع شمس بدران الصاغ حسن خليل الذى تولى قيادتها بعد أزمة المشير فى ١٥ نوفمبر ١٩٦٢ .

بدأ نشاط المباحث الجنائية العسكرية فى مجال الحياة العامة عقب خطبة لجمال عبد الناصر فى مجلس الأمة أعان فيها انه سيوجهها الى المجمعات الاستهلاكية ، وبعد ذلك توالى تدخلها فى قضية حسين توفيق ومحاولته اغتيال عبد الناصر ، واعتقالات الاخوان المسلمين ، والتدخل فى مؤسسات القطاع العام مثل مؤسسة المطاحن وجريدة الجمهورية وشركة سينا للمنجيز وغيرها ، ثم جادث كمشيش ولجنة تصفية الاقطاع كما سيرد تفصيلا فيما بعد .

سلطة الديكتاتورية ... وثياب الديموقراطية :

ولم يقابل هذا الاجراء بالصمت المطبق ... فقد حدثت مناقشة.
حامية في مجلس الأمة .

وكانت عضوية الاتحاد الاشتراكي شرطا للترشيح لمجلس الأمة ...
ولم يكن للاتحاد حق الاعتراض على مرشح طالما هو عضو كما كن الحال.
في الاتحاد القومي .

كانت اول انتخابات للاتحاد الاشتراكي قد اجريت بعد عام كامل من
اعلان الميثاق ... ومجلس ١٩٦٤ ترشح له في البداية ٣٥٧٠ مرشحا
في ١٧٥ دائرة لانتخاب ٣٥٠ عضوا . وهو اكبر رقم تقدم للانتخابات
في تاريخ مصر ثم تعددت الانسحابات وتقدم فقط ١٧٤٨ منهم ٥١٢.
عاملا ، ٤٨١ فلاحا ٢٨ سيدة .

نبيع في انتخابات المجلس ٣١ ضابطا ... تولى ٥ منهم رئاسة لجان.
من لجان المجلس البالغ عددها ١٨ .

وظهرت في صفوف المجلس آراء معارضة ، تماما كما حدث في مجلس.
١٩٥٧ عندما طلب الصاغ محمد أبو الفضل الجيزاوي من رئيس المجلس.
عبد اللطيف البغدادي تخصيص مكتب للمعارضة ...

كان تدخل المباحث الجنائية العسكرية يزداد وينتشر حتى وصل
الى حد الاشراف على مرفق النقل العام سنة ١٩٦٤ .

واعتترض بعض أعضاء مجلس الأمة في جلسة ٢ ديسمبر ١٩٦٤
على تدخل الجيش في الأعمال المدنية ولو تحت شعار اصلاح الفساد .

وتازمت الأمور ، والقي على صبرى رئيس الوزراء بيانا يؤيد فيه
نظرية الاستعانة بالجيش في بعض الأعمال المدنية ، وضرب مثلا لذلك
بمشاركة الجيش في تنظيم العمل في منطقة بناء السد العالي . والاسهام
في تنفيذ مشروع الوادي الجديد تحت ظروف معيشية صعبة ، والقيام
بأعمال البناء والتعمير في بعض المدن والقرى ... وقال أيضا ان الجيش
يسهم في تصليح العربات المعطلة في مرفق النقل العام وينظم حركتها ...
واختار على صبرى نموذجا بالجيش والبحرية الأمريكية التي تقوم بأعمال
الإنشاء وخاصة في الموانئ .

ولم يقتنع بعض أعضاء المجلس بذلك لأن على صبرى لم يفسر سبب
استخدامه في الأعمال البوليسية أيضا ... وقال حلمي الغندور انه مع
تقديره لحسم الجيش في اصلاح الخطأ الا انه لا يتصور ان يكون الملجأ

الذى تلجأ اليه كلما واجهنا انحرافا ما . . . وتساءل عما يمكن أن نفعله لو فسد التعليم وهل يقوم بإرسال فرقة من الجيش للتدريس .

دفاع على صبرى عن تدخل الجيش فى أعمال السلطة التنفيذية لم يكن نابعا من اقتناع بذلك ، وإنما كان تبريرا لأمر واقع لا يسهل منعه أو تحاشيه . . . فلم يكن فى العلاقة بين على صبرى وعبد الحكيم عامر ما يمكن أن يعتبر حافزا على هذا الدفاع - كان عامر ينظر الى على صبرى نظره الى متسلل لمركز السلطة ، وقد شاركه فى هذا الشعور بدرجات متفاوتة معظم أعضاء مجلس قيادة الثورة .

وبقى الاتحاد الاشتراكي هيكلا للتنظيم بعيدا عن القدرة على تحريك الجماهير أو اقناعها بوجوده .

كان العسكريون فى الاتحاد الاشتراكي أقل نفوذا من العسكريين فى الجيش . . . وكانت طبيعتهم ما زالت مسيطرة لا تتدخل مع الجماهير فى سهولة ، رغم استفادتهم من هذا الاحتكاك .

وظلت المشكلة الدائمة هى حرص المجموعة العسكرية على امتصاص النشاط العام أو اسكاته . . . وكانت تقع دائما فى تناقض شديد بين الرغبة فى اكتساب ثقة الجماهير مع اضعفها وشل فعاليتها .

معضلة بلا حل . . . الحرص على سلطة الديكتاتورية والرغبة فى لبس ثياب الديمقراطية .

رصيد جمال عبد الناصر الكبير خلال انتصاراته الوطنية دعم ثقة الجماهير به ، وخلق بينه وبينها اتصالا مباشرا ، أقوى من صلته بها خلال التنظيمات .

وخفيت عن الناس فى هذه المرحلة الصراعات والتناقضات النامية فى مركز السلطة ، والتي لم يعرف الشعب عنها شيئا سوى عودة الملابس الكاكية للظهور فى غير ما أهلت له .

شخصية المشير عبد الحكيم عامر تنمو ويصبح لها نفوذ خاص تدعمه قوة الجيش .

وعلى صبرى فى رئاسة الوزارة تسنده قوة جمال عبد الناصر مع ١٠ وزراء عسكريين ، ١٩ مدنيين ، يطبق الخطة الخمسية الأولى . . . وهى الخطة الوحيدة التى طبقت كاملة فى عهد الثورة .

وحسين الشافعى فى الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكي ، صرح لمجلة حديث نشر فى مجلة روز اليوسف يوم ٢٧ سبتمبر ١٩٦٥ قائلا :

(عندما نحمل الاتحاد الاشتراكي مسئوليات كبيرة في هذه المرحلة فاننا نتجاهل بذلك طبيعة تكوين الاتحاد انه يضم تقريبا مجموع الناجحين حوالي ٧ ملايين ٠٠٠ ونحن لا ندعي ان في استطاعتنا تحقيق وحدة مصلحة وارتباط وفكر على هذا المستوى الضخم) .

ويعلق على الاستثناء الذي أقرته اللجنة التنفيذية بدخول بعض الفئات دون قيد ولا شرط ، وهي الفئات السبعة التي أشرنا اليها سابقا فيقول (كانت النتيجة هي تسرب بعض المعزولين ومن صدرت ضدهم أحكام سابقة بالسجن ٠٠٠ وأصبح من حق هؤلاء أن يقوموا بنشاط سياسي داخل صفوف الاتحاد الاشتراكي) .

الاتحاد الاشتراكي في عهد حسين الشافعي يكاد يكون صورة للاتحاد القومي ولكن بوثيقة فكرية هي الميثاق ، وبوضوح سافر في اننا نعبّر مرحلة انتقال اجتماعية من الرأسمالية الى الاشتراكية .

أنور السادات يرأس مجلس الأمة .

ومجلس الرئاسة يتحول الى قيادة جماعية شكلية بعد التراجع عن اتخاذ القرار الذي كتبه جمال عبد الناصر للحد من سلطة المشير عامر .

يقول زكريا محيي الدين ان مجلس الرئاسة كان تشكيلا يستهدف ابعادهم عن السلطة التنفيذية الفعلية ٠٠٠ وانه لم يتحول أبدا الى قيادة جماعية .

استقالة كمال الدين حسين

كمال الدين حسين يعتزض على بعض تصرفات حملة اليمن كما سيأتي تفصيلا فيما بعد ٠٠٠ ويقدم استقالته في عام ١٩٦٢ ثم عام ١٩٦٣ ، ولكن جمال عبد الناصر يقنعه بسحبها .

لمح جمال عبد الناصر الى خلافة مع كمال الدين حسين في محادثات الوحدة بين مصر وسوريا والعراق في جلسة ١٤ مارس ١٩٦٣ عندما قال ان كمالا يسأله (لماذا تحمل نفسك وحدك المسؤولية ؟) وبجيب عبد الناصر مستطردا (ولكني لصالح النضال العربي على استعداد لتحمل أي تضحيات) ٠٠٠ وكان كمال الدين حسين حاضرا في هذه الجلسة .

كان موضوع استقالات عامر وكمال الدين حسين يشغل بال عبد الناصر ، وقد دفعه ذلك الى التلميح به في جلسات محادثات الوحدة أيضا ، محتجا على انسحاب الوزراء السوريين من العمل قائلا في جلسة ١٩ مارس ١٩٦٣ (يعني افرض النهاردة عبد الحكيم عاوز يستقيل تسول له نفسه انه يروح يتفق مع كمال حسين ومع بغدادى ومع على صبرى

علشان يستقيلوا ٠٠٠ لا يمكن يحدث هذا أخلاقيا ٠٠٠ اوعى تفكر ان
أى واحد فيهم ما فكرش يستقيل مرة أو اثنين ٠٠٠ استقالوا ، بس
ما حدش أبدا فى هذه العملية حولها الى مناورات سياسية ٠٠٠ يمكن
ما حدش كان يعرف الا منى انا ٠٠٠ كانوا يعرفوا ان فلان استقال منى انا
٠٠٠ ليه احنا النهارده محافظين على وحدتنا ١١ سنة ٠٠٠ لان الحقيقة
التعامل كن على أساس أخلاقى) :

لم يكن أحد قد استقال وغادر موقعه حتى هذه الجلسة ٠٠٠ ولكن
كمال الدين حسين بدأ يمتنع عن الذهاب الى مكتبه منذ أغسطس ١٩٦٣
حتى مارس ١٩٦٤ دون أن يعلن استقالته ودون أن يلتقى بجمال
عبد الناصر أيضا .

وتصادف ان التقى الاثنين يوم ٤ مارس ١٩٦٤ فى جنازة المستشار
القانونى لرئاسة الجمهورية محمد فهمى النسيدي ، فدعاه جمال الى اجتماع
حضره عبد اللطيف البغدادى وعبد الحكيم عامر وذكريا محيي الدين وحسين
الشافعى وأنور السادات .

واستمر الاجتماع ثمانية ساعات متصلة من موعد الجنازة الى موعد
الذهاب الى سراق العزاء ليلا .

ناقش الحاضرون موضوع اليمن ثم انتقل النقاش الى الموقف
السياسى فقال كمال الدين حسين حسب روايته لى ان الميثاق له وجهان
٠٠٠ وجه ماركسى والوجه الآخر اسلامى عربى ٠٠٠ وانه يعترض على
الاندفاع لتطبيق الاشتراكية معلنا ان هذا سقوط فى هوة الشيوعية ٠٠٠
وطالب بان يكون تقرير لجنة الميثاق جزءا لا يتجزأ من الميثاق .

حاول جمال عبد الناصر ان يوضح لكمال الدين حسين ان الاتجاه
الى الاشتراكية ضرورة حتمية تفرضها مسئولية الثورة لرفع قبضة
الاستغلال عن الجماهير ٠٠٠ ولكن كمال الدين حسين قال فى اصرار انه
ما ورد فى الدين بكفيل برفع الاستغلال .

وحاول جمال عبد الناصر ان يقنعه بان الاشتراكية العلية التى
وردت فى الميثاق ليست ضد الاسلام ٠٠٠ وان النبى محمد عليه الصلاة
والسلام كان يقول (الناس شركاء فى ثلاث ٠٠٠ الماء والنار والكلام)
وهى العناصر الرئيسية للحياة فى ذلك الوقت .

ويذكره بان عدد المنباجد قبل زاده فى عهد الثورة لحتى اكاد يتضاعف
من ١١ ألف مسجد الى ٢١ ألف مسجد .

كما أظهر له في انه ليست هناك نية للتراجع عن الميثاق أو التطبيق الاشتراكي . وحتى ولو وصل الأمر الى تأميم المحلات التجارية الصغيرة .

وهنا كانت المناقشة قد بلغت ذروتها من العنف وكان كمال الدين حسين الذي سلبت منه مناصبه المتعددة قد وصل الى موقف الرفض الكامل لكل ما يدور حوله . . . يشعر انه غريب عنه ، ومعتقداته التي رطلته يوما بجماعة الاخوان المسلمين قبل الثورة ، عادت فسهطرت عليه .

يقول عبد اللطيف البغدادي انه لم يحدث ان بلغت المناقشة هذه الدرجة من العنف بين أعضاء المجلس .

ويقول زكريا محيي الدين أن موقف كمال الدين حسين كان جامدا ، وعاجزا عن اقناع زملائه برأيه .

وقدم كمال الدين حسين استقالته الأخيرة قال فيها (أنا لو بقيت سأفقد نفسي ، وأنا لا أريد أن أفقد نفسي ولا أظن ان من مصلحة وطني أن أفقد نفسي) .

لم يستقل كمال الدين حسين وحده . . . ولم يكن هذا هو التناقض الوحيد .

كان هناك تناقض آخر بين جمال عبد الناصر وعبد اللطيف البغدادي .

خلافات حول الصناعة :

كان البغدادي مشغولا منذ البداية بالتراجع عن قرار المشير عامر الذي اتفق عليه مع جمال عبد الناصر . . . وبقي البغدادي وعامر عدة سنوات لا يلتقيان من ١٩٦٤ الى ١٩٦٤ .

وعندما عرض جمال عبد الناصر على مجلس الرئاسة مشروع تأميم القطاعين ومضاربتي الأرض ومجالج القطن اعترض عبد اللطيف البغدادي بدعوى مخالفة ذلك للميثاق . . . وطالب بمرس القانون على مجلس الأمة قبل صدوره . ولكن عبد اللطيف البغدادي يقول ان القرارات الجمهورية قد صدرت بالتأميم .

كان خلاف وجهات النظر حول الصناعة والتأميم هو أكبر خلاف هادف رجال الثورة في مسيرتهم وتبلورت حوله أفكارهم وتحدثت مواقعهم . . .

كان خلافا حول تشكيل المجتمع ، وليس حول قضية وطنية يواجهون فيها عدوا مشتركا .

كان جمال عبد الناصر مقتنعا بأنه لا سبيل للتقدم الا بمزيد من القوانين الاشتراكية يصدر قانون بتحديد ايجار المساكن (١) وقانون بتنظيم اجراءات الترشيح والانتخاب لعضوين من الموظفين والعمال بمجالس ادارة الشركة أو المؤسسة (٢) وتحديد الحد الأدنى لأجر العامل بخمسة وعشرين قرشا في اليوم (٣) وقانون بتحديد الحد الأقصى لمرتب رئيس مجلس الادارة بمبلغ ٢٠٠٠ جنيه سنويا مع بدل تمثيل لا يتجاوز ١٠٠٪ من الأجر الأصلي ، بينما الحد الأدنى لمرتب الدرجة الثانية عشرة هو ٦٠ جنيها فقط (٤) .

وهل عام ١٩٦٣ بتأميمات جديدة شملت منشآت تصدير القطن ومحاليج القطن (٥) ، يحظر تملك الأجانب للأراضي الزراعية (٦) وتأميم شركة المقاولات والكراتات (أحمد عبود وشركاه (٧) ، واصدار قانون التأمين والمعاشات لموظفي الدولة ومستخدميها وعمالها المدنيين ، ثم صدرت قرارات جمهورية بتأميم المطاحن (٨) وشركات مقاولات ونقل وملاحة ، ١٤ شركة أدوية مع سحب تراخيص ٤٠ (مصنع ومعمل أدوية) .

وصدر قرار بقانون رقم ٧٢ في ٨ أغسطس ١٩٦٣ بتأميم ١٨ شركة كانت تخضع للقانونين ١١٨ ، ١١٩ لعام ١٩٦١ تأمينا كاملا وكانت تسهم الدولة فيها بنصيب أقله ٥٠٪ ، ٧ شركات ومصانع كانت تحت الحراسة ، ٣٧ شركة جديدة وكلها تبعت للمؤسسة المصرية العامة للغزل والنسيج . كما أمتت وتبعت للمؤسسة المصرية العامة للصناعات الغذائية ٢٧ شركة كانت خاضعة للقانونين ١١٨ ، ١١٩ ، ٧ شركات تحت الحراسة ، وشركتى قطاع عام ، ٣٨ شركة جديدة .

وأمتت وتبعت للمؤسسة المصرية العامة للصناعات الكيماوية ٢٢ شركة خاضعة للقانونين ١١٨ ، ١١٩ وشركة قطاع عام لم تخضع لقوانين التأمين ، ١١ شركة جديدة .

وأمتت وتبعت للمؤسسة المصرية العامة للصناعات الهندسية ١٤ شركة خاضعة للقانونين ١١٨ ، ١١٩ وشركتى قطاع عام لم تخضعا لقوانين التأمين ، ٤ شركات تحت الحراسة ، ١١ شركة جديدة .

-
- (١) قانون ٦٤ في ٣١ يناير ١٩٦٢ .
 - (٢) قانون ٦١٧ في ١٢ فبراير ١٩٦٢ .
 - (٣) قانون ١٠٢ في ٣ يوليو ١٩٦٢ .
 - (٤) قرار جمهورى ٣٥٤٦ في ٢٩ ديسمبر ١٩٦٢ .
 - (٥) قانون رقم ١٥ في ١٤ يناير ١٩٦٣ .
 - (٦) قانون رقم ١٥ في ١٤ يناير ١٩٦٣ .
 - (٧) قرار جمهورى رقم ٣٩ لسنة ١٩٦٣ .
 - (٨) ١٧ مطحنا .

واممت وتبعت للمؤسسة المصرية العامة لمواد البناء والحراريات ٣ شركات تخضع للقانون ١١٨ و ١١٩ وثلاث شركات تحت الحراسة وشركتان جديدتان .

• اما المؤسسة المصرية للتعدين فتبع لها ٨ شركات جديدة مؤمنة .
• ومؤسسة التعاون الانتاجي ١١ شركة جديدة مؤمنة أيضا .

ثم صدر قرار بقانون رقم ٧٣ في ٨ أغسطس ١٩٦٣ يقضى بانهاء عقود بحث واستغلال المناجم وعقود استغلال بعض المحاجر الممنوحة للقطاع الخاص .

• ثم اممت ٢٩ شركة نقل برى في ١٢ أغسطس .

• واممت ١٤ شركة نقل نهري في نفس اليوم .

وهكذا اممت معظم شركات القطاع الخاص في مختلف المجالات . . .
واستكملت قوانين ١٩٦٣ ما سبق ان بدأته قوانين يوليو ١٩٦١ . . .
ووضح انه لم يكن هناك شبهة تردد أو تراجع في اتجاه الدولة نحو التأمين .

• لم يكن عبد اللطيف البغدادي في أعماقه متحمسا لهذه التأمينات . . .
ولم يكن من أنصار الاندفاع في طريق التطبيق الاشتراكي بهذه الصورة . .
فهو - رغم موافقته على الميثاق وقوانين يوليو الاشتراكية ١٩٦١ - لم يتصور ان مزيدا من الاجراءات سوف يتوالى ويحاصر حرية الاستثمار الفردي التي تمنى عند الفرد - حسب قوله - روح الاجادة والمنافسة .

ولم يكن عبد اللطيف البغدادي منفردا برأيه في ذلك . . كان عدد من زملائه أعضاء المجلس يشاركونه الرأي بصوت خفيض (قال لي حسن ابراهيم انه عارض تأمين محلات بنزاويون وعدس وشملا بعد تأمين محلات عمر أفندي وذلك لاقتناعه بنقص القدرة الكافية في ادارة هذه المحلات بنجاح) .

قال لي زكريا محيي الدين أيضا انه كان يؤمن بأن الملكية الخاصة ضمان للحرية السياسية وان القطاع العام غير مضمون من نواحي الادارة ، كما انه لا يجوز تأمين شيء الا اذا كان هناك الكادر القادر على ارادته ادارة جيدة .

ويستطرد زكريا محيي الدين موضحا أفكاره بقوله انه كان يفضل تحديد ملكية الأسهم في الشركات للفرد والأسرة وبذا يضرب سيطرة رأس

المال على الحكم .. وينهى تصويره للموقف بأن جانباً من هذه الاجراءات كان يستهدف سيطرة الحاكم على موارد الرزق أو لقمة العيش - حسب تعبيره .

ويلعل زكريا محيي الدين عدم اتخاذه موقف المعارضة المعلن مثل زميله عبد اللطيف البغدادى بقوله انه كان حتى ذلك الوقت على ثقة أكيدة بقيادة جمال عبد الناصر وانه كان يتذكر قوله له دائماً عام ١٩٦٢ بأنه يريد يدا حرة مطلقاً يتصرف بعدها بارادته المتكاملة حتى يكون مسئولاً عن تنفيذ برنامجيه .

(ثم يقول زكريا محيي الدين انه كان مع اعطاء جمال عبد الناصر كامل المسئولية واطلاق يده بحرية كاملة .. على غير ما كان يراه عبد اللطيف البغدادى وكمال الدين حسين .

وكذلك كان باقى أعضاء مجلس القيادة المشاركين فى الحكم يبلغون آراهم الخاصة غير المتبلورة فى برنامج واضح ، المتأثرة غالباً بالمحيطين بهم من أبناء الطبقات الذابلة ، أو المتطلعين الى حياة البرجوازية الكبيرة الناعمة .

كان موقف جمال عبد الناصر الصلب ورؤيته الخاصة لأفاق المستقبل هى الضمان الأول لاندفاع الثورة فى هذا الطريق .. ويبدو انه كان مدركاً ان زملاءه الذين خطوا معه خطوات الثورة الأولى قد أرهقهم جهد المسيرة فى مواجهة المصاعب .. ولذا كان يزداد اعتماده على عناصر أخرى جديدة يتبناها ويرعاها .

مسئولية الصناعة مثلاً تركزت فى يد الدكتور عزيز صدقى الذى عقد أول اتفاقية لتمويل الصناعة المصرية مع الاتحاد السوفيتى يوم ٢٩ يناير ١٩٥٨ .

كان معظم أعضاء مجلس القيادة يتخذون موقف الجفاء من عزيز صدقى لاختلاف وجهات نظرهم التى كانت لا تشجع المزيد من سيطرة الدولة على الصناعة .

ويلاحظ ان التأميمات قد ضاعفت العبء على وزارة الصناعة ومنحت التكنوقراطيين والفنيين فرصاً هائلة للترقى والوصول الى مناصب المديرين ورؤساء مجالس الادارة .

جملة الشركات المؤممة عام ١٩٦٣ بلغ ٢٩٣ شركة احتاجت جميعها الى قيادات ادارية وفنية لم تكن مهياة من قبل لتولى هذه المسئوليات فى وقت مبكر -

وللمقارنة نشير الى تقرير اتحاد الصناعات عام ١٩٥١ .

والاستثمار الصناعى كله كان ٢١٠٠٠٠٠٠ جنيه فقط .

عدد المديرين فى مختلف الشركات كان ١٤٠٦ منهم ٣٥٪ مصريون ومن بينهم ١٨٪ يهود ٣٠٪ أوروبيون ، ١١٪ سوريون ، ٨٪ أرمن ويونانيون .

المصريون أصلا لم يتجاوزوا بذلك ١٧٪ فقط من المشتغلين بالادارة الصناعية التى كانت رغم كل شىء محدودة .

كان التوسع الهائل فى تأميم الشركات واستيلاء الدولة عليها غير مضمون بتوفر كادر قيادى من الاداريين والفنيين المؤمنين بالاشتراكية والقادرين على التفاعل مع العاملين وادارة المؤسسات والشركات اذاعة ديمقراطية .

كان عبد اللطيف البغدادى وزكريا محيى الدين ومن يفكرون بأسلوبهم من الاداريين المنتشرين فى أجهزة الدولة يرون ان الحل يكون فى التخفيض من مسئولية الدولة وعدم التوسع فى القطاع العام . لم يفكر أحد منهم فى ان انجازات الدولة فى ميدان الصناعة والاقتصاد لا تكمل الا بتوفير ادارة ديمقراطية لوسائل الانساج . وهى لا تتحقق الا باسهام الاشتراكيين الحقيقيين فى جهاز الحكم .

خلال هذا الزحف نحو التأميمات وتشجيع الصناعة ، كان الشيوعيون ما زال معظمهم فى المعتقلات .

يقول لينين (يستحيل التغلب على الرأسمالية دون الاستيلاء على المصارف ، ودون الغاء الملكية الخاصة لوسائل الانتاج . يستحيل تحقيق هذه الاجراءات الثورية دون تنظيم ادارة وسائل الانتاج المنتزعة من البرجوازية وادارتها ادارة ديمقراطية من قبل الشعب كله ، دون اشراك جمهور الكادحين البروليتاريين منهم وانصاف البروليتاريين وصغار الفلاحين فى تنظيم صفوفهم وقواهم ودولتهم تنظيما ديمقراطيا) .

كان تحقيق مثل هذه المشاركة الديمقراطية فى ادارة وسائل الانتاج أمرا بعيدا تماما عن أفكار عبد اللطيف البغدادى ومن يفكرون مثله لأنه كان من أنصار السلطة الفردية فى ادارة الانتاج . كما ان ظروف المجتمع فى ذلك الوقت كانت لا تتيح لجمال عبد الناصر فرصة يخلق ادارة ديمقراطية حقيقية لأسباب سنعرفها تفصيلا فى الفصل القادم .

ومع ذلك يقول الدكتور عزيز صدقي (انه لولا جمال عيد الناصر ما كانت هناك صناعة) . . . كان المساند الوحيد لها في وقت كان أعضاء مجلس قيادة الثورة ضدها ومعهم رجال الاقتصاد أيضا .

وكانت هذه الثغرة الفكرية بين جمال عبد الناصر من جهة . وبين عدد من زملائه من جهة أخرى تعبر عن عبور الثورة لمفترق طرق حاسم . انتقلت المناقشات في مركز القيادة من تناقضات شخصية محدودة قد تفسر أسلوب الحكم الى تناقضات اجتماعية تعبر عن خلافات في الانتماء الطبقي . . . ووجهات نظر متنافرة في بناء المجتمع .

وازدادت هذه الفروق وضوحا عندما تبين ان بناء الصناعة لا يمكن ان يتحقق الا عن طريق مساعدات الدول الاشتراكية الصناعات التي امنت لم تكن وحدها كافية لبناء قاعدة صناعية متطورة خطة التنمية كانت تستهدف بناء صناعات جديدة .

يقول الدكتور عزيز صدقي (ان جملة الاستثمار الاجنبي عام ١٩٦١ كانت ٦٠٠.٠٠٠ جنيه فقط ، مما جعل فكرة التأميم والاشتراكية ضرورة حتمية للنهوض بمستوى الشعب) .

ويؤكد الدكتور عزيز صدقي بأن رأس المال الخاص المستثمر في الصناعة بعد التأميم قد زاد عما كان عليه قبل التأميم . . . وان حركة رأس المال الداخلي مع ذلك لا تتجاوز ٥٠ مليون جنيه . . . وهذا ما يشهد ان قدرات القطاع الخاص مهما بلغت فهي محدودة .

ثم يقول (لولا قروض الدول الاشتراكية ما أمكن اقامة المصانع) . وكان هذا الاتجاه في ذاته محل اعراض عبد اللطيف البغدادي الذي لم يكن من المجندين لسياسة التعاون مع الدول الاشتراكية بقدر متزايد .

لم يدرك ان الدول الاشتراكية تهتدي بقول لينين الذي أعلنه قبل انتصار ثورة أكتوبر (اننا سنبدل قصارى جهدنا للتقارب مع المؤلف والايروانيين والهنود والمصريين والاندماج بهم ، ونحن نعتقد ان من واجبنا ومصلحتنا ان نفعل ذلك ، والا تكون الاشتراكية في أوروبا غير وطيدة ، وسنبدل ما في وسعنا لنقدم لهذه الشعوب المتأخرة والمظلومة أكثر منا (المساعدة الثقافية النزيهة ، أي مساعدتها على الانتقال الى استخدام الماكينات وتسهيل العمل على الانتقال الى الديمقراطية) - العالم الثالث طبعة موسكو ١٩٧١ .

قضية التعاون مع الاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية أصبحت نقطة خلاف رغم الاتفاق على صفقة السلاح وبناء السد العالي .. وذلك بعد تجاوز مرحلة الخلاف بين جمال عبد الناصر وخروشوف عام ١٩٥٩ ، واستقرار الأوضاع بين الدولتين في هدوء على أسس تعاونية جديدة .

استقالة عبد اللطيف البغدادي

ومع ذلك لا يجوز اعطاء الأمور أهمية أكثر مما تستحق ... فمعظم هذه الخلافات ووجهات النظر المتنافرة ، كانت تدور في حدود دائرة ضيقة عند القمة ، ولم تكن الجماهير تعرف عنها شيئا كثيرا .

لم تأخذ الخلافات صورة صراع الأحزاب القديمة التي تتبلور أفكارها من واقع طبقي محدد تفرضه صلتها بفئات معينة من الجماهير .. ولكنها كانت ذات طابع شخصي يتأثر بالصلوات الخاصة والأفكار الذاتية لأعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين .

لم يكن التناقض بين جمال عبد الناصر من جهة وبين عبد اللطيف البغدادي أو كمال الدين حسين من جهة أخرى . يمثل خطرا على تماسك القيادة ، أو يضعف من مركز عبد الناصر في القمة .

لم يكن هناك خطر من وجود هذا التناقض لأن أحدا من الاثنين أو غيرهما من أعضاء مجلس القيادة لم يكن يملك نفوذا في القوات المسلحة منذ تولي عبد الحكيم عامر قيادتها العامة في يونيو ١٩٥٣ ، ولم يكن لأحد منهم تأثير جماهيري في وقت تركزت فيه كل الأنظار على شخصية الزعيم ، وفي وقت اقتنع به الجميع قائدا لهم يدينون له بالولاء .

ولم يكن التناقض بين جمال عبد الناصر وبينهما شبيها بالتناقض بينه وبين عبد الحكيم عامر .. ذلك ان المشير رغم كونه هو وعبد اللطيف البغدادي كانا الوحيدين من أبناء العهد أثرياء الريف نسبيا ، الا انه لم يكن صاحب فكرة نشطة يمكن أن تصطدم مع اتجاهات جمال عبد الناصر .. وكان الخلاف بينهما شخصيا في مضمونه أكثر منه مرتبطا بخلافات ايديولوجية .

أما الخلاف مع كمال الدين حسين فانه كما أوضحت كان صراعا بين اتجاه تقدمي يمثل جمال عبد الناصر واتجاه محافظ يمثل كمال الدين حسين ... بدأ منذ الغاء الاتحاد القومي الذي كان كمال يخطب في اجتماعاته قائلا ان عبد الناصر شخصية موهوبة يكاد يوحى لها .. ثم اتخذ موقفه المعارض المعروف الذي أخذ يزداد حدة بعد تركه لمناصبه حتى انتهى به الأمر الى الاستقالة .

كان كمال الدين حسين يقف عند فكرة ثابتة وجامدة يقول بأن كل اتجاه للتحويل الاشتراكي هو ماركسية شيوعية يجب مقاومتها .. وبهذا المفهوم رفع شعار المعارضة لكل ما يتم في مصر ، وحمل معولا يحاول به تحطيم زعامة جمال عبد الناصر التي أسهم في خلقها .

لم يبدأ كمال الدين حسين بعد استقالته ، وانما حمل لواء المعارضة في الأوساط التي يتحرك فيها ، وكتب خطابا الى جمال عبد الناصر يحتج فيه على اعتقال الاخوان المسلمين الأمر الذي انتهى الى تحديد اقامته يوم ١٥ أكتوبر ٦٥ في احدى الفيللات بمنطقة أهرامات الجيزة ، وظلت اقامته محددة تحت الحراسة حتى توفيت زوجته التي كانت تقيم معه فجأة بعد ثلاثة أشهر وعندما خرج لتشيع جنازتها أطلق سراحه ولم يعد الى مكان تحديد اقامته .

ولكن الخلاف بين جمال عبد الناصر وعبد اللطيف البغدادي كان ذا طبيعة ثالثة .. فعبد اللطيف البغدادي رغم انه من أبناء برجوازية الريف ، ورغم انه كان على صلة تنظيمية مع الاخوان المسلمين وبعض الجماعات الارهابية أو الفاشية قبل الثورة (جماعة اليد السوداء - عبد العزيز على - وجيش التحرير - فوزى القاوقجي -) الا انه حضاري النزعة يؤمن بالديموقراطية الليبرالية ، وحاول أن يجعل من فترة رئاسة مجلس الأمة محاولة لخلق تجربة ديموقراطية في اطار الثورة .

ولم تكن الخلافات التي نشبت بين البغدادي وعزيز صدقي موقفا منه ضد الصناعة ، ولكنه كان موقفا ضد ما يراه اندفاعا غير مخطط من وجهة نظره .. ولم يكن البغدادي مقتنعا بالتوسع في التأميمات التي تصل المشاريع الخاسرة ، بالاضافة الى رغبته في دعم أجهزة التخطيط التي سبق له ان تولى وزارتها حتى لا تنفرد الصناعة وحدها في مجال العمل .

ولا يعني هذا ان عبد اللطيف البغدادي كان اشتراكيا علميا يختلف فقط في اجراءات التطبيق ولكنه كان من المؤمنين بإمكانية تطور المجتمع في طريق رأسمالي مع اتخاذ بعض اجراءات اشتراكية .. ولكنه لم يعلن عن اتخاذ موقف معارض صريح لمبادئ الميثاق أو لاجراءات التأميم سواء عام ١٩٦١ أو ١٩٦٣ .

تركز الخلاف بينه وبين عبد الناصر حول مشروعية تأميم المطاحن ومضارب الارز ومحاليج القطن بقرارات جمهورية دون عرض الأمر على مجلس الأمة كما ذكرت .

ووضّل الأمر غايته وشعر عبد اللطيف البغدادي ان دور مجلس الرئاسة قد أصبح شكليا وانه لا يسهم في صنع سياسة الدولة ولم يجد سبيلا الا بتقديم استقالته .

ولم تكن هذه هي استقالته الأولى ، ولكنها كانت الأخيرة . . .
سبق ان قدم عبد اللطيف البغدادي استقالة أولى عام ١٩٥٤ خلال أزمة مارس عندما رفض الموافقة على عودة محمد نجيب وكان قد سبق له عدم الموافقة على خروجه أيضا .

وقدم استقالته ثانية في ٢٤ أغسطس ١٩٥٨ عندما تلقى خطابا دوريا من جمال عبد الناصر ينبه أعضاء مجلس الثورة لعدم الدعاية في الصحف . . . ولكن جمال عبد الناصر أرسل له وفدا من زكريا محيي الدين وكمال الدين حسين وحسين الشافعي وأنور السادات اقنعوه بالعودة حيث عاد يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٨ .

وبعد استقالته الثالثة وقبل نشرها وضع شقيقه سعد البغدادي تحت الحراسة لأنور لو صحت لأساءت اليه . . . وضاعت في غمرة أخبار وضع شقيقه تحت الحراسة ، تساؤلات الناس عن أسباب الاستقالة .

نقد القطاع العام

ولم يكن موقف جمال عبد الناصر في موضوع التأميمات وبناء الصناعة متحيزا للدول الاشتراكية . . . بل كان موقفا مصريا تمليه الظروف الموضوعية القائمة .

جمال عبد الناصر وافق على أن تختفى من قوائم التأميم شركات البترول أو صرح بتكوين ثلاث شركات أدوية برأس مال أجنبي غربي ٦٠٪ ورأس مال خاص ٤٠٪ .

ويقول الدكتور عزيز صدقي انه وافق على ذلك تحت ادراك حقيقة ان هاتين الصناعيتين تحتاجان الى أموال هائلة للبحث لا تتوفر في ميزانية الدول النامية . . . شركة فايزر للأدوية كانت تصرف وقتها ٢٠ مليون جنيه سنويا للأبحاث ، والبترول كان كامنا تحت أرضنا لا يجد من يدفع به الى السطح ، لخفية الشركات العالمية من قوانين التأميم . . . الى أن توصل الدكتور عزيز صدقي عام ١٩٦٣ الى اتفاقية مع الحكومة الأمريكية تنص على ان (الاستثمار الذي يتم في مصر تضمنه الحكومة الأمريكية) .

عارض جمال عبد الناصر الاتفاقية أولا - كما يقول الدكتور عزيز صدقي - ثم اقتنع بها بعد مناقشة دارت حول أهمية استخراج البترول لبناء اقتصادنا القومي .

• ويريجينيف أيضا سأل الدكتور عزيز صدقي عن سبب اعطاء الامتيازات البترولية لأمريكا ، وهى باب عريض تدخل منه لأرض مصر .
وكان رد الدكتور عزيز صدقي ان ذلك ناتج من عدم توفر رأس المال المصرى للبحث ، ذلك الى جانب وجود شركة وطنية فى أكثر المناطق
إحتمالا لوجود البترول .

ولم يقتصر اعطاء الامتيازات البترولية للدول الغربية فقط .
تعاقبت وزارة الصناعة مع الاتحاد السوفيتى على القيام بعمليات التنقيب عن البترول فى منطقة سيوة بالصحراء الغربية ، بشروط تختلف عن شروط الشركات الأمريكية .
اذ يتم ذلك فى صورة قروض تصرف على البحث حتى اذا تم العثور على البترول انسحبت الخبرة السوفيتية تماما ولم يعد لها أى نوع من المشاركة فى الانتاج الا بقدر ما دفعته من أموال فى البحث .

أما الشركات الأمريكية فانها تتقاسم مع الحكومة المصرية نصف الأموال التى صرفت فى البحث ثم تستمر فى الحصول على ٢٥٪ من الانتاج الى أن ينضب .

وخلال هذه الفترة التى بدأت فيها مسيرة الصناعة فى مصر ، تعرضت أفكار التخطيط لبعض الأخطاء فأقيمت مصانع فى أماكن لا تتوفر فيها المواد الخام مثل مصانع اللبن . وأقيمت مصانع تعرضت للفشل مثل الترانزستور .

وانبرت مجلة روز اليوسف فى عامى ١٩٦٤ ، ١٩٦٥ توجه حملات نقد عنيفة لبعض الشركات والمؤسسات .

كنت رئيس تحريرها خلال هذه الفترة ، وكان حرصى شديدا على ان يكون القطاع العام صورة مضيئة للجماهير حتى يكون واجهة طيبة للاشتراكية .

كان النقد ينبعث من موقف الحرص على مساندة القطاع العام .
وليس من موقف الرغبة فى الهدم والعودة الى الوراء .
الى سيطرة رأس المال الخاص .

قال جمال عبد الناصر فى مؤتمر المبعوثين بعد ذلك وهو يتحدث عن حرية الصحافة (الجرائد تنقد . . مثلا روز اليوسف لها نقد مر جدا للقطاع العام ، أى حاجة بتتنشر عن القطاع العام ليحصل فيها تحقيق وتنحرى لمعرفة هل هذا صحيح أم لا) .

كان هذا صحيحا فقد اكتشفت المباحث الجنائية العسكرية في حملاتها على القطاع العام صدق ما نشرناه عن تزوير الميزانيات في شركة سينما للمنتجيز وغيرها .

ويخطيء من يتصور أن الصناعة يمكن أن تستقر بغير أخطاء أو بعيدا عن الانحرافات . حتى مع أحمد عبود تعرضت لذلك ، فقد وضع مبلغ مليون جنيه في منجم كبريت لا يوجد فيه كبريت ، وكان ذلك بناء على نصيحة من شركة أمريكية .

الدولة تقود عملية التنمية . . بعد أن أصبحت معظم الشركات مؤمنة .

الدخل المتولد في الصناعة . . حفر الزاوية في تطوير اقتصادنا القومي ارتفع خلال الخطة الخمسية الأولى من ١٩٦٠ حتى عام ١٩٦٥ من حوالي ٢٥٦ مليون إلى ٣٨٥ مليون بنسبة تزيد عن ٥٠٪ بمعدل ارتفاع ١٠٪ سنويا كما وردت في كتاب (سنوات التحول الاشتراكي) لعلي صبرى .

صراع في مراكز القمة

بعد استقالة كمال الدين حسين وعبد اللطيف البغدادي اتخذ جمال عبد الناصر قرارا بتعيين المشير عبد الحكيم عامر نائبا أول لرئيس الجمهورية وتعيين زكريا محيي الدين وحسين الشافعي وحسن ابراهيم نوابا لرئيس الجمهورية يوم ٢٥ مارس ١٩٦٤ . . وسقطت أسماء المستقلين بلا تعليق ولم يعد باقيا من مجلس قيادة الثورة إلى جانب عبد الناصر سوى هؤلاء وأنور السادات . . أقلية المجلس ٦ من ١٣ هي التي بقيت بعد ٨ سنوات من العمل المشترك .

وصدر قرار جمهوري أيضا في نفس اليوم بتعيين علي صبرى رئيسا للوزراء ووزيرا للتخطيط بدلا من رئاسة المجلس التنفيذي ، وضم إلى وزارته من أعضاء مجلس الرئاسة كلا من الدكتور نور الدين طراف والمهندس أحمد عبده الشرباصي وكمال رفعت نوابا لرئيس الوزراء .

وهكذا انتهت قصة مجلس الرئاسة وقصة القيادة الجماعية . . وارتقى وضع المشير عامر ليصبح الشخصية الثانية من الوجهة العملية والرسمية أيضا . . كما ثبت أيضا وضع علي صبرى في أقوى موقع تنفيذي .

ليس هذا فقط . . بل أن المشير عامر والمحيطين به من قادة القوات المسلحة كانوا يتصرفون أحيانا وكأنهم وحدهم في الساحة لا يقيمون وزنا كبيرا للوزارة .

كثير من التعيينات الكبرى فى الأجهزة الادارية والتنفيذية كانت تتم بترشيح من عامر ٠٠ وكثير من الذين مستهم تحقيقات الرقابة اداريا احتفظوا بمناصبهم لأنهم كانوا مساندين بقوة المشير .

كان عبد الحكيم عامر قد قرر السير فى طريق المتعة الشخصية بعد انتصاره فى العودة بعد الاستقالة ٠٠٠ وكانت المجموعة المحيطة به كفيلة بالاساءة اليه وتهيئة كل وسائل اللهو والانحلال له .

وكان أمرا معروفا ومتداول ما يتم فى هذا الجو من تدخين واتصال ببعض الفنانات وبذخ يصل الى حد السفه ٠٠٠ ولعب الدور الرئيسى فى ذلك سكرتير المشير على شفيق صفوت .

وكان هناك خلاف واضح بين شمس بدران وعلى شفيق حاول المشير ان يمنعه عشا حتى عين الأول مديرا للشئون العامة والثانى سكرتيرا خاصا ٠٠٠ ولكن ذلك لم يقض على التناقضات المتزايدة .

ولم تلبث أجهزة المباحث الجنائية العسكرية ان اكتشفت أثناء تتبعها لبعض الذين يتاجرون بأجهزة وآلات يحضرونها من اليمن ٠٠ اكتشفت ان اثنين من أعضاء مكتب المشير قد هربا عدة صناديق من دخان التبناك للمتاجرة فيها - حسب رواية الصاغ حسن خليل الذى رفع مذكرة الى الصاغ شمس بدران .

وعندما عرض الأمر على المشير أصدر تعليماته بالتحقيق ٠٠٠ وآثر شمس بدران الابتعاد عن التحقيق الذى قام به الصاغ حسن خليل ، والذى اكتشف فيه ان هناك عصابة فى ادارة الشئون العامة للقوات المسلحة تصدر أذونات صرف وهمية تستولى عليها ، وانها مرتبطة بعصابة أخرى فى مكتب المشير يرأسها الصاغ عبد المنعم أبو زيد .

وقدم المتهمون للمحكمة ولم يحطهم المشير بحمايته ٠٠ وأصدرت المحكمة العسكرية التى يرأسها اللواء محمد أحمد صادق (وزير الحربية فيما بعد) أحكامها بالسجن على عدد من أعضاء المكتب .

وانتهى الأمر بعد كشف هذه الفضائح الى احوالة على شفيق صفوت الى المعاش فى نهاية عام ١٩٦٦ .

الغريب ان المشير تزوج من برلنتى عبد الحميد وعلى شفيق تزوج من مها صبرى ، وعبد المنعم أبو زيد من سهير فخرى وهن جميعا من الفنانات .

والغريب أيضا هو صدور القانون رقم ٢٥ لسنة ١٩٦٦ الذى قضى بجعل الاختصاص للنيابة والقضاء العسكرى فى كافة الجرائم التى ترتكب

من العسكريين بسبب تأدية وظيفتهم أو حتى في الجرائم الخارجة عن نطاق أعمال وظائفهم اذا انفردوا بالاتهام فيها دون أشخاص مدنيين .

وكان ذلك يعنى وضع الجيش فى وضع خاص غوق الطبقات الأخرى وجصر دائرة الاتهام فى يد القيادة .

كان المستهدف من ذلك على حد قول أحد المسؤولين فى القضاء العسكرى عدم نشر الفسيل الوسخ أمام الناس .

أما الحقيقة فكانت اعطاء حقوق شكلية مع سيطرة فعلية من أعلى .

ولكن هذا التسبب والانحلال كان محاطا بجدار من الصمت والعزلة ولم يؤثر على سمعة المشير أو نفوذه فى القوات المسلحة .

وحرص لذلك جمال عبد الناصر على الا يناطق عامر فى شئون القوات المسلحة الداخلية . . . وترك له الانفراد بها معتمدا على وجود شمس بدران الشخصية التى اختارها لتكون ذات نفوذ وقريبة منه . . . كما حرص أيضا على اخفاء الخلاف القائم بينه وبين المشير وحصره فى أضيق نطاق ممكن معتمدا على أن عامر ليست له طاقة جادة على العمل ، وان نشر هذه الأخبار يضعف من مركز القيادة فى نظر القوات المسلحة - والجماهير أيضا .

احتفظ الاثنان من الناحية المظهرية بعلاقاتهما الطيبة . . . ووقف الاثنان جنبا الى جنب فى نادى ضباط القوات المسلحة بالزمالك صيف عام ١٩٦٥ وهما يستقبلان المدعويين لحفل زفاف شقيق جمال عبد الناصر وكريمة عبد الحكيم عامر .

ولم تقف التناقضات والخلافات عند حدود قمة مركز السلطة ولكنها امتدت الى الدائرة الثانية أيضا . . . حيث ظهر خلاف شديد بين على صبرى والدكتور عزيز صدقى أدى الى خروجه من الوزارة وتعيينه مستشارا لرئيس الجمهورية واستبداله بالدكتور مصطفى خليل وزهير النقل .

واتسعت دائرة الخلاف حتى وصلت الى حسن ابراهيم الذى كان مقررا الاستقالة مع كمال الدين حسين وعبد اللطيف البغدادى فى مارس ١٩٦٤ ، ولكنه كان موجودا فى الخارج . . . وعندما عاد صراح جمال عبد الناصر بأنه لا يود المشاركة فى المرحلة المقبلة ، ولكن جمال عبد الناصر أقنعه فى اجتماع ضم زكريا محيى الدين وحسين الشافعى وأنور السادات بأن يبقى معهم فى الحكم نائبا لرئيس الجمهورية .

وشعر حسن ابراهيم خلال ممارسته العمل بأن على صبرى وقوع بينه وبين عبد الناصر ، فصارحه بذلك قائلا (ان البعض يقدمون لك معلومات غير صحيحة ومنهم على صبرى) ٠٠ ويقول حسن ابراهيم ان عبد الناصر قال له (هل تتصور ان على صبرى يقدر يمسينى ؟ انه لا يزيد من سكرتيرى مهما كان فى أى منصب) ٠

ولكن الأمور لم تمض بالأسلوب الذى يرتضيه حسن ابراهيم فقد شعر انه بعيد عن مركز السلطة معزول عن المشاركة الايجابية الحقيقية فى صنع القرار ٠

ولم يجد بدا من تقديم استقالته الثالثة والأخيرة فى ١٨ يناير ١٩٦٦ بعد ان طلب مقابلة جمال عبد الناصر يوم ١٣ يناير ومضت خمسة أيام بلا جواب ٠

وهكذا كانت كواليس القيادة مليئة بالتناقضات والخلافات الشخصية ولكنها كانت محجوبة عن الجماهير بستار كثيف ٠٠ وكان التعلق بشخصية جمال عبد الناصر دافعا فى ذاته الى عدم اهتمام الناس بما قد يصل اليهم من همسات اقتناعا منهم بأن كل شئ يمكن اصلاحه وكل خطأ يمكن علاجه طالما جمال عبد الناصر فى قمة جهاز الدولة ٠

الفصل التاسع

طلبة الاشتراكيين

« ان الحاجة ماسة الى خلق جهاز سياسى جديد داخل اطار الاتحاد الاشتراكي العربى يجند العناصر الصالحة للقيادة وينظم جهودها ويبلور الحوافز الثورية للجماهير ويتحسس احتياجاتها ويساعد على ايجاد الحلول الصحيحة لهذه الاحتياجات »
الميثاق

لم يكن صدور الميثاق وتكوين الاتحاد الاشتراكي العربى مفتاحا سحرى يفتح أبواب المجتمع للتحويل الجديد ... ولكنه كان علامة توجيه خطوة أولى فى الطريق الجديد ... ولكن المسيرة تحتاج الى جهد شاق وطويل .

والتنظيم الجديد يتلمس طريقه تحت تأثير الاتحاد القومى ... ومعظم العاملين والاداريين من غير القيادات ظلوا فى مواقعهم لا يكادون يستشعرون فرقا فى التغيير .

وانتقال الاتحاد الاشتراكي الى مبنى محافظة القاهرة الجديدة المطل

على النيل ، لم يكن في ذاته باعنا على تغيير طبيعة الاتحاد القومي أيام كان في قصر عابدين وفي ثكنات الحرس الملكي سابقا .

وتعيين حسين الشافعي أمينا للاتحاد الاشتراكي لا يعبر عن تطور في التنظيم الجديد . فليس هناك فارق فكري بينه وبين كمال الدين حسين الأمين العام للاتحاد القومي .

والجماهير ما زالت بعيدة عن استشعار ما يدور في المجتمع . . . والطبقة العاملة التي تكونت مع تطور الصناعة ما زالت بعيدة عن التفاعل الحي مع النظام عن طريق الادارة الديمقراطية . . والعسكريون والتكنوقراط ما زالوا ساديين في سلوكهم الذي لا يطبق المشاركة ويدعو للانفراد .

والاتحاد الاشتراكي خلال هذه الفترة بعيد أيضا عن امكانية التفاعل مع المؤسسات والشركات الصناعية . . العلاقات ليست واضحة . . والحساسيات من جانب المديرين قائمة . . والملاحظات من جانب العاملين في الاتحاد الاشتراكي مستمرة .

الكتاب السنوي الثاني للاتحاد الاشتراكي لا يحدد دورا لتفاعل تنظيمات الاتحاد مع أجهزة الادارة . . . وخطة العمل التي صدرت عام ١٩٦٤ لا تتضمن أكثر من هذه الفترة (أما الوسائل الخاصة بكل صناعة فان التقاء النقابات العامة وممثلي الادارة مع ممثلي التخطيط قد يكون مجالا مفيدا لتحديد المشاكل العامة التي تتعرض لها الصناعة بذاتها ، ويمكن ان تعود بعض هذه المسائل الى الوحدات الانتاجية في المصنع لتناقش بوصفها مصدر المعلومات الأساسي) .

ثم تواصل التوضيح قائلة (ولكي يكون العمل الذي يتم في هذه المؤتمرات مثمرا ومفيدا يجب ان يعتمد عن أي شكل من أشكال السلطة التنفيذية ليكون تعبيرا حقيقيا لا يتصف بالحرص أو المجاملة ، وبذلك تتأكد معاني الديمقراطية كسلوك وممارسة على أساس ان الادارة والتنفيذ تخضع كل منهما عن نفسها ثوب السلطة عند المناقشة) .

خطة الاتحاد الاشتراكي عامة وغامضة وبعيدة عن الوصول الى قلب المشكلة .

دور الاتحاد الاشتراكي ليس واضحا ما زال يتحرك بروتيينية بعيدة عن التأثير في الجماهير .

ولكن الأمور لا تركز الى جمود تشكلت أمانة جديدة في

١٣ ديسمبر ١٩٦٤ من ٢١ عضوا ٠٠ من بينهم ١٣ ضابطا وقسمت الى
١٥ أمانة فرعية وضمت الأسماء الآتية :

حسنى الشافعى ، د . نور الدين طراف ، أحمد عبده الشرباصى ،
كمال الدين رفعت ، عباس رضوان ، خالد محيى الدين ، سيد مرعى ،
طلعت خيرى ، أنور سلامة ، د . حسين خلاف ، شعراوى جمعه ،
كمال الحناوى ، على السيد على ، حسين ذو الفقار صبرى ، محمد فتحى
الديب ، أحمد عبد الله طعيمة ، عبد الفتاح أبو الفضل ، د . عبد السلام
بدوى ، عبد المجيد شديد - د . إبراهيم سعد الدين ، د . رشدى سعيد .

خرج من الأمانة السابقة أنور السادات رئيس مجلس الأمة ،
وعلى صبرى رئيس الوزراء ، وكمال الدين حسين المستقيل ، وحسن
إبراهيم ، والدكتور محمد عبد القادر حاتم .

جميع الخارجين من الضباط ٠٠٠ والبعض منهم يقترب من دائرة
الظبل .

ودخل إليها للمرة الأولى بعض اليساريين وكان هذا فى ذاته إنعطافا
جديدا فى مسار الثورة ٠٠٠ خالد محيى الدين الذى كان يتولى فى ذلك
الوقت رئاسة مؤسسة أخبار اليوم . لأمانة شئون الصحافة والدكتور
إبراهيم سعد الدين الذى فوجئ بتعيينه عضوا فى الأمانة العامة رغم أنه
كان معزولا سياسيا ، ولو أنه كان عضوا عاملا بصفحة الرأى فى جريدة
الأهرام .

تولى إبراهيم سعد الدين أمانة المعهد العالى للدراسات الاشتراكية
التي انفصلت عن أمانة الدعوة والفكر التي كان يتولى شئونها كمال الدين
رفعت والتي كانت تصدر نشرة (الاشتراكي) تضم عددا من المقالات
والاقتراحات ذات المضمون التقدمي .

ظهرت أسماء جديدة فى مجال العمل السياسى ٠٠٠ شعراوى جمعه
الذى كان محافظا للسويس واهتم خلال وجوده هناك بالعمل السياسى
والثقافى فانشأ مركزا للدراسات الاشتراكية استعان فيه ببعض المثقفين
اليساريين من القاهرة ، كما انشأ فرقة مسرحية للسويس تولى ادارتها
ماركسى سابق هو يوسف غزولى خريج كلية العلوم والمهندسين بشركات
البترول فى المدينة ٠٠ وكمال الدين الحناوى الذى عاد الى الصحافة رئيسا
لمجلس ادارة دار التحرير .

تفسير الأمانة وتقسيمها الى أمانات فرعية كان خطوة الى الامام ٠٠٠
ولكنها لم تكن خطوة كافية لانطلاق الجهاز الضخم الذى يضم عدة ملايين
واجتماعات الأمانة تحددت الى نوعين :

ثورة يوليو ج ١ - ١٩٦٩

الأول . . . يحضره جمال عبد الناصر ويعطى فيه توجيهات وللحاضرين حق السؤال . . . وكان منتظما في الحضور والمشاركة .

الثاني . . . اجتماعات تعقد تحت رئاسة حسين الشافعى لتنفيذ توجيهات جمال عبد الناصر وتميزت هذه الاجتماعات حسب رأى الدكتور ابراهيم سعد الدين بأن المناقشات فيها كانت أكثر انفتاحا وإن بعض الآراء كانت أحيانا تتعارض أو تتنافر مع رأى عبد الناصر .

الأمانة لم تكن تصدر أى نوع من القرارات .

كانت تثار بعض الأسئلة ، وجمال عبد الناصر يجيب ثم ينفذ الاجتماع .

تخلف عبد الناصر فى أحد الاجتماعات عن الحضور ، وأتاب عنه عبد الحكيم عامر ففتح الاجتماع بقوله (نتكلم فى أى حاجة على ما قسم) .

عدم انضباط الاجتماعات بجدول أعمال ومناقشة مفتوحة وقرارات مكتوبة كان ظاهرة فى أعمال الأمانة ورغم الاكثريّة الواضحة من العسكريين المشهورين بالانضباط إلا أن اجتماعاتهم كانت مفتوحة وغير منضبطة .

ولم تكن هذه الظاهرة مقتصرة على العمل فى الاتحاد الاشتراكي ولكنها كانت موجودة أيضا فى مجلس الوزراء الذى قليلا ما كان يتقيد بجدول أعمال محدد ، وكثيرا ما اختل عقد جلساته فى موعد محدد .

قال حسين الشافعى فى حديث لى معه بتاريخ ٢٧ سبتمبر ١٩٦٥ (إن تمويل الاتحاد الاشتراكي لنفسه ذاتيا هو علامة صحة وإيجابية) ولكن هذا لم يكن كافيا لانقاذ الاتحاد الاشتراكي من جموده وعدم فعاليته .

نادى ميشيل عفلق سكرتير حزب البعث فى محادثات الوحدة بتعدد الأحزاب قائلا (تعدد الأحزاب القومية الاشتراكية هو ضمانة لحد ما للحرية السياسية) وجمال عبد الناصر يرد عليه (نحن لا نعتبر الاتحاد الاشتراكي حزبا . . . لأن الحزب بالطبيعة تعبير عن مصالح فئة أو طبقة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية) .

ويستطرد جمال عبد الناصر مفسرا مسئولية الاتحاد بقوله فى جلسة ١٩ مارس ١٩٦٣ (الاتحاد الاشتراكي تحالف لقوى الشعب العاملة ويتكون فى داخله جهاز سياسى هو أصلا الكادر ، يعنى الناس ذوى الفعاليات السياسية والقدرة على تحريك التفاعل الثورى) .

بداية طليعة الاشتراكيين

ويفكر جمال عبد الناصر في تطبيق ما ورد بالميثاق حول الجهاز السياسي من القول بأن الحاجة ماسة الى تكوينه داخل اطار الاتحاد الاشتراكي لتجنيده العناصر الصالحة للقيادة وتنظيم جهودها .

ويبدأ في التنفيذ بعد أسابيع من جلسات مباحثات الوحدة . . . ويعقد جمال عبد الناصر اجتماعا في يونيو ١٩٦٣ يدعو اليه على صبرى ومحمد حسنين هيكل وأحمد فؤاد ، ويحضر سامى شرف سكرتيرا للجلسة .

تحضير الجهاز السياسي للاتحاد الاشتراكي يتم بعيدا عن جميع أعضاء مجلس قيادة الثورة السابق . . . حتى الأمين العام للاتحاد الاشتراكي كان غائبا عن الاجتماع الأول . . .

السبب غير مفهوم . . . الا اذا وضع في اطار الثقة الشخصية من جانب جمال عبد الناصر في ان يكون الحاضرون من المقتنعين بالتحول الاجتماعي عن طريق الاشتراكيين . . . واذا كان حكما من جمال عبد الناصر بأن زملاءه السابقين القابلين لمواصلة المسيرة معه انما يفعلون ذلك بدافع الرغبة في البقاء داخل دائرة السلطة والاستفادة بمزاياها أكثر من ايمانهم بالتحول نحو الاشتراكية .

وكان هذا ايذانا بأن دور البغدادي وكمال الدين حسين قد وصلت به التناقضات الى نهايته عمليا قبل ان يعلن ذلك رسميا .

فكرة الجهاز السياسي داخل الاتحاد الاشتراكي ، تشابه مع تنظيم رابطة الشيوعيين اليوغوسلاف داخل الاتحاد الاشتراكي في يوغوسلافيا وقد أطلق عليها في مصر اسم (طليعة الاشتراكيين) .

وحى التنظيم انتقل من البرتغال الدولة الفاشية حيث اقتبس نظام الاتحاد القومي الى يوغوسلافيا الدولة الاشتراكية ذات الطابع الخاص وكان جمال عبد الناصر قد أرسل صلاح دسوقي في بعثة الى يوغوسلافيا لدراسة النظام هناك .

والمجموعة التي اعتمد عليها جمال عبد الناصر كبداية وأساس لتكوين الجهاز السياسي كانت ذات ميول فكرية متباينة . . . الوحيد الذي ارتبط منهم خلال ماضيه بحركات سياسية اشتراكية كان أحمد فؤاد عضو الحركة الديمقراطية للتححر الوطني .

وعندما استفسر أحمد فؤاد من جمال عبد الناصر عن مدى التجانس بين أفراد هذه المجموعة ، قال له ان على صبرى ومحمد حسنين هيكل هما

أكثر الأفراد تأثرا بفكره وانهما رغم أصولهما الفكرية البعيدة عن الاشتراكية الا انهما يعبران مرحلة من مراحل التحول الفكرى الى الاقتناع بها .

وطالب جمال عبد الناصر ان يتصل كل واحد من الحاضرين بمجموعة من الذين يثق فيهم وان يشكل منهم خلايا لا يتجاوز عدد أفراد كل خلية عشرة أفراد فقط .

قال لأحمد فؤاد انه يريد تنظيما منضبطا مثل التنظيمات الشيوعية ، وانه لا يجد خلافا شديدا مع الماركسية فى الوجهات الاجتماعية والاقتصادية .

كما اشترط جمال عبد الناصر ان يكون التنظيم سريا ، والا يقبل الأعضاء فيه الا بعد عرض الاسماء عليه للموافقة عليهم وكان مفهوما انها تفرز بوساطة أجهزة أمن خاصة .

السرية كانت - حسب تصور جمال عبد الناصر - كما قال لأحمد فؤاد وكما أوضحه فى مؤتمر المبعوثين بعد ذلك لمنع تكتل القوى ضد العناصر المختارة ومحاولة الاساءة الى سمعتها أولا ، والنقطة الثانية هى حرصه على الا يستغل أحد وجوده فى الجهاز السياسى ليستفيد من ذلك فى مكان عمله أو فى أى مكان آخر .

وكان جمال عبد الناصر قد أعلن فى مؤتمر المبعوثين فى أغسطس ١٩٦٦ عن وجود طليعة الاشتراكيين وعن انها تتكون سرا من سنتين .

كانت مجموعة البداية لا تبشر بإمكانية خلق تنظيم كادر مناضل وصالح لتحريك الاتحاد الاشتراكي فلم يكن محتملا ان يخرج أحد هؤلاء الأفراد من دائرة طبقته واتصالاته الطبيعية ليرتبط بعناصر مناضلة حقيقية .

كل فرد منهم بدأ يتصل بأقرب الناس اليه .

لم يكن المشير عبد الحكيم عامر بعيدا عن خطوات تكوين هذا الجهاز السياسى كان هو الوحيد الذى علم بخطوات التكوين من رئيس الجمهورية وقد كلف شمس بدران بتكوين الجهاز داخل القوات المسلحة ، كما اتصل بعباس رضوان الذى شكل مجموعة كان من بين أعضائها شعراوى جمعه محافظ السويس .

رئيس الوزراء على صبرى اتصل بالوزراء عبد المنعم القيسونى وأحمد توفيق البكرى وعبد القادر حاتم وعبد المحسن أبو النور وعبد العزيز السيد وبالعاملين فى رئاسة الجمهورية مجيد فايق

وعبد المجيد فريد وسامى شرف وعبد المجيد شديد عضو أمانة الاتحاد الاشتراكي ومحمد أبو نار (٨ ضباط ومدنيان) .

واقترنت اتصالات محمد حسنين هيكل على عدم محدود جدا من العاملين في جريدة الأهرام . وأمين هويدى الذى اتصل به جمال عبد الناصر شخصيا أثناء وجوده في القاهرة من بغداد قدم لعبد الناصر بعض الأسماء كان من بينها أسماء بعض العاملين في المخابرات العامة والقوات المسلحة فرفضها جمال عبد الناصر فوراً .

أما أحمد فؤاد فقد اتصل بى وبدأنا تشكيل فرع ليس من بين أعضائه وزير أو محافظ أو سفير أو ضابط سابق . . . كل أعضائه من التقدميين الثوريين في مختلف المجالات ، وشكلنا له لجنة قيادية من أحمد فؤاد والدكتور عبد المعبود الجبيلي وأنا .

التقت هذه اللجنة في بداية تشكيل الفرع من المشير عبد الحكيم عامر بناء على تعليمات جمال عبد الناصر وتمت المقابلة في منزله بثكنات الجيش بالحلمية الجديدة ، وكان مفروضاً أن يستمر الاتصال به ، ولكن ذلك لم يتكرر بعد مقابلات محدودة . . . وتبين لنا أن المشير عامر وهو على قمة السلطة العسكرية لم يكن يجد في مثل هذا التنظيم شيئاً له قيمة .

ونما فرعنا نمواً سريعاً واستقطب اليه معظم العناصر الناضجة فكرياً وسياسياً في مجالات الثقافة والصحافة ، كما انضم اليه عدد من الشيوعيين الذين خرجوا من المعتقلات بعد خمس سنوات كاملة ، وذلك حتى لا يزور خروشوف مصر في زيارته التي تمت لتحويل مجرى النيل عند السد العالي في مايو ١٩٦٤ وهناك معتقل شيوعي واحد .

الشيوعيون وطلبة الاشتراكيين

بلغ عدد المنضمين الى فرعنا خلال فترة وجيزة ما يزيد عن ٢٥٠ عضواً معظمهم يصلح كادراً قيادياً مؤثراً في مجال عمله أو سكنه .

كان موضع تساؤلنا عن سر تكليف عبد الناصر للمشير عامر الاتصال بفرعنا الذى يعتبر الفرع اليسارى التقدمى في التنظيم كله . . ولم نجد لذلك جواباً الا أن يكون رغبة في إبلاغ المشير بأن القوات المسلحة ليست هي الوحيدة في ساحة العمل السياسى . . . أو انه أراد أن يضعف الحساسية في نفسه من ناحية الماركسية عن طريق اتصاله ببعض من كانوا أعضاء في تنظيماها .

وخلال هذه الاتصالات لم يكن عبد الحكيم عامر ناغراً من المناقشة أو غير مستجيب لها ولكنه حسب طبيعته كان لا يريد للأمور أن تصل

الى ابعادها الحقيقية ومع ذلك فقد قدم لفرعنا بعض تسهيلات ادارية مثل شقة واسعة تطل على مبنى السفارة الأمريكية كانت تحت تصرف ادارة الشئون العامة للقوات المسلحة ، ولكنى رفضت استخدامها لاجتماعات الفرع حرصا على السرية من ناحية وتحاشيا لما يمكن أن يدور حولها من تساؤلات ، فظلت مغلقة عدة شهور ثم سلمتها من جديد الى ادارة الشئون العامة .

... وقد بدأنا الاتصال فورا بالتنظيمين الرئيسيين (الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى) و (الحزب الشيوعى المصرى) ، وكان الافراج قد تم عن كافة المعتقلين الذين أمضوا فى المعتقل سنوات طويلة الأمر الذى أدى الى عدم اجتماع اللجنة المركزية لحدثو كاملة من ديسمبر ١٩٥٢ الى مايو ١٩٦٤ لوجود أكثر من نصفها داخل السجن .

ويلاحظ أيضا أنه لم يسبق صدور عفو خاص عن أى قضية شيوعية طوال حكم الثورة الا فى أواخر عام ١٩٦٤ .

مثل (حدثو) فى هذه المقابلات أحمد رفاعى المحامى وزكى مراد المحامى وفؤاد حبشى وتمت موافقتهم على الانضمام الى طليعة الاشتراكيين، وأعدت لذلك خريطة كاملة بأعضاء حدثو وتسكينهم مع أعضاء فرعنا فى أماكنهم التى يعملون بها فى القاهرة والاسكندرية والأقاليم ...

كما جرت عدة لقاءات مع الدكتور فؤاد موسى السكرتير السابق للحزب الشيوعى لم تنته الى قرار واضح .

وعندما حمل أحمد فؤاد الخريطة التى تحمىل أسماء فرعنا مضافا اليهم أعضاء (حدثو) أخذت الحاضرين (جمال عبد الناصر وعلى صبرى ومحمد حسنين هيكل وسامى شرف) الدهشة من سرعة التنفيذ .

ووضع الاقتراح الذى تقدم به جمال عبد الناصر شخصيا مع الخريطة التى أعدناها والاقتراحات التى حملها أحمد فؤاد على الرف نهائيا .

كانت هذه هى المرة الأخيرة التى يشير فيها الى موافقته على دخول التنظيمات الشيوعية بصورة جماعية فى اطار طليعة الاشتراكيين دون قيد ولا شرط ... وان كانت عملية دخولهم كأفراد قد استمرت بعد ذلك .

لم يفعل جمال عبد الناصر مثل فيديل كاسترو ... وام يربط جهازه السياسى بتنظيمات الشيوعيين .

ورغم ان الاقتراح قد صدر منه شخصيا ، الا أن رؤيته للظروف التى أحاطت به ، جعلته يتراجع نهائيا عن قراره ... ومضت فرصة

استيعاب مئات من الكادرات السياسيين المؤمنين بالاشتراكية ليعملوا ويتفاعلوا تحت قيادة عبد الناصر التي كانت تكتسب ثقة الجماهير وثقتهم .

كانت بذور الشك والخوف ما زالت موجودة في قلب الطبقة الحاكمة المعبرة عن الطبقة الوسطى من الطبقة العاملة والتنظيمات المعبرة عنها .

وقد أدى دخول بعض أعضاء التنظيمات الشيوعية الى طليعة الاشتراكيين ومنع البعض الآخر أو التلكؤ في قبوله ، الى حدوث خلافات على وجهات النظر ، وقيام مناقشات على نطاق واسع ، وانتهت الى حدث تاريخي لم يحدث في أية دولة من قبل ٠٠٠ اذ اتخذ التنظيمان الشيوعيان الكبيران قرارا بحل التنظيم بوجهات نظر مختلفة .

وسواء صحت وجهة نظر التنظيمين الكبيرين في قرار الحل أم أخطأت فإن ما تم كان دليلا على توفر حد كبير من الثقة في قيادة جمال عبد الناصر ودوره في توجيه عملية التحول الاجتماعى ٠٠٠ ودليلا أيضا على مرونة الفكر الشيوعى فى مجابهة المواقف المختلفة .

كان صعبا من الوجهة العملية أن تجد التنظيمات الشيوعية فرصة عمل تؤدي فيها دورا مميزا بعيدا عن قيادة عبد الناصر في هذه المرحلة التي كان يتحرك كل شئ فيها نحو التطبيق الاشتراكي ، وكان اختيارا قاسيا لها ان ترفض فرصة الاندماج فى التنظيم الرسمى والعلى الوحيد حيث تتاح فرصة عمل أكبر وسط الجماهير بطريقة قانونية .

ولكن قرار حل التنظيمات مع ذلك كان يعتبر من الوجهة الماركسية خطأ سياسيا كبيرا ، اذ لا يملك حزب الطبقة العاملة ان يحل نفسه وينهى دوره المعبر عن ارادتها وأهدافها ٠٠٠ لأنه لا يمكن القول بإمكان بناء الاشتراكية بدون الدور القيادى للطبقة العاملة وحزبها الشيوعى .

كان يمكن التوفيق بين الأمرين ٠٠٠ حل التنظيم وبقاء فكرته ٠٠٠ أى حله عمليا وبقاء فكرته نظريا دون تصفية .

ولكن الظروف فى ذلك الوقت كانت تبشر بتغييرات اجتماعية حقيقية .

أما طليعة الاشتراكيين فقد انتقلت من نظام الفروع الذى يتشعب تحت عدد محدود من المسئولين والذى تتناثر طليعة أعضاء كل فرع مع زيادة التجنيد ٠٠٠ فرق بين الذين جندهم على صبرى من الوزراء والمحافظين والسفراء وغيرهم من كبار الموظفين ٠٠٠ وبين الذين جندهم فرعا من الكتاب والمثقفين والشباب والمناضلين السابقين .

ليس هذا فقط ... بل أن بعض الفروع كانت تنمو بصورة واضحة
... والبعض توقف عند عدد محدود .

تنظيم حزبي لطليعة الاشتراكيين :

وتقرر ان تأخذ طليعة الاشتراكيين شكلا تنظيميا حزبيا .

وعهد جمال عبد الناصر الى شعراوي جمعة أحد الوزراء الثلاثة
للوحدة مع العراق (مع كمال الحناوى وعلى السيد على) ... عهد اليه
بمسئولية الأمانة العامة وحدد معه أعضائها .

ويقول أحمد كامل أحد الضباط الأحرار وأمين الشباب ورئيس
المخابرات العامة فيما بعد انه شاهد تأشيرة جمال عبد الناصر وكان وقتها
يعمل فى الرئاسة بعد عودته من الرباط ومريد حيث كان يعمل ملحقا
عسكريا .

يقول أحمد كامل أن جمال عبد الناصر قد حدد شعراوي جمعة أمينا
عاما للأمانة وأحمد كامل لثئون التنظيم ومحمد المصرى للنشاط
السياسى ، وكاتب هذه السطور للتثقيف .

تشكلت أول أمانة لطليعة الاشتراكيين من شعراوي جمعة
وعبد المجيد شديد والدكتور حسين كامل بهاء الدين وأمين عز الدين
وأحمد شبيب ومحمد المصرى وأحمد كامل والدكتور عبد المعبود الجبيل
ويوسف غزولى ومحمد عروق ومنى كاتب هذه السطور وانضم لها بعد
عدة شهور محمود أمين العالم (٦ ضباط ، ٦ مدنيين) .

تولت الأمانة العامة مسئولية توحيد الفروع وتنظيمها على أساس
جغرافى أو مهنى ...

أكبر ما صدمنا به خلال هذه المرحلة هو الاصرار على ابقاء العناصر
التي كان معروفا لأغليبيتنا مسبقا انها ليست اشتراكية وليست قادرة على
النضال ، أو مهياة لأى نوع من أنواع التضحية .

بيروقراطية المناصب لعبت دورا رئيسيا فى عدم اعطاء التنظيم
فعاليته المطلوبة ، وتركته تحت سيطرة الأسماء المعروفة ، وظهر منذ
البداية صعوبة تحويله الى تنظيم نضالى يستطيع ان يسهم بدور ايجابى
فى عملية التحول الاجتماعى .

الظاهرة المميزة لتكوين الأمانة هى عدم وجود حساسية عند أغلبية
أعضائها مع الماركسية كنظرية اجتماعية ، وتواجد عدد من اليساريين
فيها .

وانعكس ذلك أيضا على تكوين لجنة القاهرة الرئيسية لطليعة الاشتراكيين التي شكلت بقيادة على صبرى وعضوية الضباط السابقين حلمى السعيد وشعراوى جمعة وسعد زايد ومحمد فايق وسامى شرف والدكاترة عزت سلامة ولبيب شقير وإبراهيم الشربيني ثم أحمد فؤاد وأحمد بهاء الدين وممثل العمال أحمد فهمي وفتحى فوده (٦ ضباط ، ٧ مدنيين) .

الملاحظ أيضا زيادة نسبة عدد المدنيين وظهور أسماء جديدة فى قمة العمل السياسى ٠٠٠ مع اختفاء أصحاب المناصب القيادية فى تنظيمات الاتحاد الاشتراكى العلنية ٠٠٠ ودخول عدد من التقدميين اليساريين لصفوف هذه التنظيمات بلا حساب .

أمانة طليعة الاشتراكيين لم تضم سوى شعراوى جمعه وعبد المجيد شديد من أمانة الاتحاد الاشتراكى .

بعض العناصر من قيادات الاتحاد الاشتراكى دخلت طليعة الاشتراكيين ولكنها لم تكن فى القيادة المركزية .

طليعة الاشتراكيين تعمل سرا فى مقرها بسراى الأمير سعيد طوسون بالزمالك (مقر منظمة الشباب فيما بعد) ٠٠٠ ثم فى مبنى مجلس قيادة الثورة بالجزيرة ، وتصدر نشرات دورية وتكون لجانا للمحافظات .

كان النشاط الشديد هو طابع عمل الأمانة فى ذلك الوقت ٠٠٠ تقارير سياسية يومية ترفع الى جمال عبد الناصر وتعود بتأثيراته فى مساء نفس اليوم لترسل الى الوزراء والمسؤولين بتوقيع طليعة الاشتراكيين ٠٠٠ وانتظم صدور النشرة التى أشرف على كتابتها اليساريون من أعضاء الأمانة ، وتناولت عددا من القضايا السياسية الهامة من وجهة نظر اشتراكية متحررة ٠٠٠ وتعددت الاجتماعات بين عدد من أعضاء الأمانة ومسئولى الاتحاد الاشتراكى فى المحافظات ٠٠٠ وكان المحافظون فى معظم الحالات هم المسؤولون السياسيون لطليعة الاشتراكيين فوق أمناء الاتحاد الاشتراكى ٠٠

واستمرت دقة النشاط فى الأمانة واضحة حتى حدث احتكاك مع بعض الوزراء الذين كان يسيئهم أن تصل اليهم تأشيريات الرئيس خلال طليعة الاشتراكيين رغم وصولها اليهم فى خطابات مغلقة تحمل هذه الكلمات (سرى للغاية وشخصى ولا يفتح الا بمعرفة سيادته) .

اعترض على أسلوب الخطابات بعض الوزراء مثل الدكتور عزيز صدقى وطلعت خيري وعندما رفع الأمر الى جمال عبد الناصر طلب من طليعة

الاشتراكيين أن تتوقف عن مخاطبة الوزراء حيث سيكون لهم تشكيل خاص .

وارتفعت عندئذ يد التنظيم عن الوزراء فضعفت قبضته على الجهاز الادارى والتنفيذى الى حد كبير .

واذا كان قانون الاتحاد الاشتراكى لم ينفذ بادخال رجال القوات المسلحة والشرطة والقضاء الى تنظيمه ، فانه قد بدأ ينفذ فيما يتصل بتنظيم طليعة الاشتراكيين .

ـ طليعة الاشتراكيين والقوات المسلحة

كانت السرية التى يتم بها تشكيل التنظيم ، والأفضلية النسبية الناتجة من اختيار الأفراد ، عاملا مشجعا على تكوين تنظيم لطليلة الاشتراكيين داخل الجيش .

كان المسئول عن هذا التنظيم الصاغ شمس بدران الذى كان يستمد قوته الهائلة المؤثرة فى الجيش وخاجه من عاملين أولهما الثقة المطلقة غير المحدودة التى منحه اياها كلا من جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر . وثانيهما منصبه كمدير لمكتب القائد العام لشئون الميزانية والأفراد ، والأمر الذى أتاح له السيطرة على كل شئ فى القوات المسلحة ، وسهل له وضع العناصر المرتبطة به شخصيا فى المراكز القيادية الحساسة حتى أصبحت تشكل قوة رئيسية خاصة ومؤثرة داخل القوات المسلحة .

ولذا لم يكن تشكيل طليعة الاشتراكيين داخل القوات المسلحة عملية عسيرة أو معقدة ... بل نفذت دون مصاعب ، وطلت سرا مجهولا على الكثيرين ، ولو انه عرف فيما بعد انها كانت تسير على نظير طليعة الاشتراكيين خارج الجيش فقد ضمت القادة مثل محمد فوزى القائد العام للقوات المسلحة بعد ٥ يونيو ١٩٦٧ ثم وزير الحربية بعد أمين هويدى ومحمد أحمد صادق رئيس أركان الحرب ثم وزير الحربية بعد مايو ١٩٧١ ، تماما كما ضمت طليعة الاشتراكيين الوزراء ورؤساء مجالس الادارة وغيرهم من أصحاب المراكز البعيدين عن الفكر السياسى الاشتراكى الأصيل .

والاتحاد الاشتراكى يحاول الحركة بطليعة الاشتراكيين ... ولكن تأثيره ما زال محدودا فى المجالات الجماهيرية وفى مواقع الانتاج ... ودوره ضعيف وغير ملموس فى دفع عجلة البناء الاجتماعى الجديد .

وكلمة الاشتراكية تردد على كل لسان ، وتدخل فى كل مقال ، وينسب إليها كل انجاز ... ولكنها همسا وبين البرجوازية غير المقتنعة

بعملية التحول القسرى للمجتمع تصب على هذه الكلمة كل الاثام ...
وتحولها الى مشجب تعلق عليه كل الاخطاء والانحرافات ... انها أصبحت
(الاشتراكية المفترى عليها) كما كتبت فى احدى المقالات بمجلة
روز اليوسف .

وجمال عبد الناصر يحاول تفسير حقيقة الموقف فيقول عام ١٩٦٥
(احنا ما بقيناش دولة اشتراكية ... احنا فى مرحلة انتقال من
الراسمالية الى الاشتراكية ...) .

ضاعت فرصة تكوين كادر اشتراكي حقيقى داخل الجيش .. كما
ضاعت خارجه .. ولم يسمح للاشتراكيين الحقيقيين اعضاء طليعة
الاشتراكيين بالاتصال بالجيش .

واذا كان الشيوعيون قد احتفظوا بقوتهم فى الجيش التى عبر عنها
لينين بقوله فى المؤلفات الكاملة - المجلد ٣٠ - (ان البلاشفة قد اكتسبوا
فى الجيش قبل نوفمبر ١٩١٧ قوة سياسية (ضاربة) ضمنت لهم التفوق
الساحق فى النقطة الحاسمة واللحظة الحاسمة) فان قيادة ثورة يوليو
لم تحتفظ فى الجيش بالكادر الذى اعتمد عليه ، وانما انتهت وجوده
كتنظيم للضباط الأحرار ، ثم لم تبذل جهدا حقيقيا لخلق تنظيم حزبي
ديموقراطى فى صفوف طليعة الاشتراكيين داخل الجيش .

ويقول تيمتو لوبم عضو اللجنة السياسية للجنة المركزية للحزب
الشيوعى الشيلى كما ورد فى ندوة (دراسات اشتراكية - عدد يوليو
١٩٧٤) ان اراد الشعب ان يكون سيد مصيره لابد له من أن يعمل على
اشاعة الديمقراطية فى القوات المسلحة ، فهذا امر له أهمية حيوية .

ما لم يتحقق فى شيلى وادى الى اطاحة الجيش بنظام الليندى
الديموقراطى ، لم يتحقق بشكل آخر فى مصر رغم ان القيادة الثورية نبتت
فى صفوف الجيش .

وظل الجيش بعيدا عن الوعي السياسى الديموقراطى معتمدا فى
حركته على ارادة قيادته وسيطرتها فقط .

ولم يطبق ما ورد فى الميثاق أو يتحقق .

ورغم ان جهاز السلطة فى مجموعه لم يكن جهازا اشتراكيا ، الا ان
وجود جمال عبد الناصر فى مركز السلطة كان هو الضمان للعناصر
التقدمية والثورية للنضال دون خوف الانقراض عليها .

وخلال هذه المرحلة التى بدأت تنسج فيها خيوط أول تنظيم حزبي
حقيقى تقوم به ثورة ٢٣ يوليو ، كان هناك تقدير اقل لقوة البرجوازية

الموجودة في السلطة ، وتقدير أكبر في إمكانية قيادة جمال عبد الناصر لعملية التحويل الاجتماعي .

ولم يحاول جمال عبد الناصر أن يضعف من قوة البرجوازية التي تعيش في مواقع السلطة ، وتقبض على المراكز الحاكمة وتلبس على وجهها قناعا اشتراكيا ، وتطمع جعبتها بمصطلحات اشتراكية . . . كما لم يحاول أن يعطي فرصة أكبر للعناصر اليسارية ، حتى تدعم التطبيق الاشتراكي .

كان يوجه ضرباته للبرجوازية خارج جهاز الحكم ، ولكنه تهاون مع الذين يتولون المناصب في أجهزة الدولة . وكثيرا ما قامت الرقابة الادارية بعمل تحقيقات واكتشفت الحرافات ، ولكنها غالبا ما كانت تتحول الى توبيخات في الارشيف ، وليس كلمة اتهام في ساحة القضاء .

الفرصة الضائعة

كانت الفرصة متاحة أمام جمال عبد الناصر لتطهير أجهزة الدولة والتنظيم السياسي من العناصر المعروفة بأنها رجعية ومعوقة ، ولكنه كان وثقا دائما ان هذه الشخصيات لا يمكن أن تتحرك حركة مضادة ضد النظام أو ضده شخصيا وانها تتحرك خلال شريط ضيق محدود .

ولذا فهو لم يشترط بناء طليعة الاشتراكيين من العناصر المناضلة الشريفة وحدها وانما وافق على أن تكون الطليعة صورة مصغرة من الاتحاد الاشتراكي ربما بصورة أفضل قليلا .

كل الظروف كانت مهية لبناء تنظيم سياسي فعال ليس شرطا ان يكون ماركسيا كما فعل فيديل كاسترو ولكن جمال عبد الناصر كان يخشى حدوث تطور أكثر يسارية مما رسم حتى لا يخرج الأمر من قبضة العسكريين الذين اعتمد عليهم في معظم مجالات العمل كما انه كان على حذر دائم وبطريقة مبالغ فيها من خشية أية حركة تنبعث من صفوف الجيش ، وخاصة بعد استقالة عبد الحكيم عامر وعودته .

وقد تأثر جمال عبد الناصر خلال هذه الفترة بمعتقدات تيتو التي زادت في نفسه روح الحرص على الا يرتبط بايدولوجية محدودة ، حتي يكون أكثر مرونة في حركته ورغم أن تيتو شيوعي العقيدة ، إلا أنه منظم ومؤسس لفكرة عدم الانحياز ، ومتعاون بدرجات متفاوتة حسب الزمن والظروف مع الدولتين العظميين : الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة .

هذا الى أن التمزق الذي حدث داخل المعسكر الاشتراكي نتيجة الخلاف بين الصين والاتحاد السوفيتي قد انعكس أيضا على احتمالات اندفاع جمال عبد الناصر نحو اقتناع أوثق بالفكرة الاشتراكية .

كل هذه العوامل لم تدفع جمال عبد الناصر الى الاصرار على أن تبني طليعة الاشتراكيين على قواعد حزبية سليمة وأصيلية . . وتركها تنمو على الأسس الموجودة في المجتمع بكل ما فيها من سلبيات وإيجابيات .

وجمال عبد الناصر كان قادرا على ذلك . . . ولكنه لم يكن - حينما يبدو - راغبا فيه ، وبذا أضاع الى الأبد فرصة خلق ظروف سياسية مناسبة لتتبع القيادته النمو والاستمرار بخلق صلة تنظيمية وثيقة بين قيادة الطبقة الوسطى وقيادة الطبقة العاملة .

قال جمال عبد الناصر لأمين هويدى فى إحدى المناقشات (أنا أستطيع أن أبني حزبا حقيقيا لو أردت) .

أذن هو لم يكن يريد . . . فتكوين الحزب على قواعد متينة ومن هنا صرنا مناضلة وغير انتهازية هو أمر يخلق نوعا من المشاركة مع سلطته الفردية الكبيرة ، ويدخل أفكاره فى تعقيدات المناقشة الحزبية الصريحة ، رغم أن هذه كانت الوسيلة الوحيدة لدعم النظام ، وتثبيت أسس البناء الاجتماعى الجديد .

ولم تؤثر الانقلابات الرجعية التى قامت ضد تكمروما فى غانا وموديبو كيتا فى مالى وسوكارنو فى أندونيسيا فى اتجاه جمال عبد الناصر . . . كان مستمرا فى انتهاج الأسلوب الذى درج عليه دون محاولة صادقة لدعم المجتمع ببناء سياسى حقيقى .

كان جمال عبد الناصر يهدف الى ازالة نفوذ الطبقة البرجوازية الكبيرة . . . ولكن دون تغليب طبقة العمال .

انه كان يمشى على سياسة منح العمال أو الفلاحين البسطاء ، دون أن يجعل منهم قوة سياسية فعالة مشاركة فى الأرض .

أثناء الاحتفال بعيد أول مايو ١٩٦٤ ، خطب أنور سلامة وكان وزيرا للعمل مطالبا بحقوق جديدة للعمال بعد قانون التأمينات الاجتماعية الذى صدر فى مارس ١٩٦٤ والذى يعتبر قمة القوانين العمالية ، دون أن يتحدث فى ذلك مسبقا مع جمال عبد الناصر ، مما أغضبته غضبا شديدا ، وجعله يرد عليه .

قال جمال عبد الناصر في خطبته (احنا قلنا الحد الأدنى للعامل يكون ٢٥ قرش ٠٠٠ هل هو ده الأجر الي يكفى ويخلى العامل يعيش عيشة سعيدة ؟ أنا بأقول لا) وضع المكان بالتصفيق والتهتاف .
ولكنه عندما استدرك قائلا (ولكن طبعا الخمسة وعشرين قرشا بالنسبة للماضى تعتبر مكسب) قوبل ذلك بوجوم وصمت تام .
ولم يعد ممكنا أن تنمو طليعة الاشتراكيين الجهاز السياسى للاتحاد الاشتراكى بعيدا عن قيادته العلنية .

وحدث تغيير فى المناصب ٠٠٠ عين زكريا محيى الدين رئيسا للوزراء ، وغادر على صبرى مقعده ليكون أميناً للاتحاد الاشتراكى بدلا من حسين الشافعى .

وتشكلت أمانة جديدة للاتحاد من على صبرى وكمال رفعت وعباس رضوان وأحمد عبد الله طعيمة وشعراوى جمعة وكمال الدين الحناوى وعلى السيد على وحسين ذو الفقار صبرى ، وفتحى الديب ، وعبد الفتاح أبو الفضل ، وعبد المجيد شديد ، والدكتور ابراهيم سعد الدين ، والدكتور حسين كامل بهاء الدين ، وعبد الحميد غازى ، ومحمد أبو نصير وأحمد شهاب (ضابطا و ٥ مدنيين) .

كان محمد حسين هيكى قد رتب اجتماعا بين على صبرى وكلا من الدكاترة ابراهيم سعد الدين وعبد الرازق حسن ومحمد الخفيف وهم من الماركسيين العاملين فى صفحة الراى بالأهرام ٠٠٠ وذلك قبل صدور قرار تعيينه أميناً عاما للاتحاد الاشتراكى .

دارت المناقشة حول كيفية انشاء التنظيم ، وتبنى الماركسيون فكرة التفرغ للمستولين السياسيين ، وضرورة احياء فكرة الجهاز السياسى الواردة فى الميثاق .

الذين استمروا فى الأمانة من عهد حسين الشافعى الى تولى على صبرى المسئولية سبعة هم الضباط كمال رفعت وشعراوى جمعة وكمال الحناوى وحسين ذو الفقار صبرى وفتحى الديب وعبد المجيد شديد وممثل العمال على السيد على .

واحتفظ شعراوى جمعة بمنصب وزير الدولة لشئون رئاسة الوزراء الى جانب منصبه كأمين للتنظيم وأمين عام طليعة الاشتراكيين .

كان انتقال على صبرى للمنصب الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى ، اتجاها لاعطاء ثقل معين لهذا التنظيم واقامة رابطة بينه وبين طليعة الاشتراكيين ، وبعثا للحيوية فيه .

وزارة زكريا محيي الدين

هذا الى جانب ان عودة زكريا محيي الدين الى مركز المسئولية الوزارية الاولى في أكتوبر ١٩٦٥ يعنى تراجعاً عن الاتفاق السابق الذى استقر عليه رأى جمال عبد الناصر عند تكوين مجلس السيادة بعد الانفصال وهو اعفاء أعضاء مجلس « قيادة الثورة السابقين » من تولى منصب رئاسة الوزراء ليرفع عن نفسه الحرج ويتحمل المسئولية وحده كما سبق أن ذكرنا .

ويقول زكريا محيي الدين انه لما راجع جمال عبد الناصر فى ذلك عند تولى المنصب ، قال له جمال عبد الناصر ان الظروف قد تغيرت وانه يود أن يبعث الحيوية فى الاتحاد الاشتراكي والوزارة معا .

وقد اتفق الاثنان على برنامج الوزارة أثناء رحلتها بالطائرة الى مؤتمر القمة الثالث فى الدار البيضاء .

وكان تعيين زكريا محيي الدين لرئاسة الوزارة قد تم بعد فترة كان مسئولاً فيها عن الجهاز المركزى للمحاسبات ، وتكشف له خلال عمله كثير من الأخطاء والانحرافات فى أجهزة الحكومة والقطاع العام ٠٠٠ وكان الدكتور ابراهيم سعد الدين وقتها وكيلاً للوزارة فى الجهاز .

ويقول زكريا محيي الدين انه كان يرفع تقارير الى جمال عبد الناصر ببعض الحقائق التى تثير القلق وتوجب الحيلة ، ولكنها كانت تضع يلاً صدى اذ يتم تحويلها الى رئيس الوزراء على صبرى فيحولها بدوره الى الجهة المسئولة عن الانحراف .

لم يكن للجهاز المركزى للمحاسبات قوة تنفيذية ولم يكن له من تأثير سوى على زكريا محيي الدين نفسه الذى غلب عليه الاقتناع خلال فترة اشرافه عليه بأن ينظر الى الأمور من زاوية الربح والخسارة بعيداً عن أى مؤثرات سياسية أو اجتماعية أخرى .

ولذا عين زكريا فى رئاسة الوزارة وهو يتبنى أفكاراً مسبقة وخططاً واضحة فى ذهنه . ورداً على سؤال عما اذا كان جمال عبد الناصر قد أعاد تشكيل الوزارة لتحسين الصلة مع الأمريكان والتقارب منهم ، أجاب زكريا محيي الدين بأن جمال عبد الناصر لم يكلفه بهذا الهدف ولم يشر اليه من قريب أو بعيد بأى توجيه فى هذا السبيل .

ويسبب طرد زكريا محيي الدين قائلاً ان جمال عبد الناصر لم يكن من أهدافه التعرض للقوى الأجنبية أو استفزازها دون سبب ولكنه كان يسحب سحباً لهذه التصادمات نتيجة تكوينه الشخصى وردود الفعل السريعة على تصرفات وتصريحات هذه القوى .

وعن الولايات المتحدة بالذات يقول زكريا محيي الدين ان التفكير في مصادقة الأمريكيين هو أمر قريب من المستحيل لأن البناء السياسي لها يؤثر على استراتيجيتها ٠٠٠ ويدل على ذلك بأنه خلال فترة الصداقة التي قامت بين مصر والولايات المتحدة في السنوات الأولى للثورة استطاعت إسرائيل أن تكون عاملا مؤثرا في زعزعة هذه العلاقة .

ويضيف قائلا خصوصا اذا كنا نستجيب بسرعة للأحداث وتكون الفعالاتنا هي أساس سياستنا . ورسم زكريا محيي الدين سياسة الوزارة على أساس التهدة بمعنى قبول بعض سخافات السياسة الأمريكية وعدم الرد عليها مؤثرا عدم المجابهة (على حد تعبيره) ويوضح ذلك بقوله أنه يمكن التسليم بحقائق يصعب على الانسان في المرحلة الآتية التغلب عليها فيؤجلها لمرحلة مستقبلية ٠٠ ساعيا وراء فائدة البلد على قدر الامكان .

وقد أمكن لزكريا محيي الدين بهذه السياسة ان يمد أجل المعونة الأمريكية لمدة ستة شهور فقط توقف بعدها امداد مصر بمعونة القمح ٠٠٠ ولم يجد جمال عبد الناصر من سبيل الا مطالبة الاتحاد السوفيتي بالقمح فكان أن حولت بعض المراكب السوفييتية مسارها لترسو في الموانئ المصرية بدلا من الموانئ السوفييتية .

وكانت نظرة زكريا محيي الدين للأمور تركز على تحليل خاص فهو يرى الاهتمام بمصر أولا حتى تصل الى مستوى يساعدها على خلق علاقات سليمة بدول الوطن العربي ويقول أيضا انه مع التأمين كسبيل لتعبئة الموارد لتحقيق مشاريع التنمية ٠٠ ولكنه ضد نزع الملكية بالكامل كما انه أيضا ضد الرأسمالية الاحتكارية .

يذكر أن جمال عبد الناصر ناقشه يوما في موضوع النزول بالحد الأقصى للملكية عما كان مقرا في قانون الاصلاح الزراعي فقال له زكريا محيي الدين بأنه لا اعتراض عنده على نزول الحد الأقصى الى أى مساحة حتى ولو كانت ٢٥ فدانا على أساس أن يكون ذلك قرارا ، نهائيا حتى يتوفر الاستقرار المطلوب للحكم .

ويفسر زكريا محيي الدين وجهة نظره في التأميم المتصاعد بأنه يؤدي الى فقدان الحرية السياسية حيث تتجمع كل الخيوط في يد الدولة التي يسيطر عليها مجموعة أو فرد تبعا للظروف .

ومن هنا يوضح أن زكريا محيي الدين كان يتبنى آراء لا تتطابق تماما مع آراء جمال عبد الناصر ٠٠ ولكنه لم يحدث بينهما صدام فكري ولم يثر بينهما أى نوع من أنواع الصراع الواضح .

وعندما بدأت الوزارة تطبيق آراء زكريا محيي الدين ، شعاع بين الناس انها وزارة انكماش وتراجع عن الخطة وتوافق هذا مع آراء الدكتور مصطفى خليل الذى ولى وزارة الصناعة بعد الدكتور عزيز صدقى .

وتأجل تنفيذ عدد من المشروعات مثل بناء مصانع جديدة للسكر .. بل ان زكريا محيي الدين ألغى تعاقدًا كان قد تم الاتفاق عليه مع تشيكوسلوفاكيا .

وهو يبرر ذلك بأن المصانع القائمة لم تكن تعمل بطاقتها الكاملة وأن المتوفر من زراعة القصب لا يكفي احتياجاتها ٠٠٠ ولذا فلم يكن هناك مبرر فى رأيه للتوسع فى هذه الصناعة طالما هناك ظروف تحول دون استخدام المصانع بأقصى طاقتها .

ولكن الأحداث أثبتت فيما بعد أن هذا التوقف قد أدى الى أن تتعطل إمكانية تحويل مصر من دولة مصدرة للسكر الى دولة مستوردة له ، وتصرف فى ذلك عشرات الملايين من الجنيهات بالعملة الصعبة .

وقرر زكريا محيي الدين أن يزيد من دخل مصر عن طريق تصدير الأرز ، وما ان أعلن جمال عبد الناصر ذلك فى إحدى خطبه بالسويس حتى هرع الناس الى المتاجر فوراً ووقفوا أمامها طوابير طويلة لحجز كميات أرز إضافية ٠٠٠ وإن ارتفاع السعر قد أدى الى ارتفاع أسعار سلع أخرى مثل الزيت واللبن وبيع التجار للسلع المخددة ٠٠٠ بأسعار أغلى مثل البيرة والكوكاكولا .

ويقول زكريا محيي الدين ان مناقشة دارت بينه وبين عبد الناصر عن ظاهرة الطوابير التى تحتشد أمام الجمعيات وانه قد تم الاتفاق على زيادة سعر الأرز من أربعة قروش الى ثمانية للكيلو الواحد ٠٠٠ وكانت هذه الحادثة من المرات النادرة التى أقدمت فيها الثورة على رفع الأسعار لسبب ضرورية تمس حياة الجماهير .

ويقول زكريا محيي الدين أنه كان يستهدف زيادة الدخل القومى ، وأن زيادة أسعار الأرز يقابلها ما تتحمله الدولة من فروق سعر القمح ٠٠٠ خاصة وأن أسعار الأرز فى العراق وليبيا كانت أغلى منها فى مصر .

ويقول أيضاً أن العمالة كانت ٦٠٠.٠٠٠ فى عام ٥٩ - ١٩٦٠ ارتفعت الى ٧٣٣.٤٠٠ تتحمل الدولة أجورهم .

ولكن اتجاهات زكريا محيي الدين وتصرفاته التى استهدف بها سلامة الاقتصاد من وجهة نظره لم تستقبل بالرضى من جمال عبد الناصر الذى كان يحرص دائماً على الاحتفاظ بشعبيته ورصيده عند الجماهير .

قورة يوليو ج ١ - ٦٢٥

ووصل الامر بجمال عبد الناصر الى الحد الذي لم يعد يقبل فيه استمرار هذه السياسة التي تؤدي الى افكاش في خطة التنمية وتحميل الجماهير مزيدا من الابعاء الاقتصادية ...

وعندما عرض ذكريا محيي الدين وجهة نظره على اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي اتخذ جمال عبد الناصر قراره ... وشعر ذكريا محيي الدين أن عمر وزارته قد انتهى .. فطلب مقابلته وتأخرت المقابلة عدة أيام ... وفي بدايتها أعلن ذكريا رغبته في الاستقالة فظهرت الراحة على قسما وجه جمال عبد الناصر - كما يقول ذكريا محيي الدين - وقال له (لقد أعفيتني من حرج كبير ... فقد كنت مهنوما خلال الأيام الماضية حول ما يجب أن ... أصارحك به) .

وأعلنت استقالة ذكريا محيي الدين وتعيين صدقي سليمان رئيسا للوزراء وصاحب ذلك بعض التغيرات في أعضاء طليعة الاشتراكيين فانتقل شعراوي جمعة من وزارة الدولة ليصبح وزيرا للداخلية ، ونقل أمين هويدى من الاعلام ليصبح وزير دولة لشؤون رئاسة الوزراء ، وأصبح محمد قايى وزيرا للاعلام والثلاثة كانوا من أعضاء أمانة طليعة الاشتراكيين .

والخبر تعيين صدقي سليمان عودة من جديد الى مبدأ ابعاد أعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين عن تولي المناصب التنفيذية العليا منحواء كرؤساء أو وزراء .

على صبرى في الاتحاد الاشتراكي

وكان انتقال على صبرى من منصب رئيس الوزراء الى منصب الأمين العام للاتحاد الاشتراكي هو بمثابة تغيير في النظرة للعمل السياسى ، وتأكيد على أهمية الجهاز السياسى الجديد ومحاولة لبعث الحياة فيه .

بدأ على صبرى عمله فى الاتحاد الاشتراكي باقرار مبدأ التفرغ للعمل السياسى وتكوين المكاتب التنفيذية التى كان معظم أعضائها من طليعة الاشتراكيين ... كما قرر مرتب نائب وزير الأمين فى كل محافظة ... مما نقلهم نقلة اجتماعية كبيرة ... وجعلهم يدخلون فى دائرة المستفيدين من العمل السياسى .

نعتى الذين كانوا ينتدبون من وظائفهم للعمل فى الاتحاد الاشتراكي تقرر لهم نسبة مئوية اضافية تتراوح بين ١٠٪ وربع مرتب لمقباتهم ، مما خلق تكالبا على الالتحاق به .

وهنا بدأت ظاهرة جديدة هي اختيار على صبرى لعناصر قيادية فى الاتحاد الاشتراكي من التابعين له شخصيا البعيدين عن رؤية جمال عبد الناصر أو الصلة به . . . وأصبح على صبرى صاحب نفوذ فعلى داخل الاتحاد الاشتراكي . . . نفوذ غير جماهيري لأن طبيعة شخصيته المنطوية الهادئة كانت تتنافر مع ذلك . . . ولكنه نفوذ شخصى فى هذه العناصر التى كانت تتعلق بفكره المنظم .

وبدأت عجلة العمل فى الاتحاد تدور بسرعة أكبر . . . وظهنت له نفوذ منافس للأجهزة الإدارية والتنفيذية .

وفى كثير من الحالات نجح الاتحاد الاشتراكي فى أداء دور الرقابة الشعبية ، ولكن لم تكن هناك صيغة صليمة لعله فى مواقع الانتاج ، مما يخلق الديمقراطية المستهدفة لتحقيق التحول الى الاشتراكية بنجاح .

المكاتب التنفيذية شكلت بطريقة لا توفر المضمون الصحيح لتحالف قوى الشعب العاملة . . . التى يزيد فيها العمال والفلاحون بالملايين قن المثقفين والبرجوازية الوطنية ، ومع ذلك فان الفرضة لم تمنح لهم للتعبير عن الوزن الحقيقى لطبقتهم فى قيادات الاتحاد الاشتراكي .

نادرا ما كان الفلاح من زارعى الأرض فى تنظيمات الاتحاد . . . ونادرا أيضاً ما كان العمل من الذين وقفوا وراء الماكينة :

كان تعريف العامل والفلاح مطاطا يسمح بتسرب الفئات الأخرى الى مقاعدهم .

كانت البرجوازية الصغيرة هى المسيطرة . . . وكان الحذر شديدا من وصول الطبقة العاملة الى مراكز السلطة الحقيقية فى التنظيم .

وتشكلت خلال هذه الفترة منظمة الشباب التى جذبت اعدادا كبيرة منهم فى مراكز تدريب أعدت لهم فى مرسى مطروح وحلوان ، وأشرف عليها زكريا محيى الدين خلال فترة وجود حسين الشافعى فى منصب الأمانة العامة . وعاونته فى ذلك الدكتور محمد الخفيف ومن قبله كان طلعت خيرى الذى عين وزيرا للشباب مسئولاً عن تكوين جهاز للشباب من مختلف المحافظات فى معسكر اقيم بوادى النطرون .

كان اعداد كوادر الشباب يتم بطريقة منتظمة . . . ويجذب عقول الجيل الجديد الى السياسة .

وقد أسهمت أمانة معهد الدراسات الاشتراكية بتسديد كبير فى اعداد المحاضرات والبحوث التى توجه الشباب توجيهاً قديماً ملحوظاً .

وزاد التزاوج بين الاتحاد الاشتراكي وطلبة الاشتراكيين عندما
سُخِبَ من أمانتها كل من الدكتور حسين كامل بهاء الدين ليعمل أميناً
للشباب ، وأمين عز الدين ليعمل أميناً مساعداً للقاهرة ، وأحمد شبيب
ليعمل في الأمانة العامة وعبد المجيد شديد .

وعين أحمد كامل محافظاً لأسبوط : ومحمد المصري أميناً للاتحاد
الاشتراكي بالدقهلية .

وأظهر جمال عبد الناصر مزيداً من الاهتمام بأمانة طليعة الاشتراكيين
فضم إليها بعض الضباط المقربين منه . . . أمين هويدى وزير الاعلام
وحلمى السعيد وزير الكهرباء وعبد المجيد فريد أمين القاهرة وسامى شرف
سكرتيره للمعلومات ومحمد فايق سكرتيره لشئون أفريقيا وعلى السيد على
مثلاً للعمال ، وذلك الى بقية الأعضاء السابقين الذين لم يعينوا فى مناصب
أخرى .

أصبحت الأمانة مشكلة من ٧ ضباط خمسة منهم عملوا فى المخبرات
وأربعة من المدنيين .

هذه التغييرات التى حدثت فى قيادة الاتحاد الاشتراكي وفى جهازه
السياسى عبرت عن اتجاه أكثر يسارية وتقدمية .

كان الضباط الذين أوكلت اليهم مسئوليات العمل السياسى من
المتأثرين بفكر عبد الناصر شخصياً . . الذين انتقاهم من رجال الصف
الثانى ليحملوا رسالته .

وكانت الظاهرة الواضحة أن أحداً من أعضاء مجلس قيادة الثورة
السابقين لم يكن له دور فى هذه التنظيمات الجديدة . . .

ورغم حيوية هؤلاء الضباط والمدنيين المختارين . . . ورغم صلاتهم
التنظيمية المتعددة مع الأحزاب الشيوعية والاشتراكية فى الخارج . . .
ورغم ذوبان الحساسية تدريجياً مع الأفكار الماركسية ، ورغم اكتشاف
عناصر مبشرة بين الشباب . . . فإن هذه التنظيمات الجديدة لم تستطع
أن تسهم بالقدر الكبير فى خلق تنظيم حزبي فى الطليعة أو جماهيرى فى
الاتحاد الاشتراكي . . . نتيجة ترددها فى اتخاذ القرار . . . ونتيجة
خشيتها أيضاً من فتح الأبواب للقوى العاملة لتؤدى دورها الحقيقى .

أمانة الاتحاد الاشتراكي لم تجتمع الا مرات معدودة بطريقة دورية
منتظمة . . . ثم توقفت عن الاجتماعات تماماً ، وأصبح على صبرى يتصل
بالأمناء شخصياً . . . لوجود وجهات نظر متعارضة بين أعضاء الأمانة كان
يتجنب تصادمها فى الاجتماعات . . . وخاصة بينه وبين كمال رفعت أمين

الدعوة والفكر ، الذى حاول أن يخلق نشاطا داخليا خاصة فى الاتحاد الاشتراكي فيما عرف باسم (الدعوة) ٠٠ كان الخلاف ظاهرا يتمثل أحيانا فى دعوة اتحادات الطلبة لكمال رفعت ودعوة تنظيمات الشعب فى الجامعة لعلى صبرى لعقد ندوات معهم .

وخلاف آخر مستتر بين على صبرى وعباس رضوان المقرب من عبد الحكيم عامر ٠٠٠ الجيش يطبل بعينه ونفوذه داخل التنظيم ٠٠٠ وخلافات الضباط تنعكس على العمل .

أمانة طليعة الاشتراكيين كانت أكثر انتظاما وانضباطا فى الاجتماعات الاسبوعية ٠٠٠ ولو انه لم يكن هناك جدول أعمال محدد لكل جلسة تتخذ فيه قرارات ملزمة ٠٠٠ المناقشات العامة كانت هى الطابع السائد للاجتماعات ٠٠٠ والعناصر الماركسية لم تعط لها فرصة أو مسئولية الاشراف على تنظيمات المحافظات واقتصر عملها على الناحية التنفيذية وكتابة المنشورات ٠٠٠ وقد حاولت مناقشة ذلك وتغييره ولكن بلا طائل .

ترجع هذه الحالة أساسا الى ان كل هذه المستويات التنظيمية رغم تربعها على قمة العمل السياسى لم تكن تملك سلطة اصدار قرار ٠٠٠ كانت ترفع الرأى دائما الى جمال عبد الناصر صاحب القرار ٠٠٠ وقد اعتمد الضباط الذين عهدت اليهم مسئولية العمل السياسى أو التنفيذى على ذلك فلم يغيروا من طبيعتهم التى بدأت من نشأة معظمهم فى صفوف جهاز المخابرات الذى يجعلهم أقل كلاما وأشد حرصا .

ونتيجة لسيادة هذا الجو الذى تتقوقع فيه الشخصيات وتضمر الطاقات ، وتعيد فيه التفكير على ارادة السلطة العليا نبئت تناقضات بين المسئولين عن العمل السياسى وبين على صبرى من جهة وشعراوى جمعة وسامى شرف من جهة أخرى رغم خلاف طبيعة الاثنين .

كانت كتابة التقارير لمركز السلطة هى السند الرئيسى للشخصيات المختلفة ولم يكن مهما ٠٠ بل لعله كان مطلوبا ان تقدم كل المعلومات والأخبار المتيسرة حتى لو اساءت الى المقربين .

وقد انعكست هذه الحالة داخل كل من الاتحاد الاشتراكي وطليعة الاشتراكيين . وكادت تصبح كتابة التقارير عن اتجاهات الرأى العام هى أهم نشاط للأعضاء ، وكان ذلك نتيجة طبيعية لتولى ضباط المخابرات السابقين المسئولية السياسية الجديدة وحجب اليسار عن المشاركة الحقيقية فى العمل لسياسى .

ومع ذلك كان الاتجاه الى اليسار يزداد وضوحا ، ولكن التنظيمات مازالت ورقية غير حديدية ، جبهوية أكثر منها اشتراكية حقيقية ٠٠٠

وجمال عبد الناصر يحاول أن يعطى للتنظيم دفعة قوية ، فيعلن انه يمارس عمله من مكتبه في الاتحاد الاشتراكي ...

ولكنه أبدا لم ينفذ .

ومن الصدمات التي تعرض لها العمل السياسي اعتقال ثلاثة من أهم العناصر العاملة في جمل السياسة ... الدكتور ابراهيم سعد الدين عضو الأمانة العامة والمسئول عن المعهد الاشتراكي ولطفى الخولي رئيس تحرير الطلبة وأمين عز الدين المسئول التنظيمي في أمانة القاهرة ، والتحقيق معهم بواسطة شعراوي جبهة وسامى شرف بتهمة الاتصال بعهد من الشباب الذين اعتقلوا لارتباطهم بتنظيم القوميين العرب .

قليل يومها ان الاعتقال والتحقيق تم على مستوى سياسي ... ولكن الحقيقة أنه كان اعتقالا بوليسيا ... وان الشباب قد عوملوا معاملة بوليسية وان بعضهم كان في غاية النضج والوعى ... والاحلاص لثورة يوليو وجمال عبد الناصر .

كان المسئول عن هذه المجموعة سمير حمزة الذي كان قد أعد تنظيميا من الشباب تابعا للقوميين العرب ولكن سامى شرف اتصل به واستوجب تنظيمه في طليعة الاشتراكيين وضم سمير الى مجموعته ثم عين مسئولا للتحقيق في منظمة الشباب ، حتى قبض عليه وتشكبت معه ومع زملائه لجنة تحقيق من على صبرى وشعراوي جمعه وحسين كامل بهاء الدين .

قليل يومها ان هذه محاسبة سياسية ولكنها كانت في اسلوب تنفيذها بوليسية .

الايوان المسلمون وزلزال كوشيش

عندما وضع موقف الاتحاد الاشتراكي سياسيا ، وتراجعت عنه قوة الضباط اليمينيين والرجعيين ، وبرز الصف الثاني من الضباط المتأثرين بفكر عبد الناصر شخصيا ، والذين يمكن اجتسابهم على اليسار .

عندما وضع ذلك بدأ تكتل من العناصر الرجعية في المجتمع ... لم تتحرك قوى الأحزاب السياسية القديمة ... كانت قد ذابت وتلاشت .

ولكن تحركت عناصر الاخوان المسلمين التي كان قد أفرج عنها ، أو تولدت في موجة عداوة للاشتراكية واكتشفت حركة هذه العناصر أولا في محافظة الدقهلية بواسطة بعض أعضاء طليعة الاشتراكيين .

وأبلغ الأمر إلى جمال عبد الناصر الذي حول المعلومات إلى وزارة الداخلية ، ولكن الوزير عبد العظيم فهمي مدير المباحث العامة السابق أفاد بعدم إمكانية الاستدلال على نشاط جققي للاخوان ، وأثار الشكوك حول صحة المعلومات .

وعندما أصر أعضاء طليعة الاشتراكيين على أقوالهم ، أعيد الأمر من جديد إلى وزارة الداخلية . . . وجاء نفس الرد السابق . . . واستمر اصرار أعضاء التنظيم على صدق معلوماتهم .

ولم يجد جمال عبد الناصر بدا من الاستعانة بالمباحث الجنائية العسكرية التي سبق أن ذكرنا بعض جوانب نشاطها التي ظهرت من جديد . . . وأمكن للمباحث أن تضع يدها على تنظيمات وخلايا جديدة للاخوان المسلمين ، قدم أعضاؤها للمحاكمة فيما بعد ، وصيدرت عليهم الأحكام .

كانت عودة المباحث الجنائية العسكرية للجلس البوليسي ضرورة فرضها عجز أجهزة البوليس أو تواطؤها مع عناصر الرجعية .

وأراد جمال عبد الناصر أن يوجه الاهتمام إلى جهاز البوليس الذي طالما ندد به واعتبره امتدادا للقديم . . . أمين شعراوي جمعة أمين التنظيم بالاتحاد الاشتراكي وأمين أمانة طليعة الاشتراكيين وزيراً للداخلية في محاولة لتسييس البوليس .

عدم التركيز على تكامل التنظيمات السياسية وتكوينها على أسس نضالية ، وعدم معاملة طليعة الاشتراكيين كحزب ثوري يحتاج في بناءه إلى مواصفات خاصة . . . هو ما سمح للأجهزة الإدارية وأجهزة الأمن أن تمارس دورها بالأساليب القديمة .

وهو ما دفع جمال عبد الناصر إلى الاستعانة بالجيش عند كل أزمة يتعرض لها النظام . . . من المجمعات الاستهلاكية إلى هيئة النقل إلى اكتشاف خلايا الإخوان . . .

وتفجر حدث عارض كان بمثابة زلزال اجتماعي .

صلاح الفقى أحد أفراد أسرة الفقى الاقطاعية في قرية كمشيش اتهم بقتل صلاح الدين حسين عضو لجنة الاتحاد الاشتراكي بقرية كمشيش يوم ٤ مايو ١٩٦٦ .

وعائلة الفقى سبق أن نشرت مجلة المصور تحقيقاً عن تصرفاتها يوم ١٤ أغسطس ١٩٥٣ وما تفرضه على القرية من ضغط وإرهاب وحظر تجول .

وكانت مجلة روز اليوسف قد قامت قبل ذلك بإسباغ بحملة قوية
فهمت عدة تحقيقات عن تهريب الأرض أى الاحتفاظ بملكية تزايد عما ورد
فى قانون الإصلاح الزراعى بطرق احتيالية .

وأثار مصرع صلاح حسين غضبا شديدا ، وأصبح حديث المجتمع . .
ووجد فيه البعض اعتداء على تنظيم الثورة .

وشكلت لجنة لتصفية الاقطاع ترأسها المشير عبد الحكيم عامر ، بعد
تحقيق قامت به المباحث الجنائية العسكرية بعد تبليغ من حسين
عبد الناصر شقيق الرئيس الذى كان أول من لفت الانظار الى الحادث
ومدلوله السياسى كما قال الصاغ حسن خليل .

يقول زكريا محيى الدين انه قبلها انجرافا وراء اظهار السلطة .
خاصة وانه استخدم فيها قوات المباحث الجنائية العسكرية .

ويقول حسن خليل قائده المباحث الجنائية العسكرية أن المشير قد
قبل ذلك لحماية الثورة واحساسا منه بالخطورة التى تهددها .

والواقع أن المشير كان متخما بكثير من المناصب . . . كان رئيسا
للجنة الاقتصادية العليا ورئيسا للجنة السد العالى ، ثم رئيسا للجنة
تصفية الاقطاع الى جانب رئاسة اتحاد كرة القدم .

وظهر عامر والجيش على سطح المجتمع . وطارد فلول الاقطاعيين فى
القرى ، وأصدر الأوامر لهم بمغادرة الباقي من أراضيهم الى المدن . . .
ووضع البعض منهم تحت الحراسة . . . وأشاع بحركته مع قوات الجيش
عند الاقطاعيين شعورا مشابها بما ساد فى الفترة الأولى للثورة بل وأحيانا
أشد قسوة . . . فعند تطبيق قانون الإصلاح الزراعى لم يستخدم الجيش
. . . ولكن لجنة تصفية الاقطاع لجأت اليه .

كانت اجراءات لجنة تصفية الاقطاع فى غاية الحزم . . . تأخذ طابعا
عسكريا لا شك فيه .

نشرت مجلة آخر ساعة تحقيقا صحفيا عن أحد ضحايا الأسر
الاقطاعية فى محافظة المنيا ، ونشرت تفاصيل الجريمة مشيرة الى اتهام
أسرة اقطاعية معروفة .

وحضر الى دار المجلة أحد ضباط المخابرات وهدد بقتل المحرر اذا
جرؤ على الاستمرار فى النشر ولجأ المحرر الى ادارة المباحث الجنائية
العسكرية التى حقق قائدها الصاغ حسن خليل فى الموضوع بسرعة ودقة
شديدين وسأل رئيس التحرير صلاح حافظ ومدير التحرير سعد كامل .

ولم تكن تمضي عدة أيام حتى كان ضابط المخابرات العامة قد نقل من مكانه ، وبدأت النيابة العامة تحقيقاً مع الأسرة الكبيرة .

وكانت التناقضات بين الرئيس والمشير تنعكس أحياناً على أعمال هذه اللجنة . . . ففي ليلة زواج ابنة شعراوي جمعة ، وزير الدولة وأمين التنظيم في نادى ضباط الجيش بهليو بوليس ، فوجئ حسن خليل حسب روايته بعبد المجيد فريد يستدعيه لمقابلة المشير بعد توقف جمال عبد الناصر أمامه لحظة مصافحته وفي عينيه نظرة غضب .

وأبلغه المشير أن الرئيس تلقى شكوى من أحد أهالي كمبشيش وطلب منه السفر فوراً للتحقيق فقام في منتصف الليل وصاحبه في ذلك الفريق عبد المحسن مرتجى كنصر محايده ، واللواء عوض الأحول نائب أحكام الجيش ، وحسن طلعت مدير المباحث العامة .

وثبت فعلاً أن شخصاً تعرض لأهانة غير ضرورية وقدم أحد الصولات للمحكمة وحكم عليه بالسجن ٦ شهور .

ولعل وجود عبد الحكيم عامر على رأس هذه اللجنة يجيب على تساؤل البعض حول حقيقة اتجاهاته الفكرية والاجتماعية . . . فهو رغم كل ما نبت من تناقضات بينه وبين عبد الناصر ، ورغم أصوله الطبقية التي تعتبر متميزة قليلاً عن زملائه فهو وعبد اللطيف البغدادي هما الوحيدان من أبناء العمدة .

رغم ذلك فإن عبد الحكيم عامر كان مخلصاً تماماً لاتجاهات الثورة مؤمناً بتنفيذ خططها . . . لا يبذل جهداً كبيراً في مناقشة ما يتوصل اليه جمال عبد الناصر .

ولعل هذا هو ما دفع الاتحاد السوفيتي عند زيارة خروشوف لمصر قبل سنتين الى تقديم لقب بطل الاتحاد السوفيتي اليه والى جمال عبد الناصر .

أظهرت لجنة تصفية الاقطاع عيوب تطبيق قانون الإصلاح الزراعي وعجز المسئولين عن تطبيقه بما يخدم الاقتصاد القومي ويخدم الفلاح أيضاً .

وكان تأميم الأرض فكرة واردة في هذه المرحلة كخطوة لتنفيذ المزارع الجماعية .

ولكن جمال عبد الناصر لم يفكر في تأميم الأرض

قال (تأميم الأرض في مصر غير وارد لأن البسطة ملايين فدان الى عندنا لا تسمح بهذا أبداً ٠٠٠ : ولما كل عائلة تأخذ ٥ الى ١٠ فدادين تبقى ساعدت على الاشتراكية) .

ومع ذلك كانت التناقضات في القسرية هي التي أدت الى الصراع الطبقي الذي راح صلاح حسين ضحية له .

التناقض نوعان ٠٠٠ بين الفلاحين وبين الاقطاعيين والرجعيين وهو لا ينتهي بصور قوانين الاصلاح الزراعي ، ولكن بالنضال ضد نفوذهم وآرائهم التي بنوها كاداة للقهر طوال آلاف السنين ٠٠٠ وهذا ما لم تحققه الثورة للفلاحين بتنظيمهم في وعاء تنظيمي فيقال وقادر على التعبير عن آرائهم والدفاع عن مصالحهم .

وهناك تناقض آخر نبت في القرية المصرية بين عمال الترحيل (بروليتاريا الفلاحين) وبين ملاك الأرض مهما كانت مساحة ملكيتهم .

الفلاحون في مصر ٧٠٪ من السكان ، ومساحة الأرض المنزرعة هي ٤٪ من مساحة مصر .

وتمثيل الفلاحين والعمال بنسبة ٥٠٪ في تنظيمات الاتحاد الاشتراكي وفي مجلس الأمة برزت وجوه جديدة بين الفلاحين ٠٠٠ ولكن أحدا منهم لا يمارس الفلاحة بيده كهيئة ، ولكنه دائماً من ملاك الأرض أو المنتسبين للأسرة الكبيرة .

وعندما يدخل مجلس الأمة ، أو يقع عليه الاختيار عضواً في قيادات الاتحاد الاشتراكي ، يتغير موقعه الاجتماعي ، ويزداد إرادته ، ويصبح أقرب إلى الثماون مع السلطة على حساب مصلحة طبقاته .

الفلاح في عرف المؤتمر الأول للاتحاد الاشتراكي هو من تكون الزراعة حرفته ومصدر رزقه ، ومقيماً إقامة مستقرة في منطقة عمله ، ولا يزيد ما يحرزه هو وأسرته ملكاً أو إيجاراً (زوج وزوجة وأولاد قصر) عن ٢٥ فداناً ، والا يكون ممن حددت ملكيتهم طبقاً لقوانين الاصلاح الزراعي ، والا يكون من الموظفين أو المستخدمين العموميين .

الفلاح الذي يزرع بيديه ٠٠٠ : الفقير الذي لا يملك الا قوت يومه ٠٠٠ ما زال أمامه سد كبير للوصول الى المشاركة الحقيقية في قيادات الأجهزة السياسية .

التغيرات التي حدثت في حياة الفلاح وفي القرية ، هي أكبر مما جرت خلال ٧٠٠٠ عام ٠٠ ولكنها بعد ليست كافية لتحرير الفلاح تحريراً كاملاً .

الفرصة ما زالت متاحة لمن يملك فى حدود ٢٥ فدانا ٠٠٠ وهو فى القرية لا شك سيد وقادر وبعيد اجتماعيا عن بقية الفلاحين ٠٠٠ أقرب اليهم من مساكن المدينة أو عضو البرلمان السابق ٠٠٠ وليكنه ليس منهم تماما .

وحتى اذا كان قريبا منهم ، ويعيش حياتهم ، فبانه مع دخوله مجلس الأمة ، أو قيادات الاتحاد يتعرض لعملية جذب مادية تزيد من الفارق بينه وبين الفلاحين ٠٠٠ مرتب عضبو مجلس الأمة ٧٥ جنيها وصل بعد ذلك الى ١٢٥ ، وأعطيت لهم أسبقيات فى حجز عربات نصر بالتقسيم على سائر المواطنين ، كما أعطيت لهم شقق فى مباني الدولة بأسبقيات خاصة ، هذا الى جانب المرتبات الإضافية التى يحصل عليها المتفرغ للعمل السياسى .

قال كارل ماركس (عندما يصبح يملطة الدولة فى أيدينا لن يكون بالامكان أن ننتزع ملكية الفلاحين الصغار بالعنف بتعويض أو بغير تعويض ٠٠٠ مثلما ستكون مضطرين لأن يفعل بالنسبة لـ كيبسار الجلاكي ٠٠٠ ان مهمتنا ستكون تجاه الفلاح الصغير قبل كل شيء . حتى توجيه اتجاهه الخاصي . وتوجيه ملكيته الخاصة فى السبيل التعاوني لا بواسطة العنف ، ولكن عن طريق المثل ، وتقديم مساعدة المجتمع لهذا الغرض ومن المؤكد أنه سيكون لدينا من الوسائل لاقتناع الفلاح بجميع المزايا التى يتسم بها هذا التحول ، والتى لابد من توضيحها له منذ الآن) .

التعاون فى مصر لم ينجح ، والجمعيات التعاونية التى انشئت ، لم تستهدف إقامة تعاونيات تجمع أرض الفلاحين تحت ادارة فلاحية واعية ومنظمة وقادرة على اقناع الفلاح بأن ادخال أرضه فى التعاونيات هو لمصلحته الذاتية أولا .

الجمعيات التعاونية التى انشئت تحولت الى ما يشبه دكان بنك التسليف ٠٠٠ ورغم انها تشكل بالانتخابات ، الا أن الفلاح البسيط يعتبر فريسة عندها تنهش من أمواله ما وسعها ، لأنه لا يجد سبيلا آخر للشراء ، ولا يقتنع بجدوى الشكوى للجهات المسئولة لأنه تاريخيا وخلال آلاف السنين يعرف أن الادارة هي يد الحاكم التى تقبض على الأعناق ٠٠٠ والشكوى لن ترفع يده الحاكم ٠٠٠ ولذا فهو يفضل أن يجسر بعض أمواله على أن يجسر كل وقته ٠٠٠ ويدخل بعد ذلك فى متاعب يعجز عن التخلص منها .

التجميع الزراعي الذى بدأ تطبيقه فى محافظتى كفر الشيخ وبني سويف كان هدفه فى رأى جمال عبد الناصر حسب ما قال فى محادثات الوحدة (التجميع الزراعي معناه زراعة تعاونية مش مزارع تعاونية ٠٠ ده الحقيقة أقصى ما يمكن تطبيقه فى مصر) .

أقصى ما يمكن تطبيقه في حدود قدرات البرجوازية الصغيرة الحاكمة
... أو في حدود رغبتها انتظام الفلاحين في تعاونيات يفرض قوتهم
السياسية والاجتماعية ... وهو أمر تحاشته الثورة مع العمال ،
وتتحاشاه مع الفلاحين أيضا .

الدولة تباشر سيطرة غير مباشرة لاحتكارها التسليف والسماد ومواد
الوقاية ؛ والمقاومة وآلات الري ... وشراء القطن .

أبعدت بذلك التاجر الجشع ... لكنها قامت بدوره بصورة أخرى .
تعمل من أجلهم ... وليس بهم ...

حتى عام ١٩٦٤ كانت جملة الأرض التي وزعت على الفلاحين المدممين
١٩٤٥ر٩٤٥٧ فدانا كما قال جمال عبد الناصر في خطبة افتتاح مجلس
الامة . الذي ضم لأول مرة في حياة مصر ٥٠٪ من أعضائه عمالا وفلاحين
حسب نصوص الميثاق .

ومع ذلك يقول تقرير البنك المركزي انه يوجد ٣ ملايين فلاح معدم
عام ١٩٧١ (انظر الطليعة عدد فبراير ١٩٧١) .

وحادث كمشيش كان زلزالا في المجتمع الزراعي ... ولكن كل
الاجراءات استهدفت ضرب فلول الاقطاعيين واضعاف نفوذهم ، دون
محاولة جادة لاطلاق الحرية لتنمية قوة الفلاحين واطلاق طاقاتهم ليواصلوا
الدفاع عن أنفسهم ... بدلا من الدفاع الاداري لأجهزة الدولة .

وهكذا ظل التطبيق الاشتراكي بعيدا عن قاعدته الجماهيرية ...
يصل اليهم من فوق دون تفاعل حي مع الجموع .

ومع ذلك تميزت سنوات ما بعد ١٩٦٤ بأنها كانت أكثر السنوات
وضوحا في مسألة التحول الاجتماعي ... وكانت التغيرات التي تمت في
مجال التنظيم السياسي ، مباشرة بجديّة المحاولة .

يقول ماكسيم رودنسون في كتاب (مصر منذ الثورة) لفاتيكيوتس
(لم يعمد أعضاء الطبقات الدنيا في الحزب الى تحدى الدور المسيطر
للنخبة الحديثة والقديمة ... ففي الحياة المصرية يرتضى الفقراء والاميون
مركزهم المتواضع ... وهكذا لم يتبن الحزب عملية التجديد) .

لم تحدث تحديات فعلا داخل الحزب (الاتحاد الاشتراكي) لأن
اختيار معظم العناصر للمراكز القيادية على مختلف المستويات كان يتم
أساسا عن طريق التاكيد من ولائهم ، وبأنهم لا يحملون بذورا ثورية تدفع
بهم الى مطالبة النظام بأكثر مما يطبق أو يحتمل ... هذا الى جانب

التغيرات الاجتماعية التي حدثت في حياة العمال والفلاحين ، والتي لم تحررهم تحريرا كاملا من متاعبهم الاجتماعية ، ولم تصل بهم الى مرسى الاشتراكية . . . الا أنها غيرت من واقعهم القديم تغييرا كبيرا ، وجعلت لهم صوتا مسموعا ، وخففت عنهم قبضة الاستغلال .

وبالتأكيد زرعت الأمل في قلوبهم لمستقبل أفضل .

كان جمال عبد الناصر أكثر زملائه العسكريين اهتماما بالطبقات الفقيرة . . . قال لزملائه أكثر من مرة (أنا مش عاوز حد يكلمني عن واحد بياخد أكثر من ٣٠ جنيه على انه مسكين . . . المساكين الى بياخدوا أقل من كده) .

المعتقدات الشخصية جعلت منه حليفا للعمال والفلاحين . . . وساعد على ذلك نشأته البسيطة في أسرة متواضعة . . . ولكن هذه المعتقدات لم تتحول الى أيديولوجية ثابتة .

كل ما صدر عن الثورة خلال هذه الفترة حتى الميثاق رغم أهميته وإيجابيته باعتباره أول وثيقة مكتوبة لم تشكل أيديولوجية متكاملة .

لعبة الصحافة

ظلت الاشتراكية رغم كل شيء كجسم الفيل يتلمسه العبيان . . . كل يراه حسب موضع يده .

ومع ذلك كانت تحدث تغييرات ايجابية في الأفكار والمعتقدات يوما بعد يوم . . . ساعد على ذلك اهتمام عبد الناصر بأن يتولى أجهزة الصحافة والاعلام عناصر اشتراكية واعية .

الصحافة كانت ترمومترا لا يخطئ ، ينبئ عن اتجاهات جمال عبد الناصر . . . الذين يتولون المسئولية فيها يفسرون احتجاجات المستقبل .

كل الذين عهد اليهم بمسؤوليات رئاسة الدور الصحفية كانوا من الضباط . . . أنور السادات ، أمين شناكر ، لطفي واكد ، محسن عبد الخالق ، خالد محيي الدين ، كمال الدين زفعت ، كمال الدين الحناوى ويوسف السباعى وكاتب هذه السطور . . . ولكنهم جميعا غيروا واقعهم ، ولم يبق منهم واحد في ميدان الصحافة أو منتقيا للثقافة سوى خالد والحناوى والسباعى .

لم يكن أغلبهم صحفيين وكتابا بالمهنة . . . وإنما بالمسئولية .

وكان هناك تنافر واضح وشديد بين اتجاه الدولة الى تطبيق يصل.
الا الاشتراكية ٠٠٠ وبين أفكار بعض المسؤولين في دور الصحف .

الأهرام كانت تحت رئاسة مجلة خستيل هيكل المقرب جدا من
عبد الناصر ، والمعبر الى حد بعيد عن اتجاهاته الفكرية ، والصائغ دائما
لخطبه الهامة ومكاتباته الرسمية ٠٠٠ وهو الذى وافق وأصدر عن الأهرام
مجلة الطليعة التى رأس تحريرها أحمد لطفى الخولى مع مستشارى تحرير
من الذكائرة ابراهيم سعد الدين وعبد الرازق حسن وجمال العطفي.
ولطيفة الزيات ورشدنى سعيد ومحمد الخفيف والاستاذ أمين عز الدين .

أربعة من هؤلاء كانوا معتقلين ٠٠

وكان قد سبق صدور مجلة الطليعة ظهور صفحة الرأى فى الأهرام .
وهى صفحة عهد بتحريرها الى هذه المجموعة فنشرت مقالات جادة ،
وأسهمت فى اعطاء ثقل فكرى معين لصحافتنا اليومية ، وظهرت فيها بحوث.
ودراسات اشتراكية علمية .

دار الهلال كانت تحت رئاسة أحمد بهاء الدين الكاتب التقدمى.
المعروف ، والمتفهم لطبيعة المرحلة وظروف التغيير .

أما أخبار اليوم فكانت تحت رئاسة الأخوين مصطفى وعلى أمين ٠٠٠
المعروفين بصلواتهم الغريفة الوثيقة ، المدينتين بولائتهما ودعائيهما المبالغ
فيها للملك فاروق ، ثم التهجم المبالغ فيه أيضا على علاقته الشخصية بـ
سقوطه وتجاهل أخطائه السياسية .

وروز اليومية كانت ما زالت تحت رئاسة هناجها، الحسبان
عبد القدوس .

وحدث تغيير مفاجئ فى مواقع المسئولية .

استلحق جمال عبد الناصر اليه كلا من أحمد فؤاد وخالد محيى الدين
فى نوفمبر ١٩٦٤ وصارحهما بوجود ثغرة واسعة بين ما يهدف اليه من
تطبيق اشتراكي وبين ما تنشره الصحف من اثاره ، وقصص جنسية بعيدة
كل البعد عن اهتمامات الجماهير .

وكلف أحمد فؤاد بمسئولية الاشراف على دار أخبار اليوم ، وخالد
محيى الدين برئاسة مؤسسة روز اليوسف ٠٠٠ ثم حدث تبادل بين
المسئولين عندما أبدى خالد محيى الدين أنه كلف سابقا بالعمل فى
الصحافة اليومية (النساء) .

وأصدر جمال عبد الناصر قرارا بتعيين رئيسا لتحرير مجلة
روز اليوسف .

يد عبد الناصر تلتقى من جديد مع أيدي الماركسيين ٠٠٠ بفترة اعتقال امتدت خمس سنين ٠٠٠ وأتاح هذا التغير لهم فرصة اللقاء مع الجماهير على صفحات الصحف بحرية أوسع ، وأصبح هذا التيار الفكرى الجديد عاملاً مساعداً هاماً فى عملية التحول الاجتماعى .

واتجه الى الصحافة عدد كبير من الذين كانوا معتقلين خلال السنوات السابقة ٠٠٠ كانت هذه هى الأماكن الوحيدة التى وضع فى مناصب الرئاسة فيها ماركسيون .

ولم يكن المشير عبد الحكيم عامر غائبا عن هذه التغييرات ٠٠٠ كان قد فرض قبل ذلك حلمى سلام رئيساً لمجلس ادارة دار التحرير ورئيساً لتحرير جريدة الجمهورية فى أغسطس ١٩٦٤ ومنحه دعماً مالياً قدره ٣٥٠ ألف جنيه رغم تعليمات جمال عبد الناصر بعدم دفع أى اعانات للمؤسسات الصحفية .

وحلمى سلام كاتب قريب من أفكار الحزب الوطنى الجديد وعلى صلة وثيقة ببعض رجاله ولكنه لم يكن عضواً فى طليعة الاشتراكيين ٠٠٠ وقد بدأ حياته فى المؤسسة بموقف أثار عليه الصحفيون ٠٠٠ اذ انه اهتم عند تعيينه تخفيف العمال فى الدار بنقل بعض الصحفيين الى مؤسسات صحفية أخرى ٠٠٠

استدعى الدكتور محمد عبد القادر حاتم وزير الاعلام محمد على بشير العضو المنتخب للثوار وضابط سابق ٠٠ وأبلغه أن حلمى سلام قد سافر الى بور سعيد وأنه سيعود بعد شهر ليحدد هذه الأسماء - وقدم له قائمة بمائة وخمسين اسماً - قد نقلوا الى مؤسسات أخرى ، وصدر الأمر فعلاً على انه تعليمات من الدكتور حاتم وهو الذى أراد أن يتم الأمر سرّاً منسأ اثار غضبه .

نقل الصحفيون الى مؤسسات غير صحفية فى ادارات الشؤون العامة ٠٠٠ وكان من بينهم اسماء معروفة ٠٠٠ عهد الرحمن الخميس ونعمان عاشور وعبد الرحمن الشرقاوى وسعد مكاوى وغيرهم (١٥٠ صحفياً وعاملاً وادارياً) .

ولم تمض الأمور هادئة فى مؤسسة دار التحرير ٠٠٠ وظهرت المباحث الجنائية العسكرية فى ميدان الصحافة أيضاً ٠٠٠ استقدمها حلمى سلام فى ٤ يناير ١٩٦٤ للتحقيق فيما قيل عن وجود اختلاسات بالمؤسسة ٠٠٠ وهجم أفراد المباحث على بعض الموظفين فى مكاتبهم واعتقلوهم للتحقيق معهم ٠٠٠

ورابط أفراد المباحث الجنائية العسكرية في دار التحرير لا يغادرونها حتى وصل الأمر بنجمال عبد الناصر الى غايته ، وقرر فصل حلمي سلام بعد نشره محضرا لجلسة سرية عقدها رئيس الجمهورية في مجلس الأمة ودعا اليها عددا محدودا من قادة القوات المسلحة والمحافظين ورؤساء تحرير الصحف يوم ١٧ مايو ١٩٦٥ . . . ودخل ذلك في باب الصراع الخفي بين الرئيس والمشير . . . وتولى رئاسة المؤسسة من بعده مصطفى بهجت بلوى .

وأصبح المسئولون عن الصحف جميعا أعضاء عاملين في طليعة الاشتراكيين . . . محمد حسنين هيكل مع مجموعته بالأهرام وصلاحي الخاصة بعبد الناصر . . . خالد محيي الدين ، أحمد فؤاد ، أحمد بهاء الدين ، مصطفى بهجت بلوى ، كاتب هذه السطور .

وقد أدت طليعة الاشتراكيين دورا بارزا في حشد عدد من شباب الكتاب والصحفيين حتى أصبح التيار الوطني التقدمي سائرا في مجال الاعلام بصورة واضحة .

أزمة الثقافة

وحدث تغيير في الثقافة أيضا .

وبداية وزارة الثقافة كانت على يد فتحي رضوان أول وزير لها عام ١٩٥٦ . يعاونه الدكتور حسين فوزي وكيل الوزارة ، ويحيى حقى مديرا لمصلحة الفنون التي كانت تضم نجيب محفوظ وغيره من المثقفين .

وبداية هذه الوزارة كانت مباشرة . . . فقد أرسلت عدة مشروعات هامة مثل انشاء أوركسترا القاهرة السيمفوني ، واقامة مدينة الفنون التي تضم الكونسرفتوار ومعهد الباليه ، ومعهد السينما ، والمعهد العالي للفنون المسرحية . . . ونجح المسرح القومي ثم مؤسسة المسرح في اقامة نهضة مسرحية لم تشهدها مصر من قبل ، وفتحت الأبواب للكتاب التقدميين الشباب . . . نعيان عاشور ويوسف ادريس وسعد الدين وهبه ، والفريد فرج وغيرهم من الذين واصلوا المسيرة معهم وكان توفيق الحكيم الذي حافظ على حيوية أفكاره واستمر رائدا في المسرح بلا جدال .

وعندما استقال فتحي رضوان ، عين الدكتور ثروت عكاشه وزيرا يعاونه الكاتب الصحفي عبد المنعم الصاوي وكيل الوزارة . . . وفي عهدهما استمر التيار الثقافي في تدفقه ، وارتفع صرح الأفكار التي تبناها فتحي رضوان . . .

وأصبحت الثقافة تلعب دورا رئيسيا فى حياة الجماهير ٠٠٠ الى ان سقطت وزارة الثقافة فى بداية عام ١٩٦٣ فى يد عبد القادر حاتم وزير الارشاد ، فبدأت تفقد كيائها ومضمونها ، واختلطت الأنظمة فيها بطريقة سيخيفة مما جعل المسرح ينضم الى الاذاعة ويتولى مسئوليته الاشرافية مدير الاذاعة ٠٠٠ والسينما تنضم الى هندسة التلفزيون ويتولى مسئولية الاشراف عليها مهندس بعد أن كانت مؤسسة عامة ٠

كان سقوط وزارة الثقافة فى يد عبد القادر حاتم ناتجا عن صراع بينه وبين وزير الثقافة السابق ثروت عكاشة ، بدأ عندما انشأ التلفزيون ست فرق مسرحية دفعة واحدة ، تخصصت فى تقديم التفاهات والمسرحيات المبتذلة ، ولم تحتمل أعصاب ثروت عكاشة هذا الموقف فانفجر غاضبا ومهاجما أسلوب عبد القادر حاتم ٠

كان عبد القادر حاتم من النوع الهادئ الخاضع ، وكان ثروت عكاشة من النوع العصبى المعتز باشتراكه فى الضباط الأحرار وحركتهم ليلة ٢٣ يوليو ٠٠٠ وكان على علاقة شخصية وثيقة مع المشير عامر ٠

وبدأ التصادم بين الضابطين ٠٠٠

ولم يكن عبد القادر حاتم قادرا على تنفيذ أى مشروع دون الحصول على تصديق وموافقة جمال عبد الناصر ٠٠٠ ولذا كان تصادم ثروت معه تعبيرا حتميا عن تصادمه مع جمال عبد الناصر ٠٠٠ وبدأ الأمر فى النهاية كبا لو انه تصادم بين عامر وصديقه ثروت وبين جمال عبد الناصر ومنفذ توجيهاته عبد القادر حاتم ٠

وقدم ثروت عكاشة استقالته لانه فوجيء الى جانب خلافاته الفكرية مع حاتم باعتقال اثنين من سكرتيريه بشبهة الاتصال بالملحق العسكرى المصرى فى لبنان (زغلول عبد الرحمن) الذى سلم نفسه الى سوريا والذى تربطه صلة نسب بعيدة مع ثروت عكاشة ٠

وعين ثروت عكاشة رئيسا للبنك الاهلى ، وانضمت الثقافة الى الارشاد وتولاها عسكرى آخر هو عبد القادر حاتم الذى كان قد أصبح دكتورا أيضا ٠

المؤسف انه خلال هذه الفترة استطاع حاتم ان يقسم جبهة اليسار باجتذابه لاحمد لطفى الخولى الذى رفضت له لجنة مؤسسة المسرح المشكلة من الدكتور محمد مندور والدكتور محمد القصاص مسرحية تسمى (الارائب) وكنت فى ذلك الوقت مديرا لمؤسسة المسرح مع رئيسها الدكتور على الزاعى ، فهرع الى عبد القادر حاتم الذى احتضنه واعاد له مشروعاً

ثورة يوليو ج ١ - ١٩٥١

يصادم به مؤسسة المسرح ، مستغلا اسم الكاتب الكبير توفيق الحكيم بإنشاء ما سمي باسم مسرح الحكيم الذي قدم الأرائب فسقطت سقوطاً شديداً ، ثم ظهرت على خشبته مسرحيات مختلفة للدكتور رشاد رشدي صاحب الأفكار الرجعية واستاذ الأدب الانجليزى بجامعة القاهرة .

ولم يكن ممكنا فى عهد بناء الاشتراكية ان تبقى الثقافة فى انحدارها وضياعا ٠٠٠ فان أجهزة الثقافة يجب ان تتحلل من طغيان التفاهة والابتذال ، لتمارس دورها المؤثر فى خدمة الجماهير .

كانت مسئوليات عبد القادر حاتم قد تعددت وتشعبت ، فشملت وزارة الارشاد والثقافة والسياحة أيضا .

كان الانجراف وراء الدعاية قد وصل الى حد الاعلان عن صدور كتاب كل ٦ ساعات وتقديم مسرحية جديدة كل أسبوع ، وبناء فنلق جديد كل ١٥ يوما .

كانت الكتب تندفق سطحية وملينة بالأخطاء الى جانب سوء اختيارها وبعدها عن الفكر الاشتراكي الأصيل ٠٠٠ وكانت الفنادق تبني على غير خطة ، فلا تجد بعد اتمامها ساكنا يدخلها لأخطاء فى التصميم أو فى اختيار المكان ، كما بدأت المسرحيات الهابطة تطرد المسرحيات الجيدة .

ووصل الأمر غايته ٠٠ وأصبح أسلوب عبد القادر حاتم مثل النخمة النشاز فى جو المجتمع المتجه فى جدية لمحاولة تطبيق الاشتراكية وترسيخ دعائم ثقافة قومية .

الغريب فى ذلك الوقت ان طليعة الاشتراكيين كانت تستوعب كلا من عبد القادر حاتم فى مجموعة على صبرى وثروت عكاشة فى مجموعة المشرير ٠٠٠ ولكن هذا الانتماء لم يستطع ان يقرب بينهما أو يوحد من أفكارهما أو يخلق لهما خطة وهدفا مشتركا .

ثم كانت الخطوة التالية هى اقصاه عبد القادر حاتم عن المنصب بعد تعيين صدقى سليمان رئيسا للوزراء ٠٠٠ وعلاء الدكتور ثروت عكاشة من جديد .

الكرة يتبادلها العسكريون ٠٠٠ والمثقفون الحقيقيون متفرجون ٠٠٠ عادت وزارة الثقافة فى تنظيم مؤسساتها من جديد ٠٠٠ تحاول ان تستعيد أنفاسها وتقدم للناس ما يفيد .

والثقافة هى التى تطوى الطريق لتقدم الأفكار الانسانية والاشتراكية .

و ثروت عكاشه يستعين في وزارته بالماركسيين أيضا ٠٠٠ سعد كامل
مديرا لادارة الثقافة الجماهيرية ٠٠٠ ومحمود أمين العالم رئيسا لمؤسسة
النشر ثم مؤسسة المسرح ٠٠٠ ويضع على رأس مؤسسة السينما كاتبها
ديموقراطيا تقديميا هو نجيب محفوظ ٠ جميعا كانوا أعضاء في طليعة
الاشتراكيين ٠

وكان هذا دليلا على ان طليعة الاشتراكيين لم تستطع ان تفرض
ايدولوجيتها وقواعدها التنظيمية على اعطائها فوق مناصبهم الادارية ٠

كان الاهتمام الرئيسى بالمنصب الوزارى أو الادارى ٠٠ ومن بعده
ياتى الانتماء الى طليعة الاشتراكيين كواجب اضافى (ثقيل) يفرضه نظام
الدولة ، ولا يجد استجابة حقيقية فى صدور كبار المسئولين ٠

ويمكن القول بأن القدرات القيادية فى طليعة الاشتراكيين كانت
اضعف أحيانا من أن تفرض نفسها على بعض الشخصيات التى جانب عدم
توفر ايدولوجية واضحة وقواعده تنظيمية جديدة ٠
الثقافة والاعلام استقرت فى أيدي أكثر العناصر اقتناعا وقدوة على
خلفية التطور نحو الاشتراكية ٠

وساعد ذلك على حسم قضية بقاء التنظيمات الشيوعية أو حلها ٠٠٠
وأصدرت الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى بيانا بلورت فيه نفسها فى
شخصية سكرتيرها العام كمال عبد الحليم ، الذى بقى رمزا للتنظيم ،
ولكنه فى نفس الوقت أصدر قرارا بحله ٠

وهنا أشير الى نقد وجه لى شخصيا فى بيان الحل نتيجة مقال كتبه
فى روز النيوسف ونصحت فيه التنظيمات الشيوعية بحل نفسها والاندماج
فى تنظيمات الاتحاد الاشتراكى حتى لا تتعرض لتصادم جديد مع الحكومة ٠

كنت اكتب من موقع الحرص على الاندماج وعدم تردى الأمور الى
درجة التصادم ٠٠٠ وأخذ حديثى على انه نوع من التهديد ٠٠٠ وهو أمر
لم أكن أملكه ٠٠٠ ولعل أخطاء فى التعبير ٠٠٠ بل لعل أخطاء
فى الحماس لعملية الدمج ذاتها ، دون توفر شروط ضرورية لاستمرار نضال
الطبقة العاملة خلف قيادة حزبها ٠

وأصدر الحزب الشيوعى المصرى بيانا أيضا يعلن فيه حل الحزب ٠

الأمور تستقر على قاعدة عريضة من التحالف النسبى بين الطبقات
المختلفة ٠٠٠ ومع ذلك فالخشية موجودة دائما من احتمالات ظهور تنظيمات
سرية يمينية أو يسارية ٠

هنا لا تعرف السلطة سوى قبضة جهاز الأمن .

عندما حامت الشبهات حول بعض الشباب واتصاله بحركة القوميين العرب ، اعتقل الشباب ، اعتقل أيضا إبراهيم سعد الدين وأمين عز الدين . ولطفي الخولي وحقق معهم شعراوي جمعه وسامي شرف ، كما سبق ان ذكرت .

وعندما حاول بعض أعضاء الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني التجمع مع جديده ، اعتقل كمال عبد الحليم السكرتير السابق ومعه ثلاثة آخرون لمدة خمسة شهور .

الاتجاه الى اليسار لا يندفع بأكثر مما تسمح به السلطة التي كانت تدخل في تقديرها عدة عوامل منها :

١ - الادراك بتوافر نظرية متكاملة عند الماركسيين تؤثر وتنتشر دون صعوبة بين المشتغلين بالسياسة مما يمكن أن يشكل خطرا عليها .

٢ - غيبة التنظيمات الشيوعية بعد قرار حلها واختفاء علمها من الساحة السياسية .

٣ - الاتجاه الوسطى للقوات المسلحة وعدم الرغبة في تسييسها ، والحذر الدائم من حركتها .

٤ - تأثير السياسة الخارجية على الموقف الداخلي والحرص على إقامة علاقات متوازنة مع أمريكا وروسيا .

٥ - عدم رغبة جمال عبد الناصر في استكمال التنظيم الحزبي على أسس نضالية حتى لا يقلل من انفراده المطلق بالسلطة ويتضاعف رفضه بالتالي لأي تنظيم خارج على اطار الاتحاد الاشتراكي .

٦ - نشاط الرجعية التي لم تصف ايدولوجيا ولا ديموقراطيا ، والتي ما زالت بعض عناصرها في السلطة تنفث سموها .

ولكن هذا لا ينفي انه كانت هناك حركة شاملة لليسار ، يقودها جمال عبد الناصر من موقعه في قمة السلطة .

وكما كان يعمل من أجل الفلاحين والعمل وليس بهم أو معهم فانه يبنى الاشتراكية وحده . وليس بتنظيم أصحاب المصلحة الحقيقية فيها تنظيما جادا ، ليسير معهم الى تحقيق الهدف .

وبقيت صورة الاشتراكية مهزوزة وغير مستقرة ... البعض يطلق عليها اسم (الاشتراكية العربية) والبعض يؤلف كتباً تدرس في الجامعة على أنها كذلك .

وجمال عبد الناصر يقول في مؤتمر المبعوثين انه لا يعرف الاشتراكية واحدة لها تطبيقات مختلفة .

يخسم القضية في كلمات ... اشتراكية علمية ، وتطبيق مصري أو عربي .

ولكن هذا الاقتناع لا يستقر في عقول الكثيرين ... ليس الذين هم خارج إطار الحكم ، ولكن بعض الذين يشاركون فيه .

ويستقر في النفوس يقين بأن الوصول الى الاشتراكية عن هذا الطريق الذي تمضي فيه الأمور عملية ممكنة ، ولكنها صعبة ومعقدة ، ومرتبطة بشرط هام ... هو بقاء جمال عبد الناصر شخصياً في قمة القيادة بالدولة ، لأنه الضمان الوحيد لعدم انتكاس خطوات المسيرة في طريق التحول الى الاشتراكية .

وتزداد خطوات المسيرة بطناً وثاقلاً .

اجهزة الاتحاد الاشتراكي دخلت دائرة البيروقراطية ... خطط على الورق ، واجتماعات ، ومناقشات ، وينفض كل شيء ... والجماهير تفقد اهتمامها وشوقها للجهاز الكبير يوماً بعد يوم .

طلبة الاشتراكيين تزرع تحت عبء الذين فرضوا على بعض اجهزتها القيادية ، فتحوّل الى صورة مصغرة من الاتحاد الاشتراكي بلا فارق كبير ... والتزاوج بين أمانة التنظيم ووزارة الداخلية لم يؤد الى تسييس البوليس ، ولم يؤد أيضاً الى رفع قبضته عن الاشتراكيين ... البعض منهم ما زالوا مطاردين ... وقانون اسماعيل صدقي لمقاومة الشيوعية ما زال هو القانون السائد والمنفذ .

الجيش يواصل اهتمامه بلعبة السياسة عن طريق التدخل فيها كلما توافرت الظروف المناسبة ... وعبد الحكيم عامر يواصل توسيع دائرة نفوذه في مجالات العمل الداخلي ، يواصل أيضاً حياته الناعمة اللاهية ... والفكر الاشتراكي الأصيل لا يدخل الجيش رغم ما ورد في الميثاق .

فلول الاقطاعيين والبرجوازية الكبيرة ما زالوا يقاومون الحركة في طريق التحول الاشتراكي ... يضخمون الأخطاء والانحرافات ... ويستغلون مهادة جمال عبد الناصر لهم ، وسكوته أيضاً على المنحرفين في

الحكومة والقطاع العام ، ليواصلوا تجميعهم المعارض ، الذى قال عنه جمال
عبد الناصر أمام مجلس الأمة (انه حزب رجعى منظم) .

الضغوط الامبريالية الخارجية تواصل دورها فى الضغط على النظام
فى محاولة للوصول بالحالة الاقتصادية الى مستوى يتير الجماهير .

كل هذه العوائق تقف فى طريق الاشتراكية التى حاولت المطبقة
الوسطى بقيادة عبد الناصر ان تطبقها دون عقيدة شديدة الوضوح ، وفى
غيبة تنظيم مناضل وموحد الفكر ، وفى وجود عناصر مضادة فى مختلف
الاجهزة الحكومية والسياسية من القمة الى القاع .

وكان الأمر صعبا وعسيرا .

التطبيق المصرى للاشتراكية ... يؤتى بعض الثمار ، ولكنه مازال
بعيدا عن ان يكون مستقرا أو راسخ الجنور فى المجتمع .

ومجتمع عبد الناصر لم يستكمل معالمة بعد .

السنوات الأربع الحاسمة

الأمور لم تصل الى نهايتها .. والسياسة لا تعرف الجمود ..
ومراحل الانتقال من نظام الى آخر هى أصعب المراحل .. وخاصة اذا
اعتمدت على التجريبية ولم تقدر الايديولوجية تقديرا صحيحا .

والميثاق ليس ابديا .. قال جمال عبد الناصر فى المؤتمر الوطنى
للقوى الشعبية فى مايو ١٩٦٢ (ان الميثاق للجيل .. وأنا كنت حريصا
على ألا أحدد حاجة فيه لأكثر من ٨ سنين يمكن حددته سنة ١٩٧٠ أو ١٩٧١
لأنه جائز ييجى ناس بعد كده يحصل عندهم تطور فكرى تقدمى أكثر من
هذا الميثاق يضيفوا عليه حاجات جديدة أو يعدلوه) .

تعديل الميثاق أمر مقرر .. وصعوبات المسيرة هى التى تحدد صحة
الاتجاه الجديد .

وكتبت فى روز اليوسف بتاريخ ٤ يوليو ١٩٦٦ ست مقالات تحت
عنوان (السنوات الأربع الحاسمة) ناقشت فيها الأخطار التى تعرض لها
النظام قبل الوصول لتعديل الميثاق وهى الفترة التى يتم فيها اكتمال تنظيم
طليعة الاشتراكيين ، وتتم خطة التنمية الثانية ، ويستقر النظام على
أسس جديد .

كانت لجنة تصفية الاقطاع قد كشفت ان الرجعية فى الريف ما زالت
تختفى كالحرباء ، وان فى مقاومتها للتقدم شراسة وضراوة ، وأقيمت قضايا

الاخوان المسلمين من هذا التنظيم الرجعي لم تتم تصفيته فكريا وايدولوجيا وان تصفيته اداريا لم تكن وحدها كافية ، وتبين ان جيوب البرجوازية في القطاع العام تحاول ان تحطمه من الداخل بالفساد والاهمال والانحراف .

وظهرت في جريدة الجمهورية سلسلة من المقالات بقلم علي صبرى فى عام ١٩٦٦ وكان تغيرا قد حدث فى ادارتها نزع مصطفى بهجت بدوى من موقعه كرئيس لمجلس الادارة بعد حلمى سلام ، وعين فى مكانه فتحى غانم الذى كان رئيسا لتحرير مجلة صباح الخير ، ثم مديرا لوكالة انباء الشرق الاوسط .

اخذت هذه المقالات وجهة نظر يسارية ، واثار ظهورها علامات استنفهام كثيرة ، وتسائل الناس عما اذا كان فى ذلك محاولة لظهور منبر مناقس لجريدة الاهرام التى كانت دائما محل حظوة واهتمام الرئيس جمال عبد الناصر . . . وحاول البعض معرفة حقيقة الدور الذى يلعبه على صبرى من سطور هذه المقالات .

وكان الأمريكيون يتابعون فى تركيز شديد بوساطة عملاء المخابرات المركزية الأمريكية كما تبين فى التحقيق فى قضية مصطفى أمين رئيس تحرير الاخبار الذى ضبط فى منزله مع بروس اوديل الديبلوماسى الأمريكى عميل المخابرات . . . يتابعون حركة العناصر اليسارية والشيوعية (وقد صدر الحكم بالمؤبد على مصطفى أمين) .

وبدأت موجات من الدعايد تلاحق على صبرى بعد هذه المقالات بأنه أصبح شيوعى النزعة .

ولكن محمد على بشير الضابط السابق والعضو المنتدب لدار التحرير للطبع والنشر روى لى انه خلال مناقشته مع على صبرى قال له ان القراء فى حالة قلق من مدلول هذه المقالات .

وكانت دهشة بشير شديدة عندما فوجئ بعلى صبرى يقول له (أعمل ايه . . . المقالات تحضر لى . . . وأنا اوفهمها) .

على صبرى لم يكتب هذه المقالات ولم يطالب بكتابتها . . بل ولم يكن حريصا على ذلك . . ومع هذا فقد ظل توقيعه بشكل واجهة يسارية لشخصيته .

ومثل هذا الموقف الذى ارتضاه على صبرى خلق تناقضات بينه وبين المشير عامر وأعضاء مجلس الثورة ، كما سبق توضيحه فى الفصول السابقة . وبدأت خلال هذه الفترة تتآكل معالم رغبته فى ان يكون له نفوذ

وشخصيات تابعة في الاتحاد الاشتراكي ، وفي الصحافة التي كانت تابعة له من الوجهة النظرية .

وزادت شخصية علي صبري نفوذا بعد تغيير وزارة زكريا محيي الدين ، وتعيين صدقي سليمان رئيسا للوزراء . ١٠٠ ولكنها في نفس الوقت بدأت تتعرض لتناقضات مع عناصر الصف الثاني المتطلعين لسلطة ونفوذ الصف الأول مثل سامي شرف وشعراوي جمعه .

الشخصيات الرئيسية في مجتمع جمال عبد الناصر تتبدل وتتغير والاستقرار فيه ما زال بعيدا . . والآمال الطموحة للنظام تدخل مرحلة اربع سنوات حاسمة .

الامبريالية العالمية والامريكية لا تغض عينيها . . والنظام يتعرض لضغوط ، بدأت تقطع المعونة الأمريكية .

وكان عام ١٩٦٧ .

الفصل العاشر

مجتمع جمال عبد الناصر

(لن نستطيع ان أقف الا اذا انتهى استغلال
الانسان للانسان)

جمال عبد الناصر

ليس من شك في أن جمال عبد الناصر قد استطاع ان يغير وجه
مصر .. وان يشق لها طريقا جديدا ..

وليس من شك أيضا في أن السنوات الأولى لحركة القوات المسلحة
قد استنفدت جهده في مشاكل داخلية وصراع مع القوى السياسية
القديمة ، والعناصر المنافسة داخل القوات المسلحة .

وعندما استقرت الأمور له ، وانتهى دور محمد نجيب وعقدت اتفاقية
الجلاء ، وتمت تصفية القوى المعارضة من اليمين واليسار بوسائل ادارية،
بدأت اتجاهات جمال عبد الناصر الحقيقية في الظهور .

استمرت هي الدافع الأكبر له في حركته .. فكانت معركته الصلبة
ضد الاحلاف العسكرية ، ورفضه الخضوع مطلقا لمطالب الامبريالية
بالانضواء الى معاهدات الدفاع المشترك أو قبول مبدأ ايزنهاور ..

كانت عقيدة عبد الناصر ان يكون مطلق السراح في حركته الوطنية
بلا اية قيود .. وقد اثر عليه مؤتمر باندونج واهتمام قادة الدول الاسيوية
والافريقية به باعتباره قائدا لحركة ثورية ضد النظام ملكي متعفن ..
مما أدى الى شعوره بكيان مصر وقدرتها على ان تثبت وجودها وسط المجال
الدولي .

وكان اهتمام جمال عبد الناصر وزملائه أعضاء مجلس القيادة كبيرا
في ان يكون لمصر جيش وطني قوى .. فقد كان هذا هدفا من أبرز أهدافهم،
وأشدها حساسية ، لأن حركتهم انبثقت أساسا ضد فساد الملك وقيادة
الجيش ، وكان اجراؤها الأول هو تطهير الجيش من كافة الضباط في
رتبة اللواء والعقيد علما نفر محدود لا يتجاوز خمسة أشخاص .

ولذا فإن جمال عبد الناصر لم يتردد لحظة في محاولة الاتصال بحكومة
الولايات المتحدة لكسر القيود البريطانية على امداد الجيش .. ولكن حكومة
الولايات المتحدة لم تقبل تسليح الجيش المصري طالما هو غير خاضع لاحلافها
العسكرية وموائيقها الدفاعية ، ولم يصل الى مصر من السلاح الأمريكي
الا مسدس مطلي بالذهب أرسله ايزنهاور هدية الى محمد نجيب .

ولم يقبل جمال عبد الناصر الخضوع للشروط الأمريكية ، ولم يقبل
الجمود أيضا .. وكان الاتصال مع السوفييت من أجل تسليح الجيش ،
هو بداية الاتصال بين دولة من دول التحرر الوطني ودولة اشتراكية .

ولذا كان جمال عبد الناصر رائدا في هذا المجال ، الذي يتحرك فيه
بحرية كاملة دون أى ارتباط سوى مصلحة وطنه كما هو مقتنع بها .

ولم يرتبط جمال عبد الناصر بأيديولوجية معينة .. كان يخشى ان
يقيد ذلك حركته .. ولكنه في نفس الوقت لم يكن جامحا في عداوته
للمنظريات والمبادئ المختلفة .

كان الوحيد من أعضاء مجلس قيادة الثورة غير الماركسيين الذي
يتصل بأفراد من تنظيم قسم الجيش في الحركة الديمقراطية للتحرر
الوطني (حدوتو) وهم يعرف هويتهم السياسية ، في وقت كانت الشيوعية
فيه مطاردة بشراسة من جانب أجهزة الأمن في النظام الملكي .

لم يأخذ جمال عبد الناصر جانب الرفض في خلق علاقة مع الشيوعيين
قبل الثورة ، كما انه لم يكن المسئول الوحيد عن تمزق العلاقات بين الحركة
الشيوعية وحركة الجيش بعد الثورة .

وكما كان جمال عبد الناصر منفتحا في علاقته مع الشيوعيين ، كان منفتحا أيضا على الإخوان المسلمين ومصر الفتاة وكافة القوى السياسية بدرجات متفاوتة .

كان مقتنعا بأن حركة الجيش يجب أن تتعرف وتتصل بكافة هذه القوى ، وتحاول الارتباط بها . ولولا قناعاته الشخصية بذلك لما أمكن خلق أى نوع من الحوار بين الشيوعيين والضباط فقد كان الضباط بصفة عامة متأثرين الى حد بعيد بأفكار جماعة الإخوان المسلمين الذين ارتبط معظمهم بها ، أو تغلب عليهم طبيعتهم العسكرية المحافظة غير المنفتحة على واقع الحياة .

كان جمال عبد الناصر إبرز زملائه في هذا الاتجاه . اتجاه الاتصال بكافة القوى السياسية ومحاولة تجميعها في تنظيم جهوى واحد ، والأمر الذى نجح فيه تماما في تنظيم الضباط الأحرار .

استطاع بشخصيته ان يكتسب ثقتنا نحن أعضاء قسم الجيش في الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدتو) ، والتقت أفكاره مع أفكارنا فى السعى لتوحيد كافة القوى والعناصر الوطنية المعادية للاستعمار فى جبهة واحدة .

ولكن جمال عبد الناصر فى هذه الاتصالات كان حريصا على الا يربط حركة الجيش بأى حزب أو تنظيم سياسى . كان يطلب لها استقلالا خاصا متميزا .

ولذا فقد فصل قائد الجناح عبد المنعم عبد الرؤوف من اللجنة القيادية للضباط الأحرار ، لأنه كان مصرا على البقاء فى الإخوان المسلمين وتجنيد الضباط لتنظيمهم . . . ولكنه مع الشيوعيين لم يتخذ هذا الموقف لان تجنيد الضباط لنفس الجيش فى حدتو كان يتم بعد فترة ترشيح يختبر فيها الانضباط خلال حركته فى تنظيم الضباط الأحرار اذا كان عضوا فيه . . ولذا كان الضباط ، الشيوعيون العاملون فى الضباط الأحرار يتصرفون كأعضاء فيه ولا يتجاوزون حدودهم الا بخطوات سرية لا تهدد الضباط الأحرار وانما تدعمهم .

وانتصار جمال عبد الناصر فى تكوين هذه الجبهة العسكرية التى ضمت ضباطا تفكيرهم متطابق مع الإخوان المسلمين مثل كمال الدين حسين وضباطا ماركسيين مثل يوسف صديق ، وخالد محبى الدين خلق هذه شعورا بإمكانية تحقيق ذلك فى المجتمع بعد نجاح الثورة .

ولكن الموقف كان مختلفا ٠٠ وبدأت سنوات الصدام بين السلطة العسكرية الوليدة ، والقوى السياسية القديمة أو التي لعبت دورا في التعاون مع حركة الجيش قبل ٢٣ يوليو ٠

وتصادمت حركة الجيش مع الوفد والشيوعيين والايخوان المسلمين ، وهي القوى الذي كان يمكن ان تشكل جبهة وطنية معادية للاستعمار ٠٠ ولم تستطع الحركة لغياب الايديولوجية من فرز العدو والصديق ٠

ولذا فقد انعدت هذه القوى بمحاولة تشكيل الجبهة من عناصر وفدية وشيوعية وعناصر متقدمة في جماعة الاخوان المسلمين ٠٠ ولكن أجهزة الأمن وصلت اليهم وقدمتهم للمحاكمة عام ١٩٥٣ فيما عرف باسم قضية الجبهة ٠

انصرفت القوى السياسية عن حركة الجيش تدريجيا ، واكتملت السلبية بعد عزل محمد نجيب ومحاكمات الاخوان المسلمين ٠

وهنا يبدأ جمال عبد الناصر في تشكيل المجتمع المصري ٠

المواقف الوطنية التي أخذها جمال عبد الناصر في تتابع وإيقاع سريع جعلت شخصيته تلمع وتصبح أكثر تأثيرا ٠ بعد ان كانت موجات النقد له قد وصلت غايتها ، ثم بدأت تنحسر تدريجيا بعد اطلاق الرصاص عليه في ميدان المنشية بالاسكندرية في أكتوبر ١٩٥٤ من محمود عبد اللطيف عضو الاخوان المسلمين ٠

الانتصار في معركة الاحلاف ومؤتمر بالندونج وصفقة السلاح وجلاء القوات البريطانية ٠ وأخيرا تأميم القناة ووقف العدوان الثلاثي ثم انسحاب قواته ٠

كل هذه الخطوات خلفت رصيذا شعبيا هائلا لجمال عبد الناصر كزعيم وطني ٠٠ ووسعت الفرق بينه وبين زملائه أعضاء مجلس قيادة الثورة ٠

وأصبح الزعيم في قمة مجده ، يمارس تشكيل المجتمع بإرادته ٠٠ مجلس الثورة لم يعد كيانا تنظيميا وأعضاؤه يستمدون وجودهم من علاقتهم به ٠

ورؤية جمال عبد الناصر للمجتمع خالية من البعد الطبقي ٠٠ اعتقد انه قادر على حشد الجماهير من مختلف الطبقات دون تناقض أو صراع ٠

وغلبت عليه هذه النظرة المثالية ، وشجعه عليها عدة عوامل منها تجربته الناجحة في الجبهة العسكرية للضباط الأحرار ، وعزله للقوى المتصارعة معه المؤمنة بمبادئها عن حلقة العمل السياسي ، ورصيده الهائل من انتصاراته الوطنية ٠

ولم يدرك جمال عبد الناصر ان الانتصارات الوطنية لا تلغى التناقضات والصراعات الطبقية وان روح الوثام والتسامح لا تخلق بين الطبقات الا على أسس موضوعية . . وان تعلق انجماهير بشخصيته لا يعنى اهمالها لواقفها الاجتماعى والطبقى .

لم يدرك جمال عبد الناصر ذلك رغم انه كان يحمل مسئولية تشكيل المجتمع الجديد دون أن يكون هناك برنامج يسترشد به ، وحركة الضباط الأحرار اعتمدت على النقاط الست باعتبارها أهدافا عامة ، ولم تثبت تصورها فى برنامج مكتوب يوضح موقف أول تنظيم لها وهو (هيئة التحرير) وكتاب فلسفة الثورة الذى حمل اسم جمال عبد الناصر لم يكن أكثر من خواطر شاب وطنى وجد نفسه فى قمة المسئولية .

ان جمال عبد الناصر قد كتب مقدمة لكتاب (حقيقة الشيوعية) الذى كان يروى افكارا طموحة بعيدة عن أى مضمون اجتماعى - ورغم ان مؤلفه هو مدير مكتبه أمين شاکر - متهجما فى سطحية وبأسلوب الدعاية الاستعمارية على الاشتراكية العلمية ، الا ان ذلك لا يعبر عن محور أصيل فى تفكير جمال عبد الناصر ، اذ انه كثيرا ما كان يقع تحت ضغوط بعض زملائه المعادين اصلا للتقدم والتفتح الفكرى ، وما ورد فى هذه المقدسة ليس أكثر من توقيع على مقدمة كتبت له بطريقة روتينية .

لم يكن جمال عبد الناصر من القادة الذين يبنون مستقبلهم بالهجوم على الشيوعية . . ورغم اعتقاله ومطاردته لأعضاء التنظيمات الشيوعية وتضييقه الخناق على حركتهم السياسية وتركه لقوانين النظام الملكى البالية ، الا انه لم يكن يطعم احاديثه ، وخطبه دائما بمهاجمة اليسار والشيوعية ولم تكن معاداة الشيوعية هى رأس رمح النظام بل انه كثيرا ما تعاون مع الشيوعيين وخاصة فى مراحل المد الوطنى مثل فترة العدوان الثلاثى كما ورد تفصيلا فى الباب الأول .

كان جمال عبد الناصر قد بدأ يفهم الدور الوطنى الذى يؤديه الشيوعيون . . وكان كسره لستار منع التعامل مع الدول الاشتراكية ولقاءه بقادتهم وزيارته لموسكو وربط تسليح الجيش المصرى بهم ، ومقاومته الصلبة لضغوط الامبريالية دلالة على طريقه الوطنى . . كل ذلك كان من العوامل التى طورت تفكير جمال عبد الناصر فى هذه السنوات . . سنوات الصمود . وعبد الناصر ، الذى لم تلبث موجته ان انحسرت . . رغم بقاء الشيوعيين فى المعتقلات .

وهكذا كانت هذه الفترة باحداثها وخلافاتها عامل جذب لجمال عبد الناصر ، وابتعدت به عن محاولة وضع برنامج لتنظيمه السياسى الثانى

(الاتحاد القومى) الذى استورد خطوطه الرئيسية من تنظيم سالازار فى البرتغال ، والذى طمس به الى توحيد صفوف الشعب المصرى والشعب السورى على أساس غير طبقي ، تماما كما كانت الحال فى (هيئة التحرير) .

استهدف جمال عبد الناصر من التنظيم أن يكون أداة فى يد جهاز الحكم ، وليس تنظيما سياسيا يعنى قوى الجماهير صاحبة المصلحة فى انطلاق الثورة واستمرارها على أساس واقعها الطبقي .

وكانت الفرصة متاحة دائما أمام جمال عبد الناصر لخلق هذا التنظيم، ولكنه فى غمرة انتصاراته الوطنية وارتفاع مركزه الشعبى والعربى والعالمى، لم يجد فى غيبة التنظيم ما يشكل خطرا على كيان نظامه او على موقعه فى قمة النظام .

وكانت الأفكار الإصلاحية التى يؤمن بها هى التى دفعته الى اعتبار ما اطلق عليه اسم (الاشتراكية الديمقراطية التعاونية) السبيل الى تطوير المجتمع بالكلمات الطيبة ، وإحيائه بالاجراءات الادارية العازمة التى تعتمد على جهاز دولة متخلف ويروقراطى معاد للديموقراطية ومعاد للجماهير .

ولم يكن جمال عبد الناصر حتى هذه المرحلة قد اتخذ موقفا اجتماعيا واضحا ... فالبرجوازية الكبيرة تنمو ، والنسوة الى رؤوس الأموال الأجنبية نشيطة والقوانين تعدل لتصبح نسبة اسهام المصريين ٤٩٪ فقط. بدلا من ٥١٪ . ومع ذلك فقد كانت السلطة الجديدة التى تعتمد على الجيش بطريقة عملية تنبر الفزع والخوف عند الرأسمالية المصرية التى ترددت واحجبت عن المشاركة فى مشاريع تبني الاقتصاد القومى .

كانت السلطة الجديدة تدعم مواقعها بعيدا عن الارتباط بطبقة معينة، معتمدة على الجيش ورغم ان جمال عبد الناصر كان معبرا عن مصالح البرجوازية الصغيرة التى أخذت تنمو وتنتشر الا انه ظل حريصا على أن يكون فى موقع متميز ومتفرد داخل المجتمع .

وكما رفض الارتباط بايديولوجية قضية معينة ظل أيضا بعيدا عن الارتباط علنا بطبقة معينة . وخلال هذه الفترة اعتمد جمال عبد الناصر على زملائه من العسكريين ، وفتح لهم الأبواب للوصول الى مراكز قيادية فى ميادين العمل السياسى والثقافى والاقتصادى .

والصورة التى قدمناها فى الفصل الخامس توضح ان العسكريين بعد زحفهم الى مراكز السلطة قد لعبوا دورا كبيرا فى قيادة جهاز الدولة . . . وانهم كانوا فى يد الزعيم أكثر طواعية وموضع ثقة كاملة .

هذه الحقيقة الى جانب الأحداث السياسية والخلافات العربية التي
 حفلت بها هذه الفترة أرشدت اهتمام جمال عبد الناصر بعيداً عن التفكير
 المركز في وضع برنامج واضح لحركته ، وجعلته يستكين للاعتماد في معظم
 المواقع المؤثرة على العسكريين .

وهكذا مضت هذه الفترة دون ان تشر تنظيمياً سياسياً قادراً على
 فرز المجتمع الى طبقات يمكن أن تلتحم في جبهة وطنية تقدمية ، وعزل
 الطبقات المعادية للتقدم .

ومضت الأمور بهذا الاختيار السهل حتى وصلت الى طريق
 مسدود .

كانت نظرية (التصالح الطبقي) في السياسة الداخلية ، ونظرية
 (الوسط والتوازن) في السياسة الخارجية هي النظرية السائدة .

لم يعد (التصالح الطبقي) مقبولا من أطراف الصراع . . البرجوازية
 الكبيرة تهتز سلطتها وأمالها بعد تمصير الشركات والبنوك الانجليزية
 والفرنسية بعد العدوان . . وبعد صدور قانون الشركات الذي حدد
 العضوية في مجالس الادارات ومن العضو وتأميم بنوك مصر والبنك
 الأهلي .

ومن الجوانب الأخر كانت الوحدة مع سوريا عاملا من عوامل التعطيل
 في تطبيق الديمقراطية في السياسة الداخلية . . فاستمرت الدولة
 بلا برلمان أكثر من سنتين . . وتوقفت اجراءات التقدم الاجتماعي ، وباركت
 البرجوازية السورية هذا الاتجاه المستقر الذي يحمي نشاطها في مصر
 وسوريا معا . . وبدأت البطالة تشكل خطرا اجتماعيا من خريجي الجامعات
 أو العمال .

وقد بدأت سياسة (الوسط والتوازن) تعبر في مضمونها عن تحرك
 من اليمين الى اليسار اتفقت مصر على إقامة الشركات الغربية (كيميا)
 للسجاد في أسوان (وراكت للورق) وفيات (نصر) للسيارات الى غير ذلك
 من التعاقدات ، الى جانب الاتفاق على سياسة التصنيع مع الدول الاشتراكية
 التي عقدها الدكتور عزيز صدقي عام ١٩٥٨ .

وبدأ هذا التوازن مقبولا في بدايته . . ولكن انتهاز القوى الامبريالية
 للخلافات الثورية التي تفجرت بين جمال عبد الناصر والشيوعيين في الشرق
 العربي عام ١٩٥٩ . . ورجحان كفة ميزان الغرب قد ألتهمت الى جمود
 السياسة المصرية وعدم انطلاقها في طريق التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي
 واشتدت المعارضة ضد اسلوب عبد الناصر الجديد بين القوى التقدمية ،

وخاصة بعد دخول علاقته مع حزب البعث العربي الاشتراكي في دائرة الخلاف أيضا .

ولكن جمال عبد الناصر القائد الوطني لم يرضخ لهذا الاتجاه الراكد ، وامكن له بمرونته وحيويته أن يكتشف ان نظرية (التصالح الطبقي) هي نظرية مثالية غير واقعية . . وان القوى البرجوازية والرجعية قد انتهزت فرصة خلافه مع الشيوعيين وحاولت النفوذ الى مركز السلطة والسيطرة عليها . . الأمر الذي دفع جمال عبد الناصر الى القول لأحمد فؤاد عند استدعائه له لمناقشة قضية تأميم بنك مصر (اني أشعر ان الرأسماليين هم الذين يحكمون وليست الثورة) .

وكانت البنوك الأجنبية قد توقفت عن تمويل محصول القطن بعد تأميم القناة كجزء من مخطط استعماري يستهدف أحداث انهيار اقتصادي في البلاد ، وكان طبيعيا لجمال عبد الناصر وهو يحرص على التنمية ان يسيطر على قنوات التمويل من بنوك وشركات تأمين وإعادة تأمين لتكون اداة مساندة للاقتصاد الوطني وخطة التنمية بعيدا عن السعي وراء الربح السريع والمضاربة .

وأصدر جمال عبد الناصر قوانين يوليو ١٦١ الاشتراكية فكانت نهاية مرحلة الحيرة التي سادت بعد العدوان الثلاثي ، وانتهت الى حد بعيد سياسة (التصالح الطبقي) أما سياسة (الوسط والتوازن) في السياسة الخارجية فقد استثمرت معبرة عن رؤية جمال عبد الناصر الوطنية ، وخشيتته من الارتباط بأيديولوجية معينة ، أو تكتلات سياسية عالمية .

وقد أثر صدور هذه القوانين تأثيرا سريعا في حركة القوى السياسية المختلفة . .

تحولت البرجوازية الكبيرة وبقايا الاقطاعيين الى اعداء مباشرين للثورة ولعبد الناصر ولم يمض وقت قليل ان يتحركوا ضده في سوريا خلف الانقلاب الذي انتهى الى الانفصال وانتهاء تجربة الوحدة الأولى .

وأدرك جمال عبد الناصر متأخرا ان نظرية (التصالح الطبقي) لاتنزع أنياب البرجوازية الجفعية ، ولا تهدئ الفلاحين والعمال عن المطالبة بحقوقهم المشروعة ، ولا تروى عقول المثقفين الثوريين ١٠

وكانت الأيام التي أعقبت الانفصال حافلة بعبارات النقد الذاتي التي أطلقها جمال عبد الناصر واعترف فيها بأن الرجعية من داخل الاتحاد القومي قد انقضت على الثورة في سوريا . . وأنه يوجد صراع طبقي لا شك فيه .

وتبع هذا الادراك العميق الذى افضجته الخبرة والتجربة تحولا فى اسلوب الثورة ... صدر الميثاق وقانون الاتحاد الاشتراكى العربى .. التنظيم الثالث للثورة .

وقد عبر جمال عبد الناصر عن ادراكه لأهمية الصراع الطبقي بقوله فى الميثاق (الصراع الحتمى والطبيعى بين الطبقات لا يمكن تجاهله أو إنكاره . وانما ينبغى أن يكون حله سلميا فى إطار الوحدة الوطنية وعن طريق تذويب الفوارق بين الطبقات) .

وقوله فى الميثاق أيضا (ان ضراوة الصراع الطبقي وديمومته والأخطار الهائلة التى يمكن ان تحدث نتيجة لذلك هى فى الواقع من صنع الرجعية . التى لا تريد التنازل عن احتكاراتها وعن مراكزها الممتازة التى تواصل فيها استغلال الجماهير) .

ويؤكد الميثاق أيضا تغلغل جمال عبد الناصر عن فكرة (التصالح مجموع الشعب بحكم احتكاراتها لثروته ولهذا فان سلمية الصراع الطبقي لا يمكن أن تتحقق الا بتجريد الرجعية أولا وقبل كل شئ . من جميع أسلحتها) .

لم يعد هناك لبس فى وجود صراع طبقي .. ولكن المحاولة فى محاولة تجنب انفجاره فى شكل دموى .

وأصبح واضحا انه بعد صدور الميثاق وبعد اقرار قانون الاتحاد الاشتراكى الذى ينص على أن يكون نصف أعضاء مجلس الأمة والمجالس الشعبية من العمال والفلاحين ... لم يعد هناك من سبيل لتغيير جديد بل أصبح هذا هو الأساس الذى ينهض عليه المجتمع ..

وقد أثبتت مناقشات اللجنة التحضيرية التى انبثقت عن الميثاق عن مؤتمرها القومى ان معظم أعضائها لم يكن عندهم الفهم العميق للحركة السياسية ، وان أغليبيتهم كانت بعيدة عن معرفة المضمون الصحيح للاشتراكية العلمية ، وان أبعاد الشيوعيين والمفكرين اليساريين عن عضويتها قد اضعف من مستوى اللجنة .

ولذا جاء تقرير لجنة المائة التى أشرف عليها كمال الدين حسين متخلفا عن الميثاق ، متبينا نظرة محافظة .

ولكن طرح شعار الاشتراكية فى المجتمع قد أثر فى الجماهير تأثيرا كبيرا ، وبذا يجذب اهتمامها وينمى ميولها الثورية ، ويحفزها الى معرفة حقيقة ابعادها .

كانت الاشتراكية قد انفردت وحدها كستار للمجتمع ، وتساقت. كلمتي (الديمقراطية والتعاونية) ٠٠ وبدأت الكلمة تستخدم في معظم المقالات والأحاديث السياسية تماما مثل ملح الطعام ٠٠

وتعدلت أيضا كلمات جمال عبد الناصر وأصبحت أكثر حسما ووضوحا في قضية الاصرار على التحول الاشتراكي .

ولم ينحرف جمال عبد الناصر وراء بعض الذين صوروا المجتمع في مصر مع بداية ظهور الميثاق بأنه مجتمع اشتراكي ٠٠ ولم يتردد في الاعلان بأن مصر ما زالت بعيدة عن الاشتراكية وأنها تعبر سنوات التحول .

ولم يكن الاعلان عن الاشتراكية كافيا لخلق مجتمع اشتراكي ٠٠ الأمر لم يكن بهذه البساطة ولن يكون .

خلق المجتمع الاشتراكي يحتاج الى جهد سنوات طوال في مجالات العمل والسياسة والثقافة .

ومن الظواهر المثيرة والمعلقة معا ان الشيوعيين الذين تبناوا التبشير بالاشتراكية من قبل الثورة ، والذين ناضلوا وضحوا في سبيل ذلك تضحيات جسيمة ، كانت أغليبيتهم العظمى معتقلين في جنوب مصر في صحراء الوادي الجديد ٠٠٠ أفكارهم الواعية حبيسة الجدران ، وطاقتهم الكثيرة محاطة بالتضيق ٠٠٠ ومع ذلك فإنهم لم يترددوا لحظة في تأييد جمال عبد الناصر ٠٠٠ والذين تبناوا أفكارا متطرفة عنه راجعوا تفكيرهم واستقروا على تأييد الاتجاه الوطني التقدمي للثورة والتحالف معه من موقعهم الخاص بهم .

ونمت مع اعلان الميثاق علاقات الصداقة مع الاتحاد السوفيتي ، واستقرت سياسة (الوسط والتوازن) الى خلق علاقة وثيقة مع الدول الاشتراكية التي انضمت في تصنيع مصر بعد اتفاق الاتحاد السوفيتي على انشاء السد العالي .

ولكن الظاهرة الملحوظة انه رغم ان العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتي كانت تنحسن عاما بعد آخر وتلويب فيها الشوائب ٠٠٠ الا ان جمال عبد الناصر لم يبلور هذه العلاقة في حدود أكثر من انها علاقات صداقة ٠٠٠ ولم يفسر مضمونها الحقيقي من ان الاتحاد السوفيتي إنما يقدم هذه المونات والمساعدات غير المشروطة لأنه دولة اشتراكية عظمى تهتم بالماركسية اللينينية .

لم يحاول جمال عبد الناصر أن يقضي على الحساسية من الماركسية . بل انه كان كثيرا ما يتحدث عن الفروق بين (التطبيق العربي للاشتراكية)،

وهو الاصطلاح الذى كان يصر عليه أمام موجات بعض المحرفين والرجعيين الذين كانوا يتحدثون عن (الاشتراكية العربية) .

كان كثيرا ما يردد هذه الفروق ويجسمها فيما قاله من فروق فى الدين وديكتاتورية البروليتاريا وعدم تحميل جيل واحد مسئولية بناء الاشتراكية .

وكان ترديد هذه الكلمات يزداد خلال بعض الأزمات التى كانت تعكر صفاء العلاقات بين البلدين .

ولا شك أن جمال عبد الناصر كان حريصا على وجود حد فاصل بين زعامته وبين الأفكار الماركسية والتنظيمات الشيوعية وأنه إذا كان قد استعان ببعض الماركسيين فى أماكن مسئولة من أجهزته فأنما كان يستعين بهم بصفة شخصية وبعد تأكده من أنهم لا يتبنون آراء معارضة لحركته السياسية أو له شخصيا .

ويذكر انه قال لمحررى مجلة الطلبة أثناء زيارته للأهرام أنه يطلب منهم ان يكونوا قديسين .

والفروق التى كان يغيرها جمال عبد الناصر لم تكن مطروحة من الشيوعيين فلم يكن هناك تنظيم شيوعى واحد يطلب عصيان الدين أو الخروج عنه ، وهم يعتبرون الاقتناع الدينى من أسس الحرية الاجتماعية التى تدافع عنها الاشتراكية ولم تكن قضية ديكتاتورية البروليتاريا مثارة فقد تغيرت النظرة اليها مع تغير الظروف وتجاوزتها المرحلة أما قضية تحميل جيل واحد عبء بناء الاشتراكية فقد تراجع عنها جمال عبد الناصر فبما بعد عندما أدرك أن هذا العبء يعطى فرصة لاعداء الاشتراكية لتخريب محاولات التطبيق ، حتى تتغير خطط التنمية ويهبط الاقتصاد القومى . وتصبح الاشتراكية هى مشجب الأخطاء والمبدا .

ووصل اقتناع الشيوعيين بالدور التقدمى الذى يؤديه جمال عبد الناصر الى حد اتخاذ قرارات بحل تنظيماتهم بعدما قيل لهم ان هناك فرصة أكيدة للدخول فى تنظيمات الاتحاد الاشتراكى كأعضاء عاملين وكانت هذه أول مرة فى التاريخ تحل الأحزاب الشيوعية فيها لنفسها اختياريا .

وهكذا انتهت الفروق التنظيمية وانهارت سدود العزلة وفتح الاتحاد الاشتراكى أبوابه لبعض الماركسيين ، وتولى مسئولية بعض أجهزة الاعلام ماركسيين أيضا مثل الأخبار (خالد محيى الدين) آخر ساعة (سعد كامل)

• (وصلاح حافظ) روز اليوسف (أحمد فؤاد وكاتب هذه السطور) الطليعة
(لطفى الخولى) •

ولكن العلاقة لم تقم على أسس وجدانية مستقرة انما قامت على
أسس ذاتية ٠٠٠ فلم تفتح أبواب الاتحاد الاشتراكي لكل الشيوعيين
السابقين ٠٠ ولم يعد الجميع الى وظائفهم التى فصلوا منها ٠٠ وأصبح
البعض منهم فى مراكز مرموقة يتقاضون مرتبات عالية ، والبعض منهم
محروما من فرصة العمل يكاد يتضور جوعا •

صحيح أن هذه الحالات كانت تقل شهرا بعد آخر ٠٠ ولكنها فى
جماليتها تعبر عن أن رضا أجهزة السلطة كانت فى الغالب هى جواز المرور
للعمل أو المركز أو المسئولية •

وطبعى أن يكون ذلك هو المقياس فى وقت يتشكل فيه المجتمع الجديد
لعبد الناصر الذى ظلت كافة الخيوط تتجمع بين يديه •

واستمر تركيز السلطة فى يد عبد الناصر باعتباره مرجعا رئيسيا فى
كل الأمور سمة مميزة للمجتمع •

وقد أدى ذلك من جهة الى عدم تطبيق الديمقراطية تطبيقا سليما •
كما أدى من جهة أخرى الى ضمور الأجهزة التنفيذية وضياع المبادرة منها •

وكانت الأجهزة الادارية معزلة أيضا عن الوقاية الشعبية الصحيحة
٠٠٠ وكثيرا ما نشأت الخلافات والتناقضات بين تنظيمات الاتحاد الاشتراكي
ومسئولية الادارية •

وقد ساعد على استمرار الاعتماد على قبضة السلطة العنيفة ، عجز
الأجهزة المختلفة عن تحقيق الأهداف الطموحة للقيادة السياسية ٠٠ فكانت
الخدمات تتعثر وتغرض نفسها على العمل السياسى الذى يستهدف (حل
مشاكل الجماهير) •

وكان الاعتماد على أجهزة المباحث الجنائية العسكرية فى مشاكل
المواصلات والتموين واعتقال المخربين فوق أنه ظاهرة عجز ٠٠ كان دليلا
على تخلف العمل السياسى وضعف القدرة التنظيمية للاتحاد الاشتراكي •

ولكن هذا لا يلغى كثيرا من الايجابيات فى حركة الاتحاد الاشتراكي
السياسية ، فهو قد لعب قدرا من النشاط لا شك فى مختلف المؤسسات
والمصانع والقرى ، واستنبت عناصر جديدة تهتم بالعمل السياسى وتعتنق
التطبيق الاشتراكي •

وعندما وجد جمال عبد الناصر انه يجابه كل صعوبات ومشاكل التطور ، وهو عاجز عن حلها سياسياً أو ادارياً .. ومضطر الى الالتجاء للشرطة العسكرية .. حاول ان يدعم بنیان التنظيم السياسى بتطبيق ما ورد فى الميثاق من تكون طليعة الاشتراكيين لتؤدى دور الجهاز الواعى المنشط لهذا البيان التنظيمى الكبير .

ولكن طليعة الاشتراكيين استغرقتها أيضا مشاكل المجتمع وانعكست عليها سلبيات القيادة والاتحاد الاشتراكى .

ولم يتحقق أمل جمال عبد الناصر الذى أعلنه فى خطابه يوم ١٦ مايو ١٩٦٥ (ليس هناك فى الوقت الحاضر طريق آخر لتنظيم تحالف قوى الشعب العامل الا انشاء تنظيم سياسى قوى وكادر داخل الاتحاد الاشتراكى قادر على تجميع القوى المؤمنة بالاشتراكية) .

ولكن طليعة الاشتراكيين لم تملأ الفراغ السياسى الذى كان يؤرق جمال عبد الناصر .

وهنا يجدر بنا الاشارة الى قوله الذى لم ينفذ من رغبته فى التفرد للعمل فى الاتحاد الاشتراكى .. ويجدر بنا أيضا القول بأنه لم يعط لتكوين التنظيم السياسى كل ما يستحقه من جهد وتركيز .. ولم يسمح للديموقراطية الداخلية ان تتفاعل فيه لاكتشاف الكادر الثورى القادر على القيادة .

كان ضعف التنظيم المتوخى فيه أن يكون تنظيمًا حزبيًا وغياب الديمقراطية فيه تصورا فى النظرة الى أهمية المشاركة الحقيقية للجماهير فى العمل السياسى .

ولم يكن كافيا العمل فقط من أجل الجماهير .. وإنما كان ضروريا أن يكون العمل مع الجماهير وبها .

وهكذا كان مجتمع جمال عبد الناصر يحاول الدخول الى تطبيق اشتراكى بوسائل يصعب عليها ان تحقق ذلك بطريقة عملية .

ومع ذلك كانت شخصيته القيادية المتطورة وأفكاره التى لا تتوقف أو تجهد أمام الأزمات وإنما تتحول دائما الى اليسار والتقدم .. كانت ضمانة لامكانية التغلب على المشاكل والعقبات التى تعترض الطريق .. وضمائه أيضا مواصلة من العناصر الرجعية حتى تضعف قدرتها على الحركة وينتهى دورها .. وعنصر جذب للعناصر الماركسية واليسارية للاحتشاد حوله وتأييده والدفاع عنه رغم ملاحظاتهم الكثيرة على أسلوبه فى الحكم ، ورغم ما لحق بهم من مآسى ممتدة .

ولكن ذلك وحده لم يكن كافيا ٠٠ فحياة الشعوب ومستقبلها لا يمكن
مجموعة متميزة عن الطبقة التي تمثلها رغم ارتباطها بها استراتيجيا ٠

ولكن ذلك وحده لم يكن كافيا ٠٠ فحياة الشعوب ومستقبلها لا يمكن
أن تتجمع وتتلور في النهاية عند فرد واحد منها تألفت شخصيته وارتقت
زعامته واحشد حوله الناس بثقة وحبه ٠

وهكذا كان جمال عبد الناصر ٠٠٠ وكان أيضا مجتمع جمال
عبد الناصر ٠

شكر وعرفان

ما كان لهذا الكتاب أن يظهر لولا هؤلاء السادة الذين تفضلوا
فمنحوني بعض وقتهم للبحث والمناقشة .

ومعذرة اذا كانت الأسماء قد ظهرت بلا ترتيب تقتضيه التقاليد
المرعية فاني قد حرصت على تلوينها تبعاً للوقت الذي سجلت فيه .

وكل الشكر والعرفان بالجميل لهم فرداً فرداً .

١١ - العسكريون

آخر منصب	آخر وثبة عسكرية	الاسم
رئيس جمهورية مصر	لواء أركان حرب	محمد نجيب
نائب رئيس جمهورية	قائد جناح	عبد اللطيف بغدادى
نائب رئيس جمهورية	بكباشى أركان حرب	زكريا محيى الدين
نائب رئيس جمهورية	بكباشى أركان حرب	كمال الدين حسين
نائب رئيس جمهورية	قائد سررب	حسن ابراهيم
عضو مجلس الثورة	صاغ	خالد محيى الدين
ورئيس ادارة (أخبار اليوم)	قائم مقام	يوسف مديق
عضو مجلس قيادة الثورة	صاغ أركان حرب	عبد المنعم أمين
عضو مجلس قيادة الثورة	صاغ	كمال رفعت
عضو مجلس رئاسة ثم سفير	صاغ	ابراهيم الطحاوى
رئيس جمعية الشبان المسلمين	صاغ	أحمد لطفى واكد
رئيس تحرير جريدة (الشعب)	بكباشى	أحمد أنور
سفير بالخارجية	صاغ	حسين فهمى عبد المجيد
سفير بالخارجية	صاغ أركان حرب	حسنى عبد المجيد
لواء بالجيش	صاغ	حسن عرفة
مدير المباحث الجنائية العسكرية	يوزباشى	توفيق عبده اسماعيل
مدير عام برئاسة الجمهورية	يوزباشى	أحمد المصرى
مؤسسة السينما	يوزباشى	أمال المرسفى
مدير المسرح القومى	يوزباشى	

الاسم	آخر رتبة عسكرية	
توفيق عبد الفتاح	بكباشى أركان حرب	وزير شئون اجتماعية ثم سفير
أمين هويدى	صاغ	وزير حربىة ووزير دولة
ثروت عكاشة	صاغ أركان حرب	مساعد رئيس جمهورية
محمد أبو الفضل	صاغ	عضو مجلس أمة
الجزاوى		
شوقى فهمى حسين	قائد سرب	وزارة الاسكان
محمد رياض	يوزباشى	مندوب حكومة قطر فى مصر
سعيد حلم	يوزباشى	وزير مفوض بالخارجية
عبد المحسن مرتجى	فريق بالقوات المسلحة	قائد القوات البرية
محمد التابعى	بكباشى	سفير بالسودان
عبد المنعم النجار	بكباشى	سفير بالعراق
فؤاد المهداوى	يوزباشى	محافظ مرسى مطروح
محمود الجمزاوى	لواء بالشرطة	مدير ادارة الجوازات
حامد محمود	يوزباشى	محافظ الجيزة
عبد الرؤوف نافع	قائمقام	عضو مجلس ادارة منتدب لدار الهلال
محسن عبد الخالق	صاغ	سفير باليابان
محمد البلتاجى	صاغ	محافظ بالسويس
زكريا العادلى امام	عميد	سفير بالهند
عبد الحميد صبور	بكباشى	سفير بليبيا
فؤاد هلال	صاغ	سفير بقطر
حسن حافظ فهمى	بكباشى	عضو مجلس أمة
صدقى سليمان	قائمقام مهندس	رئيس وزراء ثم رئيس الجهاز المركزى للمحاسبات
طلعت حسين	يوزباشى	رئيس مجلس مدينة الجيزة
حسن اللمنهورى	صاغ	أعمال حرة الجامعة العربية (ادارة التداول)
ابراهيم بغدادى	يوزباشى	محافظ القاهرة
فريد طولان	صاغ أركان حرب	نائب مدير المخابرات العامة
فؤاد حبشى	صول طيار	أعمال حرة
أمين شاكر	بكباشى	وزير سياحة

آخر منصب	آخر رتبة عسكرية	الاسم
عضوا للأمانة العامة للاتحاد الاشتراكي	صاغ	عبد الفتاح أبو الفضل
سفير في بنجلاديش المحرر الرياضي لجريدة الأخبار	صاغ قائد سرب	وفاء حجازي عبد المجيد نعمان
رئيس مؤسسة الاقراض الزراعي	يوزباشي	فتح الله رفعت
رئيس شركة الأخشاب	يوزباشي	محمد أبو نزار
سفير في تشكوسلوفاكيا	صاغ	مجلدي حسنين
أمين تنظيم الاتحاد الاشتراكي	يوزباشي	عبد المجيد شديد
مؤسسة روز اليوسف	ملازم أول	منير موافي
رئيس المخابرات الحربية	فريق أول	صلاح المهندي
رئيس مجلس ادارة الشركة الشرقية للبترول	صاغ	محمد علي بشير
سفير سوريا	صاغ	مدوح جبه
قائد القوات الجوية بسينه	لواء جوي	عبد الحميد الدغيري
قائد المباحث الجنائية العسكرية	صاغ	حسن خليل
رئيس مجلس ادارة دار التحرير	صاغ	مصطفى بهجت بدوي

٢ - السياسيون :

الاسم	آخر منصب
أحمد فؤاد	رئيس مجلس إدارة بنك مصر
عز العرب عبد الناصر	رئيس مكتب الجمهورية بالاسكندرية
محمد رياض	وكيل وزارة الداخلية
فتحي رضوان	وزير الثقافة
محمد شبطا	عامل
فؤاد سراج الدين	وزير داخلية سابق
فتحي خليل	صحفي بروز اليوسف
محمود أمين العالم	رئيس مجلس إدارة أخبار اليوم
موس صبرى	رئيس تحرير الأخبار
سعد كامل	محرر بالأخبار
إبراهيم فرج	وزير دولة
زكى مراد	محامى
عزيز سمدقى	مساعد رئيس جمهورية
حسين فهمسى	رئيس تحرير الأخبار
محمد الفتيت	وكيل بنك الائتمان العقارى
مصطفى فرعى	محامى
محمود الشريف	وكيل وزارة الاعلام بقطر
كمال ناجى	وكيل وزارة التعليم بقطر
مراد غالب	وزير خارجية ثم سفير ليونجوسلافيا
إبراهيم سعد الدين	عضو أمانة الاتحاد الاشتراكى
أحمد بهاء الدين	رئيس تحرير الأهرام
عبد المنعم الصاوى	نقيب الصحفيين المصريين
أحمد سعيد	مدير صوت العرب
دكتور فؤاد موسى	وزير التموين السابق

المراجع العربية

المؤلف	الكتاب
جمال عبد الناصر	فلسفة الثورة
أنور السادات	خطب جمال عبد الناصر
حسن عزت	اسرار الثورة المصرية
راشد البراوى	اسرار معركة الحرية
لورده كرومر	حقيقة الانقلاب الأخير في مصر
كمال رفعت	الثورة العربية
عبد الله امام	حرب التحرير الوطنية
محمد حسنين هيكل	الناصرية
محمد حسنين هيكل	ما الذي جرى في سوريا
محمد حسنين هيكل	عبد الناصر والعالم
الدكتور محمد المعتصم	مذكرات ايسدن
س. جوكوف وآخرون	صلاح سالم
لوتسكي	العالم الثالث (قضايا وآفاق)
محمد التابى	تاريخ الاقطار العربية الحديث
الدكتور محمد	من اسرار الساسة والسياسة
مصطفى صفوت	انجلترا وقناة السويس
محمد خالد	عبد الناصر والحركة النقابية
محمد عودة	ميلاد ثورة
فاخرة شيف	السياسة الاستعمارية بعد الحرب
عبد الرحمن الرافعى	العالمية الثانية
لينين	ثورة ٢٣ يوليو
ميلز كوبلند وه. هانت	محاضر محادثات الوحدة
أحمد حمروش	المشاكل المعاصرة للتحرير الوطنى
موسى صبرى	التورط السوفيتى فى الشرق الأوسط
دكتور ثروت بدوى	اسرار معركة بور سعيد
على صبرى	قصة ملك واربعة وزارات
مترجم عن الانجليزية	ثورة ٢٣ يوليو
فاتيكويوس	سنوات التحول الاشتراكى
	مصر منذ الثورة
	بيانات الجهاز المركزى للتصفيه والاحصاء

المراجع الأجنبية

Army Officers in Arab Politics and Society	Eleiger Be'eri
Armée Et Politique Au Moyen Orient	Bernard Vernces
Egypt Since the Revolution	P.J. Vatikiotis
The Modern History Of Egypt	P.J. Vatikiotis
Game of Nations	Miles Copeland
Socialism and The Middle East	Andrew Grant
Nasser	Jean Lacouture
Middle East Politics	J.C. Hurecuritz
The Role of The Military In Underdeveloped Countries	John Johnson
The Military in African Politics	W. F. Cutteridge
The Role of The Military In the Emerging Countries	H. Deadler
Nasser	Anthony Nutting
Egypt Under Nasir	R. Hrair Dekmejian

قصة ثورة ٢٣ يوليو

الجزء الثاني

مجتمع عبد الناصر

الباب الأول

سنوات الصعود

الفصل الأول تحرير مصر ١٩٥٥ والسودان

خرج جنود الاحتلال البريطاني من السودان
قبل مصر ، وعندما خرجوا من مصر بعدها
بشهور قال جمال عبد الناصر (والآن يبقى
علينا إعادة بناء بلدنا) .

الفصل الثاني مع الحياد ضد الاحلاف

(ان انتصار مصر في معركة الاحلاف
انتصار للهند أيضا) .

جواهر لال نهرو
أثناء زيارة القاهرة فبراير ١٩٥٥

الفصل الثالث السوفيت في المنطقة

(صفقة الأسلحة المصرية السوفيتية أخطر
إجراء منذ قيام حرب فيتنام) .

جون فوستر دالاس
وزير خارجية الولايات المتحدة
(ان هذه الاتفاقية التجارية التي وقعناها

بلا قيده ولا شرط لا تعتبر فتحاً للنفوذ
الروس ولا النفوذ الأجنبي ولكنها تعتبر
فضاء على النفوذ الطويل الذى تحكمه فينا
وسيطر علينا) .

جمال عبد الناصر

الفصل الرابع القنسة والعنوان

(ان رجلاً له سجل ناصر يجب الا يسمح
له بان يطبق يده على رقبتنا) .

ايدن

رئيس وزراء بريطانيا

(ان عبد الناصر يجب ان يلفظ القنسة
ولا يتلها) .

جون فوستر دالاس

وزير خارجية الولايات المتحدة

(انا فى القاهرة سأقاتل معكم ضد أى غزو
الى آخر نقطة دم) .

جمال عبد الناصر

من فوق منبر الأزهر

الباب الثانى

العسكريون فى مركز السلطة

الفصل الخامس زحف العسكريين ٠٠٠ نحو السلطة

(لا يمكن للقوات المسلحة ان تكون ولم تكن
يوماً ولن تكون ابداً محايدة) .
ليسين

الفصل السادس الحيرة والاختيار

(لم يكن مطلوباً منى يوم ٢٣ يوليو ان اطلع
ومنى كتاب مطبوع وأقول ان هذا الكتاب
هو نظرية ٠٠٠ مستحيل) !

جمال عبد الناصر

٢٥ نوفمبر ١٩٦٦

الباب الثالث

مجتمع جمال عبد الناصر

الفصل السابع معاولة لنظرية جديدة

(لا بد لنا أن نقاتل الاستعمار في قصور
الرجعية وأن نقاتل الرجعية في احضان
الاستعمار) -

جمال عبد الناصر
أكتوبر ١٩٦١

الفصل الثامن في كواليس القيادة

كانت كواليس القيادة مليئة بالتناقضات
والخلافات الشخصية ... ولكنها كانت
محبوبة عن الجماهير بشتار كثيف .

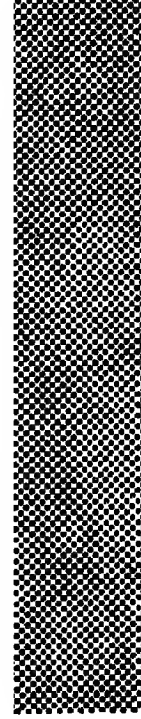
الفصل التاسع طليعة الاشتراكيين

(ان الحاجة ماسة الى خلق جهاز سياسي
جديد داخل اطار الاتحاد الاشتراكي العربي
يجند العناصر الصالحة للقيادة وينظم
جهودها ويبلور الحوافز الثورية للجماهير
ويتحسس احتياجاتها ويساعد على ايجاد
الحلول الصحيحة لهذه الاحتياجات) -
الميثاق

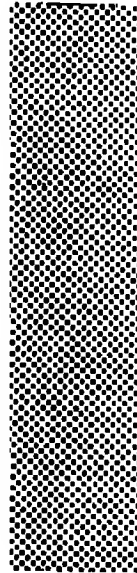
الفصل العاشر مجتمع جمال عبد الناصر

(لن نستطيع ان أقف الا اذا انتهى استغلال
الانسان للانسان) -

جمال عبد الناصر



عَبْدُ النَّاصِرِ وَالْعَرَبِ



اهداء _____

● الى الجيل الجديد من الامة العربية

مقدمة

قصة ثورة ٢٣ يوليو لا تكتمل داخل حدود مصر ، وتأثيرها التاريخي لا يقتصر فقط على شعب مصر .

ومنذ يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وحركة النضال العربى للتححرر من جنود الاستعمار القديم ، وقيود الاستعمار الجديد ، دائبة لا تهدأ ٠٠٠ وفى كل مكان تنفجر فيه ثورة عربية نجد أثرا لثورة ٢٣ يوليو .

كان جمال عبد الناصر سريع المبادرة فى تأييد حركات التحرر العربى ، مؤمنا بالقومية العربية ، ساعيا من أجل تحقيق الوحدة العربية .

وإذا كانت علاقة القاهرة مع بعض العواصم العربية قد تأرجحت بين الاقبال الشديد والنفور الشديد فان ذلك كان نتيجة للمعارك التى خاضها جمال عبد الناصر ضد الأحلاف العسكرية ، والمشاريع الاستعمارية من ناحية ، وضد التشكيلات الحزبية على اختلاف اتجاهاتها السياسية من ناحية أخرى .

وقصة (جمال عبد الناصر ٠٠ والعرب) طويلة ومتعددة الجوانب ٠٠ وتختلف فيها وجهات النظر ٠٠ ولذا كنت حريصا على الا أرسلها وأسجلها بوجهة نظر (مصرية) ٠٠٠ وانما حرصت على أن تكون رؤيتى لها بعين (عربية) .

وكثير من الذين شاركوا وأسهموا فى كتابة تاريخ هذه القصة لم يعودوا بعد فى موقع المسئولية ٠٠٠ ولكنهم ما زالوا يحتفظون بحرارة الحديث عن هذه الفترة الخصبة .

ولذا سعيت الى أكبر عدد من الزعماء والسياسيين العرب سمحت لى الظروف بمقابلتهم فى بغداد ودمشق وبيروت والقاهرة ٠٠٠ الى جانب المصريين من المدنيين والعسكريين .

واعترف أن لقاء الجميع كان صعبا ، بل مستحيلا . . . فقد اختطف الموت بعضهم حاملا أسرارهم ورأيه معه ، والبعض منهم ما زال في موقع السلطة التي لا تسمح بحرية الحديث كاملة ، والبعض لم تمنح الفرصة للقاء معه .

ولكن الحقيقة رغم ذلك تبدو ناصعة . . . وأحداث القصة كاملة .
وقد أثرت أن أنتزع من هذا الجزء فصلا هاما ومثيرا لا تكتمل قصة عبد الناصر والعرب الا به هو (فلسطين ٥٥ وعبد الناصر) . . . فقد وجدت ان مكانه الطبيعي في الجزء القادم الذي يستعرض مشكلة اسرائيل والشرق الأوسط ، والذي يحمل قمة المأساة ، ويصدر باسم (خريف عبد الناصر) .

ان حركات التحرر على امتداد الوطن العربي ، قدمت للتاريخ نماذج رائعة للبطولة والتضحية ، وأسهمت بدور بارز في مقاومة الامبريالية ، ونسجت مع القاهرة علاقة نضالية وثيقة .

وكان جمال عبد الناصر موجودا دائما . . اسما وشخصية وتأثيرا .

احمد حمروش

الباب الأول

● العسكريون المصريون .. والقومية العربية

* (ليس من حق المصريين أن
يديروا ظهورهم للعروبة متمسكين
بصلتهم بالمدنية الفرعونية التي
انقرضت الى غير رجعة ، فالعروبة
ليست جزءا من ماضى محضط ..
انها جزء من حاضر حي)
ساطع الحصرى

* (اذا كانت مشكلة الاحتلال قد
استنفدت الى الآن الجزء الأكبر من
جهد المصريين فانها لم تصرفهم ابدا
عن المشاركة فى كل جهد عربى يبذل
من اجل تحرير العرب)
جمال عبد الناصر
٢٣ يوليو ١٩٥٤

لم تكن القومية العربية بعيدة عن أفكار العسكريين في مصر ، رغم انها لم تذكر في الأهداف الستة لحركة الجيش .

ولم تكن مهمة عندهم رغم أنه لم ترد عنها كلمة واحدة في برنامج هيئة التحرير أول تنظيم سياسى جماهيرى للثورة .

القومية العربية كانت واقعا فى حركتهم ومواقفهم .

قضية فلسطين هي التي جعلت المصريين أكثر اقترابا من العرب .. وقبل ذلك كانت القضية الرئيسية التي تشعلهم هي التحرر من الاستعمار البريطانى .

الحركة القومية العربية التي نشأت قبل الحرب العالمية الأولى لمقاومة الحكم العثماني وحدت بين عرب المشرق .. ويذكر المؤلف البريطانى C. E. Dawn فى كتابه (نشوء العربوة فى سوريا) انه حصر أصول أنشط ١٢٦ شخصية فى اطار الحركة القومية العربية فكانوا ١٨ عراقيا ، ٥١ سوريا ، ٢٠ فلسطينيا ، ٢١ لبنانيا ، ومصريا واحدا فقط .

عدد كبير من هذه الشخصيات كان من العسكريين .

ولكن انشغال مصر بقضيتها الرئيسية لم يجعلها تبتعد تماما عن حركة القومية العربية .

مصر كانت وما زالت مصدر اشعاع رئيسى فى المنطقة العربية .. الجماهير فى كثير من المناطق العربية كانت تتابع حركة الثورة فى مصر وتتحيز لسعد زغلول .. بل ان الناس هناك كانوا يتابعون الرياضة أيضا ، وينحازون للأهلى أو المختلط (الزمالك) .

ويقول الدكتور طارق البشرى فى كتابه (الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥ - ١٩٥٢) (أن موقع حزب الوفد على رأس الحركة الوطنية وجهاده ضد الاستعمار يزيده قريبا من حركات التحرر فى البلاد المختلفة وفى العالم العربى خاصة) .

حضر الوفد المؤتمر الاسلامى الأول الذى عقد بالقدس عام ١٩٣١ ، كما اشترك فى المؤتمر العربى الذى اجتمع بعد المؤتمر الاسلامى .. وتبنى الوفد فى المؤتمر الأول وجهة النظر الاسلامية كما تبنى فى المؤتمر الثانى وجهة النظر القومية .

عبد الرحمن عزام ألقى رسالة مصطفى النحاس الى المؤتمر باسم مصر والوفد ، وكان من أهم القرارات الدعوة الى توحيد البلاد العربية واستنكار تجزئة فلسطين .

كان ذلك موقفا مغايرا تماما لاتجاه احزاب الاقلية الخاضعة للاستعمار والسراى .

اسماعيل صدقى وزير الداخلية عام ١٩٢٥ اصدر امرا باعتقال الوطنيين الفلسطينيين الذين هتفوا ضد بلفور صاحب الوعد المعروف اثناء مروره بالقاهرة لافتتاح الجامعة العبرية بفلسطين .

ووقفت حكومة محمد محمود عام ١٩٢٩ ضد ثورة شعب فلسطين ، وكتبت جريدتهم (السياسة) تهديد الوطنيين الفلسطينيين فى مصر بالطرد لتهيجهم الراى العام خوفا من غضب بريطانيا ومن اى عامل يثير الشعب المصرى الكاره لحكمهم ، كما ورد فى كتاب الحركة السياسية للدكتور طارق البشرى .

اما الاحزاب الوطنية الناشئة مثل (مصر الفتة) فقد وضعت فى برنامجها هدف التحالف مع الدول العربية ، و (الاخوان المسلمون) كان من اهدافهم اقامة روابط عربية اسلامية ، وجمعية (الشبان المسلمين) نشطت لجمع التبرعات لضحايا ثورات شعب فلسطين .

لم يكن ممكنا لمصر ان تقف فى عزلة عن العرب .

واذا كانت جريدة السياسة قد كتبت مقالا لمحمد حسنين هيكل قطب الاحرار الدستوريين فى يونيو ١٩٣٠ وصفته جريدة (اسرائيل) الصهيونية التى كانت تصدر فى مصر بأنه (خير ما كتب الى الآن فى اللغة العربية) .

واذا كان الدكتور طه حسين قد كتب عدة مقالات فى (كوكب الشرق) عام ١٩٣٣ ، ومجلة (المكشوف) اللبنانية ١٩٣٨ قال فيها (ان الفرعونية متأصلة فى نفوس المصريين وانها ستبقى كذلك) ونشر نفس المعانى فى مجلة (زهرة المشرق) اللبنانية عام ١٩٣٩ .

فان ابراهيم عبد القادر المازنى الكاتب المعروف كتب فى اغسطس ١٩٣٥ يقول (فشلت الثورة المصرية لاننا احطنا قوميتنا بمثل سور الصين ، ذلك لانى اومن بما اسميه القومية العربية ، واعتقد ان من خطر السياسة وضلال الراى ان تنفرد كل واحدة من الاعم العربية بسعيها غير عابثة بسبققاتها) .

ولزكى مبارك كتابات كثيرة ايضا دعا فيها الى القومية العربية والتوحيد العربى .

ومكرم عبيد كتب في مجلة (الهلال) شهر ابريل عام ١٩٣٩ مقالا تحت عنوان (المصريون عرب) قال لي ابراهيم فرج الوزير الوفدى انه كتبه بتكليف من النحاس باشا ٠٠ وتوافقت فكرة سكرتير الوفد مع معتقدات ساطع الحصرى الذى كتب قائلا (ليس من حق المصريين أن يديروا ظهورهم للعروبة متمسكين بصلتهم بالمدينة الفرعونية التى انقرضت الى غير رجعة ، فالعروبة ليست جزءا من ماضى محنط ، انها جزء من حاضر حى) .

وعندما اشتعلت ثورة فلسطين الكبرى عام ١٩٣٦ فرضت نفسها على مصر ونما الاتجاه العربى فيها ، ودافع وزير خارجية مصر الوفدى أمام عصبة الأمم عن حقوق شعب فلسطين ، ومنعت حكومة الوفد سفر العمال المصريين الذين طلبتهم السلطات البريطانية ليحلوا محل العمال الفلسطينيين هناك ، كما تكونت جامعة الرابطة العربية عام ١٩٣٦ برئاسة محمود بسيونى أحد زعماء الوفد ورئيس مجلس الشيوخ ، وذلك كما سجل الدكتور طارق البشرى فى كتابه (الحركة السياسية فى مصر) .

وفى أكتوبر ١٩٣٨ انعقد فى القاهرة أيضا المؤتمر النسائى العربى ، الذى دعت اليه السيدة هدى شعراوى رئيسة الاتحاد النسائى المصرى .

ولم تكن الرابطة العربية فى محيط السياسة فقط ، ولكنها كانت فى محيط العسكريين أيضا ، وخاصة الذين خدموا فى الجيش العثمانى وحاربوا فى ليبيا ضد الغزو الايطالى مثل عزيز المصرى وصالح حرب وعبد الرحمن عزام .

عندما شبت ثورة رشيد عالي الكيلانى فى العراق عام ١٩٤١ وهرب الوصى على العرش ونورى السعيد الى شرق الأردن حاول عزيز المصرى الهرب والاتصال برشيد عالي ولكن محاولته فشلت ٠٠ كما فشلت بعد ذلك ثورة رشيد عالي وهرب هو ومفتى القدس الحاج أمين الحسينى الى ألمانيا النازية .

وقد استلقت محاولة عزيز المصرى أنظار عدد من الضباط المصريين المهتمين بالسياسة والمعجبين ببريق النازية فى بداية الحرب العالمية الثانية ، وخاصة أن الاخوان المسلمين الذين ضم تنظيمهم عددا كبيرا من الضباط كانوا يهتمون بالعروبة كرابطة ووحدة روحية يسرى الاسلام فيها ، فبدأت توثق علاقاتها بالبلاد العربية ، وتقيم فيها فروعا ، وقد لاقت انتشارا فى سوريا والسودان خاصة .

وكانت بريطانيا خلال فترة الحرب قد اكتشفت الروح المعادية لها من الانفجارات التى قامت ضدها ، فأيدت فكرة انشاء الجامعة العربية

كسرا لموجة العداء العربى ، ومحاولة لتوجيه الدول العربية عن طريق
حكامها الرجعيين .

أعلن أنطونى ايدن وزير خارجية بريطانيا فى مايو ١٩٤١ (أن
كثيرين من المفكرين العرب يرغبون فى تحقيق درجة من الوحدة بين
الشعوب العربية (أكثر مما هو قائم الآن) وفى محاولتهم للوصول الى
هذا الغرض تطمع الشعوب العربية فى مساندتها وينفى ألا تقف دون
الاستجابة الى مثل هذا النداء ، ويبدو لى أن تدعيم وتقوية الروابط
الثقافية والاقتصادية بل والسياسية بين البلدان العربية انما هو تصرف
طبيعى وسليم . وحكومة صاحبة الجلالة من جانبها تعطى تأييدها الكامل
لأى مشروع فى هذا المجال يحدث عليه اتفاق) .

ومارست مصر ممثلة فى حكومة الوفد دورا نشطا فى ظهور فكرة
الجامعة العربية ، ولكن البروتوكول الذى وقع فى الاسكندرية يوم
٧ أكتوبر ١٩٤٤ لم يتضمن ادخال فلسطين كدولة عربية وانما تضمن
ملحفا بأن تعمل الدول العربية للحفاظ على عروبة فلسطين فقط .

وبعد أن وقعت حكومة الوفد بروتوكول انشاء الجامعة أقالها الملك
فاروق فى اليوم التالى مباشرة - ٨ أكتوبر - ليتفادى هو والاستعمار
ما استهدفه النحاس من جعل الجامعة العربية منبرا للسياسة والأحزاب
الوطنية العربية ، وأصبحت الجامعة العربية بعد اقالة الحكومة الوفدية
منبرا سلبيا لا يدعم الوحدة العربية ، وانما يجمد التناقضات بين حكماها .

عبرت جريدة الديلى تلجراف عن الهدف البريطانى من تأييد انشاء
الجامعة بقولها (ان ظهور هذه الروح العربية قد يؤدى الى تخفيف حدة
الروح الوطنية المصرية التى بدأت الظواهر تشير الى وصولها لدرجة خطيرة
كما حدث عقب الحرب الماضية) وذلك كما نشرت جريدة المصرى فى
١٣ يناير ١٩٤٦ .

وأكدت المانشستر جارديان هذا المعنى بقولها (اذا أردنا أن نحفظ
بالنفوذ فى هذه الأجزاء فلا يكفى أن نشجع الروح الوطنية العربية التى
قد تصبح بسهولة معادية لبريطانيا ، وهى على كل حال ليست مما يعتمد
عليه ، يجب أن نشجع الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية ولو كان ذلك
ضد رغبات أصحاب الأملاك الذين يعدون أصدقاءنا) وقد نشر ذلك فى
جريدة المصرى ٢٣ فبراير ١٩٤٦ .

ظلت الجامعة العربية تدور فى فلك بريطانيا والحكام الرجعيين
قبل الثورة لا تؤدى دورا فى بعث الحركة الشعبية العربية أو تأييدها .
ولكن ... عندما وصلت المشكلة الفلسطينية الى قمة الازمة بعد
قرارات الأمم المتحدة بالتقسيم واقترب موعد انتهاء الانتداب البريطانى ،

احتشدت الجماهير حول الدعوة للجهاد من أجل فلسطين ٠٠٠ وبرز في هذا المضمار جماعات الاخوان المسلمين والتنظيمات الدينية الأخرى .

العسكريون المصريون ٠٠ والعرب

وتحرك العسكريون أيضا نحو العرب .

كان الملك قد قبل الحاج أمين الحسيني مفتى فلسطين لاجئا في مصر عند حضوره لها في يوليو ١٩٤٦ بعد اقامته في ألمانيا النازية خلال الحرب العالمية الثانية ٠٠ وذلك دون علم اسماعيل صدقي رئيس الوزراء الذي أصدر بيانا يشير فيه الى أهمية الهدوء والنظام في هذه المرحلة الدقيقة ، ويقول فيه (و لا ريب ان سماحته - أى المفتى - مقدر لذلك) .

وبدأت صلات العسكريين المصريين بالقيادات العربية ٠٠٠ بدأت مع الحاج أمين الحسيني الذي التقى سرا بعدد من الضباط منهم جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين وأنور السادات وعبد اللطيف البغدادى وغيرهم .

وكانت علاقة الحاج أمين الحسيني بالصاغ المتقاعد محمود لبيب المشرف على تنظيم الضباط في جماعة الاخوان المسلمين علاقة قديمة تعود الى فترة وجودهما معا في برلين .

وأتاحت فرصة اتصال العسكريين المصريين بالقيادات العربية خارج مصر عندما قررت قيادة الجيش المصرى ارسال أسلحة الى (جيش الانقاذ) في سوريا بقيادة فوزى القاوقجي .

وفوزى القاوقجي ضابط سورى كان أصلا في جيش الشرق متزوج من ألمانية وربطته علاقات وثيقة بضباط ثورة رشيد عالي الكيلانى في العراق ٠٠ وقد اشترك في الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦ ٠٠٠ ثم كون جيش الانقاذ عام ١٩٤٨ .

بعض قادة جيش الانقاذ كانوا معارين من الجيش السورى مثل العقدهاء أديب الشيشكلي وغسان جديد ومحمد صفا .

والبعض الآخر انضم اليه متطوعا دون اذن سلطات الجيش السورى مثل عبد الحميد السراج وأكرم دبرى وجودت أتاسى وجمال صدقي وجادو عز الدين ٠٠ وقد حاولت السلطات السورية اعتبارهم فارين من الجيش ، ولكن أمام الضغط الشعبى اضطر وزير الدفاع أحمد الشرباتى الى اعتبارهم منتدبين .

كان سرب النقل الجوى المصرى بقيادة عبد اللطيف البغدادى يحمل الأسلحة الى مطار المفرق ٠٠ ولم يكن عند سوريا في ذلك الوقت سلاح

للطيران وبالتالي فلم تكن هناك مطارات حربية .. كان هناك مطار المزة ومطار حلب فقط .

وفي احدى الرحلات الى سوريا التقى البغدادي مع القاوقجي ، وقال له أن الحكومة المصرية قد رفضت مبدأ تطوع الضباط ، واقترح عليه أن يهرب الى سوريا مع عدد من زملائه بطائرات مقاتلة ، تشبها بما فعله عزيز المصري .

وحذر القاوقجي الضابط المصري من أخطار هذه العملية وطلب منه أن يكون مستعدا ، ولما سأله البغدادي عن الموعد المناسب لذلك قال له القاوقجي أنه يحتاج اليهم في المعركة الفاصلة .

وبدأت مجموعة ضباط الطيران المصريين يجهزون ١٥ طائرة من نوع Spitfire دون علم القيادة .. كما وافقت وزارة الحربية على انتداب طيار مصري للانضمام لجيش سوريا ، وسافر حسن ابراهيم ومعه فني في التسليح الى سوريا حيث قابلا وزير الدفاع السوري وقاما بإنشاء مطار سري شرق دمشق بستين كيلو متر .

وكان البغدادي قد طلب من القاوقجي انتداب أحد رجاله الى مصر ليقوم بدور ضابط اتصال .. وفعلا حضر خبير مدرب في ألمانيا النازية على أجهزة اللاسلكي اسمه محمود الرفاعي ، وأقام مدة طويلة ينتظر دورا يقوم به .

واستمر جيش الانقاذ السوري يمارس دوره حتى أسقطت منطقة الجليل ، وتحول الجيش الى لواء تابع للجيش السوري .. وعندما قام حسنى الزعيم بانقلابه منح ضباط هذا الجيش ترقية استثنائية .

لم تكن لقاءات العسكريين المصريين مع العسكريين العرب خلال هذه الفترة تتجاوز مرحلة التعاون المشترك في النضال ضد الصهيونية التوسعية والاستعمار .. ولم تكن أهداف اللقاء قد أرسيت على قواعد فكرية أو أسس نظرية .

كان المنطلق المصري الى الفكرة العربية قائما على الوحدة الاسلامية ذات الامتداد التاريخي .. الى جانب النضال المشترك الوليد ضد الاستعمار والصهيونية التوسعية .

وكانت حرب ١٩٤٨ هي بداية الاحتكاك الحقيقي بين المصريين المتطوعين ورجال الجيش وبين عرب فلسطين وغيرهم .

كانت الصلة تزداد وثوقا مع أخطار الحرب وتضحياتها .. وفي هذه المرحلة اكتشف العسكريون المصريون أن ظروفهم التي أدت الى عدم

انتصارهم على القوات الصهيونية ترجع أساسا الى تهتك النظام الملكي القائم في مصر . .

٢٣ يوليو . . والصلات العربية

وانبثقت فكرة الاهتمام بما يدور في القاهرة . . وبدأت أفكار الضباط تلتقي حول هدف واحد . . هو التغيير في مصر .

هذا هو ما جعل أهداف الضباط الأحرار تخلو من الإشارة الى القومية العربية ، وهو أيضا ما جعل برنامجا هيئة التحرير يأتى بلا أية إشارة الى القضايا العربية .

ولكن هذا لم يكن ابتعادا عن عقيدة ، أو انصرافا عن يقين . . بل انه كان نتيجة السرعة التي تمت بها حركة الجيش والاندفاع السريع المفاجيء نحو التحرك ، وتكتل المشكلات أمام الضباط منذ اللحظة الأولى . . مما جعلهم لا يهتمون بحيثاق الأمن الجماعى الذى وقعت مصر مع الدول العربية عام ١٩٥٠ فى اطار الجامعة العربية .

ومع هذا فقد بدأ الارتباط العربى يتحقق منذ الأيام الأولى ، عندما وجد الوطنيون العرب فى حركة الجيش واقعا جديدا يستحق الرصد والاهتمام . . وعندما وجدت الأنظمة والحكومات فى الوطن العربى سواء من الملكيين أو الجمهوريين أنه لابد من اقامة صلة مع النظام الجديد .

نشرت جريدة المصرى يوم ٢٥ مايو ١٩٥٣ تقول أن بعض الهيئات العربية فى بغداد ذهبت الى السفارة المصرية تطلب النص فى الدستور على أن تكون مصر دولة عربية .

وكانت لجنة الخمسين لوضع دستور جديد قد شكلت بعد الفاء دستور ١٩٢٣ .

وعلال القاسى زعيم حزب الاستقلال المغربى أرسل - كما نشرت جريدة المصرى يوم ١٦ أغسطس ١٩٥٣ - رسالة الى محمد نجيب يستنجد به لتدبير فرنسا مؤامرة لخلع السلطان محمد الخامس . . وخطب جمال عبد الناصر يوم ٢٦ أغسطس خطبة يقول فيها (ان ما ترويه قصة الاستعمار فى مصر هو ما ترويه فى كل مكان . . والجلأوى باع نفسه للشيطان) .

أول رئيس عربى زار مصر بعد الثورة كان أديب الشيشكىلى رئيس سوريا الذى استقبلته الصحافة بترحيب شديد وصفته جريدة المصرى فى المانشيت الرئيسى باسم (محرر سوريا) .

وعندما عاد الشيشكىلى الى سوريا جمع عددا من ضباط الجيش فى

نادى الضباط وقال لهم ان جمال عبد الناصر هو الرجل القوى فى مصر وليس محمد نجيب . . وذلك كما قال لى اكرم ديرى .

وصدرت فى مصر يوم ١٢ أكتوبر ١٩٥٣ جريدة القاهرة المسائية بأموال سعودية .

وبدا صلاح سالم جولاته فى البلاد العربية ، كما بدأ بزيارة السودان ، فسافر الى لبنان فى أوائل يوليو ١٩٥٤ ، وبعدها بأسبوع الى اليمن . . ثم قام برحلته الشهيرة التى قابل فيها الملك فيصل وولى العهد الأمير عبد الاله ونورى السعيد فى مصيف سرهنك خلال شهر أغسطس ١٩٥٤ ثم قام برحلة الى السعودية فى نوفمبر من نفس العام .

كل هذه الصلات تمت فى اطار محاولة اقامة علاقات ودية مع الدول العربية . . ولكنها تطورت لتصبح نضالا مصريا ضد محاولة فرض الأحلاف العسكرية على الدول العربية وانتهت الى نزاع سافر مع بغداد .

البوادر الأولى التى أظهرت اتجاه مصر العربى تبثت فى افتتاح اذاعة صوت العرب يوم ٤ يوليو ١٩٥٣ بكلمات من محمد نجيب وعبد الخالق حسونة أمين الجامعة العربية وأغنية من محمد عبد الوهاب .

بدأت الاذاعة بمدة نصف ساعة فقط ، امتدت مع الوقت لتصبح ساعة فى اليوم .

ووقفت اذاعة صوت العرب مع الثوار العرب فى كل مكان . . مع صالح بن يوسف فى تونس . . مع السلطات محمد الخامس ضد الجلاوى فى المغرب . . مع الوطنيين المعارضين لربط المشرق العربى بالأحلاف العسكرية .

ساعة الصفر لثورة الجزائر فى أول نوفمبر ١٩٥٤ أعلنت من اذاعة صوت العرب ، وكانت ايذانا بتفجير ٢٤ قنبلة فى أماكن مختلفة مع اذاعة بيان جبهة التحرير . وأعدت اذاعة سرية خاصة للجزائر فى نوفمبر ١٩٥٥ حتى أصبح أحمد بن بيللا رئيسا للحكومة ، وهى الاذاعة التى انتقلت اليها اذاعة القاهرة عند عدوان ١٩٥٦ .

وكان أحمد بن بيللا قد حضر الى مصر فى أغسطس ١٩٥٣ بعد الحكم عليه هناك عقب حادث الهجوم على العرب فى وهران ، وهو جاويز هارب من الجيش لا يحمل معه فى جيبه سوى ٢٠٠٠٠ فرنك .

العلاقات المصرية العربية تزداد وثوقا . . ثم وضوحا بعد انتهاء أزمة العسكريين فى مصر بتنحية محمد نجيب عن السلطة فى ١٧ نوفمبر ١٩٥٤ .

وأخذ التعاون العربى صورة أكثر ايجابية .

قال جمال عبد الناصر فيما نشره باسم الثورة (وما من شك فى أن الدائرة العربية هى أهم هذه الدوائر وأوثقها ارتباطا بنا) .

ويقول فى العيد الثانى للثورة (مشاكل العرب هى مشاكل المصريين . . . وإذا كانت مشكلة الاحتلال استنفدت الى الآن الجزء الأكبر من جهد المصريين فإنها لم تصرفهم أبدا عن المشاركة فى كل جهد عربى يبذل من أجل تحرير العرب) .

وبدأ التقاء الثورة المصرية مع الثورات العربية . . . كان حلقة الاتصال ضباط المخابرات ، وهى المصدر الذى سبق أن أوضحنا أنه كان معملا لتفريخ المسئولين فى الأجهزة السياسية والادارية .

شرك فى ذلك عدد وافر من الضباط كان أبرزهم كمال الدين رفعت وأحمد لطفى واكد وعزت سليمان وفتحى الديب .

ظل كمال رفعت مسئولاً عن الاتصال بالأحزاب العربية فى المشرق العربى خلال الفترة من أواخر ١٩٥٤ حتى ثورة يوليو فى العراق .
بدأ الاتصال ببقايا الفلسطينيين فى سوريا ولبنان والأردن . . .
ويقول كمال رفعت أنه حدث من جانب هؤلاء المجاهدين تجاوب وشك فى نفس الوقت .

تساءلوا عن مبرر حركة المصريين . . . وكانت محاكمات الاخوان المسلمين قد عكست على الثورة المصرية ظلالا قائمة نتيجة دعايتهم فى بعض البلاد التى انتشروا فيها .

وكان كمال رفعت حريصاً على الاتصال بكل القوى الوطنية ومن بينهم الشيوعيون . . . ولكن أكرم الحوراني الذى اتصل به كمال بعد مقتل العقيد عدنان المالكي عام ١٩٥٥ ، أرسل خطابا الى جمال عبد الناصر يشكو فيه من كمال رفعت لأنه اتصل بالشيوعيين ، ويهاجم البعث فى مجالسه .

وأسفرت اتصالات كمال رفعت عن تشكيل أربعة تنظيمات سرية ، واحد منها على الحدود اللبنانية الفلسطينية ، وتنظيمان فى سوريا ، وتنظيم فى الأردن ، وذلك حسب روايته لى .

كانت هذه التنظيمات امتدادا بشكل أو آخر ، لتنظيمات الفدائيين فى القناة الذين اعتمدوا على أسلوب المخابرات السرى .

لم تفتح هذه الاتصالات على التنظيمات الشعبية بطريقة علنية ، لأن مصر كانت تفتقد التنظيم السياسى القادر على التعاون والحركة السياسية . . . ولذا ظلت للمخابرات - بأساليبها الخاصة - اليد العليا .

أشرف على هذه التنظيمات ضباط المخابرات ٠٠٠ صلاح مصطفى
الملحق العسكري في الأردن ، وزغلول عبد الرحمن مساعد الملحق العسكري
في دمشق وحسن خليل مساعد الملحق العسكري في بيروت .

وكان زكريا محيي الدين قد تولى مسئولية الاتصالات العربية بعد
استقالة صلاح سالم وتكليف ضباط المخابرات بأعمال سياسية .

وخلال معركة حلف بغداد حدث اتصال بين كمال رفعت وعزيز
شريف عضو الحزب الشيوعي العراقي بهدف اسقاط حكم نوري السعيد
وقد التقى جمال عبد الناصر بعزيز شريف قبل اندلاع ثورة العراق .

وانشئت في مصر اذاعة كردية لمهاجمة نوري السعيد وحلف بغداد
وكان اكراد العراق يمدونها بالأخبار والتعليقات والاسطوانات أيضا .

لم تعتمد الثورة على المدنيين ٠٠٠ سوى فتحي رضوان الذي أولفه
جمال عبد الناصر الى الملك حسين في أول رحلة تقارب مع الأردن ، والتي
حدث خلالها هجوم الاسرائيليين على غزة في ٢٨ فبراير ١٩٥٥ . وكذلك
محمد فؤاد جلال الذي عين وزيرا للإرشاد لفترة محدودة ثم أصبح عنصرا
نشطيا في مجال العمل السياسي العربي .

رغم كل شيء كان لهذه الاتصالات تأثير كبير في انفتاح الثورة
المصرية على الساحة العربية .

ويقول كمال رفعت أن العناصر الفلسطينية قد لعبت دورا كبيرا في
هذه الاتصالات لتغلغلها في مختلف القوى السياسية العربية .

ولم تقتصر صلات القاهرة على هذا الأسلوب السري ولكنها خلال
الحركة ضد حلف بغداد ، استطاعت أن تعقد اتصالات مع سوريا
والسعودية انتهت الى اتفاق ثلاثي ٠٠٠ وانتهت أيضا الى تشكيل قيادة
عسكرية موحدة أصبح يوم اعلانها ٢٩ أكتوبر ١٩٥٥ يوم للجيش المصري
وذلك عقب زيارة صلاح سالم .

كانت الدراسات العسكرية لجمال عبد الناصر ذات تأثير في بلورة
افكاره العربية . قال للصحفي البريطاني ديزموند ستيوارت في حديث
معه يوم أول ابريل ١٩٥٥ (تبلورت في ذهني فكرة القومية العربية
كمذهب سياسي عندما كنا ندرس في كلية أركان الحرب المشكلات
الاستراتيجية الخاصة بمنطقة الشرق الأوسط .

واعتماد جمال عبد الناصر على الضباط في عقد صلاته العربية دليل
على استمراره في اختيار الطريق الأسهل الذي يعتمد فيه على العناصر

ثورة يوليو ج ١ - ٦٨٨

الموازية التي هي موضع الثقة والمرتبطة بالثورة ، دون محاولة جادة لخلق تنظيم سياسي تتوافر فيه كوادر قادرة على أداء دور سياسي حقيقي وفعال .
كان انجذاب الثورة العربية للقاهرة أمرا طبيعيا في فترة المد الوطني ، وكانت خشية الحكام الرجعيين من الجماهير ظاهرة واقعية .

وعندما عزل الملك حسين الجنرال جلوب من قيادة الجيش الأردني كان ذلك تعبيرا عن مساييرته للاتجاه الوطني العام السائد في المنطقة ... ورغم ان القاهرة لم تلعب في ذلك دورا مباشرا الا ان نشاطها قد لعب دورا غير مباشر في محاصرة العناصر المتعاونة مع الاستعمار ، وكشف دورها .

وقد قال جمال عبد الناصر لسليوين لويدي أثناء زيارته للقاهرة في مارس ١٩٥٦ ، والتي تصادف خلالها اقالة الجنرال جلوب واعتقاد سوليوين لويدي بأن عبد الناصر وراء هذه الخطوة : (اذا كنت تظن ان لدى علي مكتبي أزرارا أضغطها فتتشبث ثورة في العراق أو يحدث انقلاب في بلد كذا أو تنفجر قبلة هنا أو تقوم مظاهرة هناك فانك تفقد على قوى خارقة لا أملكها ... فلا تبالي في أهميتي) .

صحيح أن معظم الثورات التي تمت في الوطن العربي لم تنسج بأيدي ضباط المخابرات المصريين ... ولكن النموذج الذي كانت تقدمه الثورة المصرية ... والآراء التي كان يلقيها جمال عبد الناصر ... كانت هي المحرك الرئيسي لمعظم الثورات ... والتي ما كانت تبدأ حتى تجد من القاهرة كل ما يمكن من التأييد والمعاونة .

خلال هذه المرحلة كانت هيئة التحرير ، وبرنامجهما - كما سبق أن أشرنا - كان خاليا تماما من أية كلمة عن العروبة .

ولكن الأفكار العربية تنتشر في سرعة شديدة ، والاتصالات العربية تصل الى ذروة لم تعرفها قبل الثورة ... وبذور الاتجاهات الوحدوية تظهر في أحاديث المسئولين ... جمال عبد الناصر يقول في العيد الثاني لثورة - يوليو ١٩٥٤ (ان هدف حكومة الثورة أن يكون العرب أمة متحدة يتعاون أبنائها في الخير المشترك) .

ويتضمن الدستور المصري لعام ١٩٥٦ ، مقدمة تقول (نحن الشعب المصري الذي يشعر بوجوده متفاعلا في الكيان العربي الكبير ، يقدر مسئولياته والتزاماته حيال النضال العربي المشترك لعزة الأمة العربية ومجدها) .

ثم تنص مادته الأولى على أن (مصر دولة عربية ذات سيادة ، وهي جمهورية ديمقراطية والشعب المصري جزء من الأمة العربية) .

وعندما أعلن على الشعب المصرى تأميم قناة السويس أشار إليها بأنها (قناة العرب) .

وحصل بذلك على تأييد لم يصل اليه مصرى من قبل ٠٠٠ كان العرب يحتاجون الى بطل وزعيم ٠٠٠ وجمال عبد الناصر أصبح هؤلاء لاداء هذا الدور بمواقفه الوطنية التى لا تتعلق داخل الحدود وانما تمتد وتوسع لتشمل الوطن العربى من المحيط الى الخليج على حد تعبيره .

الصلوات مع المغرب العربى توطدت من مساعدة الثوار فى الجزائر وتونس ومن مساعدة سلطان المغرب ٠٠٠ ولم يعد اللقاء قاصرا على زيارات متباعدة لبعض الفرق المسرحية المصرية ، التى كان الناس يهرعون لمشاهدتها باعتبارها تحمل اليهم رياحا عربية تبديد الضغط الذى كانوا يتعرضون له ، قوميا ولغة ، من الاستعمار الفرنسى .

والصلوات مع المشرق العربى توطدت من النضال المشترك ضد حلف بغداد ٠٠٠ ومن الصلوات التى كانت تنمو بسرعة مع الأحزاب والتنظيمات السياسية وخاصة حزب البعث العربى الاشتراكى ، والأحزاب الشيوعية والوطنية الأخرى .

وكان حزب البعث شديد الاهتمام بالتسرب الى صفوف العسكريين كما كان الاخوان المسلمون فى مصر وان اختلفت المبادئ ووجهات النظر السياسية .

وقف أكرم الحورانى مع انقلاب حسنى الزعيم فى البداية ، وكان له مكتب بجوار مكتبه ، ثم اتخذ منه موقف المعارضة عندما اكتشف أنه تحول الى حكم فردى لم يقدم لهم السلطة .

وبعد انقلاب أديب الشيشكلى تم استقطاب عدد كبير من العناصر الوطنية فى الجيش وعقد أكرم الحورانى معهم صلات وثيقة لأنه هو والشيشكلى من حماه .

ثم انقلب ضباط حزب البعث فى تعاون مع الضباط الوطنيين المنتمين لأحزاب أخرى ضد حكم أديب الشيشكلى .

نصادف عزل أديب الشيشكلى الذى لجأ الى السعودية مع تنحية محمد نجيب فى مارس ١٩٥٤ ، ولذا كان حزب البعث أبرز الأحزاب القومية نشاطا واتصالا بالقاهرة .

كان جدال عبد الناصر قد قابل فى القاهرة كلا من أكرم الحورانى وضلاح البيطار وميشيل عفلق ووثق صلته بهم .

ولكن اتصالات عبد الناصر لم تقتصر على السياسيين فقط .. ان
العسكريين السوريين وغيرهم كانت الأبواب مفتوحة لهم في القاهرة ...
أحمد عبد الكريم المستقل النزعة واليساري الميول ومساعد الملحق
العسكري في القاهرة كان على صلة بجمال عبد الناصر ومجموعة الضباط
المحيطين به في مكتبه .

العرب مع مصر ... ضد العدوان :

ووصل التعاون العربي ذروته بعد تأميم قناة السويس واقترب
شبح العدوان من مصر .

أضربت الشعوب العربية تضامنا مع مصر يوم ١٦ أغسطس ١٩٥٦ ،
وهو اليوم الذي افتتح فيه مؤتمر لندن لجمعية المنتفعين من القناة ...
وكان ذلك تعبيرا عن ميلاد ظاهرة جديدة .

وأعلنت اذاعة عمان ودمشق بعد ضرب محطات الارسلال في
أبي زعبل (هنا القاهرة) .

واتصل الملك حسين أيضا ببلخ جمال عبد الناصر بأنه سيهاجم
إسرائيل ، ولكن عبد الناصر أوضح له ضخامة المؤامرة ، وطلب منه
التريث .

وعندما وقع العدوان تفجرت طاقات الأمة العربية .

أعلنت الحكومة السورية عزمها على الدخول بجيشها ضد إسرائيل ..
ولكن أبلغت سوريا رغبتها في عدم اتساع نطاق القتال واصرارها على
مواجهة الموقف وحدها .

ومع ذلك فقد تم تدمير أنابيب البترول التي تمتد من العراق الى
سوريا ولبنان ، وتعطل ورود البترول من كركوك وكل من طرابلس
وبانياس .. وكان ذلك بتدبير عبد الحميد السراج قائد المكتب الثاني
بالجيش السوري .

وأتلف الشعب العراقي بعض أنابيب البترول في كركوك أيضا .
كما نسفت بعض أنابيب البترول في السعودية وتوقف تصدير
البترول السعودي الى بريطانيا وفرنسا .. ونسفت أنابيب البترول في
الأردن .

واجتاحت المظاهرات ليبيا وقطر والبحرين والكويت .
قطع العرب البترول عن الدول الغربية وهو عنصر رئيسي في
استمرار الحياة عندهم .

كان ذلك مظهرا ايجابيا وجديدا في تضامن العرب ضد الاستعمار والصهيونية التوسعية .

وقال جمال عبد الناصر عند افتتاح مجلس الأمة عام ١٩٥٧ : (ان القومية العربية هي أمضى أسلحتنا في الدفاع عن وطننا ، وسواء في ذلك حدودنا المصرية المحلية أو حدودنا العربية الشاملة) .

وقال أيضا (كان نسف البنرول عملا عسكريا) .

وكانت سوريا أكثر الدول العربية اقترابا من مصر لأن القومية العربية فيها كانت منسوجة مع عواطف الجماهير تاريخيا . والنور الذي لعبه حزب البعث كان واضحا ورائدا في رفع شعار الوحدة العربية .

عندما حشدت تركيا قواتها على حدود سوريا عام ١٩٥٧ ، وقال دالاس : (ان من حق تركيا أن تتخذ من الاجراءات العسكرية والدفاعية ما تراه كفيلا بحفظ أمنها وسلامتها وأمن وسلامة جاراتها وحليفاتها في المنطقة عندما ترى أن سوريا قد أصبحت في المنطقة كالراديو الذي لا تقف اشعاعاته عند حدود الاناء الذي هو فيه) .

بادرت مصر الى ارسال قوات مسلحة الى سوريا . وكان عبد الحكيم عامر قائدا عاما للقيادة المشتركة .

وأصبح عبد الناصر بعد انسحاب قوات العدوان الثلاثي رمزا لنضال الشعوب وزعيما للجماهير في كل بلد عربي .

كان المرشح للبرلمان الأردني أنور الخطيب يلقي خطابا في المسجد الأقصى وتساءل الحاضرون : (هل ناصر معك ؟) .

وقال أنور الخطيب : (لا أعلم) .

وكانت النتيجة نجاح مرشح مسيحي شيعي في القدس لأنه كان في الجبهة التي يؤيدها جمال عبد الناصر .

جاءت نتيجة الانتخابات ١٠٠٪ لصالح الجبهة المعادية للاستعمار ، والتي ضمت أحزاب البعث والوطني الاشتراكي والشيعي والمستقلين عدا دوائر البادية وتشكلت وزارة سليمان النابلسي .

ارتبطت مصر ارتباطا وثيقا بالدول العربية وتضمنت توجيهات الاتحاد القومي التنظيم السياسي الذي خلف هيئة التحرير اتجاهها عربيا وحدويا قال جمال عبد الناصر في المؤتمر الأول للاتحاد القومي : (انه يشرفنا ان نكون دعاة وحدة عربية شاملة تستمد مقومات وجودها من الطبيعة ذاتها) .

تجاوزت فكرة الوحدة العربية حدود وادي النيل التي ظلت شعارا مرفوعا يربط مصر والسودان في نضال مشترك ضد الاستعمار البريطاني ، واتسعت لتشمل كثيرا من الدول العربية .

أول ميثاق عربي على طريق الوحدة كان قائما بين مصر وسوريا والسعودية ، ثم انضمت اليه اليمن عام ١٩٥٥ ، للتعاون العسكري السياسي والاقتصادي .

لم تكن النظرة أو الأهداف الاجتماعية قد أصبحت حائلا بين تعاون هذه الدول التي يدين بعضها بالنظام الملكي والبعض بالنظام الجمهوري .

وفكرة القومية العربية منذ البداية لم تقترن بالتحول الاجتماعي ، وإنما اقترنت بالنضال الوطني ضد الامبريالية والصهيونية التوسعية .

ورجع العسكريون الى تاريخنا . . . ووقفوا عند صلاح الدين الذي وحد العرب وهزم الصليبيين فاختراروا نسرهم شعارا للثورة .

وحركة ثورة ٢٣ يوليو نحو الوحدة العربية كانت متعددة الاتجاهات متشعبة النشاط ، تكاد تطرق أبواب كل بلد عربي .

ودائما هناك قصة لصلة قادة ثورة يوليو بالحركة السياسية في كل بلد عربي .

قصة نضال . . ووحدة مصير .

الباب الثاني

سوريا :

الوحدة ٠٠ والانفصال

(اذا كان العالم قد عاش من
قبل في عصر النهضة ثم عاش بعد
ذلك في عصر الفضاء ، فأننا نعيش
اليوم في عصر الوحدة العربية)
جهال عبد الناصر
دمشق
٢٥ فبراير ١٩٥٨

الفصل الأول

نحو الوحدة

(أنا لست فاتحا .. أنا كاهن
تقولون بالفرنسية مغنطيس)
جمال عبد الناصر
في حديث مع صحفي فرنسي
يناير عام ١٩٥٨

كانت الدولتان العربيتان الوحيدتان الخاضعتان لسلطة الجيش
هما (سوريا ومصر) .. وكان انقلاب حسنى الزعيم عام ١٩٤٩ هو
بداية الانقلابات العسكرية فى المنطقة بعد الحرب العالمية الثانية ، وكانت
حركة الجيش المصرى فى ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ هى أول انقلاب عسكرى
فى إفريقيا .

العسكريون فى القاهرة ودمشق هم أصحاب الكلمة العليا ،
وسقوط أديب الشيشكى فى مارس ١٩٥٤ وذهابه الى السعودية بعد أن
حكم بصورة مباشرة من نهاية عام ١٩٥١ ، لم يبعد الجيش السورى تماما
عن السلطة السياسية رغم عودة المدنيين الى واجهة الحكم ، ومقعد رئيس
الجمهورية ..

وطبيعة تكوين الجيش السوري تختلف عن طبيعة تكوين الجيش المصري . كما أن دورها التاريخي والنضالي يختلف كل عن الآخر . في الحرب العالمية الأولى كان عشرات من ضباط الجيش السوري يخدمون في الجيش العثماني وظلوا عند ولائهم لتركيا حتى هزيمتها . وكان هناك أيضا عدد منهم منضمون الى جمعية (العهد) السرية التي تقاوم السلطة العثمانية ، وتتبنى القومية العربية . وفي الفترة من نوفمبر ١٩١٨ الى يوليو ١٩٢٠ خدم عدد من ضباط الجيش السوري تحت العلم السوري في عهد فيصل بدمشق ، ثم تحول عدد منهم للخدمة في جيش الانتداب الفرنسي فيما عرف باسم (جيش الشرق) .

أطاح الجنرال جورو بحكم الملك فيصل في سوريا في ٢٤ يوليو ١٩٢٠ واضطره الى الجلاء عن الأراضي المشمولة بالانتداب الفرنسي .

وعندما هزمت فرنسا من ألمانيا في صيف عام ١٩٤٠ ، ظل مندوبو حكومة فيشي عملاء النازية يحكمون سوريا الى أن دخلت قوات فرنسا الحرة مع الجيش البريطاني وهزموا المحور في يونيو ١٩٤١ حيث كان بعض الضباط السوريين يحاربون جنبا الى جنب مع ضباط حكومة فيشي .

وبقي الجيش السوري حتى نهاية الحرب خاضعا للحكم البريطاني حتى اشتعلت الثورة في سوريا عام ١٩٤٥ ، وهنا انضم قسم من ضباط الجيش مع وحداتهم الى الشرطة التي كانت هي القوات المسلحة الوحيدة لخاضعة للحكومة الوطنية .

حدث تأمر بريطاني لابقاء الجيش التاسع البريطاني في سوريا بعد انسحاب الفرنسيين تحت تهديد رغبة الملك عبد الله في اقامة سوريا الكبرى . ولكن الحركة الوطنية رفضت ولم تقبل الجلاء الكامل .

أعلى رتبة وصل اليها الضباط السوريون في جيش الشرق الفرنسي كانت رتبة رائد . ومن الضباط الذين انضموا للشعب عفيف البزري وعدنان المالكي وأديب الشيشكلي ومأمون البيطار ونبيه صباغ وغيرهم .

القوى والأحزاب السياسية كان لها تأثير في موقف هؤلاء الضباط ، حزب البعث والحزب الشيوعي بدأوا محاولات الاتصال بالضباط بعد هزيمة قوات فيشي ، وحدث انفتاح على الفكر المتحرر التقليدي في فرنسا عام ١٩٤١ .

بعض ضباط الجيش السوري الذين خدموا في (جيش الشرق) الفرنسي ، وخضعوا للفرنسيين نبذتهم الحركة الوطنية ورفضت

استواريهم في الجيش الوطني الذي بدأ محدود العدد ، لا يتجاوز
٣٠٠٠ ضابط وجندي ٠٠٠ فهاجر بعضهم الى فرنسا حيث احتفظ برتبته
العسكرية وحصل على الجنسية الفرنسية .

يقول أمين الحافظ رئيس الجمهورية السورية فيما بعد أنهم كانوا
في حلب اذا سمعوا أن فلانا أصبح جنديا في جيش الشرق اعتبروا ذلك
كبيرة من الكبائر .

حسنى الزعيم كان واحدا من الضباط الذين أخرجهم الفرنسيون
من الجيش ٠٠٠ ثم عاد إليه مع ثورة ١٩٤٥ .

كان الفرنسيون يتولون المناصب الرئيسية والقيادية في الجيش
والجندرومة (الشرطة) أيضا ٠٠٠ وكانوا لا يشجعون تجنيد السنيين
باعتبارهم أغلبية الشعب السوري ، وإنما اعتمدوا أساسا على تجنيد
الأقليات الشركسية والدرزية والعلوية والمسيحية ٠٠ وعينوا بعض
الضباط من الأسر الكبيرة لضمان تأييدهم .

كان هذا تقليدا معروفا تلجأ اليه الدول الاستعمارية ٠٠ اعتمد
الجيش البريطاني في الهند على السيخ والباتان ٠٠٠ واعتمد الهولنديون
في أندونيسيا على المسيحيين ، واعتمد الفرنسيون في المغرب على البربر
٠٠٠ وهكذا .

ولم يكن هذا الأمر معروفا في مصر حيث لا توجد أقليات منعزلة ،
فتماسك الشعب ووحدته الوطنية تاريخيا لم تعطى الفرصة للاستعمار
البريطاني ، ومحاولات التفرقة بين الأقباط والمسلمين أحبطها. سعد زغلول
والوفد عام ١٩١٩ .

أما في سوريا فقد لعبت الأقليات دورا منفردا وملحوظا ٠٠ ثورة
الدروز التي نشبت في الجبل عام ١٩٢٥ واستمرت سنتين دفعت
الفرنسيين الى زيادة جيشها حتى وصل ٤٠.٠٠٠ ثم انحسر بعد نهاية
الثورة حتى وصل عدد الضباط عام ١٩٣٠ الى ٣١٩ ضابطا منهم ١٥٧
فرنسيا ، ١٦٢ سوريا ٠٠٠ وفي عام ١٩٣٨ بلغ عدد الضباط ٣٠٦ منهم
٨٨ فرنسيا فقط ، وهم جميعا كما سبق أن ذكرنا لا يتجاوزون
رتبة رائد .

عقب استقلال الوطني عام ١٩٤٥ وصل الجيش السوري ٥٠٠٠
جندي والشرطة ٣٥٠٠ جندي ، ١١٤٠ ضابطا ٠٠٠ وارتفع الرقم مع
حرب فلسطين ليصبح الجيش ١٢.٠٠٠ والشرطة ٤٥٠٠ ، ثم ارتفع في
عهد حسنى الزعيم ليكون ٢٧.٠٠٠ جندي وضابط ، كما ورد في كتاب
(ضباط الجيش في السياسة والمجتمع العربي « لاليزير بييرى ») .

في هذا الجو السياسي تكون الجيش السوري الوطني ٠٠٠ وكانت
اول دفعة من الضباط تتخرج في الكلية الحربية بحمص عام ١٩٤٦ يبلغ
عددها ٦٣ ضابطا ، بعد أن كانت الدفعة لا تتجاوز العشرين ثم زادت
بعد ذلك الى عدة مئات .

كان هناك فرق كبير بين مصر وسوريا ٠٠٠ ففي مصر حددت
قوانين ١٩٢٨ دخول المدرسة الحربية بالبيكالوريا ، ثم تحولت مع معاهدة
١٩٣٩ الى كلية وقررت لها مصاريف تزيد عن ٦٠ جنيها في العام ، وهي
مصاريف باهظة اذا قورنت بمستوى الدخل العام للفقود ، مما حدد
المستوى الطبقي للضباط ، وان كان قد وسع قاعدتهم ، ولم يجعل
اختيارهم مفروزا فرزا كاملا وصحيحا تحت ميكروسكوب الاحتلال
البريطاني كما كان الحال قبل المعاهدة .

الموقف في سوريا يختلف تماما ٠٠ الفوارق الطبقيه عموما لم تكن
من النوع الحاد كما كانت في مصر ٠٠ وروح التحرر الفرنسية تشربها
كثير من المثقفين السوريين ٠٠٠ هذا ما دفع الى أن تكون الكلية الحربية
مجانا تماما ويحصل الطالب فيها على اللبس ، ٢٠ علبه سجائر ،
٢٠ ليرة مصروف يد شهريا .

الوضع يختلف عن مصر ٠٠ والمنبت الاجتماعي للضباط يختلف
أيضا .

قال لي أحمد عبد الكريم الضابط الذي أصبح وزيرا في عهد الوحدة
(لو كانت المصاريف جنية ما دخلت الكلية الحربية ، ٩٠ في المائة من
الكلية كانوا مثل أيضا) .

ولم يكن في نظرة الضباط القدامى لطلبة الكلية الحربية الجدد
أي نوع من التعالي أو الكبرياء ٠٠ فقد كان المثل الشعبي السائد هو
(الفقر ليس عيبا) .

بل ان الدفعة الاولى في الكلية الحربية اتخذت موقفا ثوريا عندما
قدم الطلبة استقالاتهم احتجاجا على ارسال رئاسة الجمهورية لائنين من
الطلبة الراسبين في البكالوريا للانضمام للدفعة وما في ذلك من خرق
لشروط القبول .

وبعد حضور وزير الدفاع ورئيس الأركان ومدير المخابرات الى
الكلية واعتبارهم أن ما حدث هو نوع من التظاهر المرفوض والمدان في
النظم العسكرية ٠٠ الا أن السلطة ، وشكرى القوتلي كان رئيسا
لجمهورية ، قد تراجعت في محاولتها ، ولم يتكرر بعد ذلك أبدا .

قانون الخدمة الالزامية صدر كذلك بعد الاستقلال مباشرة وأدخل كافة أبناء الشعب السوري للقوات المسلحة .

كانت هناك حريات ديمقراطية يتمتع بها حتى طلبة الكلية الحربية ولكنها أجهضت مع حرب فلسطين وما تبعها من انقلابات عسكرية نبئت من الهزيمة وتبنى الجيش لشعارات الاصلاح وطلب الانتقام من السياسيين . . وهنا دخلت المخططات العربية صفوف الجيش السوري .

استطاع حسنى الزعيم أن يشهد المؤسسة العسكرية خلفه بما فيها عدنان المالكي وأديب الشيشكلي لأنه كان صاحب موقف معروف ، عارض فيه نقل الفرنسيين للذهب من البنك المركزى وهو قائد كتيبة تنفيذ لتعليمات رئيس الوزراء خالد العظم ، رغم أنه كان من ضباط جيش الشرق . . الأمر الذى انتهى به الى البقاء فى قلعة المزة محاضرا لمدة ٣ أيام دون أن يستسلم ، ثم أخرجه الفرنسيون من الجيش ، وذلك حسب رواية أكرم دبرى الضابط السوري والوزير فى عهد الوحدة فى مصر . ثم شارك حسنى الزعيم فى حرب فلسطين بمنطقة سمخ ، وبعد الهزيمة أسندت له قيادة الجيش السوري ، مما دفع ادارة المخابرات المركزية الأمريكية الى التركيز عليه واجتذابه الى صفوفها .

كان عبد الحميد السراج ياورا لحسنى الزعيم ، والاثنان ومعهما أديب الشيشكلي وأكرم الحوراني جميعا من حماء ، ولذا كان أكرم الحوراني مقربا فى البداية من حسنى الزعيم قبل أن يختلف الاثنان لانفراد الزعيم بالحكم وعدم تنسيقه السلطة مع البعث أو سماحة بالمشاركة فيها .

وقال لى أكرم الحوراني « ان مجيء حسنى الزعيم كان اجهاضا لثورة شعبية ناضجة » . وقال لى أمين الحافظ أن سمعته الشخصية كانت سيئة فقد اشتهر وهو ضابط بأنه يقاسم تجار السمن .

ولم يطل عمر حسنى الزعيم فقد انقض عليه سامى الحناوى بمعاونة الأحزاب الوطنية والمخابرات البريطانية . . ثم انتهى الأمر الى أديب الشيشكلي الذى استقطب كل العناصر الوطنية فى الجيش بمساعدة أكرم الحوراني . . . واستمر عبد الحميد السراج ياورا لأديب الشيشكلي فى بداية عهده .

ظل الهيكل الوطنى داخل الجيش السوري سليما تنعكس عليه الوحدة الوطنية . . . وتنعكس عليه أيضا أفكار القومية والوحدة العربية ، ولذا فانه عندما ظهر انحياز أديب الشيشكلي للولايات المتحدة

وتوثقت علاقاته مع مندوب شركة التابلاين الأمريكية ، وكاد يوقع وثيقة دفاع مشترك مع أمريكا ، وبدأ حركة فصل وتسريح لعدد من الضباط الوطنيين ونقل عدد منهم للحدود الشمالية مع تركيا والجزيرة دبر البعثيون محاولتهم الأولى للانقضاض على الحكم بواسطة الجيش في عام ١٩٥٢ .

وحزب البعث العربي الاشتراكي كان في الأصل حزبي : (البعث) يرأسه ميشيل عفلق و (العربي الاشتراكي) يرأسه أكرم الحوراني . واتحد الاثنان في حزب واحد عام ١٩٥١ لاتفاق الأهداف والأفكار .

اكتشفت المحاولة قبل تنفيذها في يناير ١٩٥٣ وفر أكرم الحوراني. وميشيل عفلق وصالح البيطار الى إيطاليا يوم ١٢ يناير واعتقل. العقيد عدنان المالكي المدير العسكري للمحاولة وسجن معه عدد من الضباط .

عاد قادة حزب البعث الثلاثة بعد ذلك الى سوريا في نهاية عام ١٩٥٣ بعد وضع الدستور وانتخاب الشيشكلي رئيسا للجمهورية يوم ١٠ يوليو ١٩٥٣ وتشكيل مجلس نيابي لم يتقدم للترشيح له أحد من حزب البعث رغم أن أكرم الحوراني كان قد انتخب نائبا عن حماه عام ١٩٤٣ .

نظرة حزب البعث لأديب الشيشكلي لم تتغير . . . كان قد استقر الأمر على الإطاحة بحكمه .

البعث والعسكريون :

وهنا نوضح موقف حزب البعث من العسكريين .

يقول أكرم الحوراني أنه لم يكن هناك تنظيم اطلاقا لضباط الجيش في صفوف الحزب . . . لا اجتماعات منظمة أو دفع اشتراكات. أو تحديد مسئوليات معينة . . . ولكن كانت هناك علاقات ارتباط وولاء للحزب من بعض الضباط .

كان ذلك قرارا وموقفا من الحزب لافتقارهم بأن تنظيم الضباط يفسد الحياة العسكرية وانضباطها . . . والمفروض أن يكون ولاء الجيش للحزب فقط .

ومع ذلك كان هناك عدد محدود من الضباط المرتبطين بالحزب ارتبساطا كاملا ، ويؤدون دور الأعضاء المنتظمين ، يشكلون مراكز

الاشعاع ومصادر للقوة المحركة ، وهم في الغالب من الدين انضموا للحزب خلال دراستهم الثانوية مثل العقيد عدنان المالكي واليوزباشى مصطفى حمدون وغيرهما .

وهؤلاء الضباط كانوا من خريجي الكلية الحربية بعد الاستقلال ، ذلك أن حزبي البعث والعربي الاشتراكي لم يندمجا تحت اسم حزب البعث العربي الاشتراكي الا بعد التحرر والاستقلال الوطنى .

لذا كانت محاولة عدنان المالكي مبكرة في تاريخ الحزب الموحد ومعبرة عن اهتمام الحزب بالحركة داخل الجيش ومؤكدة للاساس بأن القوات المسلحة لها دور من وجهة نظر الحزب في الحركة الوطنية .

ولم يقف فشل عدنان المالكي سدا في سبيل محاولة الحزب للاطاحة بحكم الشيشكلي .

تولى المسئولية هذه المرة اليوزباشى مصطفى حمدون الذى انضم لصفوف الحزب طالبا عام ١٩٤٣ . والذى وصل فى عهد أديب الشيشكلي الى منصب معاون رئيس الشعبة الاولى (عبد الحميد السراج) وكان مسئولا عن قسم الضباط مما أعطاه فرصة تعيين بعض الضباط البعثيين فى أماكن قيادية حساسة .

ولكن أجهزة أديب الشيشكلي كانت ترصد حركته وفاجأه عبد الحميد السراج فى ليلة عيد الميلاد ٢٤ ديسمبر ١٩٥٣ بأن هناك أوامر بنقله خارج دمشق ، ونقل الى حلب فعلا يوم ٢ يناير ١٩٥٤ .

قال لى مصطفى حمدون أنه كان فى حلب مكتب حزبي يشرف على العسكريين ويقوده منصور الأطرش بن سلطان باشا الأطرش قائد ثورة الدروز ضد الاستعمار الفرنسى .

وبدأ الاعداد الفورى لحركة مضادة لحكم الشيشكلي . وكانت قيادة الحزب قد وافقت على ذلك وتركت التوقيت للعسكريين .

قال لى مصطفى حمدون أنه فاتح عددا من قادة المناطق (حصص والشرقية ومعاون قائد منطقة حلب - عقيد فيصل الاتاسي) وأظهروا استعدادا للتعاون .

وفرضت الظروف توقيت الحركة ، تماما كما حدث فى ٢٣ يوليو . فقد تسربت الأنباء بأن هناك نشرة تتضمن فصل عدد من الضباط ومنهم مصطفى حمدون وكان قد سبق ذلك اعتقال أكرم الحوراني وميشيل عفلق وصالح البيطار .

وأصبح الموقف سباقا بين خصمين .. السلطة مع الشيشكي في دمشق .. وترتيبات الحركة في حلب .

ولم يكن هناك سبيل للعدول والتراجع .. وقررت حامية حلب المبادرة بالحركة وحدها دون تعطيل تفرضه ضرورة الاتصال بالمناطق الأخرى التي سبق الاتصال بها في حمص والجبل .

كان مفروضا أن تصدر نشرة الفصل يوم السبت أول مارس ١٩٥٤ ولكن الحركة تقسرت ٢٧/٢٨ فبراير وزحفت القوات على حلب في الثالثة بعد منتصف الليل ثم أذيع البيان الأول من إذاعة حلب التي تصل إلى كل سوريا ، وهو بيان قصير من عشرة سطور قدمه مصطفى حمدون بقوله (النقيب مصطفى حمدون يتحدث اليكم) ووقعه بتوقيعات آمر المنطقة الشمالية وأمر المنطقة الغربية وأمر المنطقة الشرقية ولم يذكر المنطقة الوسطى (حمص) حتى تفاجئ قوات الشيشكي فيما لو حاولت التقدم نحو حلب .

كانت الحركة انقلابا عسكريا كاملا توافرت له المفاجأة ولكن لم تتوافر الخبرة السياسية ، فلم يتضمن البيان الأول معنى هاما ، ولم يظهر تأثير حزب البعث على الحركة ، وانطلقت المظاهرات في حلب تهاجم مكاتب منظمة التحرير التي شكلها الشيشكي لتكون تنظيما له على غرار هيئة التحرير ، في مصر .

كان الشيشكي متأثرا من ناحية المظهر بثورة ٢٣ يوليو .. عندما زار القاهرة ظهرت جريدة المصري بمانشيت أحمر رئيسي يصف الشيشكي بأنه (محرر سوريا) الأمر الذي أثار استياء الوطنيين الذين كانت تعبر عنهم الجريدة والذين كانوا في موقف عداء للعسكريين عموما .

عندما عاد الشيشكي لدمشق أعلن لضباط الجيش السوري في نادي الضباط عن شعوره بأن الرجل القوي في مصر هو جمال عبد الناصر ، وليس محمد نجيب ، وذلك حسب رواية أكرم ديري .

سقطت منظمة التحرير في سوريا تحت طرقات المتظاهرين .. كانت تنظيما من ورق ..

أول برقية تأييد وصلت حلب يوم ٢٨ فبراير في الخامسة مساء كانت من أمين الحافظ قائد قوات درعا ، وهو ذو ميول بعثية ولكنسه كمال قال لي لم يكن من المرتبطين عضويا بتنظيم البعث .

وتوالى برقيات التأييد على حلب التي التحق بها الطيران السوري أيضا . حاول الشيشكي تشكيل مجموعة من المدرعات والمشاة والمدفعية

من جبل الدروز والمنطقة الجنوبية (دمشق) . ولكنه فشل أمام اعتراض
ومناوئة بعض الضباط الشبان .

وعندما أبانته قائد منطقة جبل الدروز ببعظه عن اعداد القوة
شعر بانهياء موقفه وقرر عدم المقاومة .

واتصل شوكت شقير رئيس أركان الحرب بمصطفى حمدون وأبلغه
أن الشيشكلي سيغادر سوريا ويرجوه اغلاق اذاعة حلب فاستجابت قوة
حلب لذلك .

ولكن عددا من الضباط المتعاونين مع الشيشكلي قرروا أو يذهب
هو ولكن يستمر نظامه . . وطلبوا تعيين رئيس مجلس النواب (مأمون
الكزبري) ليحل محله رئيسا للجمهورية تبعا للدستور ، وكان من هؤلاء
الضباط عبد الحق شحادة وطعمة العودة الله .

رفضت القيادة في حلب وخاصة بعد أن كان قد أفرج عن أكرم
الحواراني وميشيل علق وصالح البيطار وذهبوا الى حمص حيث عقدوا
اجتماعا مع ممثلي الأحزاب في منزل هاشم الاتاسي اتفقوا فيه على عودة
المجلس النيابي السابق الذي حلت له الانقلابات العسكرية للمدة
المتبقية ، وعودة الاتاسي رئيسا للجمهورية ، واجراء انتخابات جديدة في
أغسطس ١٩٥٥ ، وهي الانتخابات التي تمت فعلا في موعدها وعاد فيها
شكري القوتلي رئيسا للجمهورية .

وأعيد فتح اذاعة حلب . . وبدأت اذاعات دمشق وحلب تتبادل
الاتهامات والتهديدات . . وانفجرت المظاهرات المضادة للشيشكلي في
دمشق أيضا ، وقتل ٢٧ شخصا عند مبنى الاذاعة القديمة .

ولم يجد المستفيدون من حكم الشيشكلي أنصارا لهم فقرروا
الاستسلام ، وهرب الشيشكلي يوم ٢٦ فبراير الى السعودية بعد أن هبط
في مطار القاهرة في وقت كان أعضاء مجلس الثورة مشغولين فيه بإعلان
استقالة محمد نجيب يوم ٢٥ فبراير ١٩٥٤ . وعاد هاشم الاتاسي رئيسا
للجمهورية بدلا من مأمون الكزبري الذي تولى الرئاسة لمدة ٢٤ ساعة
فقط .

لم يكن انتصار الانقلاب العسكري ايلانا بظهور ضابط جديد في
مركز السلطة . . فقد كان مصطفى حمدون ضابطا بعثيا ملتزما بأوامر
حزبه ، وكان حزب البعث في هذه المرحلة يرى أن الظروف ليست مهيأة
لاستلامه السلطة والانفراد بها . ويقول مصطفى حمدون أنه لم يكن
متفقا مع رأى الحزب في ذلك لأنه كان يعتقد أن سيطرة الحزب على

ثورة يوليو ١٩٥٦ - ٧٠٥

السلطة بعد الانقلاب كانت أمرا ممكنا وإن ذلك كان لابد أن يدفع الوحدة إلى الامام .

انقلاب حلب وعدم اصرار الضباط على تولي السلطة يثبت أن حزب البعث لم يكن حتى هذه اللحظة مفرطا في كيانه ووجوده بتسليم مصيره للعسكريين ، وأنه كان مازال ملتزما بموقفه في أن الجيش يجب أن يكون في خدمة الحزب وليس الحزب في خدمة الجيش .

كانت صلة قادة البعث العسكريين في الجيش معبرة عن أهمية وضرورة الاتصال بالضباط وخاصة بعد أن لعبوا أدوارا رئيسية في حكم سوريا بعد انقلاب حسنى الزعيم .

ولكن هذه الصلة التي كانت طبيعية حتى هذه المرحلة لم تستمر كذلك فيما بعد . . . وهي في سوريا كانت غيرها في العراق رغم وحدة الحزب من الوجهة القومية كما سيأتى ذكره تفصيلا فيما بعد .

كان الجيش يفرض نفسه كقوة سياسية رئيسية في المجتمع ، وكانت الأحزاب السورية التقليدية مازالت تؤدي دورا جماهيريا ، كما أن الأحزاب التقدمية مثل حزبي البعث والشيوعي كانت تكسب مزيدا من الانتصار والتأثير خارج الجيش وداخل الجيش أيضا .

وعقب الغارة الاسرائيلية على غزة في ٢٨ فبراير ١٩٥٤ زار صلاح سالم عضو مجلس قيادة الثورة ووزير الارشاد سوريا في أوائل مارس وخطب في دمشق مبشرا بتكوين الجيش المصرى السورى الموحد فى مواجهة اسرائيل .

وخلال هذه الزيارة قام صلاح سالم بزيارة مقر حزب البعث العربى الاشتراكى ووقع اتفاقا خاصا بانشاء قيادة موحدة .

واجهة مدنية للحكم :

تعهد الجيش ألا يتسلم الحكم واستمر شوكت شقير رئيسا لأركان حرب الجيش رغم أنه درزى ومن لبنان ، لأنه كان يلعب دور مخفف الصدمة فى صراع الاتجاهات المختلفة داخل الجيش .

وحاول معروف الدواليبى من حزب الشعب تصفية عدد من الضباط منهم عبد الحميد السراج وطعمة العودة الله باعتبارهم موالين للشيشكى ولكن الضباط تكتلوا وأوقفوا تسريح الضباط تحت ضغط التهديد .

كان عدد ضباط الجيش السوري حتى ذلك الوقت مازال محدوداً
يسهل التعرف فيه على اتجاهات الضباط السياسية ، ويصعب فيه في
نفس الوقت تغليب اتجاه على آخر ، ولذا توافرت حالة توازن اجباري .

وكان معروف الدواليبي قد حاول أيضاً استدراج شوكت شقير
وعدنان المالكي ثم اعتقالهم بوساطة الشرطة ولكن الخبر كان قد تسرب
اليهم فاستنفروا المكتب الثاني والشرطة العسكرية وحاصروا بيت
معروف الدواليبي من مسافة بعيدة مع استعداد القطاعات للتحرك .
وعندما شعر الدواليبي بذلك حول الجلسة معها الى عتاب شعر بعده أن
دوره في الجيش قد انتهى .

وقد أدى صراع الاتجاهات المختلفة الى اغتيال العميد عدنان المالكي
في ٢٣ ابريل ١٩٥٥ وهو الشخصية البارزة المنتمية لحزب البعث الأمر
الذي دفع الجيش للسيطرة على الدولة سيطرة كاملة واعتقال حوالي
٤٠٠٠ عضو من أعضاء الحزب القومي السوري . وقد اعتقل عصام
المحاربى داخل منزل الملحق العسكري الأمريكى وحكم عليه بالسجن
المؤبد ، كما اعتقل فؤاد جديد شقيق صلاح جديد الضابط البعثى العلوى
صاحب الكلمة النافذة فيما بعد ، واغتال المكتب الثاني السوري شقيقه
الأخر هسان جديد في لبنان بعد هربه عقب حادث الاغتيال .

استطاع شكري القوتلى في أواخر عام ١٩٥٥ أن يعزل شوكت شقير
ويعيده الى لبنان معتمداً على عدد من الضباط المستقلين ويعين بدله اللواء
توفيق نظام الدين .

ورغم الحكم المدنى فان الجيش السوري كان صاحب نفوذ قوى في
الحياة السياسية . دفعه أسلوب الارهاب الذى انتهجه الحزب
القومي السوري واغتيال عدنان المالكي الى رد فعل مضاد أعاده الى حلبة
السياسة من جديد بطريقة مستترة غير معلنة وتشكلت في الجيش
مجموعات مختلفة من الضباط لا تظمها جهة واحدة منظمة ، وانما تترصد
ببعضها البعض ، كان عنصر الترجيع معتمداً على الضباط الوطنيين
المستقلين غير المنتمين الى الأحزاب والهيئات السياسية .

وكان هناك تكالب على المراكز القيادية الحساسة في الجيش مثل
المكتب الثاني الذى تولاه عبد الحميد السراج ، والشرطة العسكرية
(أكرم ديري) الى جانب قادة الأسلحة والوحدات .

وكانت الأحزاب السورية في محاولتها لدعم الحكم المدنى قد ألغت
دستور الشيشكلي وشكلت وزارة ائتلافية برئاسة صبرى العسلى في

١٤ مايو سنة ١٩٥٦ ، تولى صلاح البيطار فيها منصب وزير الخارجية ودخلها تحت شرط حزب البعث فى تكوين اتحاد فيدرالى مع مصر .

وطالب حزب البعث أن يوافق المجلس النيابى على بيان الوزارة الذى جاء فيه (ان حكومتى مصممة على اجراء مفاوضات مع حكومة مصر لاقامة اتحاد فيدرالى بين البلدين) ووافق مجلس النواب على ذلك فعلا . وبينما قامت الحكومة تفكر فى تكوين وفد للمفاوضات حدث العدوان الثلاثى وتحول الموقف الى مساندة الشعب المصرى تحاشيا لحدوث انقسام نتيجة رفض بعض الدول لفكرة الوحدة . ولعب عبد الحميد السراج الذى كان يتولى مسئولية المكتب الثانى (المخابرات) والذى كان قد سبق له مقابلة جمال عبد الناصر فى القاهرة عام ١٩٥٥ فى ظل تنسيق العمل فى القيادة المشتركة ، لعب دورا بارزا فى نفس أنابيب البترول القادمة من العراق الى سوريا حتى البحر فى أول نوفمبر ١٩٥٦ .

وكان ذلك الموقف تعبيرا عن وحدة ارادة الأمة العربية فى صراعها ضد الامبريالية . . وكان استجابة لمظاهرات الغضب التى اجتاحت العالم العربى .

وبعد انسحاب القوات المعتدية على مصر . ووصول بعض القوات المصرية فى أكتوبر ١٩٥٧ الى اللاذقية للوقوف فى وجه الحشود التركية زاد ثقل وزن الضباط المستقلين . . واستقبل جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر فى القاهرة عبد الحميد السراج وبدأت مرحلة تعاون وثيق مع عام ١٩٥٧ .

وحدث تمرد فى معسكر قطنة فى مارس عام ١٩٥٧ عندما حاولت قيادة الجيش نقل الضابطىن أمين النافورى ورياض الكيلانى خارج البلاد أو تسريحهم ، وذلك لانهم استهدفوا ضرب حزب البعث . . وكاد يحدث صدام مسلح بين الضباط والوحدات انتهى بنقل رياض كيلانى ملحقا عسكريا بالقاهرة .

وحدث بعد ذلك ، ما يشبه الانقلاب الصامت عندما عزل اللواء توفيق نظام الدين ، وعين مكانه اللواء عفيف البزرى الوثيق الصلة بالشيوعيين ، وعين أمين النافورى مساعدا له ، ومصطفى حمدون رئيسا للشعبة الاولى (ادارة شئون الافراد والضباط) وأحمد عبد الكريم رئيسا للشعبة الثالثة (العمليات) ، وبقي عبد الحميد السراج رئيسا للشعبة الثانية (المخابرات) .

وتجمع ضباط البعث من جديد ، مصطفى حمدون وأمين الحافظ وبشير صادق وفكروا فى عمل انقلاب كان هدفه كما يقول أمين الحافظ

هو الذهاب للوحدة برأى واحد وتنظيم واحد وهدف واحد .. ولكن انتهى الأمر الى تشكيل مجموعة قيادية من ضباط الجيش شملت مختلف الاتجاهات السياسية ، واصبح لها كيان شبه تنظيمي. يضم في قيادته حوالى ٢٤ ضابطا أطلق عليه اسم المجلس الثورى .

كان المد الوطنى والوحدوى خلال عام ١٩٥٧ يزداد وضوحا يوما بعد يوم فى صفوف الشعب وفى صفوف الجيش أيضا .

وكان اتصال القاهرة مع سوريا متعدد القنوات .. محمود رياض السفير وهو عسكري سابق كان على اتصال وثيق بالقيادات السياسية المختلفة .. ومجموعة كمال رفعت وضباط المخابرات كانت لهم صلات خاصة أيضا بعدد من السياسيين والضباط وخاصة المنتمين لحزب البعث . واتصال ثالث كان يتم عبر القيادة المشتركة التى كان يمثل مصر فيها الاميرالى عبد المحسن أبو النور ، وهو مركز أساسا على ضباط الجيش .

كان الاتجاه السائد فى السياسة العربية فى المنطقة خلال هذه الفترة بعيدا عن اثارة الحساسية أو العداء مع الماركسية ، وخاصة فى سوريا ، حيث وصل خالد بكداش سكرتير الحزب الشيوعى السورى الى البرلمان نائبا من نواب دمشق ، كما كانت الوحدة العربية شعارا يرتفع فى الحياة السياسية ويؤثر فيها .

نحو أول وحدة عربية ..

وفى نفس الوقت الذى وصلت فيه القوات المصرية الى اللاذقية قرر مجلس النواب السورى توجيه الدعوة الى مجلس الأمة المصرى لزيارة سوريا العربية لتبادل الرأى فى استتبعال الزمن لدفع مشروع الاتحاد بين مصر وسوريا ..

وقام وفد من أربعين نائبا برئاسة أنور السادات وكيل مجلس الأمة بزيارة دمشق فى نوفمبر ١٩٥٧ .. واستقبلهم أكرم الحورانى رئيس المجلس السورى وقال لهم ان السوريين يعتبرون هذا اليوم - ١٦ نوفمبر - عيدا قوميا يشبه ذلك اليوم الذى وصل فيه الجيش المصرى الى سوريا .

حضر أعضاء مجلس الأمة المصرى جلسة مجلس النواب السورى يوم ١٨ نوفمبر ١٩٥٧ وتناوب أكرم الحورانى وأنور السادات رئاسة جلسة المجلس وأعد قرار بالاتحاد الفيدرالى من لجنة الشؤون الخارجية بمجلس النواب السورى ولجنة الشؤون العربية بمجلس الأمة المصرى فى جلسة سرية قبل عقد الجلسة العلنية للمجلس .

ووافق النواب بالاجماع على قرار (يدعسو حكومتى مصر وسوريا
للدخول فوراً فى مباحثات مشتركة بغية استكمال تنفيذ هذا الاتحاد) .
ووافق مجلس الأمة المصرى على نفس القرار فى نفس اليوم ٠٠ ثم
حضر الى مصر وفد من مجلس النواب السورى برئاسة احسان الجابرى
يوم ٣١ ديسمبر ١٩٥٧ كان من أعضائه خالد بكداش ، وحضر جلسة
مجلس الأمة المصرى .

يقول صلاح البيطار أن الوفد السورى قد رجع الى دمشق متشائماً
لأن جمال عبد الناصر كان متحفظاً من جهة الوحدة ، ولا يفكر بالقيام
بأية مبادرة ٠٠ ورغم أن جمال عبد الناصر كان قد أصدر بياناً يستجيب
فيه لموقف مجلس النواب السورى الا أنه ، والحديث لصلاح البيطار ،
كان يخشى قيام انقلاب فى الجيش اذا ما قامت الوحدة ، لأن الجيش
السورى (ميسس واعتاد على قيام الانقلابات) .

قال جمال عبد الناصر لصلاح البيطار (أمضيت خمس سنوات
لإبعاد الجيش المصرى عن السياسة) .

وبدا أكرم الحوراني وصلاح البيطار اتصالات جديدة مع الضباط
السوريين قائلين لهم أن الوحدة قد أصبحت تتوقف عليهم ، وحضر الى
سوريا حافظ اسماعيل مدير مكتب عبد الحكيم عامر فى ذلك الوقت
 واجتمع مع المجلس الثورى فى مكتب عفيف البرزى بحضور الضباط
المصريين عبد المحسن أبو النور وأحمد زكى عبد الحميد ٠٠ وحضرت دائرة
المناقشات فى تأثير الوحدة على الضباط من ناحية التنقلات والترقيات
وفقد بعض الامتيازات واحتمال الانتقال الى مناصب مدنية ٠٠ ودفعت
الحماسة أمين الحافظ الى القول (نعطيك وعد شرف بأن جمال عبد الناصر
لو أعطانا أمر بنسف حلب سأنفذ الأمر) . واعترض أحمد عبد الكريم
كما قال لى محتجاً (٠٠ لن أقصف حلب) ومع ذلك كان أحمد عبد الكريم
وأمين النافورى حسب قول صلاح البيطار ، وهما ليسا من ضباط البعث ،
من أكثر الضباط نشاطاً فى الدعاية للوحدة والتمسك بها ٠ وانتهى
الأمر الى اتخاذ قرار بسفر ٢٢ ضابطاً من المجلس الثورى برئاسة عفيف
البرزى فى زيارة سرية الى القاهرة دون الاستئذان من رئيس الجمهورية
شكري القوتلى أو وزير الدفاع خالد العظم .

وصل الضباط الى القاهرة ليلة عيد ميلاد جمال عبد الناصر فى
١٥ يناير واجتمعوا به فى منزله حيث كانت باقات الورد تبعث الشذى فى
أرجاء المنزل ، بعد عودته من الأقصر حيث كان مع ضيفه تيتو ، وظل
عبد الناصر على تحفظه قائلاً (الدول سوف تقاوم الوحدة وعلينا أن نعيد
تقييم الموقف) .

واجتمع مجلس الوزراء السوري برئاسة شكري القوتلي الذي أظهر غضبه لسفر مجموعة من الضباط دون اذنه . . ولكن المناقشات انتهت الى أهداف سفرهم النبيلة تفقر لهم أسلوبهم وخاصة أن هذه ليست أول مرة يتدخل فيها الضباط بأسلوب عسكري جامع .

وقرر مجلس الوزراء سفر صلاح البيطار الى القاهرة مفوضاً من الحكومة لاجراء مفاوضات بعد أن كان أمين النافوري قد عاد الى دمشق لابلأغ شكري القوتلي بحضورهم بناء على طلب جمال عبد الناصر الذي أراد تحاشي أية حساسيات تنتج عن حركتهم .

يقول صلاح البيطار أنه لم تكن هناك دراسة علمية واقعية لموضوع الوحدة . . وأنه أثناء المباحثات التي دارت في قصر الطاهرة وضع اختلاف الآراء بين الضباط الحزبيين السوريين والمستقلين .

كان الشيوعيون والبعثيون يؤيدون فكرة الاتحاد الفيدرالي . بينما الآخرون يصرون على الوحدة الكاملة .

وفي مواجهة الموقف حدد عبد الله الريماوي عضو القيادة القومية لحزب البعث بالاستقالة من الحزب اعتراضاً على الاتحاد الفيدرالي وتمسكاً بالوحدة .

وتجاوب مع هذا الاتجاه ، ضباط الجيش السوري الذين لم يناقشوا فكرة الوحدة ولا أبعادها السياسية من قبل ، وانما اندفعوا اليها اندفاعاً عاطفياً محمواً ، فأصبحوا - على حد تعبير صلاح البيطار مفوض الحكومة - مركز قوة حقيقياً يتساءل عن الفرق بين الاسكندرية ودمشق .

واضطر صلاح البيطار تحت ضغط هذا التيار الى التخلي عن رأى حزب البعث الذي أقر الاتحاد الفيدرالي ، ووافق على الوحدة الشاملة التي فرضها العسكريون السوريون .

يقول أكرم ديري أن عقلية الضباط تأثرت بالوحدة تاريخياً منذ نضالهم ضد الامبراطورية العثمانية . . ومنذ حفظوا في التعليم الابتدائي هذه الآبيات من الشعر على ظهر قلب .

بلاد العرب أوطاني من الشام لبغدان
ومن مصر الى يمن الى نجد فتطوان

كان المجلس النوري السوري قد قدم مذكرة بضرورة اتمام الوحدة وعدم تمييزها .

وجابه جمال عبد الناصر موقفا لم يستطع معه الاستمرار في الرفض أو التردد . . . وانتقل موقفه الى تأييد الوحدة الشاملة وليس الاتحاد الفيدرالي وذلك حتى تتجمع كل خيوط لدولة الجديدة في يده وتحته قيادته .

وصل جمال عبد الناصر الى هذه النتيجة بعد دراسة وافية للتقارير التي رفعت اليه .

« الفروق كبيرة والواقع مختلف ، وقبول الوحدة محفوف بالخطر ، والنصيحة هي التأجيل » هكذا كتب شعراوي جمعة وأمين هويدى وكيل المخابرات العامة فى ذلك الوقت بعد زيارة امتدت شهرا طافا فيها أرجاء سوريا كلها .

ولكن عبد اللطيف البغدادى يقول (اضطررنا للاستجابة تقاضيا لنفوذ الشيوعيين المتزايد فى سوريا) .

كان تردد جمال عبد الناصر نابعا من :

- عدم وجود حدود مشتركة .
- اختلاف التجارب السياسية والاقتصادية .
- طبيعة الجيش السورى ورسوم ظاهرة الانقلابات فيه .
- تهديدات الغرب التى لا تقبل قيام دولة وحدة عربية مناهضة للامبريالية .

وكان قبول جمال عبد الناصر نابعا أيضا من :

- التيار الشعبى الشديد المؤيد للوحدة فى سوريا .
- اجماع العسكريين السوريين على الوحدة وقبولهم قيادة جمال عبد الناصر بلا تردد .
- الخوف من انتشار الشيوعية فى سوريا ومصر .
- الطموح الى ظهور أول تحقيق عملي للقومية العربية ممثلا فى أول دولة للوحدة .

فى حديث مع الصحفي الفرنسى بنوا ميشان على احتمال قيام اتحاد بين مصر وسوريا قال جمال عبد الناصر :

- هذا ليس محتملا . . . انه أكيد .

ـ متى ؟

ـ ربما خلال ١٩٥٨ وربما بعدها .. التقرير ليس لي .

ـ كيف لا يعود لك ؟

ـ لأن القضية ليست ضم بلد الى بلد ، انها قضية اندماج والأمر لم يتضح بعد .. سننتظر رغبة السوريين .. أنا لست فاتحا .. أنا كما تقولون بالفرنسية « مغنطيس » .

كان السوريون قد حضروا فعلا يطلبون الوحدة .

ولكن ..

كان هناك شرطان لجمال عبد الناصر .

الأول : إبعاد الجيش عن السياسة سواء في مصر أو سوريا .

الثاني : تكوين قيادة سياسية واحدة .

ويؤكد صلاح البيطار أن جمال عبد الناصر في البداية كان موافقا على استمرار حزب البعث باعتباره تنظيما قائما .

ولكن تطورات الأمور انتهت الى ضرورة الغاء كافة الأحزاب والقوى السياسية ، عدا الاتحاد القومي الذي بدأ تشكيله مع الوحدة في سوريا أيضا وذلك نتيجة لمعارضة بعض الضباط والسياسيين السوريين .

وخلال وجود الضباط السوريين وصلاح البيطار تشكلت لجنة لبحث شئون الوحدة من صلاح البيطار وعلى صبرى وعفيف البرزى وعبد الحميد السراج وأكرم ديري وأحمد جنيدي وعبد الغنى قنوت ومحمد فهمي السيد .

عاد الضباط السوريون الى دمشق ، وحضر الى القاهرة شكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورية ، وصبرى العسلى رئيس الوزراء وأكرم الحوراني رئيس المجلس النيابى السورى ، وعدد من الوزراء حيث عقدوا عدة اجتماعات فى قصر القبة مع جمال عبد الناصر وعبد اللطيف البغدادى وعبد الحكيم عامر وزكريا محى الدين وانتهى الأمر الى توقيع ميثاق فى أول فبراير ينص على توحيد مصر وسوريا فى دولة واحدة اسمها الجمهورية العربية المتحدة يتولى السلطة فيها رئيس الدولة يعاونه وزراء يعينهم ، ويكونون مسئولين أمامه ، كما يتولى السلطة التشريعية مجلس تشريعى واحد ، ويكون للجمهورية علم واحد وجيش وشعب يتساوى أبناؤه فى الحقوق والواجبات .

الفصل الثانى

اعلان الوحدة

(تحليل الوضع فى العالم العربى
على اساس الماركسية اللينينية
يؤدى حتما الى اعتناق شعار
الوحدة العربية)
خالد بكداش

تقرر أن يلقي جمال عبد الناصر وشكري القوتلى بيانين أمام مجلس
الأمة المصرية ومجلس النواب السورى لشرح أسس الوحدة على أن يتم
الاستفتاء عليها خلال ثلاثين يوما . . وقد كتب البيانين صلاح البيطار
وفتحى رضوان وعفيف البزرى .

ولذا أسرع الملك سعود بمحاولة وقف الوحدة قبل اتمامها وهدمها
قبل اعلانها والاستفتاء عليها ، واتصل الملك سعود بعبد الحميد السراج
يفريه بأى مبلغ يطلبه ليمنع الاستفتاء على الوحدة .

ولم يكن هذا هو الاتصال الأول فى محاولة اقامة نظام موال للغرب .

اتصل يوسف يس مستشار الملك سعود بالرئيس شكري القوتلى
يعرض عليه اقامة حلف اسلامى والابتعاد عن الاتحاد السوفيتى . وكان

القوتلى على علاقة طيبة مع السعوديين وخاصة فى فترة ابتعاده عن رئاسة الجمهورية .

لم يستجب القوتلى لذلك فقد كان الأمر أقوى من الرغبة الشخصية ، و تيار التحول الوطنى الجارف . كان يلتقى مع الدول الاشتراكية فى سائر واحد ٠٠ وسوريا كانت قد عقدت - بعد مصر - صفقة من الأسلحة السوفيتية فى ربيع ١٩٥٦ ووقف الاتحاد السوفيتى الى جانبها وقفة حازمة أثناء الحشود التركية على حدودها .

وبعد عرض يوسف يس اتصل المالحق العسكرى الأمريكى . بعبد الحميد السراج وأبلغه أن حكومة الولايات المتحدة قد زهقت من الأحزاب .

وربط السراج هذه الخيوط ببعضها البعض وعندما أبلغ صلاح البيطار بذلك نصحه بمقابلة جمال عبد الناصر فسافر الى مصر فى خريف ١٩٥٥ .

ومع ذلك لم يصدق جمال عبد الناصر فى البداية محاولة الملك سعود . الأخيرة التى علم بها عن طريق تقرير حمله رسول خاص من السراج وصل الى القاهرة يوم توقيع شكرى القوتلى وعبد الناصر على بيان الوحدة . كان الملك سعود قد كتب شيكا لعبد الحميد السراج رقم ٨٥٩٠٢ مسحوباً على البنك العربى بالرياض . بتاريخ ٢٠ فبراير ١٩٥٨ بمبلغ مليون جنيه استرلينى .

وطلب عبد الناصر من السراج صرف المبلغ فعلا فصره ووضع فى البنك العربى بدمشق وصرف شيكين آخرين رقم ٨٥٩٠٣ بمبلغ ٧٠٠ ألف جنيه استرلينى ، ٨٥٩٠٤ بمبلغ ٢٠٠ ألف استرلينى .

وكانت فضيحة للنظام السعودى المتأمر بالمال .

محاولة لم تمنع الاستفتاء . ولم تمنع الوحدة .

تم الاستفتاء يوم الجمعة ٢١ فبراير ١٩٥٨ على الوحدة وعلى رئيس الجمهورية . وكانت النتيجة الموافقة بنسبة تتجاوز ٩٨٪ على الوحدة . وعلى انتخاب جمال عبد الناصر رئيسا . وأصبح شكرى القوتلى المواطن الأول .

وزار جمال عبد الناصر سوريا يوم ٢٤ فبراير لأول مرة ، وكان استقباله فيها تعبيرا قويا عن الزيادة الشعبية الجارفة نحو الوحدة .

ولم يكن خالد بكداش سيكرتير الحزب الشيوعي موجودا بدمشق عند زيارة عبد لناصر لها .. كان قد غادر سوريا بعد جلسة مجلس النواب السوري التي عرض فيها مشروع الوحدة ، والذي وجسه الشيوعيون فيه تناقرا شديدا مع أفكارهم ومعتقداتهم عن الوحدة .

قال لي خالد بكداش ميجيبا على تساؤل عن موقف الحزب الشيوعي بالسوري من قضية الوحدة :

— لقد أبدى حزبنا منذ زمن طويل رأيه بأن شعار الوحدة العربية ليس وليد نشاط أو دعاية حزب من الأحزاب .. بل هو منبثق من انواق الموضوعي للبلدان العربية ، فتحليل الوضع في العالم العربي على أساس الماركسية اللينينية يؤدي حتما الى اعتناق شعار الوحدة العربية .. فهو إذن شعار تمليه علينا مبادئنا نفسها .. وكل ادعاء آخر حول موقفنا نحن الشيوعيين من الوحدة العربية هو كلام باطل .

ويمكن تلخيص رأى الشيوعيين السوريين في قضية الوحدة بما قاله لي خالد بكداش أيضا :

— لقد دعونا دائما الى أن تؤخذ في كل مشروع أو سعي الى الوحدة الظروف الموضوعية في كل بلد عربي بعين الاعتبار .. ولا نزال عند رأينا . فحتى بعد ازالة الاقطاعية والبرجوازية الكبيرة من الحكم تبقى لكل بلد ظروفه الموضوعية وان تغير محتواها ، أو طرأ عليه بعض التعديل من الناحية الاقتصادية والاجتماعية ... وعلى كل حال يجب التمهيد للوحدة العربية لاقامة علاقات اجتماعية أخوية بين البلدان العربية المتحررة تخلق جوا من الثقة المتبادلة التي يجب أن تتعاطم خلال التعاون السياسي والثقافي والاقتصادي .

اتمام الوحدة بين مصر وسوريا تم في عجلة شديدة تحت ضغط العسكريين السوريين المدفوعين بالروح الوندوية والذين تأثر بعضهم بمعتقدات حزب البعث والذين اتفقت آراؤهم مع اختلاف وجهات أنظارهم على أن الوحدة فيها تحقيق لهدف تتطلع اليه الجماهير .

وفي فترة الاتفاق على الوحدة كانت مصر وسوريا تعيشان في ظل النظام الرأسمالي مع فوارق محدودة .

ولم تكن مصر قد تجاوزت مرحلة الحيرة والبحث عن الطريق الجديد ، ولم تكن قد لجأت الى أية اجراءات تحد من النمو الرأسمالي . كل الاجراءات التي اتخذت حتى ذلك الوقت كانت تمصير الشركات الانجليزية والفرنسية والتركسية .

كانت الاشتراكية الديمقراطية التعاونية هي شعار المرفوع ،
وكانت المصالحة الاجتماعية وحشد كل الطبقات في تنظيم الاتحاد القومي
هي الوسيلة السائدة .

ومع ذلك لم توظف البرجوازية المصرية أموالها في التصنيع لما لمسته
من تصميم العسكريين على احتكار السلطة وتوجيهها ووضعها تحت
وصايتهم . . وذلك بعد انشاء وزارة الصناعة ومجلس التخطيط الأعلى
والمؤسسة الاقتصادية ولجنة التخطيط القومي .

كان هناك تهيب فرضته طبيعة السلطة حال دون انطلاق البرجوازية
المصرية في التصنيع والاستثمار .

أما في سوريا فإن فرص البرجوازية كانت متاحة ومطلقة الى ابد
الحدود . . . والأحزاب الحاكمة (الشعب والوطني) لم يكن التفسير
الاجتماعي واراد في برامجها . . وحزب البعث رغم زيادة نفوذه وتولى
قادته بعض المراكز الرئيسية في الدولة (رئاسة المجلس النيابي ووزارة
الخارجية) الا أنه كان بعيدا عن النفوذ الحقيقي القادر على توجيه السلطة .

تمت الوحدة في وقت كانت البرجوازية المصرية فيه تميل الى
الانكماش . . بينما البرجوازية السورية لم تعرف بعد أية قيود .

والنظرة الى الواقع الاجتماعي في مصر وسوريا كانت تشير الى
العراقة النسبية للبرجوازية المصرية وقدرتها العالية على التصنيع والتي
وصلت مع طلعت حرب وبنك مصر الى مستوى اقتصادي لم تصل اليه
البرجوازية السورية .

الامكانيات المتاحة للبرجوازية المصرية من الأموال والسوق والخبرة
كانت أكثر توافرا ، ولكن البرجوازية السورية وجدت في الوحدة فرصة
للتسلسل في سوق كبير . . حيث أعطيت تسهيلات كبيرة في العمل
بمصر ، وانتهزت فرصة إلغاء الجمارك وتحديد سعر تشجيعي للعملة
« الجنيه المصري والليرة السورية » وغزت أسواق القاهرة بمنتجاتها
وزاحمت بذلك البرجوازية المصرية . . والغريب أن مجموعة من أصحاب
المصانع العاملين في مصر قد توجهوا الى الدكتور عبد المنعم القيسوني
مطالبين بتكافؤ الفرص في التعامل والحصول على التسهيلات الممنوحة
للبرجوازية السورية النشطة .

وتبين للدكتور عبد المنعم القيسوني أن المعارضين والمطالبين بحقوق
متساوية هم من العائلات السورية التي بدأت نشاطها الصناعي في مصر
قبل الثورة مثل سماقية والشوربجي وقباني .

وأخذ الدكتور القيسوني الموضوع في استخفاف وقال لهم (أنتم سوريين في بعض) ولكن الواقع أن الفرصة التي أتاحت لنشاط البرجوازية السورية كانت دافعا لها على التسلل الى مصر بينما لم تتجه البرجوازية المصرية الى أى نشاط في سوريا .

ومع ذلك فإن مستوى دخل الفرد في سوريا كان مرتفعا عن مستوى دخله في مصر ، كان مرتب خريج الجامعة في سوريا يصل الى حوالى ضعف مرتب زميله الخريج في مصر . . . ولذلك كانت الفروق الاجتماعية في سوريا أقل حدة وأقل وضوحا عنها في مصر .

وهيوم السلطة الثورية في مصر من ناحية التغير الاجتماعى كانت تؤثر في حركتها وفي قراراتها . . بينما لم تكن هذه قد استولت على أحد بعد في سوريا .

منهاج الوحدة ترك للدستور الذى فوض جمال عبد الناصر لوضعه ، وكان البعث يرى في عبد الناصر الزعيم الذى نقل الوحدة العربية من الفكرة النظرية الى الواقع التطبيقى .

ولذلك قبل حزب البعث أن يحل نفسه تنظيما في سوريا ، وكان هذا أمرا جديدا في تاريخه . . . اذ لم تكن تمضى سبع سنوات على دمج وتأسيس الحزب حقق فيها انتصارات وضحة في مجال السياسة الداخلية حتى جابه موقفا يفرض عليه انتهاء وضعه التنظيمى .

قال لى أكرم الحوراني ردا على سؤال عن الأسباب التى دفعته الى التضحية بالكيان التنظيمى لحزب البعث ، أنه وزملاءه قد قبلوا حل الحزب في سوريا لثقتهم الشديدة بعبد الناصر واقتناعهم بأن خطوة الوحدة ائمن من أن تنهض أمامها أية عراقيل .

ولم يقبل الحزب الشيوعى السورى مبدأ حل التنظيمات وهو الذى يتحرك سرىا بواجهة علنية . . وسافر خالد بكداش الى الخارج فور اقرار الوحدة تحاشيا لصدام مباشر مع السلطة الجديدة وتمسكا بتنظيم الحزب ودوره .

وكان قد سبق له أن سافر في فترة انقلاب حسنى الزعيم .

الوزارة الجديدة للجمهورية العربية المتحدة التى شكلت يوم ٦ مارس ١٩٥٨ ضمت أربعة نواب لرئيس الجمهورية : مصريان هما عبد اللطيف البغدادى وعبد الحكيم عامر وسوريان هما أكرم الحوراني وصبرى العسلى .

بعض الوزارات كانت واحدة للاقليمين (الشمالي والجنوبي)
أو سوريا ومصر كما اعتاد المسؤولون وأجهزة الاعلام أن يلقوا عليها ..
مثل وزارة الداخلية التي تولاهما زكريا محي الدين والخارجية كمال الدين
حسين والارشاد القومي فتحى رضوان والأوقاف أحمد حسن الباقسورى
والخارجية (دكتور محمود فوزى) والصناعة (عزيزى صدقى) .

هذا الى جانب وزارة الحربية التي تولاهما (عبد الحكيم عامر)
وجميعهم من المصريين .

بقية الوزارات وزعت على الاقليمين ودخل الوزارة للمرة الاولى
اربعة من العسكريين السوريين .. عبد الحميد السراج للداخلية تحت
اشراف زكريا محي الدين ، ومصطفى حمدون للشئون الاجتماعية ،
وأحمد عبد الكريم للشئون البلدية والقروية وأمين النافورى للمواصلات .

كانت وزارة الوحدة بداية لعهد جديد تغيرت فيه سبع وزارات
خلال أربع سنوات بالتحديد منذ خروج الشيشكلي .

وهكذا منذ الوزارة الأولى للوحدة بدأ العسكريون السوريون الذين
كانوا بعيدين عن السلطة التنفيذية وعن مناصب الوزراء حتى ذلك الوقت
يدخلون الى قمة السلطة .

أصبح الموقف في سوريا امتدادا للموقف في مصر .. اختيار
العسكريين لممارسة أعمال سياسية وإدارية ليسوا مؤهلين لها .. وما اظن
أن ضباط الجيش كانوا أقدر من يتولى مسئولية الشئون الاجتماعية
أو الشئون البلدية أو المواصلات أو غيرها .

والضباط الذين دعوا للوحدة وتحمسوا لها من مواقعهم السياسية
المختلفة ، كانوا أشد حرصا على تحقيقها كهدف وطني أكثر من حرصهم
أو تطلعهم الى المناصب الوزارية .

ولكن أسلوب اختيار الطريق الأسهل والاعتماد الرئيسى على
الضباط فى تسيير المجتمع هو الذى أدى الى سلوك هذا السبيل .

وعندما يفرغ المجتمع من التنظيمات السياسية وتلقى الأحزاب ،
يصعب تكوين الكادر السياسى القادر على القيادة ، ويصبح الاعتماد على
العسكريين هو الطريق الأسهل . وما دام بعض العسكريين قد وصل الى
منصب الوزارة فلا بد من إرضاء الآخرين .. وأعد عبد الحكيم عامر نشرة
عسكرية يرقى فيها الضباط ، أعضاء المجلس الثورى السورى الذين لم

يعينوا وزراء ، ترقية استثنائية الى رتبة عميد مثل (اكرم ديري وطعمة
العودة الله وأحمد جنيدي، وجادو عز الدين وعبد الغنى قنوت وغيرهم) ..
ولكن الضباط أقنعوا عبد الحكيم عامر بعدم ضرورة ذلك .

وتضمنت النشرة أيضا تسريح ٩٤ ضابطا سوريا .

وهكذا سرت علوى التخلص من الضباط غير الموالين .

والولاء مسألة نسبية تتغير تبعاً للظروف وتتحدد تبعاً للحركة
السياسية .. كان حزب البعث - كما يقول اكرم ديري - وراء تحديد
أسماء هؤلاء الضباط الذين تقرر تسريحهم . وكان مصطفى حمدون قد
أعده كشفاً للتسريحات يتخلص فيه من الضباط غير البعثيين ويقسم
الضباط الى كتل شيوعية وإخوان مسلمين وشوام وحليبيين وعلويين .

كانت قد تشكلت لجنة ضباط للجيش الأول (تعبيرا عن الجيش
السوري) من ضباط سوريين ومعهم العميد عبد المحسن أبو النور حيث
كان يعمل معاونا لقائد الجيوش بعد أن كان ملحقا عسكريا لمصر في
سوريا .

وحدث صدام بين عبد الحكيم عامر وعفيف البرزى قائد الجيش
الأول السوري عندما اعترض المشير على نشرة تنقلات للضباط بناء على
تقرير رفعه عبد المحسن أبو النور وقال فيه أن النشرة تضع ٢٠ ضابطا
شيوعيا في أماكن قيادية .

لم يكن الأمر صحيحا على إطلاقه ، فلم يكن هناك ٢٠ ضابطا شيوعيا
في سوريا ممن يمكن أن يعينوا في مراكز قيادية كما كتب محمد حسنين
هيكل في جريدة الأهرام .. ولكن القضية كانت تتلخص في رغبة ضباط
البعث - وهم منتشرون في الجيش - في أهمية التواجد في المراكز القيادية،
وتكمن أيضا في رغبة مندوب القيادة المصرية في أن يكون متواجدا عند
كل قرار ذي دور نافذ في التوجيه .

رفض عفيف البرزى أى تغيير في نشرة التنقلات واحتج على المشير
غاضبا .. ولكنه فوجيء في صباح اليوم التالي بخبر تعيينه مستشارا في
شئون التخطيط مكتوبا في الصفحات الأولى .. واستقبله عبد الناصر في
محاولة لترضيته ولكن الطعنة كانت أقوى من أن تبرا بكلمات فقد تركت
أثرا في تصرفاته دفعته في النهاية الى الخروج من سوريا والذهاب الى
العراق بعد ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨ .

ثورة يوليو ١٩٥٨ - ٧٢٢

أمكن التغلب ، إذن ، على قيادة الجيش ذات الميول اليسارية وأصبح
البعث بحكم كونه التنظيم الوحيد المتواجد داخل صفوف الجيش ،
صاحب تأثير فعال في تحريك الأمور .

وكانت ثورة العراق التي انفجرت بعد خمسة شهور من الوحدة
وأطاحت نهائيا بالعرش الهاشمي ذات تأثير كبير على الموقف في سوريا
ودفعت الى الحذر من نمو الأفكار الاشتراكية الحقيقية ، وخاصة بعد أن
لعب الحزب الشيوعي العراقي دورا عظيما في الحياة السياسية العراقية .

وقد تفاقمت هذه الحساسية ونمت خلال تقارير أجهزة الأمن وانتهت
الى اعتقال الشيوعيين السوريين في خريف ١٩٥٨ .

ولم يقف تأثير الموقف في العراق عند هذا الحد ، ولكنه تجاوزه الى
ما كشفت عنه محاكمات بغداد من أن صبري العسلي نائب رئيس الجمهورية
العربية المتحدة كان قد تقاضى مبلغ ١٥٠٠٠ جنيه من حكومة نوري
السعيد .

نشر صبري العسلي بيانا قال فيه أنه قبض المبلغ عام ١٩٥٤ (وفي
ظروف مقاومة حكم أديب الشيشكلي وتدبير الثورة ضده) وتقدم الى
جمال عبد الناصر يطلب اعفائه من منصبه حتى تنتهي اللجنة التي شكلت
لدراسة وثائق حلف بغداد من مهمتها .

وتشكلت حكومة جديدة ذات ثلاثة مجالس في أكتوبر ١٩٥٨ .
حكومة مركزية في القاهرة تضم ٣ نواب لرئيس الجمهورية هم عبد اللطيف
البغدادى وعبد الحكيم عامر وأكرم الحوراني . وعدد الضباط فيها ١٢ من
مجموع أعضائها ٢٤ - ومجلس تنفيذي في سوريا يرأسه نور الدين
كحالة وهو غير بعثي وتضم ٦ ضباط من مجموع أعضائها ١٤ . ومجلس
تنفيذي في مصر يرأسه الدكتور نور الدين طراف ويضم ٥ ضباط من
مجموع أعضائها ١٥ .

زاد عدد أعضاء الضباط السوريين في المناصب الوزارية ، وانتهى
تواجد الأحزاب السورية القديمة ، ولم يقبض البعث على السلطة
الحقيقية .

كان حل الحزب قد تم من الوجهة القانونية والتنظيمية فعلا ولكن
زمانة الماضي كانت تجمع بين الأعضاء السابقين للحزب مما دفع عبد الحميد
السراج وزير الداخلية الى ملاحقتهم ، واشتكي صلاح البيطار الى
جمال عبد الناصر فاستلحق السراج من دمشق وعقدوا اجتماعا ثلاثيا
لتصفية الخلافات والحساسيات .

ولكن الأمور لم تمض كما تخيل قادة حزب البعث عند اعلان الوحدة .

كان هو الحزب الوحيد المؤهل من وجهة نظره للمشاركة الفعليه في السلطة ، فهو صاحب الانقلاب الذى أطاح بالشيشكل ، وهو صاحب الأغلبية في المجلس الثورى للضباط ، وهو الحزب الذى يرفع الوحدة العربية شعارا يتحمس لها ويعمل من أجلها .

وقد نجح خلال شهور الوحدة الاولى في اراحة عفيف البزرى من قيادة الجيش وتولى بعض المناصب الوزارية .

المناصب الوزارية لم تكن جديدة على أعضاء الحزب . . فصلاح البيطار مثالا كان وزيرا للخارجية وأكرم الحوراني كان رئيسا لمجلس الشعب .

وجهات نظر . . وخلافات

ولكن أعضاء الحكومة المركزية الذين كان لهم نظراء في الاقليمين لم تكن لهم سلطة عملية تنفيذية ، وقد اشتكى من ذلك أكرم الحوراني نائب رئيس الجمهورية ووزير العدل ، وصلاح البيطار وزير الثقافة والارشاد ، وكانت الوزارة المركزية قد احتلت مبنى فسدق (هليوبوليس بالاس) الكبير في ضاحية مصر الجديدة بعيدا عن مكاتب العمل للوزارات المختلفة .

وفي لقاء مع جمال عبد الناصر اقترح أكرم الحوراني تشكيل قيادة سياسية للجمهورية العربية المتحدة من ثلاثة سوريين رشح لها ميشيل عفلق وصلاح البيطار وهو ، وثلاثة مصريين ويختارهم جمال عبد الناصر على أن تكون قيادة غير معلنة .

كانت هناك لجنة قد شكلت برئاسة عبد اللطيف البغدادى وعضوية زكريا محيي الدين وأكرم الحوراني لقيادة سوريا ، ولكنها ظلت لا تعمل لانها كانت بلا سلطات .

استهدف أكرم الحوراني من ذلك خلق شعور بالمشاركة الفعالة في مركز السلطة واتاحة فرصة عودة النبض لتنظيمات حزب البعث . . ولكن جمال عبد الناصر الذى كان ينفرد بالحكم والتوجيه في قمة السلطة رفض هذا التشكيل غير المعلن الذى يفرض نوعا من المشاركة غير المرغوب فيها .

وكان حزب البعث نفسه قد أسهم في اطلاق يد جمال عبد الناصر في تشكيل مجلس الأمة بناء على التفويض الممنوح له في المادة ١٣ من الدستور المؤقت للجمهورية العربية المتحدة الصادر في أبريل ١٩٥٨ .

ولم يتم تشكيل المجلس خلال الشهور الأولى للوحدة .

رفض اقتراح القيادة السياسية غير المعلنة الذي تقدم به أكرم الحوراني بذور الخلاف المستمر بين القيادة ممثلة في جمال عبد الناصر وبين حزب البعث . . وتجسدت الخلافات في عدة نقاط رئيسية :

أولا : عضوية الاتحاد القومي . .

كانت العضوية مفتوحة للجميع . وكان من رأى البعث أن تحرم العضوية على الرجعيين والعملاء .

ثانيا : تعيينات الضباط .

كانت تعيينات الضباط في المراكز القيادية الحساسة محل اعتراض الضباط البعثيين أو ذوي الميول البعثية . . ومثلا عندما صدر قرار بتعيين المقدم عبد الكريم النحلاوي في ادارة كاتم أسرار الجيش الأول اعترض على ذلك مصطفى حمدون وكان وزير الاصلاح الزراعي . ولكن عبد المحسن أبو النور قال للمشير عامر أنه ليس حزبيا ، ومتدين . . وكانت هذه هي الصفات التي تعتبر جواز مرور للمراكز القيادية .

ثالثا : تحويل مجرى نهر الأردن .

اختلفت وجهات نظر جمال عبد الناصر وحزب البعث في هذه القضية اختلافا كبيرا .

كان البعث يرى ضرورة التصدي لاسرائيل ومنعها بقوة السلاح من تحويل مجرى النهر ، وخاصة أن الجيش السوري سبق له أن قام بذلك قبل الوحدة عام ١٩٥٣ ومنع اسرائيل فعلا من عملية التحويل التي تتم على بعد ٦ كيلوا مترات فقط من الحدود في المنطقة المجردة من السلاح . . . وكان جمال عبد الناصر يخشى أن يتحول الصدام المحدود الى حرب كبيرة ، كان يرى أن قواته المسلحة ليست مهيأة لها .

كان جمال عبد الناصر يفرق بين التصدي لاسرائيل اذا حاولت تحويل مجرى النهر ، وبالنسبة للمنطقة المجردة من السلاح كان الجيش الأول السوري عنده تعليمات صريحة بأن يقاوم بالقوة كل محاولة لتحويل مجرى نهر الأردن من المنطقة المجردة عند جسر بنات يعقوب . وهي

نفس المنطقة التي أطلق عليها الجيش السوري مدافعه عام ١٩٥٣
الأمر الذي جعل كبير المراقبين يتدخل ومجلس الأمن يقرر وقف أعمال
التحويل .

أما إذا حاولت إسرائيل تحويل مجرى النهر من داخل أراضيها فإن
الأمر عندئذ يختلف لأنه سوف يكون بعيدا عن المنطقة المجردة وهي حالة
لاتنطبق على اتفاقية الهدنة .

وتشكلت لجنة فرعية لبحث الموضوع وتقديم تقرير بذلك . . من
البغدادى والهورانى والبيطار وعلى صبرى والشرباصى وأحمد عبد الكريم
ومحمود رياض وصلاح الطرزي . . وعقد بعد ذلك اجتماع آخر للرئيس
ونواب الرئيس والوزراء . . وارتفعت فيه حرارة الجدل بين أكرم الحورانى
الذى تحدثت عن مشروع جونستون ووقوف سوريا ضده حتى رفض
نهائيا ، وبين جمال عبد الناصر الذى أراد أن يفرق بين إطلاق النار على
المنطقة المجردة وبين القيام بعمليات محدودة غير محسوبة بدقة ، كما طالب
الحورانى مؤيدا رأيه بأن مجلس الأمن سوف يتدخل ويمنع التحويل كما
حدث فى عام ١٩٥٣ .

قال لى صلاح البيطار أن حرارة المناقشات ارتفعت حتى اختلط
الحديث وأخذ طابعا اقليميا استفزازيا وخاصة عندما المص جمال عبد الناصر
الى احتمال ضرب دمشق بالطائرات ، وانبرى أمين النافورى مؤكدا أن
دمشق لم تهب أبدا قصف طائرات العدو وأنها مستعدة لتحمل كل
التضحيات . . وعندئذ قال عبد الناصر ، وحسب رواية صلاح البيطار
(والله يا أخ عبد الحكيم اذا كان البحث يجرى على هذا النحو فلتقم
قواتك بالهجوم على إسرائيل منذ الغد) .

انتهت الجلسة بعد مناقشات عاصفة لم يضع أثرها من النفوس .
ولاشك أن وقوع هذا الخلاف فى عام ١٩٥٩ وهو العام الذى ساد
فيه الخلاف بين الجمهورية العربية المتحدة وبين الاتحاد السوفيتي . .
أو بين جمال عبد الناصر وخروشوف شخصيا ، كان عاملا من العوامل
الهامة التى أثرت فى تقدير جمال عبد الناصر للموقف إذ أنه كان فى
وقت كانت فيه علاقاته مع الأصدقاء يشوبها التوتر ، وعلاقته مع الأعداء
لم تتحسن . .

وتجمعت هذه الخلافات لتظهر فى موقف ايجابى اتخذته مصطفى
حمدون . . الذى كان وزيرا للإصلاح الزراعي ، وكانت له وجهة نظر فى
أن الملاك لا يجوز لهم تحديد أرضهم المطبق عليها القانون فى أكثر من

موقعين وهي بحد أقصى ٤٠٠٠ دونم سورى ، ويقول مصطفى حمدون أن جمال عبد الناصر كان يؤيد فى رأى بينما كان عامر وزكريا محيى الدين يعارضان رايه .

وأعطى مصطفى حمدون تصريحاً لوكالة أنباء الشرق الأوسط بوجهة نظره واعتبر عامر ذلك تحدياً له ، فسافر الى القاهرة وغاب أسبوعاً ثم عساده الى دمشق لينشر فى جريدة الأيام أن لجنة برئاسة مصطفى حمدون وعضوية ٣ وزراء سوف تناقش مشاكل الإصلاح الزراعى .

اعتبر ذلك حمدون إهانة له ، وأصر على تقديم استقالته ، فقال له المشير عامر ان الاستقالة تعنى مؤامرة على الوحدة .

كان المشير قد عين نائباً وحيداً لرئيس الجمهورية فى سوريا بصلاحيات الرئيس فى أكتوبر ١٩٥٩ .

ولم يستقل مصطفى حمدون وحده . . وانما استقال عبد الغنى قنوت أيضاً .

• واستدعاهما جمال عبد الناصر لمقابلته فى القاهرة .

• عندما حضر الاثنان لم يكن فى استقبالهما أحد فى مطار القاهرة .

ويقول مصطفى حمدون أنهما وقفا أمام ضابط الجوازات فى صف الركاب حتى تنبه لأنهما من الوزراء .

وليس معروفا ما اذا كانت القاهرة قد علمت بموعد حضورهما ، وما اذا كان الموقف متعمداً أو غير متعمد . ولكن الحساسية كانت قد تاججت فى النفوس .

وفى صباح يوم وصولهما كان أكرم الحوراني وصلاح البيطار قد أرسلوا أيضاً خطابات استقالتيهما لجمال عبد الناصر ، رغم أنهما كانا معا فى احتفالات الجلاء ببور سعيد ، وتناولوا الغداء معا فى القطار أثناء عودتهم . . . وكانت مفاجأة لعبد الناصر .

وجد أكرم الحوراني وصلاح البيطار أنه يجب اتخاذ موقف التضامن مع الزملاء العسكريين فى الحزب .

• ووجد جمال عبد الناصر أمامه استقالة جماعية من أربعة وزراء . . وبعد أن كان مصراً على رفض استقالة حمدون وقنوت . . . قرر أن يلتقى بالمستقيلين واحداً بعد الآخر . . . ويوما بعد يوم .

ودارت في المقابلات مناقشات عن الأوضاع ، أساسا حول الخلافات
التي أشرت إليها .

ثم انتهى الأمر بقبول استقالة الوزراء البعثيين الأربعة في ٣١
ديسمبر ١٩٥٩ .

يقول مصطفى حمدون أن اللقاء الأخير مع عبد الناصر كان جياشا
بالعواف التي دفعتهم الى البكاء .

وعاد الوزراء الى دمشق مواطنين عاديين . . . وكان طلبهم الأخير من
عبد الناصر أن يستدعيهم اليه اذا ما شوهت تقارير أجهزة الأمن
صورتهم لديه .

وهكذا انطوت صحيفة البعث في حياة الجمهورية العربية المتحدة . .
وتمزق الحلم الذي راود قادته وجماعته ، في أداء دور فعال لدعم دولة
الوحدة الأولى .

ويقتضى الموقف تفسير العلاقة بين البعث وبين القادة في مصر .

ليس من شك في أن البعث كان حزبا جماهيريا ، فرض نفسه على
الجماهير العربية مع الحرب العالمية الثانية ، عندما قدم أفكارا قومية
 واجتماعية أثارت الانتباه والاهتمام وجذبت طموح الناس الى حياة
أفضل .

وليس من شك أيضا في أن الحزب كان يمثل تيارا جديدا في الحياة
السياسية العربية يشق طريقه وسط أحزاب رجعية ثم ديكتاتوريات
عسكرية في ظروف كانت بالغة الصعوبة أحيانا .

ولكن حزب البعث كان يتبنى عقيدة كونه الحزب الوحيد المؤهل
لقيادة الأمة العربية . . . يرفض الأحزاب والأنظمة الحاكمة لأنها رجعية ،
ويرفض التيارات اليسارية والشيوعية بمنطق أنها تترتوي من تبع غير
عربي . . . وهو منطق لم تثبت الأيام صحته على مدى التجارب التاريخية .

هذه العقيدة جعلته يحاول فرض نفسه بها على الأمة العربية
وحده . . . ولكن فكرته لم تنتشر الا في المشرق العربي (سوريا والأردن
والعراق ولبنان) . . . وبقيت قيادته القومية بعيدة عن تمثيل شعب
مصر والسودان وشعوب المغرب العربي .

البعث والعسكريون المصريون :

لم يحدث اتصال حقيقي بين البعث وبين الشعب المصري . . . فقد
كانت هناك أحزاب وطنية تقود النضال الوطني مثل حزب الوفد ، وأحزاب

أخرى تبشر بأفكار اجتماعية تقدمية مثل الحزب الاشتراكي والوطني الجديد الى جانب التنظيمات الشيوعية التي استقطبت أنصار التقدم الاجتماعي .

لم تكن فرصة البعث سهلة في الوصول الى مصر لأن هذه الأحزاب المصرية سبقت تكوين البعث في أواخر الأربعينات كحزبين أو في أوائل الخمسينات كحزب موحد .

ويبدو أن تركيز قيادة البعث كان قاصرا على المشرق العربي . . . وأن أكرم الحوراني زار مصر للمرة الأولى ضمن الوفد البرلماني السوري الذي مهد للوحدة في ديسمبر ١٩٥٧ . . . ولم يفكر في الاقتراب سياسيا من العسكريين أو السياسيين المصريين الذين التقى بهم .

أول اتصال لأكرم الحوراني مع العسكريين المصريين كان في معسكر قطنة عام ١٩٤٨ مع اللواء صالح حرب الذي ذهب الى هناك لدراسة امكانيات المساهمة في حرب فلسطين .

ويقول أكرم الحوراني أن صالح حرب قد استلقت نظره بتقشفه ونومه على الأرض مثل العساكر في البرد القارس .

والتقى أكرم الحوراني أيضا بأحمد حسين زعيم مصر الفتاة في ذلك الوقت ولكنه لم يتناقش معه في فكرة التعاون السياسي ، ولذا فقد بقي البعث بعيدا في المشرق العربي لم تجذبه أحداث مصر كما جذبت أحداث العراق مثلا عندما قامت ثورة رشيد عالي الكيلاني وانضم اليها عدد من السوريين كان في مقدمتهم أكرم الحوراني أيضا والضباط توفيق شانيلا ومحمد صفا الذين سلكوا طريق الصحراء ، واستقبلوا في العراق استقبالا طيبا ، لأنهم كانوا قادرين على استخدام الأسلحة الفرنسية التي أمدتهم بها حكومة فيشي بناء على أوامر من ألمانيا النازية .

وبعد فشل ثورة رشيد عالي الكيلاني وعودتهم الى سوريا اعتقلتهم القوات الفرنسية في دير الزور مع بعض ضباط الجيش العراقي ثم نقلوا الى حلب حيث اطلق سراحهم بعد انهيار حكومة فيشي واقتربا البريطانيين .

ومضت حرب فلسطين أيضا دون أن تعقد صلة بين البعث ومصر . . . ويقبول أكرم الحوراني (ان فرصة العمر قد ضاعت لأننا لم نتصل بالضباط المصريين في الجنوب) وذلك لأن السوريين كانوا في الجليل . الصلة غائبة بين البعث والحركة الشعبية المصرية . . . وقد أيد الحزب ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ولكنه عارض خطواتها غير الديمقراطية في

ضرب الأحزاب الوطنية وقسوتها في محاكمات الإخوان ٠٠٠ وكان الحزب ينظر اليها نظراته الى اديب الشيشكلي ونظامه وخاصة بعد استقباله والترحيب به في القاهرة ٠ وكان أول لقاء بين ثورة يوليو والبعث بمبادرة مصرية من جمال عبد الناصر الذي أرسل كمال رفعت ولطفي وأكد للدول العربية خلال معركته ضد حلف بغداد ٠٠٠ وهناك تم أول لقاء بين قادة البعث ومندوبي قيادة مصر ، وكانوا من العسكريين ٠

بعد زيارة الحوراني الأولى لمصر تكررت زيارته وتعدد معارفه ونشطت محاولاته للتأثير في الحياة السياسية المصرية ٠

وكان الحزب يكسو تفكيره دائما رداء قومي ٠٠٠ ولذا فانهم عندما فكروا في تقديم الاستقالة لم يرغبوا في أن تكون اقليمية الطابع بل أرادوا لها أن تكون قومية المظهر ٠٠٠ فاتصل ميشيل عفلق مع الصاغ داوود عويس من مكتب المشير عامر بمصر (وهو ضابط بهذا صاحب أفكار يسارية من المرشحين لقسم الضباط في الحركة الديمقراطية للثوار الوطني ثم مضى به التيار وحده) وقال داوود عويس لميشيل عفلق انه يمكن اقناع عباس رضوان وتوفيق عبد الفتاح بالاستقالة المشتركة ٠٠٠ ولكن هذا كان جيوحا وراء السراب ٠٠٠ فان العسكريين المصريين ما كانوا ليقبلوا من أجل البعث أولا ، وليس من أسلوبهم الاستقالة ثانيا ، فقد كان لهم طبيعة الموظفين أكثر من طبيعة الثوريين ٠

وانتهت المرحلة التي عبر عنها الكاتب محمد عودة ، بقوله « أن هناك حزبا يحتاج الى قائد ، وقائدا يحتاج الى حزب » وكما صدرت نشرات فصل بعض الضباط من الجيش بتهمة الشيوعية ، بدأت تظهر نشرات فصل بتهمة الانتماء لحزب البعث ٠

الضباط المصريون :

العجلة تدور ٠٠٠ والأحزاب مرفوضة ٠٠٠ وسلطة الجيش هي الوحيدة التي تشكل مصدر الخطر ٠

الاتحاد القومي تنظيم من ورق ٠

الضباط المصريون يتولون مناصب قيادية في الجيش السوري ٠٠٠ اللواء أنور القاضي رئيسا لأركان حرب الجيش ، والعنيد أحمد علوي كاتم أسرار الجيش ، والعنيد أحمد زكي عبد الحميد مسئولاً عن التنظيم والإدارة ٠

لم يكن تعيين الضباط المصريين في الجيش السوري خطأ من ناحية المبدأ فهم مؤهلون لذلك عسكريا ولهم زملاء من الجيش السوري درسوا

معهم في كلية أركان الحرب بالقاهرة قبل الوحدة مثل مصطفى حمدون وعبد الفتى قنوت وأحمد عبد الكريم وغيرهم كثيرون .

والمفروض أن تندرج الوحدة حتى يتم الدمج .

ولكن حركة تنقلات الضباط المصريين أضعفت من ثقة زملائهم السوريين بهم ، فبعد أن كان الانتداب إلى سوريا قاصرا على أصحاب الكفاءات تجاوز ذلك بعد الوحدة إلى الوساطة كمساعدة مادية لظروف الزواج أو عذر مالي مما جعل بعض الضباط من رتبة الملازم ثان ينقلون إلى سوريا .

وكانت هذه التنقلات سواء من سوريا إلى مصر أو من مصر إلى سوريا تكلف الكثير .

قال لي أحمد كامل رئيس المخابرات السابق وقائد وحدة مدفعية مضادة للطائرات في حلب عام ١٩٥٩ أن الرائد المصري في سوريا كان يحصل على ١٥٠٠ ليرة شهريا كبديل سفر والرائد السوري في مصر يحصل على مرتب ٢٠٠ جنيه شهريا . وبدأ بعض الضباط المصريين يتمركزون في مراكز القيادة وتطعم وحداتهم بضباط مصريين عبد المحسن أبو النور مثلاً أصبح نائب قائد الجيش الأول ومطلق الصلاحيات . وزاد من شعور الجلاء للضباط المصريين وضع علامات خاصة على عربات الضباط المصريين مما جعل حركتهم مرصودة في المجتمع .

وكذلك فإن أفراد عبد الحكيم عامر بالسلطة في سوريا إلى جانب عمله قائدا عاما للقوات المسلحة ووزيرا للحربية ، كان يشكل استمرارا للأسلوب القديم الذي يزداد الاعتماد فيه على الشخص كلما زاد قربيه من الزعيم ، وتأكلت ثقة الزعيم في ولاءه .

تتعدد مناصب الشخص بما يفوق طاقته ويتجاوز حدود قدراته دون النظر إلى انعكاس ذلك على المصلحة العامة .

طلب أحمد كامل مقابلة المشير غامر في نوفمبر ١٩٥٩ وشرح الأخطاء التي تشكل في مجموعها خطرا يهدد الوحدة واستمع المشير إليه ثم قال له (يبدو أن أعصابك مرهقة) وأصدر قرارا بتعيينه ملحقا عسكريا في باكستان .

وعبد الحكيم عامر بحكم طيبة شخصيته والتجارب التي مر بها تثبت أنه لم يكن عسكريا من الطراز القادر على أحداث تغيير ثوري في صفوف الجيش ، أحاط نفسه بعدد من الضباط الذين استمروا السلطة

والفساد وانتهزوا طيبته فولغوا فى الأموال العامة بلا حساب ، وانجرفوا نتيجة ذلك الى جانب بعيد عن الحس الشعبى الصحيح ، وقريب من الحياة الناعمة الالهية التى يسهل توافرها فى سوريا .

كأن انفراد عامر بالسلطة امتدادا لأسلوب تعيينه مشرفا على اللجنة الاقتصادية والسند العالى والطرق الصوفية كما حدث يوم ١٨ مارس ١٩٥٥ ، وامتدادا أيضا لتولى كمال الدين حسين فى نفس الفترة مسئولية تسعة مناصب فى وقت واحد .

الاعتماد على العسكريين هو الطريق الأسهل . . . وتركيز المناصب فى شخص واحد أسلوب لم يتغير .

القضية لم تكن فى تواجد الضباط المصريين فى الجيش السورى وانما كانت فى نوعية هؤلاء الضباط الذين كانت تدفعهم الظروف المحيطة دفعا الى الفساد والانحلال .

ليس هذا موقفا اخلاقيا . . . لأنه كانت له انعكاسات سياسية سهلت لبعض الضباط من ذوى الميول الرجعية والمحافظة فرصة التسرب للمراكز القيادية الحساسة تحت شعار بعدهم عن التنظيمات السياسية وأن بعضهم متدينون كما سبق أن قال عبد المحسن أبو النور للمشير عامر .

مطاردة البعث :

والعلاقة بين القيادة فى مصر وبين البعث لم تنته فى سلام .
تبادل الاتهامات مستمر .

أصبحت العناصر البعثية مطاردة ، تماما كما هو الحال مع العناصر الشيوعية التى مازالت خلف قضبان السجون والمعتقلات منذ خريف ١٩٥٨ .

عبد الحميد السراج وزير داخلية الاقليم السورى ينفرد بسلطة تكاد تكون مطلقة فى أعمال الأمن . . . ويرتكب بعض رجاله جرائم بشعة منكرة . . . أشدها هولاً واثماً قتل المناضل الشيوعى اللبنانى فرج الله الحلو واذابة جثته فى الحامض بعد اخراجها من القبر حتى لا تترك عليه أو على رجاله أثراً أو دليلاً .

الاعتقالات تلحق بعض البعثيين . . . والموقف الذى اتخذوه فى عدا الحزب الشيوعى ارتد عليهم .

لم يدركوا في هذه المرحلة طبيعة الحلفاء والأعداء ٠٠٠ ولم يعتقدوا:
أن تغيير المجتمع يحتاج الى جبهة تحالف من كل قوى وتنظيمات التقدم
التي تمثل البرجوازية الصغيرة والفلاحين والطبقة العاملة ٠٠٠

وإذا كان عبد الكريم النحلاوي قد وصل الى مركز قيادة الجيش
في مكنت المشير عامر ٠٠٠ فان مأمون الكزبري رئيس مجلس النواب في
عهد الشيشكلي ورئيس الجمهورية لمدة ٢٤ ساعة بعد هرب الشيشكلي
قد أصبح أميناً عاماً للاتحاد القومي في مدينة دمشق ٠

عبد الحميد السراج وزير الداخلية كان رجلاً وطنياً بلا نظرة
اجتماعية تستهدف تغيير المجتمع الى أفضل ٠٠٠ وكان قادراً على الاستماع
الى ديبب النمل كما كان الناس يقولون في سوريا ٠٠٠ ولكنه لم يستشعر
الخطر في الرجعية التي لعبت دور النفاق والمداينة والتربص ٠

وتغيرت الحكومة بعد خروج البعثيين بالاستقالة ٠٠ تولى
نور الدين كحالة رئاسة المجلس التنفيذي في سوريا ، ودخل عدد آخر
من الضباط السوريين في مناصب الوزراء (أحمد جنيدي للإصلاح الزراعي
وأكرم ديري للاقتصاد والعمل وجادو عز الدين وزير دولة وجمال الصوفي
وزيراً للتموين) ٠

القوات المسلحة مازالت مصدراً رئيسياً لتوريد الوزراء ٠

وبعد خروج البعث ، صدر قرار بتشكيل مجلس الأمة من ٤٠٠
عضو مصري ، ٢٠٠ عضو سوري ، وانتخب أنور السادات رئيساً له
ومحمد فؤاد جلال وكيلاً مصرياً ، وراتب الحسامي وكيلاً سورياً ٠٠٠
وعقدت الجلسة الأولى للمجلس عام ١٩٦٠ ٠

الانتماء للأحزاب غير موجود في المجلس ٠٠٠ النواب جميعاً أعضاء
في الاتحاد القومي الذي تتسع ساحته لكل الاتجاهات ٠

الشيوعيون والبعثيون لم يعمد لهم صوت في مؤسسات الدولة
الرسمية ٠٠٠ والمدافعون عن الوحدة والحرية والاشتراكية لجأوا الى
الاتصالات السرية ٠

الحزب الشيوعي ظل محتفظاً بقواعده السرية وأسلوب عمله الذي
اعتاد عليه في ظل فترات الضغط ٠

حزب البعث لم يشكل رسمياً من جديد ٠٠٠ ولكن لم تترقف
الاتصالات ٠٠

عبد الحميد السراج الذي كان ياورا لحسنى الزعيم ومقربا من الشيشكلي يقبض على الدولة بيد من حديد ٠٠٠ وعدد المعتقلين يزيده ٠

العسكريون أيضا يسيطرون على الاتحاد القومى ٠ ولجنته العليا فى سوريا كانت تضم عبد الحميد السراج وأكرم دبرى ٠

دخلت الحياة السياسية فى هذه الفترة من أى تنظيم سياسى قادر على ملء الفراغ ٠٠٠ ولكن قدرة جمال عبد الناصر على التأثير فى الجماهير ظلت قائمة ٠٠٠ عن طريق كلماته المباشرة ٠ عندما زار سوريا يوم ١٤ فبراير ١٩٦٠ بعد اقضاء البعث خطب ٢٣ خطبة فى ٢٣ يوما قضاهما هناك بمعدل خطبة فى اليوم فى اللاذقية والحسكة والقامشلى ودير الزور وحلب وحمص ودمشق وقطنة والشيخ مسكين ٠

كان جمال عبد الناصر يعرض وجهات نظره على الجماهير مباشرة ويعتمد على تأثير أجهزة الاعلام أكثر مما يعتمد على تنظيم الأحزاب ٠٠٠ ولذا كانت صلاته بالجماهير لا سلكية وليست سلكية ٠ الجماهير تنفض بعد الخطب ٠٠٠ ولا أحد يتابع الاتصال بها فى منابرة وإخلاص ٠

القوانين الاشتراكية :

واقترع جمال عبد الناصر بعد ذلك من الفئسرة التى شعر فيها بحصار البرجوازية التى لم تكتف بالاستقرار الذى هبأه لها الحكم العسكرى وانما أرادت المشاركة فى السلطة ووقف تدخل الدولة ٠

واستقر رأى جمال عبد الناصر على اصدار القوانين الاشتراكية كما أطلق عليها ٠

كان الاشتراكيون الحقيقيون مطاردين وفى السجون والمعتقلات ، ولكنه استدعى أكرم دبرى باعتباره وزيرا للاقتصاد وناقش معه تأميم الشركة الخماسية التى يبلغ رأس مالها ٣٠ مليون جنيه وأخذت من البنك المركزى ١٨ مليون جنيه وتسيطر على خمس الاقتصاد السورى ٠

كانت مفاجأة لأكرم دبرى ٠

الاشتراكية لم تكن مطروحة فى فترة الوحدة بطريقة عملية ، وكان الحديث لا يتجاوز حدود العدالة الاجتماعية ٠٠٠ أما شعار الاشتراكية الذى هو قراطية التعاونية فلم يكن له صدى مؤثر فى سورية ، وعندما لمس جمال عبد الناصر أن هناك تساؤلات من الوزراء السوريين ، طلب الى العسكريين منهم الاجتماع معه ومع المشير عبد الحكيم عامر ، وفى هذه الجلسة دارت المناقشات حرة ٠

اعترض عبد الحميد السراج على فكرة التأمين أصلا وتسأل البعض عما اذا كانت الظروف الراهنة هي أنسب الظروف لزيادة معسكر المعارضين .

وتسأل آخرون عن السبب في تحديد الحد الأقصى من الدخل صناعيا بمبلغ مليون ليرة سنويا بينما لم يحدد من ناحية الزراعة ، وقال جمال عبد الناصر (أنا كان عندي ١٠ - ١٢ مليونير أصبحوا حوالي ٣٠٠ - ٤٠٠ والبرجوازية في مصر اتسعت قاعدتها ولا بد من ضربها) .

وعقدت في فندق شبرد بالقاهرة جلسة امتدت ست ساعات بين الوزراء السوريين واستقروا فيها على تعديلات فيما يتعلق بقوانين التأمين صدرت بها دون تغيير .

ومع ذلك حدثت بعض المفارقات ٠٠٠ ففقد أعاد البنك المركزي مبلغ ٤ ملايين ليرة للبنك الصناعي بعد تأميمه حيث ثبت انها أموال المواطنين التي كانت تستثمر بـ ٤ في المائة .

ولم تستقبل البرجوازية السورية قرارات يوليو بالتقوقع والانكماش كما حدث في مصر ٠٠٠ فانها لم تتعرض لضربات الحنك العسكري كما حدث في ثورة يوليو ٠٠٠ ولم تفتح المعتقلات والسجون لرجال الأحزاب القديمة ، وانما فتحت لليسار من الشيوعيين ثم البعثيين .

كانت البرجوازية السورية أكثر نشاطا وتشعبا في حياة المجتمع ، وكان الاعتماد على التجار مصدرا رئيسيا من مصادر الرزق ٠٠٠ ونسبة التجارة تفوق نظائرها في مصر .

وخلال فترة الوحدة لم يصل الى سوريا تجار مصريون ولم تستثمر فيها أموال مصرية خاصة ٠٠٠ وعلى العكس من ذلك حدث تماما في مصر ٠٠ فقد هاجرت رؤوس أموال سورية كثيرة لتستثمر في مصر حيث السوق الاستهلاكي متوافرا ، وفتحت محلات تجارية كثيرة وانشئت شركات ومصانع خاصة .

عندما حاول بعض المصريين الفقراء بيع بعض المنتجات المصرية على الأرصفة في دمشق ثار التجار هناك وابلغوا المشير عامر الذي قرر ترحيلهم لمصر ، فاعتقلوا ووضعوا في السجن حتى تم ترحيلهم على طائرات حربية .

قانون ١١٧ للتأمين لم يؤمم في سوريا سوى ٣ شركات : البهاسية ، وشركة الأخشاب الاسمية ، وشركة الحرير في حلب ، وكان

الفارق كبير جدا بين عدد الشركات التي أميت في مصر ، وعدد الشركاء التي أميت في سوريا . ومع ذلك كان التيار المضاد للتأميم قويا في سوريا ، وكانت مشاكل أخرى كثيرة قد بدأت تظهر في طريق الوحدة .

بوادر ذلك ظهرت خلال رحلة عبد الناصر الى سوريا في عيد الوحدة الثالث ٢١ فبراير ١٩٦١ ، خطب في اللاذقية وهاجم الذين يعترضون على قرارات كانت قد صدرت بحظر خروج النقد من سوريا ، وحظر الاستيراد الا بشروط .

كان التيار المضاد لهذه القرارات قويا وواضحا ، فمعظم نشاط الحياة السورية يعتمد على التجار ٠٠٠ وحظر خروج النقد يتيح الفرصة للتهريب ، وقال جمال عبد الناصر في خطبته أنه يستهدف مضاعفة الدخل القومي في عشر سنوات ، وانه لن يتوقف عن تنفيذ ذلك (أما المضاربون والمهربون فلا دعوة لنا بهم) وكان ذلك بعدا عن الواقع ، فقد زادت المقاومة لهذه العملية ٠٠٠ وكانت قصة مدير الجمر السورى الذى تحداه تاجر لبنانى فى أن يشتري منه ثلاثة فى الصباح ليحدها فى منزله بدمشق بعد الظهر بلا قيد ولا جمر قصة حقيقية ومتداولة ٠٠٠ كما كان تصرف بعض الضباط يؤدى الى الاساءة الى العسكريين بتهريب بعض المواد والأجهزة فى طائرة المشير الشخصية مسألة معروفة يتندر بها الجميع فى سهراتهم الخاصة .

الحدود بين سوريا ولبنان تجعل تنفيذ هذه القوانين عملية بالغة الصعوبة وخاصة فى ظروف تتطاحن فيها أجهزة الأمن ، واعتماد بعض العسكريين فى قمة القيادة على الحياة الناعمة البعيدة عن القيم ، وخلال هذه الرحلة التى خطب فيها جمال عبد الناصر ١٠ مرات فى ١٢ يوما ، هاجم أنور السادات فى اللاذقية الذين أسماهم باسم أعداء الوحدة ، وناشد جمال عبد الناصر بالقضاء عليهم قائلا (اسحقهم يا جمال) .

الفصل الثالث

ماساة الانفصال

(اننى لا اسمح لك ان توجه
خطابا الى ، وفيما يتعلق بى فانى
اعتبرك متمردا وخائنا ، ولا يمكن
ان تكون لنا اية علاقة الا مع
الحكومة الشرعية للجمهورية العربية
المتحدة)

احمد سيكوتورى

زعيم شعبيا

ودا على خطاب الامون الكبرى

يطلب فيه الاعتراف بالوضع فى

سوريا بعد الانفصال

الموقف فى سوريا ينبىء بحدث ما . . . التناقضات تزيد فى كل
اتجاه بين النظام الحاكم والتنظيمات المعارضة من بعثيين وشيوعيين
فتحت لهم المعتقلات ، بين السلطة القائمة والبرجوازية التى زجت عليها
التأميمات . . . بين المشين عامر وعبد الحميد السراج والانسان نواب
الرئيس الجمهورية . . . بين العسكرين المصريين والعسكريين السوريين . .

ثورة يوليو ج ١ - ١٣٧٧

كانت هناك علامات تشير الى أن خطراً حقيقياً يهدد تجربة الوحدة .
ولكن الاجراءات التي اتخذت لم تكن كافية لازالة التناقضات . . . ولم
تتوافر القدرة على وضع حلول جذرية للمشاكل .

كانت الصورة معروفة عند جمال عبد الناصر .

قال لي أمين شاكرا أنه كان في زيارة لسوريا بصفتها رئيساً لجمعية
الامن القومي . . . وهناك سمع من الدكتور نور الدين حاطوم عن
تصرفات بعض الضباط فأبلغ ذلك للمشير عامر الموجود في دمشق ، فهاج
عليه وهدده بالضرب ، وأخرجته من مكتبه . . . فاستدعاه جمال
عبد الناصر وسمع منه ما قاله للمشير . . . وكان الصمت هو التعليق
الوحيد .

حسين عرفة مدير المباحث الجنائية العسكرية قال لي انه التقى
بأحد الضباط البعثيين في القاهرة الذي نبه لاحتمال حدوث انقلاب في
سوريا . . . وأسرع حسين عرفة فاتصل لاسلكياً بعلي شفيق في دمشق .
الذي أخذ الموضوع باستخفاف منكرًا قدرة أحد على الحركة ، ومنهيا
حديثه بسؤال حسين عرفة عما اذا كان يطلب شيئاً من دمشق ا

كل شيء كان متوافراً عنده على شفيق . . . وكان معروفًا أن عربات
رسمية تنقل كل شيء مطلوب وغير مطلوب من بيروت . . . وأن الطائرات
الحربية غالباً ما كانت تحمل شحنات خاصة من التلجيات والسخانات
وغيرها .

وكانت المخابرات العامة توضح الصورة أيضاً . . . وفي هذه
الفترة قُتل أمين هويدي أحد نواب مدير المخابرات الثلاثة (طلعت خيري
وشعراوي جبهة و أمين هويدي) استقالته وبقي في منزله ٦ شهور بلا عمل
أو ارتباط بالادارة .

ومكتب الاتصال المصري في دمشق استشعر الخطر قبل وقوعه ،
واتصل بهم ضابط سوري مجهول عن طريق مفتش وحدوى في وزارة
الداخلية السورية وأبلغهم أن هناك خطة مدبرة للانقلاب بتحريك القوات
من معسكر قطنة واعتقال المشير كرهينة لفرض ارادتهم وتنفيذ أغراضهم .

حمل العقيد محمود الحمزاوي ومعه الرائد أحمد رشدي من المباحث
العامة التقرير الى استراحة المشير حوالي منتصف الليل . . . وقابلهما
أحمد علوي وعلي شفيق وهما ضابطان من قيادة المشير وأظهرا استخفافاً
بما ورد في التقرير من معلومات . . . وكانت كل رغبتهما كامنّة في معرفة
اسم المصدر الذي رفض الحمزاوي أن يفصح عنه .

ودخل التقرير الى المشير وعياد وعليه تأشيرة تقبول (من هو المصدر) ١٩

المعلومات تتجمع بأن شيئاً ما في الأفق .

ولكن القدرة على مقاومة العاصفة كانت محدودة .

التناقضات الثانوية بين الأشخاص طغت على التناقض الرئيسي بين الوحدة وأعدائها .

وكان جمال عبد الناصر قد استشعر الخطر . . . وجمع الوزراء السوريين العسكريين في استراحته بالاسكندرية حيث صارحهم قائلاً انه لا يستطيع أن يترك الأحوال في الاقليم السوري تمضي على ما هي عليه . وقال لهم في هذه الجلسة صراحة ان تناقضات دعاء الوحدة وخلافاتهم تسبب له المتاعب أكثر مما يسبب له أعداء الوحدة .

وأعلن أيضاً أنه سيعيد تشكيل أجهزة الحكم ليكون له الإشراف الكامل على ما يحدث في سوريا .

ودخل شكل الحكم تجريبية جديدة يوم ٦ أغسطس ١٩٦١ ، أصبح هناك ٧ نواب لرئيس الجمهورية . . . عبد اللطيف الهفلاوي للتخطيط وعبد الحكيم عامر للحربية ، ونور الدين كجالة للإنتاج ، وذكرياً محيي الدين للمؤسسات العامة ، وحسين الشافعي للمؤسسات العامة أيضاً . وكمال الدين حسين للإدارة المحلية . وعبد الحميد السراج للداخلية . وشكلت وزارة واحدة مقرها القاهرة حيث يستقر الوزراء جميعاً .

نواب الرئيس جميعاً من العسكريين عدا نور الدين كجالة .

عبد الحكيم عامر استمر نائباً لرئيس الجمهورية مستنولاً عن سوريا . وعبد الحميد السراج غادر مكتبه في دمشق لأول مرة منذ الوحدة .

ولم يحقق هذا التغيير اثره المطلوب . . . بل بدأت تلاجه تناقضات جديدة . . . فقد كان الوزراء السوريون عموماً والعسكريون خصوصاً ضد هذا النوع من الحكم المركزي .

كانت اتجاهات تنفيذ لمجابهة مواقف شخصية . . . دون دراسة موضوعية . . . وكان ذلك نابعاً من الاعتماد على عناصر من العسكريين دون الاهتمام بتكوين جهاز دولة وجهاز سياسي سليم .

.. السحب تتكاثف والجو يبدو شديد العتامة ... وإخطاء التجربة
تكاد تعصف بها ... وأعداء الوحدة يجسمون التناقضات ويبدون
الخلافات .

أثاروا الشكوك حول الضباط المصريين في سوريا الذين بلغ عددهم
حوالى ٥٨٠ ضابطاً ... وصوروا ذلك كأنه نوع من الاحتلال ... كما
أثاروا الشكوك في نفس الوقت من وجود عدد من الضباط السوريين في
مصر وقلة تجاوز عددهم ٢٠٠ ضابط وصوروا الأمر كأنه إبعاد لهم .

والحقيقة أن الجيش السوري كان يحتاج لعدد من الضباط
المصريين بعد التسيريحات التي تمت فيه ... وأن بعض الضباط
السوريين في مصر كانوا يؤدون دوراً هاماً في قيادة القوات المسلحة .

ولكن تصرفات بعض الضباط في المراكز القيادية هي التي أساءت
الى وضع الضباط عامة ، ومنهم من أمضى وقته كله في الجبهة أمام
إسرائيل ومنهم من أدى دوراً بارزاً في التدريب .

لعبة العسكريين لم تتوقف طوال عهد الوحدة ... كل العناصر التي
برز خطرها ، أو ظهر انتمائها لتنظيمات سياسية ، أو اتضحت اتجاهاتها
الفكرية سرحت من القوات المسلحة أو إبعدت عنها الى مناصب مدنية ...
تماماً كما حدث في الجيش المصري خلال السنوات الأولى لثورة يوليو
حيث تجاوز عدد الخارجين من الجيش ١٠٠٠ ضابط .

ولم يعد خافياً على أحد أن هناك حساسيات تنمو وتزيد بين الضباط
السوريين والقيادات التي يسيطر عليها مصريون .

وقد أسرعت التناقضات في الظهور والشجسيم بعد صدور القرارات
الإستراتيجية ، وآثار الرجعية حولها اتهامات بالتسرع .

ووصل الأمر ذروته بعد نقل الوزارة الى القاهرة ، وتعيين
عبد الحميد السراج مع المشير عامر .

كانت أجهزة الأمن التابعة للداخلية قد خلقت خلال سنوات الوحدة
جواً من الارهاب الشديد ... وجه أساساً الى العناصر الشيوعية ثم
البعثية ... وأخيراً بدأت تحرك عناصر من التجار ضد القرارات
الإستراتيجية ، كما روى لي أكرم دبرى وزير الاقتصاد والخزانة في آخر
وزارت الوحدة ... وينطبق هذا على موقف السراج عن قوانين التأميم
قبل صدورها .

وكان انتقال عبد الحميد السراج من دمشق الى القاهرة ضربة شديدة موجة الى نفوذه وسلطته ٠٠٠ وتحركت بعض العناصر البوليسية السورية ، تقاوم هذا النقل عن طريق اثاره التجار وبعض العناصر السياسية ٠

وطالب جمال عبد الناصر من عبد الحميد السراج أن ينقل معه هذه العناصر الى القاهرة ، ولكنهم تكتئوا في تنفيذ القرار ٠

وأدرك جمال عبد الناصر أن قنبلة الخطر التي تهدد الوحدة هي الثورة ضد الارهاب ٠٠٠ فطلب من المشير عامر أن يحسم هذه المشكلة ، وخاصة أنه قد بدأت في مصر بعض الافراجات عن عدد من الشيوعيين والإخوان المسلمين ٠

وأصدر المشير عامر قرارا في ١٨ سبتمبر ١٩٦١ نص على (توقيف اعتقال أى شخص الا بمذكرة من النيابة العامة ٠ أى أنه لا يجوز لأى سلطة من سلطات الأمن توقيف أى مواطن الا اذا كان هذا التوقيف عن طريق السلطة القضائية ، أى النيابة العامة) ٠

وفي نفس الوقت أصدر المشير عامر قرارا بتعيين وزير جديده للأمن العام بدلا من العقيد مروان السباعي الذي كان السراج قد عينه وقبضه سلطات كبيرة تصل الى حد الاعتقال لدواعي الأمن ٠

ولم يجد عبد الحميد السراج أمامه من سبيل الا الاستقالة التي قبلت يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦١ بعد محاولات متكررة من جمال عبد الناصر لاقناعه بالتراجع عنها وعين بدلا منه في الداخلية عباس رضوان ٠

كان عبد الحميد السراج يريد أن ينفرد وحده بالاشراف على الأمن في سوريا ، لا يشترك في ذلك أحد معه من مصر ٠٠٠ سبق له أن طلب اغتاد العميد محمد سيف اليزل خليفة الذي كان يعمل مديرا لمكتب الاتصال المصري في دمشق ومعه خمسة ضباط شرطة مصريين ٠٠٠ ولكن جمال عبد الناصر رفض ذلك هو وذكريا محيي الدين حتى لا تكون هذه سابقة له يفرض من خلالها رأيه ٠

٠٠٠ واستخدم السراج أسلوبا جديدا هو مراقبة تحركات واتصالات سيف اليزل حتى حدثت بينهما مشادة انتهت بسفر سيف اليزل للقاهرة وطلبه عدم العودة الى سوريا ٠٠٠ وافق ذكريا على ذلك وأرسل بدلا منه العقيد الحمزاوي في يوليو ١٩٥٩ ٠

ورغم أن العلاقات بين السراج والحمزاوي لم تكن طيبة ، وأن السراج قد صارحه بأنه لا يرغب في تعدد أجهزة الأمن ولا في وجود

مصريين بشرطة سوريا ولو على هيئة مكتب اتصال ٠٠٠ الا أن مكتب الاتصال المصري نفسه أعد تقريراً عاجلاً خلاصته أن السراج هو الوحيد القادر على السير بسوريا وأنه يجب عودته وعدم قبول استنقالته ضماناً لعدم حدوث انقلاب .

وكانت أجهزة الاتحاد القومي تابعة تماماً لسيطرة السراج ، وقد استغلها لأجراج المشير عامر قبل سفره للقاهرة بأعداد مظاهرات من العربات يركبها المسئولون في الاتحاد القومي ومعهم وكيل الداخلية اللواء محمد الخجاجة لتقديم طلبات للمشير عامر .

التناطح بين المشير والسراج كان قد وصل نقطة اللاعودة ٠٠٠ والخلافات بينهما عبرت عن وجود موقفين متعارضين يضعب الجمع بينهما .

أصبح الموقف مهياً تماماً لحركة مضادة للوحدة متخفية تحت شعار ضرب النفوذ المصري في سوريا ٠٠٠ في وقت كانت الأخطاء فيه قد فرضت على المسئولين أن يتخلوا خطوات العلاج .

مسألة الانفصال :

واعتبر عبد الكريم النحلاوي عودة السراج من القاهرة بعد استقالته تمثل ذلة سوريا أمام مصر ، وأن الوحدة لم تعد شركة تضامنية وإنما أصبحت تحكماً ٠٠٠ وذلك حسب رواية لأكرم ديري بعد الانفصال بستة أشهر ٠٠٠ هذا بينما يؤكد مصطفى حميدون أن هناك علاقة وثيقة كانت تربط بين عبد الحميد السراج وكل من عبد الكريم النحلاوي ومأمون الكزبري .

وبدا الانقلاب بفكرة ملحة على بعض الضباط السوريين ٠٠ وتحول إلى حدث متوقع عند الجماهير .

وتجمع بعض الضباط ٠٠٠ عبد الكريم النحلاوي مدير مكتب المشير عامر وموضع ثقته ٠٠٠ حميد الكزبري الشاويش السابق في الجيش الفرنسي والذي ترقى ضابطاً من غير طريق الكلية الحربية وعبد الغنى الدهمان وموفق عصاصة من القوات الجوية .

ووصلت أنباء إلى المشير عامر من احتمال حدوث انقلاب ٠٠٠ ولكنه لم يصارح بذلك الوزراء السوريين وإنما حصر مناقشة الأمر في دائرة محدودة من ضباط القيادة ٠٠٠ وطلب من أكرم ديري الذي كان موجوداً في دمشق لحضور مؤتمر النقل الدولي بعد مناقشة صريحة عن اضطراب

الموقف في سوريا ٠٠٠ طلب منه الاتصال بنقابات العمال بعد أن كان التوتر قد وصل الى صفوفها على اعتبار أن استقالة السراج كانت تعبيراً عن خلاف عميق بين مصر وسوريا .

أمضى أكرم ديري مع قيادات العمال أربع ساعات حتى الثانية بعد منتصف الليل يوضح لهم أن الخلاف محصور بين السراج وعامر ، وأن الأخير قد بدأ يتخذ خطوات لحماية أمن المواطن ومحاولة اصلاح الأخطاء السابقة .

كان عامر يحاول كسب الرأي العام ٠٠٠ ولكن الوقت كان متاخراً . والمديرون للانقلاب انتهزوا فرصة الخلاف ، وقرروا توجيه ضربتهم .

قوات البادية التي يقودها حميد الكزبري توجهت ليلاً ٢٨/٢٧ سبتمبر ١٩٦١ الى القيادة تسال عن المشير عامر ، وقال لهم الحارس أنه في بيته فاتجهوا الى هناك وانطلقت القذائف تدمر المنزل وتوقظ دمشق وتقتل الحراس .

ولكن المشير وقتها كان في القيادة العامة في قاعة الأركان مع بعض الضباط السوريين ٠٠٠ وحول القيادة القوات المتمردة .

كان موجوداً مع المشير جاسم علوان بينما كانت قواته قد تحركت من قطنة بعد مغادرته لها في الثانية بعد منتصف الليل ، وهذا دليل على أن خطة الانقلاب كانت مدبرة من وقت وفى خفية عن القيادات المتمسكة بالوحدة .

طلب عامر من أكرم ديري الذي كان قد حضر للقيادة بعد اجتماعاته مع العمال أن يقابلوا الضباط المتمردين ٠٠٠ وذهب أكرم ديري وجاسم علوان وأحمد زكي عبد الحميد فوجدوا عبد الكريم النحلاوي عند ناصية الشارع المقابل لمبنى الأركان .

ودارت مناقشة عنيفة كان مخورها هو رأى أكرم ديري في أنه ليس من حق هؤلاء الضباط فصم الوحدة بالدبابات ٠٠٠ ورد المتمردون بأنهم ضد ضغط وتسليط الضباط المصريين .

واستمرت المناقشة نصف ساعة في الشارع ، والمشير عامر ينتظر في مكتبه لا يتوقف عن التدخين ولا عن الحركة كالأسد الجبب .

وتم الاتفاق مع النحلاوي وموفق عصاصة وزهير عقل على الصعود لمقابلة عامر وتقديم مطالبهم على أساس حل المشاكل العسكرية ضمن

الجمهورية العربية ٠٠٠ كانوا في خوف من الاعتقال أو القتل اذا ما دخلوا القيادة ٠

وفي نهاية المناقشة وصل حيدر الكزبري الذي ثار على الانساق وحدثت مشادة اتهمه فيها اكرم ديري بالخيانة ، فأطلق دفعة من مدفعه الرشاش جرح شظاياها رجل اكرم ٠

ودارت اتصالات تشبه المفاوضات بين المشير وضباط الانقلاب تعالت خلالها اذاعة البيانات من الاذاعة السورية ٠٠٠ وحاول أنور القاضي وأكرم ديري اعطاء تعليمات بتحريك وحدات من حمص التي كان يقودها العميد مطاخ ضفدني ٠٠٠ ولكن عبد الكريم النحلاوي صارخهم أنه لن يتحرك أحد ٠

البيانات تتوالى من الاذاعة السنورية ٠٠٠ والخبر يصل الى جمال عبد الناصر فيهرع بنفسه الى مبنى الاذاعة المصرية لأول مرة منذ الثورة ويلقى في التاسعة صباحا بيانا يدين فيه الانفصال ٠٠٠ ويعيد في نفس الوقت خطة لارسال قوات نجدة الى سوريا ٠

ودخلت المفاوضات الى نقطة لقاء تشبثت بالوحدة ، وصدر البيان رقم ٩ يقول (ان القيادة الثورية العربية دفعها الشعور بالخوف على وحدة الصف العربي وحماسها للقومية العربية وقايتها لها ودفاعها عن مقوماتها لتعلن أنها لا تنوي المساس بما أحرزته القومية العربية من انتصارات وتعلن أنها لمست عناصر مخربة انتهائية تريد الاساءة لقوميتنا فقامت بحركتها تلبية لرغبة الشعب ، وانها عرضت قضايا الجيش وأهدافه على سيادة المشير نائب رئيس الجمهورية والقائد العام للقوات المسلحة الذي تفهم الأمور على حقيقتها ، واتخذ الاجراءات المناسبة لحلها لمصلحة الوحدة ، وقوة القوات المسلحة والجمهورية العربية المتحدة ، وقد عادت الأمور العسكرية الى مجراها الطبيعي استنادا على ثققتها بحكمة القائد العام للقوات المسلحة وقائد الجيش الأول اللذين يحققان أهداف القوات المسلحة والجمهورية العربية المتحدة ٠

كان مطلوباً أن يذاع البيان ليعلن انتهاء الأزمة ، ولكن عبد الحكيم عامر رفض إذاعته بعد اتصاله بجمال عبد الناصر في القاهرة ٠

الاتصال بينهما لم ينقطع لحظة ٠٠

والسبب في رفض اذاعة البيان ولو كسبها للوقت ومحاولة لرأب الصدع عبر عنه عبد الناصر في خطابه الذي أذاعه في الساعة مساء نفس

اليوم وهو أن المشير عامر كان تحت الحراسة ، وأن الانفصاليين كانوا يسيطرون على القيادة .

ولا يمكن الآن تحديد النتائج التي كان يمكن أن تبجم عن اذاعة هذا البيان .

وهكذا لم تعد هناك نقطة لقاء وتم الانفصال فعلا .

الجماهير في الخارج مبلبة بمظاهرات تهتف للوحدة ومظاهرات تهتف لعبد الحميد السراج وتحمل صورته . وغالبا ما كانت من تدبير بقايا أجهزته بينما هو في منزله بعيد ولعل ذلك كان سببا في سرعة اعتقاله بسجن المزة .

رفض المشير لخل المشكلة كما اذيع في البيان رقم ٩٠ كان نتيجة لتوجيه جمال عبد الناصر الذي اعتبر أن ما حدث كان تحطيمنا لفكرة الوحدة . وانقلابا يصعب معالجته إلا بالقوة ، وخاصة بعد أن كان المشير عامر قد أصدر خلال المفاوضات قرارا بحل لجنة الضباط التي إثارت تصرفاتها اعتراضات المتطرفين ، وشكل لجنة جديدة ، كما قرر إعادة الضباط المصريين العاملين في الأركان ، وإعادةهم فعلا للقاهرة بالطائرات تحت الحراسة .

المشير عامر أصبح محاصرا وحده تقريبا ، رغم وجود وحدات كثيرة من الجيش المصري وكثير أيضا من الضباط المصريين ولكن الصلة كانت مقطوعة ولا حركة في الجيش ذوق أمر أو تعليمات . كما أن وحدات الانقلاب كانت قد تنهت لذلك فحاصرت بعض الوحدات التي يسيطرون عليها المصريون

الظاهرة المؤكدة أن أحدا من الضباط أو جنود البعث لم يسهم في الحركة الانفصالية لم يكن لهم تنظيم قائم

الموقف لم يعد يحتمل بقاء المشير وقادة الانقلاب الجديين في مكان واحد وفي الثالثة مساء طلب منهم عبد الكريم النحلاوي أن يغادروا مبنى الأركان

وخرج الوزراء السوريون السنكرويون الذين تواجدوا هناك (أكرم ديري وطعمة العودة الله وأحمد جنيدي) وذهبوا إلى مطار دمشق مباشرة حيث وصلوا القاهرة في الخامسة والنصف مساء ووصل عبد الحكيم عامر ومعه على شفيق في الساعة والنصف حيث كان جمال عبد الناصر في انتظارهم بالمطار .

الماساة تبعت على اللى ٠٠٠ والكلمات التى قالها خروشوف لصلاح سالم فى موسكو يوم ٩ نوفمبر ١٩٥٩ من أن عبء الحكيم عامر يجلس فى سوريا على خازوق قد تحققت ٠٠٠ وهو يعود اليوم مطرودا بعد أن كان فى قمة السلطة .

وقد نشر محمد حسنين هيكل فى كتابه (عبء الناصر والصالح) رسالة كان خروشوف قد بعث بها الى جمال عبد الناصر مع السفير كسليف فى أبريل ١٩٥٩ . جاء فيها :

« تذكرون انكم فى احدى محادثاتنا أثناء زيارتكم الأخيرة لموسكو أعربتم عن الاستياء من حكومات الأقطار العربية المجاورة وسألتنى عما يجب عمله لتغيير الوضع الداخلى فى تلك الأقطار التى تقف موقف العداء من الجمهورية العربية المتحدة ومن المعونة التى يمكن للاتحاد السوفيتى أن يقدمها اليكم فى هذا الصدد .

وكما تذكرون فقد أعجبتم بأنه يجب اظهار التسامح والامتناع عن التدخل فى شئون البلاد الأخرى ، انما يجب التأثير فى تلك الأقطار عن طريق القوة الصالحة والمثل الطيب من جانب الجمهورية العربية المتحدة ، وذلك برفع مستوى اقتصاد شعب جمهوريتكم ومستوى ثقافته ورفاهيته وانشاء نظام من شأنه تمكين كل القوى الوطنية ضمن الجمهورية من اظهار مبادئها ، وأشرت عليكم أن تسعى الى أن تقيموا فى الجمهورية العربية المتحدة ذلك النوع من الكيان الاقتصادى والنظام الحكومى اللذين من شأنهما أن يستهويا الأقطار العربية الأخرى من أجل الفوز بالحقوة لدى الشعوب بهذا المدى الإيجابى .

وقد ابتسمتم بعدئذ وقلتم اننى غير واقى فى استقراى للوضع فى الأقطار العربية واضفتم أن الأمر يتطلب تدابير أكثر حزمًا .

وأعجبتم حينئذ قائلا « أن التدخل فى شئون الدول العربية هو شئ خطير جدا وأنه ليس من شأنه أن يؤدى الى الوحدة ، وانما من شأنه على العكس أن يؤدى الى تفكك جهود الأقطار العربية » .

فشلت الجمهورية العربية المتحدة فعلا فى أن تكون نموذجا يجذب اليه الأقطار العربية الأخرى وتلاشت قوة ثورة يوليو على أن تكون منطيسا خلابا .

فى زيارة لسوريا التقيت مع شكري القوتلى (المواطن الأول) فقال كلمات تحمل نفس المعنى بأن الجمهورية يجب أن تكون واجهة تفرى الناس بالدخول .

هاجمت قوات البادية بقيادة حيدر الكزبري منزل عبد الحميد السراج في الخامسة من مساء يوم ٢٨ سبتمبر بعد أن كانت بعض المظاهرات قد طافت به تهتف باسمه ٠٠٠ وبعد أن كان الحرس المعين على منزله قد أخذ يرقص ويصفق ٠٠٠ ولكن السراج عاد الى منزله بعد ساعتين عقب مقابلته لقادة الانقلاب ٠

وفي حديث له بعد ذلك في سجن المزة مع العميد ماجد ميمش قائد كلية الضباط الاحتياط في حلب أجاب عن متنبأ اعتقاله بأنه في دهشة من ذلك لأنه أيد الانقلاب وأبلغ الانفصاليين بأنه كان سيقوم بهذه الحركة إذا لم يكونوا هم قد بادروا بها ٠

كان انعكاس الموقف في دمشق على المناطق السورية متبايناً ٠٠٠ قوات حمص وقفت مع الانفصال ، وقوات قطنة كذلك ٠٠٠ أما حلب فقد رفضت بعض الوحدات فيها موقف الانفصاليين وأعلنت اذاعة حلب موقفها في ضرورة التمسك بقيام الجمهورية العربية المتحدة ، ولعب العميد ماجد ميمش قائد كلية ضباط الاحتياط دوراً بارزاً في تجميع الضباط وإعلان الرفض في صورة بيانات أيديها قوات اللاذقية ودير الزور ٠

عاد المشير الى القاهرة على استحياء ٠

وخطة الانقاذ مازالت تحت التنفيذ ٠

محاولة لم تتم :

القوات المصرية والسورية المشتركة التي وضعت الخطة لارسالها الى اللاذقية للهبوط جوا تأخرت في الذهاب لبطء اجراءات القوات الجوية ٠٠٠ ويقول عبد اللطيف البغدادي انهم اعتبروا الفريق محمد صديق محمود مسئولاً عن هذا التأخير ٠

اختلفت افكار اعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين في خطة ارسال القوات الى سوريا ٠٠ ولكنها بعد أن تحركت جوا وبحرا وتحرك فيها كمال الدين حسين وعبد المحسن أبو النور ، صدرت اليها التعليمات بالعودة ، من جمال عبد الناصر ، بعد أن تبين أن حرباً أهلية لا يمكن أن تفرض الوحدة بالقوة ، وأن مشاعر الكبت والضغط التي تعرضت لها بعض الفئات قد انفجرت مؤثرة في الجماهير ٠

جمال عبد الناصر يذيع بياناً ثانياً في السابعة من نفس اليوم يفسر فيه رفضه لما ورد في البيان رقم ٩ ، موضحاً أن المشير عامر وقائمه الجيش الأول اللواء جمال فيصل كانوا تحت الحراسة المسلحة ٠٠٠ وأنه رفض اذاعة بيان بأن الأمور قد انتهت لأنه لا يقبل المساومة ولا الحلول الوسط ٠

كان جمال عبد الناصر صريحا . . . أعلن رفضه لهذا المنطق وقال.
ان النضال عندما تدخل اليه المساومات يفقده كل قداسته .

المشير يصل الى القاهرة بعد اذاعة البيان الثاني بنصف ساعة . . .
والأوامر تصدر بعودة القوات بعد أن كانت بعض قوات المظلات قد هبطت
في اللاذقية (قوات خمس طائرات) .

هبطت القوات بعد أن كانت قوات الانفصال قد عملت انقلابا ضد
كامل زيتونة قائد البحرية. واعتقلته في مغرب يوم ٢٨ سبتمبر .

وكان الموقف في حلب مازال متارجحا . . . بعض قوات حلب بقيادة
العقيد جورج مخصل استولت على دار الاذاعة في التاسعة مساء وأعلنت
تأييد الانفصال . . . ولكن قوات أخرى هجمت على الاذاعة في الثانية بعد
منتصف الليل وعادت تؤيد الوحدة من جديد .

معارك مسلحة حدثت بين القوات السورية في حلب وسقط حسب
رواية العميد ماجد مبيض حوالي ١٢٠ قتيل ، ٧٠٠ جريح . . . وفي حماة
أيضا التي قاومت الانفصال حتى هبوط الليل سقط حوالي ٤٠ قتيل .

قائد قوات الصاعقة المصري جلال هريدي سلم نفسه لقوات حمص
وتحول الى داعية لها .

والواء عبد الكريم زهر الدين يتصل بليفونيا أكثر من مرة مع العميد
ماجد مبيض ويطلب منه وقف المذبحة التي قد تقود الى حرب أهلية . . .
ويسلم ماجد القيادة ويغادر حلب التي حاصرتها قوات حمص المدركة ،
ليصل الى قيادة الأركان في دمشق حيث خرج منها الى سجن المزة . وذلك
تنفيذا لوعده اللواء زهر الدين له بضمائم سلامته .

ودخل سجن المزة ١٢٠ ضابطا سوريا من قوات حلب .

وجمال عبد الناصر يلتقي مع الشعب للمرة الثالثة في يومين متتاليين .
عند مؤتمر شعبيا بميدان الجمهورية في اليوم التالي للانفصال ٢٩
سبتمبر . . . وفسر في هذا المؤتمر قرار ارسالة للقوات المصرية السورية
المشتركة . . . ثم قراره الثاني بعد نزول بعضها (١٢٠ جنديا) في اللاذقية
بعدم الاشتباك وتسليم نفسها لقائد البحرية في الميناء .

عادت الطائرات التي اتجهت الى سوريا للتدخل وانتهت مقاومة
الوحدات . . . وحصلت قوات الانفصال على تأييد اذاعة حلب بعد
هجوم عسكري عليها .

لكن الوحدة لم تتحول فورا الى جثة هامدة... عندما تكشفت الأمور خرجت بعض المظاهرات في حلب ودير الزور واللاذقية وغيرها... ولكن الموقف كان قد تجدد... السلطة العسكرية الجديدة ضد الوحدة... اذاعات سوريا تدين الفترة بأنها كانت فترة طغيان وارهاب... وفتحت المعتقلات للعناصر الوحشية النشطة.

مأمون الكزبري يعين رئيسا لوزراء سوريا... وهو الذي تولى منصب رئاسة الجمهورية لمدة ٢٤ ساعة بعد انقلاب الشيشكلي... وهو الذي كان صديقا لعبد الحميد السراج وأميناً للاتحاد القومي في دمشق.

بدأت عودة الضباط المصريين من سوريا في طائرات حربية يوم أول أكتوبر... البعض منهم كان في ملابس الميدان على جبهة القتال... حوالي ٧٠٠ ضابط مصري أساء اليهم بعض عناصر الفساد في قمة القيادة... وأساء اليهم أيضا ضباط الانفصال المتمردون.

انتهت تجربة الوحدة العربية الأولى في القرن العشرين... وتمزقت الجمهورية العربية المتحدة.

تم بك يا انقلاب عسكري... كانت طبيعة الحكم والنظام تهيم... له الظروف المناسبة.

أول محاولة انقلابية ضد الوحدة نجحت... لم تكن هناك محاولات جادة سابقة ولم يحاكم ضابط بهذه التهمة.

لم يكن الأمر كما حدث مع ثورة يوليو التي استطاعت أن تقضى على عدد من الانقلابات في المهدي قبل أن تتحرك القوات ويصدر البيان الأول.

الحذر الذي عاشت عليه القيادة العسكرية لثورة يوليو خوفا من انقلابات سوريا ، وجعلها تقضى على محاولات الانقلاب في الجيش المصري بوسائل مختلفة ، وتفصل من الجيش كل الضباط الذين يمكن أن يشكلوا خطرا على النظام... هذا الحذر لم ينفع عندما تمت الوحدة مع سوريا نفسها.

والشرط الذي اشترطه جمال عبد الناصر بإبعاد الجيش السوري عن السياسة... والخطوات التي اتخذها البشير عامر في سبيل ذلك لم تنفع في القضاء على ثورة الانقلابات العسكرية في سوريا.

الأعوام التي سبقت الانفصال في مصر وما صاحبها من انجازات وانتصارات وطنية وقومية واجتماعية أضعفت فرص تفريخ الانقلابات العسكرية... ولكن أعوام الوحدة في سوريا لم تضعف هذه الفرص رغم

اخراج الضباط الشيوعيين والبعثيين والمهتمين بالسياسة ... لانها تركت الجيش في فراغ كبير ... معظم الضباط أو أغلبيتهم الساحقة من غير المهتمين بالعمل السياسي الذين اختاروا السلبية وغلبوا الاهتمامات الذاتية واستتر الخوف في نفوسهم من اعدائهم الرأى أو القيام بأية حركة ايجابية ... وهذا الموقف له وجه آخر ، هو إعطاء الفرصة لأية أقلية تستطيع التجسس سرا من فرض ارادتها على أغلبية القطيع بطريقة مفاجئة ... كما حدث تماما في انقلاب الانفصال الذي ركب موجة السخط على الاتجاهات الارهابية .

عدد الضباط الذين أسهموا في الانقلاب كان ٣٧ ضابطا فقط ... وهي قلة ضئيلة جدا ما كان يمكن لها أن تنجح لو كان في الجيش ضباط ثوريون من ذوى المبادئ الوحشية أو المعادين أصلا لأسلوب الانقلابات العسكرية .

القضاء على ثورة الانقلابات العسكرية ثبت أنه لا يكون بوجود حكم عسكرى ... وانما بتثبيت دعائم نظام يعتمد على تنظيم سياسى له ايدولوجية واضحة وتتوافر له كادرات قيادية صالحة .

فكرة تسييس الجيش أو ربطه بالتنظيم السياسى لم تظهر في مصر الا عام ١٩٦٢ مع صدور الميثاق ، وتكوين الاتحاد الاشتراكي ... ومع ذلك ظلت كلمات مبونة وغير مطبقة .

وثورة يوليو ظلت رغم الوحدة بعيدة عن اعتناق فكرة التنظيم السياسى ... اقتصر في حركتها الوجوبية على الاتحاد القومى وهو كما قلنا تنظيم هش من ورق .

قال جمال عبد الناصر بعد ذلك في محادثات الوحدة - الاجتماع الأول - ناقلا فكرة جل الأحزاب : « في الحقيقة سنة ١٩٥٨ العملية سارت بسرعة شديدة ، تبين مثلا ، احنا بعد كده بنقول إن عملية حل كل الأحزاب في سنة ١٩٥٨ ما كانت صبح ... كان لازم اتبعنا أسلوب آخر ، وهو حل الأحزاب التي لاتتفق في الهدف ثم تجميع الأحزاب الأخرى التي تجمعها وحدة الهدف ... الأحزاب القومية تكون هي الطلائع الثورية في جبهة قومية ثم تسير على هتاف واحد » .

الفراغ السياسى في المجتمع أو في الجيش ، على قدر ما يعطى القيادة فرصة الحكم والسيطرة ، فانه يحمل بذور الخطر من وجود قلة تستطيع أن تثب الى السلطة عن طريق الانقلاب أو المؤامرة ... بعيدة عن ارادة الشعب .

كان الانفصال أكبر ضربة سياسية وجهت ضد قيادة جمال عبد الناصر . . . وكان تعبيرا عن أن قواعد النظام لم تستقر على أسس ثابتة . . . وإثباتا بأن الرجعيين الذين عارضوا قرارات يوليو قد نفذوا الاستكانة الى الاستقرار والنمو الذي أتاحه النظام للبرجوازية ، فقرروا أن ينقضوا عليه .

وثبت بعد ذلك أن حيدر الكزبري كان على صلة وثيقة بالنظام الأردني والملك حسين الذي أمده بالمال والتأييد . . . وعندما انكشف ذلك قرر الذين خرجوا معه ليلة الانقلاب أن يعتقلوه . . . وتم ذلك عن طريق خلسة قام بها عبد الكريم النحلاوي اذ قال له أن عبد الحميد السراج يهدد بالانتحار في سجن المزة وأن أحدا لا يستطيع أن يقنعه بغير ذلك سواء ، لما يتهددهم لو حدث هذا من خطر . . . ركب الكزبري عربته ودخل سجن المزة ليقنع السراج ولكنه لم يخرج منه أبدا . .

كان الانفصال صدمة للدول العربية صلبا الأردن والسعودية . . . وكان صدمة أيضا للدول المتحررة .

عندما أرسل مأمون الكزبري برقية الى غينيا يطلب الاعتراف بالنظام الجديد أرسل اليه سيكوتوري برقية تاريخية قال فيها :

(انني لا أسمح لك أن توجه خطابا الى ، وفيما يتعلق بي فاني أعتبرك متمردا وخائنا ولا يمكن أن تكون لنا أية علاقة الا مع الحكومة الشرعية للجمهورية العربية المتحدة) .

كان هذا موقف سيكوتوري . . . ولكن بعض زعماء البعث لم يتخذوا هذا الموقف بل وقعوا على بيان الانفصال . . . أكرم الحوراني وصالح البيطار . . . وكان هذا خطأ سياسيا جسيما أنهى دورهما العربي . . . وإن أحدا من العسكريين في الحزب لم يشترك في عملية الانفصال ، وجماهير الحزب كانت تعتنق الفكرة القومية والوحدية .

أنهى جمال عبد الناصر خطبه الخامس في أسبوع الانفصال ببيان أذيع يوم ٥ أكتوبر ١٩٦١ ، وقد ناقش البيان قبل إذاعته الوزراء السوريون الذين اقترح بعضهم رفع عبارات منه تشككا فيما قلعه القيسوني من معلومات . . . ولكن جمال أصر على قراءته وأعلن فيه بقاء الجمهورية العربية المتحدة (رافعة أعلامها مرددة نشيدها مندفعة بكل قواها الى بناء نفسها لتكون سننا لكل كفاح عربي ولكل حق عربي ولكل أمل عربي) . . . وطلب الى الجامعة العربية تشكيل لجنة تحقيق للتأكد من :

أولاً : أن مصر قدمت لسوريا فور الوحدة مبلغ ١٣٣٥ مليون ليرة سورية لمواجهة عجز الميزانية السورية وأنها كانت تقدم ٣ ملايين جنيه سنوياً . . . كما قدمت تحويلات نقدية قيمتها ٩ ملايين جنيه استرليني .

ثانياً : أن عدد المعتقلين لم يتجاوز ٩٥ شخصا وأنه حجب عن المحاكمة عدد من قضايا التآمر .

ثالثاً : التحقق من أن قوات المظلات التي هبطت في اللاذقية مساء يوم الخميس ٢٨ سبتمبر لم يكن معها ملايين الليرات المزيفة وإنما بضعة آلاف فقط من الليرات الصحيحة .

رابعاً : أن المصريين الذين ذهبوا الى سوريا لم يستهدفوا الاستغلال وإنما ليمنهموا في عجلة التطوير وكانت مصر هي التي تتحمل مرتباتهم . واتخذ جمال عبد الناصر موقفاً سياسياً سليماً فوق كل عواطفه وجروحه الشخصية . . . اذ نادى بأهمية الوحدة الوطنية في سوريا وأعلن أنه لن يقف مطلقاً في وجه قبول سوريا في هيئة الأمم المتحدة .

وذكر جمال عبد الناصر في بيانه أيضاً أن مجموع الاتفاق الفعلي بوساطة النولة في سوريا من يوم اتمام الوحدة الى نهاية السنة المالية الحالية بلغ ٢٨٦٢ مليون ليرة .

كانت سيول الاتهامات قد بدأت تتدفق من اذاعة دمشق وصحافة سوريا ضد تجربة الوحدة .

كانت صدمة الوحدة مفاجئة رغم أن المعلومات كانت متوافرة عن احتمالات الخطر . . . ولما كان الانفصال قد انطلق من معقل رخب في سوريا فان وزارة الداخلية في مصر بادرت باعتقال ٤٥ من السياسيين القدامى مثل فؤاد السراج الذين وابطراهم فرج وسليمان غنسان ولم يفلح عنهم الا في فبراير ١٩٦٢ .

واصبح موقف الوزراء السوريين بعد الانفصال وبعد بيان ٥ أكتوبر حرجاً وليس له تبرير . . . جمال عبد الناصر قال لهم (أنا مسئول عنكم وعن مستقبلكم السياسي وهذا قران اتخذته وأنا مسئول عنه) . وذلك كما دوى لي أكرام ديري الذي رفض البقاء وزيرا حتى لا يسبب موقفه في سوريا .

وقدم الوزراء السوريون جميعاً استقالتهم من الوزارة يوم ١٠ أكتوبر وشكلت وزارة مصرية جديدة وتولى زكريا محيي الدين وزارة الداخلية من جديده بعد عبه الحميد السراج وغباس رضوان .

الاتهامات المتبادلة بين صوت العرب وإذاعة دمشق نزداد حدة . . .

والمدحش أن أقرب الضباط إلى قلب المشير والذي عينه قائداً لفرقة الصاعقة وهو الرائد جلال هريدي، كان أول المتهجمين على مصر في الإذاعة السورية . . . سجلوا له أحاديث في جلسات خاصة فيها إساءة إلى جمال عبد الناصر شخصياً .

وكانت الإذاعة المصرية تتهم ضباط الانقلاب بأنهم يسيئون معاملة الضباط المصريين ويعذبونهم . . والواقعة غير صحيحة فلم يكن هناك ضرب ولا تعذيب ، وإنما كانت ظروف اعتقال قاسية من ناحية الأكل والنوم والتسليم .

الوحيد الذي جرح كان طياراً مصرياً حاول أن يهرع إلى طائرته ويحلق بها فوق الأركان ليضربها من الجو ولكن طلقات بعض الجنود أوقفت العملية وأذاعت له الإذاعة حديثاً يشيد فيه بالمعاملة الطيبة في المستشفى وبجواره زوجته .

صورة ما بعد الانفصال :

أحدث الانفصال صدمة شديدة للجماهير في مصر ، وإذا كانت السلطة قد بادرت باعتقال بعض السياسيين السابقين ، فإن الحركة المضادة كانت أيضاً في صفوف العسكريين .

التقى العسكريون السابقون ، ووحيد الدين جودة رمضان سفير مصر في المجر وأول من أعد وكون منظمات الشباب في بداية الثورة ، وأصدر مجلة الثورة التي شارك بالكتابة فيها الدكتور محمد مندور ، وأحمد لطفي وأكاد مدير مكتب جمال عبد الناصر في السنوات الأولى ، ورئيس تحرير جريدة الشعب حين ضمها لجريدة الجمهورية ، وداود عويس أحد الضباط العاملين في مكتب المشير عامر والذي اتصل به ميشيل عفلق عندما فكر في أن تكون استقالة الجوراني والبيطار ذات طابع قومي باتناع بعض الوزراء المصريين (توفيق عبد الفتاح وعباس رضوان) بالاستقالة .

فكر الثلاثة فور الانفصال في إعداد بيان نقد للنظام يوقع عليه بعض الشخصيات . . . وقام بكتابة البيان لطفي وأكاد مهاجماً سطوة المخبرات والارهاب واعتقال اليسار وأخلاقيات النظام . . وتولى داود عويس كتابة عدة نسخ منه على ماكينة كتابة بنادى هيلوليدو وقام بتوزيعها سرا على مكاتب أعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين .

ثورة يوليو ج ١ - ٧٥٣

يؤكد لطفى أنه لم يكن لهذه الحركة أى ارتباط بالبعث ٠٠٠ ولم يكن لها من هدف سوى التحذير ٠٠ ولكنهم عندما ضبطوا انتحروا أحد الضباط المشتركين معهم وهو من جهاز المخابرات (عبد الحفيظ الشناوى) وقدم الثلاثة الآخرون للمحاكمة بعد كشف داود عويس والقبض عليه - هو وزملائه - يوم أول نوفمبر ١٩٦١ ٠٠٠ بتهمة التآمر ضد نظام الحكم .

أصدرت المحكمة العسكرية برئاسة اللواء فؤاد الدجوى -حكمها بالسجن ١٥ سنة مع الأشغال الشاقة على كل من لطفى وأكد وداود عويس ووحيد الدين جودة رمضان بعد محاكمة بلا محام أو دفاع .

كانت هذه أول محاولة مضادة فى صفوف العسكريين منذ عزل محمد نجيب ومحاولة عاطف نصار الملحقسكرى بالهند عام ١٩٥٧ .

وقد أدى الانفصال الى اتخاذ عدة اجراءات منها تكوين مجلس الرئاسة وتشكيل مجلس وزراء يرأسه على صبرى ٠٠٠ وقد برر عبد الناصر ذلك لذكرى محيى الدين بقوله أنه عندما يعطى المسئولية لاحد زملائه السابقين فى مجلس الثورة فإنه يسيء التصرف ولذا فهو يريد أن يركز السلطة التنفيذية فى يده عن طريق على صبرى .

وحدثت بعد ذلك فى مجلس الرئاسة محاولة تقلص نفوذ عبد الحكيم عامر عن طريق اصدار قانون يجعل المجلس هو المسئول عن التعيينات الكبيرة فى القوات المسلحة ، واستقالة عبد الحكيم عامر ثم ذهابه الى مرسى مطروح وأخيرا رجوعه عن الاستقالة ورجوع المجلس عن محاولة اصدار القرار ، بعد وصول برقيات من بعض القادة تأييدا للمشير مع المطالبة برفض استقالته وبقائه .

كان جمال عبد الناصر مازال على علاقة صداقة وطيدة مع عبد الحكيم عامر رغم هذه التناقضات ، فقد كان مازال معتمدا عليه فى قيادة القوات المسلحة .

وبقى عبد الحكيم عامر بكل صلاحياته ٠٠ ولم يخرج أعوانه أيضا مثل محمد صدقى محمود قائم الطيران الذى كان مجلس الرئاسة قد قرر ابعاده للمرة الثانية بعد ١٩٥٦ ٠٠٠ بل ان صلاحيات وسلطة عبد الحكيم عامر قد زادت وتضاعفت كما جاء بالجزء الثانى من الكتاب (مجتمع جمال عبد الناصر) .

أما عن الموقف فى سوريا فإن الصلات بين القاهرة وبعض الضباط السوريين فى دمشق ظلت مستمرة بطريقة سرية ٠٠٠ ولم يكن موقف

الانفصاليين في سوريا قويا بالدرجة التي تبعت على الاستقرار ٠٠٠ فان تناقضات كثيرة بدأت تظهر بسرعة شديدة ٠٠ وتبين أنه اذا كانت الرجعية قد نجحت في ضرب دولة الوحدة ، فانها لم تنجح في تهديد رصيد الوحدة .

قال لي أمين الحافظ الذي كان موجودا في موسكو أثناء الانفصال وعادة الى سوريا بعد وقوعه بأيام ، ان الضباط الذين قاموا بالانقلاب اذا استثنينا حيدر الكزبري لم يكونوا انفصاليين ولا أعداء للوحدة ٠٠٠ وهو رأى متسامح فيما اعتقد :

أمين الحافظ المرتبط بالبعث مبعدا في أواخر عهد الوحدة ٠٠٠ وكان له لقاء مع المشير عامر عندما كان قائدا للمنطقة الشرقية طالب فيه بوجود التعاون مع البعث وعودة الاتصال مع علق و الحوراني والبيطار ، ونقل عبد المحسن أبو النور حتى لا يكون هناك شعور بتسلط الضباط المصريين على السوريين .

ولكنه عندما عاد الى سوريا لم يجد ترحيبا من الانفصاليين ٠٠٠ بل انه كان مفروضا أن يوضع في قائمة تسريح ٦٣ ضابطا لولا صلة شخصية كانت تربطه برئيس أركان حرب الجيش السوري ناصح كمال الذي استبدل التسريح بالنقل ملحقا عسكريا في الأرجنتين .

وخلال فترة وجوده في سوريا وقبل سفره الى مقر عمله الجديد نشط البعث في الاتصال به .

ميشيل علق زعيم البعث الذي وقع بيانا ضد الانفصال ولم يؤيده كما فعل الحوراني والبيطار ، اتصل بأمين الحافظ وطلب منه عدم الذهاب للأرجنتين والبقاء في سوريا حيث توجد احتمالات تغيير للوضع القائم .

واتصل به أيضا الضابط السوري رباح شريف المرافق العسكري السابق لجمال عبد الناصر لدراسة احتمالات انقلاب جديد ٠٠٠ كما اتصل به زميله في البعث محمد عمران موفدا من اللجنة العسكرية التي شكلت من الضباط السوريين الذين كانوا في مصر ٠٠ وبعده تقدير دقيق للموقف تبين لهم أن هذه الفترة الزمنية نوفمبر ١٩٦١ لم تكن مناسبة لتحريك انقلاب جديد ٠٠ ونصح أمين الحافظ بالتريث عدة شهور .

كان موقف أمين الحافظ اجتهدا خاصا متعارضا الى حد ما مع رأى ميشيل علق في ضرورة بقاءه في سوريا ، ومتنافرا الى حد ما أيضا مع رأى زملائه محمد عمران ويشير صادق الذين كانوا على ثقة أكبر في قدرة الحزب على القيام بانقلاب جديد .

وأما الحافظ ليلة رأس السنة ١٩٦٢ في الارجنتين .

وبقيت سوريا تحت حكم الانفصاليين الذين ظهرت تناقضات شديدة بينهم وبين مأمون الكزبري فأصدروا أمرا بإقالته وتعيين الدكتور بشير العظمة رئيسا للوزراء .

قادة الانقلاب استخدموا كأداة للرجعية فبدأوا بتحرير أنفسهم عن طريق اقالة وعزل العناصر الواضحة الاتجاهات ، وسافر الى القاهرة في الأسبوع الثاني من يناير ١٩٦٢ وفد عسكري سوري كان قد سبقه قبلها بأسابيع وفد آخر حضر ضمن نشاط الجامعة العربية والتقى أعضاء الوفد الثلاثة ، العقيد زهير عقيل والعقيد محمد منصور والمقدم فايز الرفاعي .

استقبل جمال عبد الناصر الضباط وناقش معهم ظروف الموقف في سوريا . . . وكان حريصا في الاجتماع على أمرين : أولهما تأكيد الوحدة الوطنية في سوريا بين الجيش والشعب . . . وثانيهما : عدم تهاونه مع الرجعية التي انقضت على الوحدة مطلقا .

كانت مبادرات الحكم في سوريا للاتصال مع مصر دليلا على أن الموقف في سوريا لم يكن شديد الاستقرار . ودليلا أيضا على أن أنصار الوحدة قد بدأوا يمثلون ضغطا شعبيا متزايدا .

حدث تغيير جذري في ٢٨ مارس ١٩٦٢ اذ قامت قيادة الجيش باعتقال بعض السياسيين الذين تولوا السلطة بعد انقلاب ٢٨ سبتمبر وظهروا بمظهر رجعي صريح . . . قال بيان قيادة الجيش في ذلك اليوم ما يلي :

(تمكنت هذه العناصر عن طريق هذا التحكم أن تبثت بالسلطتين التشريعية والتنفيذية عن مهمتها الأساسية التي تمكنت من تعطيل سلسلة التشريعات والقوانين والأنظمة التي حققت وضمنت مكاسب العمال والفلاحين وبقية فئات الشعب ، فراحت هذه العناصر تصدر التعليمات والأوامر التي تناقض التشريعات والقوانين ، وتعمل على طرد الفلاحين من قراهم وانتزاع أراضيهم منهم وحملهم على تركها والهجرة منها . . . كما راحت هذه العناصر تعمل جاهدة للبقاء على التشريعات التي تجعل مكاسب العمال صورة ونظرية وغير حقيقية) .

واللواء عبد الكريم زهر الدين يقول يوم ٢٠ مارس في بيان صحفي (يسعدني أن أعلن أمامكم للمواطنين جميعا أنه تقرر إحالة جميع المتآمرين العملاء والذين ارتكبوا جرائم تمس أمن الدولة الداخلي والخارجي الى محكمة الشعب التي سيصدر مرسوم بتشكيلها خلال اليومين القادمين) .

واستجابت قوات الجيش السوري لذلك فحدثت ثورة في قوات حمص يوم ٣١ مارس تلتها ثورة الجيش في حلب ودير الزور يوم أول ابريل ٠٠ وعقد مؤتمر في حمص اتخذ قرارات أبرزها العمل على إعادة الوحدة واجراء استفتاء على ذلك .

قيادة جديدة في سوريا ٠٠٠ عبد الكريم النحلاوي ومهيب هندي أبطال الانفصال يعينون ملحقين عسكريين في فرنسا وإيطاليا .

واتجاه أكثر تعقلا في قضية الوحدة .

ومحاولات اتصال مع مصر .

عندما حذرت الاذاعة السورية - يوم ٣ ابريل - الشعب من خطر هجوم اسرائيلي واستنهضت همم (أبناء الشهباء وبنى حمدان وأحفاد خالته بن الوليد ورفاق هاناتو) أصدرت القاهرة بيانا قالت فيه (هناك ما يوحي بأن السلطات السورية تخشى من احتمالات خارجية تهدد أرض سوريا) ثم قال البيان : (والجمهورية العربية المتحدة لا تقبل بأي حال من الأحوال أن تقف مكتوفة الأيدي أمام أي خطر خارجي يهدد حرية الشعب السوري أو يمس سلامة أراضيه) .

الضباط المعتقلون الذين قادوا الانفصال طلبوا في سجن المزة بلا محاكمة ، انتظارا - فيما يبدو - لما يسفر عنه الموقف ، وخاصة بعد التخلص من الكزبري وفيصل سري الحسيني ، ونقل عبد الكريم النحلاوي ومهيب هندي .

وفي يوم ٥ ابريل حدثت اتصالات جديدة مع القاهرة عن طريق العسكريين السوريين والجهيد طه نور الله والعقيد أكرم الخطيب من ضباط القيادة الموفدين من اللواء عبد الكريم زهر الدين رئيس أركان الحرب ومن عبد الحميد غالب سفير مصر في لبنان وهو عسكري سابق كان يعمل ملحقا عسكريا في واشنطن .

دارت الاتصالات حول تأكيد رغبة النظام في سوريا على اطلاع جمال عبد الناصر على حقيقة الأوضاع الداخلية بهدف اقامة تعاون جديد في العلاقات ، وخاصة أنه بعد استمرار تحديد اقامة حيدر الكزبري والقاء القبض على العقيد فيصل سري الحسيني الذي ثبتت صلته بالاردن والسعودية ووقف التعاون بين الملك حسين والقيادة السورية الجديدة فان حشودا أردنية وتركية بدأت تتجمع على حدود سوريا ٠٠٠ وطلب الوفد السوري وقف حملات صوت العرب حتى لا يعقد ذلك موقفهم ٠٠٠ كما

أوضحوا أن موقف عصاصة قائد سلاح الطيران السوري ليس هو الشخصية التي تستحق هذا التركيز من صوت العرب .

وتم الاتصال الثاني في ٨ إبريل بناء على طلب السفير المصري لتوضيح أن القاهرة تصر على عدم التدخل في الشؤون الداخلية لسوريا وإنها لا يمكن أن ترسل أية قوات إلا في حالة عدوان خارجي وبناء على طلب القيادة السورية ، وأما عن صوت العرب فإن ادعائه سوف تمضي في الدعوة الوطنية السورية .

وفي هذه المقابلة أبلغ العميد طه نور الله رسالة شخصية من اللواء عبد الكريم زهر الدين إلى جمال عبد الناصر ملخصها أن الملك حسين قد أبلغ ضباط السلاح الجوي الأردني أن يتأهبوا لعملية ضد سوريا تقف وراءها الولايات المتحدة وأن أموالاً سعودية وأردنية تتدفق لشراء رجال القبائل وقد لفتت القيادة السورية نظر السفير السعودي لذلك وأن هناك خشية من وثوب خارجي على النظام في سوريا تتعاون فيه الأردن وتركيا .

وتمت مقابلة ثانية يوم ١٣ إبريل حضرها مع الوفد السوري العميد هاشم هاشم أمّا رئيس المكتب الثاني (المخابرات السورية) .

كان ناظم القدسي قد عباد إلى رئاسة الجمهورية . . . وكان الوفد السوري حريصاً على تأكيد أن هدف القيادة السورية هو إقامة وحدة عربية سليمة على أساس نظام اشتراكي . . . وهو قول جديد بعد الانفصال .

الاتصالات سرية وتتم بين العسكريين . . . والقيادة السورية ليست منتمة ولا متعاونة مع تنظيمات سياسية سابقة ، والدكتور بشير العظمة رئيس الوزراء يعطى تصريحات يقول فيها (لنا أمل أن نعكس إرادة الشعب في مسألة الوحدة والاشتراكية) ويذيع بياناً يوم ٦ مايو يقول فيه أيضاً (أن الحكومة ترى في إعادة البحث في الوحدة مع مصر ضرورة قومية ومطلباً واقعياً ، ولا بد أن يكون البدء بهذه الوحدة مع مصر كخطوة أولى نحو الوحدة العربية المرجوة) .

وعادت الصحف المصرية لدخول سوريا .

مظاهر التغيير تنضج . . . والحكومة الجديدة تحاول الظهور في مظهر وحيد تحت ضغط الرأي العام . . . وتصدر بياناً في ٧ يونيو يؤكد موقفها السابق ويعلن في وضوح وصراحة عزمها على مباشرة الاتصال مع مصر للتعرف على وجهة نظرها في إقامة وحدة اتحادية .

وأصدرت الجمهورية العربية المتحدة بياناً أذيع يوم ٢١ يوليو ١٩٦٢ أعلنت فيه رأيها في الوحدة على شكل مشروع .

وكان رد الفعل عند الحكومة السورية هو اعلان الدكتور بشير العظمة رجوع حكومته عن فكرة العمل لاعادة الوحدة تحت حجة أن حكومته لاتمثل الشعب وليس من حقهم اتخاذ أى خطوة لتقرير مصيره .

الأمور لم تصل الى الوفاق المنتظر . . والتربص قائم بين حكومة القاهرة وحكومة دمشق ، والمحاولات لاشك مستمرة لتغيير الوضع القائم في سوريا تغييراً جذرياً يعيد الوحدة الى أصلها .

والصراع كما هو واضح يقوم بين العسكريين سواء من القاهرة أو دمشق . . . ومحاولات الاتصال ببعض الضباط السوريين مازالت جارية من جانب أجهزة المخابرات في القاهرة .

الفصل الرابع

مصر ٠٠ وسوريا بعد الانفصال

(ان حكومة الجمهورية العربية السورية قررت اعتبار الشكوى الواردة في مذكرتها بتاريخ ١٩ أغسطس ١٩٦٢ ضد حكومة مصر كأنها لم تكن ، وترجو حذفها من جدول أعمال الدورة الاستثنائية لمجلس جامعة الدول العربية) .

صلاح البيطار

رئيس وزراء سوريا

مارس ١٩٦٣ بعد اجتماع شتورا

معركة شتورا :

حملة اعتقالات بدأت في سوريا شملت الذين اصطلح على تسميتهم الناصريين ، والمحاولات مستمرة لانتهاء الوضع في سوريا .
وبدأت محاكمة الضباط السوريين الوجوديين المعتقلين في سجن المزة .

القنابل تنفجر في كثير من المدن السورية تثير القلق والتوتر .

حكومة سوريا تلجأ الى شكوى مصر لجامعة الدول العربية يوم ١٩ أغسطس ١٩٦٢ تماما كما فعل كميل شمعون عام ١٩٥٨ عندما نظرت الشكوى في اجتماع الجامعة بينغازى .

وأمين الجامعة عبد الخالق حسونة يحاول عقد اجتماع ثنائى بين سلطات القاهرة وسلطات دمشق . ولكن الجهتين تصران على أن يدرس مجلس الجامعة موضوع الشكوى .

وتقرر انعقاد المجلس فى شتورا بلبنان . . . عقدت الجلسة الأولى صباح ٢٢ أغسطس برئاسة أحمد بن عرفة رئيس وفد تونس ، وحضر وفود ١٢ دولة وتخلفت العراق ولم ترسل وفدا .

كانت المفاجأة هي تمثيل مصر بوفد برئاسة أكرم دبرى الوزير السورى السابق فى حكومة الوحدة ومعه جادو عز الدين الوزير السورى السابق أيضا ، والاثنان من العسكريين ومعهما عبد الحميد غالب سفير مصر فى بيروت ، والوزير المفوض طلعت صدقى ، وهو سوزى ثالث ، ومستشاران مصريان

وتشكل الوفد السورى من ١٢ شخصا برئاسة الدكتور جمال الغبرا وزير الخارجية والدكتور أسعد محاسن سفير الجمهورية العربية المتحدة السابق فى المغرب و خليل الكلاس أحد وزراء الوحدة .

المناقشات الأولية أوضحت أن ثلاث دول طلبت أن تكون الجلسات علنية هي مصر وسوريا والأردن ، وتسع دول طلبت أن تكون الجلسات سرية وبعد مناقشات استمرت جلستين أخذ قرار بسرية الجلسات لمناقشة الشكوى التالية المقدمة من جمال الغبرا :

(أتشرف بأن أرجو سيادتكم باسم حكومتى دعوة مجلس جامعة الدول العربية للانعقاد فورا للنظر فى الموقف الناجم عن الأقوال والأفعال التى يقوم بها ويدفع اليها الرئيس جمال عبد الناصر تجاه سوريا والتى تشكل اعتداء صريحا على سيادة الجمهورية العربية السورية وكرامة شعبها ، على أن يكون مكان الانعقاد فى أى بلد عربى غير مصر) .

استند الوفد السورى فى بيانه الأول على خطاب جمال عبد الناصر فى عيد الثورة العاشر الذى قال فيه :

(اننا لا يمكن بحال من الأحوال أن نرى الشعب السورى يوضع فى السجون ويضرب وتتحكم فيه الرجعية ونقول ان هذا لايعنيننا ان شعب سوريا أعلن سنة ١٩٥٨ أنه جزء من الجمهورية العربية المتحدة

واننا نشعر نحوه أيها الاخوة بمسئوليات كبيرة ٠٠٠ اننا مع شعب سوريا في كفاحه ضد الرجعية وضد الانتهازية وضد الاستعمار)

واعلنت سوريا قائمة اتهامات لمصر :

١ - سفارة مصر في بيروت تعرض على اغتيال ضباط القيادة السورية في أواخر يونيو ١٩٦٢ .

٢ - ارسال متفجرات لدمشق مع شخص يسمى بديع حجازي يوم ١٧ يوليو عن طريق نجيب جويقل عضو الإخوان المسلمين والهارب من مصر .

٣ - محاولات فؤاد هلال الضابط السنيابق والوزير المفوض المصري ببيروت ، وزغلول عبد الرحمن الملحق المصري بلبنان ، وخيري حماد الكاتب الفلسطيني - التجسس على سوريا عن طريق الاتصال ببعض العملاء .

٤ - ارساله أموالاً للضباط السوريين .

٥ - تحريض لاجئين عراقيين ولاجئين لبنانيين للتآمر على سوريا .

سبع وثائق قدمها الوفد السوري وكلتها تدور حول محاولات اتصال بمناصر معادية لنظام الحكم القائم داخل سوريا ٠٠٠ وهي في مجموعها تشكل أساسا استند عليه الوفد السوري في مهاجمة مصر وضرب الوحدة .

انضم أمين الناقوري الضابط ووزير الوحدة السابق إلى الوفد السوري في الجلسة السادسة ليوامه زملاءه أكرم ديري وجادو غز الدين ، وشن حملات شديدة على أسلوب معاملة الضباط المصريين للضباط السوريين ٠٠٠ واتهم مصر بالتخاذل لقبولها قوات الطوارئ الدولية مسفها قول المشير بأن هذا يوفر على مصر تكاليف المواجهة الى أن نستعده تماما لمناطحة اسرائيل .

وانتقل أمين الناقوري الى موضوع تحويل مجرى نهر الأردن واتهم مصر بأنها تساعد اسرائيل بطريق غير مباشر عندما تتقاعس في الهجوم عليها وتدخل ذلك في حسابات عبر عنها بأنها - غير صحيحة - ودلل على ذلك بقوله (القذف الجوي بأحسن الشروط وعلى الارتفاعات المتوسطة لا يحدث تخريبا أكثر من ٥ في المائة في المطارات وفي الأجهزة ، وإذا ما تدخلت الطائرات المقاتلة انهدمت فعالية القذف الجوي لاعتبارات نفسية وانسانية تتعلق بالسلامة الشخصية لأفراد القاذفات) ٠٠٠ ويؤكد أمين الناقوري رأيه بالقول (وعلى كل حال حسب معلوماتي أن قوات الجمهورية

العربية المتحدة تستطيع سحق إسرائيل حتى ولو دعمت بالمساعدة الفرنسية التي كانت عام ١٩٥٦ وهي فرقة مدرعة خفيفة ولواء جوى) .

وانطلاقاً من هذا المنطق هاجم أسعد محاسن مصر وقال ان (حياذ القاهرة الايجابي بين إسرائيل والعرب فقط) ، وانطلاقاً من المنطق الذي ساد خلال هذه الفترة ونما خلال مقالاته وأحاديث بعض وزراء الوحدة المستقلين ؛ وخاصة أكرم الحوراني الذي وصم جمال عبد الناصر بالتخاذل وتنفيذ المخططات الأمريكية في المنطقة ومساعدة إسرائيل بطريق غير مباشر ٠٠٠ يتبين أن الخلافات كانت قد وصلت إلى درجة من الانفصال يصعب كبح جماحها ٠٠٠ وتبين أيضاً أن موقف المطالبين بالتعرض الفوري لإسرائيل هو موقف يستند إلى الحماس والتطرف اللفظي ولا يستند إلى الواقع الموضوعي الذي كان يدركه جمال عبد الناصر في عمق ويتشبث به .

تسهيل موضوع الاندفاع للحرب ٠٠ واتهام كل مناقش لهذه الفكرة بأنه متخاذل ومتردد ٠٠٠ هو أمر يدل على نقص في سلامة التقدير ، والاندفاع عفوي غير مدرك خطوات المسيرة ، وقد أثبتت الأحداث بعد ذلك عام ١٩٦٧ أن الحرب ليست عملاً من أعمال الكلام ، ولكنها علم وفن . وسلامة تقدير وإرتباط بالجماهير .

وانقل هنا بعض ما دار من نقاش بين المشير والناقوري خلال جلسة مناقشة تحويل مجرى نهر الأردن ، كما وردت على لسان الناقوري في البيان الذي أدلى به في الجلسة السادسة بمؤتمر شتورا .

قال المشير : (ان الذي يخشاه ليس إسرائيل ٠٠ بل هي القوات الغربية التي تدعم إسرائيل) ونوه بالعدد المتزايد لقوات إسرائيل .

فأجبت - رأى الناقوري - (اننا نصرف قوات إسرائيل معرفة دقيقة ، ونعرف جيداً العدد الصحيح الذي تستطيع تجنيده من النساء والرجال ، ولدينا سجلات عن امكانيات إسرائيل العددية ولا يتجاوز الخطأ فيها نسبة ٥ في المائة وليس هناك ما يقلق أبداً من جهة إسرائيل ، سواء كان من حيث عدد القطعات أو من حيث التجهيز والمعدات) .

تبسيط قضية الصدام بإسرائيل كان طابع المناقشة ومنبع الهجوم .

وذكر أمين الناقوري أنه في اليوم التالي لهذه الجلسة وبينما كان هو وأحمد عبد الكريم زميله في الوزارة بنساذي الجزيرة أقبل عليهما صلاح سالم وأبلغهما أن جمال عبد الناصر قد تحدث معه تليفونيا بعد انتهاء الجلسة مباشرة قائلاً له (ان الوزراء السوريين قد أثاروا قضية تحويل نهر الأردن ، ووضعوا في موقف حرج للغاية وأن مهمتنا في الشرق

الأوسط هي مكافحة الشيوعية ، فإذا ما أثرنا هذه القضية الآن في الصحف يكون الرأي العام في الجمهورية العربية المتحدة وفي العالم العربي ضد التحويل وسوف تنضم روسيا لدعم هذا الموقف ولهذا يجب ألا يذكر شيء في الصحف عن هذا الموضوع) .

وإذا كان صحيحا ما ذكره الناقورى فإن علاقات جمال عبد الناصر مع الاتحاد السوفييتى في ذلك الوقت كانت متردية منذ نهاية العام السابق ١٩٥٨ ، ولكنه كان قد أرسل صلاح سالم الى موسكو في ٧ نوفمبر ١٩٥٩ وذهبت معه وقتها حيث أجرى حديثا مع خروشوف كان من معالم الرجوع عن الهجوم المتبادل ، وتم الاتفاق خلال الرحلة على تنفيذ المرحلة الثانية من مشروع السد العالى .

كان صلاح سالم خلال هذه الفترة قد بدأ يغير أفكاره التقليدية السابقة ويصبح أكثر اقتناعا بالاشتراكية . زيارة الاتحاد السوفييتى ، والاتجاه اليسارى لبعض العناصر في جريدة الجمهورية رغم وجود الشيوعيين في المعتقلات ، والمناقشات المتكررة مع خالد محيى الدين ومجدي حسين ومع أعضاء المجلس القومى للسلام والزعامة السابقين في الجيش . . . كل هذا كان له تأثير كبير في تطور تفكير صلاح سالم . ولعل هذا هو ما دفعه الى القول على لسان عبد الناصر (ان مهمتنا في الشرق الأوسط هي مكافحة الشيوعية) كنوع من التجسيد والتضخيم لحذر عبد الناصر من اثار هذا الموضوع اعلاميا . . . وان كانت الحقيقة الموضوعية خلال هذه الفترة هي أن القاهرة كانت تضرب الشيوعيين فعلا وانها كانت تخدم بذلك أطماع الامبريالية بطريق غير مباشر .

ولكن الأمور بالقطع لم تكن تصل الى حد العمالة للسياسة الأمريكية ولا التآمر على القضية الفلسطينية ولا التخاذل المقوت في المواقف الوطنية كما حاول كثير من الكتاب تصوير موقف مصر ، وخاصة أكرم الحوراني .

وحزب البعث في سوريا كان قد تشتت مع الوحدة ، ولم يكن تجميعه سهلا بعدها فقد انقسم الى عدة اتجاهات وأحزاب .

أكرم الحوراني عاد الى تشكيل الحزب العربى الاشتراكي وشارك ببعض وزرائه في حكومة الانفصال ، وكان قاسيا في أحكامه ضد عبد الناصر والسلطة في مصر .

أما ميشيل عفلق أمين القيادة القومية فقد أصدر بيانا يدين الانفصال كما سبق أن ذكرت ، وعقد سرا في شخص مؤتمرا قوميا لقيادة الحزب

من أعضاء غير سوريين كان منهم على صالح السعدى الذى أصبح نائبا لرئيس مجلس الوزراء العراقى فى ثورة فبراير ١٩٦٣ .

ولكن مجموعة من البعثيين رفضت خط القيادة القومية وشكلت قيادة قطرية فى سوريا كان سكرتيرها العام رياض المالكى شقيق عدنان المالكى الذى عمل وزيرا للثقافة فى سوريا خلال الوحدة ٠٠ وضمت هذه القيادة كلا من يوسف زعين وابراهيم ماحوس وصلاح جديده ونور الدين الاتاسى .

وهكذا تعددت قيادات البعثيين فى سوريا خلال هذه الفترة ٠٠٠ وبينما أدان حزب البعث فى العراق عملية الانفصال تشبثت الأفراد فى سوريا بين موقف القيادة القومية (ميشيل عفلق) وموقف القيادة القطرية المعارضة لها (رياض المالكى) وانتهت وحدة الحزب بعد انفصال الحوراني عنه وإعادة تشكيله للحزب العربى الاشتراكى .

وعندما استشهد الوفد المصرى بمقال نشره صلاح البيطار عن تحويل نهر الأردن يوم ١٨ أغسطس ١٩٦٣ فى جريدة البعث وروى قصة الاجتماعات كما حدثت وانها بهذا التساؤل :

(من حق الناس أن يسألونى : هل تكون عندك خلال هذه المناقشات ومن خلال الحوادث التى تعاقبت فيما بعد شعور أن عبد الناصر أو المشير أو الحكم فى الجمهورية العربية المتحدة يتخطى لتصفية القضية الفلسطينية ؟ وجوابى : لا ، وهو ذات الجواب بالنفى الذى كنت أعلنه فى عهد الوحدة والذى أعلنته فى عهد الانفصال) .

عندما استشهد الوفد المصرى بهذا المقال تأكيداً من رجل مسئول بسلامة موقف جمال عبد الناصر وسلطة القاهرة ٠٠٠ استشهد الوفد السورى ببيان لم ينشر ولم يدع لصلاح البيطار نفسه يهاجم فيه النظام الفردى ويصف الحكم فى الجمهورية العربية المتحدة بأنه (شأنه شأن أكثر الانقلابات العسكرية جاء عن طريق العنف ويحكم منطق القوة والقسر) .

الاستناد الى بيان غير مداع لا يعطى قوة للحجة السورية ، والحديث عن (معاداة النظام الفردى للشعب ولكن فلسفة أو حركة تؤمن بالشعب وثائق بسلامة تقديره وتعمل على تنظيمه) ، كما كتب البيطار ، هذا أمر لا يتناقض مع اتخاذ موقف وطنى فى قضية تحويل مجرى نهر الأردن .

ولم يكن تحويل نهر الأردن هو المشكلة الوحيدة التى ركز الهجوم السورى عليها فى شتورا ٠٠ وإنما أخذ الجانب السورى موقف النفى

لما سبق أن رواه السفير المصرى فى بيروت من وقائع تتصل بأن أموالاً سعودية وأردنية تدفق على سوريا ، وأنه سبق للسلطات السورية أن نبهت السفير السعودى لذلك .

كان ذلك دليلاً على أن خطوات التقارب التى تمت بين دمشق والقاهرة خلال شهر ابريل لم تكن مخلصه وأن موقف الحكومة السورية كان ومازال أقرب الى التعاون مع الحكومات الرجعية فى المنطقة .

وفى الجلسة الثامنة التى عقدت يوم ٢٨ أغسطس القى أكرم دبرى بيانا أمام المجتمعين أعلن فيه أن وفد الجمهورية العربية المتحدة قد أجاب على كل الاتهامات والافتراءات وأنه يجد (أن الجامعة العربية بأوضاعها الحالية ليست - شكلاً وموضوعاً - أداة صالحة للوصول بالنضال العربى الى أهدافه ٠٠٠) وأنها مازالت - حتى الآن بكل الاثقال التى تفرضها عليها النظم الرجعية المتعاونة مع الاستعمار - غير قادرة على شئ الا أن تكرر نفسها بمثل ما حدث فى تكبة (١٩٤٨) ولذا قرر الوفد الانسحاب من الاجتماعات ومن الجامعة العربية أيضاً .

كان الموقف صدمة مفاجئة للحاضرين ٠٠٠ ولكن حدثاً ما هو الذى دفع اليه ، فقد هرب المقدم زغلول عبد الرحمن الملحق العسكرى المصرى فى بيروت مساء اليوم السابق ٢٧ أغسطس الى سوريا وأعلنت الحكومة السورية أنه سيجابه الجماهير والصحفين ومراسلى وكالات الأنباء فى مؤتمر يعقد فى الساعة السادسة من مساء يوم ٢٨ أغسطس .

كان زغلول عبد الرحمن ضابطاً فى المخابرات المصرية وأحد المسئولين الرئيسيين عن المنطقة ، باشر عمله فيها منذ منتصف الخمسينيات . ورد اسمه فى اتهامات الوفد السورى بمحاولات التجسس والتخريب والتآمر ، وكان مقرباً من المشير عبد الحكيم عامر . اذ كان أحد أصفائه من الضباط الذين يستطيعون مقابله بلا موعده .

كان ظهور زغلول عبد الرحمن بهذه الصفة أمام المراسلين العرب والأجانب كفيلاً بتدمير موقف الجمهورية العربية المتحدة فى اجتماعات شتورا ٠٠٠ ولذا صدرت التعليمات من جمال عبد الناصر للوفد بالانسحاب .

وقال خليل الكلاس تعقيباً على انسحاب الوفد المصرى بأن ضابط المخابرات زغلول عبد الرحمن كان سينضم للوفد السورى فى اجتماعات شتورا .

وليس من شك في أن موقف زغلول عبد الرحمن كان ثمرة محتملة لاعطاء بعض العسكريين المقربين من مركز القيادة صلاحيات لا تؤهلهم لها خبرتهم ولا كفاءتهم ولا قيمهم السلوكية التي تنهار حتما أمام الاغراء الذي قدمه مركز القيادة والتساهل الذي يراقب به تصرفات المقربين .

وكان معروفا أن زغلول عبد الرحمن قد أدمن القمار وخسر مبالغ كبيرة عوض بعضها من القاهرة ومن المشير شخصيا ومع ذلك ظل في موقعه مستولا عن أجهزة الأمن مع عدد آخر من العسكريين .

وكان معروفا أيضا أن زغلول عبد الرحمن تربطه صلة نسب وقربة بأحمد أبو الفتوح وأحمد فهمي اللذين خرجا من مصر وتعاونوا لفترة طويلة مع أجهزة مخابرات أجنبية وعربية رجعية خلال اذاعة (مصر الحرة) . ومع ذلك لم تحاول الجهات المسئولة معرفة أثر هذه الصلة في حركته وأسلوبه .

كانت العلاقات الشخصية والاقتراب الشديد من مركز السلطة هما المؤهلات التي يعتمد عليها الانسان مدنيا أو عسكريا في تحقيق أغراضه .

وغريب ألا يكون موقف جلال هريدي قائم المظلات والمقرب من المشير بعد اذاعته المعروفة من دمشق باعثا على مراجعة موقف بعض العسكريين المقربين .

ولكن كانت عودة المشير عامر الى موقعه في الجيش بعد استقالته التي قدمها عندما حاول مجلس الرئاسة استصدار قانون يحد من اختصاصه وتضامن بعض قادة الأسلحة والوحدات معه هي بداية عودة الجيش الى السلطة بصورة مباشرة . وهي بداية الاعتماد على الأصدقاء المقربين من المشير في تنفيذ أغراضه وتأكيد سلطته .

هذا النفر القليل من العسكريين المستفيدين هم الذين أساءوا الى العسكريين عموما والى المشير بصفة خاصة وكانوا وصية في جبين النظام جعلت وفده في شتورا ينسحب بطريقة غير منتظمة تثير الأسى وتشير الى نقاط ضعف كان يجب أن تعالج منذ البداية .

وانتهت اجتماعات شتورا بقرار من ثلاث نقاط يتضمن عدم استطاعة الاستمرار في نظر الشكوى بسبب انسحاب وفده الجمهورية العربية المتحدة ، واستمرار الدورة الاستثنائية مفتوحة مع بذل الدول الأعضاء المساعي اللازمة لدعم كيان الجامعة باحترام ميثاقها ولم شملها كفالة لاستمرار نهوضها برسالتها .

وانتهت الجلسة الأخيرة بعد منتصف ليلة ٣٠/٣١ أغسطس ١٩٦٢ .
اكتسبت الحكومة السورية رصيذا من اجتماعات شتورا لدعم
الانفصال ٠٠٠ ولكن الضباط السوريين الذين عجزوا عن وقف الانفصال
في ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ ، وفشلوا في فرض وجودهم بعد حركة الجيش
وقرارات مؤتمر حمص في ابريل ١٩٦٢ ، لم يركنوا الى الاستكانة .

البعث ينتصر :

وعاد ضباط البعث للنشاط من جديد ٠٠٠ محمد عمران الذي سبق
له أن عرض على أمين الحافظ أن يتحرك معه كان يدبر أمره في سرية دون
ولاية من أحد ، وخاصة بعد حل حزب البعث ، ورغم أنه ضابط يعنى قديم
الا أن أكرم الحوراني يقول انه لم يكن يعرف شيئا عن تديراته ، ربما
لابتعاد أكرم نفسه عن صفوف الحزب ٠٠٠ وربما لأنه كان صعبا خلال
هذه الفترة القول بأنه كان هناك حزب موحد بعد التناقض السافر بين
القيادة القومية والقيادة القطرية .

ولم تكن الرغبة في ضرب الانفصال قاصرة على ضباط البعث ،
ولكنها شملت الضباط الناصريين أيضا .

وشجع الحركة المعادية للانفصال في سوريا قيام حركة ٨ فبراير
١٩٦٣ في العراق والاطاحة بحكم عبد الكريم قاسم ، وتعيين عبد السلام
عارف رئيسا للجمهورية ، وأحمد حسن البكر رئيسا للوزراء ، وعلى صالح
السعدى نائبا لرئيس الوزراء . والآخر كان أحد المسئولين بعد مؤتمر
البعث في مايو ١٩٦٢ بحمص في القيادة التي شكلت لسوريا .

نشرت الأهرام يوم ٢٢ فبراير ١٩٦٣ خبرا يقول ان ناظم القدسي
رئيس الجمهورية قد صدق ليلة عيد الوحدة على أحكام الاعدام التي
أصدرتها محكمة أمن الدولة العسكرية على ضباط حلب ٠٠٠ وأن برقية
قد خرجت من سجن المزة بتوقيع لؤي الاتاسي ومقدم محمد عمران .

ولم يمض شهر واحد حتى تحركت قوات الجيش السوري ٠٠٠
قاد الحركة عميد زياد الحريري وهو ضابط بعيد عن الشبهات ، ليس
بعثيا وليس له ماض سياسي ٠٠٠ وعين رئيسا لأركان انقوات المسلحة .

وخرج لؤي الاتاسي قائد منطقة حلب السابق والذي وضع في
سجن المزة بعد محاولة ابريل ١٩٦٢ ، ليصبح قائدا عاما للقوات المسلحة
برتبة فريق ورئيسا لمجلس قيادة الثورة السوري .

الدواء راشد قطيني عين معاونا للقائد العام للقوات المسلحة .

قورة يوليو ج ١ ب ٧٦٩ .

وعين العميد محمد الصوفى وزيرا للدفاع •
وتشكل المجلس الوطنى لقيادة الثورة الذى ضم المقدم فواز محارب.
والمقدم فهد الشاعر •

• ومحمد الصوفى أصبح وزيرا للدفاع برتبة فريق •
وتولى صلاح البيطار منصب رئيس الوزراء ، واستدعى أمين الحافظ
من عمله ملحقا عسكريا بالأرجنتين ليصبح وزيرا للداخلية •
ودارت العجلة فى اتجاه معاكس ٠٠٠ وصدرت نشرة عسكرية.
بتسريع ٦٨ ضابطا ، وعاد الى الخدمة كثير من الضباط البعثيين المسرحين ،
محمد عمران تولى قيادة اللواء مدرع وصلاح جديده تولى منصب كاتم
أسرار •

يقول أمين الحافظ الذى وصل الى دمشق يوم ١٣ مارس بعد خمسة
أيام من الانقلاب أنه كان ضد تسريع ضباط من الجيش وأنه يعتبر ذلك
جريمة ٠٠٠ ولكنها كانت وقعت قبل حضوره كما يقول •

لم يعد الى الجيش بعض الضباط الذين اشتهروا بأنهم ناصريون •
تغير الموقف فى سوريا جذريا ٠٠٠ ولجأ خالد العظم رئيس الوزراء
الى سفارة تركيا • وأرسل صلاح البيطار رئيس الوزراء ووزير الخارجية
كتابا الى أمين الجامعة العربية يقول فيه :

(ان حكومة الجمهورية العربية السورية قررت اعتبار الشكوى
الواردة فى مذكرتها بتاريخ ١٩ أغسطس ١٩٦٢ كأنها لم تكن وترجو
حذفها من جدول أعمال الدورة الاستثنائية لمجلس جامعة الدول العربية) •

وأوضح الكتاب أيضا :

(أن حكومة سوريا التى قامت بعد ثورة أطاحت بمزيفى ارادة
الشعب العربى فى هذا البلد المؤمن بوحدة الأمة العربية ايمانه بوجوده
تفتنم الفرصة لتنتقل الى جامعة الدول العربية الموقف المعبر عن حقيقة
مشاعر الشعب فى تلك المأساة الكبرى التى أثارها الفئات الرجعية
والانفصالية والشعوبية فى آخر اجتماع لدول الجامعة العربية فى
شتورا) •

ثم يقول بعد تفصيل (الموقف الشائن الذى صغقت له أبواب الرجعية
وأشادت به وسائل الاستعمار وامرائيل) •

• (وهكذا جاءت ثورة الشعب العربي في سوريا ثارا لمعركة شتورا ولكارثة الانفصال ولعزم هذا الشعب على الانطلاق في طريق الوحدة على حطام الرجعية والانفصال والشعوبية •• ويعلن في النهاية استنكار حكومة سوريا لتلك (الشكوى المزعومة) وسحبها شكلا وموضوعا) •

مباحثات الوحدة الثلاثية :

وفي اليوم العاشر للانقلاب بالتحديد •• يوم ٧ ابريل ١٩٦٣ اجتمع في القاهرة ممثلون عن الحكم في مصر (١) ، والحكم الجديد في العراق (٢) والحكم الجديد في سوريا (٣) •

سنة ونصف فقط بعد الانفصال وممثلون من سوريا والعراق يحضرون الى مصر لمناقشة قضية الوحدة •

كانت سوريا خلال هذه الفترة مسرحا لحركة العسكريين الذين تتابع ظهورهم على مسرح الأحداث ، وتغيرت تبعاً لهم الوزارات التي لم تكن أكثر من واجهة للحكم بلا نفوذ حقيقي •• ولا يمكن القول مطلقاً بأن الحكم كان مستقراً أو قريباً من الاستقرار •

الضباط السوريون الذين قاموا بالحركات العسكرية المتتالية لم يكونوا في مناصب القيادة العليا مثل حسني الزعيم وسامي الحناوي وأديب الشيشكلي •• وإنما كانوا من رتب وعمر أصغر •• وكانت التسريحات التي تصحب كل حركة والتي تكررت عدة مرات في سبتمبر ١٩٦١ وابريل ١٩٦٢ ومارس ١٩٦٣ تضعف من ثورة الجيش السوري وتخرج منه عناصر ذات كفاءة عالية ، البعض منهم درس في كلية الأركان (فرونز) بالاتحاد السوفيتي ، والبعض كان من الذين دربوا في القوات الجوية تدريباً استغرق كثيراً من الوقت والجهد والمال •

استنزفت الحركات العسكرية السورية قوة الجيش الى جانب الضحايا الذين تساقطوا من الجنود والضباط برصاص زملائهم وخاصة في حلب •

(١) الوفد المصري كان مشكلاً من : جمال عبد الناصر - عبد اللطيف البغدادي - عبد الحكيم عامر - كمال الدين حسين - علي صبري - أمين هويدي - عبد المجيد فريد •

(٢) الوفد العراقي كان مشكلاً من : صالح السعدي - مهدي صالح هاشم - طالب شبيب - دكتور عبد الرحمن البزاز •

(٣) الوفد السوري كان مشكلاً من : نهاد القاسم - عبد الحليم سويدان - عبد الكريم زهور - راشد قطيني - زياد الحريري - فواز محارب - فهد الشاعر •

كانت فترة الوحدة من أكثر الفترات استقراراً في سوريا ٠٠ أكثر من ثلاث سنوات ونصف والجيش يمارس دوره الوطني بلا هزات تؤثر على مستواه سوى التسريحات وإبعاد بعض العناصر ذات الشخصية والكفاءة من القيادات المناسبة لها ٠

حركة ٨ مارس ١٩٦٣ كانت انقلاباً عسكرياً مرتبطاً بحزب البعث ، الضباط البعثيون شاركوا فيه مشاركة إيجابية ، ولكنهم لم ينسقوا حركتهم مع الحزب ولم يأتروا بأمر القيادة السياسية فيه ولم ينفردوا وحدهم بالعمل ٠

وظهر اتجاهان بين الضباط : قوميون يطالبون بعودة الجمهوريات العربية المتحدة فوراً ثم تنضم العراق ٠٠ وبعثيون عبر عن رأيهم صلاح البيطار بقوله ان هدفهم كان إسقاط الانفصال وعودة العلاقات الطبيعية الأخرى بين الجمهورية العربية المتحدة وسوريا لأجراء مفاوضات ومباحثات لإقامة وحدة على أسس سليمة ومدروسة ٠

بدأت مباحثات الوحدة الثلاثية في فترة كان الحكم في مصر قد استقر فيها على أسس جديدة ٠٠ صدر الميثاق كأول وثيقة رسمية لثورة يوليو ٠٠ وتشكل الاتحاد الاشتراكي على أساس مختلف عن تنظيم الاتحاد القومي ٠٠٠ وكانت الحركة التي محاولة التطبيق الاشتراكي أكثر وضوحاً ٠

ومنذ الجلسة الأولى لمباحثات الوحدة التي عقدت مساء يوم ١٤ مارس ١٩٦٣ في سراي القبة بالقاهرة قال جمال عبد الناصر في صراحة انه يرفض وحدة مع حزب البعث (اذا كان حزب البعث هو الذي يحكم سوريا وستكون الوحدة معه فانا على غير استعداد للبحث إطلاقاً) ٠

الحساسية من قيادة البعث في ذروتها ٠٠٠ وعلى صالحي السعدى نائب رئيس وزراء العراق يقول (أما عن توقيع البيطار لوثيقة الانفصال فانها كانت جريمة والذي دفعه في ذلك هو الجوزاني ، وقد فاجأ بها كما أن صلاح البيطار بكى كثيراً بعد ذلك على ارتكابه هذا الجرم) ٠

ودافع السعدى عن علق والبيطار قائلاً انهما مخلصان في دعوتهما للوحدة وفي حبس نيتهم للعمل من أجلها ٠

المرارة في قلب عبد الناصر شديدة ٠٠٠٠ يعتبر أن موقف السعدى الذي اتخذه البعث والشعارات التي رفعها هي التي مهدت للانفصال ٠٠

ويقول جمال عبد الناصر : (أنا شغيت من البعث السوري ما لم يره أي إنسان) ٠

وعندما علم جمال عبد الناصر في مقابلة خاصة مع عبد الكريم زهور عضو الوفد السوري ووزير الاقتصاد أن توزيع مقاعد المجلس ستم على أساس سبعة من البعث وثلاثة من بقية القيادات القومية والوحدوية شعر أنه يدخل من جديد إلى ميدان المناورات الحزبية .

واقترح على صالح السعدى في الجلسة الرابعة للمباحثات حضور قيادة حزب البعث السوري إلى القاهرة في محاولة لتصفية الجو بينها وبين عبد الناصر . وفي الجلسة الخامسة تقرر ذلك وانتهت المرحلة الأولى لمباحثات يوم السبت ٦١ مارس ١٩٦٢ ببيان يقول ان المباحثات قد وصلت إلى مرحلة تستوجب رجوع وفدى العراق وسوريا إلى بغداد ودمشق ثم الاجتماع مرة أخرى في القاهرة .

وبدأت المرحلة الثانية يوم ١٩ مارس بوفد مصرى مشكل من جمال عبد الناصر وعبد اللطيف البغدادى وعبد الحكيم عامر وكمال الدين حسيني وعلى صبرى ووفد سوري مشكل من صلاح البيطار وميشيل عفلق ولؤي الاتاسى وفهد الشاعر .

المواجهة أصبحت مباشرة بين عبد الناصر وقادة البعث في جو تحيط به أزمة ثقة .

وجمال عبد الناصر يعترف بأن حل الأحزاب السورية على اختلاف مشاربها سار بسرعة شديدة (وما كانش صبح) على حد تعبيره ويقول (احنا فى سنة ١٩٥٨ كان لازم اتبعنا أسلوب آخر وهو حل الأحزاب التي لا تتفق فى الهدف ، ثم جميع الأحزاب الأخرى التي تجمعها وحدة الهدف . . الأحزاب القومية تكون هي الطلائع الثورية في جبهة قومية تسير على هدف واحد) .

غيبة التنظيم السياسى كانت عامل ضعف شعر به عبد الناصر عندما تهافت الوحدة ولم تجد أحدا يدافع عنها .

وتثبتت المحادثات أن حزب البعث لم يدافع عن فكرة عدم الغاء الأحزاب ، وقال ميشيل عفلق تبريرا لذلك (باعتقد أنه بدون الحل ما يتكون تصير وحدة) .

وميشيل عفلق وصلاح البيطار يدينان موقف أكرم الحوراني الذي اعتبره اقليميا في تصرفاته بعد الانفصال ، ويقولان أنهما تصورا أن الاتحاد القومي كان يمكن أن يؤدي دور الحزب اذا كانت قد استبعدت منه العناصر الرجعية .

ويتدرج النقاش الى موقف الوحدة من الانقلابات العسكرية وعلاقة
البعث بضباط الجيش ... وجمال عبد الناصر يصرح بأنه رفض عرضا
تقدم به ضابط سوري اسمه فايز الرفاعي من ضباط الانفصال للقيام
بالانقلاب يعلن الوحدة قائلا :

(أنا لا أستطيع أن أقبل وحدة بالانقلاب ... الوحدة أولا ثقة
كاملة ... محصنة ضد الغدر) .

الحرص واضح على إبعاد حركة الوحدة عن انقلابات الجيش حتى
لا تنتشر العدوى الى مصر بعد استقرار للثورة زاد عن عشر سنين ...
تدخل الجيش أو الرضوخ لحركة الانقلابات أمر مرفوض .

(العملية الى فائت تجربة رائدة وانتهت ... وأى عملية جديدة
لازم تقوم على أساس سليم) .

هكذا أعلن جمال عبد الناصر .

وقال عبد الحكيم عامر (الانفصال لم يظهر خطورة الرجعية في
سوريا فقط ... ولكن أظهر خطورة الرجعية في مصر أيضا ... فهي كلها
تضارب) .

ويدور حديث عن المباحث وبذر العملاء ، ويقول جمال عبد الناصر
أنه أعطى ميشيل عفلق ٧٠٠٠٠ جنيه مساعدة لبعث العراق وأنه لم يطلب
منه أن يكونوا عملاء ... وأيد على صالح السعدي الواقعة وقال أن المبلغ
كان لمساعدة المناضلين .

العقاب والنقد مستمر حول بعض التصرفات الشخصية التي أشعرت
البعثيين أنهم في عزلة وأشعرت عبد الناصر أنهم مستمرون في المؤامرات
الحزبية ... ومجابهة الموقف الحالي بعد ثورة العراق تضاع على مائدة
النقاش فكرة الوحدة الاتحادية ... وفكرة الجبهة أيضا .

الوحدة الاتحادية تحتاج الى قيادة سياسية تضمن استقرارها ...
وجمهوريات الاتحاد السوفيتي لها حق الانفصال دستوريا ولكن واحدة
منها لم تنفصل لوجود القيادة السياسية الواحدة ... وهي اذا كانت
شكلية ولدت ميتة مثل اتحاد الجمهوريات العربية مع اليمن .

وجمال عبد الناصر يعلن حذره من وحدة اتحادية يلعب فيها البعث
دور القيادة السياسية في سوريا والعراق ... ويتساءل عن نتيجة حدوث
خلاف بين مصر واحدى دول الاتحاد واحتمال تطبيق المثل الشعبي (أنا
وأخويا على ابن عمي) .

والجبهة قضية مطروحة ٠٠٠ ولكن مع استبعاد الشيوعيين والاخوان المسلمين .

النظرة القديمة لم تتغير ٠٠٠ ونظرة حزب البعث تتفق مع نظرة عبد الناصر .

صلاح البيطار يقول انه لا ينظر في الجبهة للحزب الشيوعي على اساس أن له فلسفة اشتراكية خاصة فقط ٠٠ ويقول جمال عبد الناصر (القومية بالنسبة لهم رجعية) ويعود صلاح البيطار للتأكيد (بالنسبة لنا هم أعداء للوحدة ما هم بس أعداء القومية) ٠٠٠ ويوافق ميشيل عفلق على ذلك قائلا (لا بالنسبة لنا فقط وإنما بالنسبة للجماهير) .

الجبهة في نظر المجتمعين تستبعد الأحزاب الشيوعية ٠٠ جمال عبد الناصر يتساءل في خشية عن سبب إعطاء الإخوان المسلمين في سوريا تصريحاً باصدار جريدة ٠٠٠ ويقول لؤي الاتاسي بأنهم لا يريدون أن يفتحوا حرباً عليهم الآن ولكن لا يفتحون أبواب الجبهة لهم .

الجبهة في سوريا تقتصر على تفكير ميشيل عفلق في تعدد الأحزاب غير المعادية للاشتراكية التي تتنوع خططها ، حتى يكون في ذلك (ضماناً لحده ما للحرية السياسية) ٠٠٠ ويقول صراحة (الحزب الواحد مهما كان فيه ديموقراطية يبقى في كونه حزب واحد نوع من القمع ٠٠٠ نوع من التضيق على الحريات) ٠٠٠ وينتهي الأمر الى اقرار ثلاثة تنظيمات رئيسية يمكن أن تنضوي تحت لواء الجبهة وهي « البعث » و « القوميون العرب » و « الوجوديين الاشتراكيين » .

التصور عند جمال عبد الناصر مازال هو تكوين جبهة - كما اقترح على وفد العراق - (تضم كل القوميين والوجوديين حتى يمكن الوقوف أمام الرجعيين والشيوعيين) .

أحزاب الطبقة الوسطى مازالت تريد أن تنفرد وحدها بالسلطة بعيداً عن أحزاب الطبقة العاملة ٠٠٠ والاتحاد الاشتراكي الذي يضم تحالف قوى الشعب العاملة يضع العمال والفلاحين بثقلهم الحيوي الكبير تحت قيادة الطبقة الوسطى المثلة في العسكريين والتابعين لهم من المثقفين وأبناء الرأسمالية الوطنية .

ورغم القول بتمثيل العمال والفلاحين بنسبة (٥٠) في المائة في تنظيمات الاتحاد الاشتراكي ومجلس الأمة ومجلس الإدارة ٠٠٠ ومع ما في ذلك من خطوة ايجابية لمشاركة هذه الطبقات وظهورها على مسرح

الإحداث السياسية ، إلا أنها تظهر لتؤدى دورا ثانويا (كومبارس) بينما أدوار البطولة تنعقد لأبناء الطبقة الوسطى القابضين على السلطة .

المشاركة تأخذ طابعا شكليا أكثر منها حقيقة موضوعية .

والإصرار على عزل التنظيمات الشيوعية يؤدى فى النهاية الى عزل للتيار الفكرى التقدمى .

والحوار يدور حول التنسيق بين الاتحاد الاشتراكى وبين الجبهة المقترحة أو المنتظر تشكيلها فى كل من العراق وسوريا .

وتنتهى المرحلة الثانية من المحادثات بعد خمس جلسات فى ٢٠ مارس ١٩٦٣ ، ولكن الرأى مازال غير موحد وغير متطابق ، وصفحة الحساب القديم لم تطلو لتفتح صفحة جديدة بيضاء

وتبدأ المرحلة الثالثة من المحادثات يوم ٦ إبريل لتستمر عشر جلسات (١) .

الصراع مازال يدور بين جريدة البعث التى تحدثت عن أخطاء الوحدة ، وجريدة الأهرام التى انجرت فيها محمد حسنين هيكل بكتابة مقال تحت عنوان (انى أعترض) أذيع ١٢ مرة فى الاذاعة واستهدف كما قال صلاح البيطار (إثارة الناس على حزب البعث وعليه يقصد إسقاط حكومته) .

وتقرر سفر بعثة مصرية للعزاء يرأسها المشير عبد الحكيم عامر وتضم عبد الحميد السراج وأمين هويدى وعبد المجيد فريد . وحدد جمال عبد الناصر موعدا يلتقى فيه بالمشير والسفير السابق بالعراق أمين هويدى الذى أصبح وزيرا للاعلام ولكن المشير لم يحضر فى الموعد ، رغم انتظار جمال عبد الناصر وهويدى لمدة تزيد على الساعة .

(١) الولد المصرى شكل من : جمال عبد الناصر - عبد اللطيف البغدادي - عبد الحكيم عامر - كمال الدين حسين - على صبرى - كمال الدين رفعت - أمين هويدى - عبد المجيد فريد .

والولد السوري شكل من : الفريق لؤى الأتاسى - صلاح البيطار - نهاد القاسم - الفريق محمود الصولى - عبد الكريم زهور - هانى الهنيدى - سامى صوفان - عبد الحليم سويدان - ميشيل العيسى - سامى الجندى - اللواء راشد قطيبي - العميد درويش الزولى - العميد هسان حداد - العقيد كمال هلال - العقيد فهد القاسم - العقيد محمد عمران - المقدم فواز محارب .

والولد العراقى شكل من : أحمد حسن البكر - رئيس الوزراء - على صالح السعدي - صلاح مهدي عماس - طالب حسن شبيب - عبد الستار عبد اللطيف - مخبوة خطاب .

انتهت المقابلة دون حضور المشير وعبد الناصر يرصد (أقبل ايه في المشير بتاعكم ده ... حتى المواعيد لا يحترمها) .

كانت هذه ظاهرة من الظواهر التي توضح مناطق المشير للرئيس ودخوله مرحلة عدم الاكتراث وفرض سلطته الذاتية .

سافر الوفد الى العراق بغير خطة منسقة .

وكان موضوع خلافة عبد السلام عارف في قائمة الموضوعات المطروحة .

واستقر رأى المشير والسراج على تعيين عارف عبد الرزاق رئيساً لجمهورية العراق . . . وأرسل المشير برقية الى القاهرة يطلب ارساله على طائرة خاصة حيث كان يقيم فيها بعد انقلابه الفاشل .

ولم يكن هذا الرأى متفقاً مع تفكير السيفير السابق أمين هويدي فيما يخص بارسال برقية الى عبد الناصر . يحذر فيها من هذا التعيين ويوضح أخطاره . ويطلب عدم ارسال عارف عبد الرزاق تفادياً لحدوث كارثة على حد تعبيره .

وافق عبد الناصر على فكرة أمين هويدي التي عرضت عليه بعد نومه في الثانية بعد منتصف الليل . وبعد أن كان سامى شرف قبل أيلين عارف عبد الرزاق الذي استعد فعلاً للسفر ثم عاد لتراجع عن الإقبال به .

ووافق جمال عبد الناصر أيضاً على تعيين عبد الرحمن عارف في مناصبه .

شقيقه .

وعندما بلغ المشير عامر ثار وقور فسادة . بغداد قبل وصول عبد الرحمن عارف من موسكو حيث كان في زيارة لها . . . وعند وصوله العاصمة القاهرة . . . والاسلام دين الدولة . . . واللغة العربية لغتها الرسمية .

ومجلس الأمة يتشكل من مجلس نواب مدته ٤ سنوات بالانتراع غير مباشر بأعداد تتناسب مع سكان كل قطر . . . ومجلس اتحاد يتكون من عدد متساو من الأعضاء من كل قطر وينتخب انتخاباً حراً مباشراً بالانتراع السرى العام ومدته ٤ سنوات . ويكون عدد أعضائه ربع مجلس النواب على الأقل أو ثلثه على الأكثر .

يختص مجلس الأمة بنظر طلبات الانضمام للدولة الجديدة والموافقة بثلاثة أرباع الأصوات .

رئيس الجمهورية ينتخبه ثلثا أعضاء مجلس الأمة ويكون له ٣ نواب واحد من كل قطر . . . ويكون لكل قطر رئيس ومجلس تشريعي ينتخب ووزارة لها رئيس ومسئولة أمامه .

ويشكل مجلس رئاسة من عدد متساو من كل قطر يختارون بواسطة السلطة التشريعية .

كما تكون هناك وزارة اتحادية تضم وزارات الخارجية والدفاع ووزارة الاعلام والثقافة ووزارة التربية والتعليم والتعليم العالي والبحث العلمي ووزارة الخزانة والمالية .

تغير العلم ٠٠٠ وأضيفت نجمة خضراء ثالثة لاعلام سوريا والعراق ظلت حتى الآن بعد أكثر من عشر سنوات دون أن يربط ذلك بسين الدول الثلاث التي كان مفروضا أن تجري استفتاء على غرار الولايات المتحدة بعد عشرين شهرا ٠٠٠ ولكن ذلك لم يحدث .

أثبتت مباحثات الوحدة أن تناقضات كثيرة مازالت تسيطر على العلاقات بين القيادات السياسية في الدول الثلاث ٠٠٠ وأنها ترجع في معظمها الى عدم امكان الوصول الى صيغة مناسبة للتعاون بين نظام الحكم في مصر وبين حزب البعث ٠٠٠

فكل منهما كان يعتبر نفسه المؤهل للقيادة ، والأكثر أحقية بالانفراد في السلطة .

وأثبتت أيضا أن العسكريين في سوريا قد وثبوا بملابسهم الرسمية الى الصفوف الأولى بعد انقلاب ٨ مارس الذي انتهى الى تشكيل مجلس وطني لقيادة الثورة معظمه من العسكريين .

وأظهرت المخاضات أيضا أن هناك تناقضات داخل سوريا بين البعثيين وبين غيرهم من القوى الوطنية والتقدمية ٠٠٠

وكان ذلك واضحا في المناقشات التي أظهرت بصورة واضحة أن التيار الرئيسي في السياسة السورية كان تيارا بعثيا ٠٠٠ بل كانت هناك تناقضات أيضا في صفوف البعث .

وعند انقلاب ٨ مارس تحللت اقامة مصطفى حميدون وعبد الغنى قنوت من ضباط البعث السابقين وهرب أكرم الحوراني .

وبدا صراع بين الضباط البعثيين وغير البعثيين من الناصريين والقوميين .

لعب لؤي الاتاسي وزيايد الحريري دور التعاون مع البعثيين لتصفية القوميين أم الناصريين .

خرج محمد الصوفي وزير الدفاع ورشاد قطيني معاون رئيس الأركان .

وأرسل وفد عسكري الى بغداد يوم ٢٨ ابريل لمناقشة الشؤون العسكرية وعند عودته وجد أفرادهم انهم اما قد تعينوا في مناصب خارج الجيش أو حددت اقامتهم .

وشعر الوجوديون أن تناقضات حادة قد بدأت تظهر بينهم وبين البعثيين . . . واستقال من الوزارة نهاد القاسم نائب رئيس الوزراء ، وعبد الوهاب حمود من الجبهة العربية المتحدة ، وسامي صوفيان من الوجوديين الاشتراكيين وهاني الهندي من القومييين العرب .

التنظيمات القومية متعددة . . وهي تزداد انقساماً وتشرذماً . . . بينما البعث يسمى لتوحيد صفوفه وتماسك تنظيماته .

الشارع في سوريا مازال مع الوحدة . . . والفرصة ليست مهيأة تماماً لانفراد البعث بالحكم . . . ولؤى الأتاسي في القاهرة يوم ٨ مايو ١٩٦٣ في محاولة لتهدئة الأمور . . ويذهب الى بغداد في ٤ يونيو حيث يلتقي ضمن مقابلاته بالسفير المصري أمين هويدي حيث يصارحه بأهمية تعديل الاتفاقية . ليكون حزب البعث في مكان الجبهة .

انجاز لؤى الأتاسي للبعث .

وساعدت سياسة القاهرة الحادة في رفض التفاوض مع البعث على إجتراح الموقف من الانفجار .

وخطب جمال عبد الناصر يوم ٢٣ يوليو قائلاً (يعز علي أن يكون العيد هنا والحزن هناك في دمشق) . . . كان خطر التجول في يومه الخامس واعتقالات القومييين مستمرة . . وقال جمال عبد الناصر انها قد تحولت الى معسكر اعتقال كبير .

وحسم عبد الناصر بكلماته قضية الوحدة ، ومزق نتائجها عندما خطب يوم ٢٦ يوليو قائلاً (ج . ع . م ليست مستعدة للوحدة مع حكومة ساحات الاعدام الفاشستية ، ج . ع . م ليست مستعدة للوحدة مع حكومة حظر التجول الفاشستية . وكانت اتفاقية الوحدة مع الشعب السوري ولم تكن أبداً مع حزب البعث الفاشستي . . شعب سوريا الآن في معسكر اعتقال كبير ، والوحدة هي عملية تقرير مصير ولا يمكن أن تتم عملية تقرير المصير تحت ظلال المشائقي ، أو في معسكرات الاعتقال) .

وفي ٢٧ يوليو انتهى دور لؤى الأتاسي وزيد الحريري وحلت تغيير انقلابي وضع أمين الحافظ رئيساً للدولة واستمر صلاح البيطار رئيساً للوزارة ومحمد عمران الذي استمر قائد اللواء المدرع حتى تحرك به ليفرض ارادته . . . وزيراً للدفاع . . .

حدث هذا التغيير ووثوب عسكري سورى الى مركز السلطة أبعد فكرة الوحدة ، وجعلها تتراجع الى الخلف وكان فى هذا التغيير بداية اضعاف سلطة البعث كحزب سياسى ، وظهور العسكريين فى صفوفه كقوة رئيسية محركة .

يقول أمين الحافظ ان ما تعرض له حزب البعث خلال فترة الوحدة من حل وما تعرض له بعدها من تمزق ، خلق وجهة نظر بين البعثيين والعسكريين تقضى بازاحة كبار قاداته بطريقة عسكرية أى عن غير طريق لائحة الحزب ودستوره .

وكان وصول العسكريين للسلطة فى دمشق تحت واجهة حزب البعث بمثابة النهاية للأحلام الوحدة بين مصر وسوريا .

كان جذر جمال عبد الناصر من الانقلابات العسكرية وخشيته من وصول عدوئها الى مصر ، ورفضه أسلوب التعاون معها ، هى العوامل التى جعلت تيار الوحدة العربية مع سوريا ينحسر بل ويحذف .

وهكذا بدأت علاقة العسكريين فى مصر مع العسكريين فى سوريا خلال حكم أديب الشيشكل وتحققت الوحدة بارادة العسكريين السوريين من مختلف الاتجاهات ثم حلت الانفصال بعودة الجيش السورى الى أسلوب الانقلابات العسكرية التى انتهت الرغبة فى عودة الوحدة .

الوحدة والانفصال لعب فيها العسكريون السوريون والمصريون الدور الأول والاخير أيضا .

واستمر حكم أمين الحافظ الى ٢٣ فبراير ١٩٦٦ حيث انتهى بانقلاب عسكري بعثى قال عنه بيان الحزب (ان حركة ٢٣ شباط كانت الوسيلة الوحيدة التى بقيت بين أيدي الرفاق لانقاذ الحزب والثورة ، وهى وان كانت حلا غير نظامى لتقاليد الحزب الديموقراطية الا أنها تأخذ مبرراتها الثورية من تصديها النضالى للمؤامرات الفعلية التى كانت تحاك لسحق الثورة والغاء دور الحزب) .

هذا هو الانقلاب الخامس عشر فى سوريا بعد الحرب العالمية الثانية .

وثبت الانقلابات العسكرية مرة أخرى الى ساحة العمل السياسى فى سوريا ، مرتدية ثياب حزب البعث العربى الاشتراكى واتجهت خطوات

قادة هذا الانقلاب - نور الدين الأتاسى رئيس الجمهورية ويوسف زعين
رئيس الوزراء وإبراهيم ماخوس وزير الخارجية - إلى التقارب مع مصر ،
الأمر الذى انتهى إلى عقد اتفاقية (الدفاع المشترك) •

(اتفاقية الدفاع المشترك) كانت البداية لفترة هامة فى تاريخ مصر
وسوريا ، ترد تفصيلا فى الجزء الرابع من قصة ثورة يوليو (خريف
عبد الناصر) •

الباب الثالث

● القاهرة •• وبغداد

(اذا اتحدت القاهرة وبغداد
في المعركة ضد الامبريالية ،
تعاظمت فرص قوى التحرر الوطنى
العربى فى تحقيق اهدافها القومية
والاجتماعية)

الفصل الأول

الانقلابات العسكرية في العراق

(كان انقلاب بكر صدق في
أكتوبر ١٩٣٦ فائحة دخول
العسكريين لميلتان السياسة في
الوطن العربي)

كان ذهاب بعض الجماهير الى السفارة المصرية في بغداد يوم ٢٢
مايو ١٩٥٣ لمطالبة حكومة الثورة في مصر بأن ينص في الدستور الجديد
على أن مصر دولة عربية ، كما نشرت جريدة المصرى في ذلك الوقت ، باعثا
من بواغث الاهتمام بالقومية العربية لدى قادة ثورة يوليو .

وكانت زيارة نوري السعيد للقاهرة عام ١٩٥٣ ، وعرضه على
المستولين فيها مشروعا لتوحيد البلاد العربية على الأساس التالي : العراق
وسوريا والأردن وفلسطين في دولة واحدة ومصر والسودان في دولة
ثانية ، والمغرب العربي في دولة ثالثة والسعودية واليمن والخليج في دولة
رابعة بداية اهتمام بموضوع الوحدة ، رغم رفض جمال عبد الناصر
فكرة مناقشة الموضوع وقوات الاحتلال البريطاني ما زالت في القاهرة .

وعندما قام صلاح سالم بجولته الأولى في البلاد العربية ، زار العراق
في أغسطس ١٩٥٤ ، واستقبله الوصي على العرش الأمير عبد الله ونوري ،

ثورة يوليو ج ١ - ٩٨٥

السعيد في مصيف سرسنك بشمال العراق ، واحتفى به احتفاء شديداً في محاولة لاجتذابه الى أفكاره ، التي اشتهر بها في الوطن العربي . . . زار معه عرسا كرديا ، وعقد معه عدة جلسات ، صرح بعدها صلاح سالم عدة تصريحات لم يرحب بها جمال عبد الناصر .

قال صلاح سالم انه من حق أية دولة عربية أن تنضم الى أخرى في وحدة واحدة ، وكان في ذلك موافقة غير مباشرة على مشروع الهلال الخصيب الذي يذر البريطانيون فكرته وتعهدها بالنمو نوري السعيد وغيره من الساسة المتعاونين باخلاص مع بريطانيا .

وقال صلاح سالم أيضا أنه يؤيد دعم الجامعة العربية وميثاق الضمان الجماعي ، على أن يتم التشاور مع الولايات المتحدة وبريطانيا في هذا السبيل .

واعتبر جمال عبد الناصر هذه التصريحات سابقة لاوانها ، ومضعفة لموقف المفاوضات المصري في مواجهة الاحتلال البريطاني ، ومؤيدة بطريقة غير مباشرة لمشروعات استعمارية مشبوهة ، فاستدعى السفير العراقي في مصر ، وأوضح له أن سياسة مصر لا تتفق مع وضع ميثاق الضمان الجماعي تحت الرعاية الانجلو أمريكية ، ولا تؤيد مشاريع الوحدة قبل اكتمال التحرر الوطني .

كانت مقابلة صلاح سالم مع نوري السعيد هي مقابلة عسكريين من جيلين مختلفين ، فنوري السعيد كان ضابطا سابقا متخرجاً في الأكاديمية العسكرية باستنبول عام ١٩١٠ وعمره ٢١ سنة ، وحارب في صفوفه الجيش العثماني في حرب البلقان عام ١٩١٢ ، وانضم لجمعية العهد التي ضمت عددا من الضباط والمدنيين العرب من دول مختلفة دفاعاً عن القومية العربية عام ١٩١٤ ، ثم هرب في نفس العام الى مصر ثم البصرة ، حيث اعتقله البريطانيون عنده فزروهم لها في نوفمبر من نفس العام ، وأمضى عام ١٩١٥ أسير حرب في الهند ، ثم انتقل في نهاية العام الى مصر حيث حارب في صفوف الحلفاء ، وانتقل عام ١٩١٦ الى الحجاز حيث وصل الى منصب رئيس أركان حرب في جيش الشريف حسين تحت قيادة جعفر العسكري . . . وكان كل من نوري وجعفر متزوجا من شقيقة الآخر .

شارك نوري السعيد في هجوم الحلفاء على دمشق . . . وعاد الى العراق مع الملك فيصل الذي عينه الحلفاء ملكاً عليها بعد خروجه من سوريا عام ١٩٢٠ بعد ثورة العراق ضد الاحتلال البريطاني والتي بلغ عدد القتلى والجرحى فيها حوالي ١٢.٠٠٠ .

تكون الجيش العراقي لأول مرة في ٦ يناير عام ١٩٢١ ، وكان (اللواء) نوري السعيد أول رئيس أركان حرب لهذا الجيش ، بينما تولى جعفر العسكري منصب وزير الدفاع . . . ثم تولاه بعده نوري السعيد من عام ١٩٢٢ الى عام ١٩٢٤ . . . وأصبح رئيسا لوزراء العراق عام ١٩٣٠ .

كانت مقابلة صلاح سالم مع نوري السعيد لقاء بين جيلين . . شاب في الرابعة والثلاثين ، وشيخ في الرابعة والستين . . عسكري لم يمارس السياسة الا من عامين . . . وعسكري شغلته السياسة منذ أربعين عاما .

كان الفرق بعيدا ومتناfra بين أهداف العسكريين المصريين الذين تحركوا ليلة ٢٣ يوليو ، وبين أهداف العسكري العجوز والسياسي المخضرم .

مقاومة الاحتلال البريطاني والكفاح المسلح ضد قواته أمور لم تكن واردة في رؤية نوري السعيد ، الذي حاول التوسط مع الحكومة الوفدية لوقف الكفاح المسلح في القناة قبل الثورة . . . والذي يحاول اليوم ممارسة دوره في احتواء العسكريين المصريين .

كان نوري السعيد معروفا بأنه ربيب البريطانيين والداعية الأكبر لسياستهم في المنطقة والمنفذ لها بإخلاص شديد .

اول انقلاب عسكري في الوطن العربي :

لجأ نوري السعيد الى السفارة البريطانية عندما قام اللواء بكر صدقي نائب رئيس أركان حرب بأول انقلاب عسكري شهدته الوطن العربي في القرن العشرين .

انتهم بكر صدقي فرصة ذهاب رئيس أركان الحرب اللواء طه الهاشمي الى تركيا وألقى في الثامنة والنصف من صباح يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٣٦ منشورات موقعة منه ومن الزعيم (الاميرالاي) عبد اللطيف نوري ، تطلب استقالة وزارة يس الهاشمي وهو ضابط أقدم من نوري السعيد الذي كان وزيرا للخارجية في وزارته ، وكان رشيد عالي الكيلاني وزيرا للداخلية .

المنشورات حملت انذارا يقضي بضرورة الاستقالة خلال ثلاث ساعات ، وتعيين وزارة جديدة يرأسها حكمت سليمان .
رفض يس الهاشمي وقرر المقاومة .

لم يكن الانقلاب موجهاً ضد الملك غازي الذي خلف والده الملك
فيصل بعد وفاته في ٨ سبتمبر ١٩٣٢ .

بل قيل انه كان يعلم به ، وشجع عليه ضد طموح يس الهاشمي
ورغبته في اقامة نظام جمهوري بدل النظام الملكي .

وعجز الملك عن اقالته بحكم الدستور مادام حائزاً لثقة البرلمان .
وفي العادية عشرة والنصف تماماً انطلقت خمس طائرات تلقى
قنابل بجوار مكتب رئيس الوزراء والبرلمان حيث قتل عدد من المارة ،
بينما كانت قوات بكر صدقي تقترب من دخول بغداد .

عقد مجلس الوزراء اجتماعاً برئاسة الملك ، حضر السفير البريطاني
جانبا منه ، وانتهى الأمر بتقديم الاستقالة ، وتعيين حكمت سليمان خريج
حقوق استنبول رئيساً للوزراء وذلك بعد قتل بكر صدقي لوزير
الدفاع جعفر العسكري بمسدسه . وهو الرجل الذي كان يعتبر أباً للجيش
العراقي ، والذي حاول التدخل لتهديئة الحال .
. ودخل بكر صدقي بغداد في الخامسة مساء .

نفي يس الهاشمي الى سوريا حيث مات بعد عدة شهور ، ولجأ
نوري السعيد للسفارة البريطانية حيث نقل منها الى مصر . ولم يعد الا بعد
تعيين جميل المدفعي .

كان انقلاب بكر صدقي هو فاتحة دخول العسكريين لميدان السياسة
في الوطن العربي ، وقد تشكلت الوزارة الجديدة وفيها بعض العناصر
التقدمية مثل كامل الجادرجي الذي عين وزيراً للاقتصاد ، وكان بكر صدقي
على صلة سابقة بجمعية (الاهالي) اليسارية . ولم يدخل الوزارة سوى
وزير عسكري واحد هو الاميرالاي عبد اللطيف نوري الذي عين وزيراً
للدفاع ، والذي كان يمثل الرجل القوي في الوزارة ، الذي يوجه خطابات
الى رئيس الوزراء بأن يعاملوا الناس بالعدل والعطف ، الى غير ذلك من
التوجيهات .

استقبل الشعب العراقي انقلاب بكر صدقي باعتباره حركة معادية
للاستعمار البريطاني ، وأيدها لما ظن في الوزارة من اتجاهات تقدمية
اشتراكية ولكن بكر صدقي لم يكن اشتراكياً .

ولم يمش قائد أول انقلاب عسكري مدة طويلة فقد قتله شتاويش
عراقي في الموصل يوم ١١ أغسطس ١٩٣٧ وهو في طريقه الى الحدود
التركية لحضور مناورات عسكرية

القادة العسكريون الجدد :

الذين تأمروا ضد بكر صدقي كانوا سبعة ضباط ٠٠٠ وقد واصلوا تدخل العسكريين في السلطة عندما ثار الضباط ضد محاولة الوزارة محاكمة المتهمين باغتيال بكر صدقي ٠٠٠ واضطر حكمت سليمان للاستقالة يوم ١٧ أغسطس ١٩٣٧ حيث خلفه جميل المدفعي بإرادة الضباط أيضا .

ورسم جميل المدفعي لوزارته هدفين :

أولا : إبعاد الجيش عن السياسة .

ثانيا : استدال الستار على أحداث الماضي وقتل جعفر العسكري وبكر صدقي .

نجح المدفعي في الهدف الثاني ٠٠ أما الهدف الأول فقد عجز عن تحقيقه لأن الإدارة العسكرية أصبحت هي الأقوى وصاحبة اليد العليا في السياسة العراقية .

وتواجه الضباط في ميدان السياسة العراقية ، ووصولهم الى مناصب الوزارة كان أمرا طبيعيا مقترنا بظروف العراق الخاصة حيث خلت العراق من الكليات التي تخرج المثقفين . واعتمد فيصل في بداية حكمه على العسكريين الذين تعاونوا معه والذين درس أغلبهم في استنبول فكانوا من أكثر الناس ثقافة في العراق ٠٠٠ وكانت الأكاديمية العسكرية تقبل كل عام من ٦٠ الى ٧١ طالبا من القادرين ماديا .

كانت هناك ٣ مدارس ثانوية في بغداد والموصل والبصرة فقط .

وكانت هناك مدرسة حقوق أنشأها الأتراك ومدة الدراسة فيها ستة أشهر ولم تكن هناك مدارس طب أو هندسة أو زراعة أو علوم .

المدرسة الحربية انشئت عام ١٩٢٤ ٠٠٠ وكان يدخلها كل من يعرف القراءة والكتابة دون حاجة الى شهادة مدرسية ٠٠٠ ادخل فيصل إليها أولاد رؤساء العشائر دون تفرقة بين العرب والأكراد والتركمان والأشوريين في محاولة لدمج القوميات المختلفة في وطن واحد . كما أدخل إليها بعض أولاد الضباط وبعض أولاد الأسر الثرية .

كان فيصل مهتما بالجيش ، ويعتبر وحدته هي الأساس لوحدة الوطن الجديد ٠٠٠ سجل نفسه عند انشاء الجيش باسم الجندي المتطوع فيصل بن حسين وحصل على رقم ١ ، ومعروف أن لكل جندي في الجيش رقما خاصا .

المدرسة الحربية لم تحول الى كلية يدخلها حامل البكالوريا أو الثانوية العامة الا عام ١٩٣٢ وهى السنة التى دخل فيها عبد الكريم قاسم . . وكانت مدة الدراسة سنتين يحصل خلالها الطالب على راتب جندى متطوع دينار ونصف ، راتب الجندى العادى كان ٤٠٠ فلس فى ذلك الوقت .

لم تكن الكلية الحربية مثل نظيرتها فى مصر ، يدفع الطالب اليها مصاريف كبيرة تعجز الكثيرين عن دخولها ، وتحدد الطبقة التى ينتمى اليها الضباط ، المجانية فتحت الأبواب لأبناء الأسر البسيطة ، فعبد الكريم قاسم كان ابن نجار فى بغداد .

ومع هذا فقد كان الجيش يضم عددا كبيرا من أبناء رؤساء العشائر والأسر الثرية لعدم وجود مجال آخر للتعليم أولا ، وثانيا للمركز التاريخى التقليدى للضباط الذين درسوا فى استنبول . . فكان هناك ضباط من عائلات كبيرة مثل العمرى والسويدى والراوى والدماغستاني وغيرها .

وهكذا ظل العراق فترة طويلة يقف الضباط فيه على السطح ، يتولون مناصب المتصرفين - المحافظين - المناصب الادارية الكبرى بالوزارات أيضا ، حتى بدأت الجامعة العراقية التى أنشأها فيصل عام ١٩٢٤ فى تخريج دفعاتها فى مختلف مجالات الثقافة .

وأدت هذه الظاهرة الى خلق روح عسكرية فى المجتمع ، وبعث روح من الجدية فى صفوف الجيش ، الذى استمر فارضا ارادته وسيطرته رغم مصرع بكر صدقى .

الضباط السبعة هم الذين فرضوا جميل المدفعى ، وهم الذين أجبروه على الاستقالة عندما ترك وزارة الدفاع لاحد ضباط جمعية العهد ، صبيح نجيب الذى استخدم سياسة « فرق تسد » وفكر فى فصل بعض ضباط الجيش .

استقال جميل المدفعى ، وكانت المفاجأة أن الضباط السبعة الذين اجتمعوا على معاداة الاحتلال ، قد فرضوا نورى السعيد ربيب الانجليز رئيسا للوزراء فتعين فى ديسمبر ١٩٣٨ .

ولعل قرارهم ذلك كان يخفى الرغبة فى التخلص من بقايا الضباط المؤيدين لبكر صدقى . . ويضع فى مركز رئاسة الوزراء رجلا معاديا له ، ولصبيح نجيب الذى حاول تمزيق وحدتهم وفصل بعضهم أيضا .

وتدخل الضباط السبعة مرة أخرى بعد فترة لا تزيد عن أربعة أشهر عندما قتل الملك غازى فى حادث سيارة مشبوه داخل القصر يوم ٤ ابريل

١٩٣٩ وأصابه الاتهام كانت تشير للقوات البريطانية التي وجدت فيه شخصية وطنية غير طيبة .

فرض الضباط السبعة الأمير عبد الله خال الملك الجديد فيصل الثاني - ٢٦ سنة - بدلا من الأمير زيد شقيق الملك فيصل وصيا على العرش ، ليكون أكثر طواعية في أيديهم .

وفي أكتوبر ١٩٣٩ وصل الحاج أمين الحسيني الى بغداد بعد شهر من قيام الحرب العالمية ليقيم فيها وعقد صلة وثيقة مع هؤلاء السبعة ، بحيث أصبح منهم في مركز الموجه والمرشد .

أشهر السبعة كان الزعيم صلاح الدين الصباغ مدير العمليات برئاسة الأركان الذي ولد في الموصل عام ١٨٩٩ وأسرته كانت تنتمي الى ديباط . . وكان ضابطا في الجيش العثماني ثم عمل مع فيصل ، وزملاؤه هم مقدم محمود سليمان وكمال شهيب وفهمي سعيد وعزيز بولكي ومهم لواء حسين فوزي وأمين العمري قائد الفرقة الأولى .

وفي منتصف فبراير ١٩٤٠ فاجأهم نوري السعيد برغبته في أن يكون وزيرا للخارجية وأن يصبح رشيد عالي الكيلاني رئيسا للوزراء .

كان نوري يستهدف من ذلك دخول رشيد عالي الكيلاني في دائرة الحكم التي تؤيد البريطانيين ، وخاصة بعد اغتيال وزير مالىته رستم حيدر لأسباب شخصية في يناير ومحاولة نوري السعيد تصوير الموقف وكأنه مؤامرة نازية .

انقسم الضباط السبعة أمام هذه المفاجأة الى قسمين . . أقلية من حسين فوزي وأمين العمري وعزيز بولكي توافق على تعيين رشيد عالي وعدم دخول نوري السعيد أو طه الهاشمي الى الوزارة الجديدة . وأغلبية يقودها صلاح الصباغ تطالب باستمرار نوري السعيد .

وبقى نوري في موقعه رئيسا للوزراء ، وأصدر قرارا بإخراج الضباط الثلاثة الذين أخذوا منه موقف المعارضة .

واختزل السبعة الى أربعة . البعض كان يطلق عليهم اسم الفرسان الأربعة والبعض اسم المربع الذهبي المتوج .

وبدأ نوري في تنفيذ سياسته حتى أقنع رشيد عالي بقبول رئاسة الوزارة في ٣١ مارس ١٩٤٠ .

وخلال هذه الفترة أمد الانجليز الجيش العراقي بأسلحة حديثة شملت الطائرات والدبابات المتوسطة والخفيفة .. عكس ما حدث في مصر عندما صادروا اعطاء الجيش المصرى أسلحة حديثة .

كان للانجليز أصدقاء مخلصون في مركز السلطة النافذة المؤثرة .
وكان للألمان أيضا أصدقاء مخلصون .. بعد انتصاراتهم المتكررة في أول الحرب زاد عدد المؤيدين لهم .

واقترح نوري السعيد ارسال فرقتين من فرق الجيش الأربع الى ليبيا أو البلقان ، واقترح أن يكون صلاح الدين الصباغ قائدا للحملة .

وكان نوري السعيد يسير في ذلك على نهج القوات السودانية والليبية والهندية وغيرها من التي أسهمت بالحرب مع الحلفاء .. على عكس القوات المصرية التي تعاونت مع الحلفاء تعاوناً محدوداً لخشية الحلفاء من الموقف الوطني الكامن في صفوف الجيش المصرى منذ بدء الاحتلال البريطاني .

وعندما بدأت كفة النازية تبدو راجحة ، استبد القلق بالبريطانيين وبدأ رشيد عالي يتعرض لضغوط تطالبه بقطع العلاقات مع ايطاليا واعطاء مزيد من التسهيلات للبريطانيين .. ولاحظ في شهر يناير ١٩٤١ أن أغلبية البرلمان قد أصبحت مهياة ضده ، فطلب من الوصى حل البرلمان واجراء انتخابات جديدة .

ولم يقف الضباط الأربعة مع رشيد عالي ، وفضلوا استقالته وتعيين طه الهاشمي رئيساً للوزراء الذي اعتقدوا أنه سوف يكون أكثر مبالاة لهم .
ولكن طه الهاشمي أصدر قراراً بنقل أحد الأربعة ، كامل شبيب ، من قيادة الفرقة الأولى في بغداد الى الفرقة ٤ في الديوانية جنوباً ، وأصبح واضحاً أن الخطر يقترب من صلاح الدين الصباغ .

حركة وشيد عالي الكيلاني :

وبوم ٢ ابريل ١٩٤١ أجبر اللواء أمين زكي وثيس أركان حرب وفهمى السعيد أحد الأربعة ، وقائد القوات المدرعة - طه الهاشمي على الاستقالة بعد إبلاغه أن الجيش يحاصر القصر الملكي وأنه في شوارع بغداد .

هرب الوصى من القصر بمساعدة الأمريكيين الى الحجازية ثم الى البصرة ففرق الأردن وكان معه نوري السعيد .

حاولت تركيا التوسط على أساس بقاء رشيد عالي الكيلاني رئيسا للوزراء وبقاء القوات البريطانية في البصرة ٠٠ وكاد رشيد عالي يوافق على ذلك ، ولكن صلاح الدين الصباغ رفض العرض وقرر المقاومة ٠

وقرر تشرشل ضرورة انهاء النفوذ الألماني في العراق ٠٠ وأرسل قوات بحرية من شرق الأردن وطائرات من مصر ٠

ولم تسم المقاومة العراقية طويلا ٠٠ وهرب رشيد عالي الكيلاني والحاج أمين الحسيني والضباط الى إيران يوم ٢٩ مايو ، ودخل الجيش الانجليزي بغداد يوم ٣١ مايو ثم وصل الموصل يوم ٤ يونيو ٠

بلغت الخسائر العراقية ٤٩٧ قتيل ، ٦٨٩ جرحا ، ٥٤٨ مفقودا ، ١٠٠٠ أسير ٠٠ كانت الهزيمة أسرع مما توقع العراقيون ، ومما توقع العرب أيضا ٠

هرب رشيد عالي وأمين الحسيني الى ألمانيا ثم إيطاليا وأخيرا الى السعودية ٠٠ أما الضباط فتساقطوا في أيدي القوات البريطانية وحوكموا على مراحل ٠

فهمى السعيد ومحمود سليمان أعدما في ٥ مايو ١٩٤٢ ٠

أمين زكي رئيس الأركان السابق حكم عليه بالسجن ٥ سنوات ٠

كامل شبيب أعلم في ١٦ أغسطس ١٩٤٤ ٠

صلاح الصباغ هرب من إيران الى تركيا حيث قبض عليه وتسلمه البريطانيون في سوريا في سبتمبر ١٩٤٥ وأعدم في ١٦ أكتوبر من نفس العام في بغداد ٠

كتب صلاح الدين الصباغ مذكراته أثناء وجوده بالسجن في تركيا وقد نشرت في لبنان عام ١٩٥٦ ٠

وانتهت بهزيمة ثورة رشيد عالي مرحلة التدخل العسكري في الشؤون السياسية بالعراق ٠ وضعفت احتمالات القيام بانقلاب عسكري بعد أن عاد الوصي ونوري السعيد والتصر البريطانيون ٠

العسكريون المصريون والعراقيون ٠٠ وجهها لوجه :

وقد تمت مقابلة صلاح سالم مع نوري السعيد في سمرسك بعد هذا التاريخ الحافل الطويل وبعد أن استقرت الأمور في العراق استقرارا كاملا لمدة ١٣ عاما قبل تاريخ اللقاء ٠

كان شبح الانقلابات العسكرية الذي عاد الى المنطقة في سوريا عام ١٩٤٩م بانقلاب حسنى الزعيم وما تلاه ، يبعث السلطة العراقية على مزيد من الحذر ، ومزيد من الضغط أيضا .

ولكن حدوث هذا الانقلاب في بلد ليس تحت الاحتلال البريطاني يبعث على الاطمئنان نوعا ما . . . أما وقد وصلت الانقلابات العسكرية الى مصر ، والقوات البريطانية مازالت فيها ، فان هذا هو الأمر الذي كان يثير القلق في نفس نوري السعيد .

والثوار العسكريون في مصر ليسوا من القادة والجنرالات ولكنهم من البكباشية (المقدمين) وصغار الضباط . . . وهذا مما يزيد في قلق نوري السعيد .

والعسكريون في مصر يجمعون في العداء مع بريطانيا ، ويكرهون نفس الدور الذي لعبته مجموعة صلاح الدين الصباغ في ظروف زمنية وسياسية مختلفة .

واتفاقية الجلاء التي وقعت بالحروف الأولى قبل الزيارة لم تكن تعنى التسليم بمطالب البريطانيين .

ونوري السعيد يبدو ساحرا في حديثه ، يستجمع ذكرياته ، ويستعرض تجاربه ، ويؤكد لصلاح سالم أن معاداة إنجلترا هي بمثابة مناطحة الصخر . . . وأن من حسن السياسة أن تكون مرنا مع البريطانيين لتكسب منهم الود والتأييد .

ولكن العسكريين في مصر ، وقادة الثورة فيها ، لم يتجاوزوا الستين من العمر مثل نوري السعيد ، ولم ترتبط حياتهم بمصير الانجليز وهم قد شبوا متأثرين بهتاف الشعب ضد الاستعمار وقوات الاحتلال .

وزيارة صلاح سالم اقترنت بمحاولة تكوين حلف عسكري غربي ، مرتبط بحلف الأطلسي ، ويضم مصر والعراق .

وقال نوري السعيد أن العراق مهدد بخطر تسرب الشيوعية وأن حدوده قريبة من الاتحاد السوفيتي . . .

وقال صلاح سالم ان الارتباط مع الغرب يضاعف خطر انتشار الشيوعية . . . وأنه من الأفضل أن يتم تعاون عربي وثيق .

عقيلتان متنافرتان .

معركة حلف بغداد :

وبعد زيارة صلاح سالم للعراق ، تبين لجمال عبد الناصر أن مشروع الحلف العسكري يقترب ، وأنه أصبح خطرا يهدد مصر .

وانطلقت اذاعة (صوت العرب) تدعو كافة المواطنين العرب الى اتباع نموذج القاهرة ، والتحرر من القوات الأجنبية كما فعلت مصر بعد عامين فقط من ثورة ٢٣ يوليو ٥٥ . وعواطف الجماهير على امتداد الوطن العربي وخاصة في العراق تلتهب مع هذه الاذاعات المثيرة .

واتبع نوري السعيد أسلوبا جديدا في مقاومة هذا الهجوم الاعلامي عندما أعلن وزير خارجيته موسى شهبندر في مؤتمر صحفي أثناء اجتماع لوزراء الخارجية العرب في القاهرة ، بأن العراق لن ينضم لحلف مع تركيا والباكستان ، وإنما سيستبدل ذلك بعقد اتفاقية مع بريطانيا تشابه الاتفاقية مضمونها على أن يسمح بعودة القوات البريطانية الى العراق اذا هوجمت ايران وتعرضت لخطر الغزو .

وأكد نوري السعيد أقوال وزير خارجيته أمام البرلمان العراقي يوم أول يناير ١٩٥٥ ، ولكن محاولته لوقف الهجوم على العراق لم تستمر فقد هبط بغداد بعد خمسة أيام فقط من خطبته عدنان مندريس رئيس وزراء تركيا مع ولده كبير ، أمضى أسبوعا في العراق ، وانتهى الأمر الى صدور بيان ١٢ يناير ١٩٥٥ يفيد بأن اتفاقا قد تم بين الدولتين على توقيع حلف دفاعي مشترك في أقرب وقت ممكن ، وأنهما يتطلعان الى انضمام الدول الأخرى التي تفكر بمثل أسلوبهما .

وكان هذا الاعلان صدمة حقيقية لجمال عبد الناصر . . . اذ تأكد ارتباط العراق بحلف الاطلنطي عن طريق تركيا التي كانت أول دولة من دول الشرق الأوسط ترتبط بهذا الحلف . . . ليس هذا فقط . . بل ان الدولتين تسعيان لضم دول عربية .

بدأت معركة التحالف ، التي دخلها جمال عبد الناصر بكل الثقل السياسي والاعلامي الممكن .

كان حكام العراق يهتزون أمام الحملة الدعاية الواسعة . . . وعندما زار أنطوني ايدن رئيس وزراء بريطانيا مصر في فبراير ١٩٥٥ طلب من جمال عبد الناصر أن يوقف حملات العداء ضد الأسرة الهاشمية ونوري السعيد . . . ولكن الحملات لم تتوقف ، فان حكومة العراق لم تتراجع عن انزلاقها للارتباط بالاحلاف ، فوقعت مع تركيا وثيقة خلفت عراقا تركيا

مشترك كانت هي خميرة حلف بغداد الذي انضمت اليه بريطانيا بعد مؤتمر باندونج في شهر ابريل ١٩٥٥ ومعها ايران وباكستان بعد أن أنهت معاهداتها المعقودة مع العراق عام ١٩٣٠ .

العراق ، أول دولة عربية ، بل أول وآخر دولة عربية ترتبط بأحلاف الغرب العسكري .

قبضة السلطة تشتد على الجماهير العراقية . . ولكن الموقف لا يبعث على اليأس . . وتحت السطح تتوهج الادارة والتنظيمات الشعبية والعسكرية أيضا .

الحزب الشيوعي العراقي الذي تأسس عام ١٩٣٤ كان قد أصبح له نفوذ كبير في مختلف المجالات الجماهيرية . . ومنها القوات المسلحة .

ووقع العسكريون العراقيون تحت تأثير عدة عوامل جوهرية في هذه المرحلة التاريخية :

أولا : التأثير بالنضال الشعبي المضاد للاستعمار داخل العراق علنيا او سريا .

ثانيا : النموذج الحي المائل أمامهم في انقلابات سوريا المتكررة ، وفي ثورة يوليو التي صعدت بالعسكريين الى قمة السلطة .

ثالثا : تقاليد التدخل العسكري في محيط السياسة العراقية والذي استمر خمس سنوات كاملة من ١٩٣٦ حتى ١٩٤١ .

رابعاً : حرب فلسطين وما كشفت من ذهاب الجيش العراقي للمعركة وهو غير متأهب لها ، وخصوع قيادة القوات (لواء طاهر الزبيري وزعيم رفيق عارف) لتعليمات الاستعمار ، الأمر الذي انتهى الى تكوين دولة اسرائيل .

خامساً : موجة المد الوطني والشعبي التي اجتاحت المنطقة بعد تأميم جمال عبد الناصر لقناة السويس ، ومواجهة العدوان الثلاثي ثم انسحاب القوات المعتدية .

الفصل الثاني

ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨

(ان الثورة العراقية نصر عظيم
للقومية العربية)

جمال عبد الناصر

في حديث مع الصحفي الهندي كارانجيا
(ثورة العراق هي اول ثورة حقيقية
في العالم العربي)

مكسيم رودنسون
الكاتب الفرنسي

كل هذه العوامل دفعت الضباط الى محاولة تشكيل تنظيمات
عسكرية متفرقة بدأت على حذر ، ولم ترتبط بالأحزاب السياسية اذا
استثنينا الحزب الشيوعي .

وكان موقف العراق قريبا من السعودية في ذلك الوقت . . . اجتمع
الملك سعود وفيصل العراق في مايو ١٩٥٧ وأصدرا بيانا جاء فيه
(ان الاتحاد بين السعوديين والهاشميين قدوة للعالم العربي وكل عدوان
على العراق يعتبر عدوانا على السعودية) .

تعددت تنظيمات الضباط ولم تتح الفرصة لحصرها حصرا كاملا ،
أو التعرف على حقيقة حركتها ، الا من أقوال بعض الضباط مثل اللواء
حميد سيد حسين .

من التنظيمات الأولى تنظيم مقدم مهندس رفعت الحاج سري
(ابن أخت جميل المدفعي رئيس الوزراء السابق) الذي نقل الى ضابط
تجنيد بالجنوب في منطقة العمارة قرب البصرة ، ثم أحيل الى التقاعد
فضلعت حركته .

وتنظيم قام به عقيد شاكر محمود شكرى آمر اللواء ١٤ ، الذي
نقل رئيسا لبعثة العراق العسكرية في ليبيا .

وتنظيم ثالث قام به عقيد عبد الغنى الراوى فى البصرة .

وتنظيم رابع للعقيد اسماعيل على فى الديوانية .

ولكن أهم هذه التنظيمات وأكثرها قدرة على اجتذاب غيرها .
كان تنظيم عبد الكريم قاسم الذى ضم رجب عبد المجيد وصبحى عبد الحميد
وعبد السلام عارف وكان مفروضا أن يعين عبد الكريم قاسم أمرا لأحد
الألوية .

ولكن رفيق هارف رئيس أركان حرب الجيش عين شقيقه بدلا منه .
ولم يخضع عبد الكريم قاسم ، وإنما ذهب الى نوري السعيد الذى
أصدر الأوامر بتعيينه ، فصدر قرار تعيينه أمرا للواء ١٩ مشاة الذى ظل
قائدا له حتى ثورة ١٤ يوليو .

واستلطف نوري السعيد شخصية عبد الكريم قاسم فقربه اليه
وكان يدله باسم (كورمى) كما أكد لى زميله اللواء حميد . . ويبدو أن
وصفى طاهر ياور نوري السعيد قد لعب دورا فى دعم هذه العلاقة ،
لأنه كان منضمّا لتنظيم صبحى عبد الحميد ، وقد ساعده منصبه على الحركة
وجمع المعلومات وتضليل أجهزة الأمن أيضا .

وقد أسهم وصفى طاهر فى وحدة تنظيم صبحى عبد الحميد مع
تنظيم قاسم تحت قيادة الأخير فى نهاية ١٩٥٧ كما جاء فى محاضر محكمة
المسيب .

واستغل عبد الكريم قاسم علاقته بنوري السعيد فى مواصلة نشاطه
السرى ، ولكن رفيق عارف كان يرضد حركته وأبلغ نوزى السعيد الذى
صارح عبد الكريم قاسم بمعلوماته وشكوكه . . ولكن قاسم قال له انه

يعانى من اضطهاد رفيق عارف لأنه مخسوب على نوري البعيد بعد تعيينه أمرا للواء ١٩ ، ولذا فهو يريد الايقاع والفرقة بين الرجلين . .

وخلال هذه الفترة اقترح عبد الكريم قاسم ادخال عبد السلام عارف الى التنظيم الموحد . . ورغم اعتراض البعض فان قاسما اصر على دخوله وكانت هذه هى بداية العلاقة بين الرجلين . . عبد الكريم قاسم أمر للواء ١٩ مشاة ، عبد السلام عارف أمرا لأحد أفواج اللواء ٢٠ مشاة والاثنيان تجتمعهما الفرقة ١٣ مشاة .

لم تكن هناك منشورات تصدر باسم الضباط الأحرار من باب الخذر والسرية ، حيث كانت قبضة أجهزة الأمن فى السلطة العراقية أشد وأغنف منها فى مصر ، التى كان النظام الملكى قد بلغ فيها جوا من التفسخ يصعب علاجه ولأن أجهزة أمن حلف بغداد كانت منتشرة فى العاصمة التى اختيرت مقرا له .

كانت ظروف العمل داخل الجيش صعبة ومعقدة ، وكانت الشكوك اذا لاحقت أحدا أبعده فورا عن المناصب القيادية الحساسة أو عن الجيش كله .

لم تقتصر حركة هذه التنظيمات داخل حدود العراق . .
العسكريون المصريون كانوا يفقدون الصلات مع غيرهم من العسكريين فى المنطقة كلما أتت الظروف المناسبة .

جمال عبد الناصر أبلغ خالد محيى الدين أنه على اتصال بالضباط الأحرار العراقيين ، وذلك فى شهر إبريل ١٩٥٨ قبل اشتعال ثورة ١٤ يوليو .

وقال عبد الناصر لخروشنوف فى موسكو حسب رواية هيكل ان (قاسم وعارف) قد اتصلا بعبد الحميد السراج فى مدينة (الرقما) على الحدود وأبلغاه بأنهما فى حركة ما .

وكان سفير مصر فى السعودية (عبد الحميد صبور) وهو ضابط على اتصال بعبد الكريم قاسم قائد اللواء ١٩ مشاة وعبد السلام عارف أثناء وجودهما فى منطقة وسط الأردن عام ١٩٥٦ عقب استثناء الأردن لهم بعد الغزو الثلاثى لمصر ، اعرف أن هناك تنظيما عراقيا ، وقد أمدهما ببعض المتفجرات .

ويقول أمين هويدى انه كان هناك اتصال خاص مع صبحى عبد الحميد .

ثورة يوليو ١٩٥٨ -

وكان سفير مصر في السعودية (عبد الحميد صبور) وهو ضابط سابق على اتصال وثيق بنجيب الربيعي سفير العراق في السعودية أيضا وهو ضابط سابق مثله سبق له أن قدم استقالته أثناء حرب فلسطين احتجاجا على عدم قدرته على حماية قواكه ثم سحبها تحت ضغط القائد العام .

كان نجيب الربيعي على اتصال بالضباط العراقيين في تنظيم عبد الكريم قاسم الذي اختار اسم (الضباط الأحرار) أيضا ، ويقول عبد الحميد صبور أنه كان هناك اتصال دائم بينهما محوره الرئيسي حركة الضباط الأحرار في العراق . . . وأنه قد أبلغه أن انقلابا سيتم في العراق يوم ١١ مايو ١٩٥٨ فأسرع بإبلاغ ذلك الى مكتب جمال عبد الناصر ولكنه أبلغه بالتأجيل في آخر لحظة .

ويقول عبد الحميد صبور أيضا ان نجيب الربيعي قد تراجع خلال فترة ما من الاتصالاتهما بدعوى أن مصر تأخذ اتجاهات يسارية متطرفة . ولكن الصلة بينهما عادت الى طبيعتها بعد اعلان الجمهورية العربية المتحدة .

يؤكد هذه الحقيقة ما يقوله صبور من أنه عند اعلان ثورة العراق قتل الربيعي السفارة ، ورفع سباعة التليفون ، وأبقى علم فيصل مرفوعا لمدة ٣ أيام حتى حضرت طائرة عراقية خاصة لتحمله الى بغداد رئيسا لمجلس السيادة .

خطة الانقلاب أعدت تحت الاسم الكودي (سقر) . . . وكان التوقيت مناسباً . . . الحرب الأهلية في لبنان تزداد اشتعالاً . . . والأردن والعراق انضما في اتحاد واحد . . . والأمير عبد الاله ونوري السعيد كان قد تحدد سفرهما الى استنبول يوم ١٤ يوليو . . . واللواء ٢٠ الذي يقوده عبد السلام عارف فوجاً (كتيبة) منه كان مقرراً أن يسافر الى الأردن عابراً بغداد . . . أمر اللواء الزعيم (الأميرالاي) أحمد حقي محمد على كان في مقدمة اللواء ، الذي كان توقيت تحركه يقضى بأن يعبر بغداد ليلة ١٤/١٣ يوليو .

وعندما وصلت واحداث اللواء الى القالوجا تولى قيادته عبد السلام عارف وتعاون معه قائد الفوج الثاني عبد اللطيف الدراجي . . . وأمر الفوج الثالث المقدم الركن يس محمد رفض التعاون فضربه عبد السلام عارف ووضعه في الايقاف .

... وكان قائد الفرقة الثالثة اللواء غازي الداغستاني قد استدعى الى بغداد فتوى قيادة الفرقة مكانه الزعيم (الأميرالاي) عبد الكريم قاسم قائلاً

اللواء ١٩ الذي كان هو ورئاسة الفرقة في (بعقوبة) نفس المدينة التي تحرك منها بكر صديقي في زحفه الأول نحو بغداد منذ ٢٣ عاما .

وأمد الزعيم (أميرالاي) ناجي طالب مدير التدريب بالأركان وحدات اللواء ٢٠ بلخيرة أكثر مما كانت تسمح به التعليمات التي صدرت عام ١٩٥٥ مع اشتداد الهجمة الدعائية ضد حلف بغداد ، وشعور المسؤولين بأن حالة من الرفض قد بدأت تتسرب الى صفوف الجيش .

لواء عبده السلام عارف تتوزع أفواجه وسراياه على القصر الملكي والاذاعة ودار نوري السعيد ، ووزارة الدفاع ، واعتقال بعض المسؤولين .

واحترست الجماهير حول القصر مع الجيش ٥٥ وخرج الملك والوصي يستفسران عن الموقف ، فعاجلتهما رصاصات سبع وتدفقت الجماهير داخل القصر وقتلت معظم أفراد الأسرة المالكة .

لم تتم حركة الجيش في معزل كامل عن الشعب ٥٥ وكما عرف الشيوعيون والاحوان المسلمون في مصر موعده الحركة بالتحديد ، عرف كل من الحزب الشيوعي العراقي وحزب البعث العربي الاشتراكي موعده ثورة العراق بصلات خاصة بين أعضائهما الملتزمين الذين تعاونوا مع تنظيم الضباط الاحرار ٥٥ تماما كما كان الحال في مصر .

ولكن الحركة عسكرية والقبضة العليا للضباط ، وعبد الكريم قاسم يعلن في مؤتمر صحفي بعد خمسة أيام انهم يعرفون الذين تعاونوا معهم من المدنيين .

جثة الوصي عبد الاله ربطت من الاقدام في عربة سارت به في شوارع بغداد ٥٥ ونوري السعيد حاول الهرب عبر دجلة في ثياب امرأة فكشفه صبي ، وانتهت حياته ٥٥ وحرقت السفارة البريطانية .

وسحلت في الشوارع جثث بعض المسؤولين في العهد الملكي وخاضة رجال الأمن وسط زغاريد وصيحات ابتهاج ، وقد علق الجثث على أعمدة النور .

سقط الحكم الملكي في بغداد واستقبلت الثورة استقبالا عاصفا من تأييد الشعب ٥٥ وتشكل يوم ١٤ يوليو مجلس الوزراء برئاسة عبد الكريم قاسم الذي تولى وزارة الدفاع ، وعين عبد السلام عارف نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للداخلية ، وناجي طالب وزيرا للشئون الاجتماعية ٥٥ وعين ١٢ وزيرا مدنيا يمثلون الاتجاهات والتنظيمات السياسية المختلفة التي اجتمعت على معاداة النظام الملكي .

واختلعت ثورة العراق عن ثورة مصر في تقديرها للدور الأحزاب الوطنية المعادية للاستعمار وهي أساسا أربعة : الحزب الشيوعي والوطني الديمقراطي والبعث والاستقلال ، وتعاونها معهم منذ اللحظة الأولى . وكل منها كان له ارتباط ببعض الضباط . . . وكان محتملا أن يصل وحده إلى السلطة عن طريق مؤيديه في الجيش .

ولكن ولأن كثير من الضباط المرتبطين بهذه الأحزاب كان تابعا للجيش وحركة الضباط الأحرار . . . والذين احتفظوا بالولاء الأول لأحزابهم تمت تصفيتهم عبر مراحل الثورة .

كانت ثورة ١٤ يوليو انفجارا متواليا في الشرق الأوسط اهتزت له أرجاء العالم . وبأدوار القوى المختلفة تراجع حساباتها وتواجه الموقف الجديد الذي نشأ بعد ست سنوات من ثورة مصر المحتملة والمتوقعة وفي أقل من سنتين على العدوان الثلاثي على مصر .

كان وقوع الانفجار في مقر حلف بغداد أكثر مما تختمله أعصاب الامبريالية لأنه كان يعني بالتأكيد رجحان كفة الحرب الأهلية في لبنان لصالح الوطنيين وانتهيار الحكم في الأردن . ولذا نزل الأسطول الأمريكي في بيروت يوم ١٥ يوليو . . . وهبطت قوات المظلات البريطانية في الأردن قادمة عبر إسرائيل لتتخذ عرش الملك حسين بعد تمزق الاتحاد بين الأردن والعراق .

وكان جمال عبد الناصر في زيارة ليوغوسلافيا عندما شنت الثورة ووصل الأسطول الأمريكي السادس إلى بيروت . . . وبعد مراجعة سريعة للموقف عاد باليخت الحربية إلى يوغوسلافيا بعد أن كانت الباقية في طريقها إلى الاسكندرية ومنها بالطائرة إلى موسكو التي رقت له الرحلة يوم ١٦ يوليو .

كان انهيار النظام الملكي في بغداد ، بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة ، تصاعدا في انتصارات جمال عبد الناصر الذي هاجم نوري السعيد والعرش العراقي في عصف خلال معركة الأحلاف . . . وشعر أن من واجبه ومسئوليته مساندة هذه الثورة التي قادها العسكريون أيضا .

وقبل وصوله إلى موسكو كان قد أعطى تعليمات لاسلكية للمشير عامر في القاهرة بأرسال بعثة عسكرية مصرية يرأسها ضابط عمليات لتعظيم ثورة العراق . فقد كان جمال عبد الناصر يخشى تحريك القوات البريطانية العسكرية في مطار الحبيانية بالعراق . . .

كلف المشير عامر البكباشي عبد المجيد فريد بالسفر فورا الى بغداد .
فتحرك اليها من سوريا (الاقليم الشمالى فى ذلك الوقت) ومعه أجهزة
لاسلكية واحد الضباط السوريين وبعض الفنيين حيث سلكوا الطريق
الصحراوى فوصلوا صباح ١٥ يوليو بعد سفر ١٤ ساعة .

دخل عبد المجيد فريد معه تعليمات أبلغها لقادة ثورة ١٤ تموز
وتتخلص فى :

أولاً : اعتماد القوات المسلحة والقوات الجوية العربية للوقوف
بجوار القوات المسلحة العراقية دعماً وتأييداً للثورة .
ثانياً : تقديم كل الدعم الاعلامى والمادى الذى يطلبه قادة الثورة
العراقية .

لقد كان الخطر يهدد ثورة ١٤ تموز من قاعدة الجبائية البريطانية
ومن احتمالات تقدم القوات البريطانية التى هبطت بالمظلات فى الأردن
قادمة من قبرص .

وأصدر جمال عبد الناصر بيانا أذاع فيه التدخل الأمريكى فى لبنان
واتخذ قراره بالذهاب الى موسكو للتعرف على موقف الكتلة الشرقية .
وصحبه فى الرحلة الدكتور محمود فوزى ومحمد حسنين هيكل زفافة فى
زيارة يوغوسلافيا .

وطالب عبد الناصر من خروشوف أن يوجه انذارا الى الغرب مثل انذار
١٩٥٦ للتحذير من أى تحركات غربية ضد العراق أو سوريا . . . ولكن
خروشوف كان يخشى حماقات دالاس وزير خارجية أمريكا مما قد يفتح
بالعالم الى خطر حرب عالمية ثالثة ، ومع ذلك - وبعد ساعتين من مقابلة
عبد الناصر - ذهب خروشوف الى اجتماع المكتب السياسى حسب رواية
محمد حسنين هيكل .

وتقرر القيام بمناورات عامة على الحدود البلغارية التركية أعلنها
المارشال مالينوفسكى مصحوبة ببنعاية ضخمة ، وأصدر خروشوف بيانا
هائج فيه الغرب ، وطلب المنسوب السوفيتى فى الأمم المتحدة انسحاب
الجنود الأمريكين والبريطانيين من لبنان والأردن .

وعاد عبد الناصر جوا عبر إيران والعراق الى دمشق يوم ١٨ يوليو
ووقف يخطب فى الجماهير قائلا (ان الاتحاد السوفيتى يدعمنا تشجيعا
كاملا . . . ولكننا نطلب السلام من مركز القوة) .

وقدم خروشوف في نفس الوقت اقتراحا بعقد مؤتمر قمة عالمي من
ذعماء الولايات المتحدة، وانجلترا وفرنسا والهند والاتحاد السوفيتي.
لمناقشة أزمة الشرق الأوسط .

ووصل وفد عراقي برئاسة عبد السلام عارف الى دمشق يوم ١٩
يوليو حيث خطب عارف مشيدا بعبد الناصر والقومية العربية . . . ووقعت
اتفاقية صداقة ومساعدة متبادلة بين مصر والعراق .

وعاد عبد الناصر سرا الى القاهرة . . . طرا مما حدث للطائرة المرافقة
للمشير عبد الحكيم عامر التي سقطت في طريق عودتها من سوريا بعد
العدوان . . . وكان مفروضا أن يكون بين ركابها لولا تغيير حدث في آخر
لحظة .

واكتملت مشقة الرحلة على عبد الناصر عندما وصلت الطائرة
فوجدته مطار القاهرة مغلقا ، فهبطت الطائرة السوفيتية في مطار
أبو ضوير الجربي حيث عاد الى منزله بعد رحلة شاقة امتدت ما يقرب من
أسبوع .

استقرت الأوضاع العالمية وموازنات القوى الجديدة على حماية ثورة
١٤ يوليو ، وعلى انقاذ عرش الملك حسين في الأردن والنظام في لبنان . . .
وكان تدخل الاتحاد السوفيتي بالمناوات وبيانات الادانة واقتراح مؤتمر
القمة واثارة القضية في الأمم المتحدة والاعتراف السريع بنظام العراق
والنشاط الدبلوماسي الموسع مع الدول الاشتراكية ودول عدم الانحياز . . .
الى جانب الانتصار الرائع لشعب العراق ، والمبادرة السياسية لجمال
عبد الناصر ، والتأييد الجماعي من جماهير الأمة العربية كل هذا أدى الى
استقرار سريع للموقف ، وعدم حدوث سلسلة من الانفجارات تعقب
ما حدث في بغداد .

كان لرحلة عبد الناصر الى موسكو صدى بعيد في أنحاء العراق .
شعبية التي اكتسبها في العراق خلال نضاله ضد حلف بغداد ، وموقفه
الجازم في قضية التأميم والعدوان وكسره احتكار السلاح جلبت له رصيدا
هائلا عند الناس هناك ، الذين خرجوا يهتفون لثورة ١٤ يوليو ولعبد الكريم
قاسم وجمال عبد الناصر أيضا .

وكان جمال عبد الناصر يتطلع قطعا الى نوع من اللقاء والوحدة بين
العراق والجمهورية العربية المتحدة . . . ولكن السلطة الثورية الجديدة
لم تكن متجذبة في هذا الطريق .

يقول عبد المجيد فريد الملحق العسكري الجديد ان عبد الكريم قاسم وزملاءه قد استقبلوا في البداية موقف جمال عبد الناصر بترحيب شديد ، وانهم أعطوا له مكتباً مجاوراً لمكتب عبد الكريم قاسم في وزارة الدفاع ليكون مقرّاً له ، وقد بقي به لمدة ثلاثة أشهر .

وخلال هذه الفترة قدمت الجمهورية العربية المتحدة كل مطالب العراق : الرجال والخبراء والسلاح والذخيرة التي توافرت للجيش المصري منذ كان تسليحه بريطانيا .

ويقول عبد المجيد فريد ان صداقة عبد الكريم قاسم وعلاقته به كانت متمسكة منذ البداية بالخذر الشديد ، وذلك حرصاً منه على عدم زيادة النفوذ المصري في العراق ، بينما يقول عبد المجيد انه شعر منذ البداية أيضاً بتقارب شديد من عبد السلام عارف وزفعت الحاج سري مدير المخابرات .

ولكن عبد المجيد فريد يعترف بأنهم قد أخطأوا في زيادة اتصالاتهم بعبد السلام عارف الى الحد الذي أثار عبد الكريم قاسم وضاعف الخذر في صدره .

وحضر الى مصر ولقاء من السياسة العراقيين رأسه كامل الجادجي رئيس الحزب الوطني الديمقراطي وقال لعبد الناصر ان عنده قدرة التأثير على عبد الكريم قاسم وأن ملاحظته الوحيدة هي تعطيل الحريات السياسية في مصر وطالب بإلغاء الاتحاد القومي وإعادة الأحزاب حتى يمكن قيام اتحاد فيدرالي ، ولكن عبد الناصر رفض الفكرة .

أول مؤتمر صحفي لعبد الكريم قاسم لم يشه فيه بعبد الناصر كزعيم للعروبة . . وان كان قد تحدث عن دوره الكبير في تأييد ثورة العراق .

عبد الكريم قاسم كان أكبر سناً من جمال عبد الناصر . . ولد في ٢١ ديسمبر ١٩١٤ ، وتخرج في الكلية الحربية عام ١٩٣٤ ودخل كلية أركان حرب عام ١٩٤١ ، واشترك في الحرب ضد الأكراد عام ١٩٤٥ ، وكان في فلسطين خلال فترة الحرب ، ثم ذهب للدراسة في إنجلترا عام ١٩٥٠ ، وحصل على رتبة الزعيم (الأميرالي) عام ١٩٥٥ .

كان كل من جمال عبد الناصر وعبد الكريم قاسم متخرجاً في كلية أركان الحرب . . مستوى الدراسة واحد تقريباً . . ولكن رتبة عبد الكريم قاسم يوم الثورة كانت تفوق عبد الناصر بدرجةتين . . وعمره أيضاً كان يزيد حوالي أربعة أعوام فجمال عبد الناصر ولد في ١٥ يناير ١٩١٨ .

مصراعات داخلية :

لم يكن عبد الكريم قاسم مثل عبد السلام عارف مندفعاً الى القومية العربية والناحية الدينية .. ولم يكن مثله أيضاً مرتبطاً من بعيد بحزب البعث الذي يضع الوحدة العربية في مقدمة أهدافه .

رشح عبد السلام عارف صباغ المخابرات صالح مهدي عمّاش المسؤول بحزب البعث ليكون مندوباً عن العراق في هيئة الأمم المتحدة بدلاً من اسماعيل عارف أحد قادة الضباط الأحرار .

كانت مشاكل العراق الداخلية تفرض عليهم الاهتمام بها أولاً ... ولكن عبد السلام عارف بدا في الموقف كما لو كان مثلاً لا اتجاه الوجهة مع مصر .. يخطب كثيراً بما لا يتفق مع رأي زملائه .. الأمر الذي أدى الى إثارة البلبلة في العراق . وخاصة بعد أن عقد الملحق العسكري المصري عبد المجيد فريد صلات خاصة به ، أوجت الى زملائه والى قاسم بأنه أصبح مصدر خطر عليهم وعلى الثورة .

وزاد في تجسيم هذه الحالة وصول رشيد عالي الكيلاني في أوله سبتمبر من القاهرة وإعلانه عن معارضته للإصلاح الزراعي .

وفي ١٢ سبتمبر أي قبل مضي شهرين من الثورة أعفى عبد السلام عارف من منصب نائب القائد العام للقوات المسلحة وزاد ذلك من هوة الجفاء والتوتر ، ووصل الأمر غايته في ٣٠ سبتمبر عندما صدر أمر بإعفائه من منصب نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية وتعيينه سفيراً للعراق في بون .

رفض عبد السلام عارف تنفيذ الأمر أو السفر متعللاً بعدة حجج شخصية ، وفي ١١ أكتوبر عقد عبد الكريم قاسم اجتماعاً لقادة الضباط الأحرار ومعهم قادة الفرق الأربع بالجيش العراقي في وزارة الدفاع لإقناع عارف بالسفر وتلمادي انفجار أزمة بين الزملاء .

وفي هذا اللقاء أخرج عارف مسدسة وحاول الاعتداء على عبد الكريم قاسم الذي عاجله بالقبض على يده وأخذ المسدس منه .. وقال عبد السلام انه كان يحاول الانتحار .. وسأله قاسم عن النمر الكامن وراء تنفيذ هذه الرغبة لو صحت في مكتبه .

عفا عبد الكريم قاسم عن حركة عبد السلام عارف في مقابل سفره في اليوم التالي مباشرة الى بون وودعه في المطار ، ولكن عارف أمضى يوماً واحداً فقط في بون ، وثلاثة أسابيع في جولة بمواصم أوروبا ، عاد

بغداد فجأة الى بغداد. يوم ٤ نوفمبر ١٩٥٨ حيث اعتقل وقدم للمحاكمة يوم ٢٧ نوفمبر .

كانت شخصية عبد السلام عارف تدفعه الى تصرفات غير محسوبة معتمدا على رصيده القومية العربية وجمال عبد الناصر الكبير في العراق .

وكانت صلة القاهرة ببغداد قد بدأت تدخل دائرة الحساسية نتيجة تصرفات بعض أجهزة الأمن المصرية . . كانت لهفتهم للوحدة معرية للعناصر التي لم تجد في ثورة ١٤ يوليو متنبها لتعبيرها .

وكان في حركة هؤلاء الأفراد غير المسئولين تشويه للصورة التي تصل الى جمال عبد الناصر ، وتشويه أيضا لصورة جمال عبد الناصر في نظر المسئولين العراقيين .

كانت تجربة الوحدة مع سوريا قد مضت في الطريق عدة شهور ، وكان مفروضا فيها أن تكون قوة جذب للدول العربية المتجذرة . . ولكن كما أن الثورة لا تصدر فإن الوحدة لا تفرض .

وبدأت صحافة القاهرة ، وخاصة صحف أخبار اليوم ، تلح الى أن تيارا شيوعيا قد بدأ يأخذ مجراه في العراق . . ولكن جريدة المساء التي كان يرأس تحريرها خالد محيي الدين نشرت مقالا للدكتور عبد العظيم أنيس تحت عنوان (الحركة الوطنية العربية) واتصل جمال عبد الناصر بخالد محيي الدين غاضبا على ذكر كلمة (الوطنية) بدلا من (القومية) ، وأصدر تعليماته بمنع الدكتور عبد العظيم أنيس من الكتابة .

وإذا كان مكسيم رودلسون قد كتب يقول (أن ثورة العراق هي أول ثورة حقيقية في العالم العربي) فإنه كان يعنى بذلك أنها حركة عسكرية منفتحة على الشعب بتنظيماته المختلفة .

ثورة العراق كانت تمضي في طريق يختم الشعب المتخوف من قبضة النظام الملكي الرجعي وحلف بغداد . . ولكنها لم تتحرك نحو الوحدة حركة سريعة أو ملحوظة . . وبدأ الأمر بالنسبة للقوميين كاته نوع من التردد أو الخيانة .

حركة الشواف . . بين القاهرة وبغداد :

كان الموقف المنفتح على الشعب لثورة العراق دافعا الى ظهور حساسيات مع القاهرة التي وصلت اليها الصورة كما لو أن العراق قد أصبح خاضعا تماما للنفوذ الشيوعي ، وخاصة بعد استقالة صديق شنشل الذي حاول مصادرة جريدة الحزب الشيوعي في فبراير .

الزوى صورة لم تكن دقيقة أو صحيحة .. فالحزب الشيوعي كان يمارس نشاطه ولكن بطريقة غير قانونية ، وكانت هناك مناقضات بين قيادته وبين السلطة .

صحيح .. أن حرية نسبية قد توافرت لحركته ، ولكنها كانت حرية مرصودة .

وبدأت بعد ظهور حملات نقد محدودة في الصحف المصرية ضد العراق .. مهاجمة صريحة من جمال عبد الناصر للشيوعيين في خطابه يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٥٨ ببور سعيد .

وذهب جمال عبد الناصر الى سوريا في مارس ١٩٥٩ وهو في خطبه يهاجم أعداء القومية العربية تعميما .. حتى قامت محاولة المقدم عبد الوهاب الشواف ابن مفتي بغداد يوم ٨ مارس ١٩٥٩ في الموصل .

وكما يقول انتوني ناتنج في كتابه (ناصر) فإنه يسواء عرف عبد الناصر أو لم يعرف بأسرار هذا التدبير ، فالأمر الذي لا شك فيه أن اختيار الانقلاب المحتفل كانت قد قُبلت إلى الناس وعلم بها السفير البريطاني هنري تريلفيليان ، وعلى قدر ما شعر السراج بضمان النجاح ، على قدر ما ضعفت السرية .. وقلبت إجراءات الأمان .. مما أوقع بعض السوريين بملايهم العسكرية في الموصل .

ويقول انتوني ناتنج أيضا أن جمال عبد الناصر قد عاتب السراج على تدبيره للانقلاب ، ولكن لم يكن أمامه خيار .. التورط قد حصل والهجوم خير وسائل الدفاع .

وقال لي عبد اللطيف البغدادي أن حوارا دار بين بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة عن احتمالات تدخل مصرى لتأييد ثورة ضد نظام عبد الكريم قاسم إذا ما طلب منهم ذلك .. وأنه قد أثبتت احتمالات انتهاز إسرائيل الفرصة لمهاجمة سوريا ، أو مبادرة الاتحاد السوفيتي لمساندة قاسم ، أن تدخل قوات الحلف المركزي أو الولايات المتحدة .. ومع ذلك فإن عبد الناصر أعلن أنه لن يتردد إذا ما حدث ذلك في أعمال كل هذه الأخطار والقيام بواجبه القومي .

ويؤكد الملحق العسكري عبد المجيد فريد أنه لم يكن على علم بحركة الشواف ، ويقول أنها دبرت بمعرفة السراج .

كان هناك اجتماع لانصار السلام في المدينة ، واحتشدت الجماهير ومضى الاجتماع هادئا ثم خرجت بعض المظاهرات السلمية ، فأرسل لها

الشواف قواته لتفريقها عنوة معتقدا أن هذه الحشود قد أعلنت للمبادرة بالهجوم عليه ، وبدأت مجزرة دامية لم يكن هناك من سبيل لتفاديها ..
اذ اندلع الشواف في مقاومة للسيطرة على الموقف بعيدا عن بغداد .

لم يكن الشواف قائده اللواء الخامس من الفرقة الثانية وحده ..
وانما كان مرتبطا مع ناظم الطبقجي قائد الفرقة ورفعت الحجاج سرى مدير المخابرات الذي كان يدبر اعتقال عبد الكريم قاسم .

ولم يجد رفعت الحجاج سرى الموقف مواتيا فأرسل الى الشواف يطلب التأجيل .. ولكن الاندفاع الأهووج جعله يعلم ان الانقلاب في ذلك اليوم الذي احتشد فيه أنصار السلام .

استمرت الحركة يومين .. خاضها الشيوعيون والاكرد الديموقراطيون دفاعا عن أنفسهم .. واتخذ ضباط الصف المنضمون للحزب الشيوعي موقف الرفض من حركة الشواف .. واستمرت الحركة في المدينة يومين .

لم يقدر الشواف أن طائرات بغداد تستطيع الوصول إلى الموصل .
و ضرب التجمعات العسكرية فيها ، وهو ما حدث فعلا .

أجهزة المخابرات المصرية والسورية تعلن عن قيام « ثورة الشواف » وصوت العرب يلهب حماس الناس .. والقلى يتساقطون .. وبغداد تعلن عزل الشواف ، وهو يواصل المعركة حتى يسقط جريحا وينقل للمستشفى فيهجم عليه الناس وتنتهي حياته ومحاولته .. وفي المدينة مئات من القتل والجرحى .. وقام بعض الشيوعيين بأعمال غير إنسانية أسامت اليهم ، وجعلتهم يكتبون عنها نقدا ذاتيا فيما بعد .. ولو أنهم في الحقيقة قد دفعوا اليها دفعا باستفزاز الشواف لهم عندما اعتقل قادة الحزب ووضعهم في السجن .

كان عبد الناصر ينتظر أخبار انتصار الثورة التي دبرت مع بعض أعضاء أجهزة المخابرات . ولكنه بدلا من ذلك سمع أخبار فشلها ومصرع الشواف .

وأصدر عبد الكريم قاسم قرارا بإبعاد الملحق العسكري عبد المجيد فريد والمستشار بالسفارة محمد المصري وهو ضابط سابق من رجال رئاسة الجمهورية ، وليس من موظفي وزارة الخارجية ، واثنين من الموظفين الإداريين خلال ١٢ ساعة على ألا يخرجوا من باب السفارة حيث ان الدولة لن تكون مسئولة عن حياتهم .

وضع ذلك يقول عبد المجيد فريد انه تسلل من السفارة ليلا وذهب
الى رفعت الحاج سري في مكتبه بوزارة الدفاع وحذره من انكشاف امره ،
ويقول عبد المجيد فريد ان رفعت كان مرتبكا .

ويبدو ان هذه الزيارة المتعجلة البعيدة عن قواعد الامان قد اكدت
شكوك قاسم في رفعت الحاج سري فاضطر امرا باعتقاله بعد ٣ ساعات
من خروج عبد المجيد فريد من عنده .

وعندما وصلت اخبار الفصل بذا جمال عبد الناصر حملة في غاية
العنف ضد العراق خلال جولته وخطبه في سوريا تحت يوم ١١ مارس .

عبد الكريم قاسم أصبح قاسم العراق . . الشيوعيون عملاء وملحدون
لا يؤمنون بحرية بلدهم . . الحزب الشيوعي السوري يعمل بتعليمات من
الخارج . . لن نسمح بقيام حزب شيوعي في مصر . الحزب الشيوعي في
مصر يتلقى تعليماته من الحزب الشيوعي ايطالي منذ عام ١٩٥٢ .

الهجوم يشتهد ويتضاعف ضد حكومة العراق . . ورد الفصل ضد
مصر يزاد عنفا .

وتمزقت العلاقة بعد شهور معدودة بين ثورة ٢٣ يوليو وثورة ١٤
يوليو ، ولم يعد هناك جو مناسب لخلق علاقة صحية مشتركة بين الافكار
القومية والافكار الوطنية او الباطنية .

وبدأت في آخر مارس ١٩٥٩ حملة اعتقالات ثانية ضد الشيوعيين
المصريين والسوريين الذين سبق ان وجهت ضدهم حملة اعتقالات شملت
المئات في ليلة رأس السنة ١٩٥٨/١٩٥٩ .

الانفعال واضح في موقف جمال عبد الناصر . . وفي موقف الحكومة
العراقية التي جعلت من محكمة المهداوي ساحة للظف والسباب والدعاية
وظفح الأسرار .

وكانت محكمة الشعب برئاسة العقيد فاضل المهداوي قد بدأت في
محاكمة عبد السلام عارف ورشيد عالي الكيلاني ورفعت الحاج سري
وغيرهم على امتداد شهور طويلة .

طرد عبد الكريم قاسم بعد ثورة الشواف ٢٠٠ ضابط من الجيش
منهم ٧٠ (أميرالاي وقائقام) .

وفي يوم ٧ أكتوبر ١٩٥٩ حدثت محاولة اعتداء على حياة عبد الكريم
قاسم قام بها بعض البعثيين في شارع الرشيد . . قتل السائق وجرح

عبد الكريم قاسم وتمت حركة اعتقالات كبيرة ، وذلك بعد أن كانت أحكام الإعدام قد نفذت على ناظم الطبقجي ورفعت الحاج سري ضمن ١٣ ضابطا ، ٤ مدنيين يوم ٢٠ سبتمبر .

هجمة على الشيوعيين :

وعندما نشرت جريدة المساء في مصر أن الثورة قد انتهت ذهب أنور السادات يوم ١٢ مارس ١٩٥٩ الى خالد محيي الدين وأبلغه قرار جمال عبد الناصر بعزله ، وتعيين ضابط مخابرات رئيسا للتحرير بدلا منه هو مصطفى المستكاوي . كل الجرائد المصرية ظلت تخلق جوا من الاثارة حول ما حدث في الموصل . وتنتشر خطبة عبد الناصر الملتهبة في سوريا والتي ظل يواصلها حتى شهر أبريل ١٩٥٩ .

وفي حديث مع الصحفي الهندي كراتنجيا يوم ١٧ ابريل قال عبد الناصر :

(ليس بالقومية العربية أي خطأ ، الا أنها معرضة في الوقت الحاضر لهجوم من الحركات الهدامة ، اننا نقاتل معركة دفاعية ضد الشيوعية ومطامعها تماما كما سبق أن قاتلنا ضد الاستعمار الغربي) .

وصرح بأنه طلب مقابلة عبد الكريم قاسم ولكنه اعتذر بحجج واهية لأنه كان أسيرا للشيوعيين .

وفي ختام الحديث قال انه يتوقع كفاحا طويلا بين الشيوعيين والقوميين العرب .

وكان قد سبق لجمال عبد الناصر أن قال لخالد محيي الدين قبل عزله من رئاسة تحرير (المساء) ، ان القومية العربية قد انتهت بقيام ثورة العراق .

كانت الصورة عند عبد الناصر أن قاسما كان أسيرا في يد الشيوعيين يتحرك بأمرهم وينفذ اراذلتهم . ولكن الحقيقة كانت غير ذلك . فالشيوعيون في العراق كانوا يصارعون من أجل حقوقهم في الوجود . والسلطة لم تكن في أيديهم . ونضالهم الطويل منذ تأسيس الحزب الشيوعي العراقي عام ١٩٣٤ ، واعتقال سكرتير الحزب يوسف سليمان (فهد) وزميليه عضوى المكتب السياسى زكى محمد بنسيم وحسين محمد الشبيبي في يناير ١٩٤٧ وصدرور الحكم عليهم بالاعدام في يونيو من نفس العام ثم وقف التنفيذ تحت ضغط الراى العام العالمى فى كل البلاد . وأخيرا العودة الى اتهامهم بالتآمر من داخل السجن ومحاكمتهم واعدامهم يوم ١٤ فبراير ١٩٤٩ قبل اذاعة النبأ .

كان اعدام هؤلاء القادة يمثل عند الشيوعيين العراقيين مأساة عنيفة وذكرى مؤلمة .. ولذا فانه في التاريخ الأول لاعدائهم بعد الثورة ١٤ فبراير ١٩٥٩ سارت مواكب شعبية حاشدة تحيي ذكرى الشهداء الثلاثة وكانت لجنة العفو عن المسجونين السياسيين قد أصدرت قرارا في ٢٤ يناير باعتبار الأعمال التي حوكموا بسببها من أعمال الكفاح الوطني التي تستاهل التقدير .. واعتبارهم شهداء الشعب .

كان هذا القرار طبيعيا اذ أعيدم الثلاثة في مرحلة النضال ضد الاستعمار البريطاني .. ولم يكن قيام المظاهرات دليلا على وثوب الشيوعيين على السلطة .

ولكن الصورة المشوهة التي خرجت من بغداد عن طريق عملاء المخابرات المصرية .. والفكرة العدائية الثابتة ضد الشيوعية والشيوعيين .. والتناقض غير المبرر وغير العلمي بين التنظيمات القومية والشيوعية .. وانحراف بعض الصحف العراقية والمصرية الى الهجوم غير الموضوعي .. وساحة محكمة الشعب التي تحولت الى مسرح اثارة واتهام للقيادة المصرية . كل هذا أدى الى وقوف جمال عبد الناصر موقفا عدائيا من الشيوعيين العراقيين .

ولم تكن الحقيقة أن الحزب الشيوعي كان قد قبض على السلطة . فانه في يوم ٢٩ ابريل أصدر الحزب بياناً يطالب بالمشاركة في الحكم .. وقاسم يجيب بأنه يريد حزباً يقضى على كل الأحزاب .. قائلا أن الشعب هو حزبه .

وفي النصف الثاني من يونيو فصل بعض الضباط الشيوعيين من الجيش .

وفي العيد الأول للثورة ١٤ يوليو ١٩٥٩ أعلن عبد الكريم قاسم أنه سيخضع بتكوين أحزاب خلال ستة أشهر .. وبالتحديد في يوم تأسيس الجيش العراقي أي ٦ يناير ١٩٦٠ .

وشكل عبد الكريم قاسم وزارة جديدة ضمت ٦ من العسكريين ، ١١ مدنيا .. مما أعطى الحكم لونا عسكريا .. رغم دخول دكتورة نزيهة العتلي الى الوزارة وهي ماركسية وتعتبر أول وزيرة تعين في العالم العربي والإسلامي معاً .

تكوين الأحزاب كان يعطيه على موافقة وزير الداخلية .. القانون شبيه بقانون الأحزاب الذي سبق أن صدر في مصر عام ١٩٥٢ وخلت الأحزاب القديمة بموجبه ، على أن تتقدم بطلبات تكوين جديدة .

وفي اليوم المحدد لتقديم الطلبات ، تبين أن حزبا شيوعيا آخر يرأسه انتهازى يسمى داود صايغ يضم منجسوة محدودة من الأعضاء تباركهم الحكومة لقسم الحزب الشيوعي الأصلي - قد تقدم بطلب تكوين أيضا .
ورفضت الحكومة أن تعطي اسم الحزب الشيوعي للتنظيمين ..
واكتفت بحزب داود صايغ .

وبادر الحزب الى تغيير اسمه الى (اتحاد الشعب) وهو اسم صحيفته ، ولكن طلبه رفض أيضا يوم ٢٢ يناير ١٩٦٠ .. وكان هدف عبد الكريم قاسم من ذلك هو قسم الحزب الشيوعي وإجباره على أن يظل سرى لا يمارس نشاطه بصورة علنية .

رغم الشعارات اليسارية والصورة الحمراء التي اكتسبت بها العراق كان عبد الكريم قاسم لايزيد عن كونه ضابطا عسكريا بعيدا عن الطبقة الوسطى ، يريد أن ينفرد بالسلطة في يده ويلعب لعبة التوازن ، ويرفض التعاون المخلص مع الطبقة العاملة لتحقيق وحدة وطنية كاملة في مواجهة أخطار الامبريالية والرجعية .

هكذا هاجم عبد الناصر الشيوعيين في نفس الوقت الذي كانوا يعانون فيه من تصرفات عبد الكريم قاسم .
وهكذا فقد أيضا عبد الكريم قاسم تأييد اليسار المطلق ، ولم يكسب اليمين .

وضاعف جمال عبد الناصر حملته على العراق .. في السياسة الخارجية بدأ هجومه على الاتحاد السوفيتي وتحسنت العلاقات مع الولايات المتحدة التي أعادت لمصر المعونات ، واستقبلت الجامعات الأمريكية ٢٤٠ طالبا كانوا يدرسون في الاتحاد السوفيتي .

وفي السياسة العربية استقبل عبد الناصر اللواء فؤاد شهاب سرا ، خلال وجوده في سوريا بعد ثورة الشواف وتم الاتفاق على تأييد لبنان كامل لمصر .. وفي أغسطس عادت العلاقات الدبلوماسية المقطوعة مع الملك حسين ، وفي سبتمبر التقى عبد الناصر مع الملك سعود الذي سبق أن تأمر على حياته وعلى الوحدة .

وخلال عام ١٩٥٩ زادت قبضة العنف في مصر وضممت الممتلكات كل صوت معارض ، وجاءت استقالة وزراء البعث في نهاية العام تكمة لجلقة الضغط ومصادرة الحريات والمعارضة .
ولكن الموقف في العراق ما زال بعيدا عن يد جمال عبد الناصر .

والأمور هناك تمضي في حملة الهداء ضد القاهرة ، ولكن عبد الكريم قاسم لا يهاجم مصر ولا عبد الناصر . ولكن توجيهاته للمسؤولين جميعا كانت ضد مصر وجمال عبد الناصر .

سلطات العراق تلغى حكم الاعدام على فاضل الجمالى وزير الخارجية فى عهد حلف بغداد . وتواصل رفضها حضور اجتماعات مجلس الجامعة العربية اذا عقد فى اقليمى الجمهورية العربية المتحدة . وعندما ذهب الدكتور محمود فوزى وزير الخارجية مع عبد الخالق حسونة أمين عام الجامعة العربية الى بغداد فى يناير ١٩٦١ غومل الاول معاملة المسافرين العادى بينما دخل عبد الخالق حسونة من باب كبار الزوار .

الامل ضئيل فى تقريب الثغرة بين بغداد والقاهرة أو بين قاسم وعبد الناصر . وتعيين همفري تريفلين الخبير فى الشؤون المصرية والعراقية منذ الأربعينات سفيرا لبريطانيا فى بغداد قد لعب كما قال عبد الناصر دورا فى زيادة الثغرة بين الدولتين العربيتين .

ووضع الشقاق والخلاف على المائدة مرة أخرى عندما طالب عبد الكريم قاسم بضم الكويت الى العراق عقب اعلان استقلالها فى يونيو ١٩٦١ ، باعتبارها كانت ضمن ولاية البصرة فى عهد العثمانيين . وصاحب اعلان عبد الكريم قاسم حشد للقوات العراقية كما لو كان يريد تنفيذ الامر بالقوة العسكرية .

واستنجد امير الكويت ببريطانيا التى اسرعت بارسال قواتها الى الكويت . ولم يظهر عبد الناصر أى اعتراض على ذلك عندما ابلغه السفير البريطانى سير هارولد بيل حسب رواية أنطونى ناتنج .

ولكن مجلس الجامعة العربية اعترض على دخول الكويت الى الجامعة العربية مادامت القوات البريطانية تسيطر على أرضها . فقد كان فى ذلك مثل ونموذج يمكن أن يتكرر بواسطة بعض الدول العربية الأخرى مثل الأردن .

واقترح جمال عبد الناصر أن تطلب الكويت رحيل القوات البريطانية وأن تستبدل بقوات عربية مشتركة . وعندئذ تفتح أبواب الجامعة العربية للدولة الجديدة .

وبدأت القوات البريطانية فى الانسحاب فعاد يوم ٢٠ يوليو ١٩٦١ ودخلت الكويت الجامعة العربية . ووصلت قوات عربية مسلحة من مصر والسعودية والأردن وتونس والسنغال .

ولكن القوات المصرية لم تبق طويلا ٠٠ قرر جمال عبد الناصر سحبها
للاثر العكسي الذي أحدثه وجودها في الكويت بين الرأي العام العراقي
الذي كان قد أخذ موضوع ضم الكويت مأخذ الجد والاهتمام ٠

وعندما تمزقت وحدة الجمهورية العربية المتحدة في سبتمبر ١٩٦١
كان في ذلك انحسار لموجة القومية والوحدة العربية التي طغت على المنطقة
مع منتصف الخمسينات ٠٠ وانجذب اهتمام جمال عبد الناصر الى ما يدور
في سوريا أكثر مما يدور في العراق ٠

ولم يؤد الانفصال الى تقارب حقيقى بين سوريا والعراق ٠٠ وان
كانت حكومة قاسم قد اتجهت لهذا الحدث الذي أيد وجهة نظرها في
ضرورة التريث قبل اتخاذ قرارات علوية في موضوع الوحدة ٠

وعند اجتماع مجلس الجامعة العربية في شتورا تقيت حكومة
العراق ولم تشأ أن تنسحب الى النزاع الملتهب بين مصر وسوريا ٠

وخلال هذه الفترة كان حزب البعث قد انتعش قليلا في سوريا ،
وبدا التفكير في إعادة تنظيمه ، وتشكلت قيادة قومية خاصة في سوريا
من حزين غير سوريين بقيادة منيف الرزاز وعضوية على صالح السعدي
من العراق ٠٠ في الوقت الذي تكونت فيه قيادة سورية رافضة بقيادة
رياض المالكى ٠

وبدأ الحزب العراقي يتماسك تنظيميا ، ويحاول إعادة تنظيم قواته
في الجيش وخارج الجيش بعد ضربات عنيفة وجهت له في عهد قاسم ٠٠
وتم تدبير انقلاب عسكري جديد ٠٠ قبل أن تنقضى خمس سنين
على ثورة ١٤ يوليو ٠

الفصل الثالث

سقوط عبد الكريم قاسم

(الحمد لله)

مانشيت جريدة الأهرام في عيد
الوحدة ٢١ فبراير ١٩٦٣ وهي
الكلمات التي بدأ بها جمال عبد الناصر
خطبته تعبيراً عن ارتياحه لانتصار
ثورات اليمن والجزائر وسقوط قاسم
بعد مأساة الانفصال •

تم تدبير البحث للخطبة على أساس التنسيق بين المدنيين
والعسكريين •

وكان الهدف هو الاستيلاء على الإذاعة ووزارة الدفاع حيث كان
يقيم قاسم معظم الوقت فيما يشبه حصناً يضم ٣ كتائب مشاة ، ١٨ مدفعا
مضادا للدبابات ، ومدفعية مضادة للطائرات •

نقطة الانطلاق كانت من الحياينة وساعة الصفر كانت التاسعة صباحا
وهو توقيت يتناسب مع أسلوب عبد الكريم قاسم الذي كان لا ينام الا في
الخامسة صباحا •

وفى يوم ٨ فبراير الموافق ١٤ رمضان وهو يوم جمعة كان عبد الكريم قاسم نائما فى منزل والدته .

وفى الثامنة والنصف صباحا ، اندفع بعض الضباط الى منزل الزعيم (الأميرالاي) الأوقاتى قائمه القوات الجوية وقتلوه أمام أولاده ٠٠ وفى نفس الوقت تحركت بعض المدرعات الخفيفة حيث احتلت الاذاعة ، وقصفت الطائرات مبنى وزارة الدفاع بالصواريخ .

أعلنت القوات التى احتلت الاذاعة فى التاسعة والأربعين دقيقة صباحا خبر اعدام عبد الكريم قاسم بعد أن شوهد يعبر شوارع بغداد من منزل والدته حيث كان ينام ، الى مبنى وزارة الدفاع والناس تصفق له فى الشارع .

وبدأت معركة بين المعتصمين فى مبنى وزارة الدفاع بقيادة قاسم وبين الزاحفين على بغداد من الخارج ٠٠ ولم يقف الى جانب قاسم الا الشيوعيون الذين حاول تمزيق وحدتهم ولم يتعاون معهم فى اخلاص كامل ٠٠ وأطلقوا نداءات الى جماهيرهم تقول (الى السلاح للقضاء على مؤامرة الامبريالية والرجعية ٠٠ استقلالنا الوطنى ومنجزات ثورتنا فى خطر جسيم ٠٠ خذوا السلاح من مراكز الشرطة أو من أى مكان واضربوا المتآمرين عملاء الاستعمار) .

المعركة مستمرة بين قوات الجيش الزاحفة والمدافعة ٠٠ ومستمرة أيضا بين مليشيا الشيوعيين وحرس قوى البعثيين وخاصة فى الأحياء الشعبية .

سقوط الاذاعة جعلها تثير الفزع فى نفوس الجماهير اذ تعلن أن المجلس الوطنى لقيادة الثورة يطالب بإبادة الشيوعيين ٠٠ والاذاعة المصرية تديع بيانات المجلس الوطنى الجديد فى حماس شديدة .

الحزب الأهلية المحسودة لم تكن كافية لحسم الموقف ٠٠ قوات الجيش وحدها هى القادرة ٠٠ والقتال يشتد فى الشوارع وفى وزارة الدفاع .

الثوار معهم عبد السلام عارف الذى أفرج عنه عبد الكريم قاسم بعد تخفيف حكم الاعدام الى المؤبد . وكان قبله أمضى ليلة الجمعة فى منزله ثم خرج فى الثامنة صباحا الى معسكر أبو غريب حيث ركب هو وأحمد حسن البكر دبابة فى قيادة الطابور المدرع كما تقول بعض الأخبار التى نشرت ، بينما يقول البعثيون أنه خرج من منزله فى الحادية عشرة صباحا دون أن يكون على علم كامل بما يدور .

وفي المساء اتصل قاسم تليفونيا بعبد السلام عارف وأبلغه استعداداه للتسليم على أن يخرج بملابسه العسكرية من وزارة الدفاع ليغادر العراق . . ولكن عارف طالبه بتسليم غير مشروط .

كان قاسم يريد أن يحتفظ بكرامته العسكرية الى اللحظة الأخيرة . ولكن عارف قال له أنه لن يكون مثل تشومبي ولن تكون العراق مثل الكونغو .

واستمرت المقاومة طوال يوم الجمعة وليلة السبت . . وفي الصباح اتصل عبد الكريم قاسم بعبد السلام عارف وتم الاتفاق بينهما على أن يكون التسليم في مبنى مجلس الشعب الملاصق لوزارة الدفاع .

ووصل قاسم الى الاذاعة في منزعة ومن خلفه في سيارة مصفحة فاضل المهداوي وطه الشيخ أحمد مدير المخابرات وضابط رابع .

وحدثت مواجهة بين عبد الكريم قاسم وزملائه وبين عبد السلام عارف وأعضاء المجلس القومي لقيادة الثورة ، انتهت الى صدور قرار باعتدائه وإطلاق الرصاص على الأربعة في إحدى غرف الاذاعة ، ونقل صورة البث الى المشاهدين في التلفزيون . وعندما وصلت الصور الى القاهرة ظهرت على شاشة التلفزيون أصدر جمال عبد الناصر أمرا بوقف إذاعتها لبعدها عن الانسانية .

المجلس الوطني لقيادة الثورة يستمر في الحكم من الاذاعة لمدة ثلاثة أيام ثم ينتقل الى الجامعة ومنها الى المجلس الوطني .

عين عبد السلام عارف رئيسا للجمهورية ، وأحمد حسن البكر رئيسا للوزراء ، والمقدم مهدي صالح عماد وزيراً للدفاع وهم جميعاً من العسكريين . . وعين على صالح السعدي أحد قادة البعث نائباً لرئيس الوزراء واللواء طاهر يحيى رئيساً لأركان الحرب وعلى رشيد مصليح حاكماً عسكرياً .

فرض المجلس الوطني الذي لم تكن أسماه أعضائه منذ البداية حظر التجول من الثالثة مساء حتى الفجر واستمرت الفترة تتناقص حتى ألغى الحظر في أول مارس ١٩٦٣ .

عمليات تصفية واعتقال الشيوعيين مستمرة والاذاعة تطالب بإطلاق الدار عليهم في كل مكان . . واعتقل عزيز شريف الحائز لجائزة لينين للسلام عام ١٩٦٠ . . ونشرت برافدا بياناً تهاجم فيه قبح الشيوعيين في العراق ، وثارت المنظمات العالمية والصحافة التقدمية والأحزاب الشيوعية والاشتراكية ضد ما يدور في العراق .

البعث يحكم العراق :

كان انعكاس الموقف في مصر تأييدا كاملا وسريعا للموقف .. واعترفت سوريا والأردن بعد ذلك ، رغم الشعور بأن نظام الحكم الجديد في العراق يظهر في مظهر متعارض مع نظام الحكم في البلدين وقتئذ .

أول خطاب لعبد الناصر بعد الثورة كان في عيد الوحدة ٢١ فبراير ١٩٦٣ . وظهر مائشيت الأهرام (الحمد لله) بخط أحمر كبير .. فهكذا بدأ جمال عبد الناصر خطبته ، وكسر نفس التعبير وهو يتحدث عن انتصارات ثورة اليمن والجزائر ثم العراق بعد الانفصال .

وحضر من العراق وفد برئاسة علي صالح السعدي وصالح عماد وطالب شبيب وزير الخارجية وفؤاد عارف (كردي) وعقيد خالد مكي الهاشمي معاون رئيس أركان الحزب ومقدم جوي حردان التكريتي .. وحضر أيضا وفد شعبي عراقي برئاسة حسين جميل .

خطب في عيد الوحدة علي صالح السعدي ، ثم سافر الوفد العراقي إلى الجزائر لمدة ليلة واحدة عاد بعدها إلى القاهرة .

وطلب علي صالح السعدي من جمال عبد الناصر أن يناقش منع الأكراد الحاضرين مع الوفد الشعبي مشكلتهم .. وبعد عودته من الجزائر أبلغه عبد الناصر بأنه يرى أن يكون هناك تفكير في نوع ما من الحكم الذاتي .

وأعتبر علي صالح السعدي بينه وبين زملائه أن ذلك نوع من التفكير الاتقسيامي .

وأهدى عبد الناصر إلى الحرس القومي الذي كان يرأسه علي صالح السعدي ٢٠٠٠ مدافع رشاش مصري سافرت فورا إلى العراق لتسليح الحرس القومي بعد أن بدأ يلعب دورا هاما وبارزا في اشاعة الارهاب بين الجباهير .

كان الحرس القومي تنظيما عسكريا بلا ضبط ولا ربط .. تولى قيادته منذر الوندائي أحد قادة البعث .

وصدر قرار بتعيين أمين هويدي سفير مصر في الرباط سفيرا في العراق . وكان قد سبق له أن عمل نائبا لرئيس المخابرات ثم قدم استقالته لتناقضات في التفكير والاسلوب بينه وبين صلاح نصر ، وبقي في منزله ستة شهور قبل تعيينه سفيرا في المغرب .

وكان تعيين أمين هويدي وهو واحد من الضباط الأحرار الذين وثق بهم عبد الناصر دليلا على الاهتمام بالعراق في مرحلته الجديدة .

المجلس الوطني لقيادة الثورة كان يضم ١١ منهم ٩ بعثيين وعبد السلام عارف وطاهر يحيى . وكان عارف في البداية يؤدي دورا قريب الشبه من الدور الذي قام به محمد نجيب في ثورة يوليو .

وتشكلت الوزارة من ١١ بعثيا ، ٩ قوميين مستقلين ، ٢ من الأكراد . كان البعث هو العنصر المسيطر في الحركة ، ولكن كانت هناك عناصر أخرى من خارج البعث سبق لها أن ارتبطت بالعمل السياسي .

اللجنة الأولى للحركة كانت مشكلة من الضباط أحسن حسن الأكبر وصالح مهدي عماش وجردان التكريتي وصباحي عبد الحميد وعبد الستار عبد اللطيف وإبراهيم جاسم وخبالد حسن فريد وخبالد مكي الهاشمي وعبد الكريم فرحان .

انتخب صباحي عبد الحميد من هذه المجموعة في نهاية عام ١٩٦٢ ليكون تنظيما آخر شكلت قيادته منه ومن عارف عبد الرزاق ومحمد مجيد وعبد الكريم فرحان وجاسم القمراوي وهادي خماس وعرفان وجدي وعدنان أيوب صبري وفاروق صبري . وحددت آخر رمضان توقيتا للانقلاب .

عين المجلس الوطني لقيادة الثورة صباحي عبد الحميد مديرا للتحركات في الجيش وهو من المناصب الهامة بينما أُنحال عارف عبد الرزاق إلى المعاش رغم ما قدمه من مساعدة بالطيران من قاعدة الحبيانية .

كان انتصار ثورة البعث في العراق باعثا للبعثيين في سوريا على الحركة وضرب الانفصال فكانت حركة ٨ مارس . وبادرت العراق بإرسال وفد برئاسة علي صالح السعدي إلى دمشق للتهنئة . بينما لم ترسل مصر وفدا .

بعد ذلك بدأت مباحثات الوحدة الثانية بالقاهرة يوم ١٧ وأنتهت إلى البيان المعروف الذي سبق عرضه في الباب السابق .

كان جمال عبد الناصر يرغب في أن تكون خطوات الوحدة مع جبهة تمثل الشعب كله وليس مع البعث وحده . وكان قادة العراق يزعمون خططهم على أساس انفراد البعث بالحكم ، ولذا فانهم لم يرتاحوا لاصرار القاهرة على زيادة العناصر القومية في اللجان المختلفة .
عندما حاول فؤاد الركابي العودة إلى العراق يوم ٢٣ مارس أعيد من مطار بغداد .

وعندما نشر محمد حسنين هيكل مقالا في الأهرام بعنوان (انى اعترض) دعى أمين هويدى لمقابلة عبد السلام عارف وأحمد حسن البكر وطالبه شبيب في الواحدة بعد منتصف الليل ، حيث استمر الاجتماع الى الرابعة صباحا ، وكانت الدعوة من أجل الاحتجاج على المقال لنشره هجوما على البعث .

وشعر القوميون بضعف موقفهم فى حركة النظام فأثر بعضهم الاستقالة ، وأعيد تشكيل الوزارة ، وأصبح على صالح السعدى وزيرا للارشاد بدلا من الداخلية ، وتآلفت وزارة لشئون الوحدة .

وفى يوم ٢٠ مايو قرر جمال عبد الناصر أن يلقي خطابا يهاجم فيه بعض تصرفات سوريا ، ولما علم عبد السلام عارف بذلك اتصل به تليفونيا ورجاه تأجيل ذلك ، فاستجاب عبد الناصر . ولكن لم تكد تمضى عدة أيام حتى أعلن عن مؤامرة فى مايو اعتقل فيها كثير من القوميين .

المقاومة للنظام الجديد مستمرة أيضا من جانب الشيوعيين الذين حاول بعضهم يوم ٣ يوليو الاستيلاء على معسكر الرشيد واقتحام السجن رقم (١) للإفراج عن ٣٠٠٠ سجين . وأثناء المحاولة التى قتل فيها ٢٣ شخصا واعتقل المئات فى النادى الاولمبى وصل عبد السلام عارف بنفسه حيث انتهت المحاولة .

ويقول أمين هويدى أنه عند الاحتفال بعيد الثورة فى سفارة الجمهورية حضر جميع المدعوين عدا الضباط الذين تنبه عليهم بذلك .

وكان القتال مع الأكراد قد استؤنف فى شهر يونيو وأعلنت الحكومة أن الهدوء يعود الى الشمال فى نهاية الخريف . ولكن ذلك كان حلما وخيالا . فقد طلب وزير الدفاع صالح مهدي عماش فى شهر سبتمبر معونة عسكرية من سوريا ، وأعد مشروع لوحدة عسكرية بين البلدين. تمهيدا وحلوة دستورية بعد شهرين أو ثلاثة . وعندما عرض المشروع على اجتماع مشترك للمجلس الوطنى لقادة الثورة ومجلس الوزراء طلب وزير الصناعة ضرورة عرض الأمر على جمال عبد الناصر ، وسافر الى مصر يوم ٢ أكتوبر وفد برئاسة محمود شبيب خطاب وعضوية صبحى عبد الحميد وحردان التكريتى ، ولكن عبد الناصر كان غاضبا من إصدار البعث لبيان يوم ١٧ سبتمبر يتهم فيه مصر بالانفصالية وهو اليوم الذى كان محمدا لاستفتاء الاتحاد .

كانت اذاعة صوت الجماهير العراقية تتبادل الهجمات مع اذاعة صوت العرب . واستدعى السفير المصرى الى القاهرة .

ويوم ٨ أكتوبر ١٩٦٣ أعلن غبطة السلام عارف الوحدة العسكرية بين سوريا والعراق وتشكيل مجلس دفاع أعلى مؤلف من القائد العام للجيش الموحد الذي تولى منصبه صالح مهدي عماش ، وثلاثة من كل قطر واتخذت دمشق مقرا للقيادة العامة .

ووصلت الى العراق فعلا قوات سورية محدودة بقيادة المقدم فهد الشاعر .

لم تكن مشكلة الاكبراد والحرب معهم هي الهم الوحيد لنظام الحكم في العراق . . . تكاثفت الهموم في التناقضات المتزايدة مع القوميين والمقاومة المستمرة من الشيوعيين ، والخلاف المتزايد وتبادل الحملات الاعلامية مع مصر .

الانقضاخ على البعث :

ولم تكن هذه هي الهموم الوحيدة أيضا . . . نبتت في صفوف البعث نفسه تناقضات حادة تجسدت بين الجيش والحرس القومي .

ونظام الحكم كان يحاول أن يخلق جيشا عقائديا عن طريق الحاق دفعات كاملة من الطلبة البعثيين بالكلية الحربية ، وترقية الضباط البعثيين وتوليتهم المراكز القيادية ، فقد فصل عارف عبد الرزاق الذي أسهم في ضرب وزارة الدفاع بالطائرات ، وعين بدلا منه حردان التكريتي لأنه بعثي . . . كما كانت تمنح الرتب العسكرية لبعض المدنيين .

ولكن الفترة لم تكن كافية لتكوين عقائدي ، وظروف الجيش تختلف عن الحرس ، حيث يسود في الجيش الانضباط والضبط والربط والتفانيد العسكرية . . . أما في الحرس القومي الذي أعطيت له مهمتان رئيسيتان هما معاونة القوات المسلحة للدفاع عن الوطن وصيانة الأمن الداخلي فان الأمور كانت تمضي بطريقة عفوية ارتجالية تستهدف ارضاء الناس وتجميع عناصر تتدفق في تيار الموالية للحزب بلا فكر ولا وعي عميق .

وبدأت الخلافات تنمو بين الجيش والحرس القومي حتى أرسل صالح مهدي عماش برقية في ١١ يونيو ١٩٦٣ يمنع فيها منعاً باتاً تدخل الحرس القومي في أى قضية اطلاقاً مهما كان موضوعها الا اذا طلب منه ذلك . . . وكان ذلك ردا على اجبار الحرس القومي لبعض مديري البلديات على الاستقالة ورفض الوزير لذلك .

وأصدر الحاكم العسكري الزعيم رشيد مصلح بيانا في ١٩ أكتوبر ٦٣ يقول فيه (كثرت الشكايات من جراء التصرفات اللاقانونية من قبل التحقيق الخاص للحرس القومي) .

كان هذا تعبيراً عن الانقسام داخل حزب البعث .. على صالح
السعدي يعتمد على منذر الوندادي والحرس القومي .. وجازم جواد
يعتمد على الجيش .

وكانت انتخابات القيادة القطرية للبعث تجري يوم ١١ نوفمبر
عندما هجم ٢٠ ضابطاً من سرية الانضباط العسكري واقتحموا قاعة
الانتخابات مهاجمين على صالح السعدي .

كان هؤلاء الضباط يتحركون بعمليات من حازم جواد وطالب
شبيب وبمعرفة صامتة من عبد السلام عارف وأحمد حسن البكر
وطاهر يحيى .

وكانت نتيجة الاقتحام ترحيل على صالح السعدي وحمدى عبد المجيد
وحانى الفكيكي ومحسن الشيخ راضى وعبد المطلب الهاشمي أعضاء القيادة
القطرية للحزب الى مدريه .

كانت الظروف تخدم عبد السلام عارف دون جهه .

حزب البعث يمزق نفسه بتناقضاته وصراعاته الداخلية .

عندما علم الحرس القومي بترحيل على صالح السعدي وزملائه خرج
الى الشوارع بأسلحته واحتل الكبارى والجسور ، وحاصر قاعدة البغدادية
مصرحاً للقوات بالتحرك منها الى بغداد معترضاً طريق المتحركين الى القاعدة
من بغداد .. وتطورت الامور الى جد قصف وزاوة البغداد والقصر الجمهوري
ومعسكر الرشيد واجراق طائرات ميج ١٩ .

انقلاب على الانقلاب .. الموقف في الجيش لم يعد يحتمل تحركات
الحرس القومي .. وعبد السلام عارف يصدر قراراً بمنع التجول في
بغداد وجل الحرس القومي وتجريده من السلاح ونزول الجيش الى
الشوارع .

رفض صالح تهدي عماش تنفيذ الأمن طالباً عرضه على أحمد حسن
البكر الذي اتصل بقيادة الحزب في بغداد التي أصرت على ابعاد كل من
حازم جواد وطالب شبيب كشرط لاصادة الحرس القومي الى مقره .

وافق عبد السلام عارف وأبعد الاثنين الى بيروت تحت وعده منه
بعودتهم بعد أيام .

وهزج الى بغداد يوم ١٣ نوفمبر كل من ميشيل علق وأمين الحافظ
وصلاح جديده ونسيم مجدلاني وأدانوا حازم جواد وطالب شبيب .

كانت الفرصة متاحة أمام عبد السلام عارف لضرب ضربته وامتلاك السلطة بين يديه ، وإبعاد سيطرة حزب البعث . فكلف صبحي عبد الحميد مدير التحركات العسكرية بوضع خطة تدخل الجيش تحت اسم كودي - (سلام) وافق عليها طاهر علي وكردان التكريتي وسعيد صليبي آمر الانضباط العسكري .

تم اعتقال صالح مهدي وعماش في مكتبه بوزارة الدفاع بوساطة سعيد صليبي وسكرتيره الخاص . وعين عارف نفسه رئيسا للمجلس الوطني لقيادة الثورة وقائدا عاما للقوات المسلحة وشكل وزارة برئاسة طاهر يحيى وعين كردان التكريتي نائبا للقائد العام . وأصدر أمرا بحل الحرس القومي وكافة الانظمة والتعليمات التي أصدرها . ومصادرة الأسلحة التي كانت في يده والتي صنعت في مصر باسم رشاش بورسعيد .

واعتقد حازم جواد وطالب شبيب أن الفرصة قد عادت لهما فرجا من بيروت ولكنهما أعيدا على نفس الطائفة .

وانتهت صفحة في تاريخ ثورة ٨ فبراير ١٩٦٣ .

وانتهت أيضا للمرة الثانية مشاركة حزب البعث في حكم العراق . وتهممت أعضاؤه انقسامات وخلافات .

وحزب البعث في حياة المشرق العربي السياسية يشكل المفضل الذي تفرعت منه التنظيمات المسماة بالقومية . معظم المنشقين عليه لم يطلقوا السياسة وإنما شكلوا تنظيمات متعددة اعتمدت أسبابا على جماهير المجتمع .

وأصبحت الحياة السياسية منقسمة تقريبا الى ثلاثة أقسام . أحزاب تقليدية تأسست على أفكار وطنية بلا مضمون اجتماعي مثل حزب الشعب والحزب الوطني في سوريا وحزب الاستقلال في العراق . وأحزاب قومية في مقدمتها البعث . وأخيرا الأحزاب الشيوعية واليسارية .

وما كاد الحكم يستقر لعبد السلام عارف رئيسا للمجلس لقيادة الثورة حتى سعى الى إنهاء دور البعثيين الذين تعاون معهم . فاقال كردان التكريتي كوزير للدفاع وعينه سفيرا في السويد .

ولم يركن حزب البعث الى السكون . بدأت محاولات جديدة لتكوين الحزب بعد عشرة شهور في مايو ١٩٦٤ عندما أعيد تكوين القيادة القطرية بعبد الكريم الشبيخي أمينا للسر وصدام حسين عضوا ومسئولا عن الجناح العسكري وحسن العامري عضوا عن فرع بغداد .

اتجهت القيادة الجديدة الى الجيش. وركزت عليه بعدة تنظيمات : مكتب عسكري مركزي ، وتنظيم للضباط ذوي الرتب الكبيرة ، وتنظيم ثالث للضباط ذوي الرتب الصغيرة ، ثم تنظيم لضباط الاحتياط يضم الضباط الاحتياط المسرحين وطلبة الكلية العسكرية المطرودين .

اكتشف الحزب أن الطعنة قد وجهت اليه من الجيش الذي مازال يعيش في ظل النظام والعقلية السابقة . وأن فرصتهم المتاحة في الحكم لم تكن كافية لتحويله الى عقائدي لنفور أغلبية الضباط من الالتزام بأي تنظيم خلاف الجيش . ولاقتناع معظمهم بأن دورهم الرئيسي في العسكرية وليس في السياسة ، وأخيرا لما تعرض له الجيش من صدامات مسلحة بذرت في النفوس نفورا من السبب الذي يدفع الى ذلك .

حكم عبد السلام عارف :

وخلال فترة محاولة البعث إعادة تنظيم قواته ، بدأت التنظيمات القومية التي طفت على السطح تحاول تشكيل جبهة موحدة ثم انتهت الأمر الى تشكيل الاتحاد الاشتراكي في اجتماع عقد بقاعة الخلد في بغداد في الفترة من ١٤ الى ٢٤ يوليو ١٩٦٤ .

تولى الأمانة العامة عسكري هو عبد الكريم فرحان ، وانتخب فؤاد الركابي أمينا مساعدا . وصدر له ميثاق يكاد يكون صورة طبق الأصل من ميثاق مصر .

وبدأ الاتحاد الاشتراكي العربي في العراق نشاطه بلقاء مع الاتحاد الاشتراكي في مصر خلال ابريل ١٩٦٥ . كان الوفد المصري مشكلا من أربعة من العسكريين هم كمال رفعت رئيسا وشعراوي جبهة وكمال الحناوي وفتحى الديب وأربعة من المدنيين هم الدكتور حسين خلاف والدكتور ابراهيم سمع الدين وعلى السيد على وجميعهم أعضاء في الأمانة العامة ثم أحمد بهاء الدين عضو أمانة الصحافة .

كان تنظيم الاتحاد الاشتراكي شكليا وغير مؤثر ومجازا عن توحيد التنظيمات القومية التي كانت تتشردم وتتضاعف مع مرور الوقت .

كاو عبد السلام عارف يحاول الاعتماد على شخصيته دون الاعتماد الجدي على تنظيمات مكنتها بسيطرته على الجيش والشرطة وأجهزة الأمن. ولو أنه لم يبالغ نسبيا في استخدامها .

كما أن عبد السلام عارف كان يتعثر في خطواته نحو الوحدة وهو الذي خرج يروج لها في الأيام الأولى من ثورة ١٤ يوليو .

صحيح أنه بدأ تنسيق سياسي بين مصر والعراق يوم ٢٦ مايو ١٩٦٤
بعد زيارة عارف لمصر لحضور احتفال تحويل مجرى النيل عند السد العالى
فى أسسوان مع خروشوف وأحمد بن بيللا وهى الزيارة التى تهجم فيها
خروشوف على عارف متهما اياه بشنق الشيوعيين ، وما تبع ذلك من حوار
طويل عن قضية وحدة الطبقة العاملة والوحدة العربية كلها كما روى محمد
حسنين هيكل فى كتابه (عبد الناصر والعالم) .

وصحيح أنه شكل لذلك مجلس رئاسية من جمال عبد الناصر
وعبد السلام عارف كان مقروضا أن يجتمع مرة كل ٣ شهور ٠٠٠٠ وكان
الأعضاء من الجانب المصرى هم عبد الحكيم عامر وعلى صبرى والدكتور
محمود فوزى ومحمود رياض وأمين هويدى (وهم جميعا عسكريون عدا
واحد فقط) ومن الجانب العراقى صبحى عبد الحميد وعبد الرزاق
صبحى الدين وشكرى صالح زكى (وهم جميعا عسكريون) .

كما عين ٣ وزراء للوحدة مع العراق ٠٠٠ من مصر شعراوى جمعة
وكمال الحناوى وعلى السيد على ٠٠٠ ومن العراق ناجى طالب وأديب الجادر
وعبد الستار الحسين ٠٠ وعين فتحى الديب أميناً عاماً للمجلس .

وفى ١٦ أكتوبر انشقت قيادة سياسية موحدة من رئيسى
الجمهوريتين .

ولكن ظلت هذه التنظيمات شكلية المظهر محدودة الأثر ٠٠٠ الوحدة
الوطنية فى العراق لم تكتمل .

علم اعتماد نظام الحكم على حزب ثورى ، والتمزق الذى شمل
القوميين ، والضعف النسبى لشخصية عبد السلام عارف ، واشتعال العداء
خضده من جانب الحزب الشيوعى وحزب البعث ٠٠٠ كل هذه العوامل
أخزت تحقيق الوحدة الوطنية ، وكانت بالتالى دافعا الى شكلية اجراءات
الوحدة مع مصر .

ولم يقف الخلاف والتناقض بين عبد السلام عارف وأعدائه من جهة
والمختلفين معه من جهة أخرى ٠٠٠ وإنما امتد الى دائرة السلطة ، تماما
كما حدث مع البعث ولكن بصورة أخرى .

كان عبد السلام عارف قد تأخر متعمدا فى تشكيل مجلس قيادة
الثورة ، الأمر الذى أثار حفيظة المقربين اليه .

وعندما قرر عبد السلام عارف تعيين شقيقه عبد الرحمن رئيسا
للأركان اعترض على ذلك كل من صبحى عبد الحميد وعارف عبد الرزاق

وعقبه الكريم فرحان وهادي قماش (رئيس المخابرات) لانه لم يكن مؤهلا
او لخاصة على شهادة كلية اركان الحرب .

وزادت التناقضات بين الشخصيات الملتفة حول عارف . . . واستقال
وزير الاعلام عبد الكريم فرحان فيما سمي بازمة الاذاعة عندما رفض مدير
الاذاعة عمل دعاية سافرة لعبد السلام عارف وتضامن معه الوزير .

سافر عبد الكريم فرحان الى مصر يوم ٣٠ يونيو واستقال تضامنا
معه دون وجود أية رابطة تنظيمية كل من صبحي عبد الحميد وزير
الداخلية ، واديب الجادر وزير الصناعة وفؤاد الركابي وزير الشؤون
البلدية وعزيز الحافظ وزير الاقتصاد وعبد الستار الحسين وزير العدل .
لم يكن هذا التضامن قائما على أسس تنظيمية وانما كان عفويا
وحساسيا .

وعندما رفض المستقيلون العودة شكل عبد السلام عارف وزارة
جديدة برئاسة طاهر يحيى يوم ١١ يوليو ١٩٦٥ .

ولم يلبث عبد السلام عارف أن كلف عارف عبد الرزاق بتشكيل
وزارة جديدة مستهدفا ابعاده عن قيادة القوات الجوية أولا وعزله عن
العثات القومية ثم تصفيته ثانيا .

رفضت التنظيمات القومية الاشتراك في وزارة .

وكان عارف عبد الرزاق قد قرر القيام بانقلاب ضد عبد السلام
عارف ، ولذا قبل الوزارة واستجاب لطلبات عبد السلام عارف بنقل عدد
من الضباط خارج بغداد وذلك تفاديا للاصطدام ، وكشف خطة الانقلاب
مبكرا .

ولكن استمرار نقل الضباط كان يعنى اعتماد العناصر التي يمكن
الاعتماد عليها ، ولذا قرر الاسراع بالانقلاب ليكون ليلة ١٤ - ١٥ سبتمبر
١٩٦٥ أثناء وجود عبد السلام عارف في الدار البيضاء بالمغرب بعد اسبوع
واحد من تعيينه .

كانت شخصية عارف عبد الرزاق لا تؤهله لمثل هذا العمل رغم انه
كان رئيسا للوزراء . . . فهو لم يبلغ صبحي عبد الحميد ، وأخرج عن سعيد
صليبي أمر الانضباط العسكري بعد صدور الأمر باعتقاله . . . الأمر الذي
كثف ضده قوات الانضباط ، وعزله عن أصداقائه الذين انفرد دونهم
بالفضل .

وعندما شعر عارف عبد الرازق بفشل خطته ركب طائرة حربية صباح يوم ١٥ سبتمبر وهرب الى القاهرة .

لم يكن عبد السلام عارف يحزن شيئا عما يدور في بغداد الا بعد ان ابلغه جمال عبد الناصر من القاهرة .

ورتيب السفير المصري أمين هويدي اجراءات عودة عبد السلام عارف الى العراق في طائرة حربية . . . ويقول أمين هويدي أنه لم يبلغ عبد الرحمن بخبر عودة شقيقه الا في المطار عند وصوله عصر يوم ١٦ .

اول قرار لعبد السلام عارف كان تحديد اقامة صبحي عبد الحميد وعبد الكريم فرحان في منزليهما وتكليف الدكتور عبد الرحمن البزاز بتشكيل الوزارة الجديدة .

كانت هذه التغييرات قد أضعفت قدرة النظام في نظر الجماهير ولم تحلله شعبية مطلقا . . التنظيمات القومية مشغولة بخلافاتها الخاصة . . الحزب الشيعي يحاول استتباع قوته ومواصلة نضاله . . وحزب البعث يعيد تنظيم نفسه وخاصة بعد الضربة التي وجهتها له أجهزة الأمن في سبتمبر ١٩٦٤ ، عندما اكتشفت محاولة إعادة التنظيم الحزب واعتقال عدد كبير من الأعضاء .

كان موقف القاهرة من عبد السلام عارف موقف التأييد المصحوب بالحيرة ، فهو في تصرفاته الداخلية يتناقض مع بقية القوميين ويعطي الفرصة لضعف النظام لاعدائه وأعداء القاهرة .

وحدث انقلاب عسكري في سوريا في فبراير ١٩٦٦ أطاح بأمين الحافظ ، وأصبح نور الدين الاتاسي رئيسا للجمهورية ويوسف زعين رئيسا للوزراء وأبراهيم ماحوس وزيرا للخارجية وحافظ الأسد وزيرا للدفاع .

وكان الانقلاب في حقيقته انفجارا داخل حزب البعث وتغليباً للاتجاه الحزبي . . . وقد انعكس ذلك على حزب البعث في العراق فأضعف من موقفه ، وخلق له جناحين ، الضعيف منهما مرتبط بسوريا وعطل بالتالي فرصة انقضاكه على النظام الضعيف .

عبد الرحمن . . . بدلا من عبد السلام :

ولم تكن تمشي عدة أسابيع حتى لقي عبد السلام عارف حتفه في حادث سقوط طائرة هليكوبتر في ابريل ١٩٦٦ أثناء جولة فوق منطقة البصرة ، وانتهت حياة الرجل الذي بدأ مع ثورة يوليو نائبا لرئيس مجلس

الثورة ثم أمضى في السجن ثلاث سنين وعشرين يوما بعد تغيير حكم الاعدام حتى عاد رئيسا للجمهورية مع ثورة ٨ فبراير ١٩٦٣ .

كان اختفاء عبد السلام عارف صدمة مفاجئة. لجمال عبد الناصر وضعت النظام كله في وضع حرج ، وتحملت القاهرة جانبا من مسئولية استمرار النظام فقد كانت هناك قوات عسكرية مصرية استدعاهما عبد السلام عارف . وبلغت حوالى ١٢٠ طلقا كاملا للدبابات ولواء مشاة وعددا من الطيارين .

وتقرر سفر بعثة مصرية للعزاء يرأسها المشير عبد الحكيم عامر وتضم عبد الحميد السراج وأمين هويدى وعبد المجيد فريد . وحدد جمال عبد الناصر موعدا يلتقى فيه بالمشير والسفير بالعراق أمين هويدى الذى أصبح وزيرا للاعلام . ولكن المشير لم يحضر فى الموعد ، رغم انتظار جمال عبد الناصر وهويدى لمدة تزيد على الساعة .

انتهت المقابلة دون حضور المشير وعبد الناصر يردد (أعمل ايه فى المشير بتاعكم ده . . حتى المواعيد لا يحترمها) .

كانت هذه ظاهرة من الظواهر التى توضح مناسخة المشير للرئيس ودخوله مرحلة عدم الاكتراث وفرض سلطته الذاتية .

سافر الوطيد الى العراق بغير خطة منسقة .

وكان موضوع خلافة عبد السلام عارف فى قائمة الموضوعات المطروحة .

واستقر رأى المشير والسراج على تعيين عارف عبد الرزاق رئيسا لجمهورية العراق . . . وأرسل المشير برقية الى القاهرة يطلب ارساله على طائرة خاصة حيث كان يقيم فيها بعد انقلابه الفاشل .

ولم يكن هذا رأى متفقا مع تفكير السفير السابق أمين هويدى لاعتقاده أن عارف عبد الرزاق عاجز عن ادارة الدولة الى جانب أنه رجعي وديمينى بالسليقة . . . فبادر بارسال برقية الى عبد الناصر يحذر فيها من هذا التعمين ويوضح أخطاره ويطلب عدم ارسال عارف عبد الرزاق تفاديا لحدوث كارثة على حد تعبيره .

وافق عبد الناصر على فكرة أمين هويدى التى عرضت عليه بعد نومه فى الثانية: بعد منتصف الليل . وبعد أن كان سامى شريف قد أبلغ عارف عبد الرزاق الذى استعجب فعلا للسفر بجم فتراجع عن الاتصال به .

ووافق جمال عبد الناصر أيضاً على تعيين عبد الرحمن عارف في منصب شقيقه .

وعندما بلغ المشير عامر ثار وقبرر مفادرة بغداد قبل وصول عبد الرحمن عارف من موسكو حيث كان في زيارة لها ٠٠٠ وعند وصوله الى مطار بغداد أبلغه عبد المجيد فريد عضو بعثة العزاء المصرية أنه مرشح للرئاسة ، فغادر المطار الى القصر الجمهوري فوراً .

وهكذا انتهت صفحة عبد السلام عارف الذي لم تعلن دمشق وتونس الحداد عليه من كل الدول العربية .

وبدأت صفحة جديدة في حياة الجمهورية العراقية ٠٠٠ كانت أكثر ضعفاً ٠٠٠ فشخصية عبد الرحمن كانت أقل لمعانا من شخصية شقيقه . دور مصر المؤثر خلال هذه المرحلة على السياسة العراقية كان ناتجا من ضعف رؤساء الجمهورية وعدم اعتمادهم على تأييد شعبي جارف أو تنظيم حزبي صلب ٠٠٠ ووجود تناقضات وخلافات حادة بين جهاز الحكم وبين الأحزاب والتنظيمات الثورية مثل الحزب الشيوعي وحزب البعث ٠٠ عدم القدرة على ربط كافة الخيوط في قيادة واحدة متماسكة ٠٠ الأمر الذي اقتضى وجود قوات عسكرية مصرية في العراق ، لم يقبل جمال عبد الناصر أن تشترك في أى عمليات ضد الأكراد في الشمال ، كما أنه أعطى لها تعليمات بالألا تستفز مشاعر المواطنين بالظهور بالملابس الرسمية أو الإقامة في معسكرات داخل بغداد ٠٠٠ ولكنها في النهاية كانت تحت تصرف رئيس الجمهورية لحمايته .

هكذا كانت العلاقة وثيقة بين السلطة في القاهرة والسلطة في بغداد ، ولكنها كانت تعتمد على جسر عسكري وليس على جسر تنظيم شعبي .

لم يكن سهلا عقد صلة تنظيمية من أى نوع بين مصر والعراق ، فان شردمة وتمزق التنظيمات القومية كان قد وصل الى حد مدهل اذ بلغت ٢٨ تنظيماً مختلفاً حتى أصبح اختيار الأسماء لها عملية معقدة متشابكة ٠٠ والحساسية من البعث مازالت قائمة ٠٠٠ والعداء للحزب الشيوعي لم يتغير .

واستمر الموقف كذلك حتى اقتررب عام ١٩٦٧ وهو ما نتحدث عنه في الجزء الرابع (خريف عبد الناصر) .

ثورة يوليو ج ١ - ٨٢٣

الباب الرابع _____

● اليمن السعيد

(عندما زرت الكونغو شاهدت
جريمة الاستعمار ، ولكن عندما
وصلت الى اليمن آمنت بأن من سوء
الحظ أنها لم تعرف ولو قدرا ضئيلا
من الاستعمار)

والف بانثي
الأمين العام المساعد لهيئة الأمم
المتحدة

الفصل الأول

الامامة في اليمن

امتد حكم اليمن ما يقرب من
١١٠٠ عام ، وقتل خلال هذه الفترة
١٨ اماما .

لم يثر خلاف حول موضوع ، مثل الخلاف حول مساعدة ثورة يوليو
المصرية لثورة سبتمبر اليمنية ٠٠ وهو خلاف يعبر عن التنافر في وجهات
النظر حول التعاون بين حركات التحرر الوطني في مختلف الدول .
والعلاقة بين مصر واليمن لم تبدأ فجأة يوم الثورة ٢٦ سبتمبر
١٩٦٢ ٠٠٠ ولم تكن أيضا هي العلاقة الرئيسية الوحيدة مع اليمن .
وعلاقات اليمن مع الدول الأخرى ذات طبيعة فريدة .

عقد الامام يحيى معاهدة صداقة مع إيطاليا عام ١٩٢٦ لمواجهة
انجلترا في جنوب اليمن ، وعقد معاهدة صداقة وتجارة مع الاتحاد
السوفييتي عام ١٩٢٨ وعقد معاهدة مع بريطانيا عام ١٩٣٤ لم تحل فيها
حدود اليمن الجنوبية ، وظلت هناك بعثة تجارية سوفيتية في اليمن حتى
عام ١٩٣٨ ٠٠٠ ووصلت بعثة أمريكية للتبقيع عن البترول عام ١٩٧٢
ولكنها بقيت خمس سنوات بلا اذن حتى انتقلت الى السعودية عام
١٩٣٢ ٠٠٠ وعقد الامام معاهدة صداقة مع الأمريكيين أيضا عام ١٩٤٦ .

وعقد الامام يحيى أيضا معاهدة صداقة مع العراق عام ١٩٣٦ لترابط بين الحكام الهاشميين في كلتا الدولتين لمواجهة حكام المملكة السعودية .

ولكن لم تكن هناك معاهدات مع مصر ٠٠٠ فالاحتلال البريطاني لم يكن يشجع حركة مصر في المجال العربى ٠٠٠ كل ما أرسلته مصر كانت بعثة تعليمية كبيرة أرسلت عام ١٩٤٧ ووقع معظم أعضائها تحت نفوذ الاخوان المسلمين الذين كان ضابط اتصالهم في اليمن جزائريا كان عضوا في مكتب الارشاد هو الفضيل الورثلانى .

وقد اشترك الفضيل الورثلانى في انقلاب دبره الاحرار اليمنيون ضد الامام يحيى حيث قتلوه عام ١٩٤٨ وتولى الحكم عبد الله الوزير باسم (امام الثورى والدستور) .

الذين دبروا الانقلاب كانوا أعضاء في حزب الاحرار اليمنيين الذى تكون بتشجيع البريطانيين عام ١٩٤٤ فى عدن . وتغير اسمه عام ١٩٤٦ الى (الجمعية اليمنية الكبرى) عقب احتجاج الامام على الحزب الذى كان تحت قيادة محمد محمود الزبيرى وأحمد محمد النعمان . وهما اللذان دبوا الانقلاب ضد الامام يحيى مع بعض العناصر العسكرية مثل الضابط العراقى جمال جميل أحد المشاركين فى انقلاب بكر صدقى فى العراق . وأحد أعضاء البعثة العسكرية العراقية التى حضرت لليمن عام ١٩٣٦ . والضابطان اليمنيان عبد الله السلال وحسن العمري .

ولكن الانقلاب لم يدم أكثر من شهر واحد فقد جمع الامام أحمد قبائلى تمز والحديدة وحجة وحاصر صنعاء بمساعدة السعودية حتى استسلمت فاعدم عبد الله الوزير وجمال جميل واعتقل النعمان واللال والعمري .

وأصبح أحمد اماما لليمن ٠٠٠ وضعف حزب الاحرار اليمنيين .

وكان الامام أحمد شخصية أسطورية . يعزل بلده تماما عن حضارة العصر ، ويستفيد من الأجانب فى حدود مصلحته الذاتية ٠٠٠ فقط . قال رالف بانس عقب عودته من اليمن بعد زيارته لها موفدا من الأمم المتحدة كما يروى محمد حسنين هيكل (عندما زرت الكونغو شاهدت جريمة الاستعمار ٠٠ ولكن عندما وصلت الى اليمن آمنت بأن من سوء الحظ أنها لم تعرف ولو قدرا ضئيلا من الاستعمار) .

وقال لى الفريق صلاح الحديدي مدير المخابرات الحربية الذى وافق رالف بانس فى رحلته الى اليمن أنه سأله مبتسما بعد وصوله الى المطار . هل أطلقتم قنبلة ذرية ؟

وضاعت دهشة الجديدي عندما تبين أنه يقصد عواصف التراب
 التي تثيرها العربات التي تسير في طريق غير ممهد .
 ويروي الجديدي أيضا أن رالف بانثس سأله عقب خروجه من
 الحمام : هل تشربون الشاي في الحمام ؟
 كان هناك أبريق شاي للاغتسال في الحمام .
 وقد انعكست عزلة اليمن على مختلف مظاهر الحياة .

الجيش في اليمن :

وكانت مظاهر التخلف واضحة تماما في الجيش اليمني .
 عندما خرج الأتراك من اليمن عام ١٩١٨ تركوا وراءهم قوات يمنية
 مقسمة الى بلوكات وطواير سرايا وكثائب (٠٠٠ الجنود فيها دائمون
 مثل الشرطة لا يخرجون الى الاحتياط ، وعهدة كل جندي بندقية وخمسون
 طلقة رصاص ، وسترة وزمزمة وحصيرة متران في نصف متر وسجادة
 صغيرة من صوف الغنم .

الجندي يحتفظ بمهدهته الى أن يموت فتتسلمها الحكومة من الورثة
 وإذا أراد أحد الجنود ترك الجيش استبدل نفسه برجل آخر يدفع له
 مبلغا من المال ليحل محله ٠٠٠ وإذا مات الجندي لا يجند بديل له .
 الجندي يحصل على مرتب شهري ٦ ريالات يمنية وأربعة أرغفة
 خبز في اليوم دون ادم ٠٠٠ والملابس غير موحدة ٠٠٠ كل يلبس على
 مزاجه الا في أيام الأعياد والاستعراضات فقط فيكون هناك حد أدنى من
 الوحدة في الملابس .

هذا الجيش التاريخي القديم يطلق عليه اسم (الجيش المظفر أو
 الأزكى) وهو ما زال موجودا حتى اليوم .

أول تغيير حضاري عرفه الجيش كان عقب المعاهدة مع العراق عام
 ١٩٣٦ عندما ذهب الضابطان أحمد الثلايا وحمود الجاثفي للدراسة
 العسكرية الكاملة ، وذهب عدد آخر لدراسة الاشبارة ومنهم المشير
 عبد الله السلال .

وقامت البعثة العسكرية العراقية بقيادة العقيد اسماعيل صفوت
 بفتح مدرسة عسكرية وبدأت تعد نوعا جديدا من التنظيم والتجنيد تحت
 اسم (الجيش الدفاعي) مدة الخدمة فيه ٤ سنوات ويسير على أسس
 موحدة في اللبس والنظام .

• كان يدرس في المدرسة الحربية ضباط عراقيون وأتراك ويمينيون .
وعندما انتهت مدة البعثة العسكرية العراقية لم يبق الا الضباط العراقي
جمال جميل الذي اشترك في انقلاب ١٩٤٨ ضد الامام يحيى ، وبعد
انتصار الامام أحمد أغلق المدرسة الحربية ٠٠ وان كان (الجيش الدفاعي)
الذي كانوا يطلقون عليه اسم (النامونة) ظل قائما .

• وكان هناك جيش ثالث الى جانب الجيش المظفر والجيش الدفاعي .
هو (الجيش البراني) الذي يتكون من جنود تابعين للقبائل ، يدفع لهم
الامام مرنبا ربع ريال في اليوم . وكان جنود هذا الجيش في خدمة
المحافظين الذين يعينهم الامام فيرسل الجنود الى الفلاحين ليبقوا معهم في
الأرض يأكلون ويشربون على حسابهم ويضمنون دفع الفلاحين للضرائب
العينية التي يقدرها عليهم (المخمى) وهو رجل يتنبأ أو يخمن بالحصائل
الزراعية قبل نضجها .

• وأخيرا كان هناك جيش رابع باسم (فوج البدر) كان تابعا للامام
البدر ولي العهد . وكان جيشا نظاميا في ملبسه وتحركاته ويتولى
قيادته العقيد عبد الله السلال بعد خروجه من السجن عام ١٩٥٣ بعد
خمس سنوات قضائها في ظروف معيشية قاسية .

• وهكذا اجتمعت في اليمن أربعة أنواع من الجيوش .

الجيش المظفر وكان أميره أو قائده رجلا عجوزا اسمه علي بن ابراهيم
لفت اليه الأنظار عندما حضر ممثلا للجيش اليمني في اجتماعات الجامعة
العربية وهو يلبس العمامة . وقد خلفه قائد آخر من نفس الطابع اسمه
الشريف الضمين . ويقدر عبد الله جزيلان رئيس أركان الجيش اليمني
— فيما بعد — هذا الجيش بحوالى ٣٠.٠٠٠ جندي .

• والجيش الدفاعي ويقدر عدده بحوالى ١٥.٠٠٠ جندي .

• أما عدد الجيش البراني فيصل الى ٢٠.٠٠٠ جندي .

• ووصل فوج البدر الى ما يقرب من ١٠.٠٠٠ جندي .

الوحيد الذي كان يعرف الأرقام بدقة هو الامام أحمد الذي كان
يدفع لها المرتبات ويحتفظ في خزائنه بكشوف الأعداد .

• أسلحة هذه الجيوش كانت متنوعة . بنادق تركية قديمة ، ومدفعية
ميدان من الحلب العالمية الأولى ، وأسلحة بريطانية من العراق ، ثم أسلحة
فرنسية من البنادق والرشاشات أهدتها بعثة فرنسية الى الامام عام
١٩٤٧ .

رغم تعدد هذه الجيوش وكثرة عدد أفرادها ، فإنها كانت لا تصلح للقتال الحديث . فالضباط بالكاد يعرفون القراءة والكتابة ، ومعظمهم غير مؤهلين بالدراسة الحديثة ، والظروف المعيشية للجنود قاسية .

عندما حاول الامام غزو اليمن الجنوبية في أواخر ١٩٤٨ قضت الملايريا على الجنود بمعدل ٣٠ الى ٤٠ جنديا في اليوم ، وأصبح ذلك موضعاً لتندر الأغاني الشعبية .

• الله يخليك يا جيش يا نظامي

• القبر مفتوح والكفن مراعى

بلد ذو طبيعة خاصة تتعدد فيه الجيوش ، وجميعها تتحرك بأصابع الامام الذى يجيد خلق التناقضات بين القبائل واستغلال الثغرات بينها . ومع ذلك لم تكن الامامة بعيدة عن محاولات الانقلاب .

محاولات الانقلاب :

وكان العسكريون موجودين دائماً فى محاولات الانقلاب على الامام .

انقلاب ١٩٤٨ الذى قتل فيه الامام يحيى وتولى بدلا منه عبد الله الوزير شارك فيه كما ذكرنا الضابط العراقى جمال جميل والضابطان اليمنيان عبد الله السلال وحسن العمرى .

واسترداد الامام أحمد للعرش بعد ٢٥ يوما من الانقلاب تم بعمل عسكري حوصرت فيه صنعاء حصاراً تاماً بعد التجمع فى حجة . واعتمد أحمد فى ذلك على الجيشين (المظفر والبرانى) .

وفى مطلع الخمسينيات بدأت تنشأ تنظيمات حزبية معارضة للاجتلال فى جنوب اليمن مثل حزب رابطة أبناء الجنوب والجمعية اليمنية الكبرى وحزب الأمة والحزب الوطنى . وهى أحزاب كانت تتطلع الى استقلال ولو شكلياً للمحميات ، ويقتصر نشاطها على عدن وحدها .

كما ظهرت فروع لحزب البعث العربى الاشتراكي ، ولحركة القوميين العرب . ثم أطلق فرع البعث على نفسه حزب الطليعة الشعبية .

وكانت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ قد فرضت نفسها على الأمة العربية . ووجد الامام أحمد فيها سندا له ضد الوجود البريطانى فى الجنوب . فطلب بعثة عسكرية مصرية ، تواصل نشاط البعثة العسكرية العراقية التى انتهت آثارها بإغلاق المدرسة الحربية وقتل جمال جميل بعد فشل انقلاب ١٩٤٨ .

ورأس هذه البعثة اليوزباشى أحمد كمال أبو الفتوح الذى كان من قوة المخابرات ثم أصبح محافظا للقليوبية فيما بعد ، وكانت معه بعثة أيضا من ضباط الشرطة المصريين .

لم تحاول هذه البعثة القيام بأى نشاط سياسى ، فلم يكن من أهداف الثورة المصرية فى سنواتها الأولى الاهتمام بواقع الدول العربية اهتماما كبيرا . كان التركيز على تحقيق الجلاء عن مصر ، ومقاومة الضغوط الاستعمارية لإنشاء أحلاف عسكرية فى المنطقة .

ومضت أحوال البعثة هادئة ، ويقول أحمد كمال أبو الفتوح أنهم قد أقاموا علاقات طيبة مع اليمينيين واكتسبوا ثقة الامام نسبيا . وفى مصر دخلت الكلية الحربية أول بعثة يمنية عام ١٩٥٢ من الطلبة الذين حضروا للتعليم منذ عام ١٩٤٨ قبل الثورة . وتخرجت أول دفعة فى الكلية عام ١٩٥٥ .

وعقب توقيع اتفاقية الجلاء وبدء النشاط المصرى فى الدول العربية وزيارة صلاح سالم لسوريا وتوقيع اتفاقية الجيش فى مارس ١٩٥٥ .
زار اليمن . ورقص مع القبائل رقصتها التقليدية كما فعل فى السودان .

وخلال هذه الفترة كانت تتصارع الاتجاهات السياسية وتصطدم المصالح الامبريالية . وبرز دور الولايات المتحدة كقوة عالمية رئيسية . وانتهزت فرصة الحياة الرجعية التى يفرضها الامام أحمد على اليمن فشجعت انقلابا ضده من عناصر من داخل الأسرة المالكة ، فقام الأمير سيف الاسلام عبد الله بمحاولة انقلاب على شقيقه الامام أحمد بالاشتراك مع المقدم أحمد يحيى الثلاثيا أول ضابط يمنى تخرج فى الكلية الحربية العراقية .

ويقول محمد حسنين هيكل فى كتابه (عبد الناصر والعالم) ان الامام أحمد قد روى لجمال عبد الناصر قصة احباطه للانقلاب . عندما شاهد وهو محاصر فى قصره حارسا يفتش جواريه فصاح (والله لن تفتش النساء ما دام حيا) وقفز على صهوة حصان وفى يده مدفع رشاش أخذ يطلقه من برج القصر ولما شاهده الناس أخذوا يهتفون (انتصر الامام . انتصر الامام) .

وفعلا وبعد أن نشرت جريدة الأخبار فى صدر صفحتها الأولى يوم ٣ ابريل ١٩٥٥ مانشيت يقول (تنازل الامام أحمد عن العرش) . .
انقلب الحال مرة أخرى وانتصر الامام أحمد وقتل شقيقه عبد الله والعباس ومعهما المقدم أحمد يحيى الثلاثيا الذى كان منضما لتنظيم اليمينيين الأحرار .

وسافر حسين الشافعي عضو مجلس قيادة الثورة الى اليمن لتهيئة الامام بنجاحه حرصا على بقاء العلاقات الودية بين الدولتين لما اشيع في ذلك الوقت من أن الضباط الثائرين كانوا على صلة بمصر .

ولكن احمد كمال أبو الفتوح ينفي ذلك ويقول انه كان حريصا أشد الحرص على خلق علاقات ودية مع الجميع دون تشجيع أحد على ثورة أو انقلاب في بلد عاش فيها سنوات ثم خرج منها وهو مازال قائما في علاقات أهلها المتشابكة على حد قوله .

وفي عام ١٩٥٧ ذهبت بعثة عسكرية مصرية برئاسة العقيد حسن فكرى الحسينى مشكلة من خمسة ضباط وبعض ضباط الصف . وكان عملها قاصرا ومحدودا على التدريب العسكرى . فقد كان رئيس البعثة ضابطا ليست له خلفية أو اهتمامات سياسية . بينما كانت مصر موضع انبهار الدول العربية جميعا عقب تأميم قناة السويس . ومقاومة العدوان الثلاثى . واجبار القوات المعتدية على الانسحاب بضغط حسابات سياسية ناجحة . وكان جمال عبد الناصر قد أصبح شخصية لامعة تجذب الاهتمام واحترام الملايين من أبناء الأمة العربية . حتى في اليمن ، حيث كان الناس ما زالوا يعيشون حياة بعيدة عن حضارة العصر .

ولذا فانه ما أن تحققت الوحدة مع سوريا حتى يادر الامام يطلب الانضمام لها وأعلن الاتحاد بين مصر وسوريا واليمن عام ١٩٥٨ .

تطورات في اليمن :

إقتراب مصر من اليمن حمل اليها بعض مظاهر الحضارة ، وعلى سبيل المثال فإن الضباط اليمنيين الذين دخلوا الكلية الحربية المصرية : درسوا وتدربوا على الأسلحة السوفيتية التي كانت قد بدأت ترد الى القوات المسلحة المصرية بعد صفقة الأسلحة المعروفة باسم التشيكية عام ١٩٥٥ .

وتدارس هؤلاء الضباط في شئونهم واثربوا أحدهم وهو (عبد الله جزيلا) ليعود الى اليمن للاطلاع على ظروفها بعد فترة دراسة طويلة في لبنان ومصر غاب فيها عن وطنه .

وعندما ذهب جزيلا الى اليمن وجد في الجيش اليمنى أسلحة لا يعرف عنها شيئا . ووجدهم في اليمن لا يعرفون شيئا عن الأسلحة التي تدرب عليها في مصر . واضطر الى الخروج هاربا من اليمن عن طريق عدن ليطلع زملاءه من الضباط على هذه الحقيقة .

ولكن الأمور تطورت . وفى عام ١٩٥٧ أعيد افتتاح المدرسة الحربية وتولى قيادتها العميد حمود الجائقي .

وانتهت الأمور الى اتفاق الامام مع السوفييت عام ١٩٥٧ على توريد أسلحة لليمن وإيفاد بعثة عسكرية سوفيتية للتدريب عليه . ووصلت البعثة فعلا الى صنعاء . وافتتحت مدرسة للأسلحة بدأ تدريب اليمنيين فيها على أسلحة متطورة مثل الرادار والمدافع وصيانة هذه الأسلحة .

ويقول عبد الله جزيلان أنه عندما حدث النزاع المصري السوفيتي عام ١٩٥٩ طلب حسن فكرى الحسينى ابعاد السوفييت ولكن جزيلان طالب ببقائهم ، فرفع حسن فكرى تقريراً الى البدر يتهم فيه الضباط اليمنيين بالشيوعية . ولكن البدر لم يأخذ التقرير مأخذ الجد ، لأنه كما يقول جزيلان كان يسخر من المظاهر العسكرية التى كان حسن فكرى يتظاهر بها ويريد أن يفرضها على الضباط اليمنيين . وكثيراً ما تنذر عليه فى مجالسه .

ونبتت منذ ذلك الوقت بعض الخلافات بين البعثة المصرية والضباط اليمنيين ، وصلت الى حد الصدام المكشوف بين حسن فكرى وجزيلان . عندما تكاسل صف ضابط مصرى عن تعظيم ضابط اليمنى ، فأمر جزيلان ضباط الصف اليمنيين بالآ يعظموا حسن فكرى قائد البعثة المصرية .

وحدث عندما ذهب الامام أحمد الى روما للعلاج خلال عام ١٩٥٩ أن قامت حركة تمرد داخل ومحاولة انقلاب قبلية تستهدف اعلان جمهورية يرأسها فعلياً الشيخ حسين بن ناصر الأحمر . وكانت الحركة مساندة من الأحرار اليمنيين .

وتصادف خلال هذه الفترة أن كانت مصر قد أرسلت أعداداً من العسكريين تزيد عن العدد المقرر للبعثة ، وذلك بناء على طلب البدر الذى كانت تربطه علاقة طيبة مع القاهرة ، وذلك لحمايته فى حالة موت الامام .

بدر ذلك الشبهات فى صدر الامام أحمد ، ويقال أنه احتج لدى جمال عبد الناصر أثناء مقابله له خلال عودته من روما بحراً فى قناة السويس . وعندما وصل الى الحديدة عامل ابنه البدر بقسوة وأعاد الى مصر كل الدين وصلوا فوق العدد المقرر للبعثة .

ولكن البعثة نفسها لم تبق طويلاً فى اليمن .

ويقول الدكتور عبد الرحمن البيضاوى أن الامام كان قد وصل فى هذه الفترة الى درجة من التوتر جعلته يأمر باعدام أربعة من جنود الحرس الامامى لأنهم جرموا على المطالبة بمزقتهم المتأخرة أو السجاح لهم بالاستقالة .

وفي السادس من مارس ١٩٦١ قام الملازم عبد الله اللقية والملازم محمد بن عبد الله العلفي بمحاولة اغتيال الامام أحمد في الحديدة .
وأصيب الامام ولم تنجح المحاولة . وكان العميد عبد الله السلال قائدا لميناء الحديدة في ذلك الوقت .

وشكل الامام محكمة لمحاكمة الضباط الذين كانوا مثالا للشجاعة والسرية . وصدر الحكم بالاعدام على الضابطین اللذين أعدما علنا بقطع الرأس في ميدان الشهداء .

وهكذا اقتربت الفترة الزمنية بين محاولات الانقلاب أو الاغتيال المتعددة . وتجمعها جميعا ظاهرة واحدة هي أن الذين يقومون بالتدبير والتنفيذ هم العسكريون .

والنقمة على النظام الامامي . وعلى الامام أحمد بالذات تزداد وتشدد . ويلاحظ أن عددا كبيرا من أئمة اليمن على امتداد حكم استمر ما يقرب من ١١٠٠ عام قد ماتوا قتل من جور الظلم والاستبداد . قتل ١٨ اماما منذ القرن الرابع الهجري .

كانت هذه هي الحال في اليمن .

وكانت الأوضاع العربية تتغير أيضا .

العلاقات بين مصر والسعودية تحولت الى جفاء وعداء بعد اكتشاف محاولة الملك سعود لضرب الوحدة عن طريق رشوة عبد الحميد السراج الذي أبلغ جمال عبد الناصر بذلك .

الحكم العسكري في السودان أحاطها بعزلة شديدة عن الدول العربية المتحررة ، وخاصة الجمهورية العربية المتحدة .

الخلافات بين مصر والعراق تزداد يوما بعد يوم . ولم يعد هناك أمل في لقاء جمال عبد الناصر وعبد الكريم قاسم .

اتحاد الدول العربية (مصر - سوريا - اليمن) الذي وقع ميثاقه بعدم قيام الجمهورية العربية المتحدة في فبراير ١٩٥٨ تحول الى اتحاد شكلي ليس له مضمون حقيقي .

وبعد الشكوك التي نمت في صدر الامام أحمد أثناء وجوده في روما وحدث المحاولة الانقلابية في اليمن وابعاد العسكريين المصريين الزائدين الى مصر ، حدث الخلاف المعروف بين العراق والكويت في يونيو ١٩٦١ عندما طالب عبد الكريم قاسم بضم الكويت الى العراق فور اعلان استقلالها باعتبارها كانت ولاية تابعة للعراق في عهد العثمانيين .

ولم يقف الامام أحمد مع جمال عبد الناصر في موقفه المضاد لعبد الكريم قاسم ، بل أظهر تعاطفا مع موقف العراق .
وعندما أعلنت القوانين الاشتراكية في الجمهورية العربية المتحدة - يوليو ١٩٦١ - زادت حساسية الامام من مصر ، وكتب قصيدة شعرية هزيلة هاجم فيها مصر والاشتراكية .

وقررت مصر سحب بعثتها العسكرية ، فعادت في سبتمبر ١٩٦١ بعد حوالى ثمانى سنوات قضتها هناك . وعاد أيضا الضباط وطلبة الكلية الجربية اليمنية الى بلادهم .
ونحلت محل البعثة المصرية بعثة عسكرية أردنية .
وهذهات الخلافات بين اليمن والسعودية .

ومع ذلك فإن البعثة العسكرية السوفيتية التى كانت تشرف على مدرسة الأسلحة موجودة تواصل عملها في هدوء ، ودون محاولة للتدخل في الشئون الداخلية الغامضة والوعرة معا .

ويقول اللواء صلاح الحديدى مدير المخابرات الحربية في ذلك الوقت أن العلاقات بين مصر واليمن كانت ضامرة تماما خلال هذه المرحلة فلم تعد هناك بعثة عسكرية ، والسفارة فيها عدد محدود من الموظفين في تعز والسفير غائب مسحوب في مصر ، وعدد المصريين في اليمن قليل .

وقد أدى التوتر بين مصر واليمن الى اشتعال رغبة اليمنيين الأحرار في مقاومة نظام الامامة الرجعى المتخلف . وبدأت تتشكل محاولة الانقلاب على استمرارا للمحاولات السابقة التى بدأت في الأربعينيات وظلت تكرر بلا توقف . ولكن البيضانى استطاع أن يعقد صلة مع أنور السادات وكان رئيسا لمجلس الأمة في ذلك الوقت ، وكتب أنور السادات مذكرة الى الرئيس جمال عبد الناصر بالتوقعات المحتملة في اليمن ...
فأصدر الرئيس قرارا بتكليف أنور السادات بأن يكون مسئولاً سياسياً عن هذه العملية .

واستدعى أنور السادات اليه أمين هويدى وكان وقتها قد عين سفيراً في المغرب وقابله في منزله بالهرم بغضنور بجند الرحمن البيضانى ، وطلب منه أن يعد نفسه لتولى المسئولية التنفيذية لعملية اليمن ... واستمر الاجتماع حتى الثالثة بعد منتصف الليل .

فيقول أمين هويدى أنه طلب مقابلة أنور السادات في صباح اليوم التالى ليبلغه أن انشاء جهاز خاص لهذه العملية ، يعتبر نوعاً من الازدواجية حيث يتوافر لدى المخابرات العامة تنظيمات خاصة لمثل هذه العمليات .

والواقع أن علامات استنفهام كثيرة كانت تلاحق عبد الرحمن البيضاني ٠٠٠ فهو رجل شديد النشاط ، كانت له صلات وثيقة بالطلبة اليمنيين في الخارج خلال الخمسينيات ٠٠ درس في مصر وتخرج في الجامعة ثم حصل على الدكتوراه من بون ، وعمل بها وزيرا مفوضا ثم نقل الى الخرطوم بعد أن اعتذر عن عدم العمل مدعيا عاما في محاكمة ثوار ١٩٥٩ ، واستدعاه الامام الى اليمن ، وعندما شعر أن يد القصاص تقترب منه هرب عام ١٩٦٠ على طائرة مصرية .

ويقول الدكتور البيضاني انه انضم لتنظيم الاشرار اليمنيين وعندما تمت الانتخابات أصبح أحمد النعمان رئيسا للاتحاد ومحمد محمود الزبيري والدكتور عبد الرحمن البيضاني نوابا للرئيس .
ولكن سرعان ما دب الخلاف بينهم حول استراتيجية المعارضة ، فهم كانوا قد اتفقوا على السعي لذلك الارتباط بين مصر واليمن المتمثل في الاتحاد ، ثم يتم البحث بعد ذلك في مصير الامامة .

ولكن ما أن أعلن جمال عبد الناصر حل الاتحاد مع اليمن في خطابه ببورسعيد يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٦١ حتى فرض الخلاف حول مصير الامام نفسه فورا ، وأصدر النعمان قرارا في بداية يناير ١٩٦٢ باقالة البيضاني باعتباره طائفا خطيرا (يريد أن يعالج وباء في بلد بالقاء قبيلة ذرية عليه) .

ولكن الدكتور البيضاني لم يبتعد عن ميدان السياسة ٠٠٠ كانت صلاته قد توطدت ، يأنور السادات رئيس مجلس الأمة في ذلك الوقت بعد تعارفهما في بون .

وكانت له صلات قديمة ببعض الثوار أيضا داخل اليمن وخارجها .

وعندما أشيع خبر الانقسام وانتشر خبر اقالة البيضاني ، حضر وفد من حركة الاحرار اليمنيين في عدن ٠٠٠ والتقى المتخاصمون لنقاش جديد مرة أخرى .

ويقول الدكتور البيضاني أنهم قد اجتمعوا في كازينو النهر بجزيرة الزمالك واتفقوا على جمع الشمل واعادة الوحدة للاتحاد اليمني والغاء قرار اقالة البيضاني ، ووقعوا جميعا وثيقة تتضمن يأسهم من النظام الامامي وضرورة اقامة نظام جمهوري .

اذيعت هذه الوثيقة من صوت العرب ٠٠ ولكن مضمونها لم ينفذ طويلا .

كانت القاهرة خلال أنور السادات قد صرحت للدكتور البيضاني بأن يذيع من صوت العرب مساء كل اثنين وخميس مقالات أوصى السادات بأن تظهر في روزاليوسف .

وكانت بداية هذا النشاط محاضرة ألقاها البيضاني في دار نقابة المحامين يوم ٢٠ يناير ١٩٦٢ . وحدثت فيها مشادة بينه وبين محمد أحمد النعمان ابن رئيس الاتحاد اليمني .

كانت مقالات البيضاني في روز اليوسف وإذاعاته في صوت العرب عوامل إثارة حقيقية ضد النظام الامامي . . . وساعد على انتشارها الراديو الترانزستور الذي كان يصل الى اليمنيين في أبعد بقاع الصحراء .
نحو الثورة :

بدأت نخبوط المقاومة تتجمع ضد الامام من المدنيين والعسكريين . .
في الداخل والخارج .

وانتهاء الحساسية من وجود علاقات طيبة بين مصر واليمن أدى الى مضاعفة السير في طريق الثورة .

وكان هناك نوع من الارتباط بين المدنيين والعسكريين . . فقد أسهم على سبيل المثال بعض التجار في التبرع بالأموال سرا والمساعدة في الامداد بالأسلحة . . . وليست هناك فروق حادة واضحة بين المدنيين والعسكريين في اليمن .

وتظاهر الطلبة في يوليو وسبتمبر ١٩٦٢ .

وخلال هذه الفترة كان كثير من العسكريين اليمنيين يصلون الى مصر ويتصلون بالقادة اليمنيين فيها ومنهم طيار الاسرة المالكة عبد الرحيم عبد الله الذي أصبح بعد الثورة سفيراً لليمن في مصر ، ومحمد قائد سيف . . . ولم يكن هناك طيارون عسكريون من اليمن في ذلك الوقت .

وكانت هناك صلة وثيقة قد بدأت بين العسكريين في مصر والقادة اليمنيين . . . كانت المخابرات الحربية في مصر قد أعدت معسكراً لتدريب اليمنيين على الأسلحة الصغيرة ، وكان من بينهم الدكتور عبد الرحمن البيضاني كما يقول الفريق صلاح الحديدي الذي كان يتسلم الأسلحة أيضاً ، ويقوم بتحويلها الى اليمن .

ولم يكن البيضاني هو حلقة الاتصال الوحيدة .

كانت هناك اتصالات أيضاً بين العسكريين اليمنيين والمصريين الذي ربطتهم علاقات زمالة أثناء دراستهم في مصر .

وتدفقت الأسلحة المصرية الصغيرة سرا الى اليمن ٠٠٠ ذلك أن الامام كان يحتفظ عنده بمقاتيح مخازن الذخيرة ويترك الأسلحة جامدة في العراق حتى يأكلها الصدا وتعبث بها الفيران ٠٠٠ ويقول عبد الرحيم عبد الله طيار الأسرة المالكة الذي لعب دورا كبيرا في نقل الأسلحة أن السلاح الجوي على سبيل المثال كان مكونا من ١٠ طائرات ياك ٣٥ طائرة اليوشن صغيرة ، ولكنها جميعا غير مصرح لها بالطيران ٠

وظلت هذه الاتصالات سرية وفي أضيق الحدود ٠٠ لا يعرفها الا جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وأنور السادات وصلاح نصر وصلاح الحديدي قائد المخابرات الحربية في ذلك الوقت ٠

وكان المشير مسئولاً عن المساعدات العسكرية ومناقشة تنفيذ الخطة ٠٠ وكان أنور السادات مسئولاً سياسياً ٠

وبقيت هناك علامة استفهام كبيرة تحيط بموعد الثورة ضد الامام أحمد ٠

ولكن القدر لحقه فتوفى يوم ١٩ سبتمبر ١٩٦٢ وخلفه ابنه الامام البدر ولي العهد ٠

ونتج عن هذه الوفاة المفاجئة انقسام في الرأي ٠

وكان البدر قد أرسل برقية الى جمال عبد الناصر ينعي فيها والده يوم ٢٠ سبتمبر ، وكانت هذه مبادرة منه تشير الى احتمال تحسن العلاقات بين الدولتين ٠

واشتد ضغط النعمان والزبيرى في اتجاه اقناع المسئولين بالسير في طريق التعاون مع البدر الذي تغاضى عن قسوة الاذاعات والهجمات التي وجهت لوالده ٠

وأصدر جمال عبد الناصر قرارا بوقف الاذاعة والنشر ضد الامام البدر أو معه ٠٠ وبلغ ذلك الدكتور عبد الرحمن البيضاني يوم ٢١ سبتمبر ٠

وكان عبد الله جزيلان قائد الكلية الحربية في صنعاء قد أرسل يطلب وقف اذاعات البيضاني لأنها تهاجم الهاشميين بينما ٨٠ فى المائة من ضباط الكلية وطلبتها المؤهلين للانقلاب كانوا من أتباع هذا المذهب ٠

وكان أحمد النعمان ومحمد الزبيرى قد اجتمعا في منزل أمين هويدي بمصر الجديدة ، وكتب النعمان برقية الى البدر ٠

ثورة يوليو ج١ - ٨٤٩

وقع البرقية أحمد محمد النعمان ورفض التوقيع محمد محمود الزبيري .

وكان ذلك ترجيحاً للرأى القائل باحتمال اصلاح النظام الامامى .
وأسقط فى يد الدكتور البيضانى الذى استمر ثمانية شهور يكتب
ويذيع مبشراً بالثورة . . ويقول انه هرع الى أنور السادات يطلب توجيه
اذاعة واحدة تكون هى الأخيرة للثوار المتربصين فى اليمن ، حتى
لا يتصوروا أن الأمور قد انتهت بعد برقية عبد الناصر فى تعزيزة البدر ،
وبعد برقية أحمد النعمان .

واتصل أنور السادات بجمال عبد الناصر الذى صرح باذاعة واحدة
تكون هى الأخيرة .

وتصادف ان كان موعد هذه الاذاعة هو يوم ٢٥ سبتمبر ١٩٦٢ .

الفصل الثانى

ثورة اليمن

(باسم الله وباسم الشعب تعلن
قيادة الجيش سقوط الملكية في
اليمن وقيام الجمهورية العربية
اليمنية ابتداء من الساعة الخامسة
يوم ٢٦ سبتمبر)
البيان الأول للثورة ..

وفي ذلك الوقت كانت الأمور في اليمن تندفع في سرعة الى مصير
جديد ... وكانت غيبة الامام أحمد قد فرضت على الثوار وخاصة
العسكريين مسئولية خاصة .

كانت حالة الطوارئ معلنه في اليمن قبل وفاة الامام أحمد .
وكانت الأسلحة المصرية التي وصلت اليمن تعتبر كافية للحركة
الانقلابية .

وبقى تحديد ساعة الصفر .

يقول عبد الرحيم عبد الله أن ساعة الصفر كانت قد تحددت
لتكون يوم ٢٣ يوليو حتى يعلن جمال عبد الناصر خبر الثورة في خطبته
للجماهير ... ولكن الدكتور البيضاني يؤكد أنه لم يتم الاتفاق على ذلك .

ثم يقول عبد الله جزيلان ان برقية وصلت من القاهرة تطلب أن تكون ساعة الصفر هي موت الامام أحمد ٠٠٠ وأنه قد رد على ذلك - حسب قوله - بأن ساعة الصفر لا تحدد الا مرتبطة بالظروف القائمة في اليمن .

وكان تحريك القوات العسكرية للانقلاب يعتمد على الضباط اليمنيين أكثر مما يعتمد على غيرهم ٠٠٠ فقد أدت الاثارة دورها كاملا وبقي التنفيذ .

كان عدد محدود من الضباط قد بدأ يعقد اجتماعات لبحث الموقف والتأهب لاحتمالات المستقبل ، دون أن يأخذ ذلك شكل تنظيم ثابت مثل الضباط الاحرار في مصر .

وكان هناك اتجاهان بين الضباط ٠٠٠ فريق يؤيد البدر ، وفريق يؤيد الحسن ٠٠٠ بينما الثوريون يتأهبون لاقامة نظام جمهوري جديد .

وقد اجتمع الضباط الحاضرون على هذا الاتجاه الثوري ٠٠ ونشط المقدم عبد الله جزيلان الذي كان مديرا لكل من الكلية الحربية ومدرسة الاسلحة ٠٠٠ وبدأ يقوم باتصالات مع الأسماء الكبيرة من الضباط لتحريضهم أو ضمهم .

سافر الى الحديدة سرا خلال الليل ليتصل بالعميد حمود الجائفي الذي كان قائدا لحامية الميناء واتفق معه على الاشتراك معهم وهو اسم معروف لدى اليمنيين اذ كان في ثاني دفعة عسكرية درست في العراق وكان معروفا باطلاعه وله مركز قبلي مرموق .

واتصل أيضا بالسلال الذي كان قائدا لحرس البدر ٠٠٠ ووافق السلال على الاشتراك في قلب النظام الامامي .

وخلال هذه الفترة الحرجة أرسل الامام أحمد قبل أن يموت بأيام قليلة رسولا في طائرته الخاصة من تعز الى صنعاء ليبلغ البدر بأن هناك تدبيرا خطيرا ضد الامامة يقوده جزيلان .

واستدعى البدر جزيلان الى قصره ، وقد أعد له كميناً لقتله ، ولكن أمكن لجزيلان خلال الحوار أن يقنع البدر بأن هناك خطرا يهدده شخصيا من الأمير الحسن وأحمد الشافعي بالتعاون مع الأمريكين في تعز ٠٠٠ وأن من خيوط الخطة المعادية له تدبير مؤامرة وهمية يتخلص فيها البدر من الضباط المخلصين له ، وكان جزيلان ومجموعة الثائرين يتظاهرون بأنهم من أنصار البدر ثم ينفردون به بعد ذلك وحده .

وعندما بلغ البدر خبر زيارة جزيلان للحديدة هرع في التاسعة صباحا ليتأكد من صحة ذلك بنفسه ٠٠٠ فوجد جزيلان في الكلية يمارس عمله مبكرا في موعده المعتاد مع نوبة صحيان ٠٠ فالرحلة تمت ليلا تحت ظروف طبيعية قاسية ٠٠ ولم يفتح البدر أحدا بشكوكه ٠٠٠ ولكن ما بذره جزيلان في نفسه من خطة مدبرة ضده كاد يصبح يقينا ٠٠٠ اذ اعتقد أن خبر الزيارة كان مكذوبا والمستهدف منه هو التخلص من الضباط المواليين له .

• وخرج البدر من الكلية الحربية مطمئنا .

وتحددت ساعة الصفر ليلة ٢٥ - ٢٦ سبتمبر بعد أن شعر الضباط أن هناك خطرا يتهدهم وغيونا شريرة ترصدهم .

كانت الوزارة قد اجتمعت برئاسة البدر ، وحضر القاضي محمد الشامي نائب الامام في صنعاء ومعه كشف بأسماء عدد من الضباط قال للامام أنهم يريدون الانقضاض عليه .

وهكذا أصبحت المسألة سباقا مع الزمن ٠٠٠ تماما كما حدث في حركة ٢٣ يوليو عندما أجبرت الظروف الضباط الأحرار على سرعة التنفيذ ، تجنباً لاعتقال الملك لهم .

ويقول الدكتور عبد الرحمن البيضاني أنه كان قد تلقى معلومات أيضا بخبر اكتشاف البدر للحركة فبادر بإرسال برقية الى المتصلين به يقول لهم فيها ما معناه : اما تنفيذ الخطة أو النجاة بأنفسهم من اليمن .

يقول عبد الله السلال ان البدر بعد أن تولى السلطة احتفظ بجهاز الحكم في عهد والده وخطب الجمعة قائلا أنه سيمضي على طريق والده وأجداده ٠٠٠ الأمر الذي أقتنع المترددون في الثورة على الامام بأنه لم يعد أمامهم أمل في اصلاح النظام الامامي .

أبلغ عبد الله جزيلان موعد الحركة لمحمد عبد الواحد القائم بالأعمال المصري في صنعاء ٠٠٠ وأرسل حسن العمري الخبر عن طريق اللاسلكي الى القاهرة ، فقد كان هو مسئول الاتصالات أو مدير الاشارة في اليمن .

ويقول عبد الرحمن البيضاني أن الاشارة قد وصلت من حسن العمري بتحديد ساعة الصفر ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ .

الخطة كانت تقضى بالاستيلاء على قصر البدر والاذاعة وقصر السلاح واعتقال قادة الحرس .

يقول جزيلان أنهم كانوا يشعرون أنهم مقدمون على مغامرة لا تتجاوز نسبة النجاح فيها ٥ في المائة فقط .

وبدأ التحرك في منتصف الليل ٠٠٠ ولكن الذخيرة لم تكن متوافرة ، كان هناك ٣٠ دانة مدفعية ، ٣٠ طلقة دبابات الى جانب القنابل اليدوية والأسلحة الصغيرة .

ووضعت الخطة على أساس اطلاق دانة مدفعية ودانة دبابات واحدة كل ربع ساعة أى تستمر في الضرب لمدة سبع ساعات ونصف .

أطفئت الأنوار وقطعت الكهرباء ٠٠٠ وبدأ القصف حسب الخطة الموضوعه ٠٠٠ ويقول جزيلان أن البدر دافع عن قصره دفاعا مجيدا . ولكن قصر السلاح لم يستسلم وهو القلعة التى تضم كل الأسلحة والذخيرة والبدر يتصل به تليفونيا لأن خطوط المواصلات لم تقطع ٠٠٠ وبيان الاذاعة لم يعلن .

الأخطار تتهدد الثورة في لحظاتها الأولى .

السلال لم يكن موجودا خلال الليل ٠٠٠ لم يحضر الا فى الثامنة صباحا ، ولكنه فور حضوره أدى دورا كبيرا فى نجاح الثورة .

وعبد الله السلال كان ضابطا من ضباط انقلاب ١٩٤٨ وقد اعتقل فى سجن حجة لمدة تزيد عن سبع سنوات عانى فيها من العذاب ما يسجل صفحات تنضح بالعار والتخلف ، ثم أفرج عنه بعد انقلاب ١٩٥٥ وعين رئيسا لحرس البدر .

ويقول بعض الضباط الذين شاركوا فى الحركة أو السلال قد حضر باعتباره مفوضا للبدر لمعرفة مطالب جزيلان وغيره من الضباط . ويتمادى البعض فى القول بأنه أسهم فى تهريب البدر من منزل مجاور لقصره فى ثياب امرأة .

وسواء صححت هذه المعلومات أم لم تصح ٠٠٠ فان عبد الله السلال وضع نفسه فى خدمة الثورة منذ وصوله الى الكلية الحربية ، وذلك قبل اذاعة بيان الثورة الذى تأخرت اذاعته لتردد الضباط المكلف بذلك . بدعوى أن قصر السلاح لم يسقط . مما دفع جزيلان الى الاتصال به غاضبا .

وبادر السلال بصفته قائدا لحرس البدر الى الاتصال بقصر السلاح ، وطلب من حرسه أن يستسلموا ، فوافقوا على ذلك ٠٠٠ وانهارت قلعة البدر فى صغء .

وأذيع البيان في الثامنة والنصف صباحا ٠٠٠ يعلن (باسم الله
وباسم الشعب تعلن قيادة الجيش سقوط الملكية في اليمن وقيام
الجمهورية اليمنية ابتداء من الساعة الخامسة يوم ٢٦ سبتمبر) .

واعتقل قادة الحرس الذين حاولوا اخراج المدفعية ٠٠٠ ووجد
البدر طريقه في الهرب بمساعدة بعض العناصر المترددة التي اتهمها
جزيلان بخيانة الثورة ، ويقول انه ذبح أحد الشيوخ من حمدان ، لأنه
نبتت مشاركته في عملية التهريب .

لم تنته الأخطار بتهريب البدر ٠٠٠ بل حاول بعض رجال القبائل
الاستيلاء على صنعاء في اليوم الثالث للثورة بعد دخولها تحت ستار
التهنئة .

الأخطار تهدد الانقلاب لأنه كان مفروضا أن يدعم منذ اليوم الأول
بطائرات مصرية خشية قيام الطائرات السعودية أو البريطانية بهجمات
مضادة على مقر القيادة في صنعاء .

وكانت القاهرة قد أعدت طائرة داكوتا في أسوان وفيها محطة
ارسال وصواريخ ، على استعداد دائم للتحرك الى اليمن .

وصلت الطائرة المصرية الأولى في اليوم الثالث ، وعلى متنها محمد
محمود الزبيري والدكتور عبد الرحمن البيضاني . والضابط المصري
على عبد الخبير ٠٠ وكان يقودها قائد الجناح أحمد نوح الذي أصبح
وزيرا للطيران فيما بعد .

ويقول الدكتور البيضاني ان سبب التأخير هو طلبه من عبد الناصر
٥٠٠ جندي وثلاث طائرات وخبير عسكري أثناء مقابله ليلة ٢٦
سبتمبر ٠٠ والى ان اختير الخبير العسكري في اليوم التالي وصلت الطائرة
فجر يوم ٢٨ .

ويقول عبد الله جزيلان انهم قد عينوا البيضاني وزيرا للاقتصاد ،
ولكنه عندما وصل وسأله عن موقف مصر من ناحية المساعدة العسكرية ،
قال لهم ان شيئا لن يحضر من مصر الا اذا عين نائبا لقائد مجلس الثورة ،
وأخرج من جيبه بيانا مكتوبا ومعدا للتوقيع بامضاء كل من السلال
وجزيلان .

ويقول جزيلان ان هذا الأمر قد ترك في نفوسهم مرارة شديدة
ولكن الرغبة في نجاح الثورة لم تدعهم يتوقفون عند هذه المشكلة
المحدودة .

هذا بينما يقول البيضاني ان تعيين السلالة رئيسا لمجلس قيادة الثورة قد دفع بعض أصدقائه الى اشتراط ان يكون نائبا له ٠٠٠ ولذا فقد عين نائبا لرئيس مجلس القيادة ، ونائبا للقائد العام للقوات المسلحة رغم أنه مدني لا يحمل رتبة عسكرية .

ولكن واقع الحال يشير الى أنه عين في هذه المناصب اعتقادا منهم بأن له صلة مؤثرة ونافذة مع مصر .

عدم وجود تنظيم للضباط الأحرار ، وعدم توافر حد أدنى من العلاقة التنظيمية خلق منذ اليوم الأول حساسيات ذاتية وأظهر خلافات فردية .

ومن أمثلة ذلك ما اذاعه ضابط له ميول بعثية كان موجودا في الاذاعة من تشكيلات لمجلس قيادة الثورة ومجلس الوزراء لم يكن الاتفاق قد تم عليها نهائيا .

والواقع اليمني المتخلف كان يفرض نفسه على طبيعة الحركة ، فلم يكن هناك انضباط يتناسب مع انقلاب عسكري ، والنجاح السريع غير المتوقع فرض على القائمين بالحركة مسئوليات عديدة متشعبة لم تترك لهم فرصة التركيز .

وهكذا تفجرت الخلافات الشخصية الممتدة من واقع قبلي وطائفي أو غير حضاري منذ الأيام الأولى ٠٠ ولكنها لم تطف الى السطح الا بعد حين .

نجحت الثورة بحركة الضباط اليمنيين ، وتعاون الثورة المصرية ببيانها الأول الذي صدر صباح ٢٧ سبتمبر وحذرت فيه من تدخل أي قوات أجنبية ٠٠٠ وبوصول طائراتها الى مطارات اليمن المغلقة .

ومع ذلك فقد حدث تدخل بريطاني في الأيام الأولى للثورة .

الجيش الخاضع للبريطانيين في عدن دخل من الجنوب واعتقل بعض الضباط الخبراء السوفييت ونقلهم الى لندن .

والحقيقة أنهم كانوا بعيدين تماما عن المشاركة في الثورة ٠٠٠ بل ان عبد الله جزيلان يقول أنهم عندما حاولوا الاتصال برجال البعثة السوفيتية في مدرسة الأسلحة قوبلوا منهم بحذر شديد وموقف صارم من ناحية عدم الرغبة في التدخل في الشؤون الداخلية وخاصة ان علاقتهم بالبحر لم تكن سيئة ٠٠٠

وقد أرسل السوفييت برقية مقيادة الثورة بضرورة المحافظة على

حياة الخبراء السوفييت الذين كانوا يقيمون في منزل خلف قصر الامام
البدر .

هذا ينفي مشاركتهم الايجابية في الثورة ، كما حاولت أجهزة الدعاية
الغربية وقتها أن تشيع .

وقد تدخلت السعودية أيضا باحتضانها للحسن الذي أعلن نفسه
اماما قبل وصول البدر هاربا من صنعاء .

ارتفعت نسبة النجاح التي قدرها المدبرون للثورة من ٥ في المائة
الى ١٠٠ في المائة تدريجيا يوما بعد يوم ...

ولكن الأخطار قد بدأت تهدد الانتصار .

وكان الموقف في صنعاء مطمئنا من الناحية الجماهيرية ومن الناحية
العسكرية . فقد غمر الأهالي شعور شديد بالفرح والغبطة لزوال النظام
الامامي المتخلف ، الذي عبروا عن ارادتهم ضده بمظاهرات الطلبة أثناء
وجود الامام في روما ١٩٥٩ ، ومرة أخرى في يوليو ، ١٨ سبتمبر ١٩٦٢ ،
حيث تظاهر الطلبة وأطلق عليهم الجيش الرصاص وتساقط عدد من
الجرحى .

وآثر الثوريون في الجيش - كما يقول جزيلان - ألا ينتهزوا فرصة
المظاهرات للانقضاض لأن الموقف لم يكن مهياً تماماً ، هذا الى اعتقادهم
ان الدم السائل في المظاهرات يمكن أن يزيد من ثورة الجماهير ضد
الامامة ، ويكون دافعا وحافزا على مساندة الانقلاب ... وهو ما حدث
فعلاً .

نجح الانقلاب ... وتحققت الثورة اليمنية ... وانتهى عهد أسرة
حميد الدين .

وكانت مصر أول دولة تعترف بالنظام الجديد ، ثم سوريا ... من
الدول العربية .

وكان الاتحاد السوفييتي أول دولة أجنبية تعترف بالجمهورية
اليمنية .

أما العراق فقد طلب سفيرهم في صنعاء السماح بنزول طائرات
عراقية لاجلاء المواطنين العراقيين ، وقد فسر سفيرهم لجزيلان هذا الموقف
بأنه تصور من عبد الكريم قاسم بأن الثورة تابعة لمصر ... ولكن جزيلان
أقنعه بأنها ثورة تحريرية تؤيدها مصر .

أرسل قادة الثورة اليمنية وفدا الى مصر لطلب المساعدة من جمال عبد الناصر فى الأيام الأولى للثورة ٠٠٠ ووصل أنور السادات الى اليمن فى الاسبوع الثانى من أكتوبر حيث وقع معاهدة دفاع مشترك بين مصر واليمن ، وكانت قد وصلت قبله ٣ طائرات حربية وفوات من الصاعقة المصرية تحركت من السويس يوم ٥ أكتوبر ١٩٦٢ ، وكان أفرادها يلبسون قمصانا بيضاء وبنطلونات رمادية ٠٠ وتشكلت أول قيادة مصرية فى اليمن ٠

لم يكن أمام الحركة الانقلاية فى اليمن من سبيل لدعم موقفها الا باللجوء الى ثورة يوليو وقائدها جمال عبد الناصر ٠

ولم يكن أمام جمال عبد الناصر من سبيل أيضا الا دعم هذه الحركة الثورية التى جاءت فى وقت كانت فيه القوى الامبريالية والظروف الموضوعية قد نجحت فى شق الحركة الثورية العربية بعد الخلاف مع العراق وانفصال سوريا ٠

كانت فرصة أمام جمال عبد الناصر لوقف المد الرجعى فى المنطقة ٠ ومنع السعودية من السيطرة على الخليج العربى وتحطيم نظام رجعى متهالك ٠

ليس هذا فقط ، بل ان تغيير طبيعة الحكم فى اليمن وارتباطه بالنظام التقدمى فى مصر يتيح الاقتراب من حدود اليمن الجنوبية لمساعدة العناصر الثورية المناضلة ضد البريطانيين فى عدن ، ويعطى للنظم التحريرية فرصة السيطرة على طرفى البحر من الشمال والجنوب ٠

يقول حسن ابراهيم عضو مجلس قيادة الثورة أن جمال عبد الناصر عندما عرض عليهم القضية قال أن هناك خوفا من تدخل السعودية ضد النظام الجديد ، وانه اذا أرسلت مصر قوات رمزية فإن هذا سوف يجعلهم يفكرون مرتين قبل الاقدام على أى تحرك مضاد ٠

ويقول حسن ابراهيم ان جميع أعضاء مجلس القيادة بلا استثناء بما فيهم كمال الدين حسين قد وافقوا على مساعدة الثورة اليمنية ٠

ويؤكد زكريا محيى الدين هذه الحقيقة ، ويقول : انه لم تكن هناك مناقشة مطلقا حول ارسال القوات وانما كان هناك حديث فقط عن بعض محاذير التورط فى الحرب ٠

وقد تحدث عبد اللطيف البغدادى عن تجربته فى اليمن عندما سافر اليها قبل الثورة ٠

تبلورت المشكلة في مساعدة الحركة الثورية من جانب مصر ،
ومساندة النظام الامامي المتخلف من جانب السعودية .
النظام التحررية التقدمية تواجه النظم الرجعية فوق ارض أكثر
الدول تخلفا .

تفجر الخلافات :

بدأت الثورة اليمنية تدافع عن نفسها .
الفت في أكتوبر ترخيص البنك السعودي واستولت عليه بحجة
عدم توافر سيولة نقدية .
وانشئ أول بنك يمنى فى التاريخ برأس مال قدره عشرة ملايين
ريال تسهم فيه الحكومة بنسبة ٥١ فى المائة ، وارتفع رأس المال أثناء
خبرة الاكتتاب الى ٢٠ مليون ريال نتيجة الاقبال الشديد الذى رفع سعر
السهم من عشرة ريال الى عشرين ريالاً كما يقول الدكتور البيضاى .
وكانت ظاهرة غريبة ٠٠٠ اقبال الناس على شراء الأسهم رغم الحرب
وأخطارها وتوقعاتها ٠٠٠ ولكن ذلك أعطى دليلاً على تأييد الجماهير للثورة
وتطلعهم الى حياة أفضل .

وفى المجال العسكرى بدأ تشكيل الحرس الوطنى . وأقبل الناس
على التطوع فيه حتى بلغت أعدادهم ١٥٠ ألفاً ، كان مفروضاً أن يختار
منهم ٣٠٠٠ يكونون نواة لجيش وطنى نظامى جديد .
ولكن تكوين الحرس الوطنى لم يستمر ٠٠٠ توقف بعد ثلاثة أشهر
نتيجة الخلافات التى كانت قد بدأت تنشأ وتشتد .

كان هناك اتجاهان رئيسيان فى التفكير ٠٠٠ الأول يدعو الى
الاعتماد المطلق على القوات المسلحة المصرية اقتناعاً منهم بأن هذا هو
السبيل الأفضل والأسرع لنقل اليمن الى عالم الحضارة ٠٠٠ والثانى كان
يؤمن بأن المساعدة المصرية يحسن أن تقتصر على الطائرات والمدفعية
الثقيلة دون المشاة حتى لا يتورط الجنود المصريون فى معارك مفروض أن
يحاربها اليمنيون ، وخاصة ان الميزانية المصرية تتكلف كثيراً فى نفقات
الجنود وتعويضات القتلى ، وكان هذا الاتجاه هو الذى اتفق عليه الجميع
رغم الخلاف الجذرى فى مجالات أخرى كثيرة .

ويفسر عبد الله السلال ذلك بقوله : ان الاتفاق قد تم مع المصريين
أساساً على المساعدة بالطيران وقوات محدودة من الصاعقة وكان ذلك كافياً
لضمان الثورة فى حدود طبيعة الموقف داخل اليمن .

وأوضح ان الاستعانة بالقوات المسلحة المصرية منذ البداية كانت ضرورة يستلزمها الموقف لأنه - حسب قوله - لولا مساندة جيش مصر ما كانت ثورة اليمن لتنجح قياساً بالحركات التي سبقتها .

ويؤكد ان مصر ما كانت لترسل قوات اضافية وان اليمنيين ما كانوا ليطالبوا مزيداً من القوات لو ان المشكلة حصرت في اطار الواقع اليمني ، ولكن التدخل والمساعدات الخارجية من البريطانيين والسعوديين والأردنيين هي التي دفعت البلاد الى هذه الحرب الأهلية . وأدت الى تطورات غير منتظرة في الموقف .

والى جانب الاتجاهات الفكرية المتباينة كانت هناك عدة قيادات تعمل في غير تناسق ، وبوجد بينها نوع من المنافسة الخفية وذلك مثل رئاسة الجمهورية اليمنية وتجمع المعارضين للرئاسة والسفارة المصرية وقيادة القوات المسلحة وإدارة المخابرات الحربية وإدارة المخابرات مساعدة القبائل .

كان كل جهاز من هذه الأجهزة يتبنى رأياً خاصاً . وينظر الى الأمور من وجهة نظر مختلفة .

صحيح ان المعلومات كانت تصب عند القيادة السياسية ، والقيادة العسكرية في القاهرة ، أى عند جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ولكن البعد عن الواقع الحي كان يعطل حل المشاكل في حينها . ولا يساعد على تدوين الفوارق ، وتحقيق تناسب وثيق .

وصحيح أيضاً أن القائد العسكري في اليمن كان يعتبر مسئولاً عسكرياً وسياسياً في وقت واحد ولكن القادة الذين عينوا كانوا أبعد ما يكونون عن الاهتمام بالسياسة أو الارتباط بها وكان بعضهم ممن القيت عليهم مسئولية موقف العسكريين المصريين في سوريا ، وقيل أنهم تصرفوا تصرفات انتهت الى مأساة الانفصال .

والفريق أنور القاضي الذي عين في اليمن مثلاً كان أحد الذين أمضوا سنة كاملة تقريباً بلا عمل بعد انفصال سوريا حتى عادت به الظروف الى اليمن من جديد .

ويقول الدكتور عبد الرحمن البيضاني بأنه فوجيء يوماً بأن بعض مكاتب الوزراء قد نقلت من الغرف الى ساحة القصر واستبدلت بسراير قال عنها الفريق القاضي انها أعدت للطيارين المصريين وكان التصرف في رأيه مجافياً للذوق فوق أنه يتم في قلب المكان الذي يعتبر مظهرًا لسيادة الدولة .

وبعد نقاش مع الدكتور البيضاني أصر على نقل المكاتب الى الغرف خلال ٦ ساعات قبل اجتماع مجلس الوزراء .

ويقول الدكتور البيضاني انه فوجئ بحضور المشير عبد الحكيم عامر وأنور السادات في صباح اليوم التالي ٠٠٠ وقال له المشير : (ان الحكومة البريطانية أعطتنا انذارا ١٢ ساعة قبل العدوان الثلاثي ، أما أنت أعطيت الفريق القاضى انذارا بست ساعات فقط) .

وصفى الموضوع بعد مواجهة بين القاضى والبيضاني .

وينفى الفريق القاضى وقوع هذه الحادثة تماما ، وينفى أن القصر الجمهورى كانت فيه مكاتب للوزراء ٠٠٠ بل يؤكد ان مجلس الوزراء في اليمن لم يأخذ شكل مجالس الوزراء فى الدول الأخرى .

ويروى ناتنج فى كتابه (ناصر) ان جمال عبد الناصر قال لجون بادو السفير الأمريكى : (أنت لا تتخيل ما يحدث فى اليمن ، نصف الوزراء لا يذهبون الى مكاتبهم ، والنصف الآخر اذا ذهب لا يعرف ماذا يفعل) .

ولم يكن هذا هو الخلاف الوحيد .

لم تكد تمضى عدة أسابيع حتى أصدر الفريق أنور القاضى أمرا بانسحاب القوات المصرية من منطقة بنى هبيرة حيث كان قد قتل أحد كبار الضباط المصريين - العميد سند - الى منطقة رأس جسر العرقوب التى تبعد عنها حوالى ٣٠ كيلو ٠٠٠ وقد وضع تنفيذ هذا الأمر الحكومة اليمنية حسب قول البيضاني فى مآزق تدفق القبائل من المنطقة الى صنعاء ٠٠٠ وعندما عرض الأمر على مجلس الوزراء تقرر ارسال برقية للقاهرة تطلب محاكمة القائد المسئول عن أول انسحاب تقوم به قوة مصرية .

وحضر فى اليوم التالى مباشرة المشير عبد الحكيم عامر وأنور السادات أيضا ، حيث تبين أن البرقية قد كتبت بخط الدكتور البيضاني ، وأن أوامر الانسحاب قد صدرت من القاهرة وليس من القائد المحلى .

خلافات تتجدد ، وليس هناك من سبيل لحلها ما دام مركز اصدار القرارات بعيدا عن أرض المعركة .

ثم وصلت الخلافات الى مجلس الوزراء عندما عاد القاضى عبد الرحمن الايرياني من جولة فى البلاد العربية وكان قد أصبح وزيرا للمعدل ، وأعلن للمجلس أن أحمد بن بيللا قد أبلغه أئمناء زيارته للجزائر باستعداده لارسال قوات جزائرية تحارب دفاعا عن الجمهورية ، على ان تتحمل الجمهورية العربية المتحدة نفقات التموين والدخيرة .

: وأعلن أحمد المروني وزير الاعلام بعد عودته من العراق استعداد عبد الكريم قاسم لارسال ١٠ر٠٠٠ جندي عراقي بالذخيرة والسلاح والتموين دفاعا عن الجمهورية .

ودارت مناقشة واسعة انتهى فيها الرأي الى ارسال وفد الى مصر برئاسة الدكتور عبد الرحمن البيضاني لاطلاع مصر على هذه الأخبار ومعرفة رأيها في الموضوع . وسافر الوفد فعلا يوم ١٣ يناير ١٩٦٣ .

وكان هناك اتجاه لقبول القوات العراقية أو زيادة القوات المصرية .

وقال جمال عبد الناصر للدكتور البيضاني عند مقابلته له أنه قد أرسل كتيبتين اضافيتين فعلا .

: وهكذا كانت المواقف العسكرية والتدخلات السعودية ، تشكل ظروفا ضاغطة على مصر تجبرها على ارسال مزيد من القوات .

كانت القوات المصرية قد بلغت حتى ذلك الوقت عشرين ألف جندي تقريبا .

ورغم أن عبد الرحمن البيضاني كان يأخذ جانب المعارضة لوصول قوات جزائرية أو عراقية الا أنه لم يعد لليمن مرة أخرى . لحقته برقية من السلال الى عبد الناصر تطلب عدم عودته وابقائه في مصر بناء على اجماع مختلف القوى اليمنية التي كانت تحيطه بالشكوك . ورضخ البيضاني لذلك حتى أعلنت استقالته التي كتبها في أواخر يناير ١٩٦٣ ، وكتب فيها خطابات الى أصدقائه يطلب منهم فيها الاحتشاد حول الجمهورية وحول السلال .

وهكذا طوبت صفحة البيضاني نائب رئيس الجمهورية ونائب القائد العام للقوات المسلحة بعد فترة عمل لم تتجاوز ثلاثة شهور .

وكان المعروف عن البيضاني أن له علاقات طيبة مع أعضاء السفارتين الأمريكية والانجليزية في اليمن ، وقد سمح لهما بالبقاء رغم عدم اعترافهما بالنظام الجديد ، الأمر الذي يشكل سابقة في القانون الدولي العام . ويبرر البيضاني ذلك بقوله انه كان محتاجا لوسيلة اتصال مع كنيدي وماكلان .

وقد اعترفت حكومة الولايات المتحدة بالثورة اليمنية في ١٩ ديسمبر ١٩٦٢ ، وكانت ألمانيا الغربية قد اعترفت بها في ٢٢ أكتوبر ، وأوشكت السفارة البريطانية أن تعترف بعد خطوات وصلت الى حد اتفاق البيضاني مع السفير البريطاني على صيغة الخطابات التي يتم تبادلها بعد الاعتراف .
ولكن توقفت هذه الخطوة لفترة بعد استقالة البيضاني .
وكان جمال عبد الناصر قد هاجم انجلترا في خطبته يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٦٢ ببور سعيد لمحاولتها التدخل في شئون اليمن .

الفصل الثالث

العسكريون المصريون في اليمن

(بعد سنة من انتصار ثورة ٢٦
سبتمبر اخلت جماهير الشعب
اليمنى في الشطر الجنوبي تفجر
النفسال المسلح ضد الاستعمار
البريطاني وعملائه)

(ان شعبنا اليمنى باجمعه لن
ينسى مدى التاريخ بان ثورته لم
تكن لتقف على قدميها اسبوعا واحدا
لولا الزعيم الخالد جمال عبد الناصر
والشعب المصرى الشقيق)
على ناصر محمد

عضو المكتب السياسى للجبهة القومية
القاهرة - ٢٨ سبتمبر ١٧٩١

(ان عملية الجيش المصرى في
اليمن عملية تاريخية ٠٠٠ هي
اللحظة في مستوى التاريخ)
ميشيل علق

مباحثات الوحدة ١٩ مارس ١٩٦٣
(درب العسكريون المصريون
المتطوعين اليمنيين في تعزيز استعدادا
للكفاح المسلح ضد الاستعمار
البريطاني في عملية سميت باسم
(صلاح الدين)

وقال عبد الفتاح اسماعيل امين
الجبهة القومية في تقريره امام
المؤتمر الخامس في مارس ١٧٩٢

كان تدفق القوات العسكرية المصرية مرتبطا بعدة عوامل لم تكن
محسوبة او مدروسة .

كانت قيادة ثورة سبتمبر اليمنية لا تجد لها نصيرا الا في جمال
عبد الناصر وثورة يوليو ٠٠٠ وكان جمال عبد الناصر يجهد في هذه الثورة

ثورة يوليو ج ١ - ٨٦٥

الوليدة فرصة لاذكاء الروح الثورة والقومية العربية ، والتغلب على الانحسار الذي نتج عن الانفصال ، ولكن اليمن كانت أرضا غريبة تماما عن المصريين ٠٠٠ بل غريبة أيضا عن اليمنيين .

لم تكن هناك خرائط طبوغرافية لطبيعة الأرض ٠٠٠ ولم تكن هناك معلومات يمكن الاسترشاد بها في حركه القوات ٠٠٠ ولم تكن هناك مطارات ولا طرق .

والقوات الأولى التي أرسلت الى اليمن كانت من قوات المظلات والصاعقة ، واستقرت في صنعاء العاصمة .

ولم يكن مفروضا ولا محسوبا أن تستمر القوات المصرية في التدفق الى اليمن ٠٠ بل ان بعض التقارير المصرية التي وصلت من السفارة قد أشارت الى أنه يمكن تأمين الثورة بعدد محدود من الوحدات المقاتلة .

ولكن قدرة بعض قادة الثورة اليمنية في السيطرة على اليمن كانت محدودة ، ورغبتهم في الاعتماد على المصريين كانت بلا حدود ٠٠٠ والأصوات التي نادت بتعاون خاص من بعض الأسلحة المصرية مع استشارة همة اليمنيين تلاشت أمام الرغبة الجارفة في الاعتماد على القوات المسلحة المصرية ، أكبر قوة ضاربة في الوطن العربي .

وقد فسر جمال عبد الناصر للجماهير في خطابه يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٦٢ حقائق هذا التدفق ، ولغله كان حريصا على مشاركة الشعب معه في التعرف على طبيعة الأمور .

قال جمال عبد الناصر (يوم ٥ أكتوبر كان لنا مائة صف ضابط وعسكري بس الى بعثناهم ، يوم ٩ أكتوبر بقوا ٥٠٠ ، يوم ١٦ أكتوبر بقوا ألفين ، يوم ١٠ أكتوبر بعثنا أول قوة من سلاح الطيران ٠٠ طيارين ، وقعدنا تقريبا لغاية آخر أكتوبر بنشتغل ومعانا الألفين وهي القوة التي شالوا جزء كبير من المعارك) .

وفي هذا الخطاب التاريخي الكبير تحدث جمال عبد الناصر عن خسائر قواتنا فحدها حتى موعد الخطبة بأنها ٢١ ضابطا ، ١١٥ جنديا (كل واحد منهم جزمته أشرف من تاج الملك مسعود والملك حسين) على حد تعبيره .

وعندما أوفد اللواء أنور القاضى الى اليمن لم يصدر أمر بتعيينه قائدا للقوات المصرية ٠٠٠ وانما أوفد للتحقيق في مشكلة ضياع وحدة من قوات المظلات أسقطت في صروح ثم اختفى أثرها تماما واستشهد قائدها الملازم نبيل الوقاد . وكان ذلك بصفته نائبا لرئيس هيئة العمليات الحربية .

وحيث قرر تعيينه قائدا للقوات أثناء زيارة للمشير عام ٢٠٠٠ .
وكانت هذه هي بداية تثبيت الوجود العسكري المصري بناء على الحاح
السيلا .

ويقول الفريق القاضي أنه وجد نفسه في فراغ كبير . . . المعلومات
ناقصة والنخراط غير موجودة ومعرفته هو وقادته باليمن معدومة والخطة
الاستراتيجية غير واضحة ، وتدريب القوات على حرب الجبال لم يكن
واردا .

والغريب أن القيادة المصرية لم تستعن بمعلومات وخبرة قادة البعثات
العسكرية المصرية السابقين في اليمن . . . فعندما وصلت أخبار الثورة
عرض كمال أبو الفتوح الذي كان قد أصبح محافظا للقليوبية خدماته ،
ولكن أحد لم يتصل به رغم أنه أمضى في اليمن ثلاث سنوات في بداية
ثورة يوليو .

ويقول الفريق القاضي أن المرحلة الأولى كانت تتمثل في استقرار
القوات في صنعاء وحمايتها مع مثلث يشملها هي وتعض والحديدة ، ولكن
كل ما هو خارج هذا المثلث كانوا لا يعرفون عنه شيئا . . . تسيطر عليه
القبائل ولا يدرك أحد مدى تأييدها للجمهورية أو معاداتها لها .

ويقول أيضا أنه قد وضع خطته على أساس تأمين ربوع اليمن
لثورة ، وأنه بدأ ينفذ خطته عسكريا بالتعاون مع بعض قادة انقبائل
عبد الله الأحمر وسنان أبو لحوم وغيرهما .

وتطلب تنفيذ هذه الخطة التي صدقت عليها القيادة في مصر ، والتي
كان تنفيذها يعتبر ضرورة هامة لحماية الثورة بسبب تقاعس اليمنيين
أنفسهم عن أداء دورهم الرئيسي في تأمين ثورتهم الى استدعاء وحدات
مقاتلة مصرية تزايد عددها تدريجيا .

ولم يكن من اليسير وقف هذا التدفق بعد انطلاق القوات في
الجبال خارج المدن . . . وهو الخطأ الذي انزلت اليه القيادة العسكرية
دون تفكير عميق .

ويقول الفريق القاضي ان معاناته الرئيسية لم تكن في المعركة
ذاتها ، بل كانت في معرفة العدو من الصديق . . . فالامامة كانت مازالت
لها رهبة في نفوس اليمنيين حيث يسود التخلف والامية والخضوع الأعمى
لبعض المظاهر الدينية التي تفرض رهبة وقدسيتها خاصة على الامامة بصفته
أميرا للمؤمنين .

ويعلق الفريق القاضى على الحادث الذى أشار اليه الدكتور البيضاى عن انسحاب القوات المصرية لأول مرة من منطقة بنى هبيرة بعد مصرع العميد سند ، ويقول أن ذلك كان نتيجة لاشتراك بعض أهالى مدينة (البيضاء) التى ينتمى إليها عبد الرحمن البيضاى فى عملية اغتيال بعض الجنود المصريين .

ولكن هذا لم يكن يعنى فى مضمونه الحقيقى سيطرة كاملة فعلية للبيضاى ولم يعد يطلع أحدا على خطط اقوات المصرية .

• ومع ذلك يقول أن المرحلة الأولى قد انتهت فى مايو ١٩٦٣ بوصول القوات المصرية الى الحدود الشمالية والشرقية وسيطرتها على اليمن بصفة عامة .

ويقول أنه اتخذ بعد ذلك جانب الحذر المطلق من الدكتور عبد الرحمن على اليمن ٠٠٠ لأنها بلد ذات طبيعة جغرافية خاصة ٠٠٠ ولأن القبائل وجدت فى وجود القوات المسلحة المصرية مصدرا للرزق

كان مشايخ القبائل يحصلون على الأموال والأسلحة من القوات المصرية بهدف مساعدتهم ٠٠٠ ولكن معظمهم كان يتعامل على وجهين ٠٠ إذا اتبعت له فرصة أخذ أموال من الملكيين أخذ وغير موقفه ٠٠٠ ثم يعود مرة أخرى الى المصريين ويأخذ منهم ليفخر موقفه مرة ثانية .

وهكذا أصبح وجود القوات المصرية محل تأييد وحرص من بعض قادة الثورة المتعاضدين عن أداء دورهم الطبيعى فى السيطرة على الجماهير . وأصبح محل حرص القبائل أيضا باعتباره مصدر رزق وفير لها ٠٠٠ وقد بلغت ميزانية شئون القبائل ما يقرب من ٦٠ مليون جنيه استرلينى .

وعندما انتهت هذه المرحلة الأولى سسحبت مصر قواتها فى مايو ١٩٦٣ من اليمن لأول مرة ٠٠٠ وأعدت لأبنائها العائدين استقبالا حافلا انتظرهم فيه المشير عبد الحكيم عامر فى مدينة السويس وانتظرهم جمال عبد الناصر وضيافته فى ذلك الوقت أحمد بن بلا فى محطة القاهرة ، وحضر استمع أيضا لهم فى ميدان عابدين ٠٠٠ وحصل اللواء أنور القاضى على رتبة الفريق .

كانت هذه المرحلة من سبتمبر ١٩٦٢ الى مايو ١٩٦٣ من أقصى المراحل على الجنود المصريين ، فلم يكن مصرحا لأحد منهم بمشاهدة اليمن مطلقا فى أجازات ، ويقول الفريق القاضى أنهم لم يكونوا يحصلون مطلقا على أية علاوة فوق المرتبات التى كانت تصرف لأهلهم فى مصر ، بينما يحصلون فى اليمن على الأكل والشرب والسجائر والرعاية الصحية

والاجتماعية ٠٠٠ ولم يكن هناك جندي يعرف شكل الريال اليمني - على حد تعبير الفريق القاضى .

ولكن الوصول للحدود الشمالية والشرقية وانتهاء هذه المرحلة لم يؤمن بالصورة المرضية .

وكانت عودة بعض الوحدات الى مصر بداية مرحلة جديدة أصبح مصرحا فيها للجنود بالعودة الى مصر فى اجازات لمدة شهرين كل سنتين ٠٠٠ وكانت خدمة الجنود تتم فى دائرة بين سيناء واليمن ، ثم الاجازة والعودة الى سيناء من جديد وهكذا .

وتقرر ايضا صرف علاوات اضافية للجنود والضباط حيث تميزت هذه المرحلة التى امتدت من مايو الى نوفمبر ١٩٦٣ بواجب تطهير الجيوب المعادية التى كانت تظهر وتختفى تبعا للتمويل .

ويقول الفريق القاضى ان مهمة التطهير كانت تستهدف تثبيت الثورة نهائيا فوق ارض اليمن .

ويقول ايضا أنه اعتبر بتحقيقه هذا الهدف أن مهمة الجيش المصرى قد انتهت فى نوفمبر ١٩٦٣ ، وأن ما تم من عمليات عسكرية بعد ذلك يعتبر من وجهة نظره عبئا ثقيلا تحمله الجنود المصريون فى صبر شديد ولكنه لم ينفذ عمليا ما قال انه كان عقيدته .

ويقول ان القوات اليمنية التى دربت فى مصر وكانت نواة لجيش اليمن الحديث لا تؤدي الدور المطلوب منها اذا عادت ٠٠٠ ويضرب مثلا لذلك بمنطقة (الجوف) المحدودة بالربع الخالى وحضرموت والتى قتل فيها كثير من المصريين بينما لم تشترك القوات اليمنية فى عملية التطهير حيث القبائل هناك شديدة المراس .

وكان موقف القادة اليمنيين خلال هاتين المرحلتين غير مستقر تماما . عبد الله جزيلان العنصر الرئيسى فى الثورة كان يتردد كثيرا على مصر .

وكان عبد الله جزيلان مثاليا فى تصرفاته ٠٠٠ زاهدا فى المناصب لاتدفعه حوافز السلطة للمشاركة فى لعبة السياسة ٠٠٠ وهذا فى الوقت الذى ظهر فيه بعض العسكريين اليمنيين وشاركوا فى المعركة الدائرة على ارضهم مثل حسن العمري الذى يقول الفريق أنور القاضى أنه حارب بجانب المصريين وساعدهم عسكريا .

وقد لاحقت الشائعات عبد الله جزيلان لانه كان من انصار التركيز على استشارة هم اليمنيين لمساندة الجمهورية : والاقتصار على مساعدات

مصرية محدودة. ٠٠٠ فليل منه أنه (قاسم اليمن) تشبيها بعبد الكريم قاسم الذي أطلق عليه جمال عبد الناصر اسم (قاسم العراق) .

ولكن موقف جزيان بالتأكيد لم يكن في البداية متناقضا مع موقف القوات المصرية ولا مع السلال ٠٠٠ وإنما كان (يحرر) إذا صح استخدام الكلمة كلما واجه أمرا لا يرضيه .

والواقع أن القيادة المصرية كانت تتصرف بمبادرتها الخاصة ورؤيتها الذاتية ٠٠٠ ولكنها في نفس الوقت كانت تبذل جهدا بالغاً في تنظيم وتدريب وتسليح القوات اليمنية المسلحة على أساس عصرى ٠٠ الأمر الذي جعل هذه القوات السند الحقيقي لجمهورية اليمن رغم كل ما مر عليها من تقلبات بعد ذلك .

ويمكن القول أنه مع نهاية عام ١٩٦٣ كانت القوات المسلحة المصرية قد قامت بدورها الفعال في تثبيت الجمهورية اليمنية وتركت على أرضها ألوف الشهداء الذين قضوا في سبيل قضية الحرية والتقدم .

وكان عام ١٩٦٤ الذي وصل فيه الفريق عبد المحسن مرتجى ليحل محل الفريق أنور القاضى بداية مرحلة جديدة هي مرحلة التعمير ونشر مبادئ الثورة .

ولم يكن جمال عبد الناصر راغبا في دفع القوات المصرية الى اليمن ، بل أنه كان حريصا على ألا يتحول تأمين الثورة الى نزيف يستنزف جهد مصر الاقتصادى .

أذكر أن جمال عبد الناصر قال في أثناء مقابلة معه بعد عنوان ١٩٦٧ (لقد أرسلت سرية الى اليمن واضطرت الى تعزيزها بسبعين ألف جندي) .

كانت حركة القوات المسلحة المصرية الى اليمن مرتبطة بمحاولات الملكيين المؤيدين من السعودية للانقضاض على الثورة والجمهورية ، واستنجد القادة اليمنيون بجمال عبد الناصر ، الذي لم يتردد في اللجوء الى أى سبيل يهدى الحالة في اليمن ويجعلها تستقر ٠٠٠ بما في ذلك الاتصال بحكومة الولايات المتحدة .

ولم تكن العلاقات مع الولايات المتحدة سيئة في بداية الحملة ٠٠٠ بل ان أنطوني ناتنج في كتابه (ناصر) يقول ان جمال عبد الناصر قد طلب من السفير الأمريكى نجون بادو أية ملفات عن اليمن ، ولم يجد السفير إلا ملحا قديما من السفارة الأمريكية في صغناء .

وكان ظهور البدر في السعودية لمحاربة الحكومة الجمهورية بداية
لحرب أهلية ، تهدد النظام الوليد الناشئ .

ويقول عبد الله السلال انه لم يكن ممكنا لقوات الثورة وحدها أن
تنتصر نهائيا على القبائل الموالية للبدر والسعودية .

وانه كان يؤمن بضرورة الاستعانة المباشرة بقوات مسلحة مصرية .

ويؤكد أيضا انه لولا التدخل الخارجي من السعودية لأمكن تسوية
الموقف داخل اليمن بقوات محلية .

ولكن السعودية كانت قد اختارت الطريق .

وقد أخذ بعض الضباط الوطنيين في الجيش السعودي موقفا ايجابيا
ضد العدوان على الحركة الثورية في اليمن ، فقد هرب ثلاثة من الطيارين
السعوديين بطائراتهم الى مصر طالبين حق اللجوء السياسي في ٢ أكتوبر
١٩٦٢ ، ومعهم صناديق أمريكية محملة بالسلاح والذخيرة .

ويقول محمد حسنين هيكل أن جمال عبد الناصر قد احتج لدى السفير
الأمريكي قائلا (ان هذه ليست بالطريقة السليمة للمساعدة وان هذا
النوع من المساعدات ينطوي على تقديم الموت على الصداقة) .

وأصدرت الحكومة السعودية أوامرها بعدم طيران القوات الجوية
السعودية ، وخاصة أنه هرب الى مصر أيضا بعد أسبوع واحد ثلاث
طائرات أردنية كانت مرابطة في جدة ومعها قائد سلاح الجو الملكي
الأردني .

ولكن السعوديين شجعوا القوات والقبائل الأمامية لاحتلال سبأ
وصعدة في الشمال وأصبحت تطرق أبواب صنعاء ٠٠٠ ولم يعد هناك
من أمل لانقاذ الموقف الا بإرسال مزيد من الوحدات المحاربة المصرية .

ويقول أنه لم يكن في خطة المصريين استفزاز السعوديين .

ويقول البيضاني أن عبد الناصر قد أوصاه قبل سفره بأن يتجنب
اثارة الخلافات المصرية السعودية .

وخلال هذه الفترة كانت هناك رسائل متبادلة بين جمال عبد الناصر
وجون كيندي الذي كتب رسالة يوم ١٧ نوفمبر ١٩٦٢ الى عبد الناصر
وكتب منها صورتين الى الملك حسين والأمير فيصل كما يقول محمد حسنين
هيكل في كتابه :

واقترح كيندى العناصر الأساسية الآتية :

١ - الاجلاء المرحلى والسريع للقوات الأجنبية عن اليمن .

٢ - انتهاء العون الخارجى للملكيين .

٣ - الاجلاء المرحلى والسريع للقوات التى أدخلت بعد الثورة فى اليمن ، الى منطقة الحدود السعودية اليمنية .

واقترح أن تصدر الجمهورية العربية اليمنية المتحدة بياناً تعلن فيه استعدادها للقيام بفك اشتباكها على أساس المقابلة بالمثل اذا سحبته القوات السعودية والأردنية من الحدود واذا أوقف العون السعودى والأردنى من الملكيين اليمنيين .

وقد رد عليه جمال عبد الناصر فى نفس اليوم بخطاب جاء فيه أنه يخرج بالخلافات العربية عن نطاقها المحلى لأول مرة . ويشير الى الطائرات الأمريكية التى هربت الى مصر بطيارىها السعوديين ومعها أسلحة وذخائر أمريكية الصنع .

ويقول بالتحديد (ومن ثم كالت استجابة الضرورية لطلب حكومة الجمهورية العربية اليمنية ، بوضع بعض قواتنا تحت تصرفها لتشارك معها فى الدفاع ضد الهجمات العنيفة التى تتعرض لها حدودها الشمالية فى منطقة صعدة فى ذلك الوقت التى اتخذت من منطقة نجران فى السعودية قاعدة لها) .

ويؤكد جمال عبد الناصر فى خطابه انه يمكن فرض انقلاب على شعب آخر من الخارج ، ولكن لا يمكن فرض الثورة لأنها طاقة داخلية تفجرها الشعوب فى أعماقها .

وكان السفير الأمريكى فى مصر بمشاعره مع ثورة اليمن ، وقد قال لجزيلان فى شهر ديسمبر ١٩٦٢ أن أمريكا سوف تعترف بثورتهم وأن فيصل سوف يخلف سعود . . . وكان ذلك ردا على تغطيته لموقف أمريكا من الثورة .

وما لبثت حكومة الولايات المتحدة أن اعترفت بجمهورية اليمن ، بينما رفضت بريطانيا الاعتراف ، وذلك لأن ثورة اليمن كانت فى أبعادها الحقيقية تهدد الاحتلال البريطانى فى عدن ، كما تهدد النظام الرجعى فى السعودية . . . بينما كانت الولايات المتحدة تحاول تثبيت أقدامها فى المنطقة .

واستمرت المراسلات بين كيندى وعبد الناصر حول ثورة اليمن مدة أطول من عام - حسب ما كتب هيكلي في كتابه - ووصل خلال هذه الفترة الى القاهرة السفير ايلسورث بنكر مندوبا عن كيندى يسعو الى السلام بينما كان هناك ضابط مخابرات أمريكي سابق اسمه (روبرت كور) يرتب ويقود ما عرف باسم (حرب كور) التي كان يقود فيها عددا من الجنود المرتزقة لصالح السعوديين والملكيين .

ترك جمال عبد الناصر للرئيس كيندى فرصة تنفيذ خطته بفك الاشتباك ، مع حذره من وقف المعونة العسكرية للثورة اليمنية حتى لا تسقط فريسة للتدخل الخارجي . . .

وقد استجاب الى رجاء السفير الأمريكي جون بادو بعدم مهاجمة الأراضي السعودية خاصة أثناء عمل لجنتي الزورت بنكر ورالف بانث منندوب الأمم المتحدة الذي فرضته بعد عرض القضية عليها في مارس ١٩٦٣ .

ولكن الاطمئنان لم يستقر أبدا في قلب عبد الناصر من السياسة الأمريكية ، التي أمدت اسرائيل في ذلك الوقت - ٢٧ سبتمبر ١٩٦٣ بصواريخ الهوك ، واستخدموا في ذلك خدعة سياسية اذ طلب السفير الأمريكي جون بادو مقابلته وأبلغه بالصفقة قبل اعلانها ، وعندما أعلنت واحتجت مصر قالت أبواق الدعاية الأمريكية انه لا حق لعبد الناصر في أن يحتج مادام قد استشير في أمرها .

وزادت الشكوك في قلب عبد الناصر عندما طلب منه كيندى التفتيش على المفاعل النووى المقدم لمصر من الاتحاد السوفييتى ، ورفضت مصر ذلك .

وطويت صفحة الاتصالات الشخصية حول القضية اليمنية بين مصر وأمريكا باغتيال جون كيندى ليلة ٢٢ نوفمبر ١٩٦٣ . . . وبعد أن كان يونانت قد أعلن في سبتمبر ١٩٦٣ عجز هيئة الأمم المتحدة عن تقديم حل عمل للمشكلة .

وكان هذا هو الشهر الذى انتهت فيه القوات المصرية من تنفيذ واجبها كما يقول الفريق القاضى وسحبت عددا آخر من القوات الى مصر .

مواقف عربية متنافرة :

كان الأمير فيصل شديد العناد في موقفه . . . وكان صاحب نفوذ متزايد في المملكة .

عندما قررت جامعة الدول العربية ارسال بعثة خاصة في أكتوبر ١٩٦٣ لمقابلة الملكيين ، عجزت عن مقابلتهم .

وعندما أرسل يوثانت مندوباً آخر من هيئة الأمم في محاولة أخيرة لحل المشكلة في ديسمبر ١٩٦٣ رفض الأمير فيصل مقابلته .

كان جمال عبد الناصر على استعداد دائم لفض الاشتباك في اليمن وإعادة القوات المصرية من هناك ، إذا ضمن تماماً عدم وجود احتمال تدخل خارجي ضد الثورة اليمنية . ولكن الأمير فيصل لم يعطه الفرصة أبداً بتدخله المستمر لمساعدة الملكيين بالأموال والأسلحة والقواعد .

وكان جمال عبد الناصر مدركاً أنه ينجذب الى ساحة المعركة بأكثر من توقعاته ، ولكنه لم يكن يملك حيلة أخرى لمساندة الثورة اليمنية والسلال كان حريصاً على شدة مصر الى اليمن كما ذكرنا ادراكاً منه للاخطار القبلية والرجعية التي تهدد محاولته نقل اليمن الى حضارة القرن العشرين .

وكان موقف مصر قد طرأ عليه تحسب ملحوظ بعد نجاح ثورة فبراير ١٩٦٣ في العراق ومارس ١٩٦٣ في سوريا وبله محادثات الوحدة الثلاثية في القاهرة التي كانت في واقعها تعبيراً عن ارادة الجماهير العربية .

اثناء محادثات الوحدة ثلث ميشيل عفلق الأمين العام لحزب البعث الاشتراكي في جلسة ١٩ مارس ١٩٦٣ بعد أربعة شهور من بله الوساطة الأمريكية لحل المشكلة اليمنية (الحقيقية يسيادة الرئيس ان عملية الجيش المصري في اليمن عملية تاريخية . . . هي اللحظة في مستوى التاريخ) .

وقال له جمال عبد الناصر معقبا لا ان رالف بانس قال انها عملية إنسانية أنها ليست ذلك بعد ما وحت هناك ولقيتها متأخرة عن أي بلد في أفريقيا) وكان رالف بانس قد غادر مصر في طريق عودته من اليمن قبلها بأيام . وكان التناقض بين مصر والسعودية يظهر في شكل مختلف .

السعودية تستضيف بقايا الاخوان المسلمين ، وبعض المصريين الهاوئين المتعاونين مع وكالات المخابرات الغربية

ومصر تستضيف الأمير طلال بن عبد العزيز الذي كان يطالب بحد أدنى من الديمقراطية في السعودية ، وذلك بعد الطيارين اللاجئين الى مصر والذين وصلوا الى اليمن واستقبلهم السلال في المطار يوم ١٩ نوفمبر ١٩٦٢ .

وتصادف في ذلك الوقت وقوع تحالف بين المغرب والجزائر حول الحدود في الصحراء ، وأرسل أحمد بن بيللا يطلب المساعدة من جمال عبد الناصر ، الذي بادر بإرسال كتيبة من المدرعات الثقيلة وصلت إليه في الوقت المناسب .

وهكذا كانت القوات المسلحة المصرية منتشرة بين الجزائر واليمن وسيناء في وقت واحد .

وكانت السعودية قد أعلنت رفضها قبول المحمل وكسوة الكعبة وهو تقليد مصري قديم محاولة بذلك إثارة المشاعر الدينية فتند جمال عبد الناصر

وكان صوت العرب في هذه الفترة يؤدي دوره المعروف في استشارة الجماهير ضد نظام الحكم السعودي والأردني خاصة بعد لقاء الملك حسين والأمير فيصل في الطائف أثناء اجتماعات شتورا ، وما قيل عن اتفاقهما على تكوين قيادة مشتركة ، وقد وزعت القوات المصرية ما يقرب من ١٠٠.٠٠٠ جهاز راديو ترانزستور على رجال القبائل وكان هذا الجهاز الصغير قد لعب دورا كبيرا في تهيئة الأذهان للشوورة ، وأصبحت مطلوبا منه أن يسهم في تأمينها عن طريق اقتناع الناس بما يسعونه من سيئات الحكم الملكي في صوت العرب كان للدعاية دور مثل دور القوات المسلحة .

وكانت بداية حكم جونسون في الولايات المتحدة تعبر عن تغيير في علاقات مصر ، فقد توقفت المراسلات التي كانت تتم مع كنيدي . . . واتخذ جونسون موقفا أكثر صراحة في تأييد السعودية .

وعندما أهل عام ١٩٦٤ كانت اليمن تدخل مرحلة جديدة سياسيا وعسكريا واجتماعيا .

معالم جديدة في طريق الثورة اليمنية :

قال الفريق عبد المحسن مرتضى ان عام ١٩٦٤ قد تميز بالبداية في مرحلة التعمير والتطور الاجتماعي بعد استقرار الوضع العسكري نسبيا .

وكانت معالم الحياة العصرية قد بدأت تدخل اليمن . . . في بداية عام ١٩٦٣ صدر أول قانون للتجنيد والخدمة العسكرية والوطنية ، ونص على أن الخدمة العسكرية شرف لكل يمني من الذكور ابتداء من سن الثامنة عشرة حتى الثلاثين . . . وعرف الجيش اليمني تنظيم الأسلحة لأول مرة في تاريخه .

وصدر دستور مؤقت لليمن فى أغسطس ١٩٦٣ تنص مادته الأولى على أن (اليمن دولة اسلامية عربية مستقلة ذات سيادة وهى جمهورية ديموقراطية والشعب اليمنى جزء من الأمة العربية) . وتنص مادته التاسعة على أن (الملكية الخاصة مصونة وينظم القانون أنواعها ووظيفتها الاجتماعية) .

وقد صدر الدستور بعد ذلك فى يوليو ١٩٦٤ ونص على أن تكون السلطة التشريعية مشكلة من مجلس شورى يختار أعضاؤه ومدته ٣ سنوات من أول اجتماع له وهو الذى يرشح رئيس الجمهورية بتوقيع ثلث الأعضاء ، ويتم الانتخاب بأغلبية الثلثين .

وكان اعلان الثورة عن الغاء الرق والفوارق القبلية والدينية والمساواة بين الطوائف والغاء التفرقة بين الزيود والشوافع ومنع الرق والاستعباد والرهائن ٠٠٠ كان هذا الاعلان خطوة تقدمية كبيرة .

وخلال عام ١٩٦٤ وضعت خطة كبيرة لنشر المدارس والتعليم وتعبيد الطرق والرعاية الصحية ٠٠ وكان الناس قد شاهدوا السينما لأول مرة فى حياتهم . ويذكر أن الجماهير قد تظاهرت ضد أول عرض سينمائى باعتبار أن ذلك خارج على الدين .

وكان الفريق عبد المحسن مرتجى القائد الجديد الذى أشرف على هذه التطورات مقتنعا بأن أخطر قرار كان ارسال قواتنا فى كل أنحاء اليمن . لأن ذلك كان يدفعها الى التورط فى معارك غير متكافئة بين قوات نظامية دربت على تكتيكات الحرب التصادية وبين قوات قليلة بدائية تستقر فى قمم الجبال وتسيطر على دروبها ، وتختفى فى الكهوف والحفر من قصف الطائرات .

كل القادة يقولون بذلك ولكنهم فى الحقيقة يتحملون مسئوليتهم الفعلية .

ورغم وصول القوات المصرية الى حدود اليمن الشمالية والشرقية . ورغم السيطرة الشكلية العامة على اليمن ٠٠٠ فان الجيوب والقبائل المعادية ظلت عاملا مؤرقا للقوات المسلحة المصرية ٠٠٠ ولكن بدرجة أقل . وقد ثبت اسهام بعض المرتزقة من الاوربيين الذين سبق لهم أن حاربوا فى كاتانجا بالكونغو - تحت علم الملكيين .

ويقول الفريق مرتجى أنه كتب تقريرا للقيادة فى القاهرة يقول فيه أن مشكلة اليمن لن تحل عسكريا وانما سياسيا .

ووجد هذا التقرير استجابة من عبد الناصر الذى كان أكثر الناس إدراكا لخطورة النزيف المستمر للقوات المسلحة ٠٠٠ التى كانت قد بدأت تعامل معاملة أخرى مختلفة عن الشهور الأولى ٠٠٠ زادت المرتبات والعلاوات ٠٠٠ وقللت العمليات الحربية ٠٠٠ واستكانت معظم الوحدات فى المعسكرات بلا تدريب ٠٠٠ وأصبح الضباط يرغبون فى الذهاب الى اليمن للفوائده المادية التى يحصلون عليها .

وتطورت معاملة الضباط الى حد احضار الطعام لقياداتهم الكبيرة أحيانا من محلات جروبى بالقاهرة ٠٠٠ بينما عامة الجنود تحت ضغط ظروف شديدة القسوة .

وكان مؤتمر القمة الأول الذى عقد فى القاهرة فى ٢٣ يناير ١٩٦٤ قد أخذ توصية بتصلية الجو بين مصر والسعودية ، بعد أن كانت العلاقات قد اقتربت بين القاهرة وعمان قبل المؤتمر ، ولكن مضت الشهور دون أخذ خطوات ايجابية فى هذا السبيل .

وقام جمال عبد الناصر بزيارته الأولى لليمن بعد ثلاثة شهور من انعقاد المؤتمر فى ٢٣ ابريل ١٩٦٤ وصحبه فى هذه الزيارة المشير عامر وذكريا محيى الدين وأنور السادات .

ويقول ذكريا محيى الدين أنه لاحظ أهمية الدور الذى تلعبه القوات المسلحة المصرية فى تأمين الثورة اليمنية ، بما ترك انطبعا عنه بأن انسحاب القوات دفعة واحدة يؤدى الى انهيار الجمهورية .

وكانت علاقاته القاهرة مع بغداد قد وصلت الى حد اعلان الوحدة فى ١٦ مايو ١٩٦٤ وتعيين ثلاثة وزراء مصريين كوزراء وحدة (شعراوى جمعة وعلى السيد وكمال الحناوى) .

الهدوء يسود العلاقات العربية بعد مؤتمر القمة ٠٠٠ وتكوين القادة العربية المشتركة يغير طبيعة العلاقات بين مصر والأردن أيضا ٠٠ والملك حسين يعلن المشير عبد الحكيم عامر أثناء زيارته لعمان فى شهر يوليو ١٩٦٤ لمهمة عسكرية بأنه سوف يسحب مساعدته للملكيين ، وكان ذلك عقب تصريح أصدرته الحكومة البريطانية فى نفس الشهر تعلن فيه أن اليمن الجنوبية سوف تحصل على استقلالها ليس متأخرا عن عام ١٩٦٨ ٠٠٠ وجمال عبد الناصر يذهب الى تونس لمشاركة بورقيصة فى احتفالات جلاء آخر جندي فرنسى عن بنزرت .

وبدأ الموقف أمام السعودية يتغير .

كانت هناك خلافات داخلية لا تغلغها السرية المطلقة بين الملك سعود وولي العهد الأمير فيصل ... وقد احتدت هذه الخلافات بينهما الى درجة كبيرة ، ولعب فيها الأمير فيصل دوره بمهارة السياسى المتبحر على الاحتكاك بالمجالات الدولية ، صاحب العلاقات الطيبة مع الولايات المتحدة .

وقدر الأمير فيصل ضعف السعودية بعد انسحاب الأردن من قضية اليمن ، وعجز الملكيين عن تحقيق انتصار كامل على الجمهوريين ، واستجاب فى نفس الوقت الى روح مؤتمر القمة التى كانت تتعارض مع ارادة الملك سعود ، فأرسل رسالة الى عبد الناصر فى شهر سبتمبر ١٩٦٤ يبدى فيها استعدادة لمناقشة وقف اطلاق النار ...

كان الملك حسين قبله قابل جمال عبد الناصر بالاسكندرية فى زيارة خاصة خلال أغسطس ١٩٦٤ سبقت مؤتمر القمة الثانى الذى عقد فى فندق فلسطين فى المنتزه بالاسكندرية لعب فيها دور الوسيط بين القاهرة والرياض لمحاولة تهدئة الموقف وتصفيته ، وهو الأمر الذى انتهى برسالة الأمير فيصل الى عبد الناصر .

وعندما اجتمع مؤتمر القمة فى سبتمبر كان الأمير فيصل هو الذى يرأس وفد السعودية بعد أن كان الملك سعود قد رأس المؤتمر الأول وكان المشير عبد الله السلال هو رئيس الوفد اليمنى والتقى الاثنان معا .

وأبلغ الأمير فيصل جمال عبد الناصر بقرب عزل الملك سعود من منصبه ، الأمر الذى نفذ فعلا فى ٣ نوفمبر ١٩٦٤ ، وأصبح الأمير فيصل ملكا للسعودية ، وسافر زكريا محيي الدين لتهنئته بمنصبه فى محاولة من جمال عبد الناصر لتهذبة الموقف وبعدها بيومين فقط فى ٥ نوفمبر أعلن الطرفان قبول وقف اطلاق النار ، بعد أن كانت قد تمت فى أركويت بالسودان اجتماعات خلال شهر أكتوبر بين الملكيين والجمهوريين لدراسة اتفاقية هدنة كان قد تم الاتفاق عليها فى الاسكندرية .

ولكن الأمر لم يتحقق فى سهولة ... فان غلاة الجمهوريين أعلنوا رفضهم الجلوس مع أحد من الأسرة المالكة لجرائمهم السابقة التى ارتكبوها ... وألبدوا لم يقبل من الجهة الأخرى وقف اطلاق النار .

لهذا فانه لم يكده يمضى شهر واحد حتى خرج على اتفاق وقف اطلاق النار الملكيون من الجبال وهاجموا الجيش المصرى فى مواقعه التى كان يعسكر فيها قرب الحدود .

وعاد الملكيون للقتال من جديد .

الثورة في جنوب اليمن :

ولكن أيام القتال الصعبة قد مضت بانتهاء عام ١٩٦٣. ولم تعد هناك سوى دوريات قتال تتحرك الى مناطق بعض القبائل التي كانت تعتبر مثل الرمال المتحركة ، مواقفها غير مستقرة ، قد تجدهم جمهوريين في النهار ويتحولون في الليل لمساعدة الملكيين .

كان اتساع مساحة اليمن وانتشار القوات العربية عليها يسمح بتعكير صفو الأمن والسلام عن طريق الكمائن أو التعرض للقوات الغابرة من قمم الجبال .

ومع ذلك يمكن القول اجمالاً بأن الموقف العسكري في اليمن لم يكن شديد الالتهاب ولم يكن قتالاً مستمراً لا يتوقف وأنه لم يكن هناك من شيء يحول دون تقدم المجتمع اليمني بقوة دفع ثورته إلا تناقضاته وخلافات مشايخ القبائل ورجال السياسة .

ومع اتجاه الموقف للهدوء النسبي ظل الوجود البريطاني في الجنوب يشكل خطراً دائماً على الثورة .

وكان سلاطين يافع والفضل والضالع وبيحان والغزالي العلياء والغوازل قد اتفقوا عام ١٩٥٩ على تشكيل (اتحاد الماراتة الجنوب) على أن يرتبط الاتحاد بمعاهدة حماية وصداقة مع بريطانيا كما تمهدوا بالآلا يدخلوا في أية علاقات خارجية من أي نوع دون موافقة بريطانيا ، وكان ذلك بعد هروب جيش لحج بأكمله الى اليمن عام ١٩٥٨ وعزل بريطانيا للسلطان علي عبد الكريم وتولية السلطان فضل بن علي مكانه .

وبدأت المقاومة في جنوب اليمن ، ودعا حزب الشعب الاشتراكي (عبد الله الأصم) الى التظاهر احتجاجاً على تشكيل المجلس التمثيلي بعدن والمطالبة بعقد انتخابات عامة وتكوين حكومة منتخبة في عدن قبل البدء في موقفها من الاتحاد ، وكانت بريطانيا قد أصدرت كتاباً أبيض عام ١٩٢٦ جاء فيه (أن تصبح محمية عدن ضمن ولايات الاتحاد ابتداء من مارس ١٩٦٣) .

وكان اندلاع ثورة ٢٦ سبتمبر فرصة فريدة لمساندة النضال الثوري في الجنوب .

وقد أسهمت مصر في ذلك اسهاماً كبيراً . . . قال جمال عبد الناصر في خطابه للشعب يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٦٣ في بور سعيد موجهاً الحديث الى البريطانيين « هم يروحووا يحتلوا عدن والجنوب والمحميات والخليج

ويعتبروا ده حقهم واحنا لما الثورة اليمنية تطلب منا أن نساندها ضد العدوان يزعلوا قوى الانجليز « ٠٠ ثم يوجه لهم الاتهام بأنهم يساعدون الملك سعود بالسلاح وبعثة عسكرية من ٣٧ ضابطا لتنظيم الجيش وبعد أن كانت العلاقات مقطوعة بينهما تحسنت .

ثم يقول جمال عبد الناصر ان « احتلال بريطانيا لعدن والجنوب المحتل رغم ارادة الشعب » ثم يعلن صراحة « احنا بنؤيد أحرار عدن وأحرار الجنوب المحتل بكل قوتنا ، وأن كل امكانياتنا ستستخدم للتخلص من الاستعمار البريطاني فى هذه المنطقة » .

ويقول عزت سليمان وكيل المخابرات العامة وأحد الضباط الذين أسهموا فى التعاون مع حركات التحرير فى عدد من الدول العربية انهم كانوا قد فتحوا معسكرا فى تعز لتدريب المتطوعين واعدادهم للكفاح المسلح فى الجنوب ٠٠٠ وانهم أطلقوا على هذه العملية اسم (صلاح الدين) .

وقبل خطاب جمال عبد الناصر بأيام فى ديسمبر ١٩٦٣ ألقى قبلة يمنية على المنسوب السامى البريطانى وجماعة من قادة الاتحاد كانوا على وشك مغادرة مطار عدن الى لندن لاجراء مباحثات دستورية ٠٠٠ واعتبر هذا الحادث الذى قتل فيه اثنان وجرح خمسون شخصا ذروة اضطرابات عام ١٩٦٣ .

وخلال زيارة جمال عبد الناصر الأولى لليمن قال فى المؤتمر الشعبى بصنعاء يوم ٢٣ ابريل ١٩٦٤ « ان بريطانيا لا بد أن تغلوا عن عدن . وأن كلا من عدن والجنوب العربى أرض عربية ، وأنه من المستحيل تماما على بريطانيا أن تفرق عربا عن عرب أو يمنيين عن يمنيين ٠٠٠ اننا لن نسمح للاستعمار بأن يبقى فى أى جزء من أجزاء الوطن العربى » .

وفى الشهر التالى قام وزير المستعمرات البريطانى بزيارة عدن وأعلن أن مؤتمرا يتم عقده فى لندن مع منتصف يونيو لمعرفة وجهة نظر المنظمات السياسية فى وضع عدن وعلاقتها مع الاتحاد ٠٠٠ وهو المؤتمر الذى انبثق منه الاعلان بأن الجنوب سوف يحصل على استقلاله ليس متأخرا عن عام ١٩٦٨ .

وكانت الحركة الوطنية فى الجنوب غير محتشدة فى تنظيم أو جبهة واحدة ٠٠٠

وكان هناك تضارب شديد فى وجهات النظر ، وفى أسلوب النضال .

وأطلقت الطلقات الأولى لثورة الجبهة القومية في ردفان يوم ١٤ أكتوبر ١٩٦٤ وصحب ذلك اعلان أصدرته عن نفسها كمنظمة للكفاح المسلح حتى تتحقق الأهداف الوطنية .

وتعرضت القاهرة نتيجة الخلافات بين القوى الوطنية في اليمن الى مواقف حرجية لم تتعرض لها في الشمال حيث لم تكن هناك تنظيمات سياسية مؤثرة ، وحيث كان التخلف أكثر تأثيرا في الشمال عنه في الجنوب .

والأسلوب الذي انتهجته القاهرة للتعاون مع القوى الثورية كان استمرارا لأسلوبها السابق على ضباط المخابرات المسئولين عن الثبوت العربية ، وهو أسلوب يثير كثيرا من الحرج في معاملة الثوريين ، ورغم نواحيه الايجابية في المساعدة ، الا أنه غالبا ما يكون ضامرا في النواحي السياسية وله تأثير عكسي .

وكانت عقيدة عبد الناصر هي تشكيل جبهة شعبية تضم كل القوى ، ولكن الخلافات كانت أشد عنفا ، الأمر الذي وضع ضباط المخابرات في وضع الاختيار اضطراريا .

وكانت الجبهة القومية قد حددت بالعنف كل من ينوي حضور المؤتمر الذي دعت له بريطانيا ٠٠٠ وأعلن حزب الشعب الاشتراكي مقاطعته أيضا للمؤتمر .

وفي مارس ١٩٦٥ تولى عبد القوى مكاوى الوزارة كأول عربي وبدأ بمطالبة بريطانيا بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة .

وبدأت أيضا محاولة الجامعة العربية لتوحيد جهود المنظمات الوطنية والثورية في الجنوب لتوحيدها في منظمة واحدة ولكن الجهود لم تنجح .

وفي شهر مايو دعا عبد الله الأصنج الى مؤتمر في تعز أعلن فيه قيام منظمة تحرير الجنوب كمنظمة تؤمن بالكفاح المسلح وسيلة لتحقيق الأهداف الوطنية ٠٠٠ وطالب القاهرة بالعون المادي .

وقد أجبرت هذه المواقف بريطانيا على الغاء المؤتمر ، وأعلنت عن ارسال بعثة دستورية للنظر في نوعية الكيان الدستوري للدولة الجديدة ، وأعلن عبد القوى مكاوى أنه سيمنع البعثة من دخول عدن ٠٠٠ وتراجعت بريطانيا مؤقتا عن فكرة البعثة وأرسلت جرينوود وزير المستعمرات في شهر يوليو الذي أعلن تحفظ بريطانيا في سحب قواتها تحت ضغط أعمال العنف والثورة التي تجتاح كل مدن اليمن ٠٠٠ وقد رفض مكاوى فكرة تشكيل حكومة تمثل فيها منظمة التحرير بنسبة ٦٠ في المائة .

وفى سبتمبر وصلت البعثة الدستورية الى اليمن ورقض مكاوى
استقبالها ٠٠ فانهى المندوب السامى سلطات الحكومة فى عدن وبدات
حملة اعتقالات واسعة ٠

وفى يناير ١٩٦٦ اتحدت منظمة التحرير مع الجبهة القومية وكونتا
معا (جبهة تحرير اليمن المحتل) ٠

واستمرت عمليات الكفاح المسلح فى الجنوب تزداد عنفا وضراوة ٠
المصدر الرئيسى لها فى السلاح والتدريب كانت مصر التى اعتمدت خطة
صلاح الدين ٠٠٠ وما كان ذلك ليتحقق لولا ثورة ٢٦ سبتمبر التى حولت
ارض الشمال فى اليمن الى ساحة تدريب لثوار الجنوب ٠٠٠ التى أصبحت
سياجا يحمى ظهورهم ويمدهم بكافة ما يحتاجون اليه من أسلحة
وامدادات ٠

الكفاح المسلح الذى قهر الوجود والاستعمار البريطانى فى عدن
والجنوب ، كان ثمرة من الثمار الرئيسية العديدة لثورة ٢٦ سبتمبر ٠

ورغم وجود وبقاء الخلافات بين تنظيمات الجنوب التى لم تنته
بالوحدة التى تمت فى (جبهة تحرير جنوب اليمن المحتل) ٠٠٠ فان
خطوات الكفاح المسلح لم تتوقف حيث انتهت بالنصر النهائى وجلاء
الاستعمار عن عدن ٠ قال عبد الفتاح اسماعيل أمين عام الجبهة القومية
فى تقريره أمام المؤتمر الخامس فى مارس ١٩٧٢ (بعد سنة من انتظار
ثورة ٢٦ سبتمبر أخذت جماهير الشعب اليمنى فى الشطر الجنوبى تفجر
النضال المسلح ضد الاستعمار البريطانى وعملائه) ٠

وقال على ناصر محمد عضو المكتب السياسى للجبهة القومية فى
خطابه أمام اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى فى ٢٨ سبتمبر
١٩٧١ « ان شعبنا اليمنى بأجمعه لن ينسى مدى التاريخ بأن ثورته لم تكن
تقف على قدميها أسبوعا واحدا لولا الزعيم الخالد جمال عبد الناصر
والشعب المصرى الشقيق » ٠

الخلافات أيضا فى الشمال :

واذا كانت الخلافات فى الجنوب قد أخذت هذا الشكل الحاد الذى
انتهى بصدام بين القوى المختلفة وصل الى حد التصفيات البدنية من
الطرفين ٠٠٠ فانها فى الشمال أيضا كانت موجودة وقائمة ٠٠٠ ولها طابع
قبلى وطبقى خاص ٠

ومنذ قامت ثورة ٢٦ سبتمبر وهدفها الأكبر هو تصفية نظام الامامة
ووقف هجمات الملكيين المعتمدة على السعودية ٠

ولكن كافة القوى الداخلية من العسكريين أو رجال القبائل لم تكن متحدة الهدف ٠٠٠ والتنظيمات السياسية على اختلاف اتجاهاتها لم تكن ذات نفوذ واضح قوى يمكن التأثير من خلاله على الجماهير وأفراد القبائل المنتشرين في أرجاء اليمن الواسعة .

وكان وجود السلال في قمة ثورة سبتمبر دافعا لاتخاذ موقف مضاد له من بعض القبائل التي كانت تعيش أسيرة نفوذ وتقاليد بالية ، وتزن الرجال بميزان الأصل والنسب .

وأخذت هذه الاتجاهات المتخلفة تتبلور في شكل جناح عقد عدة مؤتمرات في عمران ١٩٦٣ ، والخمر ١٩٦٥ ، والجند في أواخر نفس العام .

ضمت المؤتمرات العناصر الرجعية المتخلفة التي استترت خلف ستار « تجنيب اليمن ويلات الحرب الأهلية » واتصل بعض أفرادها سرا بالسعوديين والأمريكيين ووقفوا موقف التحفظ من وجود القوات المصرية المسلحة .

كان أبرز أهداف هذه الفئة هو الرغبة في تنحية عبد الله السلال ومحاصرة دور مصر والتشهير بمن يتعاون مع القوات المصرية باعتبارهم عملاء وليسوا وطنيين .

وكانت القاهرة تستقبل هذه الخلطات بضيق شديد ٠٠٠ فظهور العداء في صفوف الجمهوريين كان يشكل خطرا أشد من مجابهة الملكيين ، ولكنها لم تأخذ خطوات سياسية لتصفية المشاكل في مهدها .

كان العمل السياسي يكاد يكون محظورا على اليمنيين وعلى القوات المصرية ، أيضا الأمر الذي أضعف فرصة وجود تفاعل سياسي عميق مع الجماهير المتعطشة الى التحرير من تخلف الامامة بشكل موضوعي فعال .

وكثيرا ما أميد الى القاهرة بعض الضباط الذين دفعتهم روحهم الوطنية الى اقتحام حديث السياسة ، وأصبح هناك تعبير شائع بأن فلان (اثانتف) بمعنى أن الطائفة السوفيتية الجبارة حاملة المدبابات والطائرات (الانتينوف) قد عادت به الى مصر .

كانت قبضة المخابرات في اليمن شديدة أيضا ٠٠٠ وكانوا هم العنصر المؤثر في إعطاء الصورة للقيادة السياسية في القاهرة ، والعنصر الرئيسي في تحديد موقف الزعماء اليمنيين .

وعندما بلغت الخلافات السياسية درجة عنيفة عقد جمال عبد الناصر اجتماعا في قصر الأمير عبد المنعم بمصر الجديدة في يناير ١٩٦٥ حضره عبد الله السلال وحسن العمري وعبد الحكيم عامر وأنور السادات وأنور القاضي ٠٠٠ وفي هذا الاجتماع تقرر عودة الفريق أنور القاضي لليمن مفوضا سياسيا وعسكريا معا ، لحل المشاكل الداخلية بين الجمهوريين دون انتظار الرجوع الى القاهرة في كل صغيرة وكبيرة .

ولكن هذا الأسلوب الجديد لم يفلح أيضا في حسم الخلافات الداخلية ٠٠ وانجازات معظم الأجهزة المصرية الى مجموعة الأرياني والنعمان وحسن العمري باعتبارهم القوة الرئيسية القادرة على توجيه الأمور وقيادتها ٠٠٠ وكان الزبيرى قد لقي مصرعه بعد مؤتمرهم الأول في عمران .

وخلال هذه الفترة حدثت عدة وساطات للتهدة بين مصر والسعودية قامت بها الأردن والكويت والجزائر .

وبادر جمال عبد الناصر بالذهاب يوم ٢٤ أغسطس ١٩٦٥ الى جدة لمقابلة الملك فيصل وصحبه زكريا محيي الدين . ويقول زكريا محيي الدين أن جمال عبد الناصر كان حريصا على عودة السلام الى اليمن ، وأنه لم يتردد مطلقا في الذهاب الى السعودية عندما وجد أن ذلك قد يحقق هدفه الكبير .

ويقول زكريا محيي الدين ان جمال عبد الناصر كان يود أن يذهب الى مؤتمر القمة الثالث في الدار البيضاء الذي كان مقررا عقده بعد ثلاثة أسابيع من الزيارة ، ومشكلة اليمن لا مكان لها في جدول الأعمال ولا في مناقشات المؤتمر الجانبية .

وكانت الزيارة قد تمت بعد نقض الملكيين لاتفاق وقف اطلاق النار السابق المعلن في ٧ نوفمبر ١٩٦٤ ٠٠٠ وانتهت باتفاق جديد للهدنة على أن تسحب مصر جنودها خلال عام ، ويسحب البدر جنوده أيضا ٠٠٠ وتوضع نقطة مراقبة أمام امانة بيجان ٠٠٠ وينعقد مؤتمر في حرض .

وقبل أن ينعقد المؤتمر وحتى يزول جمال عبد الناصر أية مصاعبة يمكن أن تعترض طريق الاتفاق استدعى السلال الى القاهرة في أكتوبر ١٩٦٥ ليمنع المجموعة الأخرى فرصة الانفراد بالحكم اختبارا لنواياهم ومحاولة لتقليل الخلافات ورغبة في الوصول الى اتفاق .

واستجاب السلال لارادة عبد الناصر رغبة منه في البرهنة على حسن نيته وعن استعداده لقبول أية توضيحات أو تنازلات تمهد للسلام ، وبقي

في القاهرة وعين أحمد محمد النعمان رئيسا للحكومة ، ومنح حسن العمري رتبة الفريق وعين نائبا لرئيس الجمهورية وقائدا عاما للقوات المسلحة ، وأصبح العمري يمارس كل صلاحيات المشير السلالة .

ولم ينعه مؤتمر حرض الذي مثل مصر فيه الفريق محمد فريد سلامة رئيس هيئة العمليات ، ومثل السبعودية الأمير عبد الله ، لخلافات بين اليمنيين .

وتغير الفريق أنور القاضي القائد العام للقوات المصرية وعين اللواء أركان الحرب طلعت حسن على في يوليو ١٩٦٦ ٠٠٠ وقد استدعاه المشير عامر قبل سفره الى اجتماع حضره حسن صبرى الخولى والسيد أحمد شكرى ٠٠٠ وعندما تساءل اللواء طلعت عن طبيعة مسئوليته قيل له انها تفويض سياسى وعسكرى يمثل فيه جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ويخضع لتعليماته حسن صبرى الخولى المسئول عن الاعانة فى اليمن وكذلك السفير وكل الأجهزة بما فيها المخابرات العامة .

ويقول اللواء طلعت أنه سرعان ما اكتشف أن المجموعة الحاكمة تقامر على الوجود المصرى بصلاوات سرية مع السعوديين والأمريكيين وانها تمثل ردة رجعية عن أهداف الثورة ، ولذا طالب بعودة السلالة الذى ما ان عرفت هذه المجموعة أنه فى طريق العودة حتى أخرج حسن العمري بعض الدبابات اليمنية لمحاولة منع السلالة من الحضور ، ولكن اللواء طلعت واجهه صراحة بأنه سيحطم كل دبابة لا تعود الى موقعها خلال ساعتين ، وتراجع العمري ووصل السلالة وحدثت مشادة بينه وبين العمري فى المطار .

وكان جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وأنور السادات قد قاموا بزيارة السلالة فى منزله بالاسكندرية لمناقشة موضوع عودته والاتفاق على الخطوط الرئيسية للمستقبل .

وهنا طلبت هذه المجموعة التى شملت الارياى والنعمان ومعظم الوزراء تقريبا الذهاب الى القاهرة للمناقشة حول موقفها من السلالة ووجود القوات المصرية وتحميل مصر ما يحدث فى اليمن من مشاكل .

ويقول اللواء طلعت أنهم كانوا قد دبروا أمرهم على الذهاب الى هيئة الأمم المتحدة للمطالبة باخراج القوات المصرية من اليمن ٠٠٠ ولكنه وضعهم فى طائرة مصرية هبطت فى القاهرة ٠٠٠ وعندما وصلوا لم يجدوا أحدا من المسئولين فى انتظارهم ، وذهبوا الى شمس بدران مدير مكتب عبد الحكيم

عامر الذى خرجوا من مكتبه الى المعتقل بناء على أوامر عبد الناصر عدا القاضى عبد الرحمن الارياى الذى ظل طليقا ولم يسمح له بمغادرة مصر .

ولم يكن احتجاز هذه المجموعة فى مصر خارجا على تقاليد اللعبة السياسية فى الوطن العربى .

ويقول عزت سليمان إن جمال الناصر سبق أن استجاب لطلب أحمد بن بيللا فى اعتقال اثنين من الجزائريين وقد انقذهما ذلك من شر أكبر .

واعتقال هذه المجموعة فى مصر لاشك أنه أنقذها من عسف السلال بعد عودته مؤيدا من القاهرة ومحميا بالقوات المسلحة .

يقول الدكتور محمد على الشهارى مدير مكتب السلال أنه كان ينوى الفتك بهم بعد مشاهدته مع حسن العمري لولا السفير المصرى أحمد شكرى الذى تدخل لمنع ذلك حتى لا تقع المسئولية على مصر ، وخاصة بعد أن كانوا قد أصدروا منشورات معادية لمصر وزعت فى بيروت .

ويقول عيد الله السلال أن السفير المصرى أحمد شكرى لم يكن خير مثال لثورة عبد الناصر وأفكاره التقدمية ، وأنه كان يتصرف بطريقة مثيرة ، يفتح أبوابه لمشايخ القبائل ويرتاح للتعامل مع الأقرباء منهم ، وإن ذلك كثيرا ما كان يبعث الضيق فى نفس السلال الذى نبت فى أسرة متواضعة وتشربت نفسه بروح الثورة منذ انتفاضة عام ١٩٤٨ ، والذى أمضى أيامه فى السجن حائقا على الإمام والمرتبطين به من مشايخ القبائل .

وفى لقاء للسلال مع عبد الحكيم عامر شكاه له تصرفات السفير المصرى وسأله (هل هو ابن باشا) وضحك عامر وأجابته (لا) ولكنه متزوج من بنت باشا) .

وأحمد شكرى كان ضابطا فى الجيش ورئيسا لعمليات الفريق القاضى وحصل على ترقية استثنائية برتبتين ثم أصبح سفيرا .

ولم يستمر أحمد شكرى طويلا بعد ذلك فقله نقل بعد توصية من القائد العام الجديد .

وكان أسلوب اللواء طلعت حسن يختلف عن أسلوب القادة السابقين وخاصة بعد استقرار الأمور نسبيا بعد عودة السلال .

من الناحية الداخلية أوقف صرف معونات القبائل التى كانت تشكل نزيها للمالية المصرية ، واتخذ موقفا حاسما من المتأمرين والمتلاعبين على

امن الثورة فشكل في أكتوبر ١٩٦٦ أول محكمة عسكرية عليية حاكت
وزير شئون القبائل الدصني الذي كان يطلق قذائف البازوكا على المواقع
المصرية ليلا ويعمل في النهار وزيرا .

رأس المحكمة وزير الداخلية الضابط السابق محمد الدهنومي وكانت
عليية صرح للسفراء بحضورها .

وحاكت أيضا ضابطا يمنييا اسمه هاوي عيسى كان يؤدي دور
قاطع طريق يحرسه ٥٠٠ جندي ويرهب الناس بسطوته . يسرق
الجمارك . . . ويقول اللواء طلعت أنه ذبح محافظ تمز ليحل محله ، وقطع
لسان شخص جرؤ بالتحدث عن بعض جرائمه .

ويقول اللواء طلعت انه عندما صارح جزيلان بأنه سيحاكمه تردد
قائلا انه يفضل اغتياله سرا ، ولكن طلعت أصر وقدمه للمحكمة نفسها
أيضا .

وحاكت المحكمة بعد محاكمة عليية بأعدام سبعة متآمرين منهم
الوزير والضابط هاوي عيسى .

ولم تكن هذه المحكمة هي المحكمة الوحيدة بل شكلت محاكم عليية
أخرى في مختلف القطاعات .

وانتهى عهد الاخلال بالنظام واستتبه الأمن بعد أن كان الجنود
المصريون يتمرضون كثيرا لأعمال الغدر .

ومن الناحية السياسية كون ما سماه (مكاتب سياسية) تتشكل
من ضابط صاعقة واثنين من ضباط الصف وتمرجي يعيشون مع القبائل
الموالية حياتهم الخاصة بكل تقاليدها ويتناقشون معهم في مختلف القضايا
السياسية والفكرية . . . وكان هذا أول نسيج بين الناحية السياسية
والعسكرية .

تكونت هذه المكاتب السياسية في شتى أنحاء اليمن . . . الجوف
وصعنا .

ومن الناحية العسكرية واصل تركيز القوات في مثلث تعز صنعاء
الجديدة . . . بل وبدأ عملية تخفيف للوحدات نزلت بعدد القوات المصرية
التي كانت قد بلغت ٧٠.٠٠٠ جندي عام ١٩٦٥ لتصبح حوالي ٢٠.٠٠٠
جندي فقط عند حدوث العدوان على مصر في يونيو ١٩٦٧ .

ولا شك أن انسحاب القوات المصرية الى هذا المثلث مع استتباب
الأمن إنما يثبت خطأ الاندفاع منذ البداية لكافة أرجاء اليمن .

ويضرب اللواء طلعت دليلا على ذلك بأنه أمكن تطهير طريق صنعاء
صعدة بعد أن قطعت قوات الملكيين بخمسة آلاف جندي يمني فقط تساعدهم
الطائرات والمدفعية المصرية بلا جنود مصريين مطلقا ، ونتيجة ذلك استولت
القوات على كميات من الأسلحة والذخائر الأمريكية .

ومن ناحية التعمير ألغى استيراد الخضر من مصر وكلف الوحدات
بزراعتها في اليمن ، وبدأ في تكوين شركة مصرية يمنية لاصلاح الأراضي
وزراعتها ، كما حصل من هيئة الأمم على معونة قدرها ٢٠ مليون دولار كان
يحرص على وصولها للقبائل مع قوافل ثقافية تضم الكتب والسينما
والندوات العلمية ، وأنشأ مجلسا اقتصاديا على رأسه جزيلان وكان طلعت
يحضر اجتماعاته للنهوض باليمن .

عنوان ١٩٦٧ :

وخلال هذه الفترة التي عاود فيها السلال الى اليمن ، وعين اللواء
طلعت حسن قائدا للقوات ، وعزلت المجموعة الرجعية الاقطاعية في مصر ،
أصبح الموقف الاجتماعي في اليمن أكثر وضوحا وتحديدا ، والموقف
السياسي في الشمال أكثر استقرارا بينما التهب الموقف في الجنوب
واشتعلت المقاومة المسلحة .

وكانت العلاقات قد تردت الى الغاية بين مصر والسعودية أمام الاصرار
على عدم المساعدة في تسوية نهائية للمشكلة .

وكان الملك سعود قد طلب الحضور الى مصر مع بعض أبنائه ..
وبشهادة العرب فتح جمال عبد الناصر له أبواب مصر وهو الذي سبق له
أن تأمر على حياته الشخصية ، ثم تأمر على وحدة الجمهورية العربية
المتحدة .

وطلب الملك سعود الذهاب الى اليمن ليكفر عن مساعداته للبدر
وليزد لأخيه الملك فيصل مؤامراته عليه .

وصل الملك سعود ومعه المشير عامر وأتور السادات وشمس بدران
الى اليمن يوم ٢٤ ابريل ١٩٦٧ وأعلن فور وصوله الاعتراف بالجمهورية
العربية اليمنية ... وقال بعد زيارته لمناطق التعمير (الحكم الثوري في
اليمن حقق منجزات ضخمة) ثم أعلن الملك سعود (لا أعترف بفيصل
ملكاً للسعودية) .. وقرر أن يترك ابنه خالد ومنصور في صعدة شمال
اليمن قرب حدود السعودية ليؤثرا على الملكيين ويضعفا الموقف الداخلي
في السعودية .

وفى هذه الزيارة خطب عبده الحكيم عامر قائلاً (سنبقى فى اليمن
عشرين عاماً حتى لا يعود الى الورا) .

ولكن الأحداث بدأت تتجمع فى الاقلى بالغة من التوتر حدا لم تصل
اليه من قبل .

يقول اللواء طلعت حسن أنهم أعلنوا لدواى الأمن أن الملك سعود
والمشير عامر والسادات سيصلون الى تعز ٠٠٠ ولكن الطائرة انطلقت
بهم عائدا الى القاهرة .

وفوجىء اللواء طلعت بخبر من تمز يبلغه أن صواريخ قد انطلقت
من معسكر النقطة الرابعة تجاه معسكر كتيبة مظلات مصرية وأنها فجرت
مخزنا للدخيرة ٠٠ وذلك فى الموعد المعلن عنه لوصول طائرة الملك ، وهرع
اللواء طلعت ومعه وزير الداخلية والخارجية اليمنيان وأمر بمحاصرة معسكر
النقطة الرابعة ومنع خروج أحد منه ٠٠٠ وقام بتفتيشه حيث قبض على
ثلاثة من الأمريكين أرشدت عنهم الكلاب البوليسية .

حاول الأمريكين اقناعهم بأنهم دبلوماسيون ، ولكن وزير الخارجية
أبلغه أنهم لا يحملون هذه الصفة ٠٠٠ فقرر السلال إلغاء النقطة الرابعة
الأمريكية نهائيا وترحيل أفرادها خلال ٤٨ ساعة ٠٠٠ وفتح خزائنتهم
الكبيرة فى صنعاء وكانت مليئة بأوراق سرية أرسلت كلها للقاهرة .

وتولى المهندسون المصريون ادارة مشروعات المياه التى تخفى خلف
ستارها عملاء المخابرات المركزية الأمريكية .

وأقيم جسر جوى نقل أفراد ومهمات النقطة الرابعة الى أسمره ،
وتدخلت القاهرة لمنع محاكمة الأمريكين الثلاثة المعتقلين الذين أفرج عنهم
الى المطار للسفر الى الخارج فورا .

كان الموقف فى اليمن يدخل مرحلة استقرار مبشر بتطور سريع .
بينما كان الموقف الداخلى فى السعودية قد اهتز بوجود سعود فى اليمن ،
ومشروعات التعمير قد بدأت تؤتى ثمارها .

وأخذت مؤامرات الامبريالية الأمريكية تتجمع محاولة ابعاد الخطر
المصرى التقدمى عن هذه المنطقة الحيوية القابضة على عنق البحر الأحمر
والقريبة من دول الخليج ٠٠ وكان انقلاب اليونان العسكرى قد وافق
حدوئه هذه الفترة الهامة ، ابريل ١٩٦٧ .

وبينما كان الوضع يستقر فى اليمن ويجنح الى الهدوء ، اذا به
يتوتر فى سوريا ٠٠٠ وتعالى اذاعات السعودية فى الحديث عن وجود

قوات الطوارئ بين القوات المصرية والاسرائيلية وفي شرم الشيخ ..
الامر الذي يحاول اظهار جمال عبد ناصر بمظهر التهادن مع الصهيونية .
وبدأت الازمة تدخل مرحلتها الحرجة وليس في اليمن أكثر من
٢٠٠٠ جندي كما سبق أن ذكرنا .

ونفذته مؤامرة الامبريالية الامريكية والصهيونية التوسعية بعدوان
يونيو ١٩٦٧ المباشر بعد أن عجزت عن اسقاط النظام التقديمي في مصر
بكل مؤامرات التخريب والاغتيال أو استنزاف قوة مصر في حرب اليمن .
ولم يعد ممكنا للقوات المصرية المسلحة أن تواصل البقاء في اليمن
بينما قواتها في مصر قد تبعثرت وضاعت الأسلحة بعد الضربة الاسرائيلية
الخاطفة .

وانعقد مؤتمر القمة في الخرطوم خلال أغسطس ١٩٦٧ بعد أن كان
اللواء طلعت حسن على قد استدعى لتعمل مديرا لهيئة العمليات في
القاهرة وحل محله اللواء عبد القادر حسن . وهناك استقر الرأي بين
مصر والسعودية على انسحاب القوات المصرية ، وترك الأمور لأبناء اليمن
يرسمون مستقبله .

وتجمعت القوات المصرية في الحديدة بعد مظاهرات تعرضت لها يوم
٣ أكتوبر وهاجم فيها المتظاهرون القيادة المصرية وقتلوا ١٠٠ جندي قبل
أن يستطيعوا تفريق المظاهرات واستتباب الهدوء .

وقد كانت هذه المظاهرات استجابة لدعوة مشتركة من بعض الذين
أرادوا الزايدة برفع شعار اخراج الجنود المصريين .. والذين كان منهم
للأسف بعض الشباب المثقف الذين اجتمع بهم اللواء عبد القادر حسن بعد
ذلك لتوضيح الموقف لهم . ويقول اللواء طلعت حسن أن بوادر هذه
الصورة كانت قد ظهرت خلال وجوده ، وانها وضحت في مجموعة تلتف
حول جزيائن وتؤثر ضمئيا على السلال .

ويقول في ذلك أنه منع اجتماعا كان ملزوما أن يعقد في احدى دور
السينما لهذه المجموعة .

ولا شك أن غياب العمل السياسي كان عاملا مؤثرا على تنمية
اتجاهات خاطئة حتى بين أصحاب النوايا الطيبة الذين قد تجذبهم عوامل
الاثارة الوقتية دون التعق في ابعاد الصورة الشاملة .

انسحبت القوات المصرية من اليمن تماما بعد أن تجمعت في ميناء
الحديدة .

وغادر السلال اليمن في زيارة للقاهرة ثم بغداد وبعدها الى موسكو لحضور احتفالات الاتحاد السوفيتي بالعيد الخمسين للثورة الاشتراكية العظمى ٠٠٠ في وقت كانت فيه الامور غير مستقرة .

وقبل أن يصل السلال الى موسكو وأثناء وجوده في بغداد يوم ٥ نوفمبر ١٩٦٧ تحركت بعض وحدات الجيش اليمني في الساعة الأولى بعد منتصف الليل واحتلت قصر السلال والاذاعة وبعض الأماكن الحيوية وأعلنت سقوط السلال ، وقيام نظام جديد للحكم على قمته مجلس رئاسة يضم القاضي عبد الرحمن الارياني (٦٧ سنة) رئيسا وعضوية أحمد محمد النعمان ومحمد علي عثمان .

وما لبث النعمان أن استقال وحل محله الفريق حسن العمري والاثنان كانا محتجزين في مصر ولم يفرج عنهما الا بعد سقوط السلال . وكما جاء السلال بانقلاب عسكري ذهب أيضا بانقلاب عسكري .

ولكن ذهب السلال وبقي النظام الجمهوري ٠٠٠ فان قوات الملكيين ما ان استشعرت بأن في قدرتها اقتحام صنعاء بعد خروج المصريين وسقوط السلال حتى تجمعت قبائلهم تحاول دخول العاصمة .

ولكن جيش اليمن الحديث ابن ثورة ٢٦ سبتمبر لم يسلم المدينة ويرجع شعبه الى نظام الامامة المتخلف ، بل قاوم قبائل الملكيين الزاحقة لمدة ٧٠ يوما تراجعت بعدها رغم أن القاضي الارياني قد هرب الى تعز وترك الجيش وحده .

وقال جمال عبد الناصر لسفير العراق في القاهرة (لقد أمضيت أياما مليئة بالقلق وأنا أرقب وأتابع الحالة حول صنعاء ٠٠ ولم يعد الهدوء الي نفسي الا بعد أن انتصر جيش اليمن والنظام الجمهوري أيا كانت قيادته) . وكانت مصر قد اعترفت بالنظام الجديد فور سقوط السلال ٠٠٠

ورافق ثبات ثورة اليمن في الشمال انتصار الثورة في الجنوب وخروج البريطانيين وأعلان استقلال جمهورية اليمن الديمقراطية تحت قيادة الجبهة القومية في ٣١ نوفمبر ١٩٦٤ .

خمس سنوات تقريبا غيرت معالم هذه المنطقة التي سادها التخلف أكثر من ألف عام في الشمال ، وسيطر عليها الاستعمار البريطاني ما يقرب من قرن كامل .

وإذا أرجعنا الأمر الى أصوله لوجدنا أنه الى جانب الدور الهام والحيوي لأبناء المنطقة فقد كان هناك أيضا الدور الفعال والمؤثر لثورة يوليو المصرية وقواتها المسلحة .

حصار الثورة :

ويحاول البعض تصوير النتيجة النهائية لثورة اليمن بعد انسحاب القوات المصرية المسلحة عقب العدوان بأنه هزيمة لثورة يوليو بعد نزيه شديد تعرضت له في اليمن .

والواقع أن أحدا لم يتصور في البداية أن الموقف يمكن أن يتطور إلى هذا الشكل المقلد .

وجمال عهد الناصر كان حريصا منذ البداية على إبعاد الثورة اليمنية عن التناقضات والخلافات القائمة بين مصر والسعودية . . . وذلك حسب توجيهاته للدكتور عبد الرحمن البيضاوي قبل سفره من القاهرة إلى اليمن .

ولكن انفجار الثورة في اليمن كان يهدد النظام الملكي في السعودية بشكل مباشر لأنه يقضي على نظام الإمامة التي استغلت الدين في تجسيد أمير للمؤمنين لا يطبق تعاليم الدين الانسانية السمحة .

ولذا فإن تدخل السعودية الفوري والمباشر لمساندة أمام اليمن المخلوع كان دفاعا عن نظامهم ، ووجهت الامبريالية الأمريكية والبريطانية الفرصة في هذا التناقض لاشغال الموقف وتحويله لتحقيق أهدافها في ضرب النظام التقدمي في مصر .

ولم يقدر حكام السعودية ما قاله السلال أمام مؤتمر القمة الأول من أنهم كان يجب أن يؤخذوا ليس على الثورة ضد الامام . . . ولكن على التأخر في تنفيذ هذه الثورة ، وذلك بعد أن أوضح لهم صورا من بشاعة الحكم الامامي .

يكفي أن ثورة اليمن قد أطاحت نهائيا وإلى الأبد بنظام حكم رجعي ومتخلف ضغط على الجماهير وقهرها أكثر من ألف عام .

ومع ذلك فإنه يجب القول بأنه كانت هناك أخطاء في التنفيذ . . . وليس في الفكرة . . . أخطاء في شخصية المسئولين وليس في هدف القيادة السياسية .

وكانت مساعدة الثورة اليمنية دون أن تكون هناك معرفة عميقة بتاريخها لطبيعة البلد والشعب . . . ودون أن تكون هناك مساعدات من المعلومات الطبوغرافية . . . ودون أن يستل في تدريب القوات المسلحة حروب الجبال ومقاومة العصابات . . . ودون أن تكون هناك طرق

أو مواصلات برية ٠٠٠ ودون أن تكون هناك مطارات صالحة كافية ٠٠٠ إلى غير ذلك ٠ كانت مساعدة الثورة اليمنية رغم كل نواحي النقص المذكورة تعبيرا عن ادراك جمال عبد الناصر ووعيه بأن المشاكل الادارية لا يجوز أن تقف حائلا دون اتمام المسئوليات الثورية التضامنية بين قوى التحرر الوطني ٠

ولم يكن واردا في تفكير جمال عبد الناصر أن بعض المشاكل الادارية يمكن أن تكون عقبة في سبيل المهمة الثورية التي كلفت بها القوات المسلحة ٠

وكل هذه العقبات فعلا رغم أنها سببت مزيدا من الخسائر ولكنها لم تتجاوز حدود المعقول ولم تعطل القوات المسلحة ولا ثورة يوليو عن تحقيق أهدافها ٠

خسرت القوات المصرية في اليمن ما يقرب من ١٠٠٠٠ جندي خلال معارك استمرت خمس سنوات تقريبا ٠٠٠ بينما خسر محمد علي في حربه ضد الوهابيين في يناير ١٨١٢ واثناء حركته من ينبع الى المدينة حوالي ٨٠٠٠ جندي كما ورد في كتاب لوتسكي (تاريخ الاقطار العربية الحديث) في وقت لم تكن الأسلحة فيه قد تطورت الى هذه الدرجة ، وفي عهد كان سكان مصر فيه ثلاثة ملايين ، بينما سكان مصر خلال ثورة اليمن كانوا يقتربون من ثلاثين مليونا ٠٠٠ وخلال حرب لم تمتد كل هذه السنين ٠ ...

خسائر القوات المصرية أثناء اداء دورها البطولي لا تمثل كارثة كما تحاول بعض الأقلام تصوير الموقف ٠

واذا انتقلنا للناحية الاقتصادية لوجدنا أن ثورة اليمن قد كلفت الاقتصاد المصري كثيرا واستنزفت الملايين ، ولكن ذلك لم يكن أمرا اختياريا ٠٠٠ فقد كانت هذه هي خطة الامبريالية لحصار النظام في مصر واجباره على الخضوع ٠

ولا شك أن أسلوب التعامل مع القبائل ورشوة مشايخها بالمال قد فتح على مصر بابا لم يفلق ، ورفع ميزانية مساعده بها الى ما يقرب من ٦٠ مليون جنيه استرليني سنويا ٠٠٠ وتعرضت هذه الأموال لسرقات بعض من فقلوا الشرف والضمير ٠

كما أن ميزانية بدل السفر التي كانت تصرف للجنود كانت تحمل الميزانية العامة عبئا كبيرا ٠

كان الجندي يصرف جنيهها واحدا في اليوم ٠

وكان صرف هذه الأموال ضرورة لجنود يعرضون حياتهم للخطر في كل لحظة ٠٠٠ ولو أن ظروف المعركة قد أدت الى بقائهم في أحيان كثيرة ينتظرون المعركة ولا يخوضونها ٠٠٠ ومع ذلك لم يكن سهلا إصدار القرار بانسحابهم أو تخفيضهم وذلك لخطر القوات الملكية المتربسة بالثورة ٠٠٠ والدليل على ذلك ما أشرنا اليه من هجومهم على صنعاء ومحاصرتهم لها سبعين يوما بعد انسحاب الجيش المصرى وسقوط السلال ، لولا الجيش اليمنى الحديث الذى نشأ فى أحضان الجيش المصرى .

ومع ذلك فإن زكريا محيى الدين عندما تولى رئاسة الوزارة فى أكتوبر ١٩٦٥ ، وخلال معاناته من المشكلة الاقتصادية آثار مشكلة وجود القوات المصرية فى اليمن ٠٠٠ وعبر عن أفكاره بقوله انه لتحقيق الهدف المفترض وهو المحافظة على حكومة صنعاء ، فإن الاستنزاف المستمر لموارد مصر يعتبر فى النهاية وسيلة لتحقيق أهداف العدو فى اضعاف النظام المصرى .

ويقول زكريا محيى الدين ان عينه فى ذلك الوقت كانت على فيتنام ، حيث تعرضت القوات الأمريكية لظروف تشابه الظروف التى تعرضت لها قواتنا مما أجبرها على اللجوء الى المدن الكبيرة والموانئ فقط .

ولذا طالب بتخفيض القوات المصرية الى أقل عدد ممكن على أن تحتل فقط مثلث تعز صنعاء الجديدة لتخفيض الاعباء حيث لم يكن هناك تصور لنهاية حرب اليمن .

وكان هذا هو الاقتراح الذى أشار اليه الفريق أنور القاضى والذى كان مفروضا فى رأيه أن يتخذ من نوفمبر ١٩٦٣ ، ولكنه لم يدافع عن وجهة نظره بما يجعلها تنضج ٠٠٠ بل انه وافق منذ البداية على خطة الوصول الى الحدود الشمالية والشرقية .

ويقول زكريا محيى الدين ان الاقتراح قد رفض وقتها .

ويقول اللواء طلعت حسن انه لم يجد صعوبة فى تنزيل وحدات كثيرة الى مصر وتخفيف القوات الى أقل حد ممكن بعد اتخاذ أسلوب حاسم وجاد فى محاكمات المتأمرين علانية ، وفى الاعتماد على المكاتب السياسية المبذورة بين القبائل .

والواقع أن هناك فرقا هائلا بين وجود القوات المسلحة المصرية فى اليمن ، ووجود القوات الأمريكية فى فيتنام ٠٠ وهو ما صورته ناتنج فى كتابه (ناصر) .

القوات المصرية كانت تساند ثورة شعب ضد نظام متعفن ٠٠٠ بينما القوات الأمريكية كانت تقهر ثورة شعب فيتنام ورغبته في التحرر الوطني واختيار طريقه لبناء مستقبله الاجتماعي .

الفرق كبير ، وليس هناك مجال للمقارنة من الوجهة السياسية ولا من الوجهة العسكرية أيضا ٠٠٠ فقبائل اليمن المتأرجحة في موقفها كبندول الساعة والمساندة بمرتزقة الكونغزو السابقين لا وجه للشبه بينها وبين قوات جبهة التحرير في فيتنام الجنوبية حيث كان الأمريكيون يواجهون أعلى مستوى من الكفاءة القتالية والمهارة والشجاعة الفردية المندفعة الى المعركة بوعي وطني واجتماعي عميق .

ولو كانت القوات المصرية قد مارست عملا سياسيا ناجحا في اليمن لمساعد ذلك على تعبئة وحشد الشعب اليمني دفاعا عن ثورته ، وادى أيضا الى تخفيف أعداد الجنود المقاتلين هناك .

ولكن ما حدث في مصر خلال السنوات الأولى لثورة يوليو حدث في اليمن أيضا ، فقد أخذت السلطة هناك موقفا مضادا معاديا للأحزاب والحزبية ، رغم أنها بالتاكيد كانت تمثل تجمعا تقدميا عن نظام الامامة الرافض أصلا لكل عمل سياسي .

الأحزاب في اليمن كانت تلعب دورا تقنيا ، وكان بعضها امتدادا للأحزاب وحركات سياسية تقدمية في الوطن العربي مثل البعث والقوميين العرب الى جانب ارهاصات لتنظيمات شيوعية .

ولذا كان ضرب هذه الأحزاب وحظر نشاطها خسارة سياسية كبيرة أدت الى ضعف جبهة التماسك حول الثورة .

ولاشك أن من دوافع هذا الموقف الصراع الذي كان موجودا في الساحة العربية بين الناصريين والبعثيين الذين توافر لهم قدر من النشاط السياسي في اليمن كان يمثل محسن العيني .

ورغم أن حركة القوميين العرب قد وقفت مع عبد الناصر ضد البعث إلا أنه حدث انشقاق في مطلع عام ١٩٦٦ عندما فكر عبد الناصر في توحيد قوى النضال في جنوب اليمن في جبهة واحدة ، ومنع قحطان الشعبي وعبد الفتاح اسماعيل من العودة الى اليمن .

ويقول عزت سليمان أن جورج حبش ومحسن ابراهيم كانا يقابلان عبد الناصر وأنهما قابلا لمناقشة الموقف معه بعد هذا المنع .

أما الشيوعيون فقد ضربوا أيضا رغم مساندتهم لثورة يوليو وموقفهم من ثورة اليمن .

كل القوى والأحزاب السياسية حظر نشاطها في اليمن ٠٠٠ وتم تقليد تجربة مصر بمحاولة اقامة تنظيم واحد في اليمن اسمه (الاتحاد الشعبي اليمني) وفتحت أبوابه للجميع عدا كل الحزبيين أو الذين اشتغلوا بالسياسة سابقا .

ومع ذلك لم يفلح هذا التنظيم في اقامة الوحدة الوطنية أو ضم قوى الثورة الوطنية ٠٠٠ وانما بقي تنظيما مؤقتا وشكليا مماثلا لتنظيم الاتحاد القومي ، وليس الاشتراكي ، في مصر ٠٠ ولكن بصورة باهتة .

وهكذا اقتصر الوجود المصري في اليمن على المساعدة العسكرية فقط ، دون استشارة طاقات الجماهير وتقويتها في تنظيم سياسي قوى ٠٠٠ ولا نود التطرف في القول بأن فاقه الشيء لا يعطيه ، ولكننا نقول ان العمليات العسكرية قد شغلت اهتمام القيادة في مصر ، وأن القادة الذين أعطتهم المسؤولية هناك كانوا من العسكريين الذين لم يكونوا حتى من الضباط الأحرار ، أي لهم حد أدنى من الصلة بالسياسة ، وانما كانوا ضباطا محترفين فقط لا يهتمون بالسياسة أصلا ولا يتابعون أحداثها .

ولذا اقتصر الدور المصري في اليمن على الدور العسكري مع التأثير السياسي على السلطة فقط دون الجماهير ٠٠٠ الأمر الذي أدى الى عدم محاربة الاقطاع أو النظام القبلي حربا مباشرة وانما تحقق ذلك خلال نشر الحضارة والثقافة والتعليم وانشاء الطرق والمواصلات ، واقامة المستشفيات ومختلف أنواع الخدمات .

ومع كل هذه التحفظات فان جانبا كبيرا من شعب اليمن وخاصة الشباب المثقف كان معارضا لخروج الجيش المصري بعد العدوان ، وقد عقد اللواء عبد القادر حسن اجتماعا بعد مؤتمر الخرطوم مع هؤلاء الشباب أوضح لهم فيه الظروف السياسية الضاغطة . ولم تنته صلة ثورة يوليو المصرية بثورة سبتمبر اليمنية بخروج القوات المسلحة بعد عدوان يوليو الذي تأمرت وخططت لتنفيذه الامبريالية الأمريكية والصهيونية التوسعية ، وانما استمرت هذه الصلة قائمة بنمو القيم والأهوال التي بذرتها الثورة العربية المشتركة .

ان النظام الجمهوري الذي رأسه الارياني بعد سقوط السلال لم يكن امتدادا لنظام الامامة المنهار ، ولم يكن صورة مطابقة من حيث الجوهر الطبقي والايديولوجية الاجتماعية والنظرة السياسية لنظام الامامة ٠٠ وانما كان جمهورية جديدة قد تكون لها نظرة للأمور أقل تقدمية من نظرة جمهورية السلال ، ولكنها بالتأكيد ليست صورة مكررة لنظام الامامة ٠٠٠

وهذا في ذاته دليل على أن ثورة سبتمبر لم تطبق صلتحتها مع سقوط
السلال ، ولم يتوقف تأثيرها بعد خروج القوات المصرية .

انتقلت اليمن الى حضارة مصر ويشق اليوم ابتاؤها الطريق
باسلوهم ونظرتهم الخاصة .

وظهرت الى الوجود جمهورية اليمن الديمقراطية التي يعترف أبناؤها
صراحة بدور ثورة ٢٦ سبتمبر ودور جمال عبد الناصر والشعب المصري
وقواته المسلحة في دعم كقاتهم البطولي .

ولاشك أن ظهور هذه الثورة التقدمية العاشرة جنوب جمهورية اليمن
هو حافز في ذاته على توحيد نضال الشعب اليمني في الشمال والجنوب
خيه الامبريالية المتربصة بهذه المنطقة الحيوية العامرة بالثروة البترولية .

وإذا كان عنوان يونيو ١٩٦٧ قد وجه ضربة شديدة الى النظام
المصري ، فان الأحداث قد أثبتت أن سقوط شرم الشيخ في يد الاسرائيليين
لا يمنع حصارهم - مؤقتا والى أن تتحرر - بالسيطرة على مضائق البحر
الأحمر من الجنوب بالتعاون مع جمهورية اليمن الديمقراطية ، وهو
ما تحقق بعد ذلك فعلا خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

كلمة انصاف :

وأخيرا فلا بد من كلمة انصاف للدور ثورة يوليو في مساعدة ثورة
سبتمبر .

وقرار جمال عبد الناصر بالاعتراف الفوري والمواقفة غير المترددة
في مساعدة الثورة اليمنية بالقوات المسلحة المصرية كان نقطة البداية .

وكان في ذلك الرد على محاولات الامبريالية في تطويق الثورة
العربية . ونجاحها في تحطيم الجمهورية العربية المتحدة لم يؤد الى انجساق
دائم ، وإنما ظهر البعث الجديد في أكثر الدول العربية تخلفا ضد أشد
النظم الخطايا .

كان رفض المعاونة أمرا غير مقبول ولا نادر سياسيا . . . فليس
من منطق الثورة التعاضد عن مساعدة حركات التحرر الوطني والا كانت
نتيجة ذلك العزلة التامة عن ساحبة الثورة العربية ، وتسهيل فرصة
الاطاحة بنظام الحكم التقدمي في مصر .

وعلى الذين يفصلون بين مساعدة اميلج المساعدة . وأخطاء التطبيق أن
يقدروا فزع الامبريالية من ظهور سبتمبر المناصر في الجزيرة العربية لينطق .

ثورة يوليو ج ١ - ٨٩٧

النظام السعودي ، ويقترب من آبار البترول في الخليج ، ويسيطر على مفتاح البحر الأحمر من الجنوب ٠٠٠ وما بذلته بعد ذلك من جهود ومساعدات لنفع نظام الحكم السعودي لمساعدة بقايا النظام الملكي في اليمن خلف أموال (أمير المؤمنين) البدر .

ورغم جهود جمال عبد الناصر المخلصة لاقرار السلام مع عدم التفريط في تأمين وسلامة الثورة والجمهورية ، فإن هذه الجهود قد تبذرت واحدا بعد الآخر أمام تعنت الملكيين مدفوعين بمساعدات الامبريالية وجنودها المرتزقة .

ولم يكن ممكنا لجمال عبد الناصر أن يقبل انصاف الحلول لما يحمله ذلك من تعريض الجمهورية للخطر وسط قبائل تعيش في تخلف رهيب ، وتسيطر عليها معتقدات دينية ليست من صلب الدين ولكنها من صنع البشر . ٠٠٠ ومثال ذلك ما رواه لي الفريق أنور القاضي من أن بعض الطائرات قد قامت بغارات استكشاف ليلية مستخدمة الأنوار الكاشفة فأطلق انصار الامام اشاعة بأن أنواره تهل من السماء وأن هذه علامة من الله . ٠ وكبر الناس وسجدوا وغيروا مواقعهم لتكون مع الامام .

والتراجع كان يعني في مضمونه تعطيل تنفيذ حركة الكفاح المسلح ضد الاستثمار البريطاني في الجنوب ، وهي التي بدأت في تعز كما ذكرنا تحت اسم (صلاح الدين) ، واستمرت تشتعل وتزداد اشتعالا لوجود القوات المصرية في اليمن واستقرار النظام الجمهوري .

وعلى الذين يفصلون بين سلامة مبدأ المساعدة وأخطاء التطبيق أن يقدروا أيضا غموض الموقف في اليمن وطبيعة الحياة المتخلفة ، واختلاف طبيعة الأرض الى جانب طبيعة الحكم في مصر حيث انفردت زعامة جمال عبد الناصر بالتأييد الجماهيري المطلق ، وغابت الكيانات التنظيمية والكادرات السياسية القادرة على التعاون السياسي والتوجيه الفكري بطريقة نظرية وعملية سليمة ، ولا يمكن مناقشة الأمور قفزا فوق الواقع ، ولكن يجب مناقشتها في حدود الامكانيات المتاحة ، والاضطراب المحتملة .

وما تحقق في اليمن لا يمكن قياسه بخسائر عشرة آلاف بطل فوق أرض اليمن ، ولا في سقوط عشرات الآلاف من اليمنيين في الحرب الأهلية التي فرضها الملكيون فرضا ٠٠٠ ولا يمكن قياسه أيضا بما صرف من ملايين الجنيهات على العمليات العسكرية .

كل هذه الأشياء تعتبر صغيرة اذا قيسست أو قورنت بالانجاز الأعظم وهو انقاذ شعب اليمن من أبشع نظام متخلف ، وأخرج جنوب الجزيرة العربية من حصار طويل الى نور الحضارة العصرية .

ان مجرد دخول الكهرباء والمصانع وتعبئة الطرق وفتح المدارس والمستشفيات في مجاهل هذا البلد يضم ما يقرب من خمسة ملايين ، قد اختصر الزمن الذي كان يمكن أن يعيش فيه الشعب اليمني عشرات أو مئات من السنين في هذا التخلف الشديدا .

وعلى الذين ينظرون في بساطة واستخفاف الى واجب التعاون بين حركات التحرر الوطني ، أن ينظروا الى موقف مصر لو أن الاتحاد السوفيتي لم يقدم لها الأسلحة والمساعدات الاقتصادية والصناعية وتركها فريسة في يد الامبريالية العالمية تسيطر عليها وعلى نظام الحكم فيها وتمتص خيراتها وتترك شعبها غارقا في تعاسته .

ان واجب التعاون والمساعدة بين حركات التحرر الوطني هو امر لا يجوز النظر اليه باقليمية محدودة أو سطحية متعجلة . فسير التاريخ وحركته تفرض التعاون بين مختلف حركات التحرر الوطني . فما بالناس وثورة سبتمبر هي حركة تحرر في اطار الوطن العربي .

والقول بأن مساعدة ثورة اليمن قد استنزفت مصر وكبدتها خسائر اقتصادية كبيرة ، هو قول مبالغ فيه كثيرا . فان مساعدات الأسلحة كانت من الاتحاد السوفيتي ، ووسائل النقل السريع أيضا ، قد أعطيت كلها مجانا . والأموال لم تصل بمصر الى حد الأزمة ، بل ولم تقترب منها أبدا . لنمو خطط التنمية .

والذين يثيرون القول بأن ما صرف من أموال في اليمن كان كافيا لرفع مستوى الشعب المصري يعيشون في وهم التصور بأن النظام المصري كان يمكن له أن يواصل عمليات التخطيط والبناء والتنمية وهو مغلق أبوابه على نفسه .

ويقول زكريا محيي الدين أحد دعاة الاهتمام بالأمور الاقتصادية وعدم نسجها بالقضايا السياسية أن صعوبة الموقف الاقتصادي لم تكن كلها كامنة في اليمن ، وانسحاب القوات المصرية جميعها لم يكن يحقق في ذاته انفراجا حقيقيا للاقتصاد المصري .

ان ملحمة القوات المسلحة المصرية فوق أرض اليمن ، هي من أعظم أمجاد ثورة يوليو التي حارب جنودها النظام الملكي الاقطاعي حتى انهار داخل الحدود ، وحاربوا النظام الامامي المتعفن حتى انهار خارج الحدود .

- كان خروج الجنود المصريين للحرب في اليمن عملاً له دلالة تاريخية عظيمة في وحلة الثورة العربية .
- وليست نتائج هذه الثورة في حاجة الى كلمة انصاف بقدر ما هي في حاجة الى كلمة تقدير .

الابواب الخماس

● مصر والسودان

(ان السودان كفتاس ، مصر
أبويته التي يستشيق منها الهوا ،
فاذا فصل السودان عن مصر انقطع
عنه الهوا فمات مفتتقا)
ونستون تشرشل
رئيس وزراء بريطانيا

الفصل الأول

نضال مشترك ضد الاستعمار البريطاني

(ان الحكومة تتشعر بشعور
الامة لقاء هذه الحوادث المشؤمة ،
وهي ساهرة على معالجتها بما يحفظ
كرامة البلاد ويصون حقوقها) *

سعد زغلول

في رسالة الى الحاكم العام

٢٢ أغسطس ١٩٤٢

(يجب ان يتم جلاء البريطانيين عن

وادي النيل) *

اللازم اول على عبد اللطيف

مؤسس جمعية (اللواء الأبيض)

علاقة مصر بالسودان تتميز عن علاقتها بأي قطر عربي آخر ...
ومنذ دخل الجيش المصري السودان في أكتوبر ١٨٢٠ خلال عهد محمد
على لم يخرج منه بصفة نهائية الا بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ .

وقد نمت العلاقات بين الشعبين المصري والسوداني خيلا
فنضالهما المشترك ضد السطوة العثمانية والاحتلال البريطاني ، وتوثقت

العلاقة الى الدرجة التي جعلت من وحدة وادى النيل شعاعا ترفعه
الجمامير في الشمال وفي الجنوب .

وقد لعب الجيش المصرى دورا رئيسيا في العلاقة بين الدولتين ،
منذ اهتمت الادارة المصرية في أيامها الأولى بالسودان - بتنظيم تجارة
الرقيق باعتباره موردا رئيسيا لتكوين الجيش ، وأرسلت الحملات
الحربية الى الجنوب والشرق لاصطياد الرقيق من الرجال وإرسالهم الى
مصر ، كما يقول الدكتور زاهر رياض في كتابه (السودان المعاصر) ،
حتى تبين عدم هذه المحاولات فتوقفت نهائيا عام ١٨٣٩ .

منذ ذلك الوقت البعيد الذي تبدلت فيه الظروف أكثر من مرة . . .
من تقييم لدور الجيش في عهد محمد علي ، الى تهبط رتبة حكماء
السودان في عهد عباس بحيث لا تزيد عن أميرالاي ، واتخاذ منفي
للوطنيين مثل الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى الذى كانت له رتبة في
الجيش أيضا . . . ثم استخراجه في عمليات الاستكشاف خلال عهد
إسماعيل . . . وكان أوله المستكشفين الذين ارتادوا هذا السبيل هو
البكباشى محمد سليم قطان الذى قاد حملات الكشف عن منابع النيل
الابيض ومناطق النيل العليا بين سنة ١٨٣٩ و ١٨٤٢ وصحبه في رحلته
علماء فرنسيون وبريطانيون .

وأخيرا جاء حكم الخديوى توفيق الذى واكب ثورة المهدي في
السودان عام ١٨٨١ اذ جاهر المهدي بدعوته في شهر أغسطس وقام
عزائى بمظاهرة الجيش في عابدين يوم ٩ سبتمبر من نفس العام .

وعندما وصلت أخبار دعوة المهدي بأنه نبي الله الى رموف باشا
حكماء السودان أرسل اليه الضابط محمد بك أبو السعود وكان على
صلة بأخوه المهدي لمحاولة اقناعه بالتخل عن دعوته ، وحضر الاجتماع
ثلاثة من علماء المسلمين ، ولكن المهدي رفض وأصر على موقفه ؛ فسير
اليه سريتين من المشاة تحت قيادته الى جزيرة آبا حيث قابلهم الانصار
والحقوا بهم هزيمة وصلت أخبارها الى القاهرة وكانت تحصل أخطار
ثورة المهدي لأول مرة .

وبمقدار المهدي جزيرة آبا توقعا منه حملة ثانية واستقر في جبل
قدير حيث هزم حملة ثانية قادها مدير فاشبودة دون إذن حكماء
السودان .

وعندما وصلت لتخبير الهزائم قررت الحكومة المصرية إرسال

قوة من الجيش ، ولكن القادة العسكريين اعتبروا أن ذلك محاولة لتشيت الجيش المصري . . . وفي فبراير ١٨٨٢ عندما وصل العسكريون الى مراكز السلطة ركزوا اهتمامهم على محاربة الخديوى واعتبروا السودان ميدانا ثانويا لا يستحق ارسال مزيد من القوات واكتفوا بعزل رموف باشا بحكمдар السودان وتعيين عبد القادر حلمى الذى وصل فى مايو ١٨٨٢ ، والذى كان من انصار احمد عرابى .

ولكن ما لبث الموقف أن تعقد فى مصر ، واحتل البريطانيون القاهرة فى ١٤ سبتمبر ١٨٨٢ ، وحل الخديوى تولى الجيش المصرى بمرسوم صدر بعد خمسة أيام فى ١٩ سبتمبر .

وصدر قرار عزل عبد القادر باشا حلمى من حكمادارية السودان يوم ١٧ يناير ١٨٨٣ وتعين بعده الجنرال هكس البريطانى الذى فشلت فى القضاء على الثورة المهدية ، ودحرت قواته يوم ٥ نوفمبر ١٨٨٣ ، وهنا بدأت بريطانيا عملية ضغط على الحكومة المصرية لاجلاء قواتها عن السودان .

ولكن شريف باشا رفض تنفيذ الاقتراح .

وهنا ارسل اليه اللورد جرانفيل وزير المستعمرات البريطانية برقية شهيرة فى يناير ١٨٨٤ يقول فيها (لا ارى حاجة الى أن أوضح لكم أنه من الواجب مادام الاحتلال البريطانى المؤقت قائما فى مصر أن يتأكد حكومة جلالة الملك من ضرورة اتباع النصائح التى ترى استماعها للخديوى فى المسائل الهامة التى تستهدف فيها ادارة مصر وسلامتها من الخطر . . . ويجب على الوزراء والمديرين المضربين أن يكونوا على بينة من أن المسئولية الملقاة الآن على عاتق الحكومة البريطانية تضطرها أن تصر على اتباع السياسة التى تراها ، ومن الضروري أن يتخلى عن منصبه كل وزير أو مدير لا يسير وفقا لهذه السياسة) .

واستقال شريف باشا فى ٧ يناير ١٨٨٤ قائلا (اذا تركنا السودان فالتسودان لن يتركنا) . . . وجاءت وزارة نوبار باشا فى ١٠ يناير خاضعة للاحتلال البريطانى ساجدة لأوامره مصدرة تعليماتها بأخلاء السودان وتحويل الموظفين وسحب الحاميات المصرية التى بلغت ٢٥٠٠ جندي . وصدر مرسوم فى ١٥ يناير بالحاق ادارة السودان بوزارة الحرية بدلا من رئاسة الوزراء . . . وعين غوردون حكمادارا عاما للسودان بقرار من مجلس الوزراء البريطانى لارجاع الجنود والموظفين المدنيين والتجاء الى مصر .

كان اتخاذ هذا القرار غريباً ودليلاً على وجود لية مبيتة ضد مصر من جانب إنجلترا لأنه لم يكن معقولا أن ينتصر دراويش بالرماح على جنود يمتلكون المدافع والبنادق .

وحوصر غوردون في الخرطوم التي سقطت في يد المهدي يوم ٣٦ يناير ١٨٨٥ وقتل الجنرال البريطاني على سلاله قصره قبل أن تصله الامدادات العسكرية لانقاذه والتي قادها الجنرال ولسلي الذي استطاع أن يشهد سقوط الخرطوم بمنظاره المعظم ثم يرتد عنها دون محاولة لانقاذها .

وتحيط الشبهات التاريخية بموقف الحكومة البريطانية التي تقاعست في انقاذ غوردون والتي حاولت الاساءة الى الحكومة المصرية وإظهارها بظهور المعجز عن معالجة الموقف في السودان .

واستغلت بريطانيا فرصة مصرع غوردون وأنهت الادارة المصرية في السودان رغم اصرار حكومة مصر على استمرار العلاقة بين القطرين . واعتبرت السودان قطرا خاليا لا سيد له ودعت الدول الأجنبية الى احتلاله وبادرت هي الى النزول في تغري زيلة وبربرة نواة الصومال البريطاني فيما بعد ، ونزلت إيطاليا في مصوع حيث عقدت فيها معاهدتان في ١٥ أبريل ١٨٩١ ، ٥ مايو ١٨٩٤ ، وضمت جانبا من السودان (المنطقة لادو في أعالي النيل) الى الكونغو البلجيكي بعد معاهدة مع الملك ليوبولد في ١٤ مايو ١٨٩٤ ، وأدت تناقضات القوى الاستعمارية في أفريقيا الى معاهدة أخرى مع ألمانيا في أول يوليو ١٨٩٠ .

... استهدفت بريطانيا من ذلك اخراج الجيش المصري من السودان وقطع العلاقة التاريخية بين الشعبين والدولتين ، وأصبحت سياسة حكومة اللورد سالسبري المحافظة في لندن ووزير خارجيتها تشمبرلين ترك دراويش المهدي في السودان حيث يصعب عليهم اقامة سيادة فعلية لأنهم لا يملكون من أسلحة القتال سوى الدروع والحراب كما ذكرنا .

ويحاول بعض المؤرخين الإشارة الى وجود علاقة ما بين البريطانيين والقوات المهديّة منذ البداية لاستنكارهم أن يكون قرار انسحاب القوات المصرية مبنيا فعلا على ظروف موضوعية قوية ولاعتقادهم أن بريطانيا كانت تخطط سياستها على أساس احتلال دائم لمصر والفرادها بحكم السودان

كانت بريطانيا تريد أن تقيم غازلا زمينيا بين مصر والسودان يظل فيئ الفراش دافئا في السودان بحكم دراويش المهديّة الى أن تعود في اللحظة التي تهيئها الظروف السياسية .

ولكن الأمور في أفريقيا لم تكن تيسر وفق الإرادة البريطانية وحدها . . . فرنسا كانت تزحف على أفريقيها من الغرب ، ولما كان السودان قد أصبح يعتبر بعد عام ١٨٨٥ دولة مستقلة خالية من سيادة دولة أوروبية فأنها قررت أن تحتله وزحفت عليه حملة مارشالان حتى وصلت إلى حدوده عام ١٨٩٧ .

واضطرت بريطانيا إلى تغيير خططها والاستعانة بالجيش المصري للزحف على السودان من جديد ، وذلك لسببين ، أولهما صعوبة التحرك من الجنوب لصعوبات النقل والمواصلات ، وثانياً إظهار الأمر أيام الفرنسيين كما لو أن مصر هي التي تغزو إلى السودان .

وتمت موافقة سلطان تركيا على الحملة بعد خطاب أرسله إليه الخديوي عباس حلمي تحت ضغط القنصل البريطاني في مصر مبيناً فيه أن غرض الحملة هو سحق الحركة المهدية . وتحملت مصر كافة تكاليف الحملة بعد خطاب كتبه الحكومة البريطانية باعتبارها المتصرفة في الشؤون المصرية إلى صندوق الدين تعلن فيه الأخطار التي تحدث بمصر إذا لم تتحرك إلى السودان ، وقدرت المبلغ بنصف مليون جنيه .

وافقت ألمانيا والنمسا وإيطاليا من الدول الأعضاء في صندوق الدين ، واعترضت فرنسا وعضدتها روسيا . . . وأسرت حكومة مصر فسحبت المبلغ حسب قرار الأغلبية . . . ولكن الدولتين المعترضتين رفعتا الأمر إلى المحكمة المختلطة لمنع مصر من سحب المبلغ بدعوى أنها ستدفعه على حملة حربية لا داعي لها . . . وحكمت المحكمة في صالح هذا الرأي في يونيو ١٨٩٦ . . . وأسرت الحكومة البريطانية استعجالاً لتنفيذ الحملة خشية دخول قوات فرنسا للسودان فأقرضت مصر ثلاثة أرباع مليون جنيه بغائدة قدرها اثنان وثلاثة أرباع في المائة .

عين اللواء كتشتر سردار الجيش المصري قائداً للحملة التي اشترك فيها الجنود المصريون مسيحين وبدأت يوم ٣ مارس ١٨٩٦ وانتهت بدخول أم درمان يوم ٢ سبتمبر ١٨٩٨ بعد أن لحقت الكوليرا بالحملة وقتلت أكثر من ألف جندي خلال شهر واحد .

صحب الحملة مد خط للسكة الحديدية من وادي حلفا إلى الجنوب .

وإذا كانت المعركة قد أنهت حكم السودانيين لأنفسهم فإن هدفها الآخر قد تحقق أيضاً وهو منع انتشار النفوذ الفرنسي في وادي النيل وخاصة بعد وصول مارشالان إلى قاشسودة في سبتمبر ١٨٩٧ ورفع

العلم الفرنسي عليها، ثم اضطراره الى الانسحاب شرقا في ديسمبر ١٨٩٨.
للمنعوية مركزه الجري وتعلمه اتصاله بالحكومة الفرنسية .

أدى انتداب مارشان الى تحسين الجو بين انجلترا وفرنسا وعقد
اتفاق بين الدولتين في مارس ١٨٩٩ لتحديد الحدود انتهى الى حصول
فرنسا على منطقة الصحراء الكبرى حتى السواحل الغربية لافريقيا ،
وحصول انجلترا على النفوذ في السودان الذي تشكل فيه أول (احتلال
مشترك) في التاريخ تحت اسم « السودان المصري البريطاني » وصغر
تيلينغ بريطاني يقضى (يرفع العلم البريطاني بجانب العلم المصري في
البحر والبحر بجميع أنحاء السودان ما عدا مدينة سواكن فلا يرفع الا العلم
المصري) وذلك لأن القوات المصرية لم تنسحب مطلقا من هذه المدينة .

ووقعت اتفاقية السودان التي كانت تقرر دائما باسم المشيئة
في ١٩ يناير ١٨٩٩ وقع عليها اللورد كرومر عن الجانب البريطاني
وبطرس باشا غالي عن الجانب المصري .

ونصت الاتفاقية على أن يعين الخديوي حاكما عاما بريطانيا
لا يفصل الا بموافقة الحكومة البريطانية ، ويصدر أوامر لها قوة
القانون ، كما نصت الاتفاقية أيضا على عدم سريان القوانين المصرية ،
وعدم تعيين قناصل للدول الأجنبية في السودان ، وكان الوضع في
السودان فريدا بالنسبة للمستعمرات فهو لم يكن تابعا لوزارة المستعمرات
وانما كان تابعا لوزارة الخارجية الأمر الذي جعل الموظفين البريطانيين
لا يتنقلون بين المستعمرات المختلفة وانما يستقرون طوال مدة خدمتهم
في حياتهم في السودان .

بداية النضال المشترك :

وما ان وقعت هذه الاتفاقية حتى بدأت روح النضال المشترك بين
المصريين والسودانيين تتبلور ضد الاحتلال البريطاني .

كانت الوحدات السودانية يقودها ضباط مصريون ويوجد بها
بعض ضباط الصنف من المصريين أيضا ولم تكن فئة الضباط
السودانيين قد ظهرت بعد في ذلك الوقت .

قاد الحزب الوطني بقيادة مصطفى كامل ومحمد فريد المعارضة
السياسية للاتفاقية الأمر الذي أدى الى اغتيال بطرس باشا غالي وزير
الخارجية واستجاب الضباط المصريون لهذه المعارضة ، وأرسل
٣٢ ضابطا من جامبة سواكن برقية تأييد الى مصطفى كامل الذي كان
شقيقه على فهمي ضابطا في هذه الجامعة ، قالوا فيها (ان قلمك الحق
أضئ من سيوفنا وجججك القوة أمضى من رصاصنا) .

ولكن مصطفى كامل كانت له وجهة نظر خاصة في دور الجيش في العمل الوطني خلال هذه المرحلة فأرسل لهم ردا قال فيه (من الحكمة ألا تمكن العدو من رقابتنا ، وأنا لا أود أن يدخل ضباط الجيش في حركتنا السياسية دخولاً ظاهراً لأن هذا يضر بالمسألة ضرراً بليغاً حيث يجد الاحتلال مسوغاً لخلق التهم الثورية بمصر وغير ذلك مما لا يخفى عليكم) .

ومع ذلك تحرك الضباط المصريون والقوات السودانية في الأورطة الرابعة عشرة في أم درمان وهجموا على غرفة الحرس حيث استولوا على الذخيرة وطردوا الضباط البريطانيين احتجاجاً على الاتفاقية وما نتج عنها من احتكار البريطانيين لمعظم الوظائف الرئيسية في الإدارة الجديدة ، والاستيلاء على جانب من ذخيرة الجيش المصري وإرسالها إلى الإنجليز لمساعدتهم في حرب البوير بجنوب أفريقيا ، وأصدر كتشنر قراراً بقطع بدل الميدان عن مرتباتهم .

حوكم الضباط وطرد سبعة منهم من خدمة الجيش وأحيل واحد إلى المعاش ، وآخر إلى الاستبداد .

وقررت الحكومة البريطانية نقل كتشنر ليشترك في حرب البوير ، وتعيين السير ريجنالد وينجت عام ١٩٠٠ وكان مسئولاً عن إدارة المخبرات والتجسس على السودانيين خلال حملة استعادة السودان .

وقد بدأ وينجت عهده بالاستغناء تدريجياً عن العسكريين وتعيين المدنيين في وظائف المديرين ، كما فتح كلية غوردون عام ١٩٠٣ .
ومما يذكر أن دفعتها الأولى كانت تضم ٩١ طالباً سودانياً ، ٥٨ طالباً مصرياً .

وبدا أسلوب الحكم البريطاني يواجه مقاومة متزايدة تسبب بين المصريين الذين يعيشون السودانيين في حياتهم الاجتماعية وتربطهم روابط اللغة والدين ضد البريطانيين الذين كانوا يعيشون حياة مرفهة متعالية ومنعزلة عن الجماهير .

قال لي اللواء محمد نجيب أن المصريين في السودان كانوا يقاومون البريطانيين في مختلف المجالات ... ويذكر أنه تعرض للجلد عشر جلدات عندما ألقى عليه المدرس البريطاني قطعة إملاء جاء فيها (ان مصر يحكمها البريطانيون) ورفض محمد نجيب الكتابة قائلا (لا يا سيدي مصر تحتلها بريطانيا دون حق ولكنها دولة مستقلة) ، ويقول محمد نجيب أنه كان متأثراً في ذلك الوقت مثل غيره من الضباط المصريين بكلمات مصطفى كامل التي كانت تهزبه اليهم حيث كانت محظورة عند أولئك في السودان .

وتشير ظواهر الأمور الى الدور الحضارى الذى قام به المصريون عامة والجيش المصرى خاصة فى أرجاء السودان ، فقد مهد الجيش المصترى خطوط السكك الحديدية من مصر الى مدن السودان ، وكانت هناك كتيبة عسكرية خاصة لمه السكك الحديدية تحت قيادة اللواء محمد فاضل ، وتحملت مصر أموالا بلغت ٣٥٤ ألف جنيه رغم الأزمة الطاحنة التى كانت تعاني منها .

وكان رجال الجيش المصرى أيضا هم الذين شيدوا ثكنات الجيش وأطلقوا عليها أسماء سعيد واسماعيل وتوفيق وعباس ، وأعادوا بناء قصر الحاكم العام وبناء الإدارات الحكومية وغير ذلك من المباني . ويقول الدكتور زاهر رياض ان المصريين قد أقاموا حواجز لمقاومة فيضانات النيل الأزرق الذى كان يهدد الخرطوم الأمر الذى دفع ثمن المتر من الأرض من مليمين الى جنيهين ونصف فى مدى الخمس سنوات الأولى من الحكم الجديد .

وقد صور لى اللواء محمد نجيب هذه الحالة بقوله ان إبراهيم عرابى صديق والده وابن الزعيم أحمد عرابى وكان مقيما فى السودان أراد أن يشفيه عن رغبته فى الالتحاق بالمدرسة الحربية قائلا له (يا ابنى . ان الضابط فى بلد محتل ليس سوى مقاول أعمال أو رئيس فعلة لا يتعدى عمله الحفر والردم) .

ويقول محمد نجيب أنه استرجع هذه الكلمات عندما تخرج فى المدرسة الحربية وعين ضابطا فى السودان ، وأخذوا كتيبته بعد يومين من وصوله لإنشاء خط سكة حديد وإنشاء جسور حوله تقيه من فيضان النيل .

قال اللورد كرومر أنهم مدوا ٣٢٥ ميلا من خطوط السكة الحديد خلال ١٠٤ شهرا . وقال أحد الضباط المصريين (انه توجد تحت كل شبر منها جثة جندي مصرى) .

ومع ذلك قررت الحكومة البريطانية انقاص الوحدات المصرية البحتة فى السودان وضمت سواكن الى بقية السودان حيث وضع عليها العلم البريطانى أيضا ، وشنت الجيش المصرى فى السودان الى حاميات صغيرة مبعثرة فى المدن البعيدة بينما تمركزت الحامية البريطانية فى الخرطوم .

كنا أوقفت الحكومة البريطانية ترقى ضباط الصف الى رتب الضباط فى الجيش المصرى تحاشيا لتكرار ظهور عرابى جديد .

وبدأ النضال ضد الاحتلال البريطاني يتبلور في صورة حركات سرية استمدت وحيتها من ثورة ١٩١٩ التي اجتاحت مصر وظهرت عام ١٩٢٠ في تنظيم أطلق عليه اسم (الاتحاد السوداني) طالب بجلاء الانجليز عن مصر والسودان ، وقاوم محاولة الحاكم البريطاني سيرى ستاك في ارسال وفد سوداني من القيادات الدينية والعشائرية والقبلية لتهنئة ملك انجلترا كحركة مواجهة مضادة لحركة سعد زغلول الذي سافر الى فرنسا لعرض قضية تحرير مصر والسودان على مؤتمر الصلح المنعقد هناك .

وظهر موازيا لجماعة الاتحاد السوداني السرية انتفاضة عبد الله السجينى فى نيالا عام ١٩٢١ حيث احتل الطابية بعد قتل المفتش البريطانى والبكباشى الطبيب البريطانى .

وفى عام ١٩٢٢ حدث انشقاق فى جمعية (الاتحاد السودانى) حول ارادتين : متطرفون يطالبون بالعمل العلنى ومعتدلون يفضلون السرية ، وظهر فى ذلك الوقت الملازم أول السودانى على عبد اللطيف فى مدنى داعيا لجلاء البريطانيين معبرا عن رأيه بمقال أرسله الى جريدة الاخبار القاهرية التى كان يرأس تحريرها أمين الراعى تحت عنوان (مطالب الأمة السودانية) .

وعقب نشر المقال حوكم الملازم على عبد اللطيف وصدر الحكم بفصله من الجيش المصرى وسجنه لمدة عام ، وما ان خرج على عبد اللطيف من السجن فى أبريل ١٩٢٣ حتى بدأ فى تكوين جمعية اللواء الأبيض ، بعد شهر واحد من خروجه - فى اجتماع عام لم يحضره مصريون ، وذلك دليل على أن أهداف الجمعية فى الارتباط مع مصر كانت بوحى سودانى كامل .

اختارت الجمعية علما أبيض رسمت عليه خريطة النيل وفى ركن منها العلم المصرى الأخضر وعلى الارضية البيضا كلمتى (الى الامام) .

وانتشرت الجمعية فى معظم مدن السودان واتصل بها الضباط من زملاء على عبد اللطيف ، كما قامت بارسال وفد الى مصر مكون من ملازم زين العابدين عبد الدائم بالجيش المصرى ومحمد المهدي التعايشى ولكنه لم ينجح فى الوصول اليها فقد اعتقله البريطانيون فى حلفا وعاد تحت حراسة شديدة الى الخرطوم حيث استقبله فى المحطة حشد كبير من المواطنين على رأسهم على عبد اللطيف .

٥٠ : وأمام هذا الموقف ناقش البرلمان المصري قضية احتجاز الوفد
السوداني في جلسة عاصفة ، وانتقلت المناقشة أيضا الى مجلس
اللوردات البريطاني في جلسة ٢٥ يوليو ١٩٢٤ مما وضع القضية أمام
الرأى العام العالمى .

ولم تنته جمعية اللواء الأبيض مع الزعماء المصريين باعتقال وفدهما
في حلغا وإنما استمرت سرا مع بعض أعضاء الحزب الوطنى كما جاء في
كتاب محمود عبد الرحيم (مؤرخ السودان) باسم (الحقيقة عن حوادث
١٩٢٤) ومع حمد الباسل وحمدى سيف النصر رئيس لجنة السودان في
البرلمان المصرى والضابط السابق كما كتب الدكتور محمد أنيس في
الأهرام بتاريخ ٢٩ يوليو ١٩٧٣ ، وكذلك مع حافظ رمضان الذى زار
السودان عام ١٩٢٣ .

وكانت وزارة سعد زغلول الأولى في مصر التى شكلت في عام
١٩٢٣ ترقب هذه الأحداث في قلق ٠٠٠ وأبلفت الحكومة البريطانية
في ٢٥ يوليو ١٩٢٤ عن طريق مفوضها في لندن أن بعض الموظفين
البريطانيين في السودان يشجعون حركة مصطنعة ترمى الى انفصاله
عن مصر وأنهم يقدمون - بقبسوة وشدة - المظاهرات التى يقوم بها
المواطنون الموالون لمصر ، وطلب سعد زغلول من رئيس الحكومة
البريطانية أن يساعده في القضاء على تلك الأعمال التى تجرح الشعور
المصرى وتمس حقوقه .

وأرسل سعد زغلول برقية بنفس المعنى الى الحاكم العام : :
لم يجب الحاكم العام للسودان على البرقية ٠٠٠ أما وزير الخارجية
البريطانية فقد أجاب بأن حكومته تؤيد الحاكم العام للسودان في أخذ
المتدابرين الذين يشيرون الاضطرابات عمدا بالشبهة .

وعندما سافر سعد زغلول في ٢٥ يوليو ١٩٢٤ لمفاوضة رمزى
ماكدونالد رئيس حكومة العمال ، بدأ الضباط المصريون في تجميع
توقيعات تأييد له كىا روى لي اللواء محمد نجيب الذى كلف بجمع
التوقيعات أمام باب نادى الضباط مما أدى الى اغلاق النادى ووضع
بعض الضباط تحت التجفيف حتى أفرج عنهم بضبط زملائهم .

٥١ : ولم تنتج مفاوضات سعد - ماكدونالد ، إذ رفضت الحكومة
البريطانية كل تطالبة وخاصة فيما يتعلق بالسودان التى تكلم عنها
اللورد بارمور في البرلمان البريطانى قائلا (ان الحكومة البريطانية لا تترك
السودان بحال وهمي لتقلد التعهات الواجب تحملها والتي لا يمكن تركها
من غير أن تصاب سمعة بريطانيا بخسارة عظيمة) .

• وانفجر الموقف في السودان •

وتحول النضال المشترك ضد الاحتلال البريطاني من السرية إلى العلانية ، وتجسد في عدة مظاهر منها قيام مظاهرة في أم درمان بعد تشييع جنازة مأمورها المصري عبد الخالق حسن الذي كان محبوبا من السودانيين . ومظاهرة أخرى يوم ٢٣ يوليو ١٩٢٤ في الخرطوم هتفت بخروج الانجليز واصطلم بها رجال الأمن •

ووصات المظاهرات ذروتها في شكل صدام مسلح يوم ٩ أغسطس ١٩٢٤ عندما تظاهر طلبة المدرسة الحربية بزيهم العسكري وهم يحملون البنادق وخمسين طلقة وصاص ويحملون صور الملك فؤاد وسعد زغلول ومروا بمحطة السكة الحديد ليرى المسافرين إلى الأقاليم أن الخرطوم تتظاهر ضد البريطانيين ، ثم اتجهوا إلى منزل الزعيم علي عبد النظيف وهتفوا بحياته وسقط الانجليز والحاكم العام ثم مروا أيضا خارج سجن كوبر •

خلع طلبة المدرسة علامات الرتب حتى يتجنب الصف ضباط مسئولية ما يحدث • وصاحبهم في المظاهرة ضباط المدرسة وكان من بينهم اليوزباشي حسن حسنى الزيدى الذى أبلغ القائد البريطانى عن المظاهرة ليخلى مسئوليته والذى أصبح مفتشا عاما للجيش المصرى بعد معاهدة ١٩٣٦ •

وعقب عودة الطلبة إلى المدرسة حاصرتهم فصيلة بريطانية وطالبتهم بتسليم سلاحهم ولكنهم رفضوا إلا إذا وصلتهم برقية من الملك فؤاد •

وأبلغهم قائد الأورطة الرابعة المصرية أن برقية قد وصلتته من الملك تطالبهم بتسليم السلاح إلى أقرب وحدة مصرية ، فسلموا سلاحهم إليه فعلا ، ولما علم الانجليز بذلك عادوا إلى حصار المدرسة الحربية •

وكان ممكنا حدوث معركة رهيبة إذا حدث اقتحام أو تلاحم ، ولكن البريطانيين تحايلا عليهم حتى نقلوهم إلى بواخر في النيل ثم إلى أحد السجون •

ولم يقف الأمر عند حدود الكلية الحربية ، بل إن أورطة السكة الحديد التى أنشئت مع دخول الجيش المصرى إلى السودان وقامت بإنشاء طرق عديدة - أسهمت في المظاهرات حتى أطلق عليهم الرصاص بأمر الانجليز من بعض وحدات الفرسان فقتل خمسة جنود وانتهى الأمر إلى إبعادهم إلى أسوان •

ثورة يوليو ج ١ - ١٩٣٠

وحاكم على عبد اللطيف زعيم جمعية اللواء الأبيض وحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات حيث تعرض لمأساة شديدة بعد دخوله سجن كوبر اذ اعتدى عليه أحد المساجين بضربة على رأسه أدت الى ارتجاج في المخ هز قواه العقلية ٠٠٠ والغالب أن الحادث كان مدبراً .

عقب هذه الأحداث أرسلت وزارة سعد زغلول خطاباً في ١٥ أغسطس الى الحكومة البريطانية تقول فيه انها تتابع بمزيد الحزن والأسف الحوادث الأليمة التي تتوالى في السودان منذ بضعة أسابيع والتي اعتبرتها نتيجة طبيعية لخطة الموظفين البريطانيين في السودان .

وأجابت الحكومة البريطانية في نفس اليوم بأنها (تريد أن تعلن الحكومة المصرية بأنهم الصراحة بأنها تعد نفسها مسئولة عن حفظ النظام في السودان) .

وأضافت القول بأنها قد اتخذت العدة لتعزيز الحماية البريطانية وأجازت لحكومة السودان أن تبعث في الحال عن السودان أورطة السكة الحديد وأي وحدة أخرى من الجيش المصرى قد يرى فيها عدم الولاء . كما هددت بأنها (لن تتردد في اتخاذ أى تدابير أخرى لحماية الأمن) .

ورد سعد زغلول في ٢٢ أغسطس : ٠٠٠ رفض أن يكون للحاكم العام حق اتخاذ قرار بإبعاد جنود مصريين أو تعزيز الحاميات الموجودة هناك قبل الرجوع للحكومة المصرية ٠٠٠ وقال احتجاجاً على التصادم المسلح (ان الحكومة لتشعر بشعور الأمة تلقاء هذه الحوادث المشؤمة وهي ساهرة على معالجتها بما ينحفظ كرامة البلاد ويصون حقوقها) .

مصرع السردار والصدام المسلح :

كانت هذه الكلمات تعبيراً عن موقف الحكومة المصرية الوطنى وتأكيداً لمشاعر النضال المشترك ضد الاستعمار البريطانى .

ولكن ظروف الاحتلال لم تسمح للحكومة المصرية بتوفير مساندة ايجابية للقوات والشخصيات التي أنبرث للنضال .

ومع ذلك فقد وقع حادث تحيط به الشكوك وهو مصرع سردار الجيش المصرى وحاكم عام السودان سيرى ستاك ظهر يوم ٢١ نوفمبر ١٩٢٤ أثناء خروجه من منزله .

انتهزت انجلترا الفرصة وقدمت يوم ٢٢ نوفمبر انتدابين الى الحكومة المصرية حملهما اللورد اللتبي الى سعد زغلول في مركب من ٦٠٠ فارس بريطانى بهدف اشغال الثوثر والوصول به الى غاية مذباه تطالب بالآتى :

أولاً : اعتذار الحكومة المصرية نحن الجناة .

ثانيا : البحث عن الجناة وإنزال أشد العقاب بهم .

ثالثا : منع وتمنع كل مظاهره تشيعية سياسية .

رابعا : دفع نصف مليون جنيه غرامة للحكومة البريطانية .

خامسا : سحب الجيشى المطهرى من السودان وتحويل الوحدات السودانية التابعة للجيش المصرى الى قوة سودانية تكون لمخاضة وموالية للحكومة السودانية وحدها .

سادسا : اطلاق يد حكومة السودان فى أرض الجزيرة من ٣٠٠٠٠ فدان الى قدر غير محدود .

سابعا : أن تعدل الحكومة المصرية عن كل معارضة لرغبات الحكومة البريطانية فيما يتعلق بحماية مصالح الأجانب فى مصر ، وابقاء منصب المستشار السالى والقضائى ، واحترام نظام القسم الأوربى فى وزارة الداخلية .

وهكذا أسفرت الحكومة البريطانية عن كافة اطماعها بعد مقتل السردار ، وانتهزت الحادث فرصة لا تعوض لتحقيق أهدافها ... واستندت بمظاهرات اللورد اللنبى إلى التبنات احتمال تجوئها الى القوة العسكرية .

قبل سعد زغلول البنود الأربعة الأولى من الأنداز ، ورفض الباقى فى محاولة منه لعبور الأزمة التى قال عنها (ان جريمة اغتيال السردار قد أصابت مصر وأصابتنى شخصا) .

ولكن الحكومة البريطانية لم تقبل ذلك ، واستندت الى عدم قبوله الانذار كاملا ، واحتلت القوات البريطانية جمرىك اسكندرية ، فقدمت الوزارة الوطنية استقالتها فى ٢٣ نوفمبر ١٩٢٤ بعد عشرة شهور فقط من توليها الحكم . وجاء زيوار باشا رئيسا للوزراء قابلا للانذار متساهلا فى كل شئ قائلا كلمته المشهورة التى جعل منها أساسا لسياسته (أنقاذ ما يمكن انقاذه) .

أسرعت الحكومة البريطانية فى تنفيذ مخططاتها ، فهاضمت القوات البريطانية القوات المصرية فى الخرطوم ... وأصدرت حكومة زيوار باشا أوامرها للقوات المصرية بعدم المقاومة لأنه (ليس من ورائها سوى سفك الدماء بغير جدوى) .

ووصل الموقف في السودان الى درجة الغليان ، وثارت الكتيبة (الأورطة) الحادية عشرة السودانية بقيادة عبد الفضيل المظ ، وقررت التحرك الى كوبرى الخرطوم الشمالى حيث قررت الاتحاد مع الجيش المصرى بالخرطوم بحرى ، وهنا خرجت قوة بريطانية لمنعها من الوصول . فأصدر عبد الفضيل المظ أمرا بالضرب فى البريطانيين الذين تعرضوا لها واستمر القتال حتى انتهت ذخيرتها عند منتصف الليل ٠٠٠ وهنا هجمت على المستشفى العسكرى البريطانى وقتلت بعض ضباطه ، واحتلوا نادى الضباط المصريين خلال الليل ، ولكن القوات البريطانية حاصرتهم وأطلقت عليهم النيران كما نسفت المستشفى الذى أخذته القوات السودانية حصنا لها .

استمرت مقاومة الأورطة الحادية عشرة حتى صباح ٢٩ نوفمبر واستشهد قائدها عبد الفضيل المظ أثناء القتال ، ثم اضطرت للتسليم حيث أصدرت قوات الاحتلال البريطانية حكما بإعدام ثلاثة ضباط شهداء هم حسن فضل الخولى وسليمان محمد وثابت عبد الرحيم وكان رابعهم على البنا الذى استبدل الحكم عليه الى السجن المؤبد .

واعتبر يوم الإعدام ٢٥ ديسمبر يوم حداد عام فى السودان .

وفصل الاستعمار ١٧ ضابطا رفضوا أن يقسموا يمين الولاء للحاكم العام وفروا الى مصر كما حضر اليها عدد من طلبة المدرسة الحربية حيث عملوا جميعا فى الجيش والبوليس .

ودخلت الثورة سجن كوبر مرة أخرى عندما علم المسجونون السياسيون بالحوادث فقدموا الى المحاكمة بتهمة محاولة قلب نظام الحكم ، وصدر حكم ثالث بالسجن على على عبد اللطيف لمدة سبع سنوات وانتقل من سجن كوبر الى سجن واو .

وثارت الأورطة العاشرة السودانية فى ديسمبر ١٩٢٤ عقب سماع أحكام الإعدام واستولت على مدينة واو ، وثارت الكتيبة ١٣ فى الأبيض ولكن الاستعمار البريطانى استطاع فى النهاية أن يفرض نفوذه على الموقف . ومع ذلك قبلت حكومة زيوار باشا أن تشترك فى نفقات القوات العسكرية فى السودان بمبلغ ثلاثة أرباع مليون جنيه سنويا .

وهكذا اكتملت مؤامرة الاستعمار البريطانى ضد الوجود المصرى فى السودان .

الجيش بعد نكسة ١٩٢٤ :

خرجت الوحدات المصرية كلها من السودان ، وحولت الوحدات السودانية التابعة للجيش المصرى الى قوة مسلحة سودانية تابعة للحكومة السودانية وحدها .

وصدر قرار من الحاكم العام السودانى بإنشاء قوة دفاع السودان يوم ١٧ يناير ١٩٢٥ يكون له فيها حق منح العرائض للضباط وتعيينهم وعزلهم مع تحمل حكومة السودان لكل التزامات المرتبات .

ولم يجد زيوار باشا أمام هذا القرار الذى يفصل بين وحدة المصريين والسودانيين فى وحدات الجيش قسرا وبحد السكن الا أن يرسل الى الحاكم العام معلنا (أسف) الحكومة المصرية لهذا الموقف الذى (سبب للحكومة المصرية قلقا حقيقيا كما أحدث انزعاجا عظيما لارأى العام فى مصر) .

وانهى خطابه قائلا : (لا يسعنى بحق الا أن أقرر فى هذا الشأن تخفطات مصر القانونية ، وأن أؤكد فى الوقت نفسه بصفة خاصة أن الحكومة المصرية تعتبر أن الظروف العارضة التى قضت بعودة الجنود المصريين وكذلك الظروف الخاصة بتأليف قوة الدفاع عن الأقاليم السودانية ، كل هذا لا يمكن أن يؤثر فى حل مسألة نظام السودان البنىائى ، تلك المسألة المحتفظ بها للمفاوضات المقبلة كما أنها لا يمكن أن تضعف ما بين مصر والسودان من الروابط التى لا انفصام لها) .

ولكن خطاب زيوار لم يمنع من تنفيذ أخطر قرار فى تاريخ العلاقات بين الدولتين حيث أنهى الصلة الوطيدة التى كانت قائمة بين المصريين والسودانيين فى إطار الجيش .

وأصبح الجيش المصرى لأول مرة من عهد محمد على مكونا من المصريين فقط ولم يعين له سردار بريطانى بعد مقتل سيرلى ستاك . وكان سردار الجيش المصرى يعين فى منصب الحاكم العام كما كان الأمر مع كيتشنر ووينجت ولى ستاك .

انفصل المنصبان بتعيين سير جيفرى آرثر حاكما عاما للسودان بدلا من سيرلى ستاك .

وأنشئت وظيفة (مفتش عام الجنود المصريين) باعتبارها أكبر منصب عسكري فى مصر ، يصادل وظيفة السردار التى اقتضرت على السودان . وعين اللواء سبنكس باشا فى هذا المنصب فى يناير ١٩٢٥ .

ومع ذلك فقد ظهرت تحت ضغط المعارضة المصرية فكرة تعيين سردار مصرى للجيش .. ولكن الحكومة البريطانية عارضت ذلك بشدة حتى لا يصبح هناك نفوذ مصرى على الجيش ، واستبدلت ذلك بالاتفاق مع حكومة زيوار باشيا على انشاء مجلس للجيش ولجنة للضباط تكون لها مسئولية برلمانية .

وكان سبنكس باشيا عضواً في هذه اللجنة التي أصبح تشكيلها بمثابة عامل اضعاف لنفوذ أى سردار للجيش في حالة تعيينه .. هذا في الوقت الذي زاد فيه التركيز على دعم المركز للمفتش العام البريطانى .

وقد أدت عودة الجيش المصرى من السودان الى خفض عدد قوائمه الى أقل من النصف وزيادة نسبة الضباط فيه وهم الذين كان بعضهم يتقود وحدات سودانية .. كما نشر الدكتور عبد العظيم رمضان في مجلة السياسة الدولية عدد يناير ١٩٧٥ نقلاً عن جريدة المقطم الصادرة في ٢٤ ديسمبر ١٩٢٤ التي نشرت ان عدد الجنود كان ٨٠٠٠ وعدد الضباط يربو على ٥٠٠ منهم ٣٠٢ عائد من السودان .

وحاولت حكومة زيوار معالجة ذلك بزيادة عدد القوات المصرية ونقل عدد من الضباط الى البوليس والمصالح الاخرى .

أما التسليح فقد انهار وتخلّف تنفيذ الخطة البريطانية التي كانت تحتفظ بمسئولية الدفاع عن مصر .

لم يكن هناك سلاح الطيران ولا مدرسة بحرية : وقال اللواء صالح حرب باشا في مجلس النواب ، جلسة ٢١ يونيو ١٩٢٧ (ان الفرق بين مدافع الطوبجية (المدفعية والاختشاب يسير للغاية) .. ولم يكن عدد المدافع التي يملكها الجيش في ذلك الوقت يزيد عن ٢٤ مدفعاً .

وقال عبد الرحمن عزام الذى سبق له الاشتراك مع العثمانيين في حرب ليبيا في جلسة مجلس النواب يوم ١٦ فبراير ١٩٢٧ (لا يمكن أن يوجد في مملكة واحدة جيشان . الجيش المصرى وجيش الاحتلال ، لأنه مع بقائه يتعذر اصلاح الجيش وتكون كل زيادة في عدده عبثاً) .. ثم يتماهى في رأيه فيقول : (ورأى أنه اذا تعذر اصلاح الجيش وجب الفاؤه) .

واعترض عبد الحميد سيد عضو الحزب الوطنى وعضو مجلس النواب في جلسة ٦ سبتمبر ١٩٢٦ على بقاء مبلغ ثلاثة أرباع مليون جنيه ضمن الميزانية كجبروفات على الجيش في السودان في وقت أن (أنشأ حاكم السودان بأمر من الحكومة الانجليزية جيشاً منفصلاً عن الجيش المصرى تمام الانفصال) .

وكان ابتعاد الجيش المصري عن السودان • وقصر التجنيد فيه على المصريين أمرا جديدا يتم لأول مرة بعد أكثر من قرن كامل اختلط فيه أفراد الشعبين في وحدات عسكرية مشتركة • ونسجت علاقات اجتماعية دينية بين الضباط المصريين والسودانيين •

وعلى سبيل المثال فإن جده محمد نجيب لوالدته ووالده وبخاله كانوا جميعا من المصريين الذين عاشوا في السودان وجاروا ودفنوا هناك •

ولذا كان تصور المصريين بأن ابتعاد الجيش المصري عن السودان هو أمر مؤقت لا يمكن أن يستمر ويدوم • هو الشعور السائد ، وهو ما دفع فكرى أباطة الى المطالبة في مجلس النواب بالاحتفاظ بالمبلغ المدرج في الميزانية لمصاريف الدفاع عن السودان أو تخفيضه كرمز للعلاقة الوثيقة الجالدة بين الشعبين •

وخلال هذه الفترة لم تستطع قوات الاحتلال أن تقيم سدا عازلا بين مصر والسودان •• فقد ظلت العلاقات حية ومتجددة ، على الصعيد الشعبى والسياسى ، واستمر موضوع السودان نقطة أولى في المفاوضات المتكررة بين الحكومتين المصرية والسودانية وموضوع مناقشة دائمة تحت قبة البرلمان •

وحضر الى مصر الزعيم السودانى على عبد اللطيف بعد الافراج عنه حيث دخل مستشفى الامراض العقلية متأثرا بإصابته في رأسه داخل سجن كوبر •• وظل محل رعاية الحكومة المصرية حتى وافاه الأجل في ٢٩ مايو ١٩٤٨ •

وتدفق عدد من الضباط السودانيين الوطنيين الراضين لمحاولة الاستعمار البريطانى عزل وطنهم عن مصر والانفراد بالسيطرة عليه • ووجد هؤلاء الضباط في مصر ترحيبا وتأييدا من معظم الجهات وخاصة من الوفد •

وفى ذلك يقول محمد عبد الرحيم فى كتابه (الصراع المسلح على الوحدة فى السودان) انه قابل النحاس باشا رئيس الوفد الذى قال له انه قرأ فى الصحف أن فريقا من الضباط السودانيين بلغوا القاهرة عقب نكسة ١٩٢٤ بعد عناء وشقاء ولم تصرف لهم مرتباتهم عدة شهور ••• واتصل بهم النحاس باشا كحاكم وطلب منهم تفويضا له لمطالبة الحكومة بحقوقهم فأجابوه الى ذلك ورفع لهم قضية طلب فيها لكل ضابط ١٣٠٠٠ جنيه وعندما بلغت الجلبة الأخيرة التى ينطق الحكم فيها لصالحه كلفه الملك فؤاد بتشكيل وزارته الأولى عام ١٩٢٨ • فكان أول قرار أصدره

بصفته رئيسا للوزراء ووزيرا للداخلية هو الحاق هؤلاء الضباط ببلكات
الخفر وصرف مرتباتهم وعلاواتهم المتأخرة . مع ترقية الذى يستحق
الترقية منهم .

وكان الضباط السودانى على البنا الذى صدر ضده حكم الاعدام فى
نوفمبر ١٩٢٤ ثم استبدل بالسجن المؤبد فهد أمضى ١٠ سنوات فى سجن
واو ، ثم أفرج عنه وسافر فورا الى مصر حيث ساعده الأمير طوسون على
التعيين فى وظيفة مدنية الى أن تولى النحاس باشا رئاسة وزارته الثانية
حيث كان حمدي سيف النصر وزيرا للحربية فأعاد على البنا الى الجيش
برتبة اليوزباشى حيث صار يتدرج فى سلم الترقيات الى أن أصبح كبيرا
للياوران بعد ثورة ١٩٥٢ فى عهد محمد نجيب .

وظلت الامور على ما هى عليه ١٢ عاما كاملة رغم محاولة حكومة
الوفد اقرار بعض القواعد الاصلاحية للجيش عام ١٩٢٨ فوصلت الى
الاسكندرية ثلاث بوارج حربية بريطانية للتهديد . وخرجت حكومة
الوفد . ورفى سبنكس باشا الى رتبة (فريق) .

واخيرا وقعت معاهدة ١٩٣٦

الحركة السياسية قبل ثورة يوليو :

نصت معاهدة ١٩٣٦ على عودة الجيش المصرى الى السودان بعد
أن انتهت خدمة الضباط البريطانيين فى الجيش المصرى وتلى رأسهم
المفتش العام واستبدلهم ببعثة عسكرية بريطانية كان مقرها فى كوبرى
القبة .

واستقبل الجيش السودانى عودة الجيش المصرى بترحيب صادق.
وغمر جنوده بالورود والهتافات والزغاريد فقد وجد فيه باعنا على حيوية
الكفاح المشترك ضد الاستعمار البريطانى .

عاد الجيش المصرى الى السودان بقيادات مصرية غير خاضعة
للبريطانيين ، وموقفها من الحاكم الصام يختلف عن موقفها سابقا حيث
كان سردار الجيش المصرى هو الحاكم العام فى نفس الوقت .

عاد الجيش المصرى بينما لم يزر السودان واحد من رؤساء الأحزاب
المصرية أو كبار السياسيين سوى على ماهر وحافظ رمضان .

وكانت الروح السائدة أن معاهدة ١٩٣٦ هى كما أطلق عليها
مصطفى النحاس (معاهدة الشرف والاستقلال) وأن عودة الجنود
المصريين تشكل انتصارا وطنيا للنضال المشترك ضد الاستعمار
البريطانى .

وانتهز المثقفون السودانيون فرصة عقد معاهدة ١٩٣٦ وعودة العلاقات بين البلدين الى صورة شبه طبيعية وكونوا مؤتمر الخريجين عام ١٩٣٧ وضموا اليه صغار الموظفين والبرجوازية الوطنية والطلاب ، وعقد المؤتمر الأول في فبراير ١٩٣٨ حضره ١١٠٠ خريج وتكون له مجلس ادارة من ٦٠ عضوا انتخبوا من بينهم ١٥ عضوا لهيئة تنفيذية انتخبوا اسماعيل الازهرى سكرتيرا عاما له .

ومع ذلك فان الفصل قد تم بطريقة عملية فلم يكن هناك ضباط مصريون في قوة الدفاع السودانية ولم يعد الجيش المصرى مطعما بقوات سودانية اللهم الا الذين هربوا من السودان احتجاجا على أحداث ١٩٢٤ أو سافروا الى مصر بعد الافراج عنهم من السجون السودانية . واقتصر دخول المدرسة الحربية في الخرطوم على السودانيين .

كما أن الجيش المصرى لم يكلف بواجبات دفاعية ولم تكن قد تكونت فيه حتى هذه المرحلة تشكيلات قتالية ، بل كان أسلحة منفصلة يكاد كل منها لايعرف شيئا عن طبيعة الآخر حيث انعدم التدريب المشترك والمناورات أيضا .

وخلال هذه الفترة تدفق جيل جديد من الضباط لم يخدم في السودان من قبل ولم تتوافر له الصلات التي توافرت للجيل السابق من الضباط . جيل محمد نجيب ومن سبقه .

وانتقل جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ضمن ضباط الكتيبة (الأورطة) الرابعة المشاة الى السودان في ديسمبر ١٩٣٩ حيث بقى هناك سنتين الى ديسمبر ١٩٤١ وهي المدة التي كانت مقررة لبقاء الكتيبة المصرية في السودان .

وتنوعت واجبات القوات المسلحة خلال الحرب . . . واعتمد البريطانيون على قوة الدفاع السودانية وحدها فتحركت بعض الوحدات الى ساحة القتال في ليبيا وأثيوبيا وشرق أفريقيا . ويقدر عددها بحوالى ٧٠٠٠ جندي ، وكانت بذلك أكبر قوة عسكرية من الجنود الافريقيين اعتمد عليها البريطانيون .

اما الجيش المصرى فلم يضع البريطانيون له دورا أو واجبا في خطة قتالهم الا ضمن خطة الدفاع الجوى عن القاهرة والاسكندرية ومدن القناة فقط . . . وذلك أنهم كانوا يخشون تزويدهم بالأسلحة الحديثة مع وجود خيرة من العناصر الوطنية المعادية للاحتلال البريطانى المتأثر بالحركة السياسية خارج الجيش . وخاصة بعد دخول أبناء البرجوازية الصغيرة الى الجيش بعد معاهدة ١٩٣٦ .

وقد نجم عن تجنبه أعداد كبيرة من السودانيين أزمة شديدة عام ١٩٤٥ عندما انتهت الحرب وقررت الحكومة البريطانية تسريح الجنود بلا مكافأة ، الأمر الذي أدى إلى إعلان قوة الدفاع السودانية للعصيان بركات هذه أول جركة معادية بعد أحداث ١٩٢٤ .

واضطرت الحكومة البريطانية إلى تسوية الموقف بدفع مكافآت للجنود وتشكيل مجلس استشاري للحاكم العام من رؤساء القبائل والإطوائف الدينية .

ولكن مؤتمر الخريجين قاطع المجلس الاستشاري ، بعد رفض الحاكم العام البريطاني للمذكرة التي كان قد تقدم بها مؤتمر الخريجين عام ١٩٤٢ يطالب فيها بحكومة سودانية بعد انتهاء الحرب ، والغاء احتكار الحكومة للتجارة الخارجية .

رفض الحاكم العام البريطاني المذكرة ، ورفض أيضا الاعتراف بالمؤتمر كممثل للشعب السوداني .

وبدأت مع عام ١٩٤٥ ومن مواجهة مؤتمر الخريجين للمجلس الاستشاري فكرة تكوين الأحزاب . فشكل حزب (الأشقاء) برئاسة اسماعيل الأزهرى سكرتير مؤتمر الخريجين . وحزب (وادى النيل) الذى أسسه الدردري اسماعيل وحزب (الأحرار الاتحاديين) ، وقد اندمجت جميعا فى الحزب الوطنى الاتحادى عام ١٩٥٢ .

كما تشكل حزب الأمة فى ٢٨ يناير ١٩٤٥ تحت رعاية السيد عبد الرحمن المهدي ويضم نظائر العشائر وشبه الاقطاعيين ، وبعض المثقفين المرتبطين فكريا وماديا بالثقافة الغربية .

ولم تكن تنتهى الحرب العالمية الثانية حتى تفجر النضال الشعبى فى مصر والسودان ضد الاستعمار البريطانى . ولم تشهد مصر فترة زلجرة باضرابات ومظاهرات واعتصامات الجماهير الشعبية من عمال وطلبة ومهنيين مثلما شهدت فى هذه الفترة التى برز فيها ٢١ فبراير ١٩٤٦ كيوم من أمجد أيام نضال الشعب المصرى ، عندما تصادمت جماهير الشعب مع قوات الاحتلال القابعة خلف ثكنات قصر النيل فى ميدان الاسماعيليه (التحرير فيما بعد) وسقط ٢٣ قتيلا ، و١٢١ جريحا ، وذلك خلال حكم اسماعيل صدقي الذى خلف وزارة محمود فهمى النقراشى التى ارتكبت جريمة الاعتداء على الطلبة المنهورة بجاذت كوبرى عباس يوم ٩ فبراير .

كان الضباط المصريون قد بدأت صلاتهم بتعقد خلال هذه الفترة الباهرة من فترات النضال الوطنى مع التظيمات السياسية وخاصة

الاخوان المسلمين ، والحركة الديمقراطية للتحرر الوطني وهي تنظيم الشيوعيين .

ولم تستطع الأحزاب (الوفد وأحزاب الأقلية) اجتذاب الضباط الى صفوفها لأسباب كثيرة أوجعناها في الجزء الأول (قصة ثورة ٢٣ يوليو) .

أما في السودان فالموقف كان يختلف ، كانت هناك صلات قبلية وطائفية وعائلية تربط ضباط الجيش بالأحزاب التي نشأت بعد الحرب العالمية الثانية وذلك انعكاسا لطبيعة المجتمع السوداني البسيط .

والى جانب الأحزاب التي أشربنا إليها والتي انفصلت عن مواجهة مؤتمر الخريجين للمجلس الاستشاري ، ظهر التنظيم الشيوعي (الحركة السودانية للتحرر الوطني) والذي ثبت في أحضان (الحركة المصرية للتحرر الوطني) ثم انفصل عنها بعد أن اكتنل تضجعه واستوت عينا صره .

وكان الخط السياسي للحركة الجديدة الناشئة يدعو الى (الكفاح المشترك للشعبين المصري والسوداني ضد الاستعمار مع حق تقرير المصير للشعب السوداني) .

كان اقتران الهدفين معا ذا معنى سياسي هام . لأن الاستعمار البريطاني كان يهجم فكرة (حق تقرير المصير للشعب السوداني) مفرغة من محتواها الوطني ، إذ أنه كان يود اعطائه هذا الحق في قبلي النفوذ والسيطرة الاستعمارية ، كما أن بعض المصريين تسرعوا في مهاجمة فكرة تقرير المصير باعتبارها تنفيذا لما يطمح فيه الاستعمار .

هذا بينما كان رفع شعار (الكفاح المشترك) ضربة شديدة موجّهة للتخطيط الاستعماري الذي كان يثير عواطف السودانيين ضد شعار (وحدة وادى النيل) باعتباره محاولة للتسلط في الشمال على الجنوب .

وبدأت الحركة السودانية للتحرر الوطني تظهر ايجابيتها عندما قادت الشعب السوداني في مظاهرات عنيفة يوم ١١ مارس ١٩٤٦ تأييدا لنضال الشعب المصري ضد الاستعمار ، وفي أعقاب مظاهرات الاسكندرية في يوم الحداد ٤ مارس ١٩٤٦ .

كانت هذه أول مظاهرات يشهدها السودان بعد ٢٢ عاما منذ أحداث ١٩٢٤ .

وكانت الحركة السودانية للتحرر الوطني التي تكونت في مطلع ١٩٤٦ من خلية صغيرة من المثقفين وبعض الطلبة وعناصر قبلية من العمال قوة ناشئة ذات أفكار جديدة نابعة من الماركسية الليبية .

وكان لهذه الحركة نظرة للنضال السابق في السودان كما ورد في كتاب (لمحات من تاريخ الحزب الشيوعي السوداني) الطبعة الثانية الذي جاء فيه (إن الشعار الرئيسي للحركة وحدة وادي النيل يعبر عن العجز السياسي والاقتصادي للطبقة الوسطى السودانية أكثر من التعبير عن رغبة الجماهير الشعبية في الانعتاق من عسف الاستعمار البريطاني ، يدل على هذا أن أقساما كثيرة من جماهير الشعب السوداني كانت ترى - على حق - في الجنود المصريين المسخرين والموظفين المصريين جزءا من القسوة التي سحقت استقلال البلاد قبل سنوات ، وقامت بأعمال شائنة ضد المواطنين ، وكذلك كان المأمير المصريون أمام أعينهم ينفذون في قسوة تعاليم الاستعمار وأوامره ، لهذا فإن شعار وحدة وادي النيل كان عاجزا عن تعبئة الجماهير في حركة ضد الاستعمار .

وتتطور نظرة الحركة السودانية للتحرر الوطني في القول بأن ممثلي الطبقة المتوسطة الذين تكون منهم مؤتمر الخريجين ورفعوا شعار وحدة وادي النيل تحت التاج المصري والذين ادعوا أنهم تحت هذا الشعار يضمون تأييد مصر ، ونسوا أن الدوائر الحاكمة المصرية كانت تمنح التأييد لشعب السودان على أمل زحزحة النفوذ البريطاني ونيل مكانب استقلالية في السودان . . وأن قوة القضية السودانية لا تنبع من تأييد البلاط الملكي المصري بل من عدالة هذه القضية واستعداد شعب السودان للنضال في سبيلها .

وهكذا نشأ اتجاه سياسي جديد في السودان لا يتطابق مع الاتجاهات التي انغلقت عن مؤتمر الخريجين وتركزت في حزب الأمة أو الوطني الاتحادي .

وبعد التفاوض ١٩٤٦ في مصر ، واضراب الطوائف المختلفة عام ١٩٤٧ وفشل مشروع صدقي بيفن ، وجيرة الأحزاب السودانية في مجابهة الموقف ، حدث خلاف في وجهات النظر داخل الحزب الشيوعي السوداني نتيجة موقف بعض عناصره القيادية التي رددت شعار (وحدة وادي النيل تحت التاج المصري) ولم تجرؤ على إعلان برنامج الحزب والوثيقة المشتركة التي وضعت مع الشيوعيين المصريين ونادت بالجلالة عن مصر والسودان وعق الشعب السوداني في تقرير مصيره ، كما أن البعض منهم قد تمادى لخطب مؤيدا للتاج المصري ، حتى أطلق على بعضهم اسم (الشيوعيون المكيون) .

وحسم هذا الموقف في صيف عام ١٩٤٧ إذ تقرر فصل العناصر المسيطرة على الحزب .

وانطلقت الحركة الجماهيرية بعده ذلك في مسارها الجديد ووصلت الى الطبقة العاملة التي اتسع نطاق اضراباتها حتى أصبح عام ١٩٤٨ عام تحول في الحركة الوطنية السودانية ووضع الأساس لاستقلال البلاد فيما بعده .

ولكن الحزب الشيوعي ظل مع ذلك غير بارز كقوة منفردة في الحياة السياسية واتجه بعض أعضائه للعمل داخل الأحزاب الأخرى .

ودخل الحزب أزمة جديدة في مطلع عام ١٩٤٩ عندما بدأ المد الجماهيري ينحسر بعد حرب فلسطين ، ويخرج من صفوف الحزب عشرات من المثقفين ، وعقد أول اجتماع تداولي وأديننت فيه سياسة عوض عبد الرازق سكرتير الحزب وتقرر فصله وانتخاب الشهيد المناضل عبد الخالق محجوب سكرتيراً عاماً للحزب .

وانفتح الحزب بعد ذلك على مختلف الطوائف والفئات ، ووصل الشهيد المناضل الشفييع أحمد الشيخ الى مركز سكرتير اتحاد نقابات عمال السودان ، وحاول الاستعمار أن يحل الاتحاد عام ١٩٥١ ولكن تطور الحركة الوطنية في السودان أدى الى تكوين الجبهة المتحدة لتحرير السودان في أوائل عام ١٩٥٢ ، وفيها اتحاد النقابات الذي دعا الى الأحزاب في أبريل ١٩٥٢ رداً على محاولة الاستعمار تعديل قوانين النقابات .

وقد أدى ضعف نظام الحكم الملكي في مصر بعد حريق القاهرة وسرعة تغيير الوزارات الى تركيز القوى الحزبية السودانية على العمل في صفوف الجماهير ، ونمو فكرة النضال المشترك ضد الاستعمار في مصر والسودان .

وكما كانت حركة الجيش تختمر في مصر كانت الحركة الجماهيرية في السودان تزداد اشتعالا .

الفصل الثانى

السودان .. وحركة الجيش المصرى

(ثم اقرأ فى حياتى قبل ٢٣ يوليو
 من المموفان مولى الفلور اليسير)
 « صلاح سالم »
 (ان لحسم الكنائى من نفسى ولكن
 هل يرضيكم ان يحكمنا صلاح سالم
 والعسكريون فى مصر ؟)
 « اسماعيل الأزهري »

كان التطار حركة الجيش فى يوليو ١٩٥٢ فوضعت تاييدك شامل من
 جماهير الشعب المتحدانى ، وكان تعيين منحه لجيب قائدا كاهتا للقوات
 المسلحة ثم رئيسا للوزراء فرئيسا للجمهورية محل حفاوة وترجيب الكثير
 من السياسيين الذين كانت تربطه بهم علاقات شخصية وثيقة .
 عندما مر وفد السودان بالقاهرة فى طريقه الى لندن عام ١٩٣٦ لمرض
 قضية السودان زار أعضاء الوفد جميعا منزل مجده نجيب ١٠٠ وكان
 مايزال سابا برتبة اليوزباشي ٠٠ وكان الوفد يضم محمد عثمان الميرغنى
 والصديق المهدي قطبا الطائفية فى السودان : الختمية والانصار .
 ومحمد نجيب أمضى طفولته وصباه فى السودان مع والده يوزباشي .
 يوسف نجيب الذى خدم ومات هناك حيث دأب مع جد محمد نجيب

لوالدته ، وخاله أيضا ، وعندما ذهب محمد نجيب الى المدرسة الحربية في القاهرة في ابريل ١٩١٧ لم يبق بها سوى شهر عاد بعدها ضابطا في الكتيبة ١٧ مشاة بالسودان في فبراير ١٩١٨ وهي نفس الكتيبة التي كان والده يخدم بها .

وبقى نجيب في الجيش المصرى بالسودان حتى ٢٣ ابريل ١٩٢٣ حيث نقل ضابطا في الحرس الملكى بمصر . ولم يمنعه ذلك من الاتصال بالمناضلين السودانيين الذين هربوا من السودان الى مصر ، ولذا نقل من الحرس الملكى في مايو ١٩٢٥ ، وأتاح له ذلك مزيدا من حرية الحركة والاتصال بزملائه الضباط السودانيين ومنهم السيد فرح الذى هرب بعد الحكم عليه بالاعدام وترقى في الجيش المصرى حتى أصبح محافظا لطروح في سلاح الحدود ، والسواء عبد العزيز عبد الحى الذى عين مديرا لأسوان .

لم تكن هناك حساسيات ولا فروق في تعيين السودانيين في المناصب الكبرى حتى في السراى مثل عبد الله النجوى الذى كان ياورا للملك .

لم يعد محمد نجيب للسودان بعد ذلك الا في بعثة كان يرأسها اللواء ابراهيم خيرى وكيل وزارة الحربية عام ١٩٣٦ لتنظيم اعادة الجيش بعد توقيع المعاهدة وهناك قام بزيارة أسر الضباط الهاربين الى مصر .

وعندما قامت الحرب العالمية الثانية ووقدت الى الصحراء الغربية وليبيا بعض وحدات قوة الدفاع السودانى وعسكرت في منطقة بنى يوسف بمحافظة الجيزة وكان محمد نجيب كثير التردد عليهم عاقدا لصلات الود معهم ، مستعينا بالأمير عمر طوسون وبك مصر والجمعية الزراعية لمساعدتهم وتقديم الهدايا لهم .

وعندما بلغ ذلك ادارة المخابرات البريطانية أصدرت أوامرها لضباط القوات السودانية بعدم النزول الى القاهرة أو قبول دعوات المصريين .

وخلال عام ١٩٤٦ لعب محمد نجيب دور الوسيط بين مجموعات من السودانيين فلفت ذلك نظر السفارة البريطانية التى أرسلت خطابا الى محمود فهمى النقراشى تلفت فيه نظره الى (ان القائمة محمد نجيب قد اعتاد على عقد اجتماعات مع بعض السودانيين بمنزل رقم ٧ شارع سكة الميدانين بسراى القبة للتباحث في الشؤون السياسية) .

ويقول محمد نجيب ان النقراشى باشا قد استدعاه لمناقشته ، وعندما علم منه أنه قدم عدة أبحاث ودراسات عن السودان بدأها عام ١٩٤٣

بمعنوان (ماذا يجري في السودان) ، (يله الاستعمار على حدود السودان) ،
(اللغة والأدب في جنوب الوادي) ومقالات في مجلة الجيش .

وعندما علم النقراشي باشا بذلك طلب منه بحثا عن قضية السودان
لينحمله معه الى نيويورك أثناء عرض قضية مصر على مجلس الأمن . . .
وانعقدت الصلة بين الرجلين حتى قتل النقراشي ، وخلال حرب فلسطين
كانت هناك فصيلة من المتطوعين السودانيين بالمجدل ضمن وحدات قيادة
نجيب الذي كان قد وصل الى زنتية الأميرالاي « الغميلة » .

هكذا كان محمد نجيب وهو على قمة ثورة يوليو مؤخلا بحكم تاريخه
وعلاقاته لاكتساب ثقة السودانيين ودعم روح التضال المشترك بين
الشعبين ضد الاستعمار البريطاني .

وعندما حل الملك فاروق مجلس إدارة نادي الضباط وعزل محمد
نجيب الرئيس المنتخب لجأ الى محمد أحمد محبوب بصفته محاميا لرفع
الأمر الى القضاء . ويقول محبوب ان ذلك لم يتحقق لسبب بسيط هو
قيام الثورة بعد يومين من الحديث .

ولم يكن محمد نجيب هو صاحب الصلة الشخصية الوحيدة
بالسودان من أعضاء مجلس قيادة الثورة . . كان هناك أيضا الصاغ
صلاح سالم الذي ولد في قرية سناكات عام ١٩٢١ ولكنه كما روى الدكتور
محمد المعتظم في كتابه « صلاح سالم » كان بعيدا عن أية صلة بالسودان
اذ يقول على لسانه (لم أقرأ في حياتي قبل ٣٣ يوليو عن السودان سوى
الجزر اليسير . . . لم أقرأ سوى كتابين أحدهما استخفني بعنوانه عن الصيد
والمغامرات في غابات جنوب السودان لعلنا سيبيوهي ، والآخر لتشرشل
بمعنوان (حب النهر) . . ولم يكن لي صديق سوداني واحد يحدثني
وأحدث معه في شئون بلاده وأهله . . لم أسمع شيئا عن السودان الا من
والدي الذي أمضى زهرة شبابه وحياته في ربوع هذا القطر) .

وقد ارتبط صلاح سالم بقضية السودان بمصادفة وظن غير قصيدة
فقد كان مكلفا بشئون الجيش في بداية الثورة الى جانب اللواء محمد
نجيب كل من الصاغ عبد الحكيم عامر مدير مكتبه الصاغ كما الدين
جسين والصاغ صلاح سالم .

وتصادف أن تلقى صلاح سالم مكالمة من البكباشي عبد الفتاح حسن
الباور المصري للحاكم العام في الخرطوم يبلغه فيها أن بعض الجنود
السودانيين الذين جندوا بعد حريق القاهرة ثم سرحوا وإرسلوا الى السودان

ثورة يوليو ج ١ - ١٩٦٩

قد تظاهروا ضد مصر لانهم لم يحصلوا على مكافأة ترك بخلمة ورغم أن القانون لا يسمح بصرف هذه المكافأة فان صلاح سالم أصدر قراره بصرفها باعتباره مكلما بمسؤولية قوات الجيش في السودان .

وفي أغسطس ١٩٥٢ كلف المجلس صلاح سالم بالاشراف على شئون السودان بعد أن كان هناك اتجاه لتكليف خالد محيي الدين بذلك .

وتوافدت على القاهرة وفود الأحزاب السودانية للتعرف على رجال مجلس قيادة الثورة الذين لم يعرفوا منهم الا محمد نجيب .

حضر ممثلو كافة الأحزاب المؤيدة للاتحاد مع مصر ، والمعارضة له أيضا . حضر السيد عبد الرحمن المهدي واعتذر عن عدم الحضور السيد علي الميرغني لمرضه .

وبدأت مفاوضة قادة حركة الجيش مع مندوب الأحزاب بوفد مصري. مشكل برئاسة اللواء محمد نجيب رئيس الوزراء ، وعلى ماهر وعبد الرازق السنهوري والصاغ صلاح سالم وقائد الجناح حسين ذو الفقار صبري .

ورغم أن مندوبي هذه الوفود كانوا يلتقون بجمال عبد الناصر الا أنه لم يكرس جانبا كبيرا من وقته لموضوع السودان ، حيث استغرقته المشاكل الداخلية في مصر خارج الجيش وداخله .

ولكن استبان من اللحظة الأولى أن موقف حركة الجيش لم يكن جامدا في مواجهة مشكلة السودان التي تحطمت عليها معظم المفاوضات بين الحكومتين المصرية والبريطانية .

كانت حركة الجيش في مضمونها الحقيقي حركة تحرر وطني لا تستطيع رفض مبدأ تقرير المصير للشعب شقيق .

ويؤكد هذه الحقيقة محمد أحمد محبوب في كتابه (محاكمة الديمقراطية) قائلا أنه قد سمح لهم لأول مرة بالنشر في الجرايد المصرية دفاعا عن فكرتهم الاستقلالية وأنهم وجدوا من حركة الجيش تحولا في النظرة الى مشكلة السودان .

وعبارة (تقرير المصير) كانت محل خلاف شديد . . . اذ كان ينادى بها البريطانيون قبل الحركة لثقتهم من قوتهم ونفوذهم على السراي . وأحزاب الأقلية في مصر وانفرادهم بحكم السودان حكما غير ديمقراطي .

وقد أيد الاتحاد السوفيتي جلاء الاحتلال البريطاني عن مصر والسودان عند عرض قضية مصر أمام مجلس الأمن كما أيد مبدأ تقرير المصير للشعب السودان بعد جلاء البريطانيين .

وكانت دعوة البريطانيين لذلك تستهدف فصل مصر عن السودان
فصلا نهائيا ، وقد بادر الحاكم العام في أوائل ١٩٥٢ بعد إلغاء مصيطفى
النحاس لمعاهدة ١٩٣٦ واتفاقية ١٨٩٩ بإعلان دستور للحكم الذاتي
للسودان .

ومن الجانب الآخر كانت الأحزاب المصرية ترفض تماما فكرة تقرير
المصير .

قال لى فؤاد سراج الدين إن محمد صلاح الدين وزير الخارجية
الوفدى فاجأهم قبل سفره الى باريس فى يناير ١٩٥٢ لحضور اجتماعات
هيئة الأمم بأنه يريد القاء قبلة يتحدى بها البريطانيين على أساس
قبول الاستفتاء إذا خرج الموظفون البريطانيون من هناك .

ولكن الحكومة لم توافق لمخالفة ذلك لسياسة الوفد وخشيتهم من
التدحرج لقبول مبدأ الاستفتاء وما قد يصحب ذلك من تمثر الضمانات
المطلوبة لاستفتاء حر سليم .

وقد تراجع محمد صلاح الدين عن رأيه ولكن الوزارة الوفدية
فوجئت بخطابه يوم ٢٣ يناير يكرر ما سبق أن قاله لسراج الدين . . .
 واجتمع مجلس الوزراء فوراً لمناقشة خطاب صلاح الدين وانبرى بعض
الوزراء لمهاجمته وفى مقدمتهم الدكتور طه حسين الذى تحدث عن (الحيانة
الوطنية العظمى) التى ارتكبها وزير الخارجية . . وأمر النحاس باشا
باستدعائه على أول طائفة ولكنه وصل يوم ٢٧ يناير بعد اقالة الحكومة
الوفدية .

التنظيمات الوحيدة التى أيدت (حق تقرير المصير) للسودان قبل
حركة ٢٣ يوليو كانت التنظيمات الشيوعية التى ورد ضمن برنامجها
المنشور فى ١٧ ابريل ١٩٥١ بمجلة روزاليوسف (حرية الشعب السودانى
وحق تقرير مصيره بنفسه وتأييد كفاحه من أجل التحرر الكامل وجلاء
جميع القوات الاستعمارية البريطانية والمصرية من أراضيه) .

لم تستمر المفاوضات بين مجلس القيادة ومندوبى الأحزاب
السودانية فترة طويلة فسرعان ما تم الاتفاق يوم ٢٨ أكتوبر ١٩٥٢ على
قبول أمرين :

أولهما توحيد الأحزاب السودانية عدا حزب الأمة عن طريق تفويض
لجنة ثلاثية من الدرديرى أحمد اسماعيل وخضر حمد وميرغنى حمزه
لوضع ميثاق تآليف حزب واحد انتهت الى تشكيل (الحزب الوطنى
الاتحادى) مع اختيار اسماعيل الأزهري رئيساً له ومحمد نور الدين نائباً . .
!

وثانيهما قبول مبدأ تقرير المصير والخضوع لنتيجة الاستفتاء الذى يتم حوله .

وهكذا أمكن لحركة الجيش مواجهة البريطانيين بأسلوبهم مع ضمان توحيد الأحزاب السودانية فى حزب واحد برأى موحد هو (الاتحاد مع مصر) . مع ضمان موافقة حزب الأمة على نتيجة الاستفتاء أيا كانت .

وهذا مما يفسح الطريق للاتحاد مع مصر حيث كان حزب الأمة يمثل الإقليمية فى رأى مجلس القيادة .

وبعد ما وصلت المفاوضات مع الأحزاب السودانية الى هذه النتيجة فى ٢٨ أكتوبر تشعب النشاط السياسى الى شعبتين .

اتفاقية فبراير ١٩٥٣ :

سافر صلاح سالم الى السودان لأول مرة فى نوفمبر ١٩٥٢ حيث استقبل بترحاب شديد وعقد صلات متعددة مع زعماء الأحزاب هناك

وأرسل محمد نجيب مذكرة الى الحكومة البريطانية اقترح فيها:

أولاً : تمكين السودانيين من ممارسة الحكم الذاتى الكامل .

ثانياً : تهئية الجوحر المحايد الذى لا بد من توافره لتقرير المصير .

وبدأت المباحثات فى ٢٠ نوفمبر ١٩٥٢ وكانت هذه هى التجربة الأولى التى يجلس فيها الضابط المصرى فى مقعد المفاوضات .

ويلاحظ أن الوفد المصرى قد تشكل من الوفد الذى فاوض الأحزاب السودانية بعد استبدال على ماهر وعبد الرزاق السنهورى بالدكتور محمود فوزى والدكتور حامد سلطان وعلى زين العابدين .

ويلاحظ أيضاً أن جمال عبد الناصر بقى بعيداً عن مائدة المفاوضات مركزاً جهده على الشؤون الداخلية للحركة فى تفاعلها مع القوى السياسية المختلفة .

وسافر صلاح سالم الى السودان للمرة الثانية فى ١ يناير ١٩٥٣ حيث اتفق مع ممثلى الأحزاب السودانية (الأمة والوطنى الاتحادى والجمهورى الاشتراكى) على توقيع وثيقة تؤيد نظر المفاوض المصرى فيما يتعلق بموضوعات جنوب السودان واختصاصات الحاكم العام وسوادة الوظائف وجلاء الجيوش الأجنبية وان تكون هذه الوثيقة هى أساس دستور الحكم الذاتى والا فإن الأحزاب تقاطع الاستفتاء .

وعندما وضعت هذه الوثيقة أمام المفاوضين السودانيين أسقط في يدهم وسدته عليهم سبل المناوذة ووقعوا اتفاقية السودان في ١٢ فبراير ١٩٥٣ قبل أن يمضى ثلاثة شهور على بدء المفاوضات .

وقع عن الجانب المصرى محمد نجيب وعن الجانب البريطانى السفير سبنسون .

وذكر محجوب أن على ماهر قال له (مبروك) . السودان حصل على استقلاله (وكانت وجهة نظره ان الاختيار بين الاستقلال والاتحاد لابد أن يكون فى جانب الاستقلال .

ونصت الاتفاقية على تحديد فترة انتقال مدتها ثلاث سنوات يتم فيها تصفية الادارة الثنائيه (الانجلو مصرية) ، ويكون للحاكم العام أثناء فترة الانتقال السلطة الدستورية العليا وفقاً لقانون الحكم الذاتى تجاهه لجنة خماسية مؤلفة من عضوين سودانيين ومصرى وبريطانى وباكستانى . مثل مصر فيها قائد الجناح حسين ذو الفقار صبرى .

وتقرر أيضا تأليف جمعية تأسيسية منتخبة لتقرير مصير السودان على أساس :

أولاً : ارتباط السودان ببصر على أية صورة :

ثانياً : الاستقلال التام ، أى الانفصال عن مصر .

وكانت كل الظروف والملايسات تشير الى نجاح الأساس الأول ، فقد كانت العلاقات بين زعماء الأحزاب السودانية وقادة الحركة فى مصر طيبة وليس هناك ما يشوبها ، غير أن بعض ما صاحب الثورة فى شهورها الأولى خلق بعض الجذر فى نفوس السودانيين .

سبق التوقيع على الاتفاقية إلغاء الدستور وحل الأحزاب واعتقال ضباط المدفعية كما سبق توضيحه فى الجزء الأول (قصة ثورة ٢٣ يوليو) وانعكس ذلك فى السودان بتأثيرات مختلفة .

نشر محمد أحمد محجوب قطب حزب الأمة مقالا فى جريدة المصرى اعتبر فيه رأى سليمان حافظ فى تنحية النحاس عن رئاسة الوفد عملاً مخالفاً للقانون وكان للوفد أعضاء كثيرون فى السودان منذ أيام سعد زغلول وبعده تولى مصطفى النحاس .

وكان اسماعيل الأزهرى مقرباً من الوفد ومرتبلاً بزعمائه .

وقد حاول صلاح سالم خلال زيارته المتعددة طي صفحة الأحزاب المصرية في السودان ، وساعده على ذلك ثقة السودانيين في محمد نجيب وارتباطهم به واعتباره نصف سوداني .

وقد أحبط بعض ما قام به يدعاية هائلة فعندما قرر زيارة الجنوب لم يحصل على التصريح الخاص الذي اعتاد أبناء الشمال أن يحصلوا عليه إذا أرادوا السفر الى الجنوب .

ويقول يوزباشى محمد أبو نار مدير مكتبه أن مستر كافري السفير الأمريكى ومستر سوبنى ضابط اتصال السفارة قد ساعدا في عدم حدوث أزمة من زيارة صلاح سالم دون تصريح .

وقتم نجحت الرحلة تماما ، وكان للمناقشة العنيفة التي دارت بين صلاح سالم والمحافظة البريطانى حول أسلوب معاملة الناس في الجنوب أثر سحرى بين الجماهير التي تعرض فيها المعبود البريطانى أمامهم للنقد والهجوم . . وكذلك فإن مشاركته لقبائل الدنكا بالرقص معهم (رقصة الحرب) عاريا قد جذبت اليه قلوب الجنوبيين . . وأطلقت عليه الصحافة البريطانية اسم (الصاغ الراقص) .

وحدثت عدة مساجلات بين ايدن وصلاح سالم . . فقد قال ايدن في مجلس العموم في أكتوبر ١٩٥٣ أن صلاح سالم ذهب الى السودان لاقتناع السودانيين بتقسيم مقاعد البرلمان ولكنه لم ينجح - حسب تعبير ايدن .

ولم يتردد صلاح سالم في مهاجمة ايدن علنا مؤكدا هزيمة السياسة البريطانية في السودان .

وكانت كل الدلائل تشير الى نجاح التعاون المصري السودانى . . فقد أجريت أول انتخابات في ظل الاتفاقية . . وفاز الوطنى الاتحادى بأغلبية ساحقة ، وتولى اسماعيل الأزهرى رئاسة أول وزارة سودانية يوم ٩ يناير ١٩٥٤ ، وتولى محمد أحمد محبوب زعامة المعارضة في برلمان مكون من ٥١ عضوا للوطنى الاتحادى ، ٢٢ حزب الأمة ، ١١ مستقلين ، ٩ جنوبيين ، ٣ جمهورى اشتراكى ، نائب عن الجبهة المعادية للاستعمار .

انعكاس الخلافات مجلس الثورة :

ولكن الأمر لم يمض حسب الخطة المرسومة ، ولم يتحقق الهدف المنشود .

كانت الخلافات قد بدأت تتفجر داخل مجلس قيادة الثورة بين

معظم أعضائه من جهة وبين محمد نجيب من جهة أخرى كما شرح تفصيلا
فى الجزء الأول (قصة ثورة ٢٣ يوليو) .

وانعكس هذا الخلاف على نفوس السودانيين الذين وجدوا فى بقاء
نجيب على قمة السلطة ضيقا واطمئنانا على حقوقهم .. والذين تنفس
نفوسهم من أسلوب الضغط والحكم العسكرى الذى يتنافر مع
ديموقراطيتهم البدائية وبساطتهم القبلية التى ترفض الهالة الصناعية
التي تحيط بمراكز السلطة .

وأضعفت ردود الفعل من حالة النظام المصرى الناشئ الذى كان
فى قوته وتماسكه عاملا من أهم العوامل المؤثرة لنجاح الاتفاقية وانتهائها
الى نوع من الاتحاد أو الوحدة مع مصر .

وتجاوبت هذه الحالة مع تحول فى موقف اسماعيل الأزهري الذى
تولى رئاسة الوزارة فى وقت كانت تتجمع فيه سحب الخلافات والذى
شعر أن أى نوع من الارتباط مع مصر سوف يضعف من سلطته كرئيس
للوزراء ، وهو الذى عاش حياته مناضلا من أجل حرية السودان .

وسافر عبد الحكيم عامر وصلاح سالم الى السودان لتهنئة الأزهري
برئاسة الوزارة فى نفس الشهر ، يناير ١٩٥٤ وصرح قائلا : (ان الاتفاقية
سوف توضع موضع التنفيذ نصا وروحا) .

ولكن تنفيذ الاتفاقية بدأ ينفذ واتجاهات الأزهري السياسية بدأت
تتغير مستغلا فى ذلك فرصة تشابك أعضاء مجلس قيادة الثورة فى
خلافات ومشاكل محلية جانبية .

وصلت المشكلة الى الذروة عندما خرجت الجماهير السودانية
باستقالة محمد نجيب فى فبراير ١٩٥٤ .

وسافر الى القاهرة فور اعلان الاستقالة وفد سودانى فى محاولة
لرأب الصدع ولكن نجيب كان قد عاد الى موقعه رئيسا للجمهورية
ولمجلس قيادة الثورة تحت ضغط المظاهرات فى الشوارع ، وتأييد بعض
وحدات الجيش لموقفه .. ونتيجة أيضا لمظاهرات خرجت فى الشوارع فى
الخرطوم تهتف لمحمد نجيب (التفاصيل كاملة فى الجزء الأول) قصة
ثورة ٢٣ يوليو .

وما ان عاد محمد نجيب الى موقعه حتى قرر تلبية دعوة حكومة
السودان لحضور احتفالات افتتاح أول برلمان سودانى فى أول مارس
١٩٥٤ ، وصحبه فى الرحلة صلاح سالم الذى كانت التناقضات بينهما قد

دفعته به الى تسليم نفسه الى أحمد أنور قائد البوليس الحربي قائلا انه يفضل دخول السجن عن التعاون مع نجيب .

ولم يتورع صلاح سالم عن اعلان هذه الحقيقة للصحف في بساطة شديدة مع اتهامات لنجيب في محاولة لتقليل دوره في نجاح حركة ٢٣ يوليو .

وقد أدت الايام التي مضت بين استقالة نجيب وقبول مجلس الثورة للاستقالة ثم عدوله عنها وعودة نجيب رئيسا للجمهورية - الى حدوث انفجارات سياسية غير متوقعة .

سقطت هيبة النظام في مصر امام السودانيين ، وتمزقت علاقات الاخوة والتماسك التي ظهرت بين أعضاء مجلس القيادة . وفتحت الابواب امام المؤامرات المعادية لوحدة الشعبين .

وما كاد ولد مصر برئاسة محمد نجيب يصل الى مطار الخرطوم حتى فوجيء بوجود مظاهرات حاشدة أطلقها حزب الأمة الذي خصل على أقلية في البرلمان لم تسمح له بالمشاركة في الحكم وهي تهتف (لا مصري ولا بريطاني .. السودان للسوداني) .

وكان حزب الأمة له رأى عبر عنه محمد أحمد محبوب في كتابه بقوله (ربما كان الحكم البريطاني أقل شرا من الحكم المصري لأنه اذا كانت مصر قد حكمت فإنها ما كانت لترغب في ترك السودان مطلقا) .

وحدثت اشتباكات دموية قتل فيها ٣٣ شخصا وجرح ١٠٧ وتقرر تأجيل افتتاح البرلمان السوداني . وعاد محمد نجيب الى القاهرة فجر اليوم التالي .

وقد أكد لي محمد نجيب أن السيد عبد الرحمن المهدي كان قد أرسل ابنه الصديق لاستقباله في المطار وابلاغه تحيات والده وأنه حاول الاتصال بالمهدي سبع مرات من تليفون قصر الحاكم الغام ولكن الاتصال لم يتم لقطع الخط بعد تبادل التحية بأمر واضح التدبير .

وجاؤل الحاكم العام تجسيد خطر المظاهرات لمحمد نجيب ولكنه أمر على مخاطبتهم من شرفة القصر ولكن ما أن اتجهت الجماهير الى الهدوء حتى فوجئت بهراوات الجنود .

ويقول محمد نجيب أنها كانت فجرة دموية رتبها الحاكم السام ليفشل تنفيذ الاتفاقية ويظهر الأمر كما لو أن العداة قد انفجر ضد مصر في السودان .

ويقول محمد أحمد محجوب رئيس وزراء السودان فيما بعد في كتابه «محاكمة الديمقراطية» أن الانتصار عندما خرجوا للمظاهرة كانوا يؤيدون محمد نجيب ولكنهم لم يستهدفوا العدوان عليه وإنما استهدفوا قوات البوليس عندما حاولت تفرقتهم .

وكان وزير الخارجية البريطاني سلوين لويد قد وصل الخرطوم أيضا للمشاركة في الاحتفالات ولكنه لم يبرح مكانه حتى حملته الطائرة الى لندن .

ولا شك أن هذه المظاهرات قد صدمت الانتصار الذي حققه محمد نجيب على أعضاء المجلس وأضاعت تأثيره وهزت الى حد ما ثبات موقفه الذي كان يستند في شعبيته الى حب السودانيين له وتمسكهم به .

ولم تكن عودة محمد نجيب من موقعه نهاية . . فسرعان ما تحولت الريح ضده وحدثت أزمة مارس ١٩٥٤ التي حاصرت في منصبه شكلي هو رئيس الجمهورية فقط بينما أصبح جمال عبد الناصر رئيس الوزراء في ١٧ ابريل الى جانب عبد الحكيم عامر قائدا عاما للقوات المسلحة .

وضعت فرصة حركة الجيش بعد ذلك في التعاون المؤثر الوثيق في الحركة السياسية السودانية الأمر الذي دفع اسماعيل الأزهري الى اتخاذ عدة خطوات غير موفقة :

أولاً : أوقف الصحف الاتحادية ففصل أسرة تحرير جريدة العلم وأغلق جريدة الاتحاد .

ثانياً : رفض هدية من الأسلحة عرضتها مصر في أوائل ١٩٥٤ .
ثالثاً : رفض ارسال ضباط سودانيين للتدريب في مصر على تفقيتها وأصر على تدريبهم في بريطانيا .

رابعاً : لم يوافق على رصد مصر لمبلغ ثلاثة أرباع مليون جنيه لتنفيذ مشروعات ثقافية وصحية واجتماعية في السودان .

وسافر اسماعيل الأزهري بعد ذلك الى لندن يوم ٨ نوفمبر ١٩٥٤ حيث استقبلته الملكة اليزابيث وأقام له تشرشل حفل غداء وعقد اجتماعا مع لجنة الشؤون الخارجية لحزب المحافظين .

ولحق ذلك بأيام اقالة محمد نجيب وتحديد اقامته يوم ١٤ نوفمبر وأشارت الصحف الى احتمال محاكمتة لارتباطه بالأخوان المسلمين الذين كانوا قد حاولوا الاعتداء على حياة جمال عبد الناصر أثناء القائه خطابا في ميدان المنشية يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤ .

وهرع الى مصر وفد سوداني لانتقاد نجيب من المحاكمة ، مشكل من
نجيل السيد على الميرغني واسماعيل الازهرى ومحمد نور الدين وعبد
عبد الرحمن ويحيى الفضل وابراهيم المفتى . واستقبل الوفد جمال
عبد الناصر وصالح سالم وتم الاتفاق بينهما على اصدار هذا البيان الذى
نشر فى الاهرام يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٥٤ وجاء فيه :

اطلع وفد الحزب الوطنى الاتحادى على دقائق الأمور ، وكان متتبعا
لسير الحوادث التى قادت الى الظروف الراهبة فى مصر ، وهو مقتنع
تماما بأن اجراء تنحية اللواء محمد نجيب عن منصبه كان اجراء لا مفر
منه روعيت فيه مصلحة البلاد العليا أولا وأخيرا فى تلك المرحلة التى
ما كانت لتتحقق خيرا للبلاد لو سارت الأمور على ما كانت عليه . ولقد
تلاقت وجهات النظر مع الحسيب النسيب السيد على الميرغني ووفد الحزب
الوطنى الاتحادى والمستولين فى مصر على قفل هذا الموضوع نهائيا بعدم
تقديم اللواء محمد نجيب للمحاكمة حتى لا تعطى الفرصة لأعداء البلاد
الذين يترصبون للنيل من وحدة الصفوف وتدمير أهداف البلاد .

هكذا كان للسودانيين دور فى منع محاكمة محمد نجيب وطى صفحته
من تاريخ مصر سلميا .

المحاولة الأخيرة :

ولكن عزل نجيب من منصب رئاسة الجمهورية كان غلقا لباب الأمل
فى الوصول الى اتحاد مصرى سوداني عن طريق الاستفتاء وهو ما سبق
تفصيله فى الفصل الأول من الجزء الثانى (مجتمع جمال عبد الناصر)
وما ننقل هنا منه صفحات لارتباطه بسرد الحوادث وترابطها .

لم تحسب المسألة بدقة . . والتدهور الذى حدث فى العلاقات بين
نجيب وبين أعضاء المجلس والذى تبادل فيه الطرفان الاتهامات لم تنجى
المحاولات لتصفيته وقفادى أبعاد أخطاره فى الداخل والخارج .

ووجد اسماعيل الازهرى فى عزل نجيب تكأة يستند عليها فى
تغيير موقفه من قضية الوحدة أو الاتحاد . . وساعده على ذلك ما أحيطت
به محاكمات الاخوان المسلمين من قسوة وهم فى السودان كانوا يفرخون
فى أحضان حزب الأمة .

كما أن الشيوعيين السودانيين كانوا قد اتخذوا موقفا معارضا
لحركة الجيش فى اعتقالها للشيوعيين المصريين . . وهم فئة نامية متطورة
فى أوساط العمال والمثقفين السودانيين .

وأسفر اسماعيل الازهرى عن موقفه فى باندولج فابتعد عن مصر

واقترع من العراق التي كانت تهيء نفسها لدخول حلف بغداد . .
كما أسفر عن موقفه في السودان عندما شكل لجنة من أعضاء الوطنيين
الاتحادى قررت التخلي عن مسألة الاتحاد عن مصر ووافقت الهيئة العامة
للحزب على ذلك . .

ولم يكن في تصرف اسماعيل الازهري من قضية الاتحاد ما يعيب
سوى اقترابه وارتباطه بالسياسة البريطانية التي طالما ناضل ضدها . .
ذلك أنه اذا وضع أى مواطن سودانى أمام اختيارين هما الاستقلال أو
الاتحاد مع مصر ، فإنه قطعا وفى هذه الظروف المتفجرة بالخلافات فى مصر
كان سيختار الاستقلال ، لأنه لا يطمئن اطمئنانا كاملا لفوائد الاتحاد
ومنفعة له . وثقته فى قيادته . وخاصة أن هذا الاختيار يتم بعد رحلة
طويلة من الاستعمار لم ينعم فيها الشعب السودانى بحريته ويمارس
فيها حكم نفسه بنفسه .

وانتهى موقف الازهري الى تناطح حاد بينه وبين صلاح سالم الذى
وجد أن ثمار سياسته قد تحولت الى ماء يتسرب من بين أصابعه .

وكان صلاح سالم قد اتبع فى سياسته بالسودان أسلوبا يخرّب
علاقات القوى السياسية ويمزق صلابة الأفراد ، إذ استخدم الأموال
وسيلة للاقتناع واجتذاب زعماء القبائل والطوائف والأحزاب وهى وسيلة
لها بداية وليست لها نهاية .

وهى وسيلة لا تفيد أيضا اذا استخدمت مع عناصر وطنية مناضلة
ذات مبادئ .

ولم يجد صلاح سالم سوى محاولة حصار اسماعيل الازهري
بتأليب بعض أعوانه ضده ونشر بعض الحقائق القديمة عنه .

وظفت المعركة الى السطوح . . وخطب اسماعيل الازهري فى الجماهير
يقول (ان لحم أكتافى من مصر وقد دخلتها لأبسا حذاء كاثوليكى . . ولكن
هل يرضيكم أن يحكمنا صلاح سالم والعسكريون فى مصر ؟) .

وتصرخ الجماهير بصوت عال (لا . . لا) .

ونجح صلاح سالم فى إثارة فريق من أعضاء الحزب الوطنى
الاتحادى بزعامة محمد نور الدين ، كما أثار الجنوبيين ضده كقوة
ضخمة .

وأراد صلاح سالم أن يشدد حصاره على الازهري وأن يبلد محاولته
الآخيرة فى انجاح الاتفاقية . لصالح الاتحاد بين مصر والسودان فقرر
الاتصال بالحزب الشيوعى السودانى وهو الحزب الذى لم يحصل وقتها

على أية أموال من مصر ولم يدخله صلاح سالم في حساباته رغم نفوذه
الفاشي وذلك لاعتقل الشيوعيين ومطاردتهم في مصر .

اتصل صلاح سالم بالشهيدين المناضلين عبد الخالق محجوب
سكرتير الحزب الشيوعي السوداني والشفيع أحمد الشيخ سكرتير عام
اتحاد العمال وعضو المكتب السياسي بالحزب . . وعندما علم ان الحزب
الشيوعي السوداني هو نواة انفصلت عن الحركة الديمقراطية للتحرر
الوطني (حدتو) في مصر قرر أن يتصل بالشيوعيين المصريين ليساعدوا
في اقناع زملائهم بالسودان .

وكان موقفا غريباً ومتناقضاً . . الشيوعيون المصريون معتقلون
والبعض منهم قدم الى المحاكمة وصدرت ضدهم أحكام بالسجن ، وأجهزة
"بولة تطاردهم مثل كلاب الصيد .

ومع ذلك لم يتردد صلاح سالم في معركته الحامية يوم أول سبتمبر
١٩٥٥ في استدعاء البعض منهم : الدكتور يوسف ادريس من سجن
القناطر والكاتب ابراهيم عبد الحليم والكاتب فتحي خليل والفنان زهدي
وكانوا معتقلين في سجن أبي زعبل .

وصل الأربعة الى قصر عابدين ، حيث كانت مكاتب وزارة الارشاد
في ذلك الوقت ، بثياب ممزقة وأجسام هزيلة بعد معاملة بوليسية قاسية
اعتقب اضراباً عن الطعام استمر ١٨ يوماً من أجل مطالب انسانية خاصة .

دخل الأربعة على صلاح سالم في مكتبه ، فاستقبلهم استقبالا حاراً
وأبدى استنكاره لمظهرهم واتصل تليفونيا - حسب رواية فتحي خليل -
بوزير الداخلية طالباً منه وقف المعاملة الشاذة للمعتقلين
في سجن أبو زعبل .

وقدم لهم صلاح سالم تحليلاً سياسياً استمر ثلاث ساعات ركز فيه
على النقاط الآتية :

١ - المفهوم العام لقيادة الثورة وتصور خط سيرها مع تحفظ بعض
العناصر على الاتحاد السوفييتي بتأثير دعاية الغرب .

٢ - أوجع غموض موقف الثورة من الشيوعيين الى خشية البعض
من اتهام الحركة بأنها شيوعية .

٣ - أبرز نقط الخلاف مع الولايات المتحدة وخاصة رفضها امداد
مصر بالسلاح .

وخلص صلاح سالم من ذلك الى أن هناك تغييراً في الخط السياسي
للقوة يتلخص في :

أولاً : فى السياسة الخارجية • استقرار الثورة على توثيق العلاقة مع الاتحاد السوفييتى والصين والدول الاشتراكية .

ثانياً : فى قضية الديمقراطية • وضع دستور جديد واعداد انتخابات عامة وتشكيل برلمان .

وأكد لهم صلاح سالم أن هذين الاتجاهين سوف ينطلقان بأقصى قوتهما فى منتصف عام ١٩٥٦ • ولعله كان يقصد بذلك تحديد موعد جلاء القوات البريطانية عن منطقة القنال .

وفاجأهم صلاح سالم بخبر لم يكن قد أعلن بعد • وسر لم يعرفه أحد • وهو تعاقد مصر مع الاتحاد السوفييتى على توريد صفقة سلاح • كما وعدهم بالافراج عن جميع الشيعيين قبل ٢٣ يوليو ١٩٥٦ .

وعرض موقفه بعد ذلك فى قضية السودان ، ونقد نفسه نقداً ذاتياً لاضطراره الى السير بأسلوب حكام ما قبل الثورة ، أى دفع البقود للزعماء وتردى الحال بعد ذلك حتى فى صفوف حزب الوطنى الانحاذى ، ومع اسماعيل الأزهري خاصة .

ثم انتقل الى الحديث عن (الحزب الشيوعى السودانى) • وقال أننا تجلبناهم لموقفنا من الشيوعية فى مصر • وأنه كان فى التأييد والمعارضة حزبا مبدئيا شريفا • وأنه على حد تعبيره (حزب حقيقى وجاد وغير ملوث) •

وقال لهم صلاح سالم انه عندما اتصل بالشهيد عبد الخالق الشفيق وعرض عليهما مساعدات فى حدود العمل الوطنى مثل اقامة السراقات أو الامداد ببعض الأموال ، رفضوا بشدة •

وقال صلاح سالم انه تدور فى صفوف الحزب مناقشة حول الموقف فى مصر ويتراجع رأى بين التأييد والمعارضة ، وموقف الحكومة المصرية من الشيوعيين المصريين يلعب دورا كبيرا فى ترجيح جانب على آخر • وأنه لو تحول الموقف داخل قيادة الحزب الى التأييد فان هذا قد يخرج الموقف فى السودان من دائرة اليأس • ولم يخف صلاح سالم مرارته ويأسه نتيجة تغير موقف الأزهري •

وصارحهم بأنه استأذن مجلس القيادة فى الاتصال بهم فوافقوا وأنه يطلب منهم اذا اقتنعوا بصدق تحليله السياسى فانهم عندئذ يصبحون مطالبين بالسفر الى السودان لاقتناع قيادة الحزب هناك بتأييد القاهرة وخط الاتحاد مع مصر •

وتداول الأربعة على جانب ووجدوا أنه لابد من شيئين : الاستيثاق
من حديث صلاح سالم ، والاتصال بزملائهم الهاربين خارج المعتقل .

واتفق صلاح سالم معهم على الخروج لفترة محدودة مدتها أسبوع
يعودون بعدها الى مكتبه .

ولكن الأربعة لم يعودوا الى مكتب صلاح سالم .. لأن الصحف
نشرت في اليوم الخامس للمقابلة خبر استقالته واعتكافه في منزله .

ولم تكن استقالة صلاح سالم مفاجأة للقرييين من مجلس القيادة ،
فان سياسة صلاح سالم في السودان كانت موضع خلافات ومناقشات
داخل المجلس ، وحدث حريق اشتعل في الجنوب بتدبير من الاستعمار
ومطالبة صلاح سالم بأن تطلق يده في العمل بصورة كاملة .

وقد حدث نوع من التحقيق مع صلاح سالم في تدهور العلاقة بين
مصر والسودان في مارس ١٩٥٥ ، ولكن صلاح كان عنيفا في مناقشاته
وسفه آراء بعض الذين اشتركوا في المناقشة من غير علم كاف . وانتهى
حديثه بتقديم استقالته .. ولكن المجلس لم يقبل الاستقالة .

وسافر صلاح سالم ضمن الوفد المصرى الى باندونج والخلاف
يثقل صدره ، ومعاملة جمال عبد الناصر له يتسرب اليها البرود .

وكان صلاح سالم في وقت من الأوقات وبقوة اندفاعه وحيويته ،
وبموقفه كوزير للإرشاد ، وبقدرته على تلوين الحديث ، يتطلع الى رئاسة
جمهورية الاتحاد .. ولم يكن ينظر الى جمال عبد الناصر كمنافس له
وانما كان يخشى منافسة نجيب في الاستفتاء .

ولكن هذه التطلعات سواء كانت حقيقية أو غير حقيقية ، تلاشت
وذبلت بعد اقالة محمد نجيب .. وبدأ صلاح سالم نفسه يتعرض
لهجمات زملائه . بل وبعض ضباط الصف الثاني ، وهو الذي كان عنيفا
في هجومه على محمد نجيب .

وبدأ مجلس القيادة يحاصر صلاح سالم .. وخاصة بعد اتصاله
بالشيوعيين المصريين :

زكريا محيي الدين قال ان الفريق الذي يعتمد عليه صلاح سالم
ليس هو القوة الأساسية في السودان .

وجمال عبد الناصر انتقد سياسة التعامل مع الزعماء السودانيين
بأسلوب غلبت عليه روح المنفعة الذاتية .

وحسين ذو الفقار صبرى اضطر الى مسايرة حزب الامة لينقذ
ما يمكن انقاذه .

ووصل الخلاف الى ذروته عندما تصادم صلاح سالم مع جمال
عبد الناصر . . ولم يستطع صلاح أن يجتذب زملاءه الى صفه لانفراده
بالعمل طوال الفترة الماضية وسخريته من بعضهم وتفوق جمال عبد الناصر
في قدرته على اقناع زملائه برأيه .

وقدم صلاح سالم استقالته للمرة الثانية في سبتمبر ١٩٥٥ متصورا
أنها لن تقبل مثل استقالته السابقة ، ولكن المجلس قبلها فورا ، وكان
شقيقه جمال سالم وقتها في زيارة خارج مصر .

الفصل الثالث

الاستقلال .. وأنقلاب الجنرال

(أصبح السودان زجل إفريقيا الريف)
أحمد سيكوتو

وطويت صفحة صلاح سالم أيضا في تاريخ علاقات مصر والسودان بعد أن طويت صفحة محمد نجيب .. وتولى زكريا محيي الدين مسئولية السودان .. ونقل محمد أبو نار الى وزارة الخارجية حيث عمل مديرا للادارة الافريقية لشئون السودان ..

وأصبح واضحا بعد خلع صلاح سالم من موقعه أن الموقف السني بين القاهرة والخرطوم قد فقد كثيرا من انفساطه .. وأنه دخل مرحلة جديدة تبعد منها الأمل في انتهاء فترة الانتقال الى ظهور الاتحاد بين دولتي وادي النيل القريبتين ..

وبعد أن أخذت اجراءات السودنة مداها .. وأوشكت ثلاث سنوات الاتفاق على النهاية .. أبلغت الحكومة السودانية برئاسة الأزهري حكومتى مصر وبريطانيا برغبة الجمعية التأسيسية وطالبت بسحب جيفى الاجتلال لاجراء الاستفتاء (فى جو حر محايد) ..

وحدثت انتفاضة فى الجنوب ضده القوا الشمالية هناك فى

ثورة يوليو ج ١ - ١٤٥٠

١٨ أغسطس ١٩٥٥ قتل فيها ٣٠٠ شخص من الطرفين ، وكانت الحركة نتيجة الدعاية المصاحبة لجلاء القوات البريطانية وخوف الجنوبيين من ذلك .
سحبت بريطانيا جيوشها في أواخر أغسطس وصحبت مصر جيوشها ، وتركت كل الأسلحة الثقيلة التي كانت تخص جيشها في السودان وتم الجلاء فعلا في نوفمبر ١٩٥٥ .

ووجدت حكومة السودان بعد الجلاء أن الأمر لا يحتاج إلى استفتاء بشأن تشكيل الحكم بعد اتفاق كل الأطراف الحاكمة على معارضة الاتحاد . . وأعلنت قيام الجمهورية السودانية في ١٩ ديسمبر ١٩٥٥ وتشكيل مجلس سيادة لرئاسة الدولة .

وهكذا تم استقلال السودان وجلاء قوات الاحتلال نهائيا بعد ١٣٤ عاما من حكم أجنبي متصل .

ولم يجد مجلس قيادة الثورة في مصر فرصة للمطالبة باتمام الاستفتاء . . وأعلن استقلال السودان رسميا في أول يناير ١٩٥٦ .
وذهب صلاح سالم إلى هناك مدعوا كشخص عادي ، ورفض الأزهرى اقتراحا بقبوله أول سفير مصرى هناك .

وكان إعلان الاستقلال إيذانا ببدء صراع جديد داخل السودان ، صراع اجتماعي سياسي .

وكان مجلس قيادة الثورة في مصر قد اتخذ موقف الحرس على عدم التدخل في شئون السودان الداخلية . . وتحول جموح صلاح سالم واندفاعه في ميدان العمل السياسي إلى تحفظ من زكريا محيي الدين .

وعين اللواء سيف اليزل خليفة سفيراً في السودان وهو من الضباط الذين خرجوا من الجيش مع ثورة يوليو ، ولم يكن له ماضٍ سياسي . . واشتهر عنه حرصه على المجاملة في المناسبات الاجتماعية الأمر الذي جعله يمارس منصبه بلا حساسيات .

واعتمد زكريا محيي الدين على الملحق العسكري على خشبة ليكون وسيلته في الحركة السياسية هناك .

وبدأ السودان الاستقلال بتحزاب أيديولوجيتها تعبير عن الطبقة البرجوازية التي كونتها من الذين أتاحت لهم فرصة التعليم ، وبذرت في نفوسهم التطلمات الذاتية .

ولم يستمر الحزب الوطني الاتحادي منفردا بالحكم فقد تشكلت حكومة ائتلافية من الحزبين المتنافرين أصلا . . الأمة والشعب

الديموقراطي ، في ٥ يوليو ١٩٥٦ برئاسة عبد الله خليل الضابط
السوداني السابق وقطب حزب الأمة .

وقد عاصرت هذه الحكومة أحداثا بارزة في مصر . . فقد أعلن جمال
عبد الناصر تأميم القناة في ٢٦ يوليو ، وفشل العدوان الثلاثي واضطرت
قواته للانسحاب ، وانتصرت حركة الجيش في معركة رفض الأحلاف
العسكرية الغربية ، وعقدت صفقة الأسلحة التي كسرت احتكار السلاح
ورفضت مشروع أيزنهاور عام ١٩٥٧ ملء الفراغ ، وتحسنت العلاقات
الاقتصادية بين مصر والدول الاشتراكية .

سنوات صعود ثابتة نحو التقدم وصلت الذروة بإعلان الوحدة بين
مصر وسوريا في ٢٢ فبراير ١٩٥٨ وظهور الجمهورية العربية المتحدة .

ولم يواكب هذه الانتصارات الوطنية انجازات في السودان ، وكما
عجزت حكومة الوطنى الاتحادى عن تحقيق الوحدة الوطنية ، فشلت
الوزارة الائتلافية الثانية في اشعار المواطنين بأهمية الاستقلال ، وفتحت
أبواب السودان للاستعمار الجديد ، وخضعت خضوعا واضحا للنفوذ
الأمريكى المتربص بالمنطقة ، والذي أبدى اهتماما بالسودان من قبل
الثروة ، وأرسل إليها بعثة أمريكية في أوائل عام ١٩٥٢ في وقت لم يكن
سهلا على أية بعثة أجنبية دخول أرضه بدعوى (بحث مشكلة السودان) .

ولم تكن مصر بعيدة عن هذه الاتجاهات .

وخلال فترة الاستفتاء على الوحدة وقعت أزمة شديدة بين حكومة
مصر وحكومة السودان حول الحدود الفاصلة بين البلدين ، فقد تصادف
أن كان استفتاء الوحدة يوم ٢٢ فبراير ١٩٥٨ وانتخابات البرلمان
السودانى الجديد يوم ٢٧ فبراير . . وأرسلت مصر لجنة لأخذ رأى
المواطنين في منطقة حلايب تحرسها قوة عسكرية صغيرة ، واحتجت
حكومة السودان ، ووصل الأمر الى حد رفع القضية الى مجلس الأمن يوم
٢٠ فبراير ولكنه لم يتخذ قرارا لأن مسألة الحدود بين الدولتين لم تكن
محل خلاف من قبل ولم يكن الحديث حولها حادا مطلقا .

ولما وجد جمال عبد الناصر أن موقف الحكومة السودانية قد وصل
الى هذه الدرجة من التردى لم يتجاوب معها فى العنف والصدام ، وأثر
أن يسحب اللجنة والقوة العسكرية ويفوت على الحكومة السودانية هدفها
من اشغال نيران الكراهية ضد مصر فى المظاهرات التى أطلقها حزب الأمة
فى شوارع الخرطوم .

ونتيجة لهذه الاثارة المتعمدة حصل حزب الأمة المعادى لمصر القريب

عن البريطانيين والأمريكيين على ٧١ مقعدا من ١٧٣ بينما حصل الوطني الاتحادي على ٤٤ مقعدا .

ونتيجة لذلك أيضا فإن حكومة القاهرة عندما أرسلت على خضبة الملحق العسكري السابق لي عمل مستشارا مدنيا بعد نقله لوزارة الخارجية في أول ١٩٥٨ طردته الحكومة السودانية بعد أربعة أيام من وصوله .

ويقول زكريا محيي الدين ان مصر قد مضت الصبر ولم تتخذ اجراء مضادا يزيد من التهاب الموقف . . . وكانت صلة زكريا بالسودان لهم تنقطع ، ولو أنه يثير تحفظا مضمونه أنه كان يباشر مسئوليته بدافع التكليف القديم ، وليس نتيجة تنظيم ثابت مستقر . . . والواقع أن استمرار بعض أعضاء مجلس القيادة في مباشرة بعض مسئولياتهم القديمة دون ربط ذلك في إطار تنظيم سليم كان يشكل أحيانا ازدواجية تعرقل العمل ولا تسمح بتخطيط سليم ، كما كان يضع بعض المهمات الكبيرة في يد فرد واحد بعيدا عن المناقشة الجماعية في حدود المسئولية الوزارية .

ولذا تضاربت الآراء والاتجاهات . . . واعتبر كل من زكريا محيي الدين وحسين ذو الفقار صبرى أن صلاح سالم كان يلعب على أحسنه خاسرة ، وخاصة بعد اتصاله بالشيوعيين .

ولكن جمال عبد الناصر الذي تابع موقف زعماء حزب الأمة تاريخيا ، وبعد الثورة وعقب حادث حلارب لم يكن مستريحا لوجود وزارة عبد الله خليل الائتلافية في الحكم ، وكان يعتقد أنه يمكن تشكيل ائتلاف جديد في السودان يخلق نوعا من التناسق مع سياسة مصر التقدمية .

والتقى جمال عبد الناصر في القاهرة بإسماعيل الأزهري والشيخ على عبد الرحمن بحضور زكريا محيي الدين في محاولة لتغيير الائتلاف لينضم حزب الوطني الاتحادي مع الشعب الديمقراطي ويعود حزب الأمة للمعارضة من جديد . . . وبلغ يوسف التني سفير السودان في القاهرة وعضو حزب الأمة خبر هذا اللقاء فيأدر الى إبلاغ عبد الله خليل رئيس الوزراء .

ولم يجد عبد الله خليل أمامه سوى تسليم الحكم للعسكريين حتى لا يضع حزبه في حصار العزلة ، ويقضى على كل محاولة ديمقراطية تقلب الشعب ضد اتجاهاته . . . ولا شك أنه قد نسق ذلك مع الأمريكيين أصحاب النفوذ المتزايد ، وعبد الله خليل ضابط سابق في القوات

السودانية بالجيش المصري جاري تحت قيادة الضباط البريطانيين في
الحرب العالمية الثانية .

وكانت المعارضة الشعبية لحكومة عبد الله خليل قد زادت إلى
الدرجة التي احتشدت فيها الجماهير الثورية خارج البرلمان للضغط على
أعضائه من أجل إلغاء المعونة الأمريكية المتسللة بالتفوذ الإمبريالي .
وخاصة بعد نجاح الإضراب التاريخي الذي دعا إليه اتحاد نقابات العمال
يوم ٢٩ أكتوبر .

وفجأة . . وفي اليوم المحدد لاجتماع البرلمان السوداني تغلب عبد الله
خليل عن الحكم لكبار ضباط الجيش ، بعد أن اكتشف أن عددا من نواب
حزب الأمة كانوا قد اقتربوا من الخط الوطني وكانوا سيتصوتون ضد
حكومته من أجل إقامة حكومة ائتلافية جديدة .

تسلم كبار ضباط الجيش السلطة . . واتخذت العملية صورة
انقلاب عسكري ، فقد أصدر رئيس أركان الحرب اللواء إبراهيم عبود
أمرا بدخول بعض الوحدات إلى العاصمة يوم ١٦/١٧ نوفمبر واستولت
على مباني الوزارات والمنشآت الحيوية ، وضعت الوزارة في الاعتقال .
وأعلن اللواء إبراهيم عبود بيان رقم (١) صباح يوم ١٧ نوفمبر يقول
فيه : أن الجيش قد تدخل ليضع حدا لحالة الفوضى التي تحتاج البلاد .

وظهر الأمر في صورة انقلاب عسكري حدير . . وأصدر الحزب
بيانا في ١٨ نوفمبر جاء فيه (أحس الاستعماريون والرجعيون بالخطر
المهدق بمصالحهم وخشوا أن تسير البلد في خطوات جريئة نحو بناء
الديموقراطية وتأسيس نظام برلماني ديمقراطي على أسس سليمة ،
وعند هذا سلم عبد الله خليل - بالتعاون مع الاستعماريين الأمريكيين
والانجليز - السلطة للقيادة الرجعية في الجيش بهدف المحافظة على كل
المصالح الاستعمارية ووقف التطور الديمقراطي في البلاد ، هذا هو
الانقلاب ١٧ نوفمبر الرجعي)

ولم تلبث الحقيقة أن تكشف . . أعلن عبد الله خليل أنه كان
يعرف أخبار الانقلاب . . وأنكر اللواء إبراهيم عبود ذلك محاولا الاحتفاظ
للالقلاب بهيبته . . ولكن الرجل الثاني ، اللواء أحمد عبد الوهاب كتب
فيما بعد قائلا : (اننا لم نفعل بوحى من أحد ، بقى عبد الله خليل نفسه
فانه لم يكن يعلم بتشكيل حكومة الانقلاب ولم يشترك غنى في الجدوى
عنها . . ولكن لما يجمع به من مكانة واحترام في قلوب أبناء الضباط
كان يعلم بالانقلاب وأن الوقت مناسب جدا لقيامه . وكل ما قاله : ربنا
يوفقكم) .

الانقلاب السودانى كان مثالا على الانقلابات الرجعية التى يلجأ الى غيبتها العنيفة أى نظام تفسخت أوصاله وهاوت دعائمه وأصبح معرضا للانحراف فى طوفان ثورة شعبية . . وقد قال اللواء أحمد عبد الوهاب أيضا : (ان ما حدث كان انقلابا لا ثورة لسبب واحد هو أنه لم يكن هناك ما يدعو للثورة) .

رئيس الوزراء يعلم بالانقلاب الذى هو تمرد على الدستور والسلطة الشرعية ثم لا يفعل شيئا سوى مباركته والدعوة لقادته بالتوفيق .

عملية تسليم وتسليم غيرت شكل المجتمع السودانى فورا بعد قرارات عنيفة صاحبت انتقال السلطة الى المجلس الأعلى للقوات المسلحة :

أولا : حل جميع الأحزاب السياسية .

ثانيا : منع الاجتماعات والتجمعات والمواكب والمظاهرات فى جميع أنحاء السودان .

ثالثا : وقف صدور الصحف الى أن يصدر بذلك أمر من وزير الداخلية .

وفى نفس اليوم صدر ما سعى بالأمر الدستورى رقم (١) الذى يعلن الأحكام العرفية فى البلاد ، ثم الأمر الدستورى رقم (٢) الذى يقضى بإيقاف العمل بدستور السودان وحل البرلمان السودانى اعتبارا من ١٧ نوفمبر .

وتشكلت الوزارة السودانية من ١٢ عضوا ستة منهم من العسكريين أعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة ، ولوحظ أن معظم المدنيين منهم كانوا من الأنصار أو من المقربين اليهم ، كما أن بعض العسكريين من ضباط المجلس الأعلى كانوا قرييين من الوطنى الاتحادى وكانوا أراد عبود وسادته من الامبرياليين توفير نوع من التوازن السياسى الذى يضمن تهدئة الأحوال فى صفوف القوى الطائفية والسياسية .

وفى الأسبوع الأول للحكم العسكرى صدر قانون دفاع السودان ، ولائحة دفاع السودان .

والوثيقة الأولى تتيح توقيع عقوبة الاعدام والسجن الطويل (لكل من يعمل على تكوين أحزاب أو يدعو الى اضراب أو يعمل على إسقاط الحكومة أو يبت الكراهية ضدها) والوثيقة الثانية تتيح لوزير الداخلية طرض الرقابة على الصحف والبريد والمطبوعات وإعلان حظر التجول ومنع السفر .

وبعد ذلك حلت كافة التنظيمات .. حتى مجالس ادارة الأندية الرياضية .

جو كتيب يزحف على السودان في وقت كانت الحياة فيه تشرق على مصر بانتصارات وطنية وقومية كبيرة .

ولم تجد مصر سبيلا الا الاعتراف بحكومة عبود وإبقاء السفير سيف اليزل خليفة في منصبه فهو جنرال مصرى يمكن أن يتفاهم مع الجنرالات السودانيين الذين أعلنوا أن ما حدث بين البلدين كان خطوة خلقها السادة المدنيون .

ومع ذلك لم تسر الحرارة في أوصال العلاقات بين البلدين .

انقلابات مضادة :

الانقلابات العسكرية في مصر وسوريا والعراق كانت تملك منذ لحظتها الأولى بعض ما يمكن أن تدين به النظام المنهار وتلوث سمعته .. ولكن الأمر في السودان كان يختلف ، فان الشعب السوداني لم يكن قد نسى - خلال أزمة اقتصادية امتدت ثلاث سنوات بعد الاستقلال - نضال الزعماء الذين حصلوا على الاستقلال بعد نضال طويل ... والحكم البرلماني رغم أخطائه وانحرافات بعض المسئولين فيه لم يكن قد قدم حججا كافية يمكن أن تدينه وتجعل منه نظاما معاديا للجماهير .

النظام السابق الذي ورثه الحكم العسكري لم يتجاوز عمره ثلاث سنوات فقط ، وضباط الجيش لم تجتمع كلمتهم على معارضة أمور واضحة ... ولذا بدأت الخلافات وجهات النظر المتباينة تظهر مبكرا في صفوف الجيش .. بل وبين أعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة .

بعد أيام قليلة من الانقلاب .. وبالتحديد يوم ٢٩ نوفمبر أصدر مجلس الوزراء قرارا جاء فيه أن اللجنة التي كونها المجلس قد رأت بإجماع الآراء (أنه لا يوجد في اتفاقية المعونة الأمريكية ما يحد من استقلال السودان أو يهدش كرامته وانها كانت لسوء الحظ هدفا للمناورات الحزبية في الماضي) .

ويعييب المجلس أيضا على البرلمان المنحل تحديده لمجالات نشاطها فيصدر قراره بعودتها دون تحديد للميادين التي تنشط فيها .

وقد أثر هذا القرار المتعجل وغيره من القرارات التي تكرر الديكتاتورية العسكرية - على عدد من الضباط الوطنيين في الجيش فهبت في ٤ مارس ١٩٥٩ وحدات من الجيش بقيادة الاميرالاي عبد الرحيم محمد

خير شبنان قائد المنطقة الشمالية ، والاميرالاي محيي الدين أحمد عبد الله قائد المنطقة الشرقية ومعهما الصاع محمد أبو الذهب والبكباشي حسن ادريس وتحركت مطالبة بحل المجلس الأعلى الحاكم وأطلق سراح المسجونين النشطاء وعودة بعض الضباط المحالين الى الاستبداد بعد مناصرة بيت عبود واعتقال ثلاثة من أعضاء المجلس الأعلى .

وانتهت أزمة ٤ مارس الى الخروج اللواء أحمد عبد الوهاب الذي دبر الانقلاب « وأعادة تشكيل المجلس الأعلى للقوات المسلحة بادخال عبد الرحيم شبنان ومحيي الدين أحمد عبد الله والمقبول الأمين الحاج وإخراج خمسة آخرين هم عوض عبد الرحمن ومحمد نصر عثمان وحسين علي كزار ومحمد أحمد الخواص ومحمد أحمد التيجاني .

منحت الحكومة اللواء أحمد عبد الوهاب أرضاً مساحتها ٣٠٠٠ فدان بعد خروجه من المجلس الى المعاش .

... وتشكلت وزارة جديدة يوم ٩ مارس من ١٥ وزيراً ١٠ عشرة منهم هم الأعضاء الذين بقي المجلس الأعلى مشكلاً منهم (الوزارة السابقة كانت ١٢ وزيراً منهم ٦ ضباط فقط) .

استقبل الشعب السوداني انتفاضة ٤ مارس استقبالا طيباً ورغم أنها لم تصل الى نتائجها المطلوبة في توفير حكم وطني في البلاد وإرجاع حقوق الشعب الديمقراطية إلا أن الطريق قد أصبح مفتوحاً للشعب السوداني والعناصر الوطنية في الجيش التي غاد بعضها من الاستبداد اللئيم ليحيات إليه عام ١٩٥٧ .

وحاول الاميرالاي عبد الرحيم شبنان تكملة ما بدأه في ٤ مارس يوم ٢٢ مايو ولكن محاولته فشلت ، وانتهز عبود وقادة الانقلاب الرجعي الفرصة فقاموا بعمليات اعتقال واسعة داخل الجيش وخارجه ، وقدموا عدداً من الضباط الى المحاكمة العسكرية في أول يوليو انتهت الى أحكام مدتها ١٥ عاماً على عشرة ضباط . المؤبد على عضوى المجلس الأعلى المتضمنين في مارس ١٩٥٧ الاميرالاي عبد الرحيم شبنان والاميرالاي محيي الدين عبد الله وعلى كل من البكباشي حسن ادريس وعبد الحفيظ شبنان ومحمد علي السيد والصاع أحمد أبو الذهب والسجن ١٥ عاماً على البيوزباشي مجحوب بابكر سوار ذهب وطرد ١٧ ضابطاً من الجيش ، وسجن المحامي رشيد طاهر بكير ٥ سنوات .

وخلال هذه المحاكمات ظهرت علامات الشجاعة على الضباط وكشفت أيضاً بعض الأسرار منها ما قاله الاميرالاي عبد الرحيم شبنان من أن تدبيره للانقلاب كان نتيجة للقاءه مع خيراء أمريكيين يدرسون إقامة قاعدة

أمريكية في منطقة جلايب قريبا من حدود مصر الجنوبية وذلك أثناء قيادته لمنطقة شمال السودان ، وكشف أيضا ما قاله عبد الله خليل بعد انقلاب ١٧ نوفمبر (عندما سلمت الحكم للرئيس عبود كتبت مطمئنا إليه) .
وعدد البكباشي عبد الحفيظ شنان أخطاء الحكم العسكري واضطهاد السلطات للقوى الشعبية من العمال والمثقفين والمزارعين . . . أثناء دفاعه عن نفسه ، الأمر الذي أوضح وعى هؤلاء الضباط سياسيا وثقافيا .

وانتهز عبود وأعضاء المجلس الأعلى وخاصة حسين بشير قائد الجيش فرصة قتل محاولة ٣٢ مايو فطاعفوا اربابهم واعتقالهم المواطنين الذي كان قد بدأ في يناير ١٩٥٩ بمحاكمة الشهيد المناضل الشيخ أحمد الشيخ . عسكريين اتحاد نقابات عمال السودان وعضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي بمجلس عسكري وحكم عليه بالسجن خمس سنوات ومعه أيضا عدد من القادة النقابيين .

اعتقل عدد من قادة الحزب الشيوعي السوداني في معسكر (ناجيشوط) وهو على قمة جبل ارتفاعه أكثر من ٦٥٠٠ قدم وجوه شديد الرطوبة . . . وكان من بين المعتقلين الدكتور عز الدين علي عامر وجوزيف جرنجر والمحامي أحمد سليمان وكانوا أعضاء في المكتب السياسي للحزب ولم يفرج عنهم الا بعد اضرابهم عن الطعام في أكتوبر ١٩٥٩ .
ولم تحل المحاكمات العسكرية دون نشاط العناصر الوطنية داخل الجيش .

وكان الضباط خلال هذه المرحلة يتجهون الى قادة الحزب الشيوعي سرا لمناقشتهم والتعرف على آرائهم . ذلك أنه كان هو الحزب الوحيي الذي بقي يناضل الحكم العسكري ، ويربط بين الشعب والعناصر الوطنية في الجيش ، ويؤيد حركة مارس ويقاوم محاكمات مايو بالمقاتلات في مجلاته السرية والمنشورات أيضا .

وفي نوفمبر تجمع عدد من الضباط الثائرين ومعهم عدد من الضباط أصحاب الاتجاهات التقدمية . وودعوا خطة انقلاب بدأت في مدرسة المشاة بأم دومان . . . وقد قال لي المحامي أحمد سليمان عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي في ذلك الوقت أنهم اتصلوا به ليعزجهم عن الاتصال بقيادة الحزب المخفيين ، وأخذوا رأيه فوافقهم في تشريع لا يتناسب مع الفكر الماركسي الذي يعادي الانقلابات العسكرية مهما كان نوعها ويؤيد تسخيع الحركة الشعبية الديمقراطية بالعناصر الوطنية التقدمية داخل الجيش حتي يكون فصيلة من فصائل الشعب وليس قوة تفرق عليه وجودها بقوة السلاح من أعلى .

نصيحة المحامي أحمد سليمان المتعجلة أدت الى كارثة فشل المحاولة رغم نجاح خطوتها الأولى وأعدم خمسة من شباب الضباط هم الطيار الصادق محمد والبكباشي يعقوب كبيرة والبكباشي على حامد والصاغ عبد البديع على كراز واليوزباشي عبد الحميد عبد الماجد .

وأعدم الضباط شبنقا رغم مخالفة ذلك لتقاليد الجيش خوفا من عصيان الجنود لتنفيذ الأوامر .

وحكم بالسجن المؤبد على الصاغ عبد الرحمن كبيرة والملازم ثاني محمد محبوب عثمان وطرد عدد من ضباط القوات المسلحة .

وبقيت انتفاضة ٤ مارس ، ١٠ نوفمبر موضعا لاحتفال وتقدير الوطنيين في السودان كرمز على مقاومة الديكتاتورية العسكرية .

الرجل العربي في افريقيا :

ورغم أن حكام مصر خلال هذه الفترة كانوا من العسكريين أصلا ، ورغم أن جمال عبد الناصر كان قد جنح الى مهاجمة الشيوعيين واعتقالهم في أول يناير ١٩٥٩ .٠٠٠ الا أن ذلك لم يخلق بين البلدين علاقات وثيقة .

كان رجال الانقلاب في السودان حريصين على الابتعاد عن النظام المصري وعدم التورط في مشاكل تضعف من كيانهم الداخلي .

عندما بدأت دراسات السد العالي توصل زكريا محيي الدين مع حكومة السودان في نوفمبر ١٩٥٩ الى اتفاقية المياه دون مشاكل تهز محاولتهم للاستقرار الداخلي ، وتعتبر اتفاقية مثالية للاتفاق السلمي على مشاكل معقدة تركها الاستعمار البريطاني بعد اتفاقية مياه ١٩٢٩ التي عقدت بين البلدين بوساطة بريطانيين يمثلون الجانبين .

وافقت حكومة عبود على الحصول على ١٥ مليون جنيه تعويضا عن خسائر طغيان المياه على أرض حلفا بدلا من ٣٥ مليون جنيه كانت تطالب بها حكومة عبد الله خليل .٠٠٠ وافقت على أن يكون للسودان ١٨٥ مليار متر مكعب . وكانت سياسة مصر منذ الانقلاب تميل الى التحفظ المطلق واعتبار السودان أرضا بيضاء في الساحة العربية .٠٠ وكادت تخلو الصحف المصرية من أية اشارة هامة الى أبناء السودان .

وكان حكام السودان فيما يبدو سعداء بعزلتهم الشديدة التي تمثلت في عدة مظاهر هامة منها أن السودان لم يكن ممثلا في مؤتمر التضامن الآسيوي الافريقي ، ولا في اتحاد العمال العرب ، واعتذر كثيرا من عدم الاشتراك في المؤتمرات العربية .

كتمت حكومة الجنرالات وجه السودان العربي ، فأخفت حقيقة .
قال طلعت فريد وزير الاعلام السودانى فى مؤتمر صحفى عقد فى فبراير
١٩٥٩ (لا معنى لأن تهاجم صحافتنا فرنسا ٠٠٠ فكما تقتل فرنسا
الجزائريين ، فان الجزائريين يقتلون الفرنسيين ٠٠ ولذا فان وفود
الحكومة الجزائرية زارت كل الدول العربية . عدا سودان عبود) .

ومنعت حكومة عبود الطائرات العربية من النزول فى بورسودان
لمساعدة الثورة اليمنية ، بينما فتحت الميناء للأسطول البريطانى .

ورفضت مرور القوات المصرية الى الكونغو لمساعدة لومومبا كما
رفضت امداده بالأغذية ، حتى اتهم الشعب السودانى أعضاء المجلس الأعلى
بانهم قتلة لومومبا .

وأكدت صحيفة الواشنطن بوسست الأمريكية ذلك فى عددها ٦ أكتوبر
١٩٦٠ عندما ذكرت أن السودان رفض السماح بحق الطيران فوق سمائه
أو الهبوط فى أرضه لشحنات الامدادات السوفيتية .

وأرسل أحمد خير وزير خارجية الانقلاب مذكرة الى السفارة
البلجيكية فى الخرطوم (ان حكومة السودان لا تقر الفوضى وعدم احترام
القانون وستعمل على اعادة الأمور فى نصابها) ٠٠٠ وكان اللواء حسن
بشير قد أدلى بتصريح فى لندن يشكو فيه حكومة الجمهورية العربية
المتحدة لانها تضغط على السودان ليسمح لها بإرسال المساعدات .

ويكمل ميتن ويليمز وكيل الخارجية الأمريكية لشئون افريقيا صورة
الأحداث بتصريح فى مطار الخرطوم يوم ١٧ فبراير ١٩٦١ بقوله (ان
حكومة السودان قد بدلت جهدا شاقا لتجول دون عبور الأسلحة الى
الكونغو) .

وقام عبود بزيارة للولايات المتحدة والمانيا الغربية وبريطانيا ٠٠٠
وقال كيندى وهو يستقبل عبود فى أكتوبر ١٩٦١ بعد أيام قليلة
من انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة : (الرئيس عبود هو
أحد الرجال الأقوياء الذين يظهرون على مسرح السياسة الافريقية) .

وأضاف مادحا موقف السودان فى منع المعونات عن ثوار الكونغو
قائلا (لقد لعب السودان خلال عام ١٩٦١ وخاصة فى الشتاء والربيع
دورا هاما وبارزا فى المحافظة على الحرية فى افريقيا) .

وكان اللواء عبود قد سبق أن أرسل برقية الى ايزنهاور بمناسبة
يوم الجيش الأمريكى عام ١٩٥٩ يقول فيها (ان السودان كجزء من العالم

الحر. يعني بهذه المناسبة القوات التي تعمل حقيقة من أجل السلم
والبحرية.

وهكذا توثقت العلاقات بين قادة الحكم العسكري والدول الغربية .
مما دفعهم إلى اتخاذ مواقف غير وطنية ، عندما لم يسمحوا للطائرات
المصرية عامي ١٩٦٣-١٩٦٣ بالهبوط في بورسودان لمساعدة الثوار في
جنوب اليمن بينما فتحو ميناء المدينة لقطع من الأسطول البريطاني
وسمحوا للطائرات البريطانية بالتزود بالوقود والتموين وهي متجهة
لضرب الثوار اليمنيين .

ومع ذلك فإن نظمنا عبود رغم أنه عسكري ومتعاون مع الدول
الغربية فإنه لم يرفع ميزانية الجيش ولم يعمل على تقويته وطل على
ما كان عليه قبل الاستقلال بلا تسليح حديث . . . وبدأ الفرق يزداد
ويتسع بشكل واضح بينه وبين الجيش المصري بعد التسليح السوفيتي .

كان الجيش السوداني ١٢٠٠٠ جندي عام ١٩٥٨ لم يزد سوى
٣٠٠ خلال فترة الانقلاب . . . وللمقارنة فإنه رغم أن السودان نصف
سكان مصر إلا أن جيشه بعد الانقلاب لم يكن يصل إلى ١٠٪ من عدد
الجيش المصري .

لم يكن من أهداف انقلاب الجنرالات تكوين جيش وطني .

ولذا لم يكن غريباً أن يشتهر السودان بين الشعوب الأفريقية بكلمة
سبيكو توري زعيم غينيا : (الرجل المريض في أفريقيا) .

المواجهة الشعبية :

المواقف التي اتخذها الحكم العسكري أدت إلى عزلة السودان .
والانهيار الاقتصادي السريع الذي لمس الحياة اليومية للجمهير ، وفتح
الأبواب بلا حساب للاستعمار الجديد . واهدار الديمقراطية إهداراً
كاملاً ، وملاحقة الوطنيين والأحرار .

كل ذلك كان دافعاً لمقاومة هذا النظام والأصرار على استقالته من
جانب القوى والتنظيمات السياسية ، وتشكلت جبهة وطنية ضمت
أحزاب الأمة والوطني الاتحادي والشيوعيين ، وبدأت خطوات الالتقاء
في صلاة عيد الفطر عام ١٩٦٠ وكان تشكيل هذه الجبهة سابقة سياسية
هامة في كل بلاد منطقة التحرر الوطني ، إذ لم يسبق الاعتراف
بالشيوعيين كقوة سياسية في أي بلد عربي . . . وكان ذلك دليلاً على قدرة
الشيوعيين السودانيين في كسب احترام وتأييد القوى الأخرى رغم
لئلاءتها القبلية والطائفية .

ويرجع ذلك أساسا الى مقاومتهم للحكم العسكري منذ اليوم الاول وصلابتهم في مهاجمة القوانين والقرارات التي قيدت الجماهير وحرياتهم من حرياتهم الديمقراطية .

عندما انعقد المؤتمر الحادى والعشرون للحزب الشيوعى السوفيتى في فبراير ١٩٥٩ وقف ابراهيم زكريا مندوب الحزب الشيوعى السودانى يدين الديكتاتورية العسكرية . وكان رد الفعل تصرىحا للواء طلعت فريد وزير الاعلام قال فيه (من المؤسف أن يتخذ حزب شيوعى مثل الحزب الشيوعى السوفيتى باكذوبة وجود حزب شيوعى سودانى ، فلا يوجد حزب من هذا النوع فى السودان اطلاقا) .

ويلاحظ أن حزب الشعب الديمقراطى المرتبط بالختمية الطائفية القريبة من مصر نسبيا لم يكن مشتركا فى الجبهة ، وكان متعاوناً الى حد ما مع الحكم العسكري وهكذا يوضح موقفه المتأرجح الذى انفصل فيه عن الوطنى الاتحادى ثم ارتبط فى تحالف مع حزب الأمة فى تشكيلة وزارية ، وأخيرا خضع فى هدوء للحكم العسكري .

ويلاحظ أيضا أن حزب الأمة كان شديد التردد فى الارتباط بالجبهة ، فإنه بعد أن تولى السيد عبد الرحمن المهدي فى ٢٤ مارس ١٩٥٩ وتولى امامة الانصار الصديق المهدي أصدر منشورا بتاريخ ١٨ مايو ١٩٦٠ يقول فيه (لإزالة السيد الامام سائرا على تأييد الامام الراحل للوضع الحاضر وائسا متعاونون معه على ما يحق المصلحة العامة للبلاد بإذن الله) .

ورغم حظر الأحزاب ومنع فتحها ووضع الصادرة منها تحت الرقابة فقد بدأ نوع من التنسيق العلنى بين أحزاب الجبهة وكان الشيوعيون يتكفلون باصدار وتوزيع المنشورات فى كل مناسبة دون توقف .

وفى لاسبوع الأخير من أكتوبر ١٩٦٠ قامت مظاهرات فى حلفا ضد سياسة التهجير الى ختم القرية امتدت الى أنحاء السودان وظهرت ارادة الجماهير فى مقاومة الحكم العسكري .

وبعد ذلك بأيام قام جمال عبد الناصر بزيارة السودان بدعوة من ابراهيم عيود ، وكان ذلك موقفا ضروريا بعد عقد اتفاقية المياه مع السودان وهى التى سهلت خطوات بناء السد العالى .

وبدا جمال عبد الناصر زيارته يوم ١٥ نوفمبر ١٩٦٠ وحاول الحكم العسكري بوجوده هناك أن يكسب رصيда حاول به تثبيت قواعد نظامه . . .

ولكن الامر من الوجهة الأخرى أثار نشاطا سياسيا شديدا بين القوى التقدمية والوطنية ، فقد خطب جمال عبد الناصر معلنا أن الشعب المصرى يمارس (ثورة سياسية حفرته وتحفره دائما الى مقاومة الاستعمار بكل صوره باعتباره خطرا دائما يهدد حياة الشعوب فضلا عن حريتها وكرامتها ... ومن عمق هذا الايمان يشعر شعبنا أن قضية الحرية لا تتجزأ ، ومن ثم فإن معاركها الكبرى سواء على أرضه أو أراضى غيره من الشعوب هى فى صميم الامر معارك كل الشعوب) .

أراد جمال عبد الناصر أن يستثير قضية العزلة السودانية بقدر ما تسمح به ظروف وتقاليد الضيافة ملمعا الى ثورة الكونغو التى وقف منها قادة الانقلاب موقفا سلبيا لما سبق شرحه قائلا (بهذا القدر شعرنا أن عدوان السويس لم يكن علينا وحدنا كما أن العدوان فى الكونغو لا يهدد شعب الكونغو وحده) .

وتطرق جمال عبد الناصر بعد ذلك دون تردد الى قضية الثورة الاجتماعية التى قال ان الشعب المصرى يمارسها (ذلك لأن حرية الوطن هى تجميع لحرية المواطنين ، ولا يمكن أن تكون حرية المواطن فى بلده الا بقيام تكافؤ اجتماعي يمنح الفرصة المتساوية للجميع ويمد خير الأرض الى جميع الأحياء عليها) .

ولم يشأ جمال عبد الناصر أن تنتهى خطبته عند هذه الحدود فقد طعن عزلة السودان طعنة مباشرة بقوله (يمارس شعبنا اليوم ثورة عربية دفعته وتدفعه دائما الى رفع صوته ايمانا بالقومية العربية) واستطرد قائلا (هكذا فان شعبنا فى نضاله العنيد من أجل استرجاع حقوق شعب فلسطين انما ناضل من أجل قطعة سلبية من وطنه ، وكذلك يستقر فى ضمائر شعبنا نفس المفهوم ... فى النضال العنيد من أجل حق شعب الجزائر فى وطنه الحر) .

فلسطين والجزائر قضيتان كانتا بعيدتين تماما عن تفكير قادة الانقلاب العسكرى ، وتصريحات طلعت فريد التى ذكرتها كانت ما زالت تتردد فى أرجاء السودان .

وختم جمال عبد الناصر خطابه بقوله أنه يؤمن بأن شعب الجمهورية العربية المتحدة وشعب السودان سوف يلتقيان فى معارك الكفاح من أجل أوطان ترفرف عليها أعلام الحرية ، وفى معركة التطور الاجتماعى الذى يمهده ويحققه تطوير الزراعة والصناعة والخدمات .. وفى معركة القومية العربية تعبیر عن شرف كل وطن عربى واستقلاله ، ودفاع عن كرامة كل وطن عربى وعزته .

قال لي زكريا محيي الدين الذي صاحب جمال عبد الناصر في رحلته التي حضر فيها احتفالات العيد الأول للثورة وطاف فيها بأرجاء البلاد حتى غادرها يوم ٢٦ نوفمبر أن الشعب السوداني كان يلتهب حماسة لرؤية جمال عبد الناصر وسماع خطبه .

ورغم ما كان في كلماته من بعض العبارات التقليدية التي تفرضها واجبات اللياقة الا أن معانيها وأهدافها السياسية كانت تصل الى قلوب المواطنين فتترفع عنها قبضة اليأس وتشعل فيها الأمل .

ويؤكد زكريا محيي الدين أن جمال عبد الناصر كان يستهدف من رحلته إثارة المشاعر للجماهير .

وقد تحقق ذلك فعلا فلم تكد تمضي عدة أيام على مغادرته الخرطوم مائلا الى مصر حتى نشطت الجبهة وانتهى الرأي عندها الى اعداد مذكرة في ٢٩ نوفمبر ١٩٦٠ مرفوعة الى المجلس الأعلى للقوات المسلحة ، وقمها قادة الأحزاب وعدد من الشخصيات البارزة وطالبوا فيها (مدفعين بالرغبة الصادقة في التفاهم والتعاون) بالأسس الآتية :

١ - أن يتفرغ الجيش لمهمته الوطنية الأساسية وهي حماية البلاد .

٢ - تتولى الحكم هيئة قومية انتقالية لتحقيق الآتي :

(أ) تمارس سلطات الحكومة في فترة الانتقال .

(ب) تضع التخطيط السليم والأسس الواضحة الديمقراطية في السودان وعلى ضوء تجارب الماضي .

(ج) تضع قانون انتخابات عادل يجرى الانتخابات لايجاد ممثل الشعب الذين سيتولون الحكم في صورته النهائية ليضعوا الدستور .

٣ - رفع حالة الطوارئ فورا وكفالة حريات المواطنين وضمان حرية الصحافة ليستطيع الشعب أن يعبر عن ارادته في حرية ولتستطيع الحكومة القومية تحسس رغباته والتجاوب مع اتجاهااته .

كان نتيجة هذه المذكرة كما يذكر محمد أحمد محبوب في كتابه (محاكمة الديمقراطية) حرمان اسماعيل الأزهرى وعبد الله خليل من معاشهما البالغ ١٠٠ جنيه شهريا .

هكذا حققت زيارة جمال عبد الناصر خطوة إيجابية في طريق الوحدة الوطنية والنضال ضد العسكريين .

ولما ذهبت المذكرة الأولى بلا صدى ونجها قادة جبهة الأحزاب المعارضة مذكرة ثانية في يناير ١٩٦١ ، كانت نتيجةها قيام اتصالات منفردة بين بعض أعضاء المجلس الأعلى (اللواء طلعت قريد وأميرالاي المقبول الأمين) وبين الصديق المهدي في محاولة للوصول الى نتيجة فيما يتعلق بمستقبل السودان .

ولكن هذه الاتصالات قد انتهت الى غير نتيجة عندما أصر ممثلو المجلس الأعلى أنهم قد استولوا على الحكم بالقوة ، ولن يتركوه الا بالقسوة .

ورد الصديق المهدي على ذلك بمذكرة في ١٢ مارس ١٩٦١ نشرت في كتاب (ثورة شعب) وجاء فيها أنه (ليس صحيحا أن الجيش قد جاء الى الحكم بالقوة وان هذه حقيقة تاريخية سافرة لا تقبل الجدل) وانتهى الى نفس مطالب مذكرة ٢٩ نوفمبر ١٩٦٠ .

بعد فشل الاتصالات بدأ الحكم العسكري في حملة استغزات ضد الانصار فحدث في شهر مايو ١٩٦١ اقامة الصناديق المهدي وأحمد المهدي بعد رحلة الى غرب السودان ومنع الانصار من رفع الاعلام وترديد الاغاني .

وارسل الصديق المهدي مذكرة يوم ٢٨ مايو ١٩٦١ الى اللواء إبراهيم عبود يحتج فيها عن ما حدث ، محملا اياه (مسئولية ما قد يترتب على تصرفات الحكومة الاستغزائية ضد الانصار من قتل الشعب) .

وفي منتصف يونيو ١٩٦١ حدث اضطراب شامل لعمال السكة الحديد شكل نقطة انطلاق جديدة في نضال القوى الثورية وأعقب ذلك محاكمة مناضل شيوعي في الأبيض وتعرضه للتعذيب واعتقال مجاميه .

وبادر زعماء الأحزاب في ١١ يوليو بارسال برقية الى المجلس الأعلى تدین هذا التصرف وتطالب بتنحي الحكومة وعودة الحياة الديمقراطية .

ووضّح للحكومة أن هناك تحفزا شعبيا عاما وأن الجماهير قد وصلت الى درجة كبيرة من السخط فأصدرت قرارها باعتقال ١٢ من زعماء الأحزاب ونفيهم الى جوبا وهم الشهيد المناضل عبد الخالق محجوب وأنسماعيل الأزهرى وعبد الله خليل ومحمد أحمد المحجوب ومبارك زروق ومحمد أحمد المرنفى وإبراهيم جويل وأمين التوم وعبد الله عبد الرحمن نقد الله وعبد الله ميرغنى وعبد الرحمن شاخوز وأحمد سليمان .

ويقول محمد أحمد محجوب في كتابه (محاكمة الديوقراطية) أنه كان ينام في غرفة واحدة مع عبد الخالق محجوب وعبد الرحمن نقد الله

وأحمد سليمان • وهكذا اجتمع ممثلو الأنصار مع الشيوعيين في غرفة شديدة الضيق في جوبا حيث تكاد الأمطار لا تنقطع •

ويقول محمد أحمد محبوب أنه كان قد بدأ يدرس الماركسية ويترجم مع الشهيد المناضل عبد الخالق محبوب كتابا لبليخانوف •

أحدثت هذه الاعتقالات صدى محليا وعالميا واسعا وبادر الشيوعيون في أم درمان والأبيض بتنظيم مظاهرات حوكم فيها عدد من أعضاء الحزب أمام محاكم عسكرية •

وتوالى البيانات والمنشورات من الجبهة الى أن أضرب الزعماء عن الطعام بعد ٢٠١ يوم من الاعتقال حتى يتم الافراج عنهم وفزعت الحكومة لذلك وأصدرت قرارها بالافراج عنهم في اليوم التالي للاضراب عن الطعام مباشرة : ٢٨ يناير ١٩٦٢ •

ارتفعت الروح المعنوية عند الجماهير بعد الافراج عن زعمائهم ، ولكن جبهة الأحزاب المعارضة بدأت تتراجع متأثرة بوفاة الامام الصديق المهدي كما جاء في كتاب الحزب الشيوعي (ثورة شعب) والتي حدثت يوم ٢ أكتوبر ١٩٦١ أثناء وجود الزعماء في معتقل جوبا •

وافقت الجبهة صاغرة لقرار الحكومة بالغاء احتفالها بعيد الاستقلال في أول يناير ١٩٦٢ ، كما وافقت على الغاء الاحتفال الذي قررت اقامته بمناسبة الافراج عن زعمائها ٠٠ وركنت الأحزاب الأخرى عدا الحزب الشيوعي الى الهدوء والاستكانة ، مما جعل الحزب الشيوعي لا يجد سبيلا للتغلب على سلبيته الا بالخروج من الجبهة بعد رفضهم الدعوة الى الاضراب السياسي العام •

وانسحب الحزب الشيوعي من تجمع المعارضة في نهاية عام ١٩٦٢ معبرا عن رأيه في ضرورة دفع حركة الطبقات الثورية للحد الأقصى عن طريق تجميع كل القوى الوطنية والديموقراطية وتوحيدها في اتحاد موثق •

الفصل الرابع

ثورة ٢١ أكتوبر ١٩٦٤

(أول ثورة في التاريخ ينتصر فيها
الشعب الأعزل على انقلاب عسكري
مسلح)

(ثورة أكتوبر ثورة وطنية
مناهضة للاستعمار القديم والحديث ،
ويشهد مستقبلها على مقدرة القوي
التي أشعلتها في التعبير عن ارادتها
تعبيراً ديموقراطياً)

الشهيد المناضل
عبد الخالق معجوب

ثورة ٢١ أكتوبر :

جنحت الأحزاب التقليدية للصمت والاذعان لواقع الحياة ، بينما
واصل الحزب الشيوعي نضاله بين مختلف الفئات والطبقات الثورية بما
فيهم شبكات القوات المسلحة الذين شكل لهم تنظيمًا سريًا خاصًا يشرفه
عليه سكرتير الحزب الشهيد المناضل عبد الخالق معجوب .

لم يتهاون الحزب الشيوعي مع الديكتاتورية العسكرية مطلقا . .
وعندما قام بريجنيف وكان رئيسا لاتحاد الجمهوريات السوفيتية
الاشتراكية بزيارة السودان ، لم يصدر الحزب الشيوعي بياناً يرحب
بالزيارة ، ولكنه أصدر منشورا يهاجم فيه يعنف الحكومة العسكرية .
وتبنى الحزب الشيوعي السوداني شعار الاضراب السياسي العام
وأصدر مكتبه التنظيمي في أغسطس ١٩٦١ الخطة التنظيمية التي يسير
عليها الحزب لتنفيذ الشعار .

وأوضح التقرير مضمون هذا الاضراب السياسي العام بهذه الفقرة
(انه توقف الجماهير الثورية عن العمل ويتم تنفيذه عندما تصل الجماهير
الثورية الى وضع لا تحتمل فيه العيش تحت ظل النظام الراهن) .

وترك الحزب توقيت الاضراب (مرهوناً بالحدود التي تصل اليها
الحركة الجماهيرية الصاعدة) . . وعن مكانه قال : (قد تكون البداية
للطبقة العاملة وقد تكون للطلاب أو الزراع ، وقد تكون انبداية في
الخرطوم أو عطبرة أو بورسودان أو الجزيرة . . ليس المهم أو الامر
الجوهري تحديد تبعات الاضراب أو في أي منطقة يبدأ ، وانما الأهم والذي
تتطلبه الظروف الراهنة هو الارتقاء بالنضال الجماهيري وتنظيمه ليصل
الى نقطة التنفيذ الشاملة) .

.. وخلال فترة الحكم العسكري كانت هناك بعض العناصر تدعو الى
الاضراب السياسي قبل نضج الظروف المهيئة لذلك . . وعلى سبيل المثال
تقرر عقد مؤتمر النقابات للعمال السودانيين في أغسطس عام ١٩٦٣
تحت اشراف ضباط الجيش البكباشي محمد عبد الحليم الذي تخرج
في الكلية الحربية المصرية وتخرج فيها ضابطا بالمدفعية المضادة للطائرات
عام ١٩٤٢ . ثم نقل الى القوات السودانية ، والذي عينه الحكم العسكري
مديراً لمكتب العمل ، وصاغ قرارات تهاجم الحزب الشيوعي بلا مبرر .

وأصدر الحزب بياناً قال فيه : (ان الاستعمار الأمريكي الذي تشرف
على مؤامراته بالخرطوم السفارة الأمريكية هو صاحب المصلحة الأولى في
قسم الحركة النقابية . . ان هذا يخدم الأغراض التي من أجلها جاءت
المعونة الأمريكية للسيطرة على اقتصاد البلاد واستغلال الأيدي العاملة ،
وليس البكباشي محمد عبد الحليم الا أداة في يد القوى الاستعمارية
لتنفيذ المؤامرة) .

وحاول البعض إثارة فكرة الاضراب السياسي ولكن الحزب الشيوعي
عارض ذلك لأنه كان مقدرا له لو تم أن يعود على الحركة بنفس الانعكاسة
التي تسبب فيها اضراب عمال السكة الحديد في يوليو ١٩٦٠ . .

ووضعت الظروف للاقتراب من الاضراب السياسي عندما ارتفعت الاستعار ارتفاعاً جنونيا ، وبلغ عدد العاطلين المسجلين في مكاتب الخرطوم ٦٠ ألفا في مدينة لا يزيد سكانها عن ثلث مليون ، وارتفعت الضرائب غير المباشرة خلال خمس سنوات الى نسب تتراوح بين ٥٠ و ٦٣ في المائة .

وبدأت الإضرابات تتحرك .

في صيف ١٩٦٣ أضرب المزارعون في مشروع شمال الجزيرة .

وفي بداية ١٩٦٤ تمت الانتخابات بين المزارعين على الأسس التي وضعتها الحكومة وكانت النتيجة نجاح ١٥٤ عضوا كلهم من المعارضين لسياسة الحكومة .

وفي صيف ١٩٦٤ وافقت الحكومة تحت ضغط العمال على مبدأ تكوين اتحاد لنقابات العمال وشهدت من أجل ذلك قبضتها وضاعت رقابتها ، ولكن ٥٥ نقابة من ٦٣ قررت انتخاب الشهيد المناضل الشيخ أحمد الشنيخ سكرتيراً عام اتحاد النقابات المساعده الذي أمضى في السجن خمس سنوات .

وفجأة ٠٠ في يوم ١٢ أغسطس قررت الحكومة منع عقد المؤتمر الذي كان مقررا أن يعقد بعد ثلاثة أيام ، وذلك بعد وصول أفواج المدعوين من العمال من مختلف الدول ومنهم ممثلون لاتحاد نقابات العمال العرب ، واتحاد عمال الجمهورية العربية المتحدة ، وصاحب الالغاء حملة اعتقالات شملت مئات النقابيين .

ووصل غضب الجماهير الى الذروة وخرجوا الى الشوارع يتظاهرون ويهتفون ضد نظام عبود ، وخاصة عندما فكرت الحكومة في تنسيق الجامعة الى وزارة التربية والتعليم فتظاهر الطلبة احتجاجا .

وكانت الشرارة الأولى يوم الأربعاء ٢١ أكتوبر ١٩٦٤ عندما استقرت رصاصة في قلب الشهيد أحمد قرشي عضو رابطة الطلبة الشيوعيين فحملة زملاؤه الى مبنى الجامعة ، وناموا حول جثته لحراستها .

وفي اليوم التالي حمل الجثمان أساتذة الجامعة وهم يلبسون الأرواب واجتمع أكبر حشد للجماهير في تاريخ السودان ، وأحاطت الجماهير بالدبابات وعربات الجيش المصفحة وهي تهتف بسقوط الحكام القانصين .

وسرت الشرارة بين الجماهير كالحطب . ووقف القضاء بشاركون الشائكة الجامعة وطلابها موقفهم وفي مقدمتهم القاضيان بأبكر عوض الله وعبد المجيد أمام .

وبرزته خلاله الأحداث المثيرة للفتنة المتلاحقة فكرة تجسيع يضم نقابات
الأطباء والعمال والمحامين والقضاة وأساتذة الجامعة والمعلمين واتحاد
الطلبة .

الظروف أصبحت ناضجة تماما لتحقيق الفكرة التي تبناها وبلورها
الحزب الشيوعي السوداني وناضل أعضاؤه ببسالة من أجل تحقيقها :
فكرة الاضراب السياسي العام .

وأعلن عابدين اسماعيل نقيب المحامين أمام المحكمة العليا بالخرطوم
تكوين (الجبهة القومية الموحدة) وإعلان الاضراب السياسي العام يوم
٢٤ أكتوبر .

واحتزت السماء بصيحات الشعب وهو يؤيد النداء . . وبدأت
خطوات عملية لتنفيذ الاضراب .

وعاشت الجماهير في شوارع الخرطوم ، وأعلن اللواء حسن البشير
عضو المجلس الأعلى ووزير الدفاع بأنه قرر تشكيل محاكم عسكرية
لمحاكمة أعضاء الجبهة ، والمتظاهرين بالمادة ٤ من قانون الدفاع التي تنص
على الحكم بالاعدام .

وحددت اقامة الفاضيين بأكبر عوض الله وعبد المجيد امام وأعلن
قرار بحظر التجول ليلا . . ولكن الجماهير لم تتردد لحظة في الخروج
الى الشوارع والتظاهر والاضراب ، وتم نزول قوات الجيش .
المزارعون في الجزيرة رفعوا أيديهم عن الزراعة .

في مدينة الدويم أطلقت الجماهير سراح المسجونين وكان في السجن
الأميرالاي عبد الرحيم شنان الذي قاد انقلاب مارس ١٩٥٩ ودخل
السجن في مايو من نفس العام . . ولكن الأميرالاي شنان رفض الخروج
منتظرا قرار الإفراج عنه من أعضاء النظام الجديد .

وفي مدني سلم الحاكم العسكري السلطة الى القضاة المدنيين .

وفي عطبرة انسحبت قوات الجيش الى الثكنات .

وفي يوم ٢٦ أكتوبر تحرك عدد من ضباط الجيش التقدميين
والوطنيين الى القصر الجمهوري حاملين عريضة موقعا عليها من حوالي
١٦٠ ضابطا في مقاومة منهم لمنح افراد اللواء حسن البشير بالسلطة ،
ومنع استخدام الجيش لضرب الشعب .

طلبت المذكرة بحل المجلس الأعلى للقوات المسلحة ، ومجلس الوزراء
ووقف المجازر وتطهير الجيش من الفساد .

وفي التاسعة من مساء نفس اليوم أذيع بيان جبود الذي أعلن فيه تخلي المجلس عن سلطاته وعزل الوزارة ، وحل للمجلس الأعلى ٠٠ وانفجرت في الخرطوم عاصفة من التأييد الشعبي الجارف استعدادا لاستقبال نظام حكم جديد ، انتصرت فيه ارادة الشعب الأعزل على قوة الديكتاتورية العسكرية المسلحة .

وبناءات المفاوضات من أجل تكوين الوزارة الجديدة مع (الجبهة القومية الموحدة) التنظيم الوحيد المعلن الذي قاد الجماهير خلال أيام الثورة .

واستقر الرأي على تعيين سر الختم خليفة رئيسا للوزراء بعد اعتذار بإبكر عوض الله ، وهو من رجال التعليم وكان وقتها مديرا للمعهد الفني وليس له صلة بالسياسة .

وتشكلت الوزارة من ممثل واحد لكل حزب من الأحزاب ٠٠ محمد أحمد محبوب عن الأمة وزيرا للخارجية ومبارك زورق عن الوطني الاتحادي وزيرا للمالية ، وأحمد سليمان عن الشيوعي وزيرا للزراعة ، وبقيّة الوزراء من الأسماء الجديدة التي لم تتول مناصب وزارية سابقة ، يمثلون النقابات والهيئات التي كانت تتعاون مع الحزب الشيوعي تعاوناً وثيقاً ٠ وضمت الوزارة أيضا الشهيد المناضل الشليخ أحمد الشيخ وزيرا للدولة للعمال ، كما ضمت ثلاثة وزراء من الجنوبيين .

وكانت هذه هي أول مرة تصل فيها القوى الديمقراطية للسلطة بعيدا عن الأحزاب التقليدية .

أول قرار للوزارة كان الإفراج عن المعتقلين والمُسجونين السياسيين وخرج الأميرالاي عبد الرحيم شنان وزملاؤه من سجن الدويم .

ولم تكد تمضي عدة أيام على تأليف الوزارة حتى فوجئ الناس ليلة ٩ نوفمبر ١٩٦٤ بمن يدعوهم من الاذاعة للخروج الى الشوارع لحماية الثورة من انقلاب عسكري محتمل .

كان المتحدث هو فاروق أبو عيسى المحامي وعضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي وسكرتير الجبهة الوطنية للهيئات وهو الاسم الذي استقرت عليه الجبهة القومية الموحدة .

وفوجئت ليلتها وكنت هناك في الخرطوم بأن الجماهير قد خرجت الى الشوارع وأقامت المتاريس واحتلت الشوارع مدافعة عن أنصارها وهي تدق الطبول وتهزج بالأغاني .

وكان السر وراء هذا الخبز هو اعتقال ثمانية من الضباط الوطنيين منهم البهيدي فاروق عثمان حمد الله والبكباشي جعفر نمري أفرج عنهم فوراً .

وفي هذه الليلة كانت إذاعة القاهرة تردد ما تليذعه إذاعة أم درمان وهي تطالب الشعب بالخروج لحماية مجلس الوزراء ومبنى الإذاعة حتى تستقر الأمور وعاد الهدوء .

وعقدت الوزارة اجتماعاً يوم ١٠ نوفمبر قررت فيه اعتقال أعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة السابق وترحيلهم يوم ١١ نوفمبر إلى الزنجي في غرب السودان .

وأصدر سر الختم خليفة بصفته وزيراً للجربية قراراً بتعيينات جديدة في الجيش .

وفي يوم ١٥ نوفمبر أعلنت الوزارة بياناً للواء عبود ليذيعه معلناً استقلاله باعتباره آخر مظهر من مظاهر الحكم العسكري المنهار .

وذهب أعضاء مجلس الوزراء جميعاً إلى القصر الجمهوري لمواجهته بذلك ، وكانت آخر رغباته كما وصفها محمد أحمد مجسوب في كتابه (الديموقراطية في الميزان) هي أن تؤخذ له صورة مع مجلس الوزراء ، وقد تم ذلك فعلاً ، ثم طلب منهم أن يبقى ابنه مقيماً في منزل ستيفر السودان في لندن حيث يدرس هناك ، وأخيراً طلب معاشاً مناسباً له باعتباره رجلاً فقيراً لا يمتلك ما يؤمن حياته ، وقد أجيب إلى كافة طلباته .

وهكذا انتهى عهد الحكم العسكري للجنرالات في السودان وطويت صفحة ستة أعوام سوداء بعد أن سجل الشعب السوداني حدثاً تاريخياً لا يتكرر كثيراً هو قهر نظام عسكري رجعي تطارده صيحات الجماهير الغاضبة (إلى الثكنات .. يا حشرات) .

وتثبتت الأحداث أن ثورة ٢١ أكتوبر لم تكن وليدة انفجار مررتجل ، ولم تكن بقفزة مفاجئة .. وإنما كانت ثمرة ناضجة لنضال طويل قادته جبهة المعارضة حتى نهاية ١٩٦٢ ثم الحزب الشيوعي السوداني مع العناصر الوطنية والديموقراطية في مختلف النقابات والهيئات لتحقيق الشعار المرشد لهم وهو الاغراب القياسي العام .

ولا شك أن من العوامل الحاسمة في انتصار ثورة ٢١ أكتوبر انحياز بعض الضباط الوطنيين إلى جانب الشعب يوم ٢٦ أكتوبر وتقديم مطالبهم التي تصدرها حل المجلس الأعلى للقوات المسلحة ونقل مجلس الوزراء .

وكانت القاهرة ترقب أحداث السودان بقلب مشوق لتغيير الوضع هناك ، فانه رغم العلاقات التقليدية الطيبة بين الدولتين ورغم الوصول الى اتفاقية مياه النيل ، فساد يعمال عبد الناصر لم يكن سعيدا فعزلة السودان ، ولم يكن راضيا عن تهريب الحكم العسكري للدولة المصرية وفتح الأبواب للاستعمار الجديد ، في وقت كانت مصر فيه تقاوم مؤامرات الامبريالية الأمريكية وخططها في انفصال سوريا ومقاومة الثورة اليمنية من السعودية .

ولذا فانه ما ان وصلت الاخبار الاولى للثورة الى مصر جني شناع نوع من التأييد الرسمي والشعبي للثورة المتفجرة يوما بعد يوم .

وسافرت في الأيام الاولى للثورة مندوبا عن مجلة روز اليوسف التي كنت قد بدأت الكتابة فيها من شهر رغم اني كنت مازلت اعمل مديرا لمؤسسة المسرح التي كان عبد القادر حاتم وزير الارشاد القومي قد اعتلى عليها وحل تنظيمها التماسك وجعلها تابعة للإذاعة رغم ابتعاد الصلة بين المجالين . مما خلق تناقضات ومتاعب تصعب العمل وتعرقله .

وكانت ضلتي الوثيقة السابقة بالشهيد المناضل عبد الخالق محبوب منذ كان طالبا في كلية الآداب بجامعة القاهرة ومنتميا الى الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني (جدتو) ، بمقابلتي له فيور وصولي هناك - عاملا رئيسيا في رؤيتي لحقيقة لوضع في السودان ، وكتابة عدة تحقيقات عن ذلك في مجلة روز اليوسف خلال شهر نوفمبر ١٩٦٤ .

كان الشهيد عبد الخالق حريصا على نفي الصفة التي أطلقها منافقون للاسوشيتد برس يسمى ماكارتني من قوله بنان ثورة أكتوبر شيوعية (يملك زمام الموقف فيها رجل غامض ، يسمى عبد الخالق محبوبين سنكرتير الحزب الشيوعي) .

كما كان الشهيد عبد الخالق واضحا تماما في قوله بنان (ثورة أكتوبر ثورة وطنية مناهضة للاستعمار القديم والحديث ، وأيمتندا مستقبلها على مقنطرة القوى التي أشعلتها في التعبير عن ارادتها تعبيرا ديموقراطيا) .

وقد سجلت وقتها قوله (ان الظروف التي احاطت بثورة ٢٩ أكتوبر والعوامل التي أثرت في الشعب السوداني خلال سنوات الحكم الرجعي ليست قد فتحت الافاق لطريق واسع لبناء الاشتراكية في السودان ، يصحح ان الحزب الشيوعي ظل خلال هذه المدة يدعو للاشتراكية ويؤيد

على أقسام من جماهير الشعب ، ولكن من غير الصحيح اعتبار المطامع الاشتراكية لكل قطاعات الشعب المناضل وقفا عليه وحده . . . وهذه حقيقة لا تفوت على بال الشيوعيين في السودان لانها موضوعية وذات صلة بالحياة المعاصرة لشعب السودان)

وقال الشهيد عبد الخالق أيضا (على الرغم من أن الحزب الشيوعي السوداني قد أبرز تنظيمه علنا بعد انتصار ثورة ٢١ أكتوبر إلا أنه لم يعتبر هذا التنظيم وحده معبرا عن الاتجاهات الاشتراكية المختصرة في أذهان قوار ٢١ أكتوبر)

الاشتراكية برزت كشعار جديد للجماهير . . . ووجد ذلك ترحيبا شديدا من جمال عبد الناصر ، جعله يفوت فرصة تخريب جسر التعاون بين القاهرة والخرطوم على بعض العناصر الرجعية

وكان ذلك عندما ثارت الجماهير في السودان على مقالين ، أولهما كتبه محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام ، والثاني كتبه موسى صبرى وأرسله من الخرطوم حيث أضاف إليه بعض المحررين كلمات تقول بأن الجماهير كانت تهتف لمصر ولجمال عبد الناصر في محاولة ساذجة لتصوير الثورة وكأنها من صنع مصر .

واستغلت بعض العناصر ظهور هذين المقالين ، والحساسية الشديدة عند السودانيين من كل كلمة تنشر عن مصر أمر معروف وشديد الوضوح فوجهت عندها محدودا من المتظاهرين إلى السفارة المصرية حيث اعتدوا عليها وحرقوا العلم المصري

وأمرع وقتها وزير الخارجية محمد أحمد محبوب وعدد من الوزراء إلى السفارة المصرية يقدمون الاعتذار للسفير الذي حاول أن يجعل منها مشكلة ، ولكن ما أن وصل الأمر إلى جمال عبد الناصر حتى أدرك أن هذا العمل لا يمكن أن يمثل التيار الرئيسي للثورة ولا بد أنه من تدبير بعض العناصر التي هالها وضوح الاتجاه الاشتراكي لثورة أكتوبر ، ونتيجة ذلك الحتمية ارتباط جديد وثيق مع مصر والدول العربية المتحدة .

وطلب جمال عبد الناصر من السفير علم تقديم احتجاج ، وأمره برفع العلم المصري في هبوة

ولم تفل محاولة تخريب اتجاه الثورة عند هذا الحد ، فقد حدثت يوم ٦ ديسمبر الذي أطلق عليه أسم (الألبه العزين) حادث مروع اذ كان حشد من أبناء الجنوب ينتظر الوزير الجنوبي كليمنت أمبورو في مطار

الخرطوم وتأسست الطائفة وسرت بين المبتدئين اشاعة تعرض الوزير للخطر وبدأ القلق والغضب يسرى في صفوفهم ، ولما طالبهم البوليس بالتفرق والعودة رفضوا وحدث اشتباك بين الطرفين ، انتهى الى اشتباك عام بين الشماليين والجنوبيين قتل فيه ١٣ شخصا وجرح كثيرون .

كان جمال عبد الناصر يرقب الموقف في السودان بنظرة الزعيم الوطني المتفتح ، الذي يساند بحكم ثورته ومبادئه حركات التحرر الوطني في كل موقع .

ولذا يبادر الى عقه صلة مع القوات الثورية السودانية التي كان الحزب الشيوعي يقف منها خلال هذه المرحلة في موقف الطليعة . عندما كتبت تحقيقاتي الصحفية عن ثورة أكتوبر في السودان في مجلة روز اليوسف ، أصدر جمال عبد الناصر قراره بتعييني رئيسا لتحريرها في أول ديسمبر ١٩٦٤ في الوقت الذي كان فيه أحمد فؤاد رئيس مجلس ادارة بنك مصر قد عين رئيسا لمجلس ادارتها وبدلت صلة جديدة بين جمال عبد الناصر وبين الحزب الشيوعي السوداني الذي سبق له أن ساند ثورة يوليو خلال فترة الصلوات الثلاثى وأوسيل هيدا من المعطوسين ، وناضل تضالا طويلا من أجل تحسين سمعة الحكم في مصر بعد عزله نجيبه واستقلال السودان وركوب الأحزاب التقليدية وخاصة حزب الأمة موجة التناقض مع مصر .

وأصبحت الجماهير في السودان تهتف بحياة جمال عبد الناصر وتنتظر اليه نظرتها الى بطل مرموق تتطلع اليه وهو يقود مصر في خطواتها التحررية بينما رجال الانقلاب العسكري الرجعي في السودان يقيدون خطوات الشعب بالعتلة والاضلال .

وكان أول مندوب يقابل جمال عبد الناصر من الحزب الشيوعي في هذا الوقت هو محجوب عثمان عضو اللجنة المركزية الذي حضر اليه حاملا رسالة الحزب ، وقد حضرت هذه المقابلة مع أحمد فؤاد وتم الاتفاق فيها على قيام صلة سياسية بين القاهرة والحزب في الخرطوم عبر بعض المسئولين هناك .

ووافق جمال عبد الناصر في هذا اللقاء على طبع كتاب عن تاريخ الحزب ونضاله ضد الانقلاب العسكري باسم (ثورة شعب) .

أصدر جمال عبد الناصر أوامره لخاله محيي الدين رئيس مجلس ادارة أخبار اليوم في ذلك الوقت بطبع الكتاب في المؤسسة على ألا يتحمل الحزب تكاليف الطباعة وعلى الا يوزع الكتاب في مصر .

وعندما صدر الكتاب قامت خوله مناقشة في الاجتماع العاشر الذي عقده جمال عبد الناصر مع أمانة الاتحاد الاشتراكي العربي يوم ٢٣ فبراير ١٩٥٦ إذ أثار أحد الأعضاء قضية نشر الكتاب قائلا أن هذا الكتاب يجعل الأحزاب الأخرى تتساءل إن كنا نؤيد وضعاً معيناً في السودان ؛ ونستباهل نحن نحن فعلاً نشجع وضعاً معيناً هناك ؟

واستطرد العضو قائلاً : إن كان الأمر كذلك فانه كان لاداعي لأن يكتب على الكتاب أنه طبع في أخبار اليوم .

وأجاب جمال عبد الناصر في صراحة تامة قائلاً : (لقد وافقت على طبع هذا الكتاب ولو أن الأخ على حقيق فيما قاله . وبالنسبة للوضع في السودان فإن الحزب الشيوعي أفضل لدينا ألف مرة من الأحزاب الرجعية ، والحقيقة أن الحزب الشيوعي في السودان يقف في خط وطني ويتعاون مع حزب الشعب الديمقراطي وجهة الهيئات والعمال ونحن لانعادي الحزب الشيوعي في السودان)

هذه الصلة التي بدأت لم تنقطع مطلقاً طوال حياة جمال عبد الناصر ولم تشبهها المحاذير أو الشكوك .

وقامت هناك صلة أخوة نضالية بين عبد الناصر وبين الشهيد المناضل عبد الخالق مجحوب الذي لم يحضر مرة إلى القاهرة الا واستقبله جمال عبد الناصر وعقد معه جلسة مناقشة ودودة وطويلة .

إجهاض ثورة أكتوبر :
كانت الأحداث تلاحق الوزارة الجديدة التي شكلها سر الختم خليفة والتي بدأت تتخذ اجراءات ترفع عن المجتمع قبضة الحكم العسكري وتطهر آثاره .

أصدرت قرارات بمنع الطائرات البريطانية فوق مجالها الجوي .
صادرت أموال رجال المجلس الأعلى السابق وبعض الدين أثروا عن طريق الاتصال المريب منهم .

غيرت في قيادات الجيش وأحالت إلى التقاعد بعض كبار الضباط .
أعادت الحقوق الديمقراطية لتكوين النقابات المهنية والاتحادات العمالية .

وقام سر الختم خليفة بزيارة مصر في يناير ١٩٦٥ حيث استقبله الرئيس جمال عبد الناصر ، وكان لهذه الزيارة التي صُنِّجَ فيها منعد

أحمد مجحوب، وأحمد سليمان وكليمنت إمبورو صدي كين في تحسين العلاقات بين البلدين .
ولكن الوزارة الجديدة بدأت تصطدم بأصرار الأحزاب التقليدية على إجراء الانتخابات بعد سنة شهرين كما ورد في البيان الأول للوزارة، والذي صدر دون دراسة متأنية شاملة للأوضاع في السودان .
وكان الجنوب مشكلة تفرض نفسها على الموقف . فأصدرت الحكومة قراراً بإطلاق سراح المسجونين السياسيين من أبناء الجنوب والاعتراف بعطلة يوم الأحد والبدء في المفاوضات مع قبائل أحزاب الجنوب .

ولكن أجزاء الانتخابات عندئذ لم تكن يمكن أن تكون مشكلة . وقد أرسل اتحاد السودان الوطني الأفريقي ، أو حزب (سلون) ، خطايا مفتوحة إلى رئيس الوزراء يقول له فيه أن آلافاً من اللاجئين من مواطني جنوب السودان موجودون حالياً في بلاد أفريقية مجاورة خاصة في الكونغو وأنغوليا وجمهورية أفريقيا الوسطى وكينيا ، وهم يمثلون نفسنا تماماً من شعب جنوب السودان . فندمهم الزعماء السياسيين والمهنيون وزعماء القبائل والطلاب ، وقد اضطروا لمغادرة البلاد أثناء الحكم العسكري المنحاز .
ولذا طالب زعماء الجنوب بتأجيل إجراء الانتخابات بينما طالب الصادق المهدي وإسماعيل الأزهرى بإجراء الانتخابات في الموعد المحدد لها : مارس ١٩٦٥ دون نظر إلى مشكلة الجنوب .

وأصبحت الانتخابات هي محور الخلاف بين الجبهة الوطنية للهيئات التي حضرت وقادت الثورة ترفض إجراء بشرى الجنوبيين . ويؤدي إلى عزلهم عن الشمال ، ويساندها في ذلك الحزب الشيوعي والشعب الديمقراطي . بينما يصر حزب الأمة والوطني الاتحادي على سرعة إجراء الانتخابات مستندين إلى نفوذهم التقليدي ووجود عناصر موالية لهم في المناصب الإدارية .

وحدثت بعض المصادمات بين أنصار حزب الأمة الذين حضر منهم ٣٠٠٠ لقيحوا في أم درمان ، وبين الجماهير المؤمنة بقيادة الجبهة التي أنقذتهم من الحكم العسكري .

وخلال هذه الفترة حضرت إليزابيث ملكة بريطانيا لزيارة السودان في ٨ فبراير ١٩٦٥ تديداً للعلاقات القديمة بين البلدين .

وبعد ذلك بأيام قام الصادق المهدي وإسماعيل الأزهرى ومحمد أحمد محبوب بزيارة رئيس الوزراء سر الختم خليفه في منزله سرا في الثانية بعد منتصف الليل حيث ضغطوا عليه من أجل تقديم استقالة الوزارة رغم انه في نفس الليلة ١٧ فبراير كان هناك اجتماع لمجلس الوزراء تم الاتفاق فيه على استقراء الوزارة في موعدها حتى يتم تمهيد الظروف المناسبة لاجراء انتخابات سليمة تحقق وحدة الشمال والجنوب .
وتقدم تعبيرا صحيحا عن ارادة الشعب .

كان موقف سر الختم خليفه غريبا طعن به الثورة التي اختارته رئيسا وحان الجماهير التي منحته ثقتهما . . وكان في ذلك خاضعا للنقوذ الانصار واصهاره اسرة المهدي .

وقد أسفرت الانتخابات المتعجلة التي تمت في أبريل ١٩٦٥ وقاطعها الجنوبيون وحزب الشعب الديموقراطي عن حصول حزب الأمة على ٧٥ مقعدا من ١٧٤ والوطني الاتحادي على ٥٣ مقعدا ، والحزب الشيوعي على ٨ مقاعد كما أسفرت انتخابات الخريجين على حصول الحزب الشيوعي على ١٣ مقعدا من ١٥ .

كان رفض حزب الشعب الديموقراطي وحصول الانتخابات عملا غير مبرر ، فقد حرم (التجمع الشعبي الديموقراطي) الذي ربط بينه وبين الحزب الشيوعي وتنظيمات الجبهة من فرصة الحصول على مقاعد كافية تؤدي الى تكوين معارضة قوية نشطة كما أنه سهل من حصول حزب الأمة على أغلبية كبيرة .

تولى محمد أحمد محبوب رئاسة وزارة ائتلافية من الأمة والوطني الاتحادي ، وعين اسماعيل الأزهرى رئيسا دائما لمجلس الرئاسة ، واجهت الجمعية التأسيسية ثلاثين للجنوبيين في ١ يونيو ١٩٦٥ لوضع دستور فلباد .

وسرعان ما بدأت الخلافات في الظهور ، فقد دعت عناصر الحكومة طلبا في اتحاد المعاهد بأم درمان كان متشبها في الماضي للحزب الشيوعي الى التوجه على الدين الاسلامي ، واختلقت من هذا الموقف مشكلة استندت اليها في حل الحزب الشيوعي قانونا وفصل أعضائه من الجمعية التأسيسية .

ورفع الحزب الشيوعي ذلك القرار الجائر الى المحكمة التي أصدرت حكما بعدم شرعية تعديل الدستور الذي تم بتوجيه حل الحزب الشيوعي وطرد أعضائه من الجمعية التأسيسية .

وأصبحت الحكومة محاصرة بين حكم المحكمة العليا ووزير الداخلية والجمعية التأسيسية لرفضها تنفيذ حكم المحكمة .

ولم يكن هذا هو التناقض الوحيد .

ظهرت تناقضات داخل تحالف الحزبين الحاكمين عندما نشب صراع على منصب رئيس الجمهورية بين اسماعيل الأزهري الذي كان يتولى هذا المنصب بصفته رئيسا لمجلس السيادة وبين الهادي المهدي أمام الإئتصار الذي كان يتطلع إلى المنصب أيضا :

والتفكك التام للاشتراكي الديمقراطي عندما مارس حزب الشعب الديمقراطي لعبته في عقد تحالفات التهازية متناقضة والدمج مع الحزب الوطني الاتحادي في حزب جديد باسم الحزب الاتحادي الديمقراطي ، بعد أن كان متحالفا مع حزب الأمة قبل الحكم العسكري ثم متعاوناً مع الحكم العسكري ثم متحالفاً مع الحزب الشيوعي وأخيراً مع الوطني الاتحادي .

ولم تقف التناقضات والخلافات عند حدود الأحزاب بل تسربت إلى داخل صفوف حزب الأمة ، إذ قام نزاع بين المبادئ المهدي الشاب الطموح شريخ أكسفورد ابن شقيق الإمام الهادي وصهر الدكتور حسين الترابي زعيم الإخوان المسلمين وبين محمد أحمد محبوب رئيس الوزراء لأنه كان يطمح في تولي منصب رئاسية الوزراء رغم عدم بلوغه سن الثلاثين بعد .

كان الهادي المهدي يساعد محمد أحمد محبوب مما أدى إلى انقسام حزب الأمة إلى كتلتين متنافرتين ووصل الخلاف إلى الحد الذي جعل نائباً من الأمة يضرب وزير الصحة وهو من حزبه أبطاشاً حتى نقل إلى المستشفى .

وما أن بلغ المصادق المهدي سن الثلاثين وأصبح صالحاً دستورياً لمنصب رئيس الوزراء حتى بدأ تنفيذ خطته بالضيق على محمد أحمد محبوب لإجباره على الاستقالة ولكن محبوب رفض ذلك تماماً معلناً أنه انتخب بواسطة الجمعية التأسيسية ، وهنا بدأ اتجاه المصادق لأعضاء الجمعية ولإسماعيل الأزهري الذي آيده ، وهنا لم يجد محبوب بداً من الاستقالة وتولى المصادق المهدي رئاسة الوزراء في ٢٦ يوليو ١٩٦٦ .

وانقسم حزب الأمة انقساما حاداً لأول مرة في تاريخه ، ولم تمكن حكومة المصادق المهدي أكثر من شهور حيث حجبت عنه الجمعية التأسيسية ثقتها في ١٥ مايو ١٩٦٧ بعد خلاف بينه وبين وزرائه :

• وعاد محمد أحمد محبوب رئيساً للوزراء يوم ١٨ مايو ١٩٦٧ .

خلال هذه الفترة التي وثيت فيها الأحزاب التقليدية إلى مقاعد السلطة وافتعلت الخلافات مع الحزب الشيوعي والقوي التقدمية وجاوبت

فرض ما أسمته (الدستور الاسلامي) بعد ان تحولت لجامعة أم درمان الإسلامية التي كانت تمويلها بعض الدول الأخرى الى مقر لبعث العناية المصادر للتقدم والاشتراكية والحريات الديمقراطية واستجلبت لها أساتذة من عتاة الرجعية والتخلف .

والحرية الدينية لم تكن اطلاقاً محل خلاف بين كل الأحزاب بما فيها الحزب الشيوعي الذي اعتاد أن يبدأ اجتماعاته بتلاوة من آيات الذكر الحكيم ، والذي استنكر تصريحات الطالب المدسوس التي أدت الى إلغاء الحزب وفصل أعضائه من الجمعية التأسيسية ، وقد انتهى الأمر بهذا الطالب الى الذهاب في منحة دراسية الى الولايات المتحدة .

والواقع أن محاولات طعن ارادة التقدم والتغيير الاجتماعي لثبات المجتمع الاشتراكي عن طريق الدين قد وصلت في السودان الى طريق مسدود بعد أن ثبت أن كبار رجالات الدين والطائفة لا يتفهمون ولا يترفعون عن المشاكل الشخصية الدنيوية ، وأن الحزب الشيوعي قد حرص في مؤتمراته على دعم القيم والفضائل الدينية التي تؤكد العدالة الاجتماعية .

هكذا كانت الحالة في السودان . حكومة تهتم بفرض ديكتاتورية مدنية عن طريق ما يسمونه « الدستور الاسلامي » ، وجاهل ضاقت بالعودة الطائفية وكشفت تماماً خديعة كبار الرجال المستغنين للذين تجمع لكل القوى التقليدية في موقع السلطة . وتجمع لكل قوى التقدم والاشتراكية في موقع المعارضة .

جامعة اسلامية يحيط بها اخوان مسلمون . تحتاج لهم فرصة التهمج على الاشتراكية . وقوات واتحادات جماهيرية اشتراكية تقدمية تناضل في مواجهة هذا الهجوم وتكسب كل يوم مواقع وأنصاراً جديداً .

أجهضت ثورة أكتوبر وضاعت شعاراتها ولكنها لم تذهب أدراج الرياح .

حققت ثورة أكتوبر نهاية الحكم العسكري الدكتاتوري الذي خارب كل القيم الديمقراطية .

كسرت القضاة التي عزلت شعب السودان عن الدول العربية والافريقية .

جعلت الاشتراكية كلمة مباحة يقننها البعض عن إيمان علني وتدرجها الأحزاب في برامجها حتى حزب الأمة لأقراء وخذاع نجالب من الجماهير المتطلعة اليها .

نقلت الحزب الشيوعي السوداني من العمل سرا الى الظهور والنضال علنا كحقيقة واقعة .

بدأت التفكير جديا في تكوين جبهة وطنية ديمقراطية .
لم تمض ثورة أكتوبر في حياة السودان بلا أثر ، ولم تكن حراثا في الماء .

العسكريون يستعدون :

كان الضباط الوطنيون الذين احتشدوا حول القصر الجمهوري يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٦٤ من أكثر الناس ضيقا بتردى الحالة واجهاض أهداف ثورة أكتوبر .

وانكفا الضباط على تنظيماتهم في الجيش يعيدون اليها الحياة ويتأهبون لدور جديد .

وفكرة الضباط الأحرار في مصر كانت عالقلة بأذهان الضباط السودانيين وتأثروا بها تأثرا شديدا ، فقد تشكل أول تنظيم للضباط الأحرار السودانيين عام ١٩٥٣ قبل الاستقلال كان من منظميه محمود حسيب الضابط بسلاح الإشارة والذي أصبح وزيرا للمواصلات فيما بعد والنبي أوضح أهدافه في حديثه لمعيد المنعم الغزالي المنشور في مجلة الطليعة عدد أغسطس ١٩٦٩ « أجس الضباط أن لهم دورا إيجابيا وأنه لا بد لهم من أن ينظموا أنفسهم ليكونوا على الأقل صمام أمان في المستقبل اذا انحرف القادة السياسيون عن الطريق القويم وكان المهم أن يشعروا المستعمر الانجليزى أن الجيش لن يستمر مطية يسخرها لأغراضه الخاصة » .

وقد ارتبط بعض أعضاء هذا التنظيم بالمحق العسكري المصرى على خشبة ، وارتبطت حركتهم بالسياسة المصرية ، ولكن الاتجاه العام السائد في السودان نحو الاستقلال أضعف من قدرات قادة هذا التنظيم على اقناع الضباط السودانيين بحقيقة دورهم .

وفي عام ١٩٥٧ جرت محاولات جديده لاعادة الحياة الى التنظيم وتقويته ، وكان الصاغ عبد الرحمن كبرى مستولا عن ذلك في الخرطوم ولكن سرعان ما اكتشف الأمر وحوكم مجموعة من الضباط وإحيل وقتها اليوزباشى جعفر نمرى الى الاستبداد . لا ريب ان هذا التنظيم .

ولعل هذه الضربة كانت سببا في تسهيل استيلاء الجنرالات على الحكم دون مقاومة من داخل الجيش .

ثورة يوليو ج ١ - ٩٧٧

وبعد انقلاب ١٧ نوفمبر ١٩٥٨ بدأ الضباط يتحركون من جديد وكانت محاولات مارس ومايو ونوفمبر ١٩٥٩ التي سبقت الإشارة إليها ، والتي أثبتت أن هؤلاء الضباط الوطنيين لم يكونوا بعيدا عن مجال الاتصالات السياسية مع القوى الحزبية خارج الجيش ، بما فيها الحزب الشيوعي الذي كان يعمل داخل الجيش بأسلوب شديد السرية له نظرة خاصة لتركيب الجيش من ناحيته الطبقية فهو يفرق بين كبار الضباط الممالئين للاستعمار أصحاب الأفكار الجامدة والمحافظة وبين شباب الضباط المثقفين وصف الضباط والجنود أبناء الفلاحين والطبقة العاملة .

وكما بدأت الحركة المصرية للتحرر الوطني ثم الحركة الديمقراطية نشاطها داخل الجيش وسط ضباط صف مدارس الطيران والصيانة وغيرها من المدارس الفنية ، بدأ الحزب الشيوعي نشاطه داخل الجيش أيضا .

وكان الحزب الشيوعي قبل ظهور « صوت القوات المسلحة » لا يتخلف مطلقا عن توجيه المنشورات الى « الضباط الأحرار » مفسرا لهم الأحداث السياسية معلنا موقفه مؤيدا حركاتهم الثورية .

وفي يوم الذكرى الأولى لحركة ٤ مارس وحركة نوفمبر صدر منشور من المكتب السياسي للحزب يقول « في هذا اليوم نخاطب مواطنينا في الجيش من كل الرتب واضعين أمامهم حقيقة هذا العهد المظلم الذي لن يعيش طويلا ولا يملك سبيلا واحدا من أسباب البقاء » .

وفي الذكرى الأولى لحركة نوفمبر صدر منشور آخر يقول « ان ثورة الجيش والشعب الحقيقية هي التي دق ناقوسها اليوم وبدأت تلوح نذرها وبشائرها حاملة معها ثراث محمد أحمد المهدي وودحيوة وعبد اللطيف وعلي حامد والصادق وزملائهم الأبطال » .

وفي الذكرى الثانية أيضا صدرت منشورات من الحزب الشيوعي . ويمكن لمزيد من البحث الرجوع الى كتاب ثورة شعب الذي أصدره الحزب عام ١٩٦٥ .

وقد تبلور هذا النشاط في أقسى ظروف الحكم العسكري عام ١٩٦١ عندما صدرت مجلة سرية خاصة بالتنظيم اسمها « صوت القوات المسلحة » استطاعت أن تلعب دورا رئيسيا في تجميع الضباط الوطنيين من مختلف الاتجاهات وجذب أفكارهم الى القضايا الاجتماعية باعتبارها عنصرا رئيسيا لا ينفصل عن القضايا الوطنية .

وفي العدد الثامن من المجلة تفسير لحركة الضباط الأحرار وأهدافها هو ما يلي :

طالما تردد داخل الجيش وخارجه اسم الضباط الأحرار وتساءل الكثيرون عن أهدافنا وبرامجنا نحن الذين صمدنا في إباء وقوة أمام المحاكم العسكرية أيام الأعدام والسجن المؤبد والتشريد والعذاب نرفع دائما راية التفاؤل وتقدم كل تضحية مهما كلفت في سبيل بلوغ أهدافنا وأهداف شعبنا) .

واليوم وبعد أن انتظم صدور مجلتنا تمكننا من تذليل جميع الصعاب التي كانت تعوق مخاطبتنا لكم في ظروف العمل السرية فأننا نرى أن من واجبنا أن نطرح أهدافنا لكم وندعوكم لوزنها ومناقشتها ونقدها إن أردتم وإضافة أي بنود ترون أن أهدافنا لم تتضمنها .

أنا نود أن نؤكد أننا لسنا هيئة للثروة والقطيعة حول مخازي النظام الراهن وعيوب الضباط الكبار ، بل أننا ننظم عامل جاد اقتنعنا وقررنا عن رضى وطيب خاطر أن نسخر مجهودنا وأرواحنا وعقولنا لخدمة بلادنا وشعبنا الذى منحنا الحياة والعلم ووضعنا في هذا المكان لنحمي سيادته ونصون حقوقه ولدافع عن كيانه واستقلاله من أي عدوان وأي عبث .

أنا لا نعتبر أنفسنا نخبة ممتازة أو أننا مبعوثو العناية الإلهية لتخليص شعبنا من الظلم الذى حاق به ولكننا نعتبر أنفسنا جزءا منكم ومن هذا الشعب ودعواتنا هي دعواكم وأهدافنا هي أهدافكم .

أنكم تعلمون أن الجيش - أي جيش - يفقد وضعه واحترامه ومكانته في نفوس المواطنين إذا ما استعمل لخلق الحركات الوطنية ولكبث حريات المواطنين ، ولا نظن أن ذلك بخاف علينا جميعا ، وهذا الطريق هو الذى أرادت العصابة الراهنة أن تسوقنا اليه ونحن الذين تقدمنا عن طواعية للعمل في القوات المسلحة لتصير درعا واقيا لشعبنا لا يمكن أن نقبل أن نصبح خنجرا تفيده الرجعية والاستعماريون في صدر شعبنا وتطعن به شرف شعبنا ، كما أننا كضباط وجنود في القوات المسلحة لا يمكن أن نقبل للجيش أن يتردى في هذا الفساد والفوضى وضعف التدريب والامكانيات حتى نصل الى درجة عدم المقدرة في أداء مهمتنا المقدسة في الحفاظ على استقلال بلادنا وحماية حدودنا والدود عن كرامة وطننا .

أنا نلخص أهدافنا في التالي ، وسنوالى مناقشتها متى سمحت الظروف معكم في هذه المجلة أو مشافهة والعمل على تنظيم الصفوف من أجل

١ - الاطاحة بالوضع الحاضر .

٢ - تقديم كل من اشترك فى الوضع الراهن أو استفاد منه أو اضر بقضية الشعب والجيش الى محكمة شعبية وعسكرية .

٣ - اعادة الحياة النيابية .

٤ - وضع دستور جديد يتمشى مع مقتضيات الظروف الاقتصادية والسياسية والجغرافية فى البلاد ويقوم على مبادئ كفالة الحريات العامة للمواطنين وتطهير القضاء واعادة النظر فى وضع القوانين التى فرضها علينا الاستعمار والنظام الرجعى الراهن وتطهير جهاز البوليس والخدمة المدنية من الفاسدين والمفسدين .

٥ - تكوين مجلس دفاع وطنى .

٦ - اعادة كل الضباط المفصولين والمسجونين للخدمة بنفس اقدميتهم) .

تمثلت نشر هذا المقال الذى نشر تحت عنوان (نحن وأهدا لنا) لأوضح فكرة الضباط المنتمين للحزب الشيوعى والمتعاطفين معه من أنهم لا يناضلون من أجل ديكتاتورية وإنما يناضلون باعتبارهم من الفصائل الشعبية لتحقيق الحرية والديموقراطية .

هذا الموقف الفكرى هام جدا فى أية حركة سياسية داخل الجيش ، حتى لا تتغلب لغة السلاح على لغة العقل ، ويسيطر الجيش على ارادة الشعب .

وفى مقال آخر نشرته (صوت القوات المسلحة) فى ٢٥ يوليو ١٩٦٣ (ان بلادنا لا تطلب بديلا غير الديمقراطية والحرية الكاملة وصيانة الاستقلال وهنا ما سيتحقق باننتصارنا مع الشعب فى الاطاحة بهذا الحكم الرجعى) .

وهكذا لم تتحطم القوى الوطنية داخل الجيش ولم تستطع الدكتاتورية تصفيتاها ، وأثبتت وجودها يوم ٢٦ أكتوبر عندما حاصرت قوات الضباط الأحرار القصر الجمهورى وأجبر عبود على حل مجلسه الأعلى ومجلس الوزراء .

والضباط الذين اعتقلوا يوم ٨ نوفمبر ١٩٦٤ وجهت اليهم تهمة أنهم فى الفترة بين ٢٢ ، ٣١ أكتوبر لم ينفذوا أوامر اطلاق الرصاص .

وكانت الأوامر قد صدرت فعلا باطلاق الرصاص ولكن الضباط الأحرار اتفقوا على عصيان هذه الأوامر ، كما اتفقوا أيضا على احباط

مؤامرة كبار الضباط الرجعيين الذين حاولوا فى مفاوضات يوم الخميس ٢٩ أكتوبر أن يفرضوا أحدهم وزيرا للدفاع تمهيدا للانتكاس بالثورة ، ولكن الضباط الأحرار حاصروا مبنى رئاسة القوات المسلحة وفرضوا ارادتهم واردة الشعب ، وتعين سر الختم خليفة رئيس الوزراء وزيرا للدفاع .

والواقع أن الضباط الأحرار لم يكونوا جميعا من أنصار العودة للثكنات نهائيا . . . البعض منهم كان من أنصار استبدال حكم ديكتاتورى عسكري رجعى بحكم عسكري جديده وطنى ، ومن هؤلاء جعفر نميرى ، ولكنه فى ذلك الوقت لم يكن وحده يمثل قوة قادرة على فرض رأيه فان تنظيم الضباط الأحرار كان يضم رفاقا شيوعيين ورفاقا وطنيين فى تكوين جبهوى مشدبه لتكوين الضباط الأحرار فى مصر .

وعندما اعتقل بعض الضباط الأحرار فى يوم ٨ نوفمبر المشهود ومنهم بكباشى جعفر نميرى ويوزباشى فاروق عثمان حمد الله ويوزباشى رشيد نور الدين ، والذي حررتهم فيه المظاهرات التى اجتاحت شوارع الخرطوم بدعوة فاروق أبو عيسى سكرتير الجبهة الوطنية للهيئات من الاذاعة صدر فى نفس اليوم منشور من الضباط الأحرار يصف فيه هذا العمل بأنه (خطوة فى سبيل تطهير الجيش من العناصر الوطنية التى شاركت فى ثورة الشعب) وبذلك تمهد الأرض للسيطرة الكاملة على الجيش بوساطة العناصر الرجعية .

وتضمن المنشور أيضا (أن الدوائر الرجعية تحاول أن تردد الاتهام للضباط الأحرار المذكورين بأنهم يعملون لحساب مصر ، وهذه محاولة رخيصة لستر الحقيقة ، تقصده من ورائها الرجعية أن تبرر موقفها فى تصفية الجيش من العناصر الوطنية وفرض سيطرة العناصر الرجعية عليه) .

والحقيقة أن أحدا من الضباط الأحرار السودانيين لم تكن تربطهم أية علاقة بمصر على عكس بعض الضباط الذين استند اليهم الحكم العسكري مثل البكباشى محمد عبد الحليم الذى رأس مكتب العمل فى مهادهم ثم عمل موظفا فى بنك مصر فرع الخرطوم بعد ذلك . . . ولكنهم كانوا يؤمنون بضرورة تعاون ثورات التحرر الوطنى وخاصة ثورة يوليو ويشقون فى جمال عبد الناصر باعتباره زعيما عربيا مخلصا .

الصلة الوخيدة كانت بين جمال عبد الناصر وقيادة الحزب الشيوعى .

وقد بدأ الضباط الأحرار يعبرون عن أفكارهم فى مجلة الأحرار التى صدرت بدلا من (صوت القوات المسلحة) والتى جاء فيها يوم ٤ يناير ١٩٦٥ :

(نحن ندرك اليوم كما يدرك العمال والمزارعون والمثقفون بأن طريق الرأسمالية الذى سرنا فيه بعد الاستقلال والذى أدى الى انقلاب ١٧ نوفمبر لترسيخه إنما هو طريق شقاء لا حدود له بالنسبة للشعب وهو لا يقود الى التقدم بل الى التخلف والتبعية التامة للاستعمار وللفقدان الاستقلال نفسه) .

(ونحن ندرك ذلك فنتلفت حولنا فنرى بلادا عانت من الاستعمار مثلنا بل أشد ولكنها شقت طريقها ونجحت فى حماية استقلالها لأنها رفضت الطريق الرأسمالى واتخذت الاشتراكية هدفا لها) .

هكذا أصبحت الاشتراكية هدفا للمواطنين فى القوات المسلحة السودانية فى طريق نضال سليم من أجل الحرية والديموقراطية والاشتراكية .

ولكن ما أن انتكست ثورة ٢١ أكتوبر سنة ١٩٦٤ وعادت الأحزاب التقليدية للحكم بعد ابعاد الجبهة الوطنية للهيئات حتى بدأ الضباط يراجعون موقفهم ويقدرونه تقديرا جديدا ، فقد ظهر اتجاه جديد أدى الى نقل عدد كبير من الضباط الذين كشفت ثورة أكتوبر اتجاهاتهم الوطنية الى الجنوب ووضعهم تحت رقابة شديدة .

وهنا احتج هؤلاء الضباط الوطنيون وتمردوا ضد الأوضاع المتخلفة للقوات المسلحة السودانية من ناحية التسليح والتدريب والاعاشة والمرتبات التى كان يتأخر صرفها أحيانا عدة شهور .

حدث فى مدينة كباله أن استشهد ١٧ صف عسكري أثناء محاولتهم الحصول على المياه وتعذر احضار الجرحى لعدم توافر الوقود وقرر الضباط الأحرار ضرورة مجابهة هذه الأوضاع المتخلفة التى أثارت مشاعر الجنود والضباط عموما ، واستطاعوا تجميع ٨٤ ضابطا من رتب مختلفة فى جوبا وقرروا التقدم بمطالب الجيش للقيادة العامة فى الخرطوم فى نوفمبر ١٩٦٥ ، وذلك بعد مرور القائله العام فى جولة بالجنوب فى أغسطس وعقد فيها بتخفيض مدة الخدمة الى سنة واحدة .

تلخصت المطالب فى الآتى :

- ١ - تحسين حالة ضباط الصف والجنود ورعاية أسر الشهداء .
- ٢ - تطهير القوات المسلحة واعادة تسليحها وتنظيمها .

وانتقل الى هناك وزير الدفاع والقائد العام وبعد مفاوضات أقسم خلالها القائد العام بأن ضررا لن يمس قادة هذه الحركة ، استندى الضباط الى الخرطوم حيث صدر قرار بفصلهم من الجيش وكان في مقدمتهم اليوزباشى الشهيد المناضل فاروق عثمان حمد الله وزير الداخلية فيما بعد الذى عين فى وظيفة مدنية ببلدية أم درمان .

وقد اثرت حادثة جوبا على تفكير الضباط الأحرار وأظهرت لهم أن موقف حكام ما بعد نكسة ثورة أكتوبر ١٩٦٤ لا يختلف كثيرا فى مضمونه عن موقف جنرالات عبود .

ويلاحظ أن الحكم المدنى قد بدأ فى هذه الفترة يهتم بزيادة القوات المسلحة لمقاومة الحركة المضادة فى الجنوب ويقول (هيرتس) فى كتابه (الأبعاد العسكرية لسياسة الشرق الأوسط) أن ميزانية الجيش زادت عام ١٩٦٥/١٩٦٦ بمبلغ ٢١ مليون جنيه أى بزيادة ٤٢ فى المائة عن أيام الانقلاب ، كما زاد عدد القوات الى حوالى ٢٥٠٠٠ جندي .

قال فاروق عثمان نراسل جريدة الموند بعد ثورة مايو (لو كنا قد نسقنا عملنا مع المنظمات الشعبية لما كانت ثورة أكتوبر قد فشلت وذلك لأن التحالف بين المدنيين والعسكريين التقدميين وهو وحده الذى يمكن أن يؤدى الى اصلاحات جديدة ودائمة ومقاومة حملات الرجعية) .

الضربة التى وجهت للضباط الأحرار دفعت بعضهم الى التركيز على أهمية دور القوات المسلحة قفزا فوق دور الشعب . وبدأ هذا التفكير ينمو فى نفوس بعضهم وخاصة جعفر نميرى والشهيد المناضل فاروق عثمان حمد الله الذى كان يتولى سكرتارية التنظيم ، ولكن الضباط المنتمين للحزب الشيوعى كان لهم موقف فكرى ثابت لا تؤثر فيه الأحداث المؤقتة ، وهو اعتبار الجيش فصيلة من فصائل الشعب تعمل بالتنسيق مع القيادة السياسية للجماهير .

ونتيجة لهذه الروح الجديدة التى لم تعد خالصة داخل القوات المسلحة ، والتى أصبحت تنذر بالخطر على حكم الأحزاب التقليدية ، بادر محمد أحمد محبوب رئيس الوزراء بالاتصال بالسفير الأمريكى راونترى للحصول على طائرات هليكوبتر وذلك فى بداية عام ١٩٦٦ ، وبعد أن وعده السفير عاد فترجع عن موقفه قائلا ان الجيش الأمريكى فى حاجة الى كل الطائرات .

ويعلق محبوب فى كتابه (الديمقراطية فى الميزان) ان ذلك كان لحرب فيتنام .

وعرض عليه السفير شراء نوع جديد من الطائرات على أساس تجارى خالص وهو تسديد الثمن خلال سبع سنوات بفائدة سنوية مقدارها ٧ في المائة ، وعندما وافقه محبوب تبين له أن الأمريكيين يقدمون الطائرات بلا تسليح وأن على السودانيين أن يبحثوا عن أسلحة للطائرات في مكان آخر مما دفعه الى صرف النظر عن ذلك .

وهكذا بقي الجيش السودانى فى تخلفه الملحوظ ولم ترفع هذه قبضة الاحتكار الا بعد طلب محبوب من اليكسى كوسيجين فى يوليو ١٩٦٧ بعد مقابلته مرتين فى هيئة الأمم المتحدة استيراد طائرات ودبابات .

وافق الاتحاد السوفيتى على الطلب وكان العرض - على حد تعبير محبوب - كريما جدا اذ بسدد الثمن على ١٢ سنة بفائدة قدرها ٢٥ فى المائة فقط .

ومضت عمليات التسليح السوفيتى للسودان فى طريقها كما مضت حركة الضباط داخل الجيش السودانى فى نشاطها ، كما سيرد تفصيلا فى الجزء الرابع من الكتاب (خريف عبد الناصر) .

الباب السادس

● الجزائر ٠٠ عربية

(عرقلت الحكومة الفرنسية كل
محاولة للأمم المتحدة تستهدف وضع
حد للمجازر الاستعمارية في الجزائر،
وراحت هذه الحكومة تتصور انها
قادرة بالمنافع على أن تغير ارادة الله
الذي جعل الجزائر قطعة من القارة
الأفريقية ، وجعل شعبها جزءا من
الأمة العربية)

جمال عبد الناصر
من خطاب امام هيئة الأمم المتحدة
٢٧ سبتمبر ١٩٦٠
قبل استقلال الجزائر

الفصل الأول

الجزائر قبل الاستقلال

(أنت تعرف أننا لسنا بالأغبياء
لنعرض أنفسنا لطمعات جيشك ،
وسنحاول انهالكه وتمزيقه وتدمير
قطعة قطعة)

الأمير عبد القادر الجزائري
في رسالة للمارشال الفرنسي عام
١٨٣٩

(اننا نريد أن نخضع الجزائر
عن طريق القاهرة)
وزير الخارجية الفرنسية في وزارة
جى مو ليه - عام ١٩٥٦

في تاريخ الجزائر الحديث ما يختلف عن تاريخ معظم الدول العربية
فالثورة وحروب المصائب والانتصار والمقاومة المسلحة للفرقة والمحتلين
نسجت في حياة شعب الجزائر .

وعلاقة مصر بالجزائر في عهد جمال عبد الناصر لم تكن مثل العلاقة
في عهد محمد علي الذي اتفق مع الفرنسيين أخلاصاً أصداقائه على غزو

الجزائر عام ١٨٢٩ ، ولكن الاتفاق لم ينفذ بسبب ضالة التعويض الذي عرضه الفرنسيون .

وقد تعرضت الجزائر لمؤامرات فرنسا قبل الغزو بوقت طويل اذ اعتبر نابليون الجزائر سوقا خارجية ضرورية لتطوير الصناعة الفرنسية ، وكان يضيفها دائما الى قائمة ممتلكاته المقبلة عندما تثار مسألة تجزئة الامبراطورية العثمانية .

ووجدت فرنسا العذر المنتظر فيما سمي (ضربة المروحة) وذلك عندما اهان القنصل الفرنسي (بيبير ديفال) الذي كان يعتبر حسب تعبير أحد المؤرخين الفرنسيين كما ورد في كتاب لوتسكي (تاريخ الاقطار العربية الحديث) - ذا سمعة مشهورة ونذلا وسافلا ومديرا للمكائد . اهان هذا القنصل (الداى) فى صبيحة يوم قافظ هو ٢٩ أبريل ١٨٢٧ اهانة شديدة ، فضربه الداى بمروحة كان يهوى بها ويطرده عن نفسه الذباب للجوج .

واعتبرت فرنسا (ضربة المروحة) مبررا كافيا لغزو الجزائر ، فأصدرت حكومة بوليفياك فى عهد الملك شارل العاشر وأمرها بنزول جيش فرنسى من ٣٧ ألف مقاتل يوم ١٤ يونيو ١٨٣٠ على شاطئ خليج سيدى فرج الواقع على بعد ٢٣ كيلومترا الى غرب الجزائر تحت قيادة الجنرال دى بورمون .

كانت المقاومة الجزائرية شديدة الا أنها عديمة الجدوى ، وفى ٤ يوليو ١٨٣٠ سقطت حصن الامبراطور ووقع (الداى) فى المساء على وثيقة الاستسلام دون قيد أو شرط .

وفى اليوم التالى ٥ يوليو دخل الفرنسيون مدينة الجزائر ، وفى ٢٣ يوليو ١٨٣٠ أقصى (الداى) عن البلاد وغادر الانكشافية الذين فقدوا ١٠.٠٠٠ جندي فى مقاومة الغزو أمام ٤٠٠ فرنسى فقط غادروا الجزائر الى تركيا وبدأ الفرنسيون عملية نهب للأرض والخزائن والممتلكات .

وأعلن لويس فيليب الذى خلف شارل العاشر بعد انهيار عرشه ضم الجزائر الى فرنسا عام ١٨٣٤ رغم أنه لم يكن فى حيازة فرنسا الا المدن الساحلية .

ورغم أن القائد الفرنسى دى بورمون كان قد أعلن بأنه (مستخضع لينا المملكة خلال ١٥ يوما وبدون طلقة واجدة) الا أنه أخطأ الحساب تماما ، فقلده اضطر للهرب الى البرتغال بعد مقاومة جنوده لمحاولته

انقاذ أسرة البوربون في فرنسا . . . ولم تخضع الجزائر للحكم الفرنسي الا بعد ٤٠ عاما شنت فيها فرنسا حربا دموية متصلة ضد الشعب الجزائري ، وقاد نضال الشعب البطل عبد القادر الذي ولد عام ١٨٠٨ وحج الى مكة وزار مصر وتأثر باصلاحات محمد علي قبل الغزو الفرنسي . واستخدم عبد القادر تكتيك حرب الانصار والارض المحروقة ، الأمر الذي كبد القوات الفرنسية خسائر كبيرة ، ودفعتها الى عقد معاهدة (دى ميشيل) في فبراير ١٨٣٤ ، اعترفت فيها بأن كل غرب الجزائر عدا ثلاث مبن ساحلية هي ارض تابعة للدولة العربية الجديدة برئاسة عبد القادر الذي لقب بأمير المؤمنين .

كان الأمير عبد القادر مثالا للقائد العربي البسيط الذي يعيش حياة متواضعة ، ويشارك شعبه آلامه ونضاله ، واستطاع أن يحشد من رجال القبائل المتطوعين ٧٠.٠٠٠ ، وكون جيشا نظاميا من ١٠.٠٠٠ جندي . واستخدم الأساليب الحديثة الى جانب الأساليب التقليدية في قيادة دولته ، وقام عسب الإقطاع ، وقسم البلاد الى ٩ مناطق .

ولم يقبل الشيوخ الاقطاعيون في الشرق التعاون مع الأمير عبد القادر أمير المؤمنين حتى لا تلحقهم اصلاحاته ، وفضلوا مقاومة الفرنسيين تحت قيادة (الباي أحمد) .

ونقض الفرنسيون معاهدة دى ميشيل في عام ١٨٣٥ بعد عام واحد وخاضوا حربا عنيفة ضد الشعب الجزائري انتهت بفشل الفرنسيين وعقد معاهدة ثانية عام ١٨٣٧ اعترفوا فيها بسلطة الأمير عبد القادر في غرب الجزائر وفي وسطها أيضا .

أما في الشرق فقد هاجمت القوات الفرنسية مدينة قسنطينة المنيعه واستطاعوا احتلالها بعد مقاومة شعبية عنيفة في الشوارع والدور ، ولجأ (الباي أحمد) الى الجبال النائية للمقاومة ، ولجأت قبائل شرق الجزائر الى الأمير عبد القادر تعترف به قائدا لها في حربها الشعبية .

وانتهز الفرنسيون هذا الموقف لخرق معاهدة الصلح وأشعلوا حربا جديدة في عام ١٨٣٩ حشدوا لها جيشا من ٧٠.٠٠٠ جندي زادوا الى ٩٠.٠٠٠ عام ١٨٤٤ مسلحين بأسلحة حديثة ، ومع ذلك استطاع جيش الأمير عبد القادر الذي أعلن الجهاد المقدس مقاومة المعتدين بمعنويات الجزائريين المرتفعة ، وقدرته القيادية الهائلة في حرب العصابات والانصار .

ويقول لوتينسكي في كتابه (تاريخ الاقطار العربية الحديث) ان الأمير عبد القادر أرسل الى المارشال الفرنسي يقول (عندما يهجم جيشك

نتراجع ، وعندها يضطر جيشك للتراجع ، وسنعيد الكرة ونقاتل عندما نرى لزوم ذلك ، وأنت تعرف أننا لسنا جبناء ، إلا أننا لسنا بالأغبياء لعرض أنفسنا لطعنات جيشك ، وسنحاول الهلكه وتمزيقه وتدمير قطعة فقطعة ، وعلى الطقس أن يقوم بالباقي) .

مبادئ عسكرية صحيحة وضعها الأمير عبد القادر لتكتيكات حربه الشعبية التي امتدت سنوات طويلة .

وغير الفرنسيون أسلوبهم استمالوا مشايخ الاقطاع بتوليتهم مناصب في أشد مناطق البلاد تأخرا ، وغيروا تكتيكهم العسكري الى ما نعرف باسم (الطواير المتحركة) التي انتهجت أسلوبا أقرب الى (الحرب الأنصار) منه الى الحرب النظامية ، واستطاعت أن تستولى على عدد من الحصون والمدن التي كان يستند اليها الأمير عبد القادر ويقيم مصانعه الحربية فيها .

واستخدم الفرنسيون أبشع الوسائل الوحشية لآبادة القبائل الموالية للأمير عبد القادر ، ويقول لوتسكي في كتابه أيضا أن أحد المعاصرين قد كتب (أن قطع رأس الأسير علانية لتلقين العرب درسا لاحترام السلطة كان أمرا هينا لدى الفرنسيين) .

وتمكن الفرنسيون بعد أربع سنوات من النضال المرير من اخضاع الأراضي الموالية للأمير عبد القادر الى سلطتهم ولجأوا مع جماعة من زملائه المخلصين الى مراكش التي كانت تساعدهم خلال حربهم مساعدة فعالة .

رفض سلطان مراكش مولاي عبد الرحمن الذاير الجنرال ييجو الفرنسي بتسليم الأمير عبد القادر ، فما كان من الجنرال الفرنسي الا أن هاجم مراكش في ١٤ أغسطس ١٨٤٤ ودحر جيش السلطان وضرب طنجة والصويرة بقنايل الاسطول .

وهدد الانجليز بالتدخل مما أنقذ مولاي عبد الرحمن الذي عقد مفاوضات صلح في طنجة يوم ١٠ سبتمبر ١٨٤٤ اعتبر فيها الأمير عبد القادر خارجا على القانون .

ولم يصب الياس الأمير عبد القادر ، بل اتجه الى بلاده الجزائر يقاوم في ظروف قاسية وصعبة ، ساعدة فيها قيام انتفاضة شعبية ضد استيلاء الفرنسيين على الأرض وتحويلهم الفلاحين أصحاب الأرض الى أقبان في الاقطاعيات الفرنسية الجديدة ، وكذلك مصادرتهم لأراضي الأوقاف الموقوفة على الأعمال الخيرية .

قاد الانتفاضة الراعى أبو معزى الذى استغاث بالأمير عبد القادر وسلمه قيادة النضال الشعبى الذى عم غرب الجزائر ، وأسرع الفرنسيون بتعزيز قواتهم حتى بلغت ١٠٨٠٠٠ جندي قاموا بأبشع أعمال العنف والابادة الجماعية للسكان شيوخا ونساء وأطفالا .

واستمرت مقاومة الأمير عبد القادر حتى عام ١٨٤٧ حيث سقط فى أيدي الفرنسيين أثناء مقاومتهم فى الواحات الصحراوية ، وذلك نتيجة لخيانة مدبرة مع سلطان مراكش .

وبعد خمس سنوات سمحت السلطات الفرنسية للأمير عبد القادر بالذهاب الى المشرق العربى حيث استوطن دمشق وعاش بها حتى فارق الحياة بطلا مرموقا له تاريخ نضالى نابض بالبطولة والشجاعة والعروبة . ورغم أسر الأمير عبد القادر فقد ظلت روح المقاومة الشعبية تنبض فى الجزائر خلال الخمسينيات فى واحات الصحراء ومناطق القبائل حتى عام ١٨٥٧ .

ويقول لوتسكى فى كتابه « ان الحرب الجزائرية كانت مدرسة لبلادى الطبقة العاملة الفرنسية (خلال كميونة باريس عام ١٨٧٠) حيث برز كافينيك وسانت أرنو ومكماهون ، وطبقوا فيما بعد على البروليتاريا الثورية فى باريس الأساليب التنكيلية الدموية نفسها التى كانوا قد استخدموها فى الجزائر ضد العرب المحبين للحرية ، وظلت القوات الفرنسية تفرض قوانينها الجائرة على القبائل وتستولى على الأرض التى يمتلكها مئات الألوف من الفلاحين لصالح الشركات والرأسمالية الفرنسية ، وتواجه مع كل اجراء انتفاضات شعبية أخسرها عام ١٨٧١ التى قادها الشيخ محمد المقراني .

أربعون عاما متصلة من النضال الشعبى المسلح قبل أن يتمكن الغزاة الفرنسيون من فرض سيطرتهم على أرض الجزائر .

وبقى هذا التراث الشعبى الأصيل يتوارثه الأبناء جيلا بعد جيل بشكل أساطير شعبية خالدة ، تبعث فى دماء الجماهير روح المقاومة ضد الاحتلال والاستعباد وكل أنواع الاستعمار .

العروبة والاسلام :

طوال هذه الحروب التى استخدم فيها الفرنسيون كل الوسائل الوحشية القذرة التى اعترف بها الجنود الفرنسيون أنفسهم ٠٠٠ فقد قال الجنرال بيجو عندما تعرض لهجوم بعض الصحف الفرنسية (لقد حرقنا كثيرا وخربنا كثيرا ، ولكن مادامت مقنعا بأننى فعلت شيئا لبلادى فأننى أعتبر نفسى فوق تلامة الصحافة) .

ووصف المؤرخ الفرنسي بوديكور حالة الجنود بعد الحملة الفرنسية ضد بلاد القبائل بقوله (ان جنودنا كانوا خجلين من أنفسهم عند عودتهم من الحملة) .

ولم يكن سهلا لمثل هذا الشعب أن يموت نضاله بارادته ...
ولم يجد الفرنسيون سبيلا الا بمحاولة خلع جلوده من أرضه .

قال الأب شارلس زكولد (مالم ننجح فى تحويل هؤلاء الغاس الى فرنسيين فسيطر دوننا خارج هذه البلاد ، والطريق الوحيد لجعلهم فرنسيين هو اعتناقهم المسيحية) .

أصبحت محاولة القضاء على الاسلام هدفا شرعيا للفرنسيين ...
حولوا المساجد الى كنائس ، وأشرفوا على تعيين الأئمة والمؤذنين ، وباشروا بأنفسهم ادارة الشؤون الدينية .

وأصدر نابليون الثالث قراره المعروف باسم (سان توركونسيل)
الذى نص على أن الجزائريين رعايا فرنسيون ولكنهم يخضعون لأحكام الشريعة الاسلامية فاذا طلب أحدهم الجنسية الفرنسية فانه يحصل عليها بشرط خضوعه للقانون الفرنسى أى تخليه عن دينه الاسلامى .

والاسلام يقترب أساسا باللغة العربية ، وبدأت الخطة الاستعمارية لاحتلال الفرنسية محل العربية والمكاتبات الرسمية فى الحكومة والبنوك والشركات .

ويقول حسين عبد الرازق فى كتابه (الجزائر ... أزمة الطريق الثالث) ان الفرنسيين لم يبدلوا جهدا فى تعليم الجزائريين حتى بالفرنسية (وكانت النتيجة أن الجزائر فقدت لغتها أو كادت ولم تكتسب لغة جديدة فتصل الى عام ١٩٤٨) بعد ١١٨ سنة من الاستعمار الفرنسى (فتجد أن عدد الجزائريين الذين يستطيعون التكلم بالفرنسية قليلا ١٥ فى المائة بين الرجال ، ٦ فى المائة بين النساء ، أما القادرون على الكتابة بالفرنسية فنسبتهم ٦ فى المائة من الرجال ، ٢ فى المائة من النساء) .

إذا صحت هذه الأرقام فان هذا يعنى أن مؤامرة استعمارية محكمة قد فرضت على شعب الجزائر لابقائه فى حالة من التخلف الذى يعزله عن روح العصر ، بعد محاولة سلبه من رباطه المقدس بدينه ولغته بعد اغتصاب أرضه .

ولا شك أن راية الاسلام التى رفعها الأمير عبد القادر فوق الانتفاضات كانت هى الباعث الاصيل على دحر الفرنسيين واصرارهم على اضعاف العامل الدينى .

ويلاحظ في الدول العربية الاسلامية التي خضعت للحكم الفرنسي في شمال أفريقيا أن مؤامرة عزلها عن جذورها الدينية والقومية كانت تقاوم بالارتداد الى الدين والتمسك بتقاليده ، والتشبث بالرداء الوطني حتى أصبح الرداء في ذاته يعتبر نوعا من أنواع الاصرار على مقاومة الغزاة الفرنسيين ، واعلانا عن استمرار الصلابة القومية .

وظل الاسلام بكل تقاليده يلعب دورا رئيسيا في حشد الشعب الجزائري طوال سنوات الاحتلال المظلمة ، ولذا كان ضروريا أن يقف أحمد بن بيللا بعد الثورة معلنا (أن الاسلام لا يتناقض مع الاشتراكية العلمية ، فهو جزء من الواقع الجزائري الذي لا يمكن للاشتراكية في الجزائر أن تتجاهله ، فنحن في حاجة لبناء الاشتراكية الثورية متلائمة مع التقاليد العربية والاسلامية) .

نشوء الثورة :

كانت هذه هي كلمات أحد قادة الثورة الحديثة لشعب الجزائر الذين واصلوا نضال (أمير المؤمنين) الأمير عبد القادر الجزائري ، بعد هائة عام تقريبا من استقراره في دمشق .

ولم تكن هذه السنوات الطويلة خالية من الانتفاضات المسلحة المحدودة . . . ولم تكن خالية من روح المقاومة .

رفض أغلب الجزائريين اغراء التجنس بالجنسية الفرنسية والتخلي عن اللغة والدين ، رغم الميزات التي يحصل عليها الجزائري بهذا الانتقال .

وفشلت سياسة الاندماج أمام تشبث الجزائريين بدينهم وتقاليدهم وقانون الأحوال الشخصية الخاص بهم .

وحاول بعض الجزائريين كسر قيود الاحتلال الفرنسي عن طريق الارتباط بالحزب الشيوعي الفرنسي الذي يناضل ضد الامبريالية بكافة أشكالها ، ونشأت أول حركة جزائرية وطنية في التاريخ الحديث في باريس تحت اسم (نجمة شمال أفريقيا) وكان مؤسسها الحاج عبد القادر الذي وصل الى عضوية اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي ثم خلفه مصالي الحاج الذي انضم أيضا للحزب الشيوعي وحضر اجتماعات الدولية الثالثة في موسكو عام ١٩٣٠ ، وأصدر جريدة (الأمة) ثم انفصل بعد ذلك عن الحزب الشيوعي الذي لقد تصرفاته وآراءه نقدا شديدا .

وظلت مع ذلك رابطة وثيقة بين الحزب الشيوعي الفرنسي وبين عدد من الجزائريين الذين انضموا اليه وناضلوا في صفوفه .

ثورة يوليو ١٩٣٠ - ١٩٣١

وبعد الحرب العالمية الثانية وما بعثته في العالم من روح تحررية للمستعمرات في حضانة هيئة الأمم المتحدة ، وما نشب في بعض دول منطقة التحرر الوطني من ثورات وطنية ، أخذ الشعب الجزائري يتأمل حياته وواقعه ، وتدرس العناصر الثورية ظروف الوطن العربي والاتجاهات العالمية ، وتحاول الارتباط والاستناد الى القوى الوطنية في البلاد العربية الأخرى .

وافتح في القاهرة عام ١٩٥٠ خلال حكم الوفد (مكتب المغرب العربي) يضم ممثلين لعدد من الأحزاب الوطنية في المغرب العربي . . . حزب الحر الدستوري في تونس ويمثله الحبيب بورقيبة ، وحزب الاستقلال المغربي ويمثله علال الفاسي ، وحركة انتصار الحريات الديمقراطية التي يقودها مصالي الحاج .

وعندما انتصرت ثورة يوليو ١٩٥٢ دعمت نضال هذه القوى السياسية .

ونشرت الصحف يوم ١٦ أغسطس ١٩٥٣ أن علال الفاسي قد استنجد بمحمد نجيب لوقف مؤامرة فرنسا التي دبرتها لخلق السلطان محمد الخامس من المغرب ، في نفس اليوم الذي تأمرت فيه القوات الأمريكية في إيران لاعتقال مصدق وأنصاره وقلب حكومته بوساطة الجنرال زاهدی الذي أعاد حسين فاطمي وزير الخارجية .

وبادر محمد نجيب الى اعلان تأييد مصر للسلطان محمد الخامس ، وتأييده أيضا لحكومة مصدق المشهية معاديا بذلك الانقلاب العسكري الرجعي لزاهدی .

موقف ثورة يوليو منذ اليوم الأول كان واضحاً تماماً في مساندة حركات التحرر الوطني . . . ولذا هرع اليها زعماء النضال العربيين يستظلون بحمايتها ، ويأخذون القوة من تشجيعها المادي والأدبي .

وخلال هذه الفترة عام ١٩٥٤ وفد الى مصر مجموعة من الثوريين الجزائريين ، كان من بينهم أحمد بن بيللا الشاويش السابق في الجيش الفرنسي الذي حارب في صفوفه خلال الحرب العالمية الثانية وحصل على أوسمة تشجيعه .

وصل بن بيللا الى القاهرة في البداية مندوباً لمصالي الحاج ، والتقى ببعض ضباط الخبايا المصريين الذين كانوا يتولون مسئولية الاتصالات السياسية العربية ومنهم فتحى الديب وعزت ساليما .

وكانت القوى الجزائرية في ذلك الوقت تجتجح الى النضال السياسي من أجل اقرار حقوق الشعب ٠٠٠ ولكن هذا الاتجاه الاصلاحي الوديع لم يرض المستعمرين الفرنسيين ٠٠٠ وما حدث في مايو ١٩٥٤ وضج هذا نهائيا لتفكير المقتنعين بأن العمل السياسي وحده يمكن أن يحرر الجزائر ، وحول الاتجاه الى تقاليد الشعب الجزائري العريقة وهي المقاومة المسلحة وحرب الأنصار .

كان الجزائريون في ذلك اليوم من أيام مايو ١٩٥٤ يتظاهرون تأييدا لذكرى انتصار الحلفاء على النازي بمناسبة مرور عشر سنوات على انتهاء الحرب العالمية الثانية ، ولكنهم كانوا يرفعون علم الجزائر وهو من المحرمات ٠٠٠ وبدأ الصدام بين القوات الفرنسية والضلع الاعزل بصورة شاملة امتدت الى المشرق وخاصة المنطقة المحاصرة بين بوجي وجاية وستيف وبيت مخابية وسوق الأهراس حيث قتل ٤٥٠٠٠ قتيلا وحرق آلاف الدور ، وذلك بناء على اعتراف الحكومة الفرنسية .

كانت هذه المذبحة التي عرفت باسم (مذبحة ستيف) عودة الى أساليب القرن التاسع عشر البربرية وجنوحا الى العنف الشديد في مقاومة الحركة الوطنية الجزائرية ، ونهاية لأفكار الاصلاحيين الذين هالتهم قوة الاستعمار الفرنسي وسطوته فأثروا المعارضة تحت جناحيه بأسلوب قاذوخي لا يثير ولا يستفز .

ولكن الثوريين اتخذوا منهجا جديدا كانت بوادره قد ظهرت في فصيح وحداث للمقاومة في الجبل منذ عام ١٩٤٧ ، تحت زعامة كريم بلقاسم ، ولكنها لم تكن ذات تأثير واضح عند الشعب الجزائري ، كما أنها لم تكن قد وصلت بعد الى حد تشكيل خطر جدي على الوجود الاستعماري الفرنسي .

ولكن براعم المقاومة التي يزغت عام ١٩٤٧ ، برعان ما التفت بعين (مذبحة ستيف) بارادة شعبية جماعية تستهدف تحرير الأرض عن طريق النضال المسلح .

وكان أحمد بن بيللا قد وصل الى القاهرة في أغسطس ١٩٥٣ . بعد الحكم عليه في حادث يربد وهران .

وتم الاتفاق خلال هذه الفترة بين أحمد بن بيللا وجمال عبد الناصر الذي كان يفتح أبوابه للقاء الثوريين العرب ، على مساندة الحركة الثورية في الجزائر بلا حدود أو شروط .

وكانت قد شكلت في الجزائر (اللجنة الثورية للوحدة والعمل) من تسعة هم (أحمد بن بيللا ، حسين آية أحمد ، العربي بن مهيدي .

محمد بوضياف ، مصطفى بن بولعيد ، رابح بيطاط ، ديدوش مراد ، محمد خضير ، كريم بلقاسم) .

وقد أعلن صوت العرب ساعة الصفر في أول نوفمبر ١٩٥٤ ، بإذاعة بيان جبهة التحرير الجزائرية المصاحب لتفجير ٢٤ قنبلة في أماكن مختلفة . . . ويقول أحمد سعيد أن جهاز إذاعته الناشء كان تابعاً لإدارة المخابرات العامة وأنه كان يتلقى التوجيهات بالنسبة لمعركة الجزائر من عزت سليمان ، وفتحى الديب ، وأنه عقد صلات مع كثير من المناضلين الجزائريين .

ويقول أيضاً أن جمال عبد الناصر كان يتابع الإذاعة شخصياً ويعطى بعض التوجيهات والتعليمات .

وصوت العرب بدأ إرساله في البداية عام ١٩٥٣ ، لمدة إرسال ساعة و ٤٥ دقيقة ، زادت في العام الأول بعد مناقشة دعا إليها صلاح سالم وزير الإرشاد عقب عودته من رحلة في السودان كلا من حسين ذو الفقار صبرى وعبد الفتاح حسن المسئولين عن السودان ، وأحمد سعيد زادت إلى ثماني ساعات في اليوم خلال السنة الأولى ، ثم تضاعفت إلى ٢٢ ساعة في اليوم في عهد صلاح سالم واستمرت كذلك حتى الآن .

وقد انشئت في نوفمبر ١٩٥٥ إذاعة سرية خاصة للجزائر طلبت تدعيم حتى انتصار الثورة ، ويقول أحمد سعيد أنها الموجة التي انتقلت إليها موجة الإذاعة المصرية خلال عنوان ١٩٥٦ ، بعد ضرب محطة الإرسال في أبي زعبل .

الثورة :

ما كادت القنابل الأولى للثورة تنفجر في أول نوفمبر مع بيان جبهة التحرير حتى وجدت أرضاً خصبة وشعباً متعطشاً للقتال والتضحية . ووجدت الأحزاب والقوى السياسية الجزائرية التي تبنت الاتجاه الإصلاحى أنه لم يعد أمامها من سبيل إلا الارتباط بالعمل الثورى حتى لا تنعزل وتتخلف عن إرادة الشعب .

وأعلن فرحات عباس عام ١٩٥٥ ، انضمام حزبه (حزب البيان العربى) إلى جبهة التحرير ، وانضم أيضاً المترددون من حزب مصالى الحاج (حركة انتصار الحريات الديمقراطية) وهم الذين عارضوا (اللجنة الثورية للوحدة والعمل) في البداية . . . وأخيراً جمعية العلماء التي حافظت على تراث الشعب الجزائرى وتقاليده ، والتي أعلن زعيمها (بن باديس) عام ١٩٣٩ ، عندما قويت دعوة الارتباط بين الجزائريين

وفرنسا ومشاركة الجزائر فى الحياة السياسية والثقافية الفرنسية قوله (الشعب الجزائرى ليس هو فرنسا ، ولا يرغب فى أن يكون فرنسا ، وحتى لو أراد لما استطاع لأنه شعب بعيد جدا عن فرنسا بلغته وعاداته وأصله ودينه) .

ثم حاول الجنرال سوستيل الذى عين حاكما للجزائر عام ١٩٥٥ . الاعتماد على بعض عناصرها لتكوين قوة ثالثة ، ولكن رفض بعض زعمائهم واغتيال الذين قاموا بالاتصالات بين عناصر من الجبهة أوقف محاوله سوستيل وحشد كافة القوى فى جبهة التحرير .

لم يكن ممكنا لهذه الأحزاب أن تقف فى اتجاه مضاد للتيار الثورى الذى وجد صدى عالميا وعربيا ولم يكن سهلا عليهم الحصول على أنصار بين شعب الجزائر فى الوقت الذى كانت تسيل فيه الدماء يوما بعد يوم .

وكانت قرارات مؤتمر الصمام الذى انعقد فى ١٨ أغسطس ١٩٥٦ .
هى الأساس الذى قامت عليه أفكار الثورة .

وبدأت ثورة يوليو تودى دورها التاريخى فى مساندة ثورة الجزائر ، وحرص جمال عبد الناصر على توفير كافة الامكانيات المتاحة للمقاتلين فوق أرض الجزائر .

وكانت الأسلحة تتدفق من مصر الى ثورة الجزائر قبل اعلانها والى الجيش المغربى أيضا بعد عزل السلطان محمد الخامس .

يقول عزت سليمان ضابط المخابرات المسئول عن مساعدة ثورة الجزائر فى ذلك الوقت وسفير مصر فى إيران حاليا ، إن الأسلحة كانت تأخذ طريقين : البر خلال ليبيا بسماع من الملك السنوسى المولود فى تلمسان ، والذي كانت تشجعه الحكومة البريطانية على ذلك لأنه كان من مصلحتها اخراج فرنسا واضعاف نفوذها بعد تصفية معظم المستعمرات البريطانية . . .

وطريق البحر .

ويروى عزت سليمان موقفا تعرضت فيه القوات البحرية المصرية لكشف أمرها عندما أرسلت شحنة على اللنش (فخر البحار) ، وحدث خلاف فى موعد ونظام لقاء ثوار الجزائر مع اللنش ، وخاصة بعد غرق لنشين صغيرين وهما محملان بالأسلحة قبل أول نوفمبر ١٩٥٤ .

واضطرب عزت سليمان الى التوجه لميناء برشلونة الاسباني ، حيث وجد (المفاجأة الشديدة) استقبالا رسميا من البحرية الاسبانية ، بعد

أن أبلغهم الملحق العسكري في ذلك الوقت البكباشي عبد المنعم النجار
سفير مصر بالعراق حاليا بأن قطعة بحرية مصرية تتجول في البحر الأبيض
وتزور أسبانيا ضمن جولتها .

امداد مصر لثورة الجزائر بالأسلحة لم يتوقف ، ودعمها ماديًا وإعلاميًا
لم يتوقف أيضًا .

وعندما زار كريستيان بينو وزير خارجية فرنسا مصر في مطلع عام
١٩٥٦ ، طلب من جمال عبد الناصر التوسط لإيجاد حل سلمي ، كما
أعلن جمال عبد الناصر ذلك أمام هيئة الأمم المتحدة في الدورة
الخامسة عشرة يوم ٢٧ سبتمبر ١٩٦٠ .

ويقول جمال عبد الناصر : « كان ردي أنني على استعداد للتوسط
صيانة للحقوق وصيانة للدماء ، وأنه ليس أحب إلينا من عقد سلم شريف
يصون لكل صاحب حق حقه . وأبدت الحكومة الفرنسية في ذلك الوقت
رغبتها في إرسال وفد إلى القاهرة ليتولى المفاوضات مع زعماء المقاومة في
الجزائر ، ولقد أرسلت فعلاً إلى هؤلاء الزعماء أدعواهم إلى القاهرة ليلتقوا
بالوفد الفرنسي حين يجيء لحل المحاولة قد تسفر عن باقٍ رجاء . ومن
المؤسف أن الوفد الفرنسي وصل إلى القاهرة والتقى بالوفد الجزائري ،
ثم سافر هذا إلى فرنسا لأجراء مشاورات مع حكومته . وظل الوفد
الجزائري في انتظاره في القاهرة ، ولكن الوفد الفرنسي لم يعد حتى هذه
اللحظة إلى القاهرة ، بل كان ما هو أكثر مدعاة للأسف ، فظلت فرنسا
تتحين الفرص لهؤلاء الزعماء حتى استطاعت أن ترغم طائرة مدنية كانوا
بين وكابها فوق البحر على النزول في أحد المطارات الخاضعة لسيطرتها
ثم ألقت القبض على هؤلاء الزعماء » .

تمت عملية الفرصة الجوية التي أشار إليها جمال عبد الناصر يوم
٢٣ أكتوبر ١٩٥٦ ، أثناء سفر الزعماء الخمسة أحمد بن بيللا ومحمد
خضير وحسين آية أحمد ورابع بيطاط ومحمد بوضياف من المغرب في
طائرة فرنسية ، حيث وضعوا بعد ذلك في ثاؤو دونوى في جزر الأنتيل .

ويقول أنتوني ناتنج في كتابه (ناصر) أن جمال عبد الناصر طلب
من كريستيان بينو وزير خارجية فرنسا وقف تسليح إسرائيل . وكانت
هذه أكثر الدول امداداً لها بالسلاح في ذلك الوقت ، كما أنها كانت تفتح
معسكرات تدريب لقوات الهاجاناه . فظير أن يوقف هجومه على الاستعمار
الفرنسي ولكن بينو طلب وقف مساعدة الجزائريين ورفض
ناصر في خضم

ويقول ناتنج أن بينو وجد في عبد الناصر قائدا وطنيا وليس نظيرا
للهتلر كما حاول جى موليه زعيم الحزب الاشتراكي أن يصوره للناس
خلال البعثة الفرنسية المضادة التي حاولت تصوير عبد الناصر بأنه
المسئول عن ثورة الجزائر .

وجاك سوستيل الحاكم العسكري الفرنسي للجزائر عام ١٩٥٥
صرح بأن (مصر هي رأس الأخطبوط الذي كانت خطايفه تخفق لمدة شهور
شمال أفريقيا الفرنسي) .

ولم يتردد جمال عبد الناصر في اجابة كيتيت لف في حديث صحفى
بأنه أرسل أسلحة للثورة الجزائرية .

ارتبط مصير ثورة يوليو بثورة الجزائر ، ووطدت الحكومة الفرنسية
بين معاناتها فوق أرض الجزائر وبين التأييد الواضح الحاسم لمصر .

وقبضت السلطات الفرنسية عام ١٩٥٦ على السفينة (أتوس) وفيها
شحنة من السلاح المصري فصادرت السفينة وحكمت طاقمها ٥٠٠ وأعلن
ذلك جمال عبد الناصر في يوليو ١٩٦٢ أمام أعضاء المؤتمر الوطني للقوى
الشعبية المتعقد بشأن الجزائر .

وكان اعلان جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس في ٢٦ يوليو
١٩٥٦ مثيرا لحقد الحكومة الفرنسية التي شاركت في تدبير العدوان
الثلاثي على مصر كما ورد تفصيلا في الباب الأول من الجزء الثاني (مجتمع
جمال عبد الناصر) ، بعد أيام قليلة من عملية القرصنة الجوية التي عزلت
زعماء الثورة عن جماهيرها .

أعلن وزير الحربية في وزارة جى موليه (اننا نريد أن نخضع
الجزائر عن طريق القاهرة) ٥٠٠ وفرقة المظلات الفرنسية التي نزلت في
بورفؤاد كان يقودها الجنرال ماسو قائد معسكرات الاعتقال الرهيبة في
الجزائر وقائد المظليين الفرنسيين في الجزائر .

.. كانت المعركة في جوهها واحدة :

في كواليس الثورة :

ولا شك أن اعتقال زعماء الثورة الجزائرية قد أدى الى بروز المنازعات
الشخصية بين القيادات الأخرى ٥٠٠ فكانت الولايات المتباعدة تحاول
الأفراد بالسلطة وعدم الرضوخ في سهولة لقيادات أعلى .

كما أن اعلان حكومة الجزائر الحرة المؤقتة التي أعلنت من القاهرة
في ١٩ سبتمبر عام ١٩٥٨ والتي قال جمال عبد الناصر عنها في حديث له

مع الصحفي كارانجيا في ٢٩ سبتمبر ١٩٥٨ أن اعلانها في القاهرة.
(هو الدليل الواضح على تأييدنا الكامل لها ٠٠٠ واننا نثق في أن اعلانها
سيكون عاملا يبعث المزيد من القوة والشجاعة في قلوب اخواننا الجزائريين.
الشجعان الذين يحاربون نصف مليون جندي مسلحين بأسلحة
حلف الأطلنطي) .

تشكلت هذه الحكومة برئاسة فرحات عباس رئيس حزب البيان
العربي السابق وكان لها نائبا رئيس هما كريم بلقاسم الذي كان وزيرا
للدفاع أيضا وأحمد بن بيللا ، ووزراء الدولة حسين آية أحمد ورايح
بيطاط ومحمد بوضياف ومحمد خيضر .

واقترنت مسؤولية هذه الحكومة عند بدء تشكيلها على جمع
الاعانات والمؤن والتزويد بالسلاح ، ولم تبدأ عملها كقيادة مقنعة واسعة
للمقاتلين .

وصحب تكوين الحكومة خلق شائعات وانحرافات أدت الى
جساسيات بين المقاتلين في الداخل وبين مناضلي الخارج . ونبت تناقض
آخر بين الحكومة المؤقتة وجيش التحرير في كل من تونس والمغرب .

كما ظهرت تناقضات ثانوية وجانبية اقليمية وعشائرية وشخصية ،
أدت الى ارتكاب جرائم مأساوية ، ليس هذا الكتاب هو مجال الاقاضة
فيها ، وانما نذكر بعضها تدليلا على وجود صراعات رهيبة في حدود
النضال المشترك .

وكانت هذه التناقضات تنتهي غالبا الى الاغتيال والتصفية البدنية.
٠٠٠ وسيادة لغة السلاح على لغة السياسة .

أعلن بعد الاستقلال تغيير في أسماء خمسة من أسماء الشوارع
الرئيسية في الجزائر لتحمل أسماء أبطال الثورة الشهداء بدلا من
الأسماء الفرنسية .

وحملت الشوارع أسماء بن مهدي ، والكولونيل عمروش ،
وبن بولاد وديدوش مراد وعبات رمضان . ولكن الحقائق التي يعرفها
الجميع تشير الى أن الاثنين الأولين فقط هما اللذان قُتلا في معارك
التحرير ، وأن الآخرين قد قتلوا بأيدي رفاقهم في النضال .

ولشب صراع بالسلاح بين أعضاء جبهة التحرير وبين أعضاء
(الحركة الوطنية الجزائرية) الاسم الجديد لحزب مصالي الحاج (السابق
(حركة انتصار الحريات الديمقراطية) بلغ من الوحشية والعنف
درجة مذهلة .

وفي ظل هذا الجو استطاعت حكومة فرنسا كما يقول (أرسلان هبراكى) فى كتابه (ثورة فشلت) أنه أمكن تجنيد ٢٠٠.٠٠٠ جزائرى يعملون لحساب مخابراتها وتنفيذ مخططاتها .

قال لى عزت سليمان أن تفاصيل حركات الخيانة والاغتيال والتصفية البدنية ، يمكن أن تملأ مجلدات ٠٠٠ ثامنا كما تستطيع قصص البطولة والتضحية والفداء لبسطاء الناس أن تملأ مجلدات أخرى .

هذه حقائق يعرفها المناضلون الجزائريون ، ولكنها أبدا لم تقف عائقا دون نمو المد الثورى وحركة الكفاح المبلع .

وفى ذلك قال يومدين فى مؤتمر جبهة التحرير فى أبريل ١٩٦٤ (يطالب البعض بأن يكون الحزب مطهرا لا يضم فى عضويته أيا من هؤلاء الذين تثقل الجرائم ضمائرهم . . . ولكن من منا فى هذا المؤتمر يدعى الطهر والنقاء) .

ظاهرة تفشت خلال سنوات الثورة الجزائرية كنتيجة رئيسية لغيبة الزعماء الحقيقيين للثورة ، ولغيبة التنظيم الحزبى الحديدي الذى يعبر عن أيديولوجية ثورية واضحة .

كان تيار الوطنية الجزائرية المتدفق ضد الاحتلال الفرنسى هو الذى يجمع كل المناضلين . . . ولكن الوحدة الفكرية والنظرة السياسية والأهداف الاجتماعية لم تكن أبدا محل اتفاق جماعى .

ولم يستطع نفوذ جمال عبد الناصر واحترام شخصيته. التأثير فى الجبهة بحيث تتوافر لها قيادة موحدة متجانسة مسلحة بعقيدة وفكرية ثورية واضحة . . . وذلك لسببين : أولهما أن صلات ثورة يوليو مع نواز الجزائر كانت تنعقد عن طريق ضباط المخابرات الذين سبق توضيح دورهم الرئيسى فى الحركة السياسية العربية ، الذى كان يقوم أساسا على واجبات ومهام تنفيذية وليست سياسية . . . وثانيهما أن مصر حتى ذلك الوقت كانت تعيش فى فترة الإتحاد القومى حيث كانت الحيرة مازالت تغلف الوضوح السياسى الذى نبت مع صدور الميثاق عام ١٩٦٢ .

وهكذا كان الاعتماد على ضباط المخابرات وحدهم فى عقد الصلات السياسية . . . وغيبة الايديولوجية الثورية فى مصر ، عاملين من أهم العوامل التى لم تؤثر فى ثورة الجزائر التى كانت تربطها بمصر وزعيمها جمال عبد الناصر أوثق الصلات .

وظلت التناقضات الثانوية تنمو بلا حسم فى صفوف الثورة الجزائرية ، وأعيد تشكيل الوزارة برئاسة فرحات عباس فى طرابلس

يوم ١٨ يناير ١٩٦٠ وبقي كل من كريم بالقاسم في منصبه نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للشئون الخارجية بدل الحرية وبقي أيضا أحمد بن بيللا نائبا لرئيس الوزراء وزملاؤه الأربعة المعتقلون وزراء للدولة .

ونقص عدد الوزراء من ١٩ وزيرا في الوزارة الأولى الى ١٢ وزيرا فقط .

واستمر تشكيل الوزارة على ما هي عليه حتى ٢٧ أغسطس ١٩٦١ عندما عين يوسف بن خدة رئيسا للوزراء ومستولا عن المالية ، وكريم بالقاسم نائبا للرئيس ومستولا عن الداخل وأحمد بن بيللا ومحمد بوشياف نواب رئيس أيضا ، وبقي محمد خيضر ورايح ييطاط وزراء دولة .

وتشكلت الوزارة أيضا من ١٢ وزيرا مثل الوزارات السابقة .

ولم يكن يوسف بن خدة يمثل قوة سياسية رئيسية في اتجاه الثورة الجزائرية .

الجزائر ٠٠٠ ومصر ٠٠٠ وفرنسا :

كان جمال عبد الناصر ينظر الى أحمد بن بيللا باعتباره الزعيم الغائب .

عندما سألته محرر مجلة (كل شيء) اللبنانية بتاريخ ١٣ مايو ١٩٦٢ عما اذا كان قد قرأ الحملة المتطرفة التي شنتها مجلة (بارى ماتش) على أحمد بن بيللا لانه أعاد الى عبد الناصر الفضل الأول في انتصار ثورة الجزائر ، ولاله قام بزيارة عبد الناصر قبل زيارة أي بلد أو رئيس عربي بعد الإفراج عنه .

قال عبد الناصر (ان علاقتي بالصدقي بن بيللا علاقة قديمة تعود الى ما قبل الثورة ٠٠٠ الى عام ١٩٥٤ عندما كان يقيم في القاهرة كلاجئ سياسي . وقد توطدت علاقتي الأخوية به وزملائه زعماء الجزائر وأعضاء حكومتها ، ولم تنقطع الاتصالات بيننا في أي وقت) .

وعندما سألته المحرر (وهل ظلت هذه الصلة قائمة عندما كان بن بيللا في السجن) .

فحكك عبد الناصر وقال (وهو في السجن في باريس ٠٠٠ كانت الاتصالات مستمرة بيننا ولم تنقطع أبدا) .

ويروي هنري كوربيل السنكرتير السابق للحركة المصرية للتححر الوطني ثم الحركة الديموقراطية للتححر الوطني ، والذي طرد من مصر

عام ١٩٥٠ نهائيا لموقفه السياسي ، ومع ذلك ظلت تربطه بمصر علاقات وثيقة عن طريق ثروت عكاشة الملحق العسكري في باريس .

يقول هنري كورييل أن هدف جى مولى كان التخلص من جمال عبد الناصر للتغلب على الثورة الجزائرية ، ولكن الموقف تغير بعد وصول ديجول الى الحكم في ١٣ مايو ١٩٥٨ لتكملة الحرب الجزائرية .

حدثت اتصالات بين فرنسا ومصر بعد عدوان ١٩٥٦ قام بها بيركوت رئيس الاتحاد التقدمي وأحد وزراء الجبهة الشعبية عام ١٩٣٦ ومن الذين اشتركوا في الحزب الأهلية الإسبانية ضد الفاشية ومعه أندريه فيليب وزير اشتراكي سابق ، وكان الهدف من ذلك إعادة العلاقات مع مصر .

ولكن جمال عبد الناصر رفض إعادة العلاقات مع استمرار الحرب الجزائرية . ويقول أنطوني ناتج أنه بعد فشل هذه الاتصالات زاد عدد الجنود الفرنسيين في الجزائر حتى وصل الى ربع مليون جندي .

وبعد اعلان الحكومة الجزائرية المؤقتة تم اتصال سري آخر في أواخر عام ١٩٥٨ بين وزير الخارجية الفرنسي كوف دي مور فيل و ثروت عكاشة سفير مصر في روما .

تمت المقابلة سرا في سويسرا حيث كان كوف دي مور فيل يمثل فرنسا في مؤتمر هناك وخلال المقابلة قال ثروت عكاشة ان مصر لا تستطيع إعادة العلاقات مع فرنسا مادام شعب الجزائر يتعرض لطغيان التدخل الفرنسي ، وأحمد بن بيللا ورفاقه محتجزين في سجون فرنسا .

شارك في اعداد هذه المقابلات هنري كورييل ، كما شارك أيضا في إيجاد صلة مستمرة بين مصر وبين بيللا داخل السجن ساعده في ذلك عدد من أصدقاء الشعب المصري التقدميين ، الأمر الذي انتهى باعتقال السلطات الفرنسية لهنري كورييل في أكتوبر ١٩٦٠ وإدخاله السجن بتهمة مساعدة الثورة الجزائرية وبقي به حتى يوليو ١٩٦٢ .

موقف جمال عبد الناصر في تأييد ثورة الجزائر لم يعرف التردد أو المساومة ، واقتناعه بزعامة أحمد بن بيللا كان مؤشرا اتجاهه وجرأته . وعندما مضت على العدوان الثلاثي سنوات ، وبدأت العلاقات تعود تدريجيا الى طبيعتها القديمة كان موقف مصر من انجلترا يختلف عن موقفها من فرنسا .

عادت العلاقات الدبلوماسية مع انجلترا بضوءة محدودة في ديسمبر ١٩٥٩ وعين كولن كرو الذي كان رئيسا للجنة المقتنيات البريطانية

التي نجمت عن تأميم قناة السويس وزيرو مفوضا حتى عادت العلاقات.
كاملة بتعيين سير هارولد بيلي سفيرا في مارس ١٩٦١ .

ورغم أن صلة كولين كرو كرئيس للجنة المقتنيات كانت بعيدة عن
وزارة الخارجية ومرتبطة بوزارة الخزانة ، إلا أن جمال عبد الناصر
لم يأخذ موقفا جامدا في إيجاد قنوات للعلاقات مع لندن ، فكلف محمد
حسنين هيكل - كما يقول أنتوني ناتنج - بالاتصال بكولين كرو بصفة
دورية ، الأمر الذي جعله أكثر اطلاعا على مجريات الأمور من كثير من
السفراء كما كتب ناتنج في كتابه (ناصر) .

وظهرت هذه الصلة الطيبة بصورة عملية عند رحيل كولين بعد
تعيين السفير البريطاني ، وكانت هدية عبد الناصر رغم عدم مقابلته له
مطلقا هي الافراج عن الجاسوسين البريطانيين جيمس زارب ، وجيمس
سوينبون بعد الحكم عليهما بعشر سنوات .

الموقف مع فرنسا كان يختلف ...

لجنة المقتنيات لم تكن لها قنوات موصلة الى جمال عبد الناصر .
وفي نوفمبر ١٩٦١ اعتقل رئيس اللجنة أندريه ماتي بتهمة التجسس
والتخريب مع أربعة من زملائه أعضاء اللجنة وستة من المصريين المتعاونين
مهمهم . وكان جواب فرنسا حظر التعامل التجاري مع مصر .

لم يفرج عن هؤلاء الفرنسيين إلا بعد خمسة شهور عقب توقيع
اتفاقية افيان في ١٨ مارس ١٩٦٢ وإعلان ديغول لاستقلال الجزائر .

طوال سنوات الثورة الجزائرية وجمال عبد الناصر يحمل لواء
الدفاع عنها في كل مكان . . . في وشيد يوم ٢٨ يوليو ١٩٥٩ أثناء
الاحتفال بمرور ١٥٠ سنة على طرد الانجليز قال عبد الناصر (ان فرنسا
بعد خمس سنوات تئن من شعب الجزائر الأعزل أكثر مما يئن شعب الجزائر
الذي فقد مليوناً من الشهداء في هذه الحرب المقدسة) .

وأمام برلمان الهند في ٣٠ مارس ١٩٦٠ بلور هموم الأمة العربية في
حالة شعب فلسطين الذي شرد من دياره ، وحالة شعب الجزائر الذي
يحمل السلاح مرغما للدفاع عن حقه في الوجود على أرض بلاده .

ومن فوق منبر الأمم المتحدة في ١٧ سبتمبر ١٩٦٠ وفي احتفال
الاتحاد القومي بيوم الجزائر في نوفمبر ١٩٦٠ .

في كل هذه المواقع وغيرها . . . وفي كل أحاديثه الصحفية . . . كان
جمال عبد الناصر المدافع الصلب عن حرية الشعب الجزائري وحقه
في النضال .

وأقبل هنا نهر حديث دار بين جمال عبد الناصر وبعض الصحفيين الأجانب في ٢٥ أبريل ١٩٦٠ عقب أزمة الباكسة كليونباترة التي رفض عمال الشحن في أمريكا تفريقها تأييدا لاسرائيل .

سأل أحد الصحفيين عبد الناصر هذا السؤال :

على ذكر مسألة التسليح الشيوعي بالشرق الأوسط ، فإن هناك مظهرا آخر أود أن أعرضه على سيادتكم ذلك أن حكومة الجزائر الحرة طلبت متطوعين لينضموا الى جيشها كما تعلمون . . . فهل سيكون لحكومتم موقف معين حيال أى متطوعين من الصين الشعبية يريدون المجيء الى الشرق الأوسط لينضموا الى الجيش الجزائري ؟

وأجاب عبد الناصر (من رأى أنه يجب أن يتمتع الشعب الجزائري بالاستقلال ولن نعترض على الطريقة التي يتبعها في سبيل الظفر بهذا الاستقلال) .

وأعاد الصحفي السؤال قائلا : (أنا لا أثير ياسيدي الرئيس مسألة استقلال الجزائر وإنما أثير مسألة مجيء الصينيين كمطوعين واشتراكهم في حركة الاستقلال الجزائرية ؟) .

وقال عبد الناصر (أرجو أن تنظر الى الجيش الفرنسي فإنه يضم جنودا من ألمانيا ومن دول أخرى كثيرة ، فلماذا تعترض على جنود الجزائريين في أن يضم جيشهم متطوعين من كل الدول بما فيها الصين أنى لا أرى سببا يدعو الى الاعتراض) .

وألح الصحفي في سؤال ثالث : ألا ترى ياسيادة الرئيس . . . أن في ذلك ما يدعو الشرق الأوسط الى القلق بشأن هذه المسألة ؟

وكان الجواب : الى متأكد أنه لن تتمكن أى عناصر شيوعية من التأثير مهما حدث على القومية العربية في البلاد العربية بما فيها الجزائر . بل العكس ، أعتقد عن يقين أن أفكار القومية العربية هي التي ستسود في النهاية وستظل دائما سائدة .

ويلاحظ أن جمال عبد الناصر كان يجيب على هذه الأسئلة في فترة وجود الشيوعيين المصريين داخل المعتقلات بعد أزمة أول يناير ١٩٥٩ .

وواصل الصحفي الحاحه في السؤال قائلا : ألا ترون ياسيادة الرئيس أن هذه تعتبر محاولة تسليح عسكري شيوعي لقوامه متطوعون للجزائر من الصين الشعبية أو من الاتحاد السوفيتي فهل مثل هذا التسليح الشيوعي العسكري ينطوي على خطر على العالم الغربي ؟

وكان جواب عيد الناصر : أنظر الى مشكلة الجزائر باعتبارها بلاد
الجزائر وشعب الجزائر . لقد قتل من هذا الشعب مليون شخص منذ
نشبت الثورة الجزائرية ، أى أن عشر الشعب الجزائرى قد لقى حتفه .
لهذا أظن أنه لو تلقى الشعب الجزائرى مساعدة من أى جهة فإن هذه
المساعدة ستقتل مليوناً من أبناء هذا الشعب من الهلاك وأما فيما
يتعلق برأى فى مسألة التسليح الشيوعى فأنى أرجو أن تنظر مثلاً الى
مصر وسوريا . أين هو ذلك التسليح الشيوعى ؟ لقد نشرت الصحف
الأمريكية لفترة طويلة أننا نخضع للنفوذ الشيوعى وراحت تعيد وتزيد
فى أننا نواجه التسليح الشيوعى بسبب صفقات الأسلحة التى عقدها
مع الدول الشيوعية ، وبسبب علاقاتنا الاقتصادية مع هذه الدول . ولكن
هل كانت ما نشرت الصحف الأمريكية عن هذه المسألة حقيقية ؟

هكذا حاول الصحفيون الغربيون حصار جمال عبد الناصر وبدر
بدور التناقض أو الخلاف بينه وبين الثورة الجزائرية فى وقت كانت
علاقته فيه مع الاتحاد السوفيتى ليست أفضل حالاتها وفى وقت
كانت الثورة الجزائرية فيه تعتمد على مصر أساساً . وبشخصيته تلعب
دوراً رئيساً فى هذا المجال ولكن جمال بعبد الناصر بكلماته الواضحة
حطم كل محاولات التسليح الغربى الى صفوف الثورة العربية المصرية كانت
أم جزائرية وحسم قضية التعاون المطلق الوثيق بينهما .

ولذا لم يكن غريباً أن يعلن أحمد بن بيللا فور الافراج عنه بأن
جمال عبد الناصر صاحب دور رئيسى فى انتصار الثورة ، وأن يتجه مع
زملائه الى القاهرة ليكون أول لقاء لهم مع قبل بقية الدول والزعماء
العرب الذين ساندوا ثورة الجزائر .

وقد أعدت خطة وصول بن بيللا وزقاقه الى مصر فى القاهرة حيث
كانوا قد وصلوا الى السويس وترحبهم عيون رجال المستوطنين
الفرنسيين فى الجزائر الذين كان يقودهم الجنرال سالان ، تبغى قتلهم
فى أى مكان . ولكن فتى الديب سبيلهم مصر فى برن أخفاهم عن العيون
تسماً .

كان رجال الجنرال سالان منتشرين فى مطارات السويس ليل نهار
للقيام باغتيال الزعماء الجزائريين فى محاولة انتحارية ، ولذا قامت من
القاهرة طائرة مصرية يقودها الكابتن شمس على أنها فى طريقها الى
لندن وليس فيها إلا راكب واحد هو عبد المجيد فريد سكرتير رئاسة
الجمهورية فى ذلك الوقت . ويقول عبد المجيد فريد أنه طلب من الكابتن
شمس السماح للطائرة بالتزول اضطرارياً فى مطار زيورخ ، فسمح لها
وهبطت فعلاً فى أول المدرج الجوى قرب منتصف الليل .

كان فتحي الديب سفير مصر الذي دبرت الخطة معه ينتظر هبوط الطائرة المصرية في الأرض الزراعية خارج المطار ومعه الزعماء الخمسة وأحد رجال المخابرات السويسرية الذين استطاع فتحى الديب أن يستميلهم اليه .

أعطى عبد المجيد فريد اشارات ضوئية من سلم الطائرة فأسرعت عربتان مرسيديس بالدخول الى الطائرة مباشرة تحمّلان زعماء الجزائر وسفير مصر .

أديرّت محركات الطائرة بعد أن ركبها الزعماء الجزائريون وعادت الى القاهرة ، ورجع السفير المصرى الى برن ، ولم تستغرق العملية أكثر من ربع ساعة .

وصلت الطائرة الأجواء المصرية فى الخامسة صباحا ، ولما كان جمال عبد الناصر يريد أن يستقبلهم استقبالا شعبيا فقد هبطت الطائرة فى مطار أنشاس حيث استراح الزعماء وحلقوا ذقونهم وتناولوا الفطور مع ضباط القوات الجوية المصرية .

وبدأت الاذاعة منذ نشرة الساعة صباحا تدّيع نبأ وصولهم وتعلن عن استقبال عبد الناصر لهم فى المطار وخط سير موكبهم .

هبطت الطائرة فى الماطة فى الواحدة ظهرا وبدأ الموكب الشعبى مع عبد الناصر فى عربة مكشوفة الى ميدان العتبة خلال شارع الجيش ثم العوة الى سراى القبة خلال شارع رمسيس ، ومصر والسودان .

وأفرج بعد ذلك عن هنرى كورييل ورفاقه فى يونيو ١٩٦٢ ، وخلصت سجون فرنسا بعد ذلك من المناضلين الجزائريين .

وتم الاستفتاء فى أول يوليو ١٩٦٢ على تقرير المصير ، وأصيب التمرد الذى دبره المقيمون الفرنسيون وبقايا الجيش الفرنسى بالشلل عشية نفس اليوم ، وتشتت الفرنسيون هاربين .

وبدأت صفحة جديدة فى تاريخ الجزائر ... صفحة التحرير والاستقلال الوطنى .

الفصل الثاني

الجزائر ٠٠ بعد الاستقلال

(لقد انتهى الجهاد الأصغر ،
وبدا الجهاد الأكبر ، جهاد النفس)
جمال عبد الناصر
الى يوسف بن خدة
الطاب البيضاء - يونيو ١٩٦٢

أثمرت ثورة الجزائر ، وبضحيات الشعب المناضل ، وحياة مليون
شهيد ، وطننا حرا مستقلا ، تقضى الشعراء ببطلانة شهدائه وأبنائه .
وعبر الشعب عن فرحته بالانتصار في مظاهرات غمرت شوارع المدن
الجزائرية ٠٠ واعتبرت الأمة العربية هذا الحدث عيدا لها .
ولكن التناقضات التى ظهرت فى كواليس القيادة الجزائرية بدأت
تفرض نفسها على الموقف ، وتظهر فى العلن ما كان يدور سرا طوال
سنوات الثورة .
كان أحمد بن بيللا يعتبر نفسه الشخص المؤهل تاريخيا لزعامة
الثورة بعد الاستقلال ، وأن مكانه فى القمة لابد أن يكون محجوزا بعد
الافراج عنه من سجون فرنسا .
ولكن الحكومة المؤقتة التى يرأسها يوسف بن خدة كان لها
رأى آخر :

ثورة يوليو ج ١ - ١٩٦٩

ولم يكن الخلاف شخصيا في مضمونه ٠٠٠ وانما كان خلافا بين اتجاه ثورى له طابع وميول اشتراكية وأصالة عربية يمثلها أحمد بن بيللا ٠٠٠ واتجاه يطلب استقرار الأحوال على ما كانت عليه من علاقات مع فرنسا بعد الاستقلال دون جموح ثورى أو تطلع اشتراكي .
 وظهر الخلاف مبكرا .

وكان جمال عبد الناصر يدرك أن الأمور قد تنتهي الى خلاف ولكنه حاول بكل ما في وسعه أن يتفادى التدخل في شئون الجزائر فأرسل برقية الى زعماء الجزائر الخمسة بمناسبة توقيع اتفاقية أفيان ووقف إطلاق النار يوم ١٩ مارس قال فيها (اننى أبعث اليكم بتقدير شعبنا كله لتضحياتكم فى مرحلة من النضال سبقت ، وأجدد تأييده فى مراحل من النضال قاسية) .

وبعث فى نفس اليوم الى يوسف بن خده برقية أخرى جاء فيها (ان النصر الأول الذى أحرزته كفاحكم بارغام الاستعمار على الاعتراف باستقلال الجزائر ووحدة ترابها لم يحول أنظاركم عن المراحل الصعبة القادمة من استكمال الحرية) .

الموقف لم يتحدد بعد والسلطة لم تتفق على اليد التى تقبض عليها ٠٠٠ وعبد الناصر ينظر بعينه الى المستقبل والمراحل الجديدة القادمة .

رحل الفرنسيون سياسيا فى يوليو بعد استفتاء تقرير المصير ٠٠٠ خرج حوالى ٨٥٠.٠٠٠ فرنسى يشكلون ٩٠ فى المائة من الخبرة الادارية والفنية العاملة فى الجزائر ٠٠٠ وتوقفت معظم البنوك والمصانع والمزارع التى كانت تعتمد عليهم ٠٠٠ وبدأ الأمر فى صورة مؤامرة على الحكومة الجديدة التى تسلمت بلدا حطم الاستعمار قدرات أبنائه الفنية والادارية خلال ١٣٢ سنة طويلة من سنوات القهر .

المشاكل التى تجابه الحكومة حادة وكثيرة .

الفراغ الذى تركته الهجرة الجماعية الفرنسية زحفت اليه عناصر من البرجوازية الجزائرية التى تعاونت مع الفرنسيين خلال الحرب وقال عنهم أحمد بن بيللا فى احدى خطبه (جمع عدد من الجزائريين خلال الحرب ثروات فاحشة عن طريق المضاربة ، واشترى آخرون بأسعار زهيدة من الفرنسيين الراحلين أملاكا وفنادق ومطاعم ودور سينما ، وكانوا يستعدون ليعيشوا عيشة الاقطاعيين فى الجزائر المستقلة) .

وكانت جبهة التحرير قد عقدت مؤتمرها فى طرابلس بعينها عن تونس ونفوذ بورقيبة المعتدل خلال شهر مايو ١٩٦٢ .

حضر المؤتمر ٧٠ مندوبا نصفهم من المقاتلين العسكريين .

برنامج طرابلس هو الذى تسلمت به الجبهة لمواجهة الاستقلال ،
والذى نص على (توحيد نشاط جميع المنظمات القومية داخل جبهة
التحرر الوطنى) .

المنطق الذى صاغ هذه الفقرة من برنامج طرابلس ، قريب الشبه
من منطق الميثاق المصرى الذى صدر فى نفس الشهر ، والذى نص على
تحالف قوى الشعب العاملة (العمال والفلاحين والجنود والرأسمالية
الوطنية والمتقنين) باعتبار وحدتهم فى الصراع ضد سيطرة الرأسمالية
الأجنبية والبرجوازية المحلية المرتبطة بها أقوى من بواعث الصراع الطبقي
داخل صفوفهم .

كان أحمد بن بيللا وكثير من زعماء الجبهة شديدي التأثير بتفكير
جمال عبد الناصر .

ويقول هنرى كورييل صديق بن بيللا الشخصى والمتعاون معه الى
حد دخول السجن أنه كان يكتسب رهيدا كبيرا لشخصيته من ارتباطه
بعبد الناصر .

وقد بدأ الخلاف عقب اعلان برنامج طرابلس بعد اصرار اتحاد
نقابات العمال الجزائرى على أن يبقى خارج الجبهة تشبها بواقع الدول
الرأسمالية الغربية وقد استغلت فرنسا هذا الموقف لشق الصفوف
وكان برنامج طرابلس قد أشار الى (ان الحكومة الفرنسية لن تعتمد فقط
على قوتها المسلحة وعلى الأقلية الفرنسية لتحويل اتجاه تطور الجزائر ،
فهي تستغل قبل كل شيء التناقضات السياسية والاجتماعية لجبهة التحرير
الوطنى) .

وفى أول يوليو ١٩٦٢ تلقى عبد الناصر رسالة من الرئيس بن خلد
ورسالة أخرى من أحمد بن بيللا ورسائل أخرى من زعماء الثورة
الجزائرية .

وأعلن جمال عبد الناصر هذا الخبر أمام المؤتمر الوطنى للقوى
الشعبية بشأن الجزائر المنعقد يوم ٢ يوليو ثم علق عليه قائلا (لقد
واجهت قرارات كثيرة فى حياتى السياسية برغم الأخطار وبرغم المواقف
الصعبة التى كانت تستدعى هذه القرارات ، فقد كان من السهل على
ناكما أن أنزع عواطفى بعيدا عنى وأتخذ من القرارات ما أؤمن أنه
الواجب وأمس لأول مرة واجهت أزمة الحيرة عندما علمت بهذه

الخلافات ... انى واثق فى وعلى الحكومة الجزائرية وفى مقدراتها على مواجهة مسئولياتها) .

وبعد أن أشار عبد الناصر الى معرفته الوثيقة لبن خده وابن بيللا وتقديره لهما قال (لست أريد أن أدخل ولا أريد أن تدخل الجمهورية العربية المتحدة فى هذا الخلاف طرفا فيه ، ولكن من هنا وأظنكم معى ، نكون دخل حدودنا تماما اذا توجهنا اليهم كلهم برجاه حار وصادق صبار من أعماق القلب ليفعلوا شيئا مهما كلفهم كاشخاص ، حتى يحتفظوا بوحدة الثورة الجزائرية) .

وروى جمال عبد الناصر أنه التقى ابن خده قبل ذلك بأيام فى مؤتمر القمة الثانى بالدار البيضاء وقال له (لقد انتهى الجهاد الأصغر ، وبدأ الجهاد الأكبر ، جهاد النفس) .

وكان جمال عبد الناصر قد قام بمحاولة جادة لتخفيف حدة الخلاف بين بن خده من جهة وابن بيللا وبومدين من جهة أخرى .

تشكل وفد من على صبرى ومحمد حسنين هيكل وعبد المجيد فريد وفتحي الديب حيث ذهب بطائرة خاصة لمقابلة بن خده فى مقر الحكومة المؤقتة فى (الصخرة السوداء - روشيه نوار) .

وكان هذا الوفد يضم أول مصريين ينزلون فى أرض الجزائر بعد الاستقلال .

تم الاجتماع مع بن خده ثم طازوا الى تونس لمقابلة بومدين حيث كان هناك فى ذلك الوقت ، ثم عادوا مرة أخرى لبن خده ، ونزلوا فى طرابلس لمقابلة بعض القادة الجزائريين .

استمرت الرحلة ٢٤ ساعة متصلة ولكنها لم تنجح فى مساعيها .

وكان الخلاف قد وصل بين الحكومة والزعماء المعتقلين الى الحد الذى أصدرت فيه الحكومة المؤقتة قرارا بعزل رئاسة أركان حرب الجيش الخارجى يوم ٣٠ يوليو ١٩٦٢ لنشاطات إجرامية على حد تعبيرهم .

ولكن أحمد بن بيللا رفض هذا الإجراء رفضا كاملا ، كما رفض تكوين المكتب السياسى الذى تشكل تحت رئاسة بن خده عقب مقررات طرابلس وطالب بتشكيل مكتب سياسى جديد يضم المعتقلين الخمسة . يقول هارويتز فى كتابه (الأبعاد العسكرية فى سياسة الشرق الأوسط) أن أحمد بن بيللا منذ لحظة الإفراج عنه رفض التعاون مع السياسيين المؤيدين إلا اذا جلس فى مقعد السائق .

الجيش يدخل الحركة :

كان رفض بن بيللا لقرار الحكومة المؤقتة بعزل رئاسة أركان حرب الجيش في الخارج معتمدا على رفض القادة العسكريين في الجيش للقرار .
ونابعا من أصوله العسكرية التي بدأت في الجيش الفرنسي .

وأحمد بن بيللا لم يبلور زعامته في صفوف الجيش ، ولا في صفوف الحكومة المؤقتة وإنما بلورها في السجن .

كان قائد الجيش هواري بومدين طالبا للعلم في الأزهر الشريف بالقاهرة ولم يسبق له أن كان جنديا محترفا ، كما سبق له أن خدم في الجيش الفرنسي مثل أحمد بن بيللا .

كان الجيش الجزائري قد تكون أساسا من الأنصار المتطوعين ، وغدد قليل من الجنود الوطنيين الذين سبق لهم الخدمة في الفرقة الأجنبية أو الجيش الفرنسي وكان موزعا في ثلاث جبهات رئيسية وصل عدده حسب ما سجله هرويتز تسعين ألفا يشكلون جيش الداخل في الولايات ، ٢٥٠٠٠ في تونس ، ١٥٠٠٠ في أوجدا بالمغرب ومن الجميع شكل جيش التحرير الجزائري .

خلال سنوات الثورة التحق بعض الجزائريين بالكليات والمدارس العسكرية في مصر ، ودرسوا وتدرّبوا على أحدث الأسلحة التي أمدتهم بها مصر .

وقد أسهمت قوات الأنصار في الداخل ، وقوات الجيش النظامية في الخارج بدور كبير في الكفاح المسلح المستمر ضد المستعمرين الفرنسيين ولكن الصلة التنظيمية بين قادة الولايات لم تكن سهلة ، فكان هناك شبه افراد ذاتي بالحركة في كل ولاية ، ومحاولة من جانب كل قائد ولاية لدعم سلطته ونفوذه ، في غيبة تنسيق سليم يفرض إرادته والسبب في ذلك صعوبة المواصلات أساسا .

وكان يوم ١٩ مارس يوم اعلان اتفاقية البيان ووقف اطلاق النار يوما فاصلا عبرت عنه مجلة الجندى الجزائرى بجديتها عن الذين هرعوا للانضمام الى صفوف جيش التحرير وقولها « انهم من العناصر التي تعاونت مع الاستعمار ولم تعر أى اهتمام لثورة ١٩٥٤ ، وراحت تتعاون مع الاجنبيين على حساب شعب كامل ولم تهتم بسمعة الوطن المضرج بالدماء ، ولم ترحم أرملة ولم تعطف على يتيم » .

كان الاندفاع المبالغ فيه للانضمام للجيش تعبيرا عن رغبة بعض القادة في دعم نفوذهم الفردي ، حتى أنه بعد ١٩ مارس مثلا قفز عدد قوات ولاية الجزائر من ٨٠٠٠ الى ٣٥٠٠٠ ٠٠٠ ولعب (جنود ١٩ مارس) وهو الاسم الذي اشتهروا به دورا كاد يؤدي الى اشتعال حرب أهلية بين المكتب السياسي وقيادة الولاية الرابعة في مدينة الجزائر .

وكان قرار ٣٠ يونيو الذي أصدرته الحكومة المؤقتة بعزل رئاسة أركان الجيش في الخارج ، ورفض بن بيللا وبومدين له ، أقصى صورة وصل اليها الخلاف ، وهي التي تضمنتها البرقيات التي وصلت الى جمال عبد الناصر في اليوم التالي مباشرة . وبدأت احتمالات الصدام بين الثوار تقترب .

وكان واضحا أن كفة الجيش هي الراجحة ٠٠٠ فان هوارى وبومدين استطاع خلال سنوات طويلة من الجهد الشاق أن يحول جيش الخارج الى قوة منظمة لها طابع وتقاليد عسكرية وانضباط تنظيمي ٠٠٠ ونشر فيه محو الأمية والتوعية السياسية ، وأسهمت بعض وحداته في العمل الاجتماعي متعاونة مع الفلاحين في المناطق المحررة حيث طبقت الى حد ما تجربة المزارع الجماعية التي يشرف عليها الجيش .

ولذا كان طموح وبومدين في جعل جيش الخارج نواة الجيش الجزائري طموحا طبيعيا ولز أنه كان يمضي في طريق صعب مليء بتناقضات قوات الأنصار في بعض الولايات ، الذين تحدثوا عن تكوين (جيش شعبي) .

وقد بدأت العلاقات السياسية تربط بين أحمد بن بيللا وهوارى وبومدين بصورة عملية عندما أعلن بن خدة قبل استفتاء تقرير المصير بعدة أيام تشكيل مكتب سياسي لجبهة التحرير وتحت قيادته ، ورفض بن بيللا هذا القرار بمساندة وبومدين وقادة جيش الخارج ، الأمر الذي انتهى الى قرار ابن خدة في ٣٠ يونيو الذي سبق أن أشرنا اليه ، ورفضه وبومدين أيضا .

وكان هذا الموقف الصدامي هو نقطة تحول في الموقف السياسي ٠٠٠ فاما أن ينتصر بن بيللا بمساندة الجماهير وقوات الجيش ٠٠٠ وأما أن تنتصر الحكومة المؤقتة التي اعتمدت على القوات المحلية للولايات وخاصة الولاية الرابعة (الجزائر) والولاية الثالثة (القبائل) وجزء من الولاية الثانية (قسنطينة) الذين أعلنوا ولاهم للحكومة المؤقتة .

وفى مواجهة ذلك دخل بن بيللا الجزائر دخول البطل الغائب حيث استقر فى تلمسان ، وجذب بومدين الى جانبه بقية الولايات التى تحرك فيها جيش الخارج .

وفى ٢٢ يوليو أعلن بن بيللا من تلمسان تشكيل مكتب سياسى جديد برئاسته ، يضم الزعماء المعتقلين ، ولكن بوضياف وحسين آية أحمد رفضا العمل فى هذا المكتب واختفيا ، الى أن اعتقل بوضياف يو ٣٠ يوليو حيث قبل العمل فى المكتب السياسى بشرط أن تنشأ إدارة محددة الواجبات ، وأن تتفق قوات الجزائر وتلمسان .

وقبلت الحكومة المؤقتة الخروج من العاصمة يوم ٣ أغسطس لتصبح السلطة فى يد المكتب السياسى .

ولكن تفادى الصدام المسلح كان أمرا صعبا أمام الطموح الى السلطة . ولذا فانه عندما خرج بن بيللا من العاصمة يوم ٢٥ أغسطس بدأ صدام بين أنصار المكتب السياسى وأنصار قادة الولايات كاد يهدد بقيام حرب أهلية ، لولا قرار وقف إطلاق النار وبه المفاوضات يوم ٤ سبتمبر بين محمد خيضر وقائد الولاية الثالثة ، وهى المفاوضات التى أنهت مقاومة الحكومة المؤقتة .

وهكذا انتصر العسكريون على المدنيين . . . واقترح الجيش الجزائرى ميدان السلطة وفرض ارادته بقوة السلاح . . . ودخل بومدين الجزائر العاصمة يوم ٩ سبتمبر ومعه ٤٠٠٠ عسكري من جيش الخارج الموالين للمكتب السياسى . وتحدد موعد الانتخاب المجلس الوطنى يوم ٢٠ سبتمبر حيث أصبح أحمد بن بيللا رئيسا للوزراء يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٦٢ بأغلبية ١٣٩ ضد ٢٣ وعين هوارى بومدين وزيرا للدفاع وقائدا لجيش التحرير الجزائرى .

وبلذا أصبح بن بيللا رئيسا وسكرتيرا للجبهة وقائدا أعلى .

وأصبح الجيش هو القوة السياسية الأكثر تنظيما ووحدة فى الجزائر ، فى وقت كان ضعف جهات الدولة فيه ملموسا لغلبة الخبرة والخبراء ، وضعف التكوين والانضباط الحزبى ملموسا أيضا لغلبة الايديولوجية وتصادم التناقضات الطبقية والشخصية . وقد ساعد على ذلك بدء حملة تطهير للجيش من (جنود ١٩ مارس) ومن بعض الانتهازيين الذين حاولوا التسلى فوق صفوف الجيش .

واعتبر الجيش من ذلك الوقت دعامة هامة من دعائم الحكم ، رغم

التأييد الشعبي الجارف الذي أحاط بحكومة بن بيللا . . . ويمكن القول بأن تحالفا مدنيا عسكريا قد أرسى دعائم حكمه في الجزائر .

بن بيللا في موقع المسؤولية :

تحول أحمد بن بيللا من ثائر تقيده قطنبان السجن ، الى زعيم جماهيري ورئيس للحكومة .

وقبل جمال عبد الناصر دعوة بن بيللا لزيارة الجزائر في ٤ مايو ١٩٦٣ ولم تكن تضي عدة شهور على استقرار بن بيللا في موقعه . . . وقد استقبل جمال استقبالا شعبيا حافلا لم تشهد الجزائر له مثيلا .

ومع ذلك لم يكن الطريق سهلا أمام بن بيللا للانطلاق الى تحقيق افكاره السياسية الطموحة ولكنه اندفع فيه بكل طاقته وحيويته .

واستطاع في بداية حكمه ، ورغم فساد البلاد بعد انسحاب الفرنسيين من الكادر الفني الخبير الى زيادة الانتاج الزراعي عن سنوات الثورة ، وفتح ابواب المدارس للتعليم والتدريب معا فزاد عدد الطلبة زيادة ملحوظة ، وبدأ في تكوين جهاز للدولة .

وقد استطاع أن يكسب تأييد الاتحاد العام لعمال الجزائر الى المكتب السياسي لجهة التحرير (والمشاركة النشطة الفعلية في تحقيق الاشتراكية) .

كما بدأ في تأميم بعض الشركات واتخاذ اجراءات تؤدي الى التطبيق الاشتراكي مثل التسيير الذاتي

وأصبحت لبن بيللا شهرة تقديمية جذبت الى الجزائر عددا من الماركسيين المصريين مثل لطف الله سليمان وعلى الشلقاني ، كما أعادت الى التعاون معه بعض العناصر اليسارية التي اتخذت منه موقفا معارضا في البداية ، وعين محمد حربي مستشارا لشئون القطاع الاشتراكي في مكتبه .

وقد عرض بن بيللا خلال هذه الفترة على هنري كورييل التجنس بالجنسية الجزائرية ولكنه أثار الاحتفاظ بجنسيته المصرية التي كان قد فقدتها بعد اخراجه من مصر قبل الثورة . . . وكان بن بيللا قد أبلغ هنري كورييل عقب زيارته لمصر بعد الافراج عنه أنه التقى بجمال عبد الناصر الذي وعده بالافراج عن الشيوعيين المصريين الذين ضمتهم المعتقلات منذ ليلة رأس السنة عام ١٩٥٩ ، وطلب بن بيللا ارسال المحامية الفرنسية مدام بوفيلاد الى مصر حتى يتم الافراج عنهم . . . ولكن ذلك لم يتحقق في هذه الفترة .

وأنشأت لجنة السلام الجزائرية لمقدّم مؤتمر خاص لتجريد منطقة البحر الأبيض المتوسط من القنابل والأسلحة الذرية وجعلها نظيفة خالية من الانفجارات والإشعاعات ... وكان المؤتمر في مقصونه هجوما على التواجد البحري الأمريكي في البحر الأبيض المتوسط .

الندفاع بن بيللا إلى التطبيق الاشتراكي ومساعدة حركات التحرر الأفريقية ، في وقت افتقرت فيه الجزائر إلى الكادر السياسي الواعي القيادي . وافتقرت أيضا إلى التنظيم الحديدي الملائم لإكمال عملية تحول اجتماعي بلا أخطار .

كل هذا أدى - رغم شعبية بن بيللا - إلى أن تتكشف المصاعب والتناقضات ... بل وتنفجر .

حسين آية أحمد ومحمد ولد الحاج يقودان تمردا ضد الحكومة في منطقة القبائل معلنين معارضتهم لتركيز السلطة في يد بن بيللا ، ومقاومتهم لتفضيل جيش الخارج عن جيش الداخل ، وتجاهل النتائج الإيجابية لتجربة الولايات أثناء القتال .

وكان حسين آية أحمد قد أدى بتصريحات جاء فيها (اننا نحارب بن بيللا لأنه أخلف كلمته مع فرنسا ، ونظامه أفسس لأنه خان الكلمة ، ونحن لا يمكننا التفاهم مع أعضاء المجلس الوطني لأنهم أجلاف ... أنهم عبارة عن جماعة من ماسحي الأحذية) .

وكان بن بيللا قد أصدر بعض القرارات بالتأميم متجاوزا اتفاقية افيان التي نصت على أن التأميمات يجب أن تكون نتيجة مفاوضات مع فرنسا .

وأعلن بن بيللا (لا يمكننا التفاوض مع آية أحمد الذي ظهر بموقفه العدائي الذي اتخذه ضد الوحدة الوطنية ... انه رجل مفاسد قاذف اغراضه الشخصية إلى عدد من التناقضات) .

وكان السفير المصري على خشبة من أنصار فكرة أن بن بيللا قد تجاوز حدوده في الاندفاع السياسي والشخصي وأنه يجب بذل كافة الجهود لحشد كل الطاقات الثورية .

ومع ذلك كانت مصر تساند بن بيللا بكل ما تملكه من طاقات سياسية وثقافية .

أثناء احتفالات أول يوليو ١٩٦٣ توجهت إلى الجزائر بعثة فنية كبيرة تضم ٤٥٠ فنانا وفنانة كتلت بركاستها وضمت المسرح القومي

واحدى فرق التليفزيون والفرقة القومية للفنسون الشعبية وموسمقيات الجيش العسكرية ٠٠٠ وخصصت لنا المركب (الجزائر) التي امتلات على سعتها بأعضاء البعثة .

وهناك التقى مع البعثة حشد من المطربين والمطربات اذكر منهم عبد الحليم حافظ ونجاة الصغيرة وأعد برنامج حافل تناوبت فيه الفرق تقديم عروضها في مختلف مدن الجزائر .

كان مهرجانا ثقافيا لم تشهد له الجزائر قبلا من مثيل ، ولم تسهم بمثله مصر في الاحتفال بعيد دولة عربية أخرى .

وأشترك في العيد الأول أيضا المشير عبد الحكيم عامر .

وكان واضحا من المظهر أن بن بيللا يحز شععية جارفة وأن الأمور تستقر على أساس ثوري وسوري معا ، ولكن الواقع أنه كانت هناك عدة اتجاهات للمعارضة الى جانب حسين آية أحمد .

كان هناك بعض العناصر البرجوازية والاقطاعيين الجزائريين مثل فرحات عباس ٠٠٠ وكان هناك أيضا بعض رجال الحكومة المؤقتة السابقين ومنهم بوصوف وزير التسليح الذي تمركز في المغرب وتعاون مع كل أعضاء بن بيللا حتى المخابرات المركزية الأمريكية والمخابرات الفرنسية .

ورغم ميول بن بيللا التقدمية فإن الحزب الشيوعي أيضا لم يقبل الاندماج الكامل في حزب الجبهة ، وفضل أن يكون حزبا مستقلا في إطار جبهة ٠٠٠ وكان بن بيللا قد أصدر قرارا بحله تنفيذيا لبرنامج طرابلس .

وهكذا بدأ بن بيللا خطواته الأولى في الحكم وسط تيار معارض متعدد الأهداف متشعبة الاتجاهات ، عاجز عن تكوين معارضة واضحة قادرة على إسقاط نظام تحالف المدنيين والعسكريين : بن بيللا رئيسا وهواري بومدين أصبح نائبا للرئيس .

وفي وسط هذا الجو تعرضت الجزائر لمشكلة خارجية ٠٠٠ هي مشكلة الصحراء التي ضمتها فرنسا الى الجزائر ومطالبة الملك الحسن بها وتصادم القوات المغربية والجزائرية صداما مسلحا في أكتوبر ١٩٦٣ .

كانت أنظمة الحكم في المغرب وتونس تخشى اشعاعات الثورة الجزائرية ، فتكررت التوترات مع تونس ، ووصل الأمر في المغرب الى الصدام المسلح الذي تعرض فيه الجيش الجزائري لقوة نظامية حسنة التدريب والتسليح بينما لم تكن معالم الجيش النظامي تسليحا وتدريباً

قد توافرت بعد للجيش الجزائري ، الأمر الذي دفع بن بيللا الى مطالبة جمال عبد الناصر بارسال مدرعات مصرية آلية في وقت كانت فيه حرب اليمن ما زالت مشتعلة ، ولم يتردد جمال عبد الناصر لحظة ، بل أسرع بارسال عدة كتائب مدرعة على باخرة مصرية ، وخلال عملية منضبطة اداريا أمكن للمدرعات المصرية الوصول الى الحدود الجزائرية في الوقت المناسب لحمايتها .

• وسحبت المغرب سفيرها من القاهرة .

وخلال أزمة التصادم الخارجي أسفر بعض قادة الثورة عن وجههم المعارض لبن بيللا ، فعندما طلب بن بيللا من محمد خيضر الاتصال بحسين آية أحمد لاقناعه بالكف عن موقفه الذي يعرض الجزائر كلها لخطر الأزمات الداخلية ٠٠٠ عقد محمد خيضر مؤتمرا صحفيا وجه فيه نقدا مباشرا لكثير من الأوضاع ٠٠٠ وانتهى الأمر بعزل خيضر وبيطاط وخروجهما من الجزائر ومع الأول أموال جبهة التحرير التي كان سكرتيرا لها .

وعقد أول مؤتمر عام لحزب جبهة التحرير الوطني الجزائري في الفترة من ١٦ الى ٢٦ أبريل ١٩٦٤ وتقرر فيه إعادة تكوين الحزب خلال شهرين على أن تكون العضوية لمن شارك في حرب التحرير الجزائرية أو دخل السجن أثناء حكم الاستعمار وكان ذلك شرطا ضروريا في هذه المرحلة .

والميثاق الجزائري هو مجموع النصوص التي صدق عليها المؤتمر وقد جاء فيها (ان ثورتنا كانت عند ميلادها ديموقراطية وشعبية بأوسع معاني الكلمة . ان فلاحي وعمال بلدنا باحتلالهم للأرض والمعامل الشاغرة قد خلقوا القواعد الموضوعية للاشتراكية في الجزائر) .

ووجه ميثاق الجزائر وجهها الى المشرق العربي الذي فرض الاستعمار الفرنسي عزلتها عنه اذ جاء فيه (ان تطور حركة التحرير لم يجر في دائرة مغلقة فنظريات التجديد الاسلامي التي نادى بها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وفكرة الوحدة العربية التي حملها شكيب أرسلان ، والأفكار الاشتراكية كانت لها أصداء بعيدة في الجزائر) .

وخلال الاحتفال بالعيد الأول للاستقلال خطب بن بيللا قائلا (التعريب أساس الاشتراكية) .

ووضعت العلاقة بين الحزب والجيش على مائدة البحث في المؤتمر .

كانت المناقشة التي دارت حول طبيعة الجيش الجزائري وتكوينه في ذلك الوقت تنبئ عن وجود خلافات داخل كواليس المؤتمر .

وبرزت تناقضات جديدة داخل جهاز القيادة إذ أخذ بعض اليساريين -الغريبيين من بن بيللا موقف التشكيك في أسلوب بومدين الذي نهج - على حد تعبيرهم - الى تحويل جيش التحرير الى جيش من المحترفين البعيدين عن التكوين الثوري والالتزام السياسي بعيدا في صورته عما كان عليه خلال الثورة يأخذ كثيرا من -المراكز القيادية فيه ضباط نشأوا في الجيش الفرنسي وانطبغوا بالروح العسكرية الاستعمارية ويأخذ منه الجنود والضباط مرتبات عالية اذا قورنت بمستوى دخل الفلاح أو العامل الجزائري .

وفي ايجاز كان انصار هذا الاتجاه يعتقدون أن الجيش لا يؤدي دورة الثوري وإنما يجمد في حدود كلاسنيكية تحوله مع الوقت الى قوة بوليسية في يد النظام .

وفي مواجهة هذا الاتجاه كان يقف هواري بومدين وقادة الجيش الذين يؤمنون بأن الجيش هو الثورة الوحيدة التي حافظت على بقائها الثوري بعد تطهيرها من جنود ١٩ مارس ومن الانتهازيين والمغامرين ، وبعد توحيد جيوش الداخل والخارج .

قال بومدين (لقد منحني الثورة مسئولية إعادة بناء الجيش وحققنا ذلك بأكثر الناس قدرة على هذا العمل ، ومن الطبيعي أن أفضل العمل مع جزائريين مهما كان التحاقهم بالثورة متأخرا عن العمل مع خبراء أجانب) .

وانتهى هذا الحوار الجاف الى تضاعف الاحتاساس بعدم الثقة بين الجانبين .

وزاد هذا الاحتاساس عندما تقرر انشاء (مليشيا شعبية) بجانب الجيش ولا تتبع قيادته ولما تتبع الحزب .

وكان هذا سوء تقدير من بن بيللا الذي أراد أن يدخل الجيش طرفا في لعبة التوازن السياسي ، وهو ما يتنافر تماما مع طبيعة الجيش المسلح .

وانتهى المؤتمر الى اقرار تسييس الجيش وتحويله الى منظمة سياسية ثورية ، وهو ما يتناسب نظريا وينبع من واقع الجيش الجزائري وأسس تكوينه وارتباط حركته بالنضال الثوري في حرب التحرير .

وشكلت في الجيش دائرة سياسية ، كما ضمت اللجنة المركزية وزير الدفاع ورئيس الأركان وعددا من القادة .

وخطت الثورة الجزائرية بذلك خطوة أكثر تقدمية من مصر ٥٥ إذ أنه رغم أن الميثاق المصري قد نص على ادخال الجيش والشرطة والقضاء داخل التنظيم السياسي (الاتحاد الاشتراكي العربي) إلا أن ذلك لم ينفذ مطلقا ٥٥ وظل الجيش المصري في عزله سندا وحصنا لقيادة الثورة وبعيدا عن حيوية التفاعل السياسي وما قد يحمله من اهتزازات أو أخطار (انظر الجزء الثاني) - مجتمع جمال عبد الناصر - الباب الثاني .

وحاول بن بيللا أن يعيد الهدوء في الجزائر بتعيين الكولونيل مجاهد شعبان عضوا في المكتب السياسي وعضوا في رئاسة الأركان رغم عدم موافقة بومدين ، ولكن شعبان رفض مغادرة الأوراس وواصل المقاومة حتى اعتقل في يونيو وأعدم في سبتمبر ١٩٦٤ .

والى جانب هذا التناقض الرئيسي في علاقة بن بيللا مع الجيش ، كانت هناك تناقضات فرعية أخرى قد نشأت بينه وبين بعض اليساريين الذين تعرضوا لهجوم بعض المقربين شخصيا من بن بيللا مثل عبد الرحمن الشريف وزير الدولة وبوريسه الصافي وزير العمل ٥٥ الأمر الذي دفع حسين زهران عضو المكتب السياسي الى رفض مقابلة وفد الاتحاد الاشتراكي العراقي في القاهرة ، رغم اتصال على خشبة سفير مصر في الجزائر مع بن بيللا وأبلاغه الأزمة التي نشبت في القاهرة ، ومنعت المحادثات من أن تكون ثلاثية بين مصر والجزائر والعراق واستمرت المحادثات ثنائية فقط بين مصر والجزائر .

ومع ذلك كانت الجزائر تستعد في يونيو ١٩٦٥ لاستقبال المؤتمر الثاني لتضامن الشعوب الآسيوية الأفريقية امتدادا لمؤتمر باندونج الذي عقد في ١٨ أبريل ١٩٥٥ .

كانت دول مؤتمر باندونج ٢٩ دولة منها ٦ فقط من أفريقيا ، أما دول مؤتمر الجزائر فكان مفروضا أن تصل الى ٦٥ دولة حصلت على استقلالها خلال السنوات العشر السابقة .

ولكن تغييرات هامة كانت قد حدثت في الجانب المقابل أيضا ، إذ دبت المنازعات بين دول كولمبو الخمس التي دعت الى باندونج وهي الهند وباكستان وأندونيسيا وسيلان وبورما ٥٥ ودبت بينها المنازعات خاصة حول كشمير .

وظهرت دول عدم الانحياز كقوة مترابطة تعمل من أجل السلام وهي الدول التي لا ترتبط بأحلاف مع الغرب أو الشرق والتي تشكل ركيزة كبرى في مؤتمر التضامن .. التي تعرض بعضها لنكسات رجعية مثل سيلان . وعانى البعض الآخر من خلافات حادة مثل الهند والصين ، وتعرض البعض الثالث لضغوط مؤامرات استعمارية مثل اندونيسيا التي انسحبت من الأمم المتحدة واقتربت من الصين واعترضت على حضور ماليزيا للمؤتمر مهددة بالانسحاب منه .

وفوق ذلك كان يخيم على جو المؤتمر المرتقب النزاع الصيني السوفيتي الذي كان يتسرب في ذلك الوقت الى كافة الاجتماعات ومختلف المنابر المفتوحة أو القاعات المغلقة .

واقترب موعد انعقاد المؤتمر .. ووصل شوان لاي الى القاهرة في محادثات تمهيدية مع جمال عبده الناصر الذي قام بإجراء عدد كبير من الاتصالات لانجاح المؤتمر الذي كان مقررا أن ينعقد يوم ٢٤ يونيو ١٩٦٥ .

وتلحق ١٢٠٠ صحفي من مختلف أنحاء العالم الى الجزائر ليشهدوا المؤتمر الذي يضم ممثلين عن أكثر من نصف سكان العالم ، والذي يشكل أكبر تجمع تاريخي كان مفروضا أن يسانه قضايا التحرر والتقدم الاجتماعي .

وفجأة حدث في الجزائر شيء مثير ، أدى الى تأجيل المؤتمر الكبير الى ٥ نوفمبر ١٩٦٥ .

سقوط بن بيللا :

كانت الساعة الثانية والنصف من صباح السبت ١٩ يونيو ١٩٦٥ عندما هجمت مجموعة مكونة من العقيد طاهر الزبيري والكونوليل سليمان هوفمان وأحمد داريا على رئيس الدولة أحمد بن بيللا في منزله المواجه لقصر الشعب في فيللا جولي حيث استقبلني مع ناصر الدين النشاشيبي في يوليو ١٩٦٣ وجلسنا نجرى معه الحديث .

تحرك الجيش الجزائري في هذه الليلة ليفرض ارادته بانقلاب عسكري .

المقاومة كانت محدودة تماما .. بضخ طلقات من الرصاص .. واستسلام سريع لاحد أقسام شرطة العاصمة .. وأناشيد عسكرية في الاذاعة .. ثم البيان رقم ١ في حوالي الساعة والنصف صباحا .

هوارى بومدين رئيسا لمجلس قيادة الثورة .. وتشكيل جديد لمجلس القيادة ومجلس الوزراء .

اعتقل مع بن بيللا مجموعة من أقرب أصدقائه .. وخلت الجزائر من أية معارضة واضحة للثلاثاء .. والحزب (جبهة التحرير) لم يتحرك لاعتقال سكرتيره العام .. مظاهرات طلابية قليلة ثم انتهى الأمر .

وصلت التناقضات بين بن بيللا والعسكريين الى ذروتها .. واخفقت فكرة ادخال الجيش طرفا في لعبة التوازن .

وكان بن بيللا قد أعلن قبل اعتقاله بأيام قليلة في خطاب بوهرا ان (جرت اتصالات فعلا وقررت العناصر التي تسمى نفسها جبهة القوات الاشتراكية أن تكف عن كل نشاط) .. وكان هذا في مضمونه يعنى مزيدا من التعاون والارتباط العناصر اليسارية والاتجاه التقدمي داخل حزب جبهة التحرير .

كما أن بيللا كان قد أسفر عن موقفه في مواجهة مجموعة الضباط المقربين من نائب رئيس الجمهورية ووزير الدفاع هوارى بومدين .. وانتهاز فرصة وجود بومدين في موسكو لعقد صفقة أسلحة وعين طاهر الزيرى رئيسا للأركان .. ولكن بومدين استطاع بشخصيته ونفوذه أن يجعل كل المسئوليات للآخرين ضامرة .

وقال بومدين أن بن بيللا كان يحاول تشويه وجه الجيش عندما طلب من بومدين محاصرة حسين آية أحمد وقتله مثل الكلب .

ولكن بومدين الذي تمكنت قواته من تنفيذ ذلك رفض قتل حسين آية أحمد وحمله الى بن بيللا ثم فوجئ به يعفى عنه .. وكأنما القتل للجيش والعفو للرئيس وحده .

وكان بن بيللا يسعى الى قص أجنحة بومدين بعزل أنصاره ، فاقال صديقه ضابط الجيش السابق أحمد مدعزي من وزارة الداخلية في يوليو ١٩٦٤ ، كما أقال قائد أحمد من وزارة السياحة وهو زميل بومدين في الجيش منذ البداية ، ويقول هارويتز في كتابه (ابعاد العسكرية لسياسة الشرق الاوسط) ان بن بيللا حاول اخراج عبد العزيز بوتفليقة من وزارة الخارجية في ربيع ١٩٦٥ وهو ضابط سابق في الجيش أيضا ولكن بومدين وقادة الجيش اعترضوا ورضخ بن بيللا .

عندما هرعت الى الجزائر بعد الحركة العسكرية يوم ١٩ يونيو علمت من على كافي سفير الجزائر السابق في القاهرة وقائه ولاية قسنطينة أثناء

حرب التحرير، أن عبد العزيز بوتفليقة كان قد دعا سفره الجزائر في الخارج في شهر مايو استعدادا لمؤتمر التضامن الآسيوي الأفريقي وطلب من بن بيللا حضور حفل افتتاح المؤتمر ولكن بن بيللا اعتذر عن عدم الحضور لارتباطه برحلة الى عناية .

وتحدد يوم ٢٤ مايو موعدا لانهاء المؤتمر وطلب بوتفليقة من بن بيللا حضور الاجتماع الأخير للسفراء الذي قرر عقده في نادي الضباط بضاحية مدارك على مسافة ١٤ كيلو من الجزائر ، ثم يتناولون العشاء . وتجمع ٤٢ سفيرا ولكن بن بيللا يحضر وطلب منهم الحضور لتناول العشاء في قصر الشعب .

ويقول علي كافي أن بوتفليقة يشعر أن ذلك اهالة شخصية توجه له باعتبارهم وزيرا للخارجية ، ويقول أيضا أنهم عندما ذهبوا الى قصر الشعب رفض بن بيللا مصافحته شخصيا قائلا له (اننى لم أدعك . . لقد دعوت السفر فقط . . وانت لست سفيرا) .

وانسحب علي كافي من غرفة المائدة ، وخرج من قصر الشعب دون أن يودعه أحد من الحاضرين كما يقول .

وفي الليل كان يزوره هواري بومدين وعبد العزيز بوتفليقة وآخرون . . ويقول أنهم أبدوا أسفهم لما حدث دون أي ضربة . . وأعلن علي كافي أنه مستقيل من منصبه سفيرا بلنابان .

وهكذا كانت حوادث الصدام بين بن بيللا ومجموعة العسكريين قد تجاوزت حدود الجدران المغلقة ، وأصبحت حديث المجلس .

ولم يعد هناك من سبيل أمام بومدين ورفاقه الا الاطاحة بأحمد بن بيللا المدني الذي حاول أن يدخل الجيش طرفا في لعبة التوازن السياسية ، دون أن يركز اعتماده عليه كاملا كما فعل جمال عبد الناصر .

حقيقة الانقلاب :

. . لا شك أن طواهر الأمر كانت تدفع الى احاطة انقلاب ١٩ يونيو بظباب من الشبهات . . فلم تكن أبعاد الخلافات ودرجة عمقها معروفة تماما لدى الكثيرين .

وتأجيل مؤتمر التضامن الآسيوي الأفريقي الى أجل بعيد كان في ذاته يعطي مؤشرا سلبيا للانقلاب .

كما أن المجموعة التي بزغت فوق السطح لم تكن معروفة بالحماس الشديد للاشتراكية والتقدم الاجتماعي مثل قايد أحمد وشريف بلقاسم ، وأحمد مدعزي .

وجرست أثناء وجودي في الجزائر خلال الأيام الأولى بعد حركة ١٩ يونيو أن أتبين حقيقة الموقف ، وأتعرّف على الطريق الجديد . وقال لي بومدين ردا على ما أثير من اتهام العهد الجديد بأنه عسكري ورجعي (انهم ينعنون بذلك أناسا ربما كانت جريمتهم الوحيدة أنهم رفعوا السلاح ... ورفعوه في وقت كان فيه الناس لا يؤمنون بمستقبل هذا الشعب وبمصير هذه الأمة .. وأن الجزائر ليست بلده الانقلابات ، هناك أناس يقولون أنها عسكرية .. ونحن نقول أنها حركة مناضلين .. ليس ثمة عسكريون .. ولا مناضل عسكري ومناضل فقط .. بل هناك مناضلون يؤمنون بعقيدة ثورية وبمصير ومستقبل بلادهم الاشتراكي) .

وكلمات بومدين تفسر فعلا التكوين الخاص لجيش الجزائر الذي لم يبدأ من طريق الاحتراف خلال قانون خاص للتجنيد ولم يتخرج معظم قادته في مدارس عسكرية .. ولكن لمعظمهم مهن أخرى ، حتى بومدين تخرج في الأزهر الشريف .

ولكن هذا الجيش بدأ مع النضال الثوري وخلال معركة التحرير ورتب القادة منحت لهم خلال القتال .. الأمر الذي فرض على صفوفه نوعا من الحركة السياسية التي تنسج بين وجوده وأهدافه .

ورغم أن حركة ١٩ يونيو قد تمت من الوجهة الظاهرية بأسلوب الانقلابات العسكرية إلا أنها لا تمثل انتقاضا على النظام لهدمه ، ولا تمثل امتدادا للتقديم بكل مظاهره .

... وإذا كان اتجاه بن بيللا إلى الاشتراكية كان طموحا ومندفعاً فإن بومدين لا يتخلل لحظة عن محاولة التطبيق الاشتراكي ولكنه يتعرض على بعض هؤلاء اليساريين الذين هرعوا إلى الجزائر وأحاطوا بن بيللا ويقول عنهم : دخل في بلادنا أناس أرادوا أن يضيعوا أنفسهم في مكانة المرشدين .. فقبلوا في بلاد أخرى ، وأرادوا أن يقوموا بتجارب جديدة في بلادنا .. وأبناء الجزائر ليسوا في حاجة إلى مرشدين أجانب ليعطوا دروسا عن كيفية بناء الاشتراكية أو بناء المجتمع الجديد ، وغادر الجزائر لطف الله سليمان إلى باريس ليستقر هناك ، وعاد على الشلقاني إلى القاهرة .

ثورة يوليو ج ١ - ١٠٢٥

ويؤكد بومدين عمق جذور الفكر الاشتراكي في الجزائري فيقول
« القصد من اثاره الحديث عن معاداة الاشتراكية هو فصل الثورة عن
ماضيها لأن ثورتنا لم تخلق بعد الاستقلال .. هذا الخط الاشتراكي ،
وهذه الثورة جاءت نتيجة لتضحيات جبارة »

ويتأكد اتجاه بومدين منذ اليوم الأول عندما يقول لرجال الدرك
(الشرطة) « يجب أن تكونوا في خدمة الشعب وحده .. ودائما في
خدمة الثورة الاشتراكية والثورة الاشتراكية وحدها » .

وتبقى الحقيقة التي فجرتها حركة ١٩ يوليو ١٩٦٥ وهي أن حزب
جبهة التحرير الجزائري كان حزبا من ورق ، لا تصدق عليه كلمات
اللافتة الكبيرة التي ارتفعت على النفق الكبير في شارع محمد الخامس
وتقول : (حزب جبهة التحرير هو قائد الشعب) .

التنافس بين الحزب والجيش أصبح موضوعا رئيسيا .

وميثاق الجزائر يقول : (الجيش الوطني الشعبي هو أحد أدوات
الدفاع عن الثورة ، ومكاسبها لا يمكن الدفاع عنها إذا لم توجد قوة قادرة
على ذلك .. ان الجيش الوطني هو اداة في خدمة الشعب ورحن اشارة
الحكومة وهو قبل كل شيء مدرسة المواطن والمناضل .. والحزب مسئول
عن التوعية السياسية للجيش) .

القيادة اذا للحزب .. ورئيس الحزب هو رئيس الدولة ، والتوعية
السياسية للجيش مسئول عنها الحزب .. والمكتب السياسي للحزب
يراقب العمل السياسي داخل الجيش .

الملائمة والوضوح :

ولكن الجيش في اقضاء بن بيللا انفراد بالخذ الاجراء .. ووضع
الجميع امام الامر الواقع .

ومع ذلك لم تكن هناك معارضة واضحة للاجراء كما ذكرت ..
المليية المكتب السياسي كانت تؤيد بومدين ، وأقلية طالبت بعرض
الموضوع من جديد على قيادات الحزب .. وكان ذلك طبيعيا فتشكيل
المكتب السياسي كان من ٨ وزراء وتسعة من الجيش .

ولكنه لم يكن ممكنا للجيش أن يعود بحركته العسكرية خطوة
الى الوراء .

وبومدين أعلن في بيانه الذي أذيع يوم عيد الاستقلال أول مايو
أن مجلس الثورة أصبح السلطة العليا في البلاد .

بعد السقوط :

كانت حركة ١٩ يونيو مفاجأة غير سعيدة لجمال عبد الناصر ، فقد أصبح صديقه الوفى احمد بن بيللا معتقلا مرة أخرى بعد أن كان زعيما مرموقا .

لم يكن جمال عبد الناصر متوقفا هذا الاجراء الخشن رغم علمه باخطاء صديقه من تقارير السفير على خشبة ٠٠ ولذا بادر بإيفاد المشير عبد الحكيم عامر الى الجزائر فى اليوم الاول ومعه محمد حسنين هيكل لمقابلة هواري بومدين .

وأسرع هواري بومدين من جهته بإيفاد عبد العزيز بوتفليقة الى القاهرة لتوضيح الموقف .

وكانت قد صاحبت الحركة العسكرية بعض الاجراءات التى دفعت الى توتر الموقف بين القاهرة والجزائر ٠٠ فقبضت تعرضت سيارة وزير الخارجية محمود رياض والسفير المصرى الى التفتيش أثناء مرورها فى شوارع العاصمة .

وطيرت وكالات الانباء الغربية الخبر مستهدفة اثارة الخلاف والتناقض عندما روت أنهما تعرضا للاعتقال والاستجواب ٠٠ ثم تبين أن الأمر لم يكن يعمدى اجراء روتينيا قام به جندي صغير ٠٠ وأن الوزير المصرى لم يقدم احتجاجا رسميا لأنه لم يعتقل كما نشرت وكالات الانباء ولم يستجوب ٠٠ وان مثل هذا الاجراء قد اتخذ مع عدد من وزراء الخارجية وسفراء الدول المختلفة الذين اجتمعوا فى الجزائر للتضير لمؤتمر تضامنا للشعوب الآسيوية الافريقية .

وانفجرت قنبلة فى نادي الصنوبر ، حيث كان مقررا أن ينعقد مؤتمر التضامن .

وكان رد الفعل السريع ، هو اعتقال عدد من المهندسين المصريين الذين يعملون فى مقر المؤتمر ٠٠ وبعد التحقيق ثبت أن الكافتيريا التى تم فيها الانفجار قد إنتهى العمل فيها ، و سلمت للسلطات الجزائرية ، ولم يعد يدخلها المصريون .

وأصدر هواري بومدين قرارا بالإفراج عن المهندسين المصريين بعد ساعات من صدور أمر الاعتقال .

وسميت اشاعة بأن الحكم الجديد متحفظ من جهة المصريين ٠٠ وأعلن جمال عبد الناصر استعداده الفوري لاستدعاء كل المصريين اذا

طلبت السلطات الجزائرية ذلك .. ولكن هواي بومدين أعلن تمسكه ببقاء المصريين في مواقع عملهم .

وساعد على اشتغال الحساسية ما كتبه محمد حسنين هيكل في جريدة الأهرام عقب عودته مع المشير عامر .

ويشابه هذا الموقف ما سبق أن حدث في السودان وسبق شرحه بعد ثورة ٢٤ أكتوبر كرد فعل على مقال محمد حسنين هيكل .

ولكن الأمور لم تتطور إلى الأسوأ حرصاً من جمال عبد الناصر وهواي بومدين على العلاقة الطيبة بين البلدين .

وهواي بومدين أحد رواد توثيق العلاقة مع المشرق العربي منذ كان في بيت المغرب في مصر ، وسافر إلى الجزائر مناضلاً في صفوف الجيش ، ومستقبلاً لأسلحة مصر .

وقد لعب عبد المجيد فريد سكرتير رئاسة الجمهورية في مصر دوراً ملموساً في عدم تدهور الموقف .. إذ تصادف وجوده في الجزائر موفداً لترتيب وإعداد قصر الأمم لاستقبال وفود مؤتمر التضامن الآسيوي الأفريقي وذلك لخبرة مصر السابقة في عقد المؤتمرات وفوجي بحركة ١٩ يونيو .

أسرع عبد المجيد فريد في الصباح الباكر فور علمه إلى بعض الذين تربطهم به علاقات صداقة من الوزراء وقادة حزب جبهة التحرير ، ولكنه لم يجيد عند أحد منهم أية مباداة للمقاومة ، وثبت لديه أن الحزب كان تنظيمياً شكلياً من ورق ..

وبادر بإرسال برقية إلى جمال عبد الناصر يبلغه فيها بحقيقة الموقف ويبيته ، بأن الانقلاب قد أصبح واقعة لا سبيل لتغييرها .

وجاء الرد من عبد الناصر يطالبه بأن يبلغ ذلك للمشير عبد الحكيم عامر قبل مقابلته لهواي بومدين .

وصعد عبد المجيد فريد إلى الطائرة حيث أبلغ المشير بما عنده من معلومات وأوضح له صورة الموقف .. الأمر الذي جعل اللقاء بين عامر وبومدين ودياً وهادئاً .

وقد حاولت كل من الحكومة التونسية والحكومة السورية في ذلك الوقت رغم اختلاف ميولهما الإبقاء بين القاهرة والجزائر ، وحاولوا تصوير الموقف كما لو أن سقوط بن بيللا هو سقوط كسياسة القاهرة ، متجاهلين الظروف الموضوعية لثورة الجزائر ، وطبيعة القادة الجدد .

وإذا كان قد أمكن تفادي تفجر الخلاف بين البلدين ، فإن حملة حارقة ضد الشيوعية قد أخذت اندفاعها نتيجة معارضة اتجاهات بن بيللا وتعاونه مع بعض العناصر الشيوعية .

واعتقل في سبتمبر ١٩٦٥ بشير الحاج على سكرتير الحزب الشيوعي الجزائري وعدد من رفاقه أثناء زيارة (قايد أحمد) للولايات المتحدة الأمريكية التي بدأت بحكومتها تقرب من الجزائر بعد موقفها المعارض لأحمد بن بيللا نتيجة زيارته لكوبا عام ١٩٦٤ ، وتأييده القوى لجمهورية فيتنام الديمقراطية وجبهة جنوب فيتنام ، الأمر الذي ظهر في تأييد أمريكا للمغرب أثناء حوادث الحدود ، واحكامها عن تقديم مساعدات اقتصادية .

وتعرضت حركات التحرر الأفريقية التي تجمعت في الجزائر خلال عهد بن بيللا ومنجبت كل التأييد والتشجيع المادي والأدبي ، إلى بعض المضايقات .

وانعكس ذلك في موقف بعض الدول الأفريقية المتحررة (غانا وغينيا وتوغانيا ومالي) التي دافعت عن بن بيللا ، وهاجمت النظام الجديد .

واستنكر نكروما وسيكوتوري أثناء مقابلتهما لعبد العزيز بوتفليقة عندما زار البلدين في يوليو ١٩٦٥ أسلوب الإطاحة بأحمد بن بيللا وزاد تأثير العلاقات مع غانا نتيجة الخلاف على موعد عقد مؤتمر أكرا للدول الأفريقية واحساس الجزائر بتعارض الموعد المحدد مع موعد عقد مؤتمر تضامن الدول الأفريقية والأميبوية بالجزائر .

وعندما أسقط الانقلاب العسكري في غانا نظام نكروما أثناء زيارته للصين ، ولجأه بعد ذلك إلى غينيا صرح بومدين قائلا (في هذه الظروف الدقيقة التي تعيشها أفريقيا ، وفي هذا الجو السياسي المضطرب ، وفي هذه المرحلة التي نشاهد فيها الاستعمار قائما بهجوم كبير ، يسرفني أن أعرب لكم عن فرحنا وسرورنا من أن قلب الثورة الأفريقية - وليس هذا من باب الافتخار لثورتنا وإنما هي حقيقة تاريخية - يواصل نبضاته أكثر من ذي قبل ونستطيع كذلك أن نفتخر بأن نقول بأننا لم نخطئ في تحليلنا التاريخي لحركة التمانع عشر من يونيو الذي وضعنا فيه حدا لربط مضير الثورة الجزائرية بشخص ، وقد جاءت الأحداث الدولية مؤكدة صحة ما قلناه ، ومؤكدة كذلك التحليل الذي قدمناه في ١٩ يونيو الذي نعتبر من وجهة نظرنا وجهة نظر مجلس الثورة رجوعا إلى أصل الثورة الشعبية التي لا تربط مصيرها بمصير شخص ، فالثورة الشعبية

لابد أن تثق بطاقتها النضالية ، وبوعى أطاراتها وإيمان جماهيرها الكادحة ، وهذا على عكس الثورات السطحية التي بنيت على أشخاص ، والتي لم تتجاوز في أبعادها حدود السفارات وخطب المهرجانات ، والتهريج والتدجيل ، ولنا مثال مؤلم على ذلك هو غانا ، فقد كانت غانا بالأمس القريب فقط تعد من الدول الثورية ، ومن الدول التقدمية والتحررية ، وإذا بكل ما قيل منذ سنوات طويلة عن غانا يتبخر بين عشية وضحاها ، وأصبحت الصحافة الدولية وإذاعات العالم تردد نهاية الثورة ، ونهاية النظام الاشتراكي في غانا ٠٠٠ لهذا انتهت الثورة بنهاية نكروما) .

هكذا كان بومدين يدافع عن حركته ضد بن بيللا ، مفسرا أنها حركة نابعة من ضمير شعب الجزائر ، منجزة عن ثورته ، مستهدفة تحقيق الاستقلال الوطني والتقدم الاجتماعي ٠٠٠ دون ارتباط كل خيوط المصير بيد فرد واحد مهما كانت شخصيته .

كان هجوم بومدين على نكروما صورة من صور ردود الفعل التي نتجت عن موقف بعض الدول الأفريقية ضد حركته في تسرع ودون دراسة عميقة واعية لظروف الجزائر في ذلك الوقت .

كان جمال عبد الناصر أكثر إدراكاً ووعياً بحركة التاريخ وتفهما لطبيعة هواري بومدين وطبيعة الثورة الجزائرية عن غيره من زعماء أفريقيا . واستطاع أن يكبت عواطفه تجاه صديقه أحمد بن بيللا الذي ضمن وعدا من بومدين بالمحافظة على حياته ، وأن يرتفع بموقفه السياسي إلى مستوى الواقع والحقيقة فوق العواطف .

وأثبتت الأحداث والمواقف بعد ذلك أن حركة ١٩ يونيو كانت استمرارا لثورة الجزائر وأنها تفجرت ضد أفراد بن بيللا بالسلطة وأسلوبه الشخصي في السيطرة عليها .

وجه جديد :

تشكل مجلس لقيادة الثورة من ٢٦ عضوا برئاسة هواري بومدين ضم عددا من القادة العسكريين للجيش والولايات سابقا يمثلون جميع المناطق الجغرافية في الجزائر .

وتشكل مجلس الوزراء من ٢٠ عضوا برئاسة هواري بومدين أيضا ، وعاد أحمد مدعزي الذي عزله بن بيللا وزيرا للداخلية .

كان الجميع تجمعهم رغبة الاطاحة بأحمد بن بيللا ٠٠٠ أما بينهم فكانت توجد تناقضات أخرى نابعة من طبيعة الثورة ، وتباين الخلفيات في ظهور مجموعتين ، الأولى عرفت باسم مجموعة (أوجدا) البلدة المغربية التي احتشد فيها جيش التحرير الجزائري وتضم عبد العزيز بوتفليقة . شريف بلقاسم ، قايد أحمد ، أحمد مدعزي ، وعبد السلام بولعيد وغيرهم ، وهم من الذين كانوا يهدقون الى دعم سلطة الضباط عموما ، ومحاولة دفع الضباط الذين خدموا في الجيش الفرنسي بحجة الخبرة ، مع الوقوف في وجه محاولات بناء وتنشيط الحزب ، وسحب الجزائر الى المغرب العربي فقط ، واتخاذ مواقف محافظة بالنسبة لحركات التحرر الافريقية والدول الاشتراكية ، مع السعي لتحسين العلاقات مع المغرب .

أما المجموعة الثانية فكانت تعرف باسم مجموعة الشرق أو الأوراس وتضم العقيد طاهر الزيرى وسعيد عبيد وصوت العرب وعبد العزيز تدرداني وغيرهم من الضباط الذين نشأوا ن طبقة الفلاحين وفاضلوا في الداخل ، وكانت نظرتهم أكثر تقدمية من المجموعة السابقة .

وكان بومدين أقرب فكريا واتجاها الى المجموعة الثانية وغم أنه كان قائدا على المجموعة الأولى ٠٠٠ ولكن هذا التصنيف لم يدفع بومدين الى تصفية أحد الاتجاهين حرصا منه على عدم تكرار أخطاء بن بيللا ، ورغبته في دفع الأمور الى غايتها بوسائل طبيعية .

ووقف بومدين صلبا في وجه محاولات الهجوم على الاشتراكية .

قال بومدين (كثرت في الأشهر الأخيرة الدعايات التي كانت تهدف الى خلق البلبلة في النفوس ، لقد ادعى مروجو تلك الحملات بأن السلطة ستوقف عن السير في الطريق الاشتراكي ، وأن الاملاك ستعاد الى أصحابها - وأنا أقول بإيجاز ، في هذا البلد سوف تتحقق العدالة المطلقة ، وسننتصر في هذه المرحلة الثورية الجديدة من مراحل بناء الاشتراكية) .

وواصل بومدين تفسيره قائلا (نبتت الفكرة الاشتراكية أثناء الكفاح ومن أجلها قدمت الجزائر مليوناً ونصف مليون شهيد ٠٠٠ ان الجزائر لم تقدم هذا الثمن الباهظ من أجل الهتاف باسم شخص ، ولا من أجل أن يرتفع العلم فقط ، لقد تجاوزت فكرة الكفاح من أجل الاستقلال عند العامل والفلاح الى فكرة الكفاح من أجل الاشتراكية) .

وحسم بومدين قضية استمرار التفسير الذاتي قائلا (ان نظام التفسير الذاتي ملك للشعب والشهداء بوصفه الطريق الذي اخترناه

لتحقيق الهدف الاجتماعي من الكفاح المسلح والذي يتمثل في الاستيلاء على ثروات البلاد .

وأعلن في أغسطس ١٩٦٦ مشروعا للإصلاح الزراعي يصل بالثروة الى أعماق البلاد بعيدا عن الشريط الساحلي .

وأصدر مجلس الثورة قرارا بتأميم الثروة المنجمية للجزائر وتلاها بتأميم شركات التأمين كلها ، كما بدأ في إعداد خطط للتنمية ، وإعلان الحرب على السرقات والاختلاسات ومضادة قيم وتطلعات البرجوازية في قيادات الدولة والحزب ، وقرر في ٢١ يونيو ١٩٦٦ تكوين محاكم خاصة للجزائر الاقتصادية .

واسترجعت الجزائر موقعها التقدمي في الوطن العربي فتصدت للحلف الاسلامي وشاركت بدور بارز في الخطوات الرامية لتحقيق وحدة القوى الوطنية والتقدمية في الوطن العربي .

ودعاه هواري بومدين الى ندوة الاشتراكيين العرب في مايو ١٩٦٧ والتي حضرها لأول مرة ممثلون لمختلف الاحزاب والتنظيمات السياسية التي تعتنق الاشتراكية .

واجتمع في نادي الصنوبر بالجزائر ممثلون للاتحاد الاشتراكي العربي بنصر وحزب البعث في سوريا والاحزاب القومية بالمراق والاحزاب التقدمية في لبنان والاحزاب الشيوعية في السودان ولبنان والأردن الى جانب ممثل القوى والاحزاب الاشتراكية في مختلف الدول العربية ، وعدد من الشخصيات .

مثل مصر في هذه الندوة كمال الدين رفعت والدكتور لبيب شقير ولطفي الخولي والدكتور عبد العزيز الأهواني وكامل زهيرى وكاتب هذه السطور .

ومثل الحزب الشيوعي السوداني الشهيد المناضل عبد الخالق محجوب ومحمد ابراهيم نقد ودكتور عز الدين علي عامر وفاروق أبو عيسى وطاهر عبد الباسط ومثل القومي الاشتراكي أمين الشبل ومحمد سليمان . وحضر فؤاد نصار سكرتير الحزب الشيوعي الأردني ومثل الحزب الشيوعي اللبناني نيقولا شاوي .

ونجحت الندوة التي افتتحها هواري بومدين ورأسها عبد العزيز بوتفليقة الذي لعب دورا نشطا في تقريب وجهات النظر التي استقرت على أن تكون هذه الندوة بداية ونقطة انطلاق لندوات ومؤتمرات أخرى .

وفي مجال العلاقات الافريقية ، فتحت الجزائر أبوابها لحركات التحرر الافريقية وساعدتها مساعدات هائلة ، وأعادت علاقاتها مع حكومة غينيا وحزبها الحاكم ، وسافر وفد جزائري الى غينيا حيث قابل سيكوتوري ، وزار نكروما وكان في ذلك طي لصفحة الخلاف التي بدأت بعد ١٩ يونيو ، وأشير الى ذلك بوضوح في البيان الصادر عقب انتهاء الزيارة .

وعادت العلاقات الطبيعية بين الجزائر والبلاد الاشتراكية ، وزار هواري بومدين الاتحاد السوفيتي ويوغوسلافيا ، وتجددت العلاقات بين جبهة التحرير ، وأحزاب الدول الاشتراكية . واستقرت العلاقات بين مصر والجزائر خلال هذه الفترة على أسس راسخة من التعاون الوثيق ، تماما كما كانت الحال في الماضي منذ أطلقت الرصاصة الأولى ضد المستعمرين الفرنسيين في فاتح نوفمبر ١٩٥٤ .

وأخيرا ٠٠٠ كان العدوان على مصر في ٥ يونيو ١٩٦٧ بمعد أيام قليلة من انعقاد ندوة الاشتراكيين العرب في الجزائر . وأدت الجزائر دورا مجيدا في التعاون العربي يظهر على صفحات الجزء الرابع (خريف عبد الناصر) .

الباب السابع

● الأردن ...

(الموقف ملء بالاحتمالات ،
ولكن هناك احتمالا بالذات
لا نستطيع ان نسكت عليه اذا
حدث ، هذا الاحتمال هو ان يتعرض
الأردن للعنوان من اسرائيل ...
في هذه الحالة لن نتردد في التدخل
بكل امكانياتنا) .

جمال عبد الناصر
في حديث للمصحف الهندي كارنجيا
٢٩ سبتمبر ١٩٥٨

علاقة الأردن بمصر علاقة فريدة ، وصلت أحيانا الى درجة ملحوظة من الصداقة والتعاون وتنافرت أحيانا أخرى الى درجة العداء واستباحة الدعاء

وقد تداخلت في هذه العلاقة عدة عوامل ، منها الصلة العنصرية التي كانت تربط الأردن ببريطانيا منذ عهد الأمير - الملك عبد الله - ، وصلة القرابة بين الملك حسين ، وملك العراق فيصل ، والمنافسة التقليدية بين الأسرة المالكة السعودية في الحجاز وبين الأسرة المالكة الهاشمية في العراق والأردن ، وطبيعة الدولة التي جمعت بين الفلسطينيين المهاجرين والبدو ، ومحاولات الاستعمار المتكررة لفرض الأحلاف العسكرية في المنطقة .

حرص جمال عبد الناصر أثناء دخوله الحركة ضد محاولات تكوين حلف بغداد على عقد صلات مع الملوك والقادة العرب الذين قد يضيفهم الاستعمار الى حلفه المرتقب .

يقول فتحي رضوان سكرتير الحزب الوطني الجديد قبل الثورة وأول وزير للثقافة بعد الثورة إن جمال عبد الناصر قد أوفده الى الأردن مندوباً عنه لمقابلة الملك حسين ، وتبصاف أثناء وجوده هناك أن قام الإسرائيليون بغارتهم الشهيرة على غزة يوم ٢٨ فبراير ١٩٥٥

وكانت هذه الغارة قد أعقبت زهارة أنطوني إيدن لمصر بيومين وهو في طريقه من لندن كوزير للخارجية ونائبا لرئيس الوزراء تشرشل الى بانكوك عاصمة تايلاند لحضور مؤتمر منظمة حلف جنوب شرق آسيا (سياتو) .

وانعكست هذه الغارة على تفكير عبد الناصر وقرر محاربة إسرائيل بحرب عصابات من داخلها ، على أن تكون الجيوش العربية بعيدة عن هذه العمليات مع ضرورة استعدادها لأي اشتباك

وتسلل الفدائيون داخل إسرائيل من الأردن وغزة وودت إسرائيل على ذلك بإرسال طرود متهجرة الى الملحق العسكري المصري في عمان البكباشي صلاح مصطفى ، والصاغ مصطفى حافظ ضابط مخبرات غزة ولقي الشهيدان مصرعهما في يوم واحد .

وضاعف ذلك من حركة الفدائيين ، وظلت الصحف المصرية تكرر المانشيت الذي يشير الى (استمرار القتال على طول قطاع غزة) معظم أيام شهر سبتمبر ١٩٥٥ .

ويقول هارويتز في كتاب (الأبعاد العسكرية والسياسية في الشرق الأوسط) أن جمال عبد الناصر قد عقد اجتماعا في أكتوبر مع الملك سعود وشكرى القوتلى وأقنعهما بمساعدة الأردن ماليا ، واعطاه تذكرة لدخول القيادة السورية المصرية المشتركة .

وكانت السعودية في ذلك الوقت مرتبطة بمصر وسوريا ، وكان الملك سعود يأخذ موقفا جافا من الأردن التي كان يسيطر عليها الضباط البريطانيون لخلافه مع بريطانيا حول واحة البوريمي .
كان جمال عبد الناصر حريصا على انقاذ الأردن من براثن الاحتلال والسيطرة البريطانية ، وكان يقدر صعوبة موقفها المادى وأهمية ارتباطها العربى .

كلف جمال عبد الناصر اثنين من أقرب الضباط الاحرار اليه حيث كانا يعملان في مكتبه ، وهما كمال رفعت وأحمد لطفى واكد بالتوجه الى الأردن في محاولة للاتصال ببقايا المحاربين والمجاهدين خلال حرب ١٩٤٨ ، وتجميعهم من أجل وحدة النضال العربى .

لم يذهب الاثنان بشخصياتهما كضباط في الجيش المصرى ، وانما ذهبا متخفين بأسماء جركية . . كمال رفعت يحمل اسم (عثبان) ، وأحمد لطفى يحمل اسم (أحمد حسن بوج) .

ويقول الاثنان أنهما عندما وصلتا الى الأردن في بداية ١٩٥٦ كانت المظاهرات قد تفجرت ضد زيارة تمبلر وكيل الخارجية البريطانية دون أن يكون لهما دور في ذلك ، وإنما كان الدور الرئيسى للشعب الأردن .
وبدأت الصلة تنمق بينهما وبين بعض السياسيين من مختلف الاتجاهات .

ويقول كمال رفعت أن هناك تساؤلات كان يصحبه في معظم المقابلات . . . يقال علنا أو همسا : لماذا يتحرك المصريون الآن ؟

وكانت محاكمات الاخوان المسلمين في مصر تترك انكاسات في بعض القوى السياسية بالوطن العربى .

ولكن مواقف جمال عبد الناصر الوطنية التي بدأت مع باندونج وعلان صفة الأسلحة ومجاداة الاجلاف العسكرية قد مهدت الطريق لعلاقات وثيقة مع القوى الوطنية وخاصة البعث والشيوعيين . . . حيث

تم أول لقاء مع ميشسيل عفلق وأكرم الحوراني من قيادة البعث وفؤاد نصار سكرتير الحزب الشيوعي الأردني ، والدكتور مصطفى أمين من سوريا ، وعزيز شريف من العراق •

ونمت الحركة الثورية داخل الأردن نمواً سريعاً بعد المظاهرات التي قامت ضد وكيل الخارجية البريطانية تمبلر •

وحدثت مفاجأة إخراج الملك حسين للجنرال جلوب من قيادة الجيش الأردني في مارس ١٩٥٦ أثناء زيارة وزير الدولة البريطاني سلوين لويدي للقاهرة •

كان الخبر مفاجأة لعبد الناصر ... ولكن سلوين لويدي اعتقد أن عبد الناصر كان يعرفه ويخفيه عنه أثناء اجتماعهما على مأائدة العشاء ، كما يروي محمد حسنين هيكل في كتابه (عبد الناصر والعالم) •

كان الضباط الأردنيون يشكلون قوة ضاغطة على الملك من أجل إخراج جلوب •

وتكونت القيادة العسكرية المشتركة بين مصر وسوريا والسعودية والأردن تحت رئاسة اللواء عبد الحكيم عامر في ٢٣ أبريل ١٩٥٦ - لم يكن عامر قد حصل بعد على رتبة المشير •

وصدر قرار بتعيين علي أبو نوار قائداً للجيش الأردني في ٢٤ مايو ١٩٥٦ ، وكان أول تصريح له بعد تعيينه هو (سنرد على اعتداءات إسرائيل بالسلاح) •

ويقول فؤاد هلال الملحق العسكري المصري الذي خلف الشهيد صلاح مصطفى أن اللواء عامر قام بزيارة الأردن في أكتوبر ١٩٥٦ كتأييد للقيادة المشتركة ، وانهم وقفوا على تبة شاهدوا منها البحر الأبيض المتوسط •

وغادر اللواء عامر عمان إلى دمشق حيث تعرضت إحدى الطائرات التي رافقته إلى هجوم إسرائيل أسقطها في البحر إلى الأبد •

يقول الملحق العسكري المصري أن طائرة المشير كانت هي المقصودة بالاعتداء ، نتيجة وجود خط تليفوني مباشر بين القاهرة ودمشق كان الضباط من مرافقي اللواء عامر يتحدثون فيه مع أسرهم عن موعد عودتهم •

ويقول أيضاً أنه كان مفروضاً أن تظهر طائرة اللواء عامر أولاً لولا أن بعض الزوار قد عطلوه في المطار فطلب من الطائرة الأخيرة القيام على أن يلحق بها ، فكان في ذلك كارثتها ونجا عبد الحكيم عامر •

وقد أدى هذا الحادث الى اتخاذ جانب السرية المطلقة بعد ذلك في تحرك القيادات بين القاهرة ودمشق ، حتى أنه بعد رحلة عبد الناصر الى موسكو عام ١٩٥٨ وعودته الى دمشق أعلن عن بقاءه عدة أيام في سوريا ، وعاد هيكل وحده في الطائرة العادية الى القاهرة .

وأخيرا قامت الطائرة السوفيتية التي كانت تقل عبد الناصر في موعد مفاجئ الى القاهرة حيث هبطت في مطار أبو صوير لتعذر استقبال مطار القاهرة لها ، وعاد عبد الناصر الى منزله بدون استقبال رسمي ، وبدون أن يعرف حرس باب منزله أنه هو الشخص الذي يدخل المنزل في سيارة عادية لأحد الضباط ركبها من مطار أبو صوير .

وكانت زيارة اللواء عامر للقيادة المشتركة في الأردن قد أعقبت هجوما إسرائيليا شديدا على قلقيلية يوم ١٠ أكتوبر ١٩٥٦ ويقول (هاروتز) في كتابه السابق ، إن الملك حسين طلب جنودا من مصر ولكن جمال عبد الناصر اعتذر عن عدم إمكانية تحقيق ذلك لتوقعه هجوما بريطانيا فرنسيا بعد تأميم القناة .

وقع هذا الهجوم خلال فترة الانتخابات التي ذهب فيها كمال رفعت وأحمد لطفي وأكد لمساعدة العناصر الوطنية .

ويقول لطفي وأكد أن جمال عبد الناصر قد استدعاه الى قصر الطاهرة يوم ٢٦ أكتوبر ١٩٥٦ حيث كان يقيم مؤقتا ، وبدأ الحديث معه بالشكوى من سكن القصور الكبيرة التي يشعر فيها بأن حركته غير طبيعية . . . ثم تحدث معه في موضوع الانتخابات الأردنية قائلا وأنه فوجئ بسماع أخبار تقول أن هناك معركة بين المخابرات المصرية التي تعمل على توحيد القوى المعادية للغرب ، وبين المخابرات البريطانية التي تحاول توحيد القوى المؤيدة للغرب .

وعلق جمال عبد الناصر على ذلك قائلا (أنا لا أعلم مخابرات ولا عملت هناك . . . ولكن المعركة أصبحت مقسوبة لنا) .

ثم طلب من كمال رفعت ولطفي وأكد السفر للأردن حيث أمضيا أسبوعا قبل الانتخابات .

ويقول جمال رفعت ولطفي وأكد أن اسم جمال عبد الناصر كان له تأثير كبير على الناخبين . . . ويذكر أن المرشح أنور الخطيب ألقى خطابا في المسجد الأقصى قبل فتح صوتا يسأله (هل عبد الناصر معك ؟) وكان جوابه المرشح (نعم) وكانت النتيجة هي سقوطه ، ونجاح مرشح مسيحي يستأري .

وكان الاتصال بالشيوعيين في ذلك الوقت يثير حساسيات شديدة
... ويذكر أن أكرم الحوراني قد أرسل يشكو لعبد الناصر من اتصالهما
ببعض العناصر الشيوعية السورية ، كما أن عبد الله الريمائي قد حضر
اليهما معلنا رفضه للتعاون مع الشيوعيين ... وكان الاثنان قد عقدا
اجتماعا سريا مع اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الأردني استغرق
٧ ساعات .

ويذكر لطفي واكد أنه في اثناء تواجدهما في إحدى المرات بعمان ،
طلب مقابلة عبد الحكيم عامر وكان يقوم بزيارة للأردن ، ولكنه طلب منه
الابتعاد لأنه يقوم بعمل سري لا يجوز أن يرتبط به .

اجريت الانتخابات وفاز التجمع الوطني في كل الدوائر عدا البادية ،
وتشكلت وزارة سليمان النابلسي في ١٧ أكتوبر ١٩٥٦ .

يقول الملحق العسكري المصري فؤاد هلال أن علاقة القاهرة
بالوزارة الجديدة في ذلك الوقت كانت وثيقة تماما ، وإن كثيرا من الوزراء
كانوا يترددون على منزل السفير المصري والملحق العسكري يتابعون إخبار
العدوان لحظة بلحظة .

وقطعت الحكومة الأردنية علاقاتها الدبلوماسية مع فرنسا ولكنها
لم تقطعها مع بريطانيا نظروفا الخاصة التي لم يستطع سليمان النابلسي
أن يتحرر منها .

ويبدو أن السفير المصري خلال هذه الفترة كان متشبثا ومعتقدا
أو مصر قد أصبحت بعد العدوان الثلاثي في موقف لا يسمح لها بالاعتقال ،
وقال لبعض الوزراء الأردنيين أن عبد الناصر ولاء منه لمصر سيستسلم
حتى لا تتعرض مصر لكارثة ... وأعلن رأيه في ضرورة تسليم الثورة
لعملي ماهر .

وهرع الوزراء الأردنيون إلى الملحق العسكري مندوبين ... وكانت
النتيجة هي استدعاء السفير المصري وإحالة إلى المعاش .

وفي يناير ١٩٥٧ قبل سليمان النابلسي مساعدة مصرية سورية
سعودية بدلا من المعونة البريطانية .

ولم يلبث أن أعلن سليمان النابلسي في مارس ١٩٥٧ نهاية المعاهدة
البريطانية وطلب من الجاهليات البريطانية مقبادة الأردن خلال ستة
شهور ، كما تخوف من المساعدة الأمريكية التي تستهدف عزل القاهرة
عن العرب ... وألح على الملك حسين في إنشاء علاقات دبلوماسية

ثورة يوليو ج ١ - ١٩٥٦

للأردن مع الاتحاد السوفيتي مع اعلان استعداده لقبول المساعدة
السوفيتية .

الجيش الأردني والانقلابات العسكرية :

سرعان ما انحسر هذا المد السياسي التقدمي في الأردن ، وعادت
الامور الى وضعها القديم ، عندما أعلن الملك حسين في ابريل ١٩٥٧ عن
محاولة انقلاب كان يدبرها اللواء علي أبو نوار .

واستقال سليمان النابلسي وشكلت وزارة جديدة برئاسة سمير
الرفاعي .

وأعلن ايزنهاور ووزير خارجيته في نفس الوقت موافقتهما على رأي
الملك حسين من أن الشيوعية العالمية تهدد استقلال وجود الأردن .

وتحرك الأسطول الأمريكي السادس نحو شرق البحر الأبيض
المتوسط وأعلنت أمريكا أن استقلال الأردن وكيانه أمر حيوي لأمريكا .

لم تكن هناك مقدمات لهذا التغيير المفاجيء الذي عرف بأزمة ابريل
١٩٥٧ .

ولم يكن ضباط الجيش الأردني قد أعدوا أنفسهم في تنظيم يتيح
لهم عمل انقلاب عسكري وقصة عزل علي أبو نوار تحيط بها
علامات الاستفهام .

أكد لي كمال رفعت أن اتصالهم ببعض الضباط الأردنيين كان يتم
على أساس الصداقة والتقارب الفكري فقط دون أي تدبير لانقلاب
مفتصل . . . وقال لي أن علي أبو نوار كان يتحدث عن تشكيل يسمى
الضباط الاحرار ولكنه في الغالب كان تنظيما وهميا أو صوريا لا يصدر
منشورات وليس له تأثير واضح .

وحكومة الأردن منذ تكوينها عام ١٩٤٩ لم تسمح بوجود معارضة
قانونية ، ولذا اتجهت قوات المعارضة للتآمر ضد نظام الحكم .

ورغم وقوف بعض الضباط الوطنيين موقف التأييد للحركة الثورية
العربية ، الا أن حادثه اغتيال الملك عبد الله عام ١٩٥١ أثبت عدم وجود
أية صلة لضباط الفيلق العربي به .

ولم تصل عدوى الانقلابات السورية الى الأردن رغم تعاقبها ، ولم
تتعد صلة مؤثرة بين الضباط الوطنيين في البلدين .

ورغم نشاط حزب البعث في الشرق العربي . . . وتواجد عبده من

الضباط في صفوفه ، الا أنه يبدو أن صلاته مع الضباط الأردنيين لم تصل الى درجة القدرة على القيام بانقلاب عسكري .

ولا شك أن أسباب عدم نجاح الانقلابات العسكرية في الأردن رغم وجود جيش كبير نسبيا كان يبلغ أربعة أضعاف الجيش اللبناني في الخمسينات مع أن سكان الأردن أقل عددا من سكان لبنان .

من أسباب عدم نجاح الانقلابات تواجد الضباط البريطانيين في مراكز القيادة وحرصهم على عدم تعيين أي ضابط عربي الا من مصفاة بريطانية ذات ثقب ضيقة .

ويلاحظ أن الجيوش في مختلف دول العالم الثالث لم تتحرك للقيام بانقلابات عسكرية طوال خضوع دولها للاستعمار والاحتلال الأجنبي ، وأن ظاهرة الانقلابات كانت تقترب دائما بخروج قوات الاحتلال ، هذا اذا استثنينا حركة القوات المسلحة المصرية في ٢٣ يوليو اذ كانت القوات البريطانية قد ابتعدت تماما عن الجيش المصري بعد معاهدة ١٩٣٦ التي قررت خروج البعثة البريطانية ، واقتصرت وجود قوات الاحتلال على شرعية منطقة القناة فقط ، وانقلاب بكر صدقي في العراق الذي تم تحت شرعية النظام الملكي واستمراره .

يضاف الى ذلك التركيبة الخاصة للجيش الأردني جعلت نصفه تقريبا من رجال البادية البعيدين عن الحضارة ، والذين يدينون بولاء نجاص للأسرة الهاشمية الحاكمة ، والذين يضرب عليهم الطيناتي القول بأن الضباط هم (مثقفون في ملابس رسمية) .

والحركات المضادة للنظام الملكي في الأردن تستحق أكثر من علامة استفهام ، سواء عبد الله التل للضباط الذين تستقر أسرته في أربد والذي كان مندوبا للملك عبد الله في مفاوضات مع الاسرائيليين ثم حاكما عاما للقدس ، والذي كانت له اتصالات متعددة مع بعض البعثيين الأردنيين ، والوطنيين الفلسطينيين ، وحسن الزعيم الذي زاره في اليوم التالي لانقلابه مباشرة حاملا رسالة من الملك عبد الله ، وعاقدا لصلة خاصة به ، ثم اتصالة بالحناوي الذي ما ان اكتشف أنه على علاقة طيبة بأسرة الهاشمية حتى غادر الأردن هو وأسرته الى دمشق ثم القاهرة يوم ٥ أكتوبر ١٩٤٩ وذلك بعد أن كان قد استقال في ٧ يونيو من آخر مناصبه كملحق عسكري في لندن حيث أراد الملك عبد الله أن يبعده عن الأردن حيث عاش في القاهرة ١٥ عاما .

وظلت علامات الاستفهام تلاحق عبد الله التل ، حتى أعلن الملك حسين عن انقلاب على أبو نوار في أبريل ١٩٥٧ .

وعلى أبو نوار أردني من مدينة السلط اشترك في حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، ثم أصبح عضوا في لجنة الهدنة برودس ، وحصل على شهادة الأركان حرب من لندن ، ثم عمل ملحقا عسكريا في باريس فياورا. للملك حسين ١٩٥٥ .

ويقال انه كان له تأثير على الملك في طرد الجنرال جلوب والضباط البريطانيين في مارس ١٩٥٦ ثم أصبح رئيسا لأركان الحرب بغد ثلاثة شهور في مايو وهو في الثالثة والثلاثين من عمره بعد أن رقى من رتبة صاغ الى رتبة لواء خلال عام واحد .

وافتح الملك حسين تحالفا مع وزارة سليمان النابلسي التي كان يؤيدها اليساريون والقوميون معا ، وبدأ يغلبه شعور جازق بأن النفوذ يتسرب من يديه الى العناصر المعادية للغرب والمتأثرة بشخصية جمال عبد الناصر الصاعدة والتي أجبرت قوات العدوان الثلاثي على الانسحاب من مصر .

وفي يوم ٧ ابريل تحركت نحو عمان وحدة سيارات مبرجة من الزرقا التي تبعد عنها ١٧ ميلا ، وعندما سئل رئيس الوزراء ووزير الدفاع عن سر التحرك نفيا علمهما به ، وعندما سئل على أبو نوار أجاب بأنها تحركات تدريجية فقط .

وأصدر الملك حسين أوامره لهذه الوحدة بالعودة الى معسكرها في الزرقا .

وفي يوم ١٠ ابريل تقدمت الوزارة بطلب ابعاد ٢٠ ضابط من المعروفين بولائهم للملك ، وبدا من الاستجابة للطلب ، أصدر الملك قراره بإقالة الوزارة وتعيين وزارة جديدة برئاسة سمير الرفاعي .

وقول الملحق العسكري المصري أنه سبق هذا القراز بعض الأحداث إذ كانت السلطات الأردنية تراقب الضابط المصري المنسوب في انقيادة المشبكرة وسرقت منه مفتاح الشفرة ٠٠٠ وقد أبلغ سليمان النابلسي الملحق العسكري بذلك .

كما أنه حدث بعد الاعتماد على قليلية وزيارة اللواء عامر للأردن أن استدعى على أبو نوار رئيس الأركان الأردني الملحق العسكري المصري وطالبه بوقف الأعمال الفدائية الا عن طريق الملك أو السلطة الأردنية ، وذلك حتى لا تتخذ السلطات الاسرائيلية اجراء ضدهم وحتى لا تعتقلهم السلطات الأردنية أثناء عودتهم .

ويقول فؤاد أن علي أبو نوار هدد باعتقال ومحاكمة الفدائيين قائلا
(لا يمكن أن نقبل أن تكون الأردن حقل تجارب للمصريين) .

وقال له فؤاد هلال أنه سيرسل برقية بهذا المعنى للقاهرة فوراً ،
ثم فوجيء بحضور علي أبو نوار إلى مكتبه ومطالبته بتأجيل الإرسال
ساعتين ، ثم عاود الاتصال به وطالبه بإرسال البرقية فإرسالها .

يبدو أن علي أبو نوار كان يحاول التأثير على الملك للتراجع عن
موقفه .

وجاء رد القاهرة مطالبا المندوب المصري في القيادة المشتركة بمنع
إرسال برقيات شفرية ، ووقف العمليات الفدائية مؤقتاً ، وطلب اللواء
عامر استدعاء علي أبو نوار لمقابلته في القاهرة .

ولكن علي أبو نوار اعتذر عن عدم الذهاب .

ومع ذلك كانت هناك صلة سياسية بين علي أبو نوار وبين وزراء
وزارة سليمان النابلسي .

وما إن أعلنت استقالة النابلسي حتى انفجرت المظاهرات في الأردن
واحتشدت في عمان يوم ١٣ إبريل ١٩٥٧ هاتفة ضد الأمريكان ومشروع
إيزنهاور .

وتجددت محاولة التحرك من الزرقا بقيادة المقدم معن أبو نوار
ابن عم علي أبو نوار رئيس الأركان ولكن إحدى كتائب البسوة
حاصرت معسكره وهرع الملك في منتصف الليل ومعه علي أبو نوار في
سيارته إلى الزرقا حيث استقبله البسوة هاتفين بحياته مطالبين برأس
علي أبو نوار .

وحدثت مجابهة بين علي أبو نوار وبعض الضباط أمام الملك تبين
بها أنه كانت هناك تحرك وانقلاب ضد الملك وطلب علي أبو نوار
العفو والسماح له بمغادرة البلاد

عزل الملك أبو نوار وسمح له بالخروج إلى سوريا حيث غادرها بعد
ذلك إلى القاهرة .

وعين علي الحيازي خلفاً لعللي أبو نوار رئيساً للأركان ، ولكنه لم
يبقى في منصبه سوى أيام لا تتجاوز الأسبوع . ثم هرب هو الآخر إلى
سوريا .

كانت المسئولية التي ألقيت على علي الحيارى لي كبر من أن يتحملها
اذ رفض أن تكون السيادة لضباط البدو ، كما رفض اتخاذ اجراءات
عنيفة ضد الضباط الآخرين .

هرب الحيارى الى سوريا حيث أعلن في دمشق (أنه لو كان هناك
انقلاب فإن الذي دبره هو الملك الذي أراد مبررا لتغيير سيئسته) .
وبعد ذلك لجأ علي الحيارى الى مصر أيضا ٠٠٠ وعين بدلا منه حابس
المجالي الذي استمر في منصبه حتى عام ١٩٥٦ .

وهكذا فشلت محاولة الانقلاب الذي تحيط به علامات الاستفهام
والذي يقول البعض بأن علي أبو نوار قد لعب فيه دورا مرسوما من الملك ،
لأنه لم يكن معقولا أن يسمح له بالخروج من الأردن اذا كان متآمرا حقيقيا
عليه ، بينما حاكم عددا من الضباط مثل شاهر أبو شاحوط الذي حكم
عليه بالاعدام ثم خفف الى المؤبد وأحمد زعرور وأحمد الطراولة .

كان الهدف تغيير سياسة الأردن وحفظها في قالبها الرجعي القديم .
واتجهت السياسة المضادة بعد ذلك الى افساد العلاقة مع مصر عن
طريق الموجودين في الأردن من المسئولين المصريين .

وبدأت التحركات الايجابية في ذلك عندما تقرر زيارة الملك سعود
للأردن في ٨ يونيو ١٩٥٧ وطرد على خشيبة الوزير المفوض المصري في
السعودية يوم ٧ يونيو ، عندما وصل الملك سعود كان الملحق العسكري
فؤاد هلال في دمشق وعند عودته أثناء الزيارة حدثت قصة مثيرة . .
ذهب الى مكتبه ضابط أردني من المتعاونين معه سابقا ، وأبلغه ان
هناك خطة مدبرة لاختيال الملك حسين وبهجت التلهوني وسفير الرفاعي .

وأخذ الملحق العسكري المصري الحذر المفاجئة بحضور الضابط الى
مكتبه في وقت فرضت عليه الرقابة فيه ، وارتفع الشك في نفسه عندما
وجد أن تصرفاته تتميز بعصبية لم يعهدها فيه . . . وعرف أنه أمام
مؤامرة دبرتها المخابرات الأردنية وأصر على تفتيشه فرفض وأخرج مسدسه
ولكن الملحق العسكري المصري استطاع أن يسحبه منه وأن يفتشه ويجد
معه جهاز التسجيل . . . وقرر احتجازه وكتابة تقرير الى القاهرة .

وفي ذلك الوقت حوصر مكتب الملحق العسكري بالمدرعات والمساءة
ووصل مدير الأمن العام حكمت مهباز في التاسعة مساء سائلا عن الضابط
الأردني ، فأنكر فؤاد وجوده منتظرا التعليمات من القاهرة .

وعند الفجر وصل والد الضابط وبدأ يلقي الحجارة على منزل الملحق
العسكري ٠٠٠ واتصل الملحق برئيس الوزراء طالبا وقف القاء الطوب
ورفع الحصار عن المنزل .

وكان رد القاهرة قد وصل بتسليم الضابط ، فقام الملحق العسكري
بتسليمه اليهم بطريقة قانونية بعد استحضار أطباء للكشف عليه بحضور
مدير الأمن العام ووالده أيضا .

وبعد نصف ساعة اتصل به رئيس الوزراء مدير الرفاعي وطلب
منه مغادرة البلاد خلال ٤٨ ساعة .

وصدر نفس الأمر أيضا الى محمد محمود عبد العزيز قنصل مصر
في القدس وهو ضابط سابق في مدفعية السواحل المصرية .

ولما وصل الخبر الى مصر أصدر جمال عبد الناصر قرارا بطرد السفير
الأردني عبد المنعم الرفاعي على ألا يغادر مصر قبل وصول الملحق العسكري
المصري سالما .

وهكذا طويت صفحة الوفاق والعلاقات الطيبة بين مصر والأردن
بحادث مفتعل .

صفحة الخلافات :

وبدأت صفحة الخلافات بين الدولتين .

أعلن الملك الأحكام العرفية ٠٠ وحدد اقامة سليمان النابلسي ٠٠٠
وأعلن محاكمة غيايية لعلي أبو نوار وعلى الحيارى ٠٠٠ وان كان قد عاد
وعفا عنهما وعين الأول سفيرا في باريس والثاني سفيرا في القاهرة بعد
ذلك بسنوات ، الأمر الذي يجسم علامات الاستفهام حول طبيعة الانقلاب
الذي أصقلت تهمته بعلي أبو نوار .

وطردت الحكومة الأردنية مساعد القنصل المصري في القدس محب
السمره ، وهو ضابط سابق في الجيش نقل الى الخارجية .

وأعلن الملك حسين أن مؤامرات تدبر ضده في مصر وسوريا .
وانطلق صوت العرب يهاجم الملك حسين .

ووصلت الاتهامات المتبادلة الى ذروتها خلال خمسة شهور امتدت
الى أغسطس ١٩٥٧ ، واتهم الملك حسين عبد الناصر بعمالة الشيوعية وبأنه
لم يوف بالتزاماته المادية هو وسوريا قبل الأردن ، كما استمرت السعودية
تقدم مساعداتها .

ووجه صوت العرب والصحف المصرية اتهامات الى الملك حسين بخيانة قضية فلسطين والتفاوض السري مع اسرائيل .

وحدثت في صيف ذلك العام التجمعات التركية على حدود سوريا وبادر الملك سعود الى تأييد موقف سوريا على عكس حكومات العراق والاردن ولبنان التي اتخذت موقفا ضد الحكومة السورية باعتبارها أداة في يد الحكومة السوفيتية التي وقفت موقفا واضحا ضد أى محاولات للاعتداء على استقلال سوريا وسلامتها . وكان جمال عبد الناصر قد أسرع بارساك قوات مصرية الى اللاذقية ، بعد زيارة الملك سعود لدمشق بثلاثة أسابيع فقط .

كان موقف الملك سعود نابعا من رغبته في عدم الانزلال عن الصف العربى وتحاشى هجمات النظام في مصر ، ومحاولة تجنب نفوذ شخصية عبد الناصر ، الى جانب أنه لم تكن له حدود مباشرة مع سوريا بحيث يهدد موقفها ثبات واستقرار الحكومة مثلما كان الحال في العراق والاردن ولبنان .

وحدث أيضا أن ضبطت مؤامرة دبرتها المخابرات المركزية الأمريكية ضد سوريا ، عندما عثر على رجل سورى في الحقيبة الخلفية لسيارة دبلوماسى أمريكى قادم من بيروت . وكان هذا دليلا على أن سلسلة مؤامرات الامبريالية الأمريكية لم تتوقف .

ويقول انتونى ناتنج أن حملات الهجوم المتبادلة بين مصر والاردن قد توقفت بعد هذا الصيف الساخن الملى بالأحداث في شهر نوفمبر ١٩٥٧ عقب تقارير تلقاها عبد الناصر من ادارة المخابرات تشير الى أن هجمات الدعاية المصرية قد أثرت على موقف الملك حسين ، وأنه أصبح معرضا لهجوم شعبى من اللاجئين الفلسطينيين على قصره .

ويعلق أنطونى ناتنج على هذه الواقعة التى ذكرها بقوله أن الملك حسين لم يكن موقفه ثابتا كما كان في هذه الفترة ، وإن تقارير المخابرات المصرية لم تكن صحيحة .

ومع ذلك فقد أصدر جمال عبد الناصر قرارا بوقف الحملات المتبادلة بعد ثلاثة أيام من طلب مشترك من الملكين فيصل وسعود ملك السعودية توجه الى القاهرة ودمشق لوقف الحملات الاعلامية .

كان جمال عبد الناصر مدركا أن هناك حدودا فاصلة بين الهجوم على حسين وبين التمادى في ذلك الى درجة تهديد عرشه بالسقوط مما قد

يدفع القوات الاسرائيلية أو البريطانية الى التدخل في وقت لم تكن القوات المصرية أو السورية فيه مهياة تماما لمساندة موقف جديد .

وهكذا توقفت الحملات الاذاعية في نوفمبر ١٩٥٧ . ويقول تاحمدا سعيد مدير صوت العرب انه فوجيء بالقرار في وقت كانت فيه الحملة قد وصلت ذروتها .

ولاشك ان جمال عبد الناصر كان واثقا من ان انتصاره في معركة حلف بغداد الضارية ، قد دعم مركزه ، وجعل انتصاره في رفض مشروع ايزنهاور اكثر يقينا وخاصة بعد انتصاره في معركة العدوان الثلاثي . ولعل هذا ما دفعه الى وقف هذه الحملة الاعلامية وبخاصة بعد موقف الملك سعود الذي اشرنا اليه ، والذي دفعه الى مساندة سوريا بدلا من الهجوم عليها .

تأثير الوحيدة :

لم يتردد الملك حسين طويلا في اقامة اتحاد مع العراق رغم نفوره من سياسة توري السعيد ، وذلك حتى لا يقف معزولا بعد وحدة مصر وسوريا في الجمهورية العربية المتحدة ، وبعد ابلاغ الملك سعود للأردن في يناير ١٩٥٨ بأنه لن يدفع الملايين الخمسة التي كان يدفعها بعد قطع المعونة البريطانية الأمر الذي كان يهدد الأردن بالانحلال .

كان انضمام الأردن الى العراق في اتحاد واحد يعني انضمام الأردن الى حلف بغداد بصورة غير مباشرة ، رغم أن شروط الاتحاد كانت تنص على عدم الارتباط بأية موافق تربط بها الدولة الأخرى .

ولكن قيام سياسة دفاعية ومالية وخارجية واحدة كانت تتضمن هذا الانضمام غير المباشر لحلف بغداد .

وقد ترك هذا الاتحاد العراقي الأردني أثرا معاكسا على السعودية التي وجدت في اتحاد الأسرة الهاشمية عملا لا تسعد به .

ولكن عمر الاتحاد لم يدم طويلا فقد انفجرت ثورة ١٤ يوليو في العراق وتمزق الاتحاد وتصور الجميع أن نظام الحكم في الأردن سيهوى يتهاوى بعد سقوط حكم الأسرة الهاشمية في بغداد .

أعلن عبد الكريم قاسم حل الاتحاد في الوقت الذي أعلن فيه الملك حسين نفسه رئيسا لدولة الاتحاد .

ولكن حركة الامبريالية كانت سريضة فقد نزلت القوات البريطانية في الأردن قادمة من قبرص ، بينما تحرك الاسطول السادس الأمريكي الى لبنان .

قال جمال عبد الناصر ردا على الصحفي الهندي (كرانجيا) في حديث بتاريخ ٢٩ سبتمبر ١٩٥٨ عندما سأله قائلا (يبدو أن الأردن التي احتلتها القوات البريطانية هي في الحقيقة الضحية الكبرى للغرب ، فما هو حل هذه المشكلة) .

أجاب جمال عبد الناصر قائلا :

.. من الصعب العثور على اجابة محددة لهذا السؤال ، ولكن المؤكد أن الشعب الأردني هو الذي يستطيع بوطنيته وحكمته أن يرسم الطريق ، ولكن الأمر الذي اتضح ويزيد كل يوم وضوحا هو أن الحديث من غلاء عبد الناصر أو هيئات أو منظمات تعمل لحساب عبد الناصر ، أو الحديث عن عدوان مباشر ، أو عدوان غير مباشر من جانب الجمهورية العربية المتحدة قد أصبح اكذوبة لا يكاد يصدقها حتى الذين اخترعوها أنفسهم ، بل لعل العالم كله يرى الآن من الذي يستخدم العملة ، ومن الذي يدبر الأموال في الأردن .

ان ملك الأردن تسلم من الولايات المتحدة سبعين مليوناً من الدولارات منذ قام بانقلابه المشهور على الحكم الوطني منذ أكثر من عام فان هذا الملك الآن في حاجة الى رجال المظلات البريطانيين لكي يحموه من شعبه .

وأجاب عبد الناصر على سؤال آخر (الى متى تستمر هذه الاوضاع) بقوله :

.. ان الموقف مليء بالاحتمالات ولكن هناك احتمالات بالذات لا نستطيع أن نسكت عليه اذا حدث ، هذا الاحتمال هو أن يتعرض الأردن للعدوان من اسرائيل ، في هذه الحالة لن نتردد في التدخل بكل امكانياتنا .

وخلال هذا اللقاء الصحفي أيضا ، وقف الحديث عند زيارة همرشولد سكرتير الأمم المتحدة لملك حسين لتبصيره بالأمور . وعلق جمال عبد الناصر على ذلك بقوله :

.. وماذا يستطيع همرشولد أن يفعل أن المشكلة ليست بين حسين والجمهورية العربية المتحدة انما المشاكل الحقيقية هي ما بين حسين وشعبه أولا ثم هي احتلال بريطانيا للأردن ثانيا ، ونتيجة لخوف

المملك من شعبه واستنجاهه بجنود المظلات البريطانيين لذلك قلت لك - ماذا يستطيع همشولده أن يفعل ؟ هل يستطيع أن يتوسط بين القصر والشعب ؟

وظلت الخلافات قائمة بين الأردن والجمهورية العربية المتحدة حتى أغسطس ١٩٥٩ بعد توتر الموقف مع العراق حيث تحسنت العلاقات نسبيا .

يعبر عن ذلك سؤال وجهه أحد الصحفيين الأجانب الى جمال عبد الناصر أثناء مؤتمر صحفي عقد في ٢٥ ابريل ١٩٦٠ وقال فيه (هل تظن أن للملك حسين ملك الأردن أي مستقبل ؟)

وكان جواب عبد الناصر هو (انني في الحقيقة لا أستطيع أن أنظر الى الأمور بهذه الكيفية . فثمة فرق بين التفكير الصحفي وبين تفكير رئيس دولة مسئول عن تصريحاته بشأن المسائل الدولية اننا طبعاً نتعامل مع الملك حسين بصفته ملكاً للأردن ، ونحن نحاول أن تكون علاقتنا به طيبة) .

ولكن الهدوء لم يستمر طويلاً ، فلم يكف يفتل مزاج المجاني في أغسطس ١٩٦٠ ، وهو أحد الذين دافعوا عن دخول الأردن خلف بغداد في عام ١٩٥٥ حتى توترت العلاقات من جديد ، وبدأت الأردن تشن هجمات على الجمهورية العربية المتحدة .

وكان جمال عبد الناصر قد قطع العلاقات الدبلوماسية مع ايران في يوليو ١٩٦٠ عقب قرار الشاه الاعتراف بإسرائيل مع عدم اقامة علاقات دبلوماسية معها وايران والأردن تربطهما علاقات وثيقة وقد أدى هذا القطع الى احراج لحكومة عمان .

وبدأت حملة عمان جديدة أطلقت فيها اذاعة عمان على جمال عبد الناصر الفاظ (مجنون - عميل - أحمر - فاروق الصغير - ديكتاتور متعطش للمدراء متآمر) .

وصحب ذلك اعتراف الملك حسين بنظام عبد الكريم قاسم في ١٩٦٠ وهكذا يتبين أن الأردن كانت تلعب دوراً ايجابياً نشطاً في الهجوم على مصر وعلى جمال عبد الناصر .

ولم يقابل جمال عبد الناصر هذه الحملة بالصمت ، شن هجوماً على الملك حسين في دمشق بتاريخ ١٧ أكتوبر قال فيه (باع الملك عبد الله العرب وفلسطين للصهيونية واسرائيل) وقال أيضاً (ان الاستعمار حينما

يسيطر على بلد انما يعتمد على أعوانه الخونه ، والمثل جنبنا بجوارنا في الأردن ، يعتمد الاستعمار على الملك الأجير ويعتمد على حفنة قليلة من العملاء الذين يستغلون الشعب ويجمعون الأموال) .

ولكن موقف الملك حسين كان يزداد رسوخا في الأردن في وقت كانت تتعرض فيه الجمهورية العربية المتحدة لأخطار التمزق والتناقضات .

أفرج الملك حسين عن سليمان النابلسي رئيس الوزراء السابق بعد اعتقاله استثمر أربع سنوات تقريبا .

وذاعت أقاويل عن أن بعض السوريين قد لجأوا الى الملك حسين يطلبون منه التدخل في سوريا ، وعلق جمال عبد الناصر على ذلك في خطبته السنوية يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٦٠ (فين النهاردة الاتحاد العربي ؟) - يقصد اتحاد العراق والأردن قبل ثورة ١٤ يوليو - يبرحوا للملك حسين ويقولوا له ده الشعب السوري مستنيك بس اركب حصان وعدى الحدود ياريتة يسمع الكلام ويركب جحش ويعدى الحدود ، أنا مش راح أعجل له حاجة ولا الجيش الأول ويقولوا له تعال عليك الامان بس اتفضل تعالي ودينا) .

ولكن تقدير جمال عبد الناصر للملك حسين كان أقل مما يجب ، فقد وقع الانفصال في ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ ، وتبين أن بعض الضباط الذين قاموا به كانوا على صلة بالأردن كما هو واضح في الباب الأول من هذا الجزء .

وسرعان ما أعلن الملك حسين اعترافه بحكومة الانفصال بعد ٤٨ ساعة من وقوعه .

من الانفصال الى العدوان (اليمن - القيادة المشتركة) :

وعادت العلاقات الى التوتر من جديد ، وخاصة بعد ثورة اليمن ، حيث أخذت الأردن والسعودية موقف التأييد للملكيين . وعندما عرض لجمال عبد الناصر فكرة الانسحاب المصري من اليمن في ديسمبر ١٩٦٢ على أن يكون ذلك مقترنا بموقف السعودية والأردن تأييدهما ومساعدتهما للملكيين ، لم يقبل الأمير فيصل ذلك فلم يكن أقل تفتحا من شقيقه الملك سعود ، رغم اعتقاد عبد الناصر في مرونته والقاء كثير من الآمال عليه كما يقول المطوئي ناتج في كتابه (ناصر) .

الأمير فيصل كان رئيساً للحكومة التي منعت المحمل المصري ، وهو
الذى ضيق الخناق على المصريين العاملين بالسعودية ، وأصر على أن يدنح
الحجاج المصريون الأموال المقررة عليهم بالعملة الصعبة .

ووصل الأمر بالملك حسين أيضا الى حد المطالبة بتغيير مقر الجامعة
العربية من القاهرة ، ورفض وقف مساعدة الملكيين .

وخلال هذه الفترة هرب عدد من الطيارين الأردنيين الى القاهرة
لاجئين بعدد من الطيارين السعوديين .

ولكن اعتراف حكومة كينيدي الأمريكية بجمهورية السلال أحدث
صدمة للملك سعود والملك حسين . . . ولكنه لم يدفعهما الى وقف تأييد
الملكيين .

واستمرت الأمور كذلك حتى دعا جمال عبد الناصر الى مؤتمر القمة
العربي الأول واجتمع ١٢ ملكا ورئيسا في ١٣ يناير ١٩٦٤ بالقاهرة .

وقبل افتتاح المؤتمر حرص جمال عبد الناصر على مقابلة الملك حسين
مقابلة خاصة لمناقشة قضية فلسطين معه باعتباره حاكما لسولة من دول
المواجهة . . . وإعادة العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين التي قطعت عقب
اعتراف الأردن بحكومة الانفصال السورية .

كانت هذه الحركة السياسية من عبد الناصر بداية لفك ارتباط
الملوك وبداية لبحث قضية القيادة العسكرية العربية الموجودة لمجابهة
اسرائيل تحت قيادة اللواء على عامر ، كما كانت نقطة تحول أيضا في
مساعداة الأردن للملكيين .

وبعد شهور من مؤتمر القمة في يوليو ١٩٦٤ أعلنت الحكومة
البريطانية انها ستعطي عدن ومحميات الجنوب استقلالها ليس متأخرا
عن عام ١٩٦٨ ، ورطب هذا الاعلان العلاقات بين مصر وبريطانيا الى حد
كبير ، ثم أعقبه اعلان الملك حسين بعد محادثات مع المقيم عامر في عمان
وقف المساعدات للملكيين في اليمن والاعتراف بحكومة السلال .

وهكذا عادت العلاقات في ظل مؤتمرات القمة بين مصر والأردن الى
حالة طبيعية بعيدة عن التوتر والهجمات الاذاعية .

ولكن الأمور عادت مرة أخرى الى التوتر والهجوم المتبادل في شهور
سما قبل العدوان كما سيأتي تفصيلا في الجزء الرابع (خريف عبد الناصر) .

الباب الثامن _____

● لبنان

(اننى لست الشخص الذى
انتخبه اللبنانيون ، ولكنى أمثل
رفضهم لانتخاب شخص آخر)
فرّاد شهاب

كانت لبنان هي الدولة العربية الوحيدة التي لم تقطع علاقاتها
الدبلوماسية مع بريطانيا وفرنسا أثناء العدوان الثلاثي على مصر عام
١٩٥٦.

كانت حجة المسئولين في ذلك أن بريطانيا صاحبة فضل على لبنان
فمن تحقيق الجلاء ، وأن فرنسا تربطها بلبنان علاقات صداقة تقليدية
قديمية .

كان رئيس الجمهورية في ذلك الوقت هو كميل شمعون :

وكانت لبنان طرفا في معركة الأحلاف ٠٠٠ حاول عدنان مندريس
رئيس وزراء تركيا ضمها الى الحلف فزار بيروت بعد بغداد في يناير
١٩٥٥ عند اعلان الوثيقة الأولى للحلف وهو في طريقه الى القرة .

ولكن انضمام لبنان للحلف لم يكن أمرا يسيرا في وقت تصاعدت
فيه معارضة سوريا له ، وهي دولة ذات تأثير كبير على لبنان ، وفي وقت
برز فيه دور جمال عبد الناصر الوطني والتقدمي .

وصل جمال عبد الناصر بالحياة السياسية في لبنان بدأت مبكرة
بعد ثورة يوليو ، اذ وجدت فيه جماهير لبنان - وخاصة المسلمين يحكم
الواقع الطائفي - قائدا عربيا يهتم بالقومية العربية ، ويواصل دور
ابراهيم باشا بن محمد علي الذي أعلن أنه سيواصل فتوحاته الى آخر
بلد ينطق بالعربية ، رغم اختلاف الظروف التاريخية ، وأهداف كل من
القائدين .

ولبنان هو البلد العربي الوحيد الذي تحكم فيه الطائفية ، وتفرضي
نفسها على مختلف مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والادارية ٠٠٠
حتى الجيش يخضع للتقاليد الطائفية ٠٠٠

والجيش اللبناني صغير العدد محدود القوة لم يكن يتجاوز ٥٠٠٠
ضابط وجندي عام ١٩٥٠ ، وكان يقوده الجنرال فؤاد شهاب خريج
مدرسة سان سير الحربية الفرنسية ، والرجل الذي كان موضع احترام
الجميع ٠٠٠

رفض فؤاد شهاب اطلاق الرصاص على المواطنين أثناء أزمة الشيخ
بشارة الخوري رئيس الجمهورية الذي قدم استقالته في ١٨ سبتمبر
١٩٥٢ وعين شهاب ليقود الدولة كرئيس للوزراء ووزير للداخلية والدفاع
حتى انتخب المجلس كميل شمعون رئيسا للجمهورية في ٢٣ سبتمبر بعد
رفض شهاب ترشيح نفسه لرئاسة الجمهورية ، فعاد الى منصبه

ثورة يوليو ج ١ - ٥٧

العسكري في هدوء ، بعد وساطته المؤثرة مع كمال جنبلاط في المختارة .
ورشيد كرامي في طرابلس لتهدئة الموقف .

كان الجيش اللبناني يشكل قوة مسلحة تقف من المشاكل الداخلية
فيما يشبه الحيات . . . ولم يكن لها صوت مسموع أو مؤثر في معاداة
القوات المعتدية على مصر ، كما كان الحال في سوريا عندما قطع
عبد الحميد السراج أنابيب البترول المارة بالأراضي السورية .

وضعف الجيش والجندرية اللبنانية هو السبب في اجراء الانتخابات
على أربعة أسابيع متتالية يوم الأحد حتى يمكن المحافظة على الأمن والنظام
في كل منطقة .

ولم يكن فؤاد شهاب جانحا في سفور الى الغرب مثلما كان كميل
شمعون رئيس الجمهورية ووزير خارجيته شارل مالك الذي تميز بمعاداته
لمصر منذ كان يعمل صحفيا في القاهرة وهو من طائفة اليونانيين
الأرموذكس .

وحاول شمعون أن يفتح فؤاد شهاب بما سمعه من عدنان مندريس
عن امكانيات تركيا الواسعة في مساعدة لبنان عسكريا واقتصاديا حيث
قال لهم مندريس أن تركيا يمكن أن تساعد العرب ضد اسرائيل بجيشها
الذي يضم عشر فرق ، ويمكنها أيضا أن تدعم الزراعة في الدول العربية
حيث تمتلك ٥٠.٠٠٠ جرار تعمل في الأرض .

ولكن فؤاد شهاب لم يجذبه هذا الحديث . . . وأثر أن يحتفظ لبنان
بجيش صغير لا ينضوي تحت جناح تركيا ومن خلفها الغرب ، حفاظا على
روح الرابطة العربية التاريخية .

وفي بداية ١٩٥٧ ومشروع ايزنهاور يحاول أن يفرض نفسه ملء
الفراغ في المنطقة - حسب تعبير المسئولين الأمريكيين - كانت لبنان هي
الدولة الوحيدة التي قبلت مساعدات المشروع للدفاع عن لبنان ضد
ما أسنمت (الشيوعية العالمية والعربية العالمية) . أيضا وذلك كما ورد في
كتاب أنطوني ناتنج (ناصر) .

أذكر في هذه الفترة أن المسرح القومي أثناء كنت مديرا له قام
بزيادة الى بيروت لأول مرة بعد ثورة يوليو ليقيم أسبوعا على مسرح
اليونيسكو في فبراير ١٩٥٧ .

وأذكر أن بعض المصاعدين لمصر قد وضعوا سرا في صالة المسرح
أنابيب تحوي (ثاني كبريتور الكربون) ذي الرائحة المزعجة ، في محاولة
لابعاد الجماهير عن المسرح ، كما استقبلت بعض الصحف الدائرة في

فلك رئيس الجمهورية هذه الفرقة بالهجوم والنقد غير الفني ، الأمر الذي دفعني الى مواصلة الرحلة الى دمشق حيث استقبلت الفرقة استقبالا حماسيا منقطع النظير وامتلات مقاعد الصالة كلها اسبوعا كاملا ، وواظب على الحضور سفيرنا في دمشق محمود رياض أمين الجامعة العربية حاليا ، وكبار المسئولين السوريين .

كان هناك فرق شديد الوضوح بين معاملة السلطات اللبنانية والسلطات السورية لفرقة فنية مصرية .

وخلال هذه الفترة كان كمال رفعت ينشط في المنطقة العربية بتشكيل تنظيمات مرتبطة بثورة يوليو كان يشرف عليها المحقون العسكريون صلاح مصطفى في الأردن ، وحسن خليل في بيروت .

نشاط سياسي في دائرة المخابرات الى جانب نشاط سياسي يتم عن طريق اتصال بعض السياسيين اللبنانيين بجمال عبد الناصر شخصيا .

ومع ذلك ظلت العلاقات بين مصر ولبنان بعيدة عن الهجمات المتبادلة الى أن أعلنت الوحدة بين سوريا ومصر في الجمهورية العربية المتحدة ٢٢ فبراير ١٩٥٨ ، وتدفقت جماهير الشعب اللبناني الى دمشق كلما زارها جمال عبد الناصر لتنتظر ظهوره أمامها في شرفة بيت الضيافة ، ولو طال بها الزمن ساعات طويلة من الليل أو النهار .

شعب كميل شمعون أن دائرة الحصار تضيق حوله وتكاد تخنقه ولم يجد من سبيل لدفعها سوى السعي لتجديد فترة رئاسته فقام بزيارة الى الولايات المتحدة قابل فيها دالاس بعد زيارة جمال عبد الناصر التي تمت في أبريل ١٩٥٨ وأزعجت كميل شمعون أزعاجا شديدا .

ولكن عملية تجديد الانتخاب بما تحمله من مخالفة لروح الدستور قوبلت بمعارضة شديدة من جانب المسلمين ومن جانب البطريرك الماروني الذي يبتغي شمعون لطائفته أيضا ، رغم ما بذله شارل مالك من محاولات مشبوهة لهيئة الأذهان لتجديد مدة رئاسة كميل شمعون .

وتماذى شارل مالك في سياسته الى درجة توجيه الاتهام للجمهورية العربية المتحدة أمام مجلس الأمن بالتدخل في شئون لبنان الداخلية وإرسال الأسلحة للتخريب داخل لبنان .

وأرسلت هيئة الأمم المتحدة لجنة من الهند والنرويج والاكوادور أبلغت همرشولد أنها لم تكتشف تدفقا من السلاح على لبنان .

وزار همرشولد لبنان في منتصف يونيو ١٩٥٨ ووصف اتهامات شارول مالك بأنها مبالغ فيها ، كما حاولت أمريكا تهدئة مالك ولم توافق على ارسال قوات أمريكية لمساعدته .

وكان صائب سلام رئيس الوزراء السننى قد استقال في نوفمبر ١٩٥٦ بعد العدوان الثلاثى ، وتولى منصبه سامى الصلح رئيس الوزراء المتهاذن .

ولكن التنافر في وجهات النظر ، والجنوح السافر للقوى الامبريالية من جانب شمعون ووزير خارجيته ، وتصميم شمعون على اعادة تجديد ميثاقه ، واستقالة صائب سلام أدى الى مصادمات مسلحة ، يمكن القول بأنها كانت نوعاً من الحرب الأهلية بين شمعون وأعوان الامبريالية من جانب والجمهير القومية والتقدمية من جانب آخر .

وكانت الأسلحة تتدفق على لبنان أساساً من جانب عبد الحميد السراج وزير داخلية الاقليم السورى فى الجمهورية العربية المتحدة .

وقد استنزفت هذه العملية كثيراً من الجهد والمال ، وظهرت فيها ألوان من الاستغلال والاستفادة التى لا تتناسب مع المبادئ المحركة لصراع ديموى .

وأصبح تسليح الطوائف والفئات والأفراد هو الطابع الرئيسى السائد فى لبنان .

ووقفت شهاب والجيش موقف الحياد الدقيق مع محاولة الحفاظ على الأمن فى حدود الممكن .

ووجد شمعون أن تيار الحرب الأهلية لا يمضى فى صالحه ، وخاصة بعد تقرير لجنة الأمم المتحدة ، وتصريح همرشولد بعد زيارته فأعلن فى ٣٠ يونيو ١٩٥٨ قراره بعدم إعادة ترشيح نفسه .

ووجد ذلك تجاوباً من جمال عبد الناصر والقوى القومية التى قررت التركون إلى الهدوء فى انتظار ترشيح جديد لرئاسة الجمهورية ، ولكن ثورة ١٤ يوليو العراقية فرضت نفسها على الموقف فى الشرق الأوسط عامة ، وفى لبنان خاصة ، فقد استدعى شمعون السفير الأمريكى بعد ٣ ساعات فقط من اعلان أخبار الانقلاب العسكرى فى بغداد ، وطلب منه المساعدة خشية انهيار الوضع فى لبنان .

وأسرعت قوات الاسطول السادس الأمريكى للنزول فى بيروت فى منتصف يوليو ١٩٥٨ ، وانفجرت الاذاعات المعادية لشمعون فى القاهرة

ودمشق وبغداد ٠٠٠ وتوتر الموقف في المنطقة وقام جمال عبد الناصر
برحلته السرية المفاجئة المشهورة إلى بغداد ، لمساندة الثورة العراقية .

وأرسل خروشوف خطابا شديدا للهجة إلى ايزنهاور في أغسطس.
١٩٥٨ يدين فيه تدخله في لبنان ولا يعطيه الحق في ذلك .

وأعلن ايزنهاور أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٣ أغسطس.
١٩٥٨ استعداداته لسحب القوات الأمريكية إذا طلبت ذلك منه الحكومة
الاستورية ، كما أعلنت الحكومة البريطانية استعدادها أيضا لسحب
قواتها من الأردن إذا طلبت ذلك منها السلطة الشرعية .

وشكل ذلك قوة ضاغطة على شمعون الذي كانت مدة رئاسته تقترب
من نهايتها ٠٠٠ والذي واجه تأييدا جازفا لتأييد ترشيح السواء فؤاد.
شهاب الشخصية التي حظيت بتقدير واحترام القوميين .

أعلن فؤاد شهاب عن رغبته في خروج القوات الأجنبية فور انتخابه
رئيسا للجمهورية .

وتحدد بذلك موقف القوات الأمريكية في لبنان ، فخرجت بعد
انتخاب شهاب . ولم تكد تمضي أربعة شهور فقط منذ يوم نزولها بعد
ثورة العراق .

وبدأ لبنان صفحة جديدة في حياته السياسية ، وفي علاقته مع
جيرانه العرب .

رفض فؤاد شهاب أن يكون دكتاتوريا عسكريا ، وأصر على أن
يواصل نظام الحكم الدستوري البرلماني ، فعين رشيد كرامي رئيسا
للوزراء ، وأخرج بعض الضباط من الجيش لارتباطهم بالعمل السياسي
خلال فترة رئاسة شمعون ، وخلق علاقات صداقة مع قادة الدول العربية
واكتسب ثقة جماهير الشعب اللبناني بمختلف طوائفه إلى حد بعيد .

قال شهاب عقب انتخابه (انني لست الشخص الذي انتخبه
اللبنانيون ، ولكني أمثل رفضهم لانتخاب شخص آخر) .

وكان هذا التعبير بداية وضوح زهدة في أن يكون ديكتاتوريا ، وهو
امر ما كان يفكر فيه أو يقدر عليه في وقت واحد ٠٠٠ لمحافظته على
وحدة الجيش وتماسكه خلال الحرب الأهلية كان عملا من أعمال الحكمة
وبعد النظر ، لأنه لو كان قد طالب الوحدات بالتدخل لتمزقت وتناثرت.
بدافع الطائفية ، وانتهت وحدة الجيش بصورة شبه نهائية .

ومرة أخرى ظهر زهد شهاب في فرض القبضة العسكرية بعد انتهاء
مدة رئاسته عام ١٩٦٤ ، ورفضه التجديد رغم امكانية حصوله بسهولة
على ثلثي أصوات البرلمان اللبناني .

وفي ١٨ أغسطس انتخب شارل حلو رئيساً للجمهورية حيث أقسم
اليمن في ٢٣ سبتمبر ١٩٦٤ وغادر شهاب موقعه .

وهكذا خرج أول ضابط متخرج في سلان سير من مقعد السلطة
بطريقة ديمقراطية . . . خرج محترماً من شعبه ومن قادة الدول العربية
والخارجية أيضاً .

ولكن فترة رئاسة شهاب لم تكن هادئة على خط مستقيم ، فقد
اجتاحت الحزب القومي السوري الرغبة في القيام بانقلاب عسكري في
لبنان من أجل إنشاء (سوريا الكبرى) التي تضم سوريا ولبنان والأردن
والعراق ، دولة تعادى الاقطاع والطائفية والشيوعية والمصريين أيضاً كما
ورد في ميثاق حزبهم .

وقد بدأت محاولة الانقلاب عقب انفصال سوريا عن الجمهورية
العربية المتحدة في ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ ، وذلك بعد لقاء تم بين رئيس
الحزب منذ ١٩٦٠ الدكتور عبد الله سعادة والنقيب شوقي خير الله .
كان الانقلابيون يعرفون الأشياء التي يعادونها أكثر من معرفتهم
للأشياء التي يريدونها .

وتحدثت ليلة ٣٠ ديسمبر ١٩٦١ موعداً للقيام بالانقلاب وهو توقيت
مرتبط بتواجد معظم الضباط في بيوتهم استعداداً للاحتفال بليلة رأس
السنة .

وفي التاسعة مساءً هذا اليوم تحرك النقيب فؤاد عوض بسريته
المكونة من ٩٠ جندياً ، ١٣ مدرعة ، ٩ عربات جيش من الطيرة الى بيروت
حيث وصلوا في الثانية بعد منتصف الليل ، وانضم اليهم النقيب خير الله
ومعه ٢٠ عضواً مسلحاً من أعضاء الحزب ، ثم اتجهوا الى وزارة الدفاع
حيث اجتعلوا الدور الأول منها ، ولكن مقاومة الضباط في الدور الأعلى
أجبرتهم على انتهاء المعركة بعد تبادل طلقات الرصاص والهروب من بيروت
في الرابعة صباحاً .

وكما فشلت محاولة الاستيلاء على وزارة الدفاع فشلت أيضاً محاولة
الاستيلاء على بعض النقاط الاستراتيجية . . . وانسحب الانقلابيون الى
منطقة المتن . . . الى منزل أسد الأشقر أحد زعماء الحزب حيث كان
المخزن الرئيسي للسلاح .

وبعد مقاومة متعثرة سلم الانقلابيون أنفسهم بعد محاصرة المنطقة
وقصف المنزل بالمدفعية وبقيت بعض قواتهم تقاوم حتى الصباح ٣ يناير
١٩٦٦ ٠٠٠ وان كانت الحكومة اللبنانية قد أعانت صباح أول يناير حل
الحزب القومي السوري ٠

ودلت الإحصائيات على أن عدد القتلى قد بلغ ٢٧ كما بلغ عدد
المعتقلين ٢٤٠٠ شخص ٠ وحكم بالإعدام في نوفمبر ١٩٦٣ على ٨ أفراد
منهم فؤاد عوض وخير الله ولكن الحكم استبدل بالأشغال الشاقة
المؤبدة ٠

ومن ظواهر هذه المحاولة الانقلابية ارتباط عدد من الضباط برجال
تنظيم حزبي له آراء معينة تجذب له الأعضاء سواء عن صواب أو خطأ ٠
ومن ظواهره أيضا أن ٢١ مدنيا قتلوا ليس منهم لبناني واحد بل كلهم من
السوريين والفلسطينيين الأمر الذي يفسر عقيدتهم في الإيمان بسوريا
الكبرى ٠

وهكذا مضت محاولة الانقلاب العسكرية في تاريخ لبنان ، والتي
انفجرت خلال حكم عسكري آثر أن يكون ديموقراطيا ودستوريا ، ورفض
أن يكون ديكتاتوريا عسكريا ٠

ومضت الأمور بعد ذلك في صورة هادئة سواء في داخل لبنان أو في
علاقاته الخارجية وخاصة مع مصر ٠

الباب التاسع _____

● جمال عبد الناصر ٠٠ والعرب

بلد جمال عبد الناصر طريق النضال ضابطا مصريا ، وانتهى زعيمنا
عربيا .

شاعت له الظروف عام ١٩٤٨ أن يؤدي دورا ايجابيا في حرب
فلسطين ، يكتشف خلاله أن سر المأساة يكمن في قصور القاهرة ، حيث
يعيش الملك والسفير البريطاني والاعوان من رجال الخاشية وأجزاب
الأقلية .

وعندما وصلت حركة الجيش الى السلطة ، كشفت عن اتجاهاتها
التحررية في موقفها من قضية السودان . فلم تنهج أسلوب النظام
الملكي المنهار ، الذي تبلورت استراتيجيته في سيادة مصر على السودان ،
وتجسيد نضاله في أن يكون فاروق ملكا لمصر والسودان .

هذا الموقف التحرري للبكر يؤكد الطابع التقدمي لحركة الجيش ،
ويثبت سلامة الاتجاه الوطني لأول انقلاب عسكري في افريقيا .

وعقد اتفاقية فبراير ١٩٥٣ هو مقياس لا يخطئ ، إذ يظهر أن
ضباط حركة الجيش وقائدهم المنتخب البكباشي جمال عبد الناصر ، لم
يكونوا دعاة سيطرة واستعمار ، وإنما كانوا انصارا لحقوق الشعوب في
الحرية وتقرير المصير .

لذلك قد نرى أن أسلوب معالجة قضية السودان قد اتسم بأخطاء عديدة ،
لهذا الى قيام حكم مستقر في الخرطوم ، بعيد عن العواطف الحارة مع
القاهرة وضاعت فرصة الاتحاد مع مصر في موقف مشترك ضد الاستعمار
البريطاني ، الا ان ذلك لم ينعكس نفورا على ضباط الحركة من مواصلة
السير في طريق التحرر الوطني ودعم حركاته في مختلف الدول العربية .

وساعدت التحركات الامبريالية على ذلك ، في محاولاتها الدؤوبة
لربط الدول العربية بأحلاف عسكرية ، سبق للشعب المصري أن رفضها
وأعلن موقفه المعادي منها قبل حركة الجيش .

وواصل جمال عبد الناصر التعبير عن ارادة الشعب المصري في
مكافحة الأحلاف ، ليس في مصر وحدها ، وإنما في سائر أرجاء الوطن
العربي .

وكان هذا أمرا جديدا .

لم يتعود الزعماء المصريون أن يركزوا نضالهم ضد الاستعمار وخارج الحدود أيضا . . كانت دائرة نضالهم حدود مصر والسودان .

ولكن جمال عبد الناصر أدرك بحسه الوطني والقومي أن ساحة الأرض العربية هي ميدان واحد للمعركة ، وإن انتصار الاستعمار في بلد عربي يقوى مركزه ويدعم سيطرته ، ويحاصر حركات التحرر الوطني وخاصة في القاهرة .

..
ولذا بدأت صلته مع الدول العربية مبكرة .
..
بدأت مع قادة الأحزاب والتنظيمات السياسية الوطنية والقومية ،
كما بدأت مع الحكام أيضا .

لم يتفعل جمال عبد الناصر معارك مع الملوك والحكام ، كما يحاول خصومه أن يشوهوا صورته . . بل كان حريصا على أن يشارك في لعبة السياسة بمهارة فائقة ، يجتذب اليه كل حاكم أو ملك يقف معه في نضاله ضد الاستعمار .

وثبت ذلك في إتفاقية الدفاع المشترك التي عقدت مع سوريا (شكري القوتلي) والسعودية (الملك سعود) عام ١٩٥٥ ثم انضمت اليها اليمن (الامام أحمد) .

ولم يبادر جمال عبد الناصر حكام العراق (الملك فيصل ونوري السعيد) أنصار حلف بغداد بالعداء . . . بل حاول اجتذابهم الى الصف العربي الوطني . . . وسافر اليهم صلاح سالم .

ولكن الموقف كان لا يسمح لهم بالمناورة ، سقطوا بإرادتهم في شبكة الاستعمار ، وجعلوا من عاصمة الرشيد مقرا للحلف الاستعماري البغيض .

وتبينت الأمور وظهرت الفواصل يوما بعد يوم عندما احتدمت معركة الأحلاق .

اختار جمال عبد الناصر موقعه بثبات .

اختار جانب الشعب في معركته ضد الاستعمار .

وكان مؤتمر باندونج للشعوب الآسيوية الأفريقية المتحررة من الاستعمار ، بداية لتوسيع آفاق رؤيته ، وتعميق احساسه بنبض الشعوب ، وتوضيح صورة المستقبل له .

تجاوب جمال عبد الناصر مع قادة التحرر الوطنى فى القسارتين
الكبيرتين ٠٠٠ ولم يتردد فى عقد صلات ودية طيبة مع الزعيم الشيوعى
المرموق فى ذلك الوقت شوان لاي رئيس وزراء جمهورية الصين الشعبية .
وبدأ نسييج جديد بين حركة التحرر العربية ، وحركة التحرر
العالمية ، ولعب جمال عبد الناصر فى ذلك دورا بارزا .

هذه الفترة التاريخية الهامة ، منتصف الخمسينيات ، كانت فترة
من فترات المجد الخالدة لجمال عبد الناصر ، الذى أدرك مسار حركة
التاريخ ، ولمس احتشاد القوى الوطنية (برجوازية أو عمالية) حول
قيادته سواء فى مصر أو الوطن العربى ، فأقدم على اجرائه الشجاع ،
بتأميم قناة السويس ، وإعادة حق الشعب المصرى لأبنائه .

وكانت هذه الخطوة الباسلة ، نقطة تحول فى مسار حركة التحرر
الوطنى ، وخاصة بعد فشل قوات العدوان الثلاثى (انجلترا وفرنسا
واسرائيل) فى تحقيق أهدافها ، واضطرارها الى الانسحاب ، تحت ضغط
الانذار السوفيتى الذى قدمه بولجانين ، وموقف ايزنهاور المتريص
لورثة المصالح البريطانية والفرنسية فى المنطقة ، وقرارات هيئة الأمم
المتحدة ٠٠٠

كان جمال عبد الناصر قد اتخذ موقفا متلبيا بعيدا عن التردد عبر
به عن ارادة الشعب المصرى ، عندما أعلن اننا (سنحارب) من فوق مبنى
الجامع الأزهر .

وعلت الصيحة فى أرجاء الوطن العربى ، وظهر التضامن العربى
فى أروع صوره عندما اجتاحت مظاهرات التأييد لمصر كل البلاد العربية ،
وحطمت أنابيب الليترول التى تحمل الوقود لبريطانيا وفرنسا فى سوريا .

انصهرت الارادة العربية فى بوتقة القتال ، وتجلت روح القومية
العربية فى صورة ايجابية وارتفعت زعامة عبد الناصر الى قمة عالية .

وأسفرت هذه الحرب عن ظاهرة هامة ، هى التعاون الوثيق بين حركة
التحرر الوطنى العربية وبين الحركة الاشتراكية ٠٠٠ فقد كان موقف
التأييد الحاسم الذى اتخذه الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية .
موضع تقدير عميق فى نفوس جماهير الأمة العربية .

وأصبح التعاون بين حركات التحرر الوطنى ، والدول الاشتراكية
طابعا هاما للحركة السياسية فى العالم ، تدخل فى حسابات القوى
الاستعمارية ، كما تدخل فى حسابات القوى الشعبية المناهضة من أجل
التحرر والاستقلال الوطنى والتقدم الاجتماعى .

ونجم عن انسحاب قوات العدوان بعد هزيمتها السياسية التي أدت إلى شلها العسكري ، مد ثوري في حركات التحرر في الدول النامية .

وكانت مصر قد أسهمت منذ أول نوفمبر ١٩٥٤ في مساعدة الشعب الجزائري في ثورته ، التي هددت الوجود الفرنسي في دولة عربية حاول الاستعمار أن يضمها إلى أرضه ، وينطق أبناؤها بلغة غير لغتهم .

وكانت الحكومة الفرنسية قد أرادت ضرب ثورة الجزائر عن طريق القاذرة ، وعندما فشلت وانسحبت ، ارتفعت معنويات ثوار الجزائر ، وهددوا من هجومهم على قوات الاحتلال الفرنسية .

كان جمال عبد الناصر يساعد ثورة الجزائر بالمال والسلاح قبل أن تجلو قوات الاحتلال البريطانية عن أرض مصر في ١٨ يونيو ١٩٥٦ . وظل يواصل مساعدتها ، بعد أن جلت قوات العدوان للمرة الثانية في عام واحد يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦ .

تحولت خلال هذه الفترة المجيدة ، القومية العربية من كلمات نظرية وأصول تاريخية وارتباطات عرقية إلى حركة نضالية تروى بالدماء .

ولم تكن تنحصر ثورة يوليو في معركة القتال حتى توالت الانتصارات العربية . . . تحققت وحدة الجمهورية العربية المتحدة (مصر وسوريا) في ٢٢ فبراير ١٩٥٨ ، وانفجرت في العراق ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨ وطنية تقدمية ، نزعزت حلف بغداد من أرضها وغيرت اسمه ليصبح (الحلف المركزي) ، وتأثرت الأردن أيضا فسادها حكم وطني خلال ١٩٥٧ حتى انتكس لظروف سبق توضيحها في الباب السابع .

وكانت شخصية جمال عبد الناصر تلعب دورا رئيسيا في جذب القوى الوطنية والتقدمية خلال هذه المرحلة الصاعدة من مراحل النضال القومي .

وهنا لابد من القول أن الاعتماد المطلق على شخصية الزعيم المحبوب ليس أمرا كافيا المر أن ذلك يتأثر بالعواطف والأهواء الشخصية .

لم تكن معركة الجيش حتى هذه الفترة قد استقرت على تنظيم سياسي ذي أيديولوجية واضحة وقادرة على استيعاب طاقات الجماهير ، واعتمدت على (الاتحاد القومي) بعد انتهاء دور (هيئة التحرير) .

ولم يكن الاتحاد القومي أكثر من تجمع شعبي ليست له لوائح تنظيمية أو ديموقراطية . . . تسيطر عليه الجهات الإدارية وأجهزة الأمن ، ونظامه كان مقتبسا من البرتغال على عهد الفاشية أثناء حكم سالازار ، كما سبق توضيحه في الجزء الثاني (مجتمع جمال عبد الناصر) .

٣. ضربت حركة الجيش للأحزاب السياسية على اختلاف مواقفها دون تمييز بين الأحزاب التقليدية الرجعية والأحزاب الناشئة التقدمية ، عزلت عن الحركة السياسية في مصر معظم العناصر التي كانت تهتم بالعمل السياسي بعيداً عن اغراء السلطة ، مؤمنة بمبادئ مختلفة .

هذا الموقف المضاد للحزبية في مصر انعكس أيضاً على علاقات مصر بالدول العربية .

كان جمال عبد الناصر مقتنعاً بأن تعدد الأحزاب يؤدي إلى تمزيق الوحدة الوطنية ، وإثارة خلافات مصطنعة ، إلى جانب تصويره بأن بعض الأحزاب يمكن أن تمتد جذورها إلى خارج الحدود وهو موقف جديد لعبد الناصر ، فقد كان قبل حركة الجيش من المدافعين عن الوفد كحزب شعبي ، ومن المرتبطين بعدة أحزاب مختلفة (الإخوان المسلمين ومصر الفتاة والحركة الديمقراطية للتحرك الوطني) ولكن التطور حركة الجيش كان حافزاً لها على ضرب الأحزاب لتنفرد وحدها بالسلطة ، التي يقف هو في قممتها .

وكما كانت الحال قبل الثورة اتصل عبد الناصر بالأحزاب العربية الوطنية والتقدمية في الدول العربية خلال أنصاه من الضباط الأحرار الذين ارتبط أغلبهم بأجهزة المخابرات تحت إشراف زكريا محيي الدين .

اتصل هؤلاء الضباط أساساً بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي ، والأحزاب الشيوعية في العراق والأردن وسوريا ، والحزب الوطني الاشتراكي (سليمان النابلسي) في الأردن والحزب الوطني الديمقراطي (كامل الجادرجي) في العراق

٤. الأحزاب البرجوازية القديمة كانت قد تلاشت تدريجياً أمام الانقلابات العسكرية .

٥. الحزب الوطني وحزب الشعب في سوريا ، وحزب الاستقلال في العراق وغيرهما من الأحزاب ذبلت ولم يحاول جمال عبد الناصر أن يخلق معها صلة سياسية وطنية .

وكان لهذه الأحزاب المنتشرة في الوطن العربي رأى في الأسلوب الذي اتبعه جمال عبد الناصر في مصر عمادياً به فكرة تكوين الأحزاب .

٦. حضر إلى مصر وفد من الساسة العراقيين بعد انتصار ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨ في العراق وعلى رأسه كامل الجادرجي رئيس الحزب الوطني الديمقراطي الذي قال لعبد الناصر ان عنده قدرة التأثير على عبد الكريم قاسم ، وأن ملاحظته الوحيدة هي تعطيل الحريات السياسية في مصر .

طلب كامل الجادرجي من عبد الناصر إلغاء الاتحاد القومي وإعادة الأحزاب. حتى يمكن إقامة اتحاد فيدرالي .

كانت الأحزاب الوطنية التقدمية في العراق تخشى أن يسلك قاسم سلوك عبد الناصر في تثبيت سيطرة عسكرية على الحياة السياسية .

ولكن قاسم انتهج سبيلا آخر . . . سمح بتكوين أحزاب يقرها قانون أصدره ، توافرت له خلال مواده القدرة على التدخل وفرض إرادته على تشكيلاتها . .

رفض جمال عبد الناصر اقتراح كامل الجادرجي ، فازادته كانت قد استقرت على رفض الأحزاب ، واستكانت الى تنظيمه الشكلي (الاتحاد القومى) .

وتبلور موقف عبد الناصر في رفض الأحزاب أيضا عندما تمت وحدة سوريا مع مصر ، وكان حزب البعث العربي الاشتراكي قد لعب دورا رئيسيا في تحقيقها خلال ضباطه المنبئين في الجيش ، وبثأير نوابه في مجلس الشعب الذي كان يرأسه أحد زعماء الحزب أكرم الحوراني .

أصر جمال عبد الناصر على ضرورة حل جميع الأحزاب في سوريا مع توقيع بيان الوحدة بجرة قلم ، ورضخ لذلك قادة حزب البعث كما قال لي أكرم الحوراني نتيجة للعوامل الآتية :

١ - الثقة الكبيرة في شخصية جمال عبد الناصر وحسبها القومي الواضح .

٢ - الرغبة الملحة في تحقيق أول انتصار لقضية الوحدة العربية .

٣ - ترجيح كافة الوحدة وظهور الجمهورية العربية المتحدة على كفة وجود الحزب اذا كان الاصرار على وجوده يمكن أن يشكل عائقا .

هذه هي العوامل التي أبرزها أكرم الحوراني ويمكن أن نضيف إليها أنه حظرت نشاط الأحزاب كان موجها أساساً الى الحزب الشيوعي السوري الذي كان نشاطه خلال هذه الفترة قد بلغ الذروة داخل الجيش وخارجه .

وعندما تمت الوحدة غادر خالد بكداش سكرتيره العام سوريا ، بينما تولى أكرم الحوراني منصب نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة .

وهذا يجب الاشارة الى أن فرع الحزب في العراق قد رفض قرار الحل ، وحافظ على تنظيمه ، لأنه العراق لم يكن قد ارتبط بعد بالوحدة ، فلم يكن هناك مبرر يدفعه الى الحل دون مقابل .

وكان أمرا طبيعيا أن يندفع الأمر بنفي الزعيم المحبوب وبين قادة الحزب المنحل إلى صدام . . . فقد اعتاد الزعيم نوعا معينا من القيادة وأسلوبا خاصا في التعامل . . . لم يستطع قادة البعث أن يدربوا أنفسهم على قبوله .

• وكان الصدام أمرا محتوما .

وخرج زعماء البعث من الحكم مستقيلين وحدهم بعد محاولة اظهار الاستقالة في طابع قومي يشترك فيه المصريون والسوريون . . . ولكن قادة البعث لم يدركوا أن اختيار عبد الناصر للوزراء المتعاونين معه كان يمر خلال رؤية خاصة تؤكد له خضوعهم وتبعيةهم وعدم وجود رأى خاص لهم قادر على الانفراد بموقف شخصي مثل الاستقالة .

كانت المجموعة الحاكمة في مصر ، وخاصة من غير أعضاء مجلس قيادة الثورة مثل ذوات الحديد المنجذبة الى مغنطيس شديد القوة . . . بينما كان القادمون من سوريا قد اعتادوا على أسلوب الحياة الحزبية ، وتوافر حد أدنى من الديمقراطية .

وعقب مأساة الانفصال التي تورط بعض قادة البعث في تأييدها (أكرم الحوراني وصالح البيطار الذي تراجع عن موقفه) ، عاد الحزب محاولا إعادة تشكيل تنظيماته .

وهرة أخرى يعتمد جمال عبد الناصر في صلاته العربية مع أحزاب أخرى في بلاد عربية مثل القوميين العرب ، والأحزاب السودانية (القومى الاتحادى والشعب الديمقراطى والشيوعى) وجبهة التحرير الجزائرية .

كان جمال عبد الناصر حريصا على أن تتعدد صلاته مع الأحزاب المختلفة ليكون له من بين أعضائها أنصار ، ولينسق سياسته معها .

وكان قادة هذه الأحزاب العربية يعدون فيه زعيما واسعا الأفق ، عميق الاخلاص يخرجون من اجتماعاتهم معه وقد ازدادوا إعجابا به وتقديرا له . . . ولكنهم عند التعامل كانوا يصطدمون كثيرا بتصرفات فردية صغيرة من بعض ضباط المخابرات الذين كانوا يباشرون الاتصالات السياسية دون وعى سياسى فاضح أو حس شعبى عميق .

وليس في هذا الكلام نوع من التعميم ، ولكنه كان يشكل ظاهرة يشكو منها أغلب القادة العرب الذين تعاملوا مع ثورة يوليو من موقع مسئوليتهم الثورية بعيدا عن الارتباطات الخاصة التى يمكن أن تشوه علاقتهم وتلصق بهم شبهة العمالة .

ثورة يوليو ١٩٧٣ -

لم يحدث في تاريخ علاقات القاهرة مع حركات التحرر الوطني العربية وتنظيماتها المتعددة أن عقدت اجتماعات تنظيمية مع وفود من هذه الأحزاب ، مثل الاجتماعات التي كانت تعقد أحيانا بين وفد من الاتحاد الاشتراكي العربي ، وفود الأحزاب الاشتراكية أو الشيوعية في دول أوروبا الشرقية أو الغربية .

كانت محادثات الوحدة الثلاثية عام ١٩٦٣ أكثر تمثيلا للحكومات منها للتنظيمات ، وهي على أية حال استثناء لم يتكرر ، فلم تعقد اجتماعات تنظيمية بين ممثلي حزب البعث العربي الاشتراكي والاتحاد الاشتراكي بعد ذلك .

والاجتماعات التي عقدت بين الاتحاد الاشتراكي وممثل جبهة التحرير الجزائرية وغيرها من الأحزاب العربية لم تكن ذات طابع مستمر يمكن أن يسفر حقا عن تبادل الخبرة الحزبية أو دعم الصلات التضاللية . أو تأكيد وحدة القوى التقدمية والثورية ، وهو الشعار الذي رافقه جمال عبد الناصر ونادى به ولكنه لم يتحقق أبدا بالصورة المرجوة .

الخطوة العملية الأولى في هذا المضمار ، كانت ندوة الاشتراكيين العرب التي دعا إليها هواري بومدين وعقدت في الجزائر في مايو ١٩٦٧ قبل أيام محدودة من العدوان الاسرائيلي في ٥ يونيو .

وجرف العدوان الاسرائيلي أحلام الاشتراكيين العرب الذين التقت مدارسهم المختلفة في الجزائر لأول مرة ، فكان هناك الى جانب ممثلي جبهة التحرير الجزائرية ممثلون للاتحاد الاشتراكي العربي (مصر) وحزب البعث العربي الاشتراكي ، والأحزاب الشيوعية في السودان والأردن ولبنان وسوريا والحركات القومية (خلال هذه الفترة) في العراق .

جرف العدوان الاسرائيلي أحلام الاشتراكية في عقد صلات تنظيمية بينهم ، تذيب الحساسية بين مدارسهم المختلفة وتوحد أفكارهم وأهدافهم التضاللية .

ولكن بقي عبد الناصر رمزا لوجود القدرة الشعبية على استيعاب الهزيمة وتجاوز آثارها والنضال من أجل تحويلها الى نصر ، وبقي أيضا رمزا للنضال العربي المشترك .

عندما قامت حركة الجيش السوداني في ٢٥ مايو ١٩٦٩ وأوفدني جمال عبد الناصر مع أحمد فؤاد الى قادة الثورة مندوبين عنه قال (أبلغوهم أنني على استعداد لوقف حرب الاستنزاف في منطقة القناة ومساعدتهم لانتصار الحركة اذا دعت الحال الى ذلك) .

كانت نظرة جمال عبد الناصر لا تقف عند حدود مصر مطلقا ، بل تتجاوزها الى الساحة العربية ، وتمتد أيضا الى أرجاء العالم ، تعرفه على نبض حركات التحرر الوطني والمباداة لمساعدتها .

لم يتردد جمال عبد الناصر في مساعدة لومومبا وثوار الكونغو ، وجعل من القساهرة مقرا لحركات التحرر الافريقية ، ولعب محمد فايق وزير الاعلام السابق دورا تاريخيا في حشد هذه القوات وربطها بالثورة المصرية ، وأرسل مساعدات لمسن باندرا نيكيا في سيلان ، ووقف في صلابة الى جانب النضال البطولي الخارق لشعب فيتنام .

وأدان في كل هذه المواقف ، وفي جرة وبسالة ، محاسن الامبريالية الأمريكية ومؤامرات مخابراتها المركزية .

وتحول جمال عبد الناصر مع الوقت الى صرح ضامخ تلجأ اليه حركات التحرر الوطني وتعتمد عليه الى حد كبير في نضالها .

ويصن تشبيه موقف القاهرة من حركات التحرر الوطني العربية في عهد عبد الناصر (اذا تجاوزنا عن الفروق والظروف المختلفة) بموقف موسكو من حركات التحرر الوطني في أرجاء العالم .

الموقف المبذني للدولتين كان يدفعهما الى مساعدة الحركات الثورية بلا تردد ، وتقديم المعونات لها حتى ولو على حساب الشعوب التي تنتج أيضا من أجل الآخرين .

وكثيرا ما التقت العاهمتان في أسلوب مشترك لمساعدة الحركات الثورية كما حدث في اليمن عندما قدم الاتحاد السوفيتي طائراته الصلابة لتنقل القوات المصرية ، وقدم أيضا كافة الأسلحة المستعملة مجانا وبلا حساب .

وقال لي وزير حربية مصرى أن الاتحاد السوفيتي لم يتقاضى مليما واحدا عن ثمن كافة الأسلحة التي قدمت لمصر منذ عقد صفقة الأسلحة عام ١٩٥٥ الى وفاة جمال عبد الناصر ، وأنه كان يتنازل عن قيمة الاقباط عند حلولها ، تقديرا من الاتحاد السوفيتي للدور الكبير الذي كان يقوم به جمال عبد الناصر في محاربة الامبريالية والصهيونية التوسعية ، وتخفيفا للشعب عن الشعب المصري في كفاحه من أجل التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي نحو الاشتراكية .

وهكذا كانت مصر أيضا ، تبادر بتقديم المساعدات لحركات الثورية والدولة العربية التقدمية ، دوما توده ، أو تراجع قرضه الأرقام أحيانا .

الثورة في مصر ١٩٥٢ - ١٩٥٣

وليس صحيحاً. ما يحاول البعض إثباته من القول بأن مساعدات مصر للدول العربية قد أثرت على دخل الشعب المصري وخفضت مستوى حياته ... وأنه كان أولى بأمواله أن تصرف على الخدمات بدلاً من صرفها على ثوان الجزائر. واليمن الشمالية واليمن الديمقراطية ، والسودان وغيرها .

قيمة هذه المساعدات مقارنة بدخل مصر لا تمثل نسبة كبيرة ، ولا تحقق ارتفاعاً مالياً شديداً ...

يقول محمد حسنين هيكل أن المساعدات التي قدمت لثورة الجزائر لم تتجاوز ٦٠ مليوناً من الجنيهات ، ويقدر أن ما صرف على ثورة اليمن هو مائة مليون جنيه سنوياً وهي مبالغ لا تحل مشاكل مصر ، ولم تصرف جميعها على غير أبناء مصر ، وهي نهايتها قد ساءت حركة التحرر العربي .

كان موقف جمال عبد الناصر في دعمه للنضال العربي في أي موقع موقفاً مبدئياً لا يتزعزع وهو يعبر بذلك عن إرادة الأمة العربية التي تدرك أن المستقبل هو في تحررها الكامل من السيطرة الإمبريالية . ومحاصرة الصهيونية التوسعية داخل حدودها حتى تتمزق بتناقضاتها وعزلتها عن المنطقة .

وأخيراً ...

قد يكون الحديث عن (جمال عبد الناصر ... والعرب) حديثاً له بداية ، ولكن ليست له نهاية .

وسوف تثبت الأيام أن هذا الرجل العتاق ، الذي نبث في أرض مصر ، قد استطاع خلال سنوات حكمه المحدودة - وبكل ما كان فيها من مواقف وإجراءات تستحق النقد والمراجعة - أن يجعل من القومية العربية حقيقة من بين الحقائق ، وأن ينجح أول تجربة للوحدة العربية في القرن العشرين ، وأن يضع الأمة العربية على بداية طريق تعاون طويل ... طويل

أحمد حمروش

المراجع

العربية

الكتاب

- فلسفة الثورة جمال عبد الناصر
- خطب جمال عبد الناصر
- الناصرية عبد الله امام
- ما الذي جرى في سوريا محمد حسنين هيكل
- عبد الناصر والعالم محمد حسنين هيكل
- صلاح سننالم الدكتور محمد المعتصم
- العالم الثالث (قضايا وآفاق) س . جوكوف وآخرين
- تاريخ الاقطار العربية الحديث لوتسيكي
- السياسة الاستعمارية بعد فاخروشيف
- الحرب العالمية الثانية
- محاضرات محادثات الوحدة
- التقرير السياسي للمؤتمر
- القطري الثامن لحزب البعث في العراق يناير ١٩٧٤
- المشاكل المعاصرة للتحرر الوطني لبنين
- مصر منذ الثورة فائيكبوتس

الاجنبية :

Army Officers in Arab,
Politics and Society.
Armée Et Politique Au Moyen,
Orient
Miles Copeland.
Nasser,
Middle East Politics,
Nasser,
Egypt Under Nasir.

Eleizer Be'eri.
Bernard Vernces.
Game of Nations,
Jean Lacontur.
J. C. Hurwitz
Anthony Nutting.
R. Hrair Dekmejian.

شكر و عرفان لشخصيات عربية جديدة

اضيف الى اسماء السادة الذين تفضلوا بمنحوني بعض وقتهم للبحث والمناقشة والذين ظهرت اسمائهم في الجزء الأول والثاني من (قصة ثورة ٢٣ يوليو) اسماء السادة العرب الذين ساعدوني مساعدا قيما في معرفة الحقيقة وظهور هذا الجزء الثالث (جمال عبد الناصر .. والعرب) مرتبة بالحروف الأبجدية .

ولهم في عنقى دين من الشكر والعرفان الى الأبد .

أحمد عبد الكريم	سوريا	وزير في عهد الوحدة وسفير سوريا في فرنسا حاليا .
آكرم الحوراني	سوريا	نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة
آكرم ديري	سوريا	وزير في عهد الوحدة ومدير مكتب الجامعة العربية في جنيف حاليا .
السيد حميد	العراق	لواء بالجيش العراقي سابقا .
أمين الحافظ	سوريا	رئيس جمهورية سوريا السابق .
أنور القاضي	مصر	فريق أول قائد القوات المصرية باليمن سابقا .
صلاح البيطار	سوريا	وزير في عهد الوحدة .
صفام حسين	العراق	رئيس وزراء سوريا السابق .
طارق عزيز	العراق	نائب رئيس مجلس قيادة الثورة ونائب رئيس الجمهورية العراقية .
جاسم حسين	مصر	وزير الاعلام ورئيس تحرير (الثورة) العراقية .
عبد الرحمن البيهقياني	اليمن	لواء قائد القوات المصرية باليمن سابقا وعضو القيادة العربية المشتركة حاليا .
عبد الرحيم عبد الله	اليمن	نائب رئيس جمهورية مبابقا .
عبد الله السيلالي	اليمن	سفير اليمن السابق بالقاهرة .
عبد الله جزيلان	اليمن	رئيس جمهورية اليمن السابق .
عبد المجيد فريد	مصر	قائد القوات المسلحة اليمنية .
		الملحق العسكري المصري بالعراق سابقا وسكرتير رئاسة الجمهورية وأمين الاتحاد الاشتراكي سابقا .

عبد المحسن مرتجى	مصر	فريق قائد القوات المصرية باليمن سابقا .
محمد علي الشهاري	اليمن	مدير مكتب الرئيس السلال سابقا .
مصطفى حمدون	سوريا	وزير في عهد الوحدة ونائب وزير الاصلاح الزراعي العراقي حاليا .

الفهرس

الموضوع	صفحة
● مصر والعسكريون	
الامداء	٥
مقدمة	٧
الباب الاول	١١
الفصل الاول : محمد على واليا وابو خليل قائدا للجند	١٣
الفصل الثاني : الاميرالاي عرابى ثائرا وقائدا	٤٣
الفصل الثالث : الجيش المصرى تحت الاحتلال البريطانى	٦٣
الباب الثاني : الجيش والحركة السياسية فى مصر قبل الثورة	٨٧
الفصل الرابع : نضال الشعب وموقف الجيش بعد معاهدة	
١٩٣٦	٨٩
الفصل الخامس : حرب فلسطين ١٩٤٨	١٢٧
الفصل السادس : الضباط الاحرار	١٤٣
الباب الثالث : الجيش فى السلطة	١٧٥
الفصل السابع : حركة ٢٣ يوليو	١٧٧
الفصل الثامن : الواقع الاجتماعى والطبقى للضباط	
الاحرار	٢١٦
الفصل التاسع : سقوط الملك	٢٢١
	٢٢٨١

الموضوع	صفحة
الفصل العاشر : الضباط في السلطة لأول مرة	٢٢٥
الباب الرابع : سنوات الصدام	٢٥١
الفصل الحادي عشر : سنوات الصدام	٢٥٣
الفصل الثاني عشر : إلغاء الدستور وحل الأحزاب	٢٦٥
الفصل الثالث عشر : اعتقال الشيوعيين	٢٨٩
الفصل الرابع عشر : حل الإخوان المسلمين	٣٠٣
الفصل الخامس عشر : صدام الضباط	٣١٣
الفصل السادس عشر : الصدام الأخير	٣٣١

● مجتمع جمال عبد الناصر

اهداء	٣٦٩
مقدمة	٣٧١
الباب الأول : سنوات الصعود	٣٧٥
الفصل الأول : تحرير مصر والعمودان	٣٧٧
الفصل الثاني : مع الحياة .. ضد الأحلاف	٤٠٥
الفصل الثالث : السوفيت في المنطقة	٤٢٥
الفصل الرابع : القناه والعدوان	٤٥٥
الباب الثاني : العسكريون في مركز السلطة	٤٨٩
الفصل الخامس : زحف العسكريين نحو السلطة	٤٩١
الفصل السادس : العيرة والاختيار	٥٢٣
الباب الثالث : مجتمع عبد الناصر	٥٦١
الفصل السابع : محاولة لخطية جديدة	٥٦٣

الصفحة	الموضوع
٢١	الفصل الثامن : في كواليس القيادة
٥٧	الفصل التاسع : طليعة الاشتراكيين
١٤٩	الفصل العاشر : مجتمع جمال عبد الناصر
٦٦٣	شكر وعرفان
٦٦٧	المراجع العربية
٦٦٨	المراجع الأجنبية

● عبد الناصر والعرب

٦٧٦	امضاء
٦٧٧	مقدمة
٦٧٩	الباب الأول : العسكريون والمصريون
٦٩٦	الباب الثاني : سوريا الوحدة والانفصال
٦٩٧	الفصل الأول
٧١٥	الفصل الثاني : اعلان الوحدة
٧٣٧	الفصل الثالث : مأساة الانفصال
٧٦١	الفصل الرابع : مصر وسوريا بعد الانفصال
٧٨٣	الباب الثالث : القاهرة وبغداد
٧٨٥	الفصل الأول : الانقلابات العسكرية في العراق
٧٩٩	الفصل الثاني : ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨
٨١٩	الفصل الثالث : سقوط عبد الكريم قاسم
٨٣٥	الباب الرابع : اليمن السعيد
٨٣٧	الفصل الأول : الإمامة في اليمن
١٠٨٣	

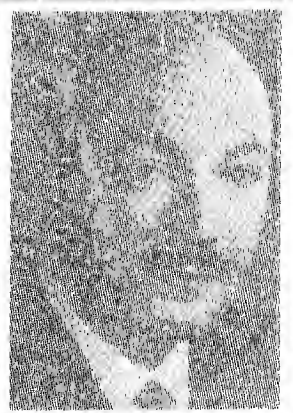
الموضوع	صفحة
الفصل الثاني : ثورة اليمن	٨٥١
الفصل الثالث : العسكريون المصريون في اليمن	٨٦٥
الباب الخامس : مصر والسودان	٩٠١
الفصل الاول : نضال مشترك ضد الاستعمار البريطاني	٩٠٣
الفصل الثاني : السودان .. وحركة الجيش المصري	٩٢٧
الفصل الثالث : الاستقلال .. وانقلاب الجنرالات	٩٤٥
الفصل الرابع : ثورة ٢١ أكتوبر ١٩٦٤	٩٦٣
الباب السادس : الجزائر .. عريية	٩٨٥
الفصل الاول : الجزائر قبل الاستقلال	٩٨٧
الفصل الثاني : الجزائر .. بعد الاستقلال	١٠٠٩
الباب السابع : الأردن	١٠٣٥
الباب الثامن : لبنان	١٠٥٥
الباب التاسع : جمال عبد الناصر .. والعرب	١٠٦٥
المراجع	١٠٧٧
شكر وعرفان	١٠٨٧

General Organization of the Alexan-
dria Library (G.O.A.L.)

مطابع الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٢/١٥٤٥

ISBN — 977 — 01 — 2941 — 0



مؤلف هذا الكتاب الأستاذ أحمد حمروش أحد الضباط
الأحرار الذين شاركوا في صنع ثورة ٢٣ يوليو تحت قيادة جمال
عبد الناصر .

وكان يعمل بالكتابة وهو ضابط في المدفعية بالجيش
المصري ... فكتب مقالات في جريدة الأهرام والقصود ... وأصدر
ورأس تحرير مجلة (التحرير) أول مجلة لخدمة الجيش
صدرت في ١٦ سبتمبر ١٩٥٢ . ومن بعدها أصدر ورأس تحرير
مجلة الهدف عام ١٩٥٥ . والكتاب عام ١٩٦١ . وروز اليوسف
عام ١٩٦٤ . وأصدر ١٥ كتابا في السياسة والقصة والمسرح
وأدب الرجال .

تعد دراسته عن ثورة ٢٣ يوليو التي تصدر في ثمانية أجزاء
أكبر أعماله حيث تتميز برؤيته كأحد جنود ثورة يوليو ، وهي
حصيلة جلسات حوار طويلة مع زملائه الذين شاركوا في صنع
الثورة . وتحملوا مسؤولية مسيرتها . ومع السياسيين الذين
عاشوا أحداثها الكبرى .

والجزء الأول الذي يصدر عن هيئة الكتاب يضم ثلاثة أجزاء
هي مصر والعسكريون . ومجتمع جمال عبد الناصر .
وعبد الناصر والعرب ... ويعقبه جزآن آخران الثاني يضم
خريف عبد الناصر ، وغروب يوليو ... والثالث يضم قصة
٢٣ يوليو مع الديمقراطية والاشتراكية .

٢١٠٠ قسروش